







مَجْلَّةُ شَيْخَةِ جَامِعَةِ أَصْفَهَانَ الْعِلْمِيَّةِ

مَجْلَّةُ شَيْخَةِ جَامِعَةِ أَصْفَهَانَ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن شيخه الأزهري في أول كل شهر عربي

٢٤

المجلد الرابع والعشرون

السنة ١٣٧٢ هـ

مَجْلَّةُ شَيْخَةِ جَامِعَةِ أَصْفَهَانَ الْعِلْمِيَّةِ

الأزهري الشريف



مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www.azhar.eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية

SAQIFAT AL-SAFAT TRUST

لبوان - ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org



مَجْلَدُ الْإِسْمَاءِ

بدل الاشتراك
٥٠ في مصر والسودان
٦٠ في أقطار الإسلام
٥ ثمن البجزة

مجلة الأزهر

مجلة شهرية علمية

تصدر عن مشيخة الأزهر في دار الكتب

مدير المجلة ورئيس تحريرها المشيخ
أحمد حسن الزيات
العنوان : إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
تليفون : ٤٦٢١٢

الجزء الأول - القاهرة في غرة المحرم سنة ١٣٧٢ - ٢١ سبتمبر سنة ١٩٥٢ - المجلد الرابع والعشرون

١٤
٢٢٢٢٢٢
٢٢٢٢٢٢

فهرس

صفحة	صفحة
٢	كان ظهور الاسلام فتحا لعالم جديد
٥	للاستاذ أحمد حسن الزيات
٥	سر الفوز العظيم في الفتوح الاسلامية
٩	للككتور عبد الوهاب عزام
٩	من مواقف البطولة الاسلامية في القتال
١٥	للاستاذ عبد الحميد العبادي
١٥	رأى الاسلام في القتال
٢١	لفضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز
٢٦	طبيعة الفتح الاسلامي
٣٠	للاستاذ سيد قطب
٣٧	العقيدة الاسلامية وأثرها في سمو الانسان
٤٠	لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني
٤٦	الاسس التي قام عليها التشريع الاسلامي
٥٠	لفضيلة الأستاذ علي الحنيف
٥٥	مناهج الفقهاء الأئمة في التشريع
٥٨	للاستاذ الدكتور أحمد أمين
١٠٢	اليوم أكملت لكم دينكم
١٠٦	لفضيلة الأستاذ محمود شلتوت
١٠٩	جهود الفقهاء في التشريع
١١٤	لفضيلة الأستاذ عبد الوهاب خلاف
١١٨	مقارنة بين شريعة الله وشرائع الانسان
١٢٤	للاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
١٣٢	القرآن والفتنة
١٣٤	للاستاذ عباس محمود العقاد
	جهود المسلمين في النحو والبلاغة
	لفضيلة الأستاذ محمد مرفة
٦٢	فضل العرب على فلسفة اليونان
٦٨	للككتور أحمد فؤاد الامواني
٧٣	تدعيم الاسلام للأسرة
٨١	للككتور علي عبد الواحد وافي
٨٨	جهود العلماء المسلمين في ميدان العلوم
٩٥	للككتور ابراهيم حلمي عبد الرحمن
١٠٢	خصائص العبارة الاسلامية
١٠٦	للاستاذ حسن عبد الوهاب
١٠٩	جهود المسلمين في الموسيقى
١١٤	للككتور محمود أحمد الحفيظ
١١٨	أثر الاسلام في الفنون الزخرفية
١٢٤	للككتور أحمد موسى
١٣٢	مجلة الأزهر
١٣٤	للاستاذ عبد الله أمين
	الفتح المبين
	لفضيلة الأستاذ محمود شلتوت
	ما يقال عن الاسلام
	للاستاذ محمود الحنيف
	الكتبة : مخطوطات فريد
	للاستاذ عبد الفتاح السرنجباوي
	كتب أفرنجية تعالج موضوعات إسلامية وشرقية
	للككتور عمر حليق
	الادب والعلوم في شهر
	للككتور عمر حليق
	العالم الاسلامي في شهر
	للاستاذ محمود الحنيف
	طرائف علمية وأدبية

كان ظهور الإسلام مفتاحاً لعالم جديد

العالمية ليلا موصول الظلام بالازل، مبسوط الهول على الأرض. ومن حقبة إلى حقبة كانت تضيء سماء الداجية ومضات من عقل الإنسان في طيبة وأثينا، وأشعة من وحى الله في سيناء وأورشليم. حتى إذا خبا نور العقل بحيوانية الرومان، وخفت صوت الوحي بمادية اليهود، أطبق الظلام في كل سماء، وغشى الضلال على كل أرض، وسرت قافلة الحياة غوية تحبب في مجاهل البيد، يسوقها من الشرق الفرس، ويقودها إلى الغرب الروم. ولم تكن الروم في القرنين السادس والسابع لليلاد إلا دولة منحلة ألح عليها سرف الغنى وترف العيش وفساد العقيدة وتباين المذاهب، حتى انتهى أمر دينها في بيزنطة إلى خلاف مستحكم في طبيعة المسيح، وجدل متحكم في صفات هذه الطبيعة. وآل أمر دنياها في رومة إلى استغراق في شهوات الحس ونزوات النفس كفسكفت من سلطان العقل، وطأطأت من إشراف الروح. وكان من هذا الدين المسيخ ومن هذه الدنيا الداعرة أن قام في شطرى الامبراطورية الغاربة نظام من الحكم السفه الفاجر أرهق الامة بالضرائب، وأفسد الحكومة بالرشا، ولوث

نستطيع من غير أن نغضب المؤرخين أن نجعل ظهور الإسلام هو الفارق بين عالم قديم كان يقاسى لهاث الموت، وعالم جديد كان يستهل استهلال الحياة؛ وأن نطلق الوصف بالجاهلية على العالم القديم كله شرقيه وغربيه، والوصف بالإسلامية على العالم الجديد كله مسيحية ومحمدية. ومما يعزز هذا التقسيم أن الله جل جلاله قد أرسل رسوله محمداً بأهدى إلى الناس كافة، وكانت سنته من قبل أن يرسل من اصطفاه إلى البلد الذى فسد، والشعب الذى شرد. فلما عمت الجاهالة، وشاعت الضلالة، وأوفت الإنسانية، اقتضت حكمة الخالق أن تكون الرسالة عامة والدعوة شاملة. ومن طبيعة الشريعة العامة أن تكون كاملة لا يناها النقص، متجددة لا يعترها البلى، صالحة لكل نفس ولكل أفق، حتى يكون فيها لكل داء علاج، ولكل قوم منهاج، ولكل مشكلة حل. وتلك هى الخصائص المميزة للشريعة التى انقطع بعدها الوحي، ولصاحبها الذى اختتمت به الرسل.

* * *

كانت الجاهلية العالمية، التى سبقت الإسلامية

على هذه الحال الالئمة والقيادة المضلة كانت قافلة الحياة تسرى . ١ . ظلام مخيم على السكون كله ! فيه التهاويل التي تفزع كل نفس ، والعراquil التي تصدم كل قدم ، والشياطين التي توسوس هنا بالفتنة ، وتغرى هناك بالإثم ، وتعيث هنالك في الدين ، وتستعين دائماً بجواء على إغواء آدم . ١ . وما كان الله - جل شأنه - ليكل ركب الخليقة إلى نفسه ، فيعصمه في هذا التيه وقد قضى عليه أن يقطع مراحل الدنيا ويبلغ غاية الأجل . لذلك أذن - وهو الرؤوف الرحيم - لهذا الليل أن يصبح ، وشاء - وهو الخبير العليم - أن يكون لمسفار صبحه من غار حرام !

هنالك تجلى الله لجبل النور فأشرق الحجاز كله . ونزل الرسول المصطفى من الغار ونور الله يسعى بين يديه ، وصوت الروح الأمين يتردد في أذنيه ، فدعا إلى الإسلام البداة الرعاة الذين اختارهم الله لهداية خلقه ورعاية حقّه ، ثم خرج بهم إلى القافلة البشرية وقد شردها الضلال ، وأضناها السكالك ، وأعوزها الهادى الذى يدل ، والهادى الذى يرفه . فرد الشارد ، وألف النافر ، وجمع الشتيت ، وطمان السادرين اليائسين الهلكى بقول ربه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل للسلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر . » وحينئذ بدأ المجاهدون فى سبيل الله معارك التطهير والتحرير ، فطهروا النفوس من الرجس ،

المجتمع بالذائل ، وأشعر الناس مذلة الرق ، فعظموا القادة ، وقدسوا السادة ، وألهّوا القياصرة ، حتى انحدر السيد والمسود ، والعابد والمعبود ، إلى هوة لا قرار لها إلا العدم .

كذلك لم تسكن الفرس فى ذلك العصر نفسه إلا حطام دولة وغناء جيل . منيت بما منيت به الروم من تحلل العقد ، وتفغن الاخلاق ، وسطوة الشهوات ، وتفاوت الطبقات ، وطغيان الملوك ، وبطلان الدين . وأربت عليها بنشوء المذاهب المعوجة فيها ، وغلبة الميول الشاذة عليها ، فن (رمزية) زرادشت ، الذى مهد للجوسية الخمقاء ، إلى (عدمية) مافى ، الذى حرم الزواج استعجالاً للفناء ، إلى (وجودية) مزدك الذى جعل الناس شركة فى الأموال والنساء ، إلى حال من الاجتماع العفن والنظام البالى لا يعيش فيهما حر ، ولا يدوم عليهما مُلك .

وكان الناس من وراء هاتين الدولتين يعيشون على حال أسوأ من هذه الحال ، وفى درك أسفل من هذا الدرك ؛ فالعرب واليهود قد وصفهم الكتاب العزيز بما لا بيان بعده . والهنود وأهل الصين كانوا من البوذية والبرهمية فى وثنية لإباحية لا حصر لأصنامها ، ولا حد لأوهامها ، ولا علاج لما ابتاتهم به من أدواء خلقية واجتماعية بعضها يبيد عالماً بأسره . أما الشعوب الاوربية فى الشمال والغرب فكانت لا تزال خارج الوجود للمتمدن لا تشعر بأحد ، ولا يشعر بها أحد .

عن طريق المغرب والاندلس في فتوح الهلال ، وقبسوا حضارة المسلمين عن طريق مصر وفلسطين في غزوات الصليب . ثم كان من أثر الفتح الإسلامى للقسطنطينية أن انتشر الدين المحمدي في شرق أوروبا ، وتفرق العلم المسيحى في وسط القارة ، فكانت حركة (الإحياء) .

وما الإحياء إلا اختلاط الثقافة اللاتينية التى أطلقها محمد الفاتح من الأديرة والسكنائس ، بالثقافة اليونانية التى بعثها محمد المأمون فى المساجد والمدارس ، ومن هاتين الثقافتين وما خالطهما من علوم الإسلام وفنون المسلمين كانت هذه الثقافة الحديثة والحضارة القائمة .

* * *

لم تكن الفتوح الإسلامية اذن فتوح استثمار وجباية ، وإنما كانت فتوح تحرير وهداية .

كانت فتوحا فى الأرض للحرية والعمران ، وفتوحا فى العقيدة للتوحيد والإيمان ، وفتوحا فى الشريعة للحق والعقل ، وفتوحا فى السياسة للإحسان والعدل ، وفتوحا فى اللغة للأدب والبلاغة ، وفتوحا فى العلم للإحياء والتجديد ، وفتوحا فى الفن للابتكار والطرافة .

وفى المقالات التى ستقرأها فى هذا العدد تفصيل لهذا الإجمال وتدليل على هذه الدعوى .

والله اللطيف بعباده هو المسئول أن يظهر دين الحق على الدين كله ؛ فإن الإسلامية هى الإنسانية ؛ وإن القرآن هو الفرقان ؛ وإن الإسلام هو السلام ؟ محمد بن الزيات

وحرروا العقول من الشرك ، وثلاثوا عرش قيصر ، وقوّضوا إيوان كسرى ، وشادوا على أنقاضهما مأذنة بلال ومنبر محمد . ثم طبقوا فى البلاد المطهرة المحررة شريعة الله التى تسكّر الإنسان وتعلن حقوقه ، وتمحو فروقه ، وترفع شأنه . ثم حملوا فى الشرق والغرب شعلة المعرفة بما تجمع لهم من وراثته ما مضى من الديانات والثقافات والحضارات ، وأقبسوها أقواما لم يروا قبلها النور فى ذهن ولا ضمير .

ورثوا ديانات إبراهيم وموسى وعيسى ، وثقافات اليونان والعبران والهنود ، وحضارات المصريين والرومانيين والفرس ، ثم أخضعوا هذا الإرث الضخم لعبقريّة الإسلام ومزية الجنس ، فاتتفى منه الحبث ، وارتفع الخطأ ، وانجلي الغموض ، وكمل النقص ، وأصبح صالحا لتغذية العقول ، وتقوية القلوب ، وتنمية المدارك ، وتكوين مجتمع صحيح قوى حر ، لا يوجهه إلا الحق ، ولا يحكمه إلا الله .

ثم كان من فضل الله على الناس أن أظهر نوره فى مكان وسط بين قرنى الشمس ، ليعشوا على ضوئه الضالون فى الشرق والغرب من المحيط إلى المحيط .

* * *

على أن نور الله لم يلبث أن غمر الشرق حتى بلاد الصين ، وطبق الغرب حتى بلاد الغال . ومن حرمه الله نعمة الانتفاع بهدايته وقيادته ، لم يحرمه فضل الاستمتاع بثقافته وحضارته . فالمسيحيون والأورييون قد أخذوا ثقافة العرب

فتوح المجاهدين في سبيل الله

سرا الفوز العظيم في الفتوح الإسلامية

للكاتب عبد الوهاب عزام
مقيم في باكستان

وشريعتهم . وجاء المشركون كأمواج الظلام ،
تدمر كل ظلمة على الأرض ويصلهم كل باطل فيها .
كان العرب المشركون الذين لم يشهدوا الواقعة
أنصار من شهدا من المشركين ؛ ولو استنجدهم
هؤلاء لانجدوهم ، ولو شهدوا لنصروهم . ووراء
مشركي العرب كل دين للشرك ، وكل شريعة
للباطل ، وكل مشوه مبدل من الأديان والشرائع .
فلا حرج على متخيل أن يرى أمم العالم كافة
مددا وراء مشركي قريش يوم بدر ، وأن يبصر
رايات الشرك والظلم والباطل في كل أرجاء
الأرض محشورة بجانب راية قريش يوم بدر .
علم هذا رسول الله حين قال وهو قائم على
هذه الصخور التي تشرف على موضع المعركة
والتي تطل اليوم على الحفرة التي ثوى فيها الشهداء -
قال يخاطب ربه الذي أرسله بالهدى ودين الحق :
« اللهم إن تهلك هذه العصابة لا أعمد في الأرض
بعد اليوم » . وصدق رسول الله .

٢

وبعد عام سار سواد الكفر إلى المدينة
يغزو هذه العصابة في دارها ، يريد أن يطغى
الشعاع في مصباحه ، يريد أن يسد النهر حيث
ينبع . وكانت وقعة أحد . وكاد السحاب

١

يوم السابع عشر من رمضان للسنة الثانية من
الهجرة . اجتمع المسلمون ، يقودهم إمامهم ومعلمهم
وقائدهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والمشركون من قريش وألفافهم .

اجتمعوا في سهل غير فسيح ، يعلو على وادي
الصفراء المقبل من الشمال من جهة المدينة ،
ويتصل به الخيف الأخضر الذي تتطلع منه ذرا
التخيل إلى هذا السهل ، وتحذ الطرف فيه أنى
توجه الجبال ، إلا حيث يقبل وادي الصفراء .
وإلا حيث يشرف كتيب عظيم من الرمل تجوزه
السابلة إلى الغرب شطر البحر .

ذاك يوم بدر ، هناك اجتمعت فئة من المسلمين
هي شعاع من الغيب يبشر بالصبح الصادق
تتلوه شمس الضحى ، واجتمعت فئة من المشركين
هي طليعة سواد الكفر في أرجاء الأرض تريد
أن تطبق ظلماتها على هذا الشعاع .

اجتمع المسلمون يحملون في قلوبهم وعلى
أسننتهم وبأيديهم ، توحيدا وطهارة وشريعة
ونظاما وطاعة . وقابلهم المشركون في موكب
من الوثنية والردائل ، والعنصرية والفوضى .
جاء المسلمون وليس لهم مدد إلا إيمانهم

المنفردون . ثبت القطب حين البأس ولم يزل ،
فدارت الرحى على هوازن . فانقلب انتصارهم
هزيمة ، يقول القرآن للمسلمين « وضاعت عليكم
الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » .

٤

وهكذا تتابعت الحوادث حتى سير رسول الله
جيشاً إلى أرض الروم ، فكانت بين شرذمة من
العرب وجيش الروم وألفافهم من العرب موقعة
مؤتة . ومتى كانت مؤتة ؟ كانت والروم في أوج
الانتصار والفخار ، كانت حين أتم هرقل هزيمة
الفرس واسترد آسيا الصغرى والشام وتبع
كسرى ابرويز إلى دار مله وكضى على كسرى
وجيشه ورد الصليب الكبير إلى بيت المقدس
ولسكن الجند الذين شهدوا مؤتة كانوا يحملون
من الحقائق ما هو أعظم من الروم والفرس
وكل دولة في العالم . فمن ارتاب في هذا فليعلم
أن مؤتة التي هزم فيها المسلمون وتهاقت قواهم
فيها ، ولدت بعد سبعة أعوام وقعة اليرموك .
ولم يكن المسلمون في اليرموك متصرين يتقدم
بهم خالد إلى فتح بعد فتح ، أعظم من المسلمين
القليبين في مؤتة يتقدمهم خالد لينجو بهم من بأس
الروم . فالحقائق التي حارب بها المسلمون في
مؤتة هي الحقائق التي حارب لها المسلمون في
اليرموك . دعوا الكثرة والقلة ، والانتصار
والانهزام يا من ترون ظواهر الأمور
ولا تبصرون بواطنها .

٥

ومن أطراف الجزيرة العربية إلى خليج

المتكاثف المظلم يطبق على نجم الصباح المتلألئ .
ثم انقشع الغمام وبقي السكوكب في لآلئه .

وبعد عامين آخرين جاء سواد الشرك والباطل
في جحافل كثيفة لتأخذ المدينة من أقطارها ،
 واجتمعت سيول القبائل في مجتمع الأسياال
إلى الشمال والغرب من المدينة ، وسالت على
مواطن أخرى . وخندق المسلمون على أنفسهم
إذ لم تسكن لهم طاقة بهذا السيل .

« إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ،
وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنونا » .

والرسول يضرب بمعوله على صخور اعترضت
الحافرين فيقدح ناراً تضيء قصور الأكاصرة
والقياصرة . وصدق رسول الله ، إن الضربات
التي زلزلت العروش من بعده هي نسبية ضربات
المعول في يد إمام المسلمين يوم حفر الخندق .

٣

وفتح المسلمون مكة ، ودخلها إمامهم ساجداً
على رحله . فما كان انتصارهم إلا انتصار الحق
العزیز، والعدل المسلط والرحمة القادرة والأخوة
الجامعة ، والعفو الشامل ؛ انتصار الإيمان بالحق
والخير على العبودية للباطل والشر .

وُبعث المسلمون في حنين فهزموا . فلو كان
الامر حرباً وكيداً وخدعة ومباغطة ، وجندا
وسلاحاً ، لهزم العرب المشركون العرب المسلمين
هزيمة ماحقة ، ولكن الجمع تفرق ، والجند فزع
فاندعر ، وثبت الإيمان الذي اجتمع عليه الحشد ،
والحق الذي أطاف به الجند ، ثبت محمد وإيمانه
ودينه فانحاز إليه الفارثون ، وأوى إليه

النخل . قلت : ونبت الإيمان والحق والخير ومعان أخرى كثيرة .

٦

انظروا إلى العرب المسلمين يسرون من بلادهم في البر والبحر إلى المشرق والمغرب ، على بعد الشقة ، وضآلة العدد ، وعظم المطلب . يسرون إلى المشرق والمغرب دعاة توحيد وأخوة ، ورسول شريعة عادلة وخلق كريم ، الله ربهم . والناس لإخوانهم ، والأرض كلها ديارهم ، غلبوا ولم يذلوا ، وفتحوا ولم يخربوا ، وتسلطوا فاساسوا بالعدل ، وواسوا بالحق ، وخططوا الأمم بعضها ببعض في أخوة الإسلام التي لا تميز بين الأقوام والألوان والأوطان . وذاع في الأرض عدلهم ، وشاعت بين الناس سيرتهم ، فسالم من سالم وحارب من حارب ، قرأ أصحاب شريعة من العدل والرحمة ، دعوتهم الأخوة وسيرتهم مكارم الأخلاق ، قوما يبيتهم مساجد ورحالهم معابد ، يحاربون على شريعة ، ويسالمون على شريعة .

٧

ما الذي يسر للمسلمين الفتح ، ونشر سلطانهم في المشرق والمغرب في سنين قليلة ؟ الإيمان الذي ملأ قلوبهم في مبدأ سيرهم ونهايتهم وصحبهم من بدر إلى بلات الشهداء وحالفهم مشرقين ومغربين وهازمين ومهزومين ، والثقة بوعده الله في فتح الأرض ، والسيطرة عليها بالحق والعدل . يسر لهم الإيمان واليقين كل عسير ، وذل لهم كل صعب ، وأصغر كل كبير ، وجمع كلمتهم وقلوبهم على الجهاد في سبيل الله والصبر على

القسطنطينية شطر الشمال وإلى حدود الصين وما وراء نهر السند شطر الشرق ، وإلى بحر الظلمات حيث دفع عقبة فرسه في البحر صائحا : « لو علمت وراءك أرضا لسرت غازيا في سبيل الله ، ثم إلى نهر اللوار في فرنسا وإلى أرجاء أخرى ، سار المسلمون ، مقاتلين ومصالحين ، يفرقون الجيوش المجتمعة بالقهر على الباطل ، ليجمعوها بالعدل على الحق ، ويلقون الأقوام والألوان ، في أخوة الإسلام .

كانت موقعة بلات الشهداء سنة أربع عشرة ومائة موقعة امتحن فيها المسلمون وقتل كثير منهم وانتصر شارل مرقل على عبد الرحمن الغافقي . وروى الراوون أن الناس لبثوا حقبة يسمعون الأذان ، أذان الشهداء في بلات الشهداء . لم يسمعوا في الآفاق أو في أنفسهم طبل الحرب ولا صلصلة السيوف ، ولا صياح المحاربين ، ولكنهم سمعوا الأذان شعار التوحيد والإيمان والصلاة والفلاح ذلكم كان مقصد هذه الوقائع وشعارها وسرها وعلايتها .

أكتب هذه الكلمة في « كراچی » من أرض السند ، لست بعيداً من أطلال مدينة « الديبل » ، مدينة الصنم الكبير الذي حطمه المسلمون في السند ، كما حطموا « هبل » في مكة وحطموا كل صنم من الحجر أو البشر بين مكة والديبل وفي أرجاء من الأرض كثيرة .

يقول المسلمون هنا كلما رأوا نخلا - والنخل كثير في أمكنة شتى من هذه البلاد - هذه آثار العرب ، كانوا حينما ساروا أو خيموا نبت

ما يلقون ، ولقاء الموت راضين مستبشرين .
وكذلك يسر لهم الفتح أنهم ساروا إلى الأمم
على شريعة جامعة ، وقانون محكم ، لا يعتدون
ولا يبغيون ، ولا ينقضون العهد ، ولا يخفرون
الذمة . تتكافأ دعاؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم .
وأنهم جماعة نظام ، وجند طاعة في السراء
والضراء والشدة والرخاء ، والحرب والسلام .

٨

وقال قائلون فضلوها وأصلوا - وكمنيت هذه
الامة بالمفتين ، يغضون من أقدارها ، ويهونون
من مآثرها - قالوا : طلب القوت والطمع في الغنائم
نشر هؤلاء العرب في أرجاء الأرض . قاس هؤلاء
الدعوة الإسلامية على الاستغلال الذي يسمى
الاستعمار في حضارة هذا العصر . وكل شيء
عندهم قهر وتسلط ، واستغلال ونهب ، وشره
وحرص ، وتفريق بين الناس وعبادة المال
من دون الله .

فقل هؤلاء : إن الإنسان ربما يحارب على
الخير ولكنه لا يطلب الشهادة في سبيله ، إن
الإنسان يريد أن يظفر بالطعام ليعيش به ، لا أن
يموت في طلبه . فما بال هؤلاء العرب المسلمين
طلبوا الموت حيثما ذهبوا ، وحرقوا العيش
أينما توجهوا .

ما بالهم وقد فتحت لهم مصر ورأوا الخصب
في أرضها ، ورغد العيش على حفاف نيلها ،
جاوزوها إلى صحارى النوبة وسهوب أفريقيا ؟
ما بالهم وقد فتحت لهم الاندلس ورأوا النعيم
المقيم ، جاوزوا جبال البرانس ليستشهدوا
في بلاط الشهداء ؟

ما بالهم وقد دانت لهم فارس ، جابوا صحارى
مكران إلى السند ، وعبروا نهري جيحون إلى ما وراء
النهر ؟ ما بالهم يتركون النعيم والخير العميم ؟

وأنهم لم يسيروا في الأرض ابتغاء المال والملك
والسلطان والجبروت ، ولكن دعاة دين وشرع
قويم ، وخلق كريم ، ورسول عدل ورحمة وأخوة
ومواساة . شعارهم الآية :

« وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدن ،
عباد زهاد ، شعارهم الأذان ، وحدوهم القرآن
وما رأى الناس جيوشاً من العباد قبلهم سارت
للدعوة إلى الحق ، وتمسكين عدل الله في الأرض .
بهذا طار ذكرهم ، وانتشر صيتهم . لقد
أخرجوا عبادة الله من الصوامع إلى أرض
الله الواسعة .

وأنهم سيطروا فأزالوا سلطان الجبارين عن
الضعفاء والمساكين ، وأمنوا الناس على ما تعمله
أيديهم ، وما يناله جددهم وسعيهم ، فاستبشر الزارع
والصانع وأمن التاجر ، وشمل الناس الأمن مقيمين
وظاعنين ، وبادين وحاضرين ، وعم الرخاء
واستبحر العمران .

وكثير من الأمم انتظروا العرب ليفتحوا
بلادهم ، وينقذوهم من الجبارين المسلطين عليهم
ويشملوهم بما شاع عنهم من العدل والرحمة
والأخوة والمساواة .

من مواقف البطولة الإسلامية في القتال

للمؤتلف عبد الحميد العبادي
أستاذ التاريخ، أستاذي بجامعة فاروق

والعجب العاجب أن هذه التقاليد المشهورة استمرت في الغرب الذي يدين بالمسيحية السمحة طوال العصر الوسيط. وطلع العصر الحديث، ولعله لم يخل منها حتى يومنا هذا. ولئن ذلك بالحروب الصليبية التي ارتكب فيها الصليبيون في مدن الشام عامة وبيت المقدس خاصة من أفاعيل تقشعر لها الأبدان، وبما صنعه المملوك الكاثوليكيان الأسبانيان فرندو وإيزابلا، بمسلي غرناطة غداة استيلائهم على مدنها، من نقض للعهد المؤكدة، والمواثيق المخلطة. وبالحروب المعروفة في التاريخ الأوربي الحديث في القرنين السادس عشر والسابع عشر بالحروب

إن من يطلع على تاريخ الحروب التي وقعت بين الفرس والروم في أواخر القرن السادس الميلادي وأوائل السابع، يرى إلى أي حد كانت هذه الحروب راجعة إلى الشهوات والأهواء الشخصية، شهوات الأكاسرة تارة والقيصرة أخرى، وإلى أي حد كان يحدها حب المغنم والسلب والنهب، وإلى أي حد كان يذكي أوارها حب التشنى والانتقام، وإلى أي حد كان يصاحبها التخريب والتدمير، ونقض العهود والمواثيق. الشهوة، والغنيم، والانتقام، والتخريب والغدر، تلك كانت الصفات الغالبة على تلك الحروب التي كادت تترك المشرق والمغرب خراباً ياباً.

إن النهر العظيم الذي ينبعد من منبعه إلى منتهاه يسير بالحياة والخصب ولكنه يجرف أرضاً ويحمل غثاء ويغرق ناساً؛ ولكن الله أجراه للحياة والخصب لا ليسير بالكدر والغثاء، وبذلك الأحياء.

فأعيدوا النظر أيها الضالون، وأنعموا الفكر لعالمكم تهتدون.

هذا سطر من كتاب، وموجة من عباب، والكتاب هو تاريخ الفتح الإسلامي على سعة وطوله، والعباب هو مجده العرب المسلمين، لا يزال يعي الزمان صده، ويحلم التاريخ بذكره. فسن عبقرى عادل يفقه التاريخ ويكتب الكتاب، ويصور في السطور أمواج هذا العباب!

عبد الوهاب عزام

والعالم المقيم في الأرض التي سيطروا عليها ليجزوا فيافي قاحلة، ويحاربوا أقواماً غلاظاً شداداً، في بلاد تنتظرهم فيها قبورهم، إن الأمر لأعظم مما توهموا، وأسمى مما قالوا.

٩

وبعد: فالحرب هي الحرب في كل أرض وكل عصر. فيها قتل وفيها أسر وفيها غلب وسلب. وليس عجيباً أن يفرح المجاهد الذي شرى نفسه في سبيل الله، بغنيمته ينالها، وليس بعيداً أن يكون في سواد الجند من تكون الغنيمته همته، ولكن جيوش المسلمين سارت داعية إلى الإسلام مجاهدة في الله، ترجو الشهادة قبل الغنيم، وتنهيا لدوت قبل الطعام.

أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله بعد الإيمان به تعالى وبعد بر الوالدين، وإذا المجاهد له إحدى الحسينيين إما الظفر وإما الشهادة ، وإذا الذين يقتلون في سبيل الله غير أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون .

كانت هذه المبادئ جزءا جوهريا من تعاليم الدعوة الإسلامية ، اعتنقها المسلمون الأولون وعملوا بها في حروبهم ، فلا غرو أن حفلت هذه الحروب بذكر الأبطال ومواقف البطولة الصحيحة في القتال . ونحن نورد ، فيما يلي ، على سبيل المثال لا الحصر ، بعضا من صور هذه البطولة ، سواء أكانت بطولة آحاد أم بطولة جيوش وجماعات .

١ - أبطال :

يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من العريش يوم بدر فخرض الناس على القتال ، وقال : « والذى نفسى بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة » فقال عمر بن حنبل من بني مسيلة ، وفي يده تمرات يأكلهن ، « حج ! حج ! ما بقى بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء القوم ! » ثم قذف بالتمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل . ويروى أنه عليه السلام يوم أحد أخذ سيفاً فهزه وقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه عمر بن الخطاب فقال : أنا أخذه بحقه ، فأعرض عنه . ثم هزه الثانية وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه الزبير بن العوام وقال : أنا أخذه بحقه ، فأعرض عنه ، فوجدا في أنفسهما . ثم عرضه الثالثة وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه أبو دجاجة ، فقال وما حقّه يا رسول الله ؟ قال : « أن تضرب في العدو حتى ينثني ! فأخذه منه ،

الدينية ، وأخيراً بما ارتكب في الحرب العالمية الأخيرة من تدمير كان ختامه إلقاء القنابل الذرية على المدن اليابانية ، مما أودى بالآلاف المؤلفة من اليابانيين ، غدرآ وبغياً وعدوانا .

ولنضرب صفحا عن وصف الحرب في العصور الوسطى عند القبائل الجرمانية التي قضت على الدولة الرومانية ، وغمرت أوروبا في ظلام دامس طوال ألف سنة تقريبا ، وعند التتر الذين قضوا على الدولة العباسية ودكوا صرح الحضارة الإسلامية في المشرق ، فقد يعتذر عن هؤلاء وهؤلاء بأنهم همج وبرابرة ليست لهم حضارة الفرس ولا نصرانية الروم ولا مدنية أوروبا وأمريكا في القرن العشرين .

ولكن كم الحوادث التاريخ وتصاريفها من أسرار جهد العلماء ولا يزالون يجهدون في الوقوف عليها ! وكفى من لطف خفي حارت في كنهه الأفهام ! ففي وسط هذه الغياهب المدهمة والظلمات الحالكه ، تبرز شمس الدعوة الإسلامية فإذا الحرب المشروعة هي المنزهة عن شهوة السلطان ، وحب المغنم ، والسمعة ، والمبرأة من عوامل الغدر والخيانة والعدوان ، وإذا بها نظام من نظم العمران ، به يكف الظلم ويقمع الطغیان ، ويستأصل الفساد . وقد عبر شوقي عن كل ذلك في قوله مخاطبا الرسول العربي :

والحرب في حق لديك شريعة

ومن السموم النافعات دواء

وإذا بهذه الحرب المشروعة تسمى « جهادا في سبيل الله » ، أى كفاحا لإعلاء كلمته بما تشتمل عليه هذه العبارة من معاني العدالة والإصلاح في الأرض وتحقيق المثل العليا . وإذا الجهاد

قتال يذكر ، واجتمعت قريش إليه عند الكعبة معلنة إسلامها ومبايعتها ، فخطبهم فقال : يا معشر قريش ماذا ترون أني فاعل بكم ؟ فقالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ! ، فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء ! هكذا عامل الرسول هذه القبيلة التي كذبت ، وآذته ، وأخرجته وأصحابه ، وحاربتة أكثر من عشرين سنة ! فضرب بذلك أروع مثل للعلم والعفو عند المقدرة .

٣ — طلب الشهادة فلم يعطها :

كان زيد أخو عمر بن الخطاب ممن قتل في وقعة اليمامة ، إحدى وقائع حرب الردة وذلك سنة ١١ فلما رجع الناس قال عمر لابنه عبد الله ، وكان معهم ، ألا هلكك قبل زيد ؟ هلك زيد وأنت حي ! ألا داريت وجهك عني ؟ فقال عبد الله : سأل زيد الله الشهادة فأعطيا ، وجهدت أن تساق إلى فلم أعطها ! ،

٤ — لا نامت أعين الجبناء :

لا شك أن خالد بن الوليد أعظم قائد في الإسلام ومن أعظم قواد العالم على الإطلاق . ولقد سماه الرسول سيفاً من سيوف الله ، وكفى بذلك شرفاً له وتوثيقاً بقدره . ظهرت عبقريته في وقائع مؤتة والردة وفتوح العراق والشام . ولكن بطولته تظهر فوق ذلك في تواضعه ، فعندما عزله الخليفة عمر بن الخطاب عن التقدم على جيوش الشام لمصلحة ارتماها ، نزل على أمر الخليفة ، وعمل راضياً تحت إمرة أبي عبيدة . وهي تتجلى بوجه أخص في العبرة التي استخلصها من تجاربه وعبر عنها في ألفاظ قلائل قالها عندما حضرته الوفاة ، قال : لقد شهدت مائة زحف أو زهاها ، وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية . وهأنذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء .

وأعلم نفسه بعصاة حمرأ ومشى إلى الحرب ، وجعل يتبختر بين الصفين ، فقال الرسول : إنها لمشية ييغضها الله إلا في هذا الموطن ! ودخل أبو دجانة في الحرب مبتدئاً بالقتال ، فأبلى وأنكى .

ومما استدل به الفقهاء على جواز المبارزة مع التغرير بالنفس ما حدث في حرب الخندق إذ دعا عمرو بن عبدود فارس قريش وغلبها الخنذيذ ، إلى البراز أول يوم ، فلم يجبه أحد ثم دعا إلى البراز في اليوم الثاني ، فلم يجبه أحد . ثم دعا إلى البراز في اليوم الثالث ، وجعل يعير المسلمين لإحجامهم عن مبارزته . فقام علي بن أبي طالب فاستأذن رسول الله في المبارزة ، فأذن له على ضنه به ، وقال : اخرج يا علي في حفظ الله وعباده ! . فخرج فتجاولا ونارت عجاجة أخفتها عن الأبصار ، ثم انجالت عنهما وعلى يمسح سيفه بثوب عمرو وهو قتيل .

٥ — العفو عند المقدرة :

لما نقضت قريش هدنة الحديبية التي كانت بينها وبين الرسول ، عزم الرسول على غزوها وفتح مكة وذلك في رمضان سنة ٨ فخرج من المدينة في عشرة آلاف وبغت قريشا على غير استعداد ، فلم يسع ساداتها وكبرامها إلا أن يبادروا إلى أخذ الأمان لأنفسهم ولبلدهم ، وقد أعطاهم الرسول هذا الأمان بعد أن أسلموا ونهى الجيش عن أن يقتل إلا من قاتله ، وقال في تأيين أهل مكة : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ودخل الرسول وجيشه مكة من أقطارها فلم يقع

٥ — قائد محبوب :

فأجابه ، فحمل المثنى على قلب الجيش الفارسى فأزاله ثم أباده ، وقتل مهران ، قتله غلام من تغلب نصرانى . فلما رأت ذلك مجنبات المسلمين حملوا على مجنبات الفرس ، وجعل المثنى والمسلمون فى القلب يدعون لهم بالنصر ويرسل إليهم من يذمرهم ويقول لهم : « عاداتكم فى أمثالهم ! انصروا الله ينصركم ! » حتى هزموا الفرس .

ومات أناس من الجرحى ، منهم : مسعود أخو المثنى فصلى عليهم المثنى ، وقال : « والله إنه ليهون وجدى عليهم أن شهدوا البويب وأقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكلوا » .

٦ — العفو عند المقدرة أيضاً :

من أفضح حوادث الحروب وأشنعها ما وقع من الصليبيين فى البيت المقدس غداة استيلائهم عليه فى سنة ٤٩٢ هـ . أجمعت على ذلك جميع المصادر الإسلامية والصليبية على السواء . فلتورد للقارىء بجملة لما حدث عند ما فتح صلاح الدين الأيوبي تلك المدينة فى سنة ٥٨٣ هـ

فبعد أن دحر صلاح الدين جيش الصليبيين فى وقعة حطين سار إلى عسقلان فافتتحها وأخذ يتأهب للزحف منها إلى بيت المقدس . وكان حريصاً على أن يجنب تلك المدينة ويلات الحرب والحصار ، فاستدعى وفدأ من الصليبيين الذين كانوا بها وطلب إليهم تسليم تلك المدينة التى يقدسها المسلمون كما يقدسها الصليبيون ولكنهم صرحوا له بأنهم لن يسلموها طوعاً أبداً . عند ذلك أقسم لهم أنه لن يفتحها إلا بالسيف .

وتقدم صلاح الدين إلى بيت المقدس وأخذ فى مهاجمتها ، ونقب أسوارها ، وأوشكت جنوده أن تقتحمها . فلما رأى الصليبيون ذلك أنفذوا

كان المثنى بن حارثة الشيبانى يقاتل العجم بالعراق على شاطئ الفرات ، فاشتبك مع الفرس فى وقعة كبيرة تعرف بوقعة البويب وذلك سنة ١٣ هـ . وكان قد انضم إليه قبيل الوقعة جمع من نصارى تغلب حمية لصلة العروبة . ولما القارىء ما تصف به الرواية هذا القائد وجيشه فى ذلك اليوم : « وأقبل الفرس يقودهم قائدهم مهران فى ثلاثة صفوف ومع كل صف فيل ولهم زجل ، فقال المثنى للمسلمين : « إن الذى تسمعون فشل ، فالزموا الصمت ! » وطوف المثنى فى صفوفه يعهد إليهم ، وهو على فرسه الشموس ، وكان لا يركبه إلا لقتال ، فوقف على الرايات يحرضهم وهزم بأحسن ما فيهم ، ولكلهم يقول : « إني لأرجو ألا يؤتى العرب من قبلكم اليوم ، والله ما يسرنى اليوم لنفسى شيء إلا وهو يسرنى لعامتكم ، فيجيبونه بمثل ذلك . وأنصفهم من نفسه فى القول والفعل ، وخاط الناس فى المحبوب والمكروه ، فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا فعلاً . وقال : « إني مكبر ثلاثاً فتهيأوا ، ثم احموا فى الرابعة ! » فلما كبر أول تكبيرة أعجلتهم فارس وخالطوهم ، وركدت خيلهم وحرهم ملياً ، ورأى المثنى خلافاً فى صفوف بنى بجل ، فجعل يمد لحيته لما يرى منهم ، وأرسل إليهم يقول : « الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم ! فقالوا : نعم ! واعتدلوا . فضحك فرحاً » .

فلما طال القتال واشتد ، قال المثنى لأنس بن هلال النمرى : « إنك امرؤ عربى ، وإن لم تكن على ديننا ، فإذا حملت على مهران فاحمل معى !

صلاح الدين لشيء مما معه على الرغم من اعتراض أصحابه ، وأبى أن ينقض عهده ولم يأخذ منه غير الدنانير العشرة المقررة . وانقضت الأربعون يوماً ولا يزال في المدينة آلاف كثيرة من فقراء الصليبيين لا يملكون فداء . يقول المؤرخ الصليبي « أرنول » ، ولعله كان حاضراً ذلك اليوم المشهود . فقدم العادل إلى أخيه السلطان صلاح الدين وقال : « سيدى ! لقد أعتك بحمد الله على فتح هذه البلاد وهذه المدينة وإني أستوهبك ألفاً من أولئك الأرقاء » ، فأجاب السلطان إلى طلبه وعند ذلك أعتقهم العادل من فوره . ثم جاء بليان والبطرك وطلبا مثل الذى طلب العادل فوهبهم صلاح الدين ألف رقيق أطلقوا في الحال ، وأخيراً يلتفت صلاح الدين إلى أصحابه ويقول : « لقد أدى أخى صدقته ، وكذلك صنع بليان والبطرك ، وقد بقى أن أؤدى أنا صدقتى » . ثم إنه أمر رجالا من حرسه أن ينطلقوا فينادوا في جميع شوارع المدينة أن كل عاجز عن دفع الفداء له أن يخرج وأنه حر لوجه الله تعالى . يقول أرنول : « وقد استغرق خروج هؤلاء نهراً كاملاً من لدن شروق الشمس إلى أن خيم الظلام . ثم يمضى المؤرخ المسيحي المذكور فيقول متحدثاً عن أدب صلاح الدين ونبله ورقة قلبه : إن نساء من نساء فرسان الصليبيين كن قد لجأن إلى بيت المقدس بعد أن قتل أو أسر أزواجهن وعائلوهن في الحرب . فاجتمعن بعد أن أدّين الفداء وحضرن عند صلاح الدين باكيات معولات يشكون إليه سوء حالهن . فما كان منه إلا أن أطلق لكل من لها زوج في حبسه زوجها ،

الأمير بليان لمفاوضة صلاح الدين - فطلب هذا الأمير أن يمنح السلطان بيت المقدس عفوه الذى منحه مدناً صليبية أخرى . فلم يجبه السلطان إلى ما طلب مستمسكا بيمينه التى أقسمها . عند ذلك قال له بليان : إن في المدينة ستين ألف مقاتل سيخرجون إليه بعد أن يقتلوا نساءهم وأطفالهم ويدمروا كل ما يسعهم تدميره ، ثم يقتلونه حتى يقتلوا عن آخرهم . ولقد راع هذا التهديد صلاح الدين ، فاستشار من معه من الفقهاء فأفتوه بأن ما حدث من قتال حول المدينة كاف في إبرار قسمه ، وأن في وسعه أن يعتبر كل من في المدينة من الصليبيين أسرى حرب ، له أن يضرب عليهم الفداء .

وقد أخذ صلاح الدين بهذا رأى وتم الاتفاق على أن يكون الفداء عن كل رجل عشرة دنانير ، وعن المرأة خمسة دنانير ، وعن كل طفل ديناراً واحداً ، وأن تكون المدة التى يؤدى فيها الفداء ويتم الجلاء أربعين يوماً . فمن وجد في المدينة بعدها كان ملكاً مسترقاً للسلطان .

وفتحت المدينة أبوابها للسلطان وجيشه وذلك في السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هـ ، وكانت الليلة ليلة المعراج الشهيرة ، وهى مصادفة عجيبة . وأقام صلاح الدين على الأبواب أمناً يتقاضون مال الفداء .

نفرج الأمير بليان ومعه سبعة آلاف فقير بعد أن أدى عنهم ثلاثين ألف دينار ، ثم تتابع خروج الصليبيين على الرسم المقرر ، ثم يأتى البطرك الكبير يجر من أموال الكنائس وتحفها وجواهرها ما لا يقدر بمال ، فلم يعرض

إلى الجبل . فعندما اصطدم العسكران اضطرب جناح السلطان وانتفض طرف منه ، فألقى الملك المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه إلى الأرض ، وصرخ بأعلى صوته : « وإسلاماه ! » ، وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة ، فأيده الله بنصره . وقتل كتيبة مقدم التتر ، وانهزم باقيهم وأبلى الأمير بيبرس أيضاً بلاء حسناً بين يدي السلطان ، ، ومر العسكر في أثر التتر إلى قرب

بيسان ، فرجع التتر وصافوا مصافاً ثانياً أعظم من الاول ، فهزمهم الله وقتل أكابرهم وعدة منهم ، وكان قد زلزل المسلمون زلزالاً شديداً ، فصرخ السلطان صرخة عظيمة ، سمعه معظم العسكر وهو يقول : « وإسلاماه ، ثلاث مرات يا الله ! انصر عبدك قطز على التتار ، فلما انكسر التتار السكرة الثانية ، نزل السلطان عن فرسه ومرغ وجهه على الأرض وقبلها ، وصلى ركعتين شكرياً لله تعالى ثم ركب ، فأقبل العسكر وقد امتلأت أيديهم بالمغانم ،

هذه وقعة عين جالوت التي صد فيها الجيش المصرى سيل الغزو التترى الجارف ، واستمقتذ بها الشام من أيدي التتار ، ورد عن مصر والمغرب الإسلامى كيدهم وجبروتهم ، وفوق ذلك فإنه وقى في ذلك اليوم على غير علم منه أوروبا وحضارتها الناشئة دماراً محققاً وذلك باعتراف مؤرخى أوروبا أنفسهم .

وبعد فلعل القارىء يكون قد رأى من جميع هذه النصوص المتقدمة أن الإسلام قد شرع للحرب والجهاد منهاجاً واضحاً قاصداً وسن آداباً جديدة حميدة ؟

عبر المحمير العبادى

وأمر بمال من ماله الخاص لكل من لا عائل لها ، مما ألهج ألسنتهن بالشكر له والثناء عليه .

ويقول المؤرخ الانجلىزى لين بول : « لو لم يكن لصلاح الدين من الأعمال الثابتة إلا أخذه بيت المقدس ، لكان ذلك كافياً في عده أعظم الفاتحين في عصره فروسية وأكبرهم قلباً ، بل لعله كذلك في أى عصر من العصور . »

٧ — وإسلاماه !

اجتاح التتر أقاليم الدولة العباسية الشرقية ودمروها تدميراً ، ثم دخل زعيمهم هولاكو بغداد في سنة ٦٥٦ وقضى على الخلافة العباسية ثم اكتسحت جيوشه الشام وأصبحت على أبواب مصر . ولقد أرسل هولاكو إلى سلطان مصر إذ ذاك وهو الملك المظفر قطز كتاباً ملأه تهديداً ووعداً وطلب إليه فيه المبادرة إلى الخضوع له والاستسلام لآله . فسارت حمية السلطان واستنفر الناس للجهاد التتار فتناقلوا لما ثبت في الأذهان إذ ذاك أن التتر لا يغلزون ولسكن السلطان أعلن أنه سائر بنفسه للجهاد على أى حال وليصحبه من يشاء . عند ذلك نفر معه الأمراء بأجنادهم . فسار بالجيش إلى فلسطين مقدماً أمامه الأمير بيبرس . وجرت بينه وبين التتار وقعة عظيمة عند عين جالوت وذلك في رمضان سنة ٦٥٨ هـ .

يقول المقرئى في وصف بلاء قطز وبيبرس والجيش المصرى في ذلك اليوم العصيب : « فلما كان يوم الجمعة خامس عشر من رمضان التقى الجمعان ، وفي قلوب المصريين وهم عظيم من التتر ، وذلك بعد طلوع الشمس ، وقد امتلأ الوادى ، وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين ، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراء ، فتجنز التتر

رأى الإسلام في القتال

لصاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز
عضو جماعة كبار العلماء

في وسطه لا في طرفيه ، وروحه في قلبه
لا في جناحيه . وسنريك الآن : أين الأطراف ،
وأين الأوساط في موضوع حديثنا .

* * *

فانظروا هنا ، في أقصى الجانب الأيمن !
أليس يبرز الإسلام أمامك في شعاب مكة ،
ووديانها رافعا راية السلام بيضاء نقية لاشية فيها ؟
أليس يبدو نبي الإسلام باسطاً جناحي رأفة ورحمة
ينبئ إلى ظاهما الوارف أنصاره وأعداؤه
على السواء ؟ ألست تسمع كتاب الإسلام وهو
يحدّد مهمة حامله ؟ فإذا هي هداية وإرشاد ،
وموعظة وتذكير ، ولإنذار وتبشير . ويجمع ذلك
كله في كلمة واحدة : « بلاغ » .

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة » ، « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله
يهدي من يشاء » ، « فذكر إنما أنت مذكر ،
لست عليهم بمسيطر » ، « وما أنت عليهم بجبار ،
« ادفع بالتي هي أحسن السيئة » ، « فاصبر كما صبر
أولو العزم من الرسل » ، « خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن الجاهلین » ، « فان تولوا
فإنما عليك البلاغ » ، ...

وزد ما شئت من سماحة وكرم ، لا ترى فيهما
شائبة لعنف ولا انتقام ، ولا أثارة من مقاومة
أو اصطدام ... الإسلام إذا هو رسالة السلام .

هذه إحدى « الثلاثيات » القرآنية .
وأعني بتلك « الثلاثيات » ، طرازاً خاصاً
من الأحكام ، يصدرها القرآن في ثلاثة ألوان
مختلفة من أساليب البيان : أسلوب « الإثبات » ،
المجمل تارة ، و« النفي » ، المجمل تارة ، و« الإثبات
والنفي » ، جميعاً تارة أخرى ؛ مفصلاً في هذا الوضع
الآخر مطالع الحكم ومقاطععه ، ومحدداً فيه
منازل التشريع ومنازعه ؛ مبيناً بذلك أنه ،
حين يثبت بمجمل وحين ينفي بمجمل ، إنما يقضى
في شأنين مختلفين ، فيقرر في كل شأن حكمه العدل ،
ويقول في كل مقام قوله الفصل .

ليس أخطر على الباحث في الشريعة الإسلامية
من الوقوف عند أطرافها المجملّة ؛ لأنه بذلك
يدع نصوصها تتصادم وتتخاصم .. حتى إذا سعى
في الصلح بينها برأيه لم يأمن على نفسه الهوى
والزلل في تأويلها . وهذا شأن اتباع المتشابه
الذي نهى الله عنه .

ولنما يستبين موقف الإسلام واضحاً جلياً
في هذا الضرب من المسائل ، حين يلتبس حلها
في تلك الآيات الجامعات ، التي تلتقي فيها الأطراف
على قدر ، والتي يبرز بها التشريع الإسلامي
في وحدة لا تنقسم ، وعروة لا تنفصم . تلك هي
الآيات المحكمات ، وهن أم الكتاب .

هذا الطراز من التشريع الثلاثي مفتاحه إذا

تلك هي المشكلة التي فتحت باب التعليل والتأويل أمام الذين يأخذون الأمور من أطرافها. وما أكثر الفروض، وما أبعد تشعب الظنون، حين يتحرر المرء من قيود العيان والبرهان! وما أشد إغراء الهوى لمن وقف في محراب العلم وهو لما يفق من نشوة نزعاته وعصبياته، ولما يتجرد من سلطان عقائده وعوائده! هنالك يطير خلف كل سائحة وبارحة من الرأي، فيمسك بأيها كان أحب لقلبه، أو أكثر تملقا لشعور قومه، ثم يرسلها في الناس باسم العلم وفلسفة التاريخ. وما هي من العلم ولا من التاريخ في شيء.

ذلك مثل فريق من كتاب الغرب حين تفرقت بهم السبل في معالجتهم لهذه القضية: أكان محمد متعطشا للدماء بفطرته، ولم يمنعه من سفكها إذ كان في مكة، إلا أنه كان من الأعوان في قلة، ولم يكن أعوانه في عامة الأمر يومئذ إلا الضعفاء والمستضعفين؛ فكان تسامحه حينذاك ضرورة ألجأ إليها العجز وفقد النصير حتى إذا واثته الفرصة في موطنه الجديد اهتبلها، وغمس يده في الدماء لإشباعا لغريزة النار والتشفي؟

أم كان في هذا الموقف الحربي متحركا بحركة قسرية لا يستمليها من مرارة قلبه، ولكنه دفع إليها دفعا، وكان فيها تابعا لا متبوعا؟ ذلك أنه وجد نفسه في قوم عاشوا جل دهرهم على الغارات والحروب؛ فما كان منه إلا أن نزل على إرادتهم وجرى في تيارهم.

ولكن هلم إلى أقصى الطرف الآخر! ألسنت تسمع من قبل المدينة، صيحات النفيير إلى النزال، وقعقة السلاح في ميادين القتال؟ أو لست ترى هنالك أشلاء تتناثر، وأطرافا تتطاير، وأعناقا تدق، ودماء تسفك، وأرواحا تزهب، وأسرى يشد وثاقهم، وشهداء يهناون ببئيل تضحياتهم، ويبشرون بعظيم أجورهم؟ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغْلظ عليهم، يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال، وإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؛ يقاتلون في سبيل الله فيمُتُّون ويُقْتَلُونَ، فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، فاضربوا فوق الأعناق، واضربوا منهم كل بنان، فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب. حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون، الحرب إذاً شريعة إسلامية، وفريضة محمدية. بل هي أعظم من ذلك؛ إنها عنصر أصيل من عناصر الإيمان الصادق؛ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. أولئك هم الصادقون.

يا الله! ما أبعد الشقة، وأشد المفاارقة!... أمن السلام الأبيض الناصع، الرحيم المتواضع، إلى الثورة الحمراء الفانسية، والحرب الفاتكة المهلكة؟

وهل أنا إلا من غزية ؟ إن غوت

غويت ؛ وإن ترشد غزية أرشد
لقد قلبوا وجوه الرأي وذهبوا فيها كل مذهب ؛
ولكنهم حينما ذهبوا لم يجدوا إلا برقاً خلباً ،
وسراباً خادعاً ، يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه
لم يجده شيئاً . نعم لقد اصطدموا بحقائق التاريخ
في كل مسلك سلكوه ، وضلوا ضلالاً بعيداً
في كل مثل ضربوه .

ذلك أن الذين درسوا منهم نفسية محمد في مختلف
أطواره : في شبابه وكهولته ، في بأسائه ونعمائه ،
حتى في أوج سلطانه ، شهدوا بأن محمداً لم يكن
 يوماً ما فظ الطبع ، ولا غليظ القلب ، ولا خشن
العشرة ، ولا عاقى الحكم ، ولا حامل ضغن
على صديق أو عدو . ولئن كانت في طباعه نزعة
عائنه الوحى فيها عتاباً بلغ حد اللوم والتثريب ،
لقد كانت تلك ، على العكس ، نزعته للصفح
عن أعدائه ، ومجازاتهم بالذنب غفراناً ، وبالسوء
إحساناً . وإن شواهد سيرته العطرة في هذا كله
لاشهر من أن ينه عليها ، وأكثر من أن يعد
بعضها . ناهيك بمنه بالحياة على قريش وهم في قبضته ،
بعد ما تأمروا على قتله .

وذلك أن الذين درسوا حياة محمد شهدوا
في الوقت نفسه بأنه لم يكن يوماً ما لأمعة في رأيه ،
ولا ريخوآ في حكمه ؛ وأنه لم يعرف عن أمة
في التاريخ أنها كانت أطوع لملك أو قائد أو زعيم
من قوم محمد له : طاعة لا يملها سوط
ولا صولجان ، ولكن يبعثها الحب والمهابة
والثقة والإيمان ؛ وأنهم بلغوا فيها إلى حد تفديته

بأهلهم وآبائهم وأبنائهم وأنفسهم .

وكذلك شهد التاريخ أن خروج محمد من القرية
الظلمة إلى دار الانصار لم يكن سبباً في تحول
سياسته مع قريش من اللطف إلى العنف ،
ومن المسالمة إلى المقاومة ، على الرغم من وضوح
حقه في هذا التحول وتمكنه منه ؛ فقد بايعه
الانصار من قبل هجرته اليهم ، وأعطوه الموائيق
الغلاظ على مؤازرته ونصرته . فلو أنه فكر
في الثأر لرمى بهم في وجه عدوّه من أول يوم ،
ولكانوا أطوع له من بنائه ؛ ولكنه لبث فيهم
زهاء عامين مشغل في أثنائهما شغلاً مستغرقاً
بشعائر دينه ، وشؤون قومه ، وكان كل شيء
في سيرته إذ ذاك يدل على أنه قد تناسى الماضي
بحسناته وسيئاته ، وأنه قد اطمأن الاطمئنان كله
إلى حياته الجديدة ؛ فها هو ذا قد استبدل دار أبادار ،
وأهلاً بأهل ؛ بل لقد استبدل شعاراً بشعار ،
وقبلة بقبلة : إذ أصبح يولى وجهه في الصلاة
شطر بيت المقدس بعد أن كان يستقبل الكعبة .
وجملة القول : إن خوضه غمار الحرب لأول مرة
كان حادثاً فجائياً حقاً ، لم تمهد له مقدمات
من حياته بالمدينة ، كما لم تمهد له مقدمات من ميوله
ونزعاته ، ولا من شخصيته ومنزلته في قومه .

* * *

هكذا فشل كتاب الغرب في محاولتهم تحليل
هذا الموقف الجديد بأسباب وعوامل التمسوها
في المعسكر الإسلامى .

وكان الإنصاف العلى يقضى عليهم أن يلتمسوها
بعد ذلك في الجانب الآخر ؛ فلم يفعلوا . ولو أنهم

من حديثها في غالب الامر مقام الرسول وعظما
أصحابه بين ظهرانهم ، أخذت حين خلا لها الجو
تهاجم جموعهم ، وتوالى التكنيل بهم ، وهى آمنة
أن تلاقى لهم ولياً حميماً تخشى غضبه ، أو يلاقىها
شفيع متوسل تستحي أن ترد سعيه . وما زال
طغيانها عليهم يزداد يوماً بعد يوم ، حتى عيل
صبرهم ، وطفح كيل بلائهم ، فهناك أخذوا
يجأرون إلى الله مستغيثين ، فى صرخات عالية ،
تسمع دويها فى القرآن الكريم . . . وهنالك فقط
أمر الله المهاجرين والأنصار أن يخفوا لإغاثتهم ،
فكان ذلك هو أول تحريض على القتال :
« وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين
من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا
أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل
لنا من لدنك ولياً ، واجعل لنا من لدنك نصيراً .
لم تسكن الغزوة الاولى إذأ حلة تحرش وبدء
بالعدوان ، كما زعم الجاهلون ، فذلك ذنب خلى
أن يعتذر منه لو وقع . ولم تسكن دفعة ثار وانتقام
لجروح قديمة قد اندملت ، أو محاولة تعويض
واسترداد الحقوق استولى عليها الأعداء من ديار
المهاجرين وأموالهم ، كما قد يظن بادىء الرأى ؛
ولو فعلوا لكان حقاً لهم تفرقه كافة الشرائع
الساوية والوضعية ، ولكنك حق مشروع
فحسب ، وكان من السائغ التنازل عنه . كلا ،
لم تكن هذا ولا ذاك ، ولكنها كانت عملاً أعلى
من ذلك كله وأسمى : لقد كانت قياماً بواجب
منزه القصد مبرأ الغاية عن كل الأغراض والمنافع
العاجلة ، واجب نجدة المظلوم ، وإغاثة الملهوف .
فهى إذأ صفحة نثار جديرة أن تسجل فى أعلى

طرقوا هذا الباب لوجدوا من ورائه ضاللتهم ،
ولقبضوا من فورهم على جريمة الحرب فى مهبها
ومولدها .
فالواقع أن أول حرب فى الإسلام لم يوقدها
المسلمون ، بل كانوا وقودها ، وأن أعداء الإسلام
هم الذين أشعلوا نارها ، وأطاروا شررها .
لا أقول إنهم كانوا سببها البعيد فحسب ، بل كانوا
هم معلنيها عملياً ، والمتسببين فيها من طريق مباشر ؛
وما كان من المسلمين إلا أنهم قبلوا التحدي ،
ورددوا التحدي .

لا تعجل أيها القارئ على ردِّ وإنكاراً ،
ولا تنفض رأسك إلى دهشاً وعجباً : فإنى أعرف
أنك تقرأ فى كتب التاريخ كلها أن أصحاب الرسول
هم الذين أخذوا يتعقبون عير قريش وهى آمنة
مطمئنة فى قفولها من الشام إلى الحجاز .
أفلا يكونون إذأ هم البادئين بالمناوشة . . . ؟
ألا فليعلم القارئ الكريم أن هذا الذى سطرته
كتب التاريخ إنما هو الحلقة الثانية من قصة
هذه الحرب ، وأن الحلقة الاولى ظلت صفحة
منسية منعزلة ، لم تأخذ مكانها فى سلسلة السرد
التاريخى لهذه الفترة من الزمان ، وأن مؤرخى
العرب ومؤرخى الغرب كانوا سواء فى السكوت
عنها : فحق عليك أن ترد هذه اللبنة المفقودة
إلى مكانها من البنيان . وإليك جلية الخبر !

لقد بدأت قريش بعد هجرة النبي وأصحابه تغير
أسلوب معاملتها للمسلمين المستوطنين فى مكة ،
وهم أولئك الذين لم يجدوا سبيلاً للحاق بإخوانهم
المهاجرين . فبعد أن كانت حوادث عدوانها عليهم
قبل الهجرة حوادث فردية ، متفرقة ، وكان يلطف

فنية في دورنا العربية، كتبوا في الموسوعات الأوربية الحديثة فصولاً مطولة عن الإسلام قرروا فيها هذه النظرية الخاطئة؛ وكانت زلتهم كثيرهم أنهم نظروا في التشريع القرآني إلى طرفي خطيه المنفرجين، ولم يحوموا حول رأس الزاوية التي يلتقي عندها الخطان.

وها نحن أولاء ندعو الباحثين المنصفين منهم أن يفتقلوا معنا من هذه الأطراف إلى الحد الوسط الذي كان وجوده في القرآن حكمة بالغة، وحجة دامغة، تنقطع عند نصوصها كل الفروض والظنون، وتهزم أمامها كل التعليلات والتأويلات؛ فإنه متى ظهر النص بطل القياس، ومتى طلع النهار زال كل لبس والتباس.

أجل إن القرآن الحكيم لم يكتف في تعيين مراده بأنه كان يدعو إلى السلم في ظروف وملابسات عادية توائمه، ويأمر بالقتال في ظروف وملابسات استثنائية تحتّمه، ولو أن القرآن نزل لأهل عصره وحدهم لسكفاهم ذلك؛ إذ كان واقع الحال في كلا المقامين تفسيراً شافياً لموقع كل تشريع، وتحديد أكافياً لمجال تطبيقه، أما وهو دستور الإنسانية الخالد فقد كان من الحكمة السامية ألا يعتمد في تحديد مقاصده على

مكان من ديوان التضحية والإيثار، وليست عملاً عادياً يتطلب التبرير أو الاعتذار.

* * *

والآن وقد صححنا الوضع في هذا الحادث التاريخي الذي ضلت به أفهام، وزلت فيه أقلام، نعود إلى سياق الحديث عن المبادئ العامة فنقول: إن أمثال هذه الضلات والزلات في تحديد موقف الإسلام من الحروب مردها كما أسلفنا إلى تلك النظرات الجزئية الجانبية في نصوص التشريع، وإلى تلك الوقفات المترددة عند أطرافها المتباعدة. ولا ريب في أن المقارنة بين الدعوة إلى السلام في السور المسكية، وبين التحريض على القتال في آيات من التشريع المدني، وهو آخر دورى التشريع الإسلامي، كانت ماثرة شبهة وفتنة لكثير من النفوس المريضة، فقد خيل إليها أن شريعة القتال جاءت قاعدة ختمت بها الدعوة المحمدية، وأنها تمثل انقلاباً نهائياً يحمت به آية السلام في الإسلام. وإنه لمن العجيب والمؤسف حقاً أن أكثر الكتاب الغربيين لا يزالون إلى يومنا هذا يرددون صدى هذا الضلال القديم؛ حتى إن بعض كبار المستشرقين^(١)، الذين عاشوا بيننا، ودرسوا لغتنا، وتولوا إدارات

— في وجهة نظر المسلمين، وأن النصوص تدل على عكس هذه النظرية، ويستشهد على رأيه بآية القتال: «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب». فالخلاف كما ترى يتممك بآية من آيات الأطراف، نظرة عن الآيات الجامعة التي سنشير إليها. على أنه قد أخطأ في فهم الآية التي أوردتها نفسها. ولو قرأ آخرها لتبين له أنها في النقاء الجيوش في الحروب «حتى تضع الحرب أوزارها»، وأنها في حرب الدفاع والاتصاف «ولو يشاء الله لاتنصر منهم».

(١) اقرأ البحث الذي كتبه للمسبوقه-بيات والمدير السابق لدار الآثار العربية، عن (الديانة الإسلامية) ونشره في موسوعة التاريخ العام للديانات، باللغة الفرنسية

Gaston Wist, La Religion Islamique. in Histoire générale des Religions, PP. 347, 359-360 Quillet, Paris 1948.

في هذا البحث يقرر المؤلف أن فكرة الشيخ محمد عبده في عصر الحروب الإسلامية على الدفاع فكرة عصرية تمثل تطوراً حقيقياً—

« لا إكراه في الدين ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ »

ومنع حروب التشفي والانتقام للإساءات الأدبية : « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ؛ »

وأنكر حروب التخريب والتدمير ، وحروب الفتح والتوسع والاستعلاء : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ؛ »

واستنكر حروب التنافس بين الأمم في مجال الضخامة والفخامة : « ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة . »

فهل كان يراد منه فوق ذلك كله أن يمحو حق الدفاع عن النفس والحيف ، وواجب الذود عن المستضعف والمظلوم ؟ كلا : إن الإسلام دين لإحسان ولكنه لإحسان لا يناقض العدل ، ولا يشجع الإجرام ، ولا يدع الحق مكبل اليدين إذا أراد الباطل أن يفتك به ؛ إنه ذو رحمة واسعة ، ولكنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين .

فهو دين عدل وإحسان معاً ؛ وبذلك فضل الشرائع السابقة التي فرقت بينهما . ولقد علمنا كيف نزل بالحكمة كلا المبدأين في مسزولته ، وحذرنا أن نضع واحداً منهما في موضع صاحبه ؛ فوضع الندي في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندي

محمد عبد الله دراز

ظروف واقعية في عصر نزوله ، لا تلبث أن تنسى إذا طال العهد بها ، وكان من الرحمة الشاملة أن يسجل أهدافه بنفسه في نص صريح يضع كل تشريع في موضعه ، ويكون مرجعاً للناس على مر العصور والأجيال ، ولا سيما في قضية الأمن العالمي التي يرتبط بها مصير البشرية جمعاء .

ولقد قام القرآن بهذه المهمة على أدق وجه في آيات جامعات ، استبان بها أن الحرب ليست هي القاعدة ، وإنما هي استثناء من القاعدة ، وأنها لا يخلقها الإسلام ، ولكن يخلقها أعداؤه بعدوانهم المساح على دعوته السلمية ، وأنها ضرورة تقدر بقدر أسبابها ، وعقوبة تزول بزوال الجريمة التي استوجبتها ؛ وبالجمله أنها محدودة بحدود الدفاع المشروع لا تستقدم عنه خطوة ، ولا تستأخر خطوة :

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين . فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً . فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذروهم واقتلوهم حيث نفقتهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ، « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ؛ إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . »

لقد أبطل الإسلام حروب العصبية الدينية :

طبيعة الفتح الإسلامي

لدكتور سيد قطب

حرب ، أو أن يتم فتح ، بقصد إكراه أحد على الدخول في الإسلام . وبذلك يستبعد جميع الحروب والفتوحات التي تثيرها العصبية الدينية بهذا المعنى ؛ والتي ذاق العالم من ويلاتها لا في الحروب الصليبية المعروفة فحسب ، ولا في الاضطهاد الأسباني للمسلمين في الأندلس فحسب ، بل في كثير من بقاع الأرض ، وفي كثير من أدوار التاريخ ؛ والتي ما تزال البشرية إلى يومنا هذا تتجرع مرارتها ، وإن كانت تتخفى تحت عنوانات أخرى غير عنوان التعصب الديني !

والإسلام يستبعد من حسابه أن تقوم حرب ، أو أن يتم فتح بقصد سيادة عنصر أو تغليب جنس ، فالناس قد جعلوا شعوباً وقبائل ليتعارفوا ؛ لا ليستذل بعضهم رقاب بعض ، ولا ليسود جنس أو شعب . وبذلك يستبعد جميع الحروب والفتوحات التي تثيرها عصبية الجنس أو اللون أو اللغة . والتي ذاق العالم وما يزال يذوق ثمراتها المرة ، حتى في العصور الحديثة ، التي يزعم الزاعمون أنها تحضرت ، وارتفعت على دوافع القبيلة !

كذلك يستبعد الإسلام من حسابه أن تقوم حرب ، أو أن يتم فتح ، بقصد جر المغانم . وبذلك يستبعد كافة الفتوح الاستعمارية ، التي تسكن وراءها مطامع اقتصادية كفتح الأسواق واستغلال الخامات ، واستغلال الموارد ؛

يخيل إلى أحياناً أن طبيعة الفتوح الإسلامية وبواعثها وأهدافها الحقيقية ليست بمجولة من الغريبن فحسب ، ممن يحسبون المد الإسلامي كان حركة سيف ، وهجرة جنس ، ودفعة أطماع . بل لأنها مجولة كذلك من كثرة المسلمين ، الذين يحسبون مجرد التوسع في الفتوحات العسكرية كسباً للإسلام ، ومأثرة للفاتحين في جميع العصور . هؤلاء وهؤلاء سواء في البعد عن إدراك طبيعة الفتوح الإسلامية ، وبواعثها وأهدافها الحقيقية . ولأنه ليحسن أن نصصح تلك الصورة المزورة أو المشوهة لا للفتوح الإسلامية ، بل للفكرة الإسلامية ذاتها في النهاية .

قال تعالى : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .

وقال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى . فن في سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

هذه النصوص الثلاثة من القرآن والحديث تكشف لنا عن طبيعة الحروب الإسلامية وطبيعة الفتوح الإسلامية إجمالاً .

إن الإسلام يستبعد من حسابه أن تقوم

الإسلام لله على إطلاقه بمعنى إخلاص القلب لله دون سواه . والنظرية الإسلامية تعتبر أن جميع الرسل قد جاءوا بالإسلام على هذا المعنى ، وأن جميع الرسالات قد قامت على أساسه ، وأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - إنما جاء بالإسلام في صورته الأخيرة التي ارتضاها الله للبشرية كافة ؛ وأن القرآن إنما جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه ، ومن ثم ينبغي أن يبنى الناس كلهم إليه ، فتتحقق كلمة الله في الأرض ، وتصبح كلمة الله هي العليا . وهذه إحدى معاني كلمة الله في هذا السياق .

إلا أن الطريقة لأن يبنى الناس إلى هذا الدين الأخير لا يجوز أن تخرج على القاعدة الكلية التي قررها : « لا إكراه في الدين » ، والمطلوب من رسول الإسلام ومعتنقيه أن يحاولوا هداية الناس إليه بالدعوة اللينة والموعظة الحسنة : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .

فإذا وقفت قوة مادية في وجه الدعوة السليمة فهنا فقط يجوز حمل السلاح ، لتقرير حرية الدعوة . كذلك إذا تعرضت هذه القوة للذين استجابوا للدعوة كي تفتنهم عن دينهم الذي ارتضوه بملء حريتهم . وذلك لتقرير حرية العقيدة : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » .

وفي مثل هذه الحالة يبدو واضحاً معنى القتال لتسكون كلمة الله هي العليا . فكلمة الله هنا تعني كذلك حرية الدعوة وحرية الاعتقاد . وكل قوة مادية تقوم في وجه هاتين الحريتين أو إحداهما

أو الحصول على مراكز استراتيجيّة ، وميزات عسكرية ؛ تلك الفتوحات التي عانت البشرية وما تزال تعاني من ويلاتها ، والتي تقوم الحضارة الغربية الراهنة على أساسها ، لأنها تقوم أساساً من مقوماتها .

وأخيراً يستبعد الإسلام من حسابه أن تقوم حرب ، أو أن يتم فتح ، بقصد اكتساب أمجاد شخصية للملوك والقواد ، أو إرضاء نزعات الاستعلاء والسيطرة والبروز ، التي تهيم على أولئك الرجال ، فيستجرون من أجلها الشعوب ، لإضافة شارة إلى تاج ، أو وسام إلى رداء !

ومن ثم يتعين باعث واحد ، وهدف واحد للفتح الإسلامي ، هو الذي يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم : « من قاتل لتسكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

إنها إذن فكرة هي التي يراد نشرها ويراد تحقيقها : أن تسكون كلمة الله هي العليا . فما هي كلمة الله المعنية في هذا الحديث ؟ ما طبيعتها ؟ وما حدودها ؟ إنه لا بد لنا أن ندرك طبيعة هذه الفكرة وحدودها لكي ندرك طبيعة الفتح الإسلامي ، ولكي ندرك الفارق بينه وبين الفتوح العسكرية الأخرى . ثم لندرك أي الفتوح الإسلامية كان في حدود الفكرة الإسلامية ؛ وأياها لم يكن ولو أنه تم على أيدي المسلمين .

قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » ، « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » ، فتحقيق كلمة الله وجعلها هي العليا يتضمن أن يصبح الإسلام لله هو دين البشرية كافة .

من أن تكون كلمة الله هي العليا ؛ وأن يكون الإسلام هو دين البشرية كافة ؛ لا عن طريق الإكراه ، ولكن عن طريق الدعوة . وضمناً لحرية الدعوة ، ولحرية العقيدة ، ساقط الجيوش وخاصت المعارك ، وفتحت البلاد بعد أن قدمت الدعوة بين يديها ، وأعلنت أنها الغاية الأولى والأخيرة .

ومن ثم تتهاوى جميع الأباطيل والمفتريات ، التي تقوّها الغريبيون على الفتوحات الإسلامية : طبيعتها وبواعثها ، والتي نشأ بعضها عن التعصب الدينى ضد الإسلام والمسلمين ؛ ونشأ البعض الآخر عن سوء التفسير ، بسبب قياس المؤرخين الغربيين لفتوحات الإسلام على فتوحاتهم هم ، وقياس بواعث الفتوحات الإسلامية على الفتوحات الامبراطورية الاستعمارية عندهم في القديم والحديث !

وثمة مفهوم ثالث لجعل كلمة الله هي العليا ، مشتق من المفهومين السابقين ومكمل لهما : إن الإسلام عقيدة وجدانية ، تنبثق منها شريعة قانونية ويقوم عليها نظام اجتماعى . نظام متميز عن سائر النظم الاجتماعية التي عرفتها البشرية ، ذو مقومات خاصة به ، قد تشترك معه في بعضها بعض النظم الأخرى . ولكنه في مجموعه يبدو متميزاً عن سائر النظم بكل تأكيد . من هذه الخصائص أنه نظام عالمى مبرأ من العصبية العنصرية ومن التعصب الدينى . ومن ثم فهو يسمح لكل إنسان أن ينضم إلى موكله في يسر ، وأن يتمتع فور انضمامه إليه بكافة الحقوق

هي قوة معتدية مضادة لكلمة الله الذى كرم الإنسان ، وجعله على نفسه بصيرة ، وجعل عقله هو الحكم ، وإرادته هي مناط التكليف ؛ واعتبر الوقوف بالقوة في وجه الدعوة ، أو استخدام القوة للإكراه على العقيدة ، معطلا لكلمة الله . فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

وفي هذا السبيل كانت الحروب والفتوح الإسلامية في عهدها الأول ، الذى نشر الإسلام وقرره في موطنه الرئيسية في داخل الجزيرة أو خارجها . وقد سبقت الدعوة إلى الإسلام تلك الحروب والفتوح جميعاً ، ولم تتقرر الحرب إلا في حالة من حالتين : الوقوف بالقوة المادية في وجه الدعوة السلمية ، أو الاعتداء على حرية العقيدة وفتنة المسلمين عن دينهم أفراداً أو جماعات .

وإن كان هذا لا يني أن بعض من خرجوا في هذه الفتوح كانت الغنائم والأسلاب والنزاع حافزاً من حوافزهم ، ولكن العبرة في هذه الحالة ليست بدوافع بعض الأفراد ، إنما العبرة بأهداف القيادة . فأننا لا أحاسب دولة دخلت الحرب بطمع أفراد من جيوشها في مغائم وأسلاب ، أو مغامرات ومتاع ، إنما أحاسبها على الفسكرة التي من أجلها دخلت الحرب ، والمهدف المرسوم من ورائها .

وما من شك أن القيادة الإسلامية في فتوحها الأولى على وجه التحديد ، وفي كثير من فتوحاتها المتأخرة كذلك ، ما كانت تهدف إلى أكثر

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ؛ فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فات فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا . إن الله يحب المقسطين . »

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ، »

ومن رفع الظلم وتحقيق العدل كل ما يتعلق بتحقيق العدالة الاجتماعية . والإسلام فوق أنه يعد العدالة الاجتماعية في أدق صورها شريعة من شرائعه ، وتكليفاً من تكاليفه ؛ يعدها في الوقت نفسه عبادة من عباداته ينهض بها الفرد المسلم ، وتنهض بها الدولة المسلمة ، ابتغاء لثواب الله وتجنباً لعقابه ، ومن ثم يربطها بالدين فوق كفالها بالقانون ؛ ويفرض القتال لتحقيقها إذا لم تكن ثمة وسيلة أخرى سوى القتال .

والنتيجة التي تخلص من هذه المقدمات كلها ، أن الحروب الإسلامية والفتوح ملحوظ فيها أن تحقق إلى جانب حرية الدعوة وحرية العقيدة العدالة المطلقة لجميع الناس ، فإذا هي لم تحمل هذه المقدمات معها لأهلها والبلاد المفتوحة كذلك لم تكن حرباً إسلامية ولا فتحاً إسلامياً . ولم تزد ثمرتها على ضم رقعة من الأرض إلى العلم الإسلامي . وزيادة رقعة الأرض لم تكن يوماً ذات قيمة في حساب الإسلام . إنما القيمة كلها لتحقيق النظام العادل الكامل الذي يقوم على الشريعة الإسلامية المنبثقة من العقيدة الإسلامية . وهذا

التي يتمتع بها أول مسلم من أى جنس ومن أية قبيلة : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، » .

ومنها أنه نظام عادل ، يضمن لجميع الأفراد حقوقاً متساوية ، ولا يجعل للحاكم أو الأسرة أو طبقة أى حق زائد عن حقوق الفرد العادى . كما يضمن العدالة المطلقة في علاقات الطوائف والأمم فلا يقيم وزناً للعداوة والشأن ، كما أنه لا يقيم وزناً للصداقة والقربى : « ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى ، » « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وحتى ما يسمونه في العصر الحديث باسم « مصلحة الدولة ، فإنه لا يبرر في عرف الإسلام أن تحيد الدولة عن العدل المطلق في معاملتها مع الأفراد أو الجماعات أو الأمم . فرد الأمر كله إلى تحقيق شريعة الإسلام لتكون كلمة الله هي العليا .

ومن ثم يدعو الإسلام أهله أن يكونوا هم الأمانة على تحقيق العدل في الأرض كلها ، ومنع الجور ، ورد الظلم ، وتحقيقاً لكلمة الله خفيثاً كان ظلم وكان بغى فالمسلمون منتدبون لدفعه ورفعته ، دون نظر إلى من وقع منه الظلم والبغى ، أو إلى من وقع عليه الظلم والبغى ، في أية صورة ، وتحت أى عنوان سواء أكان ظلم فرد لفرد ، أم ظلم فرد لجماعة ، أم ظلم جماعة لجماعة . كله سواء لأن الناس كلهم سواء :

حران) ومع ذلك فلم يكن كسبا هينا أن تتخلص من قسوة الروم وأذاهم ، وحققهم العنيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا فى أمن وسلام] .

« ولما بلغ الجيش الإسلامى وادى الاردن ، وعسكر أبو عبيدة فى فحل . كتب الاهالى المسيحيون فى هذه البلاد إلى العرب يقولون :

[يا معشر المسلمين . أنتم أحب إلينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا . ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا] .

وغلاق أهل حصص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم .

لقد كان الفتح الإسلامى فتحا فريدا فى تاريخ البشرية كلها ، لم تعرف له من قبل ولا من بعد نظيرا ، لأنه لم يكن فتحا للأرض وكنوزها ، إنما كان فتحا لقلوب ساكنى الأرض ، وغرس بذرة العدل والتسامح والمساواة والإخاء فيها .

وإن أى إنسان مخلص للإنسانية ، يعرف طبيعة الفتح الإسلامى ، ويدرك أهدافه وبواعثه ليرى أن لو كان مد الإسلام الاول قد غمر الأرض جميعا ، وألقى فيها تلك البذرة الطيبة الخيرة ، وإن الرجاء المعقود - بعون الله - على مد الإسلام الثانى . الذى أخذت بوادره تظهر فى لحظة العالم الإسلامى ، وانبعثت الفكرة الإسلامية ، أن يغمر الأرض ومن عليها .

سيد قطب

هو الذى كان يضيف إلى الإسلام قلوبا وشعوبا . وهذه هى غاية الفتح الإسلامى لا الأرض ، ولا النىء ، ولا الغنيمة ، ولا الغلبة على البلاد والعباد . جاء فى كتاب « الدعوة إلى الإسلام ، تأليف . سيرت . و . أرنولد ، وترجمة حسن إبراهيم حسن وزميله فى ص ٥٣ وما بعدها :

« وقد استطاع ميشيل الأكبر Micheal The Elder بطريق أنطاكية اليعقوبى أن يجذب فيما كتبه فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، ما كتبه إخوانه فى الدين ، وأن يرى أصبع الله فى الفتوح العربية ، حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامى خمسة قرون . وقد كتب يقول بعد أن سرد اضطهادات هرقل : [وهذا هو السبب فى أن إله الانتقام ، الذى تفرد بالقوة والجبروت ، والذى يديل دولة البشر كما يشاء ، فيؤتيها من يشاء ، ويرفع الوضع ، لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة ، فنهبوا كنائسنا ، وسلبوا أديارنا فى كافة ممتلكاتهم ، وأرزلوا بنا العقاب فى غير رحمة ولا شفقة ، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب لتخليصنا على أيديهم من قبضة الروم . وفى الحق أننا إذا كنا قد تحملنا شيئا من الحسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا ، وإعطائها لأهل خلقيدونية ، فقد استمرت هذه الكنائس فى حوزتهم . ولما أسلمت الممدن للعرب خصص لكل طائفة الكنائس التى فى حوزتها (وفى ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حصص الكبرى وكنيسة

فتوح المجاهدين في سبيل الله

العقيدة الإسلامية وأثرها في سمو الإنسان

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد محمد الدرفي
السكرتير العام المساعد للمركز

الجهالة والبهيمية كانتا حينئذ أبعد أثر وأكبر نجاحا في التثبيت ببقاء الإنسان في حضيضه ، واسكن كانت توجد دائما قلة مؤمنة حول الرسل ودعاة الإصلاح في الأمم ، تبشر بالمستقبل المنتظر للإنسانية ، فلما بزغ شمس الرسالة المحمدية كان ذلك إيذانا بتغلب قوة الإصلاح والخير ، ومطلعا لعهد فريد من السمو بالإنسانية إلى أقصى ما ينبغي لها من مراتب الكمال والكرامة .

ومقال كهذا لا يمكن أن يستوعب جميع العقائد الإسلامية التي كان لها أثر في السمو بالإنسان ، فحسبنا أن نضرب المثل ببعض الأصول التي امتازت بها الرسالة المحمدية في ذلك ليعرف الناس أي جميل أسداه الإسلام للكرامة البشرية :

١ - كان رجال الأديان الأخرى يضربون

نظاقا فولاذيا على الناس ، ويستبدون بشؤونهم استبداداً عجيباً ، ولم يكونوا يكتفون بما جعلته لإيهم نظم الحكم والسياسة ، من وجوب استئذانهم في سائر التصرفات المسادية ، من بيع وشراء وهبة وزواج ونحو ذلك ، بل جعلوا من أنفسهم وسطاء بين العباد ورب العباد ، فمن أراد أن يتوب إلى ربه فعن طريقهم ، إن شاموا فتحوا له باب التوبة وإن شاموا أغلقوه ، ومن أراد أن يدعو ربه فإليهم أولاً يجب أن يرجع . وفي سبيل هذا

تدل الدراسات النفسية للأفراد والجماعات على أن الإرادة تخضع إلى حد بعيد للقوة العقلية وتصطبغ في الأفراد والجماعات بصيغتها ، فإذا اقتنع العقل بشيء وآمن به ووجه الإرادة إليه ، وبعث الرغبة فيه ، فكأن هذا الاقتناع هو القوة المحركة العاملة على وجود هذا الشيء أو بقاءه ، ولذلك يحرص أصحاب الدعوات دائماً على مخاطبة العقول وإقناعها بما يريدون ، لأنها متى اقتنعت استجابت ، ومتى استجابت كانت العزيمة والإرادة فاعمل ، ولا تجد الحذاق منهم يرمون إلى التسلط بالقوة والاعتماد عليها ، فإن القوة قد تفلح في فرض شيء ما ، ولكنها لا تستطيع أن تكفل له بقاء مستقرا مثمرا ثمرات طيبة مهما كان تأثيرها ومدادها .

ومن ثم كانت الأديان ذات تأثير قسوى لا يغالب ، ذلك بأنها تصل بعقائدها وما تبثه في العقول والقلوب إلى تكوين إيمان قوى تثير به العزائم إثارة قوية فعالة مكتسحة ، يظنها الناس إعجازاً ، وإنما هي سنة الله في القلوب إذا آمنت إيماناً حقاً . والأديان كلها متفقة في أصول العقائد من الإيمان بالله والرسل والكتب واليوم الآخر والحساب والجزاء ، وقد سما هذا الإيمان بالإنسانية في عهودها المظلمة إلى حد ما ، نعم إن

شبهاً بمن كان تحت الوصاية ثم رفعت عنه قيودها ، وأصبح حراً طليقاً يفعل ما يشاء غير مراقب أحداً إلا ربه ، ولم تكن بركة هذه العقيدة قاصرة على الذين اعتنقوا الإسلام وآمنوا

برسوله الكريم ، ولكنها سرت إلى أهل الأديان الأخرى سريانا عجيباً ، فلم تمض فترة طويلة حتى خرجوا على أحبارهم ورهبانهم وقسيسهم فلم يعد أحد يؤمن بإيماناً صادقاً بوصايتهم أو وساطتهم إلا أن يكون ذلك صورة من الصور التقليدية يؤدونها وهم بها كافرون ، ولها كارهون ، فكأن الإسلام بذلك قد بذر للإنسانية كلها هذا البذر الطيب فأخرج نباته بإذن ربه .

٢ - وعقيدة « التوحيد » من العقائد المشتركة بين الأديان ، ولكن أمرها كان عجيباً في أذهان المنتسبين إلى هذه الأديان حتى إذا قطعنا النظر عن اضطراب أهل التثليث فيها ، وما يحاولونه من حمل العقول على قبول نظرية الآب والابن والروح القدس ، كمسورة من صور الوحدانية أو التوحد ، فالأحبار والرهبان - وساعدهم الملوك وأصحاب السلطة المادية - قسموا الناس طبقات ، وخيلوا لهم أن الدماء الآدمية تختلف ، فلهذه الطبقة من الحقوق ما ليس لتلك . ولهذا الدم أن يحكم وأن يورث الحكم في أعقابهم بأمر الله ، وليس لأحد من العامة أن يعترض وإلا كان جزاءه الطرد على يد الحكام من الحياة الدنيا بالموت ، والطرد على يد رجال الكهنوت في الحياة الآخرة من رضوان الله ، وبهذا فترت الهمم ، وانحلت العزائم ،

أو ذلك يجب أن تقدم إليهم القرابين ، وأن تملأ أيديهم بالذهب النضار ، وأن يدخل معهم في مساومات يسيرة أحياناً ، وشاقة أحياناً تبعاً لما اقترفه من ذنب صغير أو كبير .

وقد نزلت هذه الأوهام والأباطيل بالإنسان إلى مستوى العبودية لغير الله ، وجعلته ذليلاً خاضعاً لحفنة من الناس الذين لا يمتازون عنه في شيء ، وليس لهم عمل في الحياة إلا أن يبتزوا ماله وثمرات سعيه بهذا الإيهام الكاذب ، كما أثر ذلك في العقول فأصابها بالشلل والعقم والجمود ، ومن ثم لم يكن من العجب أن يظل البشر في عماية عن الحقائق ، وجهل عميق بقيمة أنفسهم وبما يجب عليهم أن يقوموا به لأداء رسالتهم السامية في عمارة هذا الكوكب الذي أسكنهم الله إياه ، وسخر لهم كل شيء فيه ، حتى إذا جاء الإسلام صرع هؤلاء الوسطاء الكاذبين صرعة لا قيام لهم من بعدها ، فأعلن في صراحة أن الله قريب من عباده يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وأنه أقرب إلى عبده من حبل الوريد ، وأنه لا يشترط في قبول العبادة من الناس أو التوبة من الذنوب وساطة أحد أو شفاعة أحد ، فما على المرء إلا أن ينيب إلى ربه ، ويتوب من ذنبه ، دون أن يتذلل أو يتزاف أو يقدم القرابين .

بهذا كُرم الإنسان ، وصيئت عليه عزته ، وانفتحت أمامه أبواب الأمل التي كانت مغلقة ، وسما بعقله وتفكيره عن ذلك الضيق الذي قصر عليه ، وحبس فيه ، وعلى الجملة كان شعوره

لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، ويقول الله في كتابه الكريم : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، وفي هذا المبدأ الذي هو استواء الناس في الحقوق والواجبات نتيجة لاستوائهم في الربوبية لرب واحد وفي البتة لأب واحد ، يصل السمو بالإنسانية إلى مرتبته السكاملة ، وفي جعل التفاضل والتمايز ، بالتقوى ، تقدير للقيم المعنوية ، وحفز للهمم والعزمات ، وما التقوى إلا سلوك طريق الرشاد في كل ناحية من نواحي الحياة .

وقد كان من أثر هذه العقيدة التي أعلنها الإسلام وأوجبها أن استوى الناس فلا طبقات ولا متعصين لسلطة التشريع والحكم ، وإن الحكم لإلا الله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه . .

وعندما تولى الخليفة الأول كان مما أعلنه على رموس الأشهاد قوله : إني وليت عليكم ولست بخيركم ، ولقد وددت لو أن أحداكم قام بهذا الأمر عني ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني . .

ولم ير أحداً من أهل العلم أو الحكم يزعم أنه ذو حق في التشريع والتحليل والتجريم ، وإنما هم ناظرون في كتاب الله وسنة رسوله يستنبطون حكم الله ويلبغونه للناس أو يقومون عليه ، ولذلك يعتقد كل مجتهد أنه عرضة للخطأ والصواب ، ولم يرش أبو بكر حين بوع بالخلافة أن يُدعى خليفة الله ، وقال : إنما أنا خليفة رسول الله ، ثم رأى عمر أن يزداد بعداً عن

وصار الناس يدورون في فلك ضيق ، إن كانوا من الخاصة لم يكدوا ولم يكدحوا ولم يكلفوا أنفسهم أن يسلكوا في الحياة سبيلاً قويمًا لأنهم لا يخافون أن بضيع مجدهم أو ينزلوا إلى مرتبة العامة ، وإن كانوا من العامة لم تسم نفوسهم إلى حياة أرفع لأن هذه الحياة مستحيلة عليهم في ظل هذا التقسيم الجائر الذي فرض على المجتمع ، ومن ثم استرخى هؤلاء وهؤلاء ، وصار العز والرفعة ميراثاً يصل إلى الأبناء عن آباءهم وأجدادهم ، كما صار الفقر والشقاء ميراثاً لقوم آخرين لا يعدوهم .

وهذا نوع من الشرك بالله ، فإن الله هو الذي له العزة جميعاً ، وعبادهم الفقراء إليه ، المحتاجون إلى فضله دائماً ، فكيف يشارك رب العزة فيما هو من خصائصه ؟ .

وشئ آخر في هذا النظام الطبقي ، إنما هو نوع من الشرك ، ذلك هو ادعاء الأجبارة والرهبان حق التشريع بالتحليل والتجريم ، وما كان التشريع والحكم إلا لله .

وهكذا كان الناس غارقين في الشرك وإن انتسبوا إلى شرائع تنادى بالتوحيد .

ثم جاء الإسلام فكان منطقياً عملياً في دعوته ، فالناس جميعاً لديه سواء كأسنان المشط ، لا فضل لأحد على أحد بدعوى أنه من هذه الطبقة أو من تلك ، ولا بدعوى أنه تجرى في عروقه دماء معينة ، وفي ذلك يقول رسوله صلوات الله وسلامه عليه : يَا أَيُّهَا النَّاسُ . إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب

الصحيح مع الدين ، والإيمان بالحكمة التامة في كل ما يصدر عن الإله ، وبأن للكون سنناً لا تبدل ولا تتحول ، وبوجوب البحث والنظر على كل مستطیع ، وبحرية العقل فيهما وعدم تسكييله والحجر عليه . . . الخ .

نعم إن الأديان الأخرى قد شاركت الإسلام في بعض تلك العقائد ، ولكن أهلها - كما بينا في عقيدة التوحيد - قد حرّفوها والتوّأ بها عن أصلها ، وغفلوا عن لوازمها ومقتضياتها فكانوا بذلك مجافين لمنطقها ، وحائلين بينها وبين أن تؤدي إلى الغاية المقصودة منها ، أما الإسلام فأهدى للناس ما أهدى من ذلك صافياً لم تشبه الشوائب فكان حقاً وصدقا هو الحجة البيضاء ، ثم انفرد بما لم يشاركه فيه سواه ، فكان دين الإصلاح الكامل ، ومنهج السمو الذي ليس بعده سمو ، وكان جديراً بما قاله الله عز وجل حين أنمّه : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً .

محمد محمد المرنى

مظنة التشريع والنيابة عن الشرع فسمى نفسه
« أمير المؤمنين » .

٣ - وقد سما الإسلام بالإنسانية سمو آخر ، حيث جعل كل إنسان مسئولاً عن نفسه ، محاسباً على ما يفعله هو من خير أو شر ، فلا هو بمسئول عما يأتيه غيره ، ولا هو بمنتهفح بعمل أبيه أو جده . أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، ، « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » ، « كل نفس بما كسبت رهينة » ، « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » ، « يا فاطمة اعلمي فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً » .

وبهذه العقيدة أدرك الإنسان قيمته ، وأحس بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ، واستثار كوامن قوته ومواهبه ليخطو في الحياة معتمداً على نفسه مستمداً النجاح والفوز من ذاته وعمله ، وبهذه العقيدة أيضاً قضى على تلك السلطة الغيبية التي كان يزعمها رؤساء الأديان من أنهم يستطيعون أن يجعلوا العاصي طائعاً لو أرادوا ، وأن الجنة ملك لهم يقطعون منها ما يشاءون لمن يشاءون .

هذه أمثلة مما جاء به الإسلام من عقائد الحق التي سميت بالإنسان وحفظت كرامته ، ووجهته في الحياة الوجهة الصحيحة المعينة له على القيام برسالته من عمارة السكون ، وعبادة ربه الأعلى . وهناك عقائد أخرى تجرى في هذا المضمار ، ولها تلك الآثار ، كعقيدة البعث بعد الموت ، والجزاء على الأعمال ، وعقيدة التآخي بين الدين والعلم ، على معنى أنه لا يمكن أن يختلف العلم

قال الله تعالى :

ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً .

الأسس التي قام عليها التشريع الإسلامي

لصاحب الفضله الاستاذ على الحنيفي
استاذ الشريعة الاسلاميه بكلية الحقوق

أهمها أسس ثلاثة، اليها يرجع كثير من قواعدها وأصولها وفيها تندرج جميع الأغراض والحكم التي قصدت اليها في جميع نواحيها واتجاهاتها، وهذه الاسس هي رعاية مصالح الناس والتيسير عليهم والعدل بينهم، فأما رعايتها لمصالح الناس فنجاع أغراضها وأهم أهدافها، لا تغفل في حكم ولا تنحول عنه في؛ أشريع فحيث تكون المصلحة يكون حكمها، وحيث تكون المفسدة ينفى حكمها. وهذه حقيقة تضافرت عليها الأدلة حتى أصبحت علماً ضرورياً لا يرقى اليه شك ولا تقاربه ريبية، يدل عليها ما وصف به الكتاب الحكم الذي جاء بها وما نعت به الرسول الذي شرع للناس أصولها وبين لهم أحكامها، فقد وصف الكتاب بأنه مبارك أنزل رحمة للعالمين وهدى وبشرى للمؤمنين ونورا وموعظة للمتقين وبصائر وشفاء للناس أجمعين: يقول الله تعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، ويقول «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويقول «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»، ويقول في وصف الرسول: «يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم». وغير ذلك من آي القرآن كثير معلوم، وليس

الشريعة الإسلامية أبعد الشرائع عن التأثير بالأهواء والاستجابة للأغراض الشخصية والمطامع الطائفية، لا يأتيتها الباطل ولا تنجح إلى التمييز ولا تجعل الناس طبقات بعضها فوق بعض. وإذا جاز للشريعة أن تنزع إلى تحقيق شهوة لملك، أو أن تهدف إلى رفع طبقة من الناس، أو أن تميل إلى تحقيق مصلحة حزبية أو فكرية مذهبية، أو أن تزل في وضعها العقول وأضل في توجيهها الأفكار، فلن يجوز ذلك على شريعة شرعها الحكيم العليم وأنزلها لهداية الناس أجمعين والوصول بهم إلى عيشة راضية ينعم بها الفرد ويسعد بها المجموع.

ويهدينا النظر في هذه الشريعة إلى أنها قد قامت على أسس حكيمة وقواعد متينة، روعيت فيها الطبائع الإنسانية والنزعات النفسية ولوحظت فيها القوى البشرية وما يعرض لها من عوارض وما تتأثر به من أسباب وعوامل، لحققت لذلك أغراضها وآتت أكلها. ولكن الناس قد صدوا عنها فأعقبهم ذلك انحطاطا في أخلاقهم وضعفاً في نفوسهم وانحلالاً في وحدتهم وخراباً في أوطانهم فأصبحوا، عبيداً أذلاء لغيرهم يستخرونهم في تنفيذ أغراضهم ويحكمونهم بأهوائهم.

قامت الشريعة الإسلامية على أسس عديدة

فكانت هي أساسه في شرعه دون أن يكون لمصلحة الفرد أى اعتبار في حكمه إذا عارضت مصلحة كلية . ولذا كان من قواعد هذه الشريعة تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة عند تعارض المصلحتين . وعلى هذا الأصل شرعت أحكام كثيرة ، منها الحكم القاضي بأخذ الملك من صاحبه جبراً عنه لأجل مصلحة عامة كمشق طريق أو توسيع مسجد ، فعل ذلك عمر حين ضاق المسجد الحرام على الناس وكانت دور الناس يومئذ محدقة به من كل جانب عدا فتحات جانبية يدخل منها الناس إليه فاشتري عمر دوراً منها وأبى عليه ذلك أصحاب الدور الأخرى فأخذها منهم جبراً وأدخل الجميع في المسجد بعد أن أودع قيمة ما أخذ جبراً باسم أصحابه . وهذا حل سليم ، لأن المصالح الفردية متضاربة متعارضة ليس في الإمكان رعاية شيء منها إلا باطراح كثير غيره ، وليست رعاية مصلحة فرد بأولى من رعاية مصلحة فرد آخر والضرر يجب أن يزال . وفي رعاية مصلحة المجموع رعاية لمصلحة كل فرد من ناحية أنه جزء منه ومصلحة عائدة إليه ، فكان ذلك هو الواجب مراعاته دون نظر إلى ما قد يعارضه من المصالح الفردية . ومصالح الناس في هذه الحياة تتكون من أمور هي لهم ضرورية تتوقف عليها حياتهم ويختل بفقدها وجودهم . وأخرى هم في حاجة إليها ولكنها دون الأولى في اعتماد الحياة عليها وصالح الوجود بها فلا تختل بفقدها حياة الناس ولا يعمهم بسبب ذلك الفساد ولا تسود فيهم الفوضى ولكن يصيبهم عند فقدها حرج

بعد هذا صلاح يرتجى ولا خير يطلب . وليس في الإمكان أن يأبى كتاب هذه بعض أوصافه بشريعة تسمي الناس الخسف وتهدر فيها الحقوق وتضيع معها المصلحة ويشقى بها أهلها ، إذ لا يمكن أن يكون هدى وقد جاء بالضللال ولا أن يكون رحمة وفلاحاً وقد أتى بالشقاء ، ولا أن يكون شفاء وقد نزل بالمرض ولا أن يكون نوراً ورشداً إذا ضل به العقل وفشت به الجهالة . ثم أى شيء يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحل الطيبات وتحريم الخبائث ووضع الأثقال وتحطيم الأغلال إذا لم تتوافر بذلك المصالح وتحقق المنافع ويزول الضرر وتجتث أصول الشر .

وإذا كان صنيع الله في خلقه أن هياً للإنسان منافعه ويسر له حوائجه وأحضر له مطالبه فسخر له ما في السموات وما في الأرض وسخر له الليل والنهار وسخر له الشمس والقمر دائبين وسخر له الفلك وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة فهل يمكن أن يكون صنيعه في شرعه على خلاف صنيعه في خلقه ؟

لقد دل استقراء الشريعة والنظر في أدلتها كلية وجزئية والبحث فيما انطوت عليه من الأغراض والحكم ، على صحة هذه النظرية فكانت أدلة الشريعة كلها لا فرق بين خاصها وعامها ولا بين مطلقها ومقيدها ولا بين كليها وجزئها ، دائرة على رعاية المصالح في جميع مناحيها ووقائعها حتى صار العلم بذلك علماً ضرورياً وتبين أن رعاية المصالح قطب التشريع الإسلامى وأصله الذى لا متحول عنه . كما دل استقراء تلك الأدلة على أن رعاية الشارع الإسلامى إنما كانت لمصلحة المجموع

من ذلك مراعاة ما جرى به عرف الناس في تعاملهم وما اعتادوه في تصرفهم شأنهم مما ليس فيه ضرر غالب فإن الناس قد تدفعهم الحاجة وتقتضيهم الحياة أن يزاولوا أ. ورا يرون فيها استقامة أحوالهم وسداد حاجتهم فتصير جزءا من نظامهم وعرفا جاريا فيهم ، تقوم به حياتهم وتصلح أمورهم فلا يكون من الحكمة والمصلحة إخراجهم بحملهم على تركه دون أن يكون في ذلك صلاحهم . وما جاءت الشريعة بحرج ولا شرعت الإعانات ومع هذا قد تدعو الناس أهواؤهم الجائعة وشهواتهم الطاغية إلى ارتكاب أمور أخرى يخدعهم زيفها ويفرهم بريقها فيتخذونها عبثا ولها وتصور محبة إلى نفوسهم السيئة ونزعاتها الآئمة فينغمسون فيها حتى تتمكن منهم وتفشو فيهم وتصير عادة عامة لهم . في مثل هذه الحالة رأيت الشريعة أن تطهرهم منها وأن تبينهم آثامها وشرورها وأن تعاملهم من أمراضها بكل وسيلة تدعو إليها الحكمة مع الموعظة الحسنة .

وهذان نوعان من العرف أولهما : عرف صحيح لأنه لا يعارض شرعا ولا يخل بصلاح . وقد راعت الشريعة الإسلامية ما يقضى به فأقرت فرض الدية على العاقلة ، واشترطت الكفافة في الزواج ، ومبدأ العصية في الإرث ، وتحريم الزواج بين المحارم من الأقارب ، وكثيراً من أنواع المعاملة والمبادلة ، كالسلم والعارية وغير ذلك مما كان معروفا لدى العرب قبل الإسلام . وثانيهما عرف فاسد لما يترتب عليه من ضرر وما يحجر إليه من مفساد . وقد حاربت الشريعة فحرمته

ومشقة لا يبلغان مبلغ ما يكون من فساد وضرر عند فقد الأولى . وينضم إلى هاتين الطائفتين من المصالح طائفة ثالثة من أمور لا تدخل في الطائفتين السابقتين لأنها دونهما وليكن تعتبر مكملة لهما ويجمعها الأخذ بمحاسن العادات والعمل بما تتطلبه المروءات ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات^(١) فتتحقق للناس مصالحهم على أكمل وجه وتطيب معاشهم . وينعمون بحياتهم .

وقد بنى أمر هذه الحياة على اختلاط المصالح بالمفاسد والملاذات بالآلام ، فلا يقع في هذا الوجود نفع إلا مشوبا بضرر ، ولا لذة إلا مختلطة بالألم ويعجزك الفصل بينهما إذا حاولته ويعيبك الظفر بأحدهما وحده إذا أردته . ولهذا كان اتجاه الشارع الإسلامي في شرعه إلى غلبة أحد العنصرين فهو يراعى ما غلب فيه جانب المنفعة ، ويدرك ما غلب فيه جانب المفسدة ، وما قد يوجد في الأمر من ضرر وحرج فإن الشارع لا يقصد إليه ولا يريد من شرعه ولا يجعل لوجوده اعتبارا نظرا إلى ما يصاحبه من نفع راجح وصلاح غالب .

ورعاية الشارع للمصالح ودرئته للمفاسد على هذا الوضع تتناول أموراً كانت هي الأخرى من أسس شرعه التي قام بها ومن قواعد ، التي بنى عليها كثيراً من أحكامه لما في رعايتها من توفير الخير وتحقيق النفع .

(١) ورعاية الشريعة لها على هذا الترتيب تهمل رعاية الطائفة الثانية إذا عارضت الأولى وتهمل الثالثة عند معارضتها الثانية وتراعى جميعها عند عدم التعارض ورعايتها على هذا الوضع .

وكان شرع الله فى ذلك سبيلا إلى توفير النفع وتحقيق الخير العام دون نظر إلى ما قد يخالف ذلك من ضرر قد يصيب فرداً وقلة من الناس . وعلى هذا الاساس أمر الناس بالدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ودينهم ولو أدى ذلك إلى قتل النفس . وساغ للتاجر أن يرخص فى سلته وإن ترتب على ذلك إعراض الناس عن سلع غيره^(١) وأن يدفع الرجل عن نفسه ظملاً وإن رأى أنه يصيب عند ذلك غيره : قيل لحداد بن أبى سليمان : قد يتكلم الرجل فترفع عنه المظلمة وتوضع على غيره فقال إنما عليك أن تدفع عن نفسك فإذا وقعت على غيرك فلا تبالي إذ لا سبيل عليك إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغنون فى الأرض بغير الحق .

وقد يكون الضرر فى أمر من الأمور غالباً فيحرم لذلك ، ثم يعرض له فى بعض الظروف ما يجعل النفع فيه راجحاً ، فيتغير لذلك حكمه ويصير جائزاً أو مطلوباً بعد أن كان ممنوعاً ، غير أن ذلك يجب أن يكون موقوفاً ببقاء تلك الحالة واقتضاء ذلك الظرف وعلى قدر ما تستوجبه الضرورة فتقدر عند ذلك بقدرها ولا يجوز مجاوزتها وعلى هذا الاساس أحلت الشريعة كثيراً من المحظورات حسبما تقتضى به الضرورات ووضعت القاعدة : الضرورات تبيح المحظورات . وعلى أساس ذلك أحل أكل الميتة لمن اضطر

(١) وحرم على الناس تلقى الركبان من التجار لآخذ السلع قبل دخولهم إلى الأسواق وبيع الحاضر للبادى قبل تعرف الأسعار وبيع السلاح لأهل الحرب والفتنة والسكوت عن المنكر .

وفرضت العقوبات على مقترفه . ومن ذلك التعامل بالربا والميسر وشرب الخمر وغير ذلك من منكرات الجاهلية . ولذا لم تكن الشريعة الإسلامية شريعة مستحدثة جديدة فى جميع نواحيها بل كان كثير من أحكامها معروفاً مقررأ قبل مجيئها وكانت مهمتها فى الواقع لإصلاح المجتمع وعلاجه . وذلك بإصلاح الفساد وتكميل الناقص وتحريم الضرر وإقرار الصالح .

وقد يتناول العرف ما بقى فى الناس من شرائع سابقة لم تعمل فيها يد الإفساد والتحريف فبقى على صلاحه وأصبح عرفاً صحيحاً راعاه الشارع الإسلامى لأنه موف بالعرض الذى قصد إليه من شرعه .

ويتصل بهذا الأصل أيضاً لإقرار الشارع الإسلامى لما يراه المسلمون حسناً من الأفعال والأحكام ، فإن لإسلامهم يمنهم أن يروا الحرام حلالاً والخبيث طيباً والفساد صالحاً ، فلا يرون الشيء حسناً إلا إذا كان خيراً أو وسيلة إلى خير ؛ وتلك أغراض توخاها الشارع فى شرعه وقصد إليها فى حكمه ؛ ويؤيد ذلك الأثر : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وكانت هذه الفكرة لإحدى الدعائم التى قامت عليها حجية الإجماع واعتضدت بها الشرورى فى الإسلام .

وإذا كانت الشريعة كما بينا قد شرعت لتحقيق مصالح الناس وسد حاجاتهم فليس فى توفير المصالح ما هو أهم وألزم من درء المفاسد ودفع المضار ، ولذا حرمت الخبائث ونهت عن الجرائم وأمرت بالكف عن المحرمات والسعى إليها

القاعدة في الواقع إلا تطبيقاً للأصل القاضى بدرء المفساد على أتم وجه وأكمل وضع، حتى لا يتورط الإنسان في شر من حيث أراد الخير لنفسه، فاقترضت إرادة الشارع الحكيم أن تكون لوسائل المفساد وطرائقها من الكراهة والتجريم ما لعواقبها، إذ لو أباحها لكان ذلك نقضاً لحكمه ورفعاً لتجريمه ولا نفتح على الناس باب للمفساد والشور لا يصلح به حال ولا يوم معه نظام ولا يسلم معه اجتماع. ومما بنى على هذه القاعدة من الأحكام تحريم الخلوة بالنساء الأجنبية وسفرهن مع غير ذى رحم محرم منهن. والجمع بين المحارم والزيادة على أربع زوجات. ومن ذلك قوله تعالى «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم»، وغير ذلك كثير من الأحكام.

وأما قصد التيسير على الناس فهو مستبين في جميع أحكامها واضح في كل دلائلها ظاهر في خلق من جاء بها ويدينها وليس أدل على ذلك من قوله تعالى «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر»، فقد دل على أن إرادة اليسر إرادة عامة شاملة غير منقطعة لا تصاحبها إرادة العسر في أى زمن أو أية حالة. ومن قوله تعالى لرسوله «وَيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَىٰ فَذَكَرَ إِن نَّعَمْتَ الذِّكْرَىٰ، أَى نَعْدَكَ وَنَهَيْتُكَ لِلْيُسْرَىٰ السَّهْلَةَ الْهَيْئَةَ الَّتِي لَا تَضْنَىٰ وَلَا تَرْهَقُ فَذَكَرَ النَّاسُ بِهَا. وَلَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى كَانَ مِنْ أَخْلَاقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا ذَكَرْتَهُ عَائِشَةُ أَنَّهُ مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا وَقَدْ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ وَاصِلَ الصَّيَامِ أَيَّاماً ثُمَّ تَرَكَهُ وَنَهَى عَنْهُ خُفَافَةَ أَنْ

في مَخْصَةِ غَيْرِ مُتَجَاوِزِ مَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْهَلَاكُ. وَأَحْلَ أَكَلَ مَالِ الْغَيْرِ دَفْعاً لِلْهَلَاكِ عِنْدَ شِدَّةِ الْجُوعِ بِقَدْرِ مَا يَدْفَعُ الضَّرَرَ. وَحَلَّ شَرْبَ الْخَمْرِ لِلتَّدَاوَى أَوْ لِدَفْعِ الظَّمَا الشَّدِيدِ الضَّارِّ. وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ نَزَلَ كَثِيرٌ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ قَالَ تَعَالَى بَعْدَ بَيَانِهِ لِبَعْضِ الْحَرَمَاتِ : «فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَةِ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : «فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ إِلَّا مَا اضْطُرَّرْتُمْ إِلَيْهِ، وَفِي آخَرٍ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ.

وعلى هذا الأساس شرعت العقوبات بجميع أنواعها ففيها صلاح الجاني في كثير من حالاتها على الرغم مما يصيبه من ألم، وفيها زجر غيره ممن تسول لهم أنفسهم أن يعتدوا على غيرهم أو يخرجوا على النظام أو يعبثوا به. وفيها صلاح المجتمع، وهو غاية كل تشريع صالح وأمل كل مصلح ورجاء كل عاقل حكيم.

ويتصل بهذا الأصل قاعدة هامة من قواعد التشريع الإسلامى، وهى قاعدة سد الذرائع وتحقق عندما يكون الفعل الجائز في نفسه ذريعة وطريقاً إلى ما هو شر في نفسه. وإن شئت قلت عندما يكون في مباشرة أمر فيه مصلحة إفشاء إلى مفسدة.

عند ذلك يكون للوسيلة حكم ما تفضى إليه من مفسدة حرمة أو كراهية. وقد حكمت هذه القاعدة في كثير من أحكام الشريعة الإسلامية حتى جعلها ابن القيم أصلاً لرابعتها. وليست هذه

ومن مظاهر هذا التيسير والقصد، إليه التدرج في بيان هذه الشريعة وفي تكليف الناس ببعض أحكامها حتى لا يرهقوا بتكليفها دفعة واحدة، ولا يعنتهم مطالبهم بترك ما اعتادوه مرة واحدة، فأنزل القرآن مفرقا على حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال والظروف في مدة بلغت ٢٢ سنة نزل فيها تباعا فيما يحدث من وقائع تتطلب حكما، أو أحوالا تقتضي بيانا، وكذلك كان شأن السنة، لم يأتهم بها الرسول إلا مفرقة مجزأة على حسب مقتضيات الأحوال وتطلب الظروف. وكذلك روعي هذا التدرج في التكليف ببعض الأحكام فلم تحرم الخمر على الناس من غير تمهيد لذلك التحريم، بل أعدت له النفوس قبل نزوله بأن بين أن إثمها أكبر من نفعها، ثم حرمت عند الصلاة، ثم حرمت بعد ذلك تحريما نهائيا. وبهذا التدرج لم يواجه الناس جميع التكليف دفعة واحدة، ولم يطلب إليهم عمل شيء إلا بعد أن هيئت نفوسهم له واستعدت لأمثاله حتى لا يشق عليهم فعله.

وكان من مظاهر هذا التيسير أيضا قلة التكليف فيها، فإذا نظرت في القرآن رأيت أن ما يحويه من الأوامر والنواهي قليل العدد قليل التفصيل يسير التنفيذ لا يرهق تنفيذه ولا يشق احتماله. ولا كيلا تكثر التكليف بسبب المسألة والإلحاف فيها، نهى عن السؤال فقال: «يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤلكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم، عفا الله عنها والله غفور حلیم. قد سأله قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين، وقد نزلت هذه الآية

يأتسى به الناس في ذلك. وكان يترك العمل وهو يحب أن يعمل خشية أن يضن الناس وجوبه فيعسر عليهم فعله.

وقال: «خذوا من العمل ما تطيقون»، وقال: إذا «أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» إلى غير ذلك من أقواله وأفعاله التي تدل على أن التيسير على الناس من أهم أغراض الشريعة وأعظم قواعد الدين. وعلى هذا الأساس كان التكليف في الشريعة على حسب الوسع وكان الأمر فيها على قدر الطاقة وجانبت في أحكامها الحرج والمشقة يدل على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة «لا تكلف نفس إلا وسعها»، «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها»، وفي سورة المائدة «لا تكلف نفسا إلا وسعها»، «ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج» وفي الحج «وما جعل عليكم في الدين من حرج»، وفي سورة النساء «يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا»، ويقول الرسول: بعثت بالحنيفية السمحة. أي المسألة عن الضلال السهلة اليسيرة التي بنيت على القصد والتوسط لا تنهى بأهلها إلى الانقطاع عنها والوقوف دون غايتها عجزاً عن متابعتها. وعلى هذا الأساس روعيت فيها الاعتذار الطارئة التي يشق معها الحكم ويتعسر، فرفع أو استبدل بما هو أيسر منه. ولذا أيسح للمكره أن يلفظ بالكفر وقالبه مطمئن بالإيمان. وأيسح أكل الميتة وشرب الخمر عند الضرورة. وأيسح الفطر في السفر وعند المرض في رمضان. وقصرت الصلاة في السفر. وكان من قواعد هذه الشريعة الضرورات تبيح المحظورات، وعليها بنى كثير من الأحكام.

أمن الناس بها على أنفسهم وأعراضهم ودينهم وأموالهم وحقوقهم واطمأنوا إلى الاستمتاع بها في حدود ما شرعت من أحكام ، وما سنت من نظام وكان من أسسها التزام العدل في جميع الأمور في القول والفعل وفي المعاملة والمجازاة قال تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان ، وقال « ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، وقال « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ،

وكان من آثار قيامها على العدل أن جعلت الناس أمامها سواء ، فهم فيها سواسية غنيهم ، وفقيرهم ، وكبيرهم ، وصغيرهم ، وأميرهم ، وسوقيهم ، لا يرتفع فيها أمير على حكم ولا يفلت من جزاء ، وفي ذلك يقول الرسول : « الناس سواسية كأسنان المشط ، ويقول حين شفع إليه أسامة في حد من حدود الله : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ،

وبقيام الشريعة الإسلامية على هذه الأسس سارت الزمن ووسعت التطور وصلحت لكل أمة ولامت كل وقت ولم يذب بها مكان ، ولكن الناس جهلوا أصولها ولم يعرفوها على وجهها فانصرفوا عنها إلى غيرها فضلت بهم السبل فلم يصلوا إلى غايتهم المرجوة ولا إلى كمالهم المطلوب .

على الخفيف

حين كان الرسول يبين للناس فريضة الحج فقام إليه رجل فقال : أكل عام يا رسول الله فأعرض عنه فكرر الرجل السؤال ثلاثاً : وفي كل مرة يعرض عنه ، حتى قال له في الرابعة : « لا ، والذي نفسى بيده لو قلت نعم لوجبت . ولو وجبت ما استطعتم ، ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم .» وفي ذلك يقول الرسول أيضاً : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وعفا عن أشياء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها ، ومن مظاهر التيسير أيضاً درء الحدود بالشبهات حتى لا يقام حد مع شبهة تشكك في وجوبه لأن في إقامة الحد مع شبهة حرجاً يثيره احتمال البراءة وعدم اطمئنان النفس إلى استحقاق العقوبة ، ولذا قال الرسول « ادروا الحدود بالشبهات ما استطعتم ، كما كانت من آثاره احتمال الضرر لدفع ما هو أعظم منه ، فإن في دفعه إزالة ضرر لنا عنه مندوحة . على هذا الأساس بنيت أحكام كثيرة كإيجاب النفقة على القريب ، وإجبار المدين على الوفاء ، وإجبار الشفيع على تملك ما زاده المشتري في العقار المبيع ، وإلزام الزوجة بطاعة زوجها ، وغير ذلك من الأحكام .

وأما العدل بين الناس فليس لاية شريعة منه مثل ما للشريعة الإسلامية فيه من حظ ، فقد عنيت ببيان ما للناس من حقوق لحافظت عليها وسنت الأحكام الكفيلة بردها إلى أصحابها ، حتى

مناهج الفقهاء الأئمة في التشريع

للمصاحب الفاضلة الدكتور أحمد أمين

ومحمد . وفي مصر واجه الشافعي مشاكل الرأى الناشئة عن النيل ، وهذا إلى مشاكل المعاملات والجنابات .

ولكل قطر عاداته في المعاملات والجنابات . ومن أجل ذلك كان للشافعي مذهبان : قديم وجديد ؛ قديم قبل أن يدخل في مصر ، وجديد استدعته أحوال مصر . ولذلك أود أن يتجه بعض الناشئين الباحثين ، فيقارنوا بين مذهبه القديم والجديد ، ليعرفوا إلى أي حد غيرت مصر من مذهبه القديم ، ويعرفوا الحالة الاجتماعية التي استدعت ذلك .

هذا إلى أن كثيراً من الأمم التي دخلت تحت حكم الإسلام كالفرس والروم كانت لهم عادات خاصة ، فلما دخلها الإسلام كانت لابد أن يعرضوها على الأئمة ، ليرضوها أو يبدلوا بها . على الأصول الكلية للإسلام ، ويقرؤها أو يحكموا بطلانها .

وأسباب الخلافات بين الأئمة ترجع إلى عوامل كثيرة ، منها صحة حديث عند بعض الأئمة في بعض الاقطار ، وعدم صحتها عند الآخر . ومنها فهم الإمام لأية وحديث حيث لا يفهم الإمام الآخر هذا المعنى منهما ، ومنها أن أحد الأئمة يشترط شروطاً كثيرة في قبول الحديث حيث لا يشترطها الإمام الآخر ، ومنها تأثر الإمام

اتفقت كلمة المشرّعين على أن أصول الأحكام الكتاب والسنة والإجماع والقياس وإن اختلفوا في الاعتماد والتفسير لبعض هذه المصادر . فثلاً يعتمد الإمام أحمد بن حنبل على الحديث كل الاعتماد ، ويجمع في مسنده نحو ستة آلاف حديث ، يبنى عليها أحكامه الفقهية ، على حين أن أبا حنيفة لم يصح عنده إلا نحو تسعة عشر حديثاً ، كما نخبرنا بذلك ابن خلدون . ويضيق الإمام مالك فكرة الإجماع ويقصرها على إجماع أهل المدينة ، على حين أن غيره من الأئمة يجعل الإجماع عاماً لجميع المسلمين ، استناداً إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ويتوسع أبو حنيفة في القياس حيث يضيقة أحد ابن حنبل . وهكذا تختلف منازعهم ، وإن اتفقوا على الأصول الأربعة . وعدا ذلك اختلفت منازع الأئمة في التشريع . وكان لابد من اختلاف اتجاهاتهم فإن الأحكام الواردة في القرآن والسنة أكثرها أحكام كلية ، مثل « لا تضرار » والدة بولدها ، ولا مولود له بولده ، ومثل « لا ضرر ولا ضرار » ، وهكذا . وقد واجه الأئمة بعد فتح الأمصار حالات كثيرة جديدة ، لم تكن معروفة في جزيرة العرب . ففي العراق واجهوا مسائل الرأى الناشئة عن دجلة والفرات ، واجهها أبو حنيفة ، ثم من بعده تلميذاه أبو يوسف

مشاهير المحدثين في بغداد ومصر .
وملخص منهجه أنه إذا عرض له أمر ، بحث عنه في الكتاب ، فإن لم يجده بحث عنه في السنة ، وإذا وجده في الكتاب بجملاً ، بحث عنه في السنة مفصلاً . ولذلك يجعل الشافعي العلم بالسنة في مجموعها في مرتبة القرآن ، ويعنى بذلك الحديث الذي ثبتت صحته ، إذ قيّد السنة التي في مرتبة القرآن بالسنة الثابتة ، فإذا لم يجد الحكم في كتاب ولا سنة اتجه إلى الإجماع ، فإن لم يجد إجماعاً ، التجأ إلى القياس . وقد عنى الشافعي بدرس القياس وتحديدده ، وقد حدده بالمثال ، ووضع قواعد معينة لاستعمال القياس .

أما أبو حنيفة فقد تشدد في الحديث الذي يقبله ، ولذلك قل اعتماده على الأحاديث كما ذكرنا ، واضطره ذلك إلى التوسع في القياس ، لأنه إذا لم يكن في المسألة العارضة حكم في الكتاب ولا في السنة ، اضطر إلى أن يلجأ إلى القياس ، فتوسع فيه أكثر من باقي الأئمة .

وأما أحمد بن حنبل ، فقد توسع في الحديث ما شاء الله أن يتوسع ، فلم يعتمد على القياس إلا قليلاً ، ولم يتصور إجماعاً غير إجماع الصحابة . وبجانب هؤلاء الأئمة الأربعة كان هنالك أئمة يتجهون اتجاهات مخالفة بعض الشيء . ففهم من كان ينكر الحديث بتاتاً ، وقد حكى ذلك عنهم الإمام الشافعي نفسه في الأم . وأئمة رفضوا القياس بتاتاً ، ولم يعتمدوا إلا على النص . حكى عنهم ذلك الماوردي في كتابه « الأحكام السلطانية » ، كما فعل أهل الظاهر ، فأهل الظاهر

إلى درجة كبيرة بالبيئة التي يعيش فيها ، حيث يتأثر الآخر ببيئة غيرها . ومنها ثقافة كل إمام وإن كان كلهم مثقفين ، إلا أنه مهما كانت ثقافتهم فإن كلا منهم يختلف عن الآخر في نوع الثقافة ومقدارها : فمثلاً الإمام مالك متأثر ببيئة المدينة حيث كان يسكن رسول الله ، ومخالف للصحابة الذين كانوا يعيشون حوله ، وكان يقدرهم تقديرأ كبيراً حتى جعل الإجماع الذي يعتد به هو إجماعهم . ووجوده في المدينة مكنته من معرفة الأحاديث الصحيحة التي اعتمد عليها في كتابه الموطأ . ولكن من ناحية أخرى ، كان وجوده هذا في المدينة سبباً في عدم اطلاعه على المذنبات الأخرى ومعاملاتها وجنباياتها ، كالتى اطلع عليها أبو حنيفة في العراق والشافعي في مصر . والشافعي مثلاً تلبذ الإمام مالك ، ومتأثر به ، ومطلع أكثر من الإمام مالك على المذنبات الأخرى التي رآها في مصر والعراق ، ومما امتاز به اهتدائه إلى علم الأصول ووضعه له ، ثم استنباطه الأحكام على وفقه ، مما لم يصل إليه إمام آخر . ولذلك كان مذهبه أكثر المذاهب انطباقاً على المنطق بعكس الأئمة الآخرين ، فإنهم كانوا يعتمدون على فهمهم لآيات الأحكام وأحاديثها ، وكان الاستنباط كالملمكات في نفوسهم ، فجاء الشافعي ، فوضع تلك الأصول والنزاهة والشافعي كما تدل عليه رسالته في الأصول يقدر السنة وتقديرأ عظيماً ، لأنها في كثير من الأحوال مبينة للكتاب ، مفصلة لمجمله . وقد نفعه في ذلك دراسته الموطأ على الإمام مالك ، وملاقاته

ظاهر أكثر من ظهور ذلك في الدولة الأموية ، فأولا رويت الأحاديث الكثيرة عن عبد الله ابن عباس ، وأعلى شأنه كثيراً ، وثانياً ظهر في التشريعات أشياء كثيرة ، تخدم سياستهم التشريعية ، كالتشديد على النصارى بلبس الزنار ، وتميزهم بالملابس الخاصة ، يدرك ذلك من دقق النظر في كتاب « الخراج » ، لأبي يوسف . وهذا التدخل السياسي في التشريع هو الذي كان السبب في رفض كثير من الأئمة تولى القضاء ، وإن عذبوا وأهينوا ، لأنهم متى قبلوا القضاء ، فقد خضعوا للسلطة السياسية ، وجاروها ، وعملوا حسب رأيها .

على كل حال قد أفاد هؤلاء المشرعون بمناهجهم الإسلام فائدة كبيرة . والذي يريد أن يدرس فلسفة المسلمين الأصلية وبعد نظرهم ، وجدهم المضي ، فلیدرس المشرعين وتاريخهم ، وفقههم ، وأصولهم ، فهنا يجد الإصالة التامة ، حيث لا يجد ذلك في دراسته للفلسفة والفلاسفة المسلمين ، فإنها تقليد لليونانيين ، وليس فيها من الإصالة ما للمشرعين . ولو ظل باب الاجتهاد مفتوحاً طول العصور ، لرأينا العجب العجيب من نمو الفقه وتطوره ، بما يناسب كل عصر ؛ ولكنهم جازاهم الله على عملهم ، ضيقوا في الدين واسعا ، وحرّموا على أنفسهم ما أحله الله . فكان كلام الخلف ليس إلا ترديداً لما قاله السلف . حتى في الأمثلة .

وليسوا يبيحون لأنفسهم أن يواجهوا مسألة جدت ولم يكن لها في الماضي نظير ، ولا أن

يرفضون القياس ولا يعتمدون إلا على النصوص . ويعتبرون أن النص إذا ذكرت علته ، كان أخذ الحكم من هذه العلة بناء على النص لا بناء على القياس . ومع اعتمادهم جميعاً على الأصول الأربعة ، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فإنهم واجهوا مسائل اضطروا فيها إلى الرجوع إلى العدالة ، كما يقررها العقل ، وهي التي كان يسميها القانون الروماني بقانون الطبيعة . وسمّاها كل إمام باسم خاص فسمّاها بعضهم استحساناً ، وسمّاها بعضهم استصلاحاً ، وسمّاها بعضهم المصالح المرسلة .

وقد تعسف بعضهم فأرجعها إلى القياس ، وسمّاها قياساً خفياً ، مع أن العقل غير المتعسف يرى أنها ترجع إلى طبيعة المشرع في تقويم العدالة . وليست من قبيل القياس المعروف .

ففرى من هذا أن مناهج الفقهاء تكاد تكون متقاربة ، لأن اختلافها إنما هو في التفصيلات لا في الأسس ، على أنها لا ننكر أن السياسة لعبت دوراً كبيراً عند بعض الفقهاء ، وأثرت في بعض آرائهم ، فثلاً كان الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ رجلاً كبير النفس ، واسع العلم ، ومع ذلك كان كثير الاتصال بالأمويين . فكان يسهّل أحكامهم ، ويهدد الأمور لسلطانهم . وربما كان يرى أن مسألتهم وعدم الخروج عليهم ، مما يجمع أمر المسلمين ، ويوحد كلمتهم . وكان كثيرون يرون أن سوء العقيدة مع العمل والقوة خير من صحة العقيدة مع الضعف والظلم . أما في الدولة العباسية فتدخلهم في التشريع

اليوم أكملت لكم دينكم

لصاحب الفضيلة، الأستاذ محمود شلتوت
عزير صبا عتق كبر، العباس

المحمدية من جهة البيان والتشريع . ومن جهة النفوذ وإقرار السلطان .

بدأت الرسالة المحمدية بدعوة الناس إلى الإيمان بالله ، وتطهير القلوب من الشرك والوثنية ، وعبادة ما لا يسمع ولا يبصر ، وإلى الإيمان بالوحي الذي ينظم به الله حياة الإنسان منفرداً ومجتمعاً ، ويرسم له طرق القربى إليه ، ويجمع هذا الإيمان بالملائكة والكتب والنبيين ، وإلى الإيمان باليوم الآخر ، يوم البعث والجزاء الذي يحاسب فيه المرء على ما قدم من خير أو شر ، والذي يخلق في الإنسان . معنى الضمير

قد رأينا أن تكون الآية التي نكتب عنها في العدد الأول بعد عيد الاضحى ، هذه الآية السكرية التي تعتبر أعظم ذكريات عيد الاضحى ، التي نزلت فيه والنبى صلى الله عليه وسلم يحج بالمسلمين حجة الفريضة وهي حجة الوداع التي لبي بعدها نداء ربه . والكلام عليها يتقاضانا نظرتين : إحداهما في تصوير الوقت والحال اللتين نزلت فيهما . وثانيتهما في بيان المراد من إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ورضاء الله بالإسلام ديناً للؤمنين .

وقياماً بحق النظرة الأولى يجدر بنا أن نرجع إلى الوراء ونشير في إجمال إلى مراحل الدعوة

فتدبرته إهمال الساسة الفقه الإسلامي ، والاتجاه إلى غيره من القوانين الغربية . كما حدث في عهد الخديو إسماعيل فقد روى أنه طلب من جمهرة من العلماء أن يجمعوا له الأحكام من سائر المذاهب المختلفة ، ولا يتقيدوا بمذهب واحد ، وأن يعدلوا عن بعض المسائل في مذهب إلى غيرها أصلح منها في مذهب آخر ، فلم يقبلوا ، فاضطر إلى التشريع على أساس القانون الفرنسي ، وإنشاء المحاكم الأهلية . فكان ذلك ضربة كبرى على التشريع الإسلامي .

ولو كان مصطفى كمال قد رأى من علماء المسلمين مرونة واجتهاداً ما التجأ إلى القوانين الأوروبية ينقلها بحذافيرها من غير مراعاة لوطنه . ومن هذا نرى أننا نحتاج إلى ثورة فقهية ، وثورة أدبية بجانب الثورة السياسية والله الموفق .

أحمد أمين

يقدروا عمل الزمان في تغيير الأحداث والأحكام ، فنحن أحوج ما نكون إلى طائفة مجيدة تماشى العصر ، وتشرع للزمان .

لقد ملأ العالم بانقلابات خطيرة في الصناعة ، كالطائرات والغواصات والقطارات ، والقنابل الذرية ، والراديو والتلفزيون ، وغير ذلك من آلاف المخترعات ، وكلها تتطلب تشريعات جديدة ، فثلا الطائرات تقتضى بحثاً في مدى ملكية الامة لاسماها ، وهل يجوز لطائر من أمة أن يطير بطائرته في سماء أمة أخرى من غير إذنها ، ونحو ذلك من مشاكل . وكثيراً ما كان الشيخ محمد عبده رحمه الله يستفتى في مسائل جديدة تواجه المسلمين ، كلبس البرنيطة وإيداع المال في صناديق التوفير ، وأكل ذبائح النصارى ، ونحو ذلك ، فكان يجتهد ، ويشنّع عليه في اجتاده . ولولا اجتاده هذا لحار المسلمون في أمرهم .

أما هذا الجود ، وإغلاق العين عما يحصل ،

ولذلك كان من غير الممكن أن يخرج الرسول وهو مقوض دعائم الشرك والوثنية ، والداعي إلى التوحيد ، والمسكف من قبل ربه بتطهير البيت من نداء غير الله ، ومن مخالفة أوامر الله ، وبالتزام المناسك التي شرعها الله . فكان لا بد من العمل أولاً على تطهير البيت من هذه العبادة الشركية التي زل بها العقل البشري ، وأودت بكرامة الانسان ، والتي كانت في حقيقتها ومعناها تمثل بما لها من تقاليد فاسدة ، وعادات منسكرة أخش نظام عرفه البشر إلى يومنا هذا ، كان فيه وأد البنات وإكراههن على البغاء ، وعضلن عن الزوج طمعا في مالهن ، كان فيه استغلال حاجة المحتاجين في أقبح صور الاستغلال ، كانت فيه الإباحة الخلقية والجنسية إلى غير حد تخجل منه الإنسانية . ولا ريب أن الشرك بما يحمل في طياته من هذه الشرور والمآثم ثورة جاحدة على الإيمان وما يحمل في طياته من خير وصلاح . وليس من المعقول أن يبقى منبع الشر لإزاء منبع الخير العام ، وإلا اضطرب الخير واستهدف لتيارات الشرك ، والتوت به طرق الهدى والصلاح .

كما أنه ليس من المعقول وقد وقف المشركون مع المؤمنين الموحدين هذه المواقف الشديدة التي قصها التاريخ علينا - والتي كان منها صدمهم عن المسجد الحرام ، والسنخية منهم في عبادة الواحد ، - أن يتركوا ينفثون غازانهم السامة في جو الإيمان الطاهر النقي ، ومن ذلك كان لا بد أن يسبق خروج النبي لأداء فريضة الحج عملية

الديني الذي يحول بينه وبين ارتكاب الفسوق والعصيان ، إن لم يكن خوفا من جلال الله وجماله ، فطمعاً في وعده وثوابه ، أو خشية من غضبه وعقابه ، وبالذعوة إلى مكارم الأخلاق التي تحقق معنى الإنسانية الفاضلة التي تربط الناس بروابط المحبة والرحمة والتعاون والتواصي بالحق والتواصي بالصبر . وما إلى ذلك من الخلال التي تفتح للناس أبواب الخير والسعادة ، وتسد دونهم منافذ الشر والشقاء .

عن الرسول (ص) وهو في مكة بتطهير الباطن وإصلاح النفوس عن هذا الطريق حتى إذا ما كمل له ذلك تتابع عليه الوحي بالتشريعات العملية ، التي تنظم الأسر ، وتنظم شؤون المجتمع ، وتحفظ كيان الدولة من التأثير بمكائد الأعداء وعدوانهم على الحق والفضيلة . وقد هاجر في سبيل ذلك إلى المدينة التماساً للتربة الخصبة التي ينمو فيها غرسه ، ويشمر ثمراته الطيبة ، وما زال يجاهد ويكافح حتى هيا الله له فتح مكة ، فعاد إليها هو وصحبه بعد أن أخرجوا منها ، ودخلوا المسجد الحرام بعد أن صدوا عنه ، وحالفهم نصر الله وتأييده فيما حصل بعد الفتح من وقائع وحروب حتى كانت السنة التاسعة من الهجرة فآتمر

عليه الصلاة والسلام صاحبه أبا بكر على المسلمين في أداء فريضة الحج لأول مرة يؤدونها بصفة عامة بعد أن خلص لهم السلطان على مكة وعلى مشاعر الحج كلها ، وكانت فلول المشركين المنفرقة في شبه الجزيرة لا تزال تقصد بيت الله الحرام لتؤدى مناسكها على منهاجها الجاهلي : شرك في السجود ، شرك في التلبية ، عرى في الطواف .

شاهدين على أنفسهم بالكفر ، أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون . إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ،

د يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ، إن شاء . إن الله عليم حكيم ، . وفي هذه الآيات الإهابة بالمؤمنين إلى قطع ما بينهم وبين المشركين من ولاية القربى وصلات الرحم ، لإثارة للحق على الباطل ، وإثارة الرضا لله عن مقتضى العاطفة والهوى فقتل الدعوى ، ولا ينفذ إلى صفوف المسلمين شيء من عوامل التفرق والانقسام . د يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ، ومن يتولهم منهم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ، . ثم لا يفوت الآيات وهي تركز للمؤمنين شأنهم وتضع لهم قواعد العز والسيادة ، أن تحذرهم من مجارة غيرهم في الاغترار بزخارف الدنيا وأكل أموال الناس بالباطل ، والضن بإنفاقها في سبيل الله ، فتوجه إليهم هذا الخطاب المصحوب بالإذار الشديد لمن يسلك منهم هذا السبيل د يا أيها الذين

التطهير والقضاء على مظاهر الفساد ، وانتزاع أصول الشر حتى تسلم الكلمة لله ، ولأولياء بيته الحرام ، وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ، إن أولياءه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون . وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ،

ولهذا اقتضت الحكمة أن يخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه في السنة التاسعة على رأس المسلمين لتأدية فريضة الحج ، ولم يكده يصل إلى أماكن المناسك حتى نزات أوائل سورة براءة تعلن كلمة الإسلام النهائية في علاقة المشركين بمكة وفي زيارة بيت الله الحرام ، فيرسل النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمه عاليا ليبلغ الناس عنه هذه الآيات ويؤذن بها فبهم يوم الحج الأكبر ، فيلحق على أبي بكر ويجتمع بالناس في يوم النحر عند جرة العقبة بمنى ، وينادى : يا أيها الناس إني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم ، فيقولون : بماذا ؟ فيقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية هي أوائل سورة التوبة ، ومنها : إعلان التصفية النهائية بين أهل التوحيد والشرك ، وبين أهل العدل والظلم ، وبين أهل الوفاء والخيانة ، وفيها رفع العصمة عن المشركين في أنفسهم وأموالهم ، وقطع ما بينهم وبين الله من صلوات وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله ، فإن تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ، د ما كان للبشر أن يعمرؤا مساجد الله

أمرهم ، وإن في إعلان الأمر من المؤمن الحازم لأعظم غناء عن توقيع العقوبة التي يكفي إعلانها في تطهير الجو من أسبابها .

بهذا شرح الله صدر رسوله ، واطمأن قلبه على أن باغ رسالة ربه ، وتوجهت نفسه السكرية إلى زيارة البيت الحرام ، ليقدم الشكر والقران بنفسه ، ويتعلق بأستار مولاه الذي نصره وأعزه

وعصمه ، حتى أوفى على الغاية ، وكأنه عليه الصلاة والسلام أراد بعد أن أدى رسالة ربه ، وقام بمهمته ، أن يعود فيقف بين يدي مولاه واضعاً نفسه تحت أمره وتصريفه ، فيخرج على رأس جمع من المسلمين ، ويحرم للحج ، وينطلق صوته بالنبلية : لبيك اللهم لبيك . لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . ثم يطوف بالبيت ويستلم الحجر

الأسود ، ويصلي ركعتين عند مقام إبراهيم الذي كان البيت أثراً من آثاره ، وكانت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم أثراً من آثار دعوته

« وإذ رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب

الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » . ثم يسعى بين الصفا والمروة ويقول كلما صعد الصفا : « لا إله إلا الله

آمنوا إن كثيراً من الأبحار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

يتلو على هذه الآيات على حجاج بيت الله مسلمهم ومشرکهم إنذاراً وتحذيراً ، وتعليماً وإرشاداً ، ثم يقول : أمرت بأربع : لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مده . وبذلك التبليغ أعلنت حكمة الإسلام النهائية في شبه الجزيرة ، وتمت التصفية بين الشرك والإيمان ، وتركزت قوى الخير ، وولت قوى الشر ، مبعثرة في الفياض والقفار تتوارى من ضغط الحق وسلطانه . وقد أثمر هذا التبليغ ثمرته الطيبة المباركة من

الجهة الإيجابية ، فلم يكذب يرجع الناس إلى بلادهم وينتشر بواسطتهم أمر هذا التبليغ ، ويصل إلى أطراف البلاد ، حتى ازدحمت المدينة بوفود القبائل الباقية على الشرك ، معلنة إسلامها وانصواءها تحت راية التوحيد والعدل . وبهذا تمت حكمة ربك للوحدين ، وهكذا يفعل الحزم ، وتفعل أوامر الحازمين ، القادرين على تنفيذ ما رسموا لصالح الإنسانية ، وحسبهم أن يعلنوا

لا مريم، مال أخيه لإلّا عن طيب نفس منه. ألا هل بلغت، اللهم فاشهد. فلا ترجعن بعدى كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض فأني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله . ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

أيها الناس . إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كما سمع لآدم و آدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

وهكذا أخذ يلقي عليهم ما يفيض الله به عليه من مبادئ الحياة الطيبة ، والسعادة الخالدة ، ومعاني العزة والكرامة . وأين من هذه الخطبة وما احتوت عليه من حقوق الإنسان ما يظنطن به اليوم قادة الشعوب ، وفلاسفة الاجتماع مما يسمونه « حقوق الإنسان » ، ويعقدون لبحثها المؤتمرات ، وتهتز بها الأسلاك ، والإنسان هو الإنسان منه الظالم الفاتك ، والمتجبر الطاغى ، والغنى الكنود ، منه المظلوم الضعيف ، والمستخذى أمام الجبروت ، والمتضور جوعا يلتحف السماء ويفترش الغبراء .

هذه هي حقوق الإنسان ، كما رسمها الله لنبيه محمد ، وأعلنها منذ أربعة عشر قرنا . فعليهم أن كانوا جادين في قيادة الشعوب إلى الرخاء والسلام أن يتدبروها ، وأن يعلنوها للناس مرة أخرى بنصها وأبحاثها ، مقترنة بالعزيمة الصادقة ، والقوة الحازمة ، فينعم الناس بخيرها ، وتذكروهم الإنسانية عند ربها ، ويكونوا بحق قادة الأمم

الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . .

ثم يتوجه إلى عرفات ويقف على رأس الحجيج خاشعا ضارعا ، وداعيا ملييا ، وفي هذه الوقفة التاريخية في حياة الإسلام خاصة ، وفي حياة الإنسانية جميعا ، يقف محمد وقد بلغ ما أراد الله بصبره وجهاده وإخلاص المؤمنين معه ، فيخطب الناس هذه الخطبة الجامعة التي توج بها تبليغه لرسالة ربه وأحكام دينه ، وكان مما جاء فيها :

أما بعد أيها الناس ، اسمعوا مني أبين لكم فأني لا أدري لعلى لألقاكم بعد عامي هذا في موقعي هذا . أيها الناس . إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم حرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد . أيها الناس . إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس . إن لنسائكم عليكم حقا ، ولعن عليهن حقا ، ألا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تسكرهونه إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن ،

وتهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا . ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

أيها الناس . إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل

وقوله . ونحن إذا نظرنا إلى الآية التي قبلها وهي قوله تعالى : « اليوم يثس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، ونظرنا إلى السورة التي نزلت فيها لوجدنا شواهد تعين الوقت والحال اللتين نزلت فيها الآية بينة واضحة ، وكثيرة متعددة . فالآية التي قبلها تقرر بأس المشركين من أطاعهم في فتنة المسلمين عن دينهم ، وفي وقوف دعوتهم ، وفي رجوعهم إلى ما هم فيه من الشرك والوثنية ، وعبادة غير الله ، والسورة من جهة أخرى تعنى عناية تامة بتوجيه الخطاب إلى المؤمنين خاصة في ستة عشر موضعاً ، تقرر في كل نداء حكماً من الأحكام ومبدأ من المبادئ التي يأخذ المسلمون بها أنفسهم في خاصة حياتهم ، وفي علاقتهم بمن يحاورون من أهل الكتاب ، ولا تعرض في شيء مما اشتملت لذكر الشرك والمشركين ، كما لا تعرض لذكر قتالهم ، ولا معاملاتهم ، ولا ريب أن كل ذلك مما يدل دلالة واضحة على أن الجو الذي نزلت فيه هذه الآية « اليوم أكملت لكم دينكم ، هو جو القوة والسيطرة العامة ، وخلوص الأمر للمسلمين ، والبلوغ برسالة الله إلى أقصاها . ومن هنا كان يوم نزولها عيداً عند المسلمين وأى عيد ؟ يذكرون بها فضل الله عليهم في التمكين والتشريع .

أما النظرة الثانية وهي النظرة الجوهرية المتعلقة بمعنى إكمال الدين وإتمام النعمة ، فوجدنا بها العدد المقبل إن شاء الله ،

محمود سلوت

والشعوب ، وبدون هذا سيظلون يخطبون ويسكتون ، ويجمعون وينفضون ، ولا رائد لهم سوى مصاحبتهم الشخصية . أو الجذسية ، والإنسان هو الإنسان ، منه الظالم ومنه المظلوم . في هذا الجو الذي اتصلت به رحمة السماء بالأرض ، وكثر فيض الله على عبده محمد ، بما ينظم به الناس حياتهم ، ينزل عليه قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » . وفيها يروى أئمة الحديث أن اليهود قالوا لعمر : إنكم تقرءون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود أنزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال عمر : وأى آية ؟ قالوا : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي » قال عمر : إني والله لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه والساعة التي نزلت فيها ، نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ، والحمد لله الذي جعله لنا عيداً واليوم الثاني يوم النحر .

هذه هي النظرة الأولى التي تصور لنا الوقت والحال اللتين نزلت فيهما الآية الكريمة . وبها يتبين أنها نزلت بعد أن تمت مراحل الجهاد المحمدي في نشر الدعوة وتبليغ الرسالة ، وبعد أن تغلغت هذه الدعوة في قلوب من وصلت إليهم ودخلوا بها في دين الله أفواجا ، وبعد أن توج محمد رسالة ربه بهذه الخطبة الجامعة لكثير من الأحكام والشرائع التي لا بد منها في سعادة الناس ، وطيب حياتهم وحصولهم على رضا الله

جهود الفقهاء في التشريع

لصاحب الفضيلة الأستاذ عبدالرحمن بن خديف
أستاذ الشريعة بكلية الحقوق

أهمية وكفاءة للقيام بواجب الإسلام والمسلمين
تصدى للقيام به ، حتى كانت نهضة المسلمين
في القرون الهجرية الأولى والثاني والثالث ظاهرة
عجيبة حار في تعليمها المؤرخون وبلغ المسلمون
فيها إلى غاية في المجد السياسي والعلمي والمالي
لم تبلغها دولة غيرها . وكانت فتوح الجيوش
في الاستيلاء على البلدان وفي بسط السلطان
يسارها فتوح علماء الفقه والتشريع في الاجتهاد
والتقنين ، وفتوح الولاة والأمراء في تنمية
موارد الدولة ووفرة الثراء . وكان الانتصار
في كل ميدان من هذه الميادين انتصارا في الميادين
كلها . وقادة كل ميدان يشعرون أنهم أعوان
متضامنون مع قادة الميادين الأخرى .

يتجلى هذا من النظرة في تاريخ المسلمين بعد
وفاة الرسول ، ففي ميدان الغزو والجهاد كانت
جيوش المسلمين تواصل فتوحها بقيادة أبي عبيدة
وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وسعد بن
أبي وقاص وعمرو بن العاص ويتلقى راية القيادة
قائد بعد قائد ، حتى وصل عبد الله بن عامر وإلى
البصرة وقتيبة بن مسلم شرقا إلى حدود الصين ،
ووصل موسى بن نصير وطارق بن زياد غربا
إلى جبال أسبانيا ، واستولى المسلمون على جزر
البحر الأبيض المتوسط وصار هذا البحر
بحيرة إسلامية .

أول ما يسترعى النظر من تاريخ المسلمين
في فجر الإسلام أن كل مسلم كان يعد نفسه مجندا
لخدمة الإسلام والمسلمين في الميدان الذي يشعر
أنه أهل للقيام بالواجب فيه . وكان كل مسلم
جنديا في ميدانه متطوعا يقوم بواجبه بوازع
من دينه وضميره لا بتكليف من غيره . وبهذا
الشعور كانت ميادين العمل وكل مصالح الدولة
ملبئة بالعاملين . ولم يخل ميدان من ميادين
الإصلاح والنهوض من أيد مجتدة تنسابق فيه .
وبهذا خطت الدولة الإسلامية في سنوات قليلة
خطوات بعيدة المدى في ميادين المجد السيامي .
والعلمي . والاقتصادي . فبعد وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم شعر المسلمون أن عليهم
واجبا أن ينشروا دعوته . وأن يواصلوا سعيه
وجهمه لإعلاء كلمة التوحيد وهداية الناس
بهدى الإسلام .

فأهل البسالة والقوة والحرب والقتال منهم
تجندوا في ميدان الغزو والجهاد وكونوا الجيوش
الإسلامية لدعوة الناس إلى الإسلام والدفاع
عن المسلمين . وأهل العلم والفقه والقرآن
والسنة منهم تجندوا في ميدان الاجتهاد والاستنباط
والتشريع والتقنين . وأهل الولاية والإمارة
والسياسة منهم تولوا تدبير الشؤون الإدارية
والمالية في الأمصار . وكل من آنس من نفسه

بل كان فيهم الخاصة العارفون بالقرآن والسنة الفاهمون روح التشريع بما تلقوه من رسول الله وما شاهدوه من قضائه وفتاويه . وفيهم العامة الذين يحتاجون إلى من يستفتونه ويسألونه . وكذلك لم يكن القرآن مدوناً ومشفوراً بحيث يتيسر لكافة المسلمين الرجوع إليه ، بل كان مدوناً في صحف محفوظة عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة . والسنة لم تكن مدونة أصلاً . وقد حدثت للمسلمين بعد الرسول وقائع ووقعت حوادث لا نص على أحكامها في القرآن أو السنة ، لهذه الأسباب رأى علماء الصحابة أن عليهم واجباً تشريعياً أن يخلفوا رسول الله في إفتاء المسلمين والقضاء بينهم وأخذ الدين عنهم ، فتصدوا لبيان نصوص القرآن والسنة ، والإفتاء فيما لانص فيه . ولم يكتسبوا هذا السلطان التشريعي من تعيين من الخليفة أو انتخاب من الأمة ، وإنما كسبوه بما امتازوا به من طول صحبتهم الرسول وحفظهم القرآن وروايتهم السنة ومشاهدتهم كثيراً من أفضية الرسول وفتاويه ومن مواهبهم في العلم والفهم ، فلمذه المميزات تصدروا لنولى السلطة التشريعية ودان المسلمون لهم بهذا وتفرقوا في أمصار المسلمين لاداء هذا الواجب التشريعي فكان في كل مصر إسلامي رموس من الصحابة هم مرجع الولاية والافراد والجماعات في معرفة حكم الشريعة فيما يمرض وما يحدث من الوقائع وفي كل مصر التف حول من فيه من أهل الفتيا من الصحابة رموس من التابعين أخذوا عنهم القرآن ورووا عنهم السنة ومارسوا

وهذه الفتوح السياسية كانت تسارها فتوح تشريعية وحركة اجتهادية بقيادة الخلفاء الراشدين وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت ثم سعيد ابن المسيب وأقرانه بالمدينة . وبقياة عبد الله ابن عباس ثم تلاميذه بمكة . وبقياة عبد الله ابن مسعود ثم تلاميذه بالسكوفة . وعبد الله ابن عمرو بن العاص ثم تلاميذه بمصر . وكانت ميادين الغزو عامرة بالانتصار تلو الانتصار . ومساجد الامصار عامرة بالعلم والفقه والتشريع والاستنباط ، فقادة الجيوش بسطوا سلطان الإسلام ورفعوا رايته على كثير من البلدان ، وقادة التشريع سدوا حاجات المسلمين وساروا مصالحهم ، وأقاموا البراهين على أن الإسلام لا يضيق بحاجة ولا يقصر عن مصلحة وأنه كلما اتسعت فتوح المسلمين اتسع التشريع الإسلامي وان اختلفت الاجناس والبيئات والنظم والمعاملات وإن نمت موارد الدولة وزاد ثراؤها . وبهذا التعاون والتضامن بين جيوش الميادين الثلاثة عزت الدولة ونهضت وتوافرت لها الدعامات التي تقوم عليها نهضة الأمة وهي : القوة والعلم والمال .

وهذه كلمة موجزة في ميدان التشريع الإسلامي وبعض جهود الائمة المجتهدين فيه .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته مرجع المسلمين في جميع شؤونهم الدينية يستفتونه في وقائعهم ويسألونه عما يعرض لهم . ويقضى بينهم في خصوماتهم . ولما توفي لم يكن أصحابه كلهم أهلاً للفتيا . ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم

عبد الله بن مسعود وأشهر تلاميذه ، علقمة بن قيس وسعيد بن جبير والقاضي شريح . وأشهر تلاميذهم ، إبراهيم النخعي وأشهر تلاميذه حماد ابن أبي سليمان أستاذ أبي حنيفة وأصحابه .

وفي مصر أشهر أساتذة التشريع من الصحابة ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأشهر تلاميذه مفتي مصر يزيد بن حبيب ، وأشهر تلاميذه الليث ابن سعد وأقرانه من بني عبد الحكم . وأشهر من خلفهم محمد بن إدريس الشافعي في المرحلة الأخيرة من حياته ، وكذلك كان في دمشق وبغداد وفي كل من أمصار المسلمين أئمة للتشريع من الصحابة والتابعين وتابعيهم وتلاميذهم . ومن هذا يتبين أن كل مصر من أمصار المسلمين كانت فيه مدرسة تشريعية ، وأن الأئمة الأربعة المجتهدين كانوا في أمصارهم تلاميذ لمن سبقوهم وفروعاً من شجرة تشريعية أصلها من رموس الصحابة والتابعين . وما كان الاجتهاد والتشريع في طبقة الأئمة الأربعة خاصاً بهم ، وإنما كان لهم أقران اجتهدوا وأفتوا واستنبطوا ، كما اجتهد الأئمة الأربعة واستنبطوا . ولكن لم يقدر لفقهم واستنباطهم الذبوع والتدوين والبقاء وكثرة الاتباع كما قدر لفقه الأئمة الأربعة . من أولئك الأعلام عبد الرحمن الأوزاعي إمام أهل الشام . والليث بن سعد إمام أهل مصر . وأبو داود الظاهري وسفيان الثوري ومحمد بن جرير الطبري وأقرانهم .

وأهم العوامل التي توافرت للأئمة الأربعة وجعلت من جهودهم التشريعية فتحاً مبيناً وآثاراً خالدة هي ما يأتي :

استنباطهم الأحكام فيما لا نص فيه وخلفوا الصحابة في القيام بهذا الواجب وتصدوا لإفتاء المسلمين والتشريع فيما يعرض لهم . والنص حول أهل الفتيا من التابعين رموس من تابعي التابعين أخذوا عنهم عليهم وفقهم وتصدوا للتشريع والتقنين . وعن هؤلاء أخذ الأئمة المجتهدون في القرنين الهجريين الثاني والثالث ، فكان رجال الذنوع في الأمصار يخلف خلفهم سلفهم ، وبعد كل طبقة منهم تلاميذ لمن قبلهم وأساتذة لمن بعدهم ، والمسلمون واثقون بهم يأخذون عنهم طيبة نفوسهم . وما شعر مسلم بقصور شريعته عن مصلحة من مصالحه . وما ضاقت هذه الشريعة عن حاجات المسلمين مع تعدد أجناسهم وبيئاتهم وبلدانهم ومع تعدد ما خلفته إمبراطورية الفرس والرومان من نظم وعقود ومعاملات .

ففي المدينة أشهر أساتذة التشريع من الصحابة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله ابن عمر وزيد بن ثابت . وأشهر تلاميذهم من التابعين ، سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وسائر فقهاء المدينة السبعة وأشهر تلاميذ هؤلاء ، محمد بن شهاب الزهري ويحيى بن سعيد . وأشهر تلاميذ هؤلاء ، مالك بن أنس وأقرانه ، وفي مكة أشهر أساتذة التشريع من الصحابة ، عبد الله بن عباس وأشهر تلاميذه من التابعين عكرمة وعطاء ومجاهد ، وأشهر تلاميذهم سفيان ابن عيينة ومفتي الحرم مسلم بن خالد . وأشهر تلاميذ هؤلاء محمد بن إدريس الشافعي .

وفي السكوفة أشهر أساتذة التشريع من الصحابة

علوم الفرس واليونان وغيرهما، ودخل في الإسلام فيه علماء كثيرون من غير المسلمين وتبادل البحث والنظر في هذه العلوم. ومع هؤلاء العلماء توجه الفقهاء إلى الصنعة العلمية، فبعد أن كان الفقه الإسلامي مجرد حلول جزئية وفتاوى في وقائع من غير تعليل ولا تحليل، اتجه الأئمة إلى تعليل الأحكام والاستدلال عليها وجمعها في ضوابط كلية. وبهذا صار الفقه علماً ذا ضوابط ووضعت فيه مصطلحات لم تكن من قبل. وصار البحث فيه بحثاً علمياً لإثبات الأحكام بأدلتها واستنباط علمها وحكمها. ولهذا عني بتدوينه فدوّن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، كتب ظاهر الرواية والسنة ودوّن سمنون القيرواني معاصر الإمام مالك، المدونة في فقه مالك بن أنس، وأملى الإمام الشافعي فقهه في كتاب الأم. وجمع ابن قدامة فقه أحمد في كتابه المغني وتتابع التدوين والتأليف كما هو الشأن في كل علم.

ورابعاً - أنه في عهد الأئمة الأربعة وجدت مدرستان تشريعتان مدرسة الحجازيين ومدرسة العراقيين. والتنافس بين أساتذة المدرستين أنضج كثيراً من البحوث التشريعية ووسع دائرة الاستدلال. وهذه التوسعة في الاستدلال والنظر في الأدلة أدى إلى العناية بأصول الفقه فدوّن فيه أبو يوسف، ولم يصل إلينا مادونه، ودوّن فيه الإمام الشافعي رسالته وهي أول مدوّنة في أصول الفقه بين أيدينا. وبهذا أخذ الفقه صبغة علمية تستند أحكامه إلى أصول وتتسع أصولها لكل جزئية.

عبد الوهاب مبروف

أولاً - أن الأئمة الأربعة كانوا في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وهذا هو العهد الذهبي للدولة الإسلامية الذي اتسعت فيه رقعة الدولة وامتدت الفتوح شرقاً وغرباً ودخل في الإسلام وفي رعاية الدولة الإسلامية شعوب وأمم وبلدان مختلفة النظم والعادات والمعاملات، كثيرة المصالح والحاجات، فكان لا بد من جهود تشريعية تسير هذا النهوض وتفي بهذه الحاجات. وقد بذل الأئمة الأربعة في بيئاتهم هذه الجهود وبحوثا وشرعوا واستنبطوا ووفوا بحاجات الناس أفراداً وجماعات ووفوا بحاجات الولاة والحكام وما شعر فرد أو جماعة أو واهل أو حاكم بقصور التشريع الإسلامي عن تحقيق أى مصلحة أو إقامة العدل في واقعة مدنية أو تجارية أو جنائية أو غيرها بل استنبط الأئمة أحكاماً لوقائع فرضية وخصوصيات محتملة فكان النشاط السياسى يسيره الأراء التشريعى .

وثانياً - أن الأئمة الأربعة وجدوا بين أيديهم ثروة تشريعية خلفها لهم سلفهم من رجال التشريع من الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ فالقرآن مدوّن ومنشور بين السكافة وكذلك المسأثور عن الصحابة والتابعين في تفسيره وتأويله، والسنة مدوّنة، وفتاوى الصحابة والتابعين وتابعيهم متوارثة فهم انتفعوا بهذه الثروة ونموها وكمّلوها بما أثمرته مواهبهم وعقولهم من استنباطات اقتضتها بيئاتهم، فبجهودهم حفظت ثروة سلفهم وبمجهودهم كملت ووفرت لإنتاجها.

وثالثاً - أن الأئمة الأربعة وجدوا في عصر دخلت في بلاد الإسلام فيه علوم كثيرة من

مقارنة بين شريعة الله وشرائع الإنسان

لصاحب الفضيلة الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ الشريعة المساعد بكلية الحقوق

١ - أرسل الله رسوله المصطفى بدين الإسلام بعد أن أدت كل من الديانات السابقة غرضها ،

وصارت الإنسانية في حاجة ملحة لدين جديد تجيء به رسالة إلهية جديدة تكون خاتمة الرسالات السماوية جميعا .

٢ - لقد واجه الإسلام حين جاء دولة الروم ودولة الفرس ، وفي كليهما كان الفساد قد بلغ مداه ، وشارفت الأمة نهايتها المحتومة . وفي كليهما كانت القوانين والنظم العامة تهدف إلى تمكين السادة والأقوياء ، على حساب الرعية والضعفاء ، وبلغ الأمر إلى درجة تقديس القياصرة والآكسرة وتقدير الرعايا لهم فروض العبادة .

والإسلام نظام عام : عقيدة ، وتشريع ، واجتماع . ولا تتسع الصفحات القليلة ، المخصصة من هذا العدد الخاص لهذه الكلمة ، لبحث مقارنة بين شريعة الله العليم الحكيم وبين شرائع الإنسان التي عرفها العالم قبل الإسلام وبعده إلا إذا كان موضوع المقارنة مسألة واحدة من مسائل الفقه الهامة .

أما في دولة الروم ، فقد كانت المسيحية قد تحولت من ديانة سماوية تأمر بعبادة الله وحده ، إلى دين زعم رؤساؤه أن الله هو المسيح بن مريم ، بل نادوا بعد هذا بعبادة القديسين معه ، فلا عجب أن يكون الإمبراطور موضع تقديس وعبادة أيضا . وفي هذا يتول مؤرخ إنجليزي معروف : « وهنا التقت الكنييسة ، على وجه الخصوص ، وجها لوجه مع مذهب عبادة الامبراطور » (١) .

لذلك رأينا أن نتناول أولا بالبحث الطابع العام للشريعة الإسلامية ، مقارنة بما نعرف من الطابع للشرائع الوضعية ؛ فإن هذا الطابع لكل شريعة هو الذي يحدد مقاصدها ، وهو الذي يستلهمه الفقهاء فيما يقررون من أحكام ، ومن هذه المقارنة ، نعلم أن الإسلام كان في ناحية التشريع ، كما هو في سائر النواحي الأخرى ، ففتحنا أي فتح ! . ثم ، من باب التطبيق ، نبحت مظهر وأثر هذا الطابع العام لشريعة الله في مسألة واحدة ، وهي مسألة « الحق » ؛ أي مدى ما لصاحبه من سلطان في الانتفاع به واستعماله ، وما يكون من تقييد الشارع له بالأضرار هذا الاستعمال الغير ، مقارنة بين الشريعة الإسلامية في هذه الناحية

وأما في فارس ، فقد كان الأكسرة يزعمون أن دمأ إلهيا يجري في عروقهم ؛ ومن ثم كانت الرعية تنظر إليهم كأنهم آلهة ، فكانت تكسفر لهم وتتحمل في هذا السبيل مالا تطيق . ولذا ستمع

(١) الامبراطورية البيزنطية ، تأليف نورمان بينز وترجمة الدكتور حسين مؤنس وآخر ، مطبعة لجنة التأليف سنة ١٩٥٠

في مراحلہ الأولى يفنى على فكرة استبداد صاحب الحق بما يزعمه من حقه الذى يملكه ، سواء فى ناحية الأسرة أو ناحية المعاملات . وفى الأسرة كان لرب العائلة حقوق مطلقة على جميع أفرادها ؛ كان له حق الحياة أو الموت على زوجه وأولاده وعبيده ، فلم يكن للزوجة حقوق ولا أموال ، وكان الولد معروضاً للبيع ، والعبد للترك والقتل . وفى المعاملات كان للدائن سلطة مطلقة على مدينه ، فكان المدين يباع أو يقسم بين دائئيه ، ^(١) .

بل إن قوانین «جستینيان» ، وهو المشرع الرومانى الأكبر ، قد حرمت على من لم يكونوا تابعين للذهب الرسمى للدولة - وهم مسيحيون مع ذلك - الاشتغال بالمهن الحرة ، وأغلقت دونهم الاجتماعات العامة ، وجعلت وصاياهم لاغية ، ومنعتهم الحق فى أن يرثوا شيئاً من ذوبهم . ^(٢) ٤ - وفى مقابل هذا الطابع الفردى المقيت للقوانين والنظم الرومانية ، نجد الطابع الجماعى للتشريع الإسلامى الإلهى . ذلك بأن الإسلام لم يجهل لإسعاد الملوك والسادة على أنقاض الشعب ؛ فهو الدين الذى لا يعرف فضلاً لأحد إلا بمقدار حظه من تقوى الله ، ورسوله ينادى بأنه ليس إلا بشراً كسائر البشر ، وبأنه ابن امرأة كانت تأكل القديد ! وهو الدين الذى جاء ليحقق العيش الكريم والسعادة للفرد والمجتمع معاً ، بل للإنسانية عامة ولا فرق بين عرب وعجم وببيض وسود .

إلى محمد بن جرير الطبرى يقص علينا هذا الخبر ، ومنه نرى كيف كانت منزلة قائد من قواد كسرى - لا كسرى نفسه ! - من الرعية ومنزلة الرعية منه ، حين يقول : ^(٣)

« لما جاء المغيرة [بن شعبه] إلى الفئطرة فمهرها إلى أهل فارس ، أجلسوه واستأذنوا رؤسهم [وكان قائدهم فى حرب المسلمين] فى إجازته ... ، فأقبل المغيرة - وله أربع صفائر - يمشى حتى جلس معه على سريريه ووسادته ، فوثبوا عليه فترتوه وأنزلوه ومغنوه ، فقال : كانت تبلغنا عنكم الاحلام ، ولا أرى قوماً أسفهم منكم ، إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما تنواسى ، وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض ... اليوم علمت أن أمركم مضمحل وأنكم مغلوبون . وإن ملائكتكم لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول . ٣ - وهذه النزعة الفردية المطلقة التى كانت تسود فى النظم الاجتماعية لدى الروم والفرس ، من قمة المجتمع إلى آخر درجاته منزلة ، تراها تسود فى نظمهم القانونية أيضاً ؛ فإنا القانون - فى رأينا - إلا التقاليد والعادات العامة تتأصل فى النفوس ثم تبلور حتى تأخذ أوضاع القانون ، أو - على الأقل - تعتبر هذه التقاليد والعادات والأعراف مصدراً له خطره من مصادر القانون . من أجل ذلك نجد القانون الرومانى ^(٤)

(١) الدكتور أنور سلطان ، مجلة القانون والاقتصاد ، عدد مارس سنة ١٩٤٧ ، ص ٧٧ - ٧٨ .
(٢) الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(١) ٤ : ١٠٨ من كتابه الكبير فى التاريخ .
(٢) نكتفى هنا فى المقارنة بالقانون الرومانى الذى أخذت منه أكثر دول الغرب قوانينها الحديثة .

لمن يشاء ، ولكن الشريعة التي عنيت بتأكيد ما للجار من حقوق على جاره ، حتى جاء في هذا كثير من آيات القرآن وأحاديث الرسول ، أوجبت للجار حق الشفعة فيما يبيعه جاره ، كما منعت الجار المالك - وهو مذهب الإمام مالك رضى الله عنه ^(١) - أن يتصرف في ملكه تصرفاً يضر ضرراً فاحشاً بجاره . وذلك كله تطبيقاً لقاعدة : « لا ضرر ولا ضرار » ، وقاعدة دفع أكبر الضررين بأيسرهما ، وفي هذا الخير لصاحب الحق وللجار معاً .

(ج) ولرعاية هذه المصلحة التي تكون للغير وقد تكون مصلحة جماعة لا مصلحة فرد واحد نرى الشريعة الإسلامية تقرر للغير على صاحب الماء ما يسمى بحق الشفعة وحق الشرب ، ويراد بالحق الأول حق شرب الإنسان ودوابه من عين أو قناة مملوكة للغير ، ويراد بالثاني حق سقي زرع من ماء يمر بأرض لغيره ، مع أن من خواص الملكية حرية المالك في ملكه يتصرف فيه كما يشاء ويهوى .

وتطبيقاً للحق الأول يروى الإمام أبو يوسف أن قوماً مروا بماء وهم في سفر ، فأرادوا أن يستقوا منه لأنفسهم ودوابهم فنههم أهله ، فقالوا لهم إن أعناقنا وأعناق مطايانا كادت تنقطع عطشا ، فأبوا أيضاً ، وحين رجعوا ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب ، الفاروق بحق ! فقال لهم هلا وضعتم فيهم السلاح ! ^(٢) :

وهذا الطابع الجماعي للشريعة الإسلامية ، له أثره ومظهره بلا ريب في التشريع والفقه العملي أو المعاملات ، كما له أثره الواضح فيما فرض الإسلام من عبادات ، وله بعد هذا وذاك أثره القوي في تحديد مدى ما يكون لصاحب الحق في استعماله .

على أن من الواجب أن نضيف لذلك اعتباراً آخر . وهو أن أى قانون وضعى يعتبر حقوق الفرد حقوقاً طبيعية له ، فهو يعمل على حمايتها له وتمكينه من الانتفاع بها على ما يشاء ، ما دام يتصرف في زعمه في خالص حقه . أما الشريعة الإلهية فتقرر من أول الأمر أن الإنسان وكل ما يملك ملك لله وحده ، والله لا يمنح الفرد ما يمنح من ملك وحق إلا ليتصرف فيه وفقاً لمقصد المشرع العليم الحكيم ، نعى لتحقيق مصلحة الفرد والجماعة معاً ، ومن ثم نجد تقييد استعمال الحق ، من نواح عديدة ، ولنضرب لذلك بعض المثل :

(أ) من حق الأب أن يشرف على تربية ولده ، وأن يؤدبهم على ما قد يكون منهم مما يستحق الأدب شرعاً ، وكذلك من حق الزوج أن تطيعه زوجته وتكون تحت ولايته ، فلا تخرج من بيته بلا إذنه ولا تدخل داره أحداً لا يرغب فيه ، ولكن هذه الحقوق ، وأمثالها ، التي للأب والزوج مقيدة كلها بعدم الضرر بالأولاد والزوجة ، وإلا تدخل القضاء ، لأنه لا ضرر ولا ضرار .

(ب) للمالك الحق في أن يتصرف في ملكه كما يريد بأى نوع من التصرفات ، ومن ذلك البيع

(١) وذهب إلى ذلك أيضاً غيره من الفقهاء ومنهم بعض الأحناف المتأخرين .

(٢) كتاب الغرر طبع المطبعة الأميرية ، ص ٥٥

يجيء بعدهم من المسلمين ، وكان من كلامه في هذا : كيف بمن يأتي من المسلمين فيجد الأرض قد قسمت وورثت عن الآباء ! ما هذا والله برأى ، واستشهد بآيات من سورة الحشر ^(١)

لكن المعارضين ذكروا أنه كيف يقف عمر ما أقام الله عليهم بأسيا فيهم على قوم لم يحضروا الحرب ، ثم على أبنائهم وذريانهم من بعدهم ! ولما اشتد الخلاف ، حكم الخليفة عشرة من الانصار ، رغبة - كما قال - في أن يشركوه في الأمانة التي حمها . فلما اجتمعوا وتكلم مخالفوه بما يرون من رأى وحجة . قال فيما قال بأنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى ، وقد رأيت بعد صرف الخس في وجوهه أن أحبس الأرض بملوجها وأضع عليهم الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها ، فتكون فينا للمسلمين الحاضرين ولمن يأتي بعدهم . ثم قال : رأيتم هذه الشغور لا بد لها من رجال يلزمونها ! رأيتم هذه المدن العظام ، كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ، لا بد لها أن تشحن بالجيوش وإدراج العطاء عليهم ، فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض والعلوج ؟

وكانت النتيجة أن أعطى المحكمون ، بعد وزن كل رأى ودليله ، الرأى لعمر ، ولم يسع المخالفين إلا الرضا والتسليم ، وكان هذا إلهاماً من الله العالم الحكيم ، وتوفيقاً للخير العام في العاجل والآجل من الزمان .

هذه المثل ، ولو شئنا لأنينا بكثير غيرها ، تشهد بلا ريب بالطابع الجماعي لشريعة الله ،

وتطبيقاً للحق الثاني ، تجعل الشريعة للبر أن يحفر مجرى ماء في ملك غيره ليصل الماء لأرضه البعيدة عن مصدر الماء ، فإن أبي ألزمه ولي الأمر أو القضاء .

وفي هذا يروى يحيى بن آدم القرشي بطرق مختلفة في كتابه الخراج ، أنه كان للضحاك بن خليفة الانصارى أرض بعيدة عن مجرى الماء فلا يصل إليها إلا إذا مر ببستان لمحمد بن مسلمة ، ولكن محمداً هذا أبى أن يمر الماء بأرضه ، فألزمه عمر بن الخطاب بإمداده بعد أن تبين له أنه لا ضرر عليه منه ، وكان من كلامه في هذا أن قال : والله لو لم أجد له ممراً إلا على بطنك لأمرته ^(٢) !

(د) وأخيراً ، مما لا شك فيه أن للفاطحين لأرض من أراضي الأعداء أربعة أخماس الغنيمة والخمس الباقي يصرف في مصارفه التي حددتها آية الانفال : « واهبلوا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسة ، الآية .

غير أن حق ملكية الفاتحين لأربعة أخماس ما فتح الله عليهم به ، قد يكون فيه ضرر بالجماعة وبالمسلمين الذين يأتون بعدهم ، ولهذا رأى عمر ابن الخطاب أيضاً عدم التسليم بهذا الحق للمحاربين بإطلاق في بعض الحالات ، ومعنى هذا تقييد الحق ، لمصلحة الجماعة ودفعاً للضرر عنها .

ذلك أنه لما تم فتح العراق والشام وغيرهما من الأقطار في عهد عمر ، رأى ألا تقسم بين الفاتحين ، بل تبقى خراجية ينتفعون بها هم ومن

حتى لا يسيء استعماله ويضر غيره بهذا الاستعمال المسمى . إلا أنه من الثابت أن نظرة الشريعة الإسلامية - التي سبقت هذه القوانين بقرون طويلة - لمصلحة الجماعة وتقييد حرية الأفراد في استعمال حقوقهم - ظلت أوسع مدى وأبعد أثراً من نظرة القوانين الحديثة في هذه الناحية ^(١) ونعتقد أن السبب في هذه التفرقة الواضحة بين طابع شريعة الله وطابع شرائع الإنسان ، هو ما سبق أن ذكرناه من التفرقة الأساسية بين أصل حقوق الفرد في كل من هذين النوعين من التشريع .

هذا ، وفضل الشريعة الإسلامية في تقرير نظرية «سوء استعمال الحق» ، حتى لا يضار أحد باستعمال صاحبه الحق حقه ، فضل غير مسبوق وغير منكور من رجال القانون المحدثين وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري واضح التشريع المصري الحديث ^(٢)

إن لنا ، بعد ذلك ، أن نتوجه إلى أولى الأمور في الأزهر بالعناية بدراسة الفقه الإسلامي دراسة جدية مقارنة ، وإلى أولى الأمور في الدولة بالعمل على إحياء تراثنا الإسلامي ، والإفادة منه قبل أن نولى وجوهنا شطر الغرب ، والله المستعان ؟

محمد يوسف موسى

وبأنه من أجل هذا الطابع قيدت استعمال المرم لما يظنه حقه بالألا يكون في استعماله ضرر لغيره ، بل إنما منعت أحياناً - رعاية لمصلحة الجماعة والأمة عامة - إعطاء بعض الأفراد ما يزعمون أنه لهم من حقوق ، ومن هذا الباب ، المثال الأخير .

(هـ) أما القوانين التي صنعها البشر لأنفسهم ، فلم تلاحظ شيئاً من هذه النظرة الجماعية الإنسانية إلا بعد زمن طويل ، ثم لم تبلغ بمدى شأور الشريعة الإسلامية في هذه الناحية ، بل لم تقاربها .

ولناخذ مثلاً لذلك القانون الفرنسي الذي صدر عام ١٨٠٤ م ، لقد كان هذا القانون وليد الثورة الفرنسية التي قامت لتحطيم سلطان الملوك والسادة وإعلان أن للإنسان ، باعتباره فرداً ، حقوقاً طبيعية مقدسة ليس لأحد المساس بها مطلقاً ، ومن ثم ساد هذا القانون روح فردى قوى يلتزم مع الروح الذي أُملي لإعلان حقوق الإنسان ، وهو تدعيم حقوق الأفراد وحمايتهم ، وينظر إلى الفرد باعتباره العنصر الأهم في الحياة لا باعتباره جزءاً من كل هو الجماعة ، ولقد كان من نتائج ذلك أن أتى وقت اعتُبرت فيه الحقوق مطلقة المدي ، وأن صاحب الحق في استعماله سيد لا يُسأل عما يترتب على هذا الاستعمال من الأضرار التي تحيق بغيره ^(٣)

وقد حدث بعد ذلك أن اضطربت القوانين الحديثة للطور تبعاً للطوراة الاجتماعية العامة ، فأخذت في تقييد حرية الفرد في استعمال حقه

(١) مدى استعمال حقوق الزوجية ، للدكتور السعيد

مصطفى السعيد ، ص ٣٣

(٢) الدكتور أنور سلطان الأستاذ بكلية الحقوق ،

المرجع السابق ذكره له ، ص ٧٧ ، ٩٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦

الدكتور السنهوري ، مجلة المحاماة سنة ١٩٢٢ ص ٤١٩

(٣) انظر مدى استعمال حقوق الزوجية وما تقتيد به في الشريعة الإسلامية والقانون المصري الحديث ، للدكتور السعيد مصطفى السعيد الأستاذ بكلية الحقوق - فؤاد ، ص ٥

فقح الإسلام في العقيدة والتشريع

الفتاوى واللغة

للدكتور عبد الله بن محمد العباد

من فلسفة يونان وعلومها ومباحثها ، واتصلت الثقافة الإنسانية منذ أقدم العصور إلى العصر الحديث في هذا الاتجاه .

ومما لا خلاف عليه أن اللغة العربية نشطت هذا النشاط وتقدمت هذا التقدم لأنها لغة كتاب مقدس يدين به المسلمون ، وهو القرآن الكريم . ولكن اللغات التي كتبت بها الاسفار المقدسة كثيرة ، منها العبرية لغة التوراة ، والآرية القديمة لغة الزندافستا ، ولغات آرية أخرى في الهند كتبت بها الاسفار التي يقدسها الهنود الاقدمون والمعاصرون .

إلا أن اللغة العبرية أصبحت إحدى اللغات التي لحقت بسجلات الآثار أو سجلات المراجع والدراسات ، وقد كتبت بعض أسفار العهد القديم باللغة الآرامية في حياة اللغة العبرية ولما بان نشأتها ، وقد ترجمت أسفار العبرية والآرامية جميعا إلى اللغة اليونانية قبل ألفي سنة ، ولا تزال هذه الاسفار كتباً مقدسة عند اليهود . وهم لا يطلعون عليها في لغتها ولا يتكلمون تلك اللغة إلا بالإضافة إلى لغة أخرى هي لغة الحياة أو لغة كل يوم ، أما اللغة العبرية فهم يستحيونها من طوايا التاريخ ويفهمونها كما يفهم الآثري نقوش الهيكل أو البردى العتيق .

وانتهت حياة اللغات التي كتبت بها أسفار

منذ أربعة عشر قرناً تغيرت لغات كثيرة ، بل تغيرت جميع اللغات التي كانت تحسب يومئذ من اللغات الحية ، فانتقلت من ميدان الحياة إلى سجلات الآثار والمحفوظات ، أو إلى المراجع التي يتخصص لها علماء اللغات المهجورة . إلا اللغة العربية ، فإنها نشأت منذ أربعة عشر قرناً نشأة جديدة ، وتقدمت أشواطاً بعد أشواط ، وأخذت من إكسیر الحياة ما يضمن لها طول البقاء .

وذلك بفضل القرآن الكريم ، لأنه جعلها لغة العقيدة الإسلامية ولغة الثقافة الإسلامية في وقت واحد ، بل جعل لها فضلاً على الثقافة الإنسانية عامة ، حفظت إلى حين ما كان وشيك الضياع .

فلولا القرآن الكريم لكان من المشكوك فيه كثيراً أن يتوفر العلماء على وضع علم النحو وعلوم البلاغة واستقصاء المفردات وتحريم مصادر الفصيح والدخيل وضبط المعجمات التي لم تسبق في لغة من اللغات .

والأرجح فيما نعتقد أن البحث في الصفات والقضاء والقدر ، كان مصدر علم الكلام فالحكمة الإسلامية فالدراسات المنطقية التي تتصل بها وتعين عليها . ولا يخفى أن هذه الدراسات هي التي أنقذت الفلسفة القديمة من الدثور والإهمال ، فدبت الحياة فيما استحق الحياة

الإخاء والمساواة ، ومن ثم هذه الطوائف المتبوذة التي تعد بعشرات الملايين ، ومن ثم هذا التفاوت بين طبقة وطبقة ، وصناعة وصناعة ، بل من ثم هذه الأعجوبة في تاريخ الهند الحديث من ناحية اللغات والتفاهم بها بين أقاليم الهند على تباعد مواقعها ، فقد أصبح التفاهم بين أهل الشمال وأهل الجنوب باللغة الإنجليزية أسهل من التفاهم بين الجيران في الإقليم الواحد بلغة السكتب المقدسة التي انقضى عليها ثلاثون قرناً على أقرب تقدير .

وهذا هو الفارق العظيم بين كتاب وكتاب ، ولغة ولغة ، فإن العقيدة وحدها لا تحمى لغتها ، ولا تحمى أمتها إذا جاءت منعزلة عن الدنيا مقصورة على عصبية واحدة ، وإنما تبقى اللغة مع بقاء العقيدة إذا تفتحت أبوابها للأمم كافة بغير عصبية ولا عزلة قومية أو جسمية ، ولهذا خصت العربية « بظاهرة » قل نظيرها في لغة من لغات السكتب المقدسة أو غير هذه اللغات ، فإن خدامها من الفرس والامم الآرية لا يقولون عن خدامها من أبناء الامة العربية ، وإن البلاد التي انتقلت إليها العربية من مهدها تخرج من المشتغلين بها ، والماكفين على آدابها وفنونها أضعاف من يتخرجون في بيئتها الاولى .

ويبدو لنا أن هذه اللغة الجميلة مستعدة بطبيعتها للعموم والشيوع والنهوض بالامانة الإنسانية ، لأنها كلها انتقلت من تربة إلى تربة أخرى ترعرعت في تربتها الجديدة وسمقت لها فيها فروع كالاصول بل أثبت وأبقى .

فاللغة في عهد العرب المستعربة أصح وأفصح

المجوس والبراهمة ، وأصبحت محاولة مجهولة عند من يدينون بها ولا يؤمنون بشيء منها ...

إذن ليس مجرد الإيمان بكتاب مقدس كفيلاً بحفظ اللغة وعصمتها من الزوال أو الانتقال من ميدان الحياة إلى المراجع المهجورة .

ولا بد من فضل خاص للقرآن الكريم ميزه بين السكتب الدنيوية وجعل له من الأثر في استبقاء اللغة العربية ما لم يكن لسكتب آخر في اللغات السامية ، أو اللغات الآرية ، وقد كانت العبرية والآرامية من اللغات السامية ، وكانت لغة المجوس والبراهمة من صميم اللغات الآرية ، أو الهندية الجرمانية كما يقولون عنها في علوم اللغات ، فما هو سر هذا الفارق بين كتاب وكتاب وبين اعتقاد واعتقاد ؟

سره أن القرآن العربي قد جاء برسالة عامة إلى الناس كافة ، ولم يكن رسالة خاصة ببنى إسرائيل أو بالطبقة الحاكمة بين الهنود ، ولو كان عربياً للعرب دون غيرهم لما كان له هذا الشأن الذي امتاز به على كل شأن لسكتب من كتب الاديان .

فالتوراة كتاب يؤمن به بنو إسرائيل ولكنه لم يحفظ اللغة العبرية بين أهلها فضلاً عن حفظها بين الغرباء عنها ، لأن بنى إسرائيل أنفسهم قد هجروا لغتهم وانساقوا في التيار الذي يشمل الامم الإنسانية بأجمعها .

وكتب البراهمة أسفار يدين بها أتباعها ، ولكنها كذلك لم تحفظ لغاتها التي كتبت بها من قديم الزمن ، لأن البراهمة كانوا سادة يفرضون دينهم على عبيد مستخرين ، لا يعاملونهم معاملة

كانت حصناً للعقيدة كما كانت حصناً للغة ولهجاتها وأصاليها، فلما انتشر المبشرون بالمذاهب المختلفة في بلاد المسلمين أخفقوا واعترفوا بالإخفاق وقرروا أن المسلم لا يخرج من دينه إلى دين آخر وأن نسبة الصابئين عن دينهم من المسلمين لا تزيد على الآحاد في الملايين، وبعضهم يتحولون لمنفعة أو غواية وعلى غير اقتناع وإيمان، ومهما يكن من ثبات العقيدة الدينية فلا يقال إن المبشر المدرب على التبشير يعجز عن إقناع جاهل أو ساذج بما حذقه من وسائل التشكيك والتأثير وإنما العصمة حق العصمة أن بلاغة القرآن حتى في مسامع الجهلاء قد عودتهم نمطا من الكلام العذب المستساغ يرفضون كل ما عداه ولا يحسون فيه الروحانية الإلهية، فيصعب إقناعهم بكلام على غير ذلك النسق البليغ.

ولقد مضى أربعة عشر قرناً على اللغة العربية في تجددتها وارتقائها بعد نزول القرآن الكريم، وقد زالت كما أسلفنا لغات كانت تحسب من اللغات الحية عند انتشار الدعوة الإسلامية، وقد بقيت اللغة العربية لغة عقيدة ولغة ثقافة ولغة خطاب بين المتعلمين من أبنائها، ولغة فهم بين غير المتعلمين منهم، ولكن المعجزة القرآنية لم تقف ولن تقف عند هذه الغاية، فبفضل هذه المعجزة يرجى أن تكون هذه اللغة بعد قرن من الزمان لغة الملايين ممن لم يتكلموها حتى الآن، وفي طليعتهم أهل الهند والملايو المسلمون، ومعهم في آسيا وأفريقية شعوب تنمو وتزداد صلة بلغة القرآن على مر السنين.

عباس محمود العقاد

كما كانت عليه في عهد العرب العاربة، وهي في عهد العرب العاربة تقترب في فصاحة اللهجة واستقامة القاعدة وتبتعد من الحميرية التي تشبه الرطانة الأعجمية، وقد اطردها القياس زماناً فاستفادت العربية بالعموم والشيوع، وما زالت كلما قادها العموم والشيوع إلى شيء من الإسفاف والعامية، وجدت مرصاة الأمان في القرآن الكريم، فلم تنقطع الأصرة بينها وبين أصولها ولم تنقطع كذلك عن مجارة الزمن والاحتفاظ بالمزية الإنسانية: مزية العموم والشيوع.

والله أعلم حيث يجعل رسالته.

نعم ويصدق ذلك على اللغة التي تقوم بها الرسالة كما يصدق على الرسول الذي يؤدبها إلى بلاغها، فتمضي الرسالة إلى غايتها ببلاغة اللغة وبلاغ الرسول.

وتتضح هذه الحقيقة من الموازنة بين العربية والعبرية واللغات الآرية والمجوسية، فإن العربية قد انتهت إلى عصر الدعوة الإسلامية وهي تزدهر وتتسع للنظم المتن والخطابة المبينة والحكمة الماثورة، ولم يعرف عن لغات الكتب الدينية كالعبرية أو الآرية القديمة أنها وعت إلى جانب الآيات الدينية شيئاً من روائع البلاغة التي يتفاهم بها الناس في مطالب الفن والأدب، فلم ترزق من الحياة ما يعبر عن الحياة، وانقضت مهمتها ولما تجاوز نطاقها المحدود من عصبية القبيل والإقليم.

وهذه البلاغة العربية التي نضجت وسرت في سليقة الناطقين بها مسرى الوظيفة الحية قد

جهود المسلمين في النحو والبلاغة

دعاهما لفصيله الأستاذ محمد عرفة
عن ترجمته عن كسار العنصرى

تهدف إلى غرض معين وتوصل إلى فائدة مطلوبة .
رابعها - بيئة تقدر العلم والعلماء وتبحث عن
مبتكرات القرائح وثمرات القرائح وترى فيها
غذاء عقلياً لا تقل حاجتها إليه عن حاجتها إلى
غذاء الأجسام ، والبيئة الإسلامية في البصرة
والكوفة في عهد وضع النحو والصرف كانت
تستكمل هذه العناصر .

أما القول المبتكرة الخصبة التي كانت تعلق
وتقيس لتنتدى إلى المجبول العقلى ، فقد وجد منها
في هذا العصر عدد ليس بالقليل ، فهذا الخليل
ابن أحمد الفراهيدى كان عقله آية في البحث
والابتكار والتعميل والقياس ، وكان عنده من هذه
الملسكة ما كان عند أمة اليونان في عهد ازدهار
العلوم فيها ، كان مثل أرسطو وأفلاطون
وسقراط إلا أنه صرف هذه الملسكة إلى معرفة
مقاييس العربية وتعليمها ولو صرفها إلى علوم
الطبيعة والاجتماع والاخلاق لما قل شأنه عن
هؤلاء الأفاضل في التاريخ من اليونان .

وقد بلغ الخليل بن أحمد الغاية القصوى في
معرفة قوانين العربية قوانين مفرداتها ومركباتها .
وقد كان كمثل العلماء المبتكرين إنما يعنيه
الابتكار ويشغله البحث ولا يعنى بالتأليف
والتنظيم . وقد كان تلميذه سيديو بمن رزق ملكة
التأليف والتنظيم فأخذ علم الخليل ونظمه وأخرج

للعرب جهود موفقة في ابتكار على النحو
والصرف ، جهود تذكرها مع الإعجاب والإجلال .
نعجب بهم لأنهم أحاطوا باللغة العربية إحاطة
شاملة كاملة .

ولأنهم استوعبوا شواردها والنادر منها ،
فتراهم يجمعون في الموضع الواحد ما يمكن أن
تستنتج منه قاعدة ، ويجمعون ما خرج عن هذه
القاعدة ويحكمون عليه بالشدوذ والندور .

ونعجب بهم لأنهم تعمقوا في البحث وأدركوا
العلل والأسباب وحسن تهديمهم إلى القياس .
ونجلهم لأنهم وحروصهم على أن يصلوا إلى
الحقائق وخوفهم من أن يقولوا في اللغة بغير علم
كما نأهى دين لا يجوز فيه التهاون والتساع بل
يجب أن يفرغ المرء جهده ليصل إلى الحق ولا
يجوز أن يثق المرء بأول خاطر أو يسكن إلى
الراحة والدعة .

إن ابتكار العلوم يقتضى أموراً لابد من
وجودها ليتمكن الابتكار :

أولها - عقل مبتكر منطقي يبحث عن العلل
والأسباب ويقيس الأمور بأمثالها .

ثانيها - حب للبحث والاستقصاء والابتكار
ولإثبات له على جميع حظوظ الدنيا وما فيها من
متع وزخارف .

ثالثها - إيمان بجدى هذه البحوث وبأنها

أن من فعل ذلك فقد بلغ الغاية ولا يضيره ألا يكون استنبط واستحدث. وانظر إلى آثار الخليل تجدها كلها تعليلًا وقياسًا واستنتاجًا وابتكارًا.

وقد يعجب المرء كيف توجد هذه العقول الخصبية في أوائل الدولة الإسلامية ولم تدر بالادوار التي تمر بها الأمم من طفولة وشباب واكتمال مما يقتضى أحقابًا طوالًا حتى تصل إلى سن ابتكار العلوم ولو علم المرء أن الإسلام جاء إلى أمم كانت قد مرت بأدوار الصبا والطفولة ووصلت إلى حشد الاكتمال فلم ينشئ الإسلام لإنشاء وإنما جاء فأصلح من عقائدها وأخلاقها واجتماعها، نقول لو علم الباحث ذلك لزال منه العجب. إن الإسلام دخل في أمة الفرس والروم والسريان وقد كانت أمم ذات ثقافة ومدنية بل العرب أنفسهم جاءهم الإسلام بعد أجيال وأجيال من منشئهم فلا عجب أن تظهر فيهم ملكة الابتكار والاستنباط التي لا تظهر في الأمم إلا في دور نضوجها واستكمالها.

أما حب البحث والابتكار حبا يصل إلى درجة العشق والهيام وإثاره على كل شيء عداه، فيحدثنا التاريخ بأعاجيب منه. وحسبنا أن نذكر هنا الحادئين الآتين: يروى عن أبي عمرو بن العلاء قال: كنت هاربًا من الحجاج بن يوسف وكان يشتبه على فرجة، هل هو بالفتح أو بالضم فسمعت قائلًا يقول:

ربما تجزع النفوس من الآم

سر له فرجة كحل العقال

بفتح الفاء من فرجة ثم قال: ألا إنه قد مات الحجاج. قال أبو عمرو: فما أدري بأيهما كنت

الكتاب في النجوم، فطارت شهرته في الآفاق وذهب سيوفه بفخره، فلما رأى الخليل ذلك أراد أن يصنع علمًا ينسب إليه ويختص به فوضع قوانين الشعر العربي وحصرها وبين علمه وأعارضه وما يصح منها وما لا يصح. وقد وضع كتابًا في اللغة سماه كتاب العين هو الأصل لسلك القواميس التي ألفت بعده. وكان يظهر عقله للباحث إذا اجتمع به.

يروي أنه اجتمع مع عبد الله بن المقفع ثم افترقا فسئل كل منهما عن صاحبه فقال الخليل عن ابن المقفع: علمه أكبر من عقله. وقال عبد الله ابن المقفع عن الخليل: عقله أكبر من علمه. وكذلك كان كل واحد منهما، فلو تتبع العالم الباحث آثارهما ودرسهما أزمانًا متطاولة لكانت خلاصة بحثه هذه النتيجة.

انظر إلى آثار ابن المقفع تجدها ترجمة لحكم الأولين وأمثالهم. وقد يأتي ببعض الحكم ولكنه يراه مشتقًا من كلام الأولين.

ونرى ملكته التقليدية ظاهرة في أوائل كتبه. اقرأ قوله في أول كتابه الأدب الصغير، ومن أخذ كلامًا حسنًا من غيره فتسكلم به في موضعه وعلى وجهه، فلا ترين عليه في ذلك ضؤولة، فإنه من أعين على حفظ كلام المصيين وهدى للاقتداء بالصالحين ووفق للأخذ عن الحكماء - ولا عليه ألا يزداد - فقد بلغ الغاية، وليس بناقصه في رأيه ولا غامظه من حقه - ألا يكون هو استحدث ذلك وسبق إليه. تجده يدل على أن همه مصروف إلى جمع العلوم والحكم والاستكشاف منها. ويرى

يرزقون وبقلبه كان لهم الجاه والشرف والمثالة في قومهم ، كل ذلك كان من صوفيته في العلم التي كان يراها عبادة وزهادة ، ولذلك كان يقول : إذا لم تكن هذه الطائفة - يعنى أهل العلم - أولياء الله تعالى فليس لله ولى . ولعلمه وزهده وعفته ورغبته عما في أيدي الناس كان سفيان يقول : من أراد أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فليُنظر إلى الخليل بن أحمد .

يمثل هذا العشق والهيام بالبحث يستنبط العلم وتكتب المعرفة .

أما أنهم كانوا يؤملون من وراء بحتم غرضاً عزيزاً لديهم ويروهم في أشد الحاجة إلى تحصيله فلأنهم كانوا يريدون المحافظة على كتاب الله أن يتطرق إليه اللحن وفساد الإعراب ، وكانوا يخافون على اللغة العربية أن يذهب نظامها بمخالطة الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام ، فقد كانوا يسمعون اللحن في القرآن فيسوءهم ذلك . وأشد ما ساءهم أن قارئاً قرأ : إن الله برئ من المشركين ورسوله بالجر فقيل معاذ الله أن يبرأ من رسوله . وقد هرعوا إلى وضع النحو بعد هذه الحادثة . وقد كانوا يرون اللحن في لغة العرب فيعزونه ذلك إلى وضع قوانين فيما كان فيه اللحن .

يروى أن أبا الأسود قالت له ابنته : ما أحسن السماء . فقال لها : يا بنية نجومها . فقالت : إنى لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنها . فقال لها : إذن فقولي ما أحسن السماء . ووضع باب التعجب .

وما أظن أنهم غاروا على اللغة العربية ، هذه الغيرة إلا من أجل القرآن ، وإلا فإن أما

أشد فرحاً بقوله « فرجة » ، أم بقوله « مات » الحجاج . فأنت تراه قد فرح باستفادته حرفاً واحداً من اللغة فرحاً يعدل الأمن بعد الخوف ، والظهور إلى الناس بعد الاستخفاء . وأما الحادثة الثانية فهي أن سليمان بن علي وجه إلى الخليل بن أحمد ، من الأهواز لتأديب ولده فأخرج الخليل إلى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال : كل فما عندي غيره وما دمت أجدته فلا حاجة لي إلى سليمان . فقال الرسول : فما أبلغه ؟ فأنشأ يقول :

أبلغ سليمان أنى عنه في سعة
وفي غنى غير أنى لست ذا مال
والفقر في النفس لا في المال نعره

ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال وما أحسب الخليل أثر الإقامة مع فقره وإقلاله على الرحلة مع ما فيها من غنى ويسار إلا لأنه كان في بيئة يفهمها وتفهمه ويتذكر لها فتعجب بابتكاره وتناقشه فيسر هذه المناقشة . وكان لذلك في سعادة نفسية يتعنى جزءاً منها الأغنياء والموسرون . وستفوته هذه السعادة إذا ذهب إلى الأهواز وشغل بتعليم ولد سليمان وفاته تلاميذه الذين كان يأنس بمحاولاتهم ومساجلاتهم كسيبويه والنضر بن شميل ومؤرج السدوسي وعلي بن نصر الجهمضي .

وكان النضر بن شميل يقول : أكلت الدنيا بعلم الخليل بن أحمد وكتبته وهو في خص لا يشعر به . ولم تؤكل الدنيا بعلمه في زمنه فحسب ، بل أكلت الدنيا بعلمه في جميع الأزمان بعده إلى اليوم . ولا يزال للخليل فضل جسيم على معلبي العربية اليوم في الأزهر ووزارة المعارف والجسامعة ، فبعلمه

ويرحلون إليهم . وكان الخلفاء والأمراء يجزلون صلات العلماء بحرف واحد من اللغة يستفيدونه منهم ، كما يحكى أن المأمون قال بحضرة النضر بن شميل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجهالها ، كان فيها سداد من عوز ، فأورده بفتح السين . فقال النضر : سداد بكسر السين . فقال المأمون : وما الفرق بينهما ؟ فقال النضر : السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر المبلغه ، وكل ما سددت به شيئا فهو سداد ، قال العرجي :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا

ليوم كريمة وسداد ثغر
ثم أمر له المأمون بخمسين ألف درهم وأمر له الفضل بثلاثين ألفا .

هذه العناصر الأربعة التي ذكرنا أنها تدعو إلى استنباط العلوم وابتكار قوانين اللغة كانت موجودة في البصرة والكوفة ، ولذلك بدأ النحو في هذين المصرين ثم انتشر بعد ذلك في الأمصار الإسلامية ، فليت شعري ما الذي فقده الأمصار الإسلامية ، كحصر ، والشام ، والحجاز ، من هذه العناصر الأربعة فلم يظهر فيها النحو ولم تستنبطه وكانت عيالا فيه على نحو البصرة والكوفة ! وليت شعري ما الذي تنقصه الممالك الإسلامية الآن من هذه العناصر فعجزت عن استنباط العلوم ومجاعة الأمم في بناء هيكل العلم المقدس ؟ هذا موضوع حقيق بأن يبحث مستقلا لأنه لا يتخلو من طرافة ، ولا يتخلو من

محمد عرفة

فائدة أيضا

كثيرة تركت لغتها تنطور وتتفرع إلى لغات كثيرة دون أن تعنى بضبطها والوقوف في سبيل تطورها ، ولكن علماء الإسلام عنوا بضبط لغتهم من أجل المحافظة على القرآن ، فنشأت هذه الظاهرة العجيبة ، وهي أنه لو قدر أن يحيا اليوم رجل مات منذ ألف سنة ، فسمع المتحدثين بالعربية لما أنكرها وفهمها ، أما اللغات الأخرى فليست كذلك . فلو أن فرنسيا مات منذ مائتي سنة وبعث اليوم ، لما فهم اللغة الفرنسية التي يتحدث بها أهل هذا العصر لتطورها ومطاوعتها للأحداث الجارية عليها .

وقد بلغ من حرصهم على صحة اللغة وسلامة إعرابها أن أحدهم كان يخجل من اللحن ويراه سوءة لا ينبغي أن يعلمها أحد عنه .

يروى أن الحجاج بن يوسف قال ليجي بن يعمر العدواني : أتجدني ألحن ؟ فقال : الأمير أفصح من ذلك . فقال : عزمت عليك أتجدني ألحن ؟ فقال يجي : نعم ، فقال له : في أي شيء ؟ فقال : في كتاب الله تعالى ، فقال : ذلك أشنع ، في أي شيء من كتاب الله تعالى ؟ قال : قرأت دقل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم ، فرفعت أحب وهو منصوب . فقال له الحجاج : طول لحيتك دفعك - وكان طويل اللحية - لا تساكني في بلد أنا فيه ونفاه إلى خراسان .

وأما البيئة العربية في ذلك الحين ، فقد كانت تشجع أعظم التشجيع ، على البحث والدرس ، فقد كان الناس يعظمون العلماء ويستفيدون منهم

فتوح العقلية الإسلامية في العلم والفلسفة فصل العرب على فلسفة اليونان

للمكتبة أحمد نواز الدوصاف

إلى عقول جديدة ، لأنها كانت كالحب الذي ينبت في غير وطنه فيعطى ثمراً يختلف في طعمه عن الثمر الأصلي . بل وفي شكله . فلما تمثل العرب فلسفة اليونان ، اختلطت بأقوى عنصر من عناصر الحضارة الإسلامية ، وهو الدين الذي يعتمد على أصل ثابت من الكتاب الكريم ، لاريب فيه ، ولا مبدل لكلماته ، هدى للبتقين .

ولم تكن الفلسفة اليونانية غريبة عن الدين ، ولسكنه دين أساطير يؤله البحر والسماء والشمس والقمر ويتخذ آلهة كثيرة ، ولم يستطع فلاسفتهم المبرزون مثل أفلاطون وأرسطو أن يخلصوا من أثر تلك الأدمان . وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن فلسفة أفلاطون متأثرة متأثراً شديداً بالنحلة الأوروبية . ومن أراد من فلاسفتهم أن يتحرر من سلطان الدين ، وأن ينظر إليه بعين العقل ، لقي من غضب الشعب ما يقسره على الخوف ، وكتم الرأي ، ومسايرة الجماعة . فقد اتهم سقراط بإنكار آلهة اليونان ، وحوكم من أجل ذلك وأعدم . واتهم أرسطو بتهمة شبيهة بذلك لأنه نظم قصيدة رثاء عند موت صديقه الملك هرمياس ، وكان الشعر وقفاً على الآلهة فقط ، وهرب أرسطو خوفاً على مصيره . وقد جرد أرسطو الإله من كل شيء ، فهو عنده المحرك الذي لا يتحرك ، ، مفارق للعالم ، لا يُعنى به ، ولا يعلم عنه شيئاً . وتختلف هذه النظرة اختلافاً شديداً عن نظرة الأديان

نحسب أنه قد جاء الأوان الذي تكتب فيه فلسفتنا بأيدينا ، وأن تؤرخ لها بأقلامنا ، بعد أن سجل المستشرقون رأيهم فيها ، وأعلنوا أن الفلسفة الإسلامية ليست شيئاً آخر إلا الفلسفة اليونانية دوّنت بحروف عربية . بل لقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقالوا : إن علم الكلام ، والفقه ، والنحو ، وغيرها من العلوم ، يونانية .

ولن نذهب مذهب هؤلاء القوم من القلوب في تقدير اليونان والخط من شأن العرب ، أو نتطرف على العكس في رفع قيمة العرب وتجريد غيرهم من كل شيء . ولسكننا نقول كما قال أرسطو في أوائل كتاب ما بعد الطبيعة : إنه ينبغي أن نشكر السابقين لأنهم مهدوا الطريق . ولم يفته أن يسجل الفضل للبرصيين بوجه خاص لامتيازهم في العلم الرياضي . وقد صاغ الكندي هذا الرأي في كتابه إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى فقال : « فينبغي أن يعظم شكرنا للآتين بيسير الحق فضلاً عن أتى بكثير من الحق ، إذ أشركونا في ثمار فكرهم ، وسهلوا لنا المطالب الحفية الحقية . فإنهم لو لم يكونوا لم يجتمع لنا مع شدة البحث في مددنا كلها هذه الأوائل الحقية ، التي بها خرجنا إلى الأواخر من مطلوباتنا الحقية . فإن ذلك إنما اجتمع في الأعصار السالفة المتقدمة عصرأ بعد عصر إلى زماننا هذا ... »

وقد كان من الخير أن تنتقل حضارة الإغريق على يد المترجمين إلى أرض جديدة ، وتدرج

السموية ، كاليهودية والمسيحية والإسلام ، ولذلك عدل المسيحيون والمسلمون عن رأى أرسطو فى الله ، واصطنعوا فلسفة أخرى تتلاءم مع الأديان السماوية .

الدين الجديد :

ولما جاءت هذه النزعة من طبيعة الدين الجديد . فهو دين عقل وتجديد لا دين رسوم وتقليد . والقرآن خطاب للناس كافة دون تمييز بين جنس وجنس أو طبقة وأخرى ، وفى الأثر لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

وقد جاء الإسلام بمدة أصول عامة مما يتعرض لها الفلاسفة ، ولكنه نظر إليها بطريقة خاصة تختلف عن طريقة الحكماء . هذه الأصول هى وجود الله ، ووحدانيته ، وخلق العالم ، ثم الصلة بين الله تعالى والعالم جملة ، وبالإنسان ومصيره بوجه خاص .

وليس بين فلاسفة الإسلام من أنكر وجود الله ، أو قال بالتعدد مثل فلاسفة اليونان ؛ وأدلتهم على الوجود والوحدانية متأثرة تأثراً شديداً بالإسلام ، وتختلف اختلافاً بيناً عن أدلة اليونانيين ، وعن أدلة أفلوطين صاحب الأفلاطونية الجديدة ، والذي نقل كتابه التاسوعات ونسب خطأ إلى أرسطو باسم «الاثولوجيا» أو «الربوبية» ، وقيل إنه أثر فى الفلسفة الإسلامية بأبلغ الأثر . ونحن لا ننكر ذلك فى تفصيلات كثيرة ، ولكن النظرية العامة لأفلاطين تختلف عما ذهب إليه فلاسفة المسلمين .

وعند الكندي : الله هو « المدبر » الأول . ويعتمد فيلسوف العرب فى إثبات وجود الله ،

ومع ذلك فقد نصب فلاسفة المسلمين أقلامهم للدفاع عن فلسفة اليونان الدينية ، وذهب الشهرزورى فى كتاب نزهة الأرواح ، بعد أن حكى آراء الفلاسفة الطبيعيين ، إلى أن نظرياتهم كانت «رمزاً» ، أما الحقيقة فإنهم كانوا من المؤلهة . فإذا كانوا مؤلهة على الحقيقة ، فلماذا رمزوا خشية ورهبة . والواقع أن الفلسفة اليونانية لم تكن تمتاز بالصرح العلانية ، حتى فى أزهى عصورها . فهذا أفلاطون لم يدون دروسه فى «الأكاديمية» ، أما محاوراته فقد كتبها للجمهور لا للفلاسفة . وكان أرسطو يلقى دروساً للخاصة من تلاميذه ، وأخرى فى المساء للجمهور المستمعين . وكتبه التى وصلت إلينا هى المذكرات ، التى كان يلقى منها دروسه ، وهذا سر غموضها وعلة تركيزها ، ويسمى العرب «التذاكير» .

ولم يكن فى الفلسفة الإسلامية سر تخفيه عن الناس ، أو علم يستأثر به الفلاسفة دون العامة والجمهور . وهذا كتاب «الشفاء» لابن سينا يعد موسوعة كبرى حوت جميع أبواب الفلسفة ، ولم يكن الكتاب مقصوراً على فئة دون فئة ، بل لقد يسر الشيخ الرئيس قراءته للناس فاختصره فى كتاب «النجاة» ليكون أيسر تداولاً .

فأول فضل للعرب على فلسفة اليونان ، هو هذه النزعة الديمقراطية ، التى أنزلت الفلسفة من

قصصاً في كتابه : حى بن يقظان ، الذى نقل إلى أوروبا وأثر في أهلها تأثيراً كبيراً .

العلم والفلسفة :

وإذا كانت الفلسفة قد اتصلت بالدين من جهة ، فقد اتصلت بالعلم من جانب آخر ، ولا نعدو الصواب إذا قلنا إن العلوم المختلفة ، كالحساب والهندسة والطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب كانت فروعاً من شجرة الفلسفة .
حقاً نقل العرب فلك بطليموس ، ورياضة أقليدس ، وطب أبقراط وجالينوس ، ولكن هذه العلوم كانت قد تفرقت ، واختص بكل فرع منها قوم ، حتى جاء العرب وسنّ لهم أبو يوسف يعقوب الكندى سنة الجمع بينها ، فكانت له رسائل في الفلك والهندسة والكيمياء كما كتب في الفلسفة . وبذلك أصبحت الفلسفة هي المعرفة الشاملة بجميع العلوم . ولم يقتصر فلاسفة الإسلام على الفلسفة وحدها ، بل كان معظم علماء ، إما في العلم الرياضى وإما في العلم الطبيعى . وهذا هو سبب نهضة الفلسفة الإسلامية ، وارتفاع شأن علمائها ، كالحال في ديكارت وليبنز ، ولكل منهما نظريات رياضية جديدة . ولا تزال هذه السنة قائمة حتى الآن ، فهذا بوانكاريه وبرجسون وبرتراند رسل وهوايت هيدواينشتاين وغيرهم لم تصبح لهم كلمة في الفلسفة مسموعة إلا لامتلاكهم ناصية العلم الرياضى أو الطبيعى . ومن الغريب أن يقال إن الفلسفة الإسلامية اقتصرت على نقل علوم اليونان والوقوف عند شرحها . فهذا أبو نصر الفارابى ابتكر علم

على البرهان الغائى ، وفكرة التدبير ، بل لفظ التدبير ، مما ورد في القرآن الكريم .

وعند الفارابى : أن الله هو مبدع ، الكل .

وهنا ينظر المعلم الثانى في وجود الله إلى العلة الاولى ، وإلى الإبداع ، طبقاً لما جاء في محكم التنزيل من أن الله تعالى بديع السموات والأرض .

ويرى أبو على بن سينا أن الله واجب الوجود ، وذلك بعد قسمة الموجودات إلى واجب ويمكن ومستحيل . وهذه قسمة تعتمد على المنطق ، وقد درجت في براهين المتكلمين فيما بعد ، حتى لقد أورد محمد عبده في رسالة في التوحيد هذا البرهان .

أما أبو يوسف وأبو نصر فقد كانا أدنى إلى روح الإسلام وأقرب من نصوصه . وكان أبو على في برهانه فيلسوفاً مستقلاً الفكر لم يأخذ عن اليونان ، ولم يتأثر بالإسلام ، ولذلك هاجمه أبو حامد الغزالى في التهافت هجوماً شديداً .

ومن الطبيعى وقد برهن الفلاسفة على وجود الله أن يبرهنوا كذلك على الصلة بينه وبين العالم وأن يفسروا الظاهرة التى تعد أساس الأديان السماوية وهي النبوة والوحى .

وهذا كله هو موضوع التوفيق بين الدين والفلسفة . وقد زعم المستشرقون أن فضل الفلسفة الإسلامية يقف عند هذا التوفيق ولا يتعداه ، وسوف نبين أن لها أفضالاً كثيرة خلاف ما فطنوا إليه . وكان عمادهم في تصوير هذا التوفيق ما سجله أبو الوليد في كتابه ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال ، وسبقه أستاذه أبو بكر بن طفيل فصور هذه المشكلة تصويراً

يسمى المحدثون نظرية المعرفة ، والتي سماها القدماء « العلم » . وإنما عدلنا عن لفظ « العلم » إلى « المعرفة » ، لأن العلم (Science) في العصر الحاضر لإصطلاح خاص يقصده بمجموعة القوانين العامة المستمرة من المشاهدات والمؤيدة بالتجارب .

ولفلسفة الإسلام رأى في المعرفة ، ولعلماء الكلام رأى كذلك ، حتى لقد أفرد المتأخرون منهم بابا خاصا باسم العلم ، كما هو الحال في « المواقف » للإيجي مثلا . ولعلك تقول : وما شأن المتكلمين بالفلسفة وكيف تداخل بين هؤلاء وأولئك ؟ كان ذلك صحيحا في القرن

الثالث وابتداء الرابع ، حتى إذا كنا في القرنين الخامس والسادس ، اختلطت مباحث الكلام بالفلسفة ، وذلك باعتراف المتكلمين أنفسهم ، ويكفي أن تقرأ استهلال كتاب « العقائد » للنسفي الذي يقول فيه « قال أهل الحق : حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافا للسفسطائية لتحسن أنك يازم كتاب في الفلسفة لا في علم الكلام . وفي رأى الكثيرين أن الغزالي يعد بسبب كتابيه المقاصد والتهافت من الفلاسفة لا من المتكلمين أو الفقهاء أو الصوفية . وهذا هو رأينا أيضا . على أن نظرية المعرفة عند المتكلمين تلائم أغراضهم من إثبات الحقائق الدينية التي وردت في الشرع ، أما الفلاسفة فقد نظروا إلى المعرفة نظراً حراً من كل تأثير ديني .

ما هي طرق المعرفة ؟ أم الحواس أم العقل ؟ أم يوجد طريق آخر غير الحواس والعقل ؟ وكيف نصل إلى تكوين المعاني السككية

الموسيقى ، حتى لقد وصفه ابن قيم الجوزية في كتابه إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان ، بأنه سمي « المعلم الثاني » ، لأنه وضع التعاليم الصوتية كما وضع أرسطو المنطق فلقب بالمعلم الأول . وكان الفارابي إلى ذلك صاحب معرفة شاملة ، وهو صاحب « إحصاء العلوم » ، وقد أراد صديقا الدكتور عثمان أمين أن يفسر تسميته بالمعلم الثاني من أجل ذلك . وذهب الأستاذ زكريا يوسف في مهرجان ابن سينا الذي أقيم في بغداد إلى أن الشيخ الرئيس هو أول من وضع علم الموسيقى .

ولا نريد أن نخوض في تفصيل العلوم واحدا واحدا فنبين فضل فلسفة العرب على علم الفلك ، والرياضة ، والنبات والحيوان ، والكيمياء وغير ذلك ، فكتبهم التي نقلت إلى اللاتينية في العصر الوسيط هي التي عوّل عليها الأوروبيون في نهضتهم العلمية . غير أننا نريد الإشارة إلى هذا المعنى ، وهو أن فلاسفة المسلمين هم الذين سنوا سنة الجمع بين الحكمة والعلم ولعل لفظ « الحكيم » الذي يعنى به العامة « الطبيب » ، إنما يرجع إلى أن أطباء الإسلام كانوا فلاسفة وحكماء في الوقت نفسه . ولا غرابة بعد ذلك أن تجد سيرة الفلاسفة في كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة .

نظرية المعرفة :

ومن المسائل التي تضرب في الفلسفة إلى العميق ، بل التي تعد جوهر الفلسفة ، هذه المسائل التي

ابن سينا، ولكننا نشير إلى أن النجاة والشفاء قد ترجعا إلى اللاتينية، ولا نستبعد أن يكون ديكارت وكانط قد تأثرا بالشيخ الرئيس في كثير من آرائهما، كما بينا ذلك في بعض مباحثنا. ويضيف المتكلمون إلى طرق المعرفة طريقا جديداً، هو «الخبر الصادق»، ويذهب الفارابي إلى أن العلم إما أن يكون ربانيا وإما أن يكون إنسانيا. فالتعلم الرباني يحصل بالكشف والذوق والتعلم الإنساني يتم بالمشاهدة والتحصيل.

الأسباب والمسببات :

وهذه مسألة من أخطر المسائل الفلسفية نغنى بها نظرية السببية. وقد فتح بابها الغزالي ولا تزال المشكلة معروضة على بساط البحث حتى اليوم. خاض فيها هيوم، وكانط، كما عرض لها المحدثون المعاصرون.

يقول الغزالي إن النار إذا اقتربت من القطن أحرقتة، فيذهب الفلاسفة إلى أن النار «علة» الإحراق. فما معنى العلة أو السبب، أذلك في الأشياء الطبيعية، أم في عقولنا؟ فإن كانت الأسباب في الأشياء الطبيعية فإنها عادمة للعقل وتحتاج إلى مدبر يدبرها. وإن كانت السببية في عقولنا، فإن مرجع ذلك إلى «العادة»، التي ألفنا فيها النظر إلى تكرار وقوع الاحتراق بعد اقتراب النار من القطن. ويخلص الغزالي من ذلك كله إلى مسبب الأسباب وهو الله تعالى وهذا الذي يقوله الغزالي يشبه إلى حد كبير ما يقوله : «مالبرانش، تليذ ديكارت، حين يذهب إلى أن الأسباب الظاهرة إن هي

ولمى القضايا التي تحكم فيها بمعنى على معنى ؟ وهل المعرفة كلها مكتسبة أو نظرية، أو بعضها نظري وبعضها الآخر مكتسب ؟ .

لقد نظر فلاسفة اليونان في هذه المشكلات، أو في بعضها على الأقل، ولكنهم نظر لا يغنى. فهذا أفلاطون يحدثنا عن الجدول الصاعد من المحسوس إلى المعقول، ثم الجدول النازل من المعقول إلى المحسوس، ولكن رأيه شديد الغموض، أما فلاسفة الإسلام، فلاهم اشتغلوا كما ذكرنا بالعلم الرياضي والطبيعي وكانوا أطباء يعولون على المشاهدة والتجارب، فقد تأثروا بالمنهج العلمي. ونحن نجد نواة نظرية المعرفة عند الفارابي الذي جمع بين المعلومات المكتسبة من الحواس وبين العقل. ولكن الفارابي فيلسوف مركز، يكتب على طريقة «الفصوص». حتى إذا جاء أبو علي بن سينا بسط هذه النظرية في إفاضة. فالسكليات تكتسب بتجربتها من المحسوسات الجزئية، والأحكام العامة مستفادة من التجربة مثل «أن السقمونيا مسهل للصفر»، وذلك لمشاهدتنا ذلك كثيراً، كما حكى الشيخ في «النجاة». ونحن نجد هنا أن الرأي للطبيب لا للفيلسوف. ولكن ابن سينا يحدثنا إلى جانب ذلك أن العقل البشري فيه «أوليات»، أو «بدهييات»، مثل أن الشكل أعظم من الجزء، وأن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية وهذه من طبيعة العقل لا تستفاد من مشاهدة أو تجربة.

لا نود أن نعرض هنا بالتفصيل لمذهب

إلا « مناسبات » ، تبرز فيها الإرادة الإلهية .

أما هيوم ، فإنه أرجع السببية إلى قانون ارتباط المعاني في الذهن . وكان لهدمه مبدأ السببية أثر عظيم في فلسفة كانط ، الذي رأى في هدم السببية هدماً للعلم ، فذهب إلى أن السببية من جملة الصور الموجودة في العقل البشرى والتي تفرض فرضاً على الأشياء . ولم يجد برتراند رسل في كتابه الأخير « المعرفة الإنسانية » أدلة فلسفية يمكن أن تنقطع بالاعتقاد في السببية ، ولكنه أجازها ، لأن العلم لا يقف على قدميه إلا على هذا المبدأ . وهكذا نرى أن موقف الغزالي وبراهينه ونقده القوي ومناقشته العميقة كل ذلك لا يزال فتحاً جديداً في عالم الفلسفة . وهذا من فضل العرب على فلسفة اليونان ، بل على الفلسفة الحديثة .

العقل والنفس :

وقد نظر فلاسفة اليونان إلى العقل والنفس . ويعد كتاب النفس لأرسطو مرجعاً في هاتين المسألتين . وقد نقل إسحاق بن حنين هذا الكتاب إلى العربية ، وشرحه الإسكندر الأفروديسي ، وعرف العرب الأصل والشرح . ولكن مقالة أرسطو في العقل كانت أشبه بالرموز المستغلفة ، وهي إلى ذلك شديدة الإيجاز ، وأشار فيها إلى خلود العقل ، ومفارقة ، مما يتنافى مع مذهبه الطبيعي العام مما جعله يلحق علم النفس بالعلم الطبيعي .

ونحن نجد لفلاسفة الإسلام البارزين آراء في العقل والنفس ، مثل الكندي والفارابي

وابن سينا وابن رشد .

وأوضح هؤلاء جميعاً ، وأبعدهم أثراً في تاريخ الفلسفة ، سواء في الشرق أو في الغرب ، هو ابن سينا .

وقد ميز الشيخ الرئيس بين النفس والعقل ، فالنفس الإنسانية حين اتصالها بالبدن تسمى النفس ، فإذا فارقت بعد الموت تسمى العقل .

وساق ابن سينا أدلة كثيرة على وجود النفس وامتيازها عن البدن ، منها برهان « الأنا » ، حين تقول أنا فعلت كذا أو كذا . وبرهان الرجل الطائر الموجود في الشفاء وبرهان الشعور بالأحوال النفسية واستمرارها . وقد تنبه المستشرقون إلى أن دريكارت متأثر في برهانه المشهور ، « أنا أنكر » ، إذن أنا موجود ، ببراهين ابن سينا ، ولا سيما وقد كانت كتبه مترجمة إلى اللاتينية ومتداولة في أوروبا . وكذلك تلتقى آراء الشيخ بآراء وإيم جيمس وبرجسون في العصر الحديث .

إلا أن المسلمين بعد ابن سينا ، لم يجدوا مع الأسف في الفلسفة ، ولم يتابعوا النهضة التي بدأها الكندي وسار على هداها الفارابي حتى انتهت إلى المعلم الثالث .

وانتقلت الفلسفة إلى أوروبا ، وشقت طريقها ، وظلت تتقدم حتى اليوم .

وليس يبعد أن نرى الفلسفة تعود مرة أخرى إلى الشرق ، فتنبؤاً ما كان لها من منزلة على يد المعلمين الثاني والثالث .

أحمد فؤاد الأهواني

تدعيم الإسلام للأسرة

للمكتوبة على عبد الواحد وافي

والالتزام، ومدى مسؤوليته عن تصرفاته وأعماله وعن أعمال غيره من بقية أفراد أسرته الخاصة وأسرته العامة وهما عاقلته أو عصبته وذوو أرحامه أو أقرباؤه من جهة الأب ومن جهة الأم، والنظم الحكيمة التي قررها بصدد الأرقاء والموالي من الجذيين وعلاقتهم بأسيادهم وحقوقهم وواجباتهم وشئون أسرهم الخاصة والعلاقة بين السيد ورقيقاته وأولاد الجوارى من أسيادهم ومن غيرهم، والأسس التي أقام عليها شئون البنوة والقرابة والنفقة والرضاع والحضانة وتعدد الزوجات والصلح بين الزوجين والتحكيم فيما ينجم بينهما من خلاف والطلاق والميراث والوصية.. وهلم جرا.

وغنى عن البيان أن المقام لا يتسع للكلام على ما جاء به الإسلام من نظم في جميع هذه الشئون. هذا إلى أن معظمها قد قتله العلماء بحثاً في مؤلفات الفقه والشريعة المقارنة وتاريخ الظلم الإسلامية، وأصبح الكلام فيه من نافلة القول. ولذلك سنقتصر في مقالنا على بيان ما جاء به الإسلام من تدعيم لنظام الأسرة في أربعة مواقف لم يوجه إليها الباحثون من قبلنا عناية كبيرة، ولم يوفوها حقها من الدراسة، ولم يبينوا ما لها من آثار خطيرة في هذا الصدد: وهي مواقف حيال نظام التبني، ونظام الاعتراف بالولد، ونظامي الادعاء، والخلع، في القرابة.

تتأثر شئون المجتمع تأثراً كبيراً بمقومات الأسرة وما تعتمد عليه من دعائم. فإذا قامت الأسرة على أسس قوية سليمة استقرت أحوال المجتمع وتوطدت أركانه؛ وإذا وهنت قواعد ما اضطربت حياته واختل توازنه. فالأسرات، كما يقول أوجيست كونت، مظهر علم الاجتماع، هي الخلايا الأولى التي يتألف منها جسم المجتمع، فبصلاحها يصلح هذا الجسم، وبفسادها يدب إليه السقم والانهلال.

ولذلك وجه الإسلام قسطاً كبيراً من عنايته نحو تدعيم نظام الأسرة، وتخليصها من شوائب الضعف، وإحاطتها بما يكفل لها الصلاح والاستقرار. فلم يغادر أية ناحية من نواحيها إلا أقامها على نظم رشيدة، وقضى على ما كانت تسير عليه عند العرب وغيرهم من طرائق معوجة فاسدة. ذلك كان موقفه في شئون الخطبة، واختيار الزوج لزوجته، ومراعاة الكفاءة بين الزوجين، ونظام المهور، وإجراءات عقد الزواج وإشهاره، وما أضفاه على هذا الميثاق من قدسية وجلال، وما قررته في حقوق كل من الرجل والمرأة والأولاد والأقرباء وواجباتهم بعضهم حيال بعض، وتنظيمه لاقتصاديات الأسرة وتوزيع وظائفها وأعبائها بين أفرادها، وتحديد الشخصية المدنية لكل منهم، ومبلغ ما يتمتع به من حرية في التملك والتعاقد

نظام الأسرة الإنسانية : « ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه . . . وما جعل أدعياءكم^(١) أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لأبائهم هو أقسط^(٢) عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم^(٣) . »

ولحرص الإسلام على القضاء على هذا النظام ، وإزالة جميع آثاره ، ولقوة تأصله في نفوس العرب لم يكتف بإلغائه بالقول ، بل رأى أن يمحوه كذلك بطريق عملي وبفعل الرسول نفسه ، فأوحى الله تعالى إلى نبيه أن يتزوج مطلقة زيد بن حارثة الذي كان قد تبناه قبل الرسالة ، ليعين للناس يطريق عملي أنه لا تبني في الإسلام ، وأن الدين الجديد قد قضى على هذه القرابة المصطنعة ، ومحاه جميع آثارها ، وأحصل ما كانت تحرمه ، ومن ذلك زواج الرجل بمطلقة من تبناه ، وذلك أن العرب في الجاهلية ، لإنزالهم الدعوى منزلة الابن من جميع الوجوه ، كانوا يحرمون على من تبناه أن يتزوج بمطلقة كما يحرم على الأب الزواج بمطلقة ابنته من صلبه . فجاء زواج الرسول عليه السلام بمطلقة زيد تقريراً عملياً لإلغاء هذا النظام وما يترتب عليه .

هذا ، وقد تخطت كثير من المؤرخين والمفسرين تخطأ كبيراً في بيان الأسباب التي دعت الرسول إلى الزواج بزینب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة

١ - أما نظام « التبني » ، فيجيز للإنسان أن يتخذ فرداً غير منحدر من صلبه ولدأ له ؛ فيعامل هذا الغريب معاملة أولاده أمام القانون والمجتمع وينعم بحقوقهم ، وتقع عليه أعباؤهم وواجباتهم . وقد عمل بهذا النظام كثير من الأمم في العصور القديمة والوسطى بشروط وأوضاع تختلف باختلاف الأمم التي أخذت به . وكان العرب في الجاهلية يطبقونه في نطاق واسع ؛ حتى لقد كان يسدر أن نجد من بين سراهم وأوساطهم من ليس له ولد أو أولاد بطريق التبني . ولقد تبني الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه قبل رسالته زيد بن حارثة ، مع أنه كان معروف الأب والأم . وذلك أن أم زيد هذا قد خرجت به لزيارة أهلها ، فسطا عليها بعض الأعراب وخطفوا منها ابنها ؛ وكان الخطف رافداً من روافد الرق في الجاهلية . فباعوه بيع الأرقاء مع أنه معروف النسب ومن أسرة عربية عريقة . وظلّ يلتقل من يد إلى يد حتى وقع أخيراً في يد خديجة . وقد وهبته خديجة لزوجها محمد بن عبد الله ، فأعتقه وتبناه قبل الرسالة .

ولا يخفى ما يؤدي إليه نظام التبني من اختلاط في الأنساب ، وتوهين لحرمة القرابة ، وإضعاف لوشائج الدم ، وإفساد لمقومات الأسرة ، وإثارة لعوامل الفتنة والضغينة ، وإضرار لنار الشقاق والنزاع بين العشائر والأسرات .

ولذلك حرمه الإسلام تحريماً قاطعاً ، وأنكره القرآن في عبارات قوية تنم^{*} على شدة تعارضه مع الدعائم السليمة التي ينبغي أن يقوم عليها

(١) المقصود بالأدعياء في الآية : الذين كان الناس يتخذونهم

أولاداً بطريق التبني .

(٢) أعادل .

(٣) سورة الأحزاب آيتي ٤ ، ٥ .

وقد قصد الإسلام بهذا الاستثناء أن يشجع الناس على حماية اللقطاء وأن يحقق لهؤلاء من رعاية الأسرة وألفة القرابة والتنشئة الصالحة والحقوق المدنية ما لا يمكن أن يتحقق لامثالهم بدون هذا الإجراء .

٢ - وأما نظام « الاعتراف بالولد » ، فيقضى ألا يلتحق نسب الولد بأبيه الشرعى إلا إذا اعترف به اعترافاً صريحاً ورضى أن يلتحق نسبه به . وكان هذا النظام سائداً عند كثير من الأمم في العصور القديمة والوسطى . فعند قدماء الرومان مثلاً كان إذا ولد لعميد الأسرة ولد من زوجه الشرعية وجب تقديمه له ، بأن يوضع على عتبة حجرته ؛ فإذا قام وضمه إلى صدره كان ذلك اعترافاً منه ببنوته ، وإذا تركه ملقى على العتبة اعتبر أجنبياً عنه وعن أسرته ^(١) . وكذلك كان شأن العرب في الجاهلية . فكانت البنوة في كثير من عشائهم لا تثبت لمن يحبىء من الزوجة الشرعية إلا باعتراف صريح من الأب .

ولا يخفى ما ينطوى عليه هذا النظام من استهانة بحرمة الزواج ، واستخفاف بميثاقه ، واستبداد بشئون الأسرة ، وإخضاعها لاهواء الأزواج ونزواتهم ، ونيل من كرامة الزوجات ، وتعرض الأولاد للضياع ، وحرمانهم من أعز الحقوق الإنسانية وألزمها للحياة ، وتفرقة ظالمة بين الإخوة والأخوات ، وزلزلة عنيفة لدعائم النظام

مع أن القرآن نفسه بَيَّن بصريح العبارة أن السبب في ذلك حرص الشارع على القضاء على نظام التبنى ومحو آثاره بطريق عملي بفعل الرسول نفسه . وذلك إذ يقول : « فلما قضى زيد منها وطراً ^(٢) زوجناكم ، لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ^(٣) » ، ولتوكيد هذا الحكم يقول الله تعالى في الآية التي بين فيها من يحرم الزواج بهن : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت .. وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم » ^(٤) ؛ أى إن الأبناء الذين يحرم على الآباء الزواج بمطلقاتهم هم الأبناء الذين ينحدرون من أصلابهم لا الذين يجيشون عن طريق الادعاء والتبنى الذى قضى عليه الإسلام

ولم تستثن الشريعة الإسلامية من ذلك إلا حالة واحدة وهى حالة اللقيط الذى لا يعرف نسبه ؛ فتتيح أن يلتحق نسبه بمن التقطه إذا قبل أن يلتحق نسبه به أو بأى شخص آخر يدعيه إذا لم يدعه الملتقط نفسه (أما إذا ادعاه الملتقط وادعاه فى الوقت نفسه شخص آخر فالمملتقط أولى به) ؛ ويصبح فى جميع هذه الأحوال من أولاد من ادعاه ، سواء أكان الملتقط أم غيره ويعامل معاملة من معظم الوجوه ^(٥) .

(١) كناية عن طلاقه إياها .

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٧

(٣) سورة النساء آية ٢٣

[٤] انظر فى ذلك الميدانى على القدورى [المطبعة الأزهرية سنة ١٩٢٧] صفحة ١٩٦ وبدائع الصنائع للكاسانى [مطبعة الجالية سنة ١٩١٠] الجزء السادس صفحة ١٩٨ .

[١] انظر فى كتابنا فى « الأسرة والمجتمع » ، صفحتى ١٣ ، ١٤ من الطبعة الثانية .

بما لكها ، وأن هذه الصلة ليست قائمة على ميثاق وتعاقد بل قائمة على ملك اليمين ، وأنه ليس مفروضاً دائماً أن يعاشر السيد جاريته ويستمتع بها كما هو الشأن حيال زوجته الشرعية ، بل يجوز له ذلك ، ويجوز له أن يزوجه لرفيق مثلها أو لحر^(١) ، كما يجوز له أن يقصرها على شئون الخدمة والعمل . فكان من العدالة إذن ألا يلتحق نسب ولدها به إلا بأدعائه أى باعترافه اعترافاً صريحاً بمعاشرته إياها وبأن الولد من صلبه . وقد كان السيد ملزماً بديانة ، أى فيما بينه وبين ربه ، أن يعترف بالولد الذى يجيء من معاشرته لرفيقته .

٣، ٤ - وأما نظاماً الادعاء ، و« الخلع » ، فى القرابة فيجيز أولها لعמיד العشيرة أو لمجمع شيوخها أن يضم إليها بطريق الادعاء فرداً غربياً عنها فيصبح عضواً فيها ويشارك أفرادها فى مختلف حقوقهم وواجباتهم ، ويبيح له ثانيهما أن يخلع أحد أعضائها الأصليين عن ذمتها ويقطع صلتها به ، فيصبح « خليعاً » ، أجنبياً عنها من جميع الوجوه .

وقد أقر هذين النظامين أمم كثيرة فى العصور القديمة والوسطى بشروط وأوضاع تختلف باختلاف اتجاهاتها فى التشريع . وكان العرب فى الجاهلية يطبقونهما فى نطاق واسع . وقد شاع

العائلى ومقوماته على العموم .

ولذلك حارب الإسلام هذا النظام فى جميع مظاهره ، ولم يأل جهداً فى القضاء عليه . فقرر أن « الولد للفراش »^(١) ، أى إن من يجيء من الأولاد ثمرة لفراش صحيح قائم على عقد الزواج يلتحق نسبه بالزوج من غير حاجة إلى اعترافه به اعترافاً صريحاً . وأخذت الشريعة الإسلامية بهذا المبدأ حتى فى الحالات التى يبدو فيها تعذر اتصال الزوج بزوجه ، كما إذا عقد مشرقى على مغربية بدون أن يتصل أحدهما اتصالاً ظاهراً بالآخر ، وظل كل منهما مقياً فى بلده ، ثم جاءت الزوجة بولد بعد انتهاء مدة الحمل الشرعية فإنه يثبت نسبه من الزوج بدون حاجة إلى اعترافه به اعترافاً صريحاً^(٢) .

ولم تستثن الشريعة الإسلامية من ذلك إلا من تجيء به الرقيقة التى لم يزوجه سيدها لشخص آخر ؛ فإنه لا يثبت نسبه من سيدها ولا يعتبر ولده إلا إذا اعترف به اعترافاً صريحاً^(٣) . والسبب فى ذلك أن صلة الجارية بمولاه ليست صلة زوجة بزوجه بل صلة مملوكة

[١] حديث نبوى ونصه « الولد للفراش وللغاهر الحجر » وقد ورد فى خطبة الوداع للإسول عليه السلام . ومعنى الجملة الثانية من الحديث أن من يثبت عليها الزنا بالآدلة القاطعة التى قررها الإسلام ينتفى نسب ولدها من زوجها ويجب رجها بالحجارة .

[٢] انظر فى ذلك مقالاً فيما لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت فى عدد ٤٥/١ من جريدة المصرى .

[٣] انظر الميدانى على القدورى صفحة ٣٦٧ ، وبدائع الصنائع ، جزء رابع ، صفحة ١٢٥ .

[١] وفى هذا يقول الله تعالى : « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم » [سورة النور ، آية ٣٢] والفعل فى الآية بهززة قطع من الرباعى بمعنى زوجهم .

ولم تستثن الشريعة الإسلامية من ذلك إلا حالتين ، أوجبت في إحداهما قرابة غير قائمة على صلات الدم ، وأجازت في الأخرى هذا النوع من القرابة ، مراعية في هذه وتلك صالح الأفراد والصالح العام .

وأما إحداهما فتتمثل في نظام «مولى العتق» ، وهو الذى يصبح بمقتضاه العبد بعد عتقه ، في نظر الإسلام ، عضواً في أسرة سيده يشترك مع أفرادها في كثير من حقوقهم وواجباتهم ، حتى لقد كان يجب عليها أن تدفع عنه الدية ، إذا ارتكب جنابة توجب الدية ، كما تفعل ذلك حيال أعضائها الأصايب ، وكان سيده يرثه إذا مات ولم يترك عسبة . وقد قصد الإسلام من ذلك إلى غرض إنسانى سام وهدف عمرانى نبيل ، وهو أن يكمل نعمة الحرية للعبد بعد تحريره ، فيجعله مساوياً في الحقوق والواجبات لأفراد الأسرة التى كانت تملكه ، ويجعل له من هذه الأسرة درعاً تحمى حريته الطارئة وتدرأ عنه ما عسى أن يوجه إليه من عدوان ، ويسبغ عليه فوق هذا وذاك صفة من أهم الصفات الاجتماعية التى يمتاز بها الحر عن العبد إذ لا يعدد الأول عضواً في أسرة وعشيرة بينما يعد الثاني فرداً لا أسرة له ولا عشيرة .^(١)

وأما الأخرى فتتمثل في نظام «مولى الموالاة» ، وذلك أن الشريعة الإسلامية تجيز لغير العرب إذا كان مجهول النسب أن يتخذ له ولياً من أسرة

لديهم على الأخص نظام «الخليع» ، وكانوا يلجئون إليه في الغالب لمجازاة أحد أفراد العشيرة لحصول أو أعمال تتعارض مع عرفها أو نظمها أو آدابها أو عقائدها . فإذا وقع عليه هذا الجزاء أصبح «خليعاً» ، غريباً عن عشيرته لا تعده من أفرادها ، فلا تؤخذ بجرائر أعماله ولا تنأى له إذا قتل . وقد طلب كفار قريش الذين ضاقوا ذرعاً بمحمد عليه السلام وبدينه الجديد إلى عمه أبى طالب أن «يخلعه» ، حتى يستطيعوا قتله بدون أن يخشوا مطالبة بنى هاشم بثأره .^(٢)

وجميع ما قلناه في مثالب نظامى «التبني» ، و «الاعتراف» ، وآثارهما الهدامة وتقويضهما لدعائم الأسرة واعتدائهما على الكرامة والحقوق وإضرارهما لنار الفتن والشقاق يصدق أكل صدق على نظامى «الادعاء» ، و «الخلع» ، في القرابة . ومن أجل ذلك حرمهما الإسلام تحريماً باتاً كما حرم الظالمين الأولين ، وقرر أن القرابة ليست هبة تمنح ولا رداء يخلع ، وليست خاضعة لإرادة الناس ولا لأهوائهم ، وإنما هى وشيجة دم لا يُلقّاها من لم تعطها له الطبيعة ، وعروة وثقى تفبعث عن لمة النسب ولا تنفصم عن امتزجت به .

[١] لم يذعن أبو طالب لرغبتهم هذه . ولما علموا ببيعة الأنصار له اتفقوا على أن يختاروا من كل قبيلة فتي جلدًا ويذهب هؤلاء الفتيان إلى محمد ويقتلونه معه ، وبذلك يتفرق دمه بين القبائل ، فلا يقوى بنو هاشم على محاربة جميع العرب . ولكن الله تعالى كتب لرسوله النجاة ولدينه البقاء بهجرته مع صاحبه إلى المدينة في اليوم نفسه المحدد لتنفيذ جرمهم

[١] أنظر في موضوع «مولى العتق» ، الميداني على القدوري ٢٧٤ - ٢٧٦ ، والبدائع الجزء الرابع ١٥٩ - ١٧٠

العلمي عند العرب ، وخاصة إذا قورن بالعالم الحديث ، فكلنا يعلم أن العلم الأوربي الحديث قد أنتج للبشرية الكهرباء والطائرات والراديو وأنواع العلاج الطبي والمستحضرات الزراعية والصناعية ووسائل الترفيه والتسلي وأدوات الهلاك والدمار. فلنا أن نسأل هل أنتج العلم العربي قديماً ما يقارن بمستحضرات العلم الحديث ؟ والجواب بالنفي . ولكن يلزم أولاً لتقدير قيمة العلم العربي الحقيقية أن نوضح الفرق بين العلم القديم والحديث .

١ - العلم قديماً وحديثاً :

إن العلم الحديث أشبه شيء بجبل الناج الطافي الذي يظهر منه فوق سطح الماء جزء ويختفي منه تحت الماء تسعة أجزاء ، فالناس عامة يرون من العلم الاختراعات والابتكارات والمستحضرات التي تتصل بحياتهم اليومية أو بثقافتهم العادية وهذا هو العشر الظاهر ، أما الذي لا يظهر لهم فهو الأسس النظرية والعملية للمعرفة العلمية والجهود المضنية التي يبذلها مثات العلماء في خلال عشرات السنين في البحث والدرس والتنقيب وإعمال الفكر وعصر الذهن ، سعياً وراء المعرفة وتجميعاً لكل دقيق من خيوطها والعمل الأخير - وهو الأهم في العلم - لا يقدره الناس عامة حق قدره ، لأنه غير ظاهر أمام أعينهم ، فلو قلت لهم مثلاً إن عالماً جليلاً في معهد علمي أجنبي قضى طيلة حياته يدرس طبائع نوع واحد من أنواع الحشرات وأنه أصبح حجة في هذا الفرع وأنه منح لذلك أكبر الجوائز العلمية ، إذا قلت ذلك فللقارئ العادي أن يعجب من غرابة أطوار

الرأى عند الثقافات أن العلم الإسلامي قد بلغ أوج ازدهاره في النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى . وهم يدلون على ذلك بكثرة العلماء الفطاحل في ذلك العصر وقوة الابتكار التي تظهر في أعمالهم ، وفي تميز نتائجهم العلمي عن علوم اليونان والهند وغيرها من الأمم السالفة التي كان العرب ينقلون عنها في مبدأ الأمر . ومعنى ذلك أن العلم الإسلامي كان قد تأصل في بيئته وأينع وأثمر ولم يعد حالة على غيره وغدا قائماً بنفسه مبدعاً بذاته .

وربما يتساءل المرء عن القيمة الحقيقية للتقدم

معروفة ، يرتبط معه بعدد صريح ، فيصبح بمنزلة عضو في أسرة هذا الولي ، يدفع عنه الولي الدية إذا ارتكب جناية توجب الدية وورثه إذا مات ولم يترك وارثاً . ويسمى من يكتسب قرابته عن طريق هذا العقد « مولى الموالاة » (١) . - وقد قصد الإسلام من هذه الرخصة أن يحقق للمستضعفين من الناس سنداً وحماية في المجتمع الذي يعيشون فيه . ولذلك لم يحجبها إلا لشخص غير عربي مجهول النسب ، لأن العربي ليس في حاجة إلى هذه الحماية ، لأنه محمي بعشيرته وذو النسب المعروف من غير العرب ليس في حاجة إليها كذلك ، لأنه في ظلال أسرته ، وانتاؤه لغيرها يؤدي إلى اختلاط الانساب واضطراب الأسس التي يقوم عليها نظام القرابة .

على عبد الواهم والى

[١] انظر في موضوع « مولى الموالاة » : الميداني على القدوري ٢٧٦ ، والجزء الرابع من البدائع ١٧٠ - ١٧٣

فالحق يقال إن أبا سهل الكوهي قد أضاف نتائج من ابتكاره إلى حقائق علم مراكز الانتقال وإنه بذلك قد ساهم في وضع أساس علم توازن الأجسام الحديث الذي يستعمل كل يوم في صناعة الطائرات والسفن وكل قائم أو دائر من الآلات والمنشآت .

وهذا بيان ما نقوله بأن العلم القديم كان بطيء التطور ضعيف الرابطة بالمجتمع المعاصر له ، أما إذا نظرنا إلى العلم الحديث ، فإننا نجد مثلاً أن فطر (البنسليين) يعرف في المخترعات العلمية وتوضح خصائصه الحيوية ، ثم لا تمضي بضعة سنوات حتى يكون منها دواء شاف يستعمله الناس أهم به الفائدة ويصير اسمه على كل لسان ، ذلك أن العلم في المجتمع الحديث سريع التطور قوى التفاعل وثيق العرى ، ولم يكن الأمر كذلك من قبل .

فإذا تكلمنا اليوم عن العلم الإسلامي أو العلم اليوناني نكون قد حددنا عن جادة الصواب إذا سلكنا في تقديره سبيل البحث عن الاختراعات والابتكارات التي نتجت عنه . فالزراعة والطب والهندسة والملاحة عند العرب وهي كلها فنون عملية كانت لا تعتمد على نتائج العلم المعاصر لها في أغلب الأمر ، إنما كانت تستمد معرفتها من العلم القديم الذي سبقها بعشرات القرون وكان قد تأصل في المجتمع كحزمة يتوارثها أصحاب الصنائع والحرف . وأولى بنا أن ننظر إلى علم الأقدمين لنقدّر ما فيه من قدرة عقلية على الابتكار وما فيه من جهد ذهني وتفكير صحيح .

ولما كان العلم القديم منفصلاً عن التطبيق العملي إلى حد كبير ، فإنه كان يقوم إما على رغبة

العالم ولعله يحكم عابه بالشذوذ أو الجنون ، ولعله يأسف على ما بذل من جهد وما ضاع من مال سعياً وراء طبائع إحدى الحشرات . ولكنك إذا قلت له بعد ذلك إن تلك الحشرة عندما درست حياتها كشفت الطريق أمام الباحثين فعرفوا الميسدات الحشرية وأنفذوا محاصيل زراعية تقدر بمئات الملايين من الجنيهات ، عندئذ لا يستكثر المرء أى جهد ولا يستقل أى نتيجة يصله إليها العلماء ، فالعلم الظاهر للجمهور يسبقه ويرتبط به علم كثير لا يقدره الجمهور .

والآن نرجع إلى العلم الحديث فنقول : إنه سريع التطور والارتباط بالمجتمع ، بينما العلم القديم كان بطيء التطور ضعيف الارتباط بالمجتمع . انظر مثلاً إلى (أبي سهل الكوهي) عندما يكتب إلى (أبي إسحاق الصبائي) قائلاً :

« وأما مراكرز الانتقال فيبقى منها شيء يسد حتى يتم ست مقالات متوالية ، أربع منها عملتها هاهنا بالبصرة ، واثنان ببغداد . أما في أربع المقالات التي عملتها هاهنا فقد ظهر لنا فيه أشياء عجبية يدل كلها على نظم أفعال الباري عز وجل . منها . . . ثم يسترسل في بيان مراكز انتقال الأشكال المسطحة والمجسمة المختلفة بفتائج بدیعة لأنها نتائج علمية صحيحة كانت مبتكرة في حينها واعتبرت أساساً لكل البحوث التي أتت من بعدها إلى العصر الحديث . ولكننا بحوث لم تؤد حقيقتاً بذاتها إلى أى اختراع عملي ، فلم تظهر قيمتها للعامة . ولكن العلماء يقدرونها حق قدرها وهي اليوم من أسس علم الميكانيكا وتوازن الأجسام الذي هو بدوره ركن من أركان الحضارة الحديثة كلها .

ودرراً من العلم فريدة ، جعلت الثقات من العلماء يعترفون بلا مرأ أن التراث العلى عند العرب لها تدنر به الحضارة وأنه بلغ أوج ازدهاره فى النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى .

٢ — العلم عند العرب :

إن العالم المبتدى إذا رغب اليوم فى بحث موضوع يبدأ أول ما يبدأ فى الاطلاع على بحوث من سبقوه فى دراسة نفس الموضوع ، فإذا حصل على ذلك زاد على علمهم وأضاف إلى نتائجهم . وهذا هو المنهج الذى تبعه علماء العرب ، فقد بدأوا بالاطلاع على كتب الأقدمين ، وخاصة اليونان والهنود الذين كانت لهم حضارة علمية زاهرة سابقة على عهد العرب بقرون عدة وكانت تلك المؤلفات بلغات غير اللغة العربية ، ولذلك لزم ترجمتها وتعريبها ، فكانت المرحلة العلمية الأولى عند العرب هى الترجمة والنقل . ولا ضير فى هذا ، بل هذا هو عين الصواب . وقد تم النقل فى صور مختلفة ؛ فوجدت مدارس للترجمة فى صدر الدولة العباسية وأرسلت البعوث إلى بزنطة غرباً والهند شرقاً لتستحضر نفائس المخطوطات للتعريب .

وكانت الترجمات الأولى فى الغالب ركيكة الأسلوب ، سقيمة معقدة غير واضحة ، ولم يكن المترجمون أنفسهم فى العادة قادرين على استيعاب ما فيها أو مناقشته ، فكثرت فيها الأغلط ولزم إعادة ترجمتها وشرحها شرحاً وافياً (*) .

[*] حكى عن الفارابى أنه قرأ كتاب النفس لارسطو مائى مرة وذكر ابن سينا عن نفسه أنه قرأ كتاب ما بعد الطبيعة أربعين مرة من غير أن يفهم ما فيه .

العلماء أنفسهم فى الانقطاع له والعكوف عليه دون انتظار جزاء أو أجر ، أو كان يقوم على تشجيع الأمراء والخلفاء ونهراء العلم والمعرفة . فلم يكن الانقطاع للعلم حرفة يتكسب بها المرء عن سعة إلا إذا تلقفته أيدى المرأة وأولى النفوذ من الحكام والولاة . وبذلك نشأ علم (البلاط) أى العلم الذى يتحابل به العلماء للبقاء فى حاشية الأمراء . فكان من العلماء من يدرس التطبيق ومنهم من يدرس التنجيم ومنهم من يسعى وراء إكسير الحياة أو حجر الفلاسفة ، وكل هذه مباحث زائفة واسكنها محبة إلى الولاة والأمراء الذين يبيعون طالماً سعيداً أو كنوزاً من الذهب أو هبة تطيل العمر وتمد لهم فى حبل الحياة . وهكذا اختلط العلم القديم دائماً بعلوم زائفة ، فاختلط الطب الصحيح (بفوائد) سحرية وأحجية وتمائم ، واختلط علم الفلك الصحيح بالتنجيم والكشف عن الغيب ومعرفة الطالع ، كما اختلط علم المعادن والكيمياء بأبحاث إكسير الحياة وحجر الفلاسفة الذى يحيل المعادن الحسيسة إلى معادن نفيسة (•) .

وخلاصة القول أن على الباحث فى علم الأقدمين أن يقدر أنه علم منفصل عن المجتمع الذى يعاصره وأنه حينما يتصل بالمجتمع يختلط به علم فاسد كثير ، فإذا قدر هذا كله واستصنى ما تبقى فإنه يجد كنوزاً من المعرفة الصحيحة

[•] ولا يحسن المرء أن الأقدمين وحدهم هم الذين خلطوا العلم الصحيح بعلم فاسد ، إذ أننا نجد فى عصرنا الحاضر حكماً أذلوا العلم وأفسدوه إما لإفساد . وأقرب مثل على ذلك نظرية الجنس والدم الأروى الذى أوجدتها النازية على غير أساس صحيح تدعى لمبادئها السياسية .

وقد بقي منار العلم مضاء في الدولة الإسلامية خمسة قرون أو يزيد، ثم خبا نوره وتلقفه منهم الإفرنجية في أوروبا. وقد بدأ الأوربيون نهضتهم العلمية بالطريقة التي بدأها بها العرب، أي بالنقل والترجمة عن العرب والاطلاع على الكتب القديمة. وما يسر لهم ذلك اتخاذهم اللاتينية لغة للتخاطب فيما بينهم ودراساتهم اليونانية كلغة أصلية لمصادر علمية كثيرة.

ولسكن علماء أوروبا منذ أواسط القرن السابع عشر، كانوا قد انتقلوا إلى مرحلة جديدة من مراحل العلم، هي ارتباطه بمسائل المجتمع والحياة وازدياد ترابطه بها وتفاعله معها، وفي تلك المرحلة تقدم العلم تقدماً كبيراً وارتقى رقباً مضطرباً لا زلنا نلحس آثاره كل يوم حتى الآن. أما العلم عند العرب فقد باغ القمة بعد أن كانت الدولة ذاتها قد أخذت في التدهور والانحدار وبدأ السترك والتتار في المشرق والإفرنجية والبربر في المغرب ينتقصون من أطراف تلك الدولة وهؤلاء لم يكونوا أصحاب ثقافة قديمة ولم تكن لهم بالعلم حاجة ولم يكنوا له من التقدير والإجلال مثلما كان يفعل الأمراء والخلفاء في عهد الدولة الإسلامية (*) لذلك خبا نور العلم ولم يدخل في مرحلة التطبيق العلمي والتفاعل مع المجتمع كما حدث للعلم الأوربي الحديث.

والناظر في تاريخ المعارف اليونانية قد يجد شبيهاً بذلك، إذ أن العلم الإغريقي باغ الذروة في

وكان العلم عند العرب يكتب للخاصة بمن يتدارسوه، وكانت المخطوطات تنسخ وتجلد لتوضع كالفائس والدرر في خزائن كتب الأمراء، فراجت تجارة استجلاب المخطوطات الصحيحة والزائفة سواء بسواء، بل إن الكثيرين من الكتاب والمؤلفين كانوا يصنعون الكتب بأنفسهم ويذهبونها إلى علماء من الهند أو إلى حكماء اليونان حتى يزيد قدرها في سوق المعرفة وتنال حظوة ويسعى إليها الساعون. والمؤلفات المنسوبة إلى هرمس الحكيم وحده دليل على ذلك.

وهكذا ضاعت معرفة كثيرة من التي نقلت نظراً لعقم الترجمة وكثرة الأخطاء، كما ضاعت معرفة كثيرة مبتكرة كان الفضل فيها للعرب بأن نسبت إلى حكماء أقدمين اكتساباً للشهرة والتجارة.

ثم انتهى دور النقل والاتباع وجاء دور الإنتاج والإبداع. فوضعت الشروح لأهم الكتب العلمية وكانت تلك الشروح تتضمن عادة الكثير من المعرفة المبتكرة، وانتشر العلماء في الدولة الإسلامية فكانت منهم فئة بالآندلس وأخرى بالقاهرة وثالثة بالشام ورابعة ببغداد والبصرة وأخرى في فارس وبلاد المشرق الإسلامي، وكان العلماء يتنقلون بين كل هذه العواصم وإن الثقافة الإسلامية كانت تجمعهم معاً وكانوا يتراسلون فيما بينهم ويتطرحون المسائل العلمية ويتبادلون المؤلفات والملاحظات فكانت وحدة إسلامية علمية على الرغم من تفسك الدولة ذاتها وانقسامها إلى خلافت متنافرة ودويلات متناصرة.

(*) كان العلماء العرب لا يسمح لهم بالرصد إلا إذا أقسموا يميناً بأن يكونوا أمناء فيما صادفهم في إثبات الملاحظة.

في مسائل المواريث وهي ضرورة دينية جعلت العلماء يبتغون سبيلاً إلى حل مسائلها العويصة فوجد علم الرمز ثم الجبر والمقابلة . وفي الطب استخدم العرب نباتات كثيرة لم تكن معروفة لدى الإغريق أو السريان ، ونقلوا معرفة الهند الطبية وتبحروا في الرمد وجراحة العيون خاصة نظراً لانتشار أمراض العين في بيئتهم الصحراوية . وهذه الملاحظات على صحتها لا تغير مما سبق أن أوردناه من أن العلم العربي إذا قورن بالعلم الحديث يبدو منفصلاً عن الحياة الاجتماعية .

٣ - أكبر علماء العرب :

ونورد فيما يلي تراجم مختصرة لأربعة من فطاحل علماء العرب في صدر القرن الحادى عشر الميلادى الذى كان بحق العصر الزاهر للعلم العربى . وكانت الخلافة الفاطمية بمصر ، بينما قامت الدولة الإسلامية فى الأندلس ودويلات وإمارات بنى بويه والغزنويين وغيرهم فى المشرق وفارس .

(١) ابن يونس المصرى

أما من القاهرة فبنو نجم ابن يونس الذى ولد فى مصر وتوفى فيها عام ١٠٠٩ ميلادية . وهو أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدى المصرى . اشتغل بالفلك فى مرصد بنى له على جبل قرب القسوط وجهاز بكل ما يلزم من الآلات والادوات ، وأمره العزيز أن يصنع زيجاً ، فبدأ به فى أواخر القرن العاشر للميلاد وأتمه فى عهد الحاكم بأمر الله وسماه

فى التقدم ، بعد أن كانت الدويلات الإغريقية ذاتها قد بدأت تنهار سياسياً أمام سطوة الرومان ذوى البطش والجبروت الذين عندما دانت لهم البلاد لم يساهموا هم أنفسهم بكثير أو قليل فى الحركة العلمية ذاتها وبقيت مراكز العلم القليلة قائمة فى الإسكندرية وفى جزائر البحر الأبيض وهى كلها معازل متفرقة للمعرفة اليونانية لم تلبث طويلاً حتى لحقها طوفان الرومان ففقت آثارها واندثرت من الوجود .

نذكر هذه الأسماء لنبين للقارىء أن تقدم العلوم عند العرب كان تقدماً حقيقياً لا شك فيه ، وأنه كان عظيم الأثر فى تطور العلم وانتقاله إلى أوروبا وأن العلم الأوروبى الحديث عندما بدأ اتخذ عين الخطوة التى انتهجها علماء العرب والإغريق من قبل وهى النقل والاستيعاب ، وأخيراً أن أهم ما يميز العلم الأوروبى الحديث عن العلم فى مراحل القديمة هو سرعة تطوره وارتباطه الوثيق العرى بواقع الحياة وتفاعله مع المجتمع الشئ الذى لم يهياً من قبل لا للعلم الإغريق ولا للعلم الإسلامى .

ولكن يقتضينا واجب الإنصاف أن نزيد أن العلم العربى اتصل بالمجتمع وتفاعل معه فى بعض النواحي مثل الفلك والجبر والطب ، ففى الفلك درست مواقيت الصلاة والملاحة البحرية واستمدت العرب فى هذا العلم معرفة كانت تطبق فعلاً فى أغراض عملية وكانت ضرورة تحديد المواقيت وتنظيم الأعياد فى ذاتها حافزاً للعلماء للتبحر فى هذا العلم .

أما الجبر والحساب فعلى الباحث يجد نشأته

(الزيج الحساكى) وصفه ابن خلكان بأنه
«زيج كبير رأيت في أربعة مجلدات ولم أر في
الآزياج على كثرتها أطول منه»، ورصد ابن
يونس الحسوف والسكسوف واقتران الكواكب
وأثبت بالرصد تزايد حركة القمر.

وينسب إلى ابن يونس أنه أول من استعمل
(الخطار) بندول الساعة الدقيقة، وبذلك سبق
غاليليو بستة قرون. وبرع في حساب المثلثات
وقد حل أعمالاً صعبة في المثلثات الكروية
وحسب جداول سنينية واخترع حساب
الاقواس وكذلك اخترع آلة الربع ذى الثقب.
ويقول عنه بعض معاصريه إنه كان شاذ
الطباع يضع رداءه فوق عمامته إذا ركب ضحك
منه الناس لسوء حاله وشذوذ لباسه، ولكن كان
له مع هذه الهيئة إصابة بديعة غريبة في النجامة
لا يشاركه فيها غيره، وكان متفتناً في علوم كثيرة.

(٢) ابن الهيثم

هو أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم. ولد
عام ٩٦٥م بالبصرة، وعاش في مصر في خلافة
الحاكم بأمر الله الفاطمي (٩٩٦ - ١٠٢٠)
وتوفي بالقاهرة عام ١٠٣٩م ويعتبر بلا منازع
أكبر علماء الطبيعة في الإسلام ومن أعظم الباحثين
عن علم الضوء في تاريخ البشرية جمعاء، اعترف
بالفضل له المحدثون والقدماء على السواء. قال
ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء:

«كان ابن الهيثم فاضل النفس قوى الذكاء متفتناً
في العلوم لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم
الرياضي ولا يقرب منه. وكان دائم الاشتغال

كثير التصنيف وافر التزهد...»

وجاء في كتاب تراث الإسلام «إن علم
البصريات وصل أعلى درجة من درجات التقدم
بفضل ابن الهيثم»، وقد درس الاستاذ مصطفى
نظيف، أخيراً حياة ابن الهيثم العلمية دراسة
مستفيضة في مجلدين نالا تقدير العلماء في مصر
والخارج، وكشف فيها عن مقدرة ابن الهيثم
العلمية، وبحوثه المفيدة التي بقيت زبراً لعلما
أوروبا خمسة قرون متوالية.

جاء في كتب التاريخ أنه نقل إلى حاكم مصر
أن ابن الهيثم وهو في البصرة قال «لو كنت بمصر
لعلمت في نيلها عملاً يحصل به النفع في كل حالة من
حالائه من زيادة ونقصان...»

فازداد الحاكم شوقاً وسير إليه سر أجملة من
المال ورغبه في الحضور، فسافر نحو مصر
ولما أناها ودرس أحوال النيل تحقق لديه أن
ما يقصده غير ممكن ففترت عن يمينه وانكسرت

همته «ووقف خاطره ووصل إلى الموضوع
المعروف بالجنادل قبل مدينة أسوان وهو موضع
مرتفع ينحدر منه ماء النيل، فعابته وباشره
واختبره من جانبيه فوجد أمره لا يمشى على
موافقة مراده، وتحقق الخطأ فيما وعد به وعاد
خجلاً منخدلاً واعتذر بما قبل الحاكم ظاهره
ووافقه عليه...» ثم يعد ذلك أحيطت حياته
بصعوبات كثيرة، وخشى الحاكم بأمر الله الفاطمي
«الذي كان مريباً للدماء بغير سبب أو بأضعف
سبب من خيال يتخيله...» فتظاهر بالجنون
والخبال.. ولم يزل على ذلك إلى أن تحقق من

واسعة وقدرته عظيمة وكان يحسن السريانية والنسكريزية والفارسية والعبرية عدا العربية كان حر التفكير راغباً في المعرفة يقبل على الدراسة . سافر إلى الهند فكتب عن تاريخها وجغرافيتها ونباتها وأثمارها وأهلها ودرس الفلسفة الهندية دراسة عميقة كاملة ، فكان أول من عنى بذلك من علماء الإسلام ، فكانه كان وحده بعثة عملية كاملة أحاطت بكل علم الهند وما فيها . فسبق بذلك نابليون عندما ما قدم إلى مصر واصطحب معه بعثة من أكبر علماء فرنسا مسح مصر وسجلت مشاهداتها العلمية في سفر جليل عرف باسم (وصف مصر) لا زال حتى اليوم من أعظم مفاخر العلم الفرنسى ومن أهم مراجع العلم والثقافة في مصر .

يقول سخاو العالم الالماني : إن البيرونى أكبر عقلية عرفها التاريخ ، واعتبره سارطون أعظم العلماء في عصره قاطبة ، ووضعه في مركز الصدارة بين علماء القرن الحادى عشر ومن بعده الرئيس ابن سينا وابن الهيثم وابن يونس والكرخى وغيرهم ولا يتسع المجال هنا لتفصيل كل كتابات البيرونى ومؤلفاته للعديدة التى يربى عددها على المائة والعشرين . وقد أوضح فيها كيف أخذ العرب الترقيم عن الهند وهى الأرقام التى عرفت عند العرب بالأرقام الهندية ، ثم انتقلت إلى أوروبا حيث تعرف حتى اليوم بالأرقام العربية تمييزاً لها عما سبقها من أرقام لائينية كانت مستعملة قديماً .

(٤) ابن سينا

هو الشيخ الرئيس أبو على الحسن بن عبد الله ابن سينا . ولد في بخارى عام ٩٨٠م وتوفى في همدان

وفاة الحاكم فأظهر العقل ، وعاد سيرته الأولى وخرج من داره واستوطن قبة على باب الجامع الأزهر مشغلاً بالتصنيف والنسخ والإفادة . وأهم مؤلفات الحسن بن الهيثم هو كتاب المناظر، الذى درس في أوروبا قروناً عديدة وتأثر به علماء باكون وكبلر وغيرهما من كبار العلماء الأوروبيين الأوائل . وتعتبر دراسته في تركيب العين وكيفية الإبصار أهم ما عرفته الإنسانية في حقبة طويلة تمتد حوالى العشرين قرناً .

وقد حاول قياس ارتفاع جبال الأرض بدراسة الشفق عند الفجر وعند الغسق ، وحل مسائل رياضية معقدة بطرائق مبتكرة . وشرح ظاهرة قوس قزح وظواهر ضوئية كثيرة . وله دراسات فلكية في الانكسار وأرصاد مختلفة متنوعة . وفى أواخر أيامه كان يعتكف في قبة أمام الأزهر يفسخ كتبه ويبيع منها بما يقيم أوده وييسر له العيش .

(٣) البيرونى

هو محمد بن أحمد أبو الريحان البيرونى الخوارزمى ولد في خوارزم عام ٩٧٣ ميلادية ثم التحق بشمس المعالى قابوس وأصبح بعد ذلك ذا حظوة لدى بنى مأمون ملوك خوارزم ، ثم ارتحل إلى الهند . ويقال إنه مكث فيها أربعين سنة . واستفاد البيرونى من فتوح الغزنويين للهند والمرجح أنه توفى في خوارزم عام ١٠٤٠ م .

والبيرونى أقرب مثل لشخصية العلماء الباحثين الموفقين ، فقد كانت حياته كلها بحث وملاحظة وتنقيب ، اشتغل بالرياضيات والفلك والتاريخ والجغرافيا ويعلم المعادن والطبيعة . وله أعمال في التاريخ الطبيعى والجيو لوجى وكانت ثقافته العلمية

وأنهم إذا قورنوا بقطاع العلماء في تاريخ العالم تكون لهم المكناة المرموقة ومركز الصدارة ، وأنهم بذكائهم واجتهادهم قد أحاطوا بالمعارف السابقة إحاطة شاملة ، ثم صنفوا التأليف المطولة المفصلة التي بقيت بعدهم مرجعاً لكل باحث وقرأناً لكل عالم خمسة قرون أو أكثر ، حتى استرجعت أوروبا في نهضتها علم العرب والإغريق وبدأت تزيد عليه زيادات كبيرة .

فأقول بأن العرب لم يكونوا سوى نقلة للعلوم القديمة وحفظها لها من يد الضياع قول مردود . والدليل على ذلك ، تلك الإضافات والبحوث المبتكرة التي تزخر بها المؤلفات العلمية الإسلامية الكثيرة التي لم تدرس بعد كلها دراسة وافية . وما درس منها يكشف دائماً عن إضافات مبتكرة وحقائق كانت خافية . ولعل واجب الأمانة أو الرغبة في اكتساب قدسية القوم كانت تفرض على علماء العرب ألا يبخسوا القدماء حقهم من الذكر عند تحرير مؤلفاتهم ، فالتصفح لها قد يبدو له لأول وهلة أن معظم ما فيها منقول عن السابقين والأمر في الحقيقة بخلاف ذلك .

ويجدر بنا أن نقول : إن الإسلام كدين لم يكن عائقاً أمام هؤلاء العلماء في طريق العلم والمعرفة ، وأن الحضارة الإسلامية كانت تقبل بل وتشجع كل معرفة وثقافة ، فالذين يودون اليوم نهضة علمية في البلاد ، لهم أن يطمئثوا إلى أن الإسلام الصحيح لا أثر فيه للرجعية في التفكير ولا يحد العقل عن الانطلاق .

أبراهيم حلمي عبد الرحمن

عام ١٠٣٧ م . فكان معاصراً للبيروني وكان بينهما اتصال وتواصل . ويعرف ابن سينا بأنه فيلسوف العرب الأول وأرسطو الإسلام . وهو مؤلف كتاب الشفاء الذي يقع في ١٨ مجلداً ضخماً ، ثم يعرف بموسوعته الكبرى الطبية المعروفة باسم (القانون) وهو مؤلف ضخيم فيه أكثر من مليون كلمة (أو أكثر من ٢٥٠٠ صفحة من قطع مجلة الأزهر) جمع فيه كل المعارف الطبية ونقل إلى اللغة اللاتينية وبقي مرجعاً للبحث والدراسة هناك حتى القرن السابع عشر . وله مقالات عديدة وكتب في الرياضيات وفي الفلك وفي الطبيعة والموسيقى والتقاويم وآلات الرصد وخراج الممالك وتدير الهند وأرزاقهم (أي المسالية والإدارة الحربية) وقد ضرب بسهم وافر في كل فرع من هذه الفروع .

وكان ابن سينا فيلسوفاً ينظر إلى كليات المسائل وينظمها نظاماً منطقياً فلسفياً ترصاه نفسه ويستريح إليه فؤاده ، فلزم أن يكون محيطاً بالمعرفة ولذلك كتب موسوعات كاملة في الطب والفلسفة والعلوم ولسكنه إذا قورن بالبيروني في المسائل العلمية يبدو أقل اهتماماً بالتعرف على الحقائق والتعقيب عن المعارف وأكثر اتجاهاً إلى تقنين المعرفة وتركيبها معاً تركيباً نظامياً منطقياً . بينما كان البيروني منقياً عن دقائق الأشياء محباً للكشف والمخاطرة شغوفاً بالمسائل الفرعية يحللها تحليلًا كاملاً .

٤ — مُنَاسِمَةٌ

من هذا يتضح أن علماء القرن الحادي عشر الميلادي من المسلمين كانوا في مقدمة علماء عصرهم

فتوح الذوق الإسلامى فى الفنون

خصائص العمارة الإسلامية

للأستاذ حسن عبد الوهاب
المفتى الأول للأوقاف المصرية

عمرو بن العاص . وهما مثالان للمساجد الجامعة
فى الامصار عند نشأتها .

المسجد النبوى :

بنى هذا المسجد عند لإنشائه باللبن على أساس
من الحجارة برسقف بالجريد واتخذت عمده من
جذوع النخل . وظل على بساطة هذا رغم توسيعه
إلى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه فقد هدمه
وأعاد بناءه بالحجارة وببضه بالجص واتخذ له
عمدا من الحجارة وسقفه بالساج وزاد فيه .

وفى سنة ٨٨ ٧٠٦ هـ أمر الوليد بن عبد الملك
بهدم المسجد وتجديده بما يتفق مع أهميته
وبعث إليه بالرخام والفسيفساء مع صنائع
من مختلف الاقطار مصر والشام والاسبانية
فهدمه عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز وأعاد
بناءه بالحجارة المنقوشة وكسا جدرانه بالفسيفساء
والرخام . وعمل سقفه بالساج المعوه بالذهب .
وأقام به أربع منارات .

ثم توالى العناية على المسجد مسيرة للنهوض
المعمارى حتى بلغ منتهى الروعة فى القرن الثالث
وتمثلت فيه أرقى نماذج العمارة وفنونها .

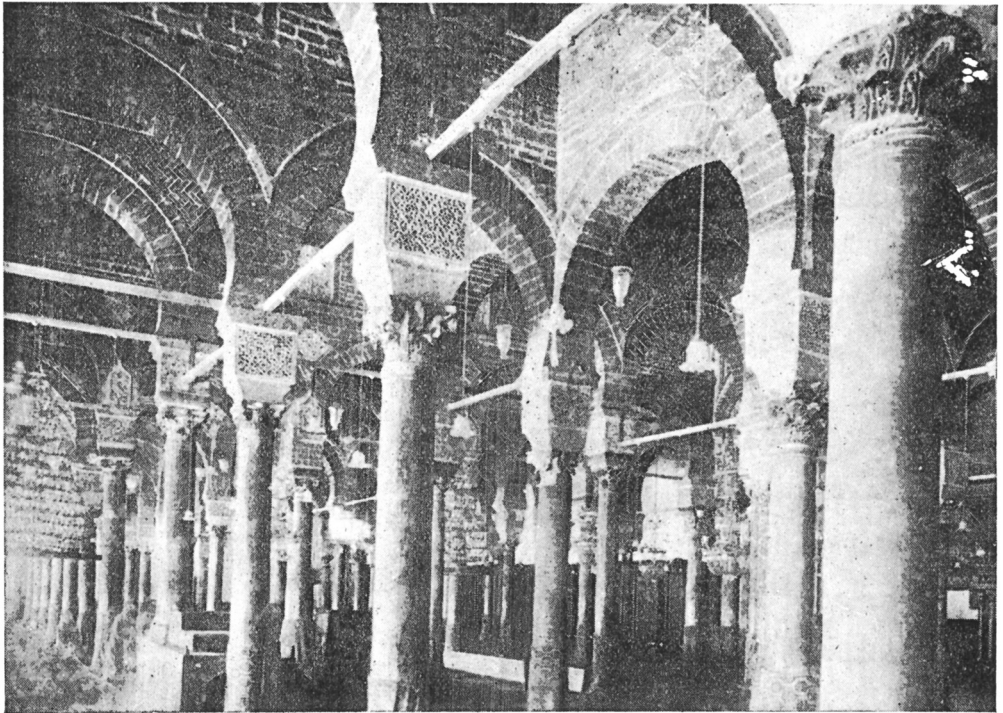
جامع عمرو بن العاص بالفسطاط :

ومثله جامع عمرو بن العاص فانه لما أنشئ
بمصر سنة ٦٤١ هـ كانت مساحته ٥٠ × ٣٠

كانت الفتوحات الإسلامية سبباً فى نشأة العمارة
الإسلامية . ولقد نجح العرب فى تعريب الاقطار
التي افتتحوها حيث اندمجوا فى أهل البلاد
وتعلموا منهم الزراعة والصناعة وذلك بعكس
ما اتهموا به من أنهم لم يمارسوا زراعة ولا صناعة.
ويحضر هذا رأى لإجابة عمرو بن العاص
على سؤال عمر بن الخطاب حينما سأله
من أين لك هذا ... وإلى أعلم أمير المؤمنين
أنى بأرض السعير فيه رخيص وإنى أعالج من الحرقة
والزراعة ما يعالج اهله .

ولا شك فى أن المسلمين فى صدر دولتهم
استعانوا بعباقة الصناعة وغيرها ممن وجدوهم
فى الاقطار التي افتتحوها ، كما أنه كان من بينهم
عدد من ذوى الصناعات لأنهم لم يكونوا كلهم
من البادية كما توهم السكثير . بل كان منهم من اليمن
والشام . وهى بلاد لها حضارات عريقة .

ويبدو لى أن استعانتهم بصناعات تلك البلاد
فى مستهل فتوحاتهم كان غالباً فى المنشآت المدنية .
ولذلك زى كل المساجد الجامعة عند نشأتها
فى صدر الإسلام كانت مثالا للبساطة لا أثر للفن
المعمارى فيها . فلا زخرف ولا حجارة ولا بياض
ولا بلاط ولا محاريب . ولكنهما لم تلبث طويلا
حتى سابت سنة التطور . وهذا نلسمه جلياً
فيما سأذكره عن نشأة المسجد النبوى وعن جامع



(١) قبة الصخرة (٢) داخل مسجد الزيتونة

من علوم الأرائل إما بالنقح والتهديب أو الزيادة والاختراع . فكان للصناعة والعمارة نصيب موفور تجلّى في منشآتهم من مساجد وقصور وغيرها .

وخير دليل على عصبيتهم وميلهم لطبع كل شيء بطابعهم أنه ما انتهى القرن الأول الهجري إلا والدواوين عربت والنقود ضربت باللغة العربية ، وأخذت الفنون والصناعات في الازدهار والانطباع بطابعهم .

نعم إن العمارة الإسلامية في نشأتها تأثرت بالبيئة التي نشأت فيها ، إلا أن تلك التأثيرات مع الآثار التي وقعت عليها ، زال غالبها من الوجود ، اللهم إلا بقايا تأثيرات جزئية في الزخارف وعلى بقايا القصور في بادية الشام وشرقي الأردن والعراق وبخاصة في التخطيط وفي التصوير والفسيفساء . وهي تأثيرات بينظية وفارسية في سوريا وساسانية في العراق وهلينية وبيزنطية في مصر ، كما كانت الشام أيضاً ملتقى لتيارات مختلفة من الأساليب الفنية الهلينية والساسانية المصرية .

وبالرغم من التأثيرات التي وقعت عليها فانها تغلبت عليها وطبعت بطابع عماري إسلامي جديد . ومما لا شك فيه أن للدولة الأموية فضل النهوض بالعمارة الإسلامية والوصول بها إلى مدارج الكمال بما أنشأوه من قصور في المدن وفي البادية . وبما شيدوه وجددوه من مساجد النبوي والأموي والأقصى والصخرة والمعبرة دعائم للفن الإسلامي .

ولا عجب فالدولة الأموية دولة بناء وتعمير

ذراعاً فرشت أرضه بالجصاء وبني باللبن وسقف بالجريد والطين واتخذت عمده من جذوع النخل ولم يجعل له مشدنة ولا محراباً مجوفاً ولا منبراً .

ثم تدرجت أعمال الإصلاح مع الزيادة تبعاً لاطراد التقدم والعمران . وهذا ما كان يبدو أثره عاماً فعاماً في تلك المنشآت ، فما انتهى القرن الأول إلا وكان الجامع هدم وأعيد بناؤه أكثر من مرة مع الإضافة والتجميل ، فقد هدمه في سنة ٧٠٨ هـ ٧٠٨ م قرة بن شريك وإلى مصر من قبل الوليد بن عبد الملك وأعاد بناءه وأحدث فيه المحراب المجوّف اقتداءً بالمحراب الذي أحدثه بالحرم النبوي الأمير عمر بن عبد العزيز سنة ٧٠٦ هـ ٧٠٦ م وأقام به منبراً خشبياً جديداً سنة ٧١٢ هـ ٧١٢ م وأحدث فيه المقصورة ، ومن ثم سار الجامع في درجات الكمال ومسيرة التقدم المعماري في زخرفة المساجد وتذهيبها وكسوتها بالرخام والفسيفساء وهذا أكبر برهان على نهوضهم بالعمارة والصناعة . فانهم ما إن تم لهم تمكين مكانهم الجديد وتوطيده ، وما إن ألغوا عصا التسيار وأطمأنت بهم الدار ، حتى نشطوا للفتح الثاني وهو الفتح العلمي والصناعي ، فأتوا في الفتحين على قصر المدة بما لم يسبق له مثيل مما أثار الإعجاب .

وكان من أثر ذلك أنهم ملسكوا ناصيتي العلم والصناعة كما ملسكوا ناصية العالم وأحدثوا لهم مدينة خاصة صبغوها بصبغتهم في كل مظهر من مظاهرها ، وأبقوا لهم الأثر البين فيما نقلوه

ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورّم الحصون
لكان أصوب وأفضل، أجابه : ديا بني إن الوليد
وفق وكشف له عن أمر جليل، ذلك أنه رأى
الشام بلد النصرى ورأى لهم فيها بيعاً حسنة
قد افتن في زخارفها وانتشر ذكرها كالقيامة
وبيعة لد والرها فاتخذ للمسلمين مسجداً شغلهم
به عنهن وجعله أحد عجائب الدنيا. ألا ترى
أن عبد الملك لما رأى عظم قبة القيامة وهيأتها
خشى أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على
الصخرة قبة على ما ترى،

وخير دليل على أن الامويين نهجوا في تشييد
منشأتهم نهجاً عمارياً جديداً طبع بالطابع



مدرسة السلطان قايتباي

كان من أهم أهدافها مناهضة الشعوب المسيحية
وإقناعها بأن المسلمين على قصر مدة حكمهم
قادرين على تكوين حضارة عمارية تضاهي
حضارتهم، وإن مساجدهم فاقت عابدهم نخامة
وزخرفاً حتى لا يتهموا على المسلمين.

ولذلك ينسب إلى الوليد أنه قال لأهل دمشق
: «إني رأيتمكم تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهمكم
وحمامائكم فأحييت أن يكون مسجدكم الخامس .
وقد تجلّى هذا الهدف السامى في مراقبة
الوافدين من الأجانب لزيارة المسجد الاموى
ومعرفة رأيهم في المسجد دون علمهم . وحينما
نقلوا اليه آراهم المليئة بالدهشة والإعجاب
من نخامة بنائه ورخامه وفسيفسائه قال : لا أرى
مسجد دمشق إلا غيظاً على الكفار ،

وحينما عرض عليه عمر بن عبد العزيز أن ينقل
ما في محراب مسجد دمشق من ذهب كي لا يشغل
المصلين . عرض عليه في هذا الوقت رأى زوار
آخرين بأنهم حينما وقفوا تحت قبة المسجد سأل
كبيرهم . كم للإسلام ! قالوا مائة سنة قال فكيف
تصغرون أمرهم ، ما بنى هذا البنيان إلا ملك عظيم ،
قال : إذا غايظ العدو فدعه .

ولما زار الرحالة أبو عبد الله محمد بن أحمد
البشارى الجامع الاموى في القرن الرابع الهجرى
وفتن بما رآه فيه من وزرات رخامية وفسيفساء
مذهبة تكسو جدرانها وعقوده وبها صور
الاشجار والامصار والكتابات ، ومصاريع
مصفحة بالنحاس وغير ذلك من روائع الصناعة
قال لعمه يا عم دلم يحسن الوليد حيث أنفق
أموال المسلمين على جامع دمشق . ولو صرف

وأبراجها والحصون . ومائة كالقناطر ومقاييس النيل والموانئ .

وكما اختلفت طرز العمارة عن بعضها في الأقطار الإسلامية ، حتى أصبح كل طرز علما على دولته ، فانها اختلفت كذلك في طريقة الانتفاع ببعض تلك المؤسسات ، فالمدرسة التي شيدت في مصر لتؤدي وظيفة المسجد وإقامة الجمعة والأوقات الخمسة حيث أقيم بها منارة ومنبر وألحق بها سبيل وكتاب ومدفن للشيء ومساكن للطلبة وحوض لشرب الدواب ، نراها في فاس ومكناس وبغداد ، أنشئت كي تلقى بها الدروس فقط وتؤدي بها الأوقات الخمس دون الجمعة ، ولذلك لا نرى بها منارة ولا منبراً ولا بقية الماحقات . وإذا كانت المدارس بـ مصر والعراق وشمال إفريقيا هيئت للتعليم ومنها علوم القرآن فإن سوريا امتازت بإنشاء دور القرآن لدراسة علوم القرآن خاصة ، والمنبر في مصر والعراق والشام ثابت في مكانه بجوار المحراب بينما هو في كثير من بلدان شمال إفريقيا - تونس ، والجزائر ، وفاس - لا يظهر إلا يوم الجمعة حيث يخرج على عجل من الحجرة الخاصة به بجوار المحراب . وكما عرف كل قطر بما يجلب منه من طرائف وسلع فإنه عرف كذلك بأهم عمارته بل أصبحت من أهم خصائصه وعلماء عليه .

فن خصائص دمشق المسجد الأموي ، وقبر صلاح الدين ، والمدرسة الظاهرية ، وقصر الخير وحصونها . ومن خصائص الأندلس - مسجد قرطبة^(١) ، وقصر الحمراء بقرطبة ، ومنارة الجامع

الإسلامي ، تصريح الخليفة المأمون عقب زيارته للجامع الأموي « إن بغيانه على غير مثال متقدم » . وقد نهجت الدولة العباسية سبيل المنافسة في تشييد المنشآت العمارة من مساجد وقصور وأبدعوا فيها أيما إبداع ، وكان هدفهم أيضاً هو هدف الدولة الأموية . ذلك أن المأمون رد على من انتقد إسرافه في هرجة قصوره . وبعد حوار معه ألزمه فيه الحجة قال :

« هذا البناء ضرب من مكابدنا نبييه ونتخذ الجيوش ونعد السلاح والسكران وما بنا إلى إلى أكثره حاجة » .

ومنذ القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي أخذت العمارة الإسلامية تنخلص من المؤثرات القديمة وما بقي منها بقي في عناصر قليلة في الزخرف حورت أيضاً وأصبحت التأثيرات التي تقع على العمارة تأثيرات إسلامية جزئية بين الأقطار الإسلامية وبعضها ، تنوعت بتعاقب الدول .

ومن خصائص العمارة الإسلامية أنها هيأت منشآت عادية لختلف الأغراض . فإنها بجانب ما أعدته من منشآت مدنية تناسب طقس كل قطر فانها أعدت بجانبها منشآت دينية كالمساجد والمشاهد والزوايا والربط . وثقافية كالمدارس والخوانق والكتاتيب ، ساعدت المساجد في رسالتها الثقافية . ومالية بإنشاء بيوت المال في مساجدها الجامعة ومنها ما هو موجود إلى الآن في مسجد دمشق وحماه . واجتماعية كدور كفالة المرأة وإيواء الفقراء والمنقطعين . وصحية كالمستشفيات والحمامات . وتجارية كالوكالات والأسواق والخانات . وحرية كالأسوار بأبوابها

(١) وترى صورته من الداخل على غلاف هذا العدد .

فقد تمثلت فيها الحضارات المتعاقبة عليها ممثلة في شتى التفاصيل المعمارية من جص وأحجار ورخام ونحاس وأخشاب ما بين خرط وتطعيم وتجميع وحفر وفسيفساء ونقش، وبراعة الخطاطين وتكوينهم للعناصر الزخرفية في الخط السكوفي ما بين نباتية وهندسية .

هذا عدا التنوع في تصميم المسجد والمدرسة ، وفي تصميم وجهات المساجد والمدارس ، وتنوع أشكال المقرنصات والزخارف .

وثمة خاصة أخرى انفردت بها وهي تسكسية الزخارف الجصية الملونة برقائيق الزجاج ، ومنها أنموذج وحيد بمصر في رباط أحمد بن سليمان . ومن أبرز خصائصها جمال ورشاقة القبة والمئذنة فكلاهما بلغ القمة في جمال التناسق ، ودقة النقش وخاصة في دولة المماليك الجراكسة . وعلى ذكر القبة أذكر أن مصر لها فضل السبق في إنشاء القبة ذات المنور ، وفي أن مهندساً سبق عصر برونيلسكي سنة ١٤٢٠ م الذي ينسب إليه في وقت ما اختراع هذا النوع من القباب بمدينة البندقية .

وإذا أردنا الإشارة إلى خصائصها في طرائف كل عصر ، فهذا ما لا يتسع له المجال . ويمكن أن نفتخر بالجامع الطولوني وزخارفه المتنوعة طولونية وفاطمية ، وبالجامع الأزهر وبغيره من منشآت الدولة الفاطمية الغنية بدقائق صناعة الجص والحفر في الخشب ومثلها الدولة الأيوبية . وبمنشآت المنصور قلاون وأفراد أسرته في هذا العصر الزاهر الذي تركت فيه قواعد العمارة

الكبير (الجير الدا) وقصر بني عباد بأشيلة . ومن خصائص القدس : المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، وقصر هشام بخربة المفجر ، والقصور الأموية في شرق الأردن .

ومن خصائص العراق : المنارات الملوية ، وزخارف القصور في سامرا ، وقصر الأخيضر ، والعتبات الشريفة : الكاظمية في بغداد ، والإمام العسكري بسمر من رأى ، والإمام الحسين بكر بلاء ، والإمام علي بالنجف ، تلك المشاهد الغنية بأنواع الزخرف والمكسوة قبابها ومناراتها برقائيق الذهب والفضة ومقرنصات البلور والزخرف المتخذ من قطع المرايا . وصناعة الطابوق (الآجر) المنقوش بشتى أنواع الزخرف . والقباب المخروطة .

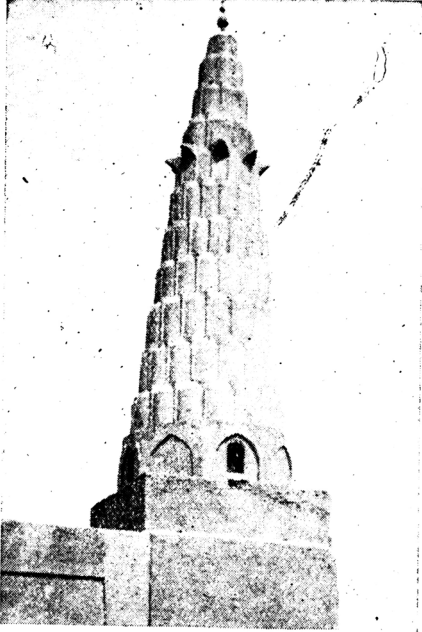
ومن خصائص مصر : مقياس النيل ، والجامع الطولوني ، والجامع الأزهر ، وأبواب القاهرة ، ومدرسة السلطان حسن ، ومدرسة السلطان قايتباي والغوري .

ومن خصائص شمال أفريقيا : مسجد القرويين في فاس ومدرسة أبو عنان وأسواقها ، ومسجد الزيتونة بتونس ، وعقبة القيروان ، وأبو مدين بتلمسان ، وهكذا بقية الأقطار .

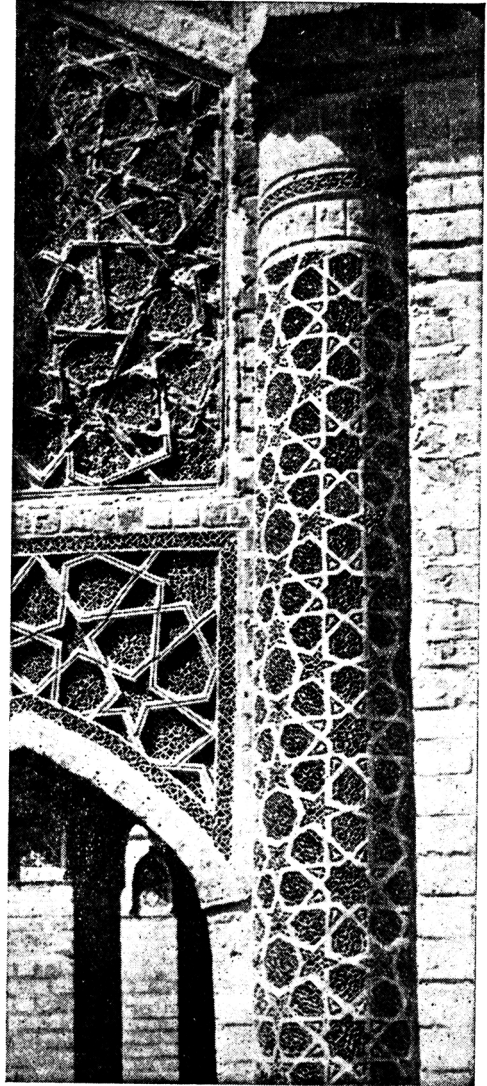
ولكل قطر خصائص أيضاً في تفاصيله المعمارية وخاصة القبة والمئذنة وهما أبرز عنصر يميز لهارة كل قطر .

ولما كانت القاهرة أغنى الأقطار الإسلامية وأسعداً حظاً في المحافظة على تراثها المعماري ، فإنها كذلك امتازت بخصائص لا توجد في غيرها ،

في مصر ، وكفاه نفراً مدرسة السلطان حسن ومنشآت أمراءه أمثال الأمير نجاش الاستخاق ، وأبو بكر مزهر ، ثم منشآت السلطان القوي إحدى عجائب العمارة الإسلامية في العالم .



(١) قبة عمر المهرودي في بغداد (٢) المنارة الملوية بإسرا وهي خاتمة خصائص العمارة الإسلامية في مصر وكانت حسن الختام .
مسجد عبد الوهاب



الزخارف في الحجر بالمدرسة المستنصرية بالعراق بغداد
ثم منشآت دولة المماليك الجراكسة ، تلك المنشآت التي أخذت زخرفها وأزيفت ، وكفها نفراً منشآت السلطان قايتباي وخاصة مدرسته بالصحراء

جهود المسلمين في الموسيقى

الدكتور محمد أحمد الحفنى
المراقب العام للموسيقى بوزارة المعارف

إذا كان جميل الصوت لم يخرج عن حد المعقول

في القراءة والأدب الواجب للقرآن . وهنا رفع القرآن الكريم عَلم الموسيقى عالماً بين العرب ، ونشأ علم التجويد .

ومن إعجاز القرآن نظم الموسيقى الرائع الذى يسيطر على مستمعيه ، ولو كانوا غير مسلمين ؛ حتى قال بعض الاجلاء : إن قوانين الموسيقى قد لحظت في القرآن تامة مكتملة . وكذلك الشأن في بعض شعائر الدين الأخرى كالآذان للصلاة عامة وصلاة العيدين وتلاوة التكميلات فهما في لحن موسيقى رائع ، مما يرقق حاشية الروح ، ويهيئ الناس لتلقى النفحات الإلهية في بهجة وانسراح .

وقد اشتهر في صدر الإسلام من المغنيات كثير من القيان ، نذكر من بينهن سيرين مولاة حسان بن ثابت ، وهى إحدى الجاريتين المصريتين اللتين أهداهما المقوقس في العام التاسع الهجرى (عام ٢٦٠ م) إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وعنها أخذت عزة الميلاء الأستاذة الأولى لمدرسة الغناء العربى التى درج عليها من عاصرها أو جاء بعدها ، فقد حدث صاحب الأغاني أن عزة كانت تغنى من أغاني سيرين . وبهذا تكون الموسيقى المصرية القديمة قد وجدت طريقها إلى الجزيرة العربية منذ فجر الإسلام

عصر صدر الإسلام :

أشرق الإسلام على الدنيا بنوره الساطع وضرب المنل العالمية الرفيعة لتحقيق أسس مبادئ الاجتماع البشرى المؤسسة على مكارم الأخلاق والرقى النفسى والى السكالى الإنسانى ، فكان لزاماً أن تنهض الموسيقى فى أحضانها ، وتزدهر فى ظل سلطانه ، وترقى حتى تكون ثقافة تثمر فى كنفه ، ذلك بأن الموسيقى هى الباعث للسكالى الأدبى فى الإنسان بترتية طباعه وتهذيبه ، فإن سماع الانغام يوقظ المشاعر ، ويلهب الحس ، فيدفع بالمعاطفة نحو السمو ، وبالعقل نحو التفكير ، وبالخيال نحو دنيا الروح ، على حد قول أرسطو . أثر الموسيقى أسس من أن ينحصر فى نشوة الحواس بحلو النغم وبمجرد اللهاجها ، إنما هو فى تطهير النفس والتخفيف عنها . وعلى الجملة فإن الموسيقى الجيدة تكبت الشهوات الجسدية فيؤد العقل الراجح والمعاطفة النبيلة والروح المشرقة الصافية جميع غرائز النفس ونزوانها .

وما نعدو الصواب حين نقرر أن الموسيقى فى صدر الإسلام قد لبست ثوباً دينياً ناصعاً يوم سرت تلاوة القرآن الكريم بالصوت الجميل فى أنفس الناس سريان العافية فى الجسم السقيم . وآية ذلك ما بين أيدينا من أحاديث مأثورة عن مشهورى الصحابة فى مدح قارئ القرآن

أخذت الموسيقى تسلك سبيلها إلى وجهتها الفنية الواضحة . وأورقت تلك الدوحة التي بدأت نواتها منذ قريب لتمتد ظلالتها وتستكمل نضج ثمارها في عصر بنى أمية .

عصر بنى أمية :

كان الروح العربي الموسيقى روحاً فنياً رياضياً غير متعصب ولا جامد ، فما كاد ينبثق فجر الدولة الأموية ويزداد اتصالها بالمدينيات المصرية والفارسية واليونانية حتى تشرب الروح العربي تلك المدينيات ونقل غنائها إلى غناء العرب وآلاتها إلى آلات العرب .

وكان للموسيقى في الدولة الأموية حظ العلوم والفنون الأخرى ، فازدهرت وأبهرت وظهر من مشهورى المغنين والمغنيات من يجدر بنا أن نطلق عليهم وعلى فقههم : المدرسة الحديثة .

ويعتبر سائب خاثر نواة النهضة الموسيقية في البلاد العربية ، وأول من نقل الغناء الفارسي وأسبغ عليه الطابع العربي وعرف بعد ذلك بالغناء « المتقن » . وهذا النوع المستحدث يقابل غناء « الركبان » ، الذى يمثل روح العصر الجاهلى وطابع البادية . ولقد كان من عادة المغنين من العرب حتى ذلك الوقت أن يستعملوا فى غنائهم القضيبي ، وكان سائب خاثر يستعمل كذلك ، إلى أن رأى نشيطاً الفارسي يستعمل فى غنائه العود فاستعمله هو أيضاً فى أغانيه ، فكان أول من غنى فى المدينة مستعملاً العود . ونبع من أخذ الغناء عن سائب خاثر أربعة عدوا أعلام الغناء وهم : عزة الميلاء وحليلة زعيمنا النهضة

فى حنجرة سيرين وتلميذاتها ، فوضعت بذلك نواة الصلة الفنية بين مصر والموسيقى العربية . وكان عمر بن الخطاب على الرغم مما عرف عنه من شديد زهده فى الدنيا ، راضياً عما يعفو الله عنه من الغناء . فقد نقل صاحب العقد الفريد أن عمر قال للناطقة الجمعدى أسمعى بعض ما عفا الله عنه من غنائك ، فأسمعه كلمة له ، قال وإنك لقائلها ؟ قال نعم . قال لظالمنا غنيت بها خلف جمال الخطاب . وكان عمر يكره . من الموسيقى الغناء المخث الذى يبعد الشعب عن الجهاد والتخشين ويسلبه إلى الرفاهية والطرادة ، وما كان ذلك من طبيعة الإسلام ، ولا من سجية عمر ، ولا مما يأذن به الخلق القويم .

وما كاد يقبل عصر عثمان رضى الله عنه حتى سجلت أخبار المدينة أن رائقة المغنية وتلميذتها الفتية عزة الميلاء وغيرهما كن يقمن فيها حفلات موسيقية يحضرها أشرف القوم وفنانوهم . وقد كان فى اتساع الفتوحات التى تمت فى عهد عثمان وفى عهد سلفه والممالك التى دانت للإسلام والأسرى الذين قدموا إلى الديار العربية ما جعل تيار مدينيات هذه البلاد ، وبخاصة المدينيات المصرية والفارسية واليونانية ، ينتشر فى البلاد العربية . وأخذ المسلمون ينظرون إلى أمور دنياهم ، فقللوا من غلواء نظرتهم إلى الموسيقيين ، وحفلت بهم ببيوت الأمراء والأشراف ، وأخذت الموسيقى مكانها فى مجالسهم بجانب الشعر والأدب .

وما كاد ينفضى عصر الخلفاء الراشدين حتى

ولم تقتصر معاودة أهل هذه الصناعة على الخلفاء بل سرت إلى الأشراف والنبلاء والسراة . وقد كان لعبد الله بن جعفر مجالس طرب عظيمة يدعو إليها مشهورى المغنين ، وكان سائب خاثر ونشيط منقطعين إليه ، كما كانت السيدة سكبنة بذت الحسين رضى الله عنهما ترناح إلى سماع الموسيقى ، وكان الغرييض المغنى المشهور فى خدمتها منقطعاً لها منشداً مرأى أهل البيت وناحاً عليهم ، وكانت عند ما يجتمع عندها المغنون تأذن للناس فى دخول بيتها إذنا عاماً .

ولقد وضع من أنباء المغنين والمغنيات اطراد ظهور أثر الموسيقى الفارسية فى موسيقى العرب ، حتى دخل فى اللغة العربية كثير من الألفاظ ، والمصطلحات الفارسية مما كان دليلاً على عظم هذا الأثر . كذلك تأثرت الموسيقى العربية بنظريات الموسيقى اليونانية تأثراً كبيراً . وكثيراً ما كان يرد ذكر علماء هذا الفن من اليونان فى مصنفات العرب وكتبهم . غير أنه مما يجب الإقرار به أن فلاسفة العرب ومغنيين وإن أخذوا العلوم الموسيقية وفنونها عن اليونان والفرس ومصر ، فقد احتفظوا فيها إلى حد كبير بطابعهم العربى الذى ميز موسيقاهم وجعل لها صبغة خاصة .

ومما يذكر بالفخر لذلك العصر أنه بدى فيه بوضع أول تصانيف عربية فى أخبار الموسيقى والغناء ، فقد وضع يونس الكاتب « كتاب النغم » و « كتاب القيان » فكانا نواة لما صنف بعد ذلك فى هذا الباب .

الموسيقية العربية ، وابن سريج ومعبد . وكان ابن مسجح - وهو أحد فحول المغنين فى العصر الأموى - أول من نقل غناء الفرس إلى غناء العرب بمكة فى حدائقه . وقد أتقن محاسن النغمات فخذها وأصبح له فى الغناء مذهب خاص وطريقة تبعها الناس بعده . وقد أخذ عنه ابن عمرز ومعبد وابن سريج والغرييض .

وإننا لنعلم الموسيقيين يرتفع مقامهم شيئاً فشيئاً ويصبحون موضع الاحترام والتقدير ، ويسلكون نهجهم رويداً حتى يصلوا إلى قصور الخلفاء وينالوا الخطوة عندهم ، فلا نكاد نذكر خلفاء بنى أمية فى أول عهدهم بالحكم حتى نرى الخليفة عبد الملك بن مروان يشجع أهل هذه الصناعة ، بل نراه هو نفسه موسيقياً وملحناً ، عارفاً بأنواع الغناء ، يسأل ابن مسجح وهو فى حضرته : هل يغنى غناء « الركبان » ، وهل يغنى الغناء « المتقن » ؟ . وكان سليمان بن عبد الملك يجرى المسابقات بين المغنين ويجزل لهم العطاء . وبلغ من تقدير يزيد بن عبد الملك للموسيقى أنه ما كاد يتولى الخلافة حتى اشترى حبابة المغنية بأربعة آلاف دينار ، وظلت موضع إكرامه حتى وفاتها .

ورأينا الوليد بن يزيد يعظم الرعاية للموسيقى وأهلها ، وقد بلغ من إكرامه لمعبد ، أنه عند ما مرض تولى أمره وآواه فى قصره ، فلما مات شيعه بنفسه إلى مثواه . بل كان الوليد كذلك عالماً بصناعة تأليف الألحان ، وله فيها أصوات مشهورة ، كما كانت يضرب بالعود ويوقع بالطبل والدف .

عصر الدولة العباسية :

جاء العصر العباسي فدخلت الموسيقى العربية في عصرها الذهبي وخطت خطوات سريعة نحو السكال ، حتى بلغت أوج مجدها وذرورة علاها . وزادت المقامات وطرائق الإيقاع حتى تعددت في اللحن الواحد . وكثرت الآلات وتنوعت وشاع استعمالها حتى عزفت مائة قينة معا . وسما قدير أهل الموسيقى حتى اتخذ الخليفة منهم مسامراً له وجليسا .

ولقد بدت في العصر ظاهرة جديدة ، فلم يعد العرب ينظرون إلى الموسيقى بشطر العين ، أو يتأبون احترافها بل إن من أبناء أشرافهم من دخل في زمرة أهل هذه الصناعة ، فن أساطينها ابن جامع الذي يتصل نسبه بقرش . بل لقد زاول هذه الصناعة بعض أمراءهم ، كإبراهيم ابن المهدي .

كذلك كان الخليفة الواثق موسيقياً من كبار الموسيقيين ومن أعلم الخلفاء بالغناء . بلغت صنيعته فيه مائة صوت (لحن) . ورى أنه كان أحذق من غنى وضرب على العود ، وكان كثير التقدير للموسيقى وأهلها ، وإن قوله في إسحق الموصلي لدليل على ما يكنه خلفاء هذا العصر من احترام هذه الصناعة وأهلها إذ قال :

« ما غنائى إسحق قط إلا ظننت أنه قد زيد لي في ملكي ، وإن إسحق لنعمة من نعم الملك التي لم يحظ بمثها ، ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يشترى لاشتريتهن له بشطر ملكي » .

ولقد أعطى الخليفة الهادي إبراهيم الموصلي

مائة وخمسين ألف دينار في يوم واحد حتى قال :

« لو عاش الهادي لبئينا حيطان دورنا بالذهب والفضة » .

ولقد أسست في العصر أول جامعة عربية لدراسة العلوم والفنون ، بناها المأمون في بغداد وأسماءها « بيت الحكمة » ، فاشتغل فيها فطاحل العلماء ، ومنهم يحيى بن منصور وبنو موسى وغيرهم ، بترجمة علوم اليونان التي كان من بينها العلوم الموسيقية . ونسج الخلفاء بعده على منواله فشجعوا الفلاسفة والعلماء لاستقراء كنوز العلوم اليونانية والوقوف على أسرارها وترجمة عيون مصنفاتها .

وما يسجل لهذا العصر بالفخر ، أنه ظهرت فيه عناية خاصة بإثبات قواعد الموسيقى ونظرياتها .

فكان الخليل بن أحمد أول من عنى بهذه الناحية بعد يونس الكاتب الأموي ، الذي سبقته الإشارة

إليه ، فوضع « كتاب النغم » ، و« كتاب الإيقاع » . فكانا بحق أول مؤلفات علمية في الدولة العباسية

واستكمل إسحق الموصلي هذه المؤلفات . ثم جاء بعدهما من برّهما في هذا النوع من التأليف وهو

إسحق بن يعقوب الكندي فكتب ما يربى على سبعة مؤلفات في العلوم الموسيقية ونظرياتها .

وجاء بعده أبو نصر محمد الفارابي ، فكان من أكبر فلاسفة العرب دراية بعلوم اليونان ، وكان

موسيقياً خليماً يجيد العزف بالعود ، وقد وضع كثيراً من الكتب في هذا الفن . أما الرئيس

ابن سينا فقد جال في علوم الموسيقى حتى صار إمام عصره فيها مشرقاً ومغرباً . وقد احتوت

الاندلس موطناً لاساطين العلماء، كما كانت إشبيلية أعظم مركز الموسيقى والشعر وصناعة الآلات الموسيقية. قال ابن خلدون « حينما كان يموت عالم في إشبيلية ويراد أن تباع كتبه بثمان عظيم ترسل إلى قرطبة، وإن مات موسيق في عاصمة الاندلس كانوا يرسلون آلاته الموسيقية ومخطوطاته إلى إشبيلية التي نمت فيها الموسيقى وولع بها أهلها أشد الولع. »

وكان اهتمام خلفاء الاندلس بالثقافة عظيماً وكلفهم بالعلوم شديداً، حتى إن الحكم الثاني جمع في عهد خلافته من البلاد العربية ما يربى على أربعمائة ألف مجلد. ولقد كانت الموسيقى في طليعة هذه العلوم والفنون التي عني بها خلفاء الاندلس فارتفعت وذاع انتشارها، حتى إنها لم تعد مقصورة على فئة خاصة بل غدت ثقافة عامة يشترك فيها جميع طبقات الشعب.

ونقل العرب إلى الاندلس كل ما سبق لهم معرفته من الآلات الموسيقية، ثم افتتوا فيها وزادوا عليها، فأصبح لديهم منها عدد جهم، إذ استعملت الاندلس من الآلات الوترية: العود القديم ذا الاوتار الأربعة، والعود الكامل ذا الاوتار الخمسة، والشهروذ، وهو نوع من العود، والطنبور، والقيثارة، والمزهر، والكنارة، والقانون، والزنخة، والرباب، والكنجة، والشقرة (أو المشقر). ومن آلات النفخ المزمار، والسرنا (السرناي) والناي، والشبابة والبيراع، والزمارة، والقصبة، والموصول، والصفارة. ومن الآلات النحاسية: البيوق،

موسوعناه، الشفاه، و« النجاة»، على تصنيف موسيقى مبتكر.

ومن أساطين من اشتهروا من الموسيقيين في ذلك العصر: حكم الوادي وإبراهيم الموصلي وزلزول وفليح بن أبي العوراء ومخارق، ومن المغنيات: بذل ودنانير ومقيم الهشامية.

وقد نسب بعض علماء الموسيقى إلى العرب إهمالهم تدوين ألحانهم، غير أن هذا مخالف للواقع فإن دقة السكندى في تدوين الموسيقى بالحروف في كتابه « رسالة في خبر تأليف الألحان، وما أورده صفي الدين عبدالمؤمن الأرموي من طرائق التدوين في كتابيه « الشرفية » و « الأدوار »، لا كبر دليل على عناية كتاب العرب بهذه الناحية واسبقيتهم لمعاصريهم.

وفي ذلك العصر الذهبي انتخبت مائة الصوت المختارة، فقد كلف هارون الرشيد إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وفليح بن أبي العوراء أن يختاروا له من ألحان العرب كلها مائة صوت، ثم أمرهم أن يختاروا عشرة منها، ثم أمرهم أن يختاروا ثلاثة من العشرة فكانت تلك الأصوات الثلاثة لحناً لمعبد، ولحناً لابن سريج، ولحناً لابن محرز.

عصر الاندلس :

انبثق فجر المدنية في بلاد الاندلس عند ما فتحتها بنو أمية، وسطر العرب لها على صفحات التاريخ آيات مجد ظلت مضرب الأمثال، وتوجت رأس العلوم والفنون بأغزى تيجان الرقي. وظلت عندئذ تفيض بنورها على أوروبا التي لم تكن بعد قد أقافت من سباتها العميق، فكانت قرطبة حاضرة

وفدت البعوث لدراستها وترجمة كتبها . ومن اشتهروا من أعضاء البعوث إلى بلاد الإسلام وصاروا أعلاماً في أوروبا بعد عودتهم إليها : جربرت وهرمان كنتراكت وجين الإشيلي وقسطندي الإفريقي وقد تعلم في تونس ومصر وبغداد . وقد نقل هؤلاء وزملائهم الكثير من كتب العرب في الموسيقى ككؤلفات الكندي وثابت بن قره وذكريا الرازي والفارابي وإخوان الصفا وابن سينا وابن باجة .

وقد انتشرت في ممالك أوروبا ولا سيما البلاد الجنوبية منها آلات الموسيقى العربية ، وكثير من هذه الآلات قد انتقلت إليها بأسماء التي تم في اشتقاقها عن أصل عربي كالعود والقيثارة والقيثارة والرباب والطنبور . والواقع أن أوروبا ظلت تحت تأثير غزو الموسيقى العربية عدة قرون طويلة حتى بعد عصر الإصلاح .

عصر المولى الفاطمية :

وكذلك تدرجت الموسيقى العربية في مصر في مدارج الرقي منذ أن فتحها العرب في عهد الخلفاء الراشدين وتعاقت عليها المدينيات العربية المختلفة حتى بلغت عصر الفاطميين ، فكانت حضارتها فيه حلقة من حلقات تلك الحضارات الزاهرة اليانعة ، بل صارت مصر حتى منتصف القرن الثالث عشر ملتقى المدينتين العربييتين الشرقية والغربية (الأندلسية) تربطهما وتوحد بينهما . وكان المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين ، ومنشئ القاهرة ، مشغوقاً بالفنون الجميلة عظيم

والنفير . ومن آلات النقر : الدفوف ، والغربال والبندير ، والصنوج ، والكاسات ، والمصفقات ، والقضيب ، والنفارة ، والقصعة ، والطبل .

ولم يكن افتنان العرب في الأندلس مقصوراً في الموسيقى على آلاتها بل افتنوا كذلك في التأليف الموسيقي وأنواعه ، وسايروا بهارتقاءهم في مدارج المدنية ، فاستحدثوا الجديد فيها . من ذلك النوبة ، وهي أهم أنواع الموسيقى والغناء في الأندلس . كذلك ابتدعوا الزجل والموشحات خدمة الموسيقى واستجابة إلى دواعي حاجتها إلى أوزان جديدة مبتكرة . وانتقلت هذه الأنواع إلى بلاد المغرب وإلى مصر فبلاد العرب ، وأخذ الأبناء يتناقلونها عن الآباء .

وكان من أقدم السابقين إلى ابتداع فن الموشحات في الأندلس مقدم بن معافر ، ثم تبعه أحمد ابن عبدربه صاحب العقد الفريد ، ثم عبادة القزاز شاعر المعتصم صاحب المرية من ملوك الطوائف . وكذلك الأعمى الطليطلي . وأول المحسنين في هذا الفن من المشاركة : ابن سناء الملك .

ومن أهم من اشتهر من الموسيقيين في الأندلس زرياب وابن باجة الطيب وعبد الوهاب بن جعفر الحاجب وولادة بنت المستكفي . ومن القيان عازفة وفضل ومتعة وهند جارية أبي محمد عبدالله . ولقد ظلت الأندلس زهرة أوروبا اليانعة طوال خمسة قرون تنشر عليها أريجها من كل علم وفن . وأرسلت أوروبا إلى جامعاتها بالبعوث لارتشاف العلوم العربية ودراستها على أئمة العرب وأساطين علمائها . وكانت الموسيقى أولى هذه العلوم التي

ولإذا كانت هذه جهودهم في الحجاز وفي دمشق وبغداد، والأندلس ومصر، فليس معنى ذلك أن تلك الجهود كانت مقصورة على ما ذكرنا من جهات أو من عصور. فلقد كان للمسلمين جهود مشمرة سمحت بها الموسيقى واتسعت آفاقها في الشعوب الهندية والفارسية، وما وراء النهر وتركيا، في أزمنة تناولتها عوامل المد والجزر والتقدم والتخلف... وكذلك مصر أيضاً وقد حملت العبء الأكبر في نهضتها الحديثة وقامت للموسيقى بأعظم دور لإنشائها جعلها تقف على قدم المساواة مع بقية العلوم والفنون.

كل ذلك حق لا ريب فيه. ولكن المجال لا يستوفيه مقال، وقد أغنى عن التفصيل هذا الإجمال. وفي هذه الصحيفة من التاريخ وتلك الصورة من الوقائع والحوادث والأطوار التي اجتازت الموسيقى العربية مراحلها، ففكرة وإن تكن موجزة فهي بحمل شرف وغفار لجهود المسلمين في خدمة الموسيقى تصنيفاً في فنونها وابتكاراً في أنغامها وتجديداً في آلائها وتبويها لمختلف مناحيها وتدويناً لشيء ماثرها.

والأمل عظيم والرجاء وطيد في أن تكون هذه الصحائف باعثة لعزائمتنا ولهمم الأجيال من بعدنا على إضافة صحائف أخرى إلى سجل جهود الأمم الإسلامية في الموسيقى، تكون أعظم لإنشاء وتجديداً وأسمى في الزمان بقاء وتخليداً.

دكتور محمود أحمد الحفنى

الرعاية للموسيقى، كما كان ابنه وخليفته العزيز مولعاً بها، بل لقد كانت الموسيقى موضع عناية خلفاء تلك الدولة حتى المتصوفين منهم، فإن الحاكم بأمر الله برغم تشدده كان يشجع علماء الموسيقى على التأليف في علومها وجمع أغانيها. ورعايته لابن الهيثم الموسيقار الرياضي دليل على ذلك، فقد شجعه على وضع كثير من الكتب القيمة صنف منها في الموسيقى كتابه «رسالة في تأثير اللحن الموسيقية في النفوس الحيوانية». وكان للمسيحي أحد كتاب الحاكم وولاته المقربين مجموعة في «مختار الأغاني ومعانيها».

وكذلك كان الخليفة الظاهر بن الحاكم من هواة الموسيقى، كما كان الخليفة المنتصر والأمر وباقي من تبعهم من خلفاء الدولة الفاطمية يبذلون الطائل من الأموال في سبيلها ويجزلون العطاء للمغنين.

وكان أبو الصلت أمية، وهو من أكبر فلاسفة هذا العصر وأساطين علمائه، واسع الدراية بالعلوم الموسيقية، مجيداً للعزف بالعود، وكان بين مصنفاته، رسالة في الموسيقى، وكذلك كان ابن أبي القاسم من أعلام صعيد مصر في أوائل القرن الثاني عشر معنياً بالعلوم الموسيقية، ومن أكبر معاصريه ابن القفطى المؤرخ الكبير الذي يعد مرجعاً لحياة الموسيقيين.

هذه هي جهود المسلمين في عصور الرقي والازهار، وفي الممالك التي تجلت بها مدنية الإسلام فكانت ذات تاريخ مشرق الصفحات.

أثر الإسلام في الفنون الخرفيّة

الأستاذ الدكتور محمد بن

الصور وما إليها^(١) يحرم إقامة التماثيل والتصوير ، وعلى هذا خلت المساجد وهي أهم مظاهر العمارة الإسلامية مما حفلت به المعابد القديمة والسكنائس من التماثيل والصور التي تفسر الأحداث الدينية ، وتركزت عناية الفنانين المسلمين في تجويد الزخارف والتقوش ، فأتوا فيها بالاعاجيب ، سواء أ كانت على الجدران والسقف ، أم كانت على الأواني المعدنية والخزف والزجاج والخشب والجلود .

وغنى عن البيان أن هذا الاتجاه قيد الفنان المسلم وضيق من الدائرة التي يعمل فيها ، فلم يتح له ما أتيح للفنانين الغربيين من الانطلاق في سبيل محاكاة الطبيعة وإبراز معالم الحسن والروعة

كان العرب في جاهليتهم أهل بدارة وأمية ، يسكن أكثرهم الخيام ، ويترحلون في طاب المساء والعشب ، ويغير بعضهم على بعض ، ومن هنا كثر بينهم الفرسان والخطباء والشعراء ، في حين لم يكن لهم شأن يستحق الذكر في العلوم والفنون .

وبقي العرب وهذا شأن السواد الأعظم منهم حتى ظهر الإسلام في بلادهم فأخذ بأيديهم إلى ما وراء الصحراء من أمصار ومدائن بلغت شأواً بعيداً من الحضارة والعمران ، فأسكوها وبسطوا عليها سلطانهم ، وانتفعوا ونفعوا العالم أجمع بما أخذوه عنها من مختلف العلوم والفنون بعد أن طبعوها بطابعهم الخاص .

على أن الطابع المميز للفنون العربية الإسلامية لم يبلغ غايته ويجمع تحت لوائه مختلف الأساليب والمدارس الفنية المحلية في البلاد التي فتحها العرب المسلمون إلا بعد أجيال عدة ، استمرت طيلة القرن السابع الميلادي وشطراً كبيراً من القرن الذي تلاه .

ولا مندوحة لنا عن التنبيه إلى اتجاه الفنون الإسلامية منذ البداية إلى الزخرفة والنقش على اختلاف أنواعهما ، مع تجنب النحت وتصوير الكائنات الحية ، نظراً إلى ما ساد من اعتقاد أن الإسلام وقد حطم الأصنام ونهى عن عبادة

[١] (١) حدثنا آدم (قال) حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي عباس عن أبي طلحة رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاور . (ب) حدثنا الحميدي (قال) حدثنا سفيان قال حدثنا الأعمش عن مسلم قال : كنا مع مسروق في دار يسار ابن نعيم فرأى في صفته تماثيل ، فقال سمعت عبيد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصرون .

(٢) حدثنا إبراهيم بن المنذر (قال) حدثنا أنس ابن هياض عن عبيد الله عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الذين يصنعون هذه الصور يمضون يوم القيامة يقال لهم أحبوا ما خلقتم . [صحيح البخاري ، الجزء السابع ص ٦٠ ، ٦١ طبعة بولاق سنة ١٢٩٦ هـ] .

والرابع عشر الميلاديين ، سواء في النهار الفخمة الضخمة وما اشتملت عليه من زخرفة هندسية ونقوش وكتابات تسترعى الإعجاب ، أم فيما اتخذ لزيين الأدرات المنزلية والمنسوجات والكتب وغيرها .

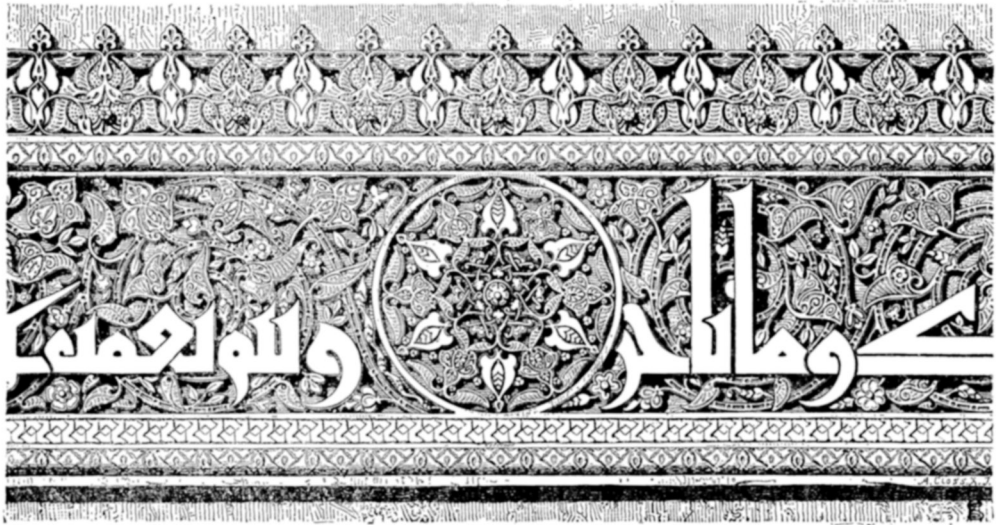
ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الفنون الإسلامية وإن اتخذت طابعاً واحداً مميزاً عرفت به على اختلاف العصور والأمصار ، كانت تختلف من حيث طرزها وأساليبها من عصر إلى عصر ، وطبقاً لخصائص الإقليم التي هي فيه ، غير أنه ليس من الميسور تحديد تاريخ دقيق لنشأة طراز بعينه من تلك الطرز أو لزواله ، ذلك لأنها كانت في طورها المستمر تتداخل وتمتزج ويقتبس بعضها من بعض ، دون أن يكون لأحدها استقلال تام لوقت طويل . وليس ثمة من شك في أن الطرز الإيرانية

في المراتب المجسمة ، وخت منتجاته الفنية من آثار الابتكار والإبداع الصادر من أعماق نفسه والمعبر عن مشاعره .

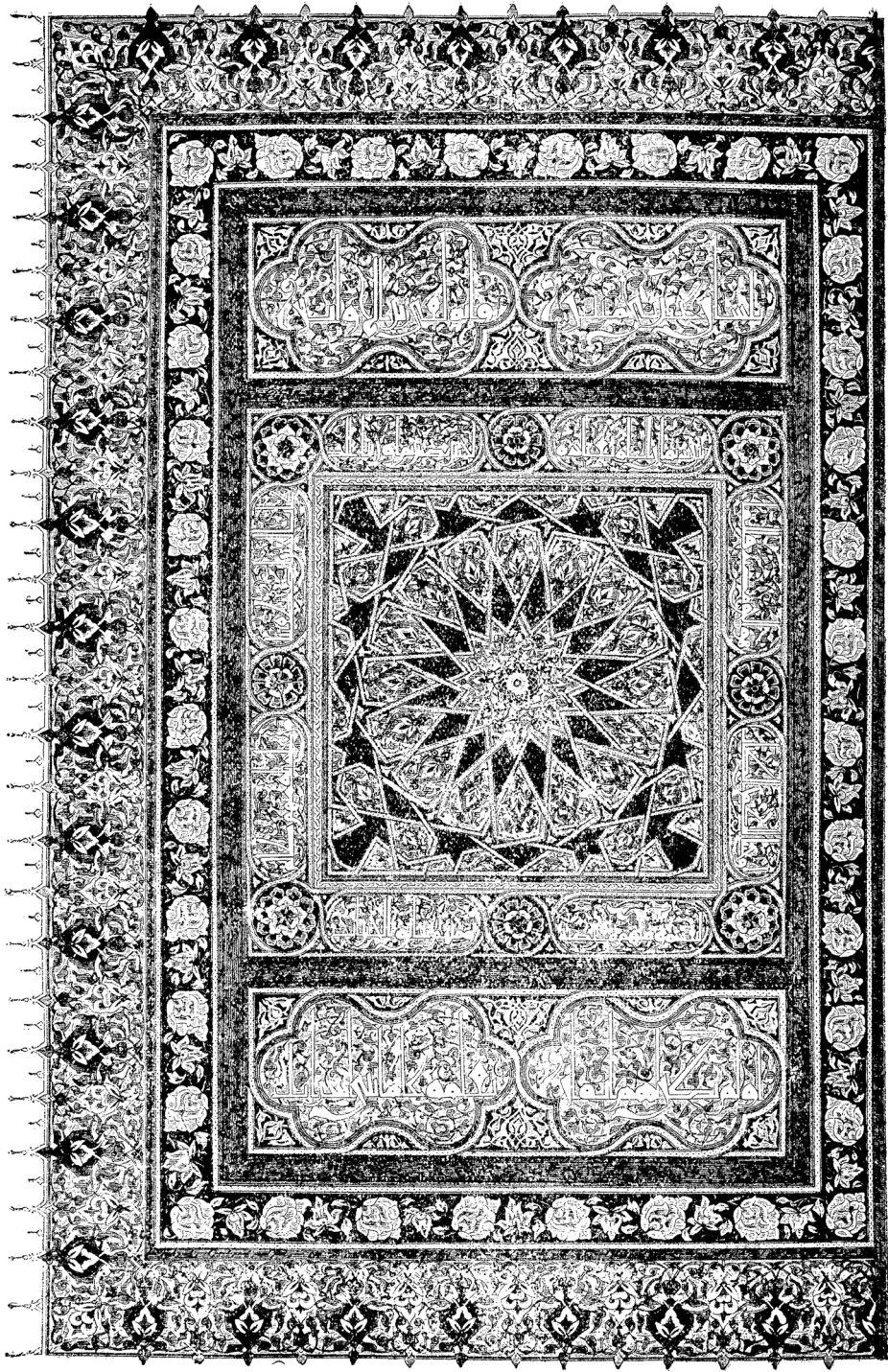
وكذلك كان هذا الاتجاه نفسه مما اضطر كثيراً من الفنانين المسلمين إلى الإعادة والتكرار فيما ينتج من أشكال زخرفية ملء فراغ المساحات المراد زخرفتها .

وأياً ما كان الأمر ، فلا مشاحة في أن الفن الإسلامي أوسع الفنون انتشاراً وأطولها عمراً ، فهو قد امتد عبر الأمبراطورية الإسلامية الكبرى من حدود الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ، ومن آسيا الوسطى شمالاً إلى صحارى السودان والمحيط الهندي جنوباً وما زال قائماً منذ القرن السابع الميلادي حتى الآن ولو بقسط .

على أن العصر الذهبي للفن الإسلامي هو العصر الذي بلغ فيه أوج مجده في القرنين الثالث عشر

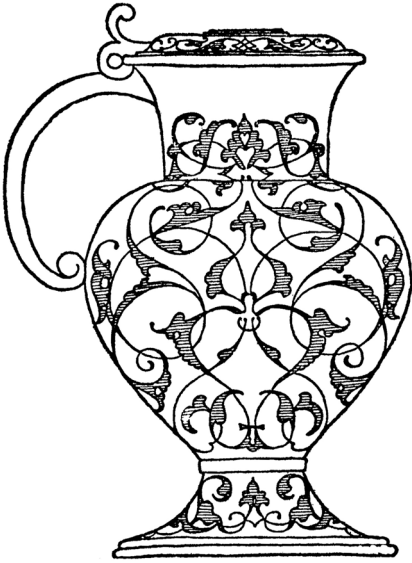


كتابة كوفية مزخرفة على أرضيته بخاروف نباتية هندسية من جامع السلطان حسن بالقاهرة



صفحة من القرآن الكريم - عصر السلطان شعبان مسقمة على مناطق يتوسطها شكل نجمي
 ومحيط بها شريط من زخارف نباتية ثم إطار حافل بالزخارف (١٣)

كتابته عن البلد الذى نشأ فيه ^(١) فتجد خطأ مكياً وآخر مدنياً إلى جانب خط الأنبار والحيرة ^(٢) والكوفة ^(٣). وكانت النتيجة المحترمة لهذا أن الفنانين من الخطاطين الذين بدأوا خطهم في معظم الاحوال بالحفر على الحجر أو الخشب أخذوا يكثرون من استعمال الخطوط المستقيمة والتقليل من الخطوط المقوسة، وبذلك أصبح الخط العربى في أول أمره كثير التضليع يابساً جافاً، فجاء «هندسياً» كما هو الحال في أول أنواع الخط السكوفى الذى انتشر في العالم الإسلامى كله.



إناء بنقوش عربية من وضع هانس هولباين سنة ١٥٢٧م عن كوفل

- [١] انتشار الخط العربى في العالم الشرقى والعالم الغربى لعبد الفتاح هبادة ، القاهرة ١٩١٥
[٢] تاريخ أدب اللغة العربية لحفنى ناصف ، القاهرة (٢٣ ص ١٢٤ وما بعدها) .
[٣] تاريخ الفن الإسلامى لجوجى زيدان (٣٣ ص ٥٤) .

للفنون الإسلامية قد امتازت بالتنوع وتناول الكائنات الحية بالتسجيل ، ولكن الطرز التى ازدهرت في مصر والشام لهذه الفنون تعد أعظم قدراً لما امتازت به من بساطة محبة هى أولى قوانين النجاح الفنى إلى جانب الذوق الخالص الرفيع .

ويعد الخط العربى في مقدمة الفنون الإسلامية الرائعة ، وقد بدأ بسيطاً خالياً من التحلية ، ثم تدرج وتطور على تعاقب العصور حتى بلغ مرتبة فنية سامية لم يبلغها أى خط آخر سواء . وكان لليونة حروفه ومطاوعتها واختلاف رسومها وأشكالها من تقوس وانبساط واستقامة عمودية أو أفقية خير معاون للفنان على جعله عنصراً من عناصر الزخرفة والتجميل . ولا تزال الكتابات الزخرفية العربية التى ازدانت بها واجهات المساجد والأضرحة الإسلامية من أبرز معالم الفنون التى امتاز بها العرب والمسلمون وأحفلها بالروعة والإبداع باعتراف أهل الفن من غربيين وشرقيين .

ولهذه الكتابات العربية الزخرفية عدا ذلك فوائد ومزايا عديدة ، من بينها أنها تسجل تاريخ ما نقشت عليه من بنايات أو أدوات ، وتحدد الأسلوب الفنى للعصر أو الإقليم الذى وجدت فيه ، كما أنها كانت وسيلة إلى تجنب الفنان المسلم ذلك التكرار الممل الذى كان مضطراً إليه فيما يرسم من وحدات زخرفية ، بحكم عدم استطاعته ملء فراغ المساحات التى لديه بصور الأحياء . هذا إلى أن الخط العربى كان يفصح بطريقة

والتعليق ثم جاء بعدها خط الرقعة والخط الديواني وغيرهما مما لا يتسع المجال للإفاضة في الحديث عنه (١).

ولئن كانت الفنون القديمة السابقة للفنون الإسلامية، قد عرفت كثيراً من الرسوم والنقوش الهندسية أو الزخرفية، فالواقع أن استعمالها في تلك الفنون القديمة لم يكن مقصوداً لذاته، بل كان من قبيل الاستعانة بها على تكملة الموضوع، أي أنها كانت شيئاً ثانوياً وإيسر في صميم الفن وجوهره، كما هو شأنها في الفنون الإسلامية حيث تكون العنصر الأساسي فيها جميعاً بلا استثناء.

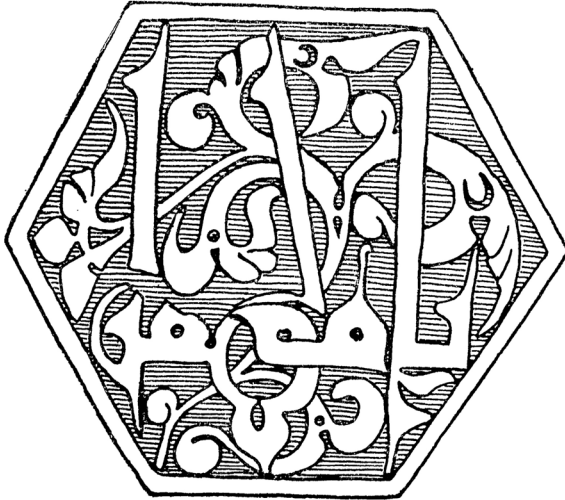
ومن أجل ذلك كان طبعياً أن امتاز فن الزخرفة الإسلامية بما وضع له من أصول وقواعد، وبما عُنى به أساطين البحوث الفنية من تحايل هذه الزخرفة وإرجاع خطوطها ومعالها

ثم كان من أثر كثرة المسكنات في المعاملات والمراسلات تبعاً لتقدم الحياة الإسلامية وتطورها، أن تحرر الخط العربي من جفاف تلك الخطوط المستقيمة، وصارت الكتابة العربية مدورة ليّنة مرنة. ولا يمكن اعتبار هذا الاتجاه ضعفاً فنياً أو تخلصاً عما يطلبه فن الكتابة الكوفية من جهد ووقت، ذلك لأن الطرازين: طراز للكتابة الفنية الكوفية وطراز الكتابة المدنية السريعة، عاشا وأقاما وانتشرا جنباً إلى جنب منذ بداية التمدن الإسلامي.

وهنا نذكر ما للقرآن الكريم من فضل عظيم على الفن الإسلامي والفنانين المسلمين، فإن الاشتغال بكتابة المصاحف مع التفاني في إظهارها بمظهر فاخر باهر، يتناسب مع جلالها ومكانتها العظيمة كان منبعاً فياضاً ومجالاً فسيحاً لإبراز المقدرة الفنية في رسم الخط العربي وتجويده وزخرفته.

وكذلك كانت لكتب الأدب ودواوين الشعر فضل مشكور في تقدم فن الكتابة الزخرفية، كما يمكن القول بأن كثيراً من الفضل في عناية الفنانين من الخطاطين بذلك التجويد يرجع إلى ما جرت به العادة من تسجيل كل منهم اسمه تحت ما يكتبه، مما لم يعهد في غير الخط من الفنون إلا نادراً.

وقد ظهرت في الآفاق الفنى أساليب جديدة في كتابة الخط العربي سميت بالخط الذسخي والثلث والريحاني

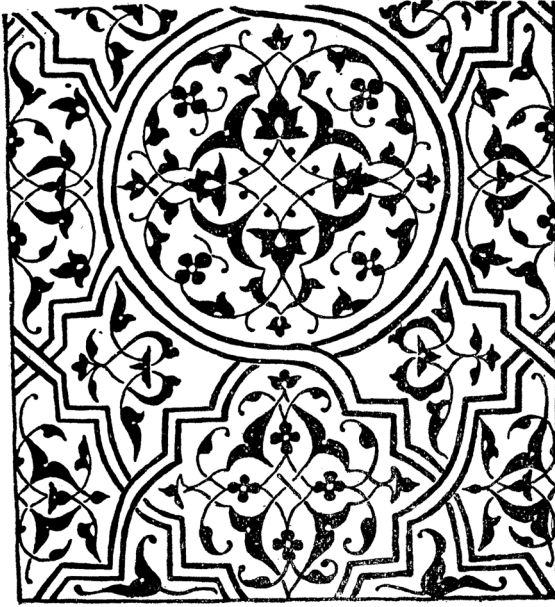


كتابة كوفية مزخرفة من إيران - القرن الثاني عشر - عن كوفل

[١] فنون الإسلام للدكتور زكي محمد حسن ص ٢٢٧

وما بعدها .

بقي أن نشير إلى ميزة أخرى لفن الزخرفة الإسلامية ، وتلك هي ما يلاحظ آثارها الماثلة للعيان حتى الآن من توافر الوحدات النباتية دون التقيد بالطبيعة أو تقليدها تقليداً تاماً ، ففي كثير من هذه الآثار نجد منتجها من الفنانين المسلمين قد استخدموا في الزخرفة أجزاء يسيرة من المرئيات الطبيعية كجذوع الأشجار وأوراقها وثمارها ، ثم اتخذوا منها نماذج أو وحدات كرر رؤوها ملء فراغ المساحات التي يزخرفونها



زخارف نباتية من كتاب بليجرينو في سنة ١٥٣٠ عن كوفل

مع الفنانين في هذا التكرار ، بوضعها متقابلة أو متناظرة تارة ، ووضعها متجاورة أو متعاكسة تارة أخرى... وهلم جرا .

ومن هنا نشأ ما أطلق عليه الأوروبيون اسم « أرابيسك » ، منذ عصر النهضة الإيطالية ، وأطلق

المركبة إلى أصولها البسيطة أو إلى الخطوط والأشكال الهندسية الأولية التي تألفت منها .

وقد أثبتت هذه البحوث التحليلية الفنية بما لا يدع مجالاً للشك أن الفنانين المسلمين باغوا درجة عظيمة لم يبلغها غيرهم من حيث الخبرة التامة بالرسم الآلى الهندسى وتقسيم الدوائر واستعمال الفرجار .

ويمكن القول بأن هذه الرسوم الهندسية العربية استمرت تطورها وتقدمها على مر العصور

حتى بلغت قمة الإبداع والروعة في مصر أثناء حكم المماليك ، حيث كانت تستخدم لزخرفة المصنوعات الخشبية والمعدنية ولتجليد المصاحف والكتب فضلاً عن استخدامها في تزيين المساجد والأضرحة والمدارس وما إليها من البنايات الدينية والمدنية .

وبلغ من إعجاب الفنانين الغربيين بالفنون الزخرفية الإسلامية وما اشتملت عليه من بدائع الرسوم والأشكال الهندسية أن تأثر بها كثير من أساطين الفن عندهم ؛ فجاءت بعض لوحات دليوناردو دافينشى ، الفنان الإيطالى الكبير

مشتعلة على زخارف إسلامية ، كما وجد

بعض هذه الزخارف مسجلاً طبق الأصل في بعض ما أنتجه الفنان العظيم « هانس هولباين » ،

كما ثبت اقتباس كثير من الزخارف الإسلامية في اللوحات النحاسية التي كان يحفرها الفنانون الألمان بأيديهم في منتصف القرن السادس عشر .



إحدى صفحات المصحف الشريف من عصر السلطان المؤيد

آراء وأحاديث

مجلة الأزهر

للاستاذ عبد الله أمين

ومنهم من ملأت شهرتهم المشارق والمغارب، وهؤلاء أنفسهم هم الذين تنهافت عليهم جميع المجلات والصحف المصرية لتظفر من أحدهم بمقال تزين به جيدها، وتضمن به تهافت القراء عليها ورواجها.

وأما ما كتبه كل منهم في هذا العدد فهو من خير ما كتب، ومن خير ما تزدان به المجلات والصحف، وحسب هذا العدد مقال حضرة الأستاذ مدير المجلة ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد حسن الزيات وهو (عهد جديد)، فهو جدير بأن يوزن العدد كله من أجله بالجواهر. إنه من أجود الكلام معاني وباني وترتياً.

لا شك أن هذا العدد غزير المعاني، جليل القدر، منقطع النظير، والمأمول في مهمة مدير المجلة ورئيس تحريرها، ولباقة وخبرته أن يطرد تقدمها على يديه، حتى تبلغ ما يرجي لها من كمال، ولأن تبلغ هذا الكمال المرجو بدون أن تفسح صدرها للنقد.

ولهذا أقول: إن ما يشعر به القارئ حين يطلع على هذا العدد لأول نظرة أنه يسابق المجلات المصرية في ميدان واحد، وإن كان هو المجلي فيه، فكتابته هم كتابتها، وإن اجتمع فيه منهم من لم يجتمع في عدد آخر من المجلات الأخر، وأساليبهم ومعانيهم ومناحيهم هي هي، مع شيء من العناية اللائقة بمجلة الأزهر، وإذا أردنا أن نرى في هذا العدد صورة يعينها، رأينا صورة لجامعة

صدر العدد الأول من مجلة الأزهر في عهدها الجديد، في غرة شهر رمضان لسنة ١٣٧١ هـ، فإذا به في ورقه وغلافه وطبعه وضخامته، في الذروة العليا من المجلات التي تصدر بالعربية في مصر وغيرها، وإذا تحقق رجاؤها - ونرجو أن يتحقق - فستكون في الأعداد التالية أجمل وأجود. أما كتساب هذا العدد فهم الصفوة المختارة من رجال العلم والأدب، في العالم العربي كله،

عليه الألمان منذ عصر نهضتهم الفنية اسم ماوريسك، Maureske وجعلوه علماً على كل الزخارف المتألقة من الفروع النباتية المتشابهة وما إليها. وإلى جانب هذه الوحدات النباتية التي استخدمها الفنانون المسلمون في الزخرفة، استخدم بعضهم أيضاً رسوم بعض أنواع الحيوان والوحوش والطيور والحشرات، كالأسود والقهود والظباء والأرانب والحمائم، ولعل هؤلاء الفنانين المسلمين قد اقتبسوا هذه الرسوم من البلاد الشرقية التي دخلها الإسلام كالصين وإيران وغيرهما حيث كان الفنانون هناك يرسمون صور الحيوانات خرافية مثل الثنين أو البراق (فرس له وجه آدمي). وقد استخدم رسم البراق هذا كثيراً في زخرفة القصص المكتوبة عن المعراج، كما رسموا بعض الأفاعي والحيات والعقارب تحت أقدم بعض الواصلين من المشايخ.

أحمد موسى

١ - العقائد، وهي الإيمان بالله ورسله وبعالم الغيب، من الملائكة والجن والحياة الآخرة.

٢ - العبادات، وهي الصلاة والصوم والزكاة والحج.

٣ - الفضائل والآداب، ويجمعها تزويد الجسم والنفوس والعقول بما ينميها ويقويها ويزينها ويطهرها مما يشينها.

٤ - المعاملات، وتجمع كل الأمور القضائية، والسياسية، والإدارية، والحربية، والصحية، وغيرها من الأمور التي تنظم حياة الجماعات.

غير أن الجزء الأكبر من غاية الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن جهوده، إن لم تكن كلها كانت، موجبة في عهد الرسالة كلها وهو ثلاث وعشرون سنة، إلى تحرير العقائد والعبادات، من عقائد الشرك وعباداته. وذلك لأن العقائد والعبادات هي الدين المحض، فهما كما جاء في مجلة المنار الإسلامي يكملان أمور الإنسان الروحية وينظمان علاقته بربه، ويفضيان به إلى سعادة الدار الآخرة، وفيهما مع ذلك ناحية دنيوية؛ لأنهما يحرران العقول من الأوهام والخرافات، والنفوس من الرذائل والضلالات، وفي ذلك التحرير سعادة البشر في الدنيا أيضاً.

وهما اللذان قال فيهما سبحانه وتعالى: اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً، ولذلك يجب أن تلزم فيهما الحدود التي حددها الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول والعمل، وجرى عليها الصدر الأول من الصحابة، بلا زيادة ولا نقص، لا بقياس،

من الجامعات المدنية أو غيرها، أما الجامعة الأزهرية التي صدر عنها وباسمها فلا يمكن أن يكون مرآة صادقة لها تتجلى فيها صورتها على حقيقتها.

إنما تكون مجلة الأزهر مرآة صادقة للأزهر، حين يكون جميع محرريها من أبناء الأزهر لحماً ودماً وروحاً، أي ممن تعلوا فيه وأصبحوا معلمين فيه، ووقفوا كل حياتهم وجهودهم على تفهم رسالته والعمل بها، وعلى تأدية هذه الرسالة، وحين يكون كل ما يكتب فيها، في هذه الرسالة نفسها، ولا يفتقر هذا وذاك، أن تفسر المجلة لبعض النابهين من غير أبناء الأزهر، من أمثال كتاب هذا العدد شيئاً ما في هذه الرسالة أو فيما يتصل بها من قرب أو من بعد.

وما رسالة الأزهر التي يجب أن تكون القبلية التي يتوجه إليها جميع طلابه وأساتذته، واللاتحول عنها أبصارهم وقلوبهم ونفوسهم قيد شعرة؟ إنى لا أبالغ ولا أتجنى إذا قلت: إن هذه الرسالة غير محدودة، وبعبارة أخرى غير واضحة المعالم. ولقد آن الأوان لوضع حدودها، وتبين معالمها، في هذا العصر الذي تكاثرت فيه وقويت عوامل الإلحاد والإباحة، والتحرر من قيود الأديان واشتدت فيه حاجة البشر إلى الدين النظيف الخالص الذي يستولى على عقولهم وقلوبهم، ويتقدمهم مما هم مشرفون عليه من الشقاء والدمار. إن رسالة الأزهر هي رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد كانت هذه الرسالة الحكيمة الرحيمة الفذة، وتحتوى بلا شك على أقسام الدين الأربعة وهي:

خفافاً ضد البدع والخرافات ، والأوهام والضلالات ، في كل مكان ، وفي مجلة الأزهر .

فتى يعلن هذه الحرب ؟ إن جميع الأحوال الآن تدل دلالة قاطعة على أن وقتنا هذا هو الوقت الملائم لشن هذه الحرب ؛ فالبلاد الإسلامية وفي مقدمتها مصر تسابق الرياح بل الأمواج الكهربائية ، طائفة أو مكرهة ، في سبيل الأخذ بأسباب المدنية الحديثة التي تكاد تقضي على الأديان كلها ، وفي الأزهر الآن نخبة من العلماء الذين يؤمنون بالدين الخالص ، ويعتقدون أن كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، ويمقتون هذه البدع أشد المقت .

وفي مقدمة هؤلاء : الحبيب العزيز القديم حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الإمام الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر ، بقية السلف الصالح ، وإذا تم في عهده الميمون لإنشاء المعهد الحديث للدعوة الإسلامية - ونرجو أن يتم لإنشاؤه قريباً إن شاء الله تعالى - كان لإنشاؤه الخطوة الأولى التي لا بد منها لتحرير العقائد والعبادات ، وهما الدين المحض ، مما علق بهما .

فلا نزاع أن أساس الدراسات في هذا المعهد ستكون الدين الخالص ، والفصل بينه وبين غيره من الأديان ، وبما أضافته إليه الأمم من عقائد الشرك وعباداته ، وأن العلماء الذين يتمون الدراسة فيه سيقفون جنباً إلى جنب مع العلماء الذين أتوا الدراسة في قسم الوعظ والإرشاد وغيرهم من العلماء الذين يجيدون الوعظ والإرشاد ، فيكتمل للأزهر بهؤلاء وهؤلاء القيام بالرسالة كلها ؛ فإن رسالة

ولا بدعوى إجماع لمن بعدهم ، ولا لمصلحة ، ولا لغير مصلحة ، ولا لغير ذلك من العلل والأسباب .
هكذا كان هم الرسول صلى الله عليه وسلم ، مصروفاً كله إلى تصحيح العقائد والعبادات ؛ لأنهما الدين المحض ، ولأن المشركين كانوا منغمسين إلى الأذقان في الشرك وفيما يتفرع منه من الأوهام والخرافات ، والذائل والضلالات ، وهذه وتلك المصدر الأكبر الأول لشقاء البشر وتعاسته في الدنيا والآخرة جميعاً ، ولن يستقيم له أمر فيهما ما لم يرد إلى العقائد والعبادات النظيفة ، وهي الإسلامية حقاً .

وما حال المسلمين والمشركين الآن ، وغداً وبعد غد ، وإلى أن تقوم الساعة ، في مشارق الأرض ومغاربها ، ومنها مصر العزيزة مقر الأزهر الشريف ، بأحسن من حال المشركين حين الرسالة ؛ فالناس هم الناس في كل زمان ومكان ، لأنهم عبيد التراث القديم الذي ورثوه منذ آلاف السنين عن الآباء والأجداد ، وعما أحاطهم من ملابسات ومؤثرات ودرجوا عليه وطبعوا بطابعه . إنه ملئ دائماً بالجهالة والضلالة لا يتحررون من فساد العقيدة ، ولا من فساد العبادات ، وهما أصل شقائهم ومصدر بلائهم . فهم دائماً في حاجة ملحة إلى حرب عنيفة شعواء واسعة النطاق ضد عقائد الشرك وعباداته ، وأصل هذا الفساد كله دعاء غير الله الواحد القهار ، ففي الحديث الصحيح : « الدعاء مخ العبادة » .

فلا يمكن أن يعد الأزهر حاملاً لواء الرسالة المحمدية العليا ، إذا لم يرفع علم هذه الحرب عالياً

الاستاذ مديرها ورئيس تحريرها أحد حسن الزيات ، ووفائه بهذه الأمانة لا يكون إلا بأن يعمل جاهداً على إحلال أبناء الأزهر من العلماء المؤمنين بالرسالة على النحو الذي شرحته هنا في تحرير المجلة محل المختارين لتحريرها من غيرهم وذلك بالتدرج في مدة لا تتجاوز بضع سنين على أن يكون هو آخر من يتخلى عن المجلة ويدع إدارتها ورياسة تحريرها لمن يختاره هو منهم لها - والله ولي التوفيق - بعد كتابة هذا المقال صدر عدد شوال سنة ١٣٧١ من المجلة فإذا به كعدد رمضان .

عبد الله أصعب

تعقيب :

وافق الاستاذ على جملة قوله ، ولا أعقب إلا على رأيه في تحرير المجلة .

المسألة ياسيدى الاستاذ واحدة من ثلاث : إما أن تخرج المجلة بيضاء ؛ وإما أن أكتبها كلها بقلبي ؛ وإما أن استكتب لها الكتاب ، فالأولى غير مقولة ، والثانية غير مقبولة ، والثالثة فيها كلام .

توليت إدارة هذه المجلة وليس فيها محرر ولا مترجم ولا موظف بعين على التحرير والترجمة ، فلم أجد بدا من الاستعانة بالكتاب الذين حملوا أمانة العلم وفهموا ثقافة الإسلام . وكان من أول هؤلاء وأولاهم كتاب الأزهر ، ولكن معرفتي بأكثرهم قليلة . وهم لم يتكروا بالتعارف ولم يتقدموا بالمعونة ، فلجأت إلى من أعرف من الأزهريين والجامعيين والمجمعين . وخرج عدد رمضان على النحو الذي عرفت . ولم تتغير الحال في عدد شوال فصدر على الوضع الذي رأيت .

الوعظ والإرشاد ، الدعوة إلى : (١) الفضائل والآداب (٢) تقويم المعاملات بين الناس فهي تحيي القسمين الثالث والرابع من أقسام الدين . وهذان القسمان كما جاء في مجلة المنار الإسلامى دنيويان ؛ لأنهما مديان اجتماعيان . نظمان لشؤون الإنسان في الدنيا ، وعلاقته بأهله وبقومه وبغيرهما من خلق الله سبحانه ، فيسعد بهما هو ومن يتصل به في الدنيا .

وفيهما مع ذلك ناحية دينية ؛ لما ورد فيها من نصوص في الحلال والحرام تجب طاعتها والعمل بها ، وفي هذه الطاعة ، وفي هذا العمل زانئ إلى الله سبحانه وحسن مأب ؛ لما فيهما من نفع ، وتربية للنفس ، وفي عصيانهما ومخالفتهما بعد من الله وسوء مأب ، وفي إحلال حرامهما ، وتحريم حلالهما عمداً كفر . وهذا ما يؤيد أنهما دينيان من ناحية .

وهنا في هذين القسمين مجال للزيادة بالقياس وبالإجماع فيما لم يرد فيه نص فيهما ، وهذا موكل لأولى الأمر ، وفي أولى الأمر كلام يطالب في مواضعه .

فلأزهر رسالة أخذ بالشرط الثانى منها ، وأعد لها عدتها وقام ويقوم بها ، أما الشرط الأول من هذه الرسالة فهو ينهيا له الآن ، ونطالبه به . إن هذا الشرط الأكبر الأول بل الأزهر كله أمانة للإسلام والمسلمين بين يدي حكيم خبير من أبناء الأزهر ، هو شيخه الإمام الجليل ، ومجلة الأزهر هي الأخرى أمانة للأزهر بين يدي أجدر الصحفيين بحمل هذه الأمانة ، وهو حضرة

الفتح المبين

حديث من أحاديث الاذاعة المصرية أنفاة صاحب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت في ذكرى الفتح ،
فراينا أن ننشره في هذا العدد الخاص بالفتح استزادة من مجد الفتح واستفادة من أدب الأستاذ

حربا ، وإنما يريد عمرة ونسكا . وعلى الرغم من ذلك جاءته الأنباء بأن قريشاً أجمعوا على منعه من دخول مكة وصده عن المسجد الحرام وأنهم تجهزوا فعلا لقتاله ، ولكنه صلى الله عليه وسلم ، تقاديا للقتال الذي لا يريد ، غير طريقته الذي ترصدوا له فيه ، وتحول بأصحابه إلى جهة تعرف باسم الحديبية ، قرية من مكة . وفي هذا المكان جاءه سفير من قريش يتحدث معه فيما يريد ، واتصلت المفاوضة بينه وبين قريش حتى بعث إليهم عثمان بن عفان يوضح لهم مقصده ، وأنه لا يريد قتالا . ولما أبطأ عثمان ابن عفان في مكة ، شاع فيما بين المسلمين أن قريشا قتلته ، وهنا قال الرسول : لا نبرح حتى

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله تعالى : : إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ، وينصرك الله نصرا عزيزا . في السنة السادسة من الهجرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين ، محلقين رموسهم ومقصرين . وأخبر المسلمين بهذه الرؤيا . وثقة بما أراه ربه - وهو لا يريه إلا حقاً - توجهت نفسه إلى تحقيق هذه الرؤيا ، فاستنفر أصحابه واستنفر الأعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه ، ولكنهم لم يستجيبوا لدعوته ، اعتذروا وتللموا ، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار معلنا أنه لا يريد

يا سيدى الأستاذ فى هذا العدد خلا لا يسد ولجوة لم تملأ ، فأرجع هذا إلى ذاك . ورأى قبل هذا أن الأزهر فكرة ؛ فكل من أخذ بها وعبر عنها ودعا إليها فهو أزهري وإن لم يخرجها الأزهر . أما رأى بعد هذا ، فهو أن العبء باهظ والجو خائف والعدة ضعيفة والمعاونة قليلة والسن متقدمة والصحة متأخرة . وما أطعت فضيلة الشيخ الأكبر الإمام عبد المجيد سليم فى تولى هذه المجلة إلا لارسم الخطه وأضع النموذج . وفى اعتقادى أن فى الأعداد الثلاثة التى صدرت على علاقتها ما يكفى .

ولك يا سيدى الأستاذ أجزل الشكر على جميل رأيك وحسن ظنك .
مدير المجلد

وفى عدد المحرم الذى بين يديك اختلاف الأمر بعض الاختلاف . لم أجد بعد ثلاثة أشهر مسوغا لا انتظار التعارف أو التعاون ، ففزعنا إلى لجنة من صفوف العلماء الاصدقاء فى الأزهر ومعنى خطة لهذا العدد الخاص مبينة المعانى معينة الاغراض ، وسألهم أن يختاروا لهذه الموضوعات كتابها من رجال الأزهر ، فاختاروا طائفة من أعيانهم كتبت إلى كل منهم رسالة بموضوعه وموعده . ثم انتظرت ونظرت فإذا الاساتذة جميعاً لا يكتبون ولا يعتذرون ، ما عدا الأستاذ الشيخ محمد عرفه ، وكان الوقت قد ضاق عن استكتاب غيرهم ممن يكتبون أو يعتذرون فنزلنا مضطرين على حكم الواقع ، فإذا رأيت

إلى صراطه المستقيم ، وبالنصر الذي لا تعتريه هزيمة ، ولا يلحقه غلب ، إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ، وينصرك الله نصراً عزيزاً .

ثم يمتن الله في السورة على المؤمنين بموقفهم في الانقياد للنبي صلى الله عليه وسلم وأمره إيمانهم بالرجوع معه إلى المدينة ، وأن ذلك لم يكن إلا بطمأنينة ملائكة الله بها قلوبهم ، هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم . وأن الله تعالى كان قادراً على أن يشردهم بأعدائهم - بما له من جنود السموات والأرض - دون أن يكون للمؤمنين دخل في هزيمتهم ، وتمزيق قوتهم ، ولكنه سبحانه رتب الأمر هكذا وجعله بأيدي المؤمنين لينالوا ما أعد لهم من نعم ، ولينكشف المنافقون والمشركون ، وينزل بهم ما يستحقون من جحيم ، وقد نوهت السورة بعد ذلك بالمبايعة التي حصلت تحت الشجرة ، لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً . كما فضحت أسرار المنافقين الذين لم يخرجوا معه . وفي ذلك يقول : سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أ.والنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بالسفهم ما ليس في قلوبهم . . . وسيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى معانمنا لنأخذوها ، ذرونا نتبعكم ، يريدون أن يبدلوا كلام الله . قل إن تتبعونا ، كذلك قال الله من قبل . . . وفي بيان الحكمة في قبول الصالح وعدم القتال ، وأن ذلك

نناجزهم الحرب . ودعا أصحابه للبيعة على القتال فبايعوه تحت شجرة هناك ، عرفت بشجرة الرضوان . ولما ذاع نبأ تلك البيعة ، ووصل قريشاً أمرها ، وهم يعرفون قيمة البيعة عند المؤمنين ، لجأوا إلى المسالمة ، وأرسلوا إلى الرسول عليه السلام من يعرض عليه الصالح . وقد تم الصالح بشروط قبلها النبي صلى الله عليه وسلم ، ورأى فيها بعض أصحابه غيباً شديداً على المسلمين ، فتلكأوا به بعض الوقت في تنفيذ ما أمرهم به النبي من التحلل والرجوع ، ثم سارعوا إلى الامتثال حينما رأوه يباشر فعلاً عملية التحلل بالنحر والحق ، فتحلوا ورجعوا إلى المدينة وفي قلوبهم ما فيها من آلام الموقف . ولكن الله العليم بخير هذا الصالح على المسلمين وما يشمره من الثمرات الطيبة في نشر الدعوة بآدمهم بإنزال تلك السورة العظيمة وهم في طريقهم إلى المدينة ليكشف لهم الغطاء عما لم يدركوا من أمرار توجيهه للنبي عليه السلام وأكد لهم أن ما حصل ليس كما يظنون ، غيباً ودنية .

ولأنما هو فتح ، وفتح مبين : فتح للعقول لتدرك سمو الإسلام ، وفتح للقلوب لتخالطها بشاشة الإيمان ، وفتح لمسكة وغيرها من القرى والمدن التي ستعلو فيها كلمة الحق والعدل ، ويندك بها صرح الباطل والظلم ، وأنه بهذا الفتح سيظهر قلب النبي صلى الله عليه وسلم من الحرج واستبطاء نصر الله له الذي كان يحسه في مواقف الشدة ، ويظفر بإتمام نعمة الله عليه وإكمال دينه بالتشريع والبيان ، وبهدايته هداية عملية واقعية ،

بالله شهيدا . محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود .

ثم سجلت لهم ، واسكل من سار على نهجهم في قوة الإيمان والعمل الصالح ، هذا الوعد الكريم . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما .

هذا هو الفتح المبين ، وهذه هي سورة الفتح ، ومن العبر التي توحى بها هذه السورة الكريمة والتي يجب علينا أن نستخلصها لنستفيع بها في حياتنا الراهنة ، أن القائد لا بد لنجاحه في تكوين أتمته ، وتركيز قوى الخير فيها ، من أن يبذل جهده في تعرف جانب الحكمة والسداد في الرأي ، وأن يعتمد على من عرف لإخلاصهم ، وصدق لإيمانهم ، وأن الجيش المظفر هو الجيش الذي يطهر نفسه من عناصر التخذيل والضعف ، وأرباب الغايات المادية الفانية ، التي لا تتصل بشرف الذمة ومجسدها ، وأنه يجب تنحية المنافقين الذين لا يقصدون من القتال سوى تلك الغنائم المادية . وبسداد الرأي ، وقوة العزيمة ، وصدق الإيمان ، وطهر الجيش ، وسمو هدفه ، يكون النجاح والظفر ، وتكون العزة والمناعة .

نسألك اللهم أن تسكل عمل المجاهدين المخلصين بالضر والتأييد ؟

محمد سلتوت

لم يكن ضعفا ولا عجزا من المؤمنين ، تقول السورة « ولوقاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ، ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا » . وتقول « وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ، وتقول « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم » .

ولقد كان من بركة هذا الموقف أن اعترفت قريش للمؤمنين بدولة ، لها كيانه ، ولها سفراؤها ، ولها قوتها ، وأنه مهد لكثير من العرب : قريش وغيرها ، أن يختلطوا بالمسلمين فيعرفوا عن كذب حقيقة الإسلام ، وما يدعو إليه من فضائل وأخلاق ، وقد مهد كل هذا للفتح الأكبر الذي به سقطت دولة الظلم ، وتحطمت أصنامها ، وبه تحققت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم . وفتح المسلمون مكة ، ودخلوا المسجد الحرام « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آهنيين ، محلقين رموسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ، ثم أكدت السورة ضمان حسن العاقبة للرسول ، وأن الله سيظهر دينه على الدين كله ، وذكرت أصحابه عليه السلام بالترحم فيما بينهم ، والإخلاص لله ، وذكرتهم بالشدة على الكفار والغيرة على الحق « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى

مَائِقَاتُ الْعَزَلِ وَالسَّلاَمَةِ

ما كان يخفف وطأة الجوع بكسرة من خبز الشعير .

وقال هذا المؤرخ يصف جهاد المسلمين في غزوة مؤتة : أعطى لواء المعركة لزيد ، فإذا مات خلفه جعفر ، وإذا مات جعفر خلفه عبدالله ، وبعد ذلك يختار المسلمون من يقودهم ؛ ولقد مات القواد الثلاثة في معركة مؤتة أول المعارك التي امتحن فيها حماس المسلمين أمام عدو أجنبي ؛ أما زيد فقد سقط كما يسقط الجندي في مقدمة الصفوف ، وأما جعفر فقد مات موته البطل ، فقد قطعت يمينه ، فأمسك اللواء ببسراه ، فذهبت يسراه فاحتضن اللواء بعصديه النازفين ، ثم سقط وفي جسده خمسون جرحاً شرفاً ؛ ونادى عبدالله وقد انقطع اللواء : تقدموا فإما النصر وإما الجنة ، فأردته حربة رومانية فتقدم خالد فاتح مكة ، ورفع اللواء وقد تكسرت في يده عشرة سيوف ؛ ومكثته بسالته من الوقوف وحده في وجه مكائريه من العدو بل وردم ، .

هـ . ج . ولز وضعاً من الأسر

كتب ولز في كتابه : مختصر تاريخ العالم ، إن المؤرخ المتنبئ في أوائل القرن السابع الميلادي

رأينا أن نختار لهذا العدد من مجلة الأزهر ما يلائم فكرته ، ولذلك لم نقتصر على ما يقوله المعاصرون في صحفهم ومؤلفاتهم .

بعض ما يقوله المؤرخ الإنجليزي هيبون

تعرض هذا المؤرخ الشهير لظهور الإسلام في كتابه الضخم : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، الذي طبع سنة ١٧٨٨ ، ولقد كان متأثراً فيما كتب عن الإسلام بما كان يسود أوروبا يومئذ من التعصب والسخط على هذا الدين ، ولكنه كان ينسى تعصبه أحياناً إذ تغلب عليه نزعة المؤرخ : قال يصف جانباً من حياة الرسول صلوات الله عليه : إن سمو إحساس محمد جعله يحتقر بهرج الملك ؛ وكان رسول الله يخضع نفسه لما تتطلبه حياة الأسرة من عمل ، فقد أوقد النار وكسب المنزل وحلب الشاة ، وخصف بيديه نعليه ورتق ثوبه ، ولقد كان قائماً كل كفاً كل يوم العربي والجندي ؛ وكان في مناسبات قليلة يولم لرفاقه في سعة ، ولكن الأسابيع الكثيرة كانت تنقضي ولا يوقد في بيته نار لطعام ؛ وكان يحرم الخمر كما يقضي بذلك الدين ؛ وكثيراً

جيتيه والاسلام

للشاعر الألماني العظيم جيته كلمات طيبات عن الإسلام تتناثر في أحاديثه وكتابات، وإعجاب روحى يظهر في بعض أعماله الفنية مثل الديوان الشرقى ؛ ومن أشهر ما قاله جيته عن الإسلام عبارة : إذا كان المراد من الإسلام أن يسلم المرء وجهه لله ، فإننا على الإسلام نحيا جميعا ونموت جميعا .

وانقد قال جيته لصديقه المستشار فون ملر سنة ١٨١٩ : إن الإذعان والاستسلام هما في كل دين القاعدتان الحقيقيتان ؛ أعنى الخضوع لإرادة عليا مهيمنه على كل شيء ، لا تستطيع عقولنا إدراكها لأنها فوق مداركنا ، وفي هذا يعظم الشبه بين الإسلام والبروتستنتية .

ويجعل جيته التقوى والإسلام شيئا واحدا فيقول : إننا حين تظهر أرواحنا نحس رغبته قوية متأججة في أن نسلم أنفسنا طوعا لموجود لا ندركه أعلى وأطهر منا نحمده ونشكره ، وبهذا تصور لأنفسنا هذا الأزل الذى لا ندركه العقول ، ونلك هى التقوى ، وإذا كان الإسلام هو هذا التسليم فكلنا مسلمون .

الكونت هنرى دى لاسترى وهواطره

عن الاسلام

ألف الكونت كتابه سنة ١٨٩٦ ؛ وقد عربه المرحوم أحمد فتحى زغلول باشا ؛ ومن آراء المؤلف في سر انتشار الإسلام قوله : جند

كان يستطيع أن يقول بحق إنه ما هى إلا قرون ثم يغزو العالم المغول فيحكمون ما بين المحيط الهادى والطونة وذلك لأن الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية كانتا تعانيان الانحلال ، وكانت الهند مقسمة ، وكانت الصين تمتد في رقعتها الفسيحة ، وكانت الشعوب التركية في وسط آسيا تفعل مثلما تفعل الصين .

ثم يقول هذا المؤرخ الإنجليزي والقصصى الذائع الصيت : إنه إذا كان ثمة من خطأ يقع فيه ذلك المتنبي فمصدر هذا الخطأ هو الصحراء العربية ، فإن بلاد العرب كانت تبدو له كما هى حالها من زمن سحيق موطناً لقبائل صغيرة من البدو الرعاة ولكن هؤلاء البدو انبعثوا فجأة ، وبلغوا في قرن قصير غاية الرفاهية ، فلقد نشروا حكمهم ولغتهم ما بين أسبانيا وبلاد الصين . ولقد أمدوا العالم بثقافة جديدة ، وخلقوا دينا لايزال حتى اليوم قوة من أهم القوى الحيوية في هذه الدنيا ، ثم لخص ولز حياة الرسول وقال عن دينه : إن في ذلك الدين الذى نشره محمد في العرب كثيراً من أسباب القوى والوحى ، ومن أبرز خصائصه ، الوحدانية المطلقة الى لا تعرف هوادة . وعقيدته السهلة المتحمسة في الله وحكمه ؛ وخلوه من التعقيد المذهبي . والتحرر المطلق من الرهينة والمعبد ، وثمة عنصر هام من عناصر القوة في الإسلام ذلك هو تأكيد الإخاء والمساواة بين المسلمين أمام الله مهما تكن ألوانهم وأجناسهم وأوضاعهم تلك هى الخصائص التى جعلت للإسلام قوة في شؤون هذه الدنيا .

الجزية ، وكانت شيئاً يسيراً أوجزاً من اثني عشر . وبذلك أمنوا في ظل الدين الجديد ، ولم يتعرض لإلهم أحد من دعاة في دينهم ولم يفرق بين أصلي في المسيحية ومفشق عنها وهذه المعاملة هي التي جاء بها القرآن وجرى عليها الخلفاء الأولون ، فكان اليهود والمسيحيون يسمون ذميين .

وقال عن الاندلس : « ولقد زادت محاسنة المسلمين للمسيحيين في بلاد الاندلس حتى صاروا في حالة أهنأ من التي كانوا عليها أيام خضوعهم لحكم قدماء الجرمانيين . ويقول (دوزي) إن هذا الفتح لم يكن مضراً بالاندلس ، وما حصل من الاضطراب والهرج بعده لم يلبث أن زال باستقرار الحكومة الإسلامية المطلقة في تلك البلاد . وقد أبقى المسلمون سكانها على دينهم وشرعهم وقضائهم وقلدوهم بعض الوظائف حتى كان منهم موظفون في خدمة الخلفاء وكثير منهم تولى قيادة الجيوش ، وتولد عن هذه السياسة الرحيمة انحياز عقلاء الأمة الاندلسية إلى المسلمين ... ونحن نعلم أن المسيحيين أيام الحروب الصليبية ما دخلوا بلاداً إلا وأعملوا السيف في يهودها ومسلميها ، وذلك يؤيد أن اليهود إنما وجدوا مخرجاً في الإسلام ، فإن كانت لهم باقية حتى الآن فالفضل فيها راجع لمحاسنة المسلمين ولين جانبهم لا إلى ما يوجد بين الاثنين من الجامعة في الأصل والجنس واللغة والدين ... ولم يطلب المسلمون من مسيحي الاندلس إلا ما فرضوه على غيرهم وهو الجزية ، .

الإسلام قسماً عظيماً من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس بتصور الذات الإلهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها في خمس صلوات في كل يوم ، وبما اشتمل عليه من الرفق بطبيعة البشر حيث أتاح للناس شيئاً مما يشتهون ؛ وأعظم عامل في انتشار الإسلام وبخاصة بين الأمم البدائية ، بساطة مذهبه وسهولة تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم طباع الذين لم يعرفوا ديناً من قبل ؛ إنه دين لا أسرار فيه وكلته أو كلفة الشهادة يعتاض عنها عند الاختصار بإشارة تدل عليها كرفع السبابة إلى السماء إشارة إلى وحدانية الله تعالى ، فكلمها وجد الرجل الجاهل أمامه دينين متحدين في حقيقتين : وحدانية الله ، وخلود الروح . وهما الإسلام ودين عيسى ، يختار الدين الذي لا يزيد شيئاً عن تيفك الحقيقتين ، ويعتق الإسلام بلا محالة ؛ وهي قوة يفضل بها الإسلام المسيحية في الانتشار .

وقال المؤلف : ولا انتشار الإسلام وخضوع الأمم لسلطانه سبب آخر في آسيا وأفريقيا الشمالية هو استبداد القسطنطينية فإنه كان قد بلغ منتهى العسف ، ووصل جور الحكام إلى درجة أزهقت النفوس ، فلما جاء الإسلام تراموا إليه هرباً من الضرائب الفادحة واستلاب الأموال لأنه كلما أسلمت عشيرة رفع عنها أتعاب المغارم ، ورد إليها مالها المسلوب ، ومن لم يقبل شريعة القرآن عومل هذه المعاملة عينها بلا قيد غير أداء

كارليل يشيد بالاسلام

ذا الرمل يصبح مادة متفجرة ثم يتوهج مطاولا
السما من غرناطة إلى دلهي !

لقد قلت إن الرجل العظيم كان أبدا كالبرق
ينبعث من السماء ، وإن بقية الناس إنما ينتظرونه
كالوقود وعندئذ تراه كذلك يشتعلون .

المستشرق جب ورسالة الاسلام

يقول المستشرق الأستاذ جب في كتاب «وجهة
الإسلام» ، الذي عربه الأستاذ محمد عبد الهادي
أبو ريذة سنة ١٩٣٣ : « لا يزال الإسلام في العالم
العربي يسلك سبيلا وسطا بين المتناقضات الشديدة ؛
وهو على معارضته لفوضى القومية الأوروبية
وللنظام العسكري لروسيا الشيوعية ، لم يقع بعد
فريسة للهجمات الاقتصادية الملحة التي تمتاز بها
أوروبا وروسيا ، وقد لخص الأستاذ ماسينيون
الاخلاق الاجتماعية في الإسلام تلخيصا يدعو
إلى الإعجاب حيث قال : للإسلام الفضل في أنه
يمثل لنا فكرة عادلة عما يقوم به كل فرد من أبناء
الوطن بدفع عشر ريع الأرض للخزانة العامة ؛
لأنه يشن الغارة على المبادلة المطلقة ورأسمالية
المصارف وقروض الدولة والضرائب غير المباشرة
على الأشياء ذات الأهمية الجوهرية ؛ ثم هو يؤكد
حقوق الأب والزوج والمالكية الفردية ورأس
المال التجاري ، ونراه هنا يقف مرة أخرى في
مسان وسط بين الرأسمالية البرجوازية وبين
الشيوعية البولشفية ،

كتب الفيلسوف كارليل فصلا عن محمد في
كتابه «الابطال وعبادة البطولة» ، وقد اختار
نبي الإسلام للبطل في صورة نبي ، وقد اختتم
هذا الفصل بالبليغ بقوله عن الإسلام : « لقد ظل
الإسلام مدة اثني عشر قرنا ديننا وهاديا في الحياة
لجنس الجنس البشري كله ، ولقد كان فوق كل
شيء ديننا مصدقا من أعماق القلوب ؛ إن هؤلاء
العرب يصدقون بدينهم ويعيشون به ؛ ولم يكن
ثمّة من مسيحيين منذ العصور الأولى ، أو منذ
اليوريتان الإنجليز في الأزمنة الحديثة آمنوا
بدينهم كما يؤمن المسلمون بالإسلام ... الله أكبر !
هذا ما يميز به الإسلام أرواح هؤلاء الملايين
وما يملأ به حياتهم اليومية ...

لقد كان الإسلام للأمة العربية بمثابة الميلاد:
الخروج من الظلمة إلى النور ؛ كانوا قبائل فقيرة
من الرعاة ينتقلون في جزيرتهم لا يعلم بهم أحد ،
فأرسل إليهم بطل نبي بكلمة استطاعوا أن
يصدقوها ؛ فانظر إلى أولئك المجهولين يلفتون
أنظار الدنيا ، وإلى تلك القلة تعظم حتى تملأ العالم ؛
لقد أصبحت بلاد العرب في قرن تمتد إلى غرناطة
من ناحية وإلى دلهي من الناحية الأخرى . هؤلاء
العرب وهذا النبي محمد وهذا القرن من الزمان !
أليس ذلك كما لو نزلت شعلة ، شعلة واحدة على
عالم يبدو رمالا مجهولة سوداء ؛ ولكن ها هو

العصر في تفكيرهم وفي لغتهم وصيغ أفكارهم ؛ وقال إن هذا قد يعطى حجة للذين يرمون الدين الإسلامى بأنه دين تحجر ؛ ورد جب على هذه التهمة بقوله : « ولكن هذه التهمة باطلة فإن الإسلام دين حى يبعث الحىوية ، تستجيب له قلوب عشرات ومئات الملايين وعقولهم وضمائرهم ؛ ويمدح بالمثل الذى يريهم كيف يعيشون به غيشة الأمانة والوقار والتقوى ، ويختتم جب هذا الفصل بقوله « لأنه لواجب على المسلمين أنفسهم أن يرسوا أساليب تفكيرهم وتصرفهم العملى المترتب على ذلك . وهذا عمل لن يتم إلا فى عدة أجيال وربما احتاج إلى صراع . إن الحق يفنى أن يكافح أبداً عن وجوده ، وليس من المقدر دائماً أن يظفر فى الجولة القصيرة ، » .

من الادارة

بهذا العدد الخاص بالفتوح الإسلامية تفتح المجلة عامها الرابع والعشرين . وهى بهذه المناسبة تقدم إلى العالم الإسلامى أخلص التهنيات وأصدق الامانى ، وترجو من مشتركها ومتعديها أن يجمدوا الإشتراك ويسددوا المتأخر ولهم الشكر .

ولكن لا تزال للإسلام رسالة يؤديها من أجل الإنسانية ؛ لأنه يقف برغم كل شىء أقرب من أوربا إلى الشرق ، وله ماض مجيد من تفاهم الأجناس وتعاونها ، ولا يوجد مجتمع سجل له من النجاح فى أن يجمع بين كثير من الأجناس المختلفة وأن يسوى بينهم فى العمل والمساكنة وتهيئة الفرص كما سجل للإسلام . وإن الجماعات الإسلامية العظيمة فى أفريقيا والهند وإندونيسيا والجماعات الإسلامية الصغيرة فى الصين والجماعة الصغرى فى اليابان لتبين جميعاً أنه لا تزال للإسلام القوة على أن يتألف العناصر التى لا سبيل إلى التوفيق بينها بسبب الجنس والتقاليد ؛ وإذا لم يكن بد من أن يحل التعاون محل الشقاق بين المجتمعات العظيمة فى الشرق والغرب ، فإن وساطة الإسلام شرط لا بد منه ، لأن فى يده إلى حد كبير حل المشكلة التى تواجه أوربا فى علاقاتها مع الشرق ؛ وإن اتحاداً زاد الأمل زيادة لا حد لها فى بلوغ نتيجة سلمية ؛ أما إذا قذفت أوربا بالإسلام بين أذرع خصومها ورفضت التعاون معه ، فلا بد أن تكون النتيجة كارثة للجانبيين ، .

رأى آخر للمستهتمرو جب :

وتحدث هذا المستشرق فى كتاب حديث له هو « النزعات الحديثة فى الإسلام ، وهو بصدد الكلام عن الإسلام اليوم فى العالم ، فتعرض لعلماء الدين الإسلامى ، وعن عدم مجاراتهم

الكتاب

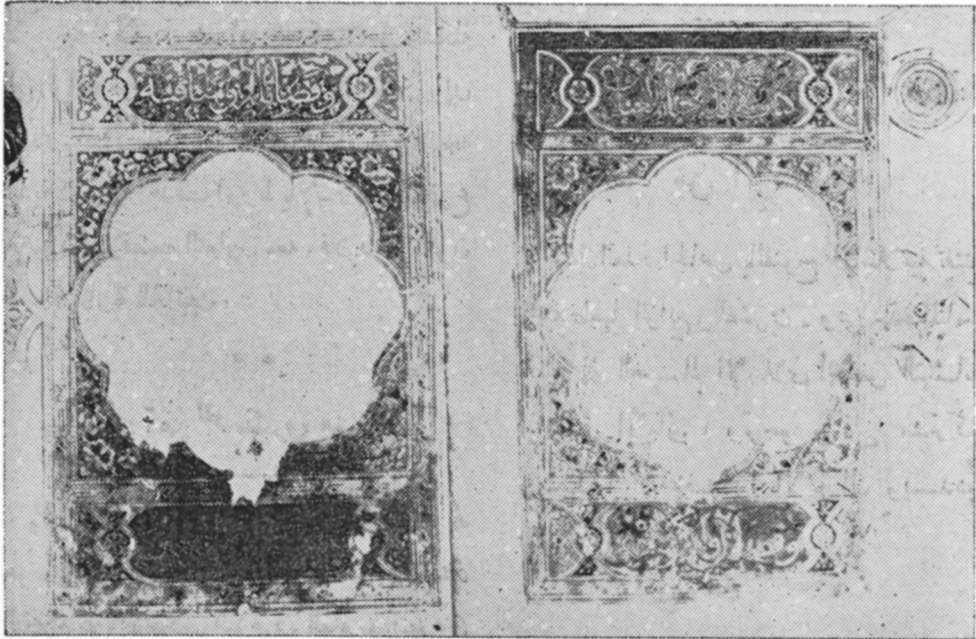
مخطوط فريد :

كشف جديد في تاريخ الدعوة العباسية

للمؤلف: عبد الفتاح السمرجاني

حتى صار شغلي الشاغل في السنوات الثلاث الماضية ، وكنت قد انتسخت لنفسى نسخة من الكتاب ساعدنى على انتساخها زميل السيد ناجى معروف ووعدنى بالمعاونة في التعليق على الكتاب . وقد لاحظت أن هذا الكتاب لم يقسم إلى أبواب وفصول وإنما جعلت عناوين الموضوعات

عثر في خزانة الإمام الأعمش أبي حنيفة النعمان ببغداد على مخطوط يقع في ٢٠٤ ورقة من القطع الكبير ، في موضوع له أهميته الكبيرة في مجرى التاريخ الإسلامى ، هو حركة الدعوة العباسية ، ومنذ عرفت هذا المخطوط وأنا عاكف حتى اليوم على دراسته وتصحيح أخطائه وتعليق حواشيه

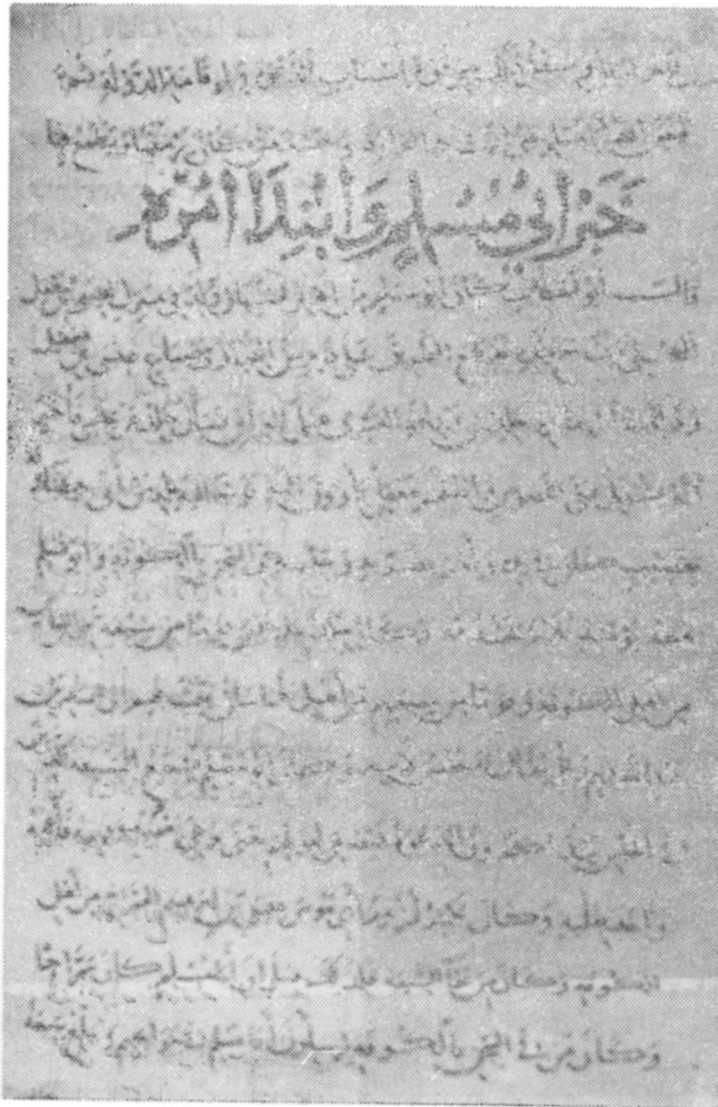


الزخارف ثم لصقهما على ورقتين متقابلتين في صدر الجزء الباقي من المخطوط ، وهاتان الصحيفتان لهما أهمية أثرية عظيمة ، وهما بحق جديرتان بالبقاء لدقة نقوشهما ذات الألوان الزاهية الجميلة ، ولأنهما يساعدان على تعيين

يتلو بعضها بعضاً ، وهي مكتوبة بالخط النسخ المذهب ، وأول عنوان يصادفك «موت العباس» وهذا جعل الكتاب يعرف في قوائم الخزائن بهذا الاسم ، وبقي كذلك حتى استطعنا كشف اسم آخر للمكتتاب يعرف به الآن في بغداد .

واستطعت بعد اختبار وتمحيص طويلين أن أناكد من أن المخطوط غير منقوص من آخره ، أما من أوله فقد ضاعت ثلاث كراسات أى ثلاثون ورقة كانت قد جمعت لتتبع الأصل الأول للدولة العباسية والكلام عن حياة العباس بن عبد المطلب .

ومن الغريب أن الصحيفتين الأولى والثانية من الكراسة الأولى المفقودة ، وعليهما زخارف هندسية ونباتية مذهبة وملونة لا تزالان في صدر المخطوط الحالي ، وأفصد بذلك أن مقتني المخطوط وجد هاتين الصحيفتين قد تأكلت من أطرافهما ووسطيهما فذهب هذه الأطراف المتأكلة وقص وسطيهما ولم يُبق إلا



كذلك ، فلماذا لم يكتبه مقتنى الكتاب في هاتين الدائرتين في صدر المخطوط ؟

هل كانت الكتابة التي قصها من الوسط هي عنوان الكتاب فقرأها واكتفى بكتابتها على حافة المخطوط العليا ؟ ولماذا لا نذهب مذهبا آخر هو أنه لم يستطع تبين هذه الكتابة فأغفلها ولم يستطع معرفة اسم الكتاب فوضع له هذا

عصر هذه النسخة تعيينا واضحا من حيث الخط والموضوعات الزخرفية ، ولعل أهم ما فيها من حيث الدلالة على موضوع المخطوط ما كتب في أعلى الصحيفة الأولى وسط الزخارف المذهبة الملونة بالخط النسخ الجميل ، واستمر في رأس الصحيفة الثانية ثم انتقل إلى أسفل الصحيفة الأولى فالثانية وهذا نصه :

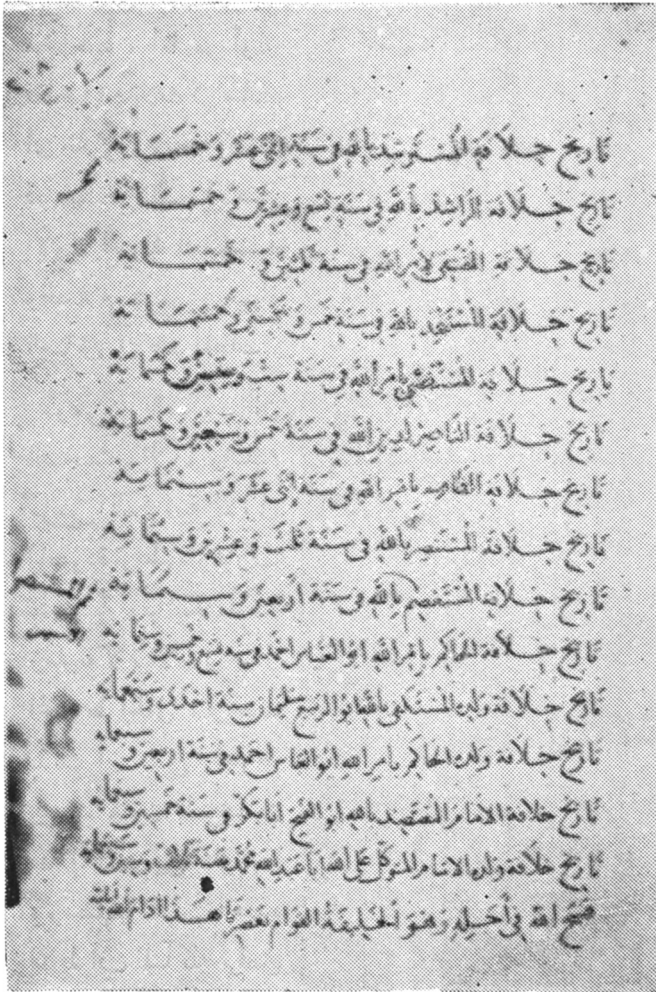
و كتاب فيه أخبار العباس
وفضائله ومناقبه وفضائل ولده
ومناقبهم وما أثرهم رضى الله عنهم
أجمعين ،

إلى هنا لم نعرف اسم الكتاب الحقيقي ، لأن موضعه الأول كان في الدائرتين المازخرفيتين اللتين قص وسطاهما وألصقتا على ورق جديد (شكل ١) وبقي الوسط في كليهما خلوا من الكتابة إلى الآن ، وقرأت الكتاب كله فلم أجد فيه ما يدل على اسمه أو اسم مؤلفه وأخيراً وجدت على الحافة العليا للكتاب آثار كتابة لا تكاد تبين قرأتها بعد جهد فإذا هي :

المراجع الأئسية

في أخبار الدولة العباسية

فهل هذا هو الاسم الحقيقي الأول للكتاب ؟ وإذا كان



أفردت لها بحثاً عن تاريخ الكتاب معتمداً على أسلوب الكتابة ورجال السند وعناصر أخرى في منهج البحث العلمي .

بقيت مسأله أخرى : هل لهذه النسخة من الكتاب نظيرة أو نظيرات ؟ لقد استقصيت في هذا الأمر وأما أدور آفاق العراق حيث زرت كثيراً من ألوية الشمال مثل : السليمانية وأربيل وكر كوك ، وأخيراً علمت أن في البصرة خزانتي للخطوط القيمة : إحداهما خزانة آل باش أعيان العباسية . والثانية خزانة المحامي محمد أحمد ، فلما زرت البصرة اندسخت نسخة لقوائم الكتب الخطية في الخزانتي بمساعدة الأستاذ محمد ناصر الصانع مدير المعارف في منطقة البصرة جزاء الله أحسن الجزاء .

وفي بغداد خبير حجة في شئون الخطوط هو الأستاذ عباس العزاوي المحامي ، جمعني به ندوة عليية تقام في بيت السيد إبراهيم الواعظ رئيس محكمة استئناف بغداد ، فسألته عن هذا المخطوط وهل توجد منه نسخة في خزائنه أو أية خزانة يعرفها ؟ وبحثت في مكاتب مصر ، وتهيأت لي زيارة طهران فوجدت بها مكتبة حافلة بالمخطوطات الفارسية والعربية في جميع الفنون ، هي (كتابخانه مجلس شورای ملی) وطلبت الاطلاع على فهارس المخطوطات فسارع مدير المكتبة إلى إهدائي المجلد الثالث من الفهرست وهو خاص بالمخطوطات ويقع في ٨١٤ صحيفة رتبته ابن يوسف شيرازي وقرعت مطبعة المجلس من طبعه في سنة ١٣٦٠ هـ فلم أجد بين دفتيه اسم مخطوطنا هذا ، كذلك بحثت بنفسي في مكاتب أصفهان وقم وغيرهما من مدن إيران ، وكنت

الاسم وكتبه على الحافة العليا ليعرف به الكتاب ويسهل عليه إخراجها من بين الكتب الأخرى . - وما يجعلني أفترض هذا - ولو أنني لا أجزم به - أن المخطوط لم يتناول تاريخ الدولة العباسية ، وإنما تناول تاريخ الدعوة وحدها ووصل بها إلى موت إبراهيم الإمام ووصول وصيته إلى أبي العباس الذي خرج بمن معه قاصداً الكوفة . وهنا ينتهي الكتاب دون أن يتجاوز هذا إلى إجلال أبي العباس على عرش الخلافة ، فكيف يكون هذا في أخبار الدولة العباسية ؟ الحق أن اسم الكتاب ما زال يخامرني فيه شيء من التردد ، وعلى الجلة فقد عرف هذا المخطوط الآن بهذا الاسم في بغداد بعد أن تهيأ لنا كشفه وإذاعته .

أما عصر المخطوط ، فقد وجدت في آخره نصاً صريحاً يدل على أنه يرجع إلى القرن الثامن الهجري ، ذلك أن الورقات الثلاث الأخيرة رقم ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ من المخطوط فيها قوائم بقسمية وتواريخ الخلفاء من بني أمية وبني العباس ، فإذا وصلنا في سياق التسمية إلى المستعصم بالله آخر خلفاء بغداد ، جاءت أسماء الخلفاء من بني العباس في مصر حتى خلافة الإمام المتوكل على الله أبي عبد الله محمد في سنة ثلاث وستين وسبعائة ، وهنا تذكر العبارة الآتية :

« فسح الله في أجله وهو الخليفة القوام بعصرنا هذا آدم الله أيامه » . (شكل ٣)

وهي تدل دلالة صريحة على أن المخطوط يرجع إلى هذا التاريخ ، ولكن هل يرجع إلى هذا التاريخ في انتساخه أو في تأليفه ؟ هذه مشكلة أخرى

كتب إفريقية

تعالج موضوعات إسلامية وشرقية

تطور مصر من ١٩٢٤ الى ١٩٥٠

L'Evolution de L'Egypte, 1924-50
تأليف مارسيل كولومب

من نشر دار (ميزون نونو) بباريس .

حاول المؤلف في هذا الكتاب التناغم أن يدون تاريخ مصر الحديث تدوينا يشمل الأحداث التي مرت بها خلال العشرين عاما الأخيرة . والمؤلف معروف ببحوثه عن العرب والإسلام وقد تولى منصب الأمين العام لمعهد الدراسات الإسلامية بباريس .

ويعترف المؤلف بأن معالجته لتاريخ مصر الحديث لا تسكتفي؛ مؤلف واحد، وإنما تحتاج إلى مجلدات . ومع أن هذا المؤلف الفرنسي يغمط الحركة القومية المصرية حقها في بعض الحالات والحوادث إلا أنه يحاول أن يدين السياسية الإنجليزية في مصر ويلزمها تبعة بعض التطورات العنيفة التي مر بها الشعب المصري منذ أزمة نوفمبر عام ١٩٢٤ . ومن مزايا هذا الكتاب أنه لا يقتصر على تسجيل الحوادث والتطورات السياسية، وإنما يخصص بعض الفصول لتسجيل التطور الفكري في الثقافة العربية إجمالا بمثلة في مصر زعيمة الفكر العربي . ولا يترك المؤلف مشاكل مصر الاجتماعية دون أن يلقى عليها بعض الضوء .

أود زيارة استانبول في الربيع الماضي والبحث في مكتباتها وأمكن عدتي العوادى عن إتمام ذلك ، ولا يزال يحدوني الأمل في أن أجد هدى في أمر هذا المخطوط القيم ، وإلى وقت كتابة هذه السطور أستطيع القول في هذه الحدود بأن المخطوط فريد لا نظير له ، وهذا يجعل له أهمية كبيرة . وفقى الله إلى إذاعة البحوث الأخرى عن عصر المخطوط وقيمتها من الناحية العلمية .

التفسير الواضح

للأستاذ محمد محمود حجازى
المدرس بمعهد الزقازيق

تفسير يصور المعنى أمام القارئ بأوضح أسلوب وأجلى بيان ، فهو يرشد إلى تفهم كلام الله من أقرب الطرق بغير عناء ولا إجهاد . قد اشتمل على بحث المفردات وتوضيح الغريب منها بالمألف من الألفاظ .

قد ربط الآيات ، وذكر المناسبات ، بما يجعل القرآن الكريم عقداً أحكم نظامه ، وأبدع تنسيقه . قد امتاز بالعنوان المناسب لكل موضوع ، مع تحديد الغرض ، وما تشير إليه الآية الكريمة . وقد عنى هذا التفسير بالآيات التي تعالج أمراضنا ، وتصف أدواءنا عناية خاصة تظهر فيها حاجة الفرد والجماعة إلى هذا العلاج .

وأما الأحكام الفقهية فعرضت عرضاً مناسباً مع بيان حكمة التشريع ، وأنها ضرورية للأمة . وهو تفسير تستفيد منه العامة والخاصة . وقد نفذت الطبعة الأولى للأجزاء الأربعة الأولى وأعيد طبع الجزء الأول والثاني ، وقد ظهر منه إلى الآن ثمانية أجزاء .

استقلاله الداخلي من اليد البريطانية .
 وفائدة هذا الكتاب للقارئ العربي أهم من
 فائدته للقارئ الغربي ، وذلك لأن الأستاذ
 خضوري أستعان بالمراجع العربية التي لا تتوفر
 للناس في أوروبا وأمريكا .

وفي ذيل الكتاب فهارس وافية وسجل
 للوزارات التي تابعت على حكم مصر خلال
 العشرين عاما الماضية ، وقائمة بأسماء المراجع
 العلمية عن مصر .

العراق المستقل :

Independent Iraq

من تأليف الأستاذ مجيد خضوري

من نشر مطبعة جامعة اكسفورد

٢٩١ صفحة والثمن ٢١ شلنا .

السيد مجيد خضوري أديب عراقي اختار
 الإقامة في أمريكا واشتغل بالتعليم في جامعتها
 عن شؤون الشرق العرب .

الأفغان - دراسة في التطور السياسي

في آسيا الوسطى :

Afganistan : Astudy in Political
 Developmnt Central Asia.

المؤلف : و . ك . فرين - نايلور

الناشر : مطبعة جامعة اكسفورد

الثمن : ٥ دولارات

هذه دراسة طيبة وضعها وزير بريطانيا
 المفوض في كابول سابقا . واستعرض فيها تاريخ
 الأفغان في مختلف عصوره . وخص المؤلف
 حاضر الأفغان بجزء واف من الكتاب .

ويعتقد هذا المؤلف بأن الاوساط الدولية
 مغفلة للقيمة الاستراتيجية التي تحتلها الأفغان في
 ميزان القوى العسكرية في آسيا الوسطى . وأهمية
 الأفغان الاستراتيجية لا تعود إلى قوة جيشها
 أو وفرة مواردها الطبيعية ، وإنما تعود إلى الموقع
 الجغرافي الممتاز التي تحتله كنقطة حياد بين
 الاتحاد السوفيتي ومناطق النفوذ الانجلوسكسوني
 في جنوبي آسيا الوسطى .

وفي الكتاب فصل عن العلاقات بين الأفغان
 والباكستان يشرح المشاكل التي أدت إلى نوع

وقد ظهر له في المجلات العلمية الغربية بحوث
 عديدة عن حاضر العالم الإسلامي عامة والشرق
 العربي بصورة خاصة .

ولعل الرغبة في إرضاء القارئ الأوروبي
 والأمريكي هي التي دفعت الأستاذ خضوري
 لأن يفسر تاريخ العرب والإسلام المعاصر
 تفسيراً يتمشى مع الصور الخاطئة التي يحملها
 الغرب عن هذا الجزء من العالم ؛ صور تحمل
 في ثنائياتها من الخوف والاستهتار في التطورات
 الفكرية والسياسية التي ألمت ولا تزال تكتنف
 بلاد العروبة والإسلام .

وكتاب السيد خضوري الجديد عن حاضر
 العراق سجل واف للتطورات السياسية والتشريعية
 والفكرية التي مر بها العراق منذ أن انتزع

الشرق الأوسط بجزءه واف ، فقد أصبح البترول علماً على الشرق الأوسط في الأيام الأخيرة . وهذا الكتاب لا يعتمد الدراسة التحليلية بقدر ما يرمى إلى وصف الأوضاع في مناطق البترول في قالب طريف ظريف لا يحسنه إلا الفرنسيون . وفي صفحات الكتاب عدد من الطرائف والأقاصيص الفكاهية التي عكس فيها المؤلف ما ألم بالشرق الأوسط من تطورات ، بعد أن طغى النفط على الصحاري والقفار وقلب الأوضاع الاجتماعية للسكان الوطنيين رأساً على عقب .

استعراض لموضوع الأوضاع الاقتصادية في الشرق الأوسط

Review of economic conditions in the Middle east.

من منشورات الأمم المتحدة . في ١٠٠ صفحة من الحجم الكبير (خرائط وبيانات إحصائية) .

تذكر دائرة الشؤون الاقتصادية التابعة للأمانة العامة لهيئة الأمم في كل عام دراسة مسبقة عن الأوضاع الاقتصادية في مختلف مناطق العالم ومنها الشرق الأوسط .

ومن مزايا هذه الدراسة أنها تشمل كثيراً من الإحصاءات والمعلومات التي لا تتوفر للباحث الاقتصادي في دور العلم وبيوت النشر التجارية . وتحصل دائرة الشؤون الاقتصادية في هيئة الأمم على معلومات من الحكومات ومن مصادر أخرى .

من القطيعة السياسية بين هذين البلدين الإسلاميين ، والتي خفت حدتها في الأزمنة الأخيرة بعد أن تدخل المؤتمر الإسلامي العالمي بين الدولتين الشقيقتين .

الرحلة العربية ورموز صحراوية أخرى:

Arabian Journey and other desert travels.

من تأليف الكولونيل جerald دى جورى الناشر : دار هاراب بلندن . الثمن ١٢ 1/2 شلن .

مؤلف هذه الرحلة أحد العملاء الإنجليزيين الذين اعتادوا التجوال في الجزيرة العربية متخطين آثار لورنس، الداهية الإنجليزى المعروف، والكولونيل دى جورى ضابط في الجيش البريطاني أنفق سنوات عديدة في الجزيرة العربية يعالج مشاكل القبائل بالتعاون مع السلطات البريطانية في المحميات .

ويصف الكاتب رحلاته العديدة التي قام بها إلى نجد وعسير ضيفاً على جلالة الملك عبد العزيز آل سعود . وبالإضافة إلى الناحية الفنية في الكتاب فإنه طافح بمعلومات عن حاضر بلاد العرب قل أن تجد لها مثيلاً في المكتبة العربية .

صاحب الجلالة البترول

Sa Majesté le petrole

من تأليف جورج لو فيفر . ومن نشر دار هاشيت بباريس . هذا بحث طريف صدر بالفرنسية واختص

العيد الفضي للجزيرة العربية

Arabian Jubilee

نشر دار Robert Hale بلندن والثنى ٣٠ شلنا
الحاج عبد الله فيلي (واسمه بالإنجليزية هـ
القديس حنا فيلي) شخصية معروفة في أوساط
الرياض ومكة والطائف وشبه الجزيرة العربية
إجمالاً . وقد سبق لفيلبي أن خدم في السلك
الحكومي البريطاني كبعوث إخصائي في الأوضاع
العربية في الحجاز ونجد وخليج العجم . وهو الآن
في سن الشيخوخة وله نشاط في أعمال الحفريات
في الربع الخالي . وله بعض النشاط التجاري المحض .
ولفيلبي مؤلفات كثيرة عن العرب وجزيرتهم .
والكتاب الذي نراجع هنا هو في معظمه ترجمة
لعاهل الجزيرة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ،
وتسجيل للتطور الحديث الذي ألم بالجزيرة
العربية في عهد جلالته . وفيلبي لا يبخل بعاطر
الثناء والمدح على جلالة العاهل السعودي ويسجل
له طرائف وحوادث تزيد من المجموعة التي يحفظها
الناس عن جلالة ملك نجد والحجاز وملحقتهما .
وقد وضع فيليبي هذا الكتاب ليوافق العيد الفضي
لتأسيس العهد السعودي في نجد والحجاز . فهو
إذن قصيدة مدح لآل سعود وملكهم العظيم .
وقد تطرف فيليبي في كتابه إلى دراسة بعض
الأوضاع الناجمة عن تلاقى الحياة الصناعة
(في منشآت البترول) مع الحياة البسيطة التي
يعيش عليها المجتمع النجدي خاصة والمجتمع العربي
في شبه الجزيرة عامة . ويبدو أن فيليبي يلبس

بعض السوء في سرعة التطور واحتكاك الصناعة
العربية بنماذج السلوك التقليدي المحافظ في شبه
الجزيرة ، وقد عالج فيليبي هذا الاحتكاك في نظرة
قائمة إلا من إيمان بمقدرة العقلية العربية على
أن تتلاءم مع التطور في المراحل النهائية مهما
كانت طبيعة هذا التطور وعوامل هذا الاحتكاك .

الديانات العالمية وآمال العالم :

World religions and the hope for peace

تأليف : W. D. R. Williams.

الناشر مطبعة بيكون . بيوستن (الولايات
المتحدة) .

الثنى دولاران وثلاثة أرباع الدولار .
هدف هذا الكتاب دراسة الأديان السماوية
ودراسة مقارنة عن طرائق الأنبياء الذين بشروا
بها . والرسول العربي عليه الصلاة والسلام مكانة
ملحوظة في هذه الدراسة . ومؤلف هذا الكتاب
هدف آخر ، وهو الدلالة على أن في الأديان
السماوية قوى دافعة إذا أحسن توجيهها استطاعت
أن تغلب على شذوذ السياسة وجنون الحرب
بإذكاء العناصر الروحية السامية التي تعيش في
المرء حيث يخاض لعقيدته الدينية إخلاصاً، نزهاً
عن الأهواء .

وجدير بالذكر أن مؤلف الكتاب لاهوتي
مسيحي يؤمن بالنظرة الحرة إلى الأديان السماوية
ولا يتقيد بالتفسير المسيحي لها .

والواقع أن القارئ المسلم لهذا الكتاب
لا يسعه أن يقبل تصنيف الأنبياء ، على النحو

بعض ما يمتري المجتمع الإسلامى من انفعالات
لإزاء العالم الغربى .

والكتاب لا يعالج التيارات الثقافية والفكرية
فى العالم الإسلامى وإنما يكتفى، بتسجيل الاتجاهات
والانفعالات السياسية والتقلبات الاقتصادية
التي أحدثتها الثورات الصناعية التى ألمت ببعض
أجزاء الشرق الإسلامى من جراء انتشار صناعة
البترول وحركات التصنيع فى مصر وسوريا .

وفى الكتاب صرخة مداوية للحكومة والشعب
الأمريكى الاهتمام بمشاكل العالم الإسلامى ، الذى
يلتهب بنار الغضب والاستياء من غباوة الأمريكان
وتجاهلهم حقيقة المصالح فى الشرق الأوسط .

ويعتقد مؤلف الكتاب بأن الحكومة السوفيتية
تتبع فى سياستها إزاء الشرق الأوسط أسلوباً
جديداً يشجع القوميات العنيفة فى الشرق
الإسلامى ويجعل من عدائها للاستعمار الغربى
غذاء لأوروبا جديداً يرمى إلى القضاء على البقية
الباقية من سمعة الأمريكان والبريطانيين
والفرنسيين فى هذا الجزء الهام من العالم .

ولما كان هذا الكتاب موجهاً للقارئ
الأمريكى فإن التحيز فيه لليهود تحيز سافر .

الذى صنفه المؤلف ، فتحت هذا التصنيف
شخصيات ليس لها فى الأديان السماوية التوحيدية
ذكر أو صلة ، أمثال غاندى والقديسة فرنسيس
مؤسسة رهبنة الساليزيات ، وبعض القديسين
الكاثوليك الآخرين ، وطائفة من كبار أتباع
فلسفة كنفبوشوس الصينية . حتى كارل ماركس
الشيوعى له فى هذا التصنيف مكانة ؛ وإن كانت
هذه المكانة مدرجة فى مستوى الشر لا مستوى
الخير . والفصل الخاص بالإسلام فى هذا الكتاب
لا يتعدى مجرد استعراض تاريخى وتحليل
سطحى للتعاليم الإسلامية . ومن الطريف أن هذه
المعالجة للأديان من لاهوتى مسيحى الأسلوب
والتفكير له فى الثقافات الانجلو سكسونية تلامذة
وأتباع .

وإلى هذا ما يفسر البلبلة الروحية التى تفتى
اللاهوتى المسيحى (والبروتستانتى على وجه
الخصوص) حين يحاول أن يستعيد القوة على
توجيه المجتمع توجيهاً روحياً يتغلب على أزمة
النفس والعقل والروح فى العلم الغربى المعاصر .

دم وزيت ورمال :

Blood, oil and sand

من تأليف : راي بروك

من نشر : World publishing Co

٢٤٦ صفحة والثمن ٣١ دولارات

مؤلف هذا الكتاب مراسل عاش فى الشرق
الأوسط سنوات الحرب العالمية الأخيرة ، ثم عاد
إليه فى الآونة الأخيرة لينقل إلى قراءه الأمريكان

المسألة السودانية :

The Sodanese Question

تأليف السيد مكى عباس

الناشر Fader aqn Fader بلندن

٢٠١ صفحة والثمن ٢١ شلن

مؤلف هذا الكتاب سودانى من خريجي كلية
غوردون وجامعة أكسفورد ومن رجال البعثات

السودانيين الذين يطالبون بالاستقلال الداخلي دون أن يتقيدوا بالوحدة السياسية والاقتصادية التي ربط بها النيل شطرى واديه .

ومن أمثلة التحليل التي يعالج بها المؤلف وجهة النظر المصرية ، ما أشار إليه عند تبريره مناورات بريطانيا للانفراد بالحكم وإقصاء المصريين عن السودان بعد أن أرغمت القوات المصرية على الجلاء في عام ١٨٨٤ ، فيقول : « عند ما تتم الشراكة بين طرفين في مشروع من المشروعات فإن من الصعب تقدير نصيب كل منهما في إدارة المشروع والنتائج المتولدة عنه ، وبمعنى آخر فإن صاحبنا على رغم ثقافته الإكسפורدية يضرب بالانفاقات الثنائية والموائيق القانونية عرض الحائط وفي رأى السيد عباس أن الرشوة والإغراءات المادية تلعب دورا كبيرا في النزاع المصرى - البريطانى حول السودان . ووقف السودانيون أنفسهم منه . ويؤكد بأن الذود تتكلم بلغة أقوى وأصلح من لغة السياسة والأحزاب . وسيقدر لها أن تلعب دورا فاصلا في مستقبل هذا الجزء من الوادى وموقف السودانيين من علاقتهم بمصر حكومة وشعباً .

وفي للكتاب لون من النقد الخفيف لبعض مساوئ الحكم البريطانى في السودان . والمؤلف لا يصفع وإنما يمس السلوك البريطانى في السودان مساقا شبيها بمداخلة الغانية لمعشوقها في حالة من حالات الانفصال الطارىء ؛ فهي لا تضربه بالمسدس وإنما ترميه بروحتها الرقيقة التي تطف بها حرارة الجو . دكتور عمر حليق

الحكومية القليلة العدد التي ترسلها الإدارة البريطانية في السودان إلى معاهد العلم البريطانية لتجعل منها نواة للعهد ، الاستقلالى ، الذي تحاول تنفيذه في السودان معرضة عن وحدة شطرى الوادى ، وهذه الروابط الدينية واللغوية والطبيعية التي تؤكد وحدته .

وقد أعلنت الدار البريطانية التي نشرت هذا الكتاب بأنه عرض لوجهة النظر السودانية في النزاع المصرى - البريطانى والصواب أنه عرض لوجهة نظر فريق معروف من السودانيين عرفت كيف تدرهم كلية غردون والإدارة البريطانية في السودان على تفهم الاستقلال وحدود الحكم الذاتى . ويبدو أن البرودة البريطانية لم تجد تربة صالحة في هذا المؤلف السودانى ، وأن لغته الإكسפורدية لم تسعفه في تقادى بعض الانفعالات العاطفية التي تشوب طابع الكتاب برغم أن مؤلفه قد راعى الناحية العلمية في التأليف واستند إلى عدد طيب من المصادر العربية والاجنبية والبريطانية بوجه خاص ، ولجأ إلى أسلوب الكتابة البريطانى الذي يحاول أن يحمل الجملة أكثر من معنى واحد .

وقد تعدد المؤلف أن يتجاهل وجهة النظر المصرية القديمة التي أدت إلى فشل المفاوضات حول مستقبل السودان ، هذه المفاوضات التي جرت منذ أكثر من ثلاثين عاما .

ويحاول السيد عباس أن يبرز جوهر الخلاف بين وجهتي النظر البريطانية والمصرية وأثره على شعور السودانيين ، أو بالأحرى ذلك النفر من

الأدب والعلم في شهر

الدراسات الإسلامية في كندا :

أنشأت جامعة «ماكجيل» كبرى جامعات كندا معهداً جديداً للدراسات الإسلامية أسندت رياسته إلى الدكتور «ويلفرد سميث» أحد خبراء الثقافة الإسلامية في كندا. وستألف هيئة التدريس في هذا المعهد من أساتذة هم : البرفسور «هوارد ريد» والدكتور «إسحق موسى الحسيني» والبرفسور «فضل الرحمن» والدكتور «نيازي بركس».

أما البرفسور «ريد» فهو نجل المستشرق الأمريكي المعروف «كاس ارثر ريد» رئيس الكلية العالمية في أزمير وهي إحدى مؤسسات التبشير البروتستانتية. وقد خدم البرفسور ريد كضابط استخبارات مع الأسطول الأمريكي خلال الحرب العالمية الأخيرة.

والدكتور «إسحق موسى الحسيني» أديب فلسطيني معروف وكان قبيل التحاقه بمعهد جامعة «ماكجيل» الكندية يقوم بتدريس اللغة العربية في جامعة بيروت الأمريكية، وقد اشتغل الدكتور الحسيني بالتدريس في معاهد فلسطين قبل الكارثة التي حاقت بهذا البلد الإسلامي.

والبرفسور «فضل الرحمن» عالم باكستاني اشتغل بتدريس الثقافة الإسلامية في جامعات بريطانيا والبنجاب.

أما الدكتور «بركس» فهو أستاذ تركي في جامعة أنقرة.

وقد وضع المعهد الجديد في جامعة «ماكجيل» برنامجاً لدراسة «الإسلام في حاضر العالم» يستغرق تدريسه ٥ سنوات.

اليونسكو وثروة العالم الثقافية :

تقدم اليونسكو (مؤسسة التربية والعلم والثقافة العالمية) بإعداد مشروع اتفاقية دولية لتنظيم وسائل حماية الثروات الثقافية في مختلف مناطق العالم. وكان المؤتمر العام لمؤسسة اليونسكو عام ١٩٥١ قد أقر توصيات تقضي بأن تقوم كل دولة على حدة باتخاذ الإجراءات الكفيلة بصون منشآتها الثقافية، كما أوصى المؤتمر - بناء على اقتراح قدمته حكومة إيطاليا - بأن تذيب كل دولة إعلاناً خاصاً بها يؤكد حمايتها لمرافقها الثقافية.

وقد أعلنت حكومة العراق مؤخراً تعهداتها بتنفيذ هذا القرار والامتنال لهذه التوصية.

٣ - التوتر الداخلي في دولة ما ، وعلاقته بسياساتها الخارجية خاصة ، والتوتر الذي يعترى العلاقات الدولية عامة .

٤ - العوامل النفسية في سياسة الوساطة ، والمفاوضات السلبية ، والعلاقات الدبلوماسية .
وجدير بالذكر أن هذه الموضوعات تتخطى الفائدة العلمية وتتصل اتصالاً مباشراً بالناحية العملية والتطبيقية في السلوك السياسي في نطاقه الدولي .

طباعة الكتب الروسية في أمريكا :

خصصت مؤسسة فورد الخيرية (صاحب مصانع السيارات المعروفة بهذا الاسم) مبلغاً كبيراً من المال لطباعة أمهات الكتب الروسية الأدبية والعلمية باللغة الروسية في المطابع الأمريكية ، لتوزيعها على المتخصصين بدراسة الشؤون والثقافة الروسية في الجامعات وألسنة الرأي العام ، ولكي توزع هذه الكتب على المهاجرين الروس الذين يعيشون خارج الاتحاد السوفيتي .

النقد الأدبي قديماً وحديثاً :

أصدرت جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة جديدة لبحوث عميقة بأفلام عدة من أقطاب الأدب الأمريكي ، يعالجون فيها فلسفة النقد الأدبي وتطوره في تاريخ الأدب

وقد أرسلت العراق نص هذا التعمد إلى المركز العام لمؤسسة اليونسكو بباريس .

علم النفس الاجتماعي ومشاكل السلم والحرب

عقدت في باريس في أواخر شهر أغسطس حلقة علمية تحت إشراف اليونسكو مكونة من ١٣ عالماً من أساتذة علم النفس الاجتماعي لدراسة المساهمة الجديدة التي يمكن لعلم النفس الاجتماعي أن يعين بها صناع السياسة الدبلوماسيين والحكومات والوساطات الشعبية الواعية للتغلب على الانجذارات العنيفة التي يبدو أنها تقود العالم إلى حرب عالمية جديدة .

وقد سبق لهؤلاء العلماء في العام المنصرم أن اجتمعوا في ستوكهولم ، عاصمة السويد . ودرسوا هذا الموضوع وقرروا عرضه على مؤسسة اليونسكو للإشراف على دعوة حلقة لدراسته المفصلة يكون لها الطابع الدولي الذي تتمتع به اليونسكو . وهذه هي مواضيع البحث في هذه الحلقة :

١ - ما هي الصورة (الخاطئة أو الصادقة)

التي يحملها شعب ما عن الشعوب الأخرى التي تشاركه في العائلة الإنسانية .

٢ - التواحي النفسية في التطور الفني الذي يلم بالمجتمعات التقليدية والمجتمعات التي لم يكتمل نموها الاجتماعي .

ذكرى انقضاء ١٦٠ عاماً

على ميلاد شلى ، الشاعر الإنجليزي

احتفلت الأوساط الأدبية في كثير من بقاع العالم بذكرى انقضاء ١٦٠ عاماً على ميلاد الشاعر الإنجليزي العبقري « برسى شلى » وتراث هذا الشاعر يمتاز بالروح الحرة الطلعة الوثابة ، التي ثارت على الأوضاع القاسية في المجتمع وصاغت هذه الثورة في عقد من القصيد الرقيق . وكان المقدر لهذا الشاعر الإنجليزي أن يزيد من تراث الشعر العالمى أضعاف ما خلفه في حياته القصيرة فقد مات شلى في عنفوان الشباب .

الاعلامى والمفكرة

على التعبير عن الحقائق في أدب التراجم

عاج الكاتب الهنغارى « مانس سبربر » أدب التراجم الشخصية في عدد ٦ يولية سنة ١٩٥٢ في الملحق الأدبى لجريدة نيويورك تايمس بمناسبة الظاهرة الطارئة على الإنتاج الأدبى فى أمريكا وأوروبا الغربية فى الإكثار من أدب التراجم و « الاعترافات » ، التى أغرم بها الكتاب مؤخرًا ، التى تقبلتها الأسواق الأدبية قبولًا حسنًا .

ويعتقد المسيو سبربر أن أدب التراجم يروج فى الفترات التاريخية التى تسكن فيها الحروب ويزداد فيها الفلق ، وتنتشر فيها الانقلابات والثورات وما يترك ذلك كله من أثر مباشر على حياة الناس واتجاهات المجتمع . ففى هذه الفترات

القديم والحديث . والغاية من هذا المؤلف الجديد هو توجيه الناشئين من النقاد بحيث يتفادون الأخطاء التى ينزلق إليها كل من آنس فى نفسه مقدرة على التطرف إلى النقد الأدبى ، غير مدرك لمسؤوليته وأثره فى الإنتاج الأدبى وفى النمو الثقافى للشعوب الحية .

ويكاد يجمع هؤلاء الأنطاب الذين اشتركوا فى وضع هذه المجموعة على الخط من القيمة الفنية للكثرة من النقاد المعاصرين الذين أغرام اتساع تجارة السكتب والمجلات إلى معالجة الإنتاج الأدبى دون استعداد عقلى وثقافى لهذه المهمة .

ذكرى جوركى الطائب الروسى المعروف :

أقام سكان مدينة « جوركى » الروسية احتفالاً تذكاريًا لهذا الكاتب الروسى الشهير وأصدرت المطابع الروسية سجلاً لهذا الاحتفال .

وهذه المدينة حديثة العهد إذ أن الحكومة السوفيتية قد أنشأتها تخليداً لذكرى هذا الأديب الذى سبق الحركة الشيوعية الروسية فى انتقاد مساوىء الحكم وفقدان العدالة الاقتصادية ، والاجتماعية فى المجتمع الروسى . وجوركى من الأدباء الروس القلائل الذين أبقت الحكومة الروسية على ذكراهم بعد أن توطد الأمر للحزب الشيوعى فى السيطرة على مقومات الحكم والحياة فى البلاد الروسية .

من غير وعى لإخفائها - أو على الأقل إخفاء جزء منها - لا يسر اطلاع الناس عليه . فهو لا يصف نفسه كما هي على حقيقتها السافرة ولكن كما يريد أن يعرف بها بين الناس . وحتى لو أخلص الكاتب في اعترافه أو ترجمة حياته الشخصية فلا مفر من أن يستر - عن وعى وعن غير وعى - ألوانا من هذه الحياة لا يستطيع اطلاع الناس عليها لا لأنه يخشى ذبوع ذلك ولكن لأنه لا يدركها هو نفسه حين يسجل في اعترافه هذه الألوان .

ويحاول المسبوس سبرر أن يحلل أسباب هذا التناقض بين الإخلاص في التعبير وبين نشر الحقيقة المجردة في أدب الاعترافات والتراجم فيقول : إن المرء حين يكتب عن نفسه يصبح أشبه بالرجل الذين يشاهد نفسه في المرآة . فهو لا يرى نفسه كما هي ولكن يشاهد بعينه خيالا لنفسه في موقف محرج . فالنظر في المرآة حالة من حالات العزلة النفسية . وعقل المرء في عزلته النفسية أقل خصوبة منه في الحالات التي يتصل فيها عن كسب بالحياة والمجتمع .

وسبب آخر لا يزكى الحقيقة في أدب التراجم الشخصية والاعترافات . وهو أن الذي يدون اعترافاته ويكتب سيرة حياته هو في الواقع إنسان ارتكب محرما أو خطيئة فجاء يطلب الصفح والمغفرة عن طريقة الاعتراف وكتابة سيرته الخاصة .

ومن أسباب التناقض بين الإخلاص والحقيقة

تزداد الرغبة بين الناس في التعرف عل خفايا الحوادث وما استتر فيها من هذه المعاملات ، السياسية والمساومة الدبلوماسية وما إليها من أوجه العلاقات بين الدول وبين الأفراد والهيئات ، فاشتداد الرغبة بين الناس في التعرف على هذه الخفايا يخلق في السكتاب وأولى الزعامة العسكرية والسياسية ، والذين ساهموا في حدث من أحداث التاريخ المعاصر ، اتجاها لرى هذا الظمأ وتعريف الناس هذه الخفايا كما اختبروها عن كسب في حياتهم الخاصة أو في مشاركتهم في الشؤون العامة التي أولدت هذه الأحداث التاريخية وهذه التيارات العسكرية .

ويشير هذا الكاتب الهنغارى إلى أن النقطة الجوهرية في موازنة أدب مترجم هو التفرقة بين إخلاص الكاتب وبين الحقيقة المجردة التي يحاول أن ينشرها في الناس على لسانه وحسب اختباره لها وتفهمهم لجوهرها .

وهذه نقطة تؤلف محور النقد والتحليل الذي يعالج به النقاد والقراء أدب التراجم ، فقد سبقت لجان جاك روسو في « اعترافاته » الشهيرة أن لمس دقة هذه النقطة . فقال في المقدمة الأصلية « لاعترافاته » - وهي مقدمة لم تذمر في النص المتداول : لا يستطيع أحد أن يصف حياة امرئ غير هذا المرء نفسه ، حقيقة تلك الحياة وأسرارها الدفينة شيء لا يقوى على معرفته إلا ذلك المرء نفسه .

ولكن المرء حين يسمى لوصف حياته يتجه

وفي نفس الوقت أعلن مركز البابوية الكاثوليكية في الفاتيكان بأن النسخة المتداولة حالياً من التوراة والإنجيل في البلدان الكاثوليكية التي تتكلم اللغة الانجليزية قد عدلت ، وأن الكتاب المقدس سيظهر قريباً في طبعة معدلة يراعى فيها التطور الذي ألم باللغة والفكر الانجلوسكسوني المعاصر . وغرض الأوساط الكاثوليكية من هذا التعديل في لغة التوراة والإنجيل هو تسهيل القراءة واستيعاب الحكم والعظات في الكتاب المقدس على الفئسء الجديد من الكهنوت والرعية . وستشرف على طبع هذه النسخة الكاثوليكية المعدلة من الكتاب التوراة والإنجيل رئيسة إحدى أديرة الراهبات الكاثوليكية .

وقد سبق للجمع الحاخامى اليهودى العالمى فى عام ١٩١٧ أن أدخل تعديلات جملة على الترجمة الانجليزية لتوراة اليهود (وهى العهد القديم فى الكتاب المقدس الذى يستعمله المسيحيون) . ويحاول اليهود حمل المراجع المسيحية على إزالة بعض الآيات من العهد الجديد التى تسمى باليهود وتعذيبهم للسيد المسيح .

السرطان والطب العربى :

أذاعت وكالة أنباء الشرق من بيروت الخبر التالى :

زار وكالة أنباء الشرق السيد محمد سعيد النجيل من سكان شارع حيرا فى بيروت وروى القصة التالية :

فى آءب السير الشخصية والاعترافات ، كون الذين يلجأون إلى هذا النوع من الكتابة مشغوفين بالنطلع إلى ما ودوا لو كان لهم ، والنفور بما كان لديهم . فهم والحالة هذه عاجزون عن إدراك ما هم فيه الآن .

فالإخلاص فى القيام بعمل ما أديباً كان أم مادياً لا يعنى المقدرة على اكتشاف الحقيقة ، فالإخلاص شىء والمقدرة على بلوغ الحقائق والتعبير عنها شىء آخر .

إعادة كتابة التوراة والإنجيل :

يشغل رجال الكهنوت فى أمريكا فى إعادة كتابة الكتاب المقدس ، مبتدئين بالعهد القديم (التوراة) ومنه إلى العهد الجديد (الإنجيل) .

فقد أعلن بجمع الكنائس البروتستانية الأعلى فى الولايات المتحدة الأمريكية بأن لجنة من أهل الاختصاص فى اللاهوت واللغات الشرقية القديمة قد تفرغوا منذ سبعة أعوام إلى إعادة كتابة التوراة والإنجيل فى لغة عصرية مجردة من التعابير القديمة التى يحتوئها الكتاب المقدس فى ترجمته الحالية المعمول بها فى العالم البروتستانى . وستصدر الطبعة الجديدة من الكتاب المقدس فى صورته المعدلة فى أوائل الشتاء المقبل .

وقد كلفت سيدة من المتبحرين فى اللغة الانجليزية بالإشراف على طبع النسخة الجديدة من التوراة والإنجيل .

ويقول هذا الصحفي إن بعض ما تم الإيرانيين تخصص بجمع الدموع ، إذ يغطي النائحون قطعاً من الإسفنج لالنفقاط دموعهم المسكوبة على خدودهم في فترات الانفعال النفسى العنيف الذى يجرى في هذه المآثم .

وتؤخذ قطع الإسفنج المبللة بالدموع إلى أحد الرؤساء الروحانيين للجماعة فيعصر الدموع الراسبة فيها في قوارير صغيرة تخزن للاستعمال عند الحاجة .

وهذه عادة تعود إلى ألوف السنين وقد أشار الصحفي الفرنسى إلى أن النواة قد سجلت هذه العادة في المزمور الخامس والعشرين إذ يقول داوود : « قد عودت مهاجراتى فادخر دموعى في كنوزك أو ليست في سفرك » .

أول من اخترع المصباح

كتب أحد علماء الفيزياء الأمريكان يجادل القول بأن ماركونى الإيطالى هو أول من اخترع الراديو .

ويدعى هذا العالم الأمريكى أن أول من اخترع الراديو هو مزارع أمريكى في بلدة موارى في ولاية كنتاكي في الولايات المتحدة الأمريكية واسمه ناتان سبتيفيلد . وذلك إثر تجربة قام بها في سنة ١٨٩٢ ، أى قبل تجربة ماركونى بثلاث سنوات .

وتجربة المزارع الأمريكى كانت باستعمال سلك عادى استطاع أن يحمل حديثه إلى مسافة طولها أكثر من ميل .

لئن مصاب بداء السرطان في قصبة رجلى اليسرى وقد أجريت لى عملية جراحية في مستشفى الصنائع ثم جلسات كهربائية في مستشفى أوتيل ديو ، فلم أحصل على فائدة .

وقد توالى نزيف الدم حتى هزل جسمى وسامت حتى ولزمت الفراش وقد أصابنى فقر شديد في الدم .

وقد تقدم مؤخراً لمعالجتي بواسطة العقاقير العربية السيد محمد معاذ فوقف نزيف الدم بعد أربعة أيام من بدء المعالجة وبدأت الكتلة السرطانية تقلص والدرنة السرطانية تنكشف من جميع جهاتها ما عدا جهة العظم وقد خف سريان الماء والروائح الكريهة المنبعثة من السرطان .

هذه هي القصة كما رواها المصاب حرقياً . واستطردت وكالة الأنباء توضح ما يأتى :

وزيادة في التثبت من صدق هذه القصة استدعت الوكالة السيد محمد معاذ الذى أكد صحة ما رواه المريض وأطلعنا على إفادات مسجلة إليه من الدكتور عفيفى بربر طبيب المؤسسة الفرنسية لمكافحة السرطان في بيروت .

دموع الشفاء :

يقول صحفى فرنسى زار إيران مؤخراً : إنه دهش لنجاح الطريقة التى يعالج بها بعض الإيرانيين مرضاهم بالدموع واعتقاد هؤلاء بأن الدموع تشفى من الأمراض المزمنة .

في شكل أقراص بيضاء كأقراص الاسبيرين تحت ثلاثة أسماء .

نايدرازيد — ذريمفون — مارسيليد .

وهذه الأقراص تؤخذ بطريق الفم ولها تأثير سريع على المرضى وليست لها خاصية التسمم . وأثمانها معتدلة .

وقد أثبتت التجارب التي أجريت على مرضى السل بواسطة هذا الدواء الجديد أن جرثومة السل لم تظهر مقاومة قوية ضد هذه الأقراص . وقد أولدت هذه التجارب نتائج عجيبة . فقد ثبت أن تأثير هذه الأقراص على المرضى الذين قطع منهم أمل الشفاء كان من قبيل المعجزات .

وهذا التأثير النافع حدث للمرضى من جميع الأعمار والأجناس وفي الحالات المزمنة .

ومن ظواهر مفعولية هذا الدواء الجديد ما أثبتته النتائج الأولى وهي هبوط حرارة المريض إلى الحد الطبيعي بعد أن كان ارتفاعها - قبل استعمال الدواء ، يصل إلى ١٠٣ أو ١٠٥ درجات . وقد تضاغت قابلية الأكل والنشاط عند المرضى بشكل ملحوظ وزادت أوزانهم زيادة سريعة ، وهذه النتائج السريعة على غاية من الأهمية كما يشهد بذلك الاهتمام البالغ الذي تظهره الأوساط الطبية نحو هذا الدواء السحري .

ولن تستطيع الأوساط الطبية أن تعطي حكمها النهائي على مفعول هذا الدواء الجديد قبل مضي أشهر أو سنوات لينأكد الأطباء من شفاء المرضى شفاء تاما والتيقن من ظواهرها التي هي ظواهر عارضة ليس إلا . دكتور عمر حليق

وقد سجل هذا المزارع اختراعه في سنة ١٩٥٨ وحصل على امتياز لإنتاجه على شكل أدق هونة أحد الشركات التجارية .

ويقول العالم الأمريكي إن بعض المختالين استطاعوا سرقة سر اختراع المزارع الأمريكي فذهب ضحية هذا الاحتيال وأفقد بقية حياته منعزلا في قرية نائية يلهو بتجاربه اللاسلكية .

معالجة السل بعقاقير جديدة

نجحت الدوائر الطبية في أمريكا في اكتشاف دواء جديد للسل ، فقد كانت الوسائل الطبية المألوفة في معالجة مرض السل على ثلاثة أنواع :

١ — مناخية وغذائية .

٢ — جراحية .

٣ — عقاقيرية .

والدواء الجديد يستند إلى المعالجة العقاقيرية . فالعلاج العقاقيري تهدف إلى قتل الجرثومة أو تقوية مكافحة الجسم لها بواسطة أملاح الكلس والذهب والحديد ، وكان الأطباء يقترحون للعلاج مادة (الستراشومايسين) و (الاسيد بارميندسكيسيليك) .

أما الدواء الجديد فمشتق مباشرة من (الاسيد نيكوتينيك) أحد فروع الفيتامين ب . وهو يستخرج بكميات كبيرة وبسهولة ونفقات رخيصة من الفحم الحجري ومشتقاته .

وقد أخذت المعامل الكيميائية الأمريكية تخرجه

العجلاء السلام في شهر رمضان

اللهم لا فئة قليلة ممن ينفون الخير ولكنهم لا يجدون إلى غايتهم سبيلا .

وكانت بلية مصر بملكها أعظم من بليتها برعماها وحكامها ؛ فلقد أمعن هذا الملك في اللهو وأسرف في التبذل ، وراح يجمع المال ولا يقنع ، ويأكل بالباطل ولا يشبع . وليت أمره اقتصر على فساد شخصه ؛ بل لقد عمد هذا اللاهي الهازل إلى إذلال شعبه ما وسعه الإذلال ، لا يعاب بما يصيب أمته ما دامت كلمته هي العليا ، وما دام ينظر إلى الناس جميعا في تبطله ولهو نظره إلى عبيده .

وأحاط اليأس بالناس ، فإذا اجتمع الأحرار تهامسوا يتساءلون كيف الخلاص ، والعدو الأجنبى يتربص بمصر الدوائر ، وقادتها قد أحزوا رثوسهم للطاغية العاث ؛ ثم ينصرف المتهامسون وفي قلوبهم حسرات ومن حولهم ظلمات .

ولكن الأحرار لم يسكنوا يعلون أن الله قد كتب لمصر النجاة على يد جيشها الباسل ، فقد تحرك الجيش لا كما تتحرك جيوش الطاغين ليضرب الشعب بل تحرك ليبعد عن مصر من أذل ذلك الشعب .

وتطلعت مصر فإذا بها ترى الرجل الذى حملت به طويلا حقيقة ماثلة أمامها . وقد رأت مصر القائد محمد نجيب ، يفعل ولا يتكلم ، فيتقدم باسم الشعب المصرى إلى الطاغية فيطلب إليه

وثبة الجيوش المصرى على الطغيان :

لقد مر زهاء شهرين وهذا العدد فى أيدي القراء ، على تلك الحركة المباركة ، ألا وهى وثبة الجيش المصرى على الطغيان .

ولأن هذه الحركة الموفقة لما يؤرخ به فى مصائر الأمم ، ذلك أنها نقلت تاريخ مصر من فصل إلى فصل شأنها فى ذلك شأن الحركات القومية الكبرى .

ولسوف يكون لهذه الحركة الميمونة أثرها البعيد فى مستقبل الشرق الأوسط كله فيما نعتقد ، فإن مثل هذه الحركات الخطيرة العظيمة الأهداف لن يقف أثرها عند البلد الذى انبعثت منه وبخاصة فى هذا العصر الذى عظمت فيه أسباب الاتصال بين الأمم والذى ازدادت فيه أواصر القربى بين مصر وجاراتها .

لقد ظلت مصر سنوات طويلة بعد وثبة سعد على الاحتلال ، تعاني من أصناف البلاء وضروب المساوىء ما نفذ معه صبرها ؛ ذلك أن ساداتها وكبراءها ، قد اقتنعوا من الإصلاح بالخطب والكتابة ، حتى مجت الاسماع والأذهان دعوة الإصلاح ورأت مصر أن الفاقة والجهل والمرض توبق أرواح بنينا ، أن غاية الحاكمن من الحكمى المقانم وهم فى ذلك سواء مهما تغيرت الوجوه والاسماء

لعظيم ، وحسبنا أن تصرف اليأس عن القلوب ، وأن تبت الثقة في النفوس ، وأن تربط بين الحاكم والمحكوم بروابط المحبة ، وأن تجعل الناس يؤمنون بالعدل ويسمون بأنفسهم فلا يرتضون بعد اليوم ذلاً ولا يخافون ظلاماً ولا هضماً .

ولهذه الحركة الموقفة أثرها بعون الله فيما بيننا وبين الدول الأجنبية ، فقد آمن من لم يكن يؤمن أن مصر جادة لن يعوقها عما تطلب لنفسها من مكانة بعد اليوم عائق ، ولن يصدها عن سبيلها مدع ولا عائب ، والله موفقها إلى ما تريد .

لبنانه ومركبة الإصلاح والتطهير :

في لبنان اليوم حركة تهدف إلى الإصلاح الشامل والتخلص من مساوئ الماضي وما أشبه ما يطلبه لبنان بما ظفرت به مصر ؛ وهكذا أخذ يتجاوب الشرق بأصداء الحركة المصرية .

تقدمت الجبهة الشعبية المؤلفة من الكتائب والهيئة الوطنية والمؤتمر الوطني إلى رئيس الجمهورية تطلب إليه أن يستند الحكم إلى شخصيات نزيهة لم يسبق لها الاشتراك في الحكم ، بحيث تتألف منها وزارة شعبية قوية ، هدفها الإصلاح الحق والتطهير الشامل ، من الفساد والرشوة واستغلال النفوذ . وكان رئيس الجمهورية قد أعد برنامجاً شاملاً للإصلاح أقرته عليه وزارة سامي الصلح . ولكن نواب المعارضة حملوا حملة قوية على رئيس الجمهورية ووصفوا برنامجه الإصلاحى بأنه برنامج سطحي

في اليوم السادس والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٥٢ أن ينزل عن عرشه لولى عهده قبل الساعة الثانية عشرة ، وأن يقادر البلاد قبل الساعة السادسة من مساء ذلك لليوم .

وتم للقائد الذى ادخره الله لهذا اليوم للمشهود ما أراد ، وانقضى أمر الطاغية كما كانت تنقضى ليلة من ليالى فسوقه !

وجاءت هذه الثورة الجليلة النبيلة متممة لثورة القائد أحمد عرابي ، فإن عرابياً قد دهمه الاحتلال فلم يحقق ما أراد من إصلاح ؛ وظلت مصر مغلوبة على أمرها حائرة بين الظلام والنور حتى أهل هذا الفجر الجديد وأخذ القائد المظفر وأعوانه من العاملين المخلصين يضعون في سرعة تدعو إلى الإعجاب أسس الإصلاح التى طالما تحرقت إليها البلاد .

وحل النهوض والتطهير محل القعود والفساد ؛ وافتتح في تاريخ مصر عهد وتم لها في مدى شهرين ما لم تسكن لتبلغه في عشرات السنين ؛ فها هي ذى التشريعات والقوانين التى كان يظنها الناس أحلاماً ، ترى بعضها في إثر بعض ، ومن أهمها قانون تحديد الملكية ، وكلها مؤدية بعون الله إلى بعث جديد . ورأت مصر وزراءها يتنافسون في العمل المثمر ، يحسون إحساس الشعب ولا يجعلون بينهم وبينه حجاباً ورأى في ذلك قائدهم الخالص الباسل الذى قوض دعائم الفساد والظلم . ولن يقتصر أثر هذه الحركة المباركة على الإصلاح المادى وحده ، فإن خطرهما الأدبى

فى العدد الماضى إلى أن فرنسا لم تتقدم بهذه الإصلاحات إلا حين أرادت أمريكا أن تخرج من حرج موقفها بعد أن امتنعت عن التصويت حينما أريد عرض قضية تونس على مجلس الأمن إذ لم تنفذ الحكومة الفرنسية برنامج إصلاح داخلى فى تونس .

وقد تقدمت فرنسا فعلا بما تراه من إصلاح ؛ ولكن الأزمة التونسية قد دخلت مرحلة حرجية ، فلقد أرسل جلالة باى تونس إلى رئيس الجمهورية الفرنسية كتابا رفض فيه مشروع قانون الإصلاح الفرنسى لأنه لا يتفق مع الامانى القومية للشعب التونسى .

مشكلة البترول فى إيران

عادت إنجلترا وأمريكا تحاولان بعد حكم محكمة العدل الدولية فى مصلحة إيران ، أن تحملا إيران على حل هذه المشكلة عن طريق المقترحات والمفاوضات ، فتقدمتا إلى الدكتور محمد مصدق باقتراحات جديدة ، وقد وصفها الدكتور مصدق بأنها أسوأ ما قدم إليه من مقترحات لحل هذه المشكلة منذ قيامها ، وأبدى عجزه من هذه الأساليب الاستعمارية التى لا تملأ إنجلترا ، ثم قال : إن المقترحات التى قدمها ترومان وتشرشل لحل مشكلة الزيت الإيرانى توحى بأن الحكومة البريطانية ما برحت تتبع سياستها القديمة تحت ستار ألفاظ وتعبيرات جديدة ، وأنه ليس

لا يحقق رغبات الشعب ؛ وأصروا على وجوب إقصاء كل من كان له يد فى فساد الحكم منذ سنوات عديدة .

ولم يسغ السيد سامى الصالح هذه المطالب ؛ ورفض أن يستقيل من الحكم وأعلن أنه يطاق قبلة سياسية إذا أصر رئيس الجمهورية على إقصائه من منصبه .

وفى التاسع من هذا الشهر اشتدت الأزمة اللبنانية ، فقد استقال أعضاء الوزارة فلم يجد رئيس الجمهورية بدا من إعفاء السيد سامى الصالح من منصبه ، ثم عهد إلى مجلس وزراء مؤقت مكون من ثلاثة أعضاء للقيام على شؤون الحكم حتى تؤلف وزارة جديدة ، ولا شك أن صفاء الجو رهين بما يعتزمه رئيس الجمهورية حيال مطالب الشعب ، وعلى مبالغ ما تحققة أية وزارة من هذه المطالب ، فلم تعد ترضى الشعوب إلا بالعمل الحاسم الذى يقضى على ما تحملاته طويلا من ضروب الفساد والعدوان . وقد جاءت الأنباء اليوم بأن الجيش اللبنانى أرغم رئيس الجمهورية السيد بشارة الخورى على الاستقالة وقدوة أنه تولى الحكم

مشكلة تونس

لا يرى الوطنيون فى تونس هدفا لهم إلا الاستقلال التام عن فرنسا ؛ أما ما تقدم به فرنسا من مقترحات للإصلاح فما هى فى نظر الوطنيين إلا من الأعياب السياسة ؛ ولقد أشرنا

طرائف علمية وأدبية

البيان والبيان في القرآن
محاورة بين أبي بكر بن دريد وأبي حاتم السجستاني

ابن دريد قال : قلت لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني : إن الشعر يتضمن من محاسن البيان ما لا يكاد يوجد إلا فيه ولا يؤخذ إلا منه . فقال : لا أعلم شيئاً مما تولى إلا وقد اشتمل القرآن عليه ووجد في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم مثله ، وجاء في فقر الصحابة عدله . فالأم تشير ؟ فقلت : الاستعارة كقول امرئ القيس :
وايل كموج البحر أرخى سدوله

روى العلامة المحدث الرحالة أبو عبد الله محمد ابن رشيد الفهرى السبتي في رحلته (ملء العيبة) (الجزء الثاني ، وهو بخط المؤلف ، من النسخة الوحيدة المحفوظة بالاسكوريال) عن العلامة الأديب الناقد أبي بكر محمد بن حسن بن حبيش اللخمي التونسي بسنده إلى الإمام أبي أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد العسكري مما تضمنه كتابه المسمى بالحكم والأمثال ، قال : أخبرنا أبو بكر

وقد أراد الدكتور مصدق أن يستوثق من مكانة وزارته قبل أن يقدم على أى عمل جديد بسبب هذه المشكلة ؛ لذلك قرر أن يطرح على مجاس النواب الثقة بوزارته بعد أن يفضى إليه بأسباب رفضه هذه المقترحات ؛ وقد يلجأ الدكتور مصدق إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين إيران وإنجلترا .

وقد علق الزعيم الديني آية الله كاشاني على تلك المقترحات الثنائية بقوله : إنها إهتان لكرامة إيران وندد بتدخل الدولتين في النزاع بين إيران وشركة البترول قائلا : إنه يعد تدخلا في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة .

محمود الخفيف

في تلك المقترحات أية مراعاة لشعور الشعب الإيراني .

ولم تر إيران بدأ من رفض هذه المقترحات الجديدة ، وسيمضى الدكتور مصدق في سياسته الوطنية الحازمة غير عابء بما تضعه إنجلترا في طريقه من عقبات سياسية واقتصادية ؛ ولا تألو حكومة الدكتور مصدق جهداً على الرغم مما يواجهها من صعاب ، في العمل على تذليل الصعوبات الاقتصادية التي ترتبت على هذه المشكلة وهي تستعين في سياستها باستشارة الخبراء الاقتصاديين العالميين .

على بأنواع الموم ليتلى
فقلت له لما تمطى بحوزة
وأردف أعجازاً وناء بكاء كل
وكقول أوس :

وإني امرؤ أعددت للحرب بعد ما
رأيت لها باباً من الشر أعصلا
فقال : أبو حاتم قال الله عز وجل : و اخفض
لها جناح الذل من الرحمة ، وقال تعالى : واشتعل
الرأس شيباً ، وقال عز اسمه : د أو يأتيهم عذاب
يوم عقيم ، وقال : د وآية لهم الليل نسلخ منه
النهار ، . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ضموا
فواشيكم حتى تذهب خمة العشاء ، وقال خير الناس
رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع
هبة طار إليها . وقال صلى الله عليه وسلم : دب
إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد ، وهي
الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر . وقال أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : السفر
ميزان القوم ، وسأل عليه السلام كبير فارس عن
الغالب على أنوشروان فقال : الحلم والآناة ، فقال
أمير المؤمنين : توأمان ينتجها علو الهمة . ووصف
أعرابي قومه فقال : إذا اصطفوا سمرت بينهم السهام ،
وإذا تصاحفوا بالسيوف فغر (فاه) الحمام .

قال أبو بكر : فقلت حسبي ، فالجئنا كقول جرير :
وما زال معقولا عقلا عن النسي
وما زال محبوباً عن المجد حابس
وكقول زياد الأعجم :
رأيتهم يستنصرون بكاهل
وللؤم فيهم كاهل وسنام
وكقول العباسي :

أبلغ لديك بني سعد مغلفة
إن الذي بيننا قد مات أو دنفا
وذاكم إن ذل الجار حالكم
ولم أنفكم لا تعرف الانفا
فقال أبو حاتم : قال الله جل ذكره : د وأسليت
مع سليمان لله رب العالمين ، وقال : د فأقم وجهك
للدين القيم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
عصية عصت الله ورسوله ، وغفار غفر الله لها (١)
وقال : الظلم ظلمات . وقال معاوية لابن عباس :
مالك تصابون يا بني هاشم بأبصاركم ؟ قال ابن عباس :
كما تصابون ببصائركم ، ومات لصدقة بن عامر
المازني سبعة بئين في يوم واحد بالطاعون فقال :
اللهم إني مُسَلِّمٌ وَمُسَلِّمٌ .
قال أبو بكر : فقلت : حسبي . فالمطابقة كقول
زهير :

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا
ما الليث كذب عن أقرانه صدقا
وكقول الفرزدق :

يستيقظون إلى نهاق حميرهم
وتقام أعينهم عن الأوتار
فقال أبو حاتم : قال الله عز وجل : د وإكم
في القصاص حياة ، وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للأَنْصار : إنكم لتكثرثون عند الفرع وتقلون
عند الطمع . وقال الحسن : ما رأيت يقيناً لا شك

(١) في طرة الأصل بخط المؤلف : يذكر أسلم في هذه
الرواية ، وذلك لأنه ورد في رواية أخرى بلفظ أسلم سالمها
الله . وغفار غفر الله لها . وهي أيضاً صالحة للإشهاد بها
وعصية ، وغفار ، وأسلم ، قبايل من العرب .

الزكام

الزكام مرض خفيف عادي لسكنه من أغرب الأمراض التي تطرأ على الإنسان ، ولم يهتد الطب حتى الآن إلى علاج فعال له ، وقد صرح أحد مشاهير الأطباء وهو الدكتور أندروز في محاضرة عن الزكام ألقاها منذ نحو ثلاث سنوات أمام جمعية الفنون الملكية بلندن بقوله : « سأحدثكم عن جهلنا بالزكام أكثر مما أحدثكم عن معرفتنا به . » والدكتور أندروز كان رئيس لجنة من الأطباء عهدت إليها المراجع الصحية في بريطانيا إن تدرس الزكام دراسة علمية مستفيضة ، ولكنها لم تصل إلى نتيجة حاسمة .

أما الأدوية التي توصف للزكام فلا تحصى لكثرتها وقد سجل حتى اليوم بلندن وحدها في دائرة تسجيل الاكتشافات والاختراعات نحو عشرة آلاف دواء للزكام ولكن بدون جدوى .

والسبب الرئيسي الذي يعيق دراسة مرض الزكام هو أن جراثيمه صغيرة جداً من نوع الفيروس حتى إن المجهر الإلكتروني رغم قوته الكبيرة لا يستطيع أن يظفرها . وهذا الصغر لا يمكن العقل أن يجده ولا أن يتصور كيف تعيش هذه المخلوقات المتناهية في الصغر .

ويؤخذ من أبحاث تلك اللجنة أى المنديل الذي يستعمله المزموم تنثر منه نحو ١٥ ألف ذرة وفي كل ذرة عدد كبير من فيروس الزكام ، وإن السعلة الواحدة تنثر نحو أربعائة من هذه الذرات . أما العطسة فتنتثر نحو مليون .

فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ، وقال رحمه الله وقد عوتب على تخويفه الناس بوعظه : إن من خوفك حتى تلقى الأمن ، خير من ممن أطمئك حتى تلقى الخوف .

قال أبو بكر : فقلت : حسبي فرد إعجاز الكلام على صدوره كقوله :

غريب بنى سليم أقصده
سهام الموت وهى له سهام
فقال أبو حاتم : قال الله عز وجل : « لا تفتروا على الله كذباً فيسحقكم بهذاب وقد خاب من افتري » . وفى الحديث : من مقت نفسه أمته الله من مقتته .

قال أبو بكر : فاللغات من الكفائية إلى المخاطبة كقول جرير :

متى كان الخيام بذى طلوح
سقيت الغيث أيتها الخيام
وكقوله :

طرب الحمام بذى الأراك فهاجنى
لا زلت فى غلل وأيك ناضر
قال أبو حاتم : قال الله عز وجل : « حتى إذا كنتم فى الفلك وجريئ بهم » . وقال : « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » . ثم قال : « وبرزوا لله جميعاً » .

فقال أبو بكر : حسبي أنك لا تكأثر !

رئيس التحرير
هبة الدين الخطيب
برل الاشتراك
٥٠ في مصر والسودان
٦٠ في الإقطار الإسلامية
٥ من الجزء

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن شيخنا الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة
محمد عرفة
من جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٩٩٥

الجزء الثاني - القاهرة في غرة صفر سنة ١٣٧٣ - ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٢ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسالة الأزهرى

في عهد المجيد

لوم يكن لأحد في هذه الأرض رسالة قدسية عليا يؤمن بها ، ويعيش لها ، ويتصرف في جميع أموره - الخاصة والعامة - بمبادئها وسفنها ، لكان ينبغي أن يكون ذلك لريب الأزهر ، لانه مسلم يؤمن برسالة الإسلام ، وبها يحيا وعليها يموت .

ولو جاز لمسلم أن يجهل بعض شعب الإيمان في رسالة الإسلام ، لكان ينبغي لريب الأزهر أن يكون بمنجاة من هذه النقيصة ، لانه - والله الحمد - عالم برسالة الإسلام ، وواقف على تفاصيل شعبها ، وقد ارتفع به علمه بهما إلى منزلة يحسده عليها كل ذى نعمة في الأرض ، وهى منزلة الوراثة لمقام النبوة ؛ والأزهرى من أعراف العارفين بما لهذا المقام من مزايا ، وما على صاحبه من أعباء ومسئوليات .

والأزهرى ضمير طالما كان يتاجيه في خلواته ، ويتحدث اليه - بين الفينة والفينة - بما حمله الإسلام من تلك المسئوليات والأعباء ، منذ تأهل لتصيبه في الوراثة من مقام النبوة ، إلا أن بعض الذين يوثرون العافية في حاضرم ، كانوا يجدون لانفسهم ما تعتذر به إلى ضمائرهم يوم كانت تواجهم بما عليهم من أعباء الميراث الأعظم ؛ كيف لاونظام الذى

كان قائماً في هذه الناحية من دنيا المسلمين ، أسسه لنا الأغيار على أنه سلم للإسلام في ظاهره بينما هو حرب عليه في مقوماته وحنائقه الجوهرية وأهدافه الإنسانية القصوى ، فكان ذلك النظام يحاول — بأساليبه المرنه وأنامله الناعمة — أن يحمل الإسلام على أن يبقى قابلاً في المسجد فلا يخرج منه بمبادئه وسننه إلى ساحات المجتمع ، وأندية الناس ، وأسواق التعامل ، ومدارس التشقيف ، فضلاً عن محاكم القضاء ودواوين الحكم . ومن هنا كان بعض حملة رسالة الإسلام يجدون لأنفسهم بعض العذر بأن أمام هذه الرسالة عقبات تعترضها ، وتحول بينهم وبين العمل بها .

ولا ينكر أحد على ورثة الانبياء أن فيهم طائفة لم تكن تيسح لنفسها الإسراف في هذه المعاذير ، لأن الله جل وعز وهبهم من مضاء العزيمة وسعة الأفق وحكمة التصرف ما يصل ماضى هذه الأمة بحاضرها ، ويلوح به النور في أهدافها نحو المستقبل .

والآن وقد أكرم الله الإنسانية بهذا الانقلاب العظيم الذى وقع على مرأى منا ومسمع في الثلاثة الأشهر الأخيرة ، فإنه ساوى بين العلماء في موقفهم من رسالة الإسلام . وكما ذهب الانقلاب بذلك النظام الجاهلى الفاسد فقوضه تقويضاً ، فإنه قد ذهب كذلك بالمعاذير التى كان بعض ورثة الانبياء يعللون بها موقفهم من العمل برسالة الإسلام إذا ناجتهم ضمائرهم بما حملهم الله من أعبائها .

ويشاء الله أن تبدأ السنة الدراسية في معاهدنا الأزهرية ومدارسنا الرسمية وجامعاتنا بعد استتباب هذا الانقلاب المبارك ، فيقف المدرس من أبنائه الطلبة موقف الأمين على أئمن ما اتئمن الله الأمانة عليه في الأرض ، ولأنها لأمانة مزدوجة : أمانة العلم ، وأمانة الجيل . بل أمانة الملة ، وأمانة الوطن .

إن النظام الذى أقامه الأغيار لنا في الجيل الذى مضى قد صرف النفوس عن تضامن الجماعة وتعاونها بالمبادئ الإنسانية الكريمة ، والسُنن الإسلامية الحكيمة ، بما أيقظ من أنانيات ، وما هيغ من شهوات ، وما أحدث من عصبيات وحزبيات ، وما ترتب على ذلك من فرقة وتشنت ، حتى صرنا إلى ما ضجت من شناعته الأرض والسماء ، وتحولنا به عن إنسانيتنا المتراحة إلى مالا يرضاه لنا إلا العدو . وأفدح مامننا به في عشرات السنين الأخيرة اختلاف قلوبنا عما أراد لها الإسلام أن تكون عليه ، وقد سرت عدوى ذلك من طبقة إلى طبقة ومن جيل إلى جيل ، حتى وصلنا إلى بداية السنة الدراسية لهذا العام ، وإذا

أمانة الجيل الآتى كلها بين يدي المدرس أزهرى كان أو في المدارس الأخرى والجامعات . وإن الدولة بجميع قواها قائمة الآن بمهمة التطهير ، ومهمتها هذه تتناول آثار ما أفسد الدهر من قلوب الخاصة ، وهاهى ذى قلوب الخاصة نفسها من سيتولون بعد سنوات قريبة جميع أمور الأمة — من صغيرها إلى كبيرها — قد وضعها الله أمانة بين أيدي القائمين بالتدريس ، وهم مكلفون من الله ، ومن روح النظام القائم ، ومن حاجة الأمة الملحة ، بأن يعنوا بقلوب تلاميذهم فيعدوها للطهر والفضيلة والشهامة والرجولة ومكارم الأخلاق .

وأول ما يكون ذلك بالقدوة والأسوة . والتلميذ الناشئ يتعلم مما يرى بعينه أكثر مما يتعلم مما يسمع بأذنه ، والدعوة بالقدوة والأسوة هي التي تمت بها أعظم معجزة عرفتها مصر في ألوف مؤلفة من السنين ، وذلك يوم تحولت عما كانت عليه إلى ما رأت بعينها آثاره الباهرة في سيرة أبي عبد الله عمرو بن العاص السهمي وصحبه الأكرمين ، بل هي تنازلت حتى عن لغتها إلى لغة هؤلاء الفضلاء الرحماء الطاهري القلوب العاملين بسنن الأنبياء من إبراهيم إلى موسى فالمسيح نفاعم النبيين وإمام المصلحين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . فبالقدوة تحولت مصر والشام والعراق وشمال إفريقيا عن دياناتها إلى دين الإسلام في عشرات قليلة من السنين ، وبالقدوة وحدث قومياتها بقومية هؤلاء الانسانيين السائرين على قدم الأنبياء ، وانصرفت عن ألسنتها إلى لسانهم ، فكانوا جميعاً أمة الحق والخير ، وبالقدوة يستطيع مدرسو الأزهر والمدارس الأخرى كلها أن يظهروا قلوب أبنائهم رجال الجيل الآتى ، فيحدثوا فيها انقلاباً — كالانقلاب العسكري — في أقل من سنة ، بل من الحصة الأولى التي يلقون فيها أبناءهم الطلبة ويتطعون معهم العهد أمام الله على أننا عزمنا على أن نكون أمة صدق وحياء وجد وعمل ، نقيم الحق حيثما يكون ، وتعين على الخير ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً .

يقول أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي (تلميذ أمير المؤمنين عثمان ابن عفان وعلى بن أبي طالب وأضرابهما من علماء الصحابة كعبد الله بن مسعود وزيد ابن ثابت وأبي بن كعب) : « حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن — كعثمان بن عفان وعبد الله ابن مسعود وغيرهما — أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل . قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ،

وهذا معنى قول أم المؤمنين عائشة يوم سألتها التابعون عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان خلقه القرآن » ، أى أنه وأصحابه كانوا كلنا حملت رحمة الله إلى إنسانية الأرض آية في تقويم الأخلاق وتهذيبها تخلقوا بها بالعمل ، حتى تكون خلقهم الأصل ، وحتى تصدر أعمالهم كلها عن ذلك الخلق كما أراد الله لعباده . فالعلم حجة على صاحبه حتى يصحبه العمل ، والعلم بلا عمل أضر على صاحبه من الجهل البسيط ، ولذلك استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع . ولا يفتن التلميذ بمعرفة المبادئ إلى درجة أن يعمل بها وتكون سنة له في الحياة إلا إذا تلى ذلك بالقدوة ، ورأى تطبيقه وتنفيذه في تصرفات أبيه في الروح ، وهو المعلم الذى ائتمنه الله على فلذات أكباد الناس ، وعالقت الدولة آمالها عليهم في إقامة الحق والخير للوطن ، بعد أن تستريح هى من عناء التطهير فيما أفسدته الاجيال التى عاصرناها والتي سبقتنا .

إن القيام بمهمة « التطهير » له ناحية رسمية تتعلق بموظفي الحكومة والذين يتصل سلطانهم ونشاطهم بأمانات الدولة والمصالح العامة ، وهؤلاء قد رسمت الدولة خطتها الحكيمه في تمحيصهم ، واستخلاص ذوى الأيدي الطاهرة منهم ليحملوا بها تلك الأمانات ، وليؤدوا بها ما نيظ بهم من مصالح . وهناك ناحية أخرى للتطهير تتصل بقلوب الأمة ونفوسها ، والقيام بذلك من واجب ورثة الأنبياء حيثما كانوا وحيثما يكون الناس . فالعالم المسلم إذا بدأ فطهر قلبه ، وأخلص لله نفسه ومداركه وجوارحه ، جعل الله له على قلوب الناس ومداركهم وجوارحهم سلطاناً يصوغها به على ما يرضى الله في كل ما يصدر عنه من توجيه وإرشاد ، وأخطر من ذلك سلطان المدرس الأزهرى على قلوب أبنائه الطلبة ونفوسهم ومداركهم ، وجوارحهم ، لأن سلطانه مستمد من هدى الله ، ومكتسب من موارث النبوة ، وما أعظمه من سلطان ، وما أغلاها من موارث !

إنها مهمة خطيرة ، وإذا كان المدرس في غير المعاهد الأزهرية مكلفاً بها من الدولة ، ومن نداء الوطن ، فالمدرس الأزهرى مكلف بمثل ذلك وبما هو أعظم منه ، من الدولة وعن هو أعظم من الدولة ، ومن الوطن وعن هو أعز وأجل من الوطن ، وهو الله تباركت وآلاؤه وعز سلطانه .

حب المربين الخطيب

تَحْرِيدُ الْمَلَائِكَةِ فِي الْإِسْلَامِ

لقد تغيرت أوضاع ، وتبدلت نُظم ، وُسِّت قوانين في هذا العهد الجديد ، ومن القوانين التي سُنت . قانون تحديد الملكية الزراعية ، والناس يتساءلون عن رأى الفقه الإسلامى فيه وهل فى ذلك شئ سلف عن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ؟

ونحن سنبين هنا أن الإسلام يمنع التفاوت الكبير في الأرض الزراعية ويحرص على ألا تتجمع الأرض في جانب من الأمة فيكون فيه الغنى والعزة والقوة، وتحرمها الجوانب الأخرى فيكون فيها الفقر والعجز والضعف، وما وقع في مصر إلى الآن من المملكات الكبيرة حتى صار رجل واحد يملك آلاف الأفدنة وعنده من عبيد الأرض مثل هذا العدد يزعمونها له ويؤدون له غلاتها، لم يكن بإذن الإسلام، وعلى الرغم من تعاليمه وقع .

سوء توزيع الارضين مما يعمقه الإسلام ويقي الامة إياه قبل أن يقع ، لان الوقاية خير من العلاج ، ويعالجه إذا وقع . وقد عالجه الإسلام قديما بمثل ما عاجلته الدولة اليوم فالتاريخ يعيد نفسه .

قد يستغرب السامع هذا الذى أقوله من أن الإسلام نزع بعض الارضين من أيدي ما لىكها بعد أن رآها تتجمع فى جانب من الامة وتصفّر منها جوانب أخرى ، ومن أنه منع ذلك قبل أن يقع ، ولكن الغرابة ستزول عند ما يورد من الآثار ما يدل على ذلك .

روى عن يزيد بن أبي حبيب أن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص يوم افتتح العراق ، أما بعد فقد بلغنى كتابك أن الناس قد سألوا أن تقسم بينهم غنائمهم وما آفاه الله عليهم ، فانظر ما أجلبوا به عليك فى العسكر من كراع أو مال فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، واترك الأرضين والأنهار لعمالها ، ليكون ذلك فى أعطيات المسلمين ، فإننا لو قسمناها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شئ (١) .

علم من قواعد الإسلام ومن عمل الرسول أن ما غنمه المسلمون من مال وأرض يقسم أربعة أخصاه على المجاهدين، وقد قسم رسول الله أربعة أخماس أرض خيبر على المجاهدين

(١) ص ٩٠ كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ، و ص ٢٤ كتاب الخراج لأبي يوسف ، و ص ٢٧ و ٤٨ كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي . ويزيد بن أبي حبيب راوى هذا النص هو عالم مصر وإمامها . قال فيه اللب بن سعد : ويزد عالمنا وسيدنا ، توفي سنة ١٢٨ .

فلما فتح المسلمون العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص سأل المقاتلون سعدا نصيبهم في الأرض وطلبوا أربعة أخماسها فنهى عمر وقال : أما ما غنموه من منقول فاقسمه بينهم وأما الأرض والأنهار فلا تقسمها واتركها بأيدي عمالها ليزرعوها ويؤدوا خراجا يقسم على المسلمين . وعال عمر ذلك بأنه لو قسمها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء فجعلها باقية على حالها يملكها المسلمون جميعا وقسم خراجها بين المسلمين مخافة أن يحوزها المقاتلون فلا يبقى شيء لمن يأتي بعدهم من المسلمين . فأنت تراه قد منع من تسكدس الأرض في جانب من المسلمين وإخلاء الجانب الآخر منها قبل أن يقع .

وورد هذا المعنى في حديث آخر عن إبراهيم التيمي قال : لما افتتح المسلمون السواد قالوا لعمر قسمه بيننا فإننا افتتحناه عنوة قال فأبى وقال فما لمن جاء بعدكم من المسلمين وأخاف إن قسمته أن تفسدوا بينكم في المياه . قال فأقر أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤسهم الجزية وعلى أرضهم الطسق ، أى الخراج ولم يقسم بينهم ^(١) .

ولم يكن ذلك بأرض السواد بالعراق فحسب بل وقع مثله في أرض مصر نفسها وحدث سفيان بن وهب الخولاني قال : لما افتتحت مصر بغير عهد ، قام الزبير . فقال : يا عمرو ابن العاص اقسما . فقال عمرو : لا أقسمها . فقال الزبير : لتقسمنها كما قسم رسول الله ﷺ خير . فقال عمرو لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين . فكتب إلى عمر فكتب إليه عمر أن دعها حتى يغزو منها حبل الحيلة . قال أبو عبيد القاسم بن سلام الذى روى هذا الحديث فى كتابه الاموال : أراه أراد أن تكون فيما موقفا للمسلمين ما تناسلوا يرثه قرن عن قرن فتكون قوة لهم على عدوهم ^(٢) .

فهذه روايات متضافرة على معنى واحد ، وهو أن عمر منع المقاتلة ما كانوا يرونه حقا لهم بمقتضى الكتاب وعمل الرسول من قسمة أربعة أخماسها عليهم لئلا يحوزها الحاضرون ولا يبقى منها شيء لمن يأتي بعدهم .

ولم ينفرد بذلك عمر ، بل روى مثله عن علي ومعاذ بن جبل . روى عن عبد الله ابن قيس الهمداني قال : قدم عمر الجابية فأراد قسمة الأرض بين المسلمين . فقال له معاذ : والله إذن ليكونن ما تكره إنك إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم ، ثم يبيدون

فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة ، ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسدأ وهم لا يجدون شيئاً فالنظر أمراً يسع أولهم وآخرهم ، (١) .

وأشار بمثل ذلك على حين استشاره عمر ، فهو لاء النفر من جلة الصحابة : عمر وعلى ومعاذ ابن جبل ، انفقوا على منع المقاتلة عن قسمة الأرض بينهم رعاية لمصلحة بقية المسلمين لئلا يحوزها المقاتلة ولا يبقى شيء لمن يجيء بعدهم وقد وافقهم الصحابة وجرى العمل عليه في أيام عمر والخلفاء من بعده فقد منعوا التفاوت الشديد في امتلاك الأرض قبل أن يقع . وأما أنه عاجله بعد أن وقع ، فقد ورد عن قيس بن أبي حازم قال : كانت بجيلة (وهي قبيلة من المسلمين) ربيع الناس يوم القادسية ، فجعل لهم عمر ربيع السواد ، فأخذوه سنتين أو ثلاثاً . فوفد عمار بن ياسر إلى عمر ومعه جرير بن عبد الله البجلي فقال عمر لجرير : يا جرير لولا أني قاسم مسئول لكنتم على ما جعل لكم ، وأرى الناس قد كثروا فأرى أن ترده عليهم . ففعل جرير ذلك فأجازه عمر بثمانين ديناراً ، (٢) .

وورد أن امرأة من بجيلة يقال لها أم كرز قالت لعمر : يا أمير المؤمنين إن أبي هلك وسهمه ثابت في السواد وإني لم أسلم . فقال لها يا أم كرز إن قومك قد صنعوا ما قد علمت - أي من تسليم الأرض - قالت : إن كانوا قد صنعوا ما صنعوا فإني لست أسلم حتى تحملني على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء وتملا كفي ذهباً . ففعل عمر ذلك ، فكانت الدنانير نحواً من ثمانين ديناراً ، (٣) . وحادثة قبيلة بجيلة تشبه ذلك القانون الذي أصدرته الدولة بتحديد الملكية الزراعية فهمما يجتمعان في أنهما أخذتا الأرض من كانت تحت أيديهم بعوض يؤدي لهم نظراً لمصلحة المجتمع ، فقد قال عمر لولا أني قاسم مسئول لكنتم على ما جعل لكم ؛ وأرى الناس قد كثروا فأرى أن ترده عليهم مع شيء من الفوارق :

منها أن عمر نزع الأرض كلها . والقانون نزع ما زاد على مائتي فدان وأبقى له مائتين ، وهذا الفرق لا يؤثر لأنه إذا جاز أن تنزع الأرض كلها من هي بيده ، فلأن يجوز أن ينزع بعضها ويبقى بعضها من باب أولى ، ومنها أن عمر جعلها وقفاً على المسلمين يزرعها من يزرعها على خراج يؤديه يصرف على المسلمين ، أما القانون فقد ملكها لغيرهم من الفقراء ، ومنها أن عمر فعل ذلك والعهد قريب . والتراحم والإيثار بين المسلمين ، وهذا يجعل مهمته سهلة ، أما القانون فيفعل ذلك وقد بعد العهد وفنى عليه الكبير ونشأ عليه الصغير ، وقد تغيرت

(١) ص ٥٩ المصدر نفسه .

(٢) ص ٦١ كتاب الأموال ، و ٣١ الخراج لأبي يوسف .

(٣) ص ٦٢ كتاب الأموال .

نظرة المسلمين بعضهم لبعض فصارت نظرة استغلال لا نظرة أخوة وتعاون ، وهذا ما يجعل المهمة شاقة ، ولعل في هذا التدرج الذى جعل تنفيذه على خمس سنوات ما يخفف من وقعه ، ولعله إذا فهم الإقطاعيون أن هذه الكفظة كانت تضر بهم ولا تنفعهم وكانت تحرم كثيراً من إخوانهم ما خلقه الله لهم ، خف وقعه وزال ألمه .

تأملوا في هاته الوقائع التى تتعلق بالأرض تفتينوا المبادئ الإسلامية من خلالها ، تلك المبادئ التى غرست في نفوس المسلمين الأولين وظهرت منهم أعمالاً حكيمة وقضايا عادلة .

يرى الإسلام أن المجتمع الإسلامى كأسرة واحدة ، وليس من العدل أن يختص بعض الأسرة بالأرض ويحرم الباقون . وقد فهم ذلك عمر ، بل إنه لم ينظر لمن حضر فقط بل نظر للحاضر ولمن تلده الأرحام . انظر إليه حين يقول : فما لمن يأتى بعد ؟ كره أن يحوز الأرض المقاتلة الذين بذلوا دماءهم وأموالهم في الجهاد حتى دانت لهم الأرض فيولد من يولد ويدخل في الإسلام من يدخل فيجد الأرض قد حازها من حازها ولا يجد ما يسكنه .

ماذا يكون حكم عمر حين يجد قوماً لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب إنما ملكوها إقطاعاً غير شرعى أو ورثوها عن ماسكها كذلك ، وحازوها ومنعوها عن بقية المسلمين وقد أساءوا التصرف فيها فلم يراعوا حق الله ولا حق الفقراء في هذه الأموال .

وقد بقي أن يقال : كيف يخالف عمر عمل رسول الله في خيبر من قسمة الأرض أخماساً وجعل الخمس لله وللرسول والفقراء ، وأربعة أخماسها في المقاتلة ، ويذهب إلى حرمانهم وجعلها مائة للأمة يزرعها من يزرعها على خراج يؤدي ينفق منه على المسلمين ؟ قلنا في ذلك وجوه : منها أن عمر ربما علم أن ما فعله الرسول كان على التخيير لا على طريق الإلزام .

ومنها أن عمر تأول آية النفي على ما ذهب إليه وهى قوله :

« ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب . للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك

هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقوا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .
وقد قال حين ذكر الأموال وأصنافها والآيات الدالة عليها : استوعبت هذه الآية الناس .
ولعل عمر ذهب إلى المصلحة المرسله ، ورفع الضرر ، وقد علل بذلك فيما رويناه عنه .
ورحم الله عمر بن الخطاب فقد كان يعرف الأغراض العظمى للإسلام ويحافظ عليها ،
وقد كان يعلم أن الشريعة عدل وإنصاف فحيث وجد العدل والانصاف فثم شرع الله .
وربما رأى في النص والحادثة تقييداً بالزمان والمصلحة وما لا يسها من حوادث ، وكان يراعى
المصلحة ورفع الضرر عن الأمة ، ولا أعلم ضرراً أبلغ من التفاوت الكثير في الملكية
الزراعية . وبحسبنا أن ننظر إلى آثاره السيئة عندنا فقد جعل في الأمة طبقتين طبقة أصحاب
الأرض المالكين وفيهم الغنى والقوة ، وفيهم ما ينتجه الغنى من الترف والكبر والاشرف
والبطر والاستعلاء وغمط الناس . وطبقة الفلاحين وهم الكثرة الكاثرة من الأمة وفيهم
الفقر والحاجة ، وتنبه آثاره من الجهل والمرض والذلة والضعمة والمهانة والاستخذاء وخلق
العبيد من الجبن والخور والصغار .

ومثل هؤلاء لا يأبون الضيم ولا يحمون الذمار ولا يدفعون العار .

ولئنما تولدت فيهم هذه الرذائل وما يتبعها لأنهم يرون أن رزقهم وحياتهم وعزهم
وذلمهم بيد صاحب الأرض إن شاء أبقاهم وإن شاء أخرجهم فرمى بهم إلى الطرقات حيث
الجوع والعري والموت فيذلون له ويخضعون .

وهذه النفوس المريضة لا ينفع فيها علاج ، لأنه كلما رفع الربون والعلماء من نفوسهم ،
وراضوهم على العزة ، طغى على ذلك كله ما هم فيه من حالة اجتماعية فاسدة ومن وضع يجعلهم
محتاجين لمخلوق مثلم ، ماذا تنفع العظائم والعبء إذا كانت تبني والواقع يهدم وإذا كانت
تدعو إلى العزة وواقع الحياة يدعو للذلة ١٩

أما الآن فإننا نأمل أن يصلح الله بتحديد الملكية الحسالة الاجتماعية ، وأن يحقق الله به
كثيراً من العدل في الجماعة ، وأن يرفع مستوى المعيشة لكثير من الفلاحين فيتعلموا بعدد
جهل ، ويصحبوا بعد مرض ، ويأمنوا بعد خوف ، وأن يشعروا بالعزة والقوة والحرية ،
وأن تربي فيهم أخلاق الأحرار من الغضب للحق ، والإباء للظلم ، والكرامية للاستعباد . فإذا
استنصروا نصروا ، وإذا استنفروا نفروا ، وإذا أتاهم عدو مغير طاروا إليه زرافات ووحدانا .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

مشيخة الأزهر الشريف

في أكل ما شهدنا من عمره

إذا أراد الله بطائفة من أهل هذه الملة الإسلامية خيراً، هباً لمستقبلهم القريب الحسب، والصالح، ويسر لهم الإمام الذي انطوت سيرته القيمة الطاهرة في جميع أدوارها على ما تستقيم لهم به القدوة، وتحسن به الأسوة، وتشيع به عدوى الإخلاص لله عز وجل في السر والعلن والقول والعمل .

وأحسب أن طلبة الأزهر الشريف لهذا العهد سيكون منهم لهذه الملة في مستقبلها القريب الخير الكثير، ولذلك كان من حظهم أن قيض الله لهم الحكومة الصالحة التي تتحرى للولاية أكفائها، كما قيض لهم القدوة والأسوة في سيرة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مد الله في عمره وأدام النفع به .

إنهم الآن ليسوا أمام مركز رسمي تولاه كفؤه بالعلم والسابقة والصلاح فحسب، بل هم أمام مثل أعلى للمسلم الكامل الذي ابتداء حياته بنهضة السكماح عن الإسلام وأهله، والاضطلاع برسائله، وتحمل أماناته كاملة وافية . و« النية »، هي الإبرة المغناطيسية التي يتوجه بها المسلم إلى هدفه من الحياة . ولذلك قال معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه : « إنما الأعمال بالنيات »، وإنما لكل امرئ ما نوى ، والحياة وتصرّفات المرء باتجاهاته في جميع أدوارها هي جماع الأعمال ، فهي أحوج إلى النية الوثيقة الثابتة الصادقة ليكون ما يصدر عن الإنسان من الأعمال في حياته تبعاً لها لا يحيد عنها مهما غالبته الظروف ، ولا ينحرف عن اتجاهها ما استطاع ، وإن انحرفت به الأهواء والمؤثرات . وطالب العلم الإسلامي إذا نوى من بدء حياته أن يقتصر في حياته على مطالب العيش ومتاع الدنيا بق هدفه محدد بهذا النطاق الضيق ، وعاش على هامش الحياة عيشة تتناسب مع نيته ، وكان في نظر نفسه - ثم في أنظار الناس - موزوناً بهذا المقدار ، لا يتخددع به الناس بأكثر من ذلك ، ولا يستطيع أحد أن يخدعه عن نفسه بأنها فوق ذلك . أما إذا نوى طالب العلم الإسلامي أن يعيش مكافئاً عن حقائق الإسلام - مهما كانت - وعن حقوق المسلمين حيثما كانوا ، فإن حياته كلها تصبح حينئذ

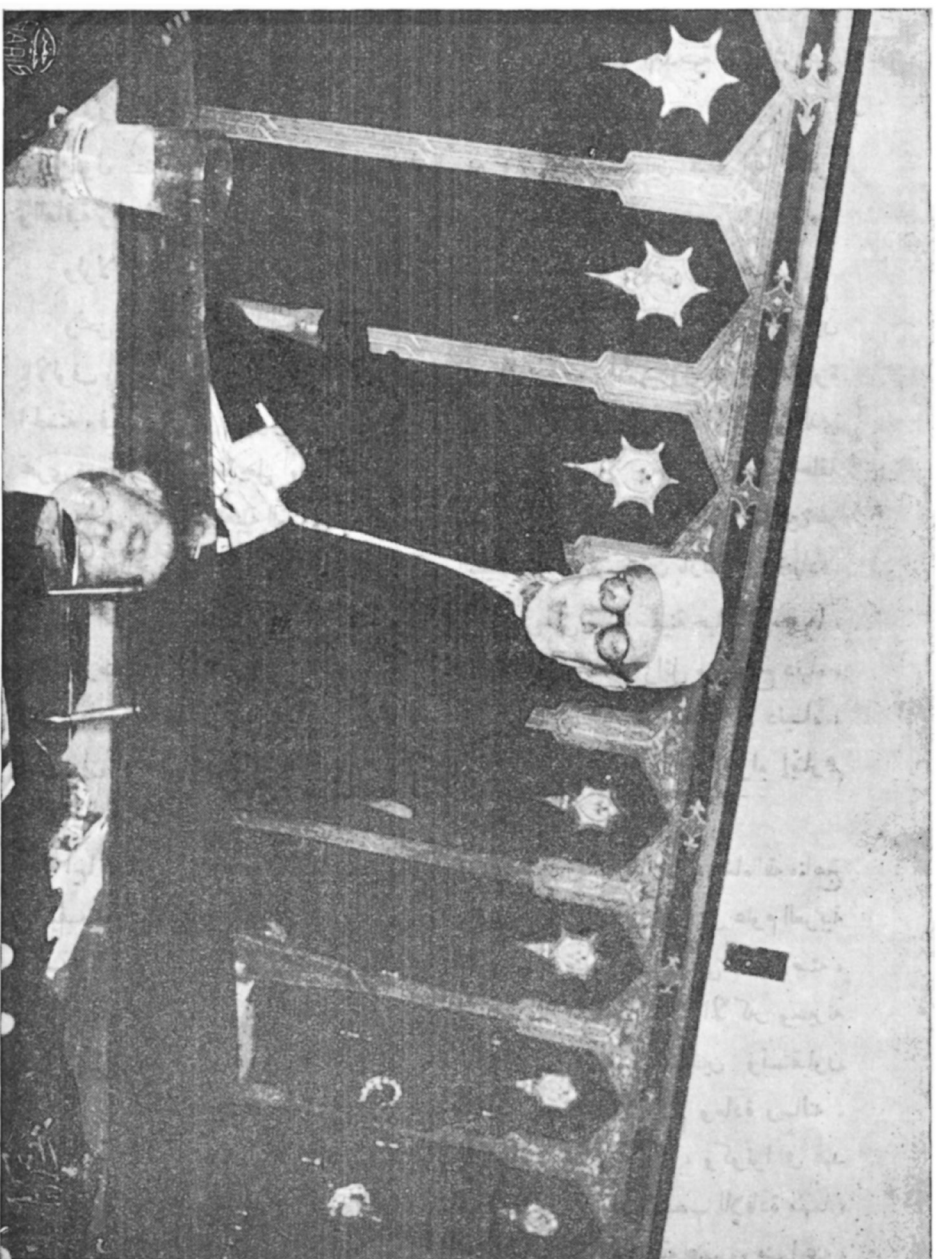
حياة عبادة ، ويكون قدره عند الخالق والخلق متناسباً مع قدر النية القدسية التي عاش على ضوئها ، وعوّل على السير في الحياة بتوجيهها .

يقول فضيلة الأستاذ الأكبر شيخنا السيد محمد الخضر حسين :
والعافية والتوفيق :

ولولا ارتياحي للنضال عن الهدى لفتشت عن واد أعيش به وحدي

ونحن تلاميذه ، ومعنا إخواننا من طلبة الجامع الأزهر وكلياته ومعاهده الذين يعدون بالآلاف ، يذبحون لنا أن يكون لنا في حياة شيخنا القدوة الصالحة ، وأن تكون لنا فيه الأسوة الحسنة ، فيكون أول ما نرتاح إليه هو النضال عن الهدى ، ولا يناضل عن الهدى إلا الذي تحرى معرفته ، وتبع ما جل أودق من علوم أئمنه وتراث علمائه . وجعل من نفسه حلقة متواصلة في سلسلته الذهبية التي أولها عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان ، وآخرها عند شيخنا الجليل إمام الهدى السيد محمد الخضر حسين بارك الله في جهاده .
لأنه أحسن النية لله منذ البداية فاتخذ منها إبرة المغناطيس التي توجه سفينة حياته في سيرها ، فما تعارضت دنياه وآخرته إلا اختار ما يبقى له في آخرته على ما هو زائل من بهرج دنياه .
ومن عادة الله فيمن يؤثر الآجلة على العاجلة أن يجعله راضياً عن نصيبه في دنياه ، وقد يلمن الله كرامته لأوليائه بمكافأتهم حتى في إعلان مقامهم في الدنيا جزاء لثباتهم ما يرضاه لهم في يوم الدين .

أيها الطلبة الأزهريون ، إنكم تستقبلون في أول سفتكم الدراسية المباركة إن شاء الله مناهج لتثقيف عقولكم بعلوم الشريعة التي تقوم عليها رسالة دينكم ، وما يعين عليها من علوم العربية والسنن السكونية . ثم إنكم تستقبلون في هذا العام ما لا يفتقر عن هذا ، أعني به خلاصته ، وثمرته الناضجة ، وغايته العليا ، وهو الأخلاق الحميدة بمثلة بسجاياء أستاذنا الأكبر وسيرته في أكثر من سبعين عاماً ، وكفاحه في سبيل حقائق الإسلام وحقوق المسلمين . وتستقبلون مع هذا وهذا ، عهداً يتحرى الحق والخير ، والحق والخير جناحاً للإسلام ومادة رسالته .
فهنيئاً لكم سفتكم الجديدة ، وبارك الله لنا ولكم بحياة شيخنا وشيخكم ، وكونوا في عهد الحق والخير من خاصة أهلها ، ومن أنشط الاعوان على تأهيل هذا الشعب للإفادة منهما ، وبذلك نكون إن شاء الله أمة صالحة ، وبذلك نكون من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، والله يتولى الصالحين .



حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين

طلعت جريدة الاهرام في صباح يوم الاربعاء ٢٧ من ذى الحجة سنة ١٣٧١
(١٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢) وفي صدرها المقال الآتي :

كانت مفاجأة حين خرج ثلاثة من حضرات الوزراء : هم السادة فتحي رضوان وأحمد حسن الباقوري وعبد العزيز علي ، من مجلس الوزراء أثناء انعقاده ، وتوجهوا إلى جهة لم يشاءوا ولم يشأ أحدهم أن يذكر عنها شيئاً ، ولكن الصحفيين رأوا أن يقتفوا أثرهم ، ولشد ما كانت دهشتهم بالغشة حينما رأوهم يدخلون بيتاً صغيراً من البيوت الواقعة في شارع خيرت ، ويطرقون باب شقة متواضعة يسكنها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الخضر حسين عضو جماعة كبار العلماء ورئيس تحرير مجلة الأزهر سابقاً . ولئن كانت هذه المفاجأة قد أدهشت الصحفيين ، فإن فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الخضر حسين كان أكثر منهم دهشة حين تحدث إليه الوزراء الثلاثة وعرضوا عليه مشيخة الأزهر باسم مجلس الوزراء واسم الرئيس اللواء محمد نجيب .

ويقول مندوب د الاهرام ، الخاص : إن فضيلة الشيخ قد قبل منصب المشيخة الجليلة ورجا أن يوفق في تحمل أعبائها .

وقد أردت أن أفق من فضيلته على ما إذا كان له برنامج معين ، فقال : إنها مفاجأة لم أتمكن حيالها من أن أضع برنامجاً معيناً أو أرسم سياسة خاصة .

فسألت فضيلته : وهل لكم رأى معين في كبار علماء الأزهر الذين يشغلون مناصب هامة ؟ فقال : ليس لي رأى معين في واحد من حضراتهم ، وكلهم موضع لإجلالي واحترامي وتقديرى فقلت : وما رأيكم في المطلب الخاص بإقضاء أربعة من كبار العلماء الرسميين الأزهريين عن مناصبهم ؟

فقال وهو يتسم : طبعاً لن يكون هناك إقصاء ، ومن رأي أن تؤخذ المسائل بالرفق واللين قلت : ومتى أخذتم الجندسية المصرية ؟

فقال فضيلته : أخذتها في نحو سنة ١٩٣٨

قلت : إن العالم الإسلامي يسره كثيراً أن تسند مشيخة الأزهر إلى رجل جليل مثلكم بعيد عن التيارات المختلفة ، فهل لكم كلمة تتوجهون بها إلى هذا العالم في هذه المناسبة ؟

فقال : إن الكلمة التي أتوجه بها إلى العالم الإسلامي هي أنني أرجو المعونة من الله أن يحقق أمل المسلمين في الأزهر الشريف .

قلت : وهل تصدون غداً (اليوم) إلى مشيخة الأزهر ؟

فقال : إن فضيلة السيد أحمد حسن الباقوري سوف يحضر إلى غداً (اليوم) لاتوجه معه إلى دار الرياسة حيث أقابل الرئيس اللواء محمد نجيب .

من تاريخ حياته :

وقد ولد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين في بلدة « نفطة » من أعمال تونس في سنة ١٢٩٣ هجرية ، فعمره الآن ٧٨ عاماً ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره انتقل إلى تونس والتحق بجامعة الزيتونة وحصل منها على شهادة العالمية في العلوم الدينية والعربية . وقد استهل فضيلته حياته العملية بالعمل في الصحافة حيث أنشأ مجلة « السعادة » وراح يديج فيها الفصول القيمة يعالج بها الشؤون الدينية والأدبية .

ثم تولى القضاء في بلدة « بنزرت » والبلاد المجاورة لها ، ولبت يمارس القضاء حتى سنة ١٣٢٤ هـ ، ثم عين مدرساً للعلوم الدينية والعربية في جامعة الزيتونة ، وكذلك تولى التدريس في المدرسة الصادقية وهي المدرسة الثانوية الوحيدة في تونس .

يحكم عليه بالإعدام !

وقد اشتهر بعدائه للسياسة الفرنسية إذ كان يهاجمها في مجلته ، وكان يبث روح العداء لها في تلاميذه ، يريد بذلك أن يغرس فيهم الروح الوطنية والحرية الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام ، فحقد عليه ساسة الفرنسيين وأكثروا له الحفيظة ، ودبروا له مكيدة سياسية قدموه من أجلها إلى المحاكمة حيث حكم عليه غيابياً بالإعدام ، فهاجر فضيلته إلى الشام ومعه عائلته وفيها تولى تدريس العلوم العربية والدينية في المدرسة السلطانية .

وقد أوفده أنور باشا وزير الحربية التركية يومئذ إلى ألمانيا في مهمة سياسية ، ف قضى فيها نحو تسعة أشهر ، رجع بعدها إلى الشام ، وتولى التدريس في تلك المدرسة ، حتى رأى الاتساع به في وزارة الحربية التركية فعين محرراً عربياً في ديوان تلك الوزارة .

شيخ الأزهر ترحل إلى الأهرام

وكتب مندوب جريدة د الأهرام ، الخاص في عددها الصادر يوم الخميس ١٢ المحرم سنة ١٣٧٢ هـ (٢ أكتوبر سنة ١٩٥٢) يقول :

لا يزال فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر يحتفظ ببساطته في كل مظهر من مظاهر الحياة العامة والخاصة ، ومع أنه يشغل الآن منصباً دينياً خطيراً ، فلا تزال هذه البساطة التي درج عليها وألفها الناس عنه منذ وفد إلى مصر تلازمه ، إن مجلسه لا يزال كما كان ، بغشاء كل محب له وكل مرید للعلم كيفما كان مظهره ومخبره ، ولقد أردت أن أقف على آراء فضيلته في طائفة من المشاكل الأزهرية التي تواجه المسؤولين عادة في مستهل كل عام دراسي ، ولما أفضيت إلى فضيلته بهذه الرغبة لم يشعر بالحرج الذي يشعر به الرسميون والمسؤولون عادة في مثل هذا الموقف ، بل أثر أن يكون صريحاً على سجيته ، واخضاً كما عرفته منذ نيف وعشرين عاماً .

ورؤى مرة أخرى أن يعود إلى ألمانيا في مهمة سياسية كذلك . فذهب إليها وقضى فيها نحو سبعة أشهر . ولما رجع إلى تركيا رأى ولاية الأمور فيها - بالاتفاق معه - أن يعود إلى الشام لمتابعة دروسه هناك ، ولكنه حين رجع إلى هذه البلاد وجد الفرنسيين قد احتلوا ، فهرب إلى مصر لاجئاً سياسياً ، وظل فيها منذ سنة ١٩٢٢ م يشتغل بالكتابة والتحرير والدرس حتى سنة ١٩٣١ م إذ رأى فضيلة الاستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمد الاحمدى الظواهري أن ينتفع به في تحرير مجلة الأزهر ، وكانت تسمى وقتئذ مجلة د نور الإسلام ، فعينه رئيساً لتحريرها وقد لبث في هذه الوظيفة حتى عين فيها الاستاذ محمد فريد وجدى ، فانتقل فضيلته إلى رئاسة تحرير مجلة د لواء الإسلام ، التي يصدرها الاستاذ أحمد حمزة وزير التكوين السابق .

في جماعة كبار العلماء :

وقد قدم فضيلته رسالة علمية ^(١) نال بها العضوية في جماعة كبار العلماء .

(١) هي رسالة د القياس في اللغة العربية ، نشرتها المطبعة السلفية بالقاهرة .

تنظيم البعوث الإسلامية :

قلت : إن البعوث الإسلامية لا تزال قائمة ، ولعل هذه المشكلة تكون هامة إذا عرفنا أن هذه البعوث إنما هي أداة صالحة للدعاية الإسلامية لمصر في مختلف الأمم التي تدين بالإسلام . فهل ترمعون فضيلتكم أن تعملوا على أن تكون هذه البعوث الإسلامية في نظامها الحاضر وفي طريقه إعدادها متمشية مع ما نرجوه منها وما نؤمله فيها ؟

فقال فضيلته :

لا شك أنني أقدر الرسالة التي يصح أن يضطلع بها طلاب البعوث الإسلامية في الأزهر تقديرأ خاصاً ، فهم رسلنا لدى أممهم ، وهم ألسنتنا المعبرة عن أمانينا وآمالنا ، بل لا أبالغ إذا قلت : إنهم المرايا التي تصورنا عند أممهم وشعوبهم بما فينا من خصائص ومزايا ومناقب أصدق تصوير . وإذا كان الأمر كذلك ، فإن العناية بهم وبإعدادهم يجب أن تشغل حيزاً كبيراً من أوقانتنا . إنني أعنى في هذه الأيام بوضع نظام خاص بإعدادهم إعداداً قوياً يمكنهم من أن يؤدوا رسالة الخير والسلام على خير الوجوه . إنني أعد الأزهر في مصر بمنزلة الكعبة الشريفة التي يحج إليها المسلمون على مختلف أجناسهم ومذاهبهم ليؤدوا فريضة دينية ، والواجب يقتضى أن نعنى بكل ما يعود بالخير على الأزهر ، لأنه يعود بالخير نفسه على مصر وعلى الإسلام . ولا أذيع سرا إذا قلت إنني كنت أسمع الكثير من الانباء التي تحز في نفسى وتؤلمى ، لأنها كانت تمثل العلاقة بين طالب البعوث وشيخ رواقه تمثيلاً لأحبه ولا أرضاه . لذلك عنت كل العناية بأن أعمل على أن تقوم بين الاثنين علاقة روحية قوامها الحب والمودة والإخاء والخير ، وأعتقد أن هذه العلاقة سوف تقوم وتتوطد منذ الآن ، فلا أعود أسمع مرة أخرى أن شيخاً ظلم تلميذاً له ، أو أن تلميذاً لم يوقر شيخه التوقير الذي يليق به .

المكتبة الأزهرية :

قلت : والمكتبة الأزهرية . ألا ترى فضيلتكم أنها اسم على غير مسمى ، وعنوان لا موضوع له . ؟ وما هي الفائدة من أن يقال « المكتبة الأزهرية » ، أى المكتبة التي تمثل أقدم جامعة دينية في العالم ، ثم تعطل وظيفتها فلا ينتفع بها طالب ولا عالم ، ولا أجنبي ولا وطني ، ولم لا تكون مكتبة عامة على غرار دار الكتب . ؟ ولم لا تنشأ فيها غرفة للمطالعة وأخرى

للبحوث والدراسات ؟

فقال فضيلته :

إن من الحقائق الثابتة أن المكتبة الأزهرية تشغل مكانا غير لائق بها ، ويسمح لطلاب العلم والبحث والمعرفة بالانتفاع من كنوزها النفيسة وذخايرها العلمية التي لا يوجد لها مثيل في جميع مكتبات العالم ، إنها تشتمل على آلاف من الموسوعات العلمية والدينية ذات القيمة الخاصة في عالم البحث والمعرفة ، وإن الأجانب الذين يترددون على الأزهر من العلماء والمستشرقين لا يعرفون كيف ينتفعون بما تشتمل عليه من النفائس والذخائر . ولذلك فإنني أعمل الآن على تدبير مكان صالح لها ، على أن تتوافر في هذا المكان الشروط التي يجب أن تتوافر في مكتبة تاريخية عامة تسكاد تكون عالمية كمكتبة الأزهر ، فيكون فيها نظام الإعارة على نظام جديد ، وأن ينتفع بها الطالب والعالم والباحث على الطريقة العلمية الصحيحة . وقد أفرغ من دراسة هذا النظام في وقت قريب إن شاء الله ، وسوف يكون من شأن هذا النظام أن توحد المكتبات الأزهرية التي توجد في مختلف الأروقة وتجمع كلها في المكتبة الأزهرية الكبرى ، فيشرف عليها مدير واحد ، ويكون نظامها واحدا .

المعاهد الدينية :

قلت : أعرف أن فضيلتكم تشغلون الآن في إعداد حركة تنقلات بين أصحاب الفضيلة شيوخ المعاهد ، فهل انتهيت إلى رأى في هذا الموضوع الهام وقد أصبحنا في مستهل السنة الدراسية ؟ قال فضيلته :

لأنني أعتقد أن شيخ المعهد في الإقليم هو مظهره ورأسه المدير ، وعنوانه بين مختلف الطوائف والطبقات في هذا الإقليم ، وأعتقد أن العناية باختيار شيخ المعهد تحتاج إلى البحث عن صفات وشروط خاصة فلا يصح أن يختار شيخ المعهد بدرجة أو أقدميته ، وإنما يجب أن يختار بكفائته وأهليته ومكانته ، سواء من ناحية العلم والخلق والكرامة ، أو من أية ناحية أخرى . ولذلك فاني استضيء في بحثي بهذه الاعتبارات ، لأنني أحرص على اختيار شيوخ يتسمون بالخلق والكرامة والاهلية والكفاية مع الغيرة الدينية ، ليكونوا قدوة حسنة لابنائهم من الطلاب ، وليكون شيخ المعهد في إقليمه خير سفير يمثل المسلمين في هذا الإقليم . ولأنني لأرجو أن أنتهى من هذه المسألة في وقت قريب جدا ، أو في أيام قلائل ، ليكون كل شيخ على رأس المعهد الذي يعين شيخا له في مفتتح العام الدراسي .

مدير مجلة الأزهر :

قلت : ولا زلت أرى أن مجلة الأزهر في حاجة قصوى إلى أن يوضع لها نظام صحفي يمكنها من أن تسير النهضة الاجتماعية في مختلف مرافق الحياة ، وقد قرأت أن فضيلتكم قد قبلتم استقالة مديرها السابق الاستاذ أحمد حسن الزيات .

وهنا قاطعني فضيلة الاستاذ الأكبر وقال بصوت خففت :

إننى سوف أختار لهذه المجلة عالماً أزهرياً يجعل طابعها أزهرياً ويمثل فيها الأزهر ببحوثه ، أو بالبحوث التى ينشرها فيها . ولا شك أننى أرى من وراء ذلك إلى أن تكون هذه المجلة اللسان المعبر عن نزعات الأزهريين المختلفة ، وآرائهم في مختلف البحوث التى تتصل بالإسلام أو بالحياة الإسلامية ، فتسير الطريق أمام قرائها سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين في أمهات المشاكل ومعضلات المسائل العامة التى تكون موضع أخذ ورد بين الناس ، وبهذا تكون المجلة قد أدت رسالتها على نحو سليم صحيح . وأنت تعرف أننى قد تحملت أعباء العمل في هذه المجلة بضع سنوات فعرفت مواطن الضعف فيها ومكان النقص في رسالتها ، ولذلك فإننى أسترشد بما لمستته من الحقائق ، وأرجو أن يكون رائدى فيما اعترضه من العمل ، على أن يوضع لها النظام الذى يكفل لها الحياة والنمو والبقاء .

الأزهريون عنوان الخير والمحبة والسلام :

قلت : وهل لفضيلتكم كلمة تستقبلون بها أبناءكم من العلماء والطلاب في مناسبة افتتاح السنة الدراسية ، اننى قد رأيت في الايام الاخيرة أن هناك اتجاهات متناقضة تصور بعض الأزهريين على أن بينهم خلافاً مستحقاً ؟

فقال فضيلة الاستاذ الأكبر :

أنا أميل بطبعي إلى الخير والسلام ، ولم أكن في يوم من أيام حياتى متحزباً ولا متعصباً ، بل كنت دائماً أكره التحزب والتعصب ، وأوثر أن آخذ الأمور باللين والرفق والحوادة ، وأنت تعلم أن شيخ الأزهر هو الذى يمثل الأزهر ، ودعوة الأزهر إنما تقوم على تحقيق معانى الخير والتواد والتحاب بين الناس أجمعين ، والأزهريون بحكم وضعهم ووصفهم هم الذين يبصرون الناس في أمور دينهم ودنياهم ، ولذلك كان طبعياً أن يكونوا عنواناً للخير والموودة والمحبة والسلام ، وأن يكونوا إخواناً متحابين في الله متساندين لتكوين لدعوتهم صداها وأثرها في التوجيه والإرشاد في مختلف الأمم الإسلامية ، إن علماء الأزهر هم أقرب

الدِّينُ وَالْفُتُوَّةُ وَسِلَاطَانُ إِلَى غَايَةِ وَاصِدَةٍ

العوامل ذات الأثر في نظام المجتمع لا تعدو أن تكون أدبية ومادية ، وليس من قصدى أن أعرض لكل ما ينضوى تحت هذين النوعين ، فذلك اتجاه قد لا أبلغه ، وإنما أقصد — في إجمال — إلى ما شرع الله لحماية المجتمع ، من دين وقوة ، فكلهما وسيلة تلتقي مع الأخرى عند غاية واحدة : هي (أولا) تهذيب الإنسان حتى يكون في الوضع الذي امتاز به بين الكائنات ، خليفة عن الله سبحانه في عمارة دنياه « إني جاعل في الأرض خليفة ، (ثانيا) إحاطته بما يسبغ الله من الخير ، حتى تتجلى أنعم الله على خلقه ، فيشكرها من يقدرها ، ويسعد بها في حياته الأولى والآخرة ، وهذا مظهر الألوهية في عظمتها ، وذلك تقدير العزيز العليم :

الناس إلى معرفة أوامر الله ونواهيه ، وهم من الأمة في مقام الأئمة والهداة ، ومن أجل هذا وجب عليهم أن يكونوا حريصين على كل ما يرضى الله وما يحقق الخير لهم وللناس ، وأنت تعلم أن الصفح والعفو والمغفرة من صفات الرجل المؤمن بالله العالم بالإمام الخدق ، وأن من أحب الأمور إلى أن تجتمع قلوبنا على ما يكون ، وأن نستقبل الأيام بروح التسامح والمحبة حتى نصل إلى ما يرضى الله ويحقق الصالح العام ، والله وحده يهدينا إلى سواء السبيل .

ترجمة تفسير القرآن

قلت : هل أستطيع أن أقف على رأى فضياتكم في ترجمة معاني القرآن ؟

فأجاب فضيلته :

هل تريد ترجمة معاني القرآن أم ترجمة تفسير القرآن ؟ إن هناك فرقا بين ترجمة معاني القرآن وترجمة تفسيره ، وعلى كل فإنى أرى أن نرجى الكلام في هذا الموضوع حتى أتمكن من الاطلاع على ما سبق أن وضع من التقارير والمذكرات في هذا الموضوع ، وإلى فرصة قريبة إن شاء الله .

* * *

وهنا شعرت أنى أطلت على فضيلة الأستاذ الأكبر ، بل أنفقت عليه ، فاستأذنت فضيلته في نشر هذا الحديث ، فتنفضل وأذن مشكوراً .

(١) يسلك الدين إلى تلك الغاية سبيل الدعوة السلمية في تنشئة الفرد على نمط يهيء له أن يكون لبنة صلبة في بناء رصين ، ووحدة سليمة في مجتمع قوى ، ثم يتجه إلى تكوين الجماعة من أولئك الأفراد الصالح ، ويضع هذه الجماعة الآخذة به الراضخة لسلطانه ، في إطار من النظام الجماعي : تخيره من يعلم الخير والشر ، وماز الحثيث من الطيب .

يوقظ الدين في المرء إرادته ، وينبه فكرته ، ويحترم عقليته ، ويدعوه إلى الجادة المثلى الواضحة المعالم ، دعوة مقرونة بالإقناع ، ويحضه على التقرب إلى ربه بما شرع له ، ويشد أزره بالترغيب فيما عنده ، ليغالب نفسه ، ويهتدى بعقله ، ويستجيب لضميره ، وينأى عن النغي ، ويمنح إلى الرشد .

وما كانت العبادات على تعدد أنواعها ، والنأ كيد لشأنها ، وترتيب الثواب عليها لميجابا ، والعقاب عليها سلبا ، إلا سبيلاً بين العبد وربّه ، وعروة وثقى في الصلة به ، لا مجرد أنها تسكّيف ؛ ولكن لأنها نماذج للنظام الفردي والجماعي ، والله بديع السموات والأرض يحب من عباده أن يقتدوا بنظامه في ماسكه فيما يخصهم ، وفيما يعمهم ، ففي العبادات تحديد للوعد ، ووفاء بالوعد ، وحفاظ على العهد ، وفيها عزوف وكبح للنفس عما تهوى من المآثم ، وفيها تعاطف ومعونة ، وتضحية بالمال وبالنفس عند الاقتضاء ، وفيها على الإجمال طموح إلى الإنسانية في أوجها الرفيع .

وهذا النمط الذي تبدو فيه علاقة المرء بربه لم يقف به في دائرته الفردية ، وإنما يرافقه بين الجماعة ، ويربطه بها ربطاً وثيقاً ، حتى ليجعل عبادة الفرد أحياناً مقرونة صحتها بالاشتراك مع غيره ، كما جعل من حياة الجماعة تكميلاً لحياته وفي نظامها صيانة لشخصيته وحماية لوجوده .

وإذ يكون بمقتضى هذا جزءاً لا ينفصل عن جملتها لم يسلبه الدين حقه كفرده له دائرته الخاصة به في هذا الحشد الزاخر .

وسبيل الدين في ذلك تنظيم الحكم ، وتحديد السلطة ، وتوثيق الأنساب ، وضبط المعاملات المالية في أوضاع لا تشذ عن المصالح ، وربط السياسة الداخلية في حيز الدولة وسياسة الدولة مع أخرى ، بأصول قائمة على العدالة الاجتماعية ، وعلى الحزم ورعاية الأحكام . بهذا الإيجاز تبين الوسيلة الدينية وما تنهى إليه من غاية في كفالة الفرد من الطغيان وفي كفالة المجتمع من الشرور ، والجرائم التي تهدد من كيانه ، أو تسلبه الاستقرار في محيطه .

وبهذا التصوير تشخص الحياة المثالية التي يرتضيها الدين الإسلامي لأهله ، ويهدي إليها القرآن وآياته البينات ، والتي انتهجها النبي ﷺ وصحبه وجاهدوا فيها ، ولكن هل يكفي ذلك التشريع الرحب الفصفاض لإرضاء النفوس الجوارح ، ورياضتها على الطاعة ، وإسلاس القيادة فيمن يتمسكه الشذوذ عن الجماعة ؟ .

إن الذي خلق النفوس لم يشأ لها أن تكون على غرار واحد ، ولم تقتض حكمته أن تكون سواسية في الهدى ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، . . . ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، .

(ب) وهنا تشتد حاجة الدعوة الدينية الى القوة المادية ماثلة في الجيش ، لتقمع الخوارج ، وترجع بالشواذ إلى حظيرة الجماعة ، وتفتح الآذان الموقورة لسماع دعوة الأذان إلى الفلاح ، وتنفذ إلى القلوب الغلف بنور السماء لمن شاء الله أن يهديه .

تشتد حاجة الدعوة إلى القوة لتحمي الأخلاق مما يفتنهاها ، وتصون الكرامات مما يثلبها وتناصر الدعوة في كفاحها ، وتوفر لها الأمن في وطنها ، وتشق لها طريقها لتسمى قدما إلى غايتها :

لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

ومن هنا اتفق في حكمة الله أن تكون الرسالة الدينية في الإسلام قائمة على الدعوة والقوة جميعاً ، إذ الإسلام دين ودولة ، وهو يعتمد في دولته على الدعوة أولاً ، ثم يلجأ إلى القوة إذا تمردت عليه الجمالة ، أو وقف في سبيله العداء الموروث . ومنهج القرآن في تنظيم الأمة جاء على ذلك ، وبه نهضت للسليدين دولة في أرض موحشة ، وبين خصوم جبارة ، ثم اتسعت لهم الرقعة ، وتركزت لهم السيادة بتآزر الدعوة والقوة ، وتلك سنة الله لم تتخلف بعد إلا عن تخلف عنها ، ولم تتغير إلا بقوم غيروا ما بأنفسهم .

غير أن الدعوة لا تركز على القوة الغاشمة المطلقة عن القيود ؛ فإن هذه تكون ضراوة وحشية ، تزيد في الفوضى أولاً ولا تجدى في العلاج ، وتعود بالنقض على أغراض الدعوة السلمية .

إذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلك ما شفاكا

ولإنما تعتمد على القوة المصقولة بصقال الدين ، المشربة بروحه ، وإنسانيته ، وتلطفه ، النازلة على حكمه فيما لها أو عليها مع أولياء الدين أو خصومه .

ومن أجل ذلك كان الإسلام رحمة بالناس ، حتى في خصومته وحروبه ، وفيئاً بعهده كريماً في هدنته ، ومن لم يهد بقصص القرآن ، ومن لم يؤمن بما يؤيده من أحداث التاريخ فله شأنه :

وليس يصح في الأذهان شيء . إذا احتاج النهار إلى دليل

وبعد : فإن لدينا في مصر أصدق العبر - ومصر هي البلد العريق في إسلامه وفي عروبه ، وبلد الخلافة يوم أوت إليها مبيضة فأوتها ، وهي بلد الأزهر قديماً ودائماً - إن شاء الله - إذ دخلتها دعوة الإسلام توازرها القوة ، وخفقت على شرفاتها راية الإسلام في ظل القوة ثم وهنت قوتها أخيراً بفعل الزمن وأعاصير السياسة ، فوهنت دعوة الدين نوعاً واعتورتها سهام الإلحاد ، وزاحتها المجاعة ، وطغت عليها نوازع الشر ، واتسعت الهوة بين دعوتها ، وجيشها ، ولم يبق إلا الأزهر وحده قائماً على دعوته ، ولكن في شيء من الجهد ، لكثرة ما اقتن الناس به من مغريات زحفت علينا ، حتى أصبح الأزهر في وطنه كالدخيل على غير أهله ، يتعرفه واحد ويتجاهله آخرون ، وحتى خشي الأزهر أن تتأصل وتعيش حوله تلك المخازي ، فتتجيف من شأنه ومكانته ، بل لقد رأى الأزهر أثراً لذلك الذي يخشاه في أفراد أحاطت بهم عوامل السوء فلانت قناتهم في يد الفتنة ، مما يشهد لهوله الآسى ، وتقدر له الحسرة بين الضلوع .

وكان هذا في علم الله إيذان بانتهاء المحنة ، وتقلص الفتنة ، واستعادة الدين لصولته ، وانتعاش الأزهر في رسالته ، إذ بعث من معاقل الجيش المصرى همة في كسرياء ، وغيره في إباء ، بعث من معاقل الجيش حماسة ابن الخطاب ، ماثلة في إقدام ابن العاص ، وجدد وفاء السابقين من أبطال الأمس ، في نجيب وصحبه من أبطال اليوم ، فدالت دولة الفساد والظلم والإلحاد في ساعة ، وتجددت للوطن كرامته ، وللدين قداسته ، وللشعب بهجته ، وستظل - برعاية الله ، ومعونته - هذه النهضة على قدم وساق . ولعل من الفأل الحسن أن تقترب هذه الوثبة باستقبال الأزهر لشيخ تقي يستعين بالله حقاً ، ولا يقول إلا صدقاً ، وهو بعد ، لا تحده الزاني ، ولا يغره الثناء ، وعلى مثل هذا الشيخ يتوكل الأزهر وينهض ويستفيد ويفيد ، والله المستجيب .

محمد عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

السنة

دعاء واستعاذة

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر . اللهم آت نفسي تقواها ، وزكّئها ، أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها ، رواه مسلم .

* * *

للدعاء في الإسلام ، وهدي النبي عليه الصلاة والسلام ، شأن عظيم ومقام كريم . ألم تر إلى فاتحة الكتاب : أم القرآن وأعظم سورة فيه ؟ شطرها الأول ثناء ، وشطرها الآخر دعاء . ألم تر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ لم يكتف بأن يحدثنا أن الدعاء أكرم شيء على الله تعالى ، حتى حدثنا أنه هو العبادة أو هو مخ العبادة ^(١) . والعبادة هي منتهى الخضوع لله رب العالمين . وبحسب إخلاص العبد فيها واستقامته عليها ، ترتفع درجته ، وتشرف عند الله مكانته .

وفي هذا الحديث الذى استخرنا الله تعالى أن يكون فاتحة المجلة - وقد عادت إلى السنة - يستعيد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعلم أمته أن تستعيد من خمس آفات مهلكات ، كلهن شر يُتقى ، وبلاء يستعاذ بالله منه ! ثم يستعيد صلوات الله وسلامه عليه من عذاب القبر ، وكأنه عاقبة محتومة للآفات السابقة ، ونذير سوء لما بعده من عذاب الآخرة ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، ثم يضرع إلى الله تعالى أن يؤتیه ومن اتبع هداة التقوى ، وأن يطهره من هذه الآفات وما إليها ، ويقرن هذه الضراعة بالشاء عليه بما هو أهله ، ثم يتحصن به - وهو نعم الملاجئ - من أربع بلايا من كفتين فقد كفى الشر كله ، وضرب في الخير بهمهم وفير . وقد زاوج النبي صلى الله عليه وسلم بين كل اثنين من هذه البلايا التي عاذ بالله منها

(١) إشارة إلى ثلاثة أحاديث رواها الترمذى وغيره : الأول عن أبي هريرة ، والثاني عن النعمان بن بشير ، والثالث عن أنس رضى الله عنهم .

لمشاكلة بينهما . فتعوذ أول ما تعوذ من العجز والكسل ، وكلاهما دام وبيل ومرض قاتل للحياة الروحية والاجتماعية ، بل للحياة الطبيعية في الآخرة والأولى . ويتفقان كلاهما في صفة سلبية وهى التخلي عن العمل ، وإن كان منشأ التخلي فى العجز عاهة أو نحوها ، ومنشأ التخلي فى الكسل التقاعد والتناقل عن العمل مع القدرة عليه ، لإثارة لراحة البدن أو حظ من حظوظ النفس وأهوائها . ويختلفان فى أن الكسلان مذموم ملوم لا عذر له ، لأنه ساقط المهمة خائر العزيمة متخلف عن الركب ، بضاعته الأحلام والأمانى وبئس للظالمين بدلا ، أما العاجز فهو معذور إلى أمد بعيد ، ولا سيما عجز بمحض القضاء والقدر لا يد لصاحبه فيه كالذى يولد كذلك أو الذى يصاب من حيث لا يحتسب ؛ فأما من جنى على نفسه حتى أعجزها ، أو حاد بها عن طريق الجادة حتى أتلفها فهو أعظم من الكسلان جرما وأقبح إثما وذما ! فليترك الله امرؤ فى نفسه ، وليجنبها بواعث العجز والكسل ، وإلا فهو عضو فاسد يجب النظر فى إصلاحه أو بتره قبل أن يعدو فساده على المجتمع .

* * *

وتعوذ صلى الله عليه وسلم من الجبن والبخل ، وكلاهما منع وشح ، غير أن الأول شح بالنفس ، والثانى شح بحبيب النفس ، وهما قرينان لا يكاد يذكر أحدهما دون صاحبه ، وكذلك ضدهما : الشجاعة والكرم . ومن أمثلة الاستدراك فى مبادئ النحو : فلان شجاع لكنه بخيل ، وذلك لأنه لا تحظر الشجاعة بالبال إلا ومعها الكرم . وتعليل ذلك هين ، فإن الكرم ضرب من ضروب الشجاعة .

ومرد الشجاعة بجميع صنوفها إلى الثقة بالله أولا ثم بالنفس ثانيا ، ومن هنا كان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أشجع الناس وأكرم الناس ، لأنهم أوثق الناس بالله عز وجل . وجود الخليل والحبيب بالنفس والمال ليس موضع ريبة ولا جدال . وكذلك ورثة الانبياء من بعدهم ، وكل صحَّوا بالنفس والنفيس فى سبيل الله وسبيل أوطانهم ، لا يبتغون إلا وجه الله ولا يخشون أحدا سواه ، فأما الجبناء والبخلاء فليسوا من ورثة الانبياء فى شيء .

* * *

وتعوذ صلى الله عليه وسلم من الهرم وعذاب القبر .
والهرم أقصى السن وأرذل العمر ، والهرم على هذه الحال ككل ثقل على الأهل والولد ، وبالحرى غيرهم ، وكبر السن مع ثقل الظل دام يستعاذ بالله منه ، فأما مجرد الكبر ، ولو جاوز المائة ، مع سلامة العقل وهذوء النفس واستقامة العمل فذلك خير يطلب المزيد منه . فإذا

اجتمع إلى تلك الصفات حكمة وتجربة وسداد في الرأي ورشد في السياسة ونور في البصيرة وخشية لله وحده ، فذلك الإمام المقتدى به ، والسراج الذي يستضاء بنوره ، وفي مثل هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن بشر رضي الله عنه : « خير الناس من طال عمره وحسن عمله » .

* * *

وعذاب القبر ونعيمه كلاهما حق ، تضافرت الأدلة عليه ، وصحت الرواية فيه عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم في مواطن كثيرة ، ولا يأتي دستور العقل أن يعيد الله تعالى حياة العبد في جسده أو في جزء منه ، وأن يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، ويقال له هذا مقعدك حتى ييمنتك الله يوم القيامة . وقاعدة أهل السنة والجماعة أن شيئاً ورد به نقل قوي لم يمنع منه عقل سليم ، وجب قبوله واعتقاده والإيمان به . وكمن شئء أثبتته العلم الحديث في عالم الأحياء ، بعد أن أنكره فليلو البضاعة من أشباه العلماء ، فكيف بهم في عالم الأموات وبضاعتهم فيه مزجاة ؟ ألا إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ، فليعد امرؤ قبره كما يشاء ويختار ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله .

بعد أن تعوذ صلى الله عليه وسلم من هذه الآفات التي تهلك من يتبلىها - فردا كان أو جماعة - ضرع إلى الله سبحانه أن يمنح نفسه تقواها له وخشيته منه ، وأن يزيكها ويحملها لانه القادر على ذلك وحده ، فهو مالك أمرها ومدبر شأنها والقائم على كل نفس بما كسبت ، لا يسوق الخير غيره ولا يكشف الضر أحد سواه . إن ضراعتة هذه بعد استعاذته ، من قبيل التحلية بعد التخلية ، أو من قبيل الصحة بعد العافية .

وتزكية النفس : تطهيرها سرّاً وعلانية من الخبث والدنس ، في عقيدة المرء وسلوكه ومعاملته ، لنفسه أو لربه ، أو لأهله وعشيرته ، أو لوطنه وأمتة والعالم أجمع .

ولقد قام الإسلام على قواعد التطهير العام الشامل : فدعا إلى تطهير العقائد من دس الشرك والكفر وعبادة غير الله عز وجل ، وإلى تطهير العقل من الخشوع والخضوع للخرافات والأوهام والأضاليل ، وتقليد الآباء والكبراء على غير هدى وبصيرة ؛ وإلى تطهير القلب من الحقد والحسد والغل والشحناء والبغضاء وما إلى ذلك من أمراضه الذاهية به وبصاحبه ؛ ودعا إلى تطهير المعاملات من الكذب والزور والرشوة والربا ، والحرص والجشع والخذاع والطمع وما إليها من أكل أموال الناس بالباطل والعدوان عليهم في المال أو العرض أو النفس .

بنى الإسلام - ولا نقول سبق - على هذا التطهير العام الشامل الذى لم يدع رذيلة إلا هدمها ، ولا نقيسة إلا محاهها ، ثم شيد على أنقاض هذه الرذائل مدرسة قوية الأركان ، عتيقة البنيان ، منهاجها الكتاب المبين ، وإمامها خاتم الأنبيين ، وبناها خير أمة أخرجت للناس . وليس التطهير الذى تقوم به الحكومات الرشيدة فى عهودها المباركة إلا شيئاً قليلاً مما حمل الإسلام عبثه . وإذا كان الدين خير ظهير للحكومات ، يعينها ويؤيدها ويأخذ بيدها إلى ما ترجو من عزة وسعادة ومجد ورفعة ، فما أجدرها أن تبادله معونة بمعونة ، فتسكون له خير نصير ، تؤيده وتظهره ، ونثبته وتنصره ، وتتخذ فى كل عمل من أعمالها منهاجاً لها وإماماً . فعلى بركة الله سبرى أيتها الحكومات السديدة مطهرة ومرمية ، ومعلمة ومزكية ، موقفه بأن الله هو القيوم الديان ، وأنه يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز .

ولما كان النبي فى أمته ، والإمام فى رعيته ، والقائد فى جنده ، كالطبيب الشفيق الصالح ، وكان أخوف ما يخاف على مريضه الانتكاس والعياذ بالله تعالى ، عاد صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من أربع آفات أخرى فهن فساد المرء ودنسه ، ومنهن يكون بلاؤه وانتكاسه . على أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ أحياناً من هذه الأربع على حدة ، فقد روى الاستعاذة منها فى حديث مستقل الترمذى والفسائى عن ابن عمرو رضى الله عنهما ، وكذلك أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه :

الآفة الأولى : علم لا ينفع ، لأنه شر من الجهل ، فإن الجاهل قد يندرج بجهله ، وأما العالم الذى لم ينفعه الله بعلمه فهو فتنة للناس ومضلة لهم لأنه فى موضع القدوة مهم ، لا جرم أن علمه حجة عليه لا له وأنه أشد الناس خزيًا ومقتناً فى الدنيا والآخرة ، يأبى الذين آمنوا لم يقولوا ما لا يفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون .

الآفة الثانية : قلب لا يخشع ؛ لخلوه من الإيمان واليقين ، ولفساده باجترار السيئات والمعاصى ، طبع الله عليه فلم يكن لذكر الله ولم يتعظ بمواعظ الله ، ثم انتقل فساده إلى الجوارح لأنه المهيم عليها والمحرك لها . وفى حديث الصحيحين المعروف ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب .

الآفة الثالثة : نفس لا تشبع ؛ لجشعها وطمعها فهى وبال على صاحبها ومتعبة له ، لا تدعه يتمتع بما أوتى من نعمة ومناخ ، لا يتمتع بنعمة عاجلة لأنه مشغول عنها بالأجلة ، ولا يتمتع بنعمة آجلة لأنها لم تأت بعد ، لا جرم أنه الشقى المحروم الذى سلب نعمة الرضا وملى قلبه بحب الدنيا . وحب الدنيا رأس كل خطيئة .

الآفة الرابعة: دعوة لا يستجاب لها ، أو « دعاء لا يسمع » كما في الرواية الأخرى ؛ لأن عدم الاستجابة أمانة لإعراض الله عن العبد لإعراض العبد عنه . ويذنبى أن يعلم أن تأخير الإجابة ليس دليلاً على رد المسألة ، فقد تؤخر لأسرار إلهية ، منها أن الله يحب أن يسمع صوت الداعي وتضرعه ، كما أنه ليس من شرط الإجابة أن تقضى حاجة العبد نفسها ، فربما ادخرها الله له في الآخرة ، وربما صرف عنه من السوء مثلها . فلا يئس العبد من روح الله وليدع ربه صادق النية حاضر القلب طيب الكسب موقناً بالإجابة . وقد بسطنا القول في أدب الدعاء ^(١) ، في شرح حديث الصحيحين ، يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، فلا حاجة بنا إلى إعادته . ذلك ، وينطوى الحديث على لطائف جمة ، وإشارات كريمة ، إذا لم يتسع المقام لتفصيلها كلها فلا أقل من التنبيه على بعضها .

فمنها : أن التحصن من الآفات والبلايا ، بالدعوات والاستعاذة ، بمنزلة الوقاية منها قبل وقوعها . ومثل الأمراض الروحية والاجتماعية كمثل الأمراض الجسمية ، الوقاية في كل منها خير من العلاج . فإذا وقع شيء من هذه الأدواء ، وجد إلى جانب الأدوية التي أنزلها الحكيم الخير ضامنة للشفاء . متى أصاب الدواء موضع الداء برأ بإذن الله . وما مثل الضمان الاجتماعي الذي تقبأه به الأمم بجانب هذا الضمان الإلهي إلا كمثل القشر من اللب أو كمثل الزبد من الزبد ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ومنها شدة الصحابة رضي الله عنهم في تحرى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذاً من قول زيد رضي الله عنه : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . . . وحسب زيد شرفاً وتحرياً أن الله تعالى صدقه لما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم قول عبد الله بن أبي رأس المنافقين : « لن رجعنا إلى المدينة ليخرجننا الأعز منها الأذل ، وقد أكذب ابن أبي وحلف ، فأنزل الله تصديقه : وأخذ صلى الله عليه وسلم بإذنه وقال : « وفاء أذنك يا غلام ، ولبسظ القصة مقام آخر غير هذا المقام .

ومما الإشارة إلى فضل الدعاء والاستعاذة ، وعظيم أثرهما في تركية النفس وتربيتها ، وصلتها بربها ومالك أمرها وناصيتها ، ولا سيما مع الدوام الذي تشير إليه صيغة « كان . . . » فاللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التثكلان . اللهم اهدنا لآحسن الأعمال وأحسن الأخلاق ، لا يهدي لآحسنها إلا أنت ، وقنا سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق لا يبق سيئاً إلا أنت « ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً » .

ط محمد السالك

في الفقه الإسلامي نشأته - خصائصه

تمهيد :

١ — لكل مجتمع ، مهما كانت درجته من الفسك والحضارة ، حظه من قواعد وأصول تحكم تصرفاته ومعاملاته وسائر شؤونه ، والمجتمع العربي قبل الإسلام لم يشذ عن هذا الأساس الذي يقوم عليه بقاء الشخص والنوع والاجتماع وال عمران .

لذلك ، نجد العرب عرفوا كثيراً من ضروب المعاملات ، كالبيع والمضاربة والشركة والإجارة ، وأقر الإسلام - على لسان رسوله وفعله وتقريره - ما وجدته صالحاً منها ، وحرم ما رآه غير صالح ولا يقوم عليه مجتمع سليم .

جاء في سنن أبي داود عن رسول الله ﷺ أنه قال للسائب بن أبي السائب : دكنت شريكى ، فنعهم الشريك ! كنت لا تدارى ولا تمارى ، ومعروف أن السيدة خديجة بنت خويلد كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء يجعله لهم ^(١) .

كما عرفوا أيضاً عقد السلم ، ، ولذلك نجد الرسول حين ينهى عن بيع « الغرر » يستثنى السلم لما في منعه من الحرج على الناس . وفي هذا يروى البخارى أن النبي ﷺ قدم المدينة وهم يُسلفون في الثمار السنة والسنتين ، فقال : من أسلف ، فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم ، ومعنى هذا ، إقرار ذلك العقد ، مع بيان الشروط الضرورية لصحته .

٢ — إلا أنه لا يستطيع أحد أن يزعم أن العرب في جاهليتهم وصلوا من ذلك إلى بعض ما تصالح به أمة للحياة : إن ما عرفوه في هذه الناحية لم يكن إلا قواعد أو مبادئ متفرقة في غير شمول ولا كفاية ، ومن أجل هذا وغيره كانت الحاجة ماسة للإسلام وشريعته . أجل ! ظهر الإسلام والعرب ، بل للعالم كله ، في أشد الحاجة إليه ، فأعطاهم العقيدة الحقة ، والنظم التي يقوم عليها المجتمع والأمة ، وكان من هذه النظم الحكيمة . ما نسميه اليوم « بالغة » . وهو ما نرجو أن يوفقنا الله تعالى — في هذه الكلمات — للتعريف بنشأته وخصائصه ، وبيان الطريق للإفادة منه ليسكون القانون العام الشامل ، بدل

ما نستجلبه من أمم أجنبية عنا بحضارتها وأهدافها في الحياة فليس كل ما يصلح لها يصلح لنا ، وبالله العون والتوفيق والسداد .

نشأة الفقه

٣ — لم ينشأ الفقه الإسلامي ، كما نعرفه اليوم ، كاملاً مرة واحدة ، بل تدرج في مراحل مختلفة حتى بلغ ما قدر له من نضج وكال ، شأنه في هذه الظاهرة شأن كل شيء وجد وعرف نور الحياة ، على أن الرسول ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى ، حتى كان الفقه قد استكمل أصوله التي قام عليها واستوى فيها بعد ؛ إذ انقضى بوفاته عهد وضع الشريعة في أسسها وأصولها ، فلم يبق للفقهاء بعده إلا الاستنباط والتفريع والتطبيقات .

وكان من الطبيعي أن يكون عماد الفقه في الفترة الأولى من حياته الخالدة ، على القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة ، وقد استمرت هذه الفترة طوال حياة الرسول ، وفيها نزل القرآن مفرداً في مكة والمدينة ، وكان ما نزل بمكة نحو ثلثيه والباقي بالمدينة ، وقد اشتمل ما نزل بالمدينة على الجانب الأكبر من التشريعات الفقهية التفصيلية . أما ما نزل بمكة ، فقد كان مقصده الأول الدعوة إلى الله وتوحيده ، والتدليل على ذلك وعلى وجود الدار الآخرة .

٤ — ولا عجب أن يكون هذا هو منهج القرآن مكيه ومدنيه . فالهم الأول كان صرف الناس عن الأديان والاعتقادات الباطلة ، وتوجيههم للدين الحق . وبعد أن تم للرسول النصر ولدين الله الفوز والثبات ، ودخل الناس في الإسلام أفواجا ، كان قد آن أن ينزل القرآن بالتشريعات التفصيلية الواجبة لتنظيم حياة المسلمين وجماعتهم ، وبخاصة وقد صار للإسلام دولة بالمدينة تتطلب ما تقوم عليه من شرائع ونظم متعددة تحكم الحياة في نواحيها المختلفة .

ومن حكمة الله أن نزل القرآن بتكاليفه وأحكامه على التدرج ، رحمة بالناس وأخذاً لهم باليسر . وكان بعض ما نزل به لإجابة على أسئلة واستفتاءات يتقدم بها هذا أو ذاك من المسلمين ، ولذلك نجد في القرآن خمس عشرة آية مصدرة بكلمة : « يسألونك » ، وآيتين مصدرتين بكلمة : « يستفتونك » ، ومن الضرب الأول ثمان آيات كان السؤال فيها عن بعض ما يتناول الفقه من موضوعات ، وكلها بسورة البقرة ماعداً واحدة بالمائدة وأخرى بالأنفال .

٥ - وكان الرسول إذا سئل عن مسألة ، أو جددت حادثة تقتضى حكم الله تعالى ، ينتظر الوحي السماوى ؛ فإن نزل بالمراد كان بها ، وإلا كان هذا ليذا ما من الله بأنه وكل إلى رسوله أن ينطق بالتشريع اللازم ، ومعلوم أنه لا ينطق عن الهوى . ومن أجل ذلك ، يجب أن نجزم بأن كل التشريعات التى ظفر بها الإسلام فى عهد المصطفى ، هى تشريعات وأحكام إلهية ؛ إما عن طريق مباشر بنزول القرآن بها ، وإما عن الرسول ويقره الله عليها .

وهنا ، ينبغى أن نلاحظ أن القرآن كثيراً ما كان يأتى بالتشريعات والأحكام بصفة عامة إجمالية ، وكان على الرسول — فى هذه الحالات — تفصيل هذا الإجمال . ولا عجب فى ذلك ، فإن مهمة الرسول دائماً هى البيان لرسائله بكافة طرق البيان ، بما يرشد إلى مقاصد صاحب الرسالة الأعظم وهو الله تعالى . وقد يكون لنا أن نقرر فى إيجاز أن دور الرسول هو دور المفسر والشارح للدين الذى هو القرآن ؛ إلا أنه شارح ملهم من الله ، مصحوب بتوفيقه .

وكان من ذلك ، أن مر الفقه بدور الشباب ، ثم دور النضج والكمال ، وأخيراً دور الشيخوخة بسبب التقليد ، ونرجو أن يستعيد من جديد قوته وقوته وحيويته الدائمة .

وقيام الرسول ببيان وتفصيل ما جاء به القرآن من أحكام وتشريعات ، له مثل كثيرة : فى الصلاة والصيام والزكاة والحج ،^(١) وفى غير ذلك كله من ضروب المعاملات ، وهكذا كانت السنة مبنية للقرآن ، وكان الرسول مشرعاً بقوله وفعله وتقريره — وإن كان الله هو المشرع الأعظم فى الحقيقة — باستلهامه القرآن دائماً : نصه ، وروحه ، ومقاصده التى ترى دائماً للصالح والخير العام .

٦ - هذا ، والذى يقرأ القرآن بتدبر وملاحظة لما فيه من أبواب الفقه ، يجد أن لكل من فروع القانون التى نعرفها اليوم آيات خاصة تبين أحكامه . فى القرآن نحو سبعين آية فى الأحوال الشخصية . وفى المعاملات أو القانون المدنى نحو هذا القدر ، وفى باب العقوبات وإجراءات التحقيق نحو ثلاثين آية ، وفى باب القضاء والشهادة وما يتصل بذلك من مرافعات نحو عشرين آية والذى يتبع فقه السنة ، يجد أيضاً أن فى كل من هذه الأبواب كثيراً من الأحاديث ، منها ما يبين ما جاء فى القرآن بجملاً ، ومنها ما يجهى بما سكنت عنه . وكل

(١) لم نجد ضرورياً أن نطيل بذكر الآيات التى شرعت بإجمال هذه العبادات والأحكام التى تناولها بالتفصيل ، فذلك معروف ألم بشئ شياً من علوم القرآن والحديث .

هذا وذاك ، قد كمل بما قرره القرآن والرسول من الاصول السكلية التشريعية ، وبذلك ظفر الإسلام حال حياة الرسول بتشريعات كاملة وافية بحاجات المسلمين الكشيرة المتنوعة والمتجددة في كل زمان ومكان ^(١) .

ثم إن بعض رجال الحديث ، رضوان الله عليهم ، قد رتبوا ماصح عندهم من الاحاديث على أبواب الفقه ، بحيث يسهل للباحث معرفة مدى أثر السنة في الفقه الإسلامي بجانب القرآن الذي هو المصدر الاساسي الاول لكل تشريع .

٧ — وبعد لحاق الرسول ﷺ بالرفيق الاعلى ، أخذ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الاموية يمتد إلى أقطار الارض كلها ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، إذ فتح الله على المسلمين العراق والشام ومصر وشمال إفريقيا والهند وغيرها . ولكل من هذه البلاد حضارتها وتشريعاتها المختلفة ، ولكل منها أيضا تقاليدها وعاداتها وأعرافها التي تعتبر من مصادر التشريع . وكان من هذا كله ، أن كثرت الحوادث والنوازل التي تتطلب أحكام الله تعالى ، وأن أصبح المأثور من قضاء الرسول وأحكامه لا يفي بهذه الحوادث والواقعات التي تزيد وتتجدد في كل آن .

وثمة عامل آخر كان له أثره في الفقه في هذه الفترة وما تلاها ، وهو هجرة كثير من الصحابة بعد عهد عمر ، رضوان الله عليه ، إلى هذه الاقطار ، فشاع التحديث عن الرسول ﷺ وكثر استنباط الاحكام من القرآن وما يروونه صحيحاً من احاديث الرسول . وطبيعى أن يكون لكل هذه العوامل ، وتلك ، أثرها في الفقه والتشريعات ، وفي كثرة الاجتهاد والمجتهدين .

وهكذا ، بدأ الفقه الإسلامي يتسع ويزدهر ، وأخذت أصوله تعرف وتتميز ، من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وغيرها كالمصالح المرسلة ، وبدأت أعراف البلاد المختلفة - التي أصبحت تكون جسم الدولة الإسلامية - تؤثر في الفقهاء والفقه أثرأ غير قليل ، إلا أن هذا الأثر يكاد ينحصر في إثارة مشاكل لم يعرفها المسلمون من قبل ، فكانت ميدانا لاجتهاد المجتهدين .

٨ — وبعد فقد كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، إذا سئل أحدهما عن مسألة ، يلجأ أولا إلى الكتاب والسنة ، فإن وجد الحكم الذي يريد فذاك ، وإلا لجأ إلى الصحابة ويقضى

(١) ولذلك ، يقول الله تعالى في أواخر حياة الرسول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

بما يجد عند أحدهم عن الرسول . فإن أعياء الامر ، استشار أهل الرأي والعلم وقضى بما يجتمعون عليه ، إلا أن عمر كان يرجع ، بعد الكتاب والسنة ، إلى رأى الصديق إن كان له رأى فى الحادثة ، قبل أن يلجأ إلى استشارة ذوى الرأى والعلم من الصحابة جميعاً .

ومع ذلك ، فقد كان لكل منهما اجتهاده فى بعض المسائل التى جددت فى أيامهم ، كما كانا يستعملان القياس أحياناً فيما لا نص فيه . لكن عمر كان يتخوف على الناس أن يجتهدوا فلا يوفقوا دائماً لحكم الله . ومن ثم ، تجده يكتب اشريح ، حين ولاه قضاء الكوفة فيقول : « إذا حضرك أمر لا بد منه ، فانظر ما فى كتاب الله فاقض به ، فإن لم يكن ففيما قضى به رسول الله ﷺ ، فإن لم يكن ففيما قضى به الصالحون وأئمة العدل ، فإن لم يكن فأنت بالخيار ، فإن شئت أن يجتهد رأيك فاجتهد رأيك ، وإن شئت أن تؤمرنى ولا أرى مؤامرتك لىأى إلا خيراً والسلام » (١) .

٩ — وإلى تشدد الصحابة فى الاجتهاد بالرأى ، مخافة القول على الله ورسوله بلا علم ، ينبغى أن نضيف أن الشيعين بخاصة كانا يتشددان فى الإكثار من الرواية عن الرسول خوف الوقوع فى الكذب وانصراف الناس عن الاستنباط من القرآن .

روى الحافظ الذهبي أن الصديق جمع الناس بعد وفاة النبى وقال : « إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها ؛ والناس بعدكم أشد اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فن سألهم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرهوا حرامه » (٢) . وروى أيضاً عن قرظة بن كعب قال : لما سیرنا عمر إلى العراق مشى معنا ، وقال : أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا : نعم مكرمة لنا ، قال : ومع ذلك ، إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث هفتشغلوهم . جردوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله وأما شريككم . فلما قدم قرظة ، قالوا : حدثنا ، فقال : نهانا عمر ! » (٣) .

١٠ — وما ينبغى لنا أن نظن من ذلك عدم اعتبار الصحابة للسنة مصدراً من مصادر التشريع بعد القرآن ؛ أنهم كانوا بلا ريب يعتبرونها كذلك ، ولكنهم كانوا يتشددون فى الرواية للحديث ، كما قلنا ، خشية الكذب أو الخطأ ، وهكذا كان الشك فى الحديث

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ، طبعة منير الدمشقي ، ج ١ : ٧١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ، ج ١ : ٣ (٣) نفسه ، ج ٧ .

فما بعد من عوامل ظهور الرأي في الفقه ، إلى درجة أن ظهر في الفقه في عصر متأخر قليلا عن هذه الفترة ، مدرستان : مدرسة أهل الحديث ، ومدرسة أهل الرأي .

وليس ضروريا أن نأتى بشيء من الأدلة على اعتبار الصحابة السنة مصدرا من مصادر التشريع ، فذلك معروف وبدهى ، ولكن نذكر - مع ذلك - مثالين في هذه الناحية . فقد جاءت سجدة إلى أبي بكر تسأله ميراثها ، فقال لها لا أعلم لك في كتاب الله أو سنة رسوله شيئا ولكن سأل الناس ، فقال المغيرة بن شعبه ومحمد بن مسلمة بأن الرسول يعطيها السدس ، فقضى أبو بكر به . وكذلك استشار عمر في سقط المرأة إذا نزل بتعد من واحد من الناس ، فشهد هذان أيضا بأن الرسول قضى فيه بغرة [الغرة عبد أو أمة] ، فما كان من الفاروق إلا أن أن أمضى ذلك القضاء .^(١) ومن هذين المثالين - وغيرهما كثير - نعلم مقدار احترام الشيخين لسنة الرسول ﷺ ، كما نعلم أنهما لم يكونا يتهمان أحدا من الصحابة بالكذب على الرسول ، حينما طلب كل منهما شاهدا يسند راوى حديث في ميراث الجدة وحديث سقط المرأة ، ولكن هو الاحتياط في الشريعة والرغبة في التثبت .

١١ — وهنا ، تظهر لنا مشكلة تشريعية تتطلب الحل . لقد رأينا أن الصحابة كانوا يلجأون إلى الرأي بعد الكتاب المحكم والسنة الثابتة ، وكان الحكم الذي يجمعون عليه يعتبر حكما ليس لاحد أن يخالفه ، فهل الأمر كذلك في قول الصحابي الواحد ؟ أى هل يعتبر قوله حجة لا يجوز أن نعيد عنه ؟ ويحسن بنا ، في طريق حل المشكلة ، أن ننظر لعامل الزمن والتاريخ .

إذا رجعنا لأقاويل الصحابة أنفسهم ، حين كان الواحد منهم يقف باجتهاده ، نجد المفقى منهم لا يرى أن يكون رأيه ملزما ، لأنه يحتمل الخطأ كما يحتمل الصواب ، وليس لاحد حمل الناس جميعا على رأى فيه هذا الاحتمال .

لقد كان الصديق إذا اجتهد وبأن له الرأي الذى يعتقده حقا ، يقول : هذا رأيي ؛ فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمى وأستغفر الله ، وكذلك كان صنيع عمر ، فقد كتب كاتب له : هذا ما رأى الله ورأى عمر ، فقال له : بشما قلت ! هذا ما رأى عمر ؛ فإن يكن

(١) راجع تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٣ ، و ص ٨

(٢) إعلام الموقعين ، ج ٤ ، ١٠٣ وما بعدها .

صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمن عمر . وقال : السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا خطأ الرأي - اهله يريد الرأي الذي قد يكون خطأ - سنة للأمة .

١٢ — هذا . ما كان يراه الصحابة وكبار التابعين ، عند ما يفتون بالرأي عن اجتهاد ، فلا يرونه ملزماً للأمة وحجة على الناس جميعاً لاحتماله الخطأ . أما إذا طوينا الزمن ، وانتقلنا إلى العصر الوسيط ، فإننا نرى مثلاً الإمام ابن القيم المتوفى عام ٧٥١ هـ يعقد لقول الصحابي برأيه فصلاً يقول فيه ما نذكره باختصار :

« إذا قال الصحابي قوله وخالفه مثله ، لم يكن قول أحدهما حجة على الآخر . وإن خالفه أعلم منه ، كما إذا خالف الخلفاء الراشدين أو بعضهم غيرهم من الصحابة ، فالصحيح أن الجانب الذي فيه الراشدون أو بعضهم أرجح وأولى أن يؤخذ به ، فإن كان الأربعة في شق فلا شك أنه الصواب ، وإن كان أكثرهم في شق فالصواب فيه أغلب ، وإن كانوا اثنين اثنين لجانب أبي بكر وعمر أقرب إلى الصواب ، فإن اختلف هذان فالصواب مع أبي بكر . وهذه جملة لا يعرف تفصيلاً إلا من له خبرة وإطلاع على ما اختلفوا فيه ، وعلى الأرجح من أقوالهم ، ولا يعرف للصديق خلاف نص أبداً ، ولا يعرف له حكم ولا فتوى مأخذها ضعيف أبداً ، وهو تحقيق لكون خلافه نبوية . وإن لم يخالف صحابي صحابياً آخر ، واشتهر قوله في الصحابة ، فالذي عليه جماهير الطوائف الفقهاء أنه لإجماع وحجة ، وقالت طائفة منهم هو حجة وليس بإجماع ، وقالت شريحة من المتكلمين وبعض الفقهاء المتأخرين لا يكون لإجماع ولا حجة .

وإن لم يشتهر قوله ، أو لم يعلم هل اشتهر أم لا ، فالذي عليه جمهور الأمة أنه حجة ، وهو قول جمهور الحنفية ، ومذهب مالك وأصحابه ، ومنصوص الإمام أحمد واختيار جمهور أصحابه ، ومنصوص الشافعي في القديم والجديد ، ^(١) .

من ذلك كله ، ترى أن المتأخرين قد أعطوا لقول الصحابي برأيه مجتهداً في الفقه قيمة أكثر مما كان يعطى الصحابة أنفسهم لآرائهم فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة ، ونعتقد أن هذا أمر طبيعي ، فإن الصحابة لا اتصالهم بالرسول ﷺ ، ولقد رتبهم على الاجتهاد ، كان الواحد منهم لا يرى حمل الناس على رأيه ، أما في العصور التي جاءت بعدهم ، فتح الحق عرفان قدرهم تماماً لهم ، ووجوب العمل بآرائهم التي لم يقولوا بها إلا ولها سند من كتاب الله أو سنة رسوله ، وقد كانوا بلا ريب أقرب إلى فهم ذلك فهما حقاً لمن جاء بعدهم إلى هذه الأيام التي نعيش فيها .

محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق - بجامعة فؤاد

(١) إلى آخر ما قال ، فانه قيم حقاً على طول فيه .

كلمة في الاجتهاد والتقليد

من نحو ست سنوات نددتني وزارة العدل في سورية إلى إعداد مشروع لقانون الأحوال الشخصية، وكان العمل في محاكم الشام الشرعية (ولا يزال) بالراجح من مذهب أبي حنيفة إلا ما نص على غيره في قانون العائلة الذي أصدره العثمانيون قبل الحرب الأولى وعدلوا فيه طائفة من الأحكام تشبه في الجملة ما اشتملت عليه القوانين التي صدرت في مصر قبل سنة ١٩٣٠ ، وبقي العمل بهذا القانون إلى الآن ، فكان المرجع القانوني للقضاة في الأحكام الموضوعية قانون العائلة ، فإن لم ينص فيه على حكم رجع إلى كتاب الأحكام الشرعية لقدري بإشراحه الله ، وإلى كتب الفتوى في المذهب كحاشية ابن عابدين وتنقيح الحامدية وجامع الفصولين وأمثالها من كتب المتأخرين .

فلما شرعت بإعداد المشروع جعلت كتاب قدري بإشراحه هو الأصل ، ووضعت أمامي قانون العائلة والقوانين المصرية ، وكتب المذهب والمذاهب الثلاثة الأخرى ، وغيرها من الكتب الفقهية ككتب الشوكاني وابن حزم وابن تيمية وابن القيم وفقهاء الجعفرية . ونظرت فعرضت لي مشكلة : هل ينبغي الوقوف في الترجيح عندما رجحه الفقهاء المتأخرون وعلى رأسهم الإمام ابن عابدين جزاء الله خيراً ؟ ثم جاوزت ذلك فسألت نفسي : هل يجب أن تقتصر في التقليد على المذهب الحنفي ؟ ثم سألت : هل من الواجب علينا التقيد بالمذاهب الأربعة الرسمية ؟

ولإذا أردنا أن نأخذ من غيرها ، هل نصنع كما صنعت مصر ، فنعين أولاً الحكم الذي نراه أوفق للمصلحة ثم نفتش عن قائل به^(١) ، سواء علينا أكان هذا القائل معروفاً أم كان مجهولاً ، وكان هذا القول مروياً بالسند المتصل أم كان مذكوراً عرضاً أو منقولاً على لسان المخالف للرد عليه ! أم ننظر في الدلائل ، فإن قام دليله أخذناه ، وإلا نبذناه ؟

وجرتني هذه الأفكار إلى تحديد موقفي (كما يقولون اليوم) من مسألة الاجتهاد والتقليد — ولما كنت قد نشأت نشأة غربية ، فواليت الدراسة في المدارس النظامية

(١) انظر كلية الأستاذ المراغي رحمه الله عليه في ضبط الجلسة الأولى للجنة الأحوال الشخصية ، وهو في إدارة التشريع في وزارة العدل المصرية .

الابتدائية والثانوية والعالية ، وكنت مع ذلك أتردد صباحا ومساء على المشايخ ، وأجلس في حلقاتهم وأخذ عنهم العربية والفقه على الأسلوب القديم ، وكنت قريباً من جوهر إذ كان والدى من أعيان علماء الشام وكانت إليه أمانة الفتوى في دمشق ، فكان أول ما استقر في ذهني أن الاجتهاد سد باب من قرن كذا (نسيت الآن من أى قرن سدوه) ، وأن القائلين بفتحه مبتدعة ووهابية لا يعتد بهم ، ولا يلتفت إليهم ، وأن للفقهاء طبقات في التقليد ، عدها ابن عابدين في أول الحاشية ، وأن علماءنا الأحياء من الطبقة الدنيا منها ، وأنهم ليسوا أهلاً للتخريج أو الترجيح فضلاً عن الاجتهاد .

ولكنني فكرت في هذا المبدأ بحكم دراستي النظامية ونقدته بعقلي الآخر الذي كونه المدارس وعلومها ، فوضح لي أن هذا المبدأ صحيح إن كان المراد بالاجتهاد أن نلغى كل ما وصل إليه فقهاء المذاهب الأربعة ، ونؤسس مذهباً خامساً من جديد ، نضع له أصولاً جديدة ونبنى عليها الفروع الجديدة ، فنكون كمن يهمل كل ما وصلت إليه صناعة الطيران ويعيد محاولة العباس بن فرناس ليضع طيارة يطير بها . أما إن كان المراد منع الاجتهاد إطلاقاً فليس بصحيح لأنها قد تجد أحداثاً لم تكن على عهد ابن عابدين ، ولا بد من بيان حكم الله فيها ، كشبوت رمضان بالبرق أو الهاتف (التليفون) ، وكصححة الجمعة بخطبة من الراد (الراديو) بدل الخطيب والكلام فيها ضرب من الاجتهاد ، ثم إن سد باب الاجتهاد بالكلية حظر على الله أن يخلق كآبى خفيفة ، وهذا محال .

فلما توثقت عرى المودة بعد ذلك بيني وبين العالم النبيل الشيخ محمد بهجة البيطار وهو يمثل مدرسة المنار في دمشق (إن صح هذا التعبير) بلغتني مقالة له يقول بمنع التقليد ، ووجوب الاجتهاد على جميع المكلفين ، وأعجبتني هذه المقالة لجدتها ، ولأنها حررتني من تلك التي كنت أشك فيها وأشكو منها ، ولكنني لما أنعمت فيها النظر ، وجدتها أكثر إمعاناً في الخطأ من تلك وأبعد عن الصواب .

فحاولت أن أبعد عن ذهني أقوال الطرفين ، وأن أجد السبيل إلى الحق بينهما ، فرجعت إلى أدلة الشرع فلم أجد نصاً في المسألة ، ووجدت أن الصحابة كان يفتى مهم أقل من ثلاثين ويرجع الباقي إليهم ، ويأخذون بأقوالهم ، ولكن من غير التزام لمذهب واحد منهم بعينه ، أو تسمية لمقلد ومجنّد ، أو ذكر لاجتهاد وتقليد .

فلما لم أقع على نقل في المسألة يوقف عنده رجعت إلى العقل ، فوجدت أن لكل علم من العلوم منقطعاً إليه مشتغلين به ، وغرباء عنه زاهدين فيه جاهلين بأحكامه .

فإذا كانت لك قضية في المحكمة ولم تسكن من أهل القانون اضطرت إلى الرجوع إلى المحامين و (تقليد) أحدهم فيما يؤدي به إليه (اجتهاده) ، وإن عزمت على بناء دار رجعت إلى المهندسين ، وإن مرض ولدك راجعت الأطباء ، فإن رأى الطبيب الذى درس فى فرنسا شفاء الولد فى علاج ، ورأى الطبيب الذى تخرج فى أمريكا مضرته فى هذا العلاج ، ولم يكن بد من (تقليد) أحدهما ، ولم يكن لك طريق إلى ترجيح واحد من القولين فإذا تصنع ؟ تستفتى قلبك - وتميل إلى ما يميل إليه !

وهذا هو حال المقلد العامى فى أمور دينه ، فلا بد إذن من التقليد فى علم الدين وفى علوم الدنيا ، لأنه يستحيل أن يكون كل إنسان عارفاً بكل علم ، له فيه رأى وبحث واجتهاد .
لكن إذا كنت تفهم شيئاً من أحوال هذا المرض - كأن سبقت لولئك الإصابة به وجرب العلاج وعرف أثره ، فإنه لا يمنعك من الترجيح ومن الرد على أحد الطبيين أنك لست طبيباً ولا عالماً بالطب ، ولست عارفاً بأحوال الأمراض كلها .

وكذلك من بحث فى مسألة من مسائل الفقه ونظر فى أدلة من تكلم فيها - وكان له معرفة بعلم الأصول ومقدرة على فهم كلام العرب - لا يمنعه من أن يكون مجتهداً فيها أنه لا معرفة له بغيرها ، ولا يسعه تقليد من يقول بعكس ما أوصله إليه اجتهاده .

فإذا كنت أديساً متمكناً من العربية وراجعت فى مطولات كتب الفقه باب القراءة خلف الإمام - ونظرت فى أدلة كل فريق ورجعت إلى كتب الحديث فعرفت درجة كل حديث منها ، ومبلغه من الصحة - وكان لك إلمام بالأحوال - ورأيت أن الحق مع المالكية فى الإنصات عند جهر الإمام ، والقراءة عند إسراره ، كنت مجتهداً فى هذه المسألة ، ولم يحز لك أن تقلد فيها أبا حنيفة وإن كنت حنفياً ، بعد هذا الاجتهاد .

وفكرت بعد ذلك فى التلفيق - هل يجوز ؟

فأريت أنه لا بد من التفريق بين التلفيق عن هوى ، أو عن نظر واجتهاد ، وبين أن يكون من العامى أو من العالم .

أما التلفيق عن هوى ، أو من العالم بأنه تلفيق فلا يجوز ، وأما التلفيق عن بحث ونظر ، أو من العامى فجائز ، لأن العامى لا مذهب له ، ومذهبه مذهب مفتيه .

هذا كله للفرد الواحد ، ليقيم أمر دينه ، ويرى ذمته . أما فى التشريع للناس ، فلا بد مع النظر فى صحة الدليل ، من معرفة حاجة الناس ، وجعل العرف (إن كان عاماً) ومصلحة

الناس من جملة الأدلة، وهذا ما جرى عليه علماءنا حين جعلوا من الأدلة رفع الحرج، وعموم البلوى، والعرف، وبنوا على ذلك فروعا كثيرة معروفة، وقواعد منها أن للإمام أن يأمر بالمباح فيصير واجبا (ذكر ذلك في الحاشية والاشباه)، وأن يأمر بالحكم باتباع أحد القولين .

ولقد وجدت خلال اشتغالي بوضع مشروع القانون أن في المذهب أحكاما ثابتة بالنص القطعي كنع الوصية للوارث، ولا أزال أعجب كيف خالفها مصر، ولا أجد لها وجهاً برغم المباحث والمناقشات الطويلة التي كانت بيني وبين الأستاذ العلامة الشيخ فرج السنهوري في داره العامرة في مصر وفي مكتبته في وزارة العدل .

وأحكاماً فيها نص، ولكن النص فيها كالفقرة الحكمية المبينة على (حيثيات) . أخذ قوم بالحكم وحده (وهم الذين كانوا يسمون بأصحاب الحديث) وقوم كانوا أبعد نظراً، وأدق فهماً، نظرُوا إلى (الحيثيات) والأسباب، فلم يجعلوا الصاع من التمر في مسألة المَصْرَاة هو القاعدة، بل ثمن اللبن الذي أخذه المشتري من الضرع، لأن النبي ﷺ ما حدد الصاع إلا لأنه كان عدلاً له، ولعل من ذلك (في رأي) حكم الربا، في مبادلة القمح بالقمح مع الفضل، فلقد كان ملاحظاً فيه أن القمح كله نوع واحد، أفلا يتغير الحكم إن ثبت اليوم بالعرف العام أن القمح أنواع مختلفة بالخصائص والأثمان ؟

وأحكاماً مبينة على استقراء، كتحديد أكثر الحمل بسنتين عندنا ولا يمنع مانع من تبديل هذه الأحكام إن ثبت بالاستقراء التام غير ما ثبت لدى الأولين بالاستقراء الناقص .

وأحكاماً مبينة على نص، بوصف من الأوصاف، لكن النص لا ينطبق عليها بوصف غيره، كابن المحروم لا يرث من جده مع وجود الأعمام، ولكن يعطى مثل نصيب أبيه (في حدود الثلث) بوصف ذلك وصية واجبة .

وقد كان في نفسي من ذلك شيء : كيف يحرم الله هذا الحفيد ونعطيهم نحن ؟ وترددت قبل وضع هذا الحكم في مشروعى، وجادلت الأستاذ السنهوري فيه جدالاً طويلاً، ثم شرح الله صدرى، حين ذكرت أن المسلمين الأولين كان يكفيمهم النذب لإعطاء هذا الحفيد، فلما قصر الناس في أداء المندوبات، كان من المصلحة أمر الحاكم الناس به . وكان في ذلك تحقيق الإعطاء الذي أراده الشارع حين نذب إليه .

وأحكاماً مبنيّة على نص يقابله نص آخر ، وليس من مانع من الرجوع إلى النص الآخر ، كمسألة طلاق الثلاث بغم واحد .

وأحكاماً مبنيّة على اجتهادين : اعتبار مدلول اللفظ أو قصد المتكلم ، كمسألة الحلف بالطلاق أو استعماله للحث على فعل أو المنع منه ، ولا وجه لإيجاب أحد الاجتهادين حتماً ، ومنع الآخر حتماً .

وأحكاماً لم ينص عليها ، نستطيع أن نقرها سداً للذريعة كمنع المتزوج من الزواج مرة ثانية إلا بعد إثبات مقدرته على الإنفاق عليهما معاً ، وذلك خير من الإذن له بالزواج ثم الطلاق عليه لعدم الإنفاق ، أو تحقيقاً للمصلحة ، كمرعاة الكفاءة والسن بين الزوجين ، وعدم الإذن بالزواج إن كان الفارق بينهما فاحشاً أربعة أو خمسة سنين مثلاً ، أو إيجاباً لمندوب كان تلزم من بطلاق زوجته طلاقاً تفسهياً يؤدي بها إلى الدوز والفاقة بتعويض فوق المؤجل يقدره القاضي .

هذه خواطر ما أردت بها الإحاطة بالموضوع ، ولكن فتح باب البحث فيه .

على الطنطاوي

قاضي دمشق

أهل الفتوى الأولون

قال ابن القيم في أعلام الموقعين (٩ : ١) :

الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة .

وكان المسكرون منهم سبعة : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر .

قال أبو محمد بن حزم : ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخيم . قال : وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون قتيبا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في عشرين كتاباً . وأبو بكر محمد المذكور أحد أئمة الإسلام في العلم والحديث .

سَمَارِ الْمَوْسَمِ السَّعِ وَالطَّاعَةِ ، لِلْحَقِّ وَالْعَدْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

• يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كُلِّهِ ، وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ . فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

آيَتَانِ مُحْكَمَتَانِ ، صَدَرَتْ بِهِمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، هِيَ فِي جَمَلَتِهَا رِسَالَةُ الرَّحْمَةِ ، تُوْجَّهْهَا السَّمَاءُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، مُنَاشِدَةً إِيَّاهُمْ أَنْ يَفِيضُوا مِنَ السَّلَامِ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ ، يَمُحُو مِنْ بَيْنِهِمْ أَسْبَابَ النِّزَاعِ وَالْخِصَامِ ، وَمَذْكَرَةً لِيَاكُمُ بَرِيَاطُ الْوَحْدَةِ الْإِنْسَانِيَةِ ، الَّتِي تَسْمُو عَلَى فَوَارِقِ الْأَحْسَابِ وَالْإِنْسَابِ ، وَالْأَجْنَاسِ وَالْأَلْوَانِ ، كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً . . وَلَقَدْ كَانَ مِنْ بَالِغِ الْحِكْمَةِ وَجَمِيلِ التَّلَطُّفِ فِي أَسْلُوبِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ ، أَنَّهَا قَبْلَ أَنْ تَرْتَقِيَ إِلَى هَذَا الْإِتِّفَاقِ الْعَالَمِيِّ الرَّفِيعِ ، صَعَدَتْ إِلَى مُتَنَصِّفِ الطَّرِيقِ ، فَاخْتَارَتْ مِنْ بَيْنِ الْأَسْرَةِ الْعَالَمِيَةِ الْكُبْرَى ، أَسْرَةً كَبِيرَةً هِيَ أَحَقُّ بِالتَّرَاوُطِ وَالتَّرَاحُمِ فِيمَا بَيْنَهَا ، تِلْكَ هِيَ أَسْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَةِ ، الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ مَبْدَأُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، نَظَّمَتْهُمُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ فِي سَلَكٍ وَاحِدٍ ، وَجَمَلَتْ تَنَاشُدَهُمْ أَنْ يَلْبُوا شَعْمَهُمْ ، وَيَضْمُوا صَفُوفَهُمْ تَحْتَ لَوَاءِ السَّلَامِ الشَّامِلِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كُلِّهِ .

أَوَّلُ مَا يَعْنِي الْبَاحِثُ هَاهُنَا ، هُوَ الْكَشْفُ عَنْ حَقِيقَةِ هَذَا السَّلَامِ الشَّامِلِ الَّذِي يَدْعُو الْقُرْآنُ إِلَيْهِ أَهْلَ الْإِيمَانِ .

فَنَحْنُ نَفْهَمُ فِي الْعَادَةِ مِنْ كَلِمَةِ السَّلَامِ ، مَعْنَى : كَفِّ الْأَذَى ، وَتَرْكِ الشَّغْبِ وَالْفَتْنَةِ ، وَنَبْذِ الْحُرُوبِ وَالْخِصُومَاتِ ، وَبِالْجُمْلَةِ مَعْنَى الْمَسَالْمَةِ فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ فِي ذَاتِهِ ، غَيْرُ أَنَّهُ لَا يُمَثِّلُ مِنَ السَّلَامِ إِلَّا عُنْصُرَهُ السَّلْبِيَّ ، وَلَا يَصُورُ مِنْهُ إِلَّا قَشْرَتَهُ السُّطْحِيَّةَ ، وَمُظْهِرَهُ الْخَارِجِيَّ ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ هَذَا الْمَظْهَرُ طَلَاهُ خَادِعًا ، يَخْفَى وَرَاءَهُ الدَّاءُ الدَّفِينُ ، وَالضَّغْنُ الْكَمِينُ ، وَإِنَّمَا السَّلَامُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الَّذِي يَقْتَرِرُ فِي الْآرَاءِ وَالْعَقَائِدِ ، قَبْلَ أَنْ تَحْرُرَ مَوَاقِفُهُ فِي صُكُوكِ الْمَعَاهِدَاتِ ، وَقَبْلَ أَنْ تُطَبِّقَ قَوَاعِدُهُ فِي الْبِرِّ وَالْبَحْرِ .

وَكَلَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَيْسَ رِسَالَةً مَدْنِيَّةً لِحُسْبٍ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ هَمِّهِ تَنْظِيمُ صُورِ الْحَيَاةِ وَمُظَاهَرَتِهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ تَرْبِيَّةٌ لِلْعُقُولِ بِالْعَقَائِدِ السَّلِيمَةِ ، وَتَرْكِةٌ

للقلوب بالمبادئ الفاضلة ، التي متى نبتت بين الجوانح ، أينعت ثمراتها الطيبة على اللسان والجوارح . أجل إنه ليس من سنة القرآن أن يكتفى في معالجة الأمور بذلك النوع من العلاج السطحي الجانبي ، ولكنه دائماً يأتي البنيان من قواعده ويسوس الأمر من باطنه وأعماقه : يمكن للخيرات والفضائل بغرس بذورها ؛ ريكافح الشرور والذائل ، باقتلاع جذورها .

السلام الذي يدعو اليه القرآن هاهنا ، هو إذاً شيء آخر ، أعمق من كل هذه المظاهر المسادية ؛ إنه فكرة حية ، وحقيقة روحية ، هو عقد وميثاق بين المرء وقلبه ، يلتزم فيه كل امرئ أن يكون متجاوباً حقاً وصدقاً مع المثل العليا التي يؤمن بها ، بحيث لا يشور تمرداً على تلك المبادئ إذا خالفت هواه ، ولا يعرض عنها كلما تعارضت مع ميوله ورغائبه ، فالدخول في السلم هو الثبات تحت راية الحق في خضوع واستسلام ، والانقياد لقانون العدل ، في طاعة ونظام ، ومن أحسن ديننا من أسلم وجهه لله وهو محسن ، ، ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ، .

هذا هو لب المعنى وجوهره في لغة العرب ، وهذا هو حقيقة السلم ، وحقيقة الإسلام ، في لغة القرآن ، وهذا هو الدين الذي دعا إليه جميع الأنبياء ، وهذا هو الطريق الوحيد لنشر لواء الأمن والسلام بين الأمم والأفراد .

ذلك أنه لا يستقر أمن إلا في ظل الألفة والترابط ، ولا تدوم ألفة إلا على أساس مبدأ واحد ثابت ، ولا وحدة ولا ثبات إلا لمبدأ الحق الذي لا يتحول ولا يتعدد . وبضدها تتميز الأشياء . فليس على وجه الأرض فتنة وخصومة ، إلا كانت وليدة اختلاف ؛ ولا اختلاف يورث الخصام إلا أن يكون مبعثه تشعب الأهواء وتناقضها ، ولا تشعب الأهواء وتناقض إلا بمقياس بعدها عن جادة الحق ، وطريقه القويم : ، وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ، . « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ، .

هذا ولقد علمتنا التجربة والملاحظة المتكررة ، أن كثيراً ممن عندهم أصل الإيمان ، لا يعوزهم اعتناق المبادئ ، ولكن يعوزهم الثبات عليها ، وأنهم لا ينقم عليهم رفض مبادئهم والارتداد عنها ، بقدر ما يؤخذ عليهم تجزئة هذه المبادئ وتفتيتها ، وتركهم الميول والأهواء تعترض سبيلها ، وتقيم الحواجز أمام تطبيقها على عمومها : « يحلون عاماً ؛ ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، .

ومن هنا يعرف السر في أن القرآن لم يسكتف بمجرد الدخول في السلم ، بل طلب أن يكون دكاؑة ، عامة ، وأن يكون الإذعان لأمره إذعانا كليا ، شاملا كاملا ، لا قيوده ولا حدود ، ولا التواء فيه ولا استثناء . فتلك هي أنصاف الحلول التي يأبأها القرآن ، وذلك هو مناط الذم ، الذي وجهه إلى كثير من أهل الأديان ، فنحن نراه - حين يضرب للناس أمثالهم - يعرف لنا المؤمنين الصادقين بأنهم هم الذين يعتنقون الحق جملة واحدة ، : يؤمنون بالكتاب كله ولا يفرقون بين الله ورسله ؛ وهم الذين إذا شرعت لهم القوانين العادلة لم يتبرموا بها ، ولو كان فيها ما تكرهه نفوسهم . ولم يتبرموا منها ، ولو كان من ورائها نقص شيء من حظوظهم وأمانهم . إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، وفي ذلك يقول الرسول الكريم : : على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية .

أما الذين في قلوبهم زيغ ، فقد وصفهم القرآن بأن كل شيء عندهم منقسم : عقائدهم ، ومعاملاتهم ، وأحكامهم ، فأما في عقائدهم فإنهم يؤمنون ببعض الحق ، ويكفرون ببعضه ، وكلما جاءهم داعى الحق بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ، ففريقا كذبوا ، وفريقا يقتلون . وأما في معاملاتهم فإنهم إذا لزمهم الحق لم يؤدوه إلا مكراهين ، : ولأن يكن لهم الحق يأبوا لآيه مذعنين . . وأما في حكمهم على الأشياء وعلى الناس ، فإنهم لا يحمدون إلا الناحية التي يحب عليهم منها ربح الغنيمة : : فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون .

على أن الذى يذعن للحق فيما يرضيه ، ويعرض عنه فيما يسخطه ، ليس في الحقيقة مذعنا له في واحدة منها ، ولكنه مستسلم لهواه في كلتا الحالين .

ومهما يكن من أمر ، فإن التردد على الحق كلا أو بعضا ، لا يمكن أن يكون نزعة من نزعات الإيمان ، وإنما هو نزعة من نزعات الشيطان ، لا جرم حذرنا الله منه أشد تحذير ، حيث قال - جل شأنه - : : ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين ، فكان صدر الآية تبصيرا بطريق الهداية ، وعجزها تحذيرا من طرق الغواية .

وهكذا كل قيادة حكيمة ، تبدأ بالبيان والإرشاد ، وتنتهى بالنصح والتحذير ، فإذا أصر الناس على العناد بعد أن تبين لهم الرشد من الغي ، لم يبق إلا أن يؤخذوا بالحزم والعزم ، وآخر الدواء الكى : : فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات ، فاعلموا أن الله عزيز حكيم . . وصدق الله العظيم .

محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

من صور القوة في القرآن

ما أعذب الماء البارد على شدة الظلم ! وما أجمل القوة العادلة عندما تنساب برداً وسلاماً فتحسم المظالم النازلة على الأفئدة الكسيرة ، وتطفيء الآلام التي برحت بالظلومين والمستضعفين . . .

لأنه لا يعرف فضل القوة المؤيدة للحق إلا من شقى تحت وطأة الطغيان دهرأ طويلاً ، لأنه يستقبل طلائعها استقبال المقرور للدفع ، واستقبال الهيمان للإلف ، لأنه يعتبر زحفها بوارق الصبح تشق جنح الظلام ، ومعالم اليقظة تغزو البصائر والابصار . . .

وسلنا نحن — الذين طالما ناشدنا المستكبرين أن يتواضعوا ، والغاوين أن يرشدوا — سلنا نحن — الذين طالما ناشدنا الظالمين أن يعدلوا ، والعابدين لأنفسهم وهوأها أن يوقروا ربهم ودينه — سلنا نحن — الذين بحت أصواتنا في الذكير بآيات الله والحكمة ، فلم نجد إلا صداً وعلوا ، وحقاً وعتواً — سلنا : كم تكون الفرحة ملء جوانحنا حينما نجد السيف قد قوم الصعر ، وأدب البطر . . . وأكره الطاغوت أن يتضاءل ويتطامن ، ويستمتع للحق الذي كان يهيم أذنيه عنه ، ويستسلم للقصاص الذي كان في منجاة منه . . .

ما أنيل القوة العادلة عندما تحق الحق وتبطل الباطل ، بعد ما كادت النفوس تزهد من باطل لبس مسوح الحق ومشي في الأرض مطعناً ، ومن حق علته زراية الباطل فتواري عن الاعين مخذولاً ضائعاً . . . ١١

إن القوة التي تقيم بين الناس الموازين القسط هي ما أمر الإسلام بإعداده ، وحض على بذل النفس والتفيس فيه .

وفي القرآن سورة يصح أن توضع آياتها في إطار من المدافع المتشابكة والفدائف الملتببة ، لأنك تلج في كلها القوى صورة الصراع الدامي بين جند الرحمن ، وجند الطغيان ! وترى الفريقين وقد ارتجت من تحتها الأرض ، وثار من فوقهما النقع ! ثم انجلي القتال بعد ما كتب النصر لاهدى الفشتين وأرضاها لله ، فتذكر قول الشاعر :

فتقت لكم ريح الجلال بعنبر وأمدكم فلق الصباح المسفر !

وجنيتكم ثمر الوقائع يا نعا بالنصر من ورق الحديد الاخضر !

أما هذه السورة فهي سورة (العاديات) .

بدأت بوصف رائق الخيل المجاهدين وهي تنطلق بأصحابها إلى الميدان ! إنها تركض حثيثا إلى غايتها ، تهب البر وتحرق الريح ، وصدورها علو وهبوط من تتابع الأنفاس واطراد العدو ، وفوقها فرسها المغاوير يقسبون إلى لقاء العدو . . .

كانهم في ظهور الخيل نبت ربا من شدة الحزم لامن شدة الحزم
ذاك ما أخذت السورة تصفه . فجاءت آياتها على هذا النسق : والعاديات ضبجاً .
فالموريات قدحا . فالمغيرات صبجاً . فأثرن به نقعا . فوسطن به جمعا . .

فإذا أحسست ضبج الخيل من طول لهما ، أحسست كذلك انقذاح الشرر تحت سنابكها وهي تضرب الصخور في طريقها إلى ضرب المبطلين ، وتورى النار التي سوف تحرق وتضيء ، تحرق جلود الطغاة ، وتضيء سبل الممذنبين المقهورين .

ثم نجى بعد ذلك غارة الصباح ، وماغارة الصباح ؟ لها الضربة المفاجئة تنزل بالغاوين على حين غرة فيستيقظون من غفلتهم على مس العقاب ، ولات حين مناص .

لأنهم ظنوا أن الدنيا دانت لهم ، وأن الأوضاع استقرت تحت أقدامهم ، وأن الفضائل التي طاردوها لن تجد من يحميها ، وأن الرذائل التي ألفوها لن تجد من يدوسها ، فناموا ، وهم آمنون ! بيد أن للحق حراساً تسدهم الآلام ، ويؤرقهم مائلقاء الحياة من عبث الطواغيت بأقدار العباد والبلاد ، لأنهم يتحينون الفرص ، حتى إذا سنحت انقضوا على المجرمين انقضاض الصواعق ، فإذا الليالي تتمخض عن المغيرات صبجاً ، يطالع الناس أنباءها مع مطالع الفجر .

حدث قديماً قتال بين المسلمين واليهود . فزحف النبي ﷺ ليلاً بجيشه على حصون خيبر ، فصحا اليهود مع الفجر ، ورأوا الصحابة يحيطين بهم . فقالوا : محمد والخميس ! فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، هلكتم خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين !

إن العاديات المغيرات مع الصباح ليست جيوش استغلال ونهب ! إنما القوة جاءت مع موكب النور لتحرير العبيد من أوهم الظلام ، ولتحقق الهدف الأسمى من نزول القرآن . كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، بإذن ربهم ، إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض . .

وإذا انطلقت القوى العادلة من مكانها لتؤدي رسالتها فإن الاصطدام بالجنوع المتألبه المنحزبه ، وثوران التمتع في جو المعركة هو أول ما يتبادر إلى الذهن ، ذلك أن الباطل المستعلن بفجوره ، المستغرق في غروره ، لا يتخلى عن ضلاله القديم بسهولة ، وربما تفانى في التشبث بآثامه وأوزاره !

ومن ثم فلن يستطيع تأديبه إلا رجال لهم جرأة في الحق تربو على جرأة عدوهم في الباطل ، ولديهم حرص على النضحية في سبيل الله أشد من حرص أعدائهم على المغامرة والسطو ، والاحتفاظ بمكاسبها الحرام ...

ونحن إذا راقبنا سير الطغاة في الأرض وجدنا السياسة التي يظفرون بها أول أمرهم لا تعود إلى خصائص القوة في أنفسهم قدر ما تعود إلى آثار الوهن في صفوف غيرهم ... حتى إذا رزقت المثل العليا باتباع من أولى النجدة والفداء ، لم تلبث الحياة أن تمود إلى رشددها ، ولم تلبث الأصنام المقدسة أن تستحيل إلى أنقاض مبعثرة في الرغام ... !!

وكيف تتم هذه الآيات الباهرة ؟ تتم بالقوة وحدها حين تنجد الحق المهزوم والخير المكسوم ... فلا عجب إذا أقسم القرآن بأدوات هذه القوة ومجد طريقة عملها ، والعاديات ضبجا ، فالعوريات قدحا ، فالعقيرات صبجا ، فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ، ...

لأنه أقسم بصرامة الدواء على شدة الداء . أجل . فربما كان استخدام القوة عملا ينطوى في ظاهره على خشونة وقسوة . لكن هذه الخشونة وتلك القسوة تعتبران برأ كريما وفضلا عظيما يوم تكونان علاجا للكنود والعدوان والتبجح ، وكما ابتليت الحياة بمن ملا فجأجها بهذه الخلال الخسيسة فلوها جميعا تشق فيها الأفراد والجماعات ...

فكيف النجاء من هذه الكروب إلا بالقوة العادلة ، القوة التي تجعل الشاعر يقول :

إذا الملك الجبار صعر خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه !

وعلاج الجبروت بالسيوف عدالة تحمد لأصحابها في الأرض والسماء .

وقد أقسم الله بالعاديات وما وادها على هذا المعنى إذ قال : « إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد ، ججود حق الله ، والمعائلة بذلك ، والاستئثار دون الناس بالخير ؛ هذه هي أسباب الفساد التي يجب أن تستأصل . ولن تستأصل بالنصح والإرشاد إلا إذا كانت ردائل فردية هينة ، أما إذا قام لها ملك ، وشرعت لتدعيمها رماح ، فلا يغفل الحديد إلا الحديد .

وكان الإسلام يود لو أنصف الناس من أنفسهم بالعقل والحكمة ، بدل أن يلتزموا الإنصاف بالقهر والعنف ، غير أن غرائز السوء غلبت فلم يبق من قعها بدٌّ .
والأديان لا تحمل السلاح إلا مكرهة ، وأنبياء الله كافة كانوا يتمنون لو استمسك الناس بفضائلهم ، وتعرفوا إلى ربهم وكرسوا حياتهم في شكر أنعمه ، وأحيوا ضمايرهم بمراقبته ، وأحسنوا الاستعداد للقاءه .

فلا غرو إذ اختتمت هذه الصورة العسكرية بمناشدة الإنسان أن يلتزم هذه المعاني الطيبة النبيلة . أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور . وحصل ما في الصدور . إن ربهم بهم يومئذ لخبير .
والحق أنه لو توفرت بين الناس الصدور السليمة ، وتركزت في قرارة أفئدتهم حدود الثواب والعقاب ، فإنه لن يكون ثم مكان للحرب والضرب ، أما مع طغيان الآثرة وانفلات الزمام فسيدق العالم محتاجا إلى القوة التي تقر العدالة ، العدالة والنظام ، مثل حاجته إلى الشراب والطعام ١١ وسرى أنفسنا منساقين إلى تمجيد هذه القوة الكريمة ؟

محمد الغزالي

من التوجيه المحمدي :

المسلمون كما يريدهم الاسلام

في كتاب البر والصلة والآداب من صحيح مسلم (٨ : ١٠ الطبعة السلطانية) من حديث أبي سعيد مولى عامر بن كريز عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ : لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا .
المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره .

والتقوى هاهنا (ويشير ﷺ إلى صدره ثلاث مرات) . بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم .

كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه .

الحديث النبوي مقاصده ، ألفاظه ، معانيه

أردت أولاً أن أجعل موضوع هذا البحث (البلاغة النبوية) فقط ، ولكنني رأيت ذلك لا يشمل الحديث عن مقاصد الكلام النبوي الكريم ، وما فيه من توجيه صالح وثقافة تهذيبية وإرشاد سام يشبه النفس العظيمة التي صدر عنها ، ويرتفع بمستوى النفس البشرية عن كل رعوفتها ، حتى يصل بينها وبين السماء بأقوى وصلة وأحكم رباط . وذلك شيء يفوت على وعلى القارئ الكريم فرصة حيوية إلى كل نفس مسئلة ، فإن الحاجة إلى التأنق بين رياض الإسلام ومقاصده الشريفة يتجلى في موضوعات حديث صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، ليست أقل من الحاجة إلى معرفة البلاغة النبوية على سمو هذه المحاولة فإنها ناحية فنية كالية لا يتطرق العوز بها إلى كل شخص ، فأما مقاصد الإسلام فإنها ضالة كل لإنسان في الوجود ، والتعريف بها ولو على وجه كلي يحمل توجيه إلى كل فرد وكل جماعة وكل أمة كيف تسلك سبل النجاة والرفعة في دينها ودنياها من أقرب طريق وعلى أصح وجه .

وأظن أن القارئ الكريم في غير حاجة أن يعلم أن معنى البلاغة النبوية شيء خاص يرجع إلى دراسة الألفاظ ومزاياها في دلالاتها على معانيها وما فيها من صفات وجازة أو بسط ، وتقديم في الأسلوب أو تأخير أو حذف وفصل بين الجمل أو وصل ، وما إلى ذلك من أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال كما يقولون . وذلك شيء في ذاته يجرى مع كل عرض سما أو نزل . ويقع في الهجر والإثم كما يتحقق مع الحق والحكم ، ويكون مع الخطيئة والفرزدق أقوى مما يكون مع الحسن البصري أو الحسن بن علي أحياناً . لهذا جعلت موضوع هذه المحاولة (الحديث النبوي) من جميع نواحيه سواء منها ما يتصل بأغراضه ومقاصده ، وما يتصل بألفاظه وبلاغتها ، وما يتصل بمعانيه وامتيازها في لطفها مع بساطتها ، وعلوها مع دنوها ، ويسرها مع اعتناصها على محاولها . وسترى تصوير ذلك كله مقرباً ميسراً إن شاء الله .

فأما موضوع الحديث النبوي ومقاصده ، فإنها رسالة الإسلام العظمى التي قامت على هداية الناس ودعوتهم إلى ما يرفع مستواهم ، ويصلحهم في دينهم وآخرتهم ودنياهم من أقرب الطرق وعلى أصح الوجوه ، ذلك هو سبيل الكلام النبوي الشريف : لا ينطق عن الهوى ، ولا يلفظ العوراء ، ولا يقرب الخنا حتى إنه كان إذا مزح لا يقول إلا حقاً ، وإذا أراد إخفاء أمر عرض في قوله فكان صدقاً ، يقول في بعض حديثه : « إن في المعارض مندوحة عن الكذب » .

لقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فكان الخير يتضوع من جميع جوانبه ونواحيه ويتمثل في قوله كما يتجلى في فعله . وكان يأبى إلا أن يكون مشرعاً أميناً وناصحاً أميناً . فهو يتوقف عما لم يوح به إليه في مقام التعليم ، ويقول لمن سأله عن الحجج : « أفى كل عام يارسول الله ؟ » . لو قلت نعم لوجبت ولم تستطيعوا . إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم » .

وليس معنى ذلك أن كلام النبي صلى الله عليه وسلم كان وحياً كله ، ولا أنه كان تشريعاً في جملته وتفصيله ، فإنه صلى الله عليه وسلم كانت له ناحية البشرية التي تحقق له بعض الملذات وتمتعه أحياناً بالطيبات ، يقول القول أحياناً فلا يحمضه لأن الله يصرفه عنه إلى ما هو خير منه ، وذلك هو معنى العصمة في جانبه صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم وغيره عن رافع بن خديج : « إنا أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من دنياكم فإنا أنا بشر » .

وهذا شيء لا أريد أن أخوض في تفصيله ولا هو من شأني الآن ، إنما أريد أن أصور أن حديث رسول الله في جوانب الخير ونواحي الإصلاح ، وأنه لم يكن يتناول من الموضوعات إلا ما يتفق مع سمو شخصه ، ويتناسب مع رسالته . وإنه وصف في التوراة والإنجيل بما يحقق فيه الأسوة الصالحة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، لا يقابل السيئة بمثلها ولكن يعفو ويصفح . ووصف في القرآن الكريم بقول الله سبحانه : « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » . ووصف في السنة بأن مجلسه لا تؤبن فيه الحرم . وأنه لا يسمع التسيب ولا يقره ، فحال أن يصدر عنه . ومن

شاء فليتابع كل ما نقل عنه الناقلون في أخباره وسيرته ، هل يرى فيها إلا ما يشبه رسالته ويناسب صفته ، من قول صالح وعلم نافع .

موضوع السنة النبوية الكريمة إذاً هو كل ما تشبهه النفوس السليمة بما يدعو إلى تقوى الله ، وصلاح المجتمع ، ومقاومة كل رعونة في الأرض من ظلم وبغى ، أو حسد ، أو مكر أو سقم في العقل ، تقع فيه روضات فيج وجنات ، وتركية من الضلالات ، فإنك في حديثه ومع سنته كصاحب المسك : إما أن يحذيك ، وإما أن يتباع منه ، وإما أن تجد ريحاً طيبة .

وإليك بعض الصور من تلك المقاصد السامية والأغراض الكريمة :

من أغراض السنة الكريمة بيان دعوة المرسلين جميعاً من عبادة المستحق للعبادة وهو الله وحده . وإفراذه سبحانه بكل مظاهر التعظيم ، وإخلاص الأعمال كلها لوجهه .

فما جاء في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً » ، من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان ،

وعن مالك بن عوف الأشجعي قال : « كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ألا تبايعون رسول الله ؟ فبسطنا أيدينا وقلنا : علام نبايعك يا رسول الله ؟ قال : على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وتصلوا الصلوات الخمس (وأسر كلمة في خفية) قال : ولا تسألوا الناس شيئاً . فلقد رأيت أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه ، . وهذا الغرض أساس الإسلام ومحور الدين الكريم .

ويتصل بذلك الدعوة إلى عزة الإسلام ، وعدم الخضوع والذلة لخلق أيا كان .

وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم لابن عباس « يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك .

ومن أغراضه الكريمة مقاومة خرافات الجاهلية وجهالاتها من التفاوت بين الناس ، ونظام الطبقات ، واعتداء القوى على الضعيف ، وما إلى ذلك مما أشاعته الفوضى والجاهالة بلا عقل سليم ولا منطق مفهوم ، وما أكثر هذا الغرض في السنة ، كقوله صلى

الله عليه وسلم ، أنها كم عن قيل وقال ، وإضاعة المال ، وواد النبات ، وضع وهات ، إن الله تعالى قد رفع عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ، دعوا دعوى الجاهلية ذميمة .
لا حى إلا لله ورسوله ، لا عدوى ولا صفر ولا هامة ، من أتى منجماً أو كاهناً أو عرافاً
فقد كفر بما أنزل على محمد . من حلف يغير الله فقد أشرك . الناس سواسية كأسنان المشط
لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، .

ومن أغراضه السكرية الدعوة إلى مكارم الاخلاق من العدل والإحسان بين الاخ
وأخيه وبين الراعى والرعية وتعهد بعض الناس لبعض بمعونة الضعيف وإغاثة اللهبان ،
وإطعام الجائع وكسوة العارى ، ومن بسطة الوجه وحسن الخلق وتوطئة الاكثاف
وكل ما يبعث على المحبة ويغرس الالفة والمودة ، حتى يعيذ الناس إخواناً متصافين يشيع
فيهم السلام والوئام فيعبدوا الله ، ويسعدوا في هذه الحياة ، بما لو أخذ العالم ببعضه لكانت
الدنيا جنة لأهلها . لا جحيماً كعمدك اليوم بها .

ولإليك بعض ما فى السنة السكرية من ذلك :

• كل سلامى من الناس عليه صدقة . كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة
وتعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة
صدقة ، ودليل الطريق صدقة ، وتميط الاذى عن الطريق صدقة ، .

ألا بآنى أنت وأمى يا رسول الله ، ما تركت باباً من الخير فيه سعادة إلا وجهت إليه ،
ولا تركت باباً من الخير فيه مساس بإنسان أو حيوان إلا نهيت عنه .

وفى الصحيح أيضاً دلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع وهو مسئول عن
رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى
مسئولة عن رعيته ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع
فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، فلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، .

• ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فبأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان
له صدقة ، .

• إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فليسمعهم منكم بسطة الوجه وحسن الخلق ، .

« إن أحبكم إلى وأقربكم مني منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، الموطنون أكثافاً ، الذين يألفون ويؤلفون . وإن أبغضكم إلى الثنارون المتفقهون ، . وما أكثر ذلك الإرشاد والرشاد في السنة المحمدية .

وهو صلى الله عليه وسلم يبحث على احترام حقوق المسلم ، ويحرم دمه وماله وعرضه ويقول : « من قطع رجاء أخيه قطع الله رجاءه » . « إذا أشار الرجل على أخيه بالسلاح فهما على حرف جهنم » .

وهو صلى الله عليه وسلم يوصي بالمرأة ، وينفي ما كانت عليه الجاهلية من إهدار آدميها ، ويرفع من شأنها ، ويأمر بمراقبة الله فيها فيقول في بعض ما يحدث :

« ألا فاستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعان فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطمعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً » .

ومن أغراضه الكريمة التهديد في الدنيا حتى تصفو النفس وتستقبل المكارم ، وحتى يتحباب الناس ويعرف بعضهم حق بعض . فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك . ابن آدم لا يقليل تقنع ولا بكثير تشبع . ابن آدم إذا أصبحت معافى في بدنك آمناً في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء . ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس » .

ولو أنني ذهبت أنتجع ما جاء من أغراض في التشريع الصالح ، والإرشاد المنقذ الشامل ، لخرجت عن القصد ، ولما استطعت . فإن موضوع ذلك الأسفار الضخام من كتب السنة الكريمة . ولكنني بصدد الإشارة بسمو غرضه ، والإشارة إلى بعض اتجاهه وتوجيهه ، وبيان أن كلامه صلى الله عليه وسلم أسمى كلام في مقاصده ، كما أنه أسمى شيء بعد كلام الله في بلاغته . فلأدع المجال للتحدث عن سمو لفظه ومعناه . في مقام آخر إن شاء الله .

محمود النواوي

العربية بين الجند والمد

تتصارع اللغات وتتطاحن كما يتصارع الافراد ويتطاحنون سواء بسواء ، ولكن صراعها وتطاحنها لا يكون عادة واضح المعالم سريع النتائج ، بل هو صراع بطيء هين في سريانه رغم عنفه وجبروته . طبيعة ركبت في اللغة كما ركبت في الافراد ! ولا غرو فان حياة اللغة رهينة بحياة الافراد .

وقد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن المنازعات والحروب التي تقوم بين الشعوب والجماعات هي السبب في ذلك الصراع الذي يقوم بين اللغات . وهذا في الواقع صحيح ولكنه ليس كل السبب ، بل هو سبب يصح أحيانا ولا يصح أخرى ، والمرجع في ذلك إلى مدى قوة اللغتين المصطرعين : لغة الغازين ولغة المغزوين . والمد الذي حدث للغة العربية في فارس ومصر أوضح مثال على ذلك ؛ فالعربية - وإن تفاعلت مع الفارسية تفاعلا لم يمح للفارسية شخصيتها (نحوها وصرفها وتركيب عبارتها) - قد استطاعت في مصروف زمن وجيز نسبياً أن تطغى على لغة المصريين طغيانا عارما وأن تفرض نفسها عليهم .

ولكن يبدو أن هذا هو أوضح ألوان الصراع بين اللغات . وسببه المباشر هو الحروب ، غير أن هناك أسبابا أخرى غير الحرب تؤدي إلى ذلك الصراع بين اللغات ، وهي أسباب مادية جديرة بالملاحظة ، وهي تعمل عادة في شبه خفاء ، وهي بطيئة الأثر بطيئة النتائج . ولعل السبب في هذا البطء أن صراع اللغات الناشئ عن صراع الافراد يقطع مرحلة حاسمة على أيدي المصطرعين أنفسهم ، فيفرض الغازون لغتهم على المغزوين مثلاً أو يستدرجونهم إليها بشتى الوسائل .

أما في حالة الصراع الناتج عن غير ذلك من الأسباب ، فإن عملية الفرض هذه أو الاستدراج لا يكون لها وجود ، وتكاد تقف اللغتان المصطرعتان وحدهما في الميدان دون عامل خارجي ملزم من الافراد . وهنا يكون التطاحن اللغوي بالمعنى الصحيح . وهنا تنقلب اللغة أو تهزم وتفتح صدرها للغة الغازية تبعاً لمدى قوتها ومدى إمكانياتها العقلية والمادية على السواء . ولعل من أهم أسباب اضطراع اللغات ، الحالة الفكرية والاقتصادية والدينية والاجتماعية للشعوب المصطرعة لغاتها ، فتقدم الحياة العقلية في أمة من الأمم عامل كبير في نشر لغتها وتسربها بين صفوف اللغات الأخرى في الأمم التي تقل عنها في مستوى الحياة العقلية . واليونان والرومان شاهد على ذلك ؛ فقد كان اليونان في الذروة من التقدم الفكري ، بينما كان الرومان في مستوى فكري منحط ، ولذلك فإن أثر العقل اليوناني في العقل الروماني

واضح لا ينكر ، ومن الشائع في كتب التاريخ والحضارة أن الرومان فتحوا اليونان عسكرياً بينما غزاهم اليونان عقلياً . وهنا يتضح لنا إلى أى مدى يصح القول بأن الحروب هي السبب كل السبب أو السبب الاصيل في تغلب لغة على أخرى ، فقد رأينا المغزوين يهزمون أمام الغازين في ميدان الحرب حقاً ، ولكنهم ينتصرون عليهم فكرياً .

وأما الحياة الاقتصادية فإن عامل التجارة له أثر لا يخفى في احتكاك لغة المتجربين ، وإذا تصورنا بلداً قفراً مجرباً يعتمد أهله على ما تنتجه البلدان الأخرى ، وإذا تصورناهم يرحلون إلى هذه البلدان يشترون ما يلزمهم ، فإنه يكون من السهل علينا أن نتصور أيضاً إلى أى حد تشيع لغة أهل هذه البلدان في لغة أهل ذلك البلد . ذلك أنهم سينقلون إليهم البضائع بأسمائها كما وضعها أهلها .

وإذا تصورنا هذه البضائع لا على أنها الأشياء التي تؤكل لحسب بل على أنها كل ما يلزم الإنسان في حياته من أدوات منزلية ، وفي حقله من آلات زراعية ، وفي حربه من معدات حربية ، وما يلزمه لحياته الصحية من أدوية وعقاقير ، وما يلزم حياته المترفة من وسائل الترفيه ... الخ ، إذا تصورنا ذلك سهل علينا أيضاً أن نتصور كمية الالفاظ التي يستخدمها المستوردون بالضرورة من لغة المستورد منهم . وإذا عرفنا أن تفكيرنا دائماً يحتاج إلى المحسوس يركب منه صوره العقلية ، وأن يختار هذا المحسوس من الأشياء الواقعة بيننا الملابس لحياتنا ، استطعنا أن ندرك مدى خطورة العامل الاقتصادي في صراع اللغات .

ثم يأتي عامل الدين ؛ وهو عامل لا يقل عن العاملين السابقين أثراً في صراع اللغات . فلكي يفهم الإنسان ديناً من الأديان يحسن به أن يعرف لغته ، ولكي يدخل الإنسان في دين من الأديان يعتقد عقائده ويؤدى شعائره ، يتحتم عليه أن يتقن لغته . وهل كسبت العربية من غلبة وانتشار في الشرق والغرب ، وما زالت تمارس هذا الكسب ، بغير عامل الدين ؟ وفيما يختص بالعامل الاجتماعي فإن اللغة ظاهرة اجتماعية من الطراز الأول ، وحياتها من حياة المجتمع الذي تعيش فيه ، تصطبغ بكل ما يطغى عليه من مبادئ وما يجري فيه من تيارات . والمجتمع الزاخر بشتى ضروب الحياة ، الذي تأصلت فيه الطبائع واستقرت فيه العادات ورسخ فيه العرف ، يمنح لغته نوعاً من التماسك والقوة والثبات ، لا يمنحه المجتمع المتهاافت المفكك المختلف العناصر المتضارب المشارب للغته .

والعرب حين فتحوا الأندلس مثلاً لم يكن فيها شعب واحد من جنس واحد وديانة واحدة ... بل كان هناك أجناس مختلفة وعقائد مختلفة وألسنة مختلفة ، فلم يكن بينها تماسك ، ولم تكن وحدة سياسية متعاونة مآزره . ولذلك سرعان ما استقرت لغة العرب هناك وظهرت غلبتها .

وأياً ما كان الأمر فإن صراع اللغات وإن اعتمد على مثل هذه العوامل والأسباب التي تعد خارجية بالنسبة للغة ، أى خارجة عن نطاق اللغة ، فإن الذى لا شك فيه أن هناك أسباباً أخرى تنبع من طبيعة اللغة ذاتها التي تنزل الميدان . وطبيعة اللغة هنا هى بعبارة أخرى عبقرية اللغة . وعبقرية اللغة هى مجموعة الصفات والخصائص التي تتميز بها لغة عن أخرى . وتتحدد هذه الصفات في نحو اللغة وصرفها وتركيب عباراتها وفي تاريخ تطورها . ثم هناك صفات أخص من هذه وإن لم تكن تقل أهمية عنها كالتأحية الصوتية (نظام المقاطع والحروف وعددها في الكلمة وعدد الأصوات المستخدمة سواء من الحروف المفردة كالحرف S في الإنجليزية مثلاً ويقابله حرف السين ، أو المركبة كالحروف Sh في الإنجليزية و Sch في الألمانية وهى تقابل حرف الشين في العربية) . وهناك أيضاً التأحية الغنية وهى ما نستطيع تسميتها بذوق اللغة . فهذا الذوق يقبل أن يرفض من الألفاظ الطارئة ما يتماشى معه أو يذو عنه . فإذا كنا نجد الأذن الألمانية مثلاً ترتاح لصوت حرف ال G المتكرر ثلاث مرات في كلمة قصيرة مثل Gegangen (ججججج) فإن الأذن العربية تنبو عنه وتفر منه ولا تفكر في استخدامه .

هذه العوامل الداخلية ، أى التي تنبع من صميم اللغة هى ما سميناه بإمكانيات اللغة في بداية هذا البحث . وهذه العوامل الداخلية متضافرة مع العوامل الخارجية التي سبق بحثها من فكرية واقتصادية ودينية واجتماعية هى التي يجب مراعاتها وبحثها عندما نحاول الكلام عن تاريخ الصراع الذي قامت به لغة من اللغات جزراً ومدأ .

واللغة العربية كما نعرفها لها نشاط واسع النطاق بعيد التاريخ في ميدان الصراع اللغوى ، ويكفى أن نعلم - وهو بلا شك معلوم لدى الجميع - أنها هى الخلاصة التي نتجت عن صراع محلى ، هو ذلك الصراع الذي شهدته اللهجات العربية المختلفة التي كانت سائدة في شبه الجزيرة قبل الإسلام ، وهذا الصراع المحلى لا يختلف في عوامله وأسبابه عن ذلك الصراع الخارجى أو العالمى للغات ، ولكن ربما لا يكون معلوماً لدى الجميع أن في هذه اللغة ، مأثوراً كبيراً دخل إليها في حالة من حالات الجور التي تصيب اللغة ، وهذا المأثور لا يقتصر على المفردات كما قد يتبادر إلى الأذهان بل يمتد إلى أركان الجملة . وهناك محاولات جريئة يقوم بها الدكتور فؤاد حسنين تقوم على المقارنة بين اللغات السامية القديمة السابقة للعربية في صورتها الأخيرة لتبين مدى ما أخذته اللغة العربية من تلك اللغات من خصائص وصفات ، وقد حاول جويدي Guidi في كتابه « بلاد العرب قبل الإسلام

L'Arabie Antéislamique ، أن يقدم أمثلة على مدى أخذ العربية من اللغات الأخرى . فهو يذهب إلى أن حضارة البيزنطيين والفرس وبذخهم أيضا كانوا متغلغلين في شبه الجزيرة يؤكد ذلك ما اصططنه العرب عن هذين الشعبين من كلمات ، ولكن اللغة العربية لها خاصية عجيبة في تعريب الكلمات الأجنبية ، فكلمة صلدی Soldi (Sous) الإيطالية تجمع على صلادى ، وهى صيغة عربية خالصة ، من الصعب أن تعرف منها الكلمة الأجنبية ، وهذا يدلنا فى الواقع على استقرار نظام الصرف فى هذه اللغة بحيث لا يؤثر فيها نظام صرف اللغة المأثورة . فإذا كانت الكلمات الطارئة من أصل سامى شديد الشبه بالعربية تضاعفت صعوبة القول بما إذا كانت دخيلة أم أصلية .

ويذهب جويدى إلى أن العرب البدو كانوا يحقرون الزراعة ، ومن هنا كانت الكلمات التى تتعاق بالزراعة من أصل آرامى ، ومن أمثلتها كلمة « نير Nîr » أى مقرن البقر وكلمة « ناطور » أى حارث السكروم وهى فى الآرامية Natorâ وكلمة « فدان » وغيرها . وبما ورد إلى العرب من الخارج كلمة « بندق » وهم يجمعونها على بنادق كأنها أصلية فى العربية وليست هى غير النكس بنتيكا وتكتب Nux pontica المعروف فى مملكة بنت ولذلك سمى باسم إقليمه الاصلى ، وقد صارت بنتيكا فى الآرامية إلى بنداقي وفى العربية إلى بندق ، ومثل ذلك كلمة « زيتون » جاءت عن الآرامية . وعما أيضا جاءت كلمة قنديل وأصلها اللاتينى Candela صارت عند الإغريق كاوديللا ، ومثل ذلك كلمة سراج وكلمة نبراس .

وهذا كله يدلنا على الأثر الاقتصادى فى حياة اللغة العربية وفى تاريخ صراعها ، حتى إذا تبلورت العربية فى صورتها الأخيرة وأصبحت اللغة السائدة ، وتم لها نظام نحوى وصرفى ومحصل لغوى كامل ، امتدت مع فتوحات المسلمين شرقا وغربا واستقرت فى البلدان المفتوحة بفضل الدين الجديد وبفضل أهلها ، وإن انتهى بها هذا الصراع إلى أن تتشكل فى كل أمة إلى حد كبير بحسب مزاجهم اللغوى واستعدادهم ، ولم يعد العرب - كما يقرر جويدى - يتطلبون عند الشعوب الأخرى لا الأفكار الدينية ولا الحياة المترفة ولا المنتجات الصناعية ، ولكنهم يتطلبون لديهم شيئا واحدا هو العلم اليونانى ، وينتقل هذا العلم إلى العرب فى عهد المنصور وهارون الرشيد ، وعلى وجه الخصوص فى عهد المأمون ، ينقله العلماء السريان الذين كانوا همزة الوصل « مثل حنين بن اسحق وقسطا بن لوقا » وغيرهم . وقد عمل تأثيرهم الفسكرى فى علماء المسلمين بسهولة ، وذلك بفضل التسامح الذى كانوا متمتعين به بمقتضى الذمة ، مما سهل اتصالهم بالمسلمين ، وصارت الرياضة والنجامة والطب والفلسفة موضع

دراسة العلماء العرب . وشخصيات السكندى والفارابى وابن سينا والرازى والفرغانى والبتانى وابن رشد مشهورة فى الشرق كما فى الغرب الذى صارت فيه أسماءهم :

Alfraganus, Rhasé's, Avicenne Averrhoë's, Albatignius.

ويؤثر العرب الآن بدورهم فى أوربا نفسها التى أفادت من مؤلفاتهم مثلما أفادت من منتجاتهم الصناعية ؛ فقد أدخلوا فى إسبانيا وصقلية كثيرا من النباتات النافعة ، كما أرسلوا إلى الغرب الأقمشة والمنتجات الثمينة المعروفة بأسمائها العربية . وكلمة قصر ، العربية هى Castrum اللاتينية صارت إلى كاسترون اليونانية ثم صارت إلى قسطرا فى السريانية وإلى قصرا فى الآرامية الغربية ، ومنها قصر العربية . ثم تذاقل قصر العربية إلى كيرسرو Cassera فى الإيطالية والكازار Alcazar فى الأسبانية .

والكلمات التى من أصل عربى كثيرة فى اللغات الأوروبية المعاصرة . ومن أمثلتها كلمات : Alcôve وهى فى العربية القبة ، وموسلين Mousseline هو اسم الحرير المنسوب للوصل ، وكلمة Drogman ، هى ، ترجمان العربية ، وكلمة Cup هى دكوب ، العربية .. الخ . حدث كل هذا فى فترة المد اللغوى للعربية . ولكن الذى لا شك فيه أن هذا المد قد توقف منذ عدة قرون ، فتوقفت الحياة العقلية أو كادت وأصاب اللغة ركود وخيم وصلت فيه الى حالة من الجزر والانحسار والانقطاع عن العالم لا ترضى بحال . وقد كان نتيجة التدهور الفكرى والاقتصادى والدينى والاجتماعى فى شعوب العربية فى هذه القرون أن أصبحت اللغة فى الوقت الحاضر واقعة تحت تأثير المد الخارجى لما نالته الامم الأجنبية من تقدم ملحوظ فى هذه الميادين المختلفة : نشاطها الفكرى يزحمنا ، ونشاطها الاقتصادى يتقاذفنا ، وتقدمها السياسى يفرض نفسه علينا ، وإنتاجها فى ميادين الصناعة والحرب يعيش بيننا بأسمائه الأجنبية التى أصبحنا نستخدمها كما لو كانت عربية أصيلة : الترام والتليفون والادوتوبيس وأسماء الأقمشة وأسماء العقاقير والأدوية والبرلمان والديمقراطية وغيرها كثير كلها من أصل أجنبى ، فضلا عن المذاهب العلمية والفلسفية والفنية التى تشمل بين طبقة المثقفين .

وهكذا تقف العربية الآن فى موقف الانحسار والجزر كما يقف أهلها سواء بسواء .

ولكنه الانحسار والجزر الذى يتلوه مد .

عز الدين اسماعيل

معيد بكلية الآداب بجامعة ابراهيم

سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

مد العربية وجزرها

عاج الأستاذ السيد عز الدين إسماعيل ، في مقاله المنشور قبل هذا ، موضوعاً جديراً بعناية الباحثين ، وهو اصطراع اللغات بوجه عام ، ومد العربية وجزرها بوجه خاص ، وأثر الحروب والتقدم الفكري والحياة الاقتصادية والاجتماعية في امتداد اللغة أو تقلصها .

وكنا نتمنى لو أن وقفة الكاتب كانت طويلة عند أعظم حادث وقع في تاريخ مد اللغات وجزرها ، وأعني به دخول مصر والشام والعراق وشمال إفريقيا في أسرة العروبة ، وانصرافهن عن لغاتهن الأولى إلى لغة القرآن : في المنزل ، والسوق ، والمجتمع ، ودواوين الحكم . بأقل مدة عرفت في التاريخ .

إن لهذا الحادث التاريخي المفاجيء - الذي لا يكاد يعرف له نظير - أسباباً يلاحظها المشتغلون بالتاريخ ، وأخرى تستحق العناية والدرس من العلماء بتطور اللغات .

والذين كانوا يزعمون أن العربية تحولت إلى لغة وطنية في خارج جزيرة العرب من طريق الغرض والاستدراج ، قد سقطت دعواهم بما حاوله الاستعمار في الجزائر من سنة ١٨٣٠ إلى الآن ، ثم في القطرين المجاورين للجزائر شرقاً وغرباً ، وما استخدمه لذلك من وسائل الحضارة الحديثة وفي طليعتها الطباعة والصحافة والمدرسة والجنسدية وضرورات المعاش وأحدثها السينما والإذاعة ، فضلاً عن الوسائل الأخرى غير المشروعة ، فباء الاستعمار بعد كل ذلك بالفشل ، واعترف باسنان حاله ولسان مقاله بأن ما تم في إفريقيا الشمالية لما تعربت قبل ثلاثة عشر قرناً لا يزال من المعجزات التي اختص بها نظام العروبة والإسلام ، وأن الأمم الأخرى من قبل العرب كاليونان والرومان ، والذين جاموا من بعدهم كالترك ودول الاستعمار الغربي ، لا يكاد يتقلص ظل سلطانهم عن الاوطان التي حكموها مئات السنين حتى يذهب الدهر بلغاتهم وآثارها كأن لم يكونا هنالك من قبل .

نعم إن حرب الإسلام الأولين استهوا سكان الأقطار التي فتحوها - كمصر والشام والعراق وشمال إفريقية - وذلك بما كانوا عليه من فضائل النفس ومبادئ الخير والاستقامة على الحق والتعامل بسنن الإنسانية الخالصة . من شوائب الانانية والبغي ، فرأى المهرمون والشاميون والعراقيون والمغاربة أن هذا الذي جاء به العرب الفاتحون من أكل رسالات

الله بل هو أكملها . وكان الفاتحون يدعون إلى ما هم عليه من حق وخير بأعمالهم وسيرتهم ، لا بالمحاضرات في الأندية ، ولا بالإغراء في المستشفيات ، ولا بالتسلط على عقول الأحداث القاصرين ، فرأى الناس دعوة المسلمين مترجمة بتصرفاتهم ، ومعرضة على الأنظار في معاملاتهم ، فلما أراد أذكياهم الناس وعقلاؤهم أن يشاركون الفاتحين فيما حملوه إليهم من خير ، وحاولوا أن يتعرفوا إلى تفاصيله ليؤمنوا بها ، ولا يبعد أن يكونوا رغبوا في أن تترجم لهم دعوة الإسلام وأن تقل إليهم نصوصه وقواعده وأحكامه بلغاتهم ، اضطدوا بسياسة الإسلام في الدعوة ، وهي قائمة على : أن تفتقل الأمم إلى الإسلام ، لا أن يفتقل الإسلام إلى الأمم ، ، ومعنى ذلك أن على من أراد أن يتعرف إلى الإسلام ويتصل به ويأخذ بأحكامه أن يعرف لغته ، ويتعرف من يتابعه مباشرة ، إلى أن يكون من أهله الأصلاء ، لا أن يكون للدين أصحاب يحتكرونه ثم يكون الدخيل عليهم تبعاً لهم فيه . وسياسة الإسلام هذه في الدعوة إليه كانت السبب الأول في انتشار العربية ، ، لأنها مفتاح الدين وبابه والطريق إليه ، وفيما بين زمن عمرو بن العاص وزمن الليث بن سعد مولى بنى فهم المولود سنة ٩٤ هـ كانت مصر قد امتلأت بالأمم الاعلام من المصريين أنفسهم ، فكانوا الروس في الشريعة على تفاوت أقدارهم في العلم ، والذي لم يكن منهم في الأصل عربياً صار لا يعرف لنفسه لغة غير العربية ، وصار بيانه بالعربية مضرب الأمثال في فصاحتها وبلاغتها ، كما أن فقهه في الشريعة مضرب الأمثال في التأصيل والتفريع بحيث تضرب إليه أكباد الإبل من مختلف الاقطار للتلذذ عليه والتأدب بأدبه والرواية عنه والعمل بفتاويه . والذين تحدثوا من الافرنج ومفلسهم عن نظام الولاء في الإسلام استشهدوا بأحقاد الشعوبيين الذين لبسوا الإسلام على أبدانهم ولم ينفذ شيء منه إلى قلوبهم ، ، فصوروا العلاقة بين عرب الأنساب وعرب الثقافة الإسلامية على غير حقيقتها ، ولو نظروا إليها من ناحية العلماء وأئمة الدين الذين أسلموا وتعرّبوا وحسن إسلامهم وصاروا من أعلام هذه الأمة في دينها وأدبها وبلاغتها ، لعلوا أن الإسلام يعهد مولى المرء منهم ، وأن نظام الولاء هو نظام الاتحاد بالأسرة والانضمام إلى أخوتها ونصرتها .

وإن مثل الإمام محمد بن عبد الله البخارى كان يرتاح قلبه وتفتخر نفسه بأن ينسب إلى ولاء قبيلته اليمنية من جعفي ، لأن في ذلك ذكرى دخول سلفه في هداية الإسلام على أيدي تلك القبيلة ، وأنهم هم الذين أخذوا بيده إلى هذا الخير الذي صار إليه ، وضوء اليهم فاتخذوه واحداً منهم ، ولذلك أحكام في الفقه تفقأ عيون الشعوبيين وتميهم من الغيظ . والعروبة

في الإسلام ، أخلاق ، فالذى يتكلم في بيته بلغة العرب ويتخاق في نفسه بأخلاقها ، يفضلها الإسلام وتقدمه العروبة على الجلف الجافى الذى عرى من تلك الأخلاق ولم ينجمل بها .

وهذه القواعد في نظام المجتمع الإسلامى الرفيع هى التى نشرت العربية على مدى انتشار الإسلام ، . ولما كانت الأمم الأخرى - وأحدثها عهداً دول الاستعمار - لم يكن لها مثل هذه القواعد الإنسانية العليا فى اتصال الأمم بعضها ببعض فشلت فيما حاولته من تقايد العروبة فى انتشار لغتها يوم زحف الإسلام لفشر دعوته فى قارات الأرض المعمورة يومئذ .

ولإذا حولنا عن الأسباب التاريخية فى تأثير سياسة الإسلام على انتشار العربية ، نجد أمما ناحية أخرى من أسرار التاريخ فى هذا الموضوع ، وهى ناحية القرب أو البعد بين العربية واللغات التى اضطرت معها أو ذابت فيها . فالعراق والشام من صريح البلاد السامية التى كانت تتكلم بالآرامية والسريانية وبقايا الكنعانية ، وكلها أخوات ضعيفة ساذجة للغة العربية التى تعد البنت البكر للغة السامية الأولى المنقرضة ، والعربية لعراقتها فى القدم قبل كل أخواتها الساميات اجتازت جميع أطوار التسكون والنمو ، حتى بلغت ذروة السكال وتمام النضوج والازدهار ، فكانت أهلاً لأن تلهم أخواتها المختلفة عنها فى النضوج اللغوى . وإذا اعتبرنا أن للغات السامية أمماً قديمة تفرعت عنها هذه اللغات وكانت لهجات لها ، ثم حلت هذه اللهجات محل أمهن القديمة فزالت بوجودهن ، يمكننا حينئذ أن نتصور أن الأمم السامية كانت لمن وحدة لغوية قبل ظهور اللهجات - أو اللغات - السامية ، وأن لغة الوحدة زالت بظهور هذه اللهجات التى ما زالت تفرق وتختلف حتى صارت لغات ، فحرمت الأمم السامية من وحدتها بزوال اللغة الأولى وحلول اللغات الفرعية محلها ، فلما ظهر الإسلام ، وانتشر أولاً فى البلاد السامية ، فانتشرت بانتشاره اللغة العربية وهى فى إبان كمالها ، اصطدمت بلغات من جنسها غير أنهن أضعف منها وأقل جدارة بالبقاء ، فبقي الأصلح ، وزال ما هو أقل صلاحاً ، وانضمت الى ذلك رغبة شعوب البلاد المفتوحة فى أن يلتحقوا بدعوة الحق والخير التى حمل الإسلام لواءها إليهم ، ودلهم الإسلام على أن سبيل ذلك أن يتعربوا ، وأن ينهلوا بأنفسهم من ينابيع الإسلام فى لغته مباشرة بلا واسطة ، فعادت إلى البلاد السامية وحدتها باللغة العربية ، بعد أن كان آخر عهدا بهذه الوحدة يوم زالت اللغة السامية الأولى بظهور لهجاتها . وإن رجوع الوحدة إلى الشعوب السامية بعد

حرامتهم منها يعد من أحداث التاريخ الكبرى ، بل هو إحدى معجزات الإسلام التي تستحق التدوين والتنويه والتخليد . والامم السامية لم تخسر بهذا الحادث شيئاً ، لأن العربية نفسها لغة سامية ، بل هي البنت البكر لأمها الاولى ، وقد تبدل الساميون بها من دراهمهم الثافهة ديناراً وهاجاً متألقا عادت لهم به وحدتهم القومية واللغوية .

وننتقل من العراق والشام إلى مصر وشمال إفريقية ، فنلاحظ أن لغة قدماء المصريين وإن لم تكن صريحة في ساميتها كصراحة الآرامية والسكنعانية وأمثالها ، إلا أن المعجم العظيم الذي وضعه العلامة الأثرى المصرى أحمد كمال للغة المصرية القديمة دل على أن نحو ثلثها كان يوافق العربية المصرية في معانيه ومبانيه ، مع تسامح قليل في القلب والإبدال الموجود في اللغتين . ولو أن العربية المعاصرة لقدماء المصريين من قبل مصر ، بل ومن قبل إسماعيل ، كانت معروفة لنا الآن لثنين لنا أن نسبة التوافق بين المصرية القديمة والعربية التي كانت معاصرة لها أكثر بكثير من نسبة الثلث ، بل لا يبعد أن يكون التقارب بين اللغتين في تلك العصور أشبه بالتقارب بين لغة مصر العربية الآن ولغة معاصريها من أهل الحجاز ونجد ، وهذا نعلل رحلة إبراهيم من وطنه العراق إلى مهاجرة في الشام وزيارته لمصر وزواجه منها بهاجر وعيشته مع زوجته وذمابه بها وبابنها إسماعيل إلى الحجاز ، ولا نسرف إذا قلنا إن لغات تلك الأقطار كانت يومئذ كلها متقاربة ، ولا يبعد أن تكون لهجات للغة واحدة ، كما أن لغات هذه الأقطار نفسها الآن لهجات للغة واحدة ، فكان إبراهيم وهاجر يتكلمان ب لهجتهم في تفاهمان فيما بينهما ، ويتكلمان أهل الأقطار التي اتصل بها في تفاهمان معهم جميعاً . وإذا كان هذا حال اللغة المصرية القديمة فنزول العربية ضيفة عليها مع الإسلام قد حجبها إلى المصريين بحبهم للإسلام وأهله الأخيار الطيبين الرحماء الصالحين ، وبذلك كانت المعجزة بتسلم جيل الليث بن سعد المصرى المولود سنة ٤٤٠ قياد البلاغة العربية في مصر وأزمة فصاحتها ، وارثاً ذلك عن شيوخه وشيوخهم الذين كانوا من حادث دخول الإسلام إلى مصر قاب قوسين أو أدنى .

وما يقال عن مصر يقال عن جاراتها في الغرب : لوبياء والقبروان فالمغرب الاوسط والمغرب الأقصى ، وفي تلك الربوع بقايا الفينيقيين والقرطاجنيين وذكريات هنى بعل ، بل إن البربر يوغلون في شوط أبعد فيحملون إلينا مع تقاليدهم القديمة ذكريات علاقات لهم بالبين وأذوائه وإفريقش وما في الوعى التاريخي من أحلام لذيدة عن مجالاته في تلك الربوع .

وبعد فإن العربية في صدر الإسلام دخلت بلاداً تمت إليها بأواصر لغوية لا يستهان بها ، وهذا هو السر في أن العربية ثبتت بعد زوال سلاطنتها في البلاد السامية أو المنصلة بالسامية ، ولم تثبت في مثل إيران إلا في محيط العلم الديني ، ولم يبق منها في مثل الأندلس وصقلية إلا بقايا تتألق في لغة السكك ، كما تتألق بقايا العمران العربي تحت سماء تلك الاوطان .

وأحبُّ من إخواني الجامعيين إذا اتسع بهم البحث في مد العربية وجزرها أن يتمدوا على جهودهم وبحوثهم وسليقتهم ، فقد رأينا مثل الأب أنستاس ماري الكرملي يشكو تعصب بعض الأوربيين في هذه البحوث ، ويصرح لنا بأنهم متفاهمون فيما بينهم على سياسة لهم مبذبة على غمط العربية في كثير من حقوقها . وقد ردد الأب أنستاس هذه الشكوى في كتابه (نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها) المطبوع قبيل الحرب العالمية الثانية ، وأوجزه في فصل مستقل من ذلك الكتاب (ص ١٥٥ - ١٦٨) . وقد أذكرني ما كتبه الأب أنستاس الكرملي في موضوع غمط الغرب للشرق ، محاضرات كان الأستاذ ميكائيل أجولو جويدي من أساتذة جامعة روما ، ألقاها في قاعة الجمعية الجغرافية في القاهرة قبل بضع وعشرين سنة عن (علم الشرق وتاريخ العمران) ، وهي تنزع إلى معنى غمط الشرق كله ومصر القديمة بوجه خاص ، وتشعر قارئها بما وراهها من تحامل يؤدي شكوى الأب أنستاس الكرملي . وكل هذا يوقظ أفاضلنا الجامعيين ، ويحملهم على الاعتدال على أنفسهم في دراستنا القومية واللغوية عندما يعزمون استيفاءها ، وكل من سار على الدرب وصل .

محج الدين الخطيب

العربية في كمالها

يقول العلامة الفرنسي أرنست رينان في كتابه (تاريخ اللغات السامية) :
إن اللغة العربية ، لغة الصحراء ، هي اللغة الوحيدة التي عرفها الناس في دور الكمال ، ولا يعرف لها التاريخ طفولة ولا شيخوخة .

دقيقة للعالم مالم يلزمه الفضائل الخلقية

سأل مندوب (المصرى) فضيلة الاستاذ الاكبر عن رأيه فى التعليم وموقف الإسلام منه ، فقال فضيلته :

كانت إساءة الاستعمار باحتلاله العسكرى فى السبعين سنة الماضية ، ثم باحتلاله السياسى والاقتصادى ، أهون شراً وأذى لى دفع غوائله - على فدايتها - من إساءته لى مصر على يد دنلوب فيما رسم من خطط لتوجيه الثقافة المصرية العامة توجيهها آلياً يعنى بالقشور والشكليات ، ويتأى بالمدارس ومعاهد العلم عن أن تكون لها رسالة سامية من رسالات الله فى تهذيب النفوس ، وإعداد الجيل الصالح ، وتكوين الرجال الذين يعيشون لامتهم ، وينضون بها لى المستوى الكريم الذى يستحق أهله السعادة فى أنفسهم وفى مجتمعهم والاحترام من الأمم الأخرى .

والمناصب التى يواجهها الآن رجال الإصلاح فى تطهير الأداة الحكومية وإصلاحها ، وتقويم الإعوجاج الاقتصادى والاجتماعى . وتوجيه الأمة والوطن لى الخير ، لا شك أنها بعض نتائج هذه الناحية الضعيفة فى نظام التعليم كما رسم دنلوب خططه ووضع أسسه لىبتعد برجال المستقبل عن مواطن الخوف من الله وحده ، وعن معايير الفضائل والأخلاق ، وأن تكون للمصرى المتعلم رسالة سامية فى الحياة يحقق بها لوطنه السعادة والقوة والحياة والنشاط الدائب الدائم ، فطفقت هذه المصانع التعليمية تخرج الجيل بعد الجيل من المؤمنين بالمصلحة الذاتية وحدها دون المصلحة العامة ، وبالرفاهية الشخصية من الحلال والحرام وأن وصل الوطن لى الحالة التى تتحدث عنها الصحف اليوم وكان يبكى منها العقلاء دماء من قبل .

هذا التعليم فى المدارس المصرية من زمن كرومر لى يوم الناس هذا ، تعليم جاف لا يعنى بتكوين الإنسانية فى الإنسان ، ولا الإسلامية فى المسلم ، ولا الوطنية فى ابن الوطن ، ولا الرحمة والرفق والتعاون على البر والتقوى فى قلب الرجل المثقف ، ولا يصل حاضر الأمة بماضىها فى طريقهما لى أهداف قومية متحدة ، كما كان يجب أن تكون فى الأمة الأصيلة التى تحمل نفسها وللإنسانية أكرام أمانات الله وأنبلها .

ولعل أصدق شهادة على هذه الحقيقة جنوح كثير من كبار رجال وزارة المعارف نفسها - فضلاً عن غيرهم - لى تخريج أبنائهم فى مدارس أجنبية يعلمون أنها أسست لآبناء جاليات لا حاجة بهم لى كثير مما يحتاج لىه التلاميذ المصريون فى قوميتهم ودينهم ، لكنهم

اضطروا إلى الرضا لأنبائهم بهذه المدارس الغريبة عنهم ، العارية عن أمس حاجاتهم القومية والمالية ، فراراً من ناحية الضعف التي أزمّت عليها في مدارسنا ، واستشرى داؤها مدة نصف قرن وأكثر .

والآن وقد من الله بهذا الانقلاب الذي هباً برحمته أسبابه ، فقد آن لمدارسنا أن تبنى على أساس أن اكتساب العلم والمعرفة غاية مطلوبة لذاتها ، لا وسيلة يتذرع بها للحصول على الشهادة ثم الحصول بالشهادة على الوظائف ، نعم إن الوظائف تحتاج إلى موظفين مثقفين من حملة الشهادات بشرط أن تكون في قلوبهم مخافة الله في حقوق الأمة ومصالح أبنائها . وقد آن لها أن تبنى على أساس أن العلم إذ لم تلازمه الفضائل الخلقية والخوف من الله والحرص على مرضاته فإنه يكون حينئذ كالسلاح في أيدي من لا يحيز القانون أن يكون في أيديهم . بل من هنا تولدت الحاجة العظمى اليوم إلى التطهير والإصلاح ، وإذا لم يتغير اتجاه القطار في التعليم نستبقى هذه الحاجة إلى التطهير والإصلاح ما دمنا على ما نحن عليه .

وقد يظن البعيدون عن معرفة أثر الدين في نفوس الجيل أن العرض السطحي للأخلاق في كتب المطالعة وأمثالها يغني الناشئة عن تثبيت عقيدتها بالله وتوثيق معرفتها برسالات الله في مرحلتى التعليم الابتدائية والثانوية ، وعن تحقيق ذلك بتطبيقه عملياً حتى يتمرن التلاميذ عليه ، وتكون فضائله سجيّة ، لا عادة . وكل تقصير في ذلك يجعل الانحراف الناشئ عن زيف العقيدة أصعب صلاحاً من الانحراف الناشئ عند طغيان الشهوة لأن زائف العقيدة يستهين ببعض محاسن الآداب بزعم أنها ليست من الحسن في شيء ، أما المغلوب للشهوة وحدها فإنه ينصرف عن الحسنة معترفاً بأنه أقبل على سيئة . لذلك كانت معالجة المغلوب للشهوة أهون من معالجة من زاغت عقيدته لتهاون المدرسة في حياطة هذه العقيدة والقيام على أمانات الله فيها .

وإذا كان سوء الأخلاق - الذى هو علة اختلال النظام ، ينشأ من زيف العقيدة تارة ومن طغيان الشهوات تارة أخرى ، فإن الإسلام دين يثير العقول بالحجة ، ويهذب النفوس بالحكمة ، وكما أخرجت مدارس ومحامس القوامين على هدايته ، من رجال يلاقون الأسود فيصرعونها ، ويخفزون اجنحتهم تواضعاً للمستضعفين . وإن سماحة الدين وما له من الأثر الخطير في إعداد أمة روحها البطولة ، وزينتها التقوى ، وغايتها السيادة ، من أشد ما يبعث أولى الأمر منا على أن يضعوا علوم الدين بالمكانة العليا ، والتربية على آذانه وفضائله - بالإشراف ، والمراقبة ، والتدريب ، والتدو - في مقدمة ما يطلب من مدرسة العهد الجديد أن تحقّقه لهذا الوطن .

إن هذه الأمة مسلمة ، والأمة المسلمة لا ترضى إلا أن يكون أبنائها مطمئنين بحجج الدين الخنيف ، سائرين في ضوء حكمته الغراء ، مسترشدين بسيرة عظماء السلف ، وينشدون فيها مثلهم العليا . وإذا وجد في الناس من لا يؤمله أن يكون ولده في ظلام من الغي ، فأمثال هؤلاء على قلائهم طائفة استهواهم زخرف الحياة غروراً ، وما كان للحكومة الرشيدة إلا أن تقيم سياستها على رعاية ما فيه خير الفشء ويكون قسط تلك الطائفة في هذه السياسة تقويم عوجهم . وإذا أهملت بلا تربية أبنائها على الدين باض الإلحاد وأفرخ في أدمغتهم يوم تكون في أيديهم أزمته ، ويا شقاء أمة يتولاها من لا يخاف الله ولا يتوخى مرضاته .

تحية

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ

محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر

سُبْحَانَكَ لِلْإِسْلَامِ فَضْلُ جَلَالِهِ شَيْخِ سَمَاءٍ بِفَعَالِهِ وَخِلَالِهِ
نُورِ الْهُدَايَةِ فِي أَسْرَةِ وَجْهِهِ مُتَأَلِّقِ كَالْبَدْرِ عِنْدَ كَمَالِهِ

* * *

« شَيْخِ الشُّيُوخِ ، لَقَدْ حَلَّتْ مَكَانَهُ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ الْغُرِّ مِنْ أَبْطَالِهِ
سَيَانِ مَاضِيكَ الْجَمِيدِ وَحَاضِرِ كَالضُّوءِ عِنْدَ ضُجَاهِ أَوْ آصَالِهِ
عَلَّمَ لَهُ فِي كُلِّ عِلْمٍ جَوْلَةً ، حَتَّى لَبِئْنِي مِنْ كِبَارِ رِجَالِهِ
« الْأَزْهَرِ الْمَعْمُورِ ، يَآمِلُ فِيكُمْ تَحْقِيقَ مَا يَرْجُوهُ مِنْ آمَالِهِ
إِنَّا لَنَعْرِفُ فِيكَ دِينًا قَبِيًّا « عَوِذْتُ دِينَكَ بِالنَّبِيِّ وَآلِهِ ،

من الأستاذ الأكبر

إلى أبنائه الطلبة ، لمناسبة افتتاح العام الدراسي الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فباسم الله تعالى ، وعلى بركته ، نستقبل عاماً دراسياً جديداً في عهد جديد ، والعهد الجديد يطلب من كل فرد أو جماعة أن يحقق الغاية التي يناط به تحقيقها .

والغاية التي يناطها الله بكم ، وجعلها أمانة في أعناقكم ، هي غرس الدين وتقوية اليقين في الأمة ، وتربية الفضائل فيها ، واجتثاث الرذائل منها ، ونشر الأخوة الإسلامية والوطنية بين أفرادها ، وإحلال المحبة والتراحم محل التباغض والتشاحن ، وإحلال التعاون على البر والتقوى محل التعاون على الإثم والعدوان .

بهذه التربية الرشيدة ، تنشأ الأمة مؤمنة قوية ، شديدة الأسر ، عزيزة الجانب ، تأبى الضيم ، وتفر من الاستعباد ، وتكون من الأمم - بحق - موضع الإجلال والكرامة ، بل موضع القدوة والزعامة .

إن غايتكم هذه هي غاية الأنبياء والمرسلين ، وقد جعلكم الله ورثتهم : تقومون بما قاموا ، وتؤدون لله والوطن ما أدوا . إنها أسى غاية وأنبها ، وبدونها يكون كل إصلاح - وإن اجتهد صاحبه - سطحياً ظاهرياً لا ينفذ إلى باطن الأمر ولبه ، بل يكون رقماً على الماء ، أو نقشاً في الهواء . وقد نبه على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول : .. ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله . ألا وهي القلب .

أبنائي : إن الأمر الجسم ، لا ينال إلا بالعمل الجسم ، والإعداد القوي .

فعليكم أيها الطلاب أن تعدوا أنفسكم لهذا الأمر الجلل ، وذلك بأن تكمّلوا أنفسكم بالعلم ، وتهذبوها بالخلق ، وتعملوا غايتكم أمامكم ، لتسدّدكم وتقويكم وتشد من عزائمكم . وستجدون إن شاء الله من أساتذتكم آباء رحماء ، ينهلونكم من مناهل العلم والتثقيف ، ويعنون بكم في الدرس وفي خارج الدرس ، ويرعونكم ويوجهونكم ، ويحلون ما يعرض لكم من مشكلات في حياتكم العلمية والاجتماعية . وسيربط بينكم بإذن الله رباط وثيق من المحبة والتعاون على بلوغ هذه الغاية العظمى .

سددكم الله وقواًكم ، وأعاننا وإياكم على هذا الإصلاح العظيم ، في هذه النهضة العظيمة المباركة . والسلام عليكم ورحمة الله .

عهدان

أما أحدهما فليل بهيم ، وأما ثانيهما فصحيح منير .

أما الأول فقد تصرم وانقضى وشيعناه ساخطين غاضبين ، لم نقل في كنف الله وفي ظله ، غداة ولّى وراح ، وأما الثاني فقد أسفر فجره ، وأنبثق نوره ، واستقبلناه راضين مستبشرين ، قائلين : حملت سهلا ، ونزلت أهلا .

كان العهد الماضي عهد الهوى والاستبداد ، والظلم والفساد ، والوساطات والشفاعات ، والرشوة والمحسوبيات ، وظلم الأقوياء للضعفاء ، وأما العهد الثاني فهو ، إن شاء الله ، عهد الطهر والعفاف ، والعدل والإنصاف ، والقدرة والكفافية ، والتعاون بين الحاكمين والمحكومين ، والفقراء والموسرين .

وكل من يحب أمته يرجو لهذا العهد أن يمكن الله له : وأن يزداد على توالي الأيام رسوخا ، وأن يجعلها الله صحة لا نكسة فيها ، وتقدما لا رجوع فيه ولا انتكاس . وليس إدراك ذلك بالأمل والتنى ، وإنما هو بالعمل والإنتاج ، وذلك بأن يفرض كل واحد نفسه مجتادا في الصفوف الامامية من الثورة ينظر إلى أهدافها ، ويعمل على تحقيقها ، وأن يسدها ويقدم لها خير ما يجود به فكره . إن الثورة لها أهداف فيجب أن تبين أهدافها ، ولهذه الأهداف سبل ، فيجب أن تبين سبلها ، المستقيم منها وغير المستقيم ، وأن يتولى ذلك كل في اختصاصه ، وما هو منه بسبيل .

وأرجو أن أقوم بذلك إن شاء الله ، في الدائرة التي أنا فيها ، دائرة العلم والتهذيب ، وإن كان جهد المقل ، وسير الضعيف .

وأول ما ينبغى أن أبيّنه هو التعريف بالثورة نفسها وبرجالها وبأهدافها ، لأن من الناس من جعلوا مقاصدها السامية فانقادوا للشغب متأثرين بتضليل المضللين ، ولأن أذ أكتب عن رجال الثورة ، لست أكتب عنهم لسابقة معرفة ، وإنما أكتب فيما بدا من أفتاحهم ، وأستخلص نياتهم وأخلاقهم ، مما ظهر من عفتهم وزهدهم .

هذه الثورة فريدة فذة في التاريخ ، لم تنسج على منوال سبق ولا مثال تقدم ، فقد مشى لطيتها وثيدة مطمئنة ، لم يجعلها خوف ، ولم يشملها ظفر ، ولم يحملها حقد ولا بغض على أن تجور وتظلم . نرى الثورات في التاريخ يجعلها الخوف فتقتل وتسرف في القتل ، ويشملها

النصر فتطغى وتسرف في الطغيان ، ويحملها الحقد الدفين على ألا تذر شيئاً أتت عليه إلا جعلته كالريم .

أما هذه الثورة ، ففي لينها ورحمتها وإثباتها واتساقها وعدلها ، ما يدعو المرء إلى ألا يطلق عليها اسم الثورة .

لم يكتف الثائرون بضبط نفوسهم ، بل أرادوه من الشعب المغيظ المحنق ، فكان ما أرادوا فشت الحياة اليومية على سبيلتها : وادعة مطمئنة لا خلل فيها ولا اضطراب .

وكما أن هذه الثورة فذة في التاريخ ، كذلك أصحابها الذين قاموا بها أفذاذ في التاريخ ، لم يقوموا لنفع شخصي ، ولا لغرض مادي ، إنما قاموا ليتقذروا أمتهم من الفوضى والفساد ، والظلم والاستبداد ، وليس أدل على ذلك من أن قواد الثورة أزالوا الملك عن عرشه في ضجة من فرح الشعب وتهليله ، وكان لهم كل ما يشاءون إن أرادوا : من المال والجاه والسلطان لا ينافيهم منازع ، فقفوا عن ذلك كله : عففوا عن القصور والدور ، والضياح والزروع ، ونظروا إليها باحتقار وازدراء .

فهل رأى التاريخ أشرف نفساً ، وأنبل مقصداً ، وأسمى غاية وأزهد في السلطان ، والجاه والمال والغنى من هؤلاء القواد البواسل .

ليس الزاهد من زهد في الدنيا وهي عنه معرضة ، إنما الزاهد من زهد فيها وهي عليه مقبلة . لقد بلغ من زهدهم أن قاندهم منح رتبة الفريق ومرتبها ، فأبى الرتبة وما يتبعها من مرتب . وكذلك فعل إخوانه حين تولوا قيادة الأولوية ، ورفضوا مرتباتها . ألا إنه زهد وأمانة وعفة يقضى المرء منها العجب ، وأعجب منها أنها وجدت في ذلك العصر المتعفن .

يروى التاريخ أن عمر بن الخطاب جاءه المجاهدون الذين فتحوا بلاد كسرى بتاجه - وكان من ذهب ومرصعاً بالأكلى - فقال : إن قوماً أدوا هذا لأبناء . فإذا كان يقول عمر لو رأى أبطالاً الذين أدوا التاج والعرش والضياح الواسعة والجنان الوارفة والجاه الطويل العريض . هذه الثورة ، وهؤلاء أبطالها ، وهذه أغراضها : شجاعة وإقدام وحلم وأناة ، وعفة وزهد ، وسمو وشرف ، وترفع وإباء .

كجنود عمرو كلما ركزوا القنا عففوا يداً ومهنداً وسناناً

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

الغنى بالمرزوق

المعنى واللغز

المعنى وصف من عمت الشيء على آخر، إذا أخفيته عنه وابسته عليه، فلا يهتدى له. وقد تعورف المعنى في الخفي من القول لا يبين إلا بعد إتمام النظر وقدرح الفكرة. وأصل ذلك من العمى، كأن السامع في عمى لما لم يدرك وجه الكلام ومغزاه.

واللغز - بضم فسكون، وبضم ففتح - في الأصل: جحر يحفره اليربوع ملتويا منحرفا، يلجأ إليه حين يقصد في جحره المستقيم. وقد أريد به ما أخفى معناه من الكلام وألبس، تشبهاً بالغز اليربوع.

وترى أن المعنى واللغز يثولان إلى مغزى واحد، وهذا هو المعروف عند قدامى العلماء. وسأسير على هذا النهج حتى أعرض لاصطلاح المحندين.

والتعمية للمراد والإلغاز فيه، تنكاد في بعض المواطن تكون من طبيعة الناس. ويدعو إلى التعمية الرغبة في إخفاء بعض الأغراض، أو التفاضل واختبار ذكاء السامع وابتلاء زكائه. وألغاز التفاضل تعرف بالأحاجي، واحدها أحجية ويقال لها أيضا الأداعي واحدها أدعية. ويقال في ذلك: حاجاه، وداعاه إذا ألقى عليه أحجية أو أدعية. وهذا الضرب يقع بين العامة كثيراً، ويسمون الأحجية حزورة، وهي فعولة، من الحزر وهو الحذر والحزم والنخمين. وقد يقولون في بدء المحاجة: حزورة فزورة، ويبدو أن الكلمة الثانية إتباع للأولى، كقولهم: حسن بسن.

ومن أمثلة المحاجة عند العرب قول الشاعر في السيوف:

أداعيك ما مستحقات مع السرى حسان وما آثارها بحسان
مستحقات أى محولات، وهذا الوصف يلبس بالنساء.

ومنها قول الشاعر في القلم.

حاجيتك يا خنسا في جنس من الشعر
وفيما طوله شبر وقد يوفى على الشبر

له في رأسه شق نطوف ماؤه بحرى
أبني لم أقل هجرا ورب البيت والحجر

والنطوف وصف من نظف أى سال وقطر أراد سيلان الخبر، وهو ماؤه . ولما كان هذا الوصف يوم هن الرجل ، وهو مالا يصح المحاجة به لنساء قال لم أقل هجراً .

ومن أمثلة الخزورة عند العامة قولهم في القميص : أبويا بنى لى بيت ما يسعشئ إلا نا . وقولهم في جنين الحيوان تجناز أمه البحر : عدى البحر وما تبش ، وقولهم في الإبرة فيها الخيط : قد الصباع ، وديها وراها دراع ، وقولهم في الطهاط : قاعد فى الخط أحمر زلبط . وزلبط أى أماس لا زغب عليه . وأصل ذلك فى الرأس يحلق بالموسى ، يقال : حلق زلبط ، والخط هنا : السطر فى الزرع . والمعنى يقع فى الكلام على أنحاء .

١ — فقد تقع التعمية بذكر أوصاف ظاهرة فى غير المراد ، أو بذكر كلمة ظاهرة فى غير المقصود . وللاستعارة والتشبيه والاشتراك اللغوى عمل كبير هنا .

وأكثر ما يقع هذا الضرب فى أبيات المعانى ، وهى التى تتوج إلى أن يسأل عن معانيها ، وقد ألف فيها كثير من العلماء . ومما طبع منها كتاب معانى الشعر لابن عثمان الأشنادانى ، طبع فى دمشق سنة ١٣٤٠ هـ ، والمعانى لابن قتيبة ، وقد جاءنا أخيراً من الهند . ومن أمثلة هذا قول الشاعر :^(١)

ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش فى وكريه جاشت له نفسى

أراد بالنسر الشيب ، شبه به لبياضه ، وابن دأية : الغراب الاسود ، أراد به الشباب لأن شعر الشباب أسود .

ومن هذا قول الشاعر^(٢) :

ولقد رأيت مطية معكوسة	تمشى بكلكلها وتزجها الصبا
ولقد رأيت الخيل أو أشباهها	تنثى معطفة إذا ما تجتلى
ولقد رأيت مكفصراً ذا نعمة	جهوده ؛ بالإعمال حتى قد وفى

(١) انظر اللسان فى لغز ودأى .

(٢) الأمال ٢٦٧/١ .

أراد بالمطية المعكوسة ، سفينة . وجعلها معكوسة إذ كان كلكتها وصدرها معطوفان إلى الوراء ، يقال : عكس الدابة إذا جذب رأسها إليه لترجع القهقري ، وأراد بالخيل : تصوير على صورة الخيل في وسائد ، فهي تنثى للجلوس عليها ، وأراد بالمكفر : السيف ، والمكفر : المستور المغطى ، والسيف يكفر في الغمد . ويرى القارىء في الشعرين السابقين الاعتماد على الاستعارة والتشبيه في التعمية .

ومن هذا ما جاء (١) في التعمية عن الحسنة بما يوم أنها نار :

ومشوبة لا يقبس الجار ربها ولا طارق ظلماء منها يؤنس

متى ما يزرها زائر يلف دونها عقيلة دارى من العجم تفرس

أراد بالمشوبة : الحسنة الجميلة ، وأصل هذا في وصف النار . وأراد بربها : زوجها ، وهو لا يدع الجار يقتبس من حسناتها والمتاع بها كما يقتبس النار . والدارى المنسوب إلى دارين ، وهى فرضة بالبحرين فيها سوق ، يحمل إليها المسك من ناحية الهند ، وأراد به العطار الذى يهده المسك والطيب . والعقيلة : أكرم الشيء وأنفسه ، أراد به المسك ، وقوله : تفرس أى تشق فتفوح ريحها .

وقد ألغز الشاعر بالمرأة وهو يريد النار في قوله :

وشثناء غـبراء الفروع منيفة بها توصف الحسنة أو هى أجمل

دعوت بها أبناء ليل كأنهم وقد أبصروها معطشون قد آهـلوا

أورده صاحب الامالى في آخر الجزء الاول ، وقال : يصف ناراً ، وجعلها شثناء لثفرق لها ، وغبراء الفروع لدخانها ، والفروع : الاعالى ، ومنيفة : مرتفعة ، يريد أنها على جبل أو فى مكان عال . وقوله : د بها توصف الحسنة ، أى بها تشبه الجارية . وذلك أن العرب تصف الجارية فتقول : كأنها شعلة نار . . . وقوله : د دعوت بها أبناء ليل ، يعنى النار ، دعا بضوئها أبناء ليل ، أى قوماً سـروا ليلاً تجاروا عن القصد ، وقوله : د كأنهم قد أبصروها معطشون ، يعنى أنهم من فرحهم بهذه النار كأنهم قوم كانت عطشت لإبـاهم فأنهلوا أى رويت لإبـاهم ، .

ومن الإلغاز في النار أيضاً قوله :

وزهرهـا إن كـفنتها فهو عيشها وإن لم أكفنها فوت معجل

أورده القائل^(١)، وقال: «يبنى النار. هي زهراء أى بيضاء زهر، يقول: إن قدحتنا نخرجت فلم أدركها بخرقه أو غير ذلك مانت، فهو يريد بتكفيها أن يلقاها في خرقه أو صوفة أو قطنة، وإذا تعيش وتحيا، فأما إن لم يفعل ذلك فلا يكون سبيل إلى الحصول عليها. ومن الإلغاز في القدر ما رواه ابن الأعرابي^(٢).

ألقت قوائمها خساً وترنمت طرباً كما يترنم السكران
أراد بقوائمها: الأثافي التي تنصب عليها، وجعلها خساً أى فرد أو وترأ غير زوج لأنها ثلاث، وهي ترنم لغليانها، فهي تصوت كالطرب.
ومن هذا الضرب ما يستعمل في الرسائل التي يراد إخفاء المراد منها في بعض المواطن، ويقرب هذا عما يعرف في اصطلاح العصر بالشفرة.

ومن أمثلة هذا أن^(٣) رجلاً من تميم كان أسيراً في بسكر بن وائل، فسألهم رسولا إلى قومه فقالوا له: لا ترسل إلّا بحضرتنا، وكانوا قد أزموا حرب قومه تميم فخشوا أن يذره. فقال الأسير للرسول: أبلغ قومي التحية، وقل لهم: ليسكرموا فلانا - وهو أسير بكر عندهم - فإن قومه لى مكرمون. وقل لهم: إن العرفج قد أدبى، وقد شكت النساء، وأمرهم أن يعرفوا نأقى الحمراء، فقد أطالوا ركوبها، وأن يركبوا جملى الأصهب، بآية ما أكلت معكم حيساً، واسألوا الحارث عن خبرى. فلما أدى الرسول الرسالة قالوا: لقد جن الأعور! والله ما نعرف له نأقه حمراء ولا جملاً أصهب. ثم سرحوا الرسول، ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة. فقال: قد أذكركم. أما قوله: «قد أدبى العرفج، فإنه يريد أن الرجال قد استلأموا. وقوله: «شكت النساء، أى اتخذت الشكاه للسفر، وقوله: «نأقى الحمراء، أى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصبان، وهو الجمل الأصهب، وقوله: «بآية ما أكلت معكم حيساً، يريد أخلاطاً من الناس قد غزوكم؛ لأن الحيس بجمع التمر والسمن والاقط. فامثلوا أمره وعرفوا خوى كلامه.

وأعود إلى شرح بعض الكلم في القصة: فالعرفج نبات له ثمرة خشنة كالحسك، وهو كثير القضبان والامتداد في الأرض، وإدباؤه أن ينضج وتمتد أعواده، وذلك إذا أصابه

(١) الأمال ٨٨/٢

(٢) الأمال ١٤٥

(٣) الأمال ٦/١

المطر . وقد ضربه مثلاً لاستسلام الرجال أى لبسهم اللامة وهى الدرع ، كأن الرجل إذ يلبس الدرع كالعرفجة إذ تبدو ثمرتها التى هى كالحسك وهو الشوك ، وكثرة الرجال وانتشارهم كالعرفج إذ يمتد فى الأرض . والشكاء جمع الشكاوة ، وهى وعاء من أدم كالقربة يحبس فيه اللبن . والدهناء : أرض لبنى تميم فى نجد سهلة ، شبهها بالناقاة لسهولة ركوبها ، ولما كان تأنيث لفظها . والصمان : بلد لهم أيضاً أرضه صعبة الموطىء ، فشبهها بالجل لصعوبته ، ولما كان تذكير اللفظ .

وكأنما أعجب هذا بعض الشعراء فنظمه فى قوله :

خلوا عن الناقاة الحرام وارتحلوا الـ - عود الذى فى جنبى ظهره وقع
إن الذئاب قد اخضرت برائنها والناس كلهم بكر إذا شبعوا

فالناقاة الحرام هى الدهناء ، كما سلف . والعود - وهو الجمل المسن - الصمان . وجعل فى ناحيتى ظهره وقعا - وهو أثر الدبر فى ظهر البعير - لما أنه وطىء وكثرت فيه آثار الناس . فهو ينصحهم أن يتركوا الدهناء ويعتصموا بالصمان ، وهو صلب يشق على الخيل أن تطأه . والدهناء يمكنه سهلة . ووصف أن أعداءه - وكفى عنهم بالذئاب - اخضرت برائنها ، أى أن أرضهم أخضبت وكثر العشب فيها ، فالأقدام مخضرة من السكلا . وهذا يدعوهم إلى الغزو إذ تقوى إبلهم وخيالهم . وقد كان حى بكر بن وائل من أشد الأحياء عداوة لبني تميم حتى صارت كلبة بكر مثلاً عندهم فى العدو ، فهو يقول : الناس كلهم بكر - أى عدو - إذا أخصبوا . وقد جرت تميم أمثال فى عداوة بكر ؛ كقولهم : لا تبت من بكرى قريباً ، وقولهم : البكرى أخوك فلا تأمنه .

٢ - وقد تكون النعمية من قبل اشتراك اللفظ وإرادة غير المعنى المتبادر منه ، ومن استعمال الغريب .

ومن أمثلة ذلك قوله - وتقدم أبيات من مقطوعة هذا الشعر - :

ولقد رأيت غضيضه هركولة رؤد الشباب غريرة عادت فقى

الهركولة : الحسنة الجسم والخلق والمشية . والرؤد : الشابة الحسنة . وقوله : عادت فقى هو من العيادة ، وهى الزيارة ، والمتبادر إلى الذهن أن تؤخذ من العود ، ومن هنا جاء الإلباس . ومن هذا الشعر المشهور فى كتب^(١) النحو ، وهو :

إنى رأيت غزالاً أورث قلبى خبالاً

(١) انظر مبحث كان وأخواتها .

قد صار كلباً وقرداً وصار بعد غزالاً

فقوله : صار أى ضم ، ومنه قوله تعالى : فُصِرْهُنَّ إِلَيْكَ .

ومن هذا ما يروى ^(١) عن الشافعى رضى الله عنه أنه سئل : هل أسمع شهادة الخالق ؟ قال . لا ، ولا روايته ، أريد بالخالق الكاذب ، لأنه يخاف الكذب ويفتره . وسئل : فارس المعركة إذا قضى على أبى المضاء قبل أن يحصى الوطيس ، هل يستحق السهم ؟ قال : نعم إذا أدرك الواقعة ، فقوله : قضى أى مات ؛ وأبو المضاء كنية الفرس .

ومن الضرب الذى جاء عن الشافعى ما يعرف بفتياً فقيه العرب ، وهى تنبئ على الإتيان بغريب اللغة ، وتكون لهذا غريبة فى الحكم والإفتاء منسكرة فى ظاهرها وقد ألف فى هذا الفن ابن فارس تأليفاً لطيفاً سماه بهذا الاسم وبنى الحريرى المقامة الثانية والثلاثين على هذا الباب . ومن أمثلة ما جاء فى هذه المقامة : د ما تقول فيمن توضع ثم لمس ظهر نعله ؟ قال : انتقض الوضوء بفعله ، فالعل هنا الزوجة . وقد جرى الحريرى على مذهب الشافعى فى هذا الحكم إذ كان شافعى المذهب ومنها : د قال : أيجوز للدارس حمل المصاحف ؟ قال : لا ولا حملها فى الملاحف ، الدارس هنا الحائض . (للحديث بقية)

محمد على النجار

الاستاذ بكلية اللغة العربية

حكم

مُصْنُوعٌ وَعَدُّكَ عَنِ الْخَلْفِ فَإِنَّ الْخَلْفَ شَيْنٌ .

وشب وعيدك بالعفو فإن العفو زين .

وكن عبداً للحق فإن عبد الحق حر .

واظهر لاهلك أنك منهم ، ولاصحابك أنك لهم ولرعيته أنك بهم .

(١) انظر المزهري فى أواخر الجزء الأول .

تاريخ الأمم والملوك

لابي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠

مفارقات :

من عجيب المفارقات في تاريخنا وتواريخ الأمم الأخرى ، وفي موقفنا من تاريخنا ومواقف الأمم الأخرى من تاريخها ، أن نكون أغناهن جميعاً في كل ما يبنى به تاريخ الأمة من أنباء ونصوص ومراجع وقرائن وإشارات وتحقيقات ، ثم نبقي أفقرهن وأقلهن انتفاعاً بهذه الثروة في إقامة معالم تاريخنا على أساسها ، بينما الآخرون قد أحدثوا - حتى من الأوهام - مكتبات جديدة لأجيالهم وجمادير قرائهم ، حافلة بالطلي الشهى من صفحات ماضيهم ، فوثقوا أو أصر خلفهم بسلفهم ، ويسروا لهم القدوة الحسنة بعظمة العظماء من نوابغهم ، وبعثوا لهم من ذلك الماضي صوراً حية ترتفع الرؤوس بأجسادها ، وتمتلئ القلوب بإجلالها واحترامها ، وتطمئن العقول إلى تعليل تصرفاتهم والاعتبار بها ومواصلة السير نحو أهدافها .

مواطن ضعف :

ومواطن الضعف - التي أدت ببعض معاصرنا من حملة أمانات التاريخ العربي والإسلامي إلى أن يكون انتفاعهم بهذه « التركة » ضئيلاً - لا يكاد يأتى عليها الحصر . وما يتبادر إلى الذهن منها الآن أمران :

أولهما - أن الذين تتقنوا منا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأهم « غرباء » عن هذا الماضي ، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء النيابة من المتهمين . بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر المتجرد عن كل آصرة له بماضى العروبة والإسلام ، لئلا يتهم في زعمه بالعصبية لها ، فوضع نفسه في موضع التهمة بالتعامل عليهما ، جرياً وراء بعض المستشرقين في ارتياحهم حيث تحسن الطمأنينة ، وفي ميلهم مع الهوى

عندما يدعوم الحق إلى الثبوت ، وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم أشياء الدلائل عليه . ولو أن إخواننا هؤلاء نشأوا على الإيمان بأهم هم أصحاب هذه التركة ، وبأن هذا الماضى ماضيتهم ، وأن جيلنا حلقة في سلسلة هذا الماضى ، وأن أحداثه ثروة لنا في القدوة والاعتبار ، لنظروا إليه بعين الام إلى ابنها ، إن لم ينظروا إليه بعين الابن إلى أمه ، ولا يكون ذلك إلا بتبني هذا التاريخ ، والحرمة له ، وبث الحياة في أمجاده ، والحرص على استجلاء جماله ، وإبراز فضائله ، وتحري مواطن العظمة والاعتبار في أخطائه ، وحسن التعليل لذلك بالرفق والإنصاف وكال التقدير . على أنه إذا كان هذا حال أهل الصبر منا على البحث والدرس ، فما بالك بالآخرين الذين قد تقع أنظار الواحد منهم على بحث فجح لمستشرق ناشئ أو مذنب ، فيفتحل ذلك البحث من غير تعب ، ويزعمه لقرائنا مبتكراً من عنده ، وينقله لنا محرف الاعلام ، متضارب الاحكام ، مزودج الهى ، ملتبس الحماسة في التحامل حتى على الفضائل عندما ينظر إليها - بعينه أو بعين من ترجم عنه - من وراء منظار أسود .

ذلك أحد مواطن الضعف في دراستنا لتاريخ العرب والإسلام ، أما المواطن الآخر فهو ما لاحظته على بعض المعاصرين لنا من اشتباه الأدلة التاريخية عليهم ، وحيرتهم بين جيدها وأجودها ، بل فيهم من لا يميز بين الجيد منها والردى ، مع أن ذلك كان في متناول يده لو سبق له معرفة موازين روائنا في النقد ، أو وقف على مناهجهم في التأليف ومصطلحاتهم في الرواية ، ومراميمهم في الاستشهاد .

وقد اخترت اليوم من هذه المراجع كتاب (تاريخ الامم والملوك) للإمام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠) لأنحدث عنه إلى إخوانى المشتغلين بالتاريخ ، ممن يحاولون الانتفاع به في الاستدلال والنقل ، لأنى رأيت منهم من يظن أن لإبراد الطبرى خبر من الأخبار كاف لتحصيل هذا الإمام مسئولية الخبر الذى أورده ، واعتباره هو المصدر لهذا الخبر ، وأن الأخبار التى يوردها سواء كلها في ميزان الصحة عنده ، وأن عزوم الخبر إلى الطبرى ودلائهم على موضعه من تاريخه تتم بهما مهمتهم من الاستدلال ، وتبرأ بذلك ذمتهم من عهدة هذا الخبر ، ويبقى الطبرى هو المحتمل لمسئولية ما يترتب على ذلك في الحكم على أحداث التاريخ وعلى أقدار رجاله وتصرفاتهم .

إن ظنهم هذا لا يغنى من الحق شيئاً ، وإن الطبرى ليس هو صاحب الأخبار التى يوردها بل لها أصحاب آخرون أبرأ هو ذمته بتسميتهم ، وهؤلاء متفاوتون في الافدار ، وأخبارهم

ليست سواء في قيمها العلمية ، ولا يتم اعتبار الطبرى مرجعاً في التاريخ إلا بإكمال المهمة التي بدأ بها ، وهي تقدير أخباره بأقدار أصحابها ، ففيها ما يعد من سلسلة الذهب ، وفيها ما لا تزيد قيمته على قيمة الخنزف ، ولكل ذلك نقاده وصبارفته وتجاره ، وهم يعرفون أقدار هذه الاخبار عند التعريف بأقدار أهلها ، وقديماً قيل : وما آفة الاخبار إلا رواها .

أُنَى لَكَ هَذَا؟

إن كل خبر في تاريخ الطبرى ، بل كل نص يتناقله أهل العلم في أجيال الإسلام ، له عند أهله قيمة رفيعة أو وضيفة ، على قدر شرفه أو خسته بالرواة الذين ينتسب إليهم ذلك الخبر أو ذلك النص . فشرّف الخبر في التراث الإسلامى تبع لصدق راويه ومنزلته من الأمانة والعدالة والتثبت . لذلك امتازت كتب سلفنا الأول بتسمية الرجل المسئول عن أى حديث نبوى يوردونه فيها ، وبيان المصدر الذى جاءوا منه بأى خبر تحدثوا به الى الناس . ولو لم يسموا الرجل المسئول عن الحديث النبوى عند إيراد ، ولو لم يدينوا المصدر الذى حصلوا منه على أى خبر يوردون ذبوعه بين الناس ، لطالبهم بذلك علماء الثقافة الإسلامية بأشد من مطالبة المحاكم من يدعى ملكية العقار أو الحقل بما يثبت ملكيته له ومن أين صار ذلك إليه؟ وإذا كان مبدأ "أُنَى لَكَ هَذَا؟" مما سنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في مشروعية امتلاك الاموال ، فإن أبناء الجيل الذى منه عمر بن الخطاب هم الذين سنوا للناس بمدم وجوب بيان مصادر العلم ، كما سنوا لهم وجوب بيان مصادر المال ، والعلم أثمن عندهم من المال وأشرف ، وأنفع منه وأبقى .

نحن نعتبر تاريخ الطبرى الآن من أقدم مصادرنا ، وكان تاريخ الطبرى في النصف الثانى من القرن الثالث (أى قبل أحد عشر قرناً) يعد من مصادر التاريخ الإسلامى الحديثة بالنسبة إلى المصنفات التى دونت قبله بثلاثة بطون ، بل بأربعة . ولعل أقدمها مغازى مؤرخ المدينة موسى بن عقبة الأسدى المتوفى سنة ١٤٠ هـ ، وهو الذى يقول فيه الإمام مالك "عليكم بمغازى ابن عقبة فإنه ثقة" ، وهى أصح المغازى ، وابن عقبة من تلاميذ عروة بن الزبير وعائقة بن وقاص الليثى . ومن طبقة تلاميذه العراقيين سيف بن عمر التميمى السكونى المتوفى بعد سنة ١٧٠ هـ ، وله فى سنن الترمذى حديث واحد ، والطبرى يروى عنه بواسطتين ، أى عن شيوخه وهم عن شيوخهم الذين كانوا تلاميذ لسيف . ومن طبقة تلاميذ موسى بن عقبة مؤرخ الشام أبو إسحاق الفزارى الحافظ المتوفى سنة ١٨٦ هـ ، وهو حفيد أسماه بن خارجة

الفزارى وكان له كتاب فى التاريخ أنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية فى مقدمة أصول التفسير^(١) ، بعد أن قال : « إن أعلم الناس بالمغازى أهل المدينة ، ثم أهل الشام ، ثم أهل العراق ، فأهل المدينة أعلم بها لأنها كانت عندهم ، وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ما ليس لغيرهم . ولهذا أعظم الناس كتاب أبى إسحاق الفزارى الذى صنفه فى ذلك . وجعلوا الأوزاعى أعلم بهذا الباب من غيره من علماء الأمصار . » ويأتى بعد تلاميذ موسى بن عقبة طبة يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموى المتوفى سنة ١٩٤ هـ ، ومن مؤرخى الشام الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقى مولى الأمويين المتوفى سنة ١٩٥ هـ ومحمد بن عمر الواقدى المدنى قاضى العراق المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ثم كاتبه المؤرخ الحافظ الثقة محمد بن سعد بن منيع البصرى (١٦٨ — ٢٣٠) . ومن هذا الجو العلى استمد أبو جعفر الطبرى هديته السكرى إلى الأمم الإسلامية بما سجله وخسلده من جهود شيوخه وشيوخ شيوخه ومن سبقهم إلى زمن التابعين والصحابة ، فلم يترك مهماً من أخبار سلف الأمة مما أثر عن الأئمة الذين سمينا بعضهم إلا وقد دون طرفاً منه ، ناسباً كل خبر إلى صاحبه وإلى من يرويه عنهم صاحب ذلك الخبر من شيوخه وأسلافهم .

الأخبار الضعيفة عند الطبرى :

لم يقتصر الطبرى على المصادر التى أثرت إلى بعضها ، بل أراد أن يتفق قارئه على مختلف وجهات النظر ، فأخذ عن مصادر أخرى قد لا يثق هو بأكثرها ، إلا أنها تفيد عند معارضتها بالأخبار القوية ، وقد تكمل بعض ما فيها من نقص . كما صنع بنقله كثيراً من أخبار أبى مخنف لوط بن يحيى الأزدي الذى قال فيه الحافظ الذهبي فى ميزان الاعتدال : « أخبارى تالف لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره ، وقال ابن معين : ليس بثقة . وقال مرة : ليس بشيء . وقال ابن عدى : شيعى محترق ، صاحب أخبارهم . مات قبل السبعين ومائة . » فقد نقل الطبرى من أخباره فى مئات المواضع ، ولو أن الذين ينقلون عن الطبرى ويقفون عنده ، استقوا أخبارهم من لوط بن يحيى هذا واكتفوا بعزوها إلى الطبرى لطلبوا الطبرى بذلك ، وهو لا ذنب له بعد أن بين لقارئه مصادر أخباره ، وعليهم أن يعرفوا نزعات أصحاب هذه المصادر ويزنوها بالموازن العادلة للثقة بهم وبها .

إن مثل الطبري ومن في طبقة من العلماء الثقات المثبتين - في إيرادهم الأخبار الضعيفة - كمثل رجال النيابة الآن إذا أرادوا أن يبحثوا في قضية فانهم يجمعون كل ما تصل إليه أيديهم من الأدلة والشواهد المتصلة بها ، مع علمهم بتفاهة بعضها أو ضعفه ، اعتماداً منهم على أن كل شيء سيقدر بقدره . وهكذا الطبري وكبار حملة الأخبار من سلفنا كانوا لا يفرطون في خبر مهما علموا من ضعف ناقلة خشية أن يفوتهم بإهماله شيء من العلم ولو من بعض النواحي . إلا أنهم يردون كل خبر معزواً إلى راويه ليعرف القارئ قوة الخبر من كون رواته ثقات أو ضعفه من كون رواته لا يوثق بهم ، وبذلك يرون أنهم أدوا الأمانة ، ووضعوا بين أيدي القراء كل ما وصلت إليه أيديهم . قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الطبراني من لسان الميزان : « إن الحافظ المتقدمين يعتمدون في روايتهم الأحاديث الموضوعة مع سكوتهم عنها على ذكرهم الأسانيد ، لاعتقادهم أنهم متى أوردوا الحديث بإسناده فقد برئوا من عهده ، وأسندوا أمره إلى النظر في إسناده » .

ومن فوائد إيراد الحادث الواحد بأخبار من طرق شتى وإن كانت ضعيفة قول شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة تفسير القرآن (ص ٣٠ - ٣١) : « إن تعدد الطرق مع عدم التشاعر أو الاتفاق في العادة يوجب العلم بضمون المنقول (أي بالقدر المشترك في أصل الخبر) لكن هذا ينتفع به كثيراً في علم أحوال الناقلين (أي نزعاتهم والجهة التي يحتل أن يتعصب لها بعضهم) ، وفي مثل هذا ينتفع برواية المجهول ، والشيء الحفظ ، وبالحديث المرسل ونحو ذلك ، ولهذا كان أهل العلم يكتبون مثل هذه الأحاديث ويقولون : إنه يصلح للشواهد والاعتبار ما لا يصلح لغيره . قال أحمد : « قد أكتب حديث الرجل لأعتبره » .

ومن الإنصاف أن نشير إلى أن اتساع صدور أئمة السنة - من أمثال أبي جعفر الطبري - لإيراد أخبار المخالفين من الشيعة وغيرهم ، دليل على حرمتهم ، وأمانتهم ، ورغبتهم في تمكين قرائهم من أن يطلعوا على كل ما في الباب ، واثقين من أن القارئ الحصيف لا يفوته أن يعلم أن مثل أبي مخنف موضع تهمة - هو ورواته - فيما يتصل بكل ما هم متعصبون له ، لأن التعصب يبعد صاحبه عن الحق . أما نسخة المصدر في إيراد أخبار المخالفين فهي دليل على عكس ذلك . وعلى القارئ الحصيف أن يأخذ ما صفا ويدع ما كدر . وأن يستخلص الحق عند ما يكون موزعاً أو معقداً .

الانتفاع بأخبار الطبرى :

إنما ينتفع بأخبار الطبرى من يرجع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل .
فتراجم شيوخه مباشرة وشيوخهم توجد في الأكثر في مثل تذكرة الحفاظ للذهبي . وتراجم
الرواة الذين كانوا إلى أواخر المائة الثانية توجد في خلاصة تذهيب السكال للصفي الخزرجي
وتقريب التذهيب وتذهيب التذهيب للحافظ ابن حجر . والذين تناولهم الجرح من الضعفاء
يترجم لهم الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال والحافظ ابن حجر في لسان الميزان . وفي
طبقات ابن سعد وتاريخ بغداد للخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبي
والبداية والنهاية لابن كثير . وإن كتب مصطلح الحديث تبين الصفات اللازمة للراوى
ومتى يجوز الأخذ برواية المخالف . ولا نعرف أمة عن مؤرخوها بتمحيص الأخبار
وبيان درجاتها وشروط الانتفاع بها كما عنى بذلك علماء المسلمين . وإن العلم بذلك من لوازم
الاشتغال بالتاريخ الإسلامى ، أما الذين يحتطبون الأخبار بأهوائهم ، ولا يعرفون
إلى رواتها ، ويكتفون بأن يشيروا في ذيل الخبر إلى أن الطبرى رواه في صفحة كذا
من جزئه الفلانى ويقضون أن مهمتهم انتهت بذلك ، فهو لاء من أبعد الناس عن الانتفاع
بما حفلت به كتب التاريخ الإسلامى من ألوف الأخبار . ولو أنهم تمكنوا من علم مصطلح
الحديث ، وأنسوا بكتب الجرح والتعديل ، واهتموا برواة كل خبر كاهتمامهم بذلك الخبر
لاستطاعوا أن يعيشوا في جو التاريخ الإسلامى ، ولتمكنوا من التمييز بين غث الأخبار
وسمينها ، ولعرفوا للأخبار أقدارها بوقوفهم على أقدار أصحابها .

وبعد فإن تركه سلف هذه الأمة - في كل ضرب من ضروب المعرفة - من أنفس ما ورثت
عن أسلافها . وقد كانت لعلمائنا الأقدمين مشاركة في علوم كثيرة ، فجاءت مؤلفاتهم مرتبطة
بعضها ببعض ومكملة بعضها لبعض . والذى ألفوه في التاريخ واعتمدوا فيه على الرواية ،
مبالغة منهم في أداء الأمانة كاملة وافية ، لا يجوز لمن ينقله عنهم أن يقصر في عرض تلك
الأخبار على قواعد علم الرواية وعلى المعاجم المؤلفة في تراجم الرواة ، وإن لم يفعل أخطأ
الطريق ، وكان عمله خارجاً عن مناهج العلماء .

حُب الدين الخطيب

نحو مجتمع هجري :

مهاجرون وأنصار

بسم الله الرحمن الرحيم : قال الله تعالى في كتابه الحكيم في قصة الهجرة ونصره لرسوله : « لا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ، ثاني اثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ؛ فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم ، ، وقال في شأن المهاجرين والأنصار : « واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، .

كانت هجرة الرسول صلوات الله عليه من مكة إلى المدينة ، إيذا ما بيده عصر جديد في تاريخ العالم ، وعاملا قويا في رقي الإنسانية ونهضتها ، وحدا فاصلا بين الوحشية والمدينة ، والعبودية والحرية ، والجهل والمعرفة ، والظلام والنور .

ففي المدينة بعد الهجرة بقبائل ، بدأ الرسول يبشر بحقوق الإنسان ؛ ويرفع من كرامته في الحياة ، ويعمل على تحرير الطبقات والأجناس من الرق والاضطهاد والاستعباد والاستغلال ، ويفتح الأبواب أمام المتنافسين من ذوى الكفاية من كل أمة ولون ، ويشرع أصول الحكم العادل ، ويضع مناهج التقدم الروحي والاجتماعي ، ويعلم أن للحكوميين ما للحاكين ، وأن الدولة إنما وجدت لخدمة الفرد . . . ووجد الرسول نفسه أمام ثلاث طوائف في المدينة :

أولاهما - طائفة المهاجرين الفقراء ، الذين ضخوا بوطنهم ومالهم وتجارتهم ، طلبا للحرية ، وفرارا من الطغيان ، فهاجروا من مكة إلى المدينة ، فرادى وجماعات ، بعد هجرة محمد صلوات الله عليه ، وكان أغلبهم يعمل بمكة في التجارة يكسب منها الأموال العائلية ، ويصفهم الله تعالى في القرآن بقوله : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، ينتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون ، ويصف الطبقة التي تلثم في الهجرة بقوله : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ، .

والطائفة الثانية - هم الانصار الذين أحبوا الرسول ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه : من الاوس والخزرج سكان المدينة ، وكانت مهنة أكثرهم الزراعة وتعهد الثمار والاشجار والفلاحة ، وكانوا ذوى عدد وثروة ، ووصفهم الله تعالى بقوله : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ، يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

والطائفة الثالثة - يهود المدينة ، الذين طامسوا أشعلوا نار الخصومة والحرب بين الاوس والخزرج ، وسخروا برسالة محمد وبأصحابه .

مجتمع كهذا المجتمع ، فيه الفقراء والاغنياء ، والمفسدون والمتآمرون ، لابد فيه من بناء جديد ، وحركة بعث وتجديد ؛ فإذا فعل محمد صلوات الله عليه ؛ بدأ الرسول يعالج هذه المشكلات بإلهام سديد ، وعقل حصيف ، وسياسة حكيمة :

طمان اليهود على حريتهم الدينية والشخصية ، وتعهد بحمايتهم والدفاع عنهم ، في وثيقة سياسية بارعة ، وادّعى فيها اليهود وعاهدهم وحذرهم ، ليضمن سلامة الدولة وأمنها .

والنتف إلى علاج مشكلة التفاوت الشديد في الثروة ، بين الاغنياء والفقراء ، بين الانصار والمهاجرين ، فأخى بينهما إخاء فريداً في تاريخ الإنسانية ، إخاء مودة وتعاون وإخلاص ، فكان يأخذ بيدى المهاجرى والانصارى ويقول : « تأخيا في الله أخوين » . قال ابن هشام : أخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والانصار فقال : « تأخوا في الله أخوين أخوين ، فكان الرسول وعلى بن أبى طالب أخوين ، وأبو بكر وخارجة بن زهير أخوين ، وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخوين ، وحزمة أسد الله وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين ، وجعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وسوى هؤلاء وهؤلاء » .

كان الرجل من المهاجرين يرتبط برباط الاخوة بآخر من الانصار ، وصار لكل أنصارى أخ من المهاجرين ، يشاطره داره وماله وليله وتجارته ، لهذا نصف ولهذا نصف ، وكان إذا توفى أحدهما ورثه أخوه - في العقيدة لا في النسب - إلى أن نزلت آية الميراث ، فجعل الإرث بين ذوى الارحام والقراة .

وهكذا تنازل الانصار الاغنياء ، بوازع من دينهم وضميرهم وحبهم وطنهم ، لإخوانهم المهاجرين الفقراء عن نصف ما يملكون من ثروة وعقار وأرض ، دون تردد أو إبطاء .

وجدت مشكلة أخرى ، فقد كان الانصار أصحاب زراعة ، بينما المهاجرون أهل تجارة لا عهد لهم بسواها من الحرف ، فاذا يفعلون بالأرض التي أصابتهم ؟

هنا تجلت عظمة إيمان الانصار ، وجلال أخلاقهم ، وإيثارهم على أنفسهم ؛ فقد أصروا على أن يزرعوا أرضهم وأرض المهاجرين بأنفسهم ، ويقسموا محصولها مناصفة فيما بينهم ، ويكفهم العمل والمؤونة ، تعاوناً منهم في بناء الأمة والمجتمع .

ومع ذلك فقد عمل كثير من المهاجرين في الزراعة ، كأبي بكر وعمر وعليّ وسواهم . وعمل آخرون في التجارة ونجحوا فيها نجاحاً عجيباً ، كعبد الرحمن بن عوف الذي عرض أخوه الانصارى سعد بن الربيع أن يشاطره ماله فأبى ، وطلب إليه أن يدلّه على السوق فتاجر وربح ، ولما توفى وترك ثروة واسعة قال أناس من أصحاب رسول الله : إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك ، فقال كعب : سبحان الله ، ولم تخافون عليه ؟ كسب طيباً ، وأنفق طيباً ، وترك طيباً .

ولم يكن هذا هو العلاج الوحيد الذي عالج به الرسول الكريم مشكلة الفقر في المدينة ، بل خص المهاجرين ببعض الغنائم ، كأموال بني النضير ، فلم يعط الانصار منها شيئاً ، إلا ثلاثة نفر محتاجين ، وقال لهم : إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتهم في هذه الغنيمة ، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة ، فقال الانصار : بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ... وهكذا كانت يد الانصار جلية على المهاجرين ، حتى قالوا فيهم : ما رأينا مثل أنصار المدينة ، لقد أحسنوا مواساتنا ، وبذلوا الكثير ، وأهركونا في المهنة ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله .

وحض الرسول على المحبة والتعاون والرحمة ، وعلى البذل والسخاء والإيثار والصدقة والإحسان ، وإطعام الجائع ، ومساعدة المحتاج ، وإغاثة الملهوف ، وشرع فريضة الزكاة ، وجعل بيت المال في خدمة الفقراء . وكان الرسول يضرب في ذلك أروع الامثال ، ويؤثر على نفسه .

قالت عائشة : ماشيع رسول الله ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ، ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا .

وذهب الرسول يعود ابنته فاطمة في بيت زوجها علي بن أبي طالب ، فقال : السلام عليك يا بنتاه ، كيف أصبحت ؟ قالت أصبحت والله وجهه ، وزادني وجعا أني لست أقدر على طعام آكله ، حتى أجهدني الجوع ، فبكي رسول الله ، وقال : لا تجزعي يا بنتاه ، فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث ، وإني لأكرم على الله منك ، ولو سألت ربي لأطعمني ، ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ، أبشري ، فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة .

وحمل إليه صلوات الله عليه في يوم تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ، ثم قام إليها فقسمها ، فما رد سائلا حتى فرغ منها وعاد لا يمسك منها درهما .

وكان المسلمون من الأنصار والمهاجرين يضربون المثل رائعا كريما في فضيلة الإيثار ، نزل برسول الله ضيف ، فلم يجد عند أهله شيئا ، فدخل عليه رجل من الأنصار ، فذهب بالضيف إلى أهله ، ثم وضع بين يديه الطعام ، وأمر امرأته أن تطبخ السراج ، وجعل يمد يده إلى الطعام ، كأنه يأكل ولا يأكل ، حتى أكل الضيف الطعام ، فلما أصبح قال رسول الله : « لقد عجب الله من صنعكم الليلة إلى ضيفكم » .

وأهديت لعبادة بن الصامت هدية ، وإن معه في الدار اثني عشر من أهل بيته ، فقال عبادة : اذهبوا بها إلى آل فلان فهم أحوج إليها منا ، قال الوليد بن عبادة فأخذتها فسكنت كلما جئت أهل بيت يقولون : اذهبوا بها إلى آل فلان ، فهم أحوج منا إليها ، حتى رجعت الهدية ثانية إلى عبادة .

وحرم رسول الله الاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل ، ودعا الاغنياء إلى التنازل لآخوانهم الفقراء عن بعض يملكون من أرض هبة ومنحة ، فقال : من كانت له أرض فلينزعها أو يمنحها أخاه ولا يؤاجرها لباه ، وقال : من كانت له أرض فلينزعها أو ليحرثها أخاه فإن أبي فليمسك أرضه ، وقال : لأن يمنح الرجل أخاه أرضه خير له من أن يأخذ عليها خرجا معلوما . ودعا إلى الرحمة والبر والخير والتعاون والمساواة .

هذا هو الرسول الكريم ، وهؤلاء هم المسلمون حقا ، من الأنصار والمهاجرين ، من بناء مجدنا الخالد ، والدعاة إلى خير الدنيا والآخرة ، ومن لم يفقههم المسال ، ولم تلهمهم

ابودوم وساهمة في بناء السلام العالمي

لم ترسل الرسل وتنزل عليهم الملائكة بالوحي والكتب من عند الله إلا لإصلاح حال البشر ، وتزكية نفوسهم ، وإقامة العدل والمساواة بينهم ، ودفع طغيان بعضهم عن بعض ، وتأسيس بناء المجتمع في الأرض على دعائم صالحة للحياة وال عمران حتى تنصرف قوى البشر لمنفعة البشر ، ولو أن أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، (سورة الاعراف آية ٩٦)

وكان من عجيب سر الأديان جميعا ، وترادف الرسل إلى أهل الأرض ، أن كان أول ما يهدفون إليه ويدعون له ، إنما هو عقيدة التوحيد وإزالة كل معبود على وجه الأرض

زهرة الحياة الدنيا ، وكانوا مع الله فكان الله معهم ، ومن أدوا الحقوق ، وجعلوا أنفسهم في خدمة إخوانهم في الله والوطن .

وما أحوجنا اليوم إلى أن نسير على ضوئهم ، ونستهدي بهدى رسولنا الأعظم ، ونساعد الدولة في خدمة الشعب وبناء الأمة وضمان الحياة الكريمة للفقراء ، وأن يؤثر أغنياؤنا على أنفسهم ، ولا ييخلون بما لهم في سبيل الله والمعروف .

وإني لا أجد في ختام هذه الكلمة أبلغ من قول الإمام أبي حامد الغزالي :
في الإحياء ، :

« إن على الإنسان في ماله أن يعرف مقصود المال ، وأنه لماذا خلق ؟ وأنه لم يحتاج إليه حتى يكتسب ؟ فلا يحفظ إلا قدر الحاجة ، وألا يعطيه من همته فوق ما يستحق . وعليه أن يراعى جهة دخل المال ، فيجتنب الحرام المحض ، وما الغالب عليه الحرام ، كالسلطان ؛ ويجتنب الجهات المكروهة القاذحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة . وأن لا يستكثر من المال ولا يستقل منه ، بل القدر الواجب ، ومعياره الحاجة ، والحاجة ملابس ومسكن ومطعم . »

عبد المنعم هفاجه

المدرس في كلية اللغة العربية

من دون الله، ولم يكن ذلك لأن عقيدة التوحيد هي حق في نفسها فحسب، وإنما كان إلى ذلك أنها حينما تتضمن أفراد الله بالعظمة، تتضمن المساواة بين أفراد من عداة، إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم، وفيه تمام المساواة بين أبناء البشر وأفراد المجتمع الواحد. وهذه هي الحرية والمساواة التي تصرخ بها الحضارة والمدنية الحديثة على أنها ثمرة الثورة الفرنسية، بينما هي أولى عقائد الأديان منذ نزلت الأديان، إذ هي صنو عقيدة التوحيد، ومقتضاها أن السيد الفرد هو الله سبحانه، والجميع بعد سواء في الحقوق والواجبات، حتى كان النبي يقول لقومه: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، (سورة هود آية ٨٨) فأول مبادئ الإسلام وعقائده هو تأسيس المجتمع على المساواة والعدل بين الناس، لأنهم سواسية لأفضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وهذا هو مبدأ إخراج الناس من الظلمات إلى النور الذي جاءت به الأنبياء فأخرجوا الناس من ظلمات جهلهم بالله سبحانه إلى نور المعرفة به، ومن ظلمات جهلهم بحقوقهم الشخصية أمام كبرائهم وملوكهم إلى نور العلم بأنهم وإياهم سواسية كأسنان المشط، لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

وبذلك يتم بناء صرح المجتمع على أسس من العدالة لا تنهار. وقطعت الرسل مراحلها الأولى في رسالتها في ترويض العقل البشري على فهم هذه الحقيقة في عقيدة التوحيد ومبدأ المساواة.

وكان كثير من السادات في أممهم يقبلون عقيدة التوحيد ولا يقبلون المساواة بينهم وبين الضعفاء من أممهم، فيأبى عليهم الأنبياء ذلك ولا يقبلون منهم إلا العقيدة كاملة قالوا أنؤمن بالله واتبعل الأرضون، .. الآيات. وكذلك فعلوا مع الرسول ﷺ وطلبوا أن ينحى من مجلسه الضعفاء ليجلسوا معه ويستمعوا إليه، فأبى. ونزل قرآن كريم على النبي ﷺ صلوات الله عليه في إشاحة خفيفة عن أعمى جاءه وكان مشغولاً بوفد من السادات: عبس وتولى أن جاءه الأعمى، .. الآيات.

هذا هو مبدأ الدين من عقيدة أفراد الله سبحانه بالالوهية والربوبية، وخطر جميع من سواه في سلك العبودية له على السواء، فتحد كلمة الأمة ويخف بينها الخلاف أو ينعدم. وكلما كانت الأمة أو الأمم متحدة في العقيدة الصحيحة السليمة كان ذلك أدعى إلى السلم

فيما بينها ، وأدفع للقوى أن تتجه إلى الإنتاج الاقتصادي النافع متعاونة بروح واحدة هي روح الأخوة ، وفي ذلك عماد الحياة وصلاح الأرض وسلامة الأمر وتواد النفوس ، فلم يكن لإجماع الرسل وتضافر الأديان في كل زمن على عقيدة التوحيد إلا لمصلحة البشر أنفسهم ، واجتثاث نزعة الطغيان منهم بعضهم على بعض بسبب تفاوت البشر في القوى والقدر ، فيظن القوى أنه خير من الضعيف ، فجاءت الأديان كلها بعقيدة التوحيد والمساواة توحيداً لله بالربوبية والمساواة بين أفراد من عداه .

وهذه الحروب الطاحنة التي تنشب في هذا العصر ، بين كل وقت وآخر ، بين بني الجنس الواحد من أبناء البشر ، مما لا يوجد له نظير في أبناء جنس آخر من الكائنات الحية التي على وجه الأرض ، والتي لم توهب نعمة العقل ، هذه الحروب التي تستنفد قوى البشر وإنتاجهم في تدمير بعضهم بعضاً بسبب اختلافهم في مبادئ وآراء ، فراحوا يستخدمون العلم في سفك الدماء والتكال ، ويتسكرون أسرع المملكات وأغزرها في الفناء لاهل الأرض .

أى فساد في الدنيا أشد من ذلك ؟ قوم يتواطئون على إهلاك أنفسهم وغيرهم بأيديهم . فهل هذا الجنون العالمي والانتحار الإنساني والسير في سبيل تدمير الحضارة والبشرية خير للإنسانية ، أم الاستغاثة بالسماء لصلاح الأرض ودرء الحرب عنها والانتفاع بالبقية الباقية من الروح الدينية لجمع كلمة البشر على وحدانية الله سبحانه ، والتعاون على محبته وشرعه ، ليكون هؤلاء المتعاونون كتلة واحدة على هدف واحد ، فلا يتحاربون ولا يستنفدون قواهم فيما يعود عليهم إلا بالخير والعافية وبقاء السلام : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .

هزيمة العقيدة والحرية الشخصية :

تعترض تلك الكلمة سبيل الباحثين هنا وتضطك بأذانهم حيثما يتفاهمون ، وهي وإن كانت كلمة حق في بعض وجوها فقد أريد بها باطل استغله الشيطان وألقاه في نفوس الكثير من العقلاء ، إبقاء على حبه دوام الخلاف واتساعه بين البشر ، ذلك الخلاف الذي يبتدىء بحجة هذه الكلمة بين كل اثنين من أسرتين أو بلدين إلى ما اتسع له الآن من انقسام الدنيا إلى معسكرين - رأسماليين وشيوعيين - لا يلبث الشر أن تندلع منه شرارة بينهما ، فتطيح بالدنيا بأسرها بسبب مبادئ وآراء ما أنزل الله بها من سلطان .

وهذا الذى نخشاه إنما هو عقاب سماوى ، وإنذار لأهل الأرض الذين أباحوا الكفر الصراح والفسوق والعصيان ، وانتهاك حرمة الآداب وانحلال الأخلاق وفساد الذمم ، كل ذلك بسبب استخدام هذه الكلمة ، الحرية الشخصية ، فى إنطلاق الأهواء والميول ونشر الإباحية الفاجرة .

ولو أن عشر معشار ما ينفق على التسليح والسياسة الآن ، كان ينفق على حرمة الآداب واحترام الدين ودعوة الإنسانية إلى الخير والصلاح وإيمان الأرض بالسما ، ما بلغ الخلاف ما بلغه الآن ، ولما كثر الشر عن نابه لأهل الأرض يريد أن يفترسهم بين عشية وضحاها .

فأين رجال الدين ، وأين انتفاع الحكومات بهم الآن ؟

إن الدين هو موضع الغوث الذى تنظره البشرية الآن لإغايتها بما سيجرفها من حرب طاحنة واقفة على الأبواب ستدمر المدنية وتأتى على الأخضر واليابس .

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون . »

أمر النبي ﷺ أن يوجه هذا النداء الكريم ، وهذه الكلمة العادلة على ملا الأئمة والرأى العام ، إلى المخالفين المعاندين ، قبل أن يزداد الخلاف وتنشب الحرب .

فهذا النداء الإسلامى والسياسة العليا النازلة من السماء لتوجه من الجبهة الإسلامية إلى جبهة المخالفين ، تؤذن بأن تحتذى ويوجه مثلها مثلا إلى تلك الكتلة الشرقية التى تريد أن تحتاج الأديان والإسلام كما اجتاحتها فى مسلمى الشرق ، فنقول : « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا ، - الرأسماليون - المال والأرض احتكارا لهم من دون الناس ، ولا يتخذ بعضنا الحكم قسرا على عباد الله بتحريم الملكية الفردية التى أباحها الله فى كل الأديان ، إلى آخر ما نغزوه به مبادئ الهدامة ونهدم لهم من مبادئ إسلامية كريمة تشجعهم الإصلاحى من غير هدم ولا طغيان لمن يريد الإصلاح .

وإذا سمعوا أن الرأسمالية والاحتكار والإقطاعيات والكسب غير المشروع أعداءهم الأولى قد أصبحت تحارب بلا هوادة فى مصر الإسلامية لأنها موارد يحرمها الإسلام كان ذلك أدعى الإصغاء إلى مصر ونهضتها الحديثة ، وخطتها الوسط العادلة الحكيمة .

والإسلام في مبادئه وسماحته بين مبادئ الشرق والغرب كلبن سائغ حلو للشاربين يخرج من بين فرث ودم .

وقد راح كل من الطرفين يعي قوى الشر والحرب ضد الآخر وهما هو العالم ينتظر البوق ، فهذه الروح الإسلامية في سياسة السلم وهذا النداء السماوى الذى وجهه القرآن ونزل به جبريل من السماء إلى خصوم الإسلام أشد ما كانت الخصومة ، هى سياسة تحتذى ويقتبس منها النور .

فلباذا لا ينتفع المسلمون في مواقفهم بقرآنهم الكريم الداعى للسلم ، ويتخذون منه نبراسا ويتفهمون مراميه وأهدافه ليستوحوا منها ما ينفعهم في ذلك وليرفعوا به الصوت عاليا في السياسة العالمية ويعلموا همة الإسلام العالية في خدمة البشرية ولا سيما في درء الشيوعية وكفرها الصراح .

ليس لإكرام القرآن الكريم بين أهله هو تلاوته فحسب والتغنى به في المآتم والحفلات ، وإنما لإكرامه العمل به ، والتضامن على تدبره وفهمه ، وإشعار الأمم والشعوب والطبقات العالية المثقفة بأن القرآن فيه فصل القضاء فيما يختلف فيه الناس في كل زمان ومكان .

وهذه مهمة شاقة يجب أن ينهض بها الأزهر الشريف في عهده الجديد وعهد هذه الحكومة الناهضة وعهد هذا الظرف العالمى الحاضر الموجب لذلك . ومن اتخذ القرآن مهجورا هبأت أن يكون بين الناس منصورا . فيجب على أهل القرآن الآن المؤمنين به وبرسالته العالمية أن يواجهوا الناس بما فيه من مقاطع الحكم ومفاصل الخلاف ، وأن يقنعوا العالم بذلك ، ساستهم وشعوبهم ، وطرق الإقناع واسعة ، والسبيل نهج الدين واضح والدولة للبيان ، وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً .

وهذه فرصة للإسلام لن تعوض يجب أن ينهزها الأزهر الشريف في عهده الجديد وعهد حكومة مصر الناهضة ، فقد ذهب العصر الذى كان إذا تكلم فيه المسلمون قالوا : متعصبون ، وجاء العصر الذى سيستغيث بنا فيه الساسة العالميون لدرء الشيوعية الكافرة . وما أدراك لعل الإسلام حينئذ يجلجلى صوته بين الكتلتين تهفوله قلوب وتؤمن به شعوب وتنطق به حروب ، وتقع عليه العين وتصلح به ذات البين ، وتحقق به دماء وترضى به عن الأرض السماء .

عبد السلام القباني

أستاذ بكلية الشريعة

الحُدود في نظر الإسلام

هذا أسلوب من أساليب التربية الدينية يريد الشارع الحكيم أن يستقيم حال الناس به ، ويصاح سلوكهم عليه ، وتسود فيهم الأمانة ، وتعلو بينهم راية الشرف ، لأنه سبحانه بعد خلقه إياهم في أحسن تقويم ، وتسخير له الكون كله يستقلون أرضه ، ويستظلون بسمائه ، ويتمتعون بخيراته التي يحتويها ، لم يبق لهم عذر في عدم تذليله لإسعادهم ، واستخدامه لرفاهتهم . وشذوذهم عن هذه الطبيعة ، وخروجهم عن مألوف تلك العادة ، وتمردهم على ما تقتضى به السنن من الهدوء والسلام ، والأمن والاستقرار ، وميلهم إلى الإفساد والشر ، والإضرار والكيد ، والإيلام والتغيص ، وتحويل البيئة التي يعيشون فيها إلى مباداة للآثام والفجور ، كفران بنعمة الله التي أنعم بها عليهم ، ونكران لجيله الذي أسداه لهم ، يستأهلون من أجله الغضب والسخط والعقاب والوعيد ، والزجر والتأنيب ... ولذلك جعل — جل وعلا — الحدود بمثابة الردع للمفسدين ، والنهذب للمذنبين ، والنخوف للمبتوين ، عسى أن يكون هذا باعثاً على إقرار الأمور ، وصلاح الأحوال ، والاستقامة على الجادة ، ليتوفر للناس العيش السعيد ، والحياة الرتيبة الهادنة .

والناظر إلى الحدود الإسلامية — في بادئ الأمر — ربما ظن أنها قاسية على ابن آدم الذي خصه ربه بالكرامة ، وميزه بالعقل ، وفضله على سائر المخلوقات . ولكن الذي يدقق التأمل ، ويمعن التفكير ، يعتقد أن المرء الذي يصل به تحلله في خلقه ، وانحداره في سلوكه ، وتهاونه في شرفه ، واستهتاره بغيره ، إلى هذا القدر من استباحته للأعراض ، وتغاضيه عن الحقوق ، وتنصيبه من نفسه — هكذا — معول هدم لإفساد الجماعة البشرية ، يجدر به أن يزول من على الأرض ، لا أن يبقى كما تبقى الجرائم الفتاكة يتطير شررها ، ويستفحل ضررها ، ويعم وبأؤها ، ويتزايد على تطاول الليالي فتتكها الذريع . على أن الباحث فيها من ناحية أخرى يرى أنها ترفقت بالمجرم وعالقت عليه بعض الآمال حين أبقت على حياته من الموت ، وصانته من الهلاك ، لأنها ترجو منه الاستقامة على الصراط السوي ، والمهيح

الصحيح ، ليصبح نافعا لنفسه وللناس ، ويكون الذى صادفه موقظا لاحاسيس الخير فيه ، ثم لا يكون فى عمله بعد ذلك ما يشين الحياة ، ويبرى بالإنسانية .

وإذا قيس هذا الصنيع بما تفعله بعض الدول الآن — على ضوء الفلسفة الحديثة — من حرمان أمثال هؤلاء من التنازل والاختلاط ، ومباشرة الحقوق الدستورية ، والميزات الاجتماعية ، لا يصح لنا إلا أن نقول إن الإسلام كان متساعجا إلى أقصى حدود التسامح .. على أنه فى بعض حالات العقوبة لا تأخذ به هوادة ولا رحمة ، ولا تعطفه عليهم شفقة ولا رأفة ، فيكون حكمه بالموت ، وذلك فى زنا المحصن ، وقتل النفس التى حرم الله قتلها ، والذين يجاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا . وبما لا شك فيه أن أمثال هؤلاء لا يرجى منهم إلا أن يكونوا على هذه النجاسة من الشر ، ولؤم الطبع ، وفساد الطوية ، وخبث النفس ، وهم فى هذه الحال أشبه بالعضو الذى احتوى على المرض الخطير ، وقرر الطبيب أن وجوده يودى بالجسم كله ، ويقضى على الأعضاء جميعها .

ولخطورة هذه المواقف ، وصعوبة ثبوتها فى كثير من الاوقات لم يرض أن يكون ادعاء حدوثها قضية مسلمة ، بل أحاطها بسياج من الحذر ، وجعلها لا تتقرر فى الواقع إلا بشهادة العدول من المسكفين الاحرار ، وبخاصة الزنا لما يترتب عليه من التفريق بين الزوجين ، وتشريد الأطفال ، وتقويض صروح السعادة .. فإنه لم يقبل الشهادة إلا من أربعة شهداء يشهدون أنهم رأوا كلا من الرجل والمرأة على وضع خاص ، وجعل للشهود عليهما الحق فى دره الحدود بالشبهات وليس بعد هذا حذر من العبث ، وصون للأخلاق ، وحفظ للأعراض ، ودفاع عن الأنساب التى هى الرصيد الضخم من المجد والشرف ، والعزة والكرامة ...

وفى هذه الفاحشة تقول الآية القرآنية : ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، وهو - جلت حكمته - يدلنا بهذا البيان ، على قيمة هذه الجريمة من الخطر الذى يهدد المجتمع ، ويفسد الأمة ، حين يأمر بهذه القسوة ، وتلك العلانية ...

أما القاتل للنفس التى حرم الله قتلها فإنه حيوان تحولت طبيعته ، وفست غرائزه ، وأصبح الامل فى الانس به ، والمعاشرة له ، والحياة معه ، ورجاء النفع منه ، من الأوهام

الباطلة ، والتخيلات المسكونة ، لأن تلك الضراوة التي ظهرت عليه ، والوحشية التي بدت آثارها فيه ، دليل قاطع على أن الخير كل الخير كان في استئصال شأفته من الوجود ، وذهاب آثار نفسه الشريرة من الحياة ، لئلا يهدد بقاؤه الناس ، ويشيع ظله الفوضى في العالمين . . .

وكان المسلم الأول ، حين يتردى في تلك المعصية يعتقد أن الشيطان قد انتصر عليه ، وأن الهوى قد غلبه ، وأن الطيش قد لعب به ، فلا يسعه إلا أن ينتقم من هذه كلها بالاعتراف على نفسه ، والتقدم بين يدي الحاكم ليقيم الحد عليه ، ويغسل عنه أضرار المعصية وقدر الذنب ... وقد ثبت أن ذلك العمل حدث أكثر من مرة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع أن العهد كان قريباً من جهالة الكفر ، وفضاظة الشرك ، وخشونة البداوة وكان الظن أنهم يتجاهلون سلطان الشريعة ، وهيمنة الدين ، أو يحتالون الحيل لعدم الإذعان له جهد المستطاع ، ولكن رجولة العرب ، وصراحة المسلمين ، جعلت تلك الروح أشبه بالاشياء التي تصدر عن الطبع والعادة من غير تكلف ولا معاناة .

ولو أن الدين الإسلامي ظل له هيله وهيلمانه ، وكانت أحكامه تسود العبادات والمعاملات ، وآدابه تهيمن على الاندية والمجتمعات ، وسلطانها يتركز في أنحاء الدنيا ، ويتهامس الناس أن الحدود قائمة ، وأن الإشراف على تنفيذها يأخذ من رجال الإدارة والحكم اهتمامهم وعنايتهم ، لما سرى إلينا نبأ حوادث للسراقات والغصب ، والفجور والعهر ، والعدوان والظلم ، والقتل وسفك الدماء ، وظللت البسيطة ميداناً للسلام والوثام ، والسعادة والحب ، والطمأنينة والاستقرار ، ولما مشى هذا الفشل والفوضى إلى أوساطنا المختلفة بذلك القدر الشنيع ...

ويقيننا أن ما نقاسيه الآن من ذبذبة خالية من الاتزان ، مجردة من العقل ، بعيدة عن المنطق ، نائية عن الصواب ، مجافية للصحة ، سيحملنا - رغم أنوفنا - على أن نحتكم إلى القرآن في هديه وإرشاده ، وتشريعاته وأحكامه ، وتوجيهه وتهذيبه ، ولا سيما حينما يبدو لنا أن ما تنخبط فيه من دساتير ونظم أجنبية عنا ، ما هو إلا أسلوب الآحق ، وحيلة العاجز ، وربما كان ذلك قريباً جداً .

ابراهيم أبو الحبيب

مدرس بكلية الشريعة

سبح الأزهري عرض على القبة

قالت جريدة «الأهرام» ، في عددها الصادر يوم الأحد ١٢ أكتوبر :
على أثر ما أذيع خاصاً بأن اللجنة التي ألفت لتوحيد الزي أنها قد رأت استبعاد الطربوش كغطاء للرأس والاستعاضة عنه بغطاء عملي مناسب كالبيرية أو القبعة ، على أن يشمل توحيد الزي جميع المصريين ، عدا رجال هيئة كبار العلماء ، والعلماء المشتغلين بالتدريس ، توجه مندوب «الأهرام» ، إلى فضيلة الأستاذ الأكبر وسأله رأيه في هذا الزي المقترح ، فأفضى إليه فضيلته بهذا التصريح الهام .

لأنني علمت أنه قد اقترح أن يكون الزي الموحد هو الزي الأوروبي ، لأنه أصبح زيا عالميا ولأنه من الناحية العملية أكثر ملاءمة لهيئات العمال والفلاحين وهذا الزي يتألف من بنطلون وقميص بأثمان مناسبة .

ولأنني أصرح بأن القبعة والبيرية ليستا زيا عالميا ، وأن مئات كثيرة من الملايين في آفاق لا حد لها من قارات الأرض لم تتخذ هذا الزي ، ولذلك لم يبلغ أن يكون زيا عالميا ، ثم إنه ليس من الحتم على أية أمة أن تجارى الشكليات حتى لو كانت عالمية قبل أن تقتنع بأن ذلك أصح لها .

والأصح لجوكل أمة هو ما دللها عليه تجارب ألوف السنين . وإذا استوحى المصلحون من هذه التجارب الطويلة ما يكون به توحيد الزي ، فإنهم يصيدون بذلك الغرض من التوحيد والإفادة من تجارب الزمن .

وإن مصر على الخصوص عضو ممتاز ومرموق في العالم الإسلامي الذي زاد تعداده في هذه السنوات على خمسمائة مليون ، ومن غير المنتظر أبداً أن يرضى العالم الإسلامي بأن يفنى شخصيته في غيره ويندمج في الزي الأجني عنه المزعوم أنه عالمي ، لا سيما وأن في سنن الإسلام الجوهرية التي لا يمكن أن يتساهل فيها المسلمون — إلا بانحرافهم عن دينهم — أن يكونوا متميزين عن غيرهم . وأئمة المسلمين يعدون من الخروج على الإسلام الانحراف عن زيه إلى زي غير المسلمين فيما اختصوا به من علاماتهم ، وقد كان من علاماتهم في القرون السالفة « الزنار » فكان لبس المسلمين يومئذ للزنار يعد في الفقه الإسلامي خروجاً على الإسلام يستحق فاعله العقوبة . والمتعارف الآن عند المسلمين في مختلف أقطارهم أن القبعة هي علامة غير المسلمين التي يفرقون بها عن أهل الإسلام ، فلها الآن مثل حكم الزنار فيما مضى .

وعلى كل حال فإن شهوة الانغمار في الزى على زعم أنه عالمي — وما هو بعالمي — سيفصل المصريين وهم قلة قليلة من المسلمين ، عن إخوانهم من أمم العالم الإسلامي البالغ عددهم خمسمائة مليون ، وأول ما سيكون من سوء الأثر لذلك في شطر وادي النيل الجنوبي . وقد جربت إحدى الأمم الشرقية هذا الأمر قبل نحو ربع قرن ، وحملت شعبها عليه بالقوة ومع ذلك لا يزال شعبها حزينا آسفا مكسور الخاطر ، مما حمل عليه .

ولا يزال العالم الإسلامي ينظر إلى ذلك بعين الاستنكار والاستغراب ، وقد كان القامون بهذه التجربة يتوقعونهم والذين شجعوهم على ذلك أن يكونوا قدوة فيه لأمم إسلامية أخرى . فكان المسلمون أحصف من أن ينزلقوا في ذلك ، لأنهم يعلمون أن به خروجا عن سنة من سنتهم التي احترموها والتزموها منذ أربعة عشر قرنا . إن فكرة توحيد الزى فكرة حسنة ، ولكنها في أي قطر يغلب على سكانه العمل بأحكام الإسلام ينبغي أن لا يصطدم بسنة من سنته ليكتب لها النجاح والبقاء والرضا من جمهور الأمة .

وقد سألت مندوب « الأهرام » فضيلته عن الزى الذي يراه ملائما لنا ، فقال : للقائمين بالأمر أن يختاروا الزى الذي يرونه ملائما لنا ، على أن يكون مخالفا لما امتاز به غير المسلمين .

المفتي كشيخ الأزهر

في استبدال القبعة بالطربوش

سأل مندوب « الأهرام » ، الأستاذ الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية عن رأيه في استبدال القبعة بالطربوش .

فأجاب بقوله : « إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قال قوله ضد ذلك ، وبهذه القولة قطعت جبهة قول كل خطيب » .

توحيد الزى

في جريدتي (الأهرام) و (الأخبار الجديدة) الصادرين يوم ١٣ أكتوبر حديث لمدوبيهما مع السيد حسين أبو زيد وزير المواصلات جاء فيه قول الوزير عن توحيد الزى . « إن رأيي الشخصي هو أنه لا داعي للتفكير في هذا الموضوع اليوم ، فلم يحن الوقت بعد لمثل هذا العمل ، فإن لدينا من المهام الخطيرة ما هو أجدر باهتمامنا في الوقت الحاضر من توحيد الزى ، أما بالنسبة لطلبة المدارس فلا ضير هناك من أن تقتصر ملابسهم على القميص و « الشورت » .

القرآن الكريم

والحاجة إلى المدارس التي تقوم على تحفيظه

والتلاميذ الذين يقبلون على حفظه

كانت ، الكتاتيب ، هي المدرسة الأولى لتعليم القرآن الكريم وعن طريقها كان يلحق الطالب بالأزهر الشريف ، ثم جاءت المدارس الأولية وكان في برنامجها تحفيظ القرآن الكريم ليكون جواز المرور إلى الالتحاق بمدارس المعلمين الأولية ، ولما عمم التعليم الإلزامي لم تجد ، الكتاتيب ، لها مكانا بجوار ذلك المنافس الخطر فأغلقت أبوابها وانقرضت . ومن المؤسف أن ما كان يتعلمه التلميذ في تلك المدارس لم يكن يزيد عن الثلاثة الأجزاء الأخيرة من القرآن ، فكانت بوضعها هذا ، الحلقة الأولى من السلسلة التي أريد لإحكامها حول الجيل الجديد لتطويقه بها . ثم الابتعاد به عن حظيرة ذلك الكتاب المقدس ، وعندما أصبح التعليم الابتدائي والثانوي مجانا دون قيد ولا شرط تهافت عليه الجميع وتحولت المدارس الأولية والإلزامية إلى مدارس ابتدائية لتستوعب الجيوش الجارية من التلاميذ ، وبتحويلها هذا تمت الحلقة الثانية من السلسلة الرهيبة ، فقد قضى بذلك على تحفيظ القرآن الكريم بالمدارس إذا استثنينا بعض الآيات المتفرقة التي اشتمل عليها المنهج الدراسي ، أما قسم الحفاظ الموجود في بعض المدارس فالإقبال عليه في حكم المعدوم .

ثم جاءت الحلقة الأخيرة وهي النتيجة الحتمية لتلك المقدمات ، فقد نشر بجريدة الأهرام الصادرة في صباح يوم ١٩٥٢/٩/٢٥ تحت عنوان « العناية بالقومية المصرية في منهاج الدراسة الجامعية ، موضوع قيل إنه معروض على لجنة العمداء بجامعة فؤاد تمهيدا لعرضه على مجلس الجامعة لإقراره . وقد كان هذا الموضوع خاصا بكلية دار العلوم ولكن جاء في صلبه ما يأتي وهو بيت القصيد : « وإذ نظر المجلس في الطلبات المقدمة رأى أن عدد المتقدمين من حملة الشهادات الثانوية في الأزهر الشريف أقل بكثير من العدد المحدد هذا العام ، وأن قبول

حملة شهادة إتمام الدراسة الثانوية القسم الخاص « التوجيهية » ، يتفق مع لائحة السككية . وعلى هذا فقد قرر المجلس السماح لهم بالالتحاق بالسكليات هذا العام ، أملا في أن يكون هذا بداية عهد جديد تنهئ فيه الفروق الصناعية بأن يسمح لحملة التوجيهية بالانتساب إلى جميع كليات الأزهر الشريف ، كما يسمح لحملة الشهادة الثانوية الأزهرية بالانتساب إلى السكليات الجامعية ما لم يحل دون ذلك حائل فني . . وهكذا اقتربنا من الخاتمة بصورة واضحة .

قد يكون معقولا أن يلتحق الطالب الأزهرى بالجامعات في كلياتها المختلفة عدا الشعب التي تكون فيها اللغات الأجنبية مادة أساسية ، لأن المنهاج الثانوى في الأزهر والمدارس واحد إذا استثنينا اللغات الأجنبية ، ولكن الذى لا يقبل عقلا ولا فرضا هو التحاق طالب الثانوى بالسكليات الأزهرية وهو الذى لا يعرف من أمور دينه إلا القشور ، إذ كيف يرجى منه أن يكون واعظا دينيا أو خطيبا ومدرسا في مسجد أو قاضيا شرعيا أو غير ذلك من الوظائف الدينية التي تحتم على صاحبها إجادة حفظ القرآن الكريم والإحاطة بالشرعية الإسلامية إحاطة تامة من جميع نواحيها وأصولها وفروعها .

مما تقدم يتضح مع الأسف الشديد أن القرآن الكريم سوف لا يجد المدارس التي تقوم على تحفيظه ، ولا التلاميذ الذين يقبلون على حفظه ، طالما أن هناك بالمدارس من المغريات ما يجتذب إليها التلاميذ ، وسيكون نتيجة لذلك أن يأتى يوم لا يجد فيه الأزهر من يتقدم إليه من الطلبة ليخرج لنا مصابيح الهدى وأعلام الشريعة ، وبذلك يكون ما جاء بجريدة الأهرام هو الملجأ الأخير والغاية المنشودة ، وعندها قل على الأزهر العفاء وعلى الدين السلام .

فإلى رجال العهد الجديد ، عهد النور والحرية والإصلاح ، وإلى فضيلة العالم العامل الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أبعت بهذه الصرخة ، راجيا دراسة هذه المشكلة الخطيرة وأن يكون لها من رعايتهم ما هى جديرة به من العناية والاهتمام قبل أن يستفحل الخطب ويمم البلاء .

عبد الجليل النمر

مستشفى الأوقاف — بطانطا

طليعة الوحى الإلهى

النص القرآنى :

[اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم] .

اقرأ أول نجم نزل على محمد ﷺ :

روى البخارى عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — لليلالى ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال :

[اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم]
فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زملونى ، زملونى ؛ فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة ، وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ؛ إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضعيف ، وتعين على نوائب الحق .

فاطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة . وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى — فقالت له خديجة : يا بن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخى ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى أكون حياً ، إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : أو يخرجى هم ؟ قال : نعم :

لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا .
ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي .

وكون هذه الآيات أول نجم نزل على محمد ﷺ هو ما اعتمده العلماء على وفق
هذه الرواية الصحيحة المؤيدة بكثير من الروايات الأخرى .

ومن هذه الرواية نستطيع أن نتبين حالة الرسول قبيل البعثة ، وحالته عند مبدئ البعثة ،
ثم حالته بعد أن تلقى أول نجم نزل عليه ، مما يرشد إلى أنه كان متهيئاً لها أتم التهيؤ ، في حال
أنه كان خالياً عنها تمام الخلو ، ثم تركته وهو في دمهش الحادث ، فلم يقدر أن يضبط قواه ،
ويراجع نفسه ، حتى يحكم فيها حكماً جازماً بأنها وحى من الله ، فذهب يستعين بورقة بن
نوفل - وهو من أولى العلم بهذا الشأن - كما أنها أوقفنا على فترة الوحي بعد ذلك ، مما يدل
على براعة ساحته من القول والادعاء .

تصوير الموقف :

نزل الروح الأمين على محمد ﷺ بأول نجم من نجوم الرسالة العظمى التي مكثت
تتزل ثلاثاً وعشرين سنة ، كلها كانت جهاداً في سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور ،
بالدعوة تارة ، وبالهجرة أخرى ، وبالقتال ثالثة ، حتى تم له الأمر ، واستقر له الحال ،
وأدى الرسالة تامة كاملة ، ثم تركها لخير أمة أخرجت للناس ولحق بربه . . .
فانظر ما ذا كان يقتضيه الموقف في افتتاح تلك الرسالة العظمى ، من الرب الأعلى ،
إلى محمد الأسمى ، ليقوم بهذه المهمة الخطيرة .

محمد خالي الذهن عن مخاطبة من ربه ، اللهم إلا ما كان عنده من ذلك الشعور الذي
حصل له بسبب الرؤيا الصالحة في النوم ؛ وربه الأعلى يريد أن يرسله للناس ليبلغهم عنه
نجوم هذه الرسالة ، لينتقلوا ما فيها من أوامر ونواه . . . فسا تكون إذأ عناصر تلك الرسالة ؟
من المعقول أن تكون هذه الرسالة مشتملة على تعريفه بالمرسل للرسالة ، ثم بمنزلة
منه التي تربطه به ، ثم بالمهمة المأمور بها التي هي غرض الرسالة ، ثم بالعلاقة التي تربطه
بالمرسل إليهم ، ليصح منهم تقبل ما كفوا به ، ثم تعريفه بالجهة التي تلزمهم بالاعتراف
بتلك الرابطة .

المرسل هو الله ، وهو رب محمد ، ومهمة محمد التبليغ ، ثم هو رب الناس المبلغ إليهم ،
ثم المبلغ هو ما يهتدون به إلى ما يجب عليهم التزامه في هذه الحياة من مبدأ ومنهج وغاية ،

ثم جهة الإلزام تكون أولاً بإثبات ربوبيته لهم ، ثم بإثبات كرمه الذى يقتضى امتنائه عليهم ، ثم بإثبات استعدادهم لقبوله ، ثم بإثبات افتقارهم إليه .

أما لإثبات ربوبيته فأوضح طريق له الدلالة البينة فى الخلق من التدبير الإلهى المائل مثولاً بيناً فى أطوار الإنسان .

وأما لإثبات كرمه فبيان رحمته لهم ، وعنايته تعالى بهم .

وأما لإثبات استعدادهم لقبوله فبيان أنه ميزهم بالعقل والفهم والعلم والقدرة على ضبط علومهم وتفيدها بالقلم .

وأما لإثبات افتقارهم إليه فبيان أنه الهدى الذى تتوقف عليه سعادتهم من جهة ، وهو فوق طاقة إدراكهم من جهة أخرى .

ولو أن هذه الرسالة صيغت على سنن إنسانى مشتملة على هذه العناصر ، لبرزت على وفق التفكير الإنسانى ، بما يحوطه من مهارة فى القول ، وبراعة فى صيغة البيان ، لا يخرج به عن قدر البشر كالنموذج الآتى :

« من رب محمد إلى محمد . أما بعد ... »

فإني سأرسلك إلى الناس ، لتبلغهم عنى ما أوحىه إليك مما يهتدون به إلى سعادتهم ، إذ أنا ربك وربهم ، وخالقك وخالقهم ، وخالق كل شيء مما تنتفعون به حولكم ، ألم أخلقكم من ماء مهين تدرج فى تطورات الخلق طوراً بعد طور حتى صار إنساناً سوياً فى أحسن تقويم ؟ ألم أميزكم على سائر الحيوان الأرضى بالعلم والعقل ؟ ألم أهدكم إلى ضبط معلوماتكم ومعارفكم بالكتاب ؟ ألم يكن كل هذا تفضلاً منى عليكم ؟ أأعنى بكم هذه العناية التامة ثم أدعكم فى ضلالكم وأنا الرب الأكرم ؟ ! اقرأ يا محمد عنى ما ألقيه إليك والسلام ، ٩

هذه هى الرسالة النموذجية التى يقتضيتها . وقف أول نجم من نجوم الرسالة لو صيغت صياغة إنسانية ، أما وإن القرآن سيكون معجزة بيانية للبشر فلا بد أن يضمن هذه المعانى فى أفضل البيان وأوجز القول ، فى أسلوب إلهى لا يقدر عليه البشر ، ذلك هو ما نزل فى أول نجم من قوله عز من قائل : [اقرأ باسم ربك - الآيات] .

بيان ما اشتمل عليه النص :

يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بالقراءة بقوله (اقرأ) ، ثم لم يذكر أى شيء .

يقرؤه . هذه القراءة باسم ربه الذى خلق ، خلق الإنسان من علق . كان يكفى في التعريف أن يقول له : [باسم ربك] إذ كان محمد لا يعبد رباً غير ربه [الذى خلق ، خلق الإنسان من علق] ، فوصفه بهذا الوصف لو لم يكن لفائدة في الرسالة لكان ذكره - فيما يظهر - لغوا لا فائدة له ، ولو ذهبت تستقرئ وجوه الفوائد الممكنة من ذكره ، لما وجدت وجهاً أوجه من كونه توضيحاً لروبيته تعالى ، توضيحاً يقتضى أن يكون رباً لجميع الخلق على العموم وربما لجميع الناس على الخصوص ، المستلزم لكونه رب محمد ، مع تضمنه الإشارة إلى جهة الدلالة على خلقه بإشارته إلى التدبير الإنسانى من عهد تدرجه من العلق إلى أن صار إنساناً سوياً .

وذكر العلق — واحده علقه — في هذا المكان إن لم يكن وجهاً واضحاً من وجوه إعجاز القرآن ، فلا أقل من كونه معجزة علمية عند الخبيرين بشئون الأدلة وسياقها لتنفيذ الدليل القاطع على ما تساق إليه .

بيان ذلك : أن القرآن يطلق (علقه) على الطور الثالث من التطورات الإنسانية ، فأولها التراب ، ثم النطفة ، ثم العلقه ، ثم المضغة ، . . . قال تعالى : **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ** . فمكان من الممكن أن يقول (خلق الإنسان من تراب) وكان من الممكن أن يقول : **خلق الإنسان من نطفة** ، وكان من الممكن أن يقول : **خلق الإنسان من مضغة** . لكن تخير د علق ، في مقام الاستدلال على أن الإنسان مخلوق لا بد له من خالق ، تخير عجيب أشد العجب ، إذ هذا الطور لا يطلق إلا بعد ظهور آثار تعلق الجرثومة المنوية ببويضة الأنثى في الرحم ، هذا التعلق الذى يبتدىء منه التطور التكويني للجنين ، هذا التعلق المزدوج من نطفة الرجل وبويضة المرأة هو الذى يتكون منه الذكر تارة والأنثى تارة أخرى ، فلو لم يكن هذا التعلق من هذين الشيئين لما كان ذكر ولا كانت أنثى ، ولو لم يكن ذكر ولا أنثى لما كان هناك شيء من هذا التعلق ، فلو ذهبنا نتوهم مبدأ السلسلة على مذهب الطبيعيين لوجدناها لا تنتهى إلى حد . وإذا فلا بد من التسلسل في سلسلة وجودية شخصية لا تنتهى إلى ابتداء في القدم وهو محال ، إذ هي حوادث متوقف بعضها على بعض في الشاهد فلا بد أن تكون لها علة أولية لا تتوقف على مملوها ، وإذا فلا بد أن يكون مبدأ هذه السلسلة إما التعلق من جرثومة وبويضة لا علاقة لها بالذكر والأنثى ، وإما الذكر والأنثى من غير توقف على جرثومة الرجل وبويضة المرأة وفي كل من الغرضين خروج على مقتضى

الطبيعة في تكوين الأشياء . ثم إذا استمر بك البحث فلا بد من الاعتراف بأن هناك قدرة خارجية كونت الذكر والأنثى تكويناً صالحاً للاقتران ، لا من طريق تعلق الجرثومة الذكورية بالبويضة الأنثوية ، تبتدىء منهما السلسلة ، أو كونت الجرثومة والبويضة تكويناً صالحاً للتعلق في مكان صالح للتربية غير هذا المكان حتى يتكون منهما الذكر والأنثى ، وعلى أى فرض فهو اعتراف باحتياج الإنسان في خلقه إلى خالق مبدع ، ثم إذا نظرنا إلى هذا التدبير الذى يحوط هذا التطور ومبادئه ، من جعل أعضاء التذكير في الذكر ، وأعضاء التأنيث في الأنثى ، وكيفية تحول الغذاء الناشئ من التراب نطفة مشتملة على الجراثيم ، ثم الفذف بها على طريقة أعد لها من الغرائز والمقتضيات ما أعد ، ثم تحول مثل ذلك في الأنثى إلى بويضات قابلة للجراثيم ، ثم المكان الصالح للتربية ، وإعداد الغذاء الصالح إلى غاية الاستكمال الجنيني ، ثم تصوير الجنين في هذا المكان المظلم البعيد عن المؤثرات الخارجية كل البعد ، تصويراً يهيئه لما أعد له في هذا الوجود ، فتبدع له العين الباصرة ، والأذن السميعة ، واليد الصانعة ، والحواس الظاهرة والباطنة ، والأجهزة المختلفة ، كالجهاز التنفسي ، والجهاز الهضمي ، والجهاز العصبي ، ثم إعدادة لموهبة العقل ، ثم تسويته في أحسن تقويم ، ذكراً أو أنثى ، ثم قبوله للنماء إلى أن يصير إنساناً سوياً .

كل هذا مع ما بيناه من التوقف المذكور آنفاً يجعلك تجزم جزماً لا شك فيه بوجود الخالق المدبر الحكيم القدير العليم .

ثم لو نظرت مثل هذا النظر إلى سائر الحيوان لوجدته مثل الإنسان سواء بسواء ، ولو نظرت مثل هذا النظر في النبات لوجدته كذلك ، ولو انتقلت بنظر إلى الجماد لوجدته مركباً من البسائط (العناصر) على نسب خاصة ووجدت تلك البسائط مكونة من الذرات على كفيات خاصة ، ونظرت إلى الذرة فوجدتها مجموعة قوى متماسكة يدور بعضها على بعض أشبه شئ بالنظام الشمسي قابلة للانفكاك والفناء ، لعلمت علماً لا شك فيه أنها مفتقرة إلى مدبر لها آخذ بناصيتها .

ولو نظرت إلى ذلك كله لوجدت العالم كله عللاً ومعلولات ، أو بعبارة أصح ، أسباباً ومسببات ، يتوقف بعضها على بعض لا بد من انتهائها إلى مبدعها الذى لا أول له ، سبحانه ما أعظم خلقه وما أحكم أمره .

بذلك ثبت أن الإنسان مخلوق كما أن العالم مخلوق لخالق قادر ، وكون الخالق رباً لخلقه أمر يكاد يكون بديهياً ، إذ الرب هو المالك المتصرف ولا شئ أقوى من الخالق يوجب الملك

والتصرف ، وكون المملوك واجباً عليه أن يمثل أمر مالكة أمر كذلك ضرورى الإدراك إذ المملوك فى حيازة مالكة ، يتصرف فيه بما يشاء ، ويأمره بما يريد ، فإن لم يفعل استحق الجزاء ؛ جزاء خروجه أو محاولة خروجه على تصرف مالكة ومرييه . تلك العلاقة وحدها هى التى توجب على محمد ﷺ امتثال أمر ربه فى التبليغ ، كما توجب الامتثال على المبلغ إليهم . والمفعول المحذوف هو ما يقرؤه محمد ﷺ باسم ربه لا باسم نفسه وهو ما أوحى إليه ، والمعنى اقرأ ما أوحى إليك باسم ربك ... الخ^(١)

ثم إعادة الأمر وتقييده بأكرمية ربه فى قوله تعالى [اقرأ وربك الأكرم] يدل على أن المقروء من وادى ما يتكرم به الرب سبحانه وتعالى على محمد ﷺ ، وتوضيح الأكرمية بالتعليم بالقلم وتعليم الإنسان ما لم يعلم فى قوله [الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم] يدل على أنه من وادى ما تكم به تلك الأكرمية ، ولو ذهبت تحمل معنى (أكرم) وما به يكون الكرم لوجدت أن معنى الكرم لا يصح إلا حيث يكون المتكرم متفضلاً ويكون المتكرم عليه فى حاجة إلى هذا التفضل ، إما لسد نقصه أو لتكميم كاله ، وتطرد نسبة عظم الكرم لنسبة مقدار الحاجة إلى المتكرم به ، وفائدتها عند المتكرم عليه ، فكما اشتدت حاجته إليها ، وزادت فائدتها عنده من دفع ضرر أو جلب نفع ، عظم هذا الكرم والعكس بالعكس .

وإنما كان التعليم بالقلم وتعليم الإنسان ما لم يعلم كرمًا من الله سبحانه وتعالى بعد الخلق لأنه ميزة الإنسان على سائر الحيوان الأرضى ، ولما كان الخلق على الوجه السابق من كرم الله كان التعليم على هذا الوجه من زيادة كرمه المعبر عنه بالأكرمية ، ولما كانت هذه الأكرمية لا تكم إلا بهداية الرسل كان ذكرها من مؤيدات إرسال الرسل بهذه الهداية التى تكم بها أكرميته سبحانه ، إذ الإنسان مفتقر إليها فى تحصيل سعادته فى الأولى والآخرة ولا يستطيع الحصول عليها إلا بوحي إلهى .

ومن علم قيمة القلم والعلم الذى أنتجه العقل البشرى وهدى الرسالة الذى هو كمال هاتين نعمتين ، علم مقدار كرم الرب الأعلى على الإنسان الضعيف الفقير إليه الذى لا يملك من شأنه شيئاً إلا بنعمة الله وفضله .

فانظر لهذه الرسالة المباركة ، وأشهد بأنها من كتاب ليس من قول البشر ؟ محمد السامى

مدرس بكلية أصول الدين

(١) من العجب أن تبقى بشارة التوراة ملوحة بهذا المعنى إذ يقول فيها [أقيم لهم نبيًا من وسط أخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمهم فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون الإنسان الذى لا يصح لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه] .

بَابُ الاسْتِئْثَارِ وَالْفَتَاوَى

البهائيون

مرتدون وخارجون عن دين الإسلام

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

١ — ما رأيكم في النحلة البهائية ومعتقها من الإسلام ؟

٢ — هل يورث معتنق البهائية من المسلم ؟

على محمد الوقاد

١٢٩ شارع السد البراني - قسم السيدة زينب

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وعلى البيان المرافق الذي شرح به المستفتي مبادئ المذهب البهائي . وتفيد بأن مذهب البهائية مذهب باطل ليس من الإسلام في شيء ، بل أنه ليس من اليهودية ولا النصرانية ، ومن يعتنقه من المسلمين يكون مرتدّاً خارجاً عن دين الإسلام .

إن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام ويأبأها كل الإباء . منها : ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب والالوهية لبعض آخر ، وأن الإيمان هو متابعة هذا المذهب والكفر هو مخالفته ، وأن هذا المذهب ناسخ لجميع الأديان ، إلى غير ذلك .

ومن المقرر شرعاً أن المرتد لا يرث المسلم ولا غيره . وعلى ذلك فمعتنق مذهب البهائية لا يرث غيره مطلقاً . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

تصوير المرأة العارية

وجاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

أنا تلميذ في معهد من معاهد الرسم والتصوير التى تشرف عليها وزارة المعارف ، وبرنامج الدراسة فى هذا المعهد يشتمل على رسم المرأة وهى عارية الجسم من كل ساتر ، وعلى هذا تحضر إلينا المرأة وتقف بين عدد كبير من الطلاب يأخذ كل من الطلبة فى الامعان إلى جميع أجزاء جسمها ويرسم جميع ما يتناوله النظر لا فرق بين عورة وغيرها .

فهل يجوز شرعاً ذلك الرسم على النحو السالف الذكر ، وهل يعتبر التعليم مسوغاً وضرورة تبيحه ؟ كمال أحمد

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطاعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن جميع بدن المرأة عورة يحرم نظر الأجنبي إليه ، ما عدا وجهها وكفيها فإنه يجوز كشفهما ونظر الأجنبي إليهما أيضاً إذا أمنت الفتنة . أما إذا لم تؤمن الفتنة فإنه لا يجوز النظر إليهما أيضاً ويجب على المرأة سترهما . نعم يجوز لضرورة العلاج أن ينظر الطبيب إلى شيء من جسم المرأة مما يحرم النظر إليه فى ذاته بقدر ما تقتضيه ضرورة العلاج ، ولا يجوز فيما عدا ذلك .

ويجوز لكل من القاضى والشاهد أن ينظر إلى وجه المرأة الواجب ستره لتعرف شخصيتها . وعلى ذلك يكون تعرض المرأة لتصويرها عارية حراماً ، ويحرم على المصور أن يصورها كذلك وأن ينظر إلى أى جزء من جسمها فيما عدا الوجه والكفين كما قدمنا . ويحرم أن يكون هذا النوع من التصوير فى منهاج الدراسة .

والتصوير على النحو الوارد بالسؤال يترتب عليه مفسد خلقية واجتماعية ، ولا تفره شريعة من الشرائع السماوية . وليس تقرير هذا التصوير فى منهاج الدراسة مبيحاً للطالب أن يسير فيه ، كما أن المصور الذى يتهيش من أجر هذا التصوير ، لا يجوز له مباشرة هذا العمل فإن المكسب الحاصل منه خبيث ، وهو منهى عنه شرعاً ، ويجب عليه أن يتخذ طريقاً آخر للعيش يكون حلالاً . وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم .

الهدايا والندور وفتاوى أخرى

وجاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

- ١ — هل من يسلم شيخه هدية بأى طريق يكون هذا مدعاة لألمه ، وهل تألم الرسول صلى الله عليه وسلم من الهدايا .
- ٢ — وهل فى كتاب الله أو سنة رسوله ما يحين للشيخ أن يفصل مقدم الهدية له من الطريق ؟
- ٣ — إذا حدد الناذر المصرف ، فهل يباح له أن يخالف ذلك ويصرف النذر إلى اليتامى والمساكين ببلد هذا الناذر ؟
- ٤ — وهل اليتامى والمساكين هم الذين لا تزيد سنهم على عشر سنوات ؟
- ٥ — وهل العاجزون والعاجزات هم الذين لا تنقص سنهم عن سبعين سنة ؟
- ٦ — قد ورد فى الكتاب المرافق للسؤال — وهو تأليف شيخ الطريق الذى يمتنع من قبول الهدية — أن الحسن رضى الله عنه صلى على أبيه صلاة الجنازة فكبر تسع تكبيرات . فهل الأمر كذلك فى الشريعة .
- ٧ — قد طبع شيخ الطريق هذا ديوان شعر نسبته إلى الإمام على ، فهل صحيح أن الإمام عليا كان مكثرا من قول الشعر وأن له مثل هذا الديوان .
- ٨ — يعنى هذا الشيخ من قراءة درس فى مسجد جده أفسر فيه سورة الحجرات .
فهل له حق فى هذا المنع ؟
عبد الرحمن سالم نصر الدين
مدرس أول بمهمات المنصورة

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد فقد اطاعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد :
عن الاول — بأن الإهداء وقبول الهدية أمر مندوب إليه شرعا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تهادوا تحابوا ، وقال عليه الصلاة والسلام : لو دعيت إلى كراع أو ذراع لأجبت ، ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت ، رواه البخارى .

لكن امتناع الشيخ المشار إليه عن قبول الهدايا ، إذا كان القصد منه التباعد عن اتخاذ الطريقة وسيلة لكسب المال فهو قصد حسن ، فإن اتخذ الطريقة حرفة ووسيلة لكسب المال أمر مذموم وممنوع شرعا ، ويجب أن تكون الدعوة إلى الله والإرشاد إلى دينه خالصا لوجه الكريم .
عن الثاني — بأن تصرف الشيخ مع بعض أتباعه الذين يقدمون له هدية بفصلهم من الطريق هو أمر موكول إلى الشيخ ولا يضر المفصول ما دام محافظا على العمل بالشرعية من أداء الواجبات واجتناب المحرمات .

وعن الثالث - بأن النذر يجب الوفاء به متى كان المندور طاعة ، فإذا حدد الناذر في نذره جهة بر وقربة إلى الله تعالى ، تعين صرف المندور في تلك الجهة ، أما إذا كان المندور معصية فإنه يحرم الوفاء به ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه .

وعن الرابع والخامس - بأن النذر إذا كان للفقراء أو المساكين أو اليتامى فإن الناذر يلزمه صرف المندور إلى من يريد من هؤلاء . وينبغي له تفضيل الأحوج ولا يتقيد ذلك بسن مخصوصة لا في اليتامى ولا في كبار السن . والمعول عليه هو الفقر والحاجة وعدم القدرة على الكسب .
وعن السادس - بأن التكبير في صلاة الجنازة يختلف عدده في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من أربع إلى تسع . واستقر في آخر الأمر على أربع تكبيرات ، وعلى هذا جمهور العلماء ، وما عداه فهو شذوذ . والمنقول في بعض كتب الشافعية أن الحسن رضى الله عنه كبر على أبيه أربعاً .

وعن السؤال السابع - بأن مسألة كون الإمام على كان يقول الشعر بكثرة أو بقلة ليست من الدين في قليل أو كثير ولا يتعلق بها حكم شرعى . غير أنه لا يجوز أن ينسب إلى إنسان شيء إلا بعد التثبت من صحته إنصافا للحق والتاريخ .

وعن الثامن - بأن المساجد لله ، وإلقاء الدروس الدينية والوعظ والإرشاد فيها من السنة الثابتة من عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الآن .

غير أنه إذا لم يكن المدرس أو الواعظ أهلا للتدريس أو الوعظ ، أو كان يدس في دروسهم ما يخالف الدين أو ما يبعث على إثارة الفتن بين الناس فإنه يمنع من ذلك .
وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

محمد عبد الفتاح العناني

رئيس لجنة الفتوى

الكتاب

المجتمعات الإسلامية في القرن الأول

نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي

لأول مرة في تاريخ جامعاتنا العربية تصدر عن خريج من أبنائها دراسة جيدة لموضوع عن تراث العروبة والإسلام تشعر منها وأنت تنتقل بين فصولها بأن كاتبها قد هضم موضوعه وعاش في بيئته ، وتحرى معرفته كما لو كان معاصراً له . ذلك هو كتاب المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الذي ألفه الدكتور شكري فيصل لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب في جامعة القاهرة ، فكان موضع تقدير اللجنة التي نافشته ، ولما قد أحسنت إذ منحه عليه أعلى الدرجات .

وقد نشر الدكتور شكري فيصل مؤلفه هذا فجاء في ٤٨٦ صفحة كبيرة بالحرف الدقيق مؤيدة بالنصوص ، مشفوعة بتسمية المصادر والدلالة على مواضعها . وهو يقول في تصدير كتابه : إن الفقر في دراسة التاريخ الإسلامي لا يرجع إلى فقر مصادرنا التي تعودنا أن نشكو منها ، بل إلى أننا لم نحسن بعد استثمارها واستقطارها ، ثم أعلن حقيقة ثانية وهي قوله : أخذنا كتبنا القديمة بمفاهيمها الحديثة ، وكان ذلك مصدر كثير من أخطائنا . وعقب على هاتين الحقيقتين بحقيقة ثالثة في قوله : من المؤكد أن المراجع الأولى الأصلية — كالطبري والبلاذري وابن عبد الحكم — تتيح لنا قدراً من المعرفة ، ومن المتعة أيضاً ، لا يتوفر في المراجع المتأخرة . وقد نجد في مرجع متأخر قدراً أكبر من الحوادث ، وليكن لنا نغز كيف تنضخم الحوادث مع الزمن ، أثراً لكثير من الأهواء والنزعات .

فأنت ترى أن هذا المؤلف المجيد استطاع - وهو في المرحلة الأولى من حياة التأليف - أن ينتبه إلى مزالق الخطأ في دراسة تاريخ الإسلام ، فأثر الأخذ من الينابيع الأولى الصافية متوقفاً أن يكون التضخم في سرد الحوادث عند المتأخرين يحتمل أن يكون من أثر الأهواء

والنزعات . وانتبه إلى أن لغة الأقدمين يجب أن تفهم بمداولاتها عندهم لا بفاهيمنا الحديثة ، وإلا كان ما نفهمه منها غير الذى أرادوه بما قدموه لنا . وانتبه قبل هذا وذاك ، إلى أن النصوص التى تركها لنا السلف عن أحداث زمنهم ، تكفى لمعرفة حقيقة تلك الأحداث .

ونحن نضيف إلى ملاحظاته أن الكتب القديمة التى ألُفّت فى التاريخ يجب على من يريد أن يستفيد منها ، أن يدرك مشارب مؤلفيها ويعرف أقدارهم ، ثم إن أئمتنا أنفسهم قد كانوا من سعة الصدر واحترام حرية رأى إلى الحد الذى يوردون فيه حتى روايات خصوصهم ، لكنهم يعتمدون فى إبرادها على تسمية روايتها ليكون القارىء على بينة من قيمتها . ونحن الآن لانستطيع أن نميز بين الرواية التى روايتها ثقات ، من الرواية التى روايتها قد يكونون من أهل الأهواء والأغراض ، إلا إذا رجعنا فى النقد إلى قواعد الجرح والتعديل وإلى تراجم الرواة التى كتبها العلماء بهذه القواعد . فإذا وقفنا على ذلك وأعطينا لكل ذى حق حقه أمكننا الاستفادة من مقارنة الأخبار بعضها ببعض والاخذ بما يستحق الاخذ به ، والاعتبار بما يصلح للاعتبار به . ومن هذه المقارنة يتوصل الدارس إلى حقائق أدهم وأثمن وأدعى إلى الاطمئنان مما لو اقتصر المؤرخ القديم على النصوص المعتمدة عنده وأهمل ما عداها .

ودراسة الدكتور شكرى فيصل للمجتمعات الإسلامية فى القرن الاول تألف من تمهيد عن الجزيرة العربية ، ومن أربعة كتب ، عنوان أولها : من الجاهلية إلى الإسلام ، بحث المؤلف فيه حال المجتمع العربى قبيل الإسلام وعند ظهور الإسلام ، وكيف تشكل المجتمع العربى فى صدر الإسلام . وعنوان الكتاب الثانى : نشأة المجتمعات الإسلامية الجديدة فى الاقطار المفتوحة ، بحث فيه حالة المجتمع الجديد فى الشام ، ثم فى العراق ، ثم فى مصر وطرابلس وبرقة والنوبة ، ثم فى المغرب ، فالمجتمع الجديد فى الجناح الشرقى من المملكة الإسلامية . وعنوان الكتاب الثالث : التطور اللغوى ، بحث فيه عن التطور الكمى والتطور الكيفى ، وعن العلاقات اللغوية فى أواخر القرن الاول . وعنوان الكتاب الرابع : التطور الأدبى ، بحث فيه عن الدور الأدبى الاول وهو دور الهدوء ، وعن الدور الأدبى الثانى وهو دور اليقظة والفتح .

ومما ساعد المؤلف على تجويد عمله ، وعلى أن ينظر إلى البحوث الإسلامية وتركه السلف بعين العلم المسئلة ، أنه نشأ فى بيت علم تحت جناح خاله محدث الشام الشيخ محمود ياسين - رحمه الله - ولذلك قال فى تصدير الكتاب : إن صلتى الرسمية بالموضوع تبدأ منذ أن

بجلته في الجامعة لدرجة الدكتوراه ، غير أن صلتى الشخصية به ترجع إلى بعيد حتى تبلغ الفترات الاولى التي كانت تفتح فيها أذهاننا - في سنوات الدراسة - لتيارات الثقافة العميقة ومشكلات الحياة الكبرى ، وكنت حريصاً أشد الحرص على أن أبوى الحركة الإسلامية مكانها من هذه الحركات التي تمخضت عنها الإنسانية ، وأن أدرك - في شيء من العمق - دورها الفخم في قيادة الناس ، وأسلوبها في جمعهم على صعيد واحد من الفكر والعقيدة واللغة .

ولو أن كل متخرجي الجامعات العربية في مصر والشام وغيرهما ينظرون إلى تراثهم بعيونهم هم - كما فعل شكرى فيصل - لا بعيون الاغيار من أجنب وشائين ، لاوشك أن يبدأ لنا دور على حياة النهضة ، يصحح إيمان الأمة بماضيها ويسدد طريقها نحو مستقبلها ، ويفسح لها مكاناً بين الأمم التي تحترم نفسها ويحترمها الناس .

هذا وإن المؤلف لما مضى في تأليف كتابه (المجتمعات الإسلامية) شعر بحاجة هذا البحث إلى أن يكون في جانبه بحث آخر متم له ، بل هو منه بمنزلة الأساس الذي يقوم عليه بناؤه ، وهذا البحث الآخر هو (حركة الفتح الإسلامى فى القرن الاول) وقد جاء هذا الكتاب الثانى فى نحو ٢٠٠ صفحة وعلنا نتكلم عليه فى جزء آخر من مجلة الازهر إذا شاء الله .

العواصم من القواصم

فى تحقيق موافق الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم

كما أن الصورة التي يجسدها المسلم فيما جاء عن الانبياء فى القرآن الحكيم تتفق مع ما يشترط فيهم من العصمة والكمال الإنسانى لتتم القدوة بأعمالهم ، وتحسن الأسوة بأخلاقهم ؛ بينما الوارد عنهم فى كتب أخرى لغير المسلمين يخالف ذلك ويصمم بما لا يتفق مع ما يحملونه إلى الإنسانية من رسالات الله ؛ كذلك ما ورد فى صحيح البخارى ومسلم وفى أمهات كتب السنة ونصوص الاعلام من أئمة الإسلام عن أصحاب رسول الله ﷺ وما كانوا عليه من سلامة الدين وصدق اليقين والتزام الحق والتحلل بالفضائل فى سلمهم وحرهم وفى اتفاقهم واختلافهم وفى خاصة أنفسهم أو ما كانوا يتحملونه من أعباء الأمة ، فإن ذلك هو الذى يتفق مع سيرتهم التى كانوا عليها فى الواقع ، كما يتفق مع ما أنشأ الله به عليهم فى مواطن كثيرة من كتابه الحكيم ، ومع ما وصفهم به رسوله ﷺ بقوله « أصحاب كالنجوم » وقوله

«خير القرون قرني» . وقد خلف من بعد الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان خلف كان تدوين الأخبار في زمانهم ، فاختلق بعضهم على القرن الذين كان منهم رسول الله ﷺ وعلى الذين جاءوا بعدهم من المجاهدين والدعاة الفاتحين ، أخباراً قد يكون لبعضها أصل سليم لكنهم حرفوه وزادوا فيه ، ما أخرجه من باب الفضيلة إلى ضدها ، حتى صارت لأشرف عصور الإنسانية في أذهان الناس صورة كاذبة مشوهة تخالف ما كان عليه أولئك المجاهدون الأبرار والأولياء الأخيار ، بسبب هذه الكتب التافهة التي كان بعض مؤلفيها كبعض الصحفيين في عصرنا هذا . وقد كان الأقدمون يمدلون عن هذه المصادر المريضة إلى المأثور في كتب السنة ومؤلفات الأئمة للوقوف على حقيقة ما كان في زمن الصحابة والتابعين ، وما كانوا عليه في اتفاقهم واختلافهم . ثم جاءت عصور عمت فيها البلوى بكتب من لا يميزون بين الروايات الصادقة والروايات الكاذبة ، وقل عدد القارئ الذين يحسنون الرجوع إلى كتب المحدثين والمحققين ، فرأى إمام المالكية في عصره وكبير فقهاء الاندلس وعلماؤها القاضي أبو بكر بن العربي أن هذه الحالة من قواصم الحق في الإسلام ومن أكبر المصائب الواقعة على المسلمين ، وأى شر أعظم من أن يكون لامة ماض كريم مشرف فتمد إليه يدها بالتشويه حتى تحيل فضائله رذائل ؟ لذلك ألف كتابه (العواصم من القواصم) وأعلن فيه الحقائق التي تعصم الامة من هذه الأكاذيب القاصمة والمفتريات المشككة .

وقد رأت (لجنة الشباب المسلم) وهم طائفة من خريجي الجامعات المصرية المنتسبين إلى الإخوان المسلمين أن هذا التحقيق التاريخي العظيم من خير ما يجب على المسلمين تدبره والوقوف على حقائقه ونشرها في العالم الإسلامي ، فاقترحوا على رئيس تحرير هذه المجلة أن يعلق عليه بما يزيد وضوحاً ، وبما تقوى به الحجة ويستنير الحق ، فقام بهذا العمل لوجه الله عز وجل متقرباً به إليه ، فجاء كتاباً جامعاً من النصوص الأصلية عن عصر الصحابة ما لو أراد باحث أن يجمعه من مظانه ويلمقطه من مراجعه لاحتاج إلى مجهود عظيم ووقت طويل . والحق أن الأخطاء العالقة في أذهان الناس عن عصر الصحابة الزاهر الباهر قد صححت كلها والله الحمد بعلم القاضي ابن العربي وبالعليقات القيمة التي ألحقت به . فأصبح من المسأول بعد اليوم أن يصحح المؤلفون في التاريخ الأخطاء التي كانوا يجدونها في المصادر المسأولة ، وأن يعتمد مدرسو التاريخ الإسلامي في الأزهر ومعاهده والمدارس والجامعات هذه النصوص الصحيحة التي احتواها كتاب (العواصم من القواصم) وتعليقاته . وهو في نحو ثلاثمائة صفحة ، وفي أوله تصدير بقلم محرر هذه المجلة ، وترجمة مطولة للإمام

ابن العربي من نشأته إلى وفاته ، وفصل عن الصحابة وأنهم عدول بتعديل الله ورسوله لهم ، وأنه لا يفتقص أحداً منهم إلا زنديق . وبآخر الكتاب فهرس مطول للموضوعات ، وفهرس للأعلام التاريخية ، وآخر للأعلام الجغرافية ، وجريدة بالمراجع التي كان الاعتماد عليها في كتابة التعليقات . فنقلت الأنظار إلى هذا الكتاب النفيس ، ونحت كل مشغل بالتاريخ الإسلامي تأليفاً أو تدريساً على قراءته بتدبر وإمعان .

بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي

بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل أحد بطون بني عامر بن صعصعة من قيس عيلان ، كانت مواطنهم الأولى في نجد مما يلي المدينة ، فلما تنقلت قبائل الجزيرة في صدر الإسلام لتتخذ لها منازل قريبة من معسكرات الزحف للجهاد والفتوح ، كثرت بنو خفاجة في العراق والجزيرة ، وتفرقت قبائل منهم في الشام والاندلس وجاء بعضهم إلى مصر ، كما في سبائك الذهب للسويدي المقتبس من كتاب أنساب العرب للقلقشندي . وأقدم من وفد من قبائل قيس عيلان إلى أرض مصر بطون من فهم وعدوان . وفي ولاية الوليد بن رفاعه الفهمي القيسي نزلت أرض مصر في سنة ١٠٩ هـ بنو سليم وقبائل قيسية أخرى . وفي خلافة هشام ابن عبد الملك ، تولى مصر عبد الله بن الحبحاب مولى بني سلول القيسيين ، فقدم ثلاثة آلاف من قيس ، أذن لهم هشام بذلك مشروطاً أن لا ينزلوا بالقسطاط ، فوزعوا على الحواف الشرقي ومنهم مائة أهل بيت من بني عامر بن صعصعة الذين منهم بنو خفاجة فنزلوا في بلبس ، وعملوا في الزراعة . وفي خلافة مروان بن محمد كان الوالي له على مصر الحويثرة بن سهيل الباهلي فمات مروان وبمصر ثلاثة آلاف بيت من قيس ، ثم أحصوا في ولاية محمد بن سعيد فكانوا ٥٢٠٠ كما يقول المقرئ في البيان والإعراب .

وكتاب (بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي) ألفه فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي المدرس بكلية اللغة العربية بالأزهر ، وهو في خمسة أجزاء في أكثر من ٥٠٠ صفحة ، ألمّ بكثير مما في كتب الأدب والتاريخ المتداولة من أخبار هذا الجذم من بني قيس عيلان ، وترجم لأعلامهم من شعراء وفرسان وساسة وعلماء ، ونوّه بالبارزين من أفاضلهم المعاصرين ، وبذلك جمع الكتاب أقصى ما وصلت إليه يد المؤلف من المعلومات عن هذا الفرع الخصب من أرومة العروبة المباركة ، التي ملأت الدنيا نفرا وذكرها .

وعساه ، إذا أتيح له إعادة طبع مؤلفه هذا ، أن يستقصى النصوص في المراجع الأخرى ليكون كتابه أشمل ، وأن يحذف منه ما لا يدخل في موضوعه ، وكان أليق به أن يكون في كتب أخرى ، ثم أن يعيد تنظيمه تنظيمًا عملياً ، لأن موضوعه الطريف جدير بهذه العناية .

المختصر في علم رجال الأئمة

هو كتاب في علم السنة والتعريف برجالها ، ألفه فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف مدرس هذه المادة في كلية الشريعة وسد به فراغا كان يشعر به الطلاب ، فتكلم فيه عن الإسناد وطبقات الرواة مبتدئاً من طبقات الصحابة فالتابعين وأتباع التابعين ثم تكلم على الجرح والتعديل وتاريخ علم الحديث رواية ودراية وتاريخ علم المصطلح وأشهر كتبه . وعقد باباً لتواريخ الرواة من زمن الصحابة إلى عصر التدوين فجاء الكتاب في ٢٢٤ صفحة حافلاً بكل ما يحتاج إليه من يريد الوقوف على علم السنة وعناية المسلمين به .

الملكية في الإسلام

هو بحث كتبه الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسيني عن الملكية الخاصة في الإسلام في الأعيان والمنافع ، وما يقبل منها الملك وما لا يقبله ، مع المقارنة بدلول الملكية في النظام الرأسمالي وأنظمة الشيوعية والاشتراكية والنازية والأديان الأخرى ، وتعرض لمعنى الرق في الإسلام ، وللخدمات التي لا تملك ، وأن العمل منشأ الملكية . وبعد أن استوفى المعاني التي تعرض لها تسكلم على غاية تشريع الملك في الإسلام ، وعلى نظام الملكية الإسلامي وقيمه وأثره . والكتاب مستمد من مراجع كثيرة إسلامية وأجنبية وهو في ١٤٦ صفحة بعد مقدمة في ٢٤ صفحة . فنلفت إليه الأنظار .

فلسفة غاندى الاقتصادية

بحث بين فلسفة غاندى الخاصة المحتوية على مبادئه وآرائه المستقلة التي تختلف عما لدى الغرب من مثيلها في الاقتصاد . وهذا البحث بقلم الأستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسيني ، ويقع في ١٥ صفحة ، ومن مطالعته تتكون عند القارئ فكرة عن الانقلاب الذي حدث في مبادئ الهند الاقتصادية .

النشاط الثقافي للأزهر

بمجامع كبار العلماء

في صباح الأربعاء ٢٥ المحرم اجتمعت جماعة كبار العلماء برئاسة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر لأول مرة بعد توليه منصبه ، وقد افتتح الجلسة باسم الله عز وجل ، والدعاء إليه تعالى أن يوفقه إلى العمل لخير الأزهر .

وعلى إثر ذلك تلى الأمر الملكي الخاص بتعيينه شيخاً للأزهر ، فرحب به حضرات الأعضاء ، وألقيت في ذلك كلمات من الأساندة المشايخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية وعبد اللطيف السبكي ، ومحمد عرفة ، أشادوا فيها بصفاته الحميدة ، وعاهدوه على أن يكونوا يداً واحدة لخير الأزهر والأزهريين .

وأخذت الجماعة بعد ذلك في توزيع الأعمال على الأعضاء ، فاختار بعضهم البحث أو التدريس ، واختارهما بعضهم معاً .

وعرض الأستاذ الأكبر على الأعضاء ما قد يذاع عن الإسلام من آراء لا تتفق معه ، ويحسبها بعض الناس من صميم الإسلام وهي ليست منه في شيء ، وبعد البحث تقرر أن تؤلف لجنة من حضرات الأعضاء للرد

على هذه الآراء . كما تقرر أن تؤلف لجنة أخرى لتنظيم إلقاء المحاضرات بقاءة المحاضرات الكبرى بالأزهر ، وألفت لجنة ثالثة لتنظيم أعمال اللجان وتحديد مهمة كل لجنة بالتفصيل على أن يقدم ذلك كله إلى جماعة كبار العلماء لإقراره في اجتماعه المقبل . ثم تحدث الأستاذ الأكبر في مسألة التبرع لمشروعات الحرب ، فتقرر أن يساهم الأزهر في هذا العمل الإنساني النبيل ، وتبرع أعضاء الجماعة لذلك بخمسة في المائة من مرتباتهم عن شهر أكتوبر ، ثم ينظر في تقدير نسبة معينة تؤخذ من الموظفين والعلماء من مختلف الدرجات من مرتباتهم عن الشهر نفسه .

وكبار الأزهر

باشر صاحبها الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز والأستاذ الشيخ محمد نور الحسن وكيلا الأزهر الجديدان عملهما في هذا الشهر . وما قاله الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن للذين زاروه مهنيين : « إن النهضة تكون على قدر العمل . وقد قال الله عز وجل « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

لدراسة الدين الإسلامى واللغة العربية مع بعض من تخرج فى الأزهر من أهل هذا القطر . فوق اختيار الأزهر على فضيلة الشيخ على مصطفى الغرابى المدرس الآن فى كلية أصول الدين ، وسافر فى أوائل فبراير سنة ١٩٤٨ وهذه أول بعثة أزهرية بل إسلامية إلى بلد إفريقي بجوار إثيوبيا ، فكان لإيفاد عالم أزهرى مصرى نعمة وبشرى للمسلمين فى إريتريا وأثيوبيا ، وانتشر خبر البعثة فى الصومال الفرنسى والبريطانى والإيطالى وأوغندة وكينيا ، وتطلع المسلمون فى هذه البلاد كلها إلى أن يكون لهم مبعوثون أزهريون كما كان لإريتريا ، أو على الأقل أن يزور مبعوث الأزهر إلى إريتريا بلادهم ويقم بينهم ليستضيئوا من نور الإسلام .

ووقعت بينهم وبين المبعوث اتصالات وتعارف ، بالرسائل والخطابات ، ثم طلبوا منه السفر لزيارة بلادهم فحول خطاباتهم إلى إدارة الأزهر للتصرف ، وكان من أثرها إرسال البعثة الطوافة المؤلفة من الاستاذين الشيخ عبد الله المشد والشيخ محمود خليفة ، والى قامت بمهمتها خير قيام . وكتبنا تقريراً مسبباً عن حالة المسلمين فى البلاد التى زارها ، وعما يجب على الأزهر نحوه من إرسال البعثات من العلماء الأزهريين ، وتقبل بعوث الطلبة وإرسال الكتب إليهم لتنتشر الثقافة الإسلامية فى ربوع إفريقيا .

ولقد كان ذلك كله أثر البعث الأول إلى إريتريا على الرغم مما صادفه من عقبات أهمها :

والمؤمنون ، . وقال الاستاذ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز لمدوب الأهرام : إن الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر رجل يؤمن برسالة الأزهر ، وسيدخل جمده فى سبيل أداء هذه الرسالة وهى رسالة الإسلام . ثم قال : إن أعوانه متعاونون معه على ذلك فى صدق وإخلاص . وإن النجاح فى هذا وغيره موقوف على تعاون حضرات علماء الأزهر جميعاً فى أداء واجبهم ، وعلى أن يعتبر كل واحد منهم مسئولاً عن هذا النجاح ، فإذا حصل هذا ، اعتبرنا أنفسنا قبل كل شئ مسلمين مجاهدين فى سبيل الله وفى رفع كلمة الإسلام ، فإن الله أكرم من أن يخذل المؤمنين المجاهدين .

إفريقيا والبعوث الإسلامية :

كان من بين الأفطار التى عرفت فضل الأزهر على نشر الدين الإسلامى وحفظه ، قطر صغير من أفطار إفريقيا ، تمتد على ساحل البحر الأحمر ، ويقع شرق السودان وجنوبه وشرق الحبشة وشمالي الصومال الفرنسى ، وكان مستعمراً لإيطاليا ما يقرب من سبعين عاماً حتى كاد يصبح بلداً إيطالياً فى سياسته واقتصادياته ولغته الرسمية ، لكنه - مع ذلك - احتفظ بدينه وتقاليده . هذا القطر هو إريتريا وعاصمته « أسمرا » التى ترتفع عن سطح البحر ما يقرب من سبعة آلاف قدم .

فى عام ١٩٤٧ اتجه هذا القطر إلى الأزهر يطلب منه عالماً يقوم بالتدريس فى جزء من المسجد الكبير اتخذته أدمه ليسكون محلاً

من مال الزكاة مقداراً شهرياً يصرف لهم ليساعدهم على الإقامة في دأسمرا ، لطلب العلم فاستجابوا لذلك ، ثم تأخرت الحالة الاقتصادية في البلاد ، وقل مقدار الزكاة فقطعوا المساعدة عن طلبة العلم ، فعادت المشكلة مرة أخرى فلجأ مبعوث الأزهر إلى طريقة أخرى ، يعمل بها في السودان ، وهي توزيع الطلبة على الموسرين من التجار ليأكلوا معهم في منازلهم .

المدرسون :

لقد كثر عدد الطلبة في المعهد وزادت الحاجة إلى مدرسين ، ولم يقف الأمر عند معهد أسمى ، فقد طالب أهل مصوع أيضاً بإرسال مدرسين لمعهدهم الذي أنشأه رجل من أصل مصري يسمى الحاج أحمد هلال ، ثم طالب أهل دكرن ، عاصمة لإقليم غربى إريتريا بمعاونتهم على إنشاء معهد دينى بعاصمة لإقليمهم ليؤتى لهم بعلماء من الأزهر ليعلموا أولادهم اللغة العربية والدين أسوة بأهل أسمى فتم إنشاء المعهد ولعل الأسباب تيسر لإمداد هؤلاء بمن يتولى تعليمهم وإرشادهم .

التعليم المرضى :

أما التعليم المدنى فالحكومة الإنجليزية غير مهتمة بتعليم المسلمين ، لهذا أنشأ المسلمون مدرستين لإحداهما للوطنيين ، والآخرى للعرب ، وكان يقوم بالتدريس فيها بعض

(١) منهج الدراسة - لما وصل مبعوث الأزهر إلى إريتريا كان الطلبة الذين في المعهد ليس لهم منهج دراسى معين ، وإنما هى دراسات عامة في النحو والفقه والتوحيد ، فنظم الدراسة في المعهد على حسب المنهج في المعاهد الدينية المصرية ، وأدخل فيه نظام انتقال الطالب من سنة إلى أخرى بعد أداء الامتحان في المواد التى درسها .

(٢) الكتب - لم يكن عند الطلبة الكتب المقررة على حسب المنهج ، ولم تكن الحكومة الإنجليزية تسمح بإدخال كتب من مصر ، فاشتترط أمرين : أن يكون الدفع بالاسترلين ، وأن يكون الترخيص بمجىء الكتب مباشرة .

إطعام الطلبة :

إن الطلبة الذين يدرسون في المعهد ليسوا من أهل المدن وإنما هم من أهل البادية رعاة البقر ، فكان الواحد منهم يأتى فاراً من رعى البقر لطلب العلم ، ولا يملك إلا ثوباً ممزقاً يستتر به عورته ، وليس معه نقود ، ولا يرسل له أهله شيئاً منها ، فكان البحث عن طريق لإطعام هؤلاء مشكلة المشاكل .

ولما كان الموسرون منهم يخرجون عن جزء من مال الزكاة كل عام في رمضان ليوضع في صندوق للصرف منه في أوجه البر كعلاج بعض المرضى من الفقراء ودفن من مات منهم ، ومساعدة من أخفى عليه الدهر من التجار ، اقترح عليهم أن يخصصوا الطلبة العلم

وثلاثين طالبا سنة ١٩٥٠ ثم بمئة ثالثة حضرت مع مبعوث الأزهر في العام الماضي مكونة من خمسة وعشرين طالبا . وهم جميعا ينتسبون الآن في الأزهر لعدم قبول وزارة المعارف إياهم بعد قبولها الثلاثة عشر طالبا الذين جاؤا في البعثة الأولى ، لكنهم يدرسون ليلا في المدارس مع دراستهم نهارا في الأزهر ودراستهم مستمرة في الناحيتين مع نجاحهم فيهما ، وهذا يشهد لهم بالذكاء النادر ، والاجتهاد المتواصل .

وقد كان من يحضر إلى الأزهر من الطلبة الارتيريين والاحباش بوساطة التجار الاحباش والسودانيين ، فكان تجار الاحباش يحملونهم معهم من الحبشة إلى إرتيريا ، ثم يحملهم التجار السودانيون من إرتيريا إلى السودان ، وبهذه الطريقة بلغ من حضر من إرتيريا من الطلبة ما يقرب من المائتي طالب ومن حضر من الحبشة منهم ما يقرب من مائة طالب .

إن للأزهر مكانة سامية في نفوس غير المصريين من المسلمين ، ومتى تمكن الأزهر من استغلال هذه المكانة أفاد الدين الإسلامي إفادة خاصة ، ومصر إفادة عامة تعود عليها بالخير سياسيا واقتصاديا . وأملنا أن يحقق الأزهر هذه الغاية النبيلة في عهده الجديد حيث يقود أوره الآن مجاهد إسلامي كبير ، وعالم سلفي عظيم . والله الموفق .

شبان السودانين الذين نزحوا مع الجيش الانجليزى منذ دخوله لإرتيريا . ولكن لم يكن للدراسة منهج تسيير عليه ، فاقترح عليهم مبعوث الأزهر لإنشاء مجلس يقوم بمهمة تنظيم التعليم في المدارس والمعاهد والإشراف عليه إشرافا يحقق الغاية منه ، فصادفت الفكرة قبولا ، وتألف المجلس برئاسة مبعوث الأزهر ووضعت له لائحة طبعت طبعا منسقا وأدخل المنهج المصرى في المدارس الوطنية . وبعد عام دراسى جىء إلى مصر ببعثة من الطلبة الإرتيريين ليشاركوا في أداء الشهادة الابتدائية المصرية مع الطلبة المصريين وكان من ثلاثة عشر طالبا ، نجح منهم أحد عشر وأعاد اثنان وهم جميعا الآن في مدرسة ساحل سليم الثانوية داخلها على حساب وزارة المعارف ، وبعضهم في السنة الرابعة وبعضهم في السنة الثالثة ، بل بعضهم في التوجيهى هذا العام لاختياره امتحان فترتين مرة واحدة كما أباحته لهم وزارة المعارف .

بعوث الطلبة إلى مصر :

كان من أهم ما سعى له مبعوث الأزهر لإرسال الطلبة إلى مصر لا من إرتيريا وحدها بل من الحبشة أيضاً فأرسل البعض وهو العدد الأكبر إلى الأزهر ، وقليل منهم أرسلوا إلى وزارة المعارف للاشتراك في امتحان الشهادة الابتدائية المصرية كما تقدم ، ثم أرسلت إلى وزارة المعارف بعثة أخرى مكونة من ثمانية

الأدب والعلم في شهر

في مجمع اللغة العربية :

يهديم ، وتنتفعون بتجربتهم وعلمهم ، وتجهون إليهم طالبين النصيحة والعون كلما صادفتكم صعوبة أو قابلتكم مشكلة ، وستلاقون منهم عطف الآباء على الأبناء ، وحرص المربين على كل ما يعود بالنفع على طلابهم ، وبهذا نتبها لكم أسباب النجاح ، وتسعدون بجو يسوده النظام والثقة والمحبة ، فتعود بذلك إلى معاهد التعليم قداستها وحرمتها .

من أدب العلم :

تحدث العالم المكتشف (اينشتاين) إلى طلبة العلم في نيويورك في هذا الشهر فقال لهم : « ليس للطالب غنى عن شيء واحد وهو الشعور الفياض بكل ما يقوم على الخير من الناحية الأدبية ، وتقدير لكل ما هو جميل ، فإن لم يفعل ، فانه يكون — مهما اكتملت ثقافته — كالطالب الذي أحسن ذروه تدريبه ، لا كالإنسان الذي تناسقت شمائله وسمت أخلاقه .

« وما ينبغي للطلاب ، أن يدرك الدوافع البشرية ، وما قد يتعرض له العامل المجد من فشل وما يحتمل أن يفتاب الإنسان من كوارث وآلام ، فإذا أدرك الطالب ذلك وتوقعه فانه ستتوطد صلته بالمجتمع .

استأنف مجمع اللغة العربية نشاطه يوم ٦ أكتوبر بعد انتهاء العطلة الصيفية ، فعقد جلسة قام فيها فريق من أعضاء المجمع بإلقاء كلمات ترحيب ، تتضمن التكريم الذي لحق المجمع باختيار حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الحضر حسين شيخاً للأزهر الشريف ، وقد عددوا ما أثر فضيلته ونوّهوا ببحوثه العلمية والدينية ، التي كان لها الأثر الكبير في النهوض بمختلف الشؤون الدينية والعلمية .

العلم والأخلاق :

قال وزير المعارف في كلمة أذاعها على الطلبة في مفتتح العام الدراسي :

« إنكم إذ تتلقون العلم في مدارسكم ومعاهدكم تعملون ما يعمل الجندى الذي يتدرب في معسكره لكي يبلى أحسن البلاء في ميدان الجهاد ، ولكن العلم وحده لا يغنى عن الأمة شيئاً إذا لم تدعمه قوة الأخلاق ونبيل النفوس ، كما أن تدريب الجندي لا يغنى عن الأمة شيئاً إذا لم تدعمه قوة الجئمان وشهامة الطبع . ولست أشك أنكم - في تحقيق هذه الأغراض - ستجدون من أسانذكم خير هداة تشرشدون

مكتبة عربية بجامعة درهام :

تعزم جامعة « درهام » إنشاء مكتبة عربية يفتظر أن تصبح أكبر مؤسسة من نوعها في بريطانيا . وتقوم الجامعة الآن بالاتصال بالمعاهد العربية والناشرين والمكتبات العربية للحصول على بيانات عن المؤلفات المنشورة بالعربية . وكان أحد وزراء المعارف السابقين قد وعد هذه الجامعة بإهدائها طائفة من الكتب العربية القيمة .

الاضطراب في الحياة الجامعية :

يقول عميد كلية الآداب في جامعة الإسكندرية: إن الاضطراب الذي أصاب الحياة الجامعية في السنوات الأخيرة كان السبب الأكبر فيه سوء النظام المالي ، وكثرة درجات السلم الجامعي ، مما شغل فريقاً من أعضاء هيئة التدريس بشئون الأقدميات والترقيات المتعاقبة ، وبما اضطرب بعضهم إلى الدخول في خصومات قضائية . ولو أن الجامعة وفقت إلى تبسيط وظائفها لاستقام كثير من الشئون ، ولنفرغت هيئة التدريس لعملها الاصيل في البحث والكشف العلمي .

حلقة الدراسات الاجتماعية :

تعقد في دمشق اجتماعات حلقة الدراسات الاجتماعية الثالثة من ٨ ديسمبر القادم إلى ٢٠ منه ، وتشترك في ذلك دول الجامعة العربية . ولما كان ميثاق الجامعة ينص على أن تمثل الدول العربية غير المنضمة إلى الجامعة في

« وهذه السجاي لا يمكن أن تثبت في نفوس النشء إلا بوسيلة واحدة وهي (القدوة الشخصية) لا من طريق الكتب وحدها . وهذه هي الوسيلة التي تؤدي إلى قيام الثقافة الصحيحة ، والسير بها نحو الكمال ، وختم حديثه بقوله : « إن هذا الطراز من الثقافة قد يقضى عليه روح التنافس في دراسة معينة لا يتمكن صاحبها من أن ينهل من معين المعرفة الشاملة الذي لا ينضب والبحث القائم على النقد الصحيح وتوخي الحقيقة » .

منابع ثقافة الأمريكيين

في الشرق الأوسط

عاد الدكتور سليمان حزين مدير الثقافة العامة بوزارة المعارف من رحلته الطويلة في الولايات المتحدة التي استغرقت شهرين وبعد أن شهد الاحتفال المئوي للجمعية الجغرافية الأمريكية في المؤتمر الجغرافي الدولي الذي عقد في واشنطن ، وبعد أن زار الجامعات الأمريكية لإجابة للدعوة التي نظمت طبقاً لبرنامج «سميث ميث» ، اقتنع بأن الأمريكيين أخذوا يغيرون رأيهم في منابع ثقافتهم ، فبعد أن كانوا معتقدين في أول الأمر أنها ترجع إلى غرب أوروبا ، أخذ الجامعيون منهم وقادة الفكر يكتشفون الحقيقة التي تأخروا في اكتشافها ، وهي أن جذور الثقافة الأمريكية تمتد إلى أعماق من ذلك بكثير ، وأنها ترجع إلى هذا الشرق الأوسط ، ولذلك بدأ اهتمامهم بالشرق الأوسط يتزايد باستمرار .

الأقطار الشقيقة بما يزيد بها معرفة بمصر، كما تعنى بزيادة معلومات النشء المصرى عن الأقطار المشاركة له فى اللغة والدين، والاستشاس بعالمه وعمرانه ومناظره الطبيعية وعادات أهله وأزيائهم وسائر أحوالهم. ومما يؤسف له أن هذه النواحي آخر ما كان يخطر على البال من مهمة مراقبة السينما بوزارة المعارف فى مراحلها السابقة، فلما دبّت الآن روح الحياة فى المرافق المصرية، التفتت الأنظار إلى ناحية السينما الثقافية فى وزارة المعارف، ولعل وزارة الإرشاد القومى المزمع إنشاؤها قريباً ستضع الأمور فى نصابها من هذه الناحية على النحو الذى أشرنا إليه فى هذه الكلمة.

حركة المطالعة فى مصر :

تردد على دار الكتب المصرية وأقسامها المختلفة خلال شهر سبتمبر : ٩١٢٥ ، وعلى فروعها ١٤٢٧٥ ، وبلغ عدد الكتب التى صرفت للبطالة داخل الدار وفروعها ٢٧١٣١ والتى أعيرت لخارج الدار وفروعها ٩٣٥١ وبلغ عدد ما اقتنته الدار من كتب فى ذلك الشهر ٧٤٤ منها ٥٩١ باللغة العربية واللغات الشرقية و ١٥٣ باللغات الأوروبية . والمواد التى أقبل المطالعون على مطالعتها هى أولاً : الأدب والقصص ، ثم التاريخ والجغرافيا فالعلوم الاجتماعية والعلوم المقيدة فالعلوم البحتة والفلسفة وعلم النفس والمراجع العامة والديانات والفنون الجميلة .

للجان الثقافية والاجتماعية ، فقد طلبت الحكومة السورية من الجامعة العربية دعوة تونس والجزائر والمغرب الأقصى إلى إرسال مندبين عنها لحضور اجتماعات هذه الحلقة .

التعليم الفنى المتوسط :

قال الدكتور «توماس هارت» مدير برامج النقطة الرابعة فى المملكة العربية السعودية والين : إن الحاجة ماسة فى الشرق الأوسط إلى التعليم الفنى المتوسط لملء الفجوة الناشئة بين أصحاب المهن الفنية والسكان للعاديين .

كان الدكتور توماس هارت قد شهد أخيراً المؤتمر الذى عقد فى جامعة بيروت الأمريكية لبحث المشاكل الاجتماعية والاقتصادية فى الشرق الأوسط وعاد بعد ذلك إلى واشنطن .

السينما بوزارة المعارف :

فى الإدارة العامة للأنشطة الرياضى والاجتماعى بوزارة المعارف المصرية قسم خاص عنوانه (مراقبة السينما والتصوير) كان المفروض أن تكون مهمته العناية بالسينما الثقافية وتوسيع نطاق الاستفادة منها فى تهذيب الاخلاق ، وتوثيق صلة رجال الغد بأجداد الماضى ، بإحياء مفاخر التاريخ الإسلامى والعربى والمصرى ، وزيادة معارف الطلبة بالأقطار العربية الشقيقة والأوطان الإسلامية بعرض مشاهدتها ، وتبادل الأفلام معها ، فتزود

العجلة الإسلامية في شهر

قضية تونس

التي لا يزال بعض الناس يعيشون عليها حتى في إنكار حق الحياة القومية على أمة كالامة التونسية لها حكومة وعرش وكيان دولي من قبل أن يكون لها أى علاقة بفرنسا . وسلوك فرنسا هذا السبيل في الدفاع أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يحتاج فيه إلى موافقة أكثرية ثلثي أعضاء الجمعية العامة على وجهة نظرها ، وهي أكثرية لا تقل عن أربعين دولة . وقد كان مفهوماً أن فرنسا لن تحصل على هذه الأكثرية ولا على نصفها لأن الدول العربية والإسلامية والاسيوية ووفود أمريكا اللاتينية وبعض الوفود الاوربية وحتى الولايات المتحدة والكتلة السوفيتية ، تبين أنها تكون في الجانب الذي تكون فيه هزيمة هذا المنطق الاستعماري .

وقد سافر إلى نيويورك السيد صالح ابن يوسف وزير العدل التونسي على احتمال أن الجمعية العامة قد تطلب منه أن يدلي ببعض البيانات .

وإدراج القضايا في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة تقوم به لجنة التوجيه التي تتألف من ١٥ عضواً هم نواب الرئيس ورؤساء اللجان المتفرعة عن الجمعية .

عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها السابعة في ميثاها الجديد المظلل على النهر الشرقي في نيويورك ، وكانت ثلاث عشرة دولة عربية وأسيرة قد أعدت عدتها قبل ذلك لدراسة أفضل الطرق التي ينبغي لها اتباعها لعرض النزاع القائم بين تونس وفرنسا على الجمعية العامة وإقناعها بالنظر فيه ، ولعل أهم ما ستطالب به الجمعية العامة لإيفاد لجنة من مرافقي الهيئة لدراسة الموقف في تونس والتقدم إلى الأمم المتحدة بالتوصيات التي تراها مناسبة لحل النزاع الذي يعرض السلام العام للخطر .

وكانت الحكومة الفرنسية قد قررت أن يدفع وفدها بعدم اختصاص الجمعية العامة في نظر هذا النزاع ، وهي تستند في هذا القرار إلى المبدأ الذي ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة ويقضى بعدم تدخل الأمم المتحدة في الشؤون الداخلية لأي دولة هي عضو في هذه الهيئة الدولية . واعتبار قضيتي تونس والمغرب الأقصى من الشؤون الداخلية لدولة فرنسا متفرع عن العقيدة الاستعمارية البالية

ووجه نظر الحكومة الفرنسية ، بالإضافة إلى الأزمة الشديدة التي زجت بالعلاقات المغربية الفرنسية في مأزق حرج ، وكذلك وقف المباحثات - التي كان أملنا أن نفتتح باب الدخول فيها واجهنا - حكومة الجمهورية الفرنسية بمذكرة أخرى في ١٤ مارس ١٩٥٢ أوضحنا فيها - على ضوء تجربة الأزمة - أن أسلم حل للقضية المغربية هو تحديد العلاقات بيننا تحديداً جديداً يضمن للمغرب سيادتها وللفرنسيين المقيمين بها حقوقهم المشروعة في نطاق التعاون المثمر بين البلدين ، وذلك في الميادين الاقتصادية والثقافية والدولية ، ويحافظ على حقوق الأفليات الأجنبية الأخرى .

« وقد اقترحنا لأجل الوصول إلى هذه الغاية :

- ١ - تطهير الجو السياسي في المغرب .
 - ٢ - منح الحريات العامة والخاصة ، وخصوصاً الحريات النقابية .
 - ٣ - تأليف حكومة مغربية مؤقتة يناط بها أن تدخل - تحت إشرافنا - في مباحثات مع الحكومة الفرنسية لوضع اتفاق جديد بين المغرب وفرنسا .
- « وكانت مقترحاتنا ترمي إلى غاية مثالية هي السماح للشعب المغربي بأن يمارس شئون بلاده بنفسه بواسطة برلمان وحكومة دستورية ، على نحو ما تقضى به أساليب

وقد فازت مصر أخيراً بالمقعد السابع في هذه اللجنة التي اجتمعت يوم ١٥ أكتوبر وقررت الموافقة على إدراج مشكلتي تونس والمغرب الأقصى في جدول الأعمال ، رغم احتجاجات المندوب الفرنسي ، الذي أعلن أن فرنسا ستقاطع المناقشة التي ستجرى في الجمعية العامة بشأن السياسة التي تنتهجها في محييتها بأفريقيا الشمالية .

قضية المغرب الأقصى :

أصدر القصر الملكي في المغرب الأقصى بياناً بلسان ملك البلاد يصارح فيه أمته بالادوار التي مرت على القضية منذ زار باريس سنة ١٩٥٠ إلى الآن ، وقد جاء فيه ما يأتي :

« كان القصد الجوهري من زيارتنا لباريس في سنة ١٩٥٠ هو أن نقدم للحكومة الفرنسية مذكرة أوضحنا فيها أن القضية المغربية ليست قضية إصلاحات جزئية تحقق في نطاق النظام القائم ، ولكنها قضية شعب يطالب بوضع نظام جديد يسير آماله ، ويتلاءم مع الظروف العالمية الجديدة .

« وقد ردت حكومة الجمهورية الفرنسية على مذكرتنا في ٣١ أكتوبر ١٩٥١ بأن تعديل النظام القائم سابق لأوانه ، واقتصرت على عرض إصلاحات جزئية داخل نطاق الحماية .

« ولما لاحظنا التباين بين وجهة نظرنا

بأن تقدم إلينا نصوصاً تشريعية حوله فى وقت قريب .

ومن المهم أن نلاحظ أن برنامج الإصلاح الفرنسى لا يشتمل على أى عنصر جديد ، فقد صدرت المراسيم الخاصة بمجالس الجماعات فى يونية سنة ١٩٥١ وبدأ العمل بها فعلاً ، كما قدم مشروع البلديات إلى لجنة مغربية حكومية لدراسته فى ٨ مايو سنة ١٩٤٨

ثم قدم إلى مجلس الوزراء لبحثه فى ٢٦ يونية ١٩٥١ فرنض العمل به لأن من شأنه أن يمس السيادة المغربية التى تضمن المعاهدات الدولية حمايتها . وفيما يتعلق بإصلاح الادارة القضائية سبق أن قدم فيه المقيم العام مشروعاً سنة ١٩٤٧ فألفت الحكومة المغربية لجنة فنية ردت عليه بمشروعات مضادة . ولم يشر الرد الفرنسى فوق ذلك إلى المشروعات التى قدمناها فى ١٤ مارس ١٩٥٢ فيما يتعلق بتأليف حكومة مغربية ومنح الشعب بعض الحريات الجوهرية التى لا يتمتع بها كالحق النقابى . وبالاختصار عبرت الحكومة الفرنسية عن تصميمها على تدعيم معاهدة الحماية ، وقدمت إلينا برنامجاً للإصلاحات ، ولفتت نظرنا إلى أن هذه الإصلاحات وحدة صادرة عن فكرة متجانسة ، وبذلك يتمثل فيها كل غير قابل للتجزئة . وأخيراً أبدت الحكومة الفرنسية استعدادها - فى حالة التسليم بقبول مبدأ هذا الإصلاح واتجاهاته -

الديمقراطية الحديثة . وإن إنشاء مثل هذا النظام لما لا يتعارض مع استمرار التعاون المغربى الفرنسى .

« وفى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ قدمت إلينا الحكومة الفرنسية - عن طريق المقيم العام - ردها على مذكرة ١٤ مارس ، وسردت فى القسم الأول من ردها كل ما حققته الحماية فى مختلف الميادين ، وخصوصاً فيما يتعلق بالتعليم والصحة والتجهيز الاقتصادى والصناعى . وفى القسم الثانى عرضت برنامجاً للإصلاح تناخص معالمه الكبرى فى تكوين مجالس جماعات إدارية فى البوادي ، وإنشاء مجالس بلدية مختلطة فى المدن ، ومجالس فرنسية مغربية فى المراكز البدوية ، الأمر الذى يعطى للفرنسيين المقيمين فى المغرب حق التقدم للانتخابات على قدم المساواة مع المغاربة أهل البلاد . وفيما يتعلق بالسلطة التنفيذية أشار الرد الفرنسى إلى وجود مجلس الوزراء والمندوبين الفرنسيين الذى تكون سنة ١٩٤٧ ، واقترح الرد أن يضم السكرتير العام للحماية - وهو فرنسى - إلى المجلس ليقوم بمساعدته باعتباره رئيساً للإدارة . وكان من المفروغ منه فى الرد الفرنسى أن الإدارة فى المغرب ذات طابع مختلط ، أى أنها فرنسية مغربية تسير تحت إشراف السلطات الفرنسية ، أما فيما يتعلق بالتنظيم القضائى فقد وعدت الحكومة الفرنسية

ولا حاجة بحكومة باكستان ولا بمسلي
كشمير إلى استعمال القوة .

« فعلى مجلس الأمن أن يتخذ في هذه
القضية الواضحة حلاً نهائياً حاسماً ، لأن هنالك
حداً لصبر البشر ، ومن الحكمة أن لا يستنفد
الصبر بتجاوز حدوده . »

وقد جاء بعد هذا أن مجلس الأمن دعى
إلى الانعقاد لدراسة تقرير الدكتور جريهام
عن محادثات كشمير . وقد مر وزير خارجية
باكستان بمصر في طريقه إلى نيويورك
لحضور الدورة السابعة للجمعية العامة للأمم
المتحدة ، وليكون على مقربة من مجلس الأمن
وهو يبحث قضية كشمير .

السمي لكشمير هياينة :

زار الوطن المصرى في الشهر الماضى
بمهمة رسمية الدكتور أحمد سوبارجو وزير
خارجية أندونيسيا السابق والسفير فوق
العادة . واهد اتصاله بأهل الرأى صرح بأنه
مرتاح لنتائج زيارته لمصر ، ومسروور لما
يرجو من توثيق العلاقات بين البلدين ،
ومن بينها العلاقات التجارية . وقد دعا
المسؤولين في مصر إلى زيارة أندونيسيا ،
لأن في تبادل مثل هذه الزيارات ما يقرب
بين الشعوب الإسلامية وحكوماتها .

ويقول الدكتور سوبارجو في حديث
له مع مندوب جريدة (الأهرام) : إن

لأن تعلن نشأة الصداقة المشتركة والمصالح
المتداخلة ، لتقوم على أساس ذلك في المستقبل
العلاقات بين فرنسا والمغرب دون ما تعرض
إلى السلطات المادية التى نصت عليها معاهدة
٣٠ مارس سنة ١٩١٢

« وقد أبدينا في الرد الذى قدمناه إلى
الحكومة الفرنسية في ٣ أكتوبر سنة ١٩٥٢
أسفنا العميق لما لاحظناه من عدم أخذ
الحكومة الفرنسية بمقتراحاتنا ، كما لفتنا
أنظرها إلى أن مشروعات الإصلاح التى
قدمتها إلينا ترمى بصفة عملية - في مفهومها
ومنتوقها - إلى تصديق السيادة المغربية . »

قضية كشمير :

يقول السيد محمود حسين الوزير الباكستاني
لشئون كشمير في حديث أدلى به في مدينة
(دكا) : « إن اقتراحي نزع السلاح وتعيين
مدير لعملية استفتاء في كشمير قد بحثا
كثيراً حتى الآن ولكن بلا جدوى . ولوان
استفتاء نزيها أجرى في كشمير ، فإن مما
لا يتطرق إليه الشك أن الاكثية الإسلامية
الساحقة التى يتألف منها سكان كشمير ستطلب
بالإجماع الانحاق بأمرها باكستان . وما نشرته
صحى الهند من أن الباكستان تحاول إرسال
بعض القبائل إلى كشمير لا نصيب له من
الصحة ، لأن باكستان تسعى للوصول إلى
حقوق كشمير بالوسائل والحلول السلمية ،

والمهتمين بشئون الشرق الأوسط . والدكتور والتر والبانك كان فى مضى أستاذاً بجامعة القاهرة ، وطاف بلاد الشرق الأوسط ووقف على حقائقها . وقد وصف فى محاضراته الحالة الاجتماعية فى مصر . ثم انتقد موقف الولايات المتحدة فى الماضى من إسرائيل وقال : إن هذا الموقف لم يكن عادلاً ولا حكماً ، وإن أمريكا بسياساتها ساعدت على طرد ٨٠٠ ألف عربى من بلادهم لثورى بعض الصهيونيين الذين سيتخلص منهم العرب فى يوم ما . وانتقد أن تعطى أمريكا مساعده مالية لإسرائيل تساوى مجموع المساعدات المالية التى تعطىها للبلاد الأخرى مجتمعة . وتسائل : لماذا نخسر صداقة العرب لنكسب صداقة أشخاص سوف ينقلبون على أمريكا فى أى لحظة ؟ ولماذا نمدحهم بالأسلحة ونكون السبب فى إشعال نار الحرب فى الشرق الأوسط .

ومما قاله : إن بعض المصريين كان يلقى على أسئلة لا أستطيع الجواب عليها ، ومن هذه الأسئلة موقف أمريكا من إسرائيل ، ومعاملتها للزنج ، وموقف أمريكا السابق من تأييد السياسة البريطانية . وختم محاضراته بالتحدث عن الفجر الجديد فى ظلام مصر بقيام الجيش لتحرير مصر من الفساد والطغيان ومستغلى النفوذ والأحزاب الفاسدة . وتوقع قيام حركة لإصلاح حقيقية ذات خطة مرسومة وسريعة .

أندونيسيا - بحكم موقعها الجغرافى - تشعر كسائر دول الشرق الأقصى بوطأة الصراع المحتدم فى تلك المنطقة بين الكتلتين الشرقية والغربية . وأندونيسيا دولة ناشئة تحتاج إلى السلام لتتفرغ للإشاعة والتعمير فى ربوعها ، لذلك كان من مصلحتها الوقوف على الحياد فى الحرب الباردة بين المعسكرين ، كما ترى من مصلحتها الوقوف على الحياد كذلك - إذا استطاعت - عند وقوع حرب مسلحة . قال : وليكن لنا لا نستطيع ذلك بمفردها ، لذلك تحاول الاتصال بالدول التى تشاركنا فى أهدافنا وأمانينا .

ثم قال : إن دول الكتلتين لانيد الحرب وفى رأينا أن قيام كتلة حيادية - أى من أمثال حكومات الشرق الأقصى والأوسط - قد يؤدى إلى منع وقوع الحرب ، أو على الأقل إلى تأجيل وقوعها .

وتحدث عن أهمية الاستقلال الاقتصادى لتحقيق الاستقلال السياسى وقال : إن أندونيسيا ينص دستورها على أن الاستعمار مضى زمنه ، وكان من أسباب وقوع الحروب . وهذه النظرية نستوحىها فى سياستنا العملية .

أمرىط بين العرب واليهود :

ألقى الدكتور والتر والبانك ، أستاذ التاريخ بجامعة كاليفورنيا ، محاضرة نفيسة عن الشرق ، أصغى إليها خمسمائة من أساتذة الجامعة وكبار المفكرين الأمريكيين

إنشاء الحرم الإسلامي

تجديد الحرم النبوي :

عادت من الحجاز البعثة الهندسية التي كانت الحكومة المصرية قد أوفدها إلى المدينة المنورة لاختبار طبقات الزبة في أساس الحرم النبوي الشريف الذي قدرت تكاليف تجديد بنائه بنحو أربعة ملايين جنيه تكفل بها الملك عبد العزيز السعودي من جيبه الخاص .

ويقوم المختصون الآن بتجارب في معمل ميكانيكا الزبة في كلية الهندسة تمهيداً لإجراء التصميمات اللازمة للأساس . وقد سبق إعداد التصميمات والرسوم الخاصة بمباني الحرم ومنشأه وماذنه .

والمفهوم أن هذا المشروع العمراني العظيم يستغرق أربع سنوات ، وسيكون الحرم المدني الشريف بعد إتمامه أعظم مسجد إسلامي في العالم وأنعمه .

وقد شرع من الآن في إخلاء بعض المباني المحيطة بالحرم ، كما بوشر إخلاء بعض الأجزاء الداخلية من الحرم نفسه .

صيانة المسجرات الأقصى :

اجتمع مجلس إدارة الشبان المسلمين في الإسكندرية وبحث مسألة حماية المسجد الأقصى ، المناسبة ما يقوم به اليهود من حركات وجهود عسكرية وسياسية في بيت المقدس

فنفقوا إليها وزارة خارجيتهم من تل أبيب وحشدوا قواتهم في مشارف القدس القديمة والمسجد الأقصى وأنشأوا المعازل في جبل الزيتون مخالفين في كل ذلك العهود والمواثيق التي دانوا بها للجنة الهدنة وهيئة الأمم المتحدة . والجمعية تستصرخ كل مسلم في أن يرفع صوته ليلبلغ مسامع ممثلي الدول الإسلامية لتنتقله إلى حكوماتها راجية أن تبذل الحكومات الإسلامية كل ما يسعها من جهد لوقف هذا العدوان .

مرافق الحجاز :

يقول السيد الحسيني الخطيب أمير الحج المصري ووزير مصر المفوض في الحجاز : إن ولي عهد المملكة العربية السعودية أبدى رغبة حكومته في إيفاد مهندسين ، وبوليس مرور ، وعمال ، ومدرسين من مصر ، للنهوض بمرافق الحجاز والمملكة العربية السعودية . وافتتح ولي العهد - وكان بصحبته أعضاء بعثة الحج المصرية - عدة مستشفيات جديدة أنشئت في المملكة العربية السعودية يديرها ويرأسها أطباء مصريون . ومن هذه المستشفيات واحد لعلاج الأمراض النسائية هو الأول من نوعه هناك . كما أنشئت هناك مصحات كثيرة لعلاج ضربة الشمس . وصدرت

صيفاً وشتاء ، فالشمس ساطعة طول العام والرياح مستمرة ومنظمة ، مما يتيح استخدامها لإدارة طواحين هوائية متصلة بمولدات الكهرباء التى تنتج تياراً كهربائياً للإضاءة والطهى وتقطير الماء العذب من ماء البحر وكافة الأغراض الحيوية والصناعية . وتمتاز هذه الجزر بدفئتها شتاء واعتدال هوائها صيفاً فهى مصيف ومشى . بل تصلح مصحاً عالمياً لتوافر الأوزون (أى الاوكسيجين الذرى) فى جوها . وتزخر خلجانها بكميات هائلة من الأسماك الكبيرة قال فخذوا بذلت الدولة جهداً فى تعميرها وإعدادها والإعلان عنها .

صناعة البترول فى مصر :

تعنى مصلحة الوقود المصرية الآن بتوسيع معمل تكرير البترول الاميرى فى السويس ، وستتبنى من إقامة المباني والمرافق الجديدة فى هذا العمل فى أواخر سنة ١٩٥٣ ثم تنتظر منه لإنتاجاً سنوياً لا يقل عن مليون ونصف مليون طرة من المسواد البترولية الصالحة للاستهلاك ، وإذا أضيفت هذه الكمية الضخمة إلى ما تنتجه شركة آبار الزيوت الإنجليزية المصرية استغنت مصر بذلك عن استيراد البترول من الخارج ، اللهم إلا القليل من الكيروسين لضخامة المطلوب منه للاستهلاك الشعبى .

والحكومة تستعد لتسلم بئر وادى فيران بمنطقة سيناء ، التى تم كشفها عام ١٩٤٩ ولم

الأوامر بإنشاء مجموعة كبيرة من المظلات الواقية من أشعة الشمس فيما بين منى وعرفات . وقد أبدى ولى العهد رغبة فى إنشاء خط ترام كهربائى بين جدة ومكة والمسافة بينهما ٧٥ كيلو متراً ، على أن تساهم فى هذا المشروع رموس الأموال الإسلامية . وأن تطرح مناقصة عملية لإنشائه فى البلاد الإسلامية وحدها ، قال أمير الحج : وينتظر تنفيذ هذا المشروع قريباً .

الجموع عن كوبرى الفردان :

فى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الجمعة ١١ أكتوبر انسحبت القوة البريطانية التى كانت تحتل كوبرى الفردان الذى يمر عليه الخط الحديدى عبر قناة السويس ويوصل إلى شبه جزيرة سيناء . وفى الساعة الثانية عقب ذلك كانت قوة من رجال الجيش المصرى تحتل هذا الكوبرى وتقوم على حراسته .

فراويس فى البحر الأحمر :

لفت الدكتور محمد طلعت طه الانظار إلى فراويس مهمة لا يحفل بها إلا قلة من أغنياء الأجانب فى مصر ، وهى جزر متناثرة فى خليج السويس وقرب الشاطئ المصرى للبحر الأحمر . وأهم تلك الجزر : شدوان ، وجزيرة الاخوين ، والزبرجد ، وهى جزر جبلية ذات سفوح متدرجة إلى شواطئ رملية بديعة كثيرة الخلجان وجوها ساحر بديع

المستثمر في الصناعة فتوسط دخل المواطن المصرى سيتضاعف بضع مرات ، أو بالتالى سيقترّب هذا المواطن من الحياة السعيدة التى يحياها المواطنون في الدول المتحضرة .

ومما يخطر على البال في معالجة الاختلال في ميزاننا التجارى أن يعمل المعلمون على التقريب بين قيمة الواردات والصادرات بمكالفة استيراد الكلمات وأدوات الترف والبذخ ، ورسم سياسة قوية لتحمل الأمة على الاستغناء عنها من طريق الإرشاد الأدبي، والترغيب في الحياة الاقتصادية المعتدلة ، مع التوسع بزيادة الرسوم الجمركية على بعض الاصناف والمنع القطعى لاستيراد البعض الآخر ، إلى أن يتساوى ميزاننا التجارى ، وتضمحل نهائيا هذه الخسارة السنوية من زيادة الواردات بما يزيد على سبعين مليون من الجنيهات .

و ادى السريانه :

كان المهندس «سيريل فوكس» قد حضر إلى مصر وزار موقع وادى الريان وكتب عنه تقريراً نفي فيه أن يترتب أى خطر على مديرية الفيوم لو نفذ مشروع تخزين المياه في وادى الريان ، ومع ذلك فإن المختصين في الحكومة المصرية لم يقطعوا برأى نهائى في هذا الامر ورأوا أن يستدعوا خبراء آخرين للاستئناس برأيهم . وسيصل إلى مصر في ديسمبر القادم ثلاثة خبراء من سويسرا وأمريكا وإنجلترا لدراسة هذا المشروع العمرانى الكبير .

تستغل حتى الآن ، إلى الجمعية التعاونية المصرية للبترو ل لتستغلها على حساب الحكومة ، وقد منحت هذه الجمعية ١٦ ترخيصاً بالبحث عن البترول ، وأعطيت الشركة الاهلية المصرية ١٠٦ ترخيص بالتقيب ، ولدى شركة آبار الزيوت الإنجليزية المصرية وشركة سوكونى فاكوم ٦١ ترخيصاً ، ومنحت إحدى الشركات الفرنسية ٥٢ ترخيصاً . وسياسة مصر البترولية قائمة على حرية المنافسة . وإن صدور قانون المناجم بعد تعديله طبقاً لمقترحات غرفة المناجم والمهاجر سيظل حجة تعطيل أعمال التقيب في بعض المناطق ، ويبدأ العمل بأوسع نطاق .

ميزانه مصر التجارى :

يقول الأستاذ محمود كامل الحامى : إن مجموع ما استوردناه في سنة ١٩٥١ مبلغ ٢٧٩٥٩٤٠٠٠ من الجنيهات ، ولم تصدر في ذلك العام إلا ما قيمة ٢٠٣٠٨٠٠٠ ج وليس هذا الاختلال في ميزاننا التجارى مقتصرأ على عام ١٩٥١ ، فقد حدث ذلك في كل سنة من السنوات الخمس الأخيرة حتى بلغ مجموع الخسارة التى دفى بها الاقتصاد القومى في هذه الفترة نحو مائتى مليون جنيه . ولا يمكن علاج مأساة الدخل القومى إلا على أساس موازنة الواردات بالصادرات ، وهذا لا يمكن - مع التوسع في الرى والزراعة - إلا بوضع سياسة ثابتة على أساس برنامج مدروس لتصنيع مصر . وإذا ارتفع مجموع

القانون الأساسي لولاية طرابلس :

صدر القانون الأساسي لولاية طرابلس مؤلماً من ٩٠ مادة ، مصرحاً بأن دستور ليبيا يعد القانون الأعلى للولاية ، وينص على :

١ - أن الولى يمثل الملك ، وهو مسئول عن جميع السلطات والامتيازات .

٢ - أن الملك - بمشورة الولى - يعين المجلس التنفيذى المكون من نظار العدل والداخلية والمعارف والأشغال والمالية والزراعة والمواصلات والسياحة ، وهو مسئول أمام الملك والمجلس التشريعى .

٣ - يتولى السلطة التشريعية الولى ومجلس تشريعى يتكون من أربعين عضواً ، ثلاثون منهم منتخبون ، وعشرة يعينهم الملك بمشورة الولى .

الاعتراف باستقلال المغرب :

تدور المباحثات بين الحكومات العربية والإسلامية والاسيوية حول الاعتراف باستقلال المغرب الأقصى ، عملاً بمعاهدة ٧ إبريل ١٩٠٦ التى أبرمت بين حكومة المخزن و ١٦ دولة أجنبية اعترفت بسيادة المغرب واستقلاله ووحدته أرضه وحرية الاقتصاديه ، وعملاً بمعاهدة الجزيرة الخضراء التى أخذت بها محكمة العدل الدولية فى ٢٧ أغسطس من هذه السنة .

الوصاية والاستعمار :

طلبت الهند من محكمة العدل الدولية أن تصدر قراراً فيما إذا كان يجوز للدول التى تتولى الوصاية على بعض المستعمرات بالنيابة عن الأمم المتحدة ، أن تدج هذه المستعمرات مع مستعمراتها المجاورة لها تحت حكم واحد ، وتتهم الهند كلا من فرنسا وبريطانيا وبلجيكا بإدماج المناطق التى تتولى هذه الدول الوصاية عليها بالنيابة عن الأمم المتحدة على مستعمراتها الخاصة ، ولم تزل مشكلة إدارة المستعمرات التابعة للأمم المتحدة معروضة على الجمعية العامة منذ بضع سنوات . وترى الدول الاستعمارية المتهمة من الهند بهذا العمل ، أن إدماجها مستعمرات الوصاية بالمستعمرات الخاصة يسهل عليها مهمة الوصاية ، ولكن الهند ومعها بعض الدول الآسيوية الأخرى ترى أن هذه الحجة إن هى إلا ثوب ملفوف يخفى تحته حقيقة الاستعمار ، وذلك مما لا يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة .

إيران وبريطانيا :

أذاع الدكتور مصدق رئيس الوزارة الإيرانية فى يوم ١٦ أكتوبر بياناً أعلن فيه قطع العلاقات الدبلوماسية بين إيران وبريطانيا وقال إنه اضطر إلى ذلك لان الحكومة البريطانية حالت دون الوصول إلى اتفاق بشأن النزاع حول البترول . وبما

بأن يسمح لوفد حر من مسلمى العالم بزيارة
للاوطان الإسلامية في روسيا للاطلاع على
حقيقة ما عليه حال أربعين مليوناً من إخواننا
في الدين هناك ، فإذا كانوا في حالة حسنة من
معيشتهم وحريةهم الدينية ، أعلن الوفد هذه
الحقيقة للناس ، وإن كانت الأخرى كان
للحقيقة أن تعرب عن نفسها .

النشاط اليهودي في إيران :

في برقية إلى وكالة الأنباء العربية في بغداد
يوم ١١ أكتوبر أن حكومة العراق جددت
المساعي لدى الحكومة الإيرانية لإقناعها
بوضع حد لنشاط الوكالة اليهودية في إيران .
وقد فاتح بعض الزعماء الدينيين العراقيين
الذين زاروا إيران أخيراً الدكتور مصدق
والسيد الكاشان في هذه المسألة .

ويلوم العراق إيران على التساهل الذي
تبديه نحو النشاط اليهودي في الميادين
الاقتصادية والسياسية ، ويشكو من أن اليهود
استطاعوا أن يصدروا في الوقت الحاضر
سبع صحف في إيران تعمل على إثارة الخلافات
بين العراق والعالم الإسلامي .

والمفهوم أن السفارة العراقية ناقشت هذه
المسألة مع الحكومة الإيرانية ، وطلبت منها
أن تتخذ من الإجراءات ما هو كفيلاً بالقضاء
على خطر الصحف اليهودية .

قال في بيانه أن قطع العلاقات الدبلوماسية لا يعنى
قطع روابط الصداقة بين الشعبين الإيراني
والبريطاني ، وهو يأمل أن تبدى السلطات
البريطانية المسؤولة اهتماماً أكبر بحقائق الحالة
الدولية وتتخلى عن الموقف الذي ظلت متمسكة
به حتى الآن في معالجة مختلف المشاكل .

وقدم الدكتور مصدق لبيانه بشرح واف
للمراحل التي مر بها النزاع الإيراني البريطاني ،
منذ أعلنت الحكومة الإيرانية قرار تأميم
البترو ، وكرر ما سبق أن وجهه لبريطانيا
من اتهامات حول المؤامرات الداخلية
والاضطرابات التي حاولت إثارتها في إيران
ثم قال : إن إيران بذلت كل جهد للوصول
إلى اتفاق في النزاع القائم حول البترول
ولكن بريطانيا عمدت إلى محاولة وضع إيران
تحت الضغط الاقتصادي متجاهلة المبادئ
الدولية ، وراحت تماطل كعادتها وتعد
المذكورة تلو المذكورة لكسب الوقت وإجبار
إيران على الخضوع لرغباتها ، والحيلولة بين
الشعب الإيراني وتحقيق حريته الاقتصادية
وقد منح الإنجليز مهلة عشرة أيام لسحب
بعثتهم الدبلوماسية من إيران ، وسيعود
للقائم بأعمال السفارة الإيرانية في لندن
وموظفو السفارة في غضون عشرة أيام .

المسلمون وراء الستار الحميدي :

أصدر الزعيم الإسلامي الباكستاني السيد
خليق الزمان ، بياناً متحدى فيه الاتحاد السوفيتي

رئيس التحرير
محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن
الاستاذ المساعد
في مصر والستاد
للطبعة في مصر والستاد
في الخارج
للطبعة في الخارج
من الجزء

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن شيخ الأزهر في أول شهر عربي

مدير المجلة
محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الثالث - القاهرة في غرة ربيع الأول ١٣٧٢ - ١٩ نوفمبر ١٩٥٢ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كيف بنى محمد الأمة الإسلامية

أكان يدور بخلد أحد يعرف سكان جزيرة العرب في القرن السادس لليلاد ، أن هذه الجزيرة ستحكم الدنيا يوما من الايام ؟
أكان يدور بخلد أحد أن هؤلاء الشراذم والاوزاع ، سيحاربون دولة الاكاسرة ودولة القياصرة ، فيرثون ملكهم وأرضهم وديارهم ؟
أكان يدور بخلد أحد أن هذه القبائل العربية وهي متحاربة متنازعة يجمع الله بينها ، ويوحد رأيها ، ويؤلف بين قلوبها ، حتى تصير كتلة واحدة تأخذ مكانها في الوجود ، رغم العقبات والنكبات والسدود والحوائل ؟
أكان يدور بخلد أحد أن هذه العقائد الفاسدة ، والنحل الباطلة ، وعبادة الاوثان والاصنام ، والخضوع للعرافين والسكهان ، تطهر منها نفوسهم ، وتحل محلها عقائد صحيحة ونحل حقة عليها جلال الحسن ونور العلم ؟
نعم إن ذلك قد كان ، وفي أقل من قرن من الزمان . وكان على يد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي . وهذه هي العجيبة الاخرى ، فبل كان يدور بخلد أحد أن هذا اليتيم الذي فقد أبويه ، وخرج إلى هذه الدنيا دون معين يعينه ، ولا ناصر ينصره ، لم يتعلم العلم ولم تثقفه جامعة ، يقوم بهذا العمل العظيم ويأتي بهذا الامر الجسيم ؟

هذه حكمة الله وهذا قضاؤه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته : يعلم من يصلح لها من الناس ، ويعلم من تكون فيهم من البشر . فليس كل أحد يصلح لها ، وليست كل أمة تكون فيها الرسالة ، تقوم بأعبائها .

ويجب على مصر وهي في مستهل عهد جديد ، تبحث فيه عن أسباب النهوض للنهض ، وعن أسباب العزة لتعز ، وأسباب القوة لتقوى ، يجب عليها أن تدرس تاريخ صاحب الدعوة الإسلامية ، وماذا فعل بالامة العربية ؟ إننا إذا درسنا هذا الدرس وجدنا أسباب نهوض الامة العربية كثيرة ، أهمها أن محمدا هداه الله إلى أن يغرس في قلوبهم الإيمان ، ويزينه في قلوبهم . وآمنوا بالله وبأنبيائه ورسله وباليوم الآخر الذي يجزى فيه المرء بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فوصل حياتهم الاخرى بحياتهم الدنيا ، وجعلها امتدادا لها .

وأى امرئ لا يستمسك بعمل الخير ليجزى به خيراً ، ولا يتبعد عن الشر لئلا يجزى به شراً ؟ وأى امرئ يعمل الخير وينأى عن الشر ، لا يحب أن يتعجل الجزاء عليه ، ويجتاز القنطرة الى تحجزه عن الخير الكثير الذى ينتظره ؟ وهذه القنطرة هى الموت .

وبذلك ربي فيهم الضمير الدينى الذى يدفع إلى عمل الخير ويبعد عن عمل الشر ، وباعد بينهم وبين حب الحياة وكراهية الموت ، فكانت اللبسات التى تتكون منها الامة ، لبسات قوية متينة .

ثم رأى أن الامة العربية أمة أكلها التعصب القبلى والحروب الداخلية ، فقد كانت كل قبيلة تعادى الاخرى ، وكانت تقوم الحرب بينهما ، وتأكلهما أكلًا ، وتستمر السنين الطوال ، فوحد بينها ، وألف بين قلوبها ، وأبدلهم من هذه العصبية الضيقة ، عصبية أوسع ليست للدم والجنس ، وإنما هى للحق والخير ، وهى عصبية الإسلام .

وبذلك كوّنهم مجتمعاً قوياً يثبت للحدثان ولا يصدعه الزمان ، ثم رباهم تربية قوّت نفوسهم ، وأدخلت فيهم العزة والكرامة ، فأراهم بحق حقيقة أنفسهم ، وهى أنهم خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، وأنهم مخلصو البشرية ومنقذو الإنسانية .

فلا عجب بعد ذلك أن تنساب هذه الامة - الفتية ، القوية ، المتحابة ، المخلصة ، المتعاونة - على العالم القديم لتخلصه مما هو فيه من ظلم واستبداد ، وتبدله بحكامه الغاشمين حكاما عدولا يمدلون فى الرعية ويقسمون بالسوية .

ماذا يقف في سبيلها ؟ إنها مؤمنة متحابّة متعاونة ، إنها تبغى رضا الله وفي تخليص العالم رضا ، وهي قد وهبها الله النور ، وطلب منها أن تثير الطريق للدّلجّين .
 إنها كانت تحارب وهي مقدرة أن تفوز بإحدى الحسنيين : الغلبة والنصر ، أو الشهادة والاجر ، وكانت تتربص بأعدائها أن يصيهم الله بعذاب من عنده أو بأيديهم .
 إنها كانت تؤمن أنها تقوم بأعظم عمل وتؤدى أجل رسالة في الوجود ، وهي هداية الحيارى من البشر ، ونشر الفضيلة ، ومبادئ الخير والحق .
 أما أن لنا أن نستفيد من هدى الرسول في تربية أمتنا ؟
 إن العهد الجديد قد زالت من أمامه العوائق ، فله الحرية والاختيار في أن يبنى أمته على الأسس التي يختارها .
 وأول ما يجب علينا ، اقتداء بنبى الإسلام ، أن نغرس الدين وتقوى اليقين في نفوس الناشئين ، وذلك بتعميم التعليم الدينى الحق في المدارس ، وإقامة الشعائر الدينية فيها .
 وينبغى أن يلاحظ أنه ربما يعمم التعاليم الدينى ولا يأتى بالآثر المطلوب ، لأنه لا يلقى بطريقة تستولى على القلوب ، ولا يعطى لدروسه الإجلال الواجب ، فليتنبه إلى هذا .
 ثانياً أنه يجب أن تزول أسباب التفرقة والخلاف ، وأن يعتنى بالأخوة الإسلامية فتغرس في القلوب ، ويعنى بها أكثر مما يعنى بأشياء أخرى أقل منها أثراً .
 ثالثاً أن نربى أمتنا على الشعور بالكرامة والعزة ، بنشر الصفحات الناصعة من تاريخ رجالنا في العلم والحرب والأخلاق ، وأن يلغى هذا البرنامج الذى كان يهدف إلى إضعاف نفسية الأمة ، والإيمان بالأمم الأخرى .
 ولأنى أرجو إذا أخذ بهذا الإصلاح ، أن تعيد الأمة مجدها ، وتنقطع هذه الحلقات الصدئة ، وتتصل بتلك السلسلة الذهبية من آباءنا الغر الميامين .

محمد عرف

عضو جماعة كبار العلماء

الأدب خير الموارد

روى الترمذى في سننه عن سميد بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
 « ما نحل والد ولداً من نحلة ، أفضل من أدب حسن »

الإنسانية بين النظام المحمدي والنظام الإسرائيلي

يحتفل المسلمون في هذا الشهر بذكرى المولد المحمدي العظيم الأرض، الجسيم الخطر، الذي شهدت الإنسانية طليعة معجزاته قبل أربعة عشر قرناً، ويوشك أن تشهد نماذج أخرى من نوعها لو عرف المسلمون رسالتهم، واستعدوا للاضطلاع بها في أنفسهم، ولتبليغها لذويهم وللناس. في مثل هذا الشهر من العام الماضي لم يكن يخطر على بال أحد في مصر، ولا في غير مصر، أن الذي حدث بين ظهرانينا في أربعة الأشهر الأخيرة، يمكن أن يحدث في جيلنا أو في الجيل الذي بعده. والذين يفكرون تفكيراً عميقاً، وينظرون نظراً بعيداً، يحسبون أنهم في هذه الأشهر الأربعة في منام: لأنهم كانوا يرون — إلى الامس القريب — أن الباشويات والبكويات هي كل شيء في مصر، ثم صارت لا شيء! وكانوا يرون أن بغى القوة على الضعف، والثروة على الفقر، هو الامر الطبيعي المألوف في مصر، وما لبث هذا البغى أن أنكب على وجهه في الأرض ذليلاً حقيراً كأن لم يكن بالامس! وكانوا يرون للرديلة دولة وأبطالاً، ومعاقلة وحصونا، وأسواقاً وصيارفة وتجاراً، بل كانوا يرون لها — بعيونهم المسحورة — بهاء وجمالاً، وخاطبين ومتزلفين، بل كان من أنصاف الفضلاء من يودون لو يبتغون الوسيلة إلى أولئك الأبطال والصيارفة والتجار، ويسمونهم بغير أسمائهم، على زعم أن العيش لا ينال إلا بذلك. وبين عشية وضحاها جعل الله على ذلك النظام سافله، ومحا آية الليل بآية النهار، وصار أبطاله ووسطاؤه إلى المكان اللائق بهم. إن هذا الانقلاب أكبر من أن يكون من عمل البشر. إنه من عمل الله. وقد مكن الله لهذا الامر العجيب أن يتم، لأن نفحة من نفحات السنن والانظمة والمبادئ التي جاء بها صاحب ذكرى ربيع الاول، كانت تهب على قلوب عدد قليل من أبناء أمته، فاندفع شرايعهم مع نسائمها، وحركوا دفة سفينتهم على ما يرونه من اتجاه لإبرتها المغناطيسية، وأسلسوا قيادهم لما اقتنعوا به من أنظمتها الإلهية، فكافأهم الله بما أمته لمصر على أيديهم، وإنه لامر — بحول الله وقوته — عظيم.

لقد كان أمام مصر قبل أربعة أشهر ثلاثة أنظمة:

أحدها نظام الذئاب، الذي كنا نعيش فيه إلى اليوم الرابع من ذى القعدة ١٣٧١ هـ (٢٦ يوليو ١٩٥٢ م)، فكان الاخ الشقيق ينهش أخاه لأمه وأبيه، وهو يقول له: يا أخى!

وكان الرفيق يكيد لرفيقه ويناديه بيا حبيبي ! وكان الزميل يتعنى الشر لزميله ، ويدأب على قطع موارد الخير عنه ما استطاع ، حتى إذا لقيه استقبله معانقاً ، وقبل خديه من يمين وشمال ، وقد يكون هؤلاء جميعاً — فى الأصل — من أهل المعادن الطيبة ، ومعذرتهم إلى ضمائرهم فيما يصنعون ، أن ضرورات العيش ، والنظام القائم فى ذلك المجتمع ، يقضيان عليهم بأن يكونوا هكذا ليضمموا لأنفسهم الحياة والبقاء . . .

والنظام الثانى - هو النظام الإسرائيلى ، الذى أملاه اليهود على الغرب ، وأغروه به ، أو جعلوه منه أمام أمر واقع ، أو عدلوه له ، أو توصل غيرهم إلى بعض مبادئه فوجد اليهود تلك المبادئ داخله فى برنامجهم ، فأيدوها وروجوها ، وفسروها ونشروها ، حتى صارت من صلب ذلك النظام المعمول به فى الغرب ، والذى أخذنا نقبسه عنه منذ نحو مائة سنة ، فغشى دواوين حكمتنا ، وأسواق تجارتنا ، وساد فى مجامعنا ، وسابق نسائنا رجالنا إليه فى الأزياء والآداب والمعاشرة ، حتى آمنّا به ، وكفرنا بما سواه ، فأصبح الرجل المستقيم منا هو الذى يمدحه الناس بأنه ملتزم لذلك النظام وغير محل بشئ من أصوله أو فروعه أو آدابه .

إن اليهود — من ألفى سنة — منبثون فى بلاد الناس ، وقد تقدموا ونجحوا بأموالهم ونشاطهم وذكائهم وبشاشتهم ولين عريكتهم وإقناعهم المتعاملين معهم بأن من مصلحتهم أن يتعاملوا معهم ، وبهذه الوسائل استطاعوا أن يذقوا مآثم العسكر بلبن الناس ، وأن يشوبوا ويروبووا كما يشاءون ، فى المجتمع أملاً على الناس أوضاعاً ومذاهب : أولها فى الماسونية وعلاماتها وطقوسها وهيكلها ، وآخرها فى الشيوعية ومبادئها وغاياتها . وفى التجارة والاقتصاد والمال ، هم مخترعو البنك والكمبيالة والأسهم ونظام القوائد ، وهم المنفتنون فى الأزياء وتوافه الغش فى زينة النساء . وهذه الانتخابات فى كل بلاد العالم ، وآخرها انتخابات أمريكا للرئاسة ، التى كانت فى هذا الشهر لإيزنهاور ، وكانت قبله لثرومان ، وقبلهما لروزفلت ، فإن الأشباح التى رأيناها ظاهرة أمامنا ، كانت اليهود . وكانت أموالهم وصحفهم وشركات أخبارهم وسائر وسائلهم من وراء كل شيخ منها لما معه ولما عليه .

إن النظام اليهودى قائم على تبادل المنفعة ، وافق هذا التبادل الفضيلة أم خالفها . والحق عندهم هو الذى يمشى مع القانون ولا تعاقب المحاكم عليه ، ولا يبالون بمد ذلك أن يكون هو الحق فى نفس الأمر أم لا . واليهودى إذا عاملك قد يلتزم أن يكون أميناً فى معاملتك ، لا لأن الأمانة فضيلة فى نفسها ، بل لاجل أن تقابله عليها بمثلاً ، ومرافق الخير التى يقيمونها ، كالجبهات الخيرية والمستشفيات ، إنما يقيمونها على أساس من المصلحة الذاتية والطائفية ، فلا يعملون الخير إلا لثمرته المادية التى يتوقعونها ، أو لدفع أذى كان

يسكون عليهم أكبر مما يرزون فيما يصيب الواحد منهم من المساهمة في عمل الخير .
 هذه المبادئ التي وضعها اليهود ، وشاع العمل بها في الغرب ، هي التي كنا نقبسها .
 وكان المثقفون في الغرب من أبنائنا يرونها سائدة في ذلك المجتمع ، فإذا انقلبوا إلى وطنهم ،
 ورأوا النظام الشاذ السائد فيه والذي سميناه « نظام الذئاب » ، ظنوا أن هذا النظام
 هو نظامنا الطبيعي ، وهم معذرون إذا وصموه باسم الرذيلة ووسموا نظام الغرب بمسمى
 الفضيلة ، وكانوا بعد أن يتدججوا في مجتمعا ويتبوءوا فيه المراكز اللائقة بشهاداتهم
 ومؤهلاتهم يقاومون نظامنا الشاذ أياما أو أشهراً ، ثم يألفونه ويتلذذون بحلاوته ، إلى أن
 يكونوا من أئمة وأقطابه . وهذا ما كانت عليه الحال عندنا إلى ما قبل أربعة أشهر ، وذلك
 ما عليه الغرب في نظام « المصلحة المتبادلة » ، حتى يومنا هذا .

إن صاحب ذكرى ربيع الأول ، صلوات الله وسلامه عليه ، يبرأ من نظام الذئاب الذي
 كنا مندفعين فيه . وإن الله عز وجل ، الذي بعث محمداً ﷺ بالحق المحض والخير من حيث
 هو خير ، كان ساخطاً على نظامنا وأخلاقنا وكل ما كنا فيه ، ولذلك لما اصطدمت دولنا
 السبع بحفنة من بني إسرائيل ، في بقعة ضيقة من الأرض ، قد تكون أصغر دولنا وهي شرق
 الأردن أوسع منها وأعظم ، انتهينا معهم إلى النتيجة التي رأيناها ورآها الناس . وقد يعتذر
 بعضنا بأن الحفنة من بني إسرائيل التي اصطدمنا بها ، كانت مؤيدة بآخرين من ورائها ،
 ولو فكروا ، لحكموا بأن تأييد الغير لها حجة على أن ما كنا فيه ، كان شراً مما كانت هي فيه ،
 ولذلك نالت من تأييد الآخرين ما لم نستطع أن نناله .

هذه إشارة خاطفة إلى النظام الذي كنا عليه إلى ما قبل أربعة أشهر ، وإلى النظام
 الإسرائيلي الشائع الآن في أوروبا وأمريكا . وإن الدنيا اليوم على أبواب حرب عالمية ثالثة ،
 تهيأت أسبابها كاملة من اليوم الذي انتهت فيه الحرب العالمية الثانية ، ولا يمنع ذوى الشأن
 فيها عن إيقاد نارها ، إلا الأوجاع والأوصاب التي تحسها شعوبهم من جراحات الحربين
 الماضيتين ، وأمل كل فريق من الفريقين أن يكون الوقت من أسلحتهم ليزيدوا فيه أسلحتهم ،
 فيتقدموا للحرب الثالثة بعدة أكمل ، واختراعات يمتازون بها على الآخرين . وسواء وقعت
 الحرب المنتظرة في السنة القادمة أو بعد سنوات ، فإنها آتية على كل حال ، وكل آت قريب .
 ومتى اندلع لهيبها ، فإنها لا تنتهى إلا بتحطيم المنتصر وسحق المنكسر ، ويومئذ تكون الدنيا أمام
 أحد النظامين : الالتجاء من جديد إلى النظام المتمدن ، وفي ذلك نجاة الإنسانية كلها ،

أو استمرار الغرب ومقلديه في المضي مع النظام الإسرائيلي ، استعداداً لحرب عالمية رابعة ، ولو بعد عشرات السنين . وقد عرفنا النظام الإسرائيلي إجمالاً على قدر ما تحتمله إشارة خاطفة في مقال . ولكن ما هو النظام المحمدي ؟ هذا ما أردت تذكير المسلمين به في ذكرى صاحب هذه الذكرى السنوية ، صلوات الله وسلامه عليه .

إن النظام المحمدي ينظر إلى الحق من حيث هو حق ، خالصاً من كل ما قد يشوبه أو يخالفه ، وإلى الخير من حيث هو خير ، مجرداً من كل طارئ عليه . وإذا كان النظام الإسرائيلي المعمول به الآن في الغرب قائماً على مبدأ « المنفعة المتقابلة » ، فإن النظام الإسلامي قائم على مبدأ « الإيثار المتقابل » . فالشريك في النظام الإسرائيلي يحرص كل منهما على نصيبه كاملاً لا يتسامح في دائق منه ، فإذا كان نصيبه خمسين في المائة استوفاهما بخذافيرها . وفي النظام المحمدي يوطن كل من الشريكين نفسه على الرضا بالنسبة والأربعين من الخمسين ليبرى ذمته من شبهة الخيف أو الحرام ، ولتطيب نفس شريكه بهذه القسمة فتدوم المحبة بينهما ، وتوسع دائرة التعاون ، فتشيع البركة في عملهما . ومن الأمثلة على ما بين النظامين من فروق ، أن الدولة إذا سنت قانوناً لأجور المساكن في حالة الحرب — مثلاً — فتعت من زيادتها على ما كانت عليه قبل الحرب ، على اعتبار أن أصحاب العقار أوسع حالا وأغنى عن الفضول من مستأجريها ، فإذا كان في مالكي العقار أسرة فقيرة ، لا مورد لها تعيش منه إلا أجرة عقارها ، ثم ارتفعت تكاليف الحياة بسبب الحرب فإن مستأجر عقارها إذا كان أوسع حالا من تلك الأسرة وكان من العاملين بالنظام الإسرائيلي ، فإنه يصر على الاستفادة من قانون منع الزيادة في أجور المساكن ، ويحرم تلك الأسرة الفقيرة صاحبة العقار من زيادة الأجرة التي كانت ستحصل عليها لولا ذلك القانون ، ولا يعذبه ضميره عند ما يراها تنضور من ألم الحاجة . أما إذا كان من العاملين بالنظام المحمدي فإنه لا يتقيد بما أباحه له قانون منع الزيادة في أجور المساكن ، فيلاحظ أن الحسنة في هذا القانون أن يحتمل الغنى بعض أعباء الذين هم أقل منه غنى ، فيطبق هذه القاعدة مع مالكي العقار الذي يسكنه ويزيدهم في الأجر بنسبة الزيادة في الغلاء بسبب الحرب متجاوزاً عن الامتياز الممنوح له من قانون منع الزيادة في أجور المساكن .

إن جميع أنظمة الغرب التي كان لليهود إصبع في وضعها أو في تعديلها أو في تفسيرها ونشرها ، قد وضعت إما لمصلحة أصحاب رموس الأموال ، أو لمصلحة طائفة أخرى من أهل القوة والتأثير ، أو لترويج نزعة من النزعات التي يرنح إليها فريق ويسخطها آخرون .

أما النظام المحمدى فإنه في جميع تفاصيله منتزع من يذوق العدالة المحضة الخالصة ، ومتمشٍ مع نسمات الرحمة ونفحات الرضا ، واعتبار أن القليل الذى يضحي به الإنسان لخير الإنسانية أو بعض بنينا يعوض عنه بالكثير مما عند الله في عالم الغيب أو في حياة الخلود . ونحن نصف هنا من هذا النظام ملامحه وقسمات وجهه ووميض جماله ، أما تفاصيل شمائله وبيان جميع نواحيه حتى يكون معلوما كله ، فهذا يحتاج في بيانه إلى المجلدات ، وإن تترجم عنه تلك المجلدات أبداً ، بدليل أنه لما أطل على الدنيا في خارج جزيرة العرب عندما مشى الصحابة إلى مصر والشام والعراق وشمال إفريقيا ، ثم مشى بعدهم التابعون لهم بإحسان إلى الأندلس وصقلية وجنوب فرنسا وبعض البلاد الإيطالية في الجناح الغربى ، وإلى ما وراء إيران إلى السند والأفغان والقفقاس حتى بخارى وخيوه وسمرقند وما بعدهن في الجناح الشرقى ، لم يحملوا معهم تلك المجلدات إلى الناس مفصلاً فيها النظام المحمدى ، بل اكتفوا بأن ترجعوا عنها بأخلاقهم ومعاملتهم للناس ، فهما الناس من طريق أبصارهم لا من طريق أسماعهم ، فكان انتشار هذا النظام بالقُدوة والأسوة ، كما تعلمه الصحابة بالقُدوة والأسوة من معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه .

والآن وقد نسخ الله نظام الذئاب في مصر ، ومسح أبطاله وتجاره وصيارفته . وحطم حصونه ومعقله على رؤوسهم ، فقد آن لمصر أن ترجع إلى نظامها المحمدى ، وأن تبدأ بذلك من المنزل ، فيتعامل به الأب مع بنيه والام مع فلذات كبدها والاخ مع إخوته والجار مع جيرانه والاقارب مع ذوى قرابتهم ، والموظف مع الذين لهم عنده مصالح من مواطنيه ، والشريك مع شريكه ، والبائع مع زبائنه ، ومستأجر الأرض مع مالكيها ، حتى إذا شاعت أساليب النظام المحمدى فيما بين الناس بمقياس واسع كانت النتيجة الطبيعية المحتمة أن يكون لها أثرها فيما تجدده الدولة من أنظمتها . والسنة الإلهية التى يقررها الاسلام هى أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، والاسلام هو الذى قرر هذه الحقيقة السياسية : « كما تكونوا يولى عليكم » ، وقد يحسن الله إلى الأمة بالحكم الصالح والنعمة الطارئة فيكون ذلك منه لها على سبيل الامتحان ، فإن تجاوب صلاحها مع صلاح الحكم دام وتقدم ونما ، وإن لم يتجاوب صلاحها مع صلاحها ، فإنها لا تأمن أن يسألها الله الذممة إلى أن تستحقها بسيرتها وعملها . وإذا كانت الدنيا قد تغيرت نظرتها لمصر بما صنمه محمد نجيب وأصحابه رضى الله عنهم في مدة قصيرة من الزمن ، فإن الدنيا ستغيطننا ، وستحاول الأخذ بنظامنا المحمدى ، يوم ترانا نعمل به . ويظهر لها أثره في محبة بعضنا لبعض ، ومودة بعضنا لبعض ،

وتعاون بعضنا مع بعض ، على كل ما يرضى الله عز وجل من صنوف البر ووجوه التقوى .
 إن مصرنا هذه — وأقطاراً كثيرة غيرها — لم تكن بلاداً إسلامية قبل أن يترجم
 الصحابة نظامهم المحمدى للناس بأعمالهم ومعاملاتهم ، فلما ترجموه لهم بأعمالهم الصالحة
 ومعاملاتهم المستقيمة وأخلاقهم الرضية ونفوسهم المتواضعة الرحيمة ، فهمه المصريون
 وغيرهم في عشرات قليلة جداً من السنين وارتضوا هذا النظام مسرورين مغتبتين ، لا فيما
 يتناوله سلطان الدولة ، فهذا كان ما ضيا فيهم على كل حال ، ولكن فيما لاسلطان للدولة عليه
 في داخل البيوت وبين الزوج وزوجه والآب وبنيه والشريك مع شريكه والجار مع جيرانه
 وسائر الناس مع جميع الناس .

كان يقال فيما ساف من عصورنا الطيبة : أن كذبة المنبر بلقاء مشهورة ، أى أن الخطيب
 لا يكذب وهو على رموس الاشهاد من أعواد المنبر ، لأن الكذب في هذا المقام لا يلبث
 أن يشتهر بين الناس ويفتضح أمره . والصحافة اليوم أوسع نطاقاً من صدى الصوت يرسله
 الخطيب من المنبر ، لأنها تعم البلاد وتسير في البر والبحر والجو . ولأنى أرسلها كلمة صادقة
 إن شاء الله من هذه الصحيفة المباركة التى تصدر عن أقدم معاهد العلم في الإسلام ، فأقول
 لإخواني المسلمين : إن العالم كله على استعداد الآن ليسير في العشرات القليلة الآتية من السنين
 إما وراء نظام بنى إسحاق وهم اليهود ، فينغمس في الشرور التى يتخبط فيها اليوم ، أو وراء
 نظام سيد بنى إسماعيل — أعنى النظام المحمدى — فينتشل الإنسانية من الوهدة التى هى
 ساقطة فيها ، وحيثما تدفئ الصعداء من الختل والغدر والرياء والشر . ولكن هذا لن يكون
 أبداً إلا إذا أسلم المسلمون ، ورجعوا إلى نظامهم المحمدى فى أخلاقهم ومعاملاتهم ، وفى بيوتهم
 وأسواقهم ، قبل حكومتهم ومحاكمهم . فإذا فعلوا فإننى لا أقصر فى بشارتى لهم على أن مصر
 ستعمل بالنظام المحمدى ، بل أدعى — واتحدى الدنيا فيما أدعيه — بأن الدنيا كلها ستعرف
 محمداً وستتخذة إماماً لها وستعمل بنظامه ، لأنها لا نجاة لها مما هى فيه إلا به . أما إذا أصر
 المسلمون على أن يبقوا مسلمين بشهادة الميلاد ، وعلى أن يتكلموا بالإسلام ولا يعملوا به ،
 فإنهم سيومون بإثمهم وإثم الإنسانية كلها ، وسيلقون الله وهم حاملون هذه الأوزار على
 ظهورهم ، فيحاسبون عليها حساباً عسيراً .

أيها المسلمون ، ضعوا أنفسكم حيث شئتم ، وقديماً قيل : « المرء حيث يضع نفسه » .

حُب الدين الخطيب

مَوْهَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ السِّيَاسِيَّةِ

لا يكاد التاريخ يعرف رجلاً جملة الله بالكالات البشرية مثل ما عرف ذلك لنبينا محمد ﷺ ، ولا رجلاً تجمعت في سيرته العبقريّة من جميع نواحيها مثل ما عرف ذلك له . وجوانب العظمة في السيرة المحمدية مشرقة خصبة ، تستولى على القلوب بإشرافها ، وعلى العقول بقوتها وخصوبتها . وما السيرة المحمدية إلا كبستان حافل بشتى الثمار الشهية ، والأزاهير الشذية ، لا يكاد الإنسان يهم بقطف ثمرة أو زهرة حتى تنازعه نفسه إلى الأخرى ، ولا يزال في حيرة من أمره حتى يقطف أذناها إليه وأيسرها عليه .

هكذا كان شأنى حينما هممت أن أكتب في ناحية من نواحي العظمة المحمدية ، فقد تسهل لى أن أكتب في عبقريته من عبقرياته ، ألا وهى سياسته الرشيدة الحكيمة التى أخذ بها نفسه وساس بها الناس جميعاً . هذه السياسة التى مبعثها الرحمة والرفق ، ومرماها النظر البعيد العميق ، وأساسها المعرفة الشاملة الدقيقة بطبائع الناس والنفوس البشرية وغرائزها وانفعالاتها ، وصدق الله : فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ، وإن لإنساناً ، بكل ما فى الحكمة من معانى الإنسانية ، اختاره الله من خيار البشر ، وتعهده بالرعاية والعناية من يوم ميلاده إلى وفاته ، وأدبه فأحسن تأديبه ، وامتلا قلبه بإشرافات الوحي وفيوضاته ، لجدير بهذه السياسة النبوية الرشيدة . وقد تجلّت باكورة هذه السياسة الحكيمة يوم أن بنت قريش الكعبة المشرفة من حر مالها وأطهره ، حتى وصلوا إلى موضع الحجر الأسود ، واختلفت القبائل فيمن يكون الواضع له ، وتحركت العصية ونعرة الجاهلية ، وكادت نيران الحرب تشتعل فتأكل الأخضر واليابس ، لولا أن تداركتهم رحمة الله ، فاتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب بنى شيبه . وشخصت الأبصار ، وتطاولت الاعناق ليرا من الداخل ! فإذا به أمينهم محمد بن عبد الله ، فارتضوه حكماً . ورأى السيد الأمين الشرر يتطاير من العيون والأيدى تكاد تأخذ بالسيوف ، فتفتح عقله الكبير عن هذه السياسة الفاتكة التى أدت الفتنة وهى فى مهدها ، فبسط ثوبه ووضع عليه الحجر : ثم دعا رؤساء القبائل وقال : ليأخذ كل رئيس بطرفه ، حتى استووا به إلى حيث يوضع ، فأخذوه ووضعوه موضعه . وبذلك وقاهم شر فتنة لا يعلم مداها إلا الله .

ومن مظاهر هذه السياسة الحازمة ما حدث في بيعة العقبة الثانية ، فقد دبرت تحت جنح الليل ، وأشار عليهم النبي بالتسكتم الشديد ، حتى لا يفسد أعداؤهم عليهم الخطة ، وكان مما قاله في هذه الليلة : ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة ، فإن عليكم من المشركين عينا ، وكان لهذه البيعة آثارها البعيدة في انتشار الإسلام في المدينة ، وبالتالي في تسهيل الهجرة إلى المدينة .

ولما هاجر النبي ، صلوات الله وسلامه عليه ، وأصحابه إلى المدينة فمل أمراً عجباً ، ذلك أنه آخى بين المهاجرين والانصار اثنين اثنين ، وكانت هذه الاخوة الدينية بمنزلة الاخوة في النسب : بها يتناصرون ويتوارثون ، حتى انتشر الإسلام وكثر المسلمون ، فجعل الله الإرث بالقرابة حيث قال : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » ، وكان عمله هذا سياسة بارعة موفقة في توثيق عرى الاخوة والمحبة بين المهاجرين والانصار ، فيتعاونون ويتراحمون ، ويصيرون قوة لا يستهان بها أمام أعدائهم المجاورين لهم من اليهود .

وإن شئت أن تعرف أروع من ذلك في باب السياسة المحمدية البصيرة ، فهاك ما حدث في غزوة بني المصطلق :

بينما الناس على ماء يسقون ، إذ اقتتل أجير للفاروق عمر بن الخطاب مع رجل جهني حليف للأنصار ، واستصر الجهني بالانصار ، والاجير بالمهاجرين ، وكادت تقع فتنة أراد أن يشعلها « ابن أبي » ، المناقني ، فقال وعنده زيد بن أرقم « غلام يافع » : « أوقد فعلوها ! قد كثرونا ونافرونا في بلادنا ، ما مثلنا معهم إلا كما قال الأول « سمن كلبك يأكلك » ، والله لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأدل ، فنقل ابن أرقم مقالة ابن أبي إلى النبي ﷺ فقال عمر : « مر به يا رسول الله من يقتله » فقال السيد الحكيم : « فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، ولكن آذن بالرحيل ،

فرحل رسول الله بالجيش في وقت لم يكن يرحل فيه ، فسار بهم يومهم ذلك حتى أمسى وليلهم حتى أصبح . وصدر يومهم التالي حتى آذنتهم الشمس ، فنزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً ، وكان غرض النبي ﷺ أن يشغلهم بالسير عن الحديث فيما وقع ، وبذلك وفي المسلمين من فتنة وخيمة العواقب ، ولما علم عبد الله ابنه (١)

(١) عبد الله بن أبي « ابن سلول » كان رأس المناقنين . وعبد الله بن عبد الله بن أبي كان من خيار المسلمين فكان على بيعة من ذلك حتى لا يلتبس الأمر .

- وكان من خيار المسلمين - بما قال أبوه ، جاء إلى النبي وقال : إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله ابن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلا فمرفى وأنا آتيك برأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها أبر بوالده مني ، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس ، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار . ترى ماذا يكون جواب النبي ؟ لقد كان : جواب الحكيم الرؤوف الرحيم بالمؤمنين ، الخبير بطبائع البشر ، فقال ﷺ : « بل نترقب به ونحسن صحبته ما دام معنا » . ولقد كان لهذه السياسة أثرها البعيد فصار ابن أبي المنافق كلما أحدث حدثاً أقبل عليه قومه وأهله يعاتبونه ويعنفونه ويأخذونه بما صنع . وقد أراد النبي ﷺ أن يبين لعمر ، رضى الله عنه ، عمق سياسته المشددة فقال : « كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي ، لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ، فقال عمر وهو الملمم المحدث « والله لقد علمت ، لأمر رسول الله أعظم بركة من أمرى » .

ولما قسم النبي ﷺ غنائم هوازن ، التي أفاء الله بها عليهم من حنين ، أعطى المهاجرين والمؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار ، فوجدوا في أنفسهم أن يعطى رسول الله المؤلفة ولا يعطيه . فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ جمعهم ووقف بينهم خطيباً فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : « يا معشر الأنصار ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ ، قالوا : بلى . ثم قال رسول الله « ألا تحببون يا معشر الأنصار » ، قالوا : وما نقول يا رسول الله ، الم الله ورسوله . قال : والله لو شئتم لقلتم وصدقتم جئتكم طريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ، وخائفاً فأمناك ، ومخذولاً فنصرناك . فقالوا : الم الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ : أوجدتم في أنفسكم - يا معشر الأنصار - في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبغير ، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فالذى نفسى بيده ، لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، فبكي القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا بالله رباً وبرسوله قسماً . ثم انصرفوا بعد ما ثلجت صدورهم ورضيت نفوسهم . فهل سمعت في باب الاسترضاء أروع من هذه الخطبة البالغة الجامعة بين الحق والصراحة والرفقة والاستعطاف ، وهي مع ذلك لا التواء فيها ولا وعود كاذبة ولا إنكار للجميل ، كما يفعل دهاقين السياسة في هذا العصر .

وهل سمعت في تهدئة النفوس الشائنة مثل هذه الكلمات الرقاق الصادقة ، التي تضرب على أوتار القلوب وتهز المشاعر وتستولى على الوجدان ؟ وأي سياسي - مهما سميت منزلته - يصل به التواضع إلى تقرير الحقيقة التي فيها هضم النفس ، والإقرار بالفضل لتابعيه ، بهذه الصراحة التي لا تملق فيها ولا مداهنة ؟

ألا إن هذه السياسة الحكيمة المؤيدة من الله ، لن تكون إلا من مثل سيدنا محمد ، الذي وهبه الله عقلاً كبيراً ، وقابلاً رحيماً ، وخلقاً رحيباً ، وفطرة سليمة تسمو عن النظر . هذا قل من كثير ، مما زخرت به السيرة المحمدية من ألوان السياسة العبقريّة . وقد كان خريج هذه السياسة المحمدية الرشيدة : السادة البهاليل أبو بكر وعمر وعلي وخالد وأبو عبيدة والمقداد وأضرابهم من دهاة الحروب وأساطين السياسة ، الذين رفعوا شأن الإسلام ووسعوا رقعة وتركوا ذكراً عاطراً ، لا تزال الدنيا تردده بالإعجاب والإكبار .

محمد محمد أبو سريته
المدرس بكلية أصول الدين

صناعات أبناء الملوك

روى أبو عمر بن عبد البر في (بهجة المجالس) أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لبنيه : يا بني ، لو عداكم ما أنتم فيه ، ما كنتم تقبلون عليه ؟ ، . فقال الوليد : أما أنا ففارس حرب . وقال سليمان : وأما أنا فيكاتب سلطان . فقال يزيد : فأنت ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما تركنا حظاً لمختار . فقال عبد الملك : فأين أنتم يا بني من التجارة التي هي أصلكم ونسبكم . قالوا : تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرغبة ، ولا ينجو صاحبها من الدخول في حلة الدهماء والرعية . فقال : عليكم إذن بطالب الأدب ، فإن كنتم ملوكاً سدتكم ، وإن كنتم وسطاً رأستم ، وإن أعوزتكم المعيشة عشتكم .

في الفقه الإسلامي نشأته - خصائصه

١ — نذكر الآن ، بعد ما عرفنا في الكلمة السابقة ، أن الصحابة كانوا يختلفون أحياناً في مسائل الفقه التي لم يرد فيها نص من الكتاب أو السنة ، وإليك بعض المُثُل لهذا الاختلاف :

(١) كان الصديق ، رضى الله عنه ، يُسَوِّى في خلافته بين المسلمين في أعطياتهم ، فلما ذُكر له أن الخير في التفضيل تبعاً للسابقة في الإسلام والقدم في الجهاد ، رد بأنه من أعرف المسلمين بذلك ، ولكنه يدع هذا لله يثيب عليه ، وأما الاعطيات ، فهي للعاش فالأُسوة فيها خير من الأثرة .

فلما صارت الخلافة للفاروق وجاءت الفتوح بمال كثير ، رأى غير ذلك الرأى ، فلم يُسَوِّ بين من قاتل رسول الله وبين من قاتل معه ، وكان من كلامه في هذا : « ما أأف فيه [أى في المال] إلا كأحدكم ، ولكننا على منازلنا من كتاب الله عز وجل وقسمنا من رسول الله ﷺ ، فالرجل ولأدبه في الإسلام ، والرجل وغناؤه في الإسلام ، والرجل وحاجته في الإسلام ، ، وهكذا ، فضل البعض على البعض في العطاء تبعاً للأصل الذى ارتضاه ^(١) .

(ب) وأكبر من هذا الخلاف أثراً في بناء الدولة ، اختلاف عمر أيضاً وغيره من الصحابة في قسمة الأرض التي افتتحها المسلمون في العراق وغيره ، أو تركها بين أصحابها على أن يوضع عليهم الخراج ليكون عُدة للمسلمين طول الزمن ، وكان من رأى عمر رضى الله عنه عدم قسمة الأرض ، ومن رأى آخرين من الصحابة قسمتها بين الفاتحين ، وكل فريق يجد له سنداً من القرآن ، مما جاء من ذلك في سورة الأنفال وسورة الحشر .

وكان من كلام الفاروق في ذلك : « كيف بمن يأتى من المسلمين فيجد الأرض قد قسمت

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ، ج ١ : ١٨٢ ، تاريخ التشريع للرحوم الشيخ النهرى ، ص ١٢٦

وَوُثِرَتْ عَنِ الْآبَاءِ ، مَا هَذَا وَانْهَ بَرَأَى ، إِنْ كَانَ مِمَّا أَثَرَتْ عَنْهُ : أَرَأَيْتُمْ هَذِهِ الثُّغُورَ ، لَا بَدَ لَهَا مِنْ رِجَالٍ يُلْزَمُونَهَا : أَرَأَيْتُمْ هَذِهِ الْمَدَنَ الْعِظَامَ ، لَا بَدَ لَهَا أَنْ تَشْحَنَ بِالْجِيُوشِ ؛ فَنَ أَيْنَ يُعْطَى هَؤُلَاءِ إِذَا قَسَمَتِ الْأَرْضَ وَالْعُلُوجَ ؛ وَلَمْ يَرْضَ الْفَارُوقُ أَنْ يَسْتَبْدَ بِرَأْيِهِ ، بَلْ تَرَكَ الْخِلَافَ لِعَشْرَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْكُمُونَ فِيهِ ، فَحُكِّمُوا بِأَنَّ الرَّأْيَ الْحَقُّ رَأْيُهُ ، وَاطْمَأَنَّ الصَّحَابَةُ جَمِيعاً لِهَذَا الْحُكْمِ وَرَضُوا بِهِ ، وَكَانَ هَذَا إلهَاماً مِنَ اللَّهِ ، وَتَوْفِيقاً لِلْخَيْرِ الْعَامِّ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ مِنَ الزَّمَانِ .

(ج) وَمِنَ الْخِلَافَاتِ فِي بَابِ الطَّلَاقِ ، مَا كَانَ مِنْ عَمَرٍ حِينَ جَعَلَ الطَّلَاقَ الثَّلَاثَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ ثَلَاثًا حَقًّا ، بِهِ تَبَيَّنَ الزَّوْجَةُ يَذْنُونَهُ كَبْرَى ، مَعَ أَنَّ الْأَمْرَ جَرَى طَوْلَ عَهْدِ الصَّدِيقِ وَصَدْرًا مِنْ خِلَافَةِ عَمَرٍ نَفْسَهُ عَلَى اعْتِبَارِ ذَلِكَ طَلْفَةً وَاحِدَةً رَجْعِيَّةً ، لَسَكَنَ الْفَارُوقُ قَالٍ فِي هَذَا : إِنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أُنَاةٌ ، فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ ! فَسَكَانَ أَنَّ أَمْضَاهُ - قَمًّا عَلَيْهِمْ ، عَقُوبَةٌ عَلَى إِسْرَاعِهِمْ فِي الطَّلَاقِ . وَهُوَ أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ ، وَهَذَا نَجْدٌ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَخَالِفُونَهُ وَيَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّهُ وَاحِدَةٌ ، وَمِنْهُمْ عَلِيٌّ وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ^(١) . وَنَحْنُ الْآنَ نَعْرِفُ أَنَّ الْأَمْرَ جَرَى بَعْدَ عَهْدِ عَمَرٍ عَلَى رَأْيِهِ ، حَتَّى صَدَرَ أَخِيرًا فِي مِصْرَ قَانُونٌ لِلْمَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ يَجْعَلُ الطَّلَاقَ الثَّلَاثَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ طَلْفَةً وَاحِدَةً ، عِلَاجًا لِمَشْكَلَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ ، بَعْدَ أَنَّ طَهَا السَّيْلَ فِي اسْتِعْمَالِ الطَّلَاقِ بِسَبَبٍ وَبِغَيْرِ سَبَبٍ .

٢ — وَبَعْدَ كِبَارِ الصَّحَابَةِ طَوَالَ عَصْرِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، تَجَيَّهَ فِتْرَةٌ صَغَارِ الصَّحَابَةِ وَكِبَارِ التَّابِعِينَ ، وَتَبَدَّأَ هَذِهِ الْفِتْرَةُ بِعَامِ ٤٤١ هـ الَّذِي آلَتْ فِيهِ الْخِلَافَةُ إِلَى الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَتَنْتَهَى بَعْدَ الْمِائَةِ الْأُولَى بِقَلِيلٍ . وَقَدْ تَمَيَّزَتْ هَذِهِ الْفِتْرَةُ مِنْ حَيَاةِ الْفَقْهِ بِأُمُورٍ :

(١) فِرْقَةُ الْمُسْلِمِينَ سِيَاسِيًّا إِلَى خَوَارِجٍ وَشِيعَةٍ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَكَانَ لِذَلِكَ أَثَرُهُ الْكَبِيرُ فِي الْفَقْهِ بِلَا رَيْبٍ . فَإِنَّ الْخَوَارِجَ ، وَكَذَلِكَ الشَّيْعَةَ ، لَمْ يَكُونُوا يَعْتَمِدُونَ مِنَ الْأَحَادِيثِ إِلَّا مَا رَوَاهُ رِجَالُهُمْ ، عَلَى حِينٍ كَانَ يَعْتَمِدُ جُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ مَا صَحَّ عَنْهُمْ مِنَ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ، وَإِنْ دَخَلَ فِي أُسَانِيدِهَا بَعْضُ رِجَالِ الْفِرْقِ الْآخَرَى .

(ب) انْتِشَارُ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَكَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْقُرَاءِ وَأَهْلِ الْبَصَرِ بِالسُّكُتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآرَاءِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ فِي مَسَائِلِ الدِّينِ وَالْفَقْهِ عَدَدٌ

(١) [إعلام الموقنين ، ٣ : ٢٤ وما بعدها .

كثير . وطبيعى أن يصح من الاحاديث عند البعض مالا يصح عند آخرين ، وذلك لعوامل مختلفة ليس هنا موضع بيانها .

(ح) كثرة الآراء الفقهية والفتاوى فى الوقعات والحوادث المختلفة التى تتطلب أحكاماً لها ، وبخاصة وقد وجد المسلمون أنفسهم فى بلاد لها عادات وتقاليد وأعراف غير ما كانوا يعرفون فى الحجاز والبلاد العربية الأصلية ، وكل ذلك يستدعى أن تحدث أقضية وفتاوى للعقل فيها مجال كبير بجانب تلك العادات والأعراف .

(د) وربما كان الشك فى كثير من الاحاديث فى هذه الفترة ، سبباً لظهور «الرأى» أو القياس فى الفقه . فإن كثيراً من الورعين ، العلماء بالكتاب والسنة ، حين رأوا شيوع التحديث عن الرسول والكذب عليه أحياناً ، لجأوا فى معرفة الأحكام الشرعية إلى اجتهادهم الخاص فى فهم القرآن والثابت صحته لديهم من الحديث ، فكثرت لهذا السبب أيضاً الخلاف فى الأحكام والفتاوى فى الامر الواحد . وهذا كله ، فضلاً عما كان للخوارج والشيعة من آراء وفتاوى خاصة تتبع مذهبهم فى الفقه وأصوله .

(هـ) ظهور نزعتين فى الفقه والتشريع : نزعة أهل الحديث ، ونزعة أهل الرأى والقياس . وقد ظهر تبعاً لذلك ، مقتون من كل من الطائفتين . وقد كان جمهرة أهل الحديث بالحجاز ، وجمهرة أهل الرأى والقياس بالعراق ، ولا عجب فى ذلك . فإن الحجاز مهد السنة وموطن الصحابة الأولين ، والعراق بلد جديد فى الإسلام وبعيد عن موطن السنة ورجالها .

وكان لسكل طائفة رئيس هو حامل لوائها ، فرئيس أهل الحديث كان أولاً سعيد بن المسيب المتوفى عام ٩٣ هـ ، وزعيم أهل القياس إبراهيم بن يزيد النخعى ^(١) شيخ حماد بن أبى سليمان الذى يعتبر شيخ أبى حنيفة ، وقد توفى عام ٩٦ هـ .

وقد تفرع فيما بعد ، أصحاب الحديث من الفقهاء إلى المالكية وشافعية وحنابلة ، كما كان منهم الظاهرية أتباع داود بن على ، ثم ابن حزم ، الذين يتمسكون بالظاهر من القرآن والحديث ، ومن يتبع كتب الفقه يرى بوضوح كثرة الاختلافات بين أهل الحديث وأهل الرأى

(١) نسبة إلى قبيلة كبيرة من مذبح بالنين ، واجع ابن خلكان فى كتابه وفیات الاعيان ١ : ح من طبعة بلاق .

والقياس تبعاً لاختلافهم في الأصل الذي يرجع إليه كل من الطائفتين في الفقه ، ولكل وجهة هو مولها ^(١) .

٣ — جاء بعد هذه الفترة فترة أخرى تعتبر أطول أدوار الفقه عمراً ، وهو دور النضج والكمال ، وقد بدأ هذا الدور في أوائل القرن الثاني واستمر إلى منتصف الرابع ، وفيه بدأ تدوين الفقه ومذاهب الفقه ، وفيه ظهرت المذاهب الكبرى التي لا تزال بحمد الله معروفة ومتبعة في العالم الإسلامي إلى اليوم ، نعتى مذاهب : أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ، رضوان الله عليهم جميعاً . ولهذا الدور من حياة الفقه خصائصه التي تميزه عن الأدوار الأخرى ، وهي :

(١) قيام الدولة العباسية الذي يعتبر حدثاً ملحوظاً في حياة الفقه والتشريع ، لأنها دولة قامت باسم الدين ، فلا عجب أن يكون لرجالها رعاية ملحوظة بالحياة الدينية بعامة ، وبالفقه والفقهاء بخاصة ، ولا سيما وقد كان من مهمهم أن تقوم الدولة على قانون مستمد من صميم الفقه الإسلامي .

ومن مظاهر العناية الطيبة بالفقه والفقهاء في هذه المرحلة ، ما نعرفه من إجلال الخلفاء العباسيين لرجال الفقه ، وفي هذا نجد الإمام مالك بن أنس يوجه للرشد رسالة قوية ، يذكره فيها بما يجب عليه الله وللمسلمين ، كما نجد هذا الخليفة يرسل إليه ابنه الأمين والمأمون ليسمعا منه بالمسجد حديث الرسول ، مع عامة المسلمين ^(٢) .

ومن ذلك أيضاً ، نجد الرشيد نفسه يطلب من الإمام أبي يوسف أن يضع له كتاباً يستشهد به في إدارة الدولة ، فيكتب له كتاب الخراج ، المعروف ، وفي مقدمة هذا الكتاب يقول لأقوى سلطان في عصره : « فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ... ولا تزغ فتزيع رعيتك ، وإياك والامر بالهوى ، والاختد بالغضب » ^(٣) ، إلى آخر ما قال .

لا عجب إذأ ، أن يجد الفقه في هذه الفترة الطيبة من حياته ، تربة صالحة للنمو والكمال ، ويكون من ذلك نشر سنة الرسول وظهور كبار المجاميع فيها ، وكثرة ما زخرت به كتب

١ — راجع أعلام الموقعين ١ : وما بعدها من طبعة منير ، فقد صور ابن القيم النزاع بين هاتين المدرستين بصورة كبيرة ، وأورد حجج الفريقين وكثيراً من مواضع الخلاف .

٢ — مفتاح السعادة ، ٢ : ٨٦ .

(٣) كتاب الخراج ، ص ٢ - ٣ من طبعة بولاق .

الفقه من الأحكام والتفريعات العملية ، وتدوين ذلك كله في مؤلفات رويت عن الأئمة أنفسهم وكبار أصحابهم وتلاميذهم .

(ب) قوة الحركة العلمية واشتدادها لعوامل عديدة ، وكان من أهم هذه العوامل ترجمة العلوم والفلسفة اليونانية للعربية ، فضلاً عما نقل من تراث فارس والروم ، وكان من ضمن ما نقل للعربية ، منطق أرسطو ، والمنطق — كما تعرف — يعين على الوصول للجهول بطريق القياس .

(ج) وقد كان من كثرة الحديث عن الرسول ، والشك في الكثير منه ، أن وجدت طائفة حقا رفضت السنة جميعها ، أى رفضت الأخذ بها في الأحكام الفقهية ، زاعمين أن في القرآن غنية عنها ، ما دام قد نزل دليلاً لكل شيء . والإمام الشافعى يذكر لنا أقوال هذه الطائفة وما تحتاج به لما ذهب إليه ، ثم يحاجهم ويبين ضلال ما ذهبوا إليه ، وذلك في كلام قيم يجب الرجوع إليه ^(١) .

على أن هذا رأى البين بطلانه ، كان لا بد أن يختفى بفضل رجال الحديث والفقه ، الذين يرون بحق أن السنة أصل أصيل للفقه بعد القرآن ، وإلا فم تكون رسالة الرسول إن لم تكن لبيان ما نزل إليه من الكتاب وبخاصة وقد عني بعض أعلام المسلمين من رجال الحديث أنفسهم بالفحص عن الأحاديث وبيان صحيحها من غيره ، ثم دونوا ما صح عندهم في مجاميع هى مراجع أساسية للمسلمين جميعاً في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية .

كل هذه الخصائص جعلت هذا الدور هو دور ازدهار الفقه والسنة ، ودور تدوين المذاهب المعروفة وتأليف الكتب القيمة في الفقه ، ثم تلا ذلك ، الدور الأخير وهو دور القيام على المذاهب المعروفة وتقليد أصحابها ، وهو دور لا يزال مستمرا حتى الآن ، وكان منه في أيامه الأولى - مع ذلك - ثروة فقهية كبيرة نعتمد عليها حتى اليوم ؟

الحديث موصول

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

(١) كتاب الأم ، الطبعة الأولى الأميرية ، ج ٧ : ٢٥٠ وما بعدها .

طوائف بهاية وبكتاشية - ثم جماعة القريب

١ — أفصحت لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم الإسلام في البهائية ، بناء على ما قدم إليها من شأن هذا المذهب ، وكذلك أفصح فضيلة مفتي مصر - الشيخ حسنين مخلوف - عن الحكم في طائفة البكتاشية ، بناء على ما استند إليه من التاريخ ومن الشريعة . وقد التقت الفتويان في شأن الطائفتين عند غاية واضحة ، وعرف من لم يكن يعرف ، أنهما على غير الحق الصراح ، مع فارق بينهما في العقيدة . فالبهائية - كما نرى إلى لجنة الفتوى - قائمة على نسخ الأديان السماوية السالفة كلها ، ثم هي حائرة بعد ذلك بين القول حيناً بألوهية زعيمها الأول ، والقول حيناً آخر بنبوة زعيمها الخلف .

ووسيلتها في الدعوة إلى مذهبها المتأرجح ، لا تخلو غالباً من الإباحة لأمور محظورة ، والتخلل من تكاليف مقطوع بثبوتها ، ونبد القيود السكاجحة عن الغواية .

ثم هي تسمى ذلك الباطل - ديناً - وتكسوه بهذه التسمية ثوباً رياتياً تخادع به البسطاء ، وثوب الرياء يشف عما تحته ، فإذا تكشف أمرهم سارعوا إلى القول بأنهم مؤمنون بكل شيء جاءت به الأديان ، غير أنهم يرون باب الفيض الإلهي لا يزال مفتوحاً .

وآخر ما قرأنا عن ذلك ما نشره سكرتير حزبهم في أهرام ٥ من نوفمبر الحالى سنة ١٩٥٢ ردّاً على فتوى اللجنة ، وإن زعمها هو فتوى فضيلة المفتي .

وهذا الرد مهمما كان خففا ولمنوبا لا يفهم مما تهربوا منه ، إذ هم لا يرضون بالإسلام ، ولا يقرون بما جاء به القرآن من أن محمداً - ﷺ - خاتم النبيين .

ولا يزالون على ضلالهم ، في أن باب الفيض « الوحي » لا يزال مفتوحاً ، وأن النبوة - بعد أن كانت ألوهية - حاصلة لزعيمهم البهاء . وهكذا من خلطهم المصطنع . وفي هذا الزعم وحده ما يكفي لتصحيح القول بإخاشهم في الكفر ، وإن اتصلوا بالمحاولات الهزيلة .

٢ — أما البكتاشية ، فشرذمة من أتباع الفاطميين ، الذين يمتنون إلى الإسلام ، غير أنهم - الفاطميين - انشقوا على الجماعة الأولى من عهد علي وخلافه مع معاوية ، رضى الله عنهما ، وقد كان تحزبهم ثغرة نفذ منها خصوم الإسلام الذين غاظمهم أن تكون له تلك الوحدة المتناسكة ، ولم يجدوا وسيلة إلى النيل من قوته أقرب إليهم من الظاهر بالنفاني في الحب ، وفي التشيع لآل البيت من ذرية علي خاصة .

وسواء أكان التشيع في أصله غير صادقة على بيت النبوة ، أم كان حتماً أريد به باطل ، فقد استتر به من يعينهم اقتلاع شجرة النبوة من أصلها ، واستطاعوا ان يفتحوا على الإسلام أبواب الفتنة ، وأن يشقوا وحدة المسلمين في ألوان شتى من المذاهب والنحل ، مما يفيض في استيعابه وبيان خطره أهل الذكر من المؤمنين والفقهاء .

ومهما يكن من تقدير الشيعة للتاريخ في قصصه عنهم ، فالذى لا شك فيه أن لهم طابعا دينيا خاصا بين جبهة المسلمين ، وأن لهم مسالك متباينة لا يختلف بعضها عن بعض كما يختلف مجتهد مع مجتهد في فهم واستدلال ، ومحاولة للوصول إلى الحق جهد المستطاع ، بل تختلف كما يختلف متعصب مسرف مع متعصب مسرف : كل يتهم غيره بالضلال والمروق ، ويزعم أنه وحده الملم من الله المشمول بالعناية الربانية الموروثة له عن إمامه وزعيمه الذى اختاره ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

ونحن نعلم أن الدين يدعو إلى الوحدة ، ويحرص على تكوين الشخصية المعنوية للأمة الإسلامية ، وينصح بأن شخصية الأمة لا تقوم على التفرق ، بل على التضامن والانسجام والتآخي ، وعلى الرجوع والخضوع للقرآن والسنة ، في كل ما يجد من شأن خاص أو عام ، ويفسح للعقول مجال الفكر المتزن ، والاستعداد من دستور الإسلام ، في غير التواء ، ولا تسخير للقرآن ، وإخضاعه للزعات ، وإتباعه للبول ، حتى ليرغب الإسلام إلى أهله في التكتل ، والتضامن مع أهل الكتاب ، والتعاون معهم في الشؤون المدنية ، والارتباط بهم في المعاهدات ، والأنساب ، متى كانت ذلك التآخي الإنساني في غير مساس بالقاليد الإسلامية .

ومن ذلك - وهو جوهر النظام الإسلامى لبناء المجتمع الصالح - يتبين أن كل شاذ عن الجماعة ، وكل داع إلى نحلة تباين الأصل ولو قليلا ، وتشق المسلمين ، أو نفرا منهم ، يعتبر منتقضا على الدين في أساسه ، ونابذا لتوجيهاته ، وليس ينفعه أن يتحمل سببا أو أسبابا يأخذ بها في تبرير انحيازه .

ولئن كانت هناك طوائف بين هاتيك الطوائف ، ألين جانباً من غيرها وأقرب إلى تحاشي العصبية المسرفة ، فذلك على أى حال تصدع في صرح الإسلام ، ولولا أن لهذا الدين قوة ذاتية مستمدة من طبيعته وتعاليمه ، ونقاوته من الزيف ، ومطابقته للفطرة في اتجاهها الأصح ، لعصفت به تلك المنازعة بين الطوائف المنتمية إليه .

ولكن ، مع أن دعوة السوء توطنت بين صفوف هؤلاء ، ومع أن الطائفية همست بها

في آذانهم قديماً، ومع أن الإسلام خصوصاً سافرين يقاومونه، ويدفعونه ما استطاعوا، ظل الإسلام يحتمل النخازل من المحسوبين عليه، ويحتمل مدافعة المقاومين له، لأن له مدداً من عند الله، ولأن في أمته - والحمد لله - جمهرة عظمى تعتن بصلابتها في الحق، وتنجها عن التشقق، ورجوعها إلى صراطه المستقيم، ووقوفها عند المورد العذب : من الكتاب والسنة، والمأثور عن السلف من أصحاب محمد، والناهجين منهمجهم من الأئمة المعتدلين، وذلك سبيل المؤمنين، وسيظل كذلك شأنهم مادام الحق ناهضاً في رعاية الله، وما دام الباطل زهوقاً وإن تطاول زمنه . نحن لا نذكي الخصومة بهذا التعريض، ولا نفخ في بوق الفتنة، ولا نتحكم في جماعة أن تكون طوع جماعة، ولكن نقول بفيذ الجنوح إلى تزعيم زعيم، والتذهب له بمذهب خاص، ولا نرضى بالتشاغل عن المصدر الأول في التشريع الإسلامي، والتفرغ للأشخاص ممن تنصبهم أئمة، ونخلع عليهم من المدائح كل باطل، حتى ندعم تلك الدعاوى المكذوبة بما ليس يثبت من الطرق الصحيحة، بل ولا من الطرق المعقولة، ولكنها العvisية المألوفة تعمى وتعم. وكلما قوى الأمل في نشاط العقلية الإسلامية، نرى أشياء لتلك الخلافات يدأبون على نعمهم الأول، ويتغنون بما طرب له قديماً الخائفون على الإسلام في وحدته وتماسكه وقوته .

٣ - هذا، ولدينا اليوم في مصر مظهر لذلك : جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية، نشط في تكوين هذه الجماعة شيخ شيعي « من النجف » يقيم في مصر لعهد قريب أو بعيد، وقد استجاب لدعوته ثلة كريمة من رجالات مصر، ولم يكن يسع مسلماً أن يتخلف عن تلبية الدعوة لتجديد وحدة المسلمين التي هتف بها القرآن أول ما هتف : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » . جذبتني هذه الدعوة، فشرفت بالعضوية المتواضعة بين أولئك الأجداد، فإذا أجدت جماعتنا، وقد مضى عليها أربع سنوات تقريباً ؟؟

نشطت في صدر عهدنا إلى تعاقب الاجتماعات، فرة : للتعارف، واختيار الرئيس، والوكيل، والسكرتير الخ . ومرة ثانية : لاستقبال ضيف شرقي مسلم سيزور دارنا، دار التقريب . وثالثة : لسماع رسائل وردت من جهات إسلامية، ومن بينها رسالة من النجف - مركز الشيعة - يطلب مرسلوها كلمة تلقى هناك في الذكرى الموسمية للإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما، ثم يقترح علينا في هذه الجلسة أن نطلب الجماعة إلى الأزهر تدريس الفقه

الشيعة إلى جانب مذاهب أهل السنة ، ويتوارى الافتراح في سرعة لأنه قبل أوانه ، كما همس بذلك من همس .

وبعد ذلك توقفت الاجتماعات ، وانحصرت الجهود في مجلة تصدرها دار التقريب هذه ، وتسميها (رسالة الإسلام) .

وتعنى رسالة الإسلام هذه بنشر مقالات لأهل النجف ، يثون فيها آراءهم ومعارفهم ، وتلقينهم بيننا ، ولم يكن يتاح لهم ذلك لو لم تكن في مصر دار تقريب ، ورسالة إسلام ، وأنصار ينتفعون .

وكان بودنا أن تصدق النية ، وتسلم الوسائل من الريبة حتى يكون تقريب بالمعنى الذى هرعنا إلى العمل على تحقيقه ، ولكن تبين من أمارات عدة ، أننا مسوقون إلى تأييد النجف في مواضعها ، وفي الجناح إلى مذهبها ، دون أن يتقدموا إلينا - ولو قليلا - نحو الغرض الذى زعموا ، بل ظهر أن التقريب في نظر القائمين على « رسالة الإسلام » أوسع مما فهمنا ، حتى أصبح تقريبا بين الإسلام نفسه وبين الأديان الأخرى بإسقاط الفوارق ، والتسوية بين الجميع في الحكم ، متى كان العمل الدينى طيباً (هكذا قرأنا لهم يوماً ما ، من عهد قريب) .

رابنى هذا التلاعب في استغلال جماعة التقريب - وإن كان غيرى لا يزال حسن الظن بها ، وباقياً فيها ، ورابنى - ويجب أن يرتاب معى كل عضو برىء - أنها تنفق عن سخاء ، دون أن نعرف لها مورداً من المال ، ودون أن يطلب منا دفع اشتراكات تنفق على دار أئمة ، بالزمالك في القاهرة فيها أثاث فاخر ، وفيها أدوات قيمة ، وتنفق على بجاتها ، فتكافى القائمين عليها ، وتكافى الكتاتين فيها ، وتتأنق في طبع أعدادها وتغليف ما يطبع ، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى مورد فياض . . فن أين ذلك ! ؟ ؟ وعلى حساب من ياترى ! ؟ ؟ ! ثم هل صحيح أن علماء النجف مستعدون للتلاقى مع غيرهم لتعود وحدة المسلمين ، أو يتحقق شيء من التقريب ؟ ؟

هل يمكنهم أن يحيدوا عن القول بأن لهم أئمة معدودين بائنى عشر - مثلاً - وأن هؤلاء هم وحدهم المهديون ، ومن بينهم الإمام المنتظر ، المختفى حيث يعلم الله وإلى أن يشاء الله ؟ ؟ . وهل هؤلاء الأئمة : من ظهر منهم ، ومن اختفى ، معصومون كعصمة الأنبياء : وإن لم يكونوا أنبياء ؟ ؟ .

وهل الوصية لعللى أمر معقول ، فضلا عن صحته واعتباره من أصول الدين ؟ وهل زواج المتعة قابل للتفاهم معهم فى صحته أو بطلانه وهم يسنطيونونه وإن خالفوا ، وهل سب الصحابة والتسكّر لآشياخ الصحابة أمر يرتضيه أدب الإسلام ، ونسمح به تعاليم النبى ﷺ ويتفق مع ما صح عنه ﷺ من التوبة بفضلم ؟؟ أمور ليست جديدة ، والسكلام فيها ليس مستحدثا ، والامل فى تصحيحها لامطمع فيه ، ولكن كلفت نفسى ذكرها ، وكلفت القارىء قراءتها ، لتحديد موقفنا من جماعة التقريب فيما هى توهنا بالعمل على تذليله ، ثم هى فى الوقت نفسه تدب فى خطاها الى الاخذ بها ، أو على الأقل هى تقود الناس إلى حيرة واضطراب بين ما يهرفون من طرفى العلم الصحيحة ، وبين ما يقرعون لجماعة التقريب ، أو لغيرها من الجماعات المنبئة بأسماء مختلفة ؛ فى جهات متعددة .

وبعد ، فما وراءك يا عصام ؟؟

لقد أبى الازهر من أول أمره أن يكون وطننا للتشيع ، وأبت مصر من قديم أن تكون صومعة تفرخ فيها النحل الباطلة كالبهائية ، والنحل المدخولة كالبكناشية وما يشاكلها ، فما بالها تظمن إلى تركيز دعوات الفرقة فيها على مقربة من الازهر ، وهو المهيمن على التوجيه الدينى ، وهو المرجع المأخوذ عنه فى اطمئنان ؟؟

أخشى أن يطول الزمن فيصبح للتقريب من الأثر ما أصبح للبكناشية وأمثال البكناشية وتتجدد بيننا دسائس دينية ، أو دسائس مذهبية ، كما تتحرك دسائس البهائية فى ظل السكوت عنها ، والتساهل فى شأنها ، والناس يحسون فى أطراف مصر بنشاط المركز البهائى بالقاهرة فى بث دعايته ، فإن يكن عذر مصر فيما مضى أنها لم تسكن طليقة اليد فى تدبير أمرها ، وتطهير رقعتها ، فمن لا يتخرجون أن يحتتموا بدول أخرى ، فعلينا أن تدرك اليوم ما فاتنا بالأمس ، ولتذكر مصر وعلماؤها أنها بلد القرآن حفظا ، ودراسة ، وصيانة ، وأنها بلد الازهر ، فما يليق بها أن تدع هذه الطقيليات تترك حول هذا المصباح الوضاء .

ولا يصدنا عن ذلك أن يقال : حرية العقيدة مصونة فى الدستور ، فإنما يعنى الدستور حرية العقيدة المعترف بها فى الديار لأهل الكتاب ، أما النزعات الهدامة الغريبة عنا ، والدعوات الشاذة المفرقة للجماعة على حساب الدين ، فباطل كله ، ودستور مصر يجب ألا يحمى الاباطيل ، وألا يحتمن المفسدين .

عبد المظيف محمد السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

نظام الإسلام السياسي

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ محمود اللبائدي الحلبي مقالا في مجلة (رسالة الإسلام) التي تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية وذلك في العدد الصادر في المحرم سنة ١٣٧٢ هـ أكتوبر سنة ١٩٥٢ ، والبحث جليل والمقال ضاف يشهد لسكاته بطول النفس وسعة الاطلاع ، وقد استطاع فيه بنشاطه الذهني وقوة نخبه أن يوفق إلى حد ما بين نظريتين أشار إليهما في مقاله وادعى أن كلا من القائلين بهما لو تعمق في دراسة الإسلام لا لثق مع صاحبه ولم يختلفا .

فأحدهما : تقول : إن الإسلام رسالة لا حكم ، ودين لا دولة ، وهي تتمثل في كتابي الاستاذين على عبد الرازق ، الإسلام وأصول الحكم ، ومحمد خالد ، من هنا نبدأ .

والثانية : تقول : إن الإسلام نزع جميع السلطات من البشر وجهل الحكم لله في الامر كله . وقال في التوفيق : إن الفريق الذي نزع الحكم عن الإسلام نظر إلى ما صار إليه المسلمون من الركود والخلول وفساد الحال ، فظن أن الداء في الحكومة التي مزجت بين الدين والسياسة ، فنصب نفسه محاربا لهذا النوع .

وأما الفريق الذي يرى أن الإسلام دين الحكم والتشريع في كل ما يلايس شئون الحياة ، فإنه نظر إلى ما فيه المسلمون من الضعف وفقد الثقة بالنفس ، حتى صاروا يتعلقون بكل نظام سياسي مهما كان متعارضا مع نظام الإسلام ، فيقولون إن الإسلام ديمقراطي أو اشتراكي أو شيوعي ، فأراد أن يكافح هذه النزعة من الاستخذاء ، وقام بدراسة سطحية لبعض النصوص .

وقد تحامل على هذا الفريق ، وهو على الحق عند التحقيق ، لانه نتيجة تعمق في نصوص الإسلام ، لا نتيجة دراسة سطحية . فالإسلام موجه للناس في كل ما يتعلق بشئونهم ، ميمم على جميعها ، لم يترك شيئا إلا بينه تفصيلا أو إجمالا ، وترك للراخين في العلم الاجتهاد على ضوء قواعده لا يخرج عنها عمل ما ولا يشذ عن أحكامه تصرف ، وقد انتهى من تعقيبه على هذا الرأي بأن رمى أصحابه بأنهم ظنوا أن الدواء في إحاطة الشريعة الإسلامية بأسوار من الحماية تقها شر التعديل والنحوير . وكان في غنى عن أن يسوق هذه العبارة التي تدل على قلة تقديره الإسلام . ولقد ردد معناها وبعض ألفاظها في صورة أخرى . وتورط في سياقها

فكان قوله حشوا مفسدا كما سأبين للقارىء الكريم بعد أن أشير إلى ما تضمنه المقال بعد ذلك من بحوث ، ليسكون حديثى تصويرا للمقال كله . ولا كون قد أجلت فى سميته وغثه وإن تكن الحسنات مذهبة للسيئات فى الحق أن سيئات هذا المقال أظع من أن تغطى على عوارها حسنة ، وعند الله سبحانه التوفيق والهداية .

قام الأستاذ بعد ذلك بدراسة وجيزة كما يقول للنظرية السياسية فى الإسلام فى خطوطها الرئيسية ووزعها على مباحث أربعة :

- (١) هل للإسلام نظرية سياسية ؟
- (٢) ما مصدر السلطة السياسية فى الإسلام ؟
- (٣) هل يربط الإسلام بين الدين والسياسة ؟
- (٤) إلى أى مدى يربط الإسلام بين الدين والدولة ؟

وأحسن فى البحث الأول استدلالا واستنتاجا ولطف مذهب وصحة رأى ، وتستطيع أن تتصور فكرته فى فقرتين متفرقتين فى هذا البحث :

الأولى - قوله : ويقينى أننى بعد هذا أستطيع أن أقرر بكثير من العزيمة والثقة أن الإسلام دولة ، وأن الإسلام نظرية سياسية واضحة المعالم هى نظرية الحكم الدستورى النبائى القائم على حق الترشيح وحق الانتخاب وحق المعارضة .

والثانية - قوله : نخلص من كل ذلك للقول بأنه قد ثبت ثبوتاً قطعياً أن للإسلام نظرية سياسية واضحة المعالم ، هى الحكم الشورى المنطوى على حق الترشيح وحق الانتخاب وحق المعارضة ، وقد عرفها المسلمون وطبقوها فى صدر دولتهم تنفيذا للقاعدة الدستورية الواردة فى الآية النامية والثلاثين من سورة الشورى ، وأمرهم شورى بينهم ، .

وذهب فى البحث الثانى إلى أن مصدر السلطة هو القانون الإسلامى وقال : إنه لا يعرف متجرناً تجراً على إبطال العمل بالكتاب والسنة من الخلفاء والملوك والأمراء والولاة والحكام فى كافة الممالك التى أظلمها العرب ، ولكنه كانت تجرى مخالفات وهذه المخالفات لا يمكن أن تبطل عمل القانون . وقال قبل الفراغ من هذا البحث :

فلم يبق والحالة هذه إلا أن نقرر أن حكم القاعدة الدستورية المكتوبة ، وأمرهم شورى بينهم ، ما يزال مستمرا — ثم أخذ بعد ذلك يبين طريق الشورى ويحاول أن يناضل عنها وهى لا تحتل خلافا من عاقل ، لجاهد فى غير عدو ، وزلت به قدمه كما سأبين لك .

فالفكرة في ذاتها سليمة ولكنه تطرق فاستطرد إلى غيرها وباليته استطراد في مفيد ، ولكنه كان حشوا مفسدا ، ورأيا فائلا ، ومذهبا ضالا .

وفي البحث الثالث ، يرى أن الإسلام يربط بين الدين والسياسة أقوى رباط ويقول : إن مفهوم الإسلام في جوهره تحقيق قوله تعالى « اتقوا الله » ، والتقوى هي توفير العنصر الأخلاقي ، وإن السياسة يجب أن تخضع لإطار الدين أى تخضع لمبدأ أخلاقي ينبثق عنها الظلم والعدوان .

وقال : إن الدين إذن عبارة عن العنصر الأخلاقي . وتحقيق وجوده في كل مرفق من مرافق الحياة ، وهو ما عبرت عنه الكلمة المأثورة « الدين المعاملة » ، وأطال في بيان مزايا الإسلام في ذلك المقام وفضله على سائر الأديان وأحسن كثيراً .

وفي البحث الرابع قال : إن الجانب الأخلاقي في الإسلام يقوم على نقطة الضمير الإنساني تحت مراقبة الله وحده ، وجميع العبادات في الإسلام وسائل لهذا الغرض بالسياسة .

وخلص من ذلك إلى أن ربط الإسلام بين الدولة والدين لا يتعدى ربط الأخلاق وعاد يناقش النظريتين السابقتين باطلاعهما ويدلل لذلك . وانتهى في فصل المقال وتلخيصه إلى أن للإسلام نظرية سياسية هي أرق أشكال الحكم ، وأنه يربط بين الدين والدولة لا على أساس تأسيس حكومة دينية ، بل على أساس ربط السياسة بمكارم الأخلاق في حدود مرنة .

وهذا الكلام يحتمل المناقشة ولكنه قد يحتمل . فأما ما لا يحتمل فهو ما أورده في نهاية البحث الثاني وهو بصدد تحديد الحكم الشورى ثم الاستدلال على الشورى ومناقشة ما يؤم من خلاف عليها .

والى القارئ الكريم العبارة ثم المناقشة . قال :

« وتبعاً لهذه القاعدة المكتوبة فإن مصدر السلطة السياسية يكون في يد جمعية تشريعية ينتخبها المسلمون بمحض اختيارهم من أهل المشورة فيهم ، أى أن الأمة هي مصدر السيادة والسلطان بنص الدستور . أما القول بأن شريعة الإسلام شريعة إلهية فلا تقبل التعديل كغيرها من الشرائع السماوية فأعتقد أن هذا القول لا يذنب على الإسلام لأن دستوره قد قال بقاعدة النسخ (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) . ولا يتوهم أحد أن هذه الآية قد انتهت حكمها بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كما يتبادر إلى ذهن بعضهم ، كلا ، فإن القرآن قد نص على أن الأمة وحدها هي مصدر السيادة والسلطة ، وليس

الله . نعم كان الله هو المشرع ابتداء ، ثم صار التشريع إلى الامة اتهاء . لان الله سبحانه هو الذى رد هذه الساطة إلى الامة حين قال (وأمرهم شورى بينهم) .

وهذا الكلام فاسد لا يميزه دليل ، ولا يقوم عليه برهان . فهو يرى أن قاعدة الشورى تقتضى أن مصدر السلطة السياسية فى يد جمعية تشريعية ملح - وليت شمرى متى كان هذا الاستلزام ، ومن قال إن كون الأمر شورى لا يكون إلا على هذا؟ وهل جهل المسلمون الاولون ذلك يوم كانوا يحكمون على ما أنزل بلا تحريف ولا تزيد؟ لقد سارت السلطة السياسية منذ عهد محمد ﷺ فلم يلتزم المسلمون فيها ذلك ، وإنما كان الدستور كما ذكره هو نفسه هو حكم الإسلام ، فإذا غم أمر على أمير من الامراء جمع أقرب الناس من أهل الرأى ، فجمع آراءهم . ولقد كان الواحد منهم يرى الرأى فيرد عليه ، فإن وجد الدليل المقنع رجع عما قال ، كما جرى لعمر بن الخطاب حين أراد أن يبطل النغالى فى المهور فاحتجت عليه امرأة بقوله تعالى : وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً . فرجع عما قال ، وقال الجملة المشهورة : . أخطأ عمر وأصاب امرأة . . وإن لم يجد الدليل المقنع فلا يرجع كما فعل أبو بكر فى قتال مانع الزكاة ، وحاول عمر أن يرده فلم يستطع ، لأن ذلك شئ كان فى عهد النبي ﷺ فلا بد أن يقاتل دون تحقيقه .

إن هذه الجمعيات التشريعية التى يذكرها نظام مدنى غربى ، فنحن نريد أن نلزم الناس به ، لماذا؟ قال الاستاذ : لأن الله سبحانه أمر بالشورى . ولكن الشورى شئ أوسع مما قال ، وهى بالإجماع لا تكون إلا فيما أشكل ولم يكن فيه نص من كتاب الله ولا سنة رسول الله . ولكنه يقع فيما أنكر على الناس من التعلق بكل نظام سياسى أجنبى .

ثم زعم - وبأسوء ما زعم - زعم أن شريعة الإسلام تقبل التعديل بخلاف غيرها من الشرائع . وهذا لأثم كبير وضلال بين . فإن شريعة الإسلام عامة لكل زمان ومكان من يوم أرسل الله محمداً حتى يرث الأرض ومن عليها . لا تبديل لكلمات الله ذلك الدين القيم ، قامت أحكام الشريعة فى كل ما يتعلق بشئون الناس من أولها الى آخرها خاصها وعامها تشق طريقها فى الامة الإسلامية لا يجرؤ أحد على أن يخالف شيئاً منها إلا إذا كان ظالماً مضطهداً وشاذاً مخالفاً ، فكل ما فيها دستور مطرد فى كل مكان ، ويمتد الى آخر

الزمان . فأحكام الولايات وجميع السياسات في داخل البلاد وخارجها ، على ما أمر الله وأنزل . فإن وقع شيء لم ينص عليه أو جزئية لم تقع في عهد النبي ، ردت الى أولى الأمر من المسلمين ليستنبطوا لها حكماً . من الأدلة الشرعية المعروفة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس .

فالجهد فريضة قائمة بقيوده الشرعية لا يجوز التكوّص عنه ولا العدول عن القول بوجوبه . وحماية البلاد الإسلامية واجبة شرعاً ولا يصح في هذا خلاف ولا تعديل .

والزنا حرام ، والربا حرام ، والخمر حرام . والبيع بأنواعه الشرعية على ما حكم الله ورسوله بلا تغيير ولا تبديل في شيء من ذلك .

ولو جاز التعديل ، لصح القول بحل الزنا أحياناً كما يقول به بعض المدنيين ، وكما تورط فيه بلادنا وغيرها على خلاف أحكام المسلمين .

لو جاز التعديل لأبيح شرب الخمر إذا رآته الجمعية التشريعية ، ولصح التعامل بالربا ، ولكان لما أن تغير في نظام النكاح والطلاق والإرث وما إلى ذلك . وجميع هذه اللوازم بشعة منتفية ، والقول بها إلحاد خارج على حكم المسئلة ، نعوذ بالله من الضلال .

يا هذا قد أكمل الله الدين بما شرع من شرائع خالدة ، وبما وضع من رخص قائمة ، وبما سن من قواعد محكمة ، لا يشذ عنها شيء من الوقائع أبداً . ولكن على الناس أن يجتهدوا ويستنبطوا من أدلة الشرع أحكام جميع الوقائع كما تطبق القوانين والدساتير العامة ، وإلا تحقق الحكم بغير ما أنزل الله ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، والظالمون والفساقون بنص الكتاب الكريم .

فمن أين يقع التعديل والتغيير كما زعمت ؟ إن الشورى لا تملك أن تنحرف عن أحكام الدين الحق ، وإنما هي فيما أشكل أمره ، واختلف وجهه النظر فيه ، فهي ترجح وجهة على أخرى ، وتزيد الحاكم معرفة بجميع الأدلة ، والتذكير بالدعائم التي ترتكز عليها الأحكام ولا يقبل فيها قول بغير برهان صحيح ، ودين متبع . قال الله سبحانه وهو أصدق القائلين : « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً » .

شريعة الإسلام تقبل التعديل ؟ ! لقد كبرت كلمة تخرج من فم قائلها ، إن يقول إلا كذبا ، فإنما التعديل للشيء المائل الجائر . وأحكام الإسلام كلها اعتدال وعدل ، ما لجأ إليها فرد أو جماعة إلا كانت قواماً وقصداً ونصفة ومفزعاً ورحمة ، ولا اضطربت مسالك الحياة بأمة فرجعت إلى ميزانها إلا هدأت وسلمت . ولقد طوف بها المسلمون الاولون في آفاق الأرض يطبقونها في كل بقعة ويوجهون إليها في كل أمة حتى أعانوا عنها بخير دعاية وحبوها إلى الناس فدخلوا في دين الله أفواجا ، لأن الله سبحانه قد جعل فيها من السعة والقوة والنصفة والرحمة ما يكفل لها ما أعد الله من خلود ودوام إلى يوم الدين .

يجب أن يعلم الناس أن الدين هو الدين ، وأن أحكامه الآن في السياسة وفي غير السياسة هي ما كان عليه محمد وأصحابه ، وأن يذكروا قول الصادق المصدوق محمد ﷺ : افترقت اليهود والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . قيل : من هي يا رسول الله ؟ قال التي على ما أنا عليه وأصحابي ، فمن عدل في دين الله - ومعاذ الله أن يقبل دينه تعديلا - ومن غير أو بدل ، فقد خالف ما كان عليه محمد وأصحابه ، وقد شاق الرسول ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، فحسبه جهنم وسامات مصيرا .

يجب أن يعلم الناس أن لا حاكم إلا الله فيما أجمع عليه المسلمون ، فإن من قال من الفرق بأن للعقل حكما ففسره بأنه يستطيع أن يدرك الحكم فيما لا نص فيه بحسب ما فيه من مصلحة تقتضيه ، لأن أحكام الشرع معللة بالمصالح ودفع المفاسد .

وحتى إن من قال بالقياس من المسلمين منع القياس وهو دليل شرعى عند وجود النص ، مما يدل على أنه لا تبديل لكلمات الله ولا تغيير في أحكام الله .

ولكن علماء الغرب قالوا إن الدين « يتأقلم » ، فصرنا نقول كما يقولون ، ونحتال للاستدلال لذلك من كلام الله وسنة رسوله . والمسلمون جميعاً منذ بعث محمد ﷺ يشددون النكير على من يخالف شيئاً من الكتاب أو السنة ، ويحاسبون أهل البدع والاختراعات ، ويتحاشون الوقوع في بعض المستحدثات ، ولا سيما بعد أن حذر من ذلك سيد المسلمين بقوله : « من يعيش منكم فسيرى اختلافا ، فعليكم بسنة الخلفاء الراشدين من بعدى : عضوا عليها بالتراجذ . وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ،

وكل ضلالة في النار ، وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وبعد - فهذا قول كان جديراً بعدم الرد عليه لمخالفته ما علم من دين الإسلام بالضرورة . ولكن لما كان في المقال وجهة في بعض البحث وخلابة في بعض القول ، خشيت أن يضل القارئ عن سبيل الله فيظن أن شريعة الإسلام كما يزعم بعض ضعفاء الدين تقبل التغيير ومسيرة المدنية والفناء في مقتضياتها المادية . وإباحة الربا والزنا والسفور والاختلاط ونكاح (السكونيات) وحظر الطلاق وما إلى ذلك مما يخشى أن يتورط فيه المسلمون فيفتقدوا البقية الباقية من هذا الدين .

ثم انظر إلى ما استدل به الكاتب على جواز التمديل بالجمعية التشريعية كما يقول :
إنه يستدل على ذلك بأن في الشريعة الإسلامية نسخاً ليبرهن على أنه يركب متن العمياء ، ويخطب خطب العشواء . نعم إن في الشريعة الإسلامية نسخاً كما تقول ، ولكن ليس النسخ إلى جمعية تشريعية كما تزعم ، إنه لا ينسخ أحكام الله إلا الله أو رسوله بوحى منه إذا كان الحديث قطعي الدلالة كالقرآن الكريم . وهل تقول الآية التي استدلت بها إلا ذلك ؟ إن الله سبحانه يقول : ما ينسخ من آية ، ولا يقول : ما ينسخ المشرعون من آياتنا ، تعالى الله عما تقول !!

أهذا مبلغك من العلم على الاستدلال للجمعية التشريعية ؟ ما أظن إلا أن هذا القول له خبيء ، إلا أن يكون قضاء على العقل في ساعات محنته !

أما نحن فنقول إن الجمعيات التشريعية جائزة ، وإن الشورى مشروعة بالآيتين اللتين سقتهما وبدلالة العمل المطرد في الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وبدلالة المنطق القويم والعقل السليم ، فما ندم من استشار كلما التبس أمر أو فدح عبء وأثقل ، ولا شورى إلا عند اللبس وعند عدم وجود النص .

أما أن تستدل على ذلك بصحة النسخ ، وتسوق الآية السكرية تزجى بها الباطل وتجويز بها التغيير في أحكام الله ، فذلك إلحاد في آيات الله ، وضلال عن قصد السبيل . . .

لقد نص علماء الأصول على أن الإجماع نفسه (وهو دليل شرعى له خطره) ليس من حتمه أن يفسخ ، لانه لا يكون إلا بعد انقراض زمن النسخ .

ثم ماذا؟ ثم يتحدى الكتاب فى باطله فيزعم أن هذه الآية لم ينته حكمها بوفاة الرسول! وجعل ذلك توهمًا! ووصفه بأنه يتبادر إلى بعض الأذهان! وهو الحق كما علمت، فإن الناسخ هو الله، ولا نسخ أبدا بعد رسول الله، وإلا ذهب الدين وعاد الناس كما كانوا فى جاهليتهم فلا مدنية مهذبة كما اغتر بها الجاهلون، ولا علم رادع كما نشاهد فى أحوال العلم والمدنية من الضلال والعدوان.

ولقد تمادى فى تعاميه عن الحق، وران على قلبه ما اجتراً على الله والدين والعلم، فعزز حكم الجمعيات على آيات الله، ونسخها لكتاب الله، واطراد ذلك النسخ بأن القرآن نص على أن الأمة وحدها مصدر السلطات. وليت شعرى أين هذا النص؟

وزعم أن الحكم كان لله لإبتداء ثم صار إلى الأمة انتهاء. وكل ما يستدل به على ذلك (وأمرهم شورى بينهم)! فانظر إلى الإفلاس فى الحجة، ومنطق التزوير والمهاترة هل آية الشورى هى التى فعلت هذا كله فجعلت الحكم لا بد أن يكون بجمعية تشريعية. وجعلت النسخ جائزا بل واجبا بأقوال الرجال. وأوجب أن يكون الحكم للأمة وحدها لا لله انتهاء!؟

اللهم إنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين. اللهم أنقذ أفكار هذه الأمة من سموم الإلحاد وزيفه، وثبتها بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة يارب العالمين.

محمود النوارى
المفتش بالأزهر

من أمثال العرب

- * أنتك بجائن رجلاه .
- * البلاء موكل بالمنطق .
- * الشر خير من شر منه .
- * من أحب الحياة ذل .

السنة

الحب الإلهي

نزله - وسيلته وأسبابه - أماراته - أدعياء المحبة
أولى الناس بالمحبة - ثمرة الحب الإلهي - لمحات وإطائف

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل . فينادى جبريل في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، رواه الشيخان (*) » .

محبة الله لعبده وما يتبعها ، من ولاية الله ونصره له ، ودفاعه عنه ، ومعاداة لمن عاداه ، ومسالمة لمن سالمه ، وإكرامه لمن أكرمه ، ومن إعزاز السماء والأرض له ، حتى لتفرحان به في حياته ، وتبكيان عليه عند موته ؛ هذه المحبة التي لا محبة فوقها ، وكل محبة درناها منزلة ما أجلها ! حقيقة بأن يتنافس فيها المتنافسون ، ويتسابق إليها المتسابقون ، من العباد المخلصين والابرار المقربين ؛ إذ كانت هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، لا جرم أنها حرام على أرباب الكلام ، وأصحاب الآمانى والأحلام ، حلال لأولى الدلم والنهى ، والعمل والخشية ، من الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، وتوكلوا الله حق ولايته ، فاجتباهم ربهم ، واصطفاهم لمحبة ، واختصهم برحمته ، يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ،

غير أنه - سبحانه - وإن اختص برحمته من يشاء من عباده ، علمنا في كتابه المبين ، وفيما أوحى إلى رسوله الصادق الأمين ، أن لهذه الدرجة الرفيعة - درجة محبته وولايته - أسباباً تدل عليها ، ووسائل تهدي إليها ، وأمارات ترشد إلى أهلها ، على تفاوت ما بينهم فيها .

(٥) غير أن مسلماً انفرد بذكر الشطر المقابل وهو « وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه » ، ثم توضع له البغضاء في الأرض ! .

وقد أمرنا الله أن نعمل ونسجدح ، آخذين بالأسباب والوسائل لما قضى - وله المحبة البالغة - من الربط الإلهي الوثيق بين الأسباب ومسبباتها ، والوسائل وغاياتها . فمن طمع في محبة الله له ورضوانه عليه ، دون أن يأخذ في أسباب هذه المحبة ويسلك سبلها ، فهو إما مخدوع جاهل ، أو مبطّل عنيد ، يريد أن يلغى عقله ، ويفسد فطرته ، ويبدل سنة الله في خلقه وشرعه ، وإن تجدد لسنة الله تبديلاً .

وأساس حب الله لعبده وولايته له ، هو حب العبد لربه وإخلاصه له ، وعلى قدر حب العبد وإخلاصه ، يكون حب الله تعالى ومعونته ، وتوفيقه وهدايته . ولا يزال العبد يتدرج في الإخلاص والمحبة ، حتى يكون عالماً ربانياً : لا ينام ولا يقوم ، ولا يحب ولا يبغض ، ولا يفعل ولا يترك ، ولا يتحرك ولا يسكن ، إلا بالله والله ؛ يتقيه حق تقاته ، ويبلغ الجهد في مرضاته ، ويتوكل عليه حق توكله ، فلا يخشى أحداً غيره ، ولا يرجو أحداً سواه . . وما أجدره حينئذ بمحبة الله له ، وقربه منه ، حتى يكون أقرب إليه من سمعه وبصره ، ويده ورجله ، وما ظنك بعبد أحبه مولاه ، فكيفاه وتولاه ، ورضى عنه وأرضاه ؟ أليس مصداق ذلك ما رواه البخاري في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، وإن استعاذني^(١) لأعيذه ،

بغين هذا الحديث الرباني - أي بيان - طريق محبة العبد لربه ، ووسيلته إلى قربه ، وأجلها في امتثال أوامره ، واجتناب محارمه ، والوقوف عند حدوده ، مع تقديم الأصول على الفروع ، والفرائض على النوافل . وقديماً قال العلماء الربانيون : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور . ومثل من يتقرب إلى الله بالنوافل مع تهاونه في الفرائض ، من جهلة المتصوفة وأمثالهم ، كمثل البستاني يأتيه سيده على بستانه ، فيعمد إلى أشجاره فيسرقها ، ثم يختلس منها بعض ثمارها ، فيقدمها هدية إلى سيده . لا جرم أنه جدير برفض هديته علاوة على غضب مولاه ومقتته !

(١) روى بالنون وبالباء والرواية بالنون أشهر .

أما الذين يزعمون أن محبة الله أثر للعلاقة القلبية ، والصلة الروحية بين العبد وربّه ، ولا دخل للعمل فيها ، من الزنادقة والملاحدة ومن جاراهم - من أرباب الفلسفة النظرية والشّقْشِقة اللسانية - فلا خطاب لنا معهم ، إذ لا أمل لنا فيهم ؛ لأنهم قوم ركبوا رءوسهم ، وأغلقوا قلوبهم ، واتبعوا أهواءهم ، فعموا وصموا وضلوا وأضلوا ، وأُفْرِيت من اتخذ لهُ هواء وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله . .

وقد ادّعى محبة الله أقوام أقل من هؤلاء تمرداً وعناداً ، فشهّر الله فضيحتهم وإفلاسهم ، وأعلن في كتابه العزيز تكذيبهم وبراءته منهم ، فقال وقوله الحق : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فإن تولّوا فإن الله لا يحب الكافرين » ، وقال في إبطال دعوى أهل الكتاب وإخامهم : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق » ثم قال جل شأنه في علامات أوليائه الصادقين ، الذين أحبهم كما أحبوه ، ورضى عنهم كما رضوا عنه ، والذين يباهي بهم ملائكته ، ويعز بهم دينه ، ويجعل منهم العوض ، خير العوض من ارتد عنه وجحدّه : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم لأنهم ذك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » .

هذه أربع علامات تضمنتها الآيتان الكریمتان ، ميز الله بها هؤلاء المحبين المخلصين : الأولى : ذلّهم للمؤمنين وخفض الجناح لهم وإشفاقهم عليهم ، كإشفاق الوالد على ولده ، أو الأخ على أخيه ، أو الطبيب على مريضه ، فليست الذلة هنا ذلة ضعة وضعف ، ولكنها ذلة تواضع وعطف ، وقد أمر الله الأبناء أن يحسنوا إلى الآباء ، ويخفّضوا لهم جناح الذل من الرحمة ، ووصف النبي ﷺ الكلمة من أمته ، بأنهم في نوادهم وتراحيمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

الثانية : عزّهم على الكافرين وعدم الخضوع لهم ، فلا يتولّونهم ولا يمالئونهم ، ولا يتخذون منهم بطانة وأنصاراً ، ولا يتشبهون بهم في شأن من شئونهم ، بما يهين كرامتهم ، أو يضعف عزّهم وسلطانهم ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، « وإن يحذل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » ،

وفي معنى هاتين العلامتين ما وصف الله تعالى به أصحاب نبيه ﷺ فقال : و محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ،

الثالثة : جهادهم بأنواع الجهاد كافة : بأنفسهم وأموالهم ، وأيديهم وألسنتهم ، لا يألون جهداً ، ولا يدخرون وسعاً . وعلى ضروب الجهاد قام الإسلام ، وبني هذا الدين الخنيف ، وعم نور الله في الأرض ، وبالجهاد سبق السابقون بمن لا يبلغ المجتهدون منا مد أحدهم ولا تهنيه .
الرابعة : صلابتهم في الحق ومضيقهم فيه ، لا يخافون لوم اللاتمين ، وإن بلغوا من السلطان أو الجاه أمدا بعيدا ؛ لأنهم لا يعملون رغبة في جزاء من الناس أو ثناء ، أو رهبة من مكروه أو بلاء ، وإنما يخشون الله وحده ، فيحقون الحق ويبطلون الباطل ، ويأمرسون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، رضى الناس أم كانوا ساخطين .

وتقتضى محبة الله سبحانه أن يحب العبد ما يحبه ربه ، ويغض ما ييغضه ، من الأعمال والعباد جميعا . وتلك هي العلامة الجامعة للعلامات السابقة وما إليها ، مما هو مبثوث في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ . وما ألفته العقول ، وجرت عليه الفطر ، أن المحب يؤثر حبيبته على نفسه ، ثم يتحسس من كل ما يحب الحبيب فيحبه ، ومن كل ما ييغض فييغضه ، ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وأولى الناس بالمحبة هو خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، إذ أخرجنا من الظلمات إلى النور بإذن ربه ، وأحيانا حياة أبدية روحية ، فوق حياتنا العابرة الجسمية ؛ ولذلك كان حبه ﷺ فوق حب الوالدين ، بل كان ركنا من أركان الإيمان ودعامة من دعائمه ، وكان شكره باتباعه واستجابة ندائه والصلاة والسلام عليه ، فوق شكر الوالدين اللذين أمر الله بشكرهما مقرونا بشكره .

وتلى محبته - صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين - محبة أصحابه والتابعين لهم بإحسان . ومن آثار محبتهم لإجلالهم وإحسان الظن بهم ، لحب الله ورسوله إياهم ، وثنائه عليهم ومغفرته لهم . وحسينا من دواعي الحب والإجلال ، أنهم شهدوا من النور ما لم نشهد ، ثم حدثونا ، وعللوا من الكتاب والسنة ما لم نكن نعلم لولا أن عللونا ، وكان فضل الله عليهم بالسبق ثم علينا بالاتباع عظيما (*)

(هـ) بسطنا القول في فضل الصحابة رضوان الله عليهم ، في الجزأين الأول والثاني من المجلد السابع عشر ، ثم في كتابنا درجات الناس ، .

إذا بلغ العبد هذه المرتبة العلية من محبة الله له ، على ما بينا لك آنفا ، من مجمل القول ومفصله ، فبشره بما بشر الله به أوليائه من حب الملائكة والناس لهم ، ورضا الخلق بعد رضا الخالق عنهم ، إلى ما يتمتعهم به سبحانه من غنى النفس ، وقرّة العين ، وطيب الحياة ، بلذة الحب وحلاوة المناجاة ، مما لو علمه ملوك الدنيا لا شتروه بملكهم ولعانلوا المحبين عليه .

ولا ينقص من محبة الولي وهيبته ورضا الله والناس عنه ، ما يغص به حاقدا أو حاسدا ، أو فاسقا أو منافقا ، فإنه لا وزن لهؤلاء في حب ولا بغض ، وما نجا من بلائهم أو لياء الرحمن في زمان أو مكان : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أقيم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » ، وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن » .

تلك عاجلة بشرى العباد الصالحين في الدنيا ، وأما في الآخرة فقد أعد الله لهم مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأقرءوا إن شئتم « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

* * *

ولا ندع القلم قبل أن ينبه إجمالا - كعادته - على بعض ما انطوى عليه الحديث من لمحات ولطائف :

فمنها : فضل الروح الأمين ، والرسول الكريم : جبريل عليه السلام على سائر الملائكة . ومنها : إثبات حب الله وبغضه ، ودعائه وندائه . وهي من صفاته الثابتة له جل شأنه ، على الوجه اللائق بجلاله وجماله ، تؤمن بها ، دون أن تبحث عن كيفيةها وكنهها ، كما آمن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكما آمن صحابته والراستخون في العلم .

ومنها : أن محبة الناس وقبولهم - ولا سيما الصالحين منهم - من علامات محبة الله عز وجل ، وكذلك بغضهم ونفورهم ، من علامات بغضه وسخطه ! نعوذ بالله منه .

ومنها : وهو ألقها وأوقها وأدقها - أنه ليس الشأن أن تحب الله ، بل الشأن أن يحبك الله ، ولن تظفر بمحبته إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا ، واستمتمت على طريقته غائبا وشاهدا ، لا ترضى منها بدلا ، ولا تبغى عنها حولا .

طه محمد الساكنت

أَمِنْ الْخَيْرِ أَنْ تُبْنَى الْأُمَّةُ عَلَى الْحِزْبِيَّةِ

مصر الآن في مستهل عصر جديد ، لها كل الحرية أن تبني مستقبلها على ضوء تجاربها في الماضي ، لتلا تنع في الأغلاط التي وقعت فيها ، وعلى ضوء هدى الإسلام ونبي الإسلام .

لها الآن بين أمرين : إما أن تبني حياتها السياسية على الحزبية والأحزاب ، أو تبنيها على الاجتماع والوحدة .

وإن البوادر تدل على أنها تريد أن تبنيها على الحزبية ، كما بنيت عليها عند مبدأ حياتنا الدستورية ، وقد قال حينئذ ثروت (باشا) : لئنني أحمد الله إذ صارت لنا أحزاب كالأمم الديمقراطية ، في العالم . وما درى ثروت (باشا) أنه كان يغتبط لأنه قد بذرت في أمته بذور الفرقة والانقسام ، وقد ظللنا طوال هذه المدة نقاسى من التحاسد والتباغض ، ما لا يزال عالفاً بالأذهان إلى الآن .

لنا قد بلونا الحزبية في مصر ، وبلونا نظام الأحزاب ، فنجينا منها شرأ مستطيراً .

لها فرقت الأمة ، وقطعتها شيعاً متباغضة ، وشراذم متنافرة .

لأنها جعلت بأسها بينها شديداً ، وأصبح كل مشغولاً بصاحبه ، يكيد له ويتقكى كيده . إن الأحزاب قد فهموا الحكم الحزبي فهماً خاطئاً : فهموا أن معناه أن يعامل المصريون معاملتين مختلفتين ، فيولى مناصب الدولة من هم من حزب الحاكم ويقدم لهم خيراتها ، ويحرم الآخرون مناصبها وخيراتها . وقد أدرك هذه الظاهرة أحمد شوقي رحمه الله فسجلها في قوله :

ولينا الحكم حزباً بعد حزب فلم نك محسنين ولا كراما
جعلنا الحكم تولية وعزلاً ولم نعد الجزاء والانتقاما

والآن ، بعد هذه التجربة الطويلة القاسية نريد أن نغلظ الغلظة نفسها ونكرر التجربة ، ونبنى حياتنا السياسية على الحزبية .

لقد كان من قبلنا أعذر منا ، فقد بنوا حياة الامة على الحزبية وهم يجهلون العواقب ، ولم تكن قد سبقت لهم تجربة .

أما نحن فما عذرنا ، وقد لدغنا من الحجر مرة ، فكيف ندخل يدنا فيه لندغ منه مرتين ؟

لأنهم كانوا أعذر منا ، فقد كان فيمن يوجهون السياسة المصرية ، من يريد لها الفرقة والانقسام ، ويخاف الوحدة والاتلاف ، وكان يجرى على سياسة : « فرق تسد » .

أما نحن فأقل منهم عذرا ، لأنه لم يبق فيمن يوجهون السياسة الآن ، من يريد تفرقة الامة ، وضرب بعضها ببعض .

إنى أعجب لهذه الامة تعرف وتنكر: تعرف ما فى الخلاف والحزبية من أضرار فتسعى لتلافيها ، ثم تنكر ما فيها من أضرار فتعفلها . عرفت ما فى الخلاف من أضرار بين عنصرى الامة ، فحذرته أشد الحذر ، ولا تقنأ توحد بينهما وتسعى فى الوفاق .

وهى محدودة على ذلك كل الحد ، وليكنها تنكر ما فى الحزبية السياسية من أضرار ، وهى قريبة عهد بجروحها التى لم تندمل ، فتسعى جاهدة إلى تكوين الأحزاب ، لتكون دولة ديمقراطية ، بأذلة فى ذلك كل الوسع .

إن الذى يدعونا إلى الاستمسك بالحزبية كلمة ذاعت بيننا ، وهى أن الديمقراطية من لوازمها : الحزبية .

ما ذا يمنع أن تلتخب الامة نوابها وشيوخها ناظرة إلى أشخاصهم وكفاياتهم ، وأن يعين رئيس الدولة وزرائه ، فإن حازوا ثقة مجلس النواب بقوا ، وإلا سقطوا .

لنكسب الحياة الدستورية ، ولتكن هناك مسئولية وزارية ، فيكون الوزراء مسئولين أمام مجلس النواب ، وليكن ذلك حقيقة لا خيالا ، ومموها بعد ذلك بما تريدون .

إن الأحزاب لا ترتجل ارتجالا ، إنما ولدت فى الأمم حين تطورت ووجدت آراء فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية اختلف عليها ، فكل جماعة انفقت على رأى كونت حزبا . ومن هنا كانت الأحزاب ، أما نحن فقد خلقناها خلقاً ، تشبهاً بالبلاد الديمقراطية ، فلما لم تجد مبادئه تتحزب لها ، تحزبت للأشخاص .

أتركوا الامة تدخل ميدان السياسة متحدة ، ولا تقهروها على خلق حزبية لم يأت بعد أوانها .

جنبوها النظام الحزبي فهو لا يصلح لها ولا تصلح له ، إنها قريبة عهد بالخلافات الدينية ، وإن أخص خصائص الخلافات الدينية ، أن المخالف يعتمد العصمة في نفسه ، والخطأ والضلال في غيره ، وأنه على صوابه وهداه يوشك المخالف أن يستنزل عنه ، وذلك يستدعي البغض والحقده على المخالفين . جنبوها النظام الحزبي ، فالزواب والشيوخ يفهمون الحزبية كما هي في القرية : ظلم واعتساف وكراهية وبغضاء ، وهم يطبقونها على الأحزاب السياسية .

جنبوها النظام الحزبي ، فقد جربته مدة ثلث قرن من الزمان فذاقت منه الامرين ، وأخرها عن ركب الحضارة زهاء خمسة قرون .

جنبوها النظام الحزبي ، فإن التاريخ ينبئنا أن الأمة الإسلامية لم تبلغ ما بلغته من العز والرفعة ، حتى ألغى الإسلام عصبيتها وحزبيتها ، وجعلها لا تنصب إلا للإسلام .

فقد كانت الأمة العربية قبل الإسلام أمة قبلية يتعصب كل إلى قبيلته ، وكانت لذلك بأسها بينها شديد : تقوم الحرب بين القبيلة والقبيلة ، فتتمكث الأعوام الطويلة حتى يمهلك بعضها بعضا . وأدى هذا الانقسام في داخل الجزيرة العربية ، إلى ضعف أمام الأمم في خارجها فذلوا للأمم المجاورة ، وظلوا كذلك حتى جاء الإسلام فأبدلهم بهذه العصبية القبلية الضعيفة ، عصبية إسلامية عامة واسعة ، وحرم دعوة الجاهلية والعصبية القبلية ، وجعل المسلم أحبا المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . وأعلن أن كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه . وخاف أن ينزع الشيطان بينهم فيعودوا إلى ما كانوا عليه ، فقال : « من تعزى بزاز الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا ، وقال : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية ، فاذا العرب أمة ذات عز ومنعة قد صارت كتلة واحدة ينحدر عنها السيل ولا يرقى إليها الطير - هذا كله بفضل هذا الدواء .

ألا إن الله لم يمن على المسلمين بنعمة أعظم من نعمة تأليف القلوب بعد عداوتها ، ونعمة الإخوة الإسلامية بعد العصبية القبلية فقال : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، .

ألا إن الله بين لنا مافي الخلاف والانقسام من الضرر ، وحذرنا منه أشد التحذير ، وقرنه بالخسف والرجم فقال : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيهاً وبذيق بعضكم بأس بعض ،

ألا إنكم لو رجتم كل شيء ، وخسرتم الوحدة ، فقد خسرتم كل شيء ، ولو خسرتم كل شيء ، ورجتم الوحدة ، فقد رجتم كل شيء .

أعمار زائفة

لفضيلة الاستاذ الاكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الازهر خطرات من الشعر
تلوح له بين الفينة والفينة في صور من المعاني المتألفة ، فيرسلها من نفسه على بيجيتها : مكتفيا
بما يعقبها من راحة وعبرة ورضا .

ومن ذلك قوله مد الله في حياته ، وأدام النفع به :

نفد العمر وفي القلب ارتباعُ وارتجاع العمر ما لا يستطاع
طائرٌ هيض جناحاه فما دأبه إلا جثوم واضطجاع
مُرٌّ يا سائق بالسوق التي تُعرض الأعمار فيها وتباع
علني أبتاع عمراً أفومت منه بالإحسان أعوامٌ وساع^(١)

* * *

قيل : هذا عمر مُثر غمرت ساحه الفيج زروع ورباع
قلت : عمرٌ مأوه البرِّ وكَم سعدت فيه عراة وجياع
فإذا الإمساك يوحى حوله : ما لهذا العمر في الإحسان باع

* * *

قيل : هذا عمر وال كان إن أمر الناس استكانوا وأطاعوا
قلت : عمرٌ كالسما امتلأت بالنجوم الزهر يعلوها شعاع
فإذا الإتراف يوحى حوله : همُّ هذا العمر لهوٌ ورتاع

* * *

قيل : هذا عمر حبر كان في بيته كتب وفي الكف براع
قلت : عمرٌ كسحاب غيظه حكمة غراء أو فتوى تذااع
فإذا الأمواء توحى حوله : حشوء هذا العمر خبٌ وابتداع^(٢)

قيل : هذا عمر راع ووضعت تحت رعياء عقول وطباع (١)
قلت : عمر يرتجى منه عُلا لبني العلم ورشد واجتماع !
فإذا الخيبة توحى حوله : سرُّ هذا العمر زهوٌ وخداع

قيل : هذا عمر قاض يبصر الـ بحق إذ يعانو دعاء ودفاع
قلت : عمر طالما زالت به إحـنٌ بين خصوم ونزاع !
فإذا الرشوة توحى حوله : شأن هذا العمر حيف وطماع

قيل : هذا عمر أستاذ روى ورأى والعلم رأى وسماع
قلت : عمر مثل واد ممرع طاب في مرعاه للناس انتجاع !
فإذا العى ينادى حوله : فات هذا العمر غوص واختراع

قيل : هذا عمر داع للتقى يأمر الناس وينهى فيطاع
قلت : عمر كله خير ولم يك في أوقاته وقت مضاع !
فإذا الخسر ينادى حوله : فات ذا العمر امتثال وارتداع

قيل : هذا عمر مندوب لأن يشهد الشورى وآراء تشاع
قلت : عمر ينقذ الحق إذا هاجم الحق لصوص أو سباع !
فإذا العجز ينادى حوله : فات هذا العمر نطق واستماع

قيل : هذا عمر ساع معول ضاق عن ترفيه كـف صناع (٢)
قلت : عمر حـب بالعسر ومن يحمل الكـلـ كريم وشجاع (٣)
فإذا السخط ينادى حوله : فات هذا العمر صبر واقتناع

يا رفيعاً طالما أفصح لى عن خبايا ، فانجلى عنها القناع
لم لا يعرض فى السوق سوى عمر لم يرضه إلا الرعاع ؟
قال : جد الجـد ما من عمر ناصع الطلعة فى الدنيا يباع

(١) الرعياء الحفظ . (٢) المعول : كثير العيال . والكـف الصنـاع : الماهرة فيما تصنع .

(٣) الكـل : العاجز عن العمل .

تَسَاحُ أَهْلُ السَّنَةِ

فِي الرِّوَايَةِ عَنِ نَحْوِ الْفَوْنِ فِي الْعَقِيدَةِ

من سنة الإسلام أن يتساح أهلُه فيما بينهم ، ثم في معاملتهم ومعاشرتهم لغيرهم ، ما لم يخرج بهم التساح إلى لباطل حق ، أو تعطيل حكم ، أو انحراف عن الخير .

وفي الفصل الذي عقدته للتعريف بتاريخ الأمم والملوك للطبري المنشور في الجزء الماضي من مجلة الأزهر (ص ٢١٤) أشرتُ إلى اتساع صدور أئمة السنة - من أمثال أبي جعفر الطبري - لإيراد أخبار المخالفين ، وعددت ذلك من دلائل حريتهم ، وأمانتهم ، ورغبتهم في تمكين قرائهم من أن يطلعوا على كل ما في الباب .

وأحب الآن أن أتعلم في إقامة الدليل على هذا التساح ، فأضرب الأمثلة على سعة صدور أعلام هذه الأمة من أئمة الحديث النبوي في روايتهم عن المخالفين لهم في العقيدة . لأنني رأيت الكثيرين ممن يكتسبون في وصف الفرق والطوائف الإسلامية قد غلب عليهم الظن بأن رجال الحديث أشد فرق المسلمين وطوائفهم تعصبا في الرواية ، وتحززا من المخالفين لهم ، ونفرة من التلقي عنهم . ولما كان هذا الظن لا يوافق ما كان واقعاً في الحقيقة - لأن الأئمة الأعلام من أهل السنة كانوا في مختلف العصور يعطون كل ذي حق حقه ، ويحترمون الصادق لصدقه والأمين لآمانيته وإن انحرف عن جادة الصواب إلى شيء من الهوى في بعض ما يتأوله - لذلك رأيت أن أشير في هذا المقال إلى ما كان عليه أهل الحديث وأئمة السنة من الإنصاف والتساح في الرواية عن مخالفونهم في العقيدة ، إذا توفرت فيهم شروط العدالة والحفظ ، ولم يعرفوا بالدعوة لاهوائهم . وهذه المزية في التساح مع المخالفين لا نجد مثلها عند غير أهل السنة من سائر الفرق .

ونضرب المثل لذلك بجابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي (المتوفى سنة ١٢٨) ، كان من أئمة الشيعة وعلمائهم ، وكان أعلام أهل السنة يعرفون ذلك فيه ولا يرون منه ما يخالف قواعدهم التي قرروها في التعديل ووزنوا الرجال بموازينها ، فكانوا لذلك يعدلونه ويثنون عليه . فلما شاعت نعتهم به واطمأن هو لذلك ، برز لهم بما لا يعرفونه في علمهم ،

و ادعى أن عنده خمسين ألف حديث من غير الطرق التي توصل عندهم إلى الصدق والحق ، وأخذ يذكر لهم بعضها ، وحينئذ قال فيه سيد الفقهاء وإمام المحدثين أيوب بن أبي تميمة السختياني (٦٦ - ١٣١) : « الآن فهو كذاب » . وكان الإمام عامر بن شراحيل الشعبي (١٩ - ١٠٣) قد توسم حقيقة جابر الجعفي وهو لا يزال في شبابه ، وتوقع له هذا المصير من قرائن وأمارات يدركها الناظرون بنور الله ، فقال له : « يا جابر ، لا تموت حتى تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » . قال إسماعيل بن أبي خالد البجلي (المتوفى سنة ١٤٦) وهو راوى هذه الكلمة عن الشعبي وكان من تلاميذه ومن أئمة ذلك العصر وأعلامه : فما مضت الأيام والليالي حتى اتهم جابر بالكذب . وروى عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل أن يحيى بن سعيد القطان (المتوفى سنة ١٩٨) ترك حديث جابر . وقال أبو يحيى الحماني سمعت أبا حنيفة (٨٠ - ١٥٠) يقول : « ما رأيت فيمن رأيت أفضل من عطاء ، ولا أكذب من جابر الجعفي : ما أتيت به إلا جامي فيه بحديث ، وزعم أن عنده كذا وكذا ألف حديث لم يظهرها » . فالذي كان يعرفه الأئمة من تشيع جابر الجعفي لم يمنهم من قبول أحاديثه قبل أن يظهروا له على الفضائح التي تجرح روايته وتوهن أحاديثه . ولم يكونوا يرون أن التشيع وحده كاف في الجرح والدرك مادام صاحبه مظنة الصدق . حتى إذا افتضح عندهم كذبه حكموا عليه بما ظهر لهم منه ، ووضعوه في الموضوع اللائق به .

وعدى بن ثابت^(١) بن قيس بن الخطيم الأنصاري الظفري الكوفي (المتوفى سنة ١١٦) كان عالم الشيعة وقاصمهم وإمام مسجدهم ، ويقول فيه المسعودي وهو شيعي أيضاً : « ما رأينا أحداً أقول بقول الشيعة من عدى بن ثابت^(٢) » ، وقال عنه ابن معين : « إنه شيعي مفرط » ، وقال عنه الدارقطني « رافضي غال » . ومع ذلك وثقه الدارقطني والإمام أحمد بن حنبل وأحمد العجلي والنسائي ، لأنه - كما قال عنه أبو حاتم الرازي - « صدوق » . ولصدقه استجازوا الرواية عنه مع ما يعلونه من غلوه في نحلته .

وكنيت قد عقدت مقارنة - في تعليق على الكتاب العاشر من (الإكليل في أنساب ممدان^(٣)) - نوعت فيها بسعة صدور أهل السنة - في معرفة أقدار مخالفهم ، لمناسبة الكلام

(١) ويقال أن ثابتاً جده ، وأنه عدى بن أبان بن ثابت .

(٢) ميزان الاعتدال ٢ : ١٩٣

(٣) ص ١٢٩ - ١٣١

على الحسن بن صالح بن حى الهمداني (١٠٠ - ١٦٨) وكان من أنصار العلويين في ثوراتهم على بني العباس ، وهو معدود من علماء الزيدية الصالحين الأولين ، وفي بيته توارى عيسى ابن زيد بن علي بن الحسين منصوره من وقعة باخمرى بعد مقتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن في ثورته على أبي جعفر المنصور ، وكان المفروض أن يكون رجال الجرح والتعديل من الشيعة في كتبهم المتداولة أحسن رأياً فيه من رجالنا وأكرم معرفة لمكانته وقدره . ولكن الواقع عكس ذلك . ولأنه لما يوجب الفخر لنا أن رجال الجرح والتعديل من سلفنا أحسنوا الثناء على الحسن بن صالح بن حى في أمانته وعلمه ، وفي عبادته وتقواه ، ولم تشفع له عند الشيعة الاثني عشرية مشاركته لهم في كل ما يشاركونهم فيه الزيدية ، ولا سابقته في مؤازرة الكفار من العلويين على الدولة العباسية ، فعده الماسماني في (مقباس الهداية^(١)) من أهل المذاهب الفاسدة ، وقال في (تنقيح المقال^(٢)) : « وقد ضعف الرجل في (الوجيزة) وهو في محله ، . فانظر الى إناصاف علماء أهل السنة لهذا الزيدى العابد الصالح وتوثيقهم له ، وإلى تحامل الآخرين عليه مع أنه أقرب إليهم منا .

ومنصور بن أبي الأسود الليثي الكوفي الخياط كان أئمة الحديث يعرفون تشيعه ، ومع ذلك قبلوا أحاديثه لصدقه وعدالته ، وهي في سنن أبي داود والترمذي والنسائي .

وعلى بن غراب الفزارى الكوفي القاضى (المتوفى سنة ١٨٤) كان من شيوخ الشيعة غير أنه صادق ثقة ، ولذلك روى عنه أئمتنا من طبقة أحمد بن حنبل وأمثاله .

ومن أعلام أئمة السنة في دولة بني العباس الإمام أبو الحسن على بن عاصم الواسطي (المتوفى سنة ٢٠١) وكان من طبقة شيوخ الإمام أحمد بن حنبل ومن أهل الصلاح والدين ومجالسه الذي يحدث فيه عن رسول الله ﷺ كان يحضره أكثر من ثلاثين ألفاً ، فلا يبق في بغداد - وهي عاصمة الدنيا يومئذ - طالب علم ولا ذو مكانة إلا وهو حريص على أن يشهد مجلس حديثه . وقد جاء عنه في كتاب (الكفاية^(٣)) للخطيب البغدادي أن الفضل ابن مروان الذي كان كاتباً للمعتصم وكان يده المني إلى سنة ٢٢٠ قال : كان المعتصم (أى قبل خلافته) يختلف إلى على بن عاصم المحدث ، وكنت أمضى معه إليه ، فقال على بن عاصم

(١) في علم الدراية ، وهو من أهم كتب الشيعة في مصطلح الحديث .

(٢) ج ١ ص ٢٨٥ وهو أوسع كتبهم في الجرح والتعديل .

(٣) ص ١٢٣ طبعة حيدر اباد الدكن .

يوماً : « حدثنا عمرو بن عبيد وكان قد ربا ، فقال له المعتصم : يا أبا الحسن ، أما تروى أن القدريّة مجوس هذه الامة ؟ قال : بلى . قال : فلم تروى عنه ؟ قال : لانه ثقة في الحديث ، صدوق . قال المعتصم : فإن كان المجوسى ثقة فما تقول ، أتروى عنه ؟ فقال له على بن عاصم : أنت شغب يا أبا إسحاق ! . وإنما عد على بن عاصم هذا الاعتراض من المعتصم العباسى شغباً لانه كان يذبحى له أن يميز بين المتأولين غير المعاندين كالمعتزلة والقدريّة وبين الذين لا يعترفون برسالة الإسلام من أصلها ، فالكافر الاصلى والفاسق الذى يواقع الفسق متعمدا لا تجوز الرواية عنهما وإن كانا من أهل الصدق لانهما معاندان ، أما المتأولون فهم من الامة وغير معاندين ، ولذلك نسبوا في الحديث إلى الامة فقليل فيهم » مجوس هذه الامة ، فهم منها وإن انحرفوا مع أهوائهم .

ومن روى أئمة أهل السنة عنهم من الشيعة عبيد الله بن موسى العيسى مولاهم أبو محمد السكوفى (المتوفى سنة ٢١٣) ، قال أبو داود : كان شيعياً ، ومع ذلك فإن أحاديثه قد رواها الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، وأبو حاتم الرازى ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وإسحاق الحنظلى وأضرابهم .

وعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعانى (١٢٦ - ٢١١) يعدة رجال الشيعة في الجرح والتعديل من أئمتهم وعلماهم ، ويعرف ذلك فيه أئمة أهل السنة ، ومع ذلك أخذ عنه الإمام أحمد وأمثاله وأنوا عليه في علمه وتقواه وتلقوا روايته بالقبول ، لانهم لم يظهروا منه على ما يوجب اجتناب حديثه .

وحسين بن حسن الفزارى الاشقر (المتوفى سنة ٢٠٨) جاء عنه في كتاب (الكفاية ^(١)) للخطيب البغدادى أن إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الحنظلى قال : سمعت يحيى بن معين ذكر حسيناً الاشقر فقال : كان من الشيعة الغالية السكبار . قلت : وكيف حديثه ؟ قال : لا بأس به قلت : صدوق ؟ قال : نعم ، كتبت عنه عن أبى كدينة ويعقوب القمى .

وروى الخطيب البغدادى ^(٢) بسنده إلى محمد بن عبد العزيز الايبوردى قال : سألت أحمد بن حنبل أيكذب (أى الحديث) عن المرجى والقدري ؟ قال : نعم يكتب عنه إذا لم يكن داعياً .

وروى (في ص ١٢٩) بسنده إلى أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربى (المتوفى سنة ٢٨٥) أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قيل له : فى حديثك أسماء قوم من القدرية . فقال : هو ذا ، نحن نحدث عن القدرية .

وفى الكفاية (ص ١٢٨) عن إبراهيم الحربى أيضاً أن أحمد بن حنبل قيل له : يا أبا عبد الله ، سمعت من أبي قطن القدرى . فقال : لم أره داعية ، ولو كان داعية لم أسمع منه .

قال الخطيب البغدادى فى (الكفاية ^(١)) : ، والذى يعتمد عليه فى تجويز الاحتجاج بأخبارهم - أى بأخبار أهل الأهواء والمخالفين لأهل السنة فى العقيدة - ما اشتهر من قبول الصحابة أخبار الخوارج وشهاداتهم ومن جرى مجراهم من الفساق بالتأويل ، ثم استمرار عمل التابعين والمخالفين بعدهم على ذلك ، لما رأوا من تحريمهم (أى من تحرى من روى عنه منهم) الصدق ، وتعظيمهم الكذب ، وحفظهم أنفسهم عن المحذور من الأفعال ، وإنكارهم على أهل الريب والطرائق المذمومة ، وروايتهم الأحاديث التى تخالف آراءهم ويتعلق بها مفاهيمهم فى الاحتجاج عليهم . فاحتجوا برواية عمران بن حطان وهو من الخوارج وعمرو بن دينار وكان يذهب إلى القدر والتشيع ، وكان عكرمة إباحياً ، وابن أبي نجيع وكان معتزلياً ، وعن الوارث بن سعيد وشبل بن عباد وسيف بن سليمان وهشام الدستوائى وسعيد بن أبى عروبة وسلام بن مسكين وكانوا قدرية ، وعلقمة بن مرثد وعمرو بن مرة ومسعر بن كدام وكانوا مرجئة ، وعبيد الله بن موسى وخالد بن مخلد وعبد الرزاق بن همام وكانوا يذهبون إلى التشيع ، فى خلق كثير يتسع ذكرهم . دون أهل العلم قديماً وحديثاً رواياتهم واحتجوا بأخبارهم ، فصار ذلك كالإجماع منهم ، وهو أكبر الحجج فى هذا الباب ، وبه يقوى الظن فى مقاربة الصواب .

وإذا كانوا يقبلون حديث المخالف لهم ما دام من أهل الامانة والعدالة والضبط ، فإنهم يرفضون أحاديث العابدين الانقياء الزاهدين المشهود لهم بالصلاح إذا لم يكونوا من أهل العدالة والضبط فى رواية الحديث .

وقد تناول الإمام مسلم بن الحجاج القشيري هذا الموضوع فى مقدمة صحيحة بالبدست

وحسن البيان ، وعقد الخطيب البغدادي فصلا مستقلا لهذا الموضوع في (الكفاية^(١))
 روى فيه بسنده إلى الأصمعي (١٢٢ - ٢١٦) عن ابن أبي الزناد وعبد الرحمن بن عبد الله
 ابن ذكوان (المتوفى سنة ١٧٤) عن أبيه (المتوفى سنة ١٣٠) وكان من أئمة مدينة الرسول ،
 بل كان الإمام أحمد بن حنبل يسميه أمير المؤمنين أنه قال : أدركت بالمدينة مائة كلمهم
 مأون ، ما يؤخذ عنهم شيء من الحديث ، يقال : ليس من أهله .

وروى بسنده إلى أبي سليمان شيخ من أهل المدينة أن ربيعة الرأي - وهو أبو عثمان
 ربيعة بن أبي عبد الرحمن التميمي المدني - من أئمة الفقه (المتوفى سنة ١٣٦) قال : إن من
 إخواننا من نرجو بركة دعائه ، ولو شهد عندنا بشهادة ما قبلناها .

وروى بسنده إلى الحافظ أبي اسماعيل محمد بن اسماعيل بن يوسف السلي الترمذي (المتوفى
 في رمضان ٢٨٠) قال : سمعت ابن أبي أريس (وهو اسماعيل بن عبد الله الأصمعي المدني
 المتوفى سنة ٢٢٧) قال : سمعت خالي مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩) يقول : إن هذا العلم
 دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم . لقد أدركت سبعين عند هذه الاساطين - وأشار إلى
 مسجد الرسول ﷺ - يقولون : قال رسول الله ﷺ ، فأخذت عنهم شيئا ، وإن
 أحدهم لو اتعن على بيت مال لكان به أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن ، ويقدم
 علينا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري (٥١ - ١٢٤) وهو شاب
 فيزدحم على بابه .

وروى أبو إسحاق إبراهيم بن المنذر الاسدي الحزامي المدني أحد كبار العلماء المحدثين
 المتوفى سنة ٢٣٦ عن معن بن عيسى القزاز المدني المتوفى سنة ١٩٨ وكان من أئمة الحديث الذين
 أخذوا عن مالك أن مالك بن أنس قال : لا يؤخذ العلم - أي علم السنة - من رجل صاحب
 هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من سفيه معان بالسفه وإن كان من أروى الناس ، ولا من
 رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تنهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ ،
 ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة لا يعرف ما يحدث .

وروى أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح أحد علماء مصر وفقهاء
 القسطنطينية وكانت وفاته سنة ٢٥٠ أن أبا يزيد خالد بن نزار الغساني الأيلي المتوفى سنة ٢٢٢

حدثه برسالة بعث بها الإمام مالك بن أنس إلى محمد بن مطرف بن داود النعمي المدني وكان من العلماء الأثبات في ذلك العصر — ولعل رسالة مالك إليه كانت بعد نزوح ابن مطرف عن المدينة إلى فلسطين ونزوله في مدينة عسقلان — قال :

. من مالك بن أنس — إلى محمد بن مطرف . سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله (وبعد وصايا أخرى قال) : ثم أخذه (يعنى العلم) من أهله الذين ورثوه ممن كان قبلهم يقيناً بذلك ، ولا تأخذ كل ما تسمع قائلاً بقوله ، فإنه ليس ينبغي أن يؤخذ من كل محدث ولا من كل من قال ، وقد كان بعض من يرضى من أهل العلم يقول : إن هذا الأسر (أى حديث رسول الله ﷺ) دينكم ، فانظروا من تأخذوا عنه دينكم .

* * *

وبعد فإن أئمة السنة الذين أخذوا على عاتقهم تحقيق كل ما نسب إلى النبي ﷺ من قول أو فعل ، فنجحوا في ذلك بما لا يستطيع أن يدعى المؤرخون مثله لأى شخصية أخرى في العالم ، كان الشرطان الأولان اللذان يشترطونهما في حملة الاخبار المتعلقة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله أن يكون الراوى من أهل الصدق والامانة ، ومن أهل الإدراك والحفظ والضبط ، فإذا توفر هذان الشرطان في الراوى تلقوا الخبر عنه بالقبول وإن كان مخالفاً لهم في النحلة والمذهب ، وإن لم يتوفر الشرطان أو أحدهما في رجل اجتنبوا حديثه وإن كان من كبار الصالحين والعابدين الذين يلتبس أهل الحديث دعاءهم ويتبركون بهم ، ولهذا امتازت كتب أهل السنة ولا سيما صحيحها البخارى ومسلم وسائر الكتب الستة بأنها المثل الأعلى لما يمكن أن يصل إليه المجهود البشرى في التحقيق .

والذى يتردد في الاطمئنان إلى كتب السنة ، ولا سيما أهماتها التى تلقتها الامة بالقبول ، فإنه لا يجوز له أن يصدق التاريخ كله في شيء ، ولا أن يدعى معرفة ترجمة رجل من رجال التاريخ ، لأن كل ما ينسب إلى الماضى في جميع الأمم لم يبدل في تحقيقه جزء من ألف جزء مما بذله أئمة السنة لتحقيق ما ينسب إلى الهادى الأعظم محمد ﷺ من قول أو فعل ، والنشبت من صحته وأمانة ناقله ، لأنهم يعلمون أنه المصدر الأعظم للحق والخير اللذين تنشدهما الإنسانية في تكوين مجتمعاتها ، وتستعد الإنسانية يوم تستمد من هذا المصدر كياناتها ونظامها الاجتماعى ؟

م . خ

سُأَلَتْهُ الْإِسْلَامُ

في اتصال مع غير المسلمين

قال مندوب الأهرام :

أتيج لي أن جالست وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر جلسة طويلة ممتعة ، وتحدثت إلى فضيلته في مختلف الشئون ، وكان في مقدمة هذه الشئون أهمية ما يتعلق بالأجانب المقيمين في مصر ، وما حكم الشريعة الإسلامية في معاملتهم وكيف ينظر للإسلام ؟ وبماذا يأمرنا به نحوم !

ولقد تجلى فضيلة الأستاذ الأكبر في تجليتها وتبيان أحكام الشريعة السمحة فيها ، وقد كان فضيلته يعنى أكبر العناية بدعم آرائه بالكتاب الكريم والحديث الشريف والآثر الصالح عن السلف الصالح ، قال فضيلته :

ينظر الإسلام إلى رسالات الله كلها على أنها دين واحد ، تتفق في أصولها وروحها وغاياتها ، وإن اختلفت في صورها ومظاهرها وتطورها .

ولذلك كان الإسلام هو الدين الوحيد الذي عرفه البشر داعياً إلى تكريم رسل الله وأنبيائه جميعاً ، فقال عز وجل في أواخر سورة البقرة : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

فنظرة الإسلام هذه إلى وحدة الأصل ووحدة الغاية في ديانات الله ورسالاته كلها ، كان من أولى نتائجها أن لا ينظر المسلمون إلى شيء من ديانات الله نظرة ضغينة أو عداوة ، وأن لا يذكروا أحداً من الذين حملوا رسالات الله إلى أهل الأرض إلا بالتعظيم والإجلال والتكريم ، فإذا ذكروا أحداً منهم قالوا مثلاً : سيدنا إبراهيم عليه السلام ، و : سيدنا موسى الكليم عليه السلام ، و : سيدنا عيسى المسيح عليه السلام ، . يقولون ذلك عن عقيدة وإيمان ؛ لأن كتابهم الحكيم طالبهم بأن يؤمنوا بذلك وأن يقولوا : لا نفرق بين أحد من رسله .

ولا شك عندنا بأن دين الإسلام هو أول دين في العالم أعلن هذا المبدأ ، وهذا في سورة البقرة أيضاً : لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي . بل لعل الإنسانية لم يطرق النداء بهذه العقيدة سمع أحد منها في أى بلد من بلاد الأرض قبل أن يفرض الإيمان

بها في الحجاز ، وقبل أن تقرر على أنها عقيدة من صميم الإيمان الإسلامى . فشكل مسلم يخرج عليها ، أو يعمل بما ينافيها ، فهو مخالف لشعبة عظيمة من شعب إيمانه بالإسلام .

والقرآن يسمى المنتسبين إلى التوراة والإنجيل (أهل الكتاب) ومع تسامحه العجيب الذى لم يسبق له مثيل مع بنى الإنسان جميعاً ؛ فإنه خص أهل الكتاب بمنزلة أسمى ، ومعاملة أكرم . ومن ذلك قول الله عز وجل في سورة العنكبوت : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا : آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون » .

وغير المسلمين في نظر الإسلام ثلاثة أصناف : محاربون ، ومعاهدون ، وأهل ذمة .

وحكم الإسلام فيمن يحاربونه أن يدفعهم المسلمون إذا هاجموا ، وأن يبادروهم بما يكف بأسهم إذا تحفزوا ، وأن يقووا أعوجاجهم إذا اعتدوا على الحق إلى أن يعودوا إلى الإنصاف وفى ذلك يقول الله سبحانه في سورة الحج : « أذن للذين يقاتلون (أى يقاتلهم المعتدون) بأنهم ظلموا (أى في حالة ظلم عدوهم لهم) وإن الله على نصرهم لقدير » . ويقول في سورة البقرة : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » .

ثم إن القتال لا يكون في سبيل الله إلا إذا التزم فيه المسلمون مرضاة الله ، والله لا يرضى منهم إلا الإنصاف والعدل والرحمة وإيثار الحق على الباطل ، والخير على الشر في جميع التصرفات ، وهذا هو سبيل الله ، وما خالفه فليس من سبيل الله ، والقتال فيه لا يكون عند المسلمين شرعياً . وإن تفصيل التشريع الإسلامى في القرآن الحكيم وسنة نبيه الكريم فيما يتعلق بالحرب والمتحاربين ، يدل على أنه قرر المبادئ الإنسانية السامية في ميادين القتال وجعلها ديناً يحاسب أهله عليه بين يدى الله ، فضلاً عما ينالهم في الدنيا من الخزي إذا خالفوا هذه المبادئ العليا . ولا نظن أن أمة بلغت مبلغ المسلمين في ذلك ، فضلاً عن الرحمة والرفق في تطبيق هذه المبادئ منذ أربعة عشر قرناً .

ومن الرفق الذى أقام الإسلام عليه سياسته الحربية أنه منع من التعرض بالاذى لمن لم ينصبوا أنفسهم للقتال : كالرهبان ، والفلاحين ، والنساء ، والأطفال ، والشيخ الهرم ، والأجير ، والمعنوه ، والأعمى ، والمصاب بالزمانة ، بل من الفقهاء من لا يجيز قتل الأعمى والزمن ولو كان من ذوى الرأى والتدبير في الحرب .

ولو أردنا الإفاضة في تفاصيل مبادئ الإنسانية العليا في أحكام الإسلام الحربية لاحتجنا إلى تأليث كتاب ، لأنه لا يتسع له مقال في الصحف .

أما المعاهدون ، وهم الذين انعقد بهم وبين المسلمين عهد على السلم ، فيجب على المسلمين الوفاء لهم بعهدهم كاملاً ، وأن يستقيموا لهم ما استقاموا للمسلمين .

وقد وصى النبي ﷺ أمته بالذين بينهم وبين المسلمين معاهدة ، فقال : « من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة » .

وحتى لو توقع المسلمون الغدر والخيانة من عدوهم المعاهد ، فلا يجوز لهم أن يعاجلوهم بالقتال إلا بعد إنذارهم وإعلانهم إلغاء حالة السلم التي كانت بين الفريقين . وهذا هو معنى قول الله عز وجل في سورة الأنفال : « ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين » . ومن تمام ذلك قول الله سبحانه في سورة التوبة : « إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً ، فأتوا إليهم لعهدهم إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين » . ثم قوله بعد قليل : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلاه مأمته ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » .

وأكثر الأحكام التي يعامل بها المعاهدون في بلاد المسلمين مبنية - بعد الوفاء بالعهد - على مبدأ المقابلة بالمثل . فنعامل رعايا كل فريق من الدين بيننا وبينهم عهد بمثل ما يعاملون به رعايانا إذا دخلوا بلادهم ، ويوصى الإسلام بفيه بأن يرتبطوا بهم في بلادنا برباط اللفة والعطف والتعاون ، وأن يكونوا متمتعين بحقوقهم الدينية ، آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم .

وأعظم من كل ما تقدم مكانة أهل الذمة في الإسلام ، فلفظ « الذمة » معناه ذمة الله وعهده وأمانته ورعايته .

وقد ورد في الحديث النبوي : « من قذف ذمياً ، حد يوم القيامة بسياط من نار » . وروى الخطيب البغدادي في تاريخه - وهو من كبار أئمة الحديث الشريف وحفاظ السنة النبوية - عن عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ ، أن النبي ﷺ قال : « من أذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » .

وقد بنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على هذا الحديث أوامره إلى قائده الأعظم في جيش

الفتح المصرى وواليه الاول على وادى النيل وهو أبو عبد الله عمرو بن العاص السهمى ، فكتب إليه عقب فتح مصر يقول : « احذر يا عمرو أن يكون رسول الله ﷺ لك خصماً فإنه من خاصه خصمه ، ونص عمر بن الخطاب على نفسه فيما كتبه من العهد لأهل بيت المقدس عند فتحها فقال إنه « أعطاهم الأمان لأنفسهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وسائر ملتهم ، لا تسكن كنائسهم ، ولا ينقص منها ، ولا من خيرها (أى أوقافها وصدقاتها) ولا من صلهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » .

وقد نص الفقهاء عند استنباطهم الأحكام التشريعية من حديث « لا يبيع رجل على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبته ، فقالوا ، « البيع على بيع غير المسلم الداخل فى ذمة الإسلام كالبيع على بيع المسلم . والخطبة على خطبته كالخطبة على خطبة المسلم ، كلاهما حرام » .

وفى آداب المعاشرة نبهوا على حقوق أهل الذمة ، وندبوا إلى الرفق بهم ، واحتمل الأذى فى جوارهم ، وحفظ غيبتهم ، ودفع من يتعرض لأذيتهم .

وقال الشهاب القرافى - وهو من كبار أئمة التشريع فى الإسلام - فى كتابه الشهير (بالفروق) : « إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا ، لأنهم فى جوارنا ، وفى خفارتنا ، وفى ذمة الله تعالى ، وذمة رسوله ﷺ ، ودين الإسلام . فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فى عرض أحدهم ، أو أى نوع من أنواع الأذى ، أو أعان على ذلك ، فقد ضيع ذمة الله تعالى ، وذمة رسوله ﷺ ، وذمة دين الإسلام » .

وقال الإمام ابن حزم فى مراتب الإجماع : « إن من كان فى الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه (أى يقصدون من كان فى ذمة الإسلام) وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكرع والسلاح ونموت دون ذلك ، لمن هو فى ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة » .

وبعد فإن المسلمين قد استناروا بسماحة دينهم ، وتعلموا من آدابه أن يحسنوا معاشرة أصحاب الأديان الأخرى ، بمن لا يكيدون لهم كيذاً ، ولا يظاهرون عليهم عدواً ، وأرشدتهم إلى أن يعيشوا معهم فى صفاء وتعارف على المصالح الوطنية المشتركة ، وأنه لا ينحرف من المسلمين عن هذه الأحكام والآداب إلا المنحرفون عن دينهم والعياذ بالله .

الميسر وورن اليانصيب

مديت لفضيلة الأستاذ الأكبر

قابل مندوب جريدة (المصرى) صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
وساله عن حكم الإسلام في الميسر واليانصيب ، فقال فضيلته :

من الناس من يعد نفسه من ذوى الأخلاق الفاضلة وهو مولع بلعب القمار ، وهذا لا يعد في نظر الشارع وأهل الفضل ذا أخلاق كريمة ، فإنه قصد إلى الاستيلاء على مال غيره بغير حق فهو والسارق سواء لا فرق بينهما ، إلا أن السارق يمد يده إلى مال غيره بوجه خفي والمقامر يمد يده إلى مال غيره ولا يدرى هل يصل إليه أو يستولى غيره على ماله فيبقى حزيناً كاسف البال ، وهو على كلتا الحالتين منظور إليه بمقت ودم ، ففي الحالة الأولى بمقوت لأنه استولى على مال غيره بغير حق من عمل أو أمر آخر ، وفي الحالة الثانية مذموم محتقر حيث طمع في مال غيره ومد يده إليه غير أنه لم يصل إليه ، فالشارع الحكيم أباح للإنسان أن يتمتع بما كان ملكاً لغيره إن دفع له في مقابلة عملاً أو شيئاً كان في ملكه ، فقال تعالى : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

وصاحب القمار لم يتاجر بماله بل تاجر بأخلاقه قبل كل شيء . ولا يغرنك فعل الأمم الأوروبية واكتفاؤها برضا صاحب المال في ظاهر الأمر ، فإنه إذا أخذ منه المال انقلب رضاه غيظاً ، بخلاف من اكتسب بماله عملاً أو بضاعة يذتفع بها . والشارع الحكيم راعى في المعاملات أن تكون عن رضا من صاحبها ظاهر وباطن ، وذلك وجه إباحته للتجارة وحله للبيع ومنعه من القمار ، وإذا كان الأوروبيون أغنياء فإن لديهم معامل ومزارع متقنة والقمار قليل بالنسبة إلى مصانعهم ومزارعهم وتجارتهم ، والشارع الحكيم يحرم على المسلمين أن يدفعوا مالهم طمعاً في أن ينالوا من إنسان آخر مثله فيعودوا بالمساكين جميعاً فن المحتمل أن يذهب مال المقامر جملة ولا يصل به إلى عمل أو إلى بضاعة .

اليانصيب للأعمال الخيرية

أما ، اليانصيب ، للأعمال الخيرية فهو قمار بلا رغبة ، وقد كان العرب في الجاهلية - كما ذكر ابن قتيبة في « الميسر والقдах ، - عند شدة البرد وجذب الزمان وتعذر الأقوات على أهل الفقر والمسكنة - يقامرون بالقдах على الإبل ثم يجعلون لحومها لذوى الحاجات منهم والفقراء ، وهذا ما قصده القرآن بالمنفعة في قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » . ومع هذا قد جعله القرآن بمنزلة الخمر إذ قرنه بها في الآية . والشارع الحكيم يريد من أتباعه أن يكونوا خياراً كراماً يدفعون أموالهم التي لا يتساجرون بها إلى الفقراء وذوى الحاجة العامة قاصدين وجه الله ورضوانه دون أن يقصدوا إلى سلب مال غيرهم ، فإن ذلك إثم كبير .

نفس الحر

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعى :

أمطرى أوّلوا جبال سرندىب وفيضى آبار تكرر تبرأ
أنا ما عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أعدم قبرا
همتى همه المملوك ونفسى نفس حر ترى المذلة كفراً
وإذا ما قنعت بالقوت عمرى فلماذا أزور زيدا وعمراً

وقال رضى الله عنه :

على ثياب لو تباع جميعها بفلس لكان الفلس منهم أكثر
وفيهن نفس لو تقاس بمثلها نفوس الورى كانت أجل وأخطرا
وماضى نصل السيف لإخلاق غمده إذا كان عضبا حيث أنفذته سرى

من صور الفداء في الإسلام

فترة الشباب في حياة الإنسان هي أحفل أطوار العمر بالمشاعر الحارة ، والعواطف الفائرة ، وهي ليست عهد العافية المسكتلة في البدن الناضج فقط ، بل إنها - كذلك - عهد النزعات النفسية الجياشة يمدّها الخيال الخصب والامل البعيد ... !

والامم تستغل في شبانها هذه القوى المذخورة ، وتجندّها في ميادين الحرب والسلم لتندل بها الصعب وتقرب البعيد .

ونجاح النهضات الكبيرة يرجع إلى مقدار ما بذل فيها من جهود الشباب وهمهم ، وإلى مقدار ما ارتبط بها من آمالهم وأعمالهم .

وقد راقبنا الثورات التي اشتعلت في أرجاء الشرق ضد الغزاة المغيرين على بلاد الإسلام فوجدنا جماهير الشباب هم الذين صلوا حرها وحملوا عبثها ، واندفعوا بحماستهم الملتبة وإقدامهم الرائع يخطون مصارع الاعداء ويرسمون لامتهم صور التضحية والفداء ... !

ولا يزال الشباب من طلاب وعمال وقود الحركات الحرة ، وطلبة الثائرين على الفساد والاستبداد ، وقلة المربين والمرشدين ، والزعماء الذين ينشدون مسبقاً أركى لهذه الحياة .

ونحن إذ نقرر هذه الحقائق ننوه بما تنطوى عليه من دلائل الإيثار والتفاني ، ونرجو أن يكون حظ أمتنا من هذه الثروة الحية كفاء ما رميت به من أحداث جسام وما فقدت من أجداد عظام ، فلا ينتهي هذا العصر حتى نكون قد غسلنا بلادنا من أدران الاحتلال الاجنبي الذي أخوانا في ديننا ودينانا ... !

يبد أن هناك رجالاً تقدمت بهم السن وذهبت عنهم سورة الشباب ، وتكاثرت الصلوات التي تربطهم بالدنيا ، ومع ذلك فإن جذوة اليقين المتقد في قلوبهم تمسك بالشباب المولى عن جلودهم وعظامهم . وتبقيهم ، بل تضاعفه ، في قلوب تنبض بالحق وتدفعه في العروق مع الدم ، فإذا بك ترى منهم بأس الحديد ، وجرأة الاسود ، وإذا بك ترى رجالاً تستويهم المغامرة ، ويطيرون إلى التضحية في سبيل الله أخف من الشباب الغض ...

قد يقبل الشاب الفذ على المخاطر ، وسبل البذل أمامه ميسرة ، فهو إن سجن لم يجزع على أسرة يعولها ! وإن قتل لم تبكه امرأة أيم ! ولا ولد يتيم ! وخفة حمله من هذه الناحية

تجعله سريع الاستجابة لنداء الواجب أو تزيج العوائق من أمامه إذا ثارت في دمه نوازع النجدة ...

أما البطولة الفارعة فهي أن يكون المرء رب أسرة كبيرة يضرب في مناكب الأرض لرعايتها ويسير في الحياة وهو موقر بأئفائها . غير أنه - وهو الزوج المحب والاب الرحيم والراعي المستول - مؤمن قبل ذلك كله بالله ورسوله ، مخلص للدين الذي اعتنقه مقدر للحقوق التي ارتبطت به ، فإذا أحس للإسلام طلباً سارع إليه ، ولباه بروحه وماله ، ولم تشغله أعباء الحياة التي يكدر فيها عن مطالب المثل العالية التي آمن بها ..

والإنسان عندما يقرأ استشهاد عبد الله بن حرام ، يرى في قصته جلالاتاً تنحني له الحياة ، إعزازاً للأبوة الرقيقة التي جادت بنفسها واستودعت الله أسرة من غلام واحد وست بنات !! :

روى أبو داود والنسائي عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى المشركين يقاتلهم ، وقال لي أبي : يا جابر ، لا عليك أن تكون في نظاري أهل المدينة حتى تعلم لإلام يصير أمرنا ؟ فإني والله لولا أني أترك بنات لي بعدى لأحببت أن تقتل بين يدي ، قال : فبينما أنا في النظارين إذ جاءت عمي بأبي وخالي ، عادتهما على ناضح ! فدخلت بهما المدينة لتدفنهما في مقابرنا ، إذ لحق رجل ينادي : ألا إن النبي ﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوهم في مصارعهم ، فرجعنا بهما ، فدفنناهما حيث قتلا ...

وروى البخاري عن جابر أيضاً : لما حضر أحد دعاني أبي من الليل ، فقال لي : ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ . وإني لا أترك بعدى أعز علي منك غير نفس رسول الله ! وإن على ديننا ، فاقضه ، واستوص بأخواتك خيرا ، فأصبحنا وكان أول قتيل ، .

* * *

هذا الصاحب الجليل خرج مع رسول الله ليصدوا هجوم المشركين على المدينة ، تاركا وراءه هذه الأسره الكبيرة ، وقوامها كما رأيت بنات يحتجن إلى الكافل الحاني ، ولم يكن أبوهن ذا بسطة في المال ينفق منه عن سعة . ويترك لعقبه من بعده ما يغني ويصون ، بل كان الرجل مهموما بشئون الرزق ، ينصب فيه ويستدين . وغلام فرد إلى جوار ست بنات

يكون غالباً قرة عين الوالد وموضع حبه العميق ، لكن عبد الله يقسم أنه يود لو قدم ابنه ليستشهد في سبيل الله ، وأنه إنما يعجل بنفسه حتى يبقى الابن لآخواته يخدمهن ، فإن ابنه لو قتل قبله ، فلن تطول بالآب حياة ، إنه لا بد مقتول في أقرب معركة ..
إن أصحاب المبادئ سراع إلى تلبية مبادئهم ؛ عند ما يُقرع باب الكريمة ينهض وهو يقول :

فقمتم ولم أجتُم مكاني ولم تقيم مع النفس علل البخل الفواض
وعند ما يطالب الشجاع إلى ساحة الوغى يذهل عن الحياة وأواصره بها ، وينطلق وهو يقول : د وعلمت إليك رب لترضى ، !!!

وقد خرج أبو جابر إلى أحد ليلقي مصيره مع أبر شهداء الإسلام ، روى الشيخان عن جابر قال : أصيب أبي يوم أحد ، فجعلت أكشف عن وجهه وأبكي ! وجعلوا ينهونني والذي صلوات الله عليه لا ينهاني ، وجعلت فاطمة بنت عمرو رضى الله عنها تبكيه ! فقال صلوات الله عليه : تبكيه أو لا تبكيه ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه . وروى الترمذى عن جابر قال : لفني رسول الله مرة وأنا مهمم ، فقال : ما لي أراك منكسرا ؟ فقلت : استشهد أبي يوم أحد ، وترك عيالا ودينا . فقال : ألا أبشرك بما ألقى الله به أباك ؟ قلت : بلى ! قال : ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب ، وإنه أحبي أباك فكلمه كفاحا - أى مواجهة - فقال : يا عبدي ، تمن على أعطك ! قال : يارب ، تحييني فأقتل ثانية ! فقال سبحانه وتعالى . إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون . فنزلت : د ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا . . . ، والمرء يحار ، أيعجب من كرامة الشهيد على الله ؟ أم من حلاوة الفداء في الله التي ذاقها أولئك الشهداء ؟ إن أبا جابر لم يستشعر وحشة لفراق أولاده ، ولم تستشرف نفسه للاطمئنان على فلذات كبده ؛ بل أطلع للعودة إلى الدنيا كما يذهل مرة أخرى عن أحب شيء فيها ، ويمشي بخطى ثابتة إلى ساحة القتال .

ولقد كفّل الله أولاد الشهيد ، وقضى عنه دينه في حديث بطول .

* * *

ولندع حديث الصدر الأول ، ونستأنف حديث الأشياخ المجاهدين في عصرنا هذا ، إننا واجدون رجالا من طراز رائع صنعهم الإسلام القوى فأحكم صناعتهم ، وقذف بهم على جند الباطل فجددوا سير السابقين الأولين من المهاجرين والانصار .

من أولئك نفر الغرّ: عمر المختار ، البطل الذى بلغ التسعين من عمره وهو يحارب
الصحراء مطارداً ، الطليان ، الذين أغاروا على طرابلس ، وعملوا على تنصيرها بالحديد
والنار . وفيه يقول : شوقى ، :

بطل البداة لم يكن يغزو على دتلك ، ولم يك يركب الأجواء
لكن أخو خيل حى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء
وقد وقع الشيخ المهيّب فى أسر الأعداء ، فألفوا محكمة قضت بقتله شقاً ١١ والطلليان
قوم لا ينتظر منهم شرف المعاملة ، لا مع صديق ولا مع خصم ، وقد ندّد شوقى بهذا
الحكم الشائن فقال :

خفيت على القاضي ، وفات نصيبها من رفق جنود قادة نبلاء ١١
تسعون لو ركبت مناكب شاهق لترجلت هضباته إعياء ...
ويقول :

شيخ تمالك شئنه ، لم ينفجر - كالطفل - من خوف العقاب بكاء ١
الأسد تزار فى الحديد ولن ترى فى السن ضرغماً بكى استخذاء
ثم يخاطب الشعب طالباً منه تجنيد الشباب وإعفاء الشيوخ . فيقول :

فأرح شيوخك من تكاليف الوغى واحمل على شبانك الأعباء
على أن منطق اليقين لا يكثرث بفوارق السن ، فإن العقيدة المتفجرة فى القلوب الكبيرة
ترد الكهول الوانين فتيانا نشطين ، أما إذا تخلخل الإيمان فإن الشاب الجلد يسمى حاس منفعه
تافهة ولذة مهينة . ١١

والدعوات العظيمة لا تضار بشيء مثل ما تضار بهذا الصنف من المتلونين المتطاعين ،
الصنف الذى يحاذر أن يمسّه سوء ، ويسارع إلى إحراز الغنائم ، ويشارك بحسمه أصحاب
الرسالات ، أما قلبه فهو بعيد بعيد ...

الصنف الذى صور القرآن موقفه النابى المريب فى هذه الآيات : وإن منكم لمن ليبطئن ،
فإن أصابتكم مصيبة قال : قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من
الله ليقولن : كأن لم تكن بينكم وبينه مودة . ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً .

والمرء لا يصلح أن يكون رجل دعوة أو صاحب رسالة إذا بنى حياته في حساب الأرباح والخسائر على هذا النحو المنسكر .

ربما كان الرجل خالي البال لا يتبع أهلا ولا مالا ، فهو يهز كتفيه لما تفد به الليالي من أحداث . أفإذا بلى بأثقال الأهل والمال تخفف في مسيره من أعباء الفضائل وألقى بها في عرض الطريق وأخفى لا يهدأ أو لا يهيج إلا لمنافعه الخاصة ؟ ؟

كذلك فعل المنافقون قديما ! فعندما ندبوا للجهاد قعدوا واعتذروا ، سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا . يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم . قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا . بل كان الله بما تعملون خبيرا . بل ظنتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا . . .

إنهم توهموا الخروج مغامرة مخرفة العاقبة أو مقاومة بعيدة الربح فنكصوا ، وأفتدتهم صفر من معاني اليقين والتضحية التي تجل الشهيد يقبل على الموت ويود لو يرد إلى الحياة ليموت مرة أخرى .

ولو كان الخروج لنفع يسير لسكان لهم مع القافلة سواد كثيف ؛ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغنم لناخذوها : ذرونا تتبعكم يريد أن يبدلوا كلام الله . قل : لن تقبونا . كذلك قال الله من قبل . . .

وقد حذر الله المؤمنين أن تسيطر على أفكارهم هذه المآرب أو تتدخل في نياتهم هذه المناقع . يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . .

* * *

فلتسكن لنا من حياة المجاهدين عظة ومن ميامينهم عبرة ، ومن مسلماتهم مع أهلهم وأموالهم أسرة حسنة .

محمد الغزالي

صحوة الأرواح

صحّت الأرواح على صيحة الإيمان تحمل النذر وتتوعد السادرين في غواية الاحلام وتهتك غياب الخاوى الى طوت أمواجها مصر زعيمة الإسلام .

صحّت الأرواح على ثروة الحق التي أرعشت عواصفها قلوب المتألهين الذين سخروا للذاتهم كل شيء حتى داسهم الصغار فسخر منهم كل شيء .

صحّت الأرواح على وثبة جريئة كسرت السكبول التي شلت أيدينا وحطمت الاغلال التي قوست أصلابنا وهشمت القيود التي أدمت أعقابنا .

صحّت أرواح الكتّاب بعد خمود وتحركت بعد همود ، فإذا الليل الرهيب الذي ضلت في كنهه الأقلام قد انجاب ، وإذا الرعب الذي هصر عودها قد أبحر إلى غير إياب .

وإذا أصبح الأمل تستروح الأرواح نسائه ، وتغرى الأقلام بوضاء الحق بسمائه ، صحّت أرواح المحدثين على منطق الثورة يصيح فيهم : اخرجوا من السجون التي طوتكم جنباتها وأعمتكم ظلماتها ، فكظمت عن قول الحق الأفواه ورعتم على صدق النصيحة الشفاء .

اخرجوا فاحملوا المشعل بين يدي موكب النهضة ، واسبقوا الطلائع واستنفروا الناس ليسيروا مع القافلة إلى المجد ، لا إلى الغنائم والاسلاب وإنما إلى حياة العزة التي ينشدها الأحرار والتي حفت سبلها بالمكاره والأهوال .

فتحت أرواح الخطباء على فجر الوطنية الصادق يؤذن . مؤذنه : الجهاد خير من النوم ، فدارت عيونهم في السماء تنقب عن مصدر النداء فإذا خفقات البنود وإذا صوت البعث تلهب جملته عزم الجنود ، فجاب الخطباء على المنابر صداه ، وانطلقت ألسنتهم التي عطلها بطش الطغاة .

لقد أيقظ صوت البعث هذه الأرواح فجاءت أصداء الكفاح ، وانجلت غيوب الماضي بمخازنها ، وتخلست مصر من مخالب الاستغلال التي عبثت بأمانها .

فهل أيقظ صوت البعث أرواح الوعاظ والمرشدين — وهم هداة الأمة ومصابيحها ومعلمو الشعب ورسل الدين إليه - ليوجهوا الأمة إلى الخير ، ويربوا الشعب تربية طيبة

قوامها حب المحسن وبغض المسيء ، ومعاونة المصلحين وتدمير المفسدين ، وإطاعة ولي الأمر العادل والثورة على الظالم الجائر .

هل صحت أرواحهم فغسلوا قلوبهم وطهروا حياتهم من دنياهم التي عاشوا فيها ، دنيا المادة والمظاهر البكاذب ، ليشرقوا على المسلمين بنفوس من طراز جديد آمنت إيماناً عميقاً برسالتها فهي لا تفكر في غير ما تحقق به هذه الرسالة ، فحينما وجد الواعظ أدى الأمانة لله ولدين الله ودعا الناس إلى تسليح قلوبهم بالفضائل قبل أن يخوضوا المعارك الفاصلة بين الحياة والموت .

الحق أن النهضة تريد واعظاً جديداً تغلغل حبه لرسالته في أعماق قلبه ، يعظ الناس بروحه لا بلسانه ويعمله قبل علمه ، لتصل العظاظ إلى القلوب فتخلقها خلقاً جديداً .

ولن تمس العظة الروح إلا إذا كان الواعظ مثلاً حياً للأخلاق مؤمناً بما يقول ويفعل ، فهل آن للواعظ أن تصحو أرواحهم ، وتخلص نفوسهم ليشتركوا في بناء هذه النهضة ، ويدعموا أركانها .

وهل صحت أرواح المعلمين ليضموا النشء في مرجل الأخلاق حتى تنصهر النفوس ، ثم تخرج طاهرة أصفى ما يكون الظاهر ، نقية أخلاص ما يكون النقاء ، فليست معاهد التعليم غير مصانع للرجولة قبل كل شيء ، فإن فشلت هذه المصانع فيما تنتج ، تخلى بالدولة أن تحاسب المعلم الفاشل على هذا الفشل ، فالدولة لا تطعمه لوجه الله ، بل ليبني لها نفوساً لا يروعها معترك الحياة ، ولا تفزعها أمواج الاحداث .

إننا نريد معلماً يؤمن بأن مستقبل البلاد أمانة في عنقه ، وبأن الشباب الذي بين يديه هم قادة الغد وجنوده الجدير به - وتلك رسالته - أن يخلق للتاريخ الرجال ، وأن يفنى قوته وحياته في بناء ذلك المستقبل المنشود ، فإن لم يفعل فهو عضو مريض في جسم الأمة ، ولن يضير الأمة أن تتخلص منه حتى لا يفسد بناءها .

إن واجب المعلم أن يقدم لمصر مصرياً عاملاً في المجتمع لا مصرياً متمرداً على المجتمع . يجب أن يقدم لمصر مصرياً امتلاً قلبه بالرحمة ، وروحاً بحب الخير ، لا مصرياً أبليت المادة فعاش لاهوائه ومطامعه .

وأخيراً - ونحن بين يدي هذا البعث الجديد ؛ هل صحت أرواح الأمهات فعكفن على جيل الغد تربيته تربية صادقة ، فهن المدرسة الأولى ، وأطفالهن أمانة في أيديهن ، فعلمن أن

بين الفلسفة وعالم الكلام عند المسلمين

لقد مضى عصر النبي ﷺ وعصر أبي بكر، ثم عصر عمر بن الخطاب، ثم بعض عصر عثمان رضى الله عنهم، وأمر عقيدة المسلمين واضح لا لبس فيه ولا لبهام، لأن مصدر العقيدة هو الكتاب والسنة.

ولقد كان الجميع يؤمنون بالقرآن كله، المحكم منه والمتشابه، أنه كتاب الله الذى أنزله على نبيه ورسوله محمد ﷺ، وحيث إنهم قد آمنوا برسالة محمد بن عبد الله، فإنهم لابد أن يصدقوا بكل ما جاء به.

إن فى القرآن الكريم آيات تدل على تنزيه الله وعلى نفي مشابهته للمخلوقات، قال تعالى: «ليس كمثل شيء...» «قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد،

يرعين هذه الامامة، وأن يسهرن على تلقين رجال الغد معانى الرجولة، ويضعن تحت أعينهن صوراً حية من البطولة الصادقة.

حقاً إن العبء ثقيل على المرأة فى بناء هذه النهضة، ولكنها ستنسى الاعباء يوم يطول البناء وترى ركنها يفرع الجوزاء.

لقد أحيا البعث الإسلامى أمة اختلفت عليها الادواء، وتنازعها مخالب الاهواء، ونحزت فيها العلل، واحتربت فيها الفوضى، نخلقت قوته من تلك الامة المهمللة المنحلة أمة قوية فى أخلاقها، فتية فى عزمها، دقيقة فى سياستها، عظيمة بمبادئها، شريفاً ووضعها أمام الحق سواء. بكل هذا عزت وبكل هذا سادت وبكل هذا ملكت وحكمت.

فهل يخلق البعث المصرى الجديد - من تلك الامة التى تهدمت أخلاقها واضطربت سياستها وجشمت على صدرها الاطماع حتى أمهكتها - أمة تسود بأخلاقها، وتعز بدينها وبمبادئها، وتملك بإيمان رجالها.

أيها المصريون، بل أيها المسلمون، بل أيها الشرقيون، إلتنا يوم نعود إلى الله بقلوبنا ونعز بدينه فى حياتنا ونخلص لوجه أعمالنا ونستاهمه الرشيد فى خطانا ونعبي الخير مصر والشرق كفاياتنا ونفسى أهوانا ونشكر ذواتنا، سنقلب وجه التاريخ لنعيد لذلك الوجود عهداً لم تحلم به أعظم العهود. محمد خليفة

وفيه آيات أخرى كثيرة تدل بظاهرها على ما لا يتفق مع آيات التنزيه ، كقوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » ، وقوله تعالى : « ولتضع على عيني » ، وقوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » .

ولكن هل شك مسلم في صدق آيات التنزيه والآيات الأخرى التي لا يتفق ظاهرها معها ؟ أو هل تحدث في تعارض ظاهرها أحد من المسلمين في العصور الثلاثة التي ذكرناها ؟ كلا . لقد فهم المسلمون أن أصل الإيمان هو التصديق بأن الله سبحانه وتعالى : أرسل محمدا ﷺ للعالمين بشيراً ونذيراً ، وأنه أنزل عليه القرآن الكريم لتحصيل سعادتي الدنيا والآخرة ، وأنه أرسل قبله - عليه السلام - رسلاً مبشرين ومنذرين لمن بعثوا إليهم من الأمم ، وأن لهم كتباً أنزلها الله تعالى عليهم ، وأنه يحب الإيمان بهؤلاء الرسل كما يحب الإيمان برسالة محمد عليه السلام ، كذلك يجب الإيمان بأن الله خلق العالم ، وأنه منزّه عن جميع النقائص ، ومتصف بجميع الكمالات ، وأنه سيبعث الناس ، وسيحاسنهم على أعمالهم ، وسيجازيهم عليها بالإثابة إن كانت أعمالاً طيبة ، وبالعقوبة إن كانت سيئة . هذا هو محمل عقيدة المؤمن التي يجب عليه الإيمان بها ، والتي كانت سائدة في عصر الرسول - عليه السلام - وعصر أبي بكر وعمر وبعض عصر عثمان ، رضى الله عنهم . وبجانب الآيات التي تتخالف في ظاهرها بين التنزيه والتشبيه توجد آيات أخرى في القرآن الكريم تتعارض في ظاهرها في أن الإنسان مجبور في أفعاله أو مختار ، فإننا نقرأ في سورة واحدة هي « هل أتى على الإنسان حين من الدهر ، آية تدل على اختيار الإنسان في أفعاله ، « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » : ثم نقرأ فيها آية أخرى تدل على جبره في أفعاله « وما تشاءون إلا أن يشاء الله » . ولقد احتج الدمشقي صاحب القول بالاختيار بالآية الأولى ، ويقال إن عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - احتج عليه بالآية الثانية فأسكته (١) .

ولكن هل عارض مثل هذه الآيات ببعضها أحد من المسلمين في العصور التي نتحدث عنها ؟ كلا فيما نعلم ، لأننا لم نر شيئاً من هذا قد ذكر لا في كتب المتقدمين ، ولا في كتب المتأخرين ، اللهم إلا ما ذهب إليه أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني صاحب كتاب « الملل والنحل » ، من أن قول بعض المنافقين في يوم « أحد » ، « هل لنا من الأمر من شيء » ، وقولهم « لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا » ، وقولهم « لو كانوا عندنا ما ماتوا

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص ٣٤ لصاحب المقال .

وما قتلوا ، ما هو إلا تصریح ، بالقدر ، ، وكذلك ما حكى عن المشركين فى قوله تعالى
 « لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ » ، وقول طائفة منهم « أنطعم من لو يشاء الله أطعمه » ،
 ما هو إلا قول « بالجبر » . على أن ما نقله الشهرستانى إنما كان من المنافقين والمشركين
 ونحن إنما نتكلم عن حال عقيدة المسلمين ، ولا شك أن كل مسلم كان يؤمن بالقرآن الكريم
 سواء منه آياته الدالة بظاهاها على « الجبر » وآياته الدالة على « الاختيار » .

إنه لا يمكن وصف أفعالنا كلها « بالاختيار » ، وإلا كننا أشباه آلهة ، ولكن لنصحيح
 المسؤولية وتنفيذ الشرائع أعطينا قدرا من الاختيار يمكننا من القيام بما كلفنا به الشارع
 الحكيم من دون أن تكون لنا القدرة على كل شئ ، وبجانب هذا القدر من الاختيار نجد
 أنفسنا عاجزين عن تحقيق كل ما نريده لأنفسنا من المطالب الدنيوية المباحة ، لأن كل الظروف
 والملاسات لا تخضع لإرادتنا المحدودة ، وإنما هى خاضعة لإرادة عليا ، هى إرادة خالق
 الكون ومدبره ، فمثلا الزارع يضع البذر فى أرضه وهو يريد أن تأتى بخير الثمرات وأطيبها ،
 ويبدل ما فى وسعه من العناية بسقى الأرض وتنظيفها ، وتغذية النبات بمختلف الأسمدة ،
 ثم تأتى آفة سماوية أو أرضية تفضى على ما كان يؤمل من الجنى الطيب والخير الكثير ،
 فقدرة العبد لم تمتد إلا الى أشياء بسيطة هى وضع البذور ، ورى الأرض ، وتقيتها
 من الطفيليات النباتية ، ولكنها عجزت عن دفع ما كان بقدرة الله وإرادته . هذه العقيدة
 الصحيحة فى قدرة العبد وقدرة الإله وإرادتهما هى العقيدة التى كان يدين بها النبي ﷺ
 وأصحابه من بعده ، حتى جدت حوادث ، وقامت فتن ، كان لها ما كان من أثر كبير فى تغيير
 عقائد المسلمين . إنه بناء على العقيدة الإسلامية الصحيحة التى بيناها كيف المسلمون حياتهم
 العامة والخاصة : يعملون ويرجون ، ويسعون ويتوكلون ، يحاربون ويذكرون ، حتى
 لا تتخدع نفوسهم ويؤمنون بأن النصر من عند الله ، إن ينصرهم الله فلا غالب لهم ، .

وفى مقال تال نذكر إن شاء الله ، كيف أن الرسول - عليه صلوات الله - وأصحابه
 من بعده تقدموا المنهج القرآنى اعتقادا وعملا بما حقق الغاية فى أقل زمن ، ثم نأخذ فى ذكر
 ما دخل على العقيدة الإسلامية من الآراء الفلسفية التى كادت تباعد بينها وبين معيها الأول
 الصافى ، وهو القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، حتى يظهر لنا واضحا أنه لو رجع
 المسلمون إلى هذا المعين لتغير حال المسلمين ، وصالح أمر المؤمنين .

على مصطفى الغرابي

فَتَوَيَّ بِإِبَاحَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ
وَدَعَا الْأُمَّةَ إِلَى أَنْ تُنْسخَ مَا تُشَاءُ مِنَ الْقُرْآنِ
قاصصان خبيستان في مجلة دارالتقريب

في العدد الأخير (الرابع للسنة الرابعة) من مجلة دار التقريب بين المذاهب، مقال لرئيس المحكمة الشرعية الشيعية العليا في لبنان عنوانه : « من اجتهادات الشيعة الإمامية ، جاء فيه ما يأتي في ص ٣٦٨ :

« إن في كتب الشيعة الإمامية اجتهادات لا يعرفها الخواص من علماء السنة ، ولو اطلعوا عليها لقويت ثقتهم بالشيعة وتفكيرهم ، ثم أورد رئيس المحكمة الشرعية الشيعية العليا ثلاثة أمثلة من اجتهادات الشيعة ليقوى بها ثقة علماء السنة بالشيعة وتفكيرهم . ونحن ننقل أوسطها . وهذا نصه بالحرف الواحد :

لا يجب التدين بقول الرسول في غير الأمور الدينية :

قال الشيخ محمد حسن الاشتياني في كتابه (بحر الفوائد في شرح الفرائد) ج ١ ص ٢٦٧ :
« إن الرسول قد يخبر عن الشيء باعتبار كونه شارعاً ومبلغاً عن الله سبحانه ومأموراً بتبليغه إلى العباد ، وقد يخبر لا من هذه الحيثية ، بل يخبر عن شيء لا دخل له بشريعة سيد المرسلين مثل كيفية خلق السماوات والأرض ، والخور والقصور ، وما إلى ذلك مما لا يرجع إلى الإخبار عن الأمر الديني . فما كان من هذا النوع فلا إشكال أنه لا يجب التدين به بعد العلم به - أي بعد العلم بهدوره عن الرسول - فضلاً عن الظن به ، .

هذا نموذج من اجتهادات الشيعة التي أوردتها رئيس المحكمة الشيعية العليا ليقوى بها ثقة علماء السنة بالشيعة وتفكيرهم . وقد أراد أن يزيد علماء أهل السنة علماً بهذا المجتهد الشيعي وكتابه الذي نقل منه هذه الفتوى الشيعية فقال في ص ٣٦٩ : « كان هذا الشيخ الجليل (يعني محمد حسن الاشتياني) من علماء القرن الثالث عشر الهجري ، وهو من كبار مراجع الشيعة الإمامية ، وكتابه هذا بحر الفوائد المعروف بحاشية الاشتياني على الرسائل يقع في مجلدين ، طبع في إيران بالطبع الهجري سنة ١٣١٥ هجرية ، وموضوعه الاصل الرابع من أصول الفقه ، أي الأدلة العقلية على الأحكام الشرعية ،

إذن فهذا الاجتهاد الشيعي أو الفتوى الشيعية لرجل يعدد الشيعة الإمامية من كبار مراجعهم ، والنص منقول من كتاب له في أصول الفقه ، وهو يعد ما ثبت صدوره عن

النبي ﷺ من أمور الغيب كوصف الجنة وتخلق السماوات والأرض ليس من الضروري تصديق النبي ﷺ به ، لأنه في زعمه مما لا يرجع إلى الإخبار عن أمر ديني ، أي أن الغيب ، ليس عندهم من الأمر الديني ، و الإيمان بالغيب ، ليس عندهم من الإيمان الإسلامي ، والنبي ﷺ إذا أخبر عن مثل هذا من أمور الغيب - وإن ثبت العلم بصدوره عن الرسول - فإنه لا يجب التدين به ، أي بصدق الرسول فيما أخبر به من هذه الأمور .

وهذه الفتوى الشيعة تنافي الاعتقاد بعصمة النبي ﷺ ، ومن العجيب أن يرتاب في عصمة خاتم النبيين من يؤمن بعصمة طفل دخل السرداب قبل ألف سنة و ينتظر خروجه منه بعد مر كل هذه العصور !

إن الجرأة على الإسلام بمثل هذا القول الواضح المكشوف لم يسبق صدورها عن فرقة من فرق الإسلام مهما كان موضعها من دركات النار .

* * *

وفي هذا العدد نفسه (ص ٣٧٦ - ٤٠٢) مقالة أطول من ليالى الشتاء لسكاتب نعتته المجلة بأنه ، السكاتب الكبير ، يدعو في ص ٢٩٢ - ٢٩٣ منها إلى أن تفهم الأمة الإسلامية من معنى قول الله عز وجل : وأمرهم شورى بينهم ، أن لاية أمة إسلامية أن تؤلف جمعية تشريعية تملك أن تنسخ ما تشاء من أحكام القرآن ، لأن آية ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، لم ينته حكمها بوفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كما تبادر إلى ذهن بعضهم ، كلا ، فإن القرآن قد نص على أن الأمة وحدها هي مصدر السيادة والسلطة ، وليس الله . هكذا يقول كاتبهم الكبير بالحرف الواحد ، . نعم كان الله هو المشرع ابتداء ، ثم غدا التشريع إلى الأمة انتهاء . لأن الله سبحانه - رحمة بالناس - هو الذى رد هذه السلطة إلى الأمة حين قال : وأمرهم شورى بينهم . ثم ألا ترى أن حق الله يفسره الفقهاء دوما بأنه حق الجماعة ، .

هذا نص كلام كاتبهم الكبير بالحرف . ومن المدهش تعليق تلك المجلة عليه بقولها : ولعل السيد الكاتب يتفضل بتوضيح رأيه في النسخ وجواز أن يكون في القرآن ، وأن يقع بحكم من الأمة بعد الرسول ﷺ . ففى لم تكشف بهذا الكلام الواضح الذى يرمى إلى تقويض الإسلام من أساسه الأعظم ، ولا تزال تغرى صاحبه بأن يستأنف القول فيه لتزداد المجلة علما بهذه المعارف ، ولتعلن في نشرها على قرائها منتهزة فرصة غفلة الناس عنها . م . خ

أثر العقيدة في نفوس المسلمين

يرى الناظر اليوم في أفق الإسلام طالعاً من السعد ينبثق ضوؤه من خلل السحاب ويلوح سناه من سحيف الظلام .

ويرى المتأمل اليوم في حال المسلمين أن نفوسهم توثبت إلى العمل ، وأن إحساسهم بالحياة قد شغل أفكارهم وعقولهم .

ذلك أن أعصابهم قد سرت فيها موجة من اليقظة نهبت المشاعر ، وأرهفت الاحاسيس وأن شرايئهم التي كانت بطيئة النبض قد جرت فيها دماء الحياة الفوارة فأكسبتها القوة ، وأورثتها الحركة ، ووهبت لها النشاط .

وإذا شعرت الامة بالآلم الذي يتمشى في عظامها ، وأحسّت بالداء الذي يفساب في كيائها فقد انبلج صباحها ، وانبثق ضوؤها ، وأشرقت شمسها .

وإن من يقارن الآن بين مسلي القرن الماضي ومسلي القرن الحاضر فإنه — من غير شك — يعلم أن جيل اليوم قد نفّض عنه غبار الكسل ، وطرح عنه رداء الذل ؛ وأن أمته التي تمتد جذورها إلى أعماق الماضي لا بد أن تعود إلى مكانها من صدر الوجود ، ولا بد من ربيعها وإن طال الخريف .

حقاً إن أشبال الفاتحين الذين دوخوا الأمم وغيروا وجه التاريخ ، وأطاحوا الملوك وثلوا العروش ، قد هبوا الآن يطلبون عز الحياة بعز الممات ، ويفشدون شرف البقاء بشرف الكفاح . وإن أسباب هذه اليقظة التي سرت سريان الكهرباء في نفوس المسلمين ، تلك العقيدة الدينية التي غرسها الإسلام في قلوب ذويه ، فأورثتهم القوة والثبات ، والمضاء والإقدام وذلك القانون السماوي الذي اجتمت من نفوس بني خور العزائم وجبن القلوب ، والإقامة على الضيم ، وسلك بهم مسالك العز ، وسبل الكرامة ، وطرق البطولة .

ولإذا كان للامة عقيدة ثبتت أصولها ، وقانون أحكمت آياته . فإنها تكون لقواد الإنسانية مثلاً مضروباً ، يلهم الصبر على مكاره الأمور ، والاستمسك في مزلق الفتنة ، والاستبسال في مواقف المحنة ، والاستشهاد في سبيل الغاية ، والطموح إلى المقصد وإن طال وقته وامتد زمانه .

وإن أمة ألفت على الأم دروس الحضارة ، وبعثت في الشعوب أضواء المعرفة ، ووصلت إلى المدنية بعقيدتها ودستورها لن تغيب شمسها ، ولن يأفل نجمها ، وإن يخبو ضوءها .

ولذا كان بعض من السحب كونه الإهمال في سماواتها ، ولبدء التواكل في آفاقها ، فإن نفحة من نسيم تلك الحياة الكامنة في نفوسها كفيلة بأن تذهب تلك الغيوم ، وترجع لها الصفاء والضياء .

لقد جاهد المسلمون الاولون على ضوء عقيدتهم وكتباتهم جهاد الابطان المغاوير حتى وصلوا إلى رغباتهم من الفتح ، واستتب لهم هذا الملك الواسع الذي ترن في أجوائه كلمة التوحيد ، وترفرف فوق ربوعه راية الإسلام .

ولقد لحقهم في سبيل ذلك شدائد عظيمة ، وأهوال جسيمة ، فكان من الضروري بعد ذلك أن يأخذ ذلك الجيش المجاهد المكدود راحته ، وأن يستقر حتى يجدد قوته ، ثم يستأنف المسير إلى الغاية المرجوة والامل المنشود .

فكل ما شوهده من وقوف في حركة الجهاد الإسلامية في القرون الاخيرة إنما هو إناخة في الطريق كما يذبح المسافر بعد الضرب في القياقي حتى إذا أخذ حظه من الراحة ارتحل بالزاد ، واستأنف المسير .

وإذا قال قائل : إن الفترة التي أناخ فيها المسلمون قد طال أمدها حتى استحالت إلى استئمامة ، وإن استئمامة الامم مقدمة الزوال وسبيل الفناء .

إذا قال ذلك ، قلنا له : قد يكون ذلك صحيحاً لو أن الامة الإسلامية لديها من مسببات الفناء ، وعوامل الزوال ، ومعاول الهدم ما لدى الامم البائدة . ولكن أمة يؤازرها الخلق ، وتظاهرها الفضيلة ، وتجميلها العقيدة ، ويرشدها الكتاب ، لن تطوى صحيفتها ، ولن تمحى آثارها ، ولن يتقوض بناؤها .

وإلا لكفى قرن واحد من القرون الخمسة الماضية التي وقفت فيها وقفة المدافع أمام هجمات الاعداء ، لدرجها في أكفان الموتى ، ودفنها في مقابر الامم الزائلة ، ووضعها في سجل الزاهبين . إننا إذا رجعنا إلى التاريخ وقرأنا أخبار الشعوب التي مال ميزانها ، وأحصينا عدد السنين من ابتداء زوالها إلى مغيب شمسها ، ثم قابلنا بينها وبين الامة الإسلامية التي يزعم بعض الاجتماعيين أنها شرعت تزول ، - إننا إذا فعلنا ذلك علمنا أن تلك الشعوب قد أسرعت إلى الفناء سرعة الماء من مصبه إلى منحدره ، وأن أسباب فنائها هو الحرمان من العلم والفضيلة ، والانغماس في الجهل والرذيلة ، والتجرد من العقيدة الخالصة ، والدستور المستقيم . ذلك أن الامم إذا هي لم تطر بجناحين من العلم والمعرفة ، ولم تستند على سنيين من التربية

والخلق ، ولم تسترشد بهدين من العقيدة الصافية ، والاحكام النافعة ، - إذا لم يكن لها كل ذلك كان انزلاقها سريعاً ، وسقوطها وشيكاً :

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً

وإن الأمة الإسلامية قد توفر لديها من العلم والفضيلة ، والخلق والعقيدة ، والحكم والاحكام ، ما حومت به في سماء المعالي زماناً طويلاً ، وطارت به في آفاق السكال دهرًا مديداً ، وملكت به ناصية الوجود .

وإذا كان هذا شأنها فحال أن تتخاذل اليوم في مشيتها وفيها كل هاتيك المميزات ، ولو كان طريقها مملوًا بالحسك والقتاد .

وإذا تسامد بعض الناس عن سبب تلك اليقظة الى اهتزت بها اليوم أعصاب المسلمين ، ونهت منهم المشاعر والاحاسيس ، قلنا له : إن السبب هو احتكاك الامم الطامعة بالامم المظموع فيها ، واعتداء الشعوب القوية على الشعوب الضعيفة ، وطرح اليهود والموائيق ، ونسيان الحقوق ونبد الواجبات .

كل هذا قد حرك عموهم بالتفكير في أقوم الطرق التي تنقي بها الخطوب ، وأنجع السبل التي يدفع بها العدوان ، وعاد بهم إلى الاعتصام بدينهم ، والاهتداء بدستورهم ، والاستمسك بهدى نبيهم . ولو لم يقرءوا في آيات كتابهم سوى قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » - وقوله : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم » - وقوله : « إنما المؤمنون إخوة » لكان ذلك كافياً في إنشاء وحدتهم ، وتدعيم قوتهم ، وتوحيد صفوفهم وتوحيداً يصد كل اعتداء ، ويبدد كل لاواء ، ويرد كل عاصفة هوجاء .

ولما لم يقرءوا سوى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » - وقوله تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » - وقوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » - أقول : إذا لم يقرءوا غير هذا لكان كافياً في دفعهم إلى الامام ، وهبهم في وجه من يحاول اغتصاب حقوقهم هبوب العاصفة الذارية ، والغارة الجاثمة .

وهام المسلمون اليوم أمام ما يعترضهم من النكبات ، وأمام ما يوجه إليهم من اعتداءات قد تقاسموا على الاتئام بأوامر كتابهم ، والعمل بكل ما يحثهم عليه من جهاد وتضحية حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحيم فرغل

آراء وأحداث

إن من ينظر في تاريخ المسلمين في القرون الأولى ، يرى فيه ظاهرة من ظواهر الأمم المتقدمة ، وهي البحث الفكري والإنتاج العلمي . فقد كان همهم الدرس والبحث والنقد والابتكار ، فقد ابتكروا علوماً وجددوا فنوناً ، وما بين أيدينا من ميراث علمي في النحو والصرف والعروض والبلاغة والفقه وأصول الفقه وأصول الدين وعلوم التفسير والحديث والفلسفة ، هو من إنتاجهم وابتكارهم .

ثم خلفت خلف تركوا الإنتاج والابتكار والنقد ، ووقفوا عندما ترك الأولون : لم يزيدوا حرفاً ، ولم ينقدوا رأياً ، ولم ينتجوا قاعدة ، هذا العقم في العقل والجذب في الفكر مرض من أخطر الأمراض يجب علاجه ، لأن الأمم إنما تتفاضل بعقولها ، وتمتاز بالإنتاج العقلي والبحث الفكري ، والأمم التي تخصب عقولها ويكثر إنتاجها العلمي هي التي تعرف مجهولات الطبيعة وتسير على هدى في هذا الوجود ، والأمم التي تجذب عقولها ولا تثمر أفكارها ، لا تفهم نفسها ولا ما حولها وتتخبط في هذه الحياة . وقد رأت المجلة أن تطب لهذا الداء بفتح باب من النقد تعرض فيه فكرة ما وتتناولها الأقلام بالتنفيذ أو التأييد . وهذا فيه تمرين عظيم على البحث والإنتاج ، ويدعو القراء إلى إعمال عقولهم ، وكند أفهامهم لتبين الحق ومعرفة الصواب .

وقد بدأنا بنشر بعض بحوث لمدير المجلة في علوم البلاغة تحت عنوان :

« علوم البلاغة في الميزان » ، وسيرى القارئ أنها لإبطال لبعض القواعد البلاغية التي قررها الأولون واعتمدها المتأخرون ، وهو مما يدرس في دور العلم المختلفة من الأزهر والجامعة ، ووزارة المعارف . ومن أجل ذلك ستوفر الدواعي على معرفة هذا النقد والنظر فيه والعمل على إبطاله أو تأييده ، لأنه ينقد تراناً علمياً عظيماً ورثوه عن آبائهم وهو عزيز عليهم ، فهم يحامون عنه ، ويذودون من رماه ، ولأن ما يبطله عمل انفق عليه علماء البلاغة قبل يند

الصواب عن هؤلاء جميعا ويعرفه واحد؟ ومن هم هؤلاء الذين أجمعوا عليه؟ هم المتقدمون من عهد السكاكي إلى الآن.

فلو كان رأى فرد أو جماعة لجاز أن يدخل فيه الخطأ، أما وهو رأى العصور المختلفة والأجيال المتعاقبة، فن العجب أن يدخل عليه الخطأ كل هذه حركات نفس ونزعات فكر تدعو الدارسين والباحثين إلى أن يستقبلوا هذا الباب بالاهتمام والنقد والتعليق، وإذا كان ذلك، أدركنا ما أردنا من تنشيط العقول وحفز الهمم للبحث والابتكار، والله المستعان.

علوم البلاغة في الميزان

في علوم البلاغة العربية، مجال للبحث ومواضع للنقد، ففيها بعض الخطأ مما يجب التنبيه عليه وإصلاحه، ليعتاون المفكرون على تنقية هذه العلوم، ونحن سنمثل ببعض أمثلة من العلوم الثلاثة: المعاني والبيان والبديع.

(١)

إنى لأعجب لهؤلاء السكاكين في البلاغة من المتأخرين، يعتمدون إلى أسباب الحسن في الكلام التي هدى إليها المتقدمون، فيعملونها بغير علمها النفسية، ويسوون بينها وبين غيرها، حتى يصرفوا الذوق عن الإحساس بها وعن تذوقها، كأنهم قد تواصلوا فيما بينهم على أن يفسدوا هذا العلم لإفسادها، حتى لا يبقوا فيه شيئا صحيحا.

هُدَى المتقدمون - كعبد القاهر - إلى أنه قد يوجد شيء في النظم فيكسب الكلام حسنا وجمالا، كالحذف فإنك تحس من الكلام، المحذوف منه بعض أجزائه، في بعض الحالات، جمالا لا يكون إذا أنت ذكرت المحذوف، ومثل لذلك بقوله:

قالت سمية قد غويت بأن رأيت حقا تناوب ما لنا ووفودا
غنى لعمرى لا أزال أعوده ما دام مال عندنا موجودا
وقوله:

تساب حتى قلت داسع نفسه وأخرج أنيابا له كالمناول
وقوله:

غضبي ولا والله يا أهلها لا أطعم البارد أو ترضى

وقوله :

وعلمت أنى يوم ذا ك منازل كعبا ونهدا
قوم إذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقدا

وقال عبد القاهر : هذا باب يشبه السحر ، لأنك تراك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأشد ما تكون بيانا إذا لم تبين ، إلا أن عبد القاهر بين أن فى الحذف حسنا ولم يبين سبب هذا الحسن وعلمته ، واكتفى بأن يعرض علينا الشئ الجميل ، ويضع أيدينا على موضع الجلال فيه وهو الحذف ، وبين أننا لو ذكرنا المحذوف لما كان للكلام ذلك الحسن ، فأما العلة فى ذلك فلم يذكرها . ونحن إذا رجعنا إلى نفوسنا ، نجد أن العلة فى حسن الحذف فى هذه المواضع أمور نفسية ، وهى أن المحذوف تدل عليه قرائنه ، فإذا ذكر كان ثقيلًا موضعه ، لأنه تعريف لما عرف ، وبيان لما بين . وإذا حذف رفعت المؤنة عن السامع بذكره ، ورفعت الكلفة التى يكون عليها عند ما يسمع حديثا معادا ، أو كلمة لم يجد فيها فائدة جديدة .

وبالجملة فالكلمة الخالية من الفائدة ، كالتثقيب تقضى العين بوجوده ، فإذا لم تبصره فى موضع كان يتوقع وجوده فيه وجدت لذلك من الانس والمحبة ما يغمر القلب سرورا . وإذا أردت أن تبين شيئا شديدا بذلك ، فاستمع إلى رجلين أحدهما يطيل فى الكلام ويذكر ما ليست بحاجة إلى ذكره ويطيل فى غير طائل ، والثانى يهجم بك على الفائدة من أقصر طريق ، وكلما سار بك جدد لك فائدة . فإنك تجد للأول ثقلا على القلب وضيقا فى النفس ، وتجد فى الثانى خفة وتجديد سرور ولذة .

وشيء آخر ، وهو الهجوم بالسامع على المطلوب دفعة ، فإن مطلوبه فى مثل :

قال لى كيف أنت ؟ قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

معرفة حاله فإذا قال عليل — فقد هجم به على المطلوب وكفاه مؤونة الانتظار . هذا ما نجده فى نفوسنا عند ما نسر لحذف كلمة ، ونبحث عن علة هذا السرور وهذا الارتياح .

وشيء آخر - هذه الجودة التى تراها فى هذا الأسلوب ، فإن الناس قد اعتادوا الأسلوب الذى لم يحذف منه شيء لكثرة دورانه فى الكلام ، ولم يعتادوا الأسلوب الذى حذف منه أحد جزأى الإسناد ، لقلة دورانه فى ألسنتهم فإذا سمعوا الكلام المحذوف منه شيء ، سمعوا الجديد الذى لم يألفوه ، والبدع الذى لم يعتادوه ، فاستمتعوا منه بما يستمتعون من الجديد

المتبدع ، والغريب المبتكر ، وليست هذه الجدة في السمع خسب ، بل هي جدة في الفكر ، فقد كنت تتلقى المعاني من الالفاظ فعدت تتلقاها من العقل ، يدل عليها ويشير إليها ، وإن ذلك ليروعك ويؤثر عليك وإن كنت لا تدري ماأناه ولا مصدره .

جاء السكاكي والخطيب ومن بعدهما ، وأبوا أن يكون للحذف مزية على الذكر ، وجعلوا الحذف في موضعه كالذكر في موضعه ، وجعلوها حالين من أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال ، فيحصلان البلاغة ، ثم ذهبوا يبحثون عن المقامات التي تقتضى الذكر أو الحذف فتألوا : أما حذف المسند إليه فللاحتراز عن العبث بناء على الظاهر أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من اللفظ أو العقل ، أو اختبار تنبه السامع ، أو مقدار تنبهه ، أو صونه عن لسانك أو صون لسانك عنه ، أو تأني الانكار عند الحاجة ، أو ادعاء تعينه ، وجعلوا للذكر مقاما ، وهو أنه الاصل ولا مقتضى العدول عنه أو الاحتياط لضعف التدويل على القرينة ، أو التنبيه على غباوة السامع ، أو زيادة الإيضاح والتقرير ، أو لإظهار تعظيمه أو إلهاته أو التبرك بذكره ، أو استلذاذه ، أو بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب .

فأنت تراهم سوا بين الذكر والحذف عند المقتضى ، وقد كان يفهم من كلام عبد القاهر أن للحذف مزية لا تكون لغيره ، ولو مشينا على ما مشى عليه عبد القاهر لعلمنا اختصاص الحذف بهذه المزية ، ودعانا ذلك إلى مراعاة الحذف في أساليبنا ما وجدنا إلى ذلك سبيلا . ونراهم قد ذهبوا عن العلل الحقيقية لجمال الحذف — وهي ما ذكرناها — إلى العلل التي ذكروها ، وبعض هذه العلل صناعية لا تخطر إلا ببال الذين توغلوا في صناعة العلوم العقلية ، كتخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ ، وبعضها لا يخطر للبلوغ المتكلم ولا للسامع ببال ، أما العلل التي ذكرناها فهي علل نفسية قد يشعر المرء بآثارها ، ولا يدركها ، واسكن الفلاسفي العارف بخفايا النفوس يدركها ويؤمن بها .

ولقد رغبت أن أحمل كلامهم ما ذكرته من المعاني فقد قالوا : . وأما حذفه فللاحتراز عن العبث بناء على الظاهر ، أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ . . فقلت قد قالوا الاحتراز عن العبث ، وهذا يؤدي إلى الاستئفال ، والحذف يؤدي إلى رفع هذا الاستئفال .

وقد حظوا في قولهم تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ ، أن الدلالة على المحذوف عقلية ، واسكنني رأيهم يرعون في غير هذا الجانب . فقد قال صاحب المطول في شرح

ذلك : « فللاحتراز عن العبث ، إذ القرينة دالة عليه فذكره عبث ، لكن لا بناء على الحقيقة في نفس الأمر بل « بناء على الظاهر » ، وإلا فهو في الحقيقة الركن الأعظم من الكلام فكيف يكون ذكره عبثاً ، وقيل معناه أنه عبث نظراً إلى ظاهر القرينة وأما في الحقيقة فيجوز أن يتعلق به غرض ، مثل التبرك والاستلذاذ والتذنيه على غباوة السامع ونحو ذلك ، ،

(٢)

لـ من فلان ، صديق حميم لئن سألت فلانا لتسألن به البحر . لئن لقيت فلانا لملقنين به الأسد . هذه الأمثلة فيها جمال وبلاغة ، ويحس المرء بطرب لا يحده إذا قال فلان صديقي الحميم أو فلان كالأسد أو كالبحر . وقد أحس علماء البلاغة هذا الجمال فذهبوا يحدون ويميزون ويعرفون أسبابه ، وأخيراً سموا هذا النوع الذي أحدث ذلك الجمال : « التجريد » ، وقالوا في تعريفه ما يأتي :

التجريد أن ينتزع من أمر ذي صفة ، أمر آخر مثله فيها ، مبالغة لسكاتها فيه ، فقولنا « لـ من فلان صديق حميم » ، يؤخذ منه أن فلانا بلغ من الصداقة حداً صح معه أن ينتزع منه آخر مثله في الصداقة ، وكذلك « لئن لقيته لتلقين به الأسد » ، يؤخذ منه أنه بلغ من الشجاعة حداً يصلح معه أن ينتزع منه أسد مثله في الشجاعة ، وذلك لسكال الشجاعة فيه . وكذلك « لئن لقيته لتلقين به البحر » ، يفيد أنه بلغ من الكرم حداً صح معه أن ينتزع منه بحر مثله في الكرم وذلك لسكاله في الكرم ...

وهذا تصور غريب لهذه الأمثلة التي فيها هذا النوع من البلاغة ، فلم تجر عادة ، أن المرء إذا بلغ حداً من الكرم ، صح أن ينتزع منه بحر مثله في الكرم وذلك لسكاله فيه . وليت شعري ما هذا الانتزاع ؟ أهو بطريق الولادة ، أم بطريق آخر كانتزاع الصخر من الجبل ، أم كانتزاع الثوب من اللابس .

هذه الحالة لاتدل على كرم ولا على مبالغة فيه ، فما عهد أن الكريم إذا بلغ في الكرم المبلغ العظيم ، انتزع منه بحر يساويه في الكرم .

ولأن فهم هذه الأمثلة على هذا الوجه يضيع بلاغتها ويفسد معناها ويجعله تصوراً كتصور البله والمعمورين ، كريم يلد بحراً ، أو شجاع يشق منه أسد ، وصديق ينتزع منه صديق . وقد كنا نفهم من هذه الأمثلة قبل أن نعرف التجريد في علوم البلاغة أن فيها حذفاً :

لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، الأصل لتلقين بلقائه ، أى بسبب لقائه ، الأسد تحذف لقاء ، وإنما كنت تلقى بلقائه الأسد ، شبيهه لأنه فليست تأتي بلقائه إلا أسدا ، وما الجمال فيه إلا من جهة أنه أعطاك التشبيه بطريق مكى عنه ، لم يصرح به ، وأنه صور به بصورة الأسد ، حتى كأنك تحسه وتراه . ولست تجد أحدا له ذوق في البلاغة يفهم من هذه الأمثلة إلا ما قدمناه ، وهو المعنى الذى يخطر لأول نظرة ، ولكن علماء البلاغة يأبون إلا أن يحملوه تجريدا وتوليد شيء من شيء . ولم يلد ، وانتزاع شيء من شيء لم ينتزع منه .

ومن عجب ، أن هذا المعنى المتبادر قد شعر به بعض العلماء فذكروه وأبان أن أمثلة التجريد مبنية على الحذف ، فأنسكه العلماء المتأخرون وقاوموه ودفعوا في صدره حتى لم يبق إلا هذا المعنى السخيف الذى ينسكه الذوق وينبو عنه الفهم ويجعل الأسد متزعا من الشجاع والبحر متولدا من الكريم وذلك مبالغة لسكال هذه الشجاعة في هذا الشجاع وكال الكريم في هذا الكريم .

(٣)

درأيت اليوم حاتما ، ولقيت مادرا ، وسمعت سبحان ، وكان في المجلس باقل ، ، هذه مثل تدور على ألسنة المتكلمين ، والغرض منها التشبيه ، تشبيه الممدوح بحاتم في الكرم ، وبسبحان في الفصاحة ، وتشبيه المذموم بمادر في البخل ، وباقل في الفهاة - ولكن علماء البلاغة لا يقتصرون على ذلك بل يتأولون في حاتم فينتزعونه من معناه وهو العلية على الرجل المعروف من طيء ، ويجعلونه كأنه موضوع للجواد سواء أكان ذلك الرجل الممدود من طيء أم آخر غيره ، فهذا التأويل يكون حاتم متناولا للفرد المتعارف الممدود والفرد غير المتعارف ، وهو من ينصف بالجد ، لكن استماله في غير المتعارف يكون استمالا في غير ما وضع له فيكون استعارة .

وإنما فعلوا ذلك ليحافظوا على الأصل الذى وضروه ، وهو أن الاستعارة تقتضى إدخال المشبه في جنس المشبه به ، يجعل أفراداه قسمين : متعارفا وغير متعارف ، ولا يمكن ذلك إلا في اسم الجنس ، ولا يمكن في الأعلام لأن العلم وضع لذات مخصوصة لا يتناول غيرها ، فلماذا ارتكب هذا التأويل فيجعل العلم اسم جنس ليتمكن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به .

ويرد هذا الذى ذهب إليه البيانون ، أنه ليس من أحد يتكلم بهذه الأمثلة يقصد هذا الذى قالوه ، ولا يفهم أحد ممن يسمعون هذا المعنى الذى ذكروه ، فما من أحد يقول : رأيت اليوم حاتماً ، ويدور بخلد أنه شبه ثم تأول حاتماً فنزعه من العلية ، وجعله كأنه موضوع للكريم الجواد وصار له فردان : فرد حقيقى هو ذلك الجواد من طيء ، وفرد ادعائى هو ذلك الممدوح إلى آخر هذه الصورة .

وليس أدل على فساد هذا رأى من أنه دعوى لما لا يخطر بذهن متكلم أو سامع ، فنحن نشرح أقوال المتكلمين بما يريدون ويعنون ، وكل هذه السورة لا تخطر إلا بأذهان هؤلاء البيانين الذين اخترعوها .

ضع يدك على أى بليغ ما تختاره وسله : ماذا يريد بقوله ، رأيت حاتماً اليوم ، فإنه يجيبك : أردت تشبيه هذا الكريم بحاتم فى جوده وكرمه .

وسله أهو تأول فى حاتم وأراد منه مطلق جواد ، وأنه صار يشمل حاتم طيء وهذا الجواد الممدوح ؟ فإنه ينفى ذلك كله ، ويقسم أنه لم يرد شيئاً من هذا ، ولم يرد إلا التشبيه بحاتم فى الجود .

على أنه إذا كان معنى حاتم الجواد فلا استعارة ، لأن الجواد يطلق على سبيل الحقيقة على الممدوح ، بخلاف أسد فى قولنا : رأيت أسداً يرمى ، فإنه لا يطلق على الممدوح على سبيل الحقيقة فكان استعارة . وهذا التكلف العظيم ليحافظوا على أصل اختراعه ، وهو أن الاستعارة تقتضى دخول المشبه فى جنس المشبه به . وهذا الأصل أوردوا هم عليه اهتراضاً ، وهو أنه كيف يدعى دخول المشبه فى جنس المشبه به ويقيم القرينة لتدل على أنه أراد المشبه لا المشبه به ؟ وأجابوا بأنه بعد الادعاء صار المشبه به فردان : فرد حقيقى وفرد ادعائى ، والقرينة قامت لتنفى الفرد الحقيقى وتثبت الفرد الادعائى ، فدخلوا فى باب آخر من الإغراب لم يرده متكلم ولم يفهمه سامع .

فلسطين العربية الإسلامية

١ — إن فلسطين بلاد عربية منذ أربعة عشر قرناً، وقد ظلت الموجات العربية قبل الفتح الإسلامي وبعده تتوالى عليها من آن لآخر، وإن الصبغة العربية راسخة فيها كل الرسوخ، وبرهان ذلك أسماء المناطق مثل: مرج ابن عامر، وقرى بني صعب، وبني زيد، والحارثية والفستل، ووادي على وجبل القيسية، وبني نعيم، إلى غير ذلك من أسماء الأماكن والقبائل والجمائل والعشائر العربية في مختلف أنحاء فلسطين. وكانت في فلسطين أشد الحملات الإسلامية لمقاومة الصليبيين بقيادة صلاح الدين ومن جاء بعده من الملوك والسلاطين المجاهدين. حتى أجلوهم عنها وعن سائر بلاد المسلمين، وبقيت إسلامية منذ ذلك التاريخ. وقد لبثت فلسطين تحت الحكم العثماني نحو أربع مائة سنة حتى احتلها الإنجليز سنة ١٩١٨

٢ — تبلغ مساحة فلسطين ١٠٤٢٩ ميلاً مربعاً، تساوي ٢٧ مليون دونم، وهي تؤلف القسم الجنوبي من سوريا وبلاد الشام.

أما حدودها الرسمية، كما كان الحال في زمن الاحتلال البريطاني، فمن الجنوب تحدها أراضي سيناء المصرية حتى رأس طابة على خليج العقبة، ومن الشرق نهر الأردن وأرض مملكة الأردن، ومن الشمال أراضي جمهوريتي سوريا ولبنان، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط.

٣ — كانت فلسطين حين الاحتلال الإنجليزي عربية الصبغة، وكان عدد سكانها ٧٥٠ ألفاً، منهم حوالي خمسين ألفاً من اليهود، فتكون نسبتهم إلى مجموع السكان نحو ٦٪، وجدير بالذكر أن عدد اليهود في فلسطين كان في سنة ١٨٤٥ اثني عشر ألفاً، وفي سنة ١٨٨١ نحو ٢٥ ألفاً.

ومنذ وقعت البلاد تحت الاحتلال البريطاني، فتح الإنجليز أبواب الهجرة اليهودية على مصاريعها، حتى بلغ عدد اليهود في سنة ١٩٣٩ نحو ٤٠٠ ألف من ٤٠٠ ألف، مجموع سكان فلسطين. وتدل الإحصاءات الرسمية على أن عدد المهاجرين اليهود الذين وصلوا

فلسطين منذ قامت حكومة إسرائيل سنة ١٩٤٨ إلى منتصف سنة ١٩٥٢، نحو ٦٥٠ ألفاً، وما زالت عشرات الألوف منهم تصل فلسطين تبعاً، رغم ما يعانون من الازمة الاقتصادية وقلة المساكن، لأنهم يريدون أن يصل عددهم إلى مليونين في وقت قريب .

ثورات عرب فلسطين :

منذ الاحتلال الانجليزي سنة ١٩١٨ ومأساة فلسطين العربية الدامية تمثل فصولا يقوم البريطانيون فيها بدور الظالم المتجبر الغادر ، واليهود يمثلون دور الطامع الوقح . وقد ثار العرب على هذه المؤامرة الاستعمارية عدة ثورات دامية ، فكانت ثورة القدس سنة ١٩٢٠ ، ثم ثورة يافا سنة ١٩٢١ ، وكان من أشد ثورات عرب فلسطين ثورتهم سنة ١٩٢٩ ، بدأت في القدس ثم اشتعلت في الخليل وصفد ، ويافا ، وحيفا ، وغيرها من أنحاء فلسطين . وفي سنة ١٩٣٣ نشبت الثورة في يافا والقدس وحيفا ونابلس . وفي عام ١٩٣٦ كانت الثورة الكبرى والإضراب العام الشامل اللذان استمرتا ستة أشهر كاملة ، ثم توقفت الثورة لتدخل ملوك العرب ، فلما فشلت مساعيهم وغاب الأمل فيهم ، عادت الثورة إلى الاشتعال سنة ١٩٣٧ واستمرت ملتهبة إلى صيف سنة ١٩٣٩ ، وفي هذه الثورات الدامية استعذب أهل فلسطين الموت في سبيل الله ، وضحوا بالنفس والنفيس ، وكم بذلوا من أرواح غالية ودماء زكية ، وكم لاقوا من عنت الإنجليز ومظالمهم ، ولكنهم مع ذلك قد كبّدوا البريطانيين وحلفاءهم اليهود خسائر كبيرة في الأرواح والأموال ، وأتلفوا للجيش البريطاني الكثير من قطاراته الحربية ومعداته العسكرية ، حتى اضطرت إنجلترا أن تبعث إلى فلسطين في سنة ١٩٣٦ و ١٩٣٧ بجيش جرار وأسراب كثيرة من طائرات القتال والسفن الحربية ، وعلى رأس ذلك المارشال ديل والمارشال وايفل من كبار قادة جيشها .

٤ — وتقع فلسطين من البلاد العربية بموضع القلب ، لأن البلاد العربية تحيط بها من كل الجهات ، وموقعها العسكري الاستراتيجي ، من أهم المواقع ، وأشدّها خطورة : فهي مفتاح بلاد العرب ، وتتصل حدودها اتصالاً مباشراً بمصر ، وسوريا ، ولبنان ، والأردن ، والحجاز ، وإن قيام حكومة اليهود المعادية في أرض فلسطين تهديد دائم وخطر شديد على البلاد العربية كلها ، وذلك خطر ليس من الناحية العسكرية . السياسية فحسب ، بل هو خطر

اقتصادي واجتماعي وديني، لأن اليهود بفلسطين هم دعاة الشيوعية والفوضوية والإلحاد والإباحية. وأن الدول الاستعمارية المعادية للإسلام والعروبة قصدت من إقامة دولة لليهود في قلب بلاد العرب، تمزيق وحدة العالم الإسلامي والعربي، وفصل أجزائه بعضها عن بعض أو فصل آسيا الإسلامية عن أفريقيا الإسلامية.

هـ — أما الوضع الحالي في فلسطين فيلخص في أن عصابات اليهود المسماة « بحكومة إسرائيل »، قد أصبحت مسيطرة على القسم الأكبر من مدن فلسطين وقراها وأخصب أراضيها ومزارعها وبساتينها، التي أجلى عنها ما يون عربي، باتوا لاجئين مشردين في البلاد العربية، ولم يتم ذلك بفضل قوة اليهود العسكرية، وإنما نتيجة مؤامرة لإنجلترا وأمريكا وغيرهما من الدول الاستعمارية التي أقامت هذه الدولة المعادية في قلب الأمة العربية نكاية بالمسلمين والعرب. ويدل على ذلك ما صرح به بن غوريون رئيس وزراء حكومة اليهود حيث قال: « إن ما أحرزناه من النجاح ٩٧٪ منه يعود الفضل فيه للسياسة، و٢٪ منه فقط للجهودنا الحربية ».

وأما الأقلية العربية، التي اضطرت للبقاء تحت حكم اليهود، والتي يبلغ عددها نحو ١٧٠ ألفاً، فهي تلاقى عتياً وقسوة ومعاملة شديدة من سلطات اليهود.

وأما القسم العربي الباقي من فلسطين، فهو خاضع لسيطرة الجبرال جلوب الانكليزي، وإن كان تابعاً في الظاهر لسلطة الأردن. وهذا القسم في خطر شديد، لأن اليهود يطمعون فيه قبل أي قسم آخر، وهم إن لم يجدوا أمامهم القوة الدافعة الممانعة فسيتأبدون اعتداءهم وتوسعة مساحتهم على حساب البلاد العربية.

محمد صبري عابدين

من علماء الأزهر الشريف

وأمين سر ديوان الهيئة العربية العليا بفلسطين

لُغَوِيَّاتُ بَابِ زَيْدٍ

المعنى واللغز

(تابع مانشر في العدد الماضي)

٢

٣ — وقد تقع النعمية في الكلام من قبل تأليف الكلم وتركيبها ، فيوهم التأليف غير المراد وتختلط الاصوات ، فتصبح الكلمتان مثلاً كأنهم ما كلمة واحدة .

ومن أمثلة هذا قول الشاعر (١) :

دنانيرنا من قرن ثور ولم تكن من الذهب المضروب عند القساطر

فقوله (دنانيرنا) يوهم الدنانير الذهبية من النقد ، ولكن القارىء يعجب من قوله بعد : « ولم تكن من الذهب » ، فيلتمس للكلام وجهاً آخر . وقد يوحى إليه بالمعنى قوله (من قرن ثور) ، وأياً ما كان الامر ، فالشاعر يريد (دنا) أى قرب (نيرنا) أى النير الذى لنا ، والنير : ما يوضع فى عنق الثور أو الثورين فى جر الفدان ، والفدان هو ما يعرف فى لسان العامة بالمحراث ، أما المحراث فى العربية فهو ما يحرك به النار . ويعرف النير فى لسان العامة بالناف . ومما أذكره فى هذا الموطن أن أبا الفتح بن جنى دخل يوماً ديوان الإنشاء فى بغداد ، فوجد أحد الكتّاب وبين يديه كانون فيه نار والبرد شديد ، فقال له الكتّاب : تعال أيها الشيخ إلى النير ، فقال أبو الفتح : أعوذ بالله ، النير هو صناديق البقر ، والصناديق : سداد القارورة ، كأن النير سداد للثور يمنع من الانطلاق . وقد ذهب الكتّاب فى النار مذهب الإمامة ، ولكن أبا الفتح نحاً نحو آخر نظرفاً . والقساطر جمع القسطر ، وهو الصير فى الناقد للبال .

(١) انظر اللسان فى (نير) والتاج فى (قسطر) .

وقوله : (لم تكن) كذا بالنساء وهو يناسب الدنانير ، وكأنه روعى في النير أنه أداة ، فأنت ليمم الإلغاز ، وفي التاج : لم يكن .

ومن أمثله أيضاً قول تميم بن رافع المخزومي :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم^(١)

والقارىء يبحث عما قاله لعبد الله فلا يراه في البيت ، ويبحث أيضاً عن المسند إلى (سقاؤنا) ، ويبدو من قرن (هاشم) بعبد شمس أنه اسم رجل . وإنما يريد الشاعر : لما سقاؤنا ، وما : أى تخرق وتزق ، فتقوله (وما) فعل ، وحقه أن يكتب بالياء ، ولكنه كتب بالالف للإلغاز ، وقوله : (شم) أى شم البرق أى انظره عسى أن يعقبه المطر ، وهو مقول القول . وحاصل معنى البيت أنه كان مع صاحبه في وادي عبد شمس فتخرقت القربة التي فيها الماء وأعوزهما ما يشربانه ، فقال لصاحبه : شم البرق عسى أن نغاث بالمطر .

ومنها ما أنشده أبو زيد :

وأطلس يهـديه إلى الزاد أنفه أطاف بنا والليل داجى العساكر

فقلت لعمر و صاحبي ورأيتي ونحن على خوص دقاق عواسر^(٢)

الاطلس : الذئب ، وهو وصف من الطلسة ، وهى غيرة إلى سواد ، وذلك لون الذئب . والخوص الدقاق يريد الرواحل التي قد جهدها السير ، وقوله (عواسر) في ظاهره وصف (خوص دقاق) ، والعواسر من النوق التي ترفع أذنانها عند السير يكون ذلك من نشاطها ، وحينئذ فأين مقول القول ؟ وإنما يريد الشاعر : قلت لصاحبي : عوى الذئب ، فسر ، فلما التصق : عوى وسر ، نشأ الإيهام ، وقد كتب عوى بالالف للإلغاز .

ومنها قول الشاعر :

عافت الماء في الشتاء فقلنا برديه تصادفيه سخيناً^(٣)

ويقال : كيف تجد الماء سخيناً ؟ إذا بردته . وهل هذا إلا ضرب من الإحالة ! وإنما يريد : بل رديه ولا آهافيه فستجديته على غير ما ظننت ، ولما كانت اللام تدغم في الراء فإن النطق

(١) أنظر اللسان في (نير) ، والتاج في (قسطر) .

(٢) أنظر المغنى في (لما) وشواهد المغنى للبغدادى ٣٠٨/٢ والمزهر في النوع التاسع ، والثلاثين

(٣) الخصائص : إجراء اللازم غير اللازم .

يكون : برّديه ، وقد كتب هكذا كالنطق رغبة في التعمية . ويروى أن هذا البيت عرض على أبي عثمان المازني فأجاب :

أيها السائلون لي عن عريص حار فيه الافكار أن يستدينا
إن لأمأ في الرأ ذات ادغام فافصلنها ترى الجواب يقينا

ومنها قوله :

إن هندُ المليحةُ الحسناء وأى من أضمرت لخلّ وفاء ^(١)

ويقال : كيف رفع (هند) وهي اسم إن ؟ وما ناصب (وأى) ؟ والجواب أن (إن) أمر للواحدة من وأى أى وعد ، يقال فيه وأى يئى ، ويقال : يا هند لى ، وقد أكد بالنون فخذفت الياء لالتقاء الساكنين فصار (إن) وهند منادى ، وقوله (وأى) مفعول مطلق لقوله (إن) ، أما (المليحة الحسناء) فهما وصفان للبنادى .

ومنها قول الفرزدق :

يفلقن هاماً لم تنله سيوفنا بأسيافنا هام الملوك القهاقم ^(٢)

والبيت في ظاهره مشكل غير بين المعنى . ولأنما المراد : يفلقن بأسيافنا هام الملوك القهاقم ، ولكنه زاد في (يفلقن) الحرف (ها) وهو حرف التنبيه . ثم قال : مَنْ لم تنله سيوفنا ! وهو استفهام إنكارى ، فاختلط (ها) بكلمة (مَنْ) فنشأ (هاماً) ، ومن ثم جاء الإيهام والتعمية .

٤ — وقد تقع التعمية بعكس الضرب السابق . وذلك أن يؤتى بكلم يطلب أن يحل محلها عبارة لو فصلت لأدت معنى الكلام المسئول عنه ، ولكن التبست بالعبارة الواحدة من اختلاط الأصوات وتصاقب الكلمات . فيقال مثلاً : ما مثل قولنا : قربت خشبتنا التي توضع على عنق الثور ، فيكون الجواب : دنانيرنا . وهذا الضرب يسمى التجاجى بالمقايضة ، وهو أن يؤتى بلفظ عوضاً عن لفظ آخر يتوارد معه على معنى واحد ، وعليه بنى الحريري المقامة السادسة والثلاثين . ومن ذلك أن يقال : ما مثل النوم فأتى وجوابه : الكرامات

(١) انظر المفتى في مبحث الهزمة .

(٢) الأمل للقال ١ / ٢٧٠ .

والكرامات في الظاهر جمع الكرامة ، ولكنها تفصل إلى الكرى وهو النوم ، ومات وهو فعل الموت ، فتساوى المسئول عنه ، وهو : النوم فات .

وبما أورده الحريري :

يا من سما بذكاء في الفضل وارى الزناد
ماذا يماثل قولى جوع أمدّ بزد ؟

ومن أحاجيه قوله :

يا من يشار إليه في الـ قلب الذكى و البراءه
أوضح لنا ما مثل قو لك للحاجى : دس جماعه ؟
وجوابه : طافية : وهى في ظاهرها وصف مؤنث من طفا على الماء ، والمراد : طائفة ،
خففت الهمزة فيهما .

هـ — وقد يقع المعنى في الكلام من تقديم بعض أجزاء الكلم وتأخير بعض آخر
ومخالفة النظم المألوف . ومن أمثلة هذا قوله :

معاوى لم ترع الامانة فارعها وكس حافظاً لله والدين شاكر^(١)
أى لم ترع شاكر — وهى قبيلة من همدان — الامانة فارعها أنت يا معاوية .
ومن هذا قوله :

سألت ونحن فى البيداء عمرا على عجل ونحن نسير سيرا
فجاء به ولم يبخل علينا فقلت له : جزاك الله خيرا^(٢)
يريد : سألت عمرا سيرا ، أى سيرا بن جلد .
ومنه قوله :

من نبات الكروم جاءت سلافا لم يدسها برجله العصارا^(٣)
يريد : جاءت العصار سلافا لم يدسها برجله .

(١) الخصائص ٣٣٠/١ (٢) شرح الامية المجمع للصفدى ٢٢٦/١

(٣) المرجع السابق ٢٥٨/١

٦ — وقد تكون التعمية بإحلال الكلمة محل مرادفها . ومن هذا أن بعضهم سئل عن معشوق له فقال : هو أبو سفيان ، فقيل له : استعن عليه ببنت بسطام . أراد العاشق أن معشوقه صخر في التمتع والقسوة ، وذلك أن أبا سفيان بن حرب أبا معاوية رضى الله عنهما اسمه صخر . وأراد محاوره ببنت بسطام : الصهباء . وهى الخمر . وقد كان لبسطام بن قيس ابنة تسمى صهباء .

ويقول صاحب كتاب كشف الأسماء : « ومن بديع عمل الترادف ما يحكى أن رجلا وقف على المأمون فقال له : مسامعى ولد الظبي عين ماء السلطان ، ففطن المأمون لمراده واستدعى بالقرطاس وكتب إلى ناظر نهر الملك : اخترناك فصرّفناك ، واختبرناك فصرّفناك . وكان الرجل شكا من ابن غزال ناظر نهر الملك ، فعزله المأمون . فقوله : (مسامعى) أراد : آذانى . وقوله (ولد الظبي) أراد : ابن غزال . وقوله (عين ماء السلطان) أراد : ناظر نهر الملك . وهذا يعد من غاية ذكاء الماسمون . . فترى أنه كنى بمسامعى عن آذانى التى هى جمع آذن ، ثم انتقل من هذا إلى آذانى الفعل من الإيذاء ، وكأن هذا تعمية بمرتبتين ، وأراد بولد الظبي : ابن غزال ، علم الإنسان ، وقال : (عين) وأراد الناظر ، وأراد بماء السلطان نهر الملك . وهذا عجيب حقاً .

٧ — وعند المحدثين ضرب من التعمية يكون بقلب حروف الكلمة . ومن هذا قوله :

يا أيها العطار أعرب لنا عن اسم شئ قل فى سومكا
تنظره بالعين فى يقظة كما يرى بالقلب فى نومكا

فقوله (بالقلب) يريد بقلب الكلمة (نومكا) وقلبها أن تبدىء بعجزها ، فتأتى بالكاف والميم والواو والنون ، ويحصل من هذا كمثون ، وإن كانت الميم فى كمثون مشددة ، وهذا هو المطلوب .

٨ — ومن ضروب التعمية : التعمية ، فى الشعر . وهو أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسماً - وتطلب الاهتداء إليه وإلى تأليفه . وهذا صعب عسير . وقد عقد له أبو هلال العسكري فصلاً فى ديوان^(١) المعانى ، وأبان طريقة استخراجها هناك ، ومن شاء أن يتوسع فى هذا فليرجع إليه .

٩ — ومن ضروب ، التعمية : التعمية في الكتابة . فقد يلغز بالحركة والشدّة إلى معنى بعيد . ومن أقوى الأمثلة على هذا ما ذكره ابن خلدون في وفيات الأعيان في ترجمة سديد الملك عليّ بن مقلد بن منقذ صاحب قلعة شيزر ، قال : « وكان موصوفاً بقوة الفطنة . وينقل عنه حكاية عجيبة . وهي أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه شيزر . وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس . فجرى أمر خاف سديد الملك على نفسه منه ، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام ، وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار فأقام عنده ، فتقدم محمود بن صالح إلى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي أن يكتب إلى سديد الملك كتاباً يتشوّقه ويستعطفه ويستدعيه إليه . وفهم الكاتب أنه يقصد به شراً ، وكان صديقاً لسديد الملك ، فكتب الكتاب كما أمر إلى أن بلغ إلى (إن شاء الله تعالى) فشدد النون وفتحها ، فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن في مجلسه من خواصه ، فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه ، فقال سديد الملك : إنى أرى في الكتاب ما لا ترون ، ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة الكتاب : أنا الخادم المقر بالإنعام وكسر الهمة من (أنا) وشدد النون ، فلما وصل الكتاب إلى محمود ووقف عليه الكاتب سُرعاً بما فيه ، وقال لأصدقائه قد علمت أن الذي كتبته لا يخفى على سديد الملك ، وقد أجاب بما طيب نفسي . وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى : « إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك » فأجاب سديد الملك بقوله تعالى : « لانا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها » فكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه . هذا والعناية بكشف المعنى واستخراجه قديمة . وفي معجم الشعراء^(١) للبرزباني ذكر محمد بن مخلد الكاتب ، وقال فيه : « معصمى ، وكان من أحذق الناس بإخراج المعنى ، ومن المعنيين به أبو الحسن العروضي ، ذكره أبو هلال العسكري . ومنهم أبو المعالى الحظيرى الوراق صاحب كتاب : « الإعجاز فى الأحاجى والألغاز » يقول فيه صاحب الحزانة : « وهو كتاب تكل عن وصفه اللسان ، فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » .

وقد توفّر على البحث فى المعنى فى العصور المتأخرة علماء العجم ، كتبوا فيه باغتهم ثم ترجوه إلى العربية ، وقد بقى لنا من كتبهم « كنز الاسماء فى كشف المعنى » لقطب الدين المسكى الحنفى ، رحل إلى مصر سنة ٩٤٥ هـ وهو مخطوط فى دار الكتب المصرية . ولصاحب الحزانة بحث جليل فيه فى ج ٢ ص ١١٣ وما بعدها . والله الهادى إلى سواء السبيل .

محمد على النجار

(١) ص ٤٢٦

الاستاذ بكلية اللغة العربية

الاحتكار والربح الفاحش حرام كالربا

تحدث مندوب هـ الاهرام ، الخاص إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عن الازمة المستحكمة التي تعانيها في هذه الايام المواد الغذائية الضرورية ، بسبب اختران بعض هذه المواد طلباً للربح الفاحش ، وطلب إلى فضيلته أن يوضح للناس حكم الشريعة السمحة في مثل هذا الإجراء ، وقد تفضل فضيلته بإجابة هذا الطلب وقال :

إن الاحتكار الذي حرمه الله عز وجل هو إمساك شيء من الاغذية وضروريات الناس ، والامتناع عن بيعها انتظاراً للغلاء ، حتى إذا ازداد اضطرار الناس اليها تحكم محتكرها ببيعها بالسعر الفاحش الذي يفرضه عليهم .

وهذا العمل حرام شرعاً ، ولا يعد من البيع الحر الذي أحله الله ، ولذلك كان السكسب منه كسباً خبيثاً لا يباركه الله عز وجل ولا يرضى عن صاحبه .

إن مثل المحتكرين كمثل المرابين من جهة استغلال الفريقين حاجة الناس وتحكمهم فيهم بسبب هذه الحاجة . غير أن المحتكرين يزدادون عند الله إثماً من جهتين : إحداهما أن استغلال حاجة الناس إلى الاقوات والاغذية وما أشبهها أظعن من استغلال الحاجة إلى النقود . والثانية أن استغلال المحتكرين لاقوات الناس وضرورياتهم يعم ضرره جماهير الناس ، أما استغلال المرابين لحاجة من يحتاج إلى النقود فإن نطاقه ضيق يخص عدداً قليلاً منهم ولا يعم جماهيرهم ، فإذا كان المرابي يأكل ربحه من الربا ناراً في جوفه لاستغلاله حاجة عدد محدود من الناس ، فالمحتكر يأكل ربحه من الاحتكار لهيباً من نار الجحيم بقدر ما ينال جماهير الناس من أذى جشعه الذي لن يبارك الله له بشيء منه .

وقد صح في الحديث النبوي أن عاقبة المحتكر أن يضربه الله بالإفلاس ، أو بأخبث الامراض وهو الجذام .

روى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه في مسنده بإسناد صحيح ، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى المسجد فوجد طعاماً منشوراً ، فقال : ما هذا الطعام ؟ قالوا : طعام جلب إلينا . قال : بارك الله فيه وفيمن جلبه . قيل : يا أمير المؤمنين فإنه قد احتكر . قال : ومن احتكره ؟ قالوا : فروخ مولى عثمان وفلان مولى عمر . فأرسل أمير المؤمنين إليهما فدعاهما فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين نشترى باموالنا ونبيع . فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ومن احتكر

على المسلمين طعامهم ضربه الله بالإفلاس، أو بجذام، . فقال فروخ عند ذلك : يا أباير المؤمنين أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود-أى إلى الاحتكار- في طعام أبدا . وأما مولى عمر فقال : إنما نشترى بأموالنا ونبيع . قال أبو يحيى المكي راوى هذا الحديث : فلقد رأيت مولى عمر مجذوماً .
وعما يلاحظ في هذا الحديث ، أن النبي ﷺ سمي الأغذية العامة المعروضة للبيع طعام المسلمين ، لأنه إذا كان للذى يشتريها ليبيعهها حق الثمن الذى يشتري به ثم يتقاضاه فى البيع ، فإن لإباحتها فى السوق من حق المسلمين لأنها طعامهم وغذاؤهم ومن ضرورياتهم ، فبيعها لهم بالثمن هو من حق رأس المال ، وأما لإباحتها وعرضها فى السوق فهو من الحق العام الذى هو حق الأمة ، واحتكارها اعتداء على الحق العام وهضم لحقوق الأمة .

وفى مسند الإمام أحمد أيضاً عن سعيد بن المسيب أن معمر بن عبد الله بن فضالة القرشى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يحتكر إلا خاطيء . . والخطأ فى الشرع الخروج عن سبيل الشرع ، وسبيل الشرع هو سبيل الله ، وبإويل من يخطئ سبيل الله لأجل كسب حرام غير مشروع يستغل به ضرورات الأمة فى غذائها وقوت عيالها ، فيستحق عليه ما أنذره به النبي ﷺ من الإفلاس أو الأمراض الخبيثة ، ويعاقب عليه يوم القيامة بما يستحقه الذين يسخطون الله فى إيذاء مخلوقاته .

وروى الإمام أحمد أيضاً فى مسنده عن الحسن البصرى عن معقل بن يسار رضى الله عنه وهو من أهل بيعة الرضوان ، وهو الذى حفر نهر معقل بالبصرة بأمر عمر بن الخطاب ، أنه لما ثقل المراض على هذا الصحابى الجليل جاءه أمير البصرة عبيد الله بن زياد بعوده ، فدار بينهما حديث ، ثم قال معقل رضى الله عنه : أجلسونى . ثم قال : اسمع يا عبيد الله حتى أحدثك شيئاً لم أسمع من رسول الله ﷺ مرة ولا مرتين ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« من دخل فى شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم فإن حقاً على الله أن يعقده بعظم من النار يوم القيامة » . فقال عبيد الله لمعقل : أنأت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، غير مرة أو مرتين .

ومن هنا يعلم كل مسلم يتاجر فى المواد الغذائية والضرورية للمسلمين ، أن احتكارها ليس من البيع الذى أحله الله ، بل هو كسب حرام وأشد ضرراً على عامة المسلمين من المراهبة والعياذ بالله . والنبي ﷺ قد أنذر مرتكبه بالإفلاس والأمراض ونار جهنم يوم القيامة . فليعلم المحتكر عاقبة عمله قبل أن يقدم عليه .

الغاية بِدِرَاسَةِ الْإِسْلَامِ فِي جَامِعَاتِ الْعَالَمِ

لا أعجب لشيء عجبي لجهل هذه الأمم الغربية باجتماعيات الإسلام وما فيه من مبادئ قوية للحياة الفارة والهناء الإنسانية ، والأمن والسلام الدولي والسلام المحلي . على حين أن هذه الشعوب الغربية الراقية قد بحثت كل شيء وتخصصت في كل شيء . وبلغت الغاية في كل بحث إلا في شيء واحد ، هو دراسة الإسلام واجتماعياته وأديباته وتشريعاته ، دراسة بأناة وإخلاص لمصلحة الحياة الإنسانية ، دراسة بريئة من التعصب المسيحي الذي خلفته الحروب الصليبية ودعته مؤلفات باطلة منتشرة جعلت الهوة سحيقة بين الشرق والغرب ، وتركت آثارها التقليدية باقية في نفوس العلماء والباحثين بما بثته من ذلك في نفوس الناشئين في السكتب المدرسية . وعن هذه الهوة السحيقة بين الشرق والغرب . وتنافس الغرب في استعمار الشرق واستغلال خاماته وأسواقه وملايين الأيدي العاملة فيه ، نشأت تلك الحروب الطاحنة التي عاد ضررها على الغرب بأكثر مما قد يكون عاد على الشرق ، والتي لا تزال تضرر للعالم شراً ما حقاً يأتي على المدنية كلها — (إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) ، كل ذلك بسبب العصبية الوراثة عند العلماء الأوربيين ضد الإسلام ودراسته ، بينما هو دين اجتماعي بالمعنى الذي لا يوجد في دين آخر ولا في قانون ولا دستور من دساتير العالم .

فأين العلماء الباحثون الاجتماعيون من الأوربيين والأمريكيين ؟ وأين الدراسات الجامعية لتفتح أسوار اللغة العربية ويدرسوا هذا القرآن الكريم ويبحثوا فيه عن عناصر السلام كما يبحثون الآن في طبقات الأرض عن عنصر الأورانيوم . ومعلوم أن اللغة العربية قد كانت لغة العلم في القرون الوسطى وما قبلها فلم لا تدرس ؟ .

ولعمرك الله لعنصر السلام والإصلاح في طبقات القرآن أدنى من أن لا من عنصر الأورانيوم في طبقات الأرض وأعم فحماً وأعرق رحمة بالإنسانية وأدفع للشرف فيها .

والعبرة في البحوث العلمية والتشريعية وفي الاكتشافات إنما هي بهيار ما تؤدي الإنسانية من خدمة وما يبدو فيها من نفع عام ، ومتى يكون الميل إلى الخير أرجح من الميل إلى الشر في طبيعة البشر ؟

وإذا كان القانون الروماني في سائر جامعات العالم، يظفر بكراسي فيها، وهو ما هو، أفلا يظفر القرآن الإسلامي في تلك الجامعات بمثل تلك الكراسي وتفتح له عيون وتصحو له قلوب وتدرس اللغة العربية في تلك الجامعات كما تدرس اللغة اللاتينية فيها ليتمكن العلماء الباحثون المنصفون من دراسة هذا الكتاب السماوي الحديث دراسة سليمة من التخييط الشنيع الذي وقع فيه كثير من المستشرقين، لعاملين كبيرين لم يذللوا في الأوساط العلمية الأوروبية: أولها ضعف المستشرقين في اللغة العربية ضعفاً يضحك القارئون لبحوثهم، والثاني غلبة التعصب الصليبي في تلك الأوساط. وثالث وهو ما في نفوس الكثير منهم من الاتحاد والعداوة لأصل الأديان، كل هذا حال بين المستشرقين وبين ما وجوه أنفسهم إليه فخرجوا للناس في أوروبا بصورة مشوهة للإسلام تزيد في بغضهم له ولاهله، وبذلك ازدادت الفارقة بين الشرق والغرب.

ولو أن الجامعات العلمية خلعت عن أكتافها ثياب التعصب المسيحي، واتجهت إلى هذا الركن من البحث في الإسلام وعناصره وأهداف كتابه المقدس، لرأت بعيني رأسها ما هي تجهله الآن، وهو أن القرآن كتاب اجتماعي لإصلاح أكثر مما هو كتاب عبادة ودين بالمعنى الذي يفهمه البسطاء من العبادة والدين، فأيات القرآن الاجتماعية أضعاف، عشرات المرات، من آيات الصلاة والصوم والحج، إذ ضعفت عقول قوم عن هضم هذه العبارات وما فيها من أسرار للنفوس والمجتمع.

وبما أن الشرق والغرب الآن تلتحم فيهما العلاقات الدولية وترغهما على الاتحاد والامتزاج والتضامن والتكافل في درء الشيوعية والمبادئ الهدامة، وبأخذان شكل جهة واحدة، والإسلام أشد إباء وصلابة ضد المبادئ الشيوعية ويعتقه الآن أكثر من أربعمائة مليون مسلم. وقد جاء الوقت الذي يحتاج العالم إليه أشد ما يكون من احتياج.

فوجب رفض التعصب ضد الإسلام، والاتفاق بمبادئه العالمية وكلها عالمية في خدمة سعادة البشر ورفاهيتهم، وهذا قول نبي من الأنبياء، ويا قوم لا يجر منكم شقاق أن يصيكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم يبيعد، فلا يجر من قادة بريطانيا وأمريكا بغضهم للإسلام وازدراؤهم به أن يصيهم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح أو قوم لوط. وما الحربان العالميتان السابقتان منهم يبيعد. هذا إرشاد القرآن.

وإذا كان العالم الآن على فوهة بركان يوشك أن يضطرب فيلنهم أما ويسحبها عن وجه الأرض ، كأن لم تكن موجودة من قبل ، فلماذا لا ياجأون إلى كتاب مقدس بين أيديهم ينذرهم ويدعوهم إلى السلام ويقول : والله يدعو إلى دار السلام ، ويقول : إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون ١٠ - ٤٤ ، ويقول : قل أرأيتم إن أناكم عذابه بيانا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ١٠ - ٥٥ ، ويقول : فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ، قل فانتظروا إنما معكم متظرون ١٠ - ١٠٢ ، ولا شك أن الحرب الآتية هي حرب إبادة كما يعلمون .

والمشكلة الإنسانية الآن ، هي المشكلة الشائعة في كل زمان ومكان ، وهي أن من يملك لا يعرف ومن يعرف لا يملك . فالمسلمون الآن في أيديهم دستور حكيم عالمي يكفل الأمن والسلام للبشر ، ولكنهم لا يملكون تنفيذه لا في بلادهم ولا بشه في الروح الدولية العامة لضعف نفوذهم السياسي أولاً ولتغلب الإباحية الفاجرة في العالم المتحضر الغالب بتقاليده على الحياة العامة . والإباحية الفاجرة هي العدو رقم (١) الإسلام الذي جاء بصورة جدية عميقة لا يعرف الهوادة في الشرور والفسق وما يسمونه الحرية الشخصية التي يعتقونها في الغرب كما يعتقون الطعام والشراب ، كذلك حققت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ١٠ - ٣٢ ، ، وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ١٧ - ١٦ ، والله يأمر الناس بالرشد والإنصاف فيما بينهم أفراداً وأماً ، وينهاهم عن الفسق والإباحية الفاجرة وهم يعصونه ويحاربونه فسيدمرهم - إن لم يلا فوا أمرهم - تدميراً كما دمر الأمم السابقة ، ونحن نعيش الآن في ديارهم وأرضهم ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٩ - ٣٠ .

وهنا أقرر وأنا مطمئن إلى صدق ما أقول أن الأمم الغربية لهذا العهد ترضى أن تسحق حقاً تاماً بالتقابل الهدروجينية والذرية ولا ترضى أن تغير شيئاً من أوضاعها الحالية في استغلال الشعوب الضعيفة واستعمارها وظلمها وفي نشر الإباحية الفاسقة والانحلال الأخلاقي الفاشي في حياتها الاجتماعية وإلحاقهم بالمرأة في ميادين الرجال ... وقواعد الحياة الاجتماعية في الإسلام غير ذلك .

محمد عبد السلام القباني

أستاذ بكلية الشريعة

من ذكريات الميلاد

من الاحداث السكريمة ما يغير مجرى التاريخ الإنسانى ، ويبدل أوضاع الحياة ، ويعدل سلوك الناس ، وينقلهم من ضيق إلى سعة ، ومن قلق إلى دعة ، ومن حضيض إلى رفعة ، ومن ذل إلى عزة ، ومن فزع واضطراب إلى هدوء وأمن واستقرار .

ومن أنصع الحوادث التي مرت بالإنسانية ، فغمرتها بالنور والسعادة ، ونقلتها من الضلالة إلى الهداية ، ومن الظلم والفجور إلى العدل والتقى ، ومن حياة عابسة مضطربة مختلة الجوانب والاضطراب ، إلى حياة باسمية هادئة ناصعة الحدود مشرقة المعالم ؛ ميلاد الرسول الاكرم محمد بن عبد الله النبي الامى الذى أرسله ربه إلى الناس كافة : يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون .

لقد نشأ محمد صلوات الله عليه في بيت طاهر كريم كله صلاح وتقوى وعبادة وتدين . وكان يطلق على أهله أهل الله ، لأنهم جاوروا البيت الحرام وقاموا بأمره وأخذوا أنفسهم بخدمته ، ومن هنا كانت لهم السلطة الروحية التي فرضت على الناس احترامهم ومحبتهم ، وقذفت في النفوس تبجيلهم وهيبته ، وجعلت أقدارهم فوق أقدار الناس . وكان عبد المطلب جده يأمر أولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن ذنبيات الامور وكان يقول دائماً : ان يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الله . إلى أن هلك ظالم غشوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة ، فقيل لعبد المطلب في ذلك فقال : والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته .

ولما ولد رسول الله سماه جده محمداً ، وقيل له كيف سميته باسم ليس لأحد من آبائك وقومك فقال : إني لأرجو أن يحمداه أهل الارض كلهم .

ولقد تمثلت حياة الله ورعايته لئيبه ومحبتاه أتم تمثيل ، فقد مات أبوه قبل أن يولد ، فولد في كنف جده عبد المطلب . هذا الرجل البر التقي الذى توسم فيه الخير وتنبأ له بالمجد والعظمة . وتوفى كافله عبد المطلب وهو فى الثامنة من عمره . فقام على كفالته وتربيته عمه أبو طالب ، وانتقل من قلب عاطف رقيق إلى قلب عاطف رقيق ، اتسع له بالحب والعطف

والشفقة أكثر مما اتسع لأبنائه ، فرعاه أحسن رعاية وحفظه أتم حفظ ، فكان لا يأكل إلا معه ويخصه بأطيب الطعام ، ولا ينام إلا إذا كان إلى جانبه ولا يسافر في تجارة إلا كان في صحبته وهكذا مما وعته صحائف التاريخ .

وأول عبرة تقتبسها من سيرته وسلوكه : الوفاء الحق الذى عز على الناس أن يأخذوا أنفسهم به وأن يردوا طابعهم إليه . فقد نشأ محمد يتيماً فقيراً وكان لذلك أثره في نظر الناس له وإقبالهم عليه ، فهذا اليتيم لا بد له من مرضع تقوم بأمره وتسكفل بحضائنه وتزويه في باديتها ، ليستبد جسمه ، ويشب عوده ، ويستقيم لسانه ، ويتسع أفقه ، وتقوى طبيعته في جو البادية الفسيح .

أقبلت النساء على مكة يلتمسن الرضعا في عام محمل مجذب ، وعرض عليهن الأطفال وفيهم محمد . فلا تكاد مرضع تراه حتى تنزوى عنه ولا تكاد رغبة تبدو فيه حتى تخمدوها دوافع المسادة ومطالب الحياة وإلحاح الحاجة ، وأخذت كل امرأة وليداً توسمت فيه الخير ورجت من ورائه المنفعة . وبقيت امرأة فقيرة بائسة ، أجهدتا الحاجة وألح عليها الهوز في سنة شهباء أكلت الاخضر واليابس وجففت الضرع وأتلفت الزرع وأعطبت الثمر ، تلك هى حليلة السعدية ، وبينما هى تتأهب للرحيل إذا بهاتف من أعماق نفسها يهيب بها ويستحثها أن يكون نصيبها هذا اليتيم الذى أجفلت عنه المراضع وفترت فيه رغبات النساء ، فاستجاب لهذا الهاتف وعادت إلى اليتيم فأخذته وهى أشد ما تكون حاجة إلى وليد ميسور الحال كثير المال . ولكن بركة هذا المولود وبمن طالعه لم يلبث أن انهال عليها الخير لبناً يدر من ثديها وحياة تدب في ضرع ناقتها الهزيلة المسنة التى جففها الجوع والكبر منذ أمد طويل ، فرضيت واستقرت ونعمت حياتها ، ورأى الناس عليها مظاهر النعمة ، فكانوا يعجبون لما أصابها من نعيم بعد بؤس ورعاء بعد شدة ، وفظنت هى كذلك لنعمة الله عليها بهذا الرضيع الاغر الميمون النقيية ، فكانت أثيراً على نفسها حبیباً إلى قلبها محاطاً بالإكرام والرعاية من زوجها وأبنائها ، وكانت بنتها الشبان تخرج به لتلاعبه وتنشده له الاناشيد الحبية .

وقد أرادت أمها ذات مرة أن تعنفها وتلومها على خروجها به في الحر الشديد ، فقالت يا أماه والله إن الشمس لا تصيبه أبداً ، فقد رأيت غمامة تظله ، إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت ، ومكث عند حليلة حتى تم فصله وأرجع إلى أهله .

على أنه بعد ذلك لم ينس حليلة ما قدمت إليه من إكرام ، وما أسلفت له من رعاية ، لم ينس خدمتها وإخلاصها ، فوفى لها أكرم الوفاء وكافاً جميلاً وذكر معروفها وبذل لها مما يملك ما قرت به عينها واطمأنت نفسها .

فقد روى أنها وفدت عليه بعد أن تزوج خديجة وشكت إليه الجذب والفقر والحاجة فأعطاه عشرين رأساً من الغنم وبكرات ، وفي هذا أنصع الدلالة على ما يكن في فؤاده من تقدير كريم وعرفان صادق . وكانت بنتها الشيماء من بين من أسر من بنى هوازن بعد حصار الطائف ، فلما جيء بها إليه رجع بذكرياته إلى الماعزى البعيد وإلى عهد الطفولة السعيد وإلى الزمن الجميل الذى قضاه معها فأكرمها وأعادها إلى أهلها كما رغبت وأحبت .

ذلك مثل كريم من أمثلة الوفاء النادر ، يجب أن يتدبره الناس ويتهذبوا عليه في حياتهم ويتأسوا به في دنياهم . ويجب حين تطوف بنا ذكرى مولد الرسول الأكرم أن نذكر أكرم صور الوفاء وأروع آيات الإخلاص ، فإنه لا يهيج الاحقاد ويؤثر نار العداوة بين الناس مثل كفران المعروف وإنكار الإحسان .

وهذه صورة أخرى من صور وفائه وإثابته ، فإن أهل مكة كان قد أصابهم جذب شديد وحلت بهم ضائقة ماحقة ، وكان عمه أبو طالب ذا عيال كثير فأذته تلك الضائقة وأرهقه ما أرهق الناس من شدة وضنك ، فلما رأى محمداً ما حل به وكان قادراً على أن يمد له يد العون والمساعدة لم ييخسل ولم يتردد ، فاتفق مع عمه العباس على أن يخففا عنه الحمل وينهضا معه بالعبء ، فأخذ العباس جعفرأ وأخذ محمد ﷺ عليا ، وقام بأمره وما زال عنده حتى بعثه الله نبياً فكان أول صبي آمن به وصدقه .

والعبرة الثانية التى تشرق من تاريخه مرتفع من حياته ، الصبر على المنكارة والثبات فى الحق وصدق الجهاد فى سبيل الله .

أودى فى نفسه وفى صحابته ، فلم يلن عوده للخطب يرهقه ، ولم يتزعزع ثباته للحدث المدلهم مهما برح الألم . وقال له عمه : يا ابن أخى إنما لانستطيع حرب هؤلاء القوم ولا طاقة لنا بخلافهم ، فانرك ما أنت فيه ولك ما تحب . فقال تلك الكلمة الخالدة التى وعها سمع التاريخ : والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

فهذه السيرة العطرة وذلك التاريخ المشرق ، يحفل دائماً بأروع الامثلة في الصبر على الاحداث والنبات عند الخطوب وعدم الاحتفال للقوة الغاشمة مهما طغت واستبدت .

لانه يذهب الى الطائف لدعوة أهلها الى الحق وإلى رب العالمين فإذا بهم يتبادلونه أبشع مقابلة ويحيونه أشنع تحية ويغرون به سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى يدموا عقيقه ويجلس إلى جوار حائط متعباً مكدر دأً ، ثم يتجه إلى ربه قائلاً : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربي . إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي . .

وبترك الرسول ﷺ مكة ويهاجر إلى يثرب فتظهر دعوته ، وتنتشر كلمته ، وتسرى في الآفاق شريعته ، ويداخل قريشاً الحقد والغيط ، ويدب في نفر من العتاة الجبابرة مالا يستطيعون دفعه من الكراهية والحسد ، فيلتئم جمعهم ويجتمع شلمهم وتتفق كلمتهم على أن يقوموا بعمل حاسم يقضى على الدعوة ويطمس ذلك التاريخ الحافل . وحالف قريشاً جميع القبائل الضاربة حولهم كما حالفهم يهود المدينة والمنافقون منها ، واختارت كل قبيلة أحسن رجالها وخير قادتها ، وزهرة أبنائها ، وخرجوا من مكة وعدتهم اثنا عشر ألفاً على رأسهم أبو سفيان بن حرب وفيهم خالد بن الوليد وعمر بن العاص .

هنا يتجلى إيمان محمد وحكمته وحسن تدبيره ، يتجلى إيمان قائد يعوزه السلاح وتنقصه العدة فإن أتباعه عراة إلا من لباس التقوى ، ضففاء إلا من قوة الإيمان ، مجردون إلا من سلاح الحق والثقة برب العالمين ورضا أحكم الحاكمين . استنشار الرسول أصحابه . فقال البعض : يا رسول الله ما لنا بهم من طاقة . نعطيهم ثلث ثمار المدينة ليرجعوا عنها . وصاح سعد بن معاذ بكل قوته قائلاً : يا رسول الله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، أخين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

واستقر الرأي على عمل خندق حول المدينة . فأخذوا في الحفر ، وكان أبو بكر وعمر ينقلان التراب في ثيابهما لأنهما لا يجدان مكاتل ، ورسول الله يأخذ المول فيكسر الحجر

الذى يعترضهم فى حفرهم ، ثم أخذ الجيش القليل يحرس الشلم ورسول الله يحرس ثلثته فى البرد القارس والجوع الشديد .

وفى هذا الوقت العصيب الشديد الذى يواجهه فيه المسلمون قوة عاتية طاغية باطشة مجهزة بالخيول والنبل والسلاح وخيرة الفوارس ، كان الرسول يطمئن المسلمين ويعدهم بالنصر ويقول : والله لتفتحن الشام ، ولتظفرن عليه ولا ينازعكم أحد ، ولتفتحن اليمن ، ولتفتحن هذا المشرق . .

ويزيد على ذلك فيرسل إلى أبى سفيان قائلاً : أما بعد فقدماً غرك بالله الغرور ، ولقد ذكرت أنك سرت إلينا فى جمعكم ، وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ، وذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى . .

ولقد حقق الله لنبىه وعده بالنصر ، فأرسل على قريش وأحلافهم ريحاً قوية وعواصف شديدة ، كفأت قدورهم وقلبت أخبيتهم وقلعت خيامهم ، فانقلبوا راجعين من حيث أتوا ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً . وهكذا كل ناحية من نواحي الرسول الأكرم تروع العالم بما فيها من جلال العبرة وسمو الموعدة وحسن الأسوة . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابه الأجساد .

عبد المحميد محمود المصاوت
المدرس فى كلية اللغة العربية

أنى لك هذه؟!

قال عالم الصحابة عبد الله بن عمر بن الخطاب :

أهدى أبو موسى الأشعرى إلى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل (زوجة أمير المؤمنين عمر) طنفسة أراها تكون ذراعاً وشبرا . فدخل هايتها عمر فرأها ، فقال : أنى لك هذه ؟ قالت : أهداها إلى أبو موسى الأشعرى .

فأخذها عمر فضرب بها رأسها حتى نفض (أى تحرك واضطرب) ثم قال :

على بابى موسى الأشعرى ، وأتعبوه ! فأتى به وقد أتعب وهو يقول :

لا تعجل على يا أمير المؤمنين . قال عمر : ما يحملك على أن تهدى لنسائى ؟ ثم أخذها

عمر وضرب بها فوق رأسه وقال : خذها ، فلا حاجة لنا فيها . . .

تحديد الملكية في الإسلام

كان الفقه الإسلامى ولا يزال معينا للحاكمين على تحقيق العدل بين الشعوب ، فاتحاهم باب النهوض بأمرهم بنور الحق الذى يستمدّه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكثيرا ما جددت فى الارض مشاكل اجتماعية بل علل فى جسمها مستعصية لو أن الفقه استشير فى حلها لوضح أنه الطيب النظامى ولوقيت الامة كثيرا من الآفات .

ومسألة اليوم : هى تحديد ملك الاراضى ، أى منع الناس من الزيادة على قدر معين فيما يملكون ، وإجبارهم على بيع ما زاد على هذا المقدار إن كان لهم ملك يزيد عليه ، فما رأى الفقه الإسلامى فى هذه المسألة ؟

قرر الإسلام حق ملكية الاراضى واحترمه ودافع عنه وأثبت للمالك حق الانتفاع بأرضه والتصرف فيها . فقد جاء الإسلام وأهل مكة والمدينة فى أيديهم دور وأراض يملكونها ، فاحترم الإسلام هذا الملك ورتب عليه آثاره . وفى صحيح البخارى أن قوله تعالى : إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ، الآية نزلت فى يهودى غضب الاشعث بن قيس أرضه فترافعا إلى النبي ﷺ فلما عجز الاشعث عن البينة طلب يمين اليهودى ، قال الاشعث : إذا يخلف ويذهب بمالى ، فنزلت الآية . وقوله تعالى : للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ، يشير إلى أن أهل مكة أخرجوا بالهجرة من أرض كانوا يملكونها .

ولم يوقف الإسلام هذا الحق عند حد إلا عند الداعية ، فقد كان من الصحابة من أفرط فى الثراء كعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ولم يتعرض الإسلام له . فقد صالحت إحدى زوجاته الأربعة وهى السيدة تماضر عن ربع ثمنها بثمانين ألف دينار .

وسواء أكان سبب هذا الحق : الشراء أو التبرع أو الميراث ، أما إذا كان السبب هو الإغتنام والإستيلاء بسبب الغلبة فى الحرب فقد اختلف فيه المسلمون من عهد الصحابة فمنهم من يرى أنها مملوكة لأهلها الأول . ومنهم من يرى أنها ملك للجند الفاتحين ، ومنهم من يرى أن رقبته ملك للدولة وللناس استغلالها وعلهم خراجها ، وفى ذلك تروى المناظرة المشهورة بين عمر وبلال رضى الله عنهما فى سواد العراق .

كذلك حق تملك الاراضى مقرر محترم بإجماع المسلمين وقد كان مكان مسجد المدينة ملكا لبعض بنى النجار فنامهم النبي ﷺ إياه .

لا يوقف الإسلام هذا الحق عند حده ولا ينهى إلى غاية لأن الإسلام يأذن بحرية الكسب الحلال ويشجع عليه ويجعل عمل العامل له بعد أن يوفى الله حقه والدولة ضريبتها منه .

غير أن هذا الحق بطبيعته أمر مباح ، والمباح يظل على إباحته إلا أن تترتب على مزاولته مفسدة أعظم من المصلحة التي شرع من أجلها ، فعندئذ ينتقل المباح محظورا ، كبيع السلاح من أهل الفتنة حيث يعود محظورا لأنه إغانة على الفساد في الأرض ، وكإحراق فضلات الزرع في أرضه والريح شديدة ، فإنه يعود محظورا ، لأنه إضرار بالناس ، وهذا كله عمل بقاعدة : إزالة الضرر عن المسلمين ، التي قررها الحديث الكريم ، لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ، ، ومن هذا ما روى عن أبي حنيفة من الكراهة التحريمية لا كل لحم الخيل : فإنه رحمه الله علله بأنه وإن كان مباحا في الأصل لكن يترتب عليه مفسدة تقليل آلة الجهاد .

فإذا كان الإفراط في تملك الأرض الذي هو حق مباح يترتب عليه مفسدة عظيمة وضرر كبير هو حرمان جمهور المواطنين من رزقهم وقوتهم الذي سبيله الزراعة واستثمار الأرض ، على حين ينفق الملاك فيما يفيد وما لا يفيد ويعيشون عيشة الترف والسرف والتبذير في المحرمات والشهوات أو يكذبونه ويحبسونه عن أفواه الجائعين أو مشاريع الخير ، انقلب ذلك المباح محظورا وملك ولي الأمر سلطة لإبعاد الناس عن مزاوله هذا الحق بقانون يسنه أو أمر يصدره ، بناء على ما قررنا من أن زوال الضرر أمر محتوم ينبغى أن تنقيد تصرفات الناس به .

واعتبار الاملاك المجموعة في أيدي قلة مع حرمان الكثير منها مفسدة كبرى بنص القرآن ، حيث كرهها وجعلها من الآفات التي يجب إخلاء المجتمع عنها . فإن الله تعالى أمر بقسمة النىء على من ذكرهم في الآية الكريمة ، ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وعلى هذا بقوله ، كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم ، يعنى والله أعلم قسمنا النىء في الوجوه التي بينا كيلا يكون المسال ملكا مجموعا في يد الاغنياء يتداولونه بينهم ويتغلبون به ويتصرفون فيه بمحض شهواتهم ولا يصل إلى الفقراء منه خير . فاتخاذ المسال على هذه الصورة شر مستطير ومفسدة عظيمة ،

أمر الله بقسمة الفيء كي لا يقع الناس فيه . ونهى عنه نهياً صريحاً بقوله بعد ، وما نهاكم عنه فانتهوا . . وليس الأمر خاصاً بالفيء بدليل قراءة الرفع في : دولة ، أى لثلاث تقع دولة بين الأغنياء .

إذا فكون الأراضى دولة بين الأغنياء ، مفسدة ينبغي أن تدرأ باجتناب كل ما يوصل إليها ، فإذا كان حق التملك من غير تقييد بمحد معلوم يؤدي إلى تلك المفسدة وجب حظره والمنع منه لأن صاحبه أساء استعماله ، نظير ذلك الزوج بأكثر من واحدة فإنه حق أذن فيه الشرع وأباحه لسكنه رفع هذه الإباحة إذا ترتب على استعمال هذا الحق مفسدة الظلم ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة . .

بقى علاج تضخم الملك بإجبار المالك على بيع ما زاد على القدر المعقول فارأى الفقه فيه ؟

عرف الإسلام الإجبار على البيع دفعاً للضرر الخاص كبيع العقار للشفيع دفعاً للضرر سوء الجوار ، والإجبار على بيع ما للدين لفضاء دينه دفعاً للضرر عن الدائن ، والإجبار على قسمة المال القيمي ، وهى بيع من وجه ، لدفع ضرر تعطيل منفعة الشريك أو نقصها ، وعرف الإجبار على البيع دفعاً للضرر العام كبيع طعام المحتكر لحاجة الشعب إليه وامتناع مالكة عن البيع ، وكبيع أرض بمنح مسجد أو طريق ضاق أحدهما على الناس حيث يجبر صاحب الأرض على بيعها للدولة دفعاً للضرر يلحق مسجد العامة أو طريقهم ، ورووا في هذا أن أصحاب الأملاك الملاصقة للمسجد الحرام أجبروا على بيع أملاكهم للدولة ليوسع بها المسجد على عهد الصحابة ، فكان ذلك إجماعاً منهم على جواز البيع الجبرى دفعاً للضرر ، وبالتالي تحقيقاً للمصلحة العامة . وهذه الأحكام كلها وإن كانت مستثناة من شرط الرضا في العقود ، مبنية على قاعدة سد الذرائع .

وقد تقدم أن ترك المال دولة بين الأغنياء يتمتعون به في حلال أو حرام ويتحكمون به في إرادة الناس ويسلبونهم حريتهم ويحرم منه جمهور الأمة . قرر القرآن أنه شر مستطير ومفسدة كبرى كما بيناه ، فإذا لم يكن دفع هذا الشر إلا بإجبار المفرطين في الغنى على بيع أراضيهم جاز ذلك ووسع ولئلا الأمر أن يفعله ، ونزوى في هذه المسألة أثراً عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يصلح شاهداً لها ودليلاً عليها .

روى أبو عبيد في كتاب الاموال وأبو يوسف في كتاب الخراج واللفظ لأبي عبيد قال : وكانت بجميلة ربع الناس يوم القادسية فجعل لهم عمر ربع السواد وأخذوه سنتين أو ثلاثا قال : فوفد عمار بن ياسر إلى عمر ومعه جرير بن عبد الله فقال عمر لجرير : يا جرير لولا أني قاسم مسئول لسكنتم على ما جعل لكم ، وأرى الناس قد كثثوا فأرى أن ترده عليهم . ففعل جرير ذلك فأجازه عمر بثمانين دينارا .

وتفسير هذا الاثر مع ما روى عن عمر أنه لم ير قسمة أرض السواد بين الفاتحين : أن هذه الأرض كما صحح النووي في المنهاج قسمت أولا بين الفاتحين وكانت قبيلة بجميلة منهم ، ثم استردا عمر بعوض وأقر أهلها الاول عليها . والاثر يفيد بصراحته أن عمر استرد الأرض من مالكيها لزيادة السكان حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء ، وإن كانت هناك أسباب أخرى وردت في الآثار .

هذا ولولى الامر تحديد أعلى المقدار الذى يصح أن يبقى في يد الغنى متوخيا في ذلك العدل بين أفراد المجتمع .

هذا هو البحث كما استلهمنا في تخريجه نصوص الشريعة وأصولا وضعها الأئمة وقواعد أحكموها وأشباهاها فرعوها والله يفتح لنا باب هدايته .
أحمد فهمي أبو سنة
مدرس بكلية الشريعة

الطريقة الاسلامية في قبول المنافع

روى الإمام أحمد أن عبد الله بن السعدى (وكان نزيلا في الأردن من أرض الشام) قدم على عمر بن الخطاب في خلافته ، فقال له عمر : ألم أحدث أنك تلى من أعمال الناس أعمالا ، فإذا أعطيت العمالة (أى الراتب أو المكافأة) كرهتها ؟ قال ابن السعدى . - قلت : بلى ! قال عمر : فما تريد إلى ذلك ؟ قال : إن لى أفراسا وأعبدأ ، وأنا بخير ، فأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين . قال عمر : فلا تفعل . لاني كنت أردت الذى أردت ، فكان النبي ﷺ يعطينى العطاء فأقول : أعطه أفقر إليه منى . حتى أعطاني مرة مالا ، فقلت : أعطه أفقر إليه منى : فقال النبي ﷺ : : خذه فتموله وتصدق به . فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل ، نخذه . وما لا ، فلا تتبعه نفسك ، .

حاتم الأصم

كانت وفاته سنة ٢٣٧ هـ واسمه: أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان الأصم^(١). وهو من أهل بانيخ^(٢)، وكان أوحده من عرف بالزهد والتقليل، واشتهر بالورع والنقشف، وله كلام مدون في الزهد والحكم، وأسند الحديث عن شقيق، وشداد بن حكيم البلخيين، وروى عنه حمدان بن ذى النون، ومحمد بن فارس البلخيان.

وكانت حكمه وعظاته تتناقلها الرواة، ويتحدثون بها في المجالس حتى تصل إلى بغداد، وكان له كلام عجيب يسمو سمو النفس البشرية، ويتعالى عن دركانها. قدم بغداد فاجتمع إليه أهامها، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، أنت رجل أعجمي، وليس يكلمك أحد إلا قطعته، فلأى معنى هذا؟ فقال حاتم: معنى ثلاث خصال، بها أظهر على خصمي، فقالوا: أى شيء هي؟ قال: إذا أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن له إذا أخطأ، وأحفظ نفسي فلا أنجاهل عليه. وبلغ هذا الكلام أحمد بن حنبل فقال: سبحان الله ما أعقله من رجل!

وكما سمع أحمد بن حنبل بحاتم الأصم، سمع حاتم به، إلا أن حاتماً سبق فضله فبدأ بزيارته، وسعى إليه. قال أبو جعفر المروى: كنت مع حاتم مرة، وقد أراد الحج، فلما وصل إلى بغداد قال: يا أبا جعفر: أحب أن ألقى أحمد بن حنبل، فسألنا عن منزله، ومضينا إليه، فطرقت عليه الباب، فلما خرج قلت: يا أبا عبد الله: أخوك حاتم، فسلم عليه، ورحب به. وقال له بعد بشاشة له: أخبرني يا حاتم، فيم التخلّص من الناس؟ قال يا أبا عبد الله في ثلاث خصال، قال: وما هي؟ قال: أن تعطيهم مالك، ولا تأخذ من مالهم شيئاً، وتقضى حقوقهم، ولا تستقضى منهم حقاً، وتحمل مكروهم، ولا تسكره أحداً منهم على شيء. قال: فأطرق أحمد ينسكك بأصبعه الأرض ثم رفع رأسه وقال: يا حاتم إنها لشديدة، فقال له حاتم: وليتك تسلم، وليتك تسلم!

(١) غلب عليه اسم الأصم لنادرة جرت بين يديه. جاءت امرأة، فسألته عن مسألة فاتفق أن يخرج منها في تلك الحالة صوت، ففجئت، فقال حاتم: ارفعى صوتك. وأرى من نفسه أنه أصم - فدرت المرأة بذلك،

وقالت: إنه لم يسمع الصوت!

(٢) قاعدة خراسان.

بهذا تجرد حاتم من الأثرة ، واستعان بعزيمته وشيخه إرادته ، حتى استطاع أن يتخلص من شهوات النفس العارمة ، وقضى على نفسه أن تلتزم هذه الحدود الثلاثة ، ويتشوق إلى سماها الإمام الورع التقي أحمد بن حنبل ، فيجدها صعبة على نفسه ، ويقول : لأنها لشديدة ! ويقصده سائل فيقول له : على أى شيء بغيت أمرك ؟ فيقول : على أربع خصال ، يعتقدونها المرء ولا يحيد عنها في اعتقاده ، ثم يحيل نفسه على تتبعها ، والعمل بها ، على ألا أخرج من الدنيا حتى استكمل رزقي ، ولا يأكله غيري ، وعلى أن أجلى لا أدرى متى هو ؟ وعلى ألا أغيب عن الله طرفة عين .

وكان اشتهر من أمره أنه يجوز المفاوز بغير زاد . فقال له رجل في ذلك ، فقال : بل أجوزها بالزاد ، وإنما زادى فيها أربعة أشياء ، قال : وما هي ؟ قال : أرى الدنيا كلها ملكا لله ، وأرى الخلق كلهم عباد الله وعياله ، وأن الأسباب والأرزاق بيد الله تعالى . وأرى أن قضاء الله نافذ في كل أرض الله ، فقال له الرجل : نعم الزاد زادك يا حاتم أنت تجوزه في مفاوز الآخرة .

وكان يحمل على نفسه ، ويتيسرها على ما يريد ، ولو كان في ذلك انقطاع الجسم ، وإعيائه ، ما دام ذلك يقربه إلى الله تعالى . كان ظاعنا إلى مكة ، وجعل على نفسه — إن قدمها — أن يطوف حتى ينقطع ، ويصلى حتى ينقطع ، ويتصدق بجميع ما معه ، ولندعه يكمل لنا القصة فيقول :

فلما قدمت مكة ، صليت حتى انقطعت ، وطفيت كذلك ، فتويت على هاتين الحصلتين ، ولم أقو على الأخرى ، كنت أخرج من هنا ويجيء من ههنا .

وكان يبلغ — والفصل شتاء — فسكت في بيته ثلاثة أيام مع أصحابه ، ثم قال : ليخبرني كل رجل منكم بتهمة ، قال : فأخبروني ، فإذا ليس فيهم أحد إلا يريد أن يتوب من تلك التهمة . ثم قالوا له : ما تهمة أنت يا أبا عبد الرحمن ، فقال : تهمة ألا شفقة لي على إنسان يريد أن يحمل رزقي في هذا الطين ، وإذا برجل قد جاء ، ومعه جراب خبز ، وقد زاق ، وامتلات ثيابه طينا ، وقال : يا أبا عبد الرحمن خذ هذا الخبز !

وكان في موضع التلف ، وموطن الجزع ، لا يتغير أو يتحول ، وفي ذلك يقول :

خرجت في سفر ، ومعى زاد ، فنقد زادى في وسط البرية فكان قلبى في السفر والحضر واحداً .

وروى كأنما لا يسعى لرزق ، ولا يحشم نفسه مشقة الحصول عليه ، فقيل له : من أين تأكل ؟ فقال : د والله خزائن السموات والأرض ، ولكن المنافقين لا يفقهون .
وهو يعلم أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، ولا تتخالجه ريبة في ذلك ، مع أن له أربع نسوة ، وتسعة من الأولاد ، وفي ذلك يقول : ما طمع الشيطان أن يوسوس إلى فى شيء من أرزاقهم .

وكان حاتم من هؤلاء الأبطال الذين يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، ويحدثنا حديث الرجل المؤمن عن حادث طريف جرى له فى إحدى الغزوات ، قال : لقينا الترك ، فكانت بيننا جولة ، فرماني تركى بسهم ، فقلبنى عن فرسى ، ونزل عن دابته ، وقعد على صدرى وأخذ بلحيتى هذه الوافرة ، وأخذ من خفه سكيناً ليذبحنى بها ، فوحق سيدى ، ما كان قلبى عنده ولا عند سكينه ، إنما كان قلبى عند سيدى ، أنظر ماذا ينزل به القضاء منه ، فقلت : يا سيدى ، قضيت على أن يذبحنى هذا ، فعلى الرأس والعين ، إنما أنا لك وملسك . فبينما أنا أخاطب سيدى ، وهو قاعد على صدرى ، وقد أخذ بلحيتى ، إذ رماه بعض المسلمين بسهم ، فما أخطأ حلقة ، فسقط عنى . فقامت أنا إليه ، وأخذت السكين من يده ، وذبحته بها ، فها هو إلا أن تكون قلوبكم عند سيدكم ، حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات .

وجاء إليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، أى شيء رأس الزهد ، ووسط الزهد ، وآخر الزهد ؟ فقال حاتم : د رأس الزهد الثقة بالله ، ووسطه الصبر ، وآخره الإخلاص .

ومن كلامه رحمه الله تعالى : لو أن صاحب خبر جالس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه ، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز منه ؟ !

عبد الله قاسم صقر

من علماء الأزهر الشريف

ومدرس بالساحل الثانوية

عاجبة الشرق إلى حكم صالح

يدهش الناس . أن يروا الشرق قد تخلف عن الغرب في كل ناحية من نشاط الحياة ، الشرق مهبط وحى السماء ، الذى تلقى الأديان ديناً لإثر دين ، فتفهمها ، وتمثلها ، وبشر بها ، ونشر ألويتها بين العالمين ، الشرق الذى عرف الخالق فعبده ، وإنسان العالم يسير قطعاناً ترحل في الجبال والوديان ، أو الغابات والأحراش .

الشرق مهد الحضارة والمدنية الإنسانية ، فيه نشأت ومنه انتشرت ، وعنها أخذت الدنيا وعليها تبلد العالم ، وتأثر خطى الشرق فيها فتمدن وتحضر ، بعد أن كان لإنسانه يأكل لحم أخيه الإنسان .

الشرق رب الفلسفات والثقافات . انبثقت فيه أصول العلم والمعرفة ، الشرق الذى يضم مصر مخترعة الكتابة ، ومدونة العلم ، ومعمل البشرية ، ومنها ومن بابل وآشور وكلدنيا وفينيقيا ، ثم من الهند والصين ، أخذت أضواء العلم تبدد حجب الظلام ، كما أخذت أنوار المعرفة ترسل بأشعتها إلى كل مكان ، فرسمت للبشرية خطوط الخير والجمال ، ودفعت بها إلى النهوض والترقى ، ودانت الدنيا بإنسانيتها للشرق العتيد .

الشرق : الشرق فى روحانيته المتغلغلة المستقرة فى أعماق أعمقه ، وفى فلسفاته الدينية والمادية ، وفى تقاليده السياسية القوية ، وعاداته الاجتماعية المثالية ، سيد العالم عصوراً تلو عصور !!!

هو هو الشرق بعينه اليوم ، الشرق المتأخر عن العالم فى كل نواحي الحياة !! فالأديان التى رفعت من شأنه ، واهتز بها وساد ، هى قارة فيه لم تزايله ؛ وعلومه وفلسفاته ، وتقاليده وعاداته ، إن امتدت إلى غيره فإنها لم تهجره ؛ ترى ما السبب إذن فى تأخره وأديانه هى أديانه ، وفلسفاته هى فلسفاته ؟ فلنواجه الحقيقة جادين ، لنتعرف إلى مواطن الداء ، حتى نتجح فى وصف الدواء !

* * *

أما الغربيون فقد ردوا تأخر الشرق عن ركب الحضارة إلى ذاتية أديانه : وطبيعة

فلسفاته ، ثم خصصوا فردوا ضعف المسلمين وتأخرهم إلى طبيعة مبادئ دينهم وعلومهم . وفاتهم أو فاتهم بعضهم أنهم من قبل ، قد نسبوا قوة الشرق ، وقوة المسلمين إلى ذاتية دينهم ، وطبيعة فلسفاتهم ، ثم إلى مافى مبادئ الإسلام من قوة وعزة ، ووسائل تربية قوية ، فهل تصبح أسباب القوة والعزة ، بذاتها وظروفها وكيفياتها ، هى نفس أسباب الضعف والذلة والتخلف عن ركب الحضارة ؟ ألا إن الحق لا يكون باطلا ، وإن الخير لن يكون شراً ، ولن يتصور ذلك عقل مكتمل ، ولا بصيرة سليمة !!

وأما المستغربون الذين تربوا على لبان الغرب وأفكاره ، ورغبوا فى أن يظهروا أنفسهم فى مسوح الشرقيين الوطنيين المستنيرين المجددين ، فقالوا : إن تلك الأديان والفلسفات كانت أسباب قوة فى أزمنتها ، أما اليوم فقد تغيرت أحوال الشرقيين وظروفهم ، وتطوروا ، وتطورت بيئاتهم ، واقتضى ذلك التجديد فى الدين ؛ وفى التشريع ، لأن ما صالح بالأمس لبيئة لا يصلح اليوم لآخرى ، وهؤلاء الذين فسدت شرقيتهم باللقاح الغربى ، والذين لم يرضعوا لبان الشرق والإسلام ، فاتهم أن الطوائف ثابتة ، وأن ما بالطبع لا يتغير ، وأن التطور غير التغير ، وأن مشرع الدين ، ومنظم شرائع الإسلام دائم خالد ، عليم بالطوائف والنظورات ، وقد اقتضت حكمته أن تواجه تشريعاته كل زمان ومكان ، فوضع لكل حال حالا . ولكل داء دواء ، وتوخى صلاحية المبادئ للتطبيق ، وإن تطورت البيئات واختلفت الظروف والأحوال ؛ كما فاتهم ما أجمع عليه الربانيون ، والعلماء الإنسانيون ، من أن القانون الذى اتفق على صلاحيته ، لا يقلل من احترامه مخالفة البعض أو الكل لمبادئه ، لأن الجريمة قديمة فى طبع الإنسان ، ولولا وجود جرائمهما فى طبائعه لساد الخير العالم كله . ولما كانت هنالك حاجة إلى تشريع أو تقنين . فمخالفة القانون . أو مخالفة الدين . لا تقدر فى القانون ، ولا تطعن فى الدين ، وإنما تقدر وتطعن فىمن التزموا بتطبيق مبادئه ، وتحكيمها فى حياتهم العامة !

وأما المستسلمون فقالوا : هذا قدر مقدور ، وعلينا الرضا بما قدره الله علينا . وفاتهم أن الله قد دعاهم إلى الاستمسك بأسباب القوة والعزة ، وتوعدهم بالنكال إن جنحوا إلى الضعف والذلة ، وأن الله لا يرضى بفساد ، ولا يأمر بفاحشة ، ولا يرضى لهم الكفر به ولا بنعمه ، كما لا يرضى أن يرتضوا لأنفسهم الظلم والاستعباد لغيره ، دعاهم إلى ذلك لا مرجى لا غموص فيه . هو أنه اختارهم له جنوداً ، وجند الله هم الغالبون الأعزة وأهل السيادة . وهو ولى الذين آمنوا .

ولا ولاية لغيره عليهم وهم حزبه وحزب الله هم المفلحون . أصحاب الغلبة والعزة والسيادة !
وإذن ماذا نريد ؟ أريد أن أقول : إن فساد الحكم في الشرق ، في مبادئه . وفي أساليبه ،
هو سر البلاء . ومرد نكبة الشرق وآلام الشرقيين والمسلمين خاصة !!

إن الأديان والدساتير - مهما سميت مبادئها وتقررت صلاحياتها - لا تكون لها القوة
الدافعة إلى الترجية ، ما لم يوجد المؤمن بها القادر على التوجيه . إذن أن المبادئ وحدها
لا تسير ، ولا تقتحم الميادين ، دون مؤمن متفهم ، ولهذا جاء إرشاد الله سبحانه لعباده ،
أن يوجدوا بينهم القدوة الحسنة ، على مثال القدوة التي أوجدوها لهم . لقد كان لكم في رسول
الله أسوة حسنة ، والقدوة الحسنة هي القيادة الرشيدة التي توجه المجتمع إلى الخير ، وتحمل
الأفراد بسلوكها الخاص ومنهجها في الحياة ، على ابتغاء ما تبذخه من خير ، واستهداف
ما تهدف إليه من صالح الجماعة . والسيرة العملية للقائد . والقدوة ، أقوى تأثيراً في نفوس
الأفراد من قوة السيف ، وضغط الحديد والناو بها يقرع القائد أشمخ آتاف المخالفين
الذين يبتغون العاجلة ، ويفضلون مصالحهم على مصلحة الجماعة ، ولنتظر - رعاك الله ورعائي -
ماذا فعلت القدوة الحسنة في العام الخامس عشر من الهجرة ، عام الجماعة التي اجتاحت
أرض العرب ، الجماعة التي ألصقت أيدي المسلمين بالتراب . حتى سموها عام : عام الرماد
أو الرمادة !! هال الأمر عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، وفي يديه ذهب الدنيا وخيرها ،
ولو شاء نعيمها لأغرقه فيه أصغر أمراءه في الشرق أو الغرب ، ولكن الرجل أقسم بالله
لا يذوق سمناً ولا عسلاً ، ولا لحماً ولا شحمًا ، ولا يطعم غير ما يطعم المسلمون حتى يحيا الناس .
ولعل كلمته : حتى يحيا الناس ، ترشدك إلى أنها كانت جماعة مميّنة فتاة ! وظل عمر مقبلاً على
قسمه : حتى هزل جسمه ، وشحب لونه ، واعرورق وجهه ، فاجتمع كبار الصحابة : سعد
والزبير وغيرهما من زعماء القوم ، وقرروا أن يحملوا الخليفة على التحلل من قسمه لأن
حياته ملك للمسلمين لاله . ثم ذهبوا إليه ، وخاطبه في ذلك سعد فقال : يا أمير المؤمنين
تبلغ ببعض الأدم لمصالح المسلمين ، خيانتك خير لهم وبركة ! فصرخ عمر في وجوههم قائلاً :
أوقد قلعموها ؟ لا والله لا أذوق شيئاً مما ذكرت ، لا أشبع الله بطن عمر إن أكلت
مالاً يأكل الناس ، بنس الحاكم أنا إن شبعنا وقد جاع الناس !! لم إذن كنت إماماً ؟ وكيف
أصلح للناس قدوة ، إذ لم يمسسني ما مسهم ، ولم يصبني ما أصابهم ؟ ثم انظر إليه وهو
يوصي عامله الأشعري بأن يكون خير قدوة للناس : وإياك أن تكون كالبيعة مرت بواد
خصيب فجعلت همها في السمن ، وما درت أن حتفها في السمن ، ولقد استقام له الأمر ،

فاستطاع أن يربط عزة المسلمين بأسباب السماء ، وكانوا خير أتباع لخير قدوة ، جعلوه مثاهم وإمامهم في كل شيء فعزوا به ؛ واعتز بهم جميعا دينهم ووطنهم !!

وليس الحكم في الحقيقة غير هذه القيادة الرشيدة - لأنه كما يقولون : مأخوذ من حكمت الدابة أى ضبطت سيرها ، ووجهها إلى الخير والرشد ، فإذا لم يكن الحكم كذلك فهو تحكم لا حكم ، تحكم يقوم على الاستعباد والاستغلال .

ومنذ صار حكم المسلمين تحكما ، أى منذ اعتقد الحكام أنهم أسمى وأرفع من المحكومين ، وأن الحكم حق وراثي لهم يرثونه مع المتاع والضياع عن آبائهم ، منذ صار الحكم ملكا لاصلة له بالدين . منذ ذلك الحين والشرق الإسلامى بصفة خاصة ينعن في الانحلال ، والتحلل من المثل الرفيعة جريا وراء الملوك المنحلين ، والأمراء الفاسدين ، فكانوا لقمة سهلة على المستعمرين . إن نظم الحكم في بلاد المسلمين عامة ، نظم فاسدة ، لا تتفق مع طبيعة الشرق ولا مقررات الإسلام في الحكم والقيادة ، هى نظم مسيحية ، أخذها المخدوعون من المسلمين عن الغربيين ، ليتبعوها عن مقررات الإسلام في الحكم والتوجيه ، لأن ذلك في نظرهم «رجعية» وجود على الإلف . ولأننا في عصر نور وتجديد ، ولا يصح منا أن نقول ما عابه الإسلام على أهل الجاهلية « إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون ، ولم يعلم هؤلاء أن الغرب قد أخذ الأسس التي بنى عليها حياته السياسية عن الإسلام ! هم لم يأخذوا الإسلام وإنما أخذوا منه ما ينفعهم على الرغم من عداوتهم للإسلام ، فما بالناس نأخذ عنهم أسوأ ما عندهم ، ونقتطع مما أخذوا أصله من عندنا ، وعندنا نحن الأصل الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لقد ثبت منذ عشرات السنين فساد الآثرة كنظام للحكم في الشرق الإسلامى ، كما ثبت ظلمه وخلقه للمشاكل بين المحكومين ، وكما ثبت فساد الحكم الذى يستند إلى الديكتاتورية البرلمانية ، سواء كان لونه ملكياً أو جمهورياً .

كذلك لا يستند الحكم في الشرق إلى العناصر الطبيعية ، فكما فقد عنصر القدوة ، فقد عنصر الألهية ، ولا نعى بالألهية الكفاية والقدرة ، وإنما نعى الألهية الفطرية ، وهى أن يكون حاكم الإقليم من أبنائه وأهله ، كما فقد عنصر الانسجام والتجاوب بين الحاكمين والمحكومين . وإذا كان الإسلام هو الطابع العام للشرق فإن نظم الحكم فيه تتجافى مع نظام الإسلام . وسنعرض لذلك كله بالتفصيل في كلة تالية ، والله يوفقنا إلى الحق ويهدينا إلى الرشده .

محور فياض

مَوْلِدُ مَنْقِذِ الْإِنْسَانِيَةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ

١

في فجر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل ، أو لتسع ليال مضت منه ، كما يذهب إليه الكثير من الباحثين (وذلك يوافق العشرين من شهر أبريل عام ٥٧١ م) .

في هذه اللحظات الحالدة في تاريخ البشرية ، ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي ، ولد الطفل الذي هتفت بذكره الأراجاء ، وسبيل موافقه الرائعة التاريخ ، وأنصت لحديثه الدنيا ، واهتزت لأنباء جهاده في بلاد العرب وما حولها الأمراء والملوك والأكاسرة والقيصرة ، وآمنت بمبادئه وكبرت لشريعته الحياة والناس أجمعون .

ولقد ألهم الله أمه آمنة أن مصير العالم سيكون بعد قليل في يدي طفلها الوليد هذا ، وأن اسمه سيحتل الصفحات الأولى في سجل تاريخ الإنسانية ، وأن عصوراً جديدة توشك أن تبدأ ويكون بطلها الأول محمد بن عبد الله . . فأرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام ، فأتاه فنظر إليه وحديثه بما في قلبها وما تزدحم به مشاعرها من شتى البشرىات ومختلف الذكريات ، فأخذ عبد المطلب طفله ودخل به السكبة ، وقام يدعو لله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، وقال لها : لقد سميت محمداً ليحمد في الأرض والسماء . . وفي اليوم السابع لمولده ختنه جده كما كان العرب يفعلون .

والتمس عبد المطلب لطفله مرضعاً من نساء البادية ، وكان من عادة العرب أن تلمس المرضع لأولادها في البادية ؛ فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر ، وهي حليلة ابنة أبي ذؤيب ، وكان زوج حليلة هو الحارث بن عبد العزى وكان يكنى بأبي كبشة ، وكان لإخوة محمد من الرضاعة : عبد الله بن الحارث وأنيصة بنت الحارث وخدامة بنت الحارث .

وأقام محمد مسترضعاً فيهم قريباً من أربع سنين ؛ وكانت حليلة تحدث أنه ما حملها على أخذ هذا الطفل اليتيم لتقوم برضاعه إلا أنها لم تجد غيره ، وأنها قالت لبعلمها وهي في مكة

تبحث عن طفل تذهب به : ، والله إنى لا كره أن أرجع من بين صواحي ، ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه ، ، فقال لها زوجها : ، لا عليك أن تفعل ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، ؛ فذهبت إليه فأخذته ، وكانت حليلة ترى الخير والنماء والبركة منذ مقدم هذا الطفل إلى حياها ؛ وكان محمد يشب شاباً حسناً ؛ وكان رضاعه عامين فلما نفدا وفدت به على أمه بمكة ترجو أن ترجع به ليقيم معها في البادية زمناً آخر ، فلما مضت أشهر معدودة من عودته مع حليلة ذهب ليلعب مع أخيه خلف البيوت ، وسرعان ما قدم أخوه إلى أمه حليلة يشتد ، وهو يقول لها ولأبيه : ، ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثيابٌ بيض ، فأضجعا ، فشقا بطنه ، فهما يسوطانه ، فخرجت حليلة وبعلمها نحوه ، فوجداه قائماً منتقع الوجه ، فالتزمته والتزمه أبوه ، فقالا له : ، مالك يا بنى ؟ ، قال : ، جامنى رجلان عليهما ثيابٌ بيض ، فأضجعا ، وشقا بطنى ، فالتسا شيئاً لا أدري ما هو . تخافت حليلة وزوجها على محمد .

ولما عادت به إلى مكة ، قصت على أمه قصته ، فقالت آمنة لحليمة : ، إن لابنى لشأناً ، ولقد رأيت حين حملت به نورا خرج منى فأضاء لى قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل حاملة قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لو اضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء ؛ دعيه عنك وانطلق راشدة .

٢

وأقام الغلام مع أمه في كلامة الله وحفظه ، ينبت الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته . فلما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنة بالابواء بين مكة والمدينة ، وكانت قد قدمت به على أخواله من بنى عدى بن النجار تزيه لإياهم ، فماتت وهى راجعة به إلى مكة ؛ واستمر في كفالة جده عبد المطلب يرعاه ويحبه ، ويجلسه معه على فراشه في ظل الكعبة وبنو عبد المطلب يجلسون حول الفراش ، لا يستطيع أحد منهم الجلوس عليه مع عبد المطلب وطفله محمد ، وكان عبد المطلب يقول : ، دعوا ابنى فوالله إن له لشأناً .

ولما بلغ الغلام ثمانى سنين مات عبد المطلب بن هاشم ، وورث مفاخره ابنه العباس ، وصار محمد بعد عبد المطلب في كفالة عمه أبى طالب .

وكان أبو طالب سيداً من أجل سادات قريش وبنى هاشم ، وكان الناس يتنبأون أمامه بمستقبل جليل لهذا الغلام الصغير ، وأنه سيكون له شأن وأى شأن . ولما سافر بمحمد

إلى الشام في تجارته ، وقابله بحيرا الراهب قال بحيرا لآني طالب : ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم .

وحفظ الله محمدا وعصمه من أقدار الجاهلية ، وصار أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأبعدهم عن الفحش والدنس ، وأكثرهم أمانة ، حتى سماه قومه « الامين » .

وغاض مع قومه حرب الفجار وهو في الخامسة عشرة من عمره ، واشترك في حلف الفضول على نصرة المظلوم ، وتزوج خديجة بنت خويلد الأسدية وهو في الخامسة والعشرين من سني حياته الميمونة ، وهدمت قريش الكعبة لتجدد بناءها واختلفوا فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه فكان محمد الحكيم بينهم ، وارتضى حكمه الناس جميعا ، وكان إذ ذاك في الخامسة والثلاثين .

وكان يعبد الله على الحنيفية البيضاء دين إبراهيم وإسماعيل ، ويتعبد في غار حراء الليالي ذوات العدد ، فلما بلغ الأربعين اختاره الله لرسالته العظمى ، واصطفاه ليحمل أمانة الله ووحيه إلى الناس كافة ، وليكون خاتم المرسلين وخير النبيين ، ونزل عليه جبريل بالوحي وهو في حراء يوم الاثنين لسبعة عشرة ليلة خلت من رمضان (٦ أغسطس ٦١٠ م) وعمره إذ ذاك أربعون سنة وستة أشهر وثمانية أيام .. قال له جبريل :

اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، قال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، » وسمع الصوت مجلجلا في السماء : « يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ، .

وبلغ محمد قومه رسالة ربه ، فأمن من آمن ، وجحد من جحد ، وظل يدعو إلى الله سرا ، وهو في قومه ، ثلاث سنين ، أجابه فيها عدد قليل من الرجال والنساء والأطفال والمستضعفين ، ثم جهر بالدعوة ، وصمد لإيذاء قريش عشرة أعوام أخرى ، ثم هاجر من مكة إلى المدينة مبشرا بدين الله ، وداعيا إلى شريعة الإسلام والحق والخير والمساواة .

٣

وانتصر محمد في المدينة في معارك كثيرة : انتصر في حربه مع المنافقين واليهود والذين يعملون على وأد الإسلام دعوة الحرية والطمح والسلام ؛ وانتصر في حربه مع الشرك والوثنية ففتح مكة وحطم الاصنام والأوثان وجعل كلمة الله والتوحيد هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ؛ وانتصر في الحروب التي فرضتها عليه القبائل العربية فزق الحصار

تلول الحصار عليه وعلى جيشه الظافر ؛ وانتصر في الميدان السياسي انتصاراً باهراً ، فجمع العرب كلها في وحدة واحدة وتحت ظلال سياسة إسلامية كريمة واضحة الأهداف والنزعات الإنسانية العالية : وانتصر في ميادين الإصلاح والاجتماع ، فألف بين القلوب ، ودأبى المزمّن من الأمراض ، وأطفأ نزعَات القلوب واستل ما طويت عليه من حقد وخصومة ولمحّن .

وأقام اشتراكية بارعة تجمع بين الغنى والفقير برابط المحبة والتعاون والإخاء ويشارك
الفقراء فيها الأغنياء ، والأغنياء الفقراء ، مشاركة فعالة ملهمة حافزة على العمل لخير المجموع
الإنسانى وسعادته ، وأقام المجتمع الإسلامى على أصول متينة قوية لا يعتريها الضعف والوهن ،
أصول تجمع بين النظام والحرية والشورى والإيثار والتضحية وحب الجماعة وتقديس حقوق
الفرد ، وبين العدالة والإنصاف والحرص على كرامة الناس وطمأنينتهم ورفاهيتهم وتقدير
كل ذى كفاية وموهبة وكل عامل يعمل الواجب ويشعر بالمسؤولية ويقدر مصالح الناس
وحقوقهم . وحارب محمد الفقر والجبل ، ودعا إلى أنبل الأخلاق وأسمى الفضائل وأكرم
الأعمال ، وقضى على الفساد فى مختلف ألوانه ، وطهر الحياة من الأدران والآثام
والفوضى والاستغلال ، ونشر دين الله ، وبشر بكتاب الله ورسالته ، ووجه العرب
للدعوة الامم إلى هذه الشريعة المطهرة ، وتلك العقيدة السكرية ، فلم تمض أعوام قلائل
بعده وفاته ، حتى فتحوا الشام ومصر والعراق وبلاد الفرس ، ثم أخذوا يسبحون فيما
وراء هذه الاقطار ، داعين إلى كلمة الله ، محطمين للأغلال والوثنية والشرك والاستعباد ،
ناشرين العدالة بين الامم كافة ، موضحين بكل عزيز لديهم فى سبيل إنقاذ البشرية وهداية الإنسانية ؛
كل ذلك بدافع الإخلاص لله ولرسوله الكريم وليكتابه الحكيم .

فما أعظم هذا الرسول العربي الأيُّ الذي بدَّل سير التاريخ ، وحوَّل مجرى الحياة ، وقضى على عصور الوحشية والجاهلية المظلمة ، وحارب كل استغلال جشع ، وإقطاعية مفترسة ، وهمجية متممرة ، ووثنية مضالمة .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ما أضاء النهار وأظلم الليل ؛ وهدى به أمته إلى خير الأعمال والعقائد ، وإلى سعادة الأولى والآخرة ، إنه أكرم أمول ، وأجل مشرول ، وما توفيقنا إلا بالله ...

محمد عبد المنعم قفاصی

المدرس بكية اللغة العربية

رُوضَةُ الشَّعْرِ فِي مَوْلِدِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ

عَلِمْتَ بِالوَحْيِ لَا بِالْوَحْيِ وَالْقَلَمِ
بِهِ طَلَمْتَ كَشَمْسٍ غَيْرِ آفَلَةٍ
يَا أَكْرَمَ النَّاسِ، مِنْكَ الْجُودُ مَقْتَبِسٌ
فِي بَيْتِهِ كَانَ فِيهَا الْجَهْلُ مَنْتَشِرًا
وَالْخُرُ رَأْسُ نَجْمَةٍ وَالْفُسْقُ مَشْتَهَرٌ
كَنتَ الْبَعِيدَ عَنِ الْإِثْمَانِ تَبْغِضُهَا
كَنتَ الْعَفِيفَ عَنِ الْفَحْشَاءِ تَمْتَقُّهَا
وَالْخُرُ مَا عَرَفْتَ يَوْمًا لِسُكْمِ شَفَةِ
هَذِي بِدَايَتِكُمْ بِالْفَضْلِ نَاطِقَةٌ

* * *

وَفِي حَرَاءِ أَمِينِ الْوَحْيِ جَاءَكُمْ
وَضَمَكُمْ ضَمَّ لِعَسَدَادٍ وَتَهْمِيَةٍ
وَلَا بَنَ (نُوفِلَ) تَصْدِيقُ بِيَعْتَشِكُمْ
عَدَلْتُ قَبْلَ نَزُولِ الْوَحْيِ فَاحْتَكَمْتُ
فَاحْكُمْ بِهِ حَكْمُكَ الْمَأْمُورُ مِنْ خَطَا
فَفِي كِتَابِكَ أَسْمَى مَا يَهْدِينَا
وَفِي حَدِيثِكَ جَلَّ اللَّهُ مَلْهَمُهُ
وَمِنْهُمَا دَامَ نُورُ الْحَقِّ مَرْتَفَعًا
رَفَعْتَ لِلْحَقِّ فِي الدُّنْيَا مَنَارَتَهُ

محمد عبد القادر

واعظ القاهرة

مملكة تَقْلِي

١

في الركن الجنوبي من مديرية كردفان ، توجد منطقة جبلية ، تسكنها قبائل النوبا . وفي الركن الشمالي الشرقي من هذه المنطقة توجد جبال تقلى ، حيث نشأت مملكة تقلى في أواسط القرن السادس عشر ، تلك المملكة المجيدة التي نشرت الإسلام في هذه الاصقاع الوعرة النائية .

وجبال تقلى تطلق على مساحة من الأرض ، يباغ اتساعها أربعين ميلاً مربعاً ، وتقع فيها الآن قرى كيريا Keraia ، والهوى el Hoi ، وتاسى Tasi ، وجوليا Julua . وهذه البلاد جاذبية ، حتى في فصل الجفاف ، حيث يكون كل شيء عارياً ، لا لون له . ولكنها تستكمل سحراً في فصل الأمطار ، عندما تنمو الحشائش القصيرة ، وتسكتسى الأرض بشوب سندسى أخضر . وبجانب ذلك ، توجد الغابات السكيفة الناعمة الخضراء ، التي تنمو في سفوح التلال ، والتي تخترقها الاودية ، بينما تتناثر هنا وهناك بعض الزراعات التي تعرض أمام العين منظراً حياً جميلاً . والمياه هنا ، ليست شحيحة ، بل يوجد كثير من المجارى المائية التي تنحدر في مسارب عميقة فوق الصخور . وتلتقي هذه المجارى المائية ، بالآخوار الرملية ، في السهول الخلفية . وعقب سقوط الأمطار تبدو لنا مناظر المساقط المائية من بعيد .

وتنحدر جبال تقلى تدريجياً نحو الشمال ، حيث تتلاشى في سهل يمتد بعيداً نحو جيزان Geizan . كما تنحدر هذه الجبال انحداراً فجائياً نحو الشرق إلى دار الاحامدة ، وتمتد الوديان الخصبة من التلال إلى السهول مقدمة الماء والمرعى لقطعان الماشية والإبل في فصل الجفاف . ويزرع في هذه الوديان كثير من الحاصلات مثل الجوز الأرضي والدخن والقطن والذرة والشليك والبصل ...

ومنذ أربعةائة عام تقريباً ، وفي جبال تقلى ، أنشأ رجل فقير من إحدى القبائل النهرية ، هذه المملكة القديمة ، التي ذاعت شهرتها في السودان الشمالي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وهذه المملكة هي موضوع البحث الذي نقده اليوم . ولقد نسل من ذرية هذا الرجل تسعة عشر ملكاً ، حكموا البلاد حكماً متصلاً ، لم يقطعه شيء ، منذ ولى الحسك دجيل أبو جريدة ، وهو ابن ذلك الرجل الفقير ، آدم النيل جيلي ، .

واستطاع ملوك تغلى ، فى وقت من الأوقات ، أن يبدسطوا سلطانهم ، على جبال النوبا الشرقية ، من د أبى جبل ، فى الشمال إلى د تالودى ، فى الجنوب .
واعترف بسلطانهم ، كثير من القبائل العربية ، التى كانت تدخل هذه المنطقة من آن لآخر . واستطاع هؤلاء الملوك ، أن يقاوموا بنجاح الحكومة التركية فى السودان سنين عديدة ، وظلوا على الدوام شوكة فى جانبها . وبلغ من علو قدر هؤلاء الملوك ، أن الوافدين على مملكتهم من الشمال ، كانوا يخاطبونهم بقولهم : الله يطول عمرك . . وكان لتشجيع هؤلاء الملوك للهجرة والاستقرار فى سنى حكمهم الأولى ، أثر كبير فى تعديل بعض عادات رعاياهم الدينية والاجتماعية .

وهؤلاء الملوك أدخلوا فى الإسلام جماعات النوبا ^(١) التى كانت صارمة الوثنية ، والتى ينتمى إليها النوباويون الحاليون ، ثم لم يكتفوا بذلك بل صاهروهم ، واختلطوا تقريباً بكل العناصر فى السودان الشمالى . ولم يبق عنصر نوباوى خالص الآن ، إلا القبائل التى تقطن د جبال السكجا بكجة . . وكان معظم الدم الخارجى فى تغلى نفسها ، جهلى ، وغيره من دماء القبائل النهرية . كما نجد عنصر الفوننج ، وغيره من الاجناس الاخرى الغربية الآتية من دارفور وماوراءها ، ومجموعات عربية صغيرة مستقرة من البديرية والجوامعة ، وبطون بأجمعها من قبيلة السكواهلة وكنانة .

وبالرغم من أن سكان مملكة تغلى كانوا مزيجاً من عناصر مختلفة ، فإننا نجد لهم طابعاً خاصاً يعزى إلى تأثير أجيال متتالية من حكم هؤلاء الملوك الوراثيين الأقوياء المطلقين . ولم تكن دولة هؤلاء الملوك ديمقراطية ، بل كانت أوتقراطية خالصة بسيطة . وكانت كل السلطة والقررة مركزة فى يد الملك نفسه ، يدير مملكته بواسطة موظفين اثنين ، كانت وظيفتهما وراثية ، وأشهرهما يلقب د بالجندى ، وكان يصرح لهذا الموظف فقط بمقابلة الملك ، فى أية ساعة من ساعات الليل أو النهار . ولم يكن يصرح لأحد بمقابلة الملك إلا عن طريقه ، كما أنه كان مسئولاً عن سلامة الملك ، يشرف على مجموعة د المسكوك ، فى الجنوب ، وعن طريقه ، تقدم هداياهم وما عليهم من ضرائب إلى الملك . أما الموظف الآخر فيلقب د بالسوكاراوى Sokarawi . . ولم تكن علاقة هذا الموظف بالملك وثيقة كعلاقة الجندى به ، وهو مسئول عن أجزاء المملكة فى شمال وشرق تغلى . وبعض

(١) قبائل النوبا غير سكان بلاد النوبة التى فى جنوب مصر .

ملوك تقلى كانوا يتخذون وزراء ، يلقون إليهم بكثير من السلطة ، وهؤلاء الوزراء من أقرباء الملك . وعبء انتخاب الملك ، إذا كان هناك أكثر من مرشح واحد ، يقع على عاتق الجندى ، ولم يكن أحد ليستطيع الاعتراض على سلطة الملك المطلقة ، أو مركز عائلته الرفيع . ولم يكن نتيجة ذلك فقط ، الاتحاد الواضح بين أجزاء المملكة ، واختفاء الفوضى من أى لون كانت ، بل صحب ذلك أيضاً ، تجانس فى عادات وطرق معيشة الناس جميعاً . وكان هذا هو المعنى الجليل الذى خلد اسم تقلى فى العالم ، بحيث كان الشخص يفضل أن يدعى تقلاوياً — إذا كان ثمت ما يدعوه إلى ذلك — على أن ينسب نفسه إلى قبيلته الرئيسية .

وسكان تقلى جميعاً يتصرفون بالذكاء ، وهم فلاحون كادحون ، يجدون اللذة كلها فى زراعة محصولات جديدة ، ولا يحتقرون الطرق المستحدثة التقدمية . وهم إلى جانب ذلك مشغوفون بالتعلم ، ويستحسنون الوسائل الطبية . ولم يكن خضوعهم التام للملك ، نتيجة أفق ضيق ، ولكن لطول ما لازمت الصفة الارستقراطية التقليدية بيئتهم الحاكم . وهذا فى حد ذاته علامة على تميز جنسهم ، ودليل على التقدم لا التأخر . ومثل هذا النظام ، الذى تعنى فيه السلطة تقدير المسئوليات أكثر مما تعنى خلق أدوات جديدة ، يكون أساساً ثابتة لتقدم المملكة ورفاهية أهلها .

أما عن الإسلام فى تقلى ، فقد عرف الإسلام هنا على يد هذا الرجل الجلى الفقير ، الذى أسس المملكة واصل منه ملوك تقلى الذين حكموا أربعمائة عام . والإسلام هو العنصر الفعال فى تطور تاريخ هذه المملكة . وليس من العسير على أى زائر لتقلى اليوم أن يتبين أهمية الإسلام فى حياة أهلها . فى كل قرية هامة يوجد مسجد ، وهو مكان لحفظ القرآن وللصلاة ، يقوم ببناؤه رجل محسن ذو مركز ملحوظ ، ثم يقوم نسله على خدمته من بعده . وجميع أهل تقلى دينون بطبعم . وتعتبر تقلى قلعة من قلاع الإسلام الحصينة ، ويتبع الأهالى كثيراً من الطرق الدينية ، ولكن أغلبهم يتبع طريقة الشريف يوسف الهندى . وإلى مقال قادم نتابع فيه الحديث عن هذه المملكة ، ذات الشأن الخطير فى تاريخ الإسلام بالسودان .

عبد المتعم محمد السنج

مدرس أول الآداب بمعهد الزقازيق

الكتاب

درجات الناس

هو كتاب نفيس لفضيلة الاستاذ الشيخ طه محمد الساكت ، وهو أعرف من أن نعرفه إلى قراء مجلة الأزهر ، لأنه من أركان تحريرها من سنين كثيرة ، وهو يتصل بقراءتها في كل شهر حول سنة رسول الله ﷺ ، فإذا ألف كتابا ليتكلم فيه على درجات الناس فإن أول ما ينظر به إلى درجاتهم ، المقاييس التي قررتها سنن الإسلام ، وعمل بها أهله الأولون من الصحابة والتابعين .

والمؤلف : يرى أن سبب مصائب المسلمين ، أنهم فقدوا قاعدة التناصح والتواصي بين الراعي والرعية إلا رسوما ومظاهر لا تغني فتيلا ، وقد ضرب الأمثلة لذلك من التاريخ وقرر قاعدة الإسلام ، كما تكونون يولى عليكم ، . وقال في درجات الأفراد ما قاله فيهم السنة المحمدية ، الناس كالإبل المائة لا تجد فيها راحلة ، ووصف المثل السكامل الذي رسمه الإسلام وقال إن الكمال درجات ، والامم أيضاً درجات كما أن الأفراد درجات . وذكر فضل الصحابة والأدب معهم ، ونوه بمقام التابعين وأتباعهم . ولو شئنا أن نمضي في كل ما تعرض له المؤلف بما به صلاح الراعي والرعية لاحتجنا إلى نشر كتابه كله ، ولسكتنا نحيل القارئ عليه ، وننصح له بإطالة التأمل فيه . ومن مظاهر التقدم في الوعي الإسلامي أن هذا الكتاب تنشر منه الآن الطبعة الثالثة ، مع أن طبعته الأولى قريبة العهد بالناس . وقد جاءت هذه الطبعة في ١٢٧ صفحة كبيرة . فتحث القراء على مطالعته .

تاريخ العراق لابن سمن

والاسم الذي يعرف به تاريخ العراق لابن سمن هو (مطالع السعود) سجل فيه أحوال العراق في خمسة وخمسين عاماً ، من سنة ١١٨٨ إلى سنة ١٢٤٢ ، وما مضى عليها في تلك المدة

من أحداث في حواضرها وعشائرها ، وفي عاصمتها بغداد والمنطقتين التابعتين لها في الشمال والجنوب ، وهما منطقة الموصل وتكريت وبلاد الكرد ، ومنطقة البصرة والمنفك وعشائر العراق . وكان المقصود بهذا التاريخ تسجيل أحداث ولاية داود باشا الذي كان من وجوه كثيرة مشابهاً لمحمد علي في موقفه وآماله في مصر ، لكن ابن سند بدأ بتاريخ العراق من سنة ولادة داود باشا ، فذكر فيه أخبار الولاة الذين كانوا من سنة ١١٨٨ ، فجاء تاريخه حلقة ثمينة في سلسلة تاريخ العراق ، ولما كان المؤلف شاعراً ، فقد امتثل تاريخه بشعره وشعر غيره ، فرأى الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدرس في الحرم النبوي الشريف في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، أن يحذف منه القصائد ليكون مقتصرأ على الحوادث فجاء ، هذا المختصر جامعاً مفيداً . وكان الحلواني قد طبعه في الهند سنة ١٣٠٤ هـ ، وأصبحت نسخته الآن أندر من المخطوطات ، فتولى رئيس تحرير هذه المجلة تحقيقه والتعليق عليه ، ووضع الفهارس المتعددة له ، ونشره أخيراً مصدراً بترجمة ابن سند ، وترجمة للشيخ الحلواني ، فجاء في ٢٣٠ صفحة حافلاً بما يصور حالة العراق في المدة التي استقصى أخبارها .

رسالة الصلاة للإمام أحمد

صلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله مع قوم فرآهم يسيثون في صلاتهم ، ويسابقون إمامهم في الركوع والسجود والخفض والرفع ، فكتب إليهم هذه الرسالة يعظم لهم أمر الصلاة ، وأنها حق الله على عباده ، وأن من أقام ما بينه وبين الله على وجهه الذي أمر به فهو على إقامة ما بينه وبين الناس أقدر ، ومن استهان بها فهو بما بينه وبين الناس أشد استخفافاً واستهانة . وبعد أن أورد لهم النصوص من سنة رسول الله ﷺ على ما ينبغي للمسلم من إقامة الصلاة وحسن أدائها قال في آخرها : « رحم الله امرأ احتسب الاجر والثواب ، فبث هذا الكتاب في أقطار الأرض » .

ولم فريقاً من الشباب الجامعي عن ألفوا « لجنة الشباب المسلم » ، أرادوا أن يكون لهم نصيب من الدعوة الصالحة التي ختم بها الإمام أحمد رسالته ، فبادروا إلى طبعها طبعاً جميلاً ، وعهدوا بتصحيحها ومراجعتها إلى الأستاذ محمود محمد شاكر فجاءت في ٦٤ صفحة صغيرة . وهي مما لا يستغنى عن قراءته مسلم .

النشاط الثقافي للأزهر

المقارنة العلمية بين الشريعة والقوانين

وقد تفرعت إلى شعبتين أصليتين (شعبة
الدرس) و (شعبة البحث) ، والشعبة الأولى
يقوم بها هيئات التدريس في الكليات والمعاهد ،
وأما الشعبة الثانية فتتولى البحث والإنتاج
خارج النطاق المدرسي . وهي تتفرع إلى أغراض
كثيرة ، من بينها القيام بدراسة واسعة للمقارنة
بين الشريعة والقوانين الوضعية في جميع المواضيع
المشتركة بينهما ، واستنباط الأصول الكلية التي
يلزم التحاكم إليها في الفصل بين السنة والبدعة ،
وتطبيق هذه الأصول على العادات الجارية ،
تطهيراً للشريعة مما ألصق بها وليس منها .
وقد رأت اللجنة مراعاة التنظيمات الآتية :

١ — يعد للجماعة مكان مناسب يتسع
لاجتماعاتها ، ولنشاط اللجان المختلفة التي تؤلفها ،
بحيث يكون بمثابة (المجمع العلمي الأعلى للأزهر)
٢ — يزود هذا المكان بمكتبة كاملة ،
مجهزة بالمؤلفات القديمة والحديثة والصحف
ليستعين بها الباحثون في مختلف المسائل .
٣ — رئيس المجلس هو رئيس الجماعة ،
وله نائبان وسكرتير فني .

٤ — أعضاء المجمع الاساسيون هم أعضاء
الجماعة . ويحسن أن يضم إليهم أعضاء مندوبون
أو مراسلون من مشاهير علماء مصر والعالم
الإسلامي .

كان بعض أعضاء جماعة كبار العلماء
قد اقترحوا ، قبل نحو عشر سنين على مشيخة
الأزهر ، تأليف لجنة منهم للقيام ببحوث
في المقارنة العلمية بين الشريعة والقوانين ،
وتألفت بالفعل لجنة لذلك . ثم تجدد هذا
الاقتراح في عهد الشيخ مأمون الشناوى
- رحمه الله - ولم تنته هذه الاقتراحات إلى عمل
منظم ، لأنها لم توضع موضع التنفيذ حتى الآن .
وأخيراً أقدم بعض أعضاء جماعة كبار العلماء إلى
المشيخة بمثل هذا الاقتراح ، فعرض ذلك على
الجماعة ، ورأت جماعة كبار العلماء أن تحيل هذه
المقترحات إلى لجنة من أعضائها للبحث ودراستها .

ومما تعنى به المشيخة كذلك محاربة البدع
الضارة بعقائد المسلمين ، وهي آخذة بسبيل
ذلك من تعريف هذه البدع وتحديد
وتعيين الطرق التي تحارب بها . وهي موقنة
بأن العهد الجديد يؤيدها في ذلك ويعينها
على إنقاذ الأمة مما ابتليت به من بدع وخرافات ،
لأنها من صميم البرنامج الإصلاحى .

وهناك أمور ألحقت بالعقائد وليست منها ،
ومن أهم واجبات الأزهر ، بيانها للناس ،
وإرشادهم إلى العقائد السليمة التي جاء بها الدين .
ولهذا وذاك تألفت من جماعة كبار العلماء
لجنة تسمى (لجنة تنظيم النشاط العلمى للجماعة)

الأدب والعلم في شهر

العربية في باكستان

قررت لجنة السكتب المدرسية في وزارة المعارف لمقاطعة دهاولبور، من بلاد باكستان أن يكون تعليم اللغة العربية إجباريا في مدارس المقاطعة .

جماهير المسلمين تعتمد في التفاهم — إلى حد كبير — على اللغة الأوردية . وفي مقابل ذلك تحاول حكومة الهند أن تستفيد من معارف المتخصصين بالسنسكريتية لأجل تعميمها وتيسير الانتفاع منها في الحياة العامة .

مؤتمر اللغة السنسكريتية

تحتفل مدينة بومباي (ثغر الهند) عند مثل هذا الجزء للطبع بعقد مؤتمر لغوي عظيم يشترك فيه نحو مائتي عالم متخصص باللغة السنسكريتية القديمة ، لتيسير نشرها والانتفاع بها في حياة الهند الجديدة .

المبين والاعظم في المدارس أقامت مدرسة القبة النموذجية الثانوية حفلا خاصاً بجملة من آباء التلاميذ عددها خمسة عشر والداً ، يختارون بالاقتراع ، للتشاور معهم في شئون المدرسة بمناسبة العام الدراسي الجديد . وقد كان من أعضاء هذه اللجنة - منذ العام الماضي - الرئيس اللواء محمد نجيب ، وبالرغم من كثرة أعماله حرص على حضور هذا الحفل الذي خطب فيه ناظر المدرسة والدكتور مهدي علام وكيل كلية الآداب بجامعة إبراهيم ، ثم تكلم الرئيس اللواء محمد نجيب فقال :

واللغة السنسكريتية بالنسبة إلى الهند تشبه من وجوه كثيرة اللغة اللاتينية بالنسبة إلى لغات أوروبا .

• يلذ لي أن أتحدث عن التعليم فإنه من أحب الموضوعات إلى قلبي لسببين : أولهما أنني بدأت دراستي بدراسة التربية والتعليم ، فقد كان التخصص يبدأ من أول المدرسة الثانوية في السودان حيث تعلمت ، وأردت أن أدرس

ولما كانت الهند كثيرة اللغات بحيث لا يتفاهم أهل لغة منها مع أبناء اللغات الأخرى ، فقد كانوا في عهد الاحتلال البريطاني الذي انتشرت فيه اللغة الإنجليزية بين جميع المثقفين وأصحاب المصالح في الحكومة ، قد اتخذوا من اللغة الإنجليزية لغة مشتركة للتفاهم ، وفي الوقت نفسه كانت

ولهذا فأما مندهش من أن هذه المدرسة ليس بها مسجد . وأنا لإيماني بأن الدين أساس الاخلاق لا أمانع في تدريس الدين ، حتى الدين اليهودي ، بشرط أن يكون في أيد أمينة ، أيد تعتبر الوطنية من دينها فإن الدين شيء والتعصب الديني شيء آخر . وأنا أحب أن نقيم الاخلاق على تعاليم الدين .

السكيات العملية لا النظرية

اجتمع مندوب المصري في الإسكندرية بوزير المعارف وهو يغادر مصر إلى باريس لحضور مؤتمر اليونسكو ، فسأله عن بعض شئون التعليم والمعارف ، ولما سأله عن جامعة محمد علي التي لم يتم إنشاؤها بعد ، قال له الوزير : من رأي أن نبدأ بإنشاء السكيات العملية لا السكيات النظرية ، وذلك لأننا في عهد يحتاج إلى التصنيع والإنشاء والنعمير وهذه السكيات تحتاج إلى معامل وورش لا يمكن أن تتم قبل عامين على أقل تقدير .

الفردية والوعي الاجتماعي

يقول الدكتور محمد جمال صقر في مقال له عن عيوب المدارس المصرية : إن الأطفال فيها يجلسون في الفصل جنباً إلى جنب كأنهم جمع لا رابطة تربط بين أفرادهم إلا مجرد الصدقة التي جمعت بينهم في فصل واحد . والمعروف عند المدرسين وعند التلميذ أن

لهندسة فلم أمكن من ذلك ، ووجهت إلى قسم المعلمين فدرست فيه أربع سنوات وكان مما درسته التربية وعلم النفس . والسبب الثاني أتى أرى أن التربية والتعليم هما دعامة كل تقدم في حياتنا .

ثم وجهه حديثه للمعلمين فقال : « إنكم من خيار الناس ، ولأنها فرصة من خير الفرص ، أستطيع فيها أن أفصح عن بعض ما في نفسي : لا شك أنكم أنتم الذين تضحون الاسس في الامة كلها ، وعلى أيديكم بناء أبنائنا ، وعلى قدر ما تكون متانة الاساس تكون متانة البناء ، فعليكم أنتم ببناء الامة .

« إن التربية هي إعداد التلاميذ لحسن التصرف في مواقف الحياة . ويجب أن يكون هذا هو هدفنا من التعليم . نريد من مدارسنا أن تخرج شبانا أقوياء أصحاب البنية قادرين على التفكير السليم متخلفين بالخلق الكريم . لا نريد شباباً ناعماً كالذين يلبسون الفمضان المشجرة فإن فيهم طراوة ورخاوة ، إنما نريد شباباً خشناً يستطيع مواجهة مواقف الحياة ومصاعبها ، حتى يستطيع الوطن أن يعتمد عليهم . لا نريد أن يكتبني شبابنا بمعرفة الفضائل بل يجب أن يتخذوها أساساً لسلوكهم .

« إن الدين أساس الاخلاق . ولقد تلقيت تعليمي في السودان في مدرسة كان يشرف عليها انجليز ، ومع ذلك فقد كان بها مسجد ،

طويل. وهذا هو الذى كان! ألا نقرأ فى كتب التاريخ التى بين أيدي التلاميذ يوما هذا العنوان: «مزايا الحملة الفرنسية على مصر»؟ أو هذا العنوان: «الإصلاحات التى تمت فى عهد الاحتلال»؟ وما ذا كانت السياسة الاستعمارية تملك أكثر من أن تسجل فى ضمير الناشئة أن الحملات الاستعمارية يمكن أن يكون لها مزايا، وأن تتم فى ظاهرها إصلاحات؟ ١٩.

ثم هذه العزلة المطلقة بين المدرسة وبين المشكلات الحية للشعب وللحياة القومية، وتحريم الدراسات السياسية والاجتماعية على المدرسة طوال هذا الأمد، وتحقير دين الشعب ومقوماته، حتى ليقف رجل ذو مركز خطير جدا اليوم فى وزارة المعارف، يقف يوما فى معهد التربية ليقول لطلابه الذين سيصبحون مدرسين: إن محمد ابن عبد الله كان مصروعا، وإن ما كان يسميه الوحى هو هذا الصرع الذى كان ينتابه.

إننا نخدع أنفسنا إذا اعتقدنا أن «دلوب» قد ذهب من وزارة المعارف، فإن شيخ دولوب لا يزال هناك... بل إن أشباح دولوب ما تزال قابضة فى كل مكان.

وواجبنا هو ألا نستسلم للبسطاء المريحة فى معالجة آثار الاستعمار الفكرى والروحى واقتلاع جذورها من الأساس، ولن نفتلح هذه الجذور إلا يوم أن يصبح المشرفون على تنشئة الأجيال المقبلة من المؤمنين بمصر والمؤمنين بمقومات الشرف.

القانونين الأساسيين السائدين فى تنظيم العمل المدرسى والبيئة المدرسية هما: «على كل أن يعمل لنفسه»، و«على كل فرد أن يسعى إلى سبق زملائه ما استطاع». ونظام هذا قوامه لا يعد الفرد إلا لمجتمع تفتش فيه الانانية، وإثارة النفس على الغير، والعمل على استغلال الآخرين للمصلحة الذاتية، والغالى فى حب الذات، وتسخير كل ما حول الفرد لإشباع الحاجيات الفردية، وما يستتبع ذلك من طرق باب الوسائل المشروعة وغير المشروعة للوصول إلى الغاية المرجوة.

أما التربية التى يجب أن نوجه إليها اهتمامنا، فهى التى تهدف إلى تنمية صفتين أو خاصيتين طالما ساد الاعتقاد بانهما متعارضتان، وهما: الفردية، و«الوعى الاجتماعى»، كى نستطيع التوفيق بين إمكانيات الطفل ومطالب المجتمع، وبين الخبرة الفردية والمثل العليا الاجتماعية.

سياسة التعليم فى وزارة المعارف

يقول الأستاذ سيد قطب فى مقال له بجريدة الاخبار الجديدة: إن الإنجليز كانوا يدركون أنهم فى يوم من الأيام - قريب أو بعيد - سيجبرون على التخلي عن الإدارة المباشرة لجهاز مصر الحسمى، لذلك لم يكن لهم بد من تربية أجيال من «الإنجليز السمر»، تسير بسياسة التعليم فى وزارة المعارف إلى أمد

العمل السيلامح في شهر

مصر والسودان

اتفقت مصر في الشهر الماضي مع جميع الأحزاب السودانية على ما يأتي :

تؤمن الحكومة المصرية لإيماناً ثابتاً بحق السودانيين في تقرير المصير، وفي ممارستها لممارسة فعلية في الوقت المناسب، وبالضمانات اللازمة. ورغبة في بلوغ هذا الهدف تبدأ على الفور فترة انتقال تستهدف تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتي الكامل، وتهيئة الجو الحر المحايد الذي لا بد من توافره لتقرير المصير. ولما كانت فترة الانتقال هي تمهيد لإنهاء الإدارة الثنائية إنهاء فعلياً، فإن هذه الفترة تعتبر تصفية لهذه الإدارة، وتعلن الحكومة المصرية أن السيادة على السودان تظل محتفظاً بها للسودانيين إلى أن يتم لهم تقرير مصيرهم.

فرنسا والمغرب الأقصى

احتفل في المغرب الأقصى بمرور ربع قرن على ولاية سلطانها سيدي محمد بن يوسف فأذاع في أمته خطاباً رائعاً لهذه المناسبة قال فيه: «لني متأثر أشد التأثر بصداقة الفرنسيين إلا أنني أود لو ابتعدوا عن شئوننا الداخلية، ثم ذكر معاهدة سنة ١٩١٢ التي تحتج

فرنسا بها في تحكيمها بالشعب المغربي وبلادها فوصف تلك المعاهدة بأنها «ملايس طفل يراد فرضها على رجل كبير»، ثم قال: «ولا شك أن إخفاق فرنسا في التقدم بمقترحات فعالة تتفق مع روح العصر هو السبب في هذا التوتر الشديد الذي يسود شمال إفريقيا. وقد رفضنا مشروع الإصلاح الفرنسي لأنه يقوض دعائم سيادتنا».

ثم استعرض المراحل التي مرت بها المفاوضات الطويلة مع الفرنسيين، فاتهم فرنسا بأنها تحاول الإبقاء على الحالة السيئة الراهنة نصاً وروحاً. وسرد الاقتراحات الفرنسية للإصلاح مستدلاً بها على سوء نية الفرنسيين.

انضمام ليبيا إلى الجامعة العربية :

افتتح الملك لإدريس السنوسي البرلمان الليبي، وتلى خطاب العرش وفيه تنويه بالعلاقة الطيبة بين ليبيا وشقيقها الكبرى مصر والدول العربية الأخرى ثم قال: «وستعمل على الانضمام إلى الجامعة العربية وحضور وفد ليبي في الاجتماع الذي تعقده الجامعة في شهر مارس المقبل».

تعويضات ألمانيا لإسرائيل

ومشكلة اللاجئين العرب

كان فى ألمانيا عند ما تولى هتلر السلطان عليها فى سنة ١٩٣٧ نحو ٥٣٠ ألف يهودى . فلما رسمت حكومة هتلر خطتها للتحرر من اليهود وتأثيرهم الفكرى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى على ألمانيا ، جمعت مؤلفات علماءهم فى الميادين العامة وأضرمت فيها النار ، ثم أخذ اليهود فى الرحيل إلى بلاد أخرى ، وأكثرهم تحول إلى فلسطين حتى بلغ عدد المهاجرين إليها من يهود ألمانيا ٣٠٠ ألف . ومع أن القائمين على السياسة الصهيونية كانوا مسرورين من نزوح بنى جفسمهم عن ألمانيا ليستعمروا بهم بلاد العرب فى فلسطين فإنهم استغلوا هذا الحادث وبالعوا فيه وجسموا وقائعهم وملأوا الدنيا صراخاً بالشكوى . وأخيراً حملوا أمريكا وإنجلترا وفرنسا على إرغام حكومة ألمانيا الغربية بتعويض اليهود الذين زعموا أن هتلر طردهم من بلاده ، متجاهلين أن القوانين المعمول بها لا تجبر أية حكومة على دفع تعويضات من غير طريق القضاء فى دعاوى شخصية لأشخاص كانوا من رعاياها . غير أن موقف ألمانيا الغربية السياسى فى الوقت الحاضر أجبرها على الإذعان فقدمت بتعويض مقداره ٨٣٠ مليون دولار تعهدت بتسليمها إلى حكومة إسرائيل أقساطاً نقدية ومصنوعات مما تحتاج إليه إسرائيل فى استعدادها الحربى والصناعى .

وقد رأت الحكومات العربية أن فى ذلك تهديداً لها وإطالة لحياة حكومة إسرائيل عشرة أعوام أخرى أو أكثر ، وستكون منه سابقة لأخذ اليهود تعويضات أخرى من بلاد يزعمون أن بنى جلدتهم اضطهدوا فيها أيضاً ، ومنها النمسا وألمانيا الشرقية وهنغاريا ورومانيا وبولندا ... الخ .

وتقول الحكومات العربية فى مذكرة أرسلتها إلى ألمانيا الغربية : إن إسرائيل فى حالة حرب الآن مع سبع دول عربية ، فعلى الدول المحايدة — ومنها ألمانيا — التزام واجب الحياد ، وعدم تقديم مساعدات لأحد الطرفين المتحاربين . وإن مساعدة ألمانيا لإسرائيل ستدخل بالتوازن الحالى فى الشرق الأدنى ، وتمكن إسرائيل من القيام بعدوان على البلاد العربية . ثم إن إسرائيل ليست ورثة حقوق اليهود المتضررين ، فكيف تكون طرفاً فى تسوية مع ألمانيا على حقوق يهود لم يكونوا رعايا حكومة إسرائيل ، وكيف يحكم أى قانون خاص أو دولى على ألمانيا بدفع تعويض لإسرائيل التى لم تكن موجودة يوم وقع الاضطهاد المزعوم من ألمانيا على رعاياها اليهود . زد على ذلك أن حكومة إسرائيل لا تعترف بحق التعويض فى القانون الدولى ، ولو كانت تعترف بهذا الحق لدفعت تعويضات إلى اللاجئين العرب ونفا لقرارات الأمم المتحدة . ودعوى إسرائيل أنها تتقاضى هذه

بقبولها تزويد إسرائيل بمبالغ نقدية كبيرة تحت ستار التعويضات وبكميات هائلة من الآلات الثقيلة لاستخدامها فى تقوية إمكانياتها الاقتصادية والحربية ، لا يحدونا إلى التفاؤل بمستقبل السلام والاستقرار فى الشرق الأوسط . وإن الحكومة المصرية لتتأمل فى قلق بالغ إلى اتفاق التعويضات المقترح . ولأننا لعلى يقين تام أنه لا حق لإسرائيل بأية حال فى الحصول على تعويضات من ألمانيا نيابة عن يهود العالم أجمع ، إذ ليس ذلك من حقها ، كما أنه ليس من حق أى بلد إسلامى أو مسيحى الحصول على مثل هذه التعويضات باسم المسلمين أو المسيحيين فى جميع أنحاء العالم .

قضية كشمير

كما تصفها صحيفة أمريكية

وصفت صحيفة (باك جراوند فور تومورو) التى تصدر فى واشنطن قضية كشمير بقولها : « إن الهند لم تعد تسكتفى بأن تجعل من غزو كشمير مادة للسخرية من الغرب ، بما تبديه نحوه من عدم المبالاة ، بل هى تحاول أن تجعل منه وسيلة لتخيط الباكستان كأمة . وعجز الأمم المتحدة عن القيام بعمل إيجابى حول هذه الأزمه سيؤدى حتماً إلى شعور سكان هذا الجزء وغيره من العالم بأن هذه الهيئة الدولية تسعى إلى حقها بما تتخذه لنفسها من سياسة عقيمة مرتجلة .

التعويضات لقاء ما أنفقته على إسكان نصف مليون يهودى طردهم النازى فهاجروا إلى فلسطين ، منقوضة بأن معظم هؤلاء قد هاجروا قبل حكم النازى أو بعد انتهائه ، ولم يكن لهم باعث على القدوم إلى فلسطين التى كانت أهلة بسكانها العرب ، فكان يجيئهم الاختيارى اضطراراً للعرب ، وبغياً عليهم ، واغتصاباً لوطنهم .

وقد عرض وزير الخارجية المصرية فى خطابه الذى ألقاه فى هيئة الأمم وجهة العرب فى هذه القضية فقال :

« إن بعض مشاكل الشرق الأوسط التى لم تستطع الأمم المتحدة أن تجد لها حلاً صالحاً إلى اليوم ستبقى دائماً موضع تفكير مصر والبلاد العربية قاطبة وانشغالها . ولا زال هذا هو حال اللاجئين العرب الذى يثير القلق ، ولن يكون أى مشروع جديراً بالالتفات إذا لم يكفل حلاً إنسانياً عادلاً لمثل هذه المشاكل . ولقد شردت تحت ضغط الصهيونية العالمية أكثر من مليون من العرب وانتزعوا من ديارهم فى فلسطين فى غير رفق ولا راحة ، ولأول مرة فى التاريخ يحدث أن يشرّد سكان متوطنون فى بقعة ما ليحل محلهم أناس غيرهم بزعم أنهم شردوا من بقاع أخرى .

ولقد وقع أخيراً الضغط نفسه على حكومة ألمانيا الغربية ، وإن خضوع هذه الحكومة

من أسباب ثورة ماو- ماو

زار نائبان بريطانيان من حزب العمال بلاد كينيا التي نشبت فيها الثورة المعروفة هناك بثورة ماو- ماو. ولما أخذوا يبحثان عن أسباب الاستياء التي دفعت الوطنيين إلى هذه الثورة أخذ عدد كبير من الأهالي يتصلون بهما ويفضون إليهما بشكاوى الإفريقيين من غطرسة المستعمرين وسوء استغلالهم للشعب وفرضهم عليهم رؤساء وأنظمة لا يطيعها البشر.

وهذان البريطانيان هما مستر فينبرد كراي ومستر ليزوى هيل. ولما وصلا إلى مدينة نيروبي في شرق إفريقيا أعانا استياءهما واعتراضهما من قيام السلطات الاستعمارية بالقبض على عدد كبير ممن اتصلوا بهما أثناء زيارتهما لكينيا.

وقد صرح مستر ليزوى هيل بأن من أسباب هذه الثورة ما يعانيه الأهالي من الجوع، وانخفاض أجور العمال الإفريقيين، وارتفاع الأسعار. ثم إن السلطات الاستعمارية تفرض على الأهالي والقبائل رؤساء وضيعة منعطى الاخلاق.

فإذا كان هذا بعض ما يقوله نائبان بريطانيان عن فساد الحكم الاستعماري حتى أدى إلى ما نسمع به - من جانب واحد - عن تفاصيل تلك الثورة، فكيف لو تمكن سكان كينيا من بسط شكواهم ولذاعتها في العالم ١٩

• إن جهود الدكتور فرانك جريهام الشفوية لم تفلح في زحزحة نهرو عن موقفه لإزاء كشمير، وهو موقف يذكرنا بستالين، كما أن موجة الاستياء من السكتلة العربية الآسيوية ومن أعضاء مجلس الأمن لم تجد من يعاها، وأن نيودلهي تقف من كل هذا ساكنة لا تتحرك بينما كراتشي قد بدأت تفقد صبرها. ويحاول نهرو - بأقصى استطاعته - ألا يسمح لامة إسلامية بأن تشاركه وقومه الهندوس في القارة الآسيوية ويساعده على ذلك أن اقتصاد الباكستان يعتمد على نهر السند الذي تغذيه أنهار كشمير الثلاثة، فأتخذ من ذلك سلاحاً حاداً وورقة رابحة يلوح بها كيفما شاء مدعياً أنه يعمل بذلك على تنمية المصادر الطبيعية لبلاده.

• وبعد جهد طويل وافق نهرو على إجراء استفتاء في كشمير، وهو يستخدم القوات الهندية وغيرها من وسائل القمع لتهمئة الجو لاستفتاء يحصل عليه كما يريد. وإن الهنود اتخذوا من هذه المسألة نكسة يتندرون بها على الأمم المتحدة. هذا بينما الأوال الأمريكية تستخدم لبناء السدود وتنظيم المياه بطريقة تقضى بالحرمان على الباكستان من الروى الذى يبقى على حياة ساكنيها. وإذا نشب القتال بسبب ذلك فلن يقتصر على كشمير، بل لا بد أن يعم الباكستان والهند جميعاً.

إنشاء العجلة الأسيلاحي

وزارة الإرشاد القومي :

تعبير الحديد وصناعته بمصر :

تألفت في مصر وزارة جديدة للإرشاد القومي ، والغاية منها توجيه أفراد الأمة وإرشادهم إلى ما يرفع مستواهم المادى والأدبى ويقوى روحهم المعنوية وشعورهم بالمسؤولية ويحفزهم إلى التعاون والتضحية ومضاعفة الجهد في خدمة الوطن . وتزويد الرأى العام العالمى بأصديق البيانات والإحصائيات والأرقام والصور عن حقائق الأمور في مصر . وقد تكونت نواة هذه الوزارة من الإذاعة المصرية ، ومصلحة السياحة ، وإدارة الدعاية والإرشاد الاجتماعى ، ومراقبة الأفلام والسينما ، وإدارة المطبوعات ، والمسكاتب الصحفية بهيئات التمثيل المصرى في الخارج ، ومعرض وادى النيل ، ومؤسسة الثقافة الشعبية وقسم الدعاية الصحية ، ودار الأوبرا الملكية ومتاحف الحضارة المصرية وبيت الأمة والفن الحديث ، والمتحف الحربى عدا المكتبة ، وأقسام الإنتاج السينمائى والفنى في وزارات المعارف والصحة والزراعة والشئون الاجتماعية .

ولا يبعد أن تتطور هذه الوزارة عندما تسير في عملها وتقدم لتحقيق رسالتها .

أسفرت بحوث بعثة التعدين الفنية التي أوفدتها مصلحة المناجم إلى الواحات البحرية عن اكتشاف طبقات سمكية من رواسب أوكسيد الحديد الأصفر ويتراوح سمكها بين متر وعشرة أمتار ، وهي تختلف عن منطقة مناجم الحديد في أسوان بأن أوكسيد الحديد في أسوان أحمر اللون ، وأن سمك طبقاته الظاهرة فوق سطح الأرض أقل من سمك طبقات الواحات البحرية التي تبين أنها غنية بالحديد ، وهي ذات أهمية خاصة نظرا لاهتمام الحكومة المصرية الآن بتنفيذ مشروع مصنع الحديد والصلب . ويقدر خبراء مصلحة المناجم كمية الحديد الموجودة في هذه المنطقة مبدئيا بنحو عشرين مليون طن .

وينتظر أن توجد مناجم أخرى للحديد في وادى الكريم ووادى سويحبا أم لصف ، ووادى أم حجاج ، ولعل حديد هذه المناطق مغناطيسى على شكل طبقات عمودية تتجه إلى باطن الأرض ويتراوح سمكها بين ٣٠ سنتيمترا و ١٥٠ مترا ، وترتفع عن سطح الأرض من ٥٠ إلى ١٥٠ مترا .

هذه المياه وتذهب بها من منطقة بلدة جونجلى إلى النيل الأبيض لتزيد في حصيلة النيل في استفاد منها في الري مدة التحاريق . وهذه القناة التي يراد شتمها يبلغ طولها ٣٠٠ كيلو متر وعرضها ١٢٠ متراً وعمق المياه فيها خمسة أمتار وتصرفها البومى ٥٥ مليوناً من أمتار الماء المسكبة في أثناء الفترة الحرجة وإذا ضمت هذه الحصيلة المائية إلى المنقول بواسطة بحر الجبل يزداد الماء الواصل إلى أسوان أيام التحاريق بمقدار خمسة مليارات و ٢٠ ألف من الأمتار المسكبة في سنة متوسطة الإيراد .

ويشمل المشروع أيضاً توسيع قناة جونجلى أو تشق قناة أخرى بجوارها موازية لها لحل خمسة مليارات أخرى من الأمتار المسكبة تصرف من الخزان في الفترة الحرجة أيضاً لزيادة الماء الواصل لاسوان بمقدار ٣ مليارات و ٣٠٠ ألف متر في السنين الشحيحة الإيراد . ولذا تم هذا كله تصبح الزيادة المتوفرة في أيام التحاريق ٨ مليارات ونصف من الأمتار المسكبة ويقدر المسؤولون بوزارة الأشغال التكاليف الخاصة بهذا المشروع بنحو ٢٨ مليوناً من الجنيهات .

وقد دعت وزارة الأشغال لجنة دولية من كبار مهندسي الري مؤلفة من مستر ب. و. ه. بليجن الخبير الهولندي ، ومستر ز. ا. س. رولف ممثل شركة بروس وهويت الانجليزية ،

ويحتمل أن توجد مناجم للحديد في الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء .

وقد قرر مجلس الوزراء الموافقة على مشروع لإنشاء مصنع للصلب والحديد تساهم فيه وتديره شركة تساهم فيها الحكومة المصرية والشعب المصري والممولون الأجانب ، على أن يكون ٥١ في المائة منها لمصر حكومة وشعباً ، والحكومة تقدم عن نصيبها في رأس المال ما يوازي قيمة المعدات واللازم التي اشترتها أخيراً من ألمانيا وتقوم بإعدادها في منطقة حلوان . وسيحدد إنتاج المشروع الكامل في أول مراحلها بما لا يقل عن ١٥٠ ألف طن من الحديد والصلب ثم يتوسع به في المستقبل تمشياً مع التطور الصناعي . وتحفظ الحكومة المصرية لنفسها بحق الأولوية في الحصول على ما تحتاج إليه من منتجات الشركة اللازمة لأغراضها المختلفة .

قنوات السمرد بأعلى النيل :

بين بلدة جونجلى (الغربية من بحر الجبل في جنوب السودان) ومنطقة الملاك (بين بحر السوبات والنيل الأبيض) مياه وأنهار كثيرة تضيق سدًى فلا يستفاد منها في حصيلة مجرى النيل . وقد قامت وزارة الأشغال المصرية ومهندسو الري فيها من مصريين وأجانب بالتفكير في مشروع لشق قناة تجمع

وأخيراً أخذت الحكومة السعودية فى إنشاء محطة توليد كبرى فى خارج البلد الحرام وقد أوشكت أن تم فيتيسر بها تنوير مكة كلها بالكهرباء، وسوف تنتج هذه المحطة فى الأشهر القريبة الآتية ٤٠٠٠ كيلووات ولا يمر وقت آخر حتى يزيد الإنتاج إلى ١٠٠٠٠. وتوجد غير هذه المحطة الكبرى ١٥ محطة فرعية صغيرة داخل مكة. ويبلغ طول الأسلاك الكبيرة المستخدمة فى هذا المشروع ٢٥ ميلاً، ولا يقوم على تنفيذ هذا العمل إلا مسلمون.

دنانير ذهبية :

عشر عمال كانوا يحفرون لمصلحة الآثار المصرية تحت السور الأثرى لـكنيسة أبابير ويوحنا فى خارطة الشيخ مبارك بحى مصر القديمة (الفسطاط) على أربع دنانير ذهبية إسلامية نقش على وجهها بالخط الكوفى ، لا إله إلا الله لا شريك له ، محمد رسول الله ، وحجم الدينار ووزن ذهبه أقل من نصف الجنيه الإنجليزى ، وقد باع العمال هذه الدنانير إلى أربعة من الصاغة وتجار من الحلى ثم اختلفوا فيما بينهم فافتضح أمرهم واستطاع البوليس أن يسترد دينارين من التاجرين اللذين اشترياها . والمظنون أنهما من العصر الطولونى قبيل مجىء الفاطميين . ولا يبعد أن تظهر فى تلك المنطقة نقود أخرى عندما يستمر الحفر تحت السور .

ومستر ف . هنرى شون الخبير الأمريكى لزيارة المنطقة المراد شق هذه الترع فىها بين جونجلى والنيل الأبيض ، وزودتهم بمذكرة عن هذا المشروع وضعها الدكتور محمد أمين ومستر بايدوج المفتش العام المساعد للنيل الجنوبى ، ووزعت عليهم خرائط التقطت لمنطقة السدود من الجو ، وتسلموا مذكرات أعدها الدكتور محمد مجاهد الأستاذ المساعد لعلم النبات بكلية العلوم عن نتيجة دراساته وبحوثه فى الحشائش والنباتات الموجودة فى منطقة السدود . ثم وزعت عليهم مذكرة بالقواعد التى سيجرى عليها بحث المشروع ، وبرماج الرحلة إلى تلك المنطقة .

وبالفعل سافرت هذه اللجنة بطريق الجو لمعاينة مكان الحفر وطوله وطبيعته أرضه وصخوره وحشائشه ، وصحبهم فى هذه الرحلة الخبير الفنى لوزارة الأشغال والمفتش العام للنيل الجنوبى وينتظر أن ينفخوا من مهمتهم فى أوائل شهر ديسمبر .

انارة مكة بالكهرباء

كانت مكة محرومة من الكهرباء فى زمن الحكم العثمانى ثم فى زمن الحكومة الهاشمية . وبعد التحاق الحجاز بالمملكة السعودية دخلت الكهرباء هذه المدينة الإسلامية المسكreme بما أقامه بعض الامراء والأعيان من أجهزة توليد خاصة عتب تنوير الحرم المسكى بالنور الكهربائى .

فهرس

الجزء الثالث — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
٢٦٥	كيف بنى محمد الأمة الإسلامية	الأستاذ محمد عرفة مدير المجلة
٢٦٨	الإنسانية بين النظام المحمدي والنظام الاسرائيلي	» محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٢٧٤	موجة النبي (ص) السياسية	» محمد محمد أبو شبة
٢٧٨	في الفقه الاسلامي	الدكتور محمد يوسف موسى
٢٨٣	طوائف : بهائية وبكتاشية = ثم جماعة التقريب	الأستاذ محمد عبد اللطيف السبيكي
٢٨٨	نظام الاسلام السياسي	» محمد الزواوي
٢٩٦	السنة - الحب الالهي	» طه محمد الساكت
٣٠١	أمن الخير أن تبقى الأمة على الحزبية	» م . ع
٣٠٤	أعمار زائفة	» الأكبر السيد محمد الخضر حسين
٣٠٦	تساح أهل السنة في الرواية عن يخافونهم في العقيدة	» م . خ
٣١٣	ساحة الاسلام في التعامل مع غير المسلمين	» حديد
٣١٧	الميسر وورق اليانصيب	»
٣١٩	من صور الفداء في الاسلام	الأستاذ محمد النزالى
٣٢٤	صحوة الأرواح	» محمد خليفة
٣٢٦	بين الفلسفة وعلم الكلام	» على مصطفى الغرابي
٣٢٩	قاصمتان خبيثتان في مجلة دار التقريب	» م . خ
٣٣١	أثر العقيدة في نفوس المسلمين	» عبد الرحيم فرغل
٣٣٤	آراء وأحاديث	» م . ع
٣٤١	فلسطين العربية الإسلامية	» محمد صبرى طابدين
٣٤٤	لفسويات : المعنى والغز	» محمد على النجار
٣٥٠	الاحتكار والريخ الفاحش حرام كالربا	» حديد لفضية الأستاذ الأكبر
٣٥٢	المنابة بدراسة الاسلام في جامعات العالم	الأستاذ محمد عبد السلام القباني
٣٥٥	من ذكريات الميلاد	» عبد الحميد محمود المسلول
٣٦٠	تحديد للمسيكية في الاسلام	» أحمد فهمي أبو سنة
٣٦٤	حاتم الأصم	» عبد الله قاسم صقر
٣٦٧	حاجة الشرق إلى حكم صالح	» محمود فياض
٣٧١	مولد منقذ الإنسانية	» محمد عبد المنعم خفاجه
٣٥٧	روضة الشعر	» محمد عبد القادر
٣٧٦	مملكة تقلى	» عبد المنعم محمد الشيخ
٣٧٩	الكتب	
٣٨١	النشاط الثقافي للأزهر	
٣٨٢	الآداب والعلوم في شهر	
٣٨٥	العالم الاسلامي في شهر	
٣٨٩	أنباء العالم الاسلامي	

رئيس التحرير
محمّد الدّين الخطيب
الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والاردن
٣٠ للطلبة في مصر والاردن
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
من الجزء

مجلة لان هير
مجلة شهرية بجامعة
تصدر عن شيخ الأزهر في أول شهر ربي

مدير المجلة
محمّد عبد الوهاب
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الرابع - القاهرة في غرة ربيع الثاني ١٣٧٢ - ١٩ ديسبر ١٩٥٢ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإِسْلَامُ وَالسَّلامُ

إن من الأديان ما يدعو أتباعه إلى المحبة العامة للبشر، ولا يحول بين تعاون أتباعه وأتباع الديانات الأخرى، سواء أكانوا يسكنون معهم في وطن واحد أم كانوا يسكنون أوطاناً أخرى من هذا العالم.

وإن منها ما ليس كذلك، فلا يدعو إلى محبة ولا تعاون، بل ربما وقف في سبيل التعاون البشري والإخاء الإنساني، وهذا يكون إما من تحريفه أو بطلانه. وإن مثل هذا الدين يكون شراً تنوء به الحياة لأن الاختلاف بين البشر في العقائد والأديان واقع ماله من دافع، وليست هناك قوة يمكنها رفعه، فإذا جهل الدين هذه الحقيقة، وأراد محو الأديان الأخرى ما عداه، فلم يكن فيه عنصر التعاون مع أتباعها، كان محاولاً ما لا يكون، إنما الذي يكون هو الشقاق والتنازع والحرب المتأججة التي لا تخمد، والحكم الحق على هذا الدين أنه لا يصح أن يكون أتباعه مع أتباع دين آخر وطناً واحداً، ولا يصلحون أن يتعاونوا وسكان هذا العالم، وهل أسوأ من وطن يتعادى أبناؤه ولا يقدر على التعاون على جلب مصلحة له أو دفع مفسدة عنه؟

وهل أسوأ من أمة تكون نشازاً في هذه الدنيا؟ تعادى الأمم الأخرى وتذكي نار الحرب، وتكدر السلم وتقف في طريق الغاية العظمى للإنسانية، وهي السلام الدائم على هذه الأرض.

أما الدين الأول فهو نعمة وبركة على معتنقيه وعلى من لا يعتنقونه ، فهو لا يدعو معتنقيه إلى التورط في حروب تلو حروب ولا يكدر سلام العالم بشن الغارات وحمل السلاح . والدين الإسلامي أين مكانه ؟ أفیه عنصر تعاون أتباعه مع من يخالفونهم ؟ أم هو من الشق الثاني ؟ فهو حرب على الأديان الاخرى بشن عليها الحروب ويغير عليها كلها واته فرصة ؟ إن الباحث المحقق يجد الدين الإسلامي من الأديان التي تدعو إلى السلم ، والذي يمكن أن يتعاون أتباعه مع المخالفين في دولته أو في دول أخرى . وذلك يتضح من أمور :

١ — أنه بّين في غير ما آية ، أن الاختلاف في العقائد والأديان من ضرورات البشر ، والله حكم بذلك فهو واقع لا بد منه ، ومحاولة تغيير سنن السكون عناء في عناء ، لا تجدى إلا السكد والنصب فيما لا يكون ، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لا ملأ جهم من الجنة والناس أجمعين .
وإذا علم المسلم أن طبيعة البشر تقتضى ذلك وأن هذه مشيئته ، لم يكن ثمت داع للحقد ولا للبغض .

٢ — أنه وضع هذه القاعدة الفاصلة التي لا هوادة فيها ، لا إكراه في الدين ، ، فكل امرئ يختار عقيدته ، لا سلطان لكائن ما عليه ، فله أن يتخير عقيدته كما يتخير ثوبه ، وهذه توجب على المسلمين ألا يحاولوا إكراه أحد على الإسلام ، وألا يقاتلوا أمة ليخرجوها من دينها .

٣ — قوله تعالى : فإذا لقيم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى إذا أنختموهم فشدوا الوثاق فإما منأ بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ، أجاز في الأسرى أن يمن المسلمون عليهم فيطلقوهم ويهبوهم حياتهم بدون عوض ، أو يأخذوا منهم عوضاً فيطلقوهم بفداء ، وفي هذا تعليم عملي للمسلمين أن يعطوا مخالفهم حق الوجود ، وأن يمنحوهم إياه حتى بعد اعتدائهم وحرهم والقدرة عليهم .

٤ — أنه أجاز أن يعقد المسلمون مع من يخالفونهم في الدين ذمة ، وأن يسكنوا في وطن واحد .

٥ — أن الرسول بّين حقوق أهل الذمة والعهد ، فإذا هي مثل حقوق المسلمين ، لهم مالنا وعليهم ما علينا ، أى لهم ما لنا من حقوق وعليهم ما علينا من واجبات .

٦ — صرح تصريحاً قاطعاً لا يقبل الشك ولا التأويل ، أن الاختلاف في الدين لا يؤدي إلى عدم البر بالمخالفين وتوليهم والعدل فيهم ، إنما الذي يؤدي إلى ذلك هو عدوانهم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . »

٧ — أن القرآن دعا إلى الرفق والصبر والدعوة إلى الحق بالتي هي أحسن ، وحصر مهمة الرسول في البلاغ :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . »

« فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ، ، وما أنت عليهم بجبار ، ، ادفع بالتي هي أحسن السيئة ، ، خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ، ، فإن تولوا فإنا علىك البلاغ ، . »

هذه القواطع والأصول التي ينبغي أن تكون محكمة فتجعل أم الكتاب وكل ما خالفها من المتشابه يرد إليها .

ولعل قائلًا يقول : إن ما ذكرته من دعوة الإسلام إلى السلم يعارضه ما ورد فيه من الدعوة إلى الحرب وقتال المشركين كافة : « يأياها النبي حرض المؤمنين على القتال ، - فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ، - « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، ، يأياها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، ، فليقاتل في سبيل الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ، وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، . »

أليست هذه الآيات تدل على أن الإسلام دين حرب ، وأنه يدعو إلى القتال ويطلب أن تقاتل الكافرين لكفرهم والمشركين لشركهم ، ويرى أن الكفر والشرك جريمة عقابها الحرب ، حتى يقاهوا عنها كما ورد .

قلنا إن من المخالفين من ناصبوا المسلمين العداء وحاربوهم ووقفوا في سبيل الدعوة ، وهؤلاء هم الذين أباح الإسلام قتالهم ، بل حض عليه ، وما كان يطلب أحد من الإسلام أن يغض عن ناصبوه العداء ، وأن يطلب من معتنقيه أن يقفوا مكتوفي الأيدي ، وأن يمدوا أعناقهم للذبح ، لا يكلف أحد الإسلام بذلك ، لأنه يخالف طبيعة الوجود والمبدأ القائل : لكل

أحد حق الدفاع عن نفسه ، ويكفي الإسلام حبا للسلام أنه يبغيه ويطلبه ، مع من لم يعتدوا عليه ، ولا يقدح في حبه للسلام ودعوته إليه أنه يأمر أهله بقتال من يعتدون عليهم . وهذا هو محمل الآيات والأحاديث التي تدعو إلى الجهاد والقتال وهي نارة تأتي مقيدة بالعدوان وتارة تأتي مطلقة عن التقييد لعله . من الحال ، كأن يكون الكلام في قوم مقاتلين بالفعل ، أو لعله من النصوص التي تحرم قتال من لم يعتد ، وما كان الله ليترك هذه المسألة وهي تتعلق بمستقبل البشرية وسلام العالم ، دون نص قاطع وبيان واضح وقد جاء هذا البيان في قوله : تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم » ، « لا إكراه في الدين » .

أعلم أن من أعداء الإسلام من يتهمون الإسلام بهذه التهم ويلصقونها به ، وهم قوم يكرهونه ويكيدون له ويريدون محوه من الوجود ، ويرون أن السبيل المعبدة لذلك ، هي تأليب دول العالم عليه وإفهامهم أنه حرب للسلام وللتعاون البشري والإخاء الإنساني ، ليقفوا منه موقف العداء ويحاربوه بكل سلاح .

إنهم يجهلون في أن يفهموا الدول القوية أنه غير صالح للبقاء ، وأنه لا يجارى روح العصر في الغاية العظمى من نشر السلام ، وأنه شر على أتباعه وعلى الإنسانية ، لأنه لو ترك وشأنه ، لورطها في حرب تلو حرب ، وفي نزاع دائم وخلاف مستمر ، لذلك يجب أن تقلم أظفاره ويحارب كما تحارب الجرائم الضارة والأوبئة المهلكة ، وهذا هو الذي يجعل هذا البحث أعظم جدوى وأجل فائدة وأمين على المسلمين وعلى أهل الأرض من كل بحث سواء ، إنه يدفع هذه التهم الباطلة عن الإسلام ، ويرد هذا السلاح الخطر الذي يكيد به أعداء الإسلام للإسلام ، إنه يعلم المسلمين موقف الإسلام من السلام فيعملوا عليه فلا يضيعوا جهودهم في جهاد في غير عدو ، ويعلم أهل الأرض ذلك فلا ينظروا إلى أهل الإسلام نظرهم إلى العدو المتربص الذي يريد أن ينقض ، ونتيجة ذلك التعاون والسلام .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

مَنْ نَحْنُ

قبل نحو تسعة أشهر ، وكان قد مضى أربعة أسابيع على حريق القاهرة ، أراد صحفي مصرى أن يستنير برأى سياسى مصرى قادم من أمريكا حيث كان ينظر إلى مصر من بعيد فيحكم على ما يقع فيها وهو غير متأثر بالأعراض والأغراض التى يتأثر بها المتأثرون بالعادة والإلف ، فسأله الصحفي :

— ما الذى تراه من أحوالنا هنا ؟ إننا نحن الذين نعيش داخل الدوامة العنيفة من الأحداث الكبيرة التى تجرى فى الوطن ، لا نستطيع أن نرى كل شيء ، وأنت هنا تتنازعنا بأنك تقف بعيداً ولكن عينك دائماً على الوطن ترى كل ما يحدث فيه .

والسياسى الموجه إليه هذا السؤال هو الأستاذ محمود فوزى وزير خارجيتنا الآن ، وكان إلى ذلك الحين مندوب مصر فى الأمم المتحدة . والسؤال أكبر وأخطر من أن يجيب عنه رجل رسمى كالاستاذ محمود فوزى ، ولذلك سرعان ما غير موقفه من سائله وقال له :

— أريد أن أسألكم جميعاً وأسأل نفسي معكم :

« من نحن ؟ أين نحن ؟ ماذا نريد ؟ ما هى وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟ » .

وهذه الأسئلة التى وجهها إلينا وزير خارجيتنا ، بل مندوب مصر الدائم فى الأمم المتحدة ، بقيت من ذلك الحين بلا جواب . ولأجل أن يلفت الأستاذ محمود فوزى الأنظار إلى خطورتها وجهه الى أمته السؤال الآتى :

« ما هو رأيكم - مثلاً - فى رجل تلتقون به فى الطريق العام ، وهو يعدو بأقصى سرعة ، وتستوقفونه قليلاً وتسألونه عن اسمه . . فإذا هو لا يعرف اسمه . وتسألونه عن عنوانه وعمله ، فإذا هو بلا عمل ولا عنوان . وتسألونه عن وجهته ، فإذا هو (منطلق) فى الطريق ، منطلق إلى غير هدف محدد ، وبدون غاية يقصدها . ما هو رأيكم فى مثل هذا الرجل الذى

لا يعرف نفسه ؟ لقد أصبحت أعتقد أن سر أزماتنا جميعاً يرجع إلى جملنا بأنفسنا ، وبت أعتقد أن ظروفنا لم تعد تحمل بعد اليوم أن تبقى نفوسنا سراً مغلقاً علينا . دعونا نحاول أن نعرف نفوسنا ، فإن هذا وحده هو المفتاح الذى يفتح أمامنا جميع المسالك ، وحاولوا أن يجيبوا عن هذه الأسئلة الأربعة تبنوا لنا جسراً عاقلاً نعبّر عليه مرحلة الخطر ! .

إن الأستاذ محمود فوزى لم يحاول الإجابة عن أسئلته الأربعة ، لكنه توسع فى عرضها عرضاً سريعاً بمقال نفيس^(١) أظن اننى لم أقرأ عن المجتمع المصرى مقالاً أنفس منه منذ عشرين سنة .

من نحن ؟

هذا السؤال وضعه الأستاذ محمود فوزى على لسان مصر حكومة وشعباً ، ويصح أن يوضع على السنة الاقطار الممثلة فى جامعة الدول العربية ، وعلى السنة الاقطار التى يتألف منها العالم الإسلامى كله . . . وإذا أجيب عنه بجواب سديد كان مفتاح التوجيه السليم لكل مجتمع إسلامى وفى مقدمته مصر .

لقد مر علينا زمان فى مدة الاحتلال البريطانى لمصر ، كان يقبجح فيه بعض الكتاب بالتحدث عن الأمم التى احتلت مصر فيقولون : إن مصر وقع عليها الاحتلال من الرومان والفرس والعرب والكرد والشركس والترك والفرنسيين والإنجليز . وهم لا يقولون هذا فى معرض الشكوى من احتلال الفرنسيين والإنجليز ، بدليل أنهم فى مقالات أخرى مما خطته أقلامهم يذكرون حسنات الاحتلال الفرنسى والإصلاح الذى تم فى مصر مدة الاحتلال البريطانى . بل لعل هذه الحسنات الفرنسية وهذا الإصلاح البريطانى مما يسجلوه بأقلامهم حتى فى كتب الدراسة الابتدائية والثانوية . وهذا يدل على أنهم يريدون من سرد أسماء الأمم التى احتلت مصر أن ينقشوا فى أذهان قرائهم من المصريين ولا سيما الطلبة أن العرب كانوا محتلين لمصر ، وأن مصر التى مر على عروبته أربعة عشر قرناً لا تزال غير عربية ، وأن الذين تولوا الحكم فى مصر من أبناء الأمم الإسلامية الأخرى كانوا يمثلون احتلالاً

(١) فى مجلة آخر ساعة العدد ٩٠٥ الصادر فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٢ .

أجنيباً ، متجاهلين ما كان بين هؤلاء وبين المصريين من وحدة العقيدة وأصرة الإسلام واتحاد الهدف من زمن الصحابة رضوان الله عليهم حتى الآن . فنشأ في مصر بسبب هذه الدعايات نشء إذا أراد أن يتساءل « من نحن ؟ » يمر في ذهنه طائف من الشكوك في أن مصر عربية ، وأن الإسلام دخيل طراً عليها . والطلبة الذين لا يجدون في مناهج تعليمهم ما يعرفون به حقيقة الإسلام ، معذورون إذا صدقوا أن الإسلام أثر من آثار الاحتلال .

يقول الرئيس محمد نجيب - سدد الله خطاه ، وحقق له أمانيه الصالحة - في كلمة له ألقاها في مدرسة القبة النموذجية الثانوية ، وقد نشرناها في الجزء الماضي (ص ٣٨٣) : « إن الدين أساس الاخلاق . ولقد تلقيت تعليمي في السودان في مدرسة كان يشرف عليها إنجليز ، ومع ذلك فقد كان بها مسجد ، ولذا فأنا مندهش من أن هذه المدرسة ليس بها مسجد . وأنا لا يمانى بأن الدين أساس الاخلاق لا أمانع في تدريس الدين ، حتى الدين اليهودي ، بشرط أن يكون في أيد أمينة ، وأنا أحب أن نقيم الاخلاق على تعاليم الدين ، . »

وأنا أقول للرئيس محمد نجيب : إن مدرسة القبة الثانوية ليس بها مسجد لأن الدعاية التي كانت منتشرة مع تيار العهد المنصرم ، كانت تنسكرك للإسلام وترية النشء عليه ، وكان القائمون عليها يعتبرون العروبة والإسلام احتلالاً ، ولذلك فإن جميع الطوائف التي تعيش في مصر - من كاثوليكية أو أرثوذكسية أو يهودية - تعتنى في مدارسها بآداب دينها وعقائده ، وتبث ذلك في قلوب أبنائها ، حتى يجرى في عروقهم مع دمائهم . أما المسلمون فأيتام ، ليس لهم من يحقق لأبنائهم أمنية الرئيس محمد نجيب التي أشار إليها في كلمته ، فلا عجب إذا أدهشه أن لا يرى في مدرسة القبة النموذجية الثانوية مسجداً ، ولو وجد فيها مسجداً لرآهم قد اتخذوه مخزناً للمهمات ، ولو لم يشغلوه بالمهمات لكان من المستبعد أن يكون في المدرسة تلاميذ تربوا على الخوف من الله والرجاء له واللذة بالوقوف بين يديه خلف إمام تعنى المدرسة بإشرافه عليهم في دينهم كأشراف ممرنى الرياضة البدنية عليهم في ألعابهم اليومية .

إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر تحدث عن التعليم في المدارس المصرية حديثاً نشرناه في جزء صفر من هذه المجلة (ص ١٩٨ - ٢٠٠) فكان مما قاله : « إنه تعاليم جاف

لا يعنى بتكوين الإنسانية فى الإنسان ، ولا الإسلامية فى المسلم ، ولا الوطنية فى ابن الوطن ، ولا يصل حاضر الأمة بماضىها فى طريقهما إلى أهداف قومية متحدة ، ثم قال : ولعل أصدق شهادة على هذه الحقيقة جنوح كثير من كبار رجال وزارة المعارف نفسها - فضلاً عن غيرهم - إلى تخريج أبنائهم فى مدارس أجنبية ، يعلمون أنها أسست لآبناء جاليات لا حاجة بهم إلى كثير مما يحتاج إليه التلاميذ المصريون فى قوميتهم ودينهم ، لكنهم اضطروا إلى الرضا لأبنائهم بهذه المدارس الغربية عنهم ، العارية من أمس حاجاتهم القومية والمالية ، فراراً من ناحية الضعف التى أزمنت عللها فى مدارسنا ، واستشرى دأؤها مدة نصف قرن وأكثر ،

وكل هذا متفرع عن الأصل الأصيل وهو أن القائمين على وزارة المعارف المصرية من نصف قرن إلى الآن لا يريدون أن يعترفوا بأن مصر بلد إسلامى ، ولو عرفوا ذلك واعترفوا به لربوا أبناء هذه الأمة تربية إسلامية ، لكنهم لا يفعلون ، لأنهم إذا تساءلوا : من نحن ؟ ، قد يخطر على بالهم أن يجيبوا عن هذا السؤال بعشرين جواباً ليس فيها جواب واحد ينطقون به بشجاعة وصراحة قائلين : نحن مسلمون . ولو أنهم عرفوا بأنهم مسلمون وأنهم مؤمنون على أبناء أمة إسلامية ، لاستعدوا الاستعداد التام لتربية التلاميذ المسلمين تربية إسلامية ، كما يربى التلاميذ الأرثوذكس فى المدارس الأرثوذكسية تربية أرثوذكسية ، وكما يربى التلاميذ الكاثوليك فى المدارس الكاثوليكية تربية كاثوليكية ، وكما يربى التلاميذ اليهود فى المدارس اليهودية تربية يهودية . وإذا كان هذا لم يتحقق قبل الآن ، فذلك لأن البلد لم يكن فيه رجل قوى جهر الصوت كالرئيس محمد نجيب ينادى بأعلى صوته صادقاً مخلصاً : « إن الدين أساس الأخلاق ، وأنا أحب أن نقيم الأخلاق على تعاليم الدين » .

أما وقد قالها هذا المصلح السليم الطوية المخلص لأمته ووطنه ، فقد آن لوزارة المعارف أن تعلم أن هذا هو طريق العهد الحاضر فى التعليم ، ومن الجناية على الوطن إضاعة سنة أخرى حتى نستعد لذلك فى العام الآتى ، وإذا كان ما لا يدرك كله لا يترك جله ، فينبغى أن تصدر الأوامر والمنشورات من هذه الساعة إلى نظار المدارس ومدرسيها جميعاً بملاحظة ذلك ومحاولة تحقيقه من صميم القلب وبكل الوسائل الممكنة على قدر الطاقة ، إلى أن ترسم له الخطط الثابتة من بداية العام الدراسى القادم ، وأن يعتبر المتلصك فى هذا الأمر عضواً أشل فيبادر إلى بتره حالا .

لقد كنا فيما مضى لا نعلم « من نحن ؟ » ، بشهادة سياسى كبير من رجالنا .

أما الآن فيجب أن نعلم « أننا مسلمون » ، ويجب أن نقوم تصرفاتنا كلها على هذا الأساس ، وأن ترمى أعمالنا إلى هذا الهدف ، وأن نلاحظ ذلك فى كل حركة من حركاتنا وعمل من أعمالنا .

* * *

ويأتى بعد ذلك موقفنا من أسرة العروبة ، ومنزلة الكرسى الذى يمثل مصر فى جامعة الدول العربية ، والاثر الذى تركه فينا تكلمنا بلغة العرب وتأدبنا بالادب العربى من زمن عمرو بن العاص إلى اليوم .

إن القومية فى القبيلة وحياة البادية مناطها الانساب ، لأن حياة القبيلة قائمة على الانفراد والانزواء فى دائرتها فى أغلب الاحوال .

أما الحضارة فإنها بوتقة تذوب فيها الاصول والانساب ، والعبرة فيها لرابطة اللغة أولاً ، وللصالح المشتركة ثانياً . فسكان فرنسا - مثلاً - ليسوا جميعاً من أصل واحد ، والفرنسى فيها يكون فرنسياً ولو كان جده الثانى إيطالياً أو إسبانياً . ونابليون بونابرت - وهو من مفاخر فرنسا - مولود فى الجزيرة الإيطالية كورسيكا ، من أبوين كانا يتكلمان اللغة الإيطالية . بل يقال عن بيسارك إن أجداده من أصل صقلبى ، وكثير من سكان ألمانيا الشرقية تجرى فى عروقهم الدماء الروسية . والكاشانى الذى هو اليوم فى مفاخر إيران عربى قرشى يعرف نسبه فى بنى هاشم . وكال أتانورك من سلانيك ، وقد يكون جده الثالث من أصل غير تركى . بل أكثر سكان الاناضول إما من أصل رومى أو من سلالة الحيثيين الذين تقول التوراة عنهم إنهم إخوة الكنعانيين (أى الفينيقيين) ، وهؤلاء أصابهم من نجد العربية ومن سواحل الأحساء على الخليج الفارسى . فهذه الاعتبارات التاريخية فى الاصول والانساب لم تمنع سكان أى قطر متمدين من أن يفتنوا إلى قومية اللغة التى ولدوا يتكلمون بها ، ونشأوا متأدين بأدبها ، وقد تكون لغتهم وآدابها حديثة عهد من بضع مئات من السنين . أما مصر التى تتكلم اللغة العربية من أربعة عشر قرناً ، وتتأدب بالادب العربى حتى صارت لها فيه الإمامة والقيادة ، فإنها لا تزال تتساءل « من نحن ؟ » . ويريد بعض حملة الأقلام فيها أن

يقولوا إن العربي لا يكون إلا أعربياً ، فإن لم يكن أعربياً فلا تكفى عراقته في العريية وآدابها أربعة عشر قرناً ليقول بملء فيه ومن صميم قلبه : نحن عرب مصريون ، كما يقال في العراق ، نحن عرب عراقيون ، وكما يقال في سوريا ، نحن عرب سوريون ، .

إن الآسيوطى وأسبوطى ومصرى لأن أسبوط جزء من الوطن المصرى ، والمصرى مصرى وعربى لأن مصر جزء من الوطن العربى ، والعربى المسلم عربى ومسلم لأن الوطن العربى جزء من العالم الإسلامى . وكذلك الاندونيسى المسلم أندونيسى ومسلم لأن أندونيسيا جزء من العالم الإسلامى ، والباكستانى المسلم باكستانى ومسلم لأن باكستان جزء من العالم الإسلامى . وكون الآسيوطى وأسبوطياً ، لا يتعارض مع كونه مصرياً ، وكون المصرى مصرياً ، لا يتعارض مع كونه عربياً ، وكون العربى المسلم عربياً ، لا يتعارض مع كونه مسلماً . فكل فرد منا إذا اعتبر نفسه في مركز دائرة فإن بلده الذى ولد فيه هو الدائرة الصغيرة الأولى حول النقطة المركزية ، ومصريته هي الدائرة الثانية التى تلى الدائرة الأولى ، وعروبه هي الدائرة التى تلى مصريته وتشملها ، وجامعته الإسلامية هي الدائرة الكبرى الجامعة التى تحيط بذلك كله ولا تتنافى مع شئ منه .

من نحن ؟ هذا السؤال يجب أن لا يبق بلا جواب . ومتى عرفنا من نحن ، عرفنا المشاركين لنا في المصالح ، والخارجين عنا فيها ، وعرفنا واجباتنا نحو ما ننتهى إليه ، لأنها في الواقع واجباتنا نحو أنفسنا . وهذه المعرفة التى يتم بها الجواب عن السؤال الأول من الأسئلة الأربعة التى وجهها الأستاذ محمود فوزى إلى نفسه وإلى أمته ، كقيلة بالجواب عن الأسئلة الثلاثة الأخرى ، فنعرف أين نحن ، وماذا نريد ، وما هى وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟ وعلى معاهد التعليم كلها ، من يومنا هذا ، أن لا تسكتفى بأن تعرف من نحن ؟ ، بل تستعد لتعريف ذلك لأبناء الجيل كلهم من طلبة المدارس ، حتى إذا آمنوا بمصريتهم وعروبتهم وإسلامهم ، تجندوا للعمل بهذا الإيمان ، يوم يتولون أمانة الوطن في حكومته وأسواقه ومرافقه ومعاهده ، وكان بذلك البعث الذى ينشده العهد الحاضر ، ويعمل لتحقيقه ؟

حُبِّ المِرين الخطيب

السنة حقوق الكفيا

تقدير الكفيايات - مثلاً في السياسة العليا -
جيش الأمراء - مكان الحب وابن الحب - طعن
في غير مطعن - الإسلام يحو العصبية - أروع
الأمثال في إكبار الفادة .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : بعث النبي ﷺ بعثاً ، وأمر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض الناس في إمارته . فقال النبي ﷺ : « إن طعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل : وإيم الله إن كان خليفاً للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلى » ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده ، رواء الشيخان ، واللفظ للبخاري .

إذا كان من حقوق الأمة على بنائها أن يسخرها قواهم لخيرها ، ويجندوا أنفسهم لعزها ومجدها ، فإن من حقوق أقويائها الأمانة ، وعلمائها الاتقياء ، أن يكونوا موضع الثقة والعناية منها ، والتجلة والإعزاز فيها ؛ كل له مقام معلوم ، ومكان محفوظ ، كفاء ما وهب الله له من موهبة ، وما منحه من فضيلة ، وما آتاه من قوة في الحق ، وبصر في تقدير الأمور .

وبتقدير الأمم للكفيايات وحدها ، دون أن يكون للعداوة أو المحبة أو غيرهما سلطان ، في تولية أو حرمان - تستقيم أمورها ، وتصلح شئونها ، ويشهد بنائها ؛ لاهلها وقيت شر الله ناسد والنحاقد ، والتقاطع والتباغض ، إلى غير أولئك من معاول الهدم فيها والقضاء عليها !

حسبك من السياسة الرشيدة أن تقدر الكفيايات قدرها ، وتسند الأمور إلى أهلها ، غير ناظرة إلا إلى المصلحة الخالصة وحدها ، فإذا صاحب الكفياية تقرير قاعدة من قواعد الإصلاح ، أو تثبيت أصل من أصول التربية ، أو هدم عامل من عوامل الفساد - فذلك منتهى السمو في سياسة الشعوب ، وغاية الرشد في قيادة الأمم .

وفي هذا الحديث من ضروب السياسة العليا، التي يهدي بها النبي ﷺ أمته إلى طريق السكال الإنساني، مثلان : تأميره أسامة بن زيد حبه وابن حبه، على جيش عدته ثلاثة آلاف، فيهم سبعائة من قریش، منهم كبار المهاجرين والأنصار، وفي طليعتهم الشيخان : أبو بكر وعمر، وأمين هذه الأمة : أبو عبيدة بن الجراح. بعث به إلى مشارف الشام، وهي حدودها مما يلي الصحراء. وكان هذا آخر جيش جهزه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وأول جيش أنفذه الصديق رضي الله عنه في خلافته : وتأميره أباه زيدا من قبله على جيش عدته ثلاثة آلاف كذلك، بعثه إلى مؤتة من مشارف الشام أيضا، وولى عليه ثلاثة أمراء أولهم زيد : عقد له النبي صلى الله عليه وسلم لواءً أبيض ودفعه إليه، وقال : إن قتل زيد فأمركم جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فأمركم عبيد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون برجل منهم، ومن هنا سمي هذا الجيش بجيش الأمراء.

ومن أعلام نبوته ﷺ أن ينهى الأمراء الثلاثة للناس قبل أن يأتهم خبرهم فيقول : أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة، فأصيب — وإن عني رسول الله ﷺ لتذر فان — ثم أخذها سيف من سيوف الله خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح الله تعالى له.

ولحكم بالغة لم يول خالداً أول الأمر، قد يكون منها أنه حديث عهد بالإسلام؛ إذ لم يكن مضى على إسلامه قبل هذه الغزوة الأولى له أكثر من ثلاثة أشهر، فتوليته إذ ذاك لا تصادف من الجيش موقعاً وقبولاً، وإذا اختلف الجيش فقل على النصر السلام !

وبعد أن شرف الله الأمراء الثلاثة بالشهادة في سبيله، نصر المسلمين على يد خالد نصراً عزيزاً، وهزم عدوهم هزماً ذليلاً، وكانوا مائة ألف أو يزيدون .

جهز النبي ﷺ جيش الأمراء دفاعاً عن الإسلام، وتثبيتاً لعقود السلام، وإمراً بالآلائك الذين اعتدوا على حرمة المسلمين، وقتلوا رسول الله ﷺ، مع أن الرسل لا تقتل ! وإشهاداً للعالم بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وبأن أساس النصر ليس كثرة العدد ولا قوة العدد، ولكل النصر من عند الله العزيز الحكيم .

ثم جهز صلوات الله وسلامه عليه جيش أسامة قبيل وفاته ، وندب الناس لغزو الروم — وهم والفرس أعظم دول العالم حينئذ — وعقد بيده الكريمة لواء أسامة ، وقال له سر إلى موضع مقتل أبيك ، وأغر صباحاً ، وأسرع المسير تسبق الخير ، فإن ظفرك الله بهم فأقلّ اللبث فيهم .

وبينا أسامة يتأهب للرحيل اشتد برسول الله ﷺ وجمعه ، وطعن قوم في تأميره على الجيش ، وعلى رأسهم عياش بن أبي ربيعة المخزومي . فرد عليه عمر وأخبر النبي ﷺ ، فغضب غضباً شديداً ، ولم يمنعه مرضه أن يخطبهم غاضباً وأن ينكر عليهم الطعن في إمارته وإمارة أبيه من قبله ، وأن يوصي بإتخاذ الجيش إلى الوجهة التي ولاها ... ثم انتقل صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى فأنفذ الجيش أبو بكر بعد استخلافه تنفيذاً للوصية النبوية التي نكشف الغطاء عن عظمتها وجليل آثارها قريباً .

سار الجيش كما أمر رسول الله ﷺ ، وأمضى عشرين يوماً أو تزيد ، قتل فيها قاتل زيد أبي أسامة ، وأرهب فيها عدو الله ، ثم عاد بعدها سالماً غانماً معززاً منصوراً .

* * *

لم تقتصر إمارة زيد وابنه على هذين الجيشين العظيمين اللذين أشهدا العالم على عظمة الإسلام وعزته ، وبلوغه الذروة في كرمه وعدالته ، بل أمرهما النبي ﷺ على غيرهما من البعوث والسرايا ، وإن لم تبلغ مبلغ هذين الجيشين أهبة ووجهة وعديداً ، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول : ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمرهم عليهم ولو بقي لاستخلفه ، وهذا سلة بن الأكوع رضي الله عنه يقول : إنه خرج فيما يبعث النبي ﷺ من البعوث تسع غزوات يؤمر عليهم مرة أبا بكر ومرة أسامة .

ولا يعنينا هنا أن نفصل أبناء هذه البعوث والسرايا ، فقد تكفلت بها كتب السير والمغازي ، وإنما يعنينا أن نتبين منها كفاية زيد وابنه ، وأن كلا منهما أهل للإمارة بحق ؛ وأن نتبين كذلك خبرة النبي ﷺ وثاقب نظره في الرجال وحسن اختيارهم . حتى إن العرب على مراسم للحرب وبلاتهم فيها لم يستطيعوا أن يطعنوا في كفايتهما الحربية ، ومقدرتهما الفائقة التي جعلت من زيد أميراً فوق الأمراء ، بل رشخته لأن يكون خليفة لخاتم الانبياء ، على خير أمة أخرجت للناس . ثم جعلت من ابنه أسامة — وهو غلام حدث لم يجاوز الثامنة

عشرة — قرنا لآبي بكر وعديلا له ، بل أميراً عليه وعلى المشيخة من المهاجرين والانصار ، ومنهم صاحب البلاء الحميد ، في البأس الشديد .

وإذا لم يكن للطاعنين مطعن في كفايتهما وحسن بلائهما ، فإن مطعنهم في أمر وراء الكفاية ، سنكشف الغطاء عنه على أثر الإمارة بمكان أسامة وأبيه من العرب ، ثم من النبي ﷺ . كان زيد مع أمه في زيارة أخواله فأغارت خيل في الجاهلية على أبيات لهم فاحتملوا زيدا في صبية معه وقدموا به إلى سوق عكاظ . وكانت خديجة أوصت حكيم بن حزام ابن خويلد أن يبتاع لها غلاما ظريفاً عربياً إن قدر ، فأعجبه كيس هذا الصبي وظرفه ، فابتاعه وقدم به على عمته ، ففرحت به وأكرمته . حتى تزوجها رسول الله ﷺ وهو عندها ، فلما أعجبه ظرفه وأدبه استوهبه منها فوهبته له . فشب عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج في إبل لآبي طالب بالشام مر بأرض قومه فعرّفوه ، ثم قدم أبوه وعمه وأخوه يفتدونه من النبي ﷺ بما يحب من الفداء ، فقال لهم أعطيكم خيراً من ذلك : أخيره فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، فقالوا جزاك الله خيراً فقد أحسنت وزدت على النصف . فلما أخيره صلوات الله وسلامه عليه قال ما أنا بمختار عليك أحداً أنت مني بمنزلة الأب والعم ، فلما رأى أنه آثره على أبيه وعمه وأخيه خرج إلى حجر إسماعيل وقال : اشهدوا على أنه حر ، وأنه ابني يرثي وأرثه ، فطابت أنفسهم بذلك لما رأوا من كرامته عليه .

ولم يزل يدعى في الجاهلية زيد بن محمد حتى نزلت الآية الكريمة : ادعواهم لأبائهم ، فدعى زيد بن حارثة ، وشدد النبي ﷺ النكير على دعاء أحد إلى غير أبيه وهو يعلم . وللقضاء على هذه الدعوى المنكرة أحل الله تعالى للبتني أن يتزوج زوجة الدعى إذا طلقها وقضت عدتها ، وأمر نبيه أن يتزوج زينب بنت عمته أميمة ، وكان زوجها زيدا ، لمكانته عنده ، غير أنها كانت تتعالى عليه وتفخر بحسبها ونسبها ، وكان يشكوها إلى النبي ﷺ في قصة طويلة معروفة .

وورث أسامة أباه في الفضل والنبيل ، والكياسة والسياسة ، والكفاية في الإمارة وعظيم البلاء فيها . كما شارك أباه في حب النبي ﷺ له ، وثفته البالغة به ثم في عده من موالى قریش وعتقائهم تبعاً لآبيه من قبل .

هذه بحالة خاطفة في تاريخ الحب وابن الحب ترينا مكانهما من النبي ﷺ ومن العرب ، وأن ما لصق بهما من العتق والولاء إن يكن ذنباً فلا يدلها فيه ولا عيب عليهما به . وحسبهما أن الله أنعم عليهما ورسوله ، فأخرجهما من ظلمة الشرك ، ومذلة الرق .

أفرايت كيف طعن الطاعنون في زيد وابنه ، وسق عليهم أن يكونوا تحت إمرة مولى من موالهم وعتيق من عتقائهم ؟ بله غلاما حدثا يتأمر عليهم ولما يبلغ العشرين من عمره لإنها الانفة والكبر والعصية التي جاء النبي صلى الله عليه وسلم لمحوها واجتثاث أصولها ، قولاً وعملاً وسيرة وهدياً ، لأنها من أشجار الفتن ، ومعاهد البلايا والمحن في كل أمة تمتنى بها ! ومن أحق بأن يحمله شرف القضاء عليها من حبيبيه ، وأقرب الناس إليه .

يضاف إلى كفاية زيد وابنه ، وما صاحبها من بناء قاعدة المساواة بين الناس جميعاً ، وهدم دعامة الفخر بالاحساب والانساب — أن زيداً أعلم بالجهة التي انتدب إليها ؛ لانه نشأ فيها ؛ ولأن قومه منها ؛ ثم إن ابنه أولى الناس بالقصاص من قاتل أبيه ؛ فاخياره أحياء لنفسه ، وأبعث لهمة ، وأجدر ألا يدخر منها في سبيل الله وسعاً ، وكذلك كان .

* * *

رأى هذا كله وأكثر منه كبار أصحاب رسول الله ﷺ ، فلم يطعنوا ولم يعترضوا ، وإن رغب بعضهم في أن يتوجه جيش أسامة وجهة أخرى لمحاربة المرتدين ، كما رغب بعضهم أن يستبدل بأسامة من هو أكبر منه سناً ، وأسبق في بلاء الحروب قدماً ، وهنا يضرب الصديق أروع الامثال حملاً وعزماً ، ويأبى كل الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة دون أن يغير في قضاء رسول الله ﷺ شيئاً ، ثم يزيد في إكبار القائد الحدث وإجلاله ، فيستأذنه في إبقاء الفاروق بجانبه ليكون له ردهم أو عوناً على مهمات الخلافة وأعبائها ، ثم يودع الجيش ماشياً ، فيقول له أسامة : يا خليفة رسول الله لتركن أو لا تزن ، فيقول الخليفة ، التي لم تزد الخلافة إلا تواضعاً وإنكاراً لذاته : والله لا تنزل ولا أركب وما على أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله ؟

* * *

أورأيت كيف يصنع الله لنبه ؟ وكيف يهديه في سياسته ، وكل شأن من شئونه وشئون أمته ، التي هي أقوم ، ويجمع له في الامر الواحد ما تفرق من قواعد الإصلاح ، ودعائم الرشد والفلاح ؟ ، الله أعلم حيث يجعل رسالته .

له محمد الساكت

تَطْهِيرُ الرُّدَاةِ الْحُكُومِيَّةِ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ

١ - الحكم في الإسلام :

الحكم في الإسلام جزء من شريعته ، وواجب لا يتم الدين إلا به . وينبغي أن يقوم هذا الحكم على العدل الذي أمر الله به ، فلا ينحرف عن دستور الإسلام الذي أنزله الله بالحق كما خلق السموات والأرض بالحق .

يقول الله عز وجل : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، . » . ويعلق على هذه الآيات شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول : « فالقصد من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط ، في حقوق الله وحقوق خلقه ... فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد . ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيوف . وقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نضرب بهذا - يعني السيوف - من عدل عن هذا - يعني المصحف ، (١) . ويقول المودودي ، فالمراد من الحديد في الآية القوة السياسية . والآية قد بينت ما تبعت الرسل لأجله ، وهو أن الله قد أراد ببعثهم أن يقيم في العالم نظام العدالة الاجتماعية على أساس ما أنزله الله عليهم من البينات ، وما أنعم عليهم في كتابه من الميزان أي نظام الحياة الإنسانية العادل ، (٢) . »

ولأن الحكم الإسلامي ينبغي أن ينتهج كل طريق يوصل إلى العدل والقسط والحق . فما كان في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فهو واجب الانباع ، وما لم يوجد منهما بالنص ولكن وافق مقاصد الشارح وسائر روحه وقاس على أحكامه ولم يعارض فيها شيئاً فهو مقبول إذا اقتضته حاجة الناس . يقول ابن القيم : « فإن الله أرسل رسوله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة الخلق وأسفر صبحه بأي طريق كان فتم شرع الله ودينه ، ورضاه وأمره . »

(١) السياسة الشرعية - طبعة دار الكتاب العربي ص ٢٤ . (٢) فطوة الاسلام السياسية .

واقه تعالى لم يحصر طرق العدل وأدله وأماراته في نوع واحد ، وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر ، بل بين ما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط ، فأى طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها ، والطرق أسباب ووسائل لاتراد لذواتها ، وإنما المراد غاياتها التي هي المقاصد - وليكن نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها ، وإن تجد طريقاً من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للدلالة عليها . وهل يظن بالشرعية الكاملة خلاف ذلك ؟؟ ولا نقول إن السياسة العادلة مخالفة للشرعية الكاملة ، بل هي جزء من أجزائها ، وتسميتها سياسة أمر اصطلاحى ، وإلا فإذا كانت عدلاً فهي من الشرع ، (١) .

ولقد زخرت المكتبة الإسلامية بتأليف جليلة في سياسة الحكم على أساس إسلامى . منها كتاب الاموال ، لأبى عبيد القاسم بن سلام وكتابا الخراج ، وأحدهما لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفى سنة ١٩٢ هـ ، والآخر ليحيى بن آدم القرشى المتوفى سنة ٢٠٢ هـ ، ويتعلقان ببحث السياسة المالية . أما السياسة العامة ففي مقدمة مؤلفاتها ، الاحكام السلطانية ، لأبى حسن الماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، والاحكام السلطانية ، لمعاصره القاضى أبى يعلى ، ثم السياسة الشرعية ، فى إصلاح الراعى والرعية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، وكذلك ، الطرق الحسكية فى السياسة الشرعية ، لتلميذه ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ رضى الله عنهم أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

٢ - سمعة الحكم :

يقوم الحكم على دعامتين هامتين : عدل الحكم ، وعدالة الحاكمين بمعنى العدالة ، فى الفقه الشرعى .

فاستقامة الأوضاع على أمر الله ، واستقامة الأفراد على أمر الله ، صنوان لاغنى بأحدهما عن الآخر : الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . يقول المودودى : إن الحسكومة الإسلامية تتطلب وتقتضى أن يكون سائر أجزاء حياتها الاجتماعية ، وجميع مقومات بنيتها الإدارية من الرعية والمنتخبين والنواب والموظفين والقضاة والحكام وقواد العساكر والوزراء والسفراء والنظار لمختلف

(١) أعلام الموقعين - ٤ - ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

دوائرها ومصالحها - تقتضى أن يكونوا من الطراز الخاص والمنهاج الفذ المبكر ، وهى تطلب بسجيتها رجالا يخشون الله ويخافون حسابه ، يؤثرون الآخرة على الحياة الدنيا ، (١) .

لذلك حرصت دولة الإسلام من أول أمرها على طهارة الحكم وتطهيره على مدى الأيام . وفى مناقب عمر بن الخطاب لأبى الفرج بن الجوزى عن ابن سعد قال : كان عمر استعمل النعمان بن نضلة على ميسان وكان يقول الشعر فقال :

ألا مل أتى الحسناء أن حليها بميسان يسقى فى زجاج وحتم
فى أبيات يقول فى ختامها :

لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمننا بالجوسق المنهدم
فلما بلغ عمر قوله قال : نعم والله إنه ليسوءنى ، من لقيه فليخبره أنى قد عزلته .

فقدم عليه رجل من قومه فأخبره بعزله ، فقدم على عمر فقال : والله ما أحب شيئاً مما قلت ، ولكن كنت امرأة شاعراً وجدت فضلاً من قول فقلت فيه الشعر . فقال عمر : والله لا تعمل لى على عمل ما بقيت (٢) .

فالإسلام حريص على سمعة الحاكمين ، لأن أخطاء الأمير بقاء مشهورة ، والصغيرة منه كبيرة ، وهو محاسب على مجرد القول إن حوسب العامة على مقارفة العمل فقط .

والإسلام هنا لا يفرق بين الأخلاق الشخصية ، وبين القيام بالأعمال الرسمية ، لأن الإسلام لا يقيم الدولة لحفظ السكبان كائناً ما كان ، ولكنه يقيمها لإعلاء المثل العليا الإنسانية التى أتى بها الإسلام ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . يقول المودودى : ... ويبدو لمن أنعم النظر فى دستور الدولة الإسلامية وغايته الحكمة ووضعيته الإصلاحية ، أن هذه الدولة لا يتولى أمرها إلا الذين آمنوا بهذا الدستور ، وجعلوه غاية حياتهم ومطمح أنظارهم ، الذين لم يخضعوا لبرنامج الإصلاح ولم يظهروا تأييدهم لخطته العملية فحسب ، بل كان الإيمان بصدق تعاليمه قد تغلغل فى عروقهم وكانوا على معرفة تامة بروحه وطبيعته وما يشتمل عليه من التفاصيل والجزئيات ، (٣) ويقول : إن إعلاء كلمة الله

(١) منهاج الانقلاب الإسلامى .

(٢) مناقب عمر لابن الجوزى - أشهر مشاهير الإسلام - المجلد الأول - ص ٣٩٩ .

(٣) نظرية الإسلام السياسية .

والدعوة إلى القيام بها تحتاج إلى رجال ذوى صلاح يتقون الله في السر والعلن ، بمن لا يلهمهم عن العمل بالشرعية والاستمسك بعروتها شيء من مطامع الدنيا ، ولا تصرفهم عن ذلك العقبات والشدائد ، (١) .

ولقد كان الإسلام في أحكامه حريصاً في إقامة الاعتبار المعنوى والقانونى للشخص على الأساس الاخلاقى ، ففي رسالة عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى : « المسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجلوداً في حد ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، وأسقط الفقه الإسلامى عدالة من اعتادوا بعض التصرفات ، أو اتمنوا حرفاً فيها مساس بالكرامات ، وفى علم الحديث بلغ د التعميد والتجريح ، مبلغه ، فكيف بمن يلى للمسلمين أمراً من الامور ؟؟ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن الأئمة متفقون على أنه لا بد فى المتولى من أن يكون عدلاً أهلاً للشهادة » ، (٢) .

٣ — نزاهة الحكم :

فرض القرآن الكريم النزاهة قاعدة للحكم الإسلامى ، فقال تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » ، ولقد حذر الحديث الشريف من كل ما فيه شبهة أو ظنة ، ولو كان هدية لا رشوة ، أورد أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود أن النبى ﷺ استعمل رجلاً من الأزد على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا أهدى إلى . فقال النبى ﷺ : « ما بال الرجل نستعمله على العمل بما ولانا الله فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدى إلى ؟؟ فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أهدى إليه أم لا !! والذى نفسى بيده لا يأخذ منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة ، إن كان بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تبحر ، ثم رفع يديه حتى رأينا عرقى إبطيه وقال : « اللهم هل بلغت ؟؟ . قالها ثلاثاً » .

ولإنما تتحقق نزاهة الحكم بأمرين مهمين : عدم استلاب شيء من بيت المال وعدم استلاب مافى جيوب الخلق استغلالاً للنفوذ .

ولقد وجه الأنظار إلى الحرص على مال الدولة بوضوح وقوة صاحب السياسة

(١) منهاج الانقلاب الإسلامى .

(٢) السياسة الشرعية ص ١٩ .

الشرعية ، ^(١) حيث يقول : « وليس لولاة الأموال أن يقسموها بحسب أهوائهم كما يقسم المالك ماله ، وإنما هم أمناء ونواب ووكلاء - ليسوا ملاكا كما قال رسول الله ﷺ : « إني - والله - لا أعطى أحدا ولا أمنع أحدا ، وإنما أنا قاسم أصع حيث أمرت ، رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، فهذا رسول رب العالمين ، قد أخبر أنه ليس بالمنع والعطاء بإرادته واختياره ، كما يفعل ذلك المالك الذى أبيع له التصرف فى ماله ، وكما يفعل ذلك الملوك الذين يعطون من أحبوا ، وإنما هو عبد الله يقسم المال بأمره ، فيضعه حيث أمره الله تعالى ، .

وأورد أبو جعفر الطبرى ^(٢) عن السائب بن يزيد قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : « والله الذى لا إله إلا هو (ثلاثا) ما من أحد إلا له فى هذا المال حق أعطيه أو أمنعه . . . وما أنا فيه إلا كأحدهم ، ولكننا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله ﷺ ، وقد وعى تاريخ الإسلام خطوات عملية لتنفيذ ذلك ، ومحاسبة المتولين للأموال المالية على ما تحت أيديهم ، والحرص بكل سبيل على نزاهة الاداة الحكومية وكانت المحاسبة تتم عن طريق الرؤساء وفى مقدمتهم الخليفة ، ثم تطورت بعد تدوين الدواوين وارتقاؤها واتساع دائرة الحكم فصارت فى يـد جهات خاصة تتولاها . يتبع

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

أول معرفة الأخطل بحريز

قال محمد بن سلام الجمحي : حدثني شيخ من ضبيعة قال : خرج جرير إلى الشام ، فنزل منزلا لبني تغلب ، فخرج مثلما عليه ثياب سفره ، فلقبه رجل لا يعرفه فقال : بمن الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : أما سمعت ما قلت لغاوى بني تميم ؟ (وأنشده مما قال لجرير) ، فقال له جرير : أما سمعت ما قال لك غاوى بني تميم ؟ (وأنشده) . ثم عاد الأخطل ، وعاد جرير فى نقضه ، حتى كثر ذلك بينهما . فقال التغلبي : من أنت ، لا حياك الله ؟ والله لكأنك جرير ! قال : فأنا جرير . . . قال التغلبي : وأنا الأخطل . . .

في الفقه الإسلامي نشأته - خصائصه

١ — تسكنا فيما سبق عن نشأة الفقه الإسلامي وتدرجه حتى وصل إلى كماله ، وعن دور التقليد الذي أخذنا بحمد الله في التخلص منه ، والآن نتكلم عن بعض خصائص هذا الفقه . ومن المفهوم أن لكل من القوانين التي عرفها البشر ما يتميز به عن القوانين الأخرى ، وبذلك يكون له طبيعته أو طابعه الخاص .

وخصائص فقه الإسلام كثيرة ؛ ومنها ما يرجع إلى طبيعته نفسها ، وما يرجع إلى الأصول التي قام عليها ، وما يرجع إلى الوسائل التي يصطنعها في تقرير أحكامه في العقول والنفوس ، وما يرجع إلى الغاية التي يهدف لها ويرضاها الشارع الحكيم الأعظم للعالم كله . وليس من الممكن استيعاب هذه الخصائص ، ولو بإجمال في كلمة أو كلمات محدودة ؛ ولهذا لا بد من الاكتفاء بالكلام عن بعض هذه الخصائص ، ومن الرضى بالإجمال بدل التفصيل .

٢ — وأول خاصة للفقه الذي نعرفه للإسلام ، أنه يرجع في أصوله وأساسه إلى وحى الله تعالى ، هذا الوحى الذى يتمثل فى القرآن والسنة . وكان هذا ، لأن الإسلام جاء للعالم والإنسانية عامة بعد الديانات السابقة ، التى كانت محدودة فى الزمان والمكان ، وبعد أن استفد كل منها أغراضه وأدى رسالته ، فأصبحت البشرية تحس الحاجة الشديدة لدين جديد ، يكون خاتم الأديان التى عرفتها . وكان هذا الدين هو الإسلام ، وكانت وسيلته — لتصل الإنسانية إلى ما ترجوه من حياة العز والكرامة والسعادة — بيان العقيدة الحققة وتقريرها ، وتشريع القوانين التى يصلح بها العالم على اختلاف الزمان والمكان ويسعد بها الفرد والجماعة . ولا عجب فى هذا ، فلم ينزل وحى الله بالإسلام ليكون ديناً لجنس دون آخر ، ولا لامة دون أخرى ، بل للعالم جميعاً على اختلاف ألوانه وأجناسه ومواطنه ، وعلى مر الزمن والقرون . ومن هنا كان لا بد أن تكون تشريعاته عن الله العليم بمحاجات البشر عامة ، الخبير بما يصلحون عليه فى العاجل والآجل من الزمان ، بل وفى الدار الأخرى أيضاً .

٣ — أساس هذا الفقه هو إذاً ما جاء فى كتاب الله الحكيم وسنة رسوله العظيم ﷺ ، وفى هذين المصدرين الكريمين المقدسين نجد الأسس العامة ، بل التفصيلات فى حالات كثيرة يجب فيها التفصيل ، لكل ما عرف العالم من قوانين حديثة عديدة :

المدنى المالى ، الجنائيات ، الدستورى ، الدولى ، وغير ذلك كله من فروع القانون وأقسامه . وكل فقيه من فقهاء المسلمين ، رضوان الله عليهم جميعاً ، يرى نفسه مقيداً بنصوص القرآن وسنة الرسول ، ويجد فيهما غناء أى غناء ! فإن أعوزه النص من القرآن المحكم والسنة الثابتة الصحيحة ، كان له أن يجتهد مستهماً روح الإسلام وأصوله ومقاصده . نريد أن نقول ، بأن على المجتهد المسلم أن يدور دائماً فى ذلك الكتاب والسنة ، وأن لا يتعدى فى اجتهاده مساره ، وإلا فلا قيمة لما يخرج به من رأى يؤدبه إلية عقل ناقص محدود القوى بطبيعته .

٤ — وقيمة أى قانون لا تنجى من إحكام وضعه وحسن تنظيمه فحسب ، ولا يتحقق ما يرجوه من أهداف وغايات بتنفيذه على غير رضى ممن وضع لهم ، إنما يكون ذلك كله إذا كان تنفيذه والنزول على تشريعاته مرجعه إلى اطمئنان النفوس له والإيمان بعدالته . وإلى الاعتقاد بأن فى طاعة هذا القانون المثوبة وحسن الجزاء .

وهنا نجد الفقه الإسلامى بلغ الذروة من ذلك كله ، بما نرى من قيام كل تشريعاه على ركائز ثابتة من الدين والأخلاق ، وهذا يجعل النفوس تؤمن بها كل الإيمان وترضى بها كل الرضاء ، لا فرق فى ذلك بين المسلمين وغير المسلمين . فلا يحاول أحد من المؤمنين بها التفلت من شئ من أحكامها وإن لم يخف سلطان القانون والقضاء . وقد يكون من الخير أن نضرب بعض المثل لما نريد بيانه ، ويكون فيها غنية عن كثير من المثل التى نراها على جعل الذراع لمن يريد :

(١) لا يعيش الإنسان فى قريته أو بلده وحده ، بل له من أمثاله جيران يشركون فى كثير مما لا يستغنى عنه فى حياته . وهنا نجد القوانين الوضعية التى تختلف باختلاف من وضعت لها من الأمم والشعوب لا تعمل فى هذه الناحية أكثر من بيان ما للجار من حقوق على جاره ، ثم تقدير عقوبات لمن يخرج عليها . ومن ثم ، نجد خصوصيات كثيرة تجد من هذه الناحية ، ويصل الكثير منها للتضاء ، على أن هذا لا يمنع من بقاء العداء بين المتقاضين .

لكن الله العالم بما فطر عليه الإنسان من حب النفس والآثرة ، وبأنه لا يقبل تنفيذ القانون إلا بوازع قوى من ضميره يغرسه فيه الدين ، نراه يؤكد قبل كل شئ ما للجار من حقوق وما عليه من واجبات لجاره ، ويذهب فى هذا السبيل إلى حد أن جعل القيام بحق الجار أمراً مفروضاً يحى به الإيمان بالله جل وعلا ، فيقول فى سورة النساء : « واعدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذى القربى واليتامى والمساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب » . ثم نرى الرسول ﷺ يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، وفى حديث آخر : « فليكرم جاره » .

وبعد أن يقدر القرآن والسنة حق الجار هكذا على جاره ، تغدو مهمة الفقهاء والمشرعين هيئة يسيرة : فما عليهم إلا أن يبينوا هذه الحقوق ، وما يقابلها من الواجبات ، فإذا ماؤم بالله وكتابه ورسوله يسارع لإعطاء الجار حقوقه ، ما دام وحى الله - المتلو وغير المتلو - يأمر بإكرام الجار وليس خسب بإعطائه حقوقه . وحينئذ لسنا في حاجة للقضاء ، إلا للمعالجة من لم يخالط الإيمان قلوبهم ويتزعج ما فيها من عوامل الاثارة والظلم .

(ب) وجرى الأمر أيضاً على هذا المنهاج الحكيم في فرض الزكاة والجهاد في سبيل الله والوطن . فإن الله ، جلت حكمته ، يعلم ما فطر عليه الإنسان - إلا من عصم الله من مصطفيه الاخيار - على الشح بالمال والنفس ، ولذلك ترى الشارع الاعظم يمهّد لفرض الزكاة بأنها تطهر المال وتمميه وتزكي النفوس . فقال : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » ، ثم ترى الرسول يقول : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملئ مكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً » ، كما جاء في البخاري ومسلم . أما فيما يختص بالجهاد ، فنجد القرآن يقول : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، ويقول : « ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » . وبعد ذلك ، نجد الرسول يؤكد هذا فيقول : « لغدوة في سبيل الله أو روحه ، خير من الدنيا وما فيها » ، ويقول : « تكفل الله لمن جاهد في سبيله ، لا يخرج منه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلماته » ، أن يدخله الجنة أو يردّه إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة .

وكان لهذا المنهاج النفسى الحكيم لنشر الجهاد فرضاً على المؤمنين ، ونشراً للإسلام وزياداً عنه وعن الوطن ، أثره البالغ في تحبيب الاستشهاد إلى المؤمنين ، حتى إن جابر بن عبد الله يقول للثني عليه الصلاة والسلام يوم أحد : « رأيت إن قتلت ، فأين أنا ؟ » ، قال في الجنة ، فألقى ثمرات في يده ثم قاتل حتى قتل .

• — وبعد ذلك ، فهناك خاصة أخرى للفقه الإسلامي تنصل من قرب بسابقتها . إن القانون الوضعي يمكن أن يعرف بأنه « مجموعة القواعد التي تنظم الروابط الاجتماعية ، والتي تقر الدولة الناس على اتباعها ولو بالقوة عند الاقتضاء »^(١) . ومن هذا التعريف يتبين أن من خصائص القانون جزاء من يحيد عن أحكامه ، إلا أن هذا الجزاء يكون دينوياً بطبيعة الحال ، لأن واضعه لا يملك شيئاً من أمور الآخرة وما فيها من ثواب أو عقاب ، بل لا يملك

(١) أصول القانون للأستاذين عبد الرزاق السنهوري وأحمد حشمت أبو ستيت ، ص ١٣ .

لنفسه نفعاً أو ضرراً في هذه الحياة الدنيا . ومن أجل ذلك ، لا جناح على من يستطيع الإفلات من هذا الجزاء الديني ، اللهم إلا تأنيب الضمير .

كما أن القانون ليس له إلا غاية نفعية ، هي تنظيم المجتمع واستقرار أموره على النحو الذي يفهمه واضع القانون ، وهذه الغاية النفعية محدودة ، لأن عقل واضعه قاصر محدود . ومن ثم ، ترى القساون كثيراً ما يبيح أموراً لا تتفق مع الدين الحق والخلق الصحيح وفائدة المجتمع البعيدة ، مثل الزنا ، وشرب الخمر ، والقمار في بعض صوره .

أما الفقه الإسلامي ، وهو قانون سماوى شرعه الحكيم العليم المحيط بالعالم كله ما كان منه وما لا يكون ، فهو يهدف لسعادة المجتمع القريبة والبعيدة والدائمة ، لا المنفعة العاجلة المحدودة فقط ، وهو يثيب ويعاقب في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى الخالدة . ولذلك يحس المؤمن به بدافع نفسى ووازع قوى يجعله يطيع ما يأمر به وينهى ، حتى ولو أمكن له أن يكون بنجوة من عقابه في الدار الدنيا . وليس كهذا باعثاً على إثبات التشريعات في رضى من النفس واطمئنان .

والتشريعات الفقهية تقصد لصلاح الفرد والمجتمع في كل آن ومكان ، وهذه غاية نفعية بلا ريب . إلا أنها تعمل على بناء مجتمع يكون مثالياً نقياً بما يشوب الدين والخلق وبحافهما ، كما أنها تعمل أيضاً على أن ينبعث الإنسان من نفسه للقيام بواجبه نحو خالقه ونحو نفسه وإخوانه في الإنسانية .

٦ — وهنا نجدنا نصل إلى الحديث عن خاصة هامة أخرى للفقه الإسلامى ، وهى خاصة لها خطرها هذه الايام التى اشتجرت فيها الحرب بين المذاهب الاقتصادية والاجتماعية ، ونعنى بهذه الخاصة النزعة الجماعية ، التى تسود الشريعة الإسلامية . ونريد بكلمة : « جماعية » ، معنى أوسع من كلمة « اشتراكية » ، التى أخذت معنى خاصاً هذه الايام ، حتى يشمل الناحية المالية وغيرها من الحقوق والواجبات جميعاً . وهنا نجد كثيراً من المثل التى لها قيمتها : (١) إن للحكام وولاة الامور أن يسمع لهم الشعب والرعية ، ولكن هذا الحق مقيد بأن يكون هدفهم المصاحبة العامة للأمة جميعاً ، وفى هذا يقول الرسول : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وأكره ، مالم يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ، وهذه الكلمة الجامعة تعبر خير تعبير عن أصل من أصول الحكم والسياسة العامة للدولة ، إذ أنها تحدد بدقة العلاقة التى يجب أن تكون بين الحاكم والمحكوم .

(ب) ويروى أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى عام ٢٢٤ هـ . عن أبي عبيدة بن الجراح أن ناساً من أهل البادية سألوه أن يرزقهم من مال الأمة ، الذي تحت يده ، فقال : لا ، حتى أرزق أهل الحاضرة أولاً ، فمن أراد بحجة الجنة فعليه بالجماعة ، وبمثل هذا كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله يزيد بن الحصين يقول : « مر للجند بالفريضة : وعليك بأهل الحاضرة : وإياك والأعراب فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين ولا يشهدون مشاهدتهم ، وهذا ليس بمعناه أنه ليس للبدو حق في بيت المال العام ، ولكن معناه أنه ليس لهم الحق في رواتب جارية في أهل الحاضرة بل على الدولة أن تعينهم في أوقات الشدة ، كما إذا دهمهم عدو أو أصابهم جائحة في أرزاقهم »^(١) .

وربما جازلنا أن نشير بعد هذين المثلين ، تدليلاً على نزعة الفقه الإسلامي الجماعية ، إلى فرض الزكاة ، والحث على الصدقة وضروب البر المختلفة ، وترك عمر بن الخطاب سواد العراق والشام بيد أهلها على أن توضع عليهم الجزية والخراج ، بل تقسيمه بين الفاتحين ، وذلك ليكون ما يحصل من ذلك عوناً وذخراً للأمة جميعاً .

(٧) وهذه النزعة ترجع فيما نعتقد إلى أن الإسلام يعتبر أن الإنسان وكل ما يراه من حقوق له هو ملك لله وحده ، وهو يمنح منها ما يريد للفرد لتحقيق الخير له وللجمتمع معاً على حين يرى القانون الوضعي ، وعلى الأقل في الماضي القريب ، أن الفرد هو كل شيء ، فما يجعله من الحقوق له يعتبر أمراً طبيعياً ، ولا حرج عليه حينئذ إن أساء استعمالها أو إن لم ير أن للجمتمع حقاً مفروضاً عليه .

وبعد ، هذه بعض الخصائص التي تجعل للفقه الإسلامي طابعاً خاصاً يتميز به عن القوانين الأخرى ، وهي خصائص من شأنها أن تجعل من الفرض على المسلمين في هذا الزمن دراسته بقصد الانتفاع به والإفادة منه على وجه عملي . وفي الكلمة الآتية ، وهي تمة هذا الحديث إن شاء الله تعالى ، بيان الغاية التي نراها حقيقة بالطلب من دراسة الفقه هذه الأيام ، وبيان الوسيلة التي نراها لبلوغ هذه الغاية ، وبالله العون والتوفيق .

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية
بكلية الحقوق - جامعة القاهرة

أَكْمَلُ رِسَالَةٍ لِلَّهِ

حديث لفضية الاستاذ الأعظم
في احتفال الأزهر بالمولد النبوي الشريف

يحتفل العالم الإسلامي اليوم بمولد الإنسان الكامل، الذي اختاره الله لحل أكمل رسالاته إلى البشر كافة، فكان هذا الحادث في تاريخ الإنسانية الحد الفاصل بين الحق مموهاً بأهواء المتغالبين ومطامع المغالطين وأغراض الظالمين، فهو لذلك عرضة للتغيير والتبديل. وبين الحق الأبلج النبي من شوائب الأهواء والمطامع والأغراض، فهو لذلك ثابت خالد إلى يوم الدين. إنه احتفال بمولد الحق مجرداً خالصاً صافياً، وبدعوة الخير عامة شاملة كاملة.

إنه احتفال بانتقال الإنسانية من عهد طفولتها ورعونتها، إلى ما ينبغي لها عند اكتمال نضجها وبلوغها عهد رشدها.

كل ذلك مما يحتفل به العالم الإسلامي اليوم، إذ يحتفل بمولد خاتم رسل الله محمد صلوات الله وسلامه عليه. وقد أكرمه ربه بما حلف به ولادته من أصالة النسب وصفاء الفطرة وسلامة الخلق. ثم استرضع في بني سعد بين أخبية البادية وآفاقها، فازدادت آصرته بالبيئة السعيدة البعيدة عن شوائب المجتمع. وكان كلما شب بعد ذلك ونمى، أسمعته شهرته بين قومه بالأمانة والصدق والاستقامة في الطريق المستقيم، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال دعت السيدة خديجة بنت خويلد إلى الزواج بها، لما اشتهر به من كريم الفضائل ومعالي الأخلاق، فأجابها إلى ذلك، ورأى فيها من الكمال والوفاء ما قابلها عليه باحسن منه.

ولما قارب أمر الرسالة، جعل يختلي في غار حراء للتحنث والعبادة ومناجاة الله عز وجل، فكانت زوجته السيدة خديجة، رضى الله عنها، تساعد على ذلك وترسل اليه زاده في هذه الخلوة القدسية بينه وبين ربه.

وآن وأن بعثته العامة الشاملة إلى الأمم كلها عند ما بلغ من عمره الشريف نحو الأربعين، فأوحى الله اليه في سورة الأنعام — وهي مما أوحى به اليه في مكة قبل الهجرة — دقل الله شهيد بيني وبينكم، وأوحى إلى هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ، فهو صلى الله عليه وسلم

نفير برسلاته لمعاصريه ، ولشكل من تبلغه دعونه في كل زمان ومكان تتلى بهما آيات هذا القرآن على ألسنة الأمم ، فتبلغ أحكامها وحكمها مسامع الاجيال ، ولأن رسالته عامة شاملة كتب رسالته المشهورة إلى ملوك الأرض في زمنه : قيصر وكسرى وهرقل والمقوقس والنجاشي وملكي عمان وغيرهم ، يوجه فيها الدعوة إليهم وإلى أممهم بأن يدخلوا في دين الله . وقد تحمل صلوات الله عليه في سبيل أداء الرسالة وتبليغ الدعوة ما كان يتحمل أنبياء قبله من الأذى والجفوة والصد عن قبول الحق ، إلى أن استجاب له الانصار وبايعوه على الإيمان ، ثم نهضوا مع إخوانهم المهاجرين لمقاومة من يقف في سبيل الدعوة أو يصد عن انتشارها ، فكتب الله النصر لدعوة الحق في بدر ثم في غيرها ، إلى أن فتح الله لرسوله مكة أم القرى ، وتم تطهير بيت الله الأعظم من لوث الوثنية ، ودانت العرب كلها لهذا الدين القيم ، فما انتقل صلوات الله عليه إلى الرفيق الأعلى حتى كان سكان جزيرة العرب كلهم ، قد آمنوا إلا طائفة من اليهود والنصارى أبقاهم صلى الله عليه وسلم على دينهم ، ومنحهم ذمة الإسلام المستكفلة بحماية أنفسهم وأموالهم وشعائهم .

ولقد عمل أصحابه الكرام رضوان الله عليهم بهدياته وساروا على سنته السنية ، فضوا في الدعوة بعده إلى دين الحق ، ملتزمين ما التزمه صلى الله عليه وسلم من العدل والرافة والرحمة ومكارم الاخلاق ، لا يفرقون في ذلك بين من اتبع دينهم أو خالفه ، عملاً بقول الله عز وجل في سورة المائدة : **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، وبذلك فتحت لهم الممالك ، واستجاب لدعوتهم الأمم ،** ووجد شعوب الأرض في هذه الدعوة كل ما كانوا ينشدونه في مطالب الحياة من حقوق وموارث وآداب ومواعظ وأخلاق وحكم وإرشاد لا كمل الأحكام في الحرب والسلم ، وكل ما يحتاج إليه الفرد والمجتمع الصالح في هذه الحياة . ومع أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا من جزيرة العرب ليحققوا الانقلاب العظيم ، الذي أراد الله أن يكون به الحد الفاصل بين الحق والباطل ، كانوا قلة بالنسبة إلى الممالك والامبراطوريات التي واجهوها بدعوتهم ، فإن الله عز وجل جعل الغلبة لهم منذ تعلموا من هدايتهم القرآنية أن العبرة في الغلبة ليست للكثرة التي لم يلزمها الحزم والإخلاص للحق والصبر عليه ، وذلك في قول الله عز وجل من سورة المائدة : **قل لا يستوي الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث ،** ، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الكثرة إذا تجافت عن الحق والخير بأنها **دغماء كفتاء**

السليل ، ، وقال الله عز وجل في سورة البقرة : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ، .

بفعل فضيلة الصبر على إقامة الحق من أسباب الغلبة والنصر ، ولو كان القائمون بالحق الصابرون عليه قليلا عددهم عند مواجهتهم الكثرة من أنصار الباطل ، وبهذا ربي الإسلام من أبنائه الأولين كتلة حازمة لا تهاب الموت في سبيل عزتها والدفاع عن حقها ، فعاش المسلمون الأولون سادة قادة ذادة يحميمهم الحق ويحمونه ، وتعلمهم فضائل الأخلاق ويحملونها ، ويملاون الدنيا عدلا ورحمة ، وتحوطهم الدنيا بالعزة والغبطة الإعجاب .

ولما فشلت كثرة الباطل في قمع الحق الذي يثبت به صاحب هذه الذكري صلوات الله عليه ، أراد المبطلون في زمن البطن الأول من أصحابه أن يفسدوا دعوة الحق بالانتساب إليها ، ودس العقائد الباطلة فيها ، فأفشوا في بعض الضعفاء دعوة تأليه على عليه السلام ، وبعض من ينتمى إلى آل البيت ، فكان أول من غضب لهذه الدعوة وبطش بالمبطلين من أصحابها ، على نفسه كرم الله وجهه ، ومن ذلك اليوم انفتحت جبهة أخرى للدفاع عن الحق الذي بعث الله به رسوله ، بقيام طائفة من أئمة الإسلام في كل زمان ومكان يفرقون بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغى والصدق والكذب ، وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الأشقياء ، وبهم حفظ الله دينه الذي وعد بحفظه إلى يوم الدين .

إن ذكرى مرلد صاحب هذا الانقلاب الإنساني العظيم تذكرنا بكل ما كان لهذه الدعوة من أثر عظيم في عقول البشر وأخلاقهم ومداركهم ، وبالنجاح المنقطع النظير لمن عملوا بها في أنفسهم ، وتطوعوا لنشرها بين الناس ، وهي تدعونا إلى أن نرجع من جديد إلى هداية الإسلام كما كانت في صفائها ونقاها ، ليرجع لنا أثرها من العزة في أنفسنا ودولتنا والسعادة في بيوتنا وأوطاننا ، والكرامة بين شعوب الأرض .

صلى الله وسلم على معلم الناس الخير وعسى الله أن يهدي أمته للرجوع إلى هذا الخير ، في هذا العهد الطاهر المبارك ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

انفخوا للفقهاء أبواب الحياة

الفقه مجموعة الأحكام التي تنظم علاقة الناس بربهم وعلاقة الناس بعضهم ببعض أفراداً وجماعات ، فهو حلول ومخارج من المشاكل التي مست المجتمع فأشقت الحياة وأضرت ببني الإنسان . وكما أن الطبيب المداوى لا يعالج من الأمراض إلا ما انتاب الأجسام ، كذلك الفقه ما كانت تشرع أحكامه إلا بقدر ما يحدث من قضايا وما يجد من جرائم وينشأ من مظالم ، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز « تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا ، . وأحكام القرآن الكريم إنما نزلت بسبب حوادث وقعت في عهد النبي ﷺ وأسئلة وجهت إليه ، وهكذا أمر الأحكام في السنة الكريمة .

والمجتهدون من عهد الصحابة ما كانوا يجتهدون إلا في حكم ما يجد من النوازل ، وكانوا يكرهون الإفتاء فيما لم يقع ، ولهذا روى عن معاذ أنه كان إذا استفتى في مسألة لم تقع يقول « أيها الناس ، لا تستمعوا للبلاء قبل نزوله ، ، وروى مثل هذا عن عثمان وعلي ، وكان بعضهم يقول « دعوها حتى تقع ، ولما فتحت الممالك على المسلمين ونشأ فيها المجتهدون كالائمة الأربعة وغيرهم فصلوا باجتهادهم في مشاكل هذه البلاد التي لم تكن في الغالب موجودة في منازل الوحي بحكم تغير العادات وكثرة مشاكل المدينة .

ولهذا رأينا القضايا التي ذكرت أحكامها في الفقه تمثل عادات البلاد التي دون لها ، فالفقه الحنفي يمثل حياة العراق وبلاد العجم والهند ، والفقهاء المالكي يمثل حياة الحجاز والمغرب والاندلس ، والفقهاء الشافعي يمثل الحياة في مصر ، والفقهاء الحنظلي يمثل الحياة في العراق والشام ، والفقهاء الزيدى يمثل حياة التين ؛ وهكذا ، فمجموعة الأحكام الماثورة في المذاهب المختلفة إنما هي أفضية وفتاوى لأموار كانت وطلب فيها رأى الشريعة ، ومع هذا فإن بعض هذه الأحكام تغيرت ظروفها وتبدلت لتبدل عللها ومقتضياتها ، وبعض الأحكام التي كانت راجحة فيما مضى للمصلحة التي دعت إلى تشريعها أصبحت مرجوحة لتغير وجه المصلحة فيها ، ولا نريد بهذا طبعاً الأحكام التي نص عليها الكتاب والسنة ،

وإنما نريد الأحكام الاجتهادية ، فإنه قد يتغير فيها وجه الاجتهاد لتغير الأسباب التي بنيت عليها . ومنذ المائة الرابعة . تقييد الفكر الفقهى نوعا ما ، فبعد أن كان الفقيه هو المجتهد المطلق الذي يستمد أحكامه من مصادرها الأولى : القرآن والحديث والإجماع وفتاوى الصحابة والقياس على المنصوص . أصبح يفكر في دائرة نصوص إمامه الذي يقلده ويتقيد بأصوله وفروعه . وإذا جدت قضية لم يجدها في منقول إمامه ولحاق النظر بالنظر ، ومع هذا استطاعوا على مر العصور أن يحلوا مشاكل المجتمع ويسعدوا حياة الناس ويظهروا عدل الله بينهم .

ومنذ عهد بعيد تعطل الفقه في باب العقوبات فلم يعد يفصل فيها بأحكام الشريعة ، ومنذ عام سنة ١٨٨٣ تعطل عمل الفقه في المعاملات المالية والتجارية وأصول التقاضى فلم يعد يفصل فيها إلا بالقانون الفرنسى المصرى فيما بعد ؛ فأصبح الفقه من هذا التاريخ عضوا أشل ومصباحا لا يضيء . ولسانا لا يتكلم ، لأن القضايا في المحاكم لم تعد تستقصيه ، ولأن مشاكل الناس لم تستغنيه ، على حين جدت بين الناس مشاكل جمة وقضايا معقدة دعت إليها المدنية وانتشار العمران والحروب التي نشبت والانقلابات التي حدثت ، كمشاكل الطيران والكهرباء والبخار والأسلحة الحديثة وأساليب جديدة في التجارة ومضاربات في البورصة وشركات تعقد على أوضاع مختلفة ومصانع تؤسس ، ولكل وضع من هذه حكم كان يستطيع شرع السماء أن يقوله وأن يستنبطه لو استفتى ، لكن استفتيت قوانين الناس ، والناس أفكارهم محدودة يؤثر فيها الزمان والمكان وتسخرها الأغراض والشهوات . ولو استشير الفقه لنطق لسانه بالعدل الإلهى ونشر مصباحه النور السماوى ، وبعد هذا يقول الناس إن الفقه مقيد ، إن الفقه مسجون ، ولو حل قيده ، وخرج من سجنه وسأله القاضي والمفتى في كل ما يرفع من القضايا والاستفتاءات وترافع بنظرياته المحامى لكان قادرا ولكان خيرا وبركة على الناس .

فإلى أن تقضى المحاكم بالشرع الإسلامى في القريب إن شاء الله بفضل هذه النهضة المباركة التي قامت دعائمها على الإصلاح الشامل ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها : إلى أن يكون هذا ، على الأزهر أن يمد له ؛ فيكتب الفقه من جديد ، ويقرأ القوانين الحديثة ليعرف ما جد من القضايا فيحكم فيها بأحكام الشريعة ، وليعرف ما فى القانون من نظريات أحكمها الأفكار المتلاحقة التي لو عملت في محيط الفقه الإسلامى لانتجت أحسن الآثار . عليه أن يكون لجنة من رجال المذاهب المختلفة المبرزين في فقههم ، ويضم إليهم عددا من علمية

رجال القانون المعروفين بالإيمان بالله والإخلاص لدين الله فيسكتبوا القسم المدنى وقسم العقوبات والمرافعات على ضوء ما جد من المشاكل ، ليحكموا فيها كلها بشريعة السماء . عليه أن ينشئ في كلية الشريعة كرسيًا لدراسة النظريات القانونية على ضوء الفقه والموازنة بين الشريعة والقانون كما درس القما . الفلسفة اليونانية في ضوء عقائد الإسلام وردوا الباطل منها .

بهذا نستطيع أن نستمد من الشريعة قانون البلاد ، وهذا يمكن للفقہ أن يعيش . أما إن تركت كتبه في رفوف المكتاب يأكلها السوس ، وذهب الناس في حياتهم الهاجعة المسابقة يبعثون حكم الجاهلية فالمرت للفقہ والفناء له والضلال للناس ؛ فافتحوا للفقہ أبواب الحياة .

أحمد فهمى أبوسنة
مدرس بكلية الشريعة

القليل المتواصل والكثير المنقطع

روى المرباني في كتاب (الموشح) أن الأخطل أتى الغضبان بن القبعثرى الشيباني في الكوفة وكان سيد بكر بن وائل ، فسأله في حمالة . فقال له ابن القبعثرى : إن شئت أعطيتك ألفين وإن شئت أعطيتك درهمين . قال الأخطل : ما بال ألفين وما بال الدرهمين ؟ قال : إن أعطيتك ألفين لم يعطسكها غيرى إلا قليل . وإن أعطيتك درهمين لم يبق بكرى بالكوفة إلا أعطاك درهمين ، وكتبنا لك إلى إخواننا من أهل البصرة فلم يبق بكرى إلا أعطاك درهمين خفت عليك المؤونة وكثرت لك الثيل . قال الأخطل : فهذه إذن . قال : نعممها لك إلى أن ترجع من البصرة ، وكتب له بالبصرة إلى سويد بن منجوف السدوسى وهو زعيم بكر بن وائل بالبصرة .

الكتب الفلسفية

وما اعتراها من تحريف الوراقين

وسبل صلاحها

في مصر الآن نهضة لإحياء كتب الفلسفة والعلوم القديمة ، تقوم بذلك وزارة المعارف إذ قررت أن يطبع كتاب « الشفاء » لابن سينا ، وسائر كتبه المنطقية والرياضية والإلهية والأخلاقية احتفالاً بذكرى مرور ألف سنة على وفاته ، ويقوم بذلك بعض دور النشر وبعض الأفراد كالاستاذ عبد الرحمن بدوي إذ نشر من كتاب المنطق لأرسطو خمسة كتب : المقولات ، والعبارة ، والقياس ، والبرهان ، والجدل . ويقوم به أيضاً في خارج مصر بعض المستشرقين كالأب بويج إذ نشر « تهافت الفلاسفة » للغزالي ، و « تهافت التهافت » لابن رشد ، و « تفسير ما بعد الطبيعة » لابن رشد أيضاً ، وبعض كتب أخرى . وهذه جهود تشكر لهم ، لأنهم يعاونون الأمرين من هذه السكتب الخطية القديمة . لأنها رديئة الرسم أحياناً وغريبة الاصطلاح أحياناً وقد يكون عدا عليها الدهر فأكلتها الأرضة ، أو أصابها بلل فحار بعض سطورها ، وإن أحدهم ليجت عن النسخ المتعددة من الكتاب الواحد في العالم فينسخها أو يصورها ، ويقابل بعضها ببعض ويبين مواضع الاختلاف في مطبوعه ، وهذا جهد ليس بالقليل فهو مضمّن وفوق الطاقة ، يقر بذلك من كابد بعض الكتب الخطية القديمة .

ولئنّي أذكر أنّي علمت أن جامعة فؤاد الأول استحضرت مصوراً من كتاب المنطق لأرسطو عن مخطوط بياريس ، فذهبت إلى كلية الآداب ، وحاولت أن أنتفع به فلم أفلح لرداءة خطه وطمس سطورهِ . وقيل لي إن التصوير غير متقن ، فما هو إلا أن رأيته بعد ذلك بإخراج الاستاذ عبد الرحمن بدوي مطبوعاً طبعاً أنيقاً ، وعلى ورق مصقول فأخذت أقرأ لا تعينني القراءة ، فكم من يد أسداها لمحبي العلم ، وكم من يد يسديها الناشرون ، وكم من يد تسديها

وزارة المعارف بتذليل الكتب العلمية القديمة ، وتيسيرها للقارئ والدارسين . لقد ذكرنا أنهم لم يألوا جهداً في تيسيرها للقارئ ، فهم يحرصون بأمانة على أن يجعلوا المطبوع صورة مطابقة للأصل من المخطوط ، وإن كانت هناك نسخ متعددة بينها اختلاف بينوه ، ولكن هناك معضلة في هذا الإحياء كله ، ليست معضلة كتاب واحد وإنما هي معضلة الكتب جميعاً ، ذلك أن هذه النسخ الخطية قد اعترها المسخ والنشوي والتبديل ، فإماؤل أو المترجم يخرجها صحيحة مبرأة من العيب . ولكن الحاجة تقضى بأن نعلم وتداول في نسخ منها ناسخ ، فيصحف كلها ويسقط كلها ويزيد كلها ، وتصبح نسخته هذه إماماً في نسخ منها ناسخ فيعترية ما يعترى الأول فيقع في خطئه ويزيد عليه مثل ، أو أكثر ، مما صنع الأول ، وهكذا تتعاوره السفاخ وتداوله الوراقون حتى يعود خطأ بحثنا وباطلا صرفاً .

فإذا حافظ الناشرون على أوضاع هذه النسخة فهم يحافظون على الخطأ ، ويتحرون الفاسد . وكثرة ما يطبع من هذا القبيل ، وإنه في الكتب الفلسفية العلمية أكثر ، وفي الكتب الدينية والأدبية أقل ، ذلك لأن هذه قد اتصل سندها وكثرت العناية بها فكانت تقابل وتدرس وتتحرى حتى جاءت أقل خطأ وتحريفاً ، أما الفلسفة فقد انقطع سندها وقل المشتغلون بها وكانت النسخون لكتبها يحملون ما فيها ، ومن هنا وقع النسخ والتغيير والتبديل والتحويل .

وإنى أريد أن أمثل لما قلته بكتاب المنطق لأرسطو ، الذي أخرجه الاستاذ بدوى . لقد ذكرت أنه قام بجهد عنيف مشكور حين أخرجه ، وحين أبرز هذه النسخة القديمة البالية ، في هذا الثوب القشيب .

لقد عكفت على قراءته فلم أفهم ، وعاودت القراءة فلم أفهم ، فأنكرت نفسى أولاً ثم أنكرت النسخة ثانياً واتهمتها بالتحريف ، فقرأت على أن لا أتبع الالفاظ ولا أتقيد بالكلمات ، وإنما أفهم من السطور ومن بين السطور ، وأستخلص المعنى من مجموع الكلام ، فإذا ما استوى لى ذلك ، بحثت عما كان يلزم من الالفاظ لنستوى العبارة ، فإذا التصحيف تارة ، وإذا الحذف تارة ، وإذا الزيادة تارة أخرى ، فإذا ما كمل ذلك في الباب أو الفصل سهل فهمه ، وعذب مورده ، لا إغلاق فيه ولا إلغاز . وسأمثل :

ورد في نسخة المنطق المطبوعة ص ٣١٠ في أوائل كتاب البرهان ، وقد تجب ضرورة

ما يقدم فيعرف على جبهتين ، فبعضها يحتاج من الضرورة إلى أن يتقدم فتتصور أنها موجودة ، وبعضها الأولى أن تفهم فيها على ماذا يدل القول ، وبعض الأشياء قد تدعو الضرورة إلى أن يتقدم فيعرف من أمرها كلا الصنفين ، .

وهذه عبارة تجدها قلقة مضطربة لا تكاد تفهم فإذا علمت أنه يريد أن يقسم مبادئ البرهان التي يجب أن تعرف قبل البرهان إلى ثلاثة أقسام : الأولى ما يجب التصديق بوجوده ، والثاني ما يجب تصور ما يدل عليه اللفظ ، والثالث ما يجب فيه الأمران جميعا ، علمت ما في العبارة من تصحيف وإن كان حقها : « وقد تجد ضرورة ما يقدم فيعرف على جبهتين فبعضها يحتاج من الضرورة إلى أن يتقدم فيتصور أنها موجودة ، وبعضها إلى أن تفهم فيها على ماذا يدل القول » .

فانظر كيف وقع التحريف فسد طريق الفهم فلما أصلح تيسر فهمه . وورد في ص ٣١٣ : « وأما أن البرهان من أوائل غير مبرهنة فذلك أنه لم يكن يوجد السبيل إلى أن تعلم إذا لم يكن عليها برهان ، وذلك أن معنى أن تعلم الأشياء التي عليها برهان لا بطريق العرض إنما هو أن تقتنى البرهان عليها » .

فإذا علمت أنه يريد بهذا أن يبين أن البرهان لا بد أن ينتهي إلى أوائل ليس عليها برهان لأنه إذا كان عليها برهان لم يمكن أن تعلم إلا به فيقتلسل والتسلسل محال ، أدركت أن في العبارة تصحيفا وأنه يجب أن يقال بدل إذا لم يكن عليها برهان : إذا لم يقتن عليها برهان .

وقد تجد تصحيف الكلمات من فتح حرف فيها إلى كسره يجعل العبارة مغلفة لا تفهم ، فإذا فتح الحرف بعد كسره عرف ما يراد منها كما ورد في الصفحة نفسها « وأما أنها أقدم فإن كانت عللا ، بكسر همزة فإن — وإذا كانت عللا فماذا ؟ » .

فإذا علمت أن أرسطو يشترط في مبادئ البرهان أن تكون أقدم من النتيجة ، واستدل على ذلك بأن المبادئ يجب أن تكون عللا لما قدمه ، فيلزم أن تكون أقدم ، لأن العلة أقدم من المعلول ، علمت أن حق العبارة « وأما أنها أقدم فإن كانت عللا ، بفتح همزة فإن أي فلأن كانت عللا » .

ومثال التحريف بالنقص ما ورد في ص ٤٦٣ : « وأما أن العلم الذى بغير ذوات وسط أترى هو واحد بعينه أم ليس كذلك ، .

وفى العبارة نقص وحققها « وأما أن العلم الذى بغير ذوات وسط والعلم ، الذى بذوات وسط ، أتراهما واحداً بعينه ، .

أى العلم بالمبادئ التى بدون برهان ، والعلم بالأشياء التى هى برهان ، أهما علم واحد أم جنسان مختلفان ؟ .

ومثال التحريف بالزيادة ما ورد فى ص ٤٦٤ : « ومن التجربة عندما يثبت ويستقر الكلى فى النفس ، .

وحققها : « ومن التجربة يثبت ويستقر الكلى فى النفس ، بحذف (عندما) ، وهذه بعض أمثلة وسيلنا أن نمثل ولا نستقصى .

ولإذا وقع هذا التصحيف والتحريف فى هذه الفسخة المطبوعة ، وهى منقولة عن نسخة منقولة من نسخة الحسن بن سوار ، وقوبلت بنسخة كتبت من نسخة عيسى بن إسحاق بن زرعة ، المنقولة من نسخة يحيى بن عدى فكان أيضاً موافقاً — كما أثبت بآخر كتاب البرهان — ومعنى ذلك أن هذه النسخة أنجبها أصل فلسفى ، وهى نسخة الحسن بن سوار ، وزكاها عدل مقبول وهو نسخة عيسى بن إسحاق بن زرعة ، المنقولة من نسخة يحيى بن عدى ، وهما اثنان من الفلاسفة ، ولهما مرتبة عليا فيها ، فما بالك بنسخة لم تظفر بمثل هذا النسب العالى وبمثل هذه التزكية .

أرايتم أنه لا يغنى التصحيح الاول عن التصحيح الثانى ، وأنه لا يمكن الفهم إلا بهذا التصحيح المعنوى .

أرايتم هذا الجهد المضنى ، أرايتموه يقل تعباً وعسراً عن رفع الانتقال وقطع الاحجار ، بل ربما كان قاطع الاحجار أبلى ريقاً وأسهل طريقاً ، وكان صاحب هذا الجهد محبوس الانفاس ، منقبض العضلات ، مرهف الحواس مخافة أن يند عنه ما يوشك أن يقع فى شباك .

أرايتم جهداً أيمن من هذا الجهد ، وتعباً أجدى من هذا التعب .

إنه لا تقل جدواه عن جدوى المعلم الأول أرسطاطاليس الذى ألفه ، ولا جدوى أبى بشر متى بن يونس الذى ترجمه . فإذا كان الأول قد ألف ، والثانى قد ترجم وبذلك سهلاه ويسراه للتعلين ، فإن الزمن قد جار عليه ، وغيره وبدله فلم يعد ينتفع به إلا بهذا الجهد الأخير الذى أزال النسخ والمسخ ، وعاد به كيوم ألفه المؤلف وترجمه المترجم .

إن التصحيح الأول عمل عضوى لا يحتاج إلا إلى عمل حاسة البصر . فالمصحح يقرأ النسخ المختلفة ويعرف مواضع الاختلاف وينبه عليها . أما التصحيح الثانى فهو عمل عقلى شاق عميق يقتضى أن يكون صاحبه عارفاً بالعلم الذى يصحح فيه ، وقل فى زماننا من يعنى بهذه العلوم الفلسفية ، فقل من يعلم المنطق على طريقة أرسطو ، وقل من ينظر فى علم الطبيعة على طريقة الفلاسفة المتقدمين ، وقل من يعرف علوم ما بعد الطبيعة على وعورتها ، وقل من يصبر على هذه العلوم مع انصراف الناس عنها . وانقطاع السند فيها وعدم الجزاء المادى عليها ، وإنه لا يتوفر على دراستها إلا من أوقى حظاً من حب الحكمة ملك عليه أمره ، فهو يصرفه فى بيداء الفكر وشعاب العلم ، يقضى فيها نهاره وليله يسعد بما فيها ، وإنه ليكتفى بذلك ويزهد فيما فى أيدي الناس من متاع وزخرف .

لا بد إذا من العالم بهذه العلوم الفلسفية ليصحح هذا التصحيح المعنوى ، ولكن لا بد من أن يحافظ على الأصل فيكتبه وينبه على أن المعنى يقتضى كذا ويثبت ما يقتضيه فى أسفل الصفحة .

ولمّا أوجبنا ذلك لأن المرء موكل به النسيان والغاظ ، فربما زيف فهما صحيحاً ، وربما أصلح فأفسد ، وأزال التحريف فأوقع فى التحريف . ولعلّنا أخرى وهى عدم التحكم فى القارىء فهو بذلك يقول لمن ينظر فى هذا الكتاب : هذا هو الأصل وما يقتضيه على هو كذا ولك الخيار فيما تأخذ وما تدع . وحذا لو كتب خلاصة لسكل باب يترجمه إلى لغة العصر لتكون أعون على فهمه .

هذا ما نراه فى إخراج الكتب الفلسفية ولعل وزارة المعارف تقتنع به وتراعيه لأنها إذا أخرجت الكتب الفلسفية بدونه ، تكون قد أحييت ولم تحي ويسرت ولم تيسر وأخرجت للناس كتباً شبيهة بأقوال المجانين لا نظام يجمعها ولا معنى يفهم منها كما قال أبو تمام :

عذلاً شبيهاً بالجنون كأنما قرأت به الورهاء شطر كتاب

وأحب أن أنبه إلى أنه يجب إذا ظفرت وزارة المعارف بمن يصححون منها هذا التصحيح ألا تطلب منهم الكثير فإنهم لا يعنون بالكثرة، وإنما يعنون بالجودة، وكل قليل من الجيد فهو كثير لو لم يكن إلا أن يخرج أحدهم كتاب الشعر أو الخطابة أو البرهان لأرسطو لكفاه ذلك، فبحسبه أن أخرج كتاب البرهان أو الشعر أو الخطابة مقروءاً مفهوماً وبحسب الأمانة أن تظفر بذلك .

وأحب أيضاً ألا تضن عليهم فتحاسبهم بالورقة أو باللمزة بل تكافئهم مكافأة من يعلم قيمة علمهم وجدواه ، وما فيه من صعوبة ، فهو خلاصة تعب العمر ، وجهد الحياة .

ليس بكثير على رجل أنفق عمره في خدمة العلم والاشتغال بعلوم الأوائل حتى استوى له أن يصحح كتاباً من كتب المعلم الأول ، أو كتب ابن سينا أو ابن رشد ، تصحيحاً يزيل غلط الدهور وخطأ الاحتمال ، أن يأخذ من أمثال الدولة ما يوازي تعب عقله ونصب فكره . وما يغني أن تعطى الدولة من يسر لها كتاباً مما تود نشره من كتب العلم ما يكافئ عمله فهي ليست تنشده وتبذل الجهد والمال في إخراجه للناس إلا للارتفاع به ، ولا يفتنح به ويتيسر فهمه إلا بهذا التصحيح المعنوي الذي قلناه .

إنه يجب أن تتغير نظرتنا إلى العلم والعلماء فلا نستكثر على العلماء ما لا نستكثره على من لا يقنون غناهم وينفعون نفعمهم .

إذا أراد المرء أن يعرف مقدار تقدم أمة في الحضارة نظر إلى ما ينفق فيها ويروج فإن كان الذي ينفق فيها المضحكات والمسائات ، فهي ذات نصيب قليل من التقدم والرقى ، وإن كان الذي ينفق فيها الجد والعلم عرف أنها تعرف للعلم خطره ، وللبعد أثره ، وخير للأمة المصرية أن تتجاوز الطور الأول إلى هذا الطور الأخير .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

الحديث النبوي

مقاصد ، الفاظه ، معانيه

تناولت في حديث سابق كلام النبوة من ناحية أغراضه ومراميها ، واليوم أعرض له من جهة بلاغته .

ولعمر الحق إن يصفه واصف بأبلغ ولا أوجز ولا أدل من قوله : « أما أفصح العرب ، بيد أنى من قریش ، واسترضعت في بنى بكر بن سعد ، » .

وقال له أبو بكر ذات يوم : لقد طفت للعرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ فقال ﷺ : « أدبني ربى فأحسن تأديبي ، » .

وذكر أبو علي البغدادي في أماليه أن النبي ﷺ كان جالسا بين أصحابه فذشأت سحابة فقالوا : يا رسول الله هذه سحابة فقال : كيف ترون قواعدها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد تمسكها . قال : وكيف ترون رحاها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد استدارتها . قال : وكيف ترون برقها أو ميضاً أم خفياً أم يشق شقا ؟ قالوا : بل يشق شقا . فقال : فكيف ترون جونها ؟ قالوا : ما أحسنه وأشد سواده فقال ﷺ : الحيا . فقالوا : يا رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك . قال : وما يمنعني ؟ فإنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين (١) .

والقارئ الكريم يستطيع أن يفهم من هذه الأحاديث كيف امتاز النبي ﷺ بهذه الفصاحة التي كانت موضع إعجاب أصحابه ودهشتهم ، وفيهم أبو بكر نسابة العرب وراوية أخبارها وطوافها بالآفاق .

فهو صلى الله عليه وسلم كما يقول في الحديث الأول : من قریش وهي أفصح العرب لغة وأقومها منطقاً لأنها كانت تنخير من لغات الوافدين إليها في المواسم ما خف على اللسان وحسن في الآذان فلطفت لهجتها وجاد أسلوبها وزادت ثروتها . وكرمها القرآن فنزل بلغتها .

(١) الوميض : اللع الحثي . والحثي بالتخفيف : البرق الضعيف .

وهو صلى الله عليه وسلم قد استرضع في بنى سعد بن بكر وكانوا من العرب الضاربين حول مكة يتبدى فيهم أطفال قريش يطلبون نشأة الفصاحة ، وقد أجمع الرواة على أن لهم اختصاصا وامتيازاً من بين العرب في الفصاحة وحسن البيان ومحمد صاحب الاستعداد الحبيب والفطرة العالية فكيف يبلغ من أدبهم .

وهو صلى الله عليه وسلم كما وصف نفسه في الحديث الثانى قد أدبه ربه وصنعه على كرائم ما يؤتى الناس من مبان ومعان جل مواهبها ، وذلك الركن الركين والسر السكين والهاية التى لا تدرك .

ثم هو تليذ القرآن وخصيصه وصفيه ونجيته كما يقول وما يمنحنى وإنما أنزل القرآن بلسان عربى . وهذا الكتاب نعم المؤدب والمهذب ، وللقارى فيه من العلم والأدب والبيان واللسان بمقدار ما له فى القارى من تفرغ ، واتجاه وهل كان إلا للقرآن يتعمده ويهذبه ويعلمه البيان .

وفى هاتين الناحيتين (مدارسة القرآن وتأديب الرحمن) موضع التفرد فى رسول الله ﷺ فقد اصطفى له ما شاء من صور البيان كما اصطفاه على جميع الأنام وكانت له بلاغة : وسجدت الأفكار لآيتها ، وحسرت العقول دون غايتها ، ألفاظ يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ويصفها لسان نزل عليه القرآن بحقايقه فهى إن لم تكن من الوحي ولكنها حادثة من سبيله ، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هى من دليله ^(١) .

ولا تنوهم أن بلاغة النبوة كانت من نوع ما قد يتوهم القارىء فى بعض الحديث الأخير من غرابة وأن ذلك كان مصدر إعجاب الصحابة ، كلا فقد كان ﷺ أبعد الناس من الغريب والحوشى كما ترى فيما بعد ، وإنما هى مجازات فى القواعد (الأسافل) وفى الرقى (الوسط) وفى البواسق (الاعلى) . والغرابة بالمجاز محدودة إذا كانت فى صخرها وحاقها . وقد جعل الله غرابة كلام النبوة أحيانا فى دقة معانيه ولطف استعاراته وتماسك لبنائه وتجماع كلماته ودقة تشبيهاته وإحكام تطابقها .

(١) إيجاز القرآن للرافعى

وربما أغرب حين يخاطب من ليس من قریش فيكون ما يتكلم به أو ما يكتبه غير مألوف لقومه ، ولكنه لغة المخاطبين وبغيره لا يفقهون فهو يحدثهم بما يفهمون . ولذلك وصف النبي ﷺ بأنه واضح في اللغة ومشقق فيها ، وروى المبرد في الكامل أنه ﷺ قال لأبي تيممة الهجيمي : إياك والمخيلة ، فقال يا رسول الله نحن قوم فما المخيلة ؟ قال : سبل الإزار .

وإذا ، فقد صورت للقارئ بعض عوامل بلاغته ﷺ بمقدار ما أوردت الأحاديث الكريمة السالفة الذكر . ولا ريب أن عوامل بلاغته أكثر من ذلك ، ولكنني لست في هذا السبيل فإن السفر طويل وليس المجال بمستدع ذلك ، فتاريخ النبي وما يحف به من الأمور الجليلة ، بل إن شاء قائل أن يقول إن النبي ﷺ في غنى عن الإشارة ببلاغته وبيانه ، وإن من الفضول إرجاء الوقت في تصوير ذلك كان له ذلك . ولكنني أردت أن أوجه القارئ صوبها وأذكره بالواجب نحوها ، وأجدد في نفسه معاني تقديرها حتى لا يتخذ هذا الكلام السامى مهجوراً ، وحتى يلتبس أقرب الطرق إلى البلاغة في تفقه ذلك البيان العظيم من ذلك النبي الكريم ، وأعود إذاً بالقارئ إلى وصف كلامه صلى الله عليه وسلم وأجعل العمدة في ذلك ما يتناقله الأدباء من وصف الجاحظ له وهو الناقد البصير والواصف الخبير قال الجاحظ في البيان والتميين (١) :

« هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف . قال الله تعالى : (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) فكيف وقد جانب أصحاب التعكير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر . وهجر الغريب والوحشي ، ورغب عن المهجين والسوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالصنعة ، وشد بالتأيد ، ويسر بالتوفيق . وهذا الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة . ولا زالت به قدم . ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ،

ولا أخمه خطيب ، بل يبرز الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعلمه الخصم ولا يحتاج إلا بالصدق ولا يطلب الفالج إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ولا يستعمل المواربة . ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ولا أبين في خضواء من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا وصف الجاحظ لكلام السيد الرسول ، وهي أوصاف عظيمة وإن كان في تصويرها شيء من الترهل في العبارة والتكرار ، وهي تلتخص فيما يأتي مع شيء من التأييد .

(١) كان ﷺ موزج اللفظ يقصد إلى الهدف ويهdy إلى الجادة في القول كما هدى إليها في الفعل ، وهي من خصائص النبوة وآيات العبقريّة . ولهذا وصفت البلاغة بين الأدباء بأنها الإيجاز ، لأن كل متكلم يستعين على الإفهام ويردد في سياق الكلام لنقص علمه بحاجة السامع ، وعدم اطمئنائه إلى أنه وفي . ولهذا تكثر الإطالة في كلام الاعاجم ومن على شاكلتهم فأما العرب الخالص فيتنافسون في لمحة دالة وكلمة جامعة .

ومن قرأ لهذا الجاحظ الذي يضرب به المنل في البيان ، أو لامثاله من فرسان هذا الميدان كابن المقفع ، وأحمد بن يوسف ، وعبد الحميد من قبلهما ، أدرك فرق ما بينهم وبين النابغين في البلاغة وعلى رأسهم محمد بن عبد الله .

وهذا ما جعل السيد الرسول يتحدث بنعمة الله عليه فيقول : أوتيت جوامع الكلم ، واختصر لي الكلام اختصاراً . ، وجوامع الكلم غير الاختصار كما قد يتوهم . وكان ﷺ يقول : نحن معاشر الانبياء بكاء ، لأنهم يكرهون الفضول ، ويقصدون إلى الاهداف ، ويعمدون إلى الصراحة . ولما نصح جرير بن عبد الله قال له : إذا قلت فأوجز ، وإذا بلغت حاجتك فلا تتكلف . . ولهذا قال : أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون . . وقد أحصى العلماء كثيراً من الكلام المفيد السامى الذى يشتمل على كلمتين من كلامه كقوله : الإيمان يمان ، الدين النصيحة . . الدين الماملة ، . العدة دين ، . السماح رباح ، وما إلى ذلك من الكلام العذب المغدق الخصب المتعلى بمحاسن البديع الطيبى .

ولعلك ترى في هذه المحاولة أن ذلك كان توفيقاً لا إقلاقاً ، وإصابة لا عجزاً ، وهو من الحكمة التي وصف بها الجاحظ هذا الكلام فقال : إنه لم ينطق إلا عن ميراث حكمة . على أنه كان يطيل في الحين بعد الحين كما قال الجاحظ أيضاً أنه يبسط في موضع البسط ويقصر في موضع القصر . وروى عن أبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم خطب بعد العصر فقال : « ألا إن الدنيا حلوة خضرة ، ألا وإن الله مستخلفكم فيها فأنظروا كيف تعملون . فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء . ألا لا يمنعن رجلاً مخافة الله أن يقول الحق . إذا علمه » . قال أبو سعيد : ولم يزل يخاطب حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف .

وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم نوع من الاطناب يسمى « التوشيع » وقد تردد كثيراً فيها بجمال قاتن وإحسان عظيم ، لأنه يتفق مع الإجمال ثم التفصيل ، لزيادة تقرير المعنى وإيصاله إلى السامع . وهو لإحكام لصناعة البلاغة ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول الكلمة ثلاثاً لفهم عنه ، ولم يكن يسرد كسر دما .

وفي هذه المناسبة أقول : إن الجاحظ قد تورط فيما اعتقد فذكر أنه كان يستغنى عن إعادة الكلام ، وكان السامع في غير حاجة إلى المعاودة إلا أن يتكلف لتصحيحه ببعض التأويل . وهذا التوشيع يحده الفارسي الكريم في مثل قوله « عشر خصال من الفطرة الخ » وقوله « أوصاني ربي بتسع الخ » وقوله « سبعة يظلمهم الله الخ » وقوله « أربع من كن فيه الخ » وقوله « آية المنافق ثلاث الخ » وهو مما يحمل السبك رصينا والاسلوب متماسكا .

هذا ولغلبة الإيجاز على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في غير تكلف ولا عنا . مع بلوغ الغاية كان إعجاب الأصحاب به وتعجبهم من مسلكه ، وفي الحق إن ذلك ناحية الامتياز الكبرى في بيانه صلى الله عليه وسلم فإن اجتماع الكلام بقلة ألفاظه مع اتساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيد ، واطراد ذلك في كل معنى وفي كل باب شيء لم يعرف لاحد قبله . فأما غيره فإنه يستهلك بالاختصار معنى الكلام ويستولى عليه بالتكلف . ومن شاء فلينظر في المختصرات ومختصرات المختصرات فيما بين أيدينا من الكتب ليرى كيف يصنع الاختصار من تشويه الحقائق وتكلف ما يحول دون الفهم . « يتبع »

محمود النواوى
المفتش بالأزهر

الحكم التكيفي والوضعي

— ١ —

من المعلوم أن الاصطلاحات العرفية والشرعية ترجع في أصلها إلى الأوضاع اللغوية . ولهذا يلزمنا أن نعرف الحكم في الوضع اللغوي ، ثم نفتقل منه إلى الحكم الشرعي . فالحكم في اللغة : الصرف والمنع للإصلاح . وجاء منه ، حكمة الفرس ، وهي الحديدة التي تمنعه عن الجروح . وجاء منه ، الحكيم ، لأنه يمنع نفسه ويصرفها عن هواها . ومنه ، الإحكام ، أى الإنفاق . وقد جاء في القرآن الكريم ، كتاب أحكمت آياته ، أى منعت وحفظت عن الخلط والكذب والباطل والخطأ والتناقض . و « الحكم » بمعنى الفصل والبت والقطع . وفي اصطلاح المناطقة إسناد أمر إلى آخر إيجاباً أو سلباً ، وإدراك وقوع النسبة أو لا وقوعها . وإذا كان الحكم هو الثمرة المطلوبة من متابع التشريع الإسلامى وأدلته ، فإن أنظار الأصوليين المستبطين للأحكام الشرعية محصورة في وجوه دلالة الأدلة السمعية على الأحكام الشرعية - ولاجل ذلك جرت عادة الأصوليين أن يعرفوا الحكم الشرعى ويقسموه ثم يبينوا الحاكم والمحكوم فيه والمحكوم عليه .

وقبل أن نبدأ السير في بيان هذه الحقائق المنقسم إليها الحكم الشرعى . ننبه إلى أن الأصوليين جرت عادتهم بذكر تعريفات متعددة لكل نوع من أنواع الحكم بل قد اختلفوا في تعريف الحكم نفسه . وإنا لناخذ أنفسنا في هذا البحث بذكر ما رجحه جمهرة العلماء أو واحد منهم ، ونعرض عن غير الراجح من التعاريف . وقد عرف الآمدى الحكم الشرعى بأنه « خطاب الشارع المفيد فائدة شرعية ، وهذا الخطاب إما أن يكون متعلقاً بطلب أو لا يكون متعلقاً بطلب . فإن كان الأول فهو طلب الفعل أو الترك . وكل واحد منهما إما جازم أو غير جازم . فما تعلق بالطلب الجازم للفعل فهو الوجوب . وما تعلق بالطلب غير الجازم فهو الندب . وما تعلق بالطلب الجازم للترك فهو الحرمة . وما تعلق بالطلب غير الجازم للترك فهو الكراهة ، وإن لم يكن متعلقاً بطلب ، فإما أن يكون متعلقاً بخطاب التخيير

أو غيره . فإن كان الأول فهو الإباحة . وإن كان الثاني فهو الحكم الوضعي كالصحة والبطلان ونصب الشيء سبياً أو مانعاً أو شرطاً ، وكون الفعل عبادة وقضاء وأداء وعزيمة ورخصة . وهذا التعريف يقرب من قول بعضهم : الحكم عند الأصوليين خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تحبيراً أو وضعاً .

وعبارة الشاطبي واضحة في تقسيم الأحكام الشرعية ، إذ يقول الأحكام الشرعية قسمان : أحدهما يرجع إلى خطاب التكليف والآخر يرجع إلى خطاب الوضع . فالأول ينحصر في خمسة أنواع : الإباحة والتدبب والكرهية والإيجاب والتجريم . والثاني ينحصر في الأسباب والشروط والموانع والصحة والبطلان والذائم والرخص . ومن هذا يعلم أن الأصوليين عرفوا الحكم بالخطاب الذي يطلب به الشارع من المكلف فعلاً أو تحبيره بين أن يفعل وأن لا يفعل ، أو يجعل بخطابه شيئاً من الأحكام سبياً أو شرطاً أو مانعاً . فنحو قوله تعالى « أقيموا الصلاة » ، « إذا تدابنتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ، « ولا تقربوا الزنا » ، « وذروا البيع » ، « فإذا حللتم فاصطادوا » ، « أقم الصلاة لدلوك الشمس » ، كل هذه أحكام شرعية في نظر الأصوليين .

وللفقهاء معنى آخر للحكم . فهو عندهم الصفة التي هي أثر ذلك الخطاب . فالحكم الشرعي عندهم هو الوجوب للصلاة . والإرشاد لكتابة الدين . والحرمة للزنا . والكرهية للبيع وقت النداء . والإباحة للاصطياد بعد الإحلال . وسببية الوجوب لدلوك الشمس . وليست هناك ثمرة لهذا الخلاف ، ولا أثر على إثبات الأحكام .

والفرق بين الأحكام التكميلية والوضعية ، أن التكميلية ينظر فيها إلى ترتب الثواب على الفعل والعقاب على الترك ، وأما الوضعية فإنه ينظر فيها إلى اعتبار الفعل صحيحاً في نظر الشارع ومعتداً به أو ليس صحيحاً ولا معتبراً .

وقد أجمع أهل السنة على نفي الأحكام عند عدم الخطاب من الشارع ، ذهاباً منهم إلى عدم اعتبار حكم العقل في إثبات الأحكام . فالعقل لا يحسن ولا يقيح فلا يثبت به حكم . والعقل لا يوجب شكر المنعم .

وقد ذهب المعتزلة إلى أن الأفعال تنقسم إلى حسنة وقبيحة . فمنها ما يدرك بضرورة العقل كحسن إنقاذ الغرقى والملكى وشكر المنعم . ومعرفة حسن الصدق وقبح الكذب

ولايام البرىء . ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق الذى يترتب عليه ضرر ، وقبح الكذب الذى يترتب عليه نفع . ومنها ما يدرك بالسمع كحسن الصلاة والحج وسائر العبادات . ولا نرى من الخوض فى هذا الجدال عظيم فائدة تستحق منا مزيد المعاناة ، ولعل ذلك هو الذى حدا بمتقدمى الاصوليين إلى الإعراض عن الخوض فى هذا اللجاج الذى يكون ذكره فى مسائل علم الكلام أولى وارتباطه به أقوى .

ومقصد الشارع من تشريع هذه الاحكام والزام البشر بها إنما هو تحقيق سعادتهم فى العاجل والآجل . وقد وقع الخلاف فى علم الكلام بين طائفتين تزعم الراى لإحدى تلك الطائفتين مدعى أن أحكام الله ليست معللة بعلة ألبتة ، كما أن أفعاله لا تعمل ولم يستطع هذا الراى أن يثبت أمام التطبيق العملى والنظرى فى الاحكام المعللة فى الكتاب والسنة . فالقرآن الكريم ملىء بالأفعال والاحكام المعللة . فإن الله تعالى يقول فى حكمة بعثة الرسل : رسلا مبشرين ومنذرين . لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، . ويقول فى وصف خاتم المرسلين بأنه رحمة للعالمين . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، . وفوق هذا فإن آيات القرآن التى تعرضت لمبدأ الخلق وحكمته ظهر فيها التعليل بوضوح وجلال إذ يقول عز من قائل . وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، . ويقول : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ويقول . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، .

وفى تعليل جزئيات الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة فيض عظيم ، لا يستطيع معارض أن يحجز نوره أو يحبس ضوءه أو يصد شمس . ففي آية الوضوء يظهر التعليل واضحاً فى قوله تعالى : ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ، ويقول فى الصوم : كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، وفى الصلاة : إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وفى القبلة : فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة ، وفى الجهاد : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وفى القصاص : ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب ، وفى الحمل على الثقبير بوحدانية الله سبحانه وتعالى بأبلغ وجه وأفصح عبارة وأشرف ديباجة ، إذ يقول جل وعلا فى صدد ذلك : أأستبرئكم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، ولو أطلقنا العنان لقمصى

أحكام الكتاب والسنة وتعاليلها لكننا ملزمين بأن نضع مؤلفاً بدلاً أن ندبج مقالة لمجلة الأزهر.

ولعل أوفق في مستقبل الأيام إلى كشف اللثام عن أسرار هذه التعليلات .

وجملة ما يمكن أن يقال فيها إنها حكم وأسرار ليست بياضة للشارع ولا ملزمة له ، بل هي راجعة في الحقيقة إلى مصلحة العباد ، وتحقيق الخير لهم والله غنى عن العالمين .

ونعود إلى الرأي الثاني الذي تزعمته المعتزلة وهو أن أحكام الله وأفعاله معللة برعاية مصالح العباد ومعهم أكثر الفقهاء . ولذا حللت رأى الرازي وخرجته على الوجه الذي بسطته فقد أصبح موافقاً لرأى المعتزلة ، وبذلك حقق علماء الأصول التوفيق بين رأى المعتزلة ورأى الرازي ، إذ أن ما قاله المعتزلة في تعليل الأحكام والأفعال راجع في الحقيقة إلى مصالح العباد ومنفعتهم لا إلى منفعة الله سبحانه وتعالى ، لأنه غير محتاج إلى الأفعال ليتكمل بها . ولا يستطيع الرازي أن ينكر أن العباد يفتفون بهذه الأحكام ، وأن علمها تعود بالخير والنفع لهم ، وتمكنهم من الخلافة المصلحة في الأرض التي يباهى الله بها ملائكته ، والتي أشار إليها سبحانه بقوله « وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ،

وفقنا الله إلى إدراك أسرار تشريعه وحكمه إنه على ما يشاء قدير .

عبد الله المراغى

مدير قسم المساجد بوزارة الأوقاف

يُصلح في إسلامه ما أفسده في كفره

كان عبد الله بن الزبيرى السهمى شاعراً من شعراء قريش ومن أشدهم عداوة للإسلام .

ثم أسلم ومدح النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فأحسن فقال :

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقتُ إذ أنا بُورُ
إذ أجارى الشيطان فى سنن الغيِّ ومن مال ميله مشبور
آمن اللحمُ والعظامُ بما قلتُ فنفسى الفدى وأنت النذيرُ

أزمة الأدب وحرية التعبير

يمتاز العالم في هذه الفترة الأخيرة من حياته مراحل خطيرة من التطور والانتقال ،
نتج عنها انهيار في بعض القيم الخلقية والاجتماعية والسياسية ، وظهور قيم أخرى جديدة
مؤسسة على الفهم الجديد الذي أحدثه التطور في شتى نواحي الحياة الإنسانية .

والادب كظاهرة أساسية من الظواهر البشرية كان في المقدمة ؛ بل كان الجهاز
الحساس الذي يسجل كل هذه التغيرات . وقد اعتبر كثير من المؤرخين أن الادب مصدر
أساسي من مصادر التاريخ الاجتماعي والسياسي لدولة من الدول ، ثم ابتداء هذا التقويم
لوظيفة الادب يتسع حتى أصبح من المقرر أنه ليس تعبيراً ذاتياً يقوم به أفراد معينون
يعبرون عن ذواتهم ، بل اتجه إلى معنى أوسع وأعمق ، إلى أنه تعبير اجتماعي ضخم لمرحلة
تاريخية في حياة الإنسان .

ومن هنا أُلقيت على عاتق الأدب مهمة اجتماعية ثقيلة ، وضعت في عنقه أمانة التعبير
عن الجيل الذي يعيش فيه ، وأرغمته على أن تكون صلته بهذا المجتمع أكثر ارتباطاً ، وأشد
حساسية . . واعتبر الكاتب غير محقق لرسالته كأديب ما لم يكن سراً صادقة لعصره !

وليس هناك شك في أن الادب ليس هو التاريخ ، ولا المذكرات أو اليوميات المسجلة
للأحداث التي تجري في حقبة بعينها ؛ لأن هذا يجرده من دوره الأصيل ، وهو التعبير عن
موقف الإنسان تجاه مشكلة من المشاكل والاسلوب الذي يتخذه في مجابهتها ، كاشفاً عن
الإمكانات التي تنطوي عليها الطبيعة الإنسانية ، ويتحول الفن أو الادب هنا إلى دراسة
أوسع وأعمق يستفيد منها علم النفس الحديث وفروعه .

ومن زاوية أخرى يقوم الادب بتقرير وجهة نظر معينة تعبر عن اتجاه خاص للكاتب
أو لجماعة يشترك معها الكاتب في الرأي والعقيدة ، وهكذا يساهم الادب ليس — فقط —
في بناء التاريخ ، ولا في الدراسة المتعددة الجوانب للإنسان ، بل في الاتجاه الفكري أو المذهبي
لطائفة من الناس ، وكلما كان الكاتب واعياً بمجتمعهم أمينا على الحقيقة كان الرأي الذي يعبر
عنه في صالح الجموع الإنسانية التي تشاركه حياته ، وأصبح بعيد الأثر في كل ما يحدث في
التاريخ البشري من تقدم وارتقاء .

ولا يمكن للأدب أن يؤدي وظائفه هذه ما لم يكن صادقا ، بصيراً بالأمور لا تختفي عن وعيته حقائق الحياة التي تكون عادة مخبأة تحت كتل مكسدة من التضليل والتعقيد !

ونحن هنا نتكلم عن هذا اللون المخلص من الأدب ، فكلما كان الأدب مخلصا ازدادت خطورته . وعلى هذا لم تكن مهمة هذا الأديب سهلة ميسورة في كل العصور والعهود . فلقد أدرك أصحاب السطوة ما للأدب من أثر ووقفوا على دوره المتعدد الجوانب . وابتدأوا يحاربونه إما بتحويله عن اتجاهه الطبيعي ، وإما باستغلاله لتحقيق أغراضهم ، وإما بقطع الصلة بينه وبين جمهور الشعب - الذي يمثل الجانب الآخر من التفاعل - بمصادرته وإقامة السدود في سبيله ، إما بالتشريعات القانونية وإما بالسيطرة المباشرة !

وبهذا أضافوا وظيفة أساسية من وظائف الفن المخلص ، هي الدفاع عن الحرية ، لأنه بغير الحرية لا يمكن لهذا الأدب أن يصبح له وجود .

والأدب الحر لا يخشى على حريته من حرية الآداب الرخيصة ، فعلى الرغم من أنه معلوم لأصحاب الاقتصاد أن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق ، إلا أن هذا لا ينطبق على الأدب ، وربما لا ينطبق على شيء من حياة الإنسان ، لأن هذا الأدب يؤمن بالجوانب الخيرة ، ويعتقد أنها أساسية في الإنسان . وتاريخ الأدب نفسه يمنح هذه الثقة ، فكل الآثار الأدبية الرفيعة التي بقيت واكتسبت صفة الاستمرار ، استمدت قدراتها هذه من توفر تلك الصفات فيها .

وفي هذه الفترة من حياتنا ننظر إلى آدابنا فنجد أنها تعاني أزمة شديدة ، ربما لم تعانيها فترة أخرى قبلها . ولقد أحس الكتّاب أنفسهم هذه الأزمة ، بل ابتدأوا يعانونها . . وسواء كانوا مخلصين ، أو غير مخلصين فقد عقدوا المؤتمرات لدراستها ومحاولة القضاء عليها . . وليس الأمر بالسهولة التي تتصورها للوهلة الأولى ، فالاختلاف في الآراء يأتي تبعا للاختلاف في الإخلاص لرسالة الأديب التي شرعناها ، وليس هذا الإخلاص شيئا مسلما به بين الكتّاب جميعاً . .

فنحن نعيش في أزهى العصور الإنسانية ، وأكثرها تقدما . ففي عصرنا وقفنا على حقائق علمية كانت تبدو لاسلافنا ضرباً من الخرافة . وابتدأنا نحدد موقفنا من عالمنا تحديداً ربما يكون أقرب إلى الصواب من الذين قبلنا . وقد أعطينا للتراث الفكري القديم قيمة كبرى ، وأصبح على الأديب بل للثقف أن يلم بهذا التراث قبل أن يخط سطرأ . . وأصبح

عليه أيضاً أن يلم بكل حقائق هذا العصر، وثقافة هذا العصر .. ومع أننا نقف على أكتاف هؤلاء الذين سبقونا، فما زال بين كتابنا المعاصرين كثير من الأرقام ...

على أنه يجدر بنا أن نذكر أن العراقيين التي نقف في سبيل الكاتب في عصرنا - اثنتان: هلى الحق الدستورى فى حرية التعبير - أكثر تعقداً من أية عراقيل أقيمت فى سبيل كاتب من قبل . فكلما تقدمت البشرية فى الثقافة وأوغلت فى استغلال فهمها للقوانين الطبيعية، ازداد تقدم الاستبداد فى ابتكار الوسائل المختلفة لحماية استبداده .. وكرد فعل طبيعى تنشط الجماهير لرد هذا العدوان وهى أكثر ثقافة وأكثر وعياً من قبل .. وباختصار أصبح الاستبداد من التنبه بحيث صار وجود أدب حر مخلص شيئاً أشبه بالمستحيل !

ولكننا مهما غلونا فى تقدير هذه العقبات، فإننا لا نستطيع أن ننسى أبداً، أنه فى ماضى الزمن، قبل أن يسمع امرؤ عن حقوق الإنسان، كان الكاتب والمفكر يشقى أو يقتل لاتفه الأمور . ومع هذا فقد وصلت إلينا كل الآراء الطيبة التى تشترك بصخورها الصلبة المتينة فى بنائنا الفكرى حتى الآن .. ومعنى هذا أن هناك صراعاً دائماً بين المفكر الحر والاستبداد - على اختلاف أساليب أصحاب السطوة فى الصراع خشونة ونعومة - وإن على الكاتب أن يفترض بداءة أن الاستبداد سيقف فى سبيله، وأن يهيم نفسه لاستقبال كل طعنه وأن يعلم نفسه كيف يستطيع أن يكسب المعركة على الرغم من كل شيء ..

ومن غير هذا الصراع - بل هذه الخاصية التى يتمتع بها الأدب - يصبح الأدب شيئاً للهو والزينة، ويصبح أنفه من أن يلتفت إليه إنسان لا فى هذا العصر ولا فى أى عصر آخر من العصور القادمة ...

وأزمة الأدب المعاصر تعود - بالدرجة الأولى - إلى الكاتب نفسه .. فهما تكن السلطات قد درعت نفسها ضد الكتابة الحرة، فإن الأدب بإمكانياته الفريدة من حيث قدرته على الإيحاء والتوجيه تليحاً وتضميناً ورمزاً فى أضيق الحلقات، يستطيع أن يحطم هذه الحصون مهما تكن قوتها .. وهذا ما لم يفعله أحد من الذين يندبون أزمة الأدب المعاصر .. ولقد كان لويس السادس عشر ومن قبله أبوه وجده، مثلاً شيئاً للاستبداد، ومع ذلك فقد استطاع فولتير وجان جاك روسو ومونتسكيو وغيرهم أن يكتبوا، وأن يبالغوا الناس عن طريق الأدب والفلسفة والعلم !

وفي أقصى مراحل الاستبداد القيصري في روسيا وقف دسيتويفسكي الكاتب الروسي ينتظر دوره لتتزع المشقة حياته .. ومع هذا فقد قرأنا لدستويفسكي وتولستوى وتورجنيف وتشيكوف .. واعتبرناهم عمالقة ، وكان عصرهم أزهى العصور الأدبية !
بقي شيء واحد يجب تقريره ؛ إن كتابنا - وقد يشمل هذا كتاب الغرب أيضا الذين يعانون الازمة - غير مخلصين لقضية الإنسانية ، من حيث هي تقدم وارتقاء في جميع أركان الحياة . وقد يكون بعضهم مخلصاً لقضية أخرى غير هذه القضية ، ولكن طبيعة قضيته الخاسرة تجره إلى الخلف وتجعله من كتاب الازمة ، لانه بقدر ما يكون الكاتب صاعداً مع الصاعدين ، يكتسب الاستمرار والخلود ..

والواقع أن كتابنا المعاصرين يعتبرون من المتخلفين عن قضايا جيلهم ، وعن فهمها . وقد اتخذت أكثرتهم الجانب المنحل من المجتمع لتقف إلى جواره ، وتدافع عن أهدافه ومطامعه ، قانعة بالراحة والثروة وشيء من الجاه الحقيق .. وها هي ذى الأوضاع قد زلزلت في مصر ، وهي تزلزل في جميع أنحاء العالم مؤذنة بالتغيير الضخم الذي يحدث لمصلحة المجموع . ويكتشف كتاب الازمة - بعد فوات الفرصة - أنهم كانوا في الجانب الخاسر ، على أنه كيف يتأتى للإنسان أن يصطنع الإخلاص وهو لا يكون فيه إلا طبعاً أصيلاً !! إن الازمة التي يعانيها الأدب العربي الآن ، أزمة في الضمير الأدبي والثقافي عند الكاتب العرب قبل أن تكون أزمة الافتئات على حرية التعبير .. ولان نستطيع أبداً أن نتوجه بهذه الكلمة إلى أحد غير الكاتب لاننا - مهما نكون من البلاهة والغفلة - ما كنا نطلب إلى الاستبداد الراحل أن يفتح بالسلح الذي في يده .

أحمد عباسي صالح

في مسير الرسول من حنين إلى الطائف

قال الشاعر الأنصاري كعب بن مالك :

قضينا من تهامة كل وتر	وخير ، ثم أحجمنا السيوف
نخيرها ، ولو نطق لقات	قواطع من دوساً أو ثقيفا
فلست لحاصن ^(١) إن لم تروها	بساحة داركم منا ألوفاً
فتتزع العروش بيطر وج	ونترك داركم منا خلوفاً
ونزدى اللات والعزى ووداً	ونسلبها القلائد والشنوفاً

(١) الحاصن : المرأة العفيفة الكريمة .

الدَّعْوَةُ إِلَى التَّقَشُّفِ

كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يرسل ولاته إلى الأفطار الإسلامية لیسكونوا (معلین) قبل أن یسکونوا (حاکمین) . ومن بواعث السعادة لمصر أن ربان سفینتها الیوم — وهو الرئيس القائد محمد نجیب — یرهن فی کل موقف من مواقفه علی أنه المعلم الحکیم الذی یلاحظ مواطن الضعف فی السکیان المصری ، فیرشد أمته إلى أقرب الطرق لمعالجة ضعفها بما یخرجها منه إلى موطن السلامة .

ولما وقف یخطب فی حفلة إرساء حجر الأساس لمبنى الإذاعة اللاسلكية دعا جمیع مواطنیه إلى اتباع سياسة التقشف وقال :

« إن التركة مثقلة ، ونحن نعیش تحت بناء منهار نرید أن نرفع أنقاضه ، ولم نرفع منه حتى الآن إلا التراب . وهذه الحالة لیس المسئول عن تحقیقها محمد نجیب وحده ، بل کل رجل فی البلد یجب أن یتعاون ویتضافر ویعمل معنا لإقامة البناء سلیمًا متینًا .

إذن فجن نعیش تحت بناء منهار ، والذی یقول هذه الکلمة هو الرجل الواقف علی دغائل البناء الذی نعیش تحته ، فصاح بنا یدعونا إلى النجاة .

إنه یعرف ما لا یعرفه أكثرنا ، أو علی الأقل یعرف ما لا أعرفه أنا ، وبما أعرفه أنا عن بنائنا الذی نعیش تحته أن هذه الحركة المباركة لما قامت لأجل الإنقاذ کان میزان مصر التجارى هكذا :

إن مصر استوردت من الخارج مصنوعات وأدوات وضروریات وکالیات فی الأشهر الخمسة الأولى من سنة ١٩٥٢ تزيد قیمتها ٣٧ ملیونا و١٤٧ ألف جنيه عما صدرته إلى الخارج من حاصلات مصر ومنتجاتها ، فجموع ما دخل فی جیوب المصریین من المال ثمنًا لقطنهم ومحصولاتهم الزراعیة ومنتجاتهم الصناعیة نقص ٣٧ ملیون جنيه عما خرج من جیوبهم ثمنًا لما استوردوه من منسوجات وحبوب وأغذية وأدوية وأدوات ومکنات وخور ودخان وأحر شغایف وأدوات زينة وتوافه سخیفة ، ولا یدخل فی هذا النقص الخیف ثمن کل ما أدخل خلصة وبطریق التهريب من حشیش وکوکاين وسموم أخرى منع القانون مرورها من الجمارک فلم یتناولها الإحصاء الرسمى ، وإن أمة تخسر فی خمسة أشهر ٣٧ ملیونا هی فرق

ثمن ما تنفقه من أموالها في الخارج عن ثمن ما تصدره من محصولاتها إلى الخارج ، لى أشبه بمن يعيش تحت بناء منهار ، وإذا دعا محمد نجيب أمته إلى التقشف فينبغي لكل مصرى وكل مصرية أن يفهما من ذلك أن النجاة من انهيار البناء على رموس الجميع متوقف على الاستغناء عن هذه التوافه التي تعرضها المتاجر الكبرى في أكرم موضع من أماكنها البارزة ، وتسلب عليها أنوار الكهرباء فتخادع صغيرات العقول من النساء وضعاف الاحلام والاخلق من الرجال حتى يخرجوا ما في محافظهم من الجنيمات فيقذفوا بها في بالوعات هذه المتاجر لتنتقل إلى بلاد الغرب تاركة وراءها هذا البناء المنهار الذي نعيش تحته . ولو أن هذا المعنى يلاحظه كل مثقف في أوروبا تعلم من بلاد الإنجليز استعمال شراهم الويسكى ، أو تعلم من بلاد فرنسا استعمال شراهم من الكونياك ، لحجل من نفسه إن لم يحجل من ربه ، ولضن بنقود مصر أن تتحول إلى الخارج عن طريق هذه السكؤوس التي يهدم بها السكير نعمة العافية عليه من الله ، كما يهدم بها هذا البناء الذي نعيش تحته وهو الذى نسميه الوطن .

٣٧ مليون جنيه خسرتها في خمسة أشهر من أول يناير الى آخر مايو من سنة ١٩٥٢ ، والجناية على الوطن من هذه الخسارة واقعة على رأس كل امرأة تبذل أموال زوجها ووطنها في توافه الزينة وسخافات المتاجر الكبرى ، وتقع على كل من يضع بين شفتيه سيجارة ليحرق ثمنها في الهواء ، أو يقرب كأس الويسكى أو الكونياك من فمه ليسكون ثمن ذلك إعانة منه لتجار الخمر وصانعيها في البلاد التي تشكل بأهل تونس والجزائر والمغرب الأقصى ، أو تصب وابل العذاب على أهل كينيا .

إن دعوة الرئيس أمته إلى التقشف دعوة كريمة إلى التحرر ، من الكجاليات والسخافات والتوافه . وهذا التحرر مصدر من مصادر السعادة ، ومرتبة عالية من مراتب تحرير النفس ، وإعدادها لحمل أعباء المجد ، ومواجهة المصاعب عند وقوعها . وقد حاول الاسبرطيون هذا التحرر ، بالمرانة والاعتياء فكانوا به من أهمل الكفاح والغلب . ونشأ عليه العرب بالفطرة ، فأهلهم ذلك لحمل أعباء الرسالة الإسلامية والنجاح بها في أقطار الأرض بما يعده التاريخ من المعجزات التي لا يعرف مثلها لغير العرب . وكما أن العربي كان يرى من البلاغة ، أن يخلل من بيانه كل حرف يستطيع أن يؤدي غرضه بالاستغناء عنه ، كذلك كان يرى من التحرر ، أن يستغنى في معاشه عن كل هنة يستقيم له العيش مع الاستغناء عنها . ولعلم كل شعوبى على وجه الأرض أن ذلك لم يكن من العرب عن قلة

وفاقة وحرمان ، بل لأنهم يرون فيه تمام حريتهم واكتمال إنسانيتهم . ألا ترى إلى معاوية رضى الله عنه يوم استقدم إلى الدار الخضراء في دمشق حرة من سيدات البادية وكريماتها العاقلات لتكون سيدة قصره وأم ولده ومنجبة ولي عهده ، فضايق صدر هذه السيدة الحكيمة - وهى ميسون بنت بحدل القضاعية - بترف أهل المدن الذى يجافى طبعها العربى الحر ، ولا نزال إلى اليوم نترنم بقولها :

ليبت تخفسق لأرواح فيه أحب إلى من قصر منيف

فهذه النظرة السليمة إلى الحياة هى مما أهل قوم ميسون بنت بحدل للنهوض بعبء الإسلام ، وتحقيق أهدافه ، وتربية الأمم عليه فى صدر الإسلام ، ففهم الناس منهم أن الإسلام دين الاعتدال فى كل شئ : الاعتدال فى الثروة والغنى ، والاعتدال فى الفقر والزهد ، والاعتدال فى الحب والبغض ، والاعتدال فى الراحة وبذل الجهد ، بل إنه - وهو دين - جاء يدعو إلى الاعتدال حتى فى الدين : « لا رهبانية فى الإسلام ، ، « إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، ، « الدين يسر ، ولن يغالب الدين أحد إلا غلبه ، ، « إياكم والغلو فى الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين ، .

فالإسلام يدعو إلى الاعتدال فى الدين ، وفى المعيشة ، وفى كل شئ . والرئيس محمد نجيب إذا دعا إلى التقشف فإنه يدعو إلى مدلوله الإسلامى ، وهو « التحرر ، من الكليات والفساسف والمظاهر الكاذبة والأعراض الزائلة ، ولا يعنى به معناه البرهمى الذى طرأ علينا باسم التصوف فأدى إلى تعذيب النفس بما لا فائدة منه ترجى فى المجتمع الصالح .

إن محمد نجيب كان يصيح بنا وهو يرسى حجر الأساس فى بناء الإذاعة اللاسلكية لنصحو من غفلتنا ، ونفيق من سكرتنا . وهو لا يريد بنا أن نتكشف نقشفا برهميا إلى الحد الذى كان عليه غاندى ، ولكنه يريد منا الاعتدال على طريقة الإسلام وبهجية العرب لوصل ما انقطع بين حاضرتنا وماضيتنا ، ولنتدارك ما سيقع على رموسنا من انهيار البناء فى المستقبل إذا أصررنا على هذا السرف الذى انقضى عهده مع العهد البائد ، فالى العهد الجديد واعتداله أيها المواطنون .

محج الربيع الخطيب

رواية الحديث وتدوينه

الحديث ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلق أو خلق ؛ أو هو أعم من أن يكون قول الرسول ﷺ أو الصحابة أو التابعين وفعلهم وتقريرهم .

ولا يكاد يخلو صحابي من رواية شيء من الحديث النبوي قل أو كثير ؛ وقد اشتهر بسعة الرواية منهم طائفة حصرهم الذهبي في واحد وثلاثين ، منهم اثنان من أزواجه ﷺ . هما : عائشة وأم سلمة - رضى الله عنهما - وخلفاؤه الراشدون الأربعة رضى الله عنهم ، وأوسعهم رواية هلي ، يليه عمر ، ثم عثمان ، ثم أبو بكر .

وأكثر الصحابة رواية أبو هريرة ، فروايته خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون ، ثم عبد الله بن عمرو . فله ألفان وستمائة وثلاثون ، ثم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، فله ألفان ومائتان وستة وسبعون ، ثم عائشة ، فله ألفان ومائتان وعشر ، ثم عبد الله بن عباس ، فله ألف وستمائة وسبعون .

وليس معنى ما سلف أن الخلفاء الراشدين دون أبي هريرة ومن يليه علماً بحديث رسول الله ﷺ ، فهم أدري بشأنه كله ، وغايته أنهم لم يكثروا من التحديث ، لمثل ما ذكره الذهبي بإسناده إلى قرظة بن كعب . قال : لما سیرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر وقال : أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا : نعم . مكرمة لنا ، قال : ومع ذلك أنكم تأتون أهل قرية لم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تصدوم بالاحاديث فتشغلهم ، جوّدوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ ، وأنا شريككم ، فهو كما ترى تحرّج من مزاحمة القرآن ، أو تخوف مما تجره كثرة الرواية من الشبهات . وقد صرح بأولى علتين عروة بن الزبير فقال : كنا نقول : لا تتخذ كتاباً مع كتاب الله ، فحوت كتي ، فوالله لوددت أن كتي عندي . إن كتاب الله قد استمرت سريره . وصرحت بالثانية عائشة فيما ترويه عن أبيها رضى الله عنهما إذ أحرقت صحيفة كانت عنده فيها خمسمائة حديث خشية أن يكون فيها حديث عن رجل قد ائتمنه ووثق به ولم يكن كما حدثه .

هذا ومن أسباب سعة الرواية طول الصحبة ، وهو من أسباب إكثار عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما ؛ وهو ، والرواية عن بعض الصحابة ، وطول العمر من أسباب إكثار أنس خادم رسول الله ﷺ . فقد أخذ عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ، وطائفة ، وجميعها مع قوة الحفظ من أسباب إكثار أبي هريرة . فقد كان مسكيناً من أصحاب الصفة يلزم النبي ﷺ على ملء بطنه ، فكان يحضر ما لا يحضر من إخوانه من المهاجرين والانصار ، ويبيع ما لا يبيعون . وروى أبو هريرة عن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب . وعن الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره ، ونحوه يقوله عن نفسه ؛ والكتابة من أسباب إكثار عبد الله بن عمرو بن العاص . كتب عن النبي ﷺ علماً كثيراً ، وكان يعترف له أبو هريرة بالإكثار من العلم . وقال : إنه كان يكتب عن النبي ﷺ . وكنت لا أكتب .

هذا وليس بعجيب أن نرى التابعين وتابعيهم أوسع رواية من الصحابة . فإنهم جمعوا إلى ما تفرق من رواياتهم فتاواهم وآثارهم ، حتى كانت رواية سفيان بن عيينة نحواً من سبعة آلاف حديث ، وشعبة بن الحجاج - الذي يقول فيه الشافعي : لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق - عشرة آلاف حديث ، ولحماد بن سلمة بضعة عشر ألفاً ، وإبراهيم بن سعد الزهري نحو من سبعة عشر ألف حديث في الاحكام سوى المغازي ، وسفيان الثوري - وهو وأبوه من علماء الكوفة - ثلاثون ألف حديث ، ولهشيم بن بشير ابن أبي خازم نزيل بغداد عشرون ألف حديث ، وقد اتصل رواية الرجل الواحد إلى مائة ألف ، كعبد الله بن وهيب بن مسلم ، وبعد هذه الطبقة بلغت رواية البخاري أربعمائة ألف ، ومسلم ثلاثمائة ألف ، لم يخرج منها إلا عشرة آلاف ، بل روى أن الإمام أحمد بن حنبل كان حفظه ألف ألف .

والروايات مضطربة في إباحة تدوين الحديث ، وصورة من هذا الاضطراب في كشف الظنون . وقد عرفت رأى الصديق في ذلك ، فيما روته عائشة ، من إحراقه الصحيفة لما سلف عنه رضى الله عليه ، وعلى أنه كان في صدر الإسلام كتابة للحديث ، كالذي سلف من كتابة عبد الله بن عمرو ، فالظاهر أنها لم تكن إلا لمجرد التقييد دون ترتيب أو تبويب .

وفى أوائل السيوطى : وأول من دون الحديث ابن شهاب فى خلافة عمر بن عبد العزيز ،
وفيه قال مالك فى الموطأ : إن عمر بن عبد العزيز رحمه الله - كتب إلى أبى بكر بن محمد بن حزم ،
أن النظر فيما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنته ، أو حديث عمر ، أو أخبار
الخلفاء الأربعة وفقهاء الصحابة ، أو نحو ذلك فاكتبه لى ، فإنى قد خفت دروس العلم
وذهاب العلماء ؛ فدون كثير من العلوم فى خلافته ، رحمه الله .

وفى كشف الظنون : أنه اختلف فى أول من صنف ، فقيل : الإمام عبد الملك ابن
عبد العزيز بن جريج البصرى (فى سنة ١٥٥ هـ) . وقيل : أبو النصر سعيد بن أبى عروبة
(فى سنة ١٥٦ هـ) ، وقيل : ربيع بن صبيح (فى سنة ١٦٠ هـ) ، ثم صنف سفيان بن عيينه ،
ومالك بن أنس بالمدينة ، وعبد الله بن وهب بمصر ، ومعمّر وعبد الرزاق باليمن ، وسفيان
الثورى ، محمد بن فضيل بن غزوان بالكوفة ، وحماد بن سلمة ، وروح ابن عباد بالبصرة ،
وهشيم بواسط ، وعبد الله بن المبارك بخراسان .

ومن مظاهر الحرص آتخذ على التدوين والاختزال عن الشيوخ قول ابن المبارك : كتبت
عن ألف شيخ ومائة شيخ ؛ ومن مظاهر عناية الخلفاء بالمحدثين ، أن الرشيد وصل أبابكر
ابن عباس المحدث الكوفى بستة آلاف دينار . وعن أبى معاوية الضرير ، محدث الكوفة ، :
أكلت مع الرشيد فصب على يدى رجل لا أعرفه . فقال الرشيد : يا أبابكر معاوية ، تدرى
من كان يصب على يديك ؟ قلت : لا . قال : أنا . قلت : أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال :
نعم . لإجلال العلم ؛ ووراء هذه العناية الدفينة عناية أخرى أدبية فثل أبى نواس من الشعراء
واسحاق الموصلى من المعتزى والأدباء من رواة الحديث الآخذين عن الشيوخ ، فقد كتب
أبو نواس الحديث عن عبد الواحد بن زياد وأزهر السمان وغيرهما ، وروى إسحاق الحديث ،
ولقى أهله مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وهشيم بن بشير وإبراهيم بن سعد وأبى معاوية
الضرير وروح بن عباد وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز .

محمود فرج العقدة

مدرس بكلية اللغة العربية

كَيْفَ بَنَى الْمُسْلِمُونَ مَجْدَهُمْ

ذكر التاريخ في أنصع صفحاته ، ذلك المجد الذي بناه المسلمون في مطلع فجرهم ومشرق شمسهم . وكتب بمداد العجب والفخر ، عن تلك الهمم العليا التي دفعت بالمسلمين إلى جوب البقاع والوهاد ، وطى المهامه والقيافي ، وإخضاع الممالك المترامية الأطراف في أقل من ربع قرن من الزمان .

ولقد بينت الحوادث الخالدة أن ذلك المجد لم يكن وليد الحظوظ ، ولم تسقه المصادفات ؛ ولا كنهه كان مخفوفاً بكثير من المخاطر ، مقروناً بشقى المتاعب والمصاعب .

ولولا الثقة بالنفس ، والاستهانة بالحياة ، لوقف المسلمون حيث بدءوا ، وماتوا حيث ولدوا ، وبادوا حيث وجدوا .

وإذا كان الإنسان كبير النفس ، وثاباً إلى الممالي ، فإنه يخلق في الآفاق بأجنحة من الفخر ، ويبني مجده على هامة الوجود .

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

اعتقد المسلمون في مبدأ أمرهم أنهم خلقوا للكيفاح والجهاد ، وأنهم وجدوا للنضال والجلاد ، وأن الدين يتقاضاهم واجب الدفاع عن الوطن ، والزيادة عن حياضه ؛ فهبوا عاملين لا يرهبون الموت ، ولا يتهيبون المنايا ، ولا يحرصون على البقاء ، حتى حققوا المجد العريض ، وأدركوا الشرف الرفيع .

لقد أحبوا الموت فوهبوا الحياة ، وباعوا القليل فربحوا الكثير ، وهجروا الآكواخ فسكنوا القصور ، وشقوا زمناً قليلاً ، فسعدوا دهرأ طويلاً ، وذلك شأن العاملين ، ومآل المخلصين ، ونهاية المجاهدين .

ذلك كان شأن المسلمين أيام كان المسلم يعلم أن عليه واجبات يتقاضاها منه ربه ودينه ، ووطنه وأمه ، فيأدر إلى قضائها مبادرة الظالم إلى ورد الماء ، ويندفع إلى أدائها اندفاع السيل في مجراه ، والهمم صوب مرماه .

كانت نفوس الجماعة إذ ذاك ملتزمة ، والقلوب متصافية ، والمؤمن للؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، فعلا شأنهم ، ونبه ذكرهم ، واستقام أمرهم ، وتلفتت نحوهم الأيصار والعيون ، تضي علىهم الإكبار والإجلال .

مضى ذلك العصر بخيره ، ومضى معه ذلك التراث الذى خلفه الآباء ، وكان مشار الإعجاب ، وموضع الفخار حقبا من الزمان .

مضى ذلك ، من يوم أن احتل البغض فى القلوب موضع الحب ، والشئيات والفرقة موضع الاتحاد والالفة ، والتدابير والتقاطيع موضع التواد والتواصل .

وإذا انفرط عقد الأمة ، وسرت فيها روح التخاذل ، فقد أفل نجمها ، وغابت شمسها ، وطويت صحيفتها .

نعم ضاع ذلك المجد التليد من يوم أخذت الأمة بتسلايب الانفراط ، وأقام أفرادها من أنفسهم أما متشعبة ، هم الواحد منهم أن يكون لنفسه عوناً ، وللغريب على أمته ساعداً وعضداً ؛ ونسوا أن الأمم تحيا وتموت بأفرادها ، وترجع وتحف كنفها بأبنائها . فإذا أخذتهم الغيرة عليها ، وأشربت قلوبهم محبتها ، وعللوا أن المجموع هو الفرد المتكرر ، استطاعوا أن يبقوا أمتهم على الدهر تنصرع تحت أقدامها خطوبه ، وتنهار أمام قوتها صروفه ، وتمزق بسطوتها أحداثه .

وإذا ركبو أهواءهم ولم يرعوا لأمتهم كرامة ، ولم يروا لها حرمة ، فقد أسلبوها إلى للفناء ، ورموها بأيديهم فى مكان سحيق .

بالأمس وقف الإسلام وقفة ، كان ملء عين الدهر وبصره ، وتلا على الشعوب كتاب القوة من مبتدئه إلى خبره ، وخط فى أفق الوجود سطوراً من الحكمة ، وعنها الأمم المعادية له وحذقتها ، واسترشدت بها واستضاءت بنورها .

أما أبنائها فقد استناروا بها حيناً من الدهر ، بلغوا فيه أوج السعادة ، ثم طاف بهم طائف من التفريط ، شأن كل غالب يرتكز على قوته ثم يهمل أمرها ، ويعتمد على ظفـره دون أن يـرعاه بالحطية .

طاف بهم ذلك الطائف وهم فى نشوة النصر ، وسكرة الظفر ؛ وقد نسوا أن هناك أما مقبورة بسيفهم ، وعروشا مثولة برماحهم ، وأن الموتور لا ينام عن وتره ، وأن ضعيف اليوم ربما يكون قويا فى غده .

نسوا ذلك فكان المصير ما نراه ، وكان المسأل تلك الحسرة التي تحترق بنارها قلوبنا حزنا على ما فقدناه من مجد بناء الآباء بلبانات من فلذ الالكباد .

أيها المسلمون : لا ضعف بدائم أبداً ، ولا قوة بياقية على الدهر ، ولكن الأيام دول ، والامم التي تفتح عيونها تسترد شبابها ، والدول التي تنفبه عقولها تستعيد مجدها ، والشعوب إذا أنجبت شبابا يشعر بالواجب يجتمع شملها ، ويتجدد بناؤها .

ومن كان مثل الامة الإسلامية التي تمشي إلى الحياة ، في ضوء من دين قويم يهتدى بنوره ، ومجد رفيع تستمد منه القوة ، توشك أن تعود إلى ما كانت عليه يوم لاسلطان في الوجود إلا سلطانها ، ولا قوة في الارض غير قوتها . أجل إن مثل الامة الإسلامية مع مميزات لو أخذت بالاسباب التي أخذ بها السلف الصالح ، وانتهجت تلك الجادة التي انتهجها أولئك الاجداد السابقون ، لخطت إلى بغيتها أميالا في المدة التي يخطو غيرها فيها بضع خطوات . وما ذاك إلا أن هناك دافعا من الدين الإسلامي ، الذي طبع نفوس ابنائه بطابع العمل والكفاح ، وهناك أسس من المجد لا تزال قوية القواعد ، ولا تحتاج إلا إلى أيدٍ حاملة تقيم عليها ما تشاء من البناء ، وليس بعد ذلك إلا السعادة المبتغاة .

ليس بين المسلمين وبين استعادة مجدهم وقديم عزمهم ، إلا أن يمشوا على جسر من وحدة الكلمة واتحاد المشرب ، وأخذ القوى بيد الضعيف ، وأن يكونوا كتلة واحدة غير متناحلة الاجزاء ، ولا متفرقة الاوصال .

ليس بينهم وبين الحياة الحققة إلا أن يرجعوا إلى تعاليم دينهم ، ويقفوا عند حدوده المشروعة ، وينخلقوا بالاخلاق السكريمة التي كانت لآبائهم ، والتي مكنتهم من الغلبة والظفر ، كالشجاعة والإقدام ، ومباراة الامم في الجد والكفاح .

إذا تداركوا أنفسهم بالتحلي بهذه الصفات ، وبرموها من كل خاق ذميم ، ونظروا بأعينهم إلى أسباب الفرقة فاجتثوها من قلوبهم ، فقد وقفوا في صفوف الامم الحية ، وساروا في طريق الفلاح سيرا حثيثا ، حقق الله الآمال ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

عبد الرحيم فرغل البلينى

المفتش بالازهر

المسئولية الحكومية في الاسلام

قال عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، ذلك بأن لكل شخص سلطانا يستوى في ذلك سلطانه على زوجته وأولاده ، وسلطانه على خدمه وتابعيه وسلطانه على موظفيه ومرءوسيه . ولما كان كل سلطان تقابله مسئولية تعادله ، شمل الحديث سالف الذكر الناس جميعا ، وكان بغير منازع أصلا من أصول القانون الدولي الخاص في العصور الحديثة . ولأنه لمن دواعي الفخر حقا أن تسبق الدولة الإسلامية الأمم جميعا في العمل بهذا الأصل القانوني ، ولا أدل على ذلك من قول عمر بن الخطاب في مسئولية الوالي : « والله لو عثرت دابة في العراق لرأيتني مسئولا عنها ، . فقليل له : وما ذنب أمير المؤمنين في ذلك ؟ فقال : « أمير المؤمنين مكلف بإصلاح الطرق وتسويتها ليشى عليها الناس والدواب بدون عثار واضطراب ، من ثم كان الولاية والحكام المسلمون لا يحجبون أنفسهم عن الرعية حتى يتسنى لهم سماع كل شك ومظلوم ، فقد قال المصطفى ﷺ : « أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغها إليّ ، فإن من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة ،

وبذلك أوصد نظام الحكم الإسلامي الأبواب كلها في وجه المحسوبية والرشوة ، فحق الحق وأزهق الباطل ، وأمن الناس على أرواحهم وأموالهم . وهكذا تميز هذا النظام بالعدالة الصحيحة . فالزم كلا من الحاكم والمحكوم بقدر متساو من الواجبات . فأما واجبات الحاكم قبل الرعية فإنها تتلخص في : (١) تنفيذ أوامر الشريعة الغراء في الحكم ، مع إقامة العدل والعدالة بين الناس (٢) حفظ الحقوق الطبيعية للأفراد مثل حق الحياة وحق العمل وحق إمداء الرأي . لهذا كان الحاكم الإسلامي يباشر بنفسه حالة الولاية والعمال مباشرة دقيقة .

وأما واجبات الأفراد نحو الحكومة فتتلخص في أمرين هما :

(١) طاعة الحاكم ولو كان عبدا حبشيا أو مفضولا بأفضل منه ، مادام لم يظلم ، وما دام لم يأمر بمعصية .

(٢) حفظ الامن ودفع الضرائب والزكاة .

والمدهش حقاً هو تكافؤ واجبات الأفراد مع واجبات الحكومة مما يقطع في الدلالة على أن نظام الحكم الإسلامى هو نظام دستورى بأوسع معانى الكلمة ، فكان الأمير يستمد سلطته منبيعة شعبه له . ومن ثم كانت مسئولية الأمير مسئولية كاملة بمعنى أنه مسئول أمام كل رجل من رجال الامة . ومن الامثلة الطريفة في ذلك أنه عندما تولى عمر ابن الخطاب الخلافة خطب الناس قائلاً : « يا أيها الناس ، إذا وجدتم فى خطأ فأعينوني ، فقال له أحد الاعراب : « والله يا عمر لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بحمد سيفونا ، فقال عمر رضى الله عنه : « الحمد لله الذى جعل فى الامة من يقوم عمر إذا اعوج منه . »

وينفرد الحكم الدستورى الإسلامى بأنه يمنح الافراد نوعاً من السلطة لا يتمتعون بها فى ظل أى نظام آخر ، فلم يمثلاً حق حماية غير المسلمين ، وعلى الأمير أن يحترم هذه الحماية حتى ولو كان الرجل المحمى فى حرب مع المسلمين ، ويروى التاريخ فى ذلك أن أبا العاص ابن الربيع زوج السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ وابن خالها كان مشركاً ففرق بينهما الرسول فى مكة ، غير أن السيدة زينب لحقت بأبيها فى المدينة وهناك افتدت زوجها المشرك بالقلادة المهداة إليها من والدتها فى عرسها ، فرآها الرسول وقال : هذه قلادة خديجة . ولما وقف على حقيقة الامر قال لابنته « أكرمى زوجك ، ولا تجعله يقربك حتى يسلم ، فأسلم وحسن إسلامه . »

وللناس أيضاً فى ظل النظام الإسلامى حق التمتع بجميع الحقوق العامة مطلقة غير مقيدة ، يستوى فى ذلك المسلم والذى . كما لم أيضاً التمتع بالحقوق الخاصة من زواج وتعامل وتقاض ، فالفرد يستطيع أن يقاضى من يشاء ولو كان الأمير نفسه ، فقد روى أن يهودياً قاضى سيدنا علياً بن أبى طالب أمام أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب فى إمارته ، فنادى عمر علياً « يا أبا الحسن قف بجوار خصمك ، فامتعض على من المناداة عليه بأبى الحسن . وبعد الحكم سأله عمر عن سبب امتعاضه فأجاب على « لأنك أكرمتنى بالمناداة على بكنتى . » وبعد فهل هناك نظام أحق وأعدل من النظام الإسلامى الذى لو استقصينا مبادئه وأهدافه لرأيناه النظام المثالى الذى تنشده الإنسانية فى أرقى ما تصل إليه .

السيد كمال الشورى

مأمور الشهر العقارى

سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب

أسد من أسود الله ورسوله ، وسيد من سادات المسلمين . ورث الأسود عن آبائه ، واكتسب الفضل بصادق جهاده ، وانحدرت إليه الشجاعة العربية في أصلاب أجداده ، فكان الشهم الابن ، والفارس المعلم ، والبطل المغوار ، وحامى الذمار . ذلكم هو سيد الشهداء أبو عمار حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو أحد فروع الدوحة الهاشمية الباسقة ، وعم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة ، إذ أرضعتهم ثوية جارية أبي لهب ، وكان أسن من رسول الله بستين ، وقيل بأربع ، والاول أصح . وأمه السيدة هالة بنت وهيب ابن عبد مناف بن زهرة ، فهي ابنة عم السيدة الفاضلة آمنة بنت وهب والدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو كريم الأبوين طاهر المعدنين ، وما بالك بشخص يجتمع برسول الله في جده لأبيه ، وجده لأمه ، وجمع إلى شرف النسب شرف الإسلام والجهاد في سبيله ، لا شك أنه من خيار الناس في جاهليته وإسلامه .

« إسلامه » : أسلم في السنة الثانية من مبعثه ﷺ . ولما أسلم فرح بإسلامه رسول الله ﷺ فرحاً شديداً ، لأنه كان أعز فتى في قريش وأشد هم شكيمة . وإسلامه قصة ، ذلك أن أبا جهل عدو الله ورسوله مر بالنبي ﷺ عند الصفا فأذاه وسبه ونال منه ، ورسول الله يقابل سفيه بالصفح ، وجهله بالحلم ، وكان هذا المشهد على مرأى ومسمع من مولاة لعبد الله بن جدعان في سكن لها . ثم انصرف أبو جهل إلى نادى قريش بجوار الكعبة فجلس مع قرنائه القرشيين ، وكان حمزة رضى الله عنه من هواة الصيد والقنص ، وكان إذا رجع من قنصه لا يذهب إلى بيته حتى يطوف بالبيت الحرام ، وفي روحة من روحاته مر على الصفا متوشحاً سيفه ، متذكراً قوسه فتألمت له هذه المولاة : يا أبا الوليد - كنيته - لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفاً من أبي الحكم بن هشام - تعنى أبا جهل - وجده هنا جالسا فأذاه وسبه ونال منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد . وآتتد تحركت عاطفة الرحم في نفس حمزة ، وأخذته الشفقة على ابن أخيه ، وهو من بنى هاشم كما تعلم ، وأدركته لحظة من لحظات التجلى الالهى ، فذهب والدم يغلى في عروقه من شدة الغضب ، ولم يلو على شيء ،

حتى دخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا في القوم ، فقام على رأسه ورفع القوس وضربه فشججه شجعة منكورة ، ثم قال له : أنتشمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فرداً على ذلك إن استطعت . وقام رجال من بني مخزوم عشيرة أبي جهل لينصروه فقالوا لحمزة : ما نراك ألا قد صبأت — أى دخلت في دين محمد — فقال حمزة : وما يمنعني وقد استبان لي منه أنه رسول الله والذي يقوله حق ؟ والله لا أفزع ، فامنعوني إن كنتم صادقين . فقال لهم أبو جهل : دعوا أبا عماره ^(١) ، فإنى والله قد أسمعت ابن أخيه شيئا .

انتهت الملاحاة إلى هذا الحد . ولكن أمرا ذا بال أهم حمزة وأوقعه في حيرة من أمره ، حتى استبان له الحق ، ذلك أنه لما رجع إلى بيته تسور عليه الشيطان وصار يلقي إليه بالوساوس ويقول له : أنت سيد قريش ، اتبعت هذا العصابي وتركت دين أبائك ، الموت خير لك مما صنعت . وبات ليلة لم يبت بمثلها قط من وسوسة الشيطان وتليساته ، فلم يجد مفرأ من أن يلجأ إلى الله فقال : اللهم إن كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي بما وقعت فيه مخرجا .

ولما أصبح ، غدا إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فقال : يا ابن أخى ، إنى وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه ، وإقامة مثلي على ما لا أدري أرشد هو أم غي شديد . فأقبل عليه البشير النذير صلى الله عليه وآله وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره ، فألقى الله في قلبه الإيمان بما سمعه من رسول الله ، وشرح صدره لذلك ، فلم يلبث أن قال : أشهد أنك صادق ، فأظهر يا ابن أخى دينك .

وقد ازداد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإسلام عمه حمزة عزة ومنعة بين قريش ، وخفت حدة إيذاء المشركين له ، وأمكن لصبح الدعوة الإسلامية أن يتنفس بعد ليل طويل . ولقد أكل كبدة المشركين أن يروا المسلمين يخرجون إلى الكعبة وفي مقدمتهم السيدان الكريمان عمر وحمزة ليعلنوها حربا شعواء على الشرك وأهله ، ويدعوا إلى عبادة الله وحده ، ونشر نور الهداية والعرفان .

حياة الكفاح والجهاد :

كانت حياة أسد الله حمزة بن عبد المطلب حياة الكفاح والجهاد ، فمن يوم أن أسلم بذل نفسه وماله في سبيل الله ونشر الدعوة الإسلامية ، وما أن بدئت السرايا حتى عقد له رسول الله

(١) كان رضى الله عنه يكفى بأبي عماره وأبي يعلى ، وهما ولدان له [أسد الغابة] ، وقد سميت آنفا أنه كان يكنى بأبي الوليد أيضا .

ﷺ اللواء ، ويقال إنه أول لواء عقد في الإسلام ، وأرسله على رأس سرية ليقطع على أبي جهل وغيره الطريق جزاء على عقوقهم وإخراجهم المسلمين من ديارهم وأهلهم وأموالهم ، فقام بمهمته خير قيام ، وإن لم يقع بينه وبين المشركين قتال . وفي غزوة الأبواء كان يحمل لواء رسول الله ورايته البيضاء حمزة بن عبد المطلب ، ولا تسل عما كان من أسد الله في غزوة بدر الكبرى التي فصل الله فيها بين الحق والباطل ، ففيها خرج من صفوف المشركين ثلاثة : عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه وابنه الوليد ، وطلبوا المبارزة ، فبرز إليهم ثلاثة إخوة من الأنصار ، فقال عتبة نريد أبناء عمومتنا . فندب لهم رسول الله عبيدة ابن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وثلاثتهم من بني هاشم ، ولم يلبث حمزة وعلي أن أجهزا على صاحبيهما وأعانا عبيدة على صاحبه ، وحمل عبيدة إلى رسول الله تشخب ساقه دما ، فوسده رسول الله ﷺ ساقه وبشره بالجنة . ولما التحم الجمع جمع المسلمين وجمع المشركين ، أبلى السيد حمزة في هذا اليوم بلاء مشهودا ، وأظهر من نفسه شجاعة منقطعة النظير .

ونطوى بعض صفحات من التاريخ لنصل إلى غزوة أحد التي ابتلى فيها المسلمون ، فقد قاتل فيها حمزة قتال الأبطال ، وما قرب منه أحد من الأعداء إلا قصمه بسيفه البتار . وروى أنه كان يقاتل يوم أحد بسيفين ؛ وبينما هو يحول ويصول في المعركة إذ استمكن منه وحشى غلام جبير بن مطعم فرماه بحريته التي لا تخطيء الهدف ، نحر شهيداً بعد أن أرضى الله وأرضى رسوله ، وهأنذا أدع وحشياً يحدث عن فعلته الشكرام ، التي كفر عنها فيما بعد بقتل مسيلة الكذاب ، قال وحشى - وقد سئل عن مقتل سيد الشهداء حمزة - : سأحدثكما ما حدثت به رسول الله حين سألتني عن ذلك ، كنت غلام جبير بن مطعم ، وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ، فلما سارت قريش إلى أحد ، قال لي جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق . قال : نخرجت مع الناس ، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قلماً أخطىء بها شيئاً ، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته في عرض الناس كأنه الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هدأ ما يقوم له شيء ، ثم قال : فبرزت حربي حتى إذا رضيت عنها ، دفعتها عليه فوقع في ثلثته حتى خرجت من بين رجله ، فذهب ليقوم نحوى فغلب ، وتركته وإياها حتى مات فأخذت حربي ثم رجعت إلى مكة فعتقت ، . ومكث وحشى بمكة حتى فتحت على المسلمين ، فهرب إلى الطائف ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليسلموا، عيئت عليه المذاهب، حتى هم أن يذهب إلى الشام أو اليمن، وبينما هو في هم قيض الله له رجلاً فقال له: ويحك، والله إن محمداً لا يقتل أحداً من الناس دخل دينه وشهد شهادة الحق، فخرج حتى أتى المدينة فوقف على مجلس رسول الله وشهد شهادة الإسلام، فلما رآه رسول الله قال: أوحشني أنت؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: خذني كيف قتلت حمزة خذته، فلم يتمالك رسول الله نفسه أن قال: ويحك، غيب عني وجهك فلا أرينك، فكان يحرص على أن لا يرى رسول الله وجهه، ورسول الله بشر وإنسان كامل الإنسانية، ثم هو رقيق القلب بالمؤمنين رؤوف رحيم، فلا عجب أن طلب من وحشي أن لا يراه لأن وجهه تتمثل فيه صورة مقتل حمزة وتمثيل المشركين به وبقتل أحد، فيثير في النفس كوامن الآسى والحزن ولواعج الألم والحسرة على هؤلاء الشهداء الأبرار، وقد حزن رسول الله على عمه حمزة حزناً شديداً، ولا سيما وقد مثل به المشركون، فقد بهرت هند بنت عتبة - الموثورة من المسلمين من يوم بدر - بطن حمزة وأخذت كبده فلا كتبها فلم تستطع أن تستسفيها فلفظتها، وجردع أنفه وأذنه، وليس أدل على حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة، من هذه الكلمات التي قالها وهو واقف عليه: لن أصاب بمثلك أبداً، وما وقفت موقفاً قط أغيظ إلى من هذا، وفي رواية أنه قال: رحمتك الله ياعم، لقد كنت وصولاً للرحم، فمولا للخيرات، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في قبر واحد، فدفن عمه حمزة مع عبد الله بن جحش، ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب في قبر واحد، وذلك في سفح أحد، ولا يزال قبره معروفاً هناك.

وكان عمر سيدنا حمزة حين استشهد خمساً وخمسين سنة وقليل سبعا وخمسين سنة، فرضى الله عنه وأرضاه.

وبعد، فهذه صفحة مشرقة من حياة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، يتمثل فيها الطهر والوفاء، والشجاعة والإخاء، وبذل النفس في سبيل العقيدة، والثبات في موطن الموت، والصدق عند لقاء الأعداء، والاستشهاد حيث تطيب الشهادة، فلا عجب أن لقبه رسول الله بأسد الله وأسد رسوله، وإن كان بحق «سيد الشهداء». وعسى أن يتخذ المجاهدون والمسلكون في سبيل عقيدتهم وحررياتهم من هذه السيرة العطرة، أسوة حسنة يتأسون بها في حياة الكفاح والجهاد، وأن يستفيثوا بها في شق طريق الظفر والنصر، وحب الاستشهاد في سبيل الحق والمثل العليا، لكي يكتبوا في سجل الخالدين.

محمد محمد أبو مشهور

المدرس بكلية أصول الدين

موقف الإسلام من الشيوعية والرأسمالية

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

كتب مندوب ، الأهرام ، الخاص يقول :

كانت جلسة هادئة طيبة ، تلك التي جلستها مع فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، في حفلة خاصة كان الشيخ الأكبر فيها ملنقى الأنظار ، وموضع التقدير ، وكان كل واحد يحب أن يستأثر به ليقف على جلالة حكم من أحكام الشريعة في موضوع معين ، وقد رأيت أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة لآبين موقف الإسلام من الشيوعية ، وحكمه على الرأسماليين ، ونظرتي إلى الفقراء بين هذه وتلك ، وقد حدث لفضيلته أن آثر الأهرام ، بعنايته فأجابني إلى طلبتي وتحدث إلى بقوله :

من مظاهر السكّال في دين الإسلام وأحكامه ، أنه لم يعارض الفطرة الإنسانية في طبيعة من طبائعها ، وحتى ما كان فيه انحراف أو مظنة زل من هذه الطبائع الإنسانية ، فإن الإسلام اكتفى بتعديله وتوجيهه وجهة خير ، مع إقراره أصل الفطرة ، ومحاولة تهذيبها وإصلاحها . ولما كان مبدأ التملك الشخصي ، من مقتضى الفطرة ، فإن الإسلام اعترف به وأقره ، لكنه جنح فيه إلى الاعتدال ، كدأب الإسلام في الأمور كلها ، واشترط أن يكون هذا التملك الشخصي بالأساليب المشروعة التي أحلها الله . ثم رتب عليه تكاليف شرعية ، هي نصيب الجماعة من أموال أصحاب الأموال ، كما حث أهل الغنى على الأخذ بأيدي أهل الفاقة ، حتى لا يكون في المجتمع الإسلامي إلا المحبة والتراحم والتعاون ، على البر والتقوى .

وكما أقر الإسلام مبدأ التملك الشخصي وجنح فيه إلى الاعتدال ، ونظمه تنظيمًا يسعد به المجتمع ، كذلك أقر مبدأ آخر من مبادئ الفطرة ، وهو تفاوت الناس في مواهبهم ومداركهم ومقدرتهم على الكسب لأنفسهم وعلى النفع للمجتمع ، فهذا التفاوت موجود في كل زمان ومكان لأنه من فطرة البشر ، ويترتب عليه التفاوت والتفاضل في المعاش ، لكن الإسلام مع إقراره هذا الأمر الفطري ، شرع الأحكام لتعديل آثاره والتقريب بين طبقات الناس ،

وأوجد لهم مراتب أخرى يكتسبونها من فضائلهم الأدبية والخلقية ، وجعل لذلك قيمة رفيعة في المجتمع الإسلامي ، بحيث يغط أهل الدرجات العليا في المال لإخوانهم من أهل الدرجات العليا في الأخلاق والفضائل ، بحسب ما سنه الإسلام لأهله في المجتمع الإسلامي .

ومن أعظم ما اتخذته الإسلام ، لحماية الفقراء من استغلال الرأسماليين وأصحاب الأموال تحريمه للربا وقطعه لدابر المراهبة في المجتمع الإسلامي . وهذه الحماية ، لا نظن أن أمة من أمم الأرض — حتى ولا المحكومة بالشيوعية — تتمتع بمثلها في نظام غير نظام الإسلام .

وتزعم الشيوعية أنها نزعت عوامل الاستغلال ، ووسائل استعمال الثروة من أيدي الأفراد ، حرمت عليهم امتلاكها ودفعت بها إلى الجماعة . والذي يتأمل في الواقع ، يرى أن ما زعموا أنهم فوضوا أمره إلى الجماعة في وسائل الإنتاج وتوزيع المنتجات والمصنوعات ، إنما تولته في النظام الشيوعي هيئة قليلة العدد من الرجال المنظمين ، فبعد أن كان هذا التملك خفيف الوطأة بما هو معرض له من المنافسة وتعدد المسالكين ، أصبح في النظام الشيوعي منحصراً في إدارة واحدة ، يقوم عليها نفر قليل ، يتمتعون الآن بمعاش وقصور لا تقل ضخامة وسرفاً وخطورة واستعداداً عما كان في قصور القياصرة ، بينما الجماعة كلها مجندة في السلم والحرب لتتقضى حياة مملّة على وتيرة واحدة لا تزيد عن حياة العمال في البلاد الأخرى ، غير أن العمال يملكون في البلاد الأخرى أمرهم ويستقلون بإرادتهم وتصرفاتهم ، فينتقل أحدهم من مصنع إلى مصنع إذا أراد . أما جمهور الأمة في النظام الشيوعي ، فسلوب الإرادة ، ولا يملك حق الانتقال من مصنع إلى مصنع ، لأن المصانع كلها لا تتمتع بمزية التنافس ما دامت إدارتها في يد واحدة ، تنصرف في جميع العمال كما تنصرف في المواد الخام . وبذلك تحول أغنياء البلاد المحكومة بالنظام الرأسمالي ، إلى رجل واحد في النظام الشيوعي ، يتصرف بلا منافس في كل ما في البلاد من بشر وشجر وحجر ، كما تحول إقطاعيو البلاد الأخرى ، إلى إقطاعي واحد في النظام الشيوعي ، فأضحى رعاياه محجوزين وراء ستار حديدي ، لا يدخل عليهم أحد ولا يتمكن من الانفصال عنه أحد .

هذا في أمور العيش وحربة التملك ، وأما في أمور الدين وحرية الدين ، فإذا كان أهل الديانات الأخرى يكون من اضطهاد الشيوعيين لهم في كنائسهم والسيطرة على عباداتهم ، فإن المسلمين يزيدون على ذلك أن دينهم لا يقتصر على أنه دين عبادة ومسجد ، بل إن نظامه

المالى والاجتماعى هو من صميم الدين ، وحرمان المسلم من حريته فى نظامه المالى والاجتماعى ، يعد حرماناً له من عناصر مهمة هى أيضاً من كيان الدين ، وهى خير لكل مسلم من أى نظام آخر ولا سيما النظام الشيوعى ، الذى يضطهد كل الانظمة المخالفة له ، ونظام الإسلام فى طليعة الانظمة المخالفة له من كل وجه .

وإن الإسلام فى اعتداله وكونه من الأصل لم تشرع أحكامه لمصلحة أى طائفة من الطوائف دون غيرها ، ولا أى طبقة من الطبقات دون غيرها ، بل إن الله شرعها لجميع بنى الإنسان ، بتعديل طبائعهم وتهذيب فطرتهم بعد إقرارها والاعتراف بها ، وبذلك جمع التشريع الإسلامى فى نظامه الاجتماعى والمالى ، جميع الحسنات والمزايا التى توجد فى كل نظام آخر ، وجرده من جميع العيوب التى توجد فى أى نظام آخر . وكان من أعظم ما أسوء به إلى الإسلام ، إطلاق يد الأقوياء فى معاش الضعفاء ، حتى تجاوزوا حدود الاعتدال الإسلامى فى التلك والتسلط والاثرة ، بل لم يكتفوا بتجاوز حدود الاعتدال ، حتى خرجوا عن نظام الإسلام ، إلى ما حرمه من الاستغلال المحرم والبغى المنظم من الأقوياء على الضعفاء ، فانتزعت دعاة الشيوعية والمذاهب الباطلة هذه الحالة الشاذة ، التى كانت سائدة فى بعض بلاد المسلمين فاحتجوا بها عند قليلي العلم بزوايا دينهم من عوام المسلمين ، أو المتعلمين تعليماً أجنبياً ، ومن هنا أصيب بعض أبناء هذه الملة بهذه النزعات التى انزلت بها أقدامهم عن طريق الإسلام ، فامتلات بهم السجون ، وراح أهلهم وذوهم سادرين فى أحزان مؤلمة بسبب هذا الضلال الاجتماعى والجهل بدين الإسلام .

أما وقد من الله الآن بهذه النهضة التى أخذت فى القضاء على أسباب البغى والاثرة والاستغلال وانتزاعها من جذورها ، فقد زال ما كان يحتاج به دعاة الانظمة الباطلة والمافية للإسلام ، وانفتح الطريق واسعاً أمام المستنيرين من شباب المسلمين ، ليبتشروا فى الوعى القومى أن الإسلام باعتداله وعدالته ورحمته وتعاونيه ومواساته للجميع ، هو أكمل أنظمة الدنيا فى إسعاد الإنسانية ، لأن النظام الإسلامى أقر المبادئ المقررة فى فطرة الإنسان ، ثم هذب ميولها وعدل اعوجاجها ، وأحسن توجيهها إلى الحق والخير .

وإلى هنا شعرت أن الشيخ الأكبر قد وفى هذا الموضوع حق توفيقه ، فشكرته على عنايته واستأذنته على نشره فأذن مشكوراً .

ثورة الاسلام على الفوارف الجاهلية

درج الناس من قديم على أن يتميخوا موازين، ويضعوا فروقا تكون أساس التمايز بينهم، ومعيار المفاضلة والترجيح عندهم، وسمات تحدد أماكنهم في بيئاتهم ومواقعهم من مجتمعاتهم. ولهذا يختلفون ويتباينون، فهذا سيد وذاك مسود، وهذا شريف وذاك حقير، وهذا له الفضل والصدارة، حتى لتجب طاعته وتبلي إشارته، وذاك له الضعف والتخلف حتى لا تحترم إرادته ولا تستجاب رغبته.

طبيعة تأصلت فيهم، وبسببها تمكنت منهم، فأثرت في حياتهم وأقدارهم وموازينهم أثرا ليس بالقليل. لكنهم يختلفون في هذه المقاييس اختلافا يرجع إلى طبائعهم واتجاهاتهم، وما يؤثرون من المعاني، أو يفضلون من مظاهر الحياة وألوان الجاه. فبعض الناس يروعه ويفتته لون الحلقة البشرية والسحنة الآدمية فيفضل الأبيض على الأسود، أو يؤثر الأحمر على الأصفر، مدفوعا إلى ذلك، وإن لم يشعر، بالشهوة الحيوانية والنزوة الطاغية والعصية الجنسية، التي تفسد الحكم وتسيء التقدير وتعكس موازين الاختيار والترجيح.

وبعض الناس لا يستهدفون في أحكامهم إلا الجاه والحسب والنسب فيحكمون بالفضل ويدينون بالطاعة، لمن يزعمون له حسبا وجاها ويتوهمون له نسباً وطهرأ. يورطهم في هذا ما ألفوه من صفار وذلة، وما نشأوا فيه من هوان واستخذاء.

وغير هؤلاء يوقرون الغنى المكثف، ويعظمون ذا المال الموسر، وإن طغى وبغى وملك الشح عليه أفتار نفسه، وشل منه عاطمة البر والمرحة.

وطبعي أن تختلف الموازين وتضطرب القيم وتضل العقول، ما دام رائدها الهوى وانفعال النفس، وما دام العامل الذي يوجه الناس إلى هذه الأحكام هو العصية الجاهلة

والاندفاع الاحق والاعتماد على مظاهر لا يرضاها عقل سليم ، ولا تقرها فطرة صحيحة ، ولا يسندها دين إلهي كريم .

ولو ترك الناس لما تضطرم به الأهواء ، وتنزع إليه الشهوات ، لما أظلم سلام ولا أسعدهم أمن ، ولا سرى فيهم روح من الإخاء والترحام .

ولكن الله الذى جعل المسلمين خير أمة أخرجت للناس ، ورضى لهم الإسلام ديناً والقرآن شريعة ومنهاجاً ، لم يدعهم يتيهون فى هذا الضلال كما ناهت أمم ، ويخبطون فى تلك الظلمات كما خبطت شعوب ، ضلت هداها وتبعته هواها وتحكمت منها عصبية الجنس أو صولة المال أو نزغة الجاه الزائف المكذوب ، بل إن الله تعالى بين للمسلمين فى وضوح وقوة وصراحة ، الحدود الواضحة والمعالم الصريحة والمميزات الحقة التى تستبين بها الخصائص وتميز القيم والافكار ، وحارب مع ذلك المظاهر الخادعة التى يتوهمها الجاهلون مقاييس للفضل ، وموازن للتقديم والرجحان .

حارب الإسلام فوارق اللون والجنس أشد حارب ، لأنها تنيد الامم وتهلك الشعوب ، وتدمر الانظمة وتزرع الاحقاد فى النفوس ، وتغرس الاضغان فى القلوب ، وتجعل المجتمع يعيش فى أنون مستعر من التفكك والانحلال ، ولأنها النزعة الآئمة التى تدعو إلى سيادة جماعة لجماعة وسيطرة فريق على فريق . ونبه الناس إلى أنهم من أصل واحد ، لا يتفاضلون إلا بالتقوى . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وأوحى إلى أتباعه أنهم إخوة يوجب عليهم الإخاء أن يعيشوا متساوين ، ويدعواهم إلى العدل ورعاية الحقوق : « إنما المؤمنون إخوة » .

فجاء التفاضل الحق والترجيح الصحيح فى نظر الإسلام ، هو التقوى والعمل الصالح ، ولقد خطب رسول الله ﷺ فقال : « يا أيها الناس إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » . وقال صلوات الله عليه لأبي ذر ، حين تلاهى مع آخر وقال له يا ابن السوداء : « يا أبا ذر ، أعيرته بأمة ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية » .

ذلك أصل كريم من أصول الاجتماع تعتمد عليه سعادة البشر، وتقوم على دعائمه سيادة الأمم، فالكل في شرعة الحياة وتحت لواء القانون سواء .

أما ما تتورط فيه أمم ضلت القصد وغشى على أبصارها وبصائرهما، فأقامت حواجز سميكة بين الملونين، حتى شب ذلك الصراع العنيف في أفريقيهما من أجل ذلك، فهو نسيان لحكم العقل ومجافاة لابتسط قواعد الإنسانية .

ما أعجب أمر هؤلاء الذين يزعمون أنهم أرباب المدنية وحماة الحرية، ثم تتملسكم النزوات الطائشة والعصبيات الممقونة والمقاييس الظالمة الطاغية، فيجملون للأبيض ما لا يباح للأسود، كأثما الطينة غير الطينة، والصانع غير الصانع . وتنشب من أجل ذلك الثورات الطاحنة وتسيل الدماء، فتخضب الأرض وتحيل جمالها إلى قبح خفيف، ومع ذلك يظل أولئك الطغاة البغاة سادرين في عدوانهم ممعنين في ظلمهم الوحشى .

لينظر من أعشت المدنية الخادعة عينه، وليعرف من عميت عليهم الأمور، أن الإسلام قرر حقوق الإنسان منذ أربعة عشر قرناً، فقدس إنسانيته وكرم بشريته ولم يجعل فيه عبودية إلا الله الذى خلقه في أحسن تقويم، فهل من معتبر وهل من مذكر ؟

لم يجعل الإسلام كذلك، للأنساب قيمة في أوضاع الناس وميزان أقدارهم، فقيمة المرء عنده بما يقدمه لأمته من الخير، وما يتقرب به إلى ربه من العمل الصالح، والرسول الأكرم ﷺ كان يقول : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . وكان يقول : « يا فاطمة بقت محمد، لا أغنى عنك من الله شيئاً » . وهو الذى يدعو الناس دعوة قوية حازمة إلى العمل بهذا الأثر الكريم : « لا يأتينى الناس بأعمالهم ونأتونى بأحسابكم » .

بهذه التعاليم الكريمة والمبادئ القوية، قامت الدولة الإسلامية القوية، لا يظلم أحد أحداً، ولا يبغى لإنسان على إنسان، فساعد الناس وعاشوا حيناً من الدهر كراماً أعزة . فلما نسوا تعاليم دينهم ورسالة نبيهم، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، وسلط عليهم أعداءهم، ففرقهم شيعاً وأحزاباً ومزقهم طوائف وجماعات كلما دخلت أمة لعنت أختها .

هذا عمر بن الخطاب يجهمه رجل من أهل مصر فيقول : يا أمير المؤمنين سابت ولدأ لعمر بن العاص فسبقتة فضربنى، وقال أنا ابن الأكرمين . فاستدعى عمرأ وولده فلما مثلاً بين يديه أعطى الدررة المصرى، وقال له اضرب ابن الأكرمين كما ضربك . فلما قل قال له

ضع الدرة على صلعة عمرو فإنيما ضربك بسلاطانه . ثم التفت إلى عمرو وقال له : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

فهل شفع لولد عمرو في دولة الإسلام نسبه أو أعفاه من العقوبة جاهه ؟ كلا .

وطلب سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب ورهط من سادة العرب لقاء عمر بن الخطاب ، وطلبه معهم بلال وصهيب ، فأذن لهما أولاً ، فغضب أبو سفيان وأخذته العزة وقال لأصحابه : لم أر كالיום قط ، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابهم ! فقال سهيل : أيها القوم ، إنى أرى والله الذى فى وجوهكم ، إن كنتم غضباً فاغضبوا على أنفسكم . دعى القوم إلى الإسلام ودعيتهم ، فأسرعوا وأبطأتم . فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم . وهكذا انتصر الإسلام ورجال الإسلام لهؤلاء الذين يقال لهم عبيد ، وفضلهم على من يزعمون أنفسهم وجوه القوم ورؤساء الحى .

أما المسال الذى جن به الناس جنوناً ، وفتنوا به فتوناً ، والذى أصمهم وأعمى عن الحق عيونهم ، وأظلم بصائرهم ، فلم يجعل له الإسلام أثراً فى قيمة المرء ، ما لم يكن عوناً على غوث ملهوف ، أو عون مكروب أو فك عان أو البر بمحتاج .

والقرآن الكريم يحكى أن قارون قد وهبه الله من السكّنوز ، ما إن مفاتحه لتتوه بالعصبة أولى القوة ، فلما لم يبتغ فيما آناه الله الدار الآخرة ، ولما لم يحسن كما أحسن الله إليه ، عاجله الله بالعذاب وأغرقه فى النكال : « نخسفنا به وبداره الأرض فسا كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » .

وهذا عمر بن عبد العزيز بلغه أن ولدأ له اشترى خاتماً بألف درهم ، فكاتب إليه يقول : « إذا أناك كتابنى هذا فبج الخاتم وأشبع به ألف بطن ، واشتر خاتماً بدرهمين ، واجعل فسه حديداً صيفياً ، واكتب عليه : رحم الله امرأ عرف قدره » .

هذه ثورة الإسلام على الأوضاع الظالمة ، وموازينه القويمة للحياة الحرة الكريمة .

نسأل الله أن يوفقنا للعمل بهديه ، والسير على نهجه .

عبد الحميد المسالوت

المدرس فى كلية اللغة العربية

الإيمان يصنع المعجزات

لقد صنع إيمان أبناء الصحراء في فجر الإسلام معجزات ما زالت تهز روعها عروش الشرق والغرب ، وما زال المسلمون يحثون أمام صورها خاشعين تنتفض مشاعرهم وترتعش أحاسيسهم من رهبة ذلك الإيمان الذي انطلق من المدينة شائخاً جباراً لا تقعده لفحات الهجير ، ولا ترده نكبات الأعاصير ؛ لقد زلزل ذلك الإيمان الأرض تحت أقدام قريش في بدر فطار صناديدها .

طاروا وظنوا متون الجرد تحبسهم فلا تطير كساق الهارب الجرد

ثم دخل مكة بعد عشرة أعوام اغترب فيها عن مهده الأول دخلها قوياً يحطم اللات والذرى على مرأى من عباد اللات والعزى . وأنى لهم حمايتها من تلك القهرة العارمة : قسوة الحق ، وقوة الإيمان بذلك الحق ؟

هذا هو الإيمان الذي صرع مسيلة الكذاب وهو في منة من حراب قومه لم تثبت ساعة أمام حرارة الإيمان التي تسلفت عليهم أسوارهم ، وملاّت بالرعب قلوبهم ، نفروا مستسلمين ، وخر دونهم صلف العناد .

هذا هو الإيمان الذي صنع المعجزة في موقعة الجسر التي كانت بين العرب والفرس حينما نفرت خيول المسلمين من الفيلة فترجل أبو عبيد بن مسعود وتقدم وفي يده رمح وفي قلبه إيمان يضطرم ويدفعه لصراع الفيل الذي احتمت وراءه جيوش الفرس وطعنه بالرمح في عينه طمئة أطارتها فضربه الفيل ضربة صرخته ، وقد شئت أبو عبيد بطعته عزم الفيل لجال المسلمون بعده بسيفهم ولإيمانهم في صفوف الفرس حتى كتب الله لهم النصر .

وذلك الإيمان هو الذي حمله المغيرة بن شعبه رسول المجاهدين المسلمين إلى ذى الجناحين أحد ملوك فارس حينما تقدم بين يديه وفي يده رمح يدك به البسط فيخرقها ثم قال للملك : إنا معشر العرب كننا أذلة بطؤنا الناس ولا نظوهم ، ثم إن الله بعث منا نبياً في شرف منا

وعندنا أنا سنملك ما ها هنا ونغلب عليه ، وإنى أرى ها هنا هيئة وبزة ما من خلقي بتاركها حتى يصيبوها أو يموتوا .

وقد صدق الله وفتح على المسلمين ذلك الملك الواسع فبات إيوان كسرى مصلى لسعد ولجيش سعد ، ورتت في أبياته آيات القرآن فحمت صدى عزف القيان وامتلات جوانبه بالراكمين الساجدين بعد أن غصت أحيانا بالمختالين الجبارين ، وقد ملك العرب بإيمانهم وحده بلاد الروم وزلزلوا عروشهم وقوضوا ملكهم . فأبن من المسلمين اليوم ذلك الإيمان الغازي الذي حمله الرعييل الاول فعناله كل جبار عنيد وانحنت أمامه هامات الاكاسرة وتطامننت عنده تيجان القياصرة ؟ أينه ليصنع نفوسا جديدة تصقلها حرارته وتثقفها قوته ، ثم تخرج إلى الوجود شائخة تصنع ما صنع الاوائل ، وتبنى للإسلام كما بنى المسكافون الصابرون ؟ ليس الإيمان حديثا يذيعه اللسان أو خطبة منمقة أو قصيدة منسقة أو ألفاظا مصقولة أو أساليب معسولة .

ليس هذا هو الإيمان الذي فتح به المسلمون البلاد وخفقت في ظله البنود فوق الصين والهند وبلاد الفرس وبلاد الروم ، واجتاز به طارق بحر الروم إلى الاندلس .

نريد إيمانا لا كإيمان المنافقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم .

نريد إيمانا لا كإيمان العجائز اللواتي أسلمن الكبر إلى المحاريب يتبتلن بين يديها .

نريد إيمانا لا كالسراب يلمع حتى إذا حزبت الشدة لم نجده شيئا .

نريد إيمانا صارخا يغلى في كل قطرة من دمنا بحقنا في الحياة ، وبسيادتنا لأنفسنا .

نريد إيمانا برسالتنا في هذا الوجود كسليدين من حقهم أن يعيشوا ، بل من حقهم أن يتزعموا ، وأن يقودوا وأن يسودوا .

نريد إيمانا عميقا بمجدنا الذي كان ، وبحقنا أن نعيده .

نريد إيمانا نصارع به ما صنع العلم من مدمرات ، ونرهب به الاجنحة في بطون الامهات

ليس الإيمان وليد العلم والثقافة والبحث ، وليس الإيمان وقفا على المعاهد والجامعات ، بل رب جاهل يصنع إيمانه من المعجزات ما يعيبي قادة الامم وزعماءها .

أيها المسلمون :

عودوا إلى قلوبكم فنبهوا لعل ومضة من الإيمان تعيش بين جوانبها فألهبوها لتصنع على ضوئها المعجزات .

أيها المسلمون : أنتم الآن مئات الملايين ، ولكنكم مستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها ، لأنكم تعيشون بغير إيمان .

أيها المسلمون : إنكم تحبون الحياة ولن يجتمع حب الحياة والإيمان الذي يرخص الحياة .
أيها المسلمون : إن القرآن وهو المصنع الأول للإيمان تجرى على اللسان آياته ، فلا تجاوبها من القلب الخفقات . وهذا هو المصنع الذي صنع فيه المسلم الأول قلبا تنهاوى عنده الأهوال ويتقاعس عن إدراك عزائمه الخيال .

إن القرآن لن يفشل أبدا في خلق النفوس القوية لو أنها عاشت له وتقدمت صادقة إليه .
فلنمش بأرواحنا في روحانيته لملها تخلق من ضعفنا قوة ، ومن شبابنا فتوة ، ومن شعوبنا المشتتة أمة واحدة يحب الله أن يراها خير أمة تستعذب الكفاح في سبيل فكرتها وعقيدتها وتستعين بالموت لتشتري للإسلام الحياة .

محمد خليفة

المدرس في الأزهر

في يوم أحد

قال الشاعر الصحابي كعب بن مالك أحد بني سلمة من الأنصار يذكر يصف موقف المسلمين في يوم أحد :

أحايش ، منهم حاسر ومقنع	لجئنا إلى موج من البحر وسطه
ثلاث مئين إن كثرنا وأربع	ثلاثة آلاف ، ونحن نصية ^(١)
جهام هراقت ماءه الريح مقلع	فراحوا سراعاً موجفين كأنهم
أسود على لحم بييشة ظلع	ورحنا وأحرانا بماء ، كأننا

(١) النصية : الخيار والأشراف .

بين الفلسفة وعلم الكلام عند المسلمين

— ٢ —

لقد انتبهنا في مقالنا الأول إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفاءه من بعده إلى زمن فتنة عثمان رضى الله عنه ، كانوا يهتمون من أمر دينهم بشيئين : هما إصلاح القلب بالإيمان الصادق والاعتقاد الصحيح ، وإصلاح النفس بالعمل ، والأول وهو الإيمان الذى وصفناه هو الأصل للثانى أى العمل ، فإن الإيمان الذى لا يحمل صاحبه على العمل بما آمن به لا يعول عليه ، ولا يؤبه له ، ولا يسمى إيماناً ، وإن كنا سنرى بعد اختلاط العناصر الدخيلة على الإسلام والمسلمين بالمؤمنين المخلصين أن كلمة الإيمان قد تقلصت حتى أصبحت كالشجرة العقيم التى لا ثمر لها ، ولا فائدة ترجى من ورائها .

لقد حدد القرآن الكريم فى أول سورة البقرة « المتقين » ، بأنهم الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله ، وبأنهم الذين يؤمنون بما أنزل على محمد ﷺ وبما أنزل على من قبله من الرسل السابقين ، وبأنهم الذين يؤمنون بالآخرة . هؤلاء هم أهل الهدى من المؤمنين ، وهم أهل الدلاح ^(١) .

ثم بين فى موضع آخر أن المؤمنين هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وأنهم يتوكلون على ربهم ، وأهم الذين يقيمون الصلاة ، وينفقون مما رزقهم الله وأن هؤلاء هم المؤمنون حقاً ^(٢) .

فالقرآن بهذا قد جعل الإيمان مركباً من أمرين - كما قلنا - اعتقاد ، وعمل . فإذا انعدم أو انعدم أحد ركنى الإيمان ، وهما الاعتقاد القلبى ، والعمل الجسمى ، فلا يكون إيماناً . على هذا الدستور القرآنى انقضت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه ومن تلمذ لأصحابه من بعده .

وقد وقع خلاف فى بعض الحوادث التى لم يكن لها نظير فى عهد الرسول عليه السلام بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى . من هذا اختلاف المسلمين فى موضع دفنه عليه السلام أ يكون فى مكة مسقط رأسه ، أم فى المدينة مكان هجرته ؟ ثم أزال هذا الخلاف بينهم حديث

(١) الآيات : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ من سورة البقرة (٢) الآيات : ٢ ، ٣ ، ٤ من سورة الأنفال

رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء يدفنون حيث يموتون ، ثم اختلافهم في الإمامة بين المهاجرين والأنصار ، ثم انتهى بمبايعة عمر رضي الله عنه أبا بكر رضي الله عنه بالخلافة ، ثم اختلافهم في قتال مانعي الزكاة ، فقال قوم بقتالهم ، وقال آخرون بعدم قتالهم ، ولكن حزم سيدنا أبي بكر في قتالهم قضى على هذا الخلاف .

هذا بعض ما وقع للمسلمين من خلاف بعد وفاة الرسول صلوات الله عليه ، ولكن يلاحظ أن خلافهم كان في أمور عملية لم يقع مثلها في عصره عليه السلام ، ثم لم يلبثوا أن هداهم الله إلى الحق فيها وزال الخلاف ، لأن القلوب لم تزل منيرة بنور الإيمان ، مضيئة بضياء النبوة . وسنرى أنه كلما تقدم بنا الزمن بعيداً عن عهد الرسول انتاب القلوب غيم ، والنفوس رين ، حتى غلظت وأصبحت كاللحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله ^(١) .

لقد رأينا أنه لم يقع في عهد أبي بكر رضي الله عنه شيء يمس ناحية العقيدة . وكل ما وقع في عصره من خلاف إنما كان على أحداث وقعت من غير أن يسبق لها نظير في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فإذا عرف أحدهم نصاً من كتاب أو سنة يفيد الحكم فيما حدث ، وقفوا عند حد النص ، ولما اجتهدوا حتى تستريح نفوسهم إلى حكم في الحادث الجديد . ولكن هنا في عهد عمر رضي الله عنه سمعنا من يعصى بالسرقه ويتعمل بقضاء الله ، حيث تذكر بعض كتب الفرق ^(٢) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى له بسارق ، فقال له : لم سرت ؟ فقال : قضى الله علي . فأمر به فقطعت يده ، ثم ضربه أسواطاً . فاعترض عليه البعض في الحد ، حيث زاد في حد السرقة الضرب بالسوط ، فقال عمر رضي الله عنه : القطع للسرقة ، والجلد لما كذب على الله .

هذه واقعة جديدة على المسلمين الأولين ، ولكن يظهر أنها لم تقع بمن أسلم على يدي رسول الله ﷺ ، وإنما وقعت من أخلاط الأمم ودخلاتها على المسلمين الذين لم يتدبروا القرآن ، ولم تختلط حلاوته بقلوبهم ، ولم تستنر به نفوسهم . وقد يكونون من أصحاب دين قديم قد أثيرت حوله مثل هذه الشكوك في القضاء والقدر ، والتعامل به في فعل المعاصي ، كما يفعله ضعفاء الإيمان في زماننا ، أو الذين يجهلون حقيقة هذا الأمر . فإن أغلب الناس

وهم الجمهور ، بل وبعض من يدعون العلم يظنون أن القضاء والقدر ملزمان لوقوع الأفعال من الناس ، وهو غير صحيح ، فإن من يعرف معنى القضاء والقدر كما عرفهما العلماء لا يخلط في الأمر ، ولا يتعلل بهما في فعل المعاصي .

فالقدر كما عرفه علماء الكلام « خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء » ، وأما القضاء « فهو وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة » .

فالفرق بين القضاء والقدر ، أن القضاء في الأزل ، والقدر فيما لا يزال ، وأيضاً القضاء كما تقدم وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة ، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها .

ولقد رد القرآن الكريم رداً شافياً على من تعلل من المشركين بأن وقوع الشرك منهم بمشيئة الله قال تعالى « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ^(١) » .

ثم قال تعالى في آية أخرى « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ^(٢) » .

هاتان الآيتان قد تعلل بهما المشركون في فعل ما حرم الله ، وهناك آية أخرى تعلل بها المشركون في ترك ما أمر الله ، قال تعالى « وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ؟ إن أنتم إلا في ضلال مبين ^(٣) » .

إن هؤلاء المعاندين من المشركين ، والجهلة من المعاصرين يخلطون بين أمر معلوم لنا ، وأمر مجهول لنا ، أما الأمر المعلوم لنا فهو ما بينه الله سبحانه وتعالى من الشرائع على لسان أنبيائه ، وهو الذي كلفنا سبحانه وتعالى بأدائه ما أمرنا به ، وترك ما نهانا عنه ، وأن من أدى ما أمر به ، وترك ما نهى عنه كان من أهل السعادة ، وأن من ترك ما أمر به ، وفعل ما نهى

(١) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام . (٢) الآية ٣٥ من سورة النمل .

(٣) سورة يس الآية ٤٧

عنه كان من أهل الشقاوة ، وليس فيما كلفنا به سبحانه مشقة ولا عنت ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها . . هذا هو الأمر المعلوم لنا ، والمسؤولون عن أدائه ، وأما الأمر المجهول لنا فهو قضاء الله أزلا ، وقدره فيما لا يزال ، ولا شك أن علمنا بما أمر الله به ونهى عنه سابق على علمنا بما قضى الله وقدر ، لأن الأول وهو أمر الله ونهيه علم قبل وقوع الفعل المخالف على لسان الرسل . وأما الثاني وهو القضاء والقدر فلم يعلم إلا بعد وقوع الفعل المنهى عنه ، أو ترك المأمور به ، لكن إذا كان الواقع في مخالفة الأمر والنهى من خصمهم الله بعلم من عنده حق اطلاع على اللوح المحفوظ ، وعرف ما قضى الله به عليه ثم نفذ الملقى به عليه فلا كلام لنا معه ، فإن مثل هذا له شأن آخر عند الله .

ومن هنا كان رد سيدنا عمر رضي الله عنه على من اعترض على ضرب السارق بأنه كذب على الله ، حيث إنه لم يعلم بالمقضى عليه من الله قبل وقوع فعل المخالفة ، وإنما الذي يعلمه أن فعل السرقة مخالفة لما نهى الله عنه ، وكذلك كان رد القرآن الكريم على المشركين الذين فعلوا لفعل المحرم بمشيئة الله ، حيث قال تعالى لهم في الآية الأولى : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ إن تبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تحرصون ، أى تكذبون حيث لا يعلم بمشيئته إلا هو تبارك وتعالى ، وفي الآية الثانية رد عليهم بأن الرسل بلغوا بلاغا مبينا ، وهذا ما كلف الله به عباده ، فهو أعلمهم على لسان رسله بالواجب عليهم ، فليس لهم أن يتعللوا بالمجهول وهو المشيئة على ترك المعلوم وهو ما شرع الله . وفي الآية الثالثة سفيهم بأنهم في ضلال مبين حيث يتركون المعلوم ، ويتعلقون بالمجهول وهو مشيئة الله التي لا علم لهم بها ، ولا اطلاع لهم عليها . وهكذا نرى في عهد سيدنا عمر رضي الله عنه أن بعض من دخلوا في الإسلام على جهل أو على نفاق أخذوا يثيرون الشكوك حول عقيدة المسابن الناصعة البيضاء الخالصة من كل الشبهات ، وهكذا كلما تقدم بنا الزمن بعيدا عن النبع الأول للإسلام ، نرى الشبهات تمكث والخلافات تشتد والجسد يطغى ، وتصبح العقيدة الخالصة مخلوطة بتشويش المشوشين ، وشبهات المضللين ، ولكن من الخير أن ندرس شبههم ، ونعرف حيلهم ، حتى ننقي العقيدة مما علق بها ، وندفع عنها ما أحاط بها . وفي مقال قال إن شاء الله نتحدث عن آثار فتنة سيدنا عثمان في الآراء ، والفرق التي حدثت في المسلمين ، وكان لها الأثر العظيم فيما وقع بين المؤمنين .

على مصطفى الغرابي

المدرس في كلية أصول الدين

ذَكَرَاتُ تَهْزِئَةٍ لِّلنَّاسِ

من بين الذكريات الخالدة على الزمن ، الباقية على مر الأجيال ، التي تهز مشاعر الإنسانية هزاً عميقاً متواصلاً ؛ ذكرى هذه الحرب المقدسة التي أعلنها محمد صلوات الله عليه على الفقر ، عدو البشرية للدود ، وخصمها الجبار ، الذي حارب الإنسان في حياته وسعادته وأمنه دون تردد أو إشفاق .

والفقر كثيراً ما يكون سببه توزيع الثروة بين الناس ، أو الجهل باستنباط الثروة واستغلالها ، أو جذب الأرض وقلة خيراتها .

ولقد نظر محمد ﷺ إلى مشكلة الفقر باهتمام شديد ، وسعى بنجاح تام إلى القضاء على هذا المشكلة بعقل المشرع وحكمة المصلح وإلهام الرسول ، مع صبرية التغلب على الفقر في بيئته كبيئته الصحراء ، وفي مجتمع لا يعرف إلا العصبية والفروق الظالمة بين طبقات الأغنياء والفقراء .

كان الناس ينظرون إلى المال على أنه هو الوسيلة لحياة الرفاهية والترف ، ولاستعباد الفقراء ، وتسخير الضعفاء ؛ فخارب محمد ﷺ هذه الفكرة الخاطئة ، وأعلن أن المال إنما هو سبب لعمل الخير والبر والرحمة والمعروف ومواساة المنكوب وإغاثة الملهوف وإطعام الجائع وكسوة العاري وإسعاد الناس ، ووديعة الله في أيدي الأغنياء ، ومال الله استخفهم عليه ؛ وجعل من سنة الإنسان المهذب في الحياة الإيثار لا الأثرة ، والإعطاء لا الأخذ ، والقناعة والرضا والشكر لا الجشع والطمع والسخط والجحود .

وكان الأغنياء لا يعرفون في المال حقوق الله والفقراء والمساكين ، فطالبهم محمد ﷺ بما طالبهم به القرآن الكريم في قول الله تعالى : دَفَّاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، ، ونهاهم عن البخل والإمساك والشح والتمتير ، فقال صلوات الله عليه : دَلِيَّاكُمْ وَالشَّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حلمهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ، ، وقال الله تعالى : دَوْمَنْ يَوْزٍ شَحَّ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، ، ومدح المؤمنين الذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ،

وفرض حق الضيف وابن السبيل، وجعل ﷺ البر واجبا، والإحسان فريضة، والصدقة شريعة اجتماعية، والزكاة أمراً محتوماً لمصلحة المجتمع كله. ونظم الوحدة الاجتماعية بين الناس وجعل أساسها الأسرة، وفرض على الرجل حقوقاً يؤديها من ماله لاسرته وأقاربه وأهله، وطالبه بأن يرعى أبناءه حق الرعاية، ويوفر لهم بهملاً وجده وسائل الحياة السعيدة. وحث على القناعة والاقتصاد، فقال صلوات الله عليه: « طوبى لمن قنع بالإسلام وكان عيشه كغافا وقع به، وقال: « ما عال من اقتصد ».

وشرع الله لنبيه الكريم شرائع الزكاة والصدقات، فدعا إليها الرسول ﷺ وحض عليها ونادى بها، وسنّ كذلك تشريعات العمل والإجارة والمزارعة والوصية والهبة والوقف والرهن والوديعة والقرض وعقود الشركات والمضاربة وسواها، لكي تتداول الأيدي المال، ويعمل فيه الفقراء والأغنياء قصداً للريح والكسب الحلال، ومن ثم حرم الإسلام ورسوله الكريم الربا والاحتكار والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل، وقرر محمد ﷺ حرمة المال فقال: « كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه »، ودعا إلى اكتساب الأموال من طرقها المشروعة فقال: « من لم يُيَال من أين اكتسب المال لم يُيَال الله من أين أدخله النار ». وعمل على حفظ كرامة الفقراء ففضل صدقة السر، وحض على ترك المنّ والأذى، وكره السؤال وحرّمه عن غير حاجة، وجعل اليد العليا خيراً من اليد السفلى.. وحبس محمد ﷺ الأموال - التي تؤخذ من الفئ - والخراج، والجزية، والغنائم والعشر والركاز وسواها - على مصالح الفقراء، والتحكين لهم في الحياة والمعيشة، وحرر رقيق الأرض من العبودية، وطالب باحترام حقوق الرقيق الذي أسر في حرب مشروعة، وبالعمل على تحريره كاحرار العامل والخدام والمرأة من القيود والأغلال.

ودعا إلى توزيع الثروة توزيعاً عادلاً بإخائه بين الانصار والمهاجرين، وبما فرض من حقوق مشروعة للفقراء في أموال الأغنياء، وبدعونه إلى العمل وحضه عليه حتى يأخذ الفقير حظه الكامل في الحياة مع مرور الأيام، وبتقسيمه العادل لليراث بين أولى الأرحام وبغير ذلك من أسباب التحكين للفقير والمساكين والمحروم، ونهى عن كنز المال دون أداء حقوقه، وكره الاستكثار منه والتكالب على جمعه، حتى قال رسول الله ﷺ لبلال: « اق الله فقيراً ولا تلتفه غنياً ».

وحدث على الجود والبذل والسخاء ، وكان ﷺ كما وصفه على : أجود الناس كفا ، وكما وصف في حديث البخاري ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ، وتقول عائشة رضي الله عنها : ما شيع رسول الله ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ، ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا ، . . . ودعا الناس إلى التعاون على دفع الضر عن الفقراء فقال : « أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى ، ونهى عن المحاباة في كل شيء حتى في اختيار الموظف ، فقال صلوات الله عليه : « من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً بمحاباة فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله النار ، « كما نهى عن الخيانة في الأموال العامة فقال : « من استعملناه على عمل ورزقناه فما أخذ بعد ذلك فهو غلول ، أى خيانة به ، .

ولقد حبيب محمد ﷺ الناس في الكسب الحلال المشروع ، ودعاهم إلى استنباط المجهول من وسائل الثروات ، وقال لهم : أنتم أعلم بشئون دنياكم . . وجعل بيت المال في خدمة الناس والفقير ، من بينهم خاصة ، ولم يكن لرسول الله بيت مال يضع فيه الأموال وإنما كان يضعها في بيته وبيوت أصحابه ، وكان الزبير بن العوام وجهم بن الصلت يكتبان له أموال الصدقات ، ومعيقب بن أبي فاطمة وكعب بن عمر يكتبان المغانم ، وكان حذيفة ابن اليمان يكتب لرسول الله ﷺ خرص تمر الحجاز . وكان يتخير ولاته وعماله ويقتصد في رزقهم ، فاستعمل عتاب بن أسيد الأموي والياً على مكة وجعل رزقه كل يوم درهما ؛ وصالح صلوات الله عليه أهل فدك على نصف ثمارهم وصرفها على الفقراء . وكان بعمله الشريف ودعوته الكريمة يقوى بذور الرحمة والخير والتعاون والمودة والإخاء بين الناس حتى يستطيع المسلمون التغلب على آثار الجذب الذي كان غالباً على جزيرة العرب .

وقد دعا ﷺ إلى اصطناع الأيادي عند الفقراء ، يقول : « أكثروا من معرفة الفقراء ، واتخذوا عندكم الأيادي ، فإن لهم دولة ؛ قالوا : يا رسول الله ، وما دولتهم ؟ قال : إذا كان يوم القيامة قيل لهم : انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً ، فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة ، وجعل الرسول الأكرم في كل معروف وكل عمل صدقة فقال : « كل معروف صدقة ، وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له به صدقة ، وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة ، والدالُّ على الخير كفاعله ، والله يحب لإغاثة اللهفان ، ؛ ورفع من منزلة الفقراء ولم يجعل المال أساساً للحكم على الأشخاص .

ولقد قرر محمد صلوات الله عليه حقوق الإنسان كاملة غير منقوصة ، وحارب الرق والاستعباد والاستغلال والفساد الاجتماعي الظالمة بين الناس ، ورفع من الفقراء والمستضعفين ذوى الكفريات والمواهب حتى بلغوا أعلى المنازل في الدولة الإسلامية ، مما قلب الأوضاع في توزيع الثروات بين الناس وإنصاف الفقراء ، وفتح باب الأمل الواسع على مصراعيه أمامهم يدخلونه بقوة وعزم وكرامة وتفاؤل بالحياة .

وهكذا كان محمد صلوات الله عليه الإنسانية في أروع صورها ، والمثل الأعلى في أبجد مظاهره ، والفائد المظفر الذى خاض معركة للسلام وانتصر فيها ، والنور الأبدى الخالد الذى هدى الحياة وأخرجها من الخوف والقلق والفوضى ، إلى الأمن والهدوء والاستقرار . وكانت حياته كلها كفاحاً مجيداً في سبيل الله والحق والمعروف وتقدير حريات الفقراء وكراماتهم ، وكانت جهاداً صادقاً وجهته الخير وإسعاد الناس ، ومن أجل ذلك توج هذا الجهاد بالنصر ؛ وهزت ذكرياته مشاعر الناس والجماعات والشعوب في كل مكان وجيل ، ولا تزال هذه الذكريات حديث الدنيا ، ونشيد الحياة ، وفرقان البشرية الظالمة إلى نبع هذا الوحي المقدس والناموس السماوى الحكيم .

لقد استطاع محمد صلوات الله عليه أن يجعل الفقراء والأغنياء إخواناً متحابين متآخين متعاونين ، وأن يقيم في المجتمع الإسلامى اشتراكية عادلة تؤمن بالمبادئ الروحية والمثل العليا وتجعلها أساساً من أسس الاقتصاد التعاونى الجماعى في الدولة الإسلامية الناشئة ، واستطاع بما بذره من بذور الخير في الأرض أن يقضى على الفرقة والخصومة والجريمة والثورة والاضطراب والقلق بين الطبقات ... وكانت ثورة محمد الكبرى من أهدافها تحرير الإنسان من الفقر والعوز والحاجة والخوف ، وكفالة حريته وحقه في الحياة الهائثة الكريمة وهدم كل الصروح التى أقيمت ظلماً وبهتاناً بأيدي الإقطاعية والإقطاعيين الجائرين .

ولا تزال هذه المبادئ الحية الكريمة ينطق بها كتاب الله وسنة رسوله ، ويقوم عليها تراثنا الروحى الخالد الذى يعد مفخرة من مفاخر البشرية في نهضتها وتوئبها إلى الكرامة والحرية .

محمد عبده المنعم ففاجى

المدرس في كلية اللغة العربية

الخبز كناية عن الحياة

البُذُورَة ، السُّطَّانِيَّان ، عامُّ بَرُخ .

١ — يطلق أهل الحجاز في هذا العصر البُذُورَة على صغار الأولاد . وقد سمعت هذا من حجازي في القاهرة ، وحكى لي بعض الحاج أنه سمعه من أهل مكة حين حج . وقد أثار فضولي هذا الحرف ومنزلته من اللغة العربية .

ويلوح للباحث في بادئ الأمر أن البذورة جمع البذر ، وهو أوّل ما يخرج من الزرع والبقل والنبات . فشبهه صغار الذرية بهذا الذي ينجم من الزرع وينمو حتى يستوى ويؤتى أكله ؛ إذ كان الأولاد يعمون وينقلون من طور إلى طور حتى يستووا رجالا . والجمع الوارد للبذر : بُذُور وبَذَار . ولحاق التاء لصيغة الجمع كثير ؛ كالعمومة والختولة والفحولة في جمع العم والخال والفحل ؛ وقالوا : الحجارة والبكار والفحالة والعظام والجالة في جمع الحجر والبكر والفحل والعظم والجل . وهذا لتأنيث الجمع كما يؤنث المفرد ؛ نحو القصعة والحجرة والسُحُرفة . وهذا التخريج فيه ممتنع ورضي لمن شاء .

وقد سنح لي تخرّيج آخر حين وقفت على النص الآتي في ذيل (١) الأماي للقالى : **دُئِدَى عَلَيْهِم ، فيقال : قطع الله بُذَارَتَهُم . والبُذَارَة من البذر ، كأنه أراد النسل ، وفي اللسان (بذر) : د والبُذَارَة : الفسل ، . وذلك أن يكون البُذُورَة أصلا البُذَارَة فُتُولت إلى البُذُورَة . وتحويل الفُعُولَة إلى الفُعُولَة يجري في لسان العامة ؛ يقولون في السُّعْمَالَة - وهي أجرة العامل - : السُّعْمُولَة . يقول أحدهم : إذا قت لي بسكنا فلك سُمُولَة كذا .**

٢ — وذكرني هذا الحديث بحديث أفضى به إليّ بعض أصدقائي الذين أدوا فريضة الحج ، قال : مررت مع غلام حجازي على مجزرة ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : هنا تذبح الطليان . والطليان جمع الطيلي ، وهو الصغير من أولاد الغنم .

وهذا المثال والذي قبله يحفزنا إلى دراسة اللغة الحالية للجزيرة العربية وتعرف ما بقي فيها من الفصحى ؛ فقد يكون في ذلك غناء كبير لدارسى اللغة . فعمى أن يفتش لهذا بعض الجماعات فينفقوا على من يقوم بهذا الامر ويضطلع به من العلماء .

٣ — ويحضرني في هذا المقام قصة نبأى بها صديقي الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى . فقد كان في تونس - حماها الله ودفع عنها كيد الاعداء - في رحلة علمية ، وضمه مجلس فيها ، وكان قد اثن كلمة سمعها هناك ، وهي (بَرخ) يقولونها في الكثير الموفور . يقولون : السكر برخ عندنا ، فذكر هذه الكلمة وتجارى فيها مع الحاضرين ، ورأى بعضهم أنها تمت بسبب إلى العبرية ، وذكر هو أيضا أن في موطنه الاصلى ومسقط رأسه د محلة أبو علي ، من أعمال الزقازيق يقال : هذه سنة برخة للسنة يرجى فيها الخصب والخير . ولقد شعرت حين أورد لي الصديق الكريم هذه القصة أن للكلمة د برخ ، صلة بمادة البركة في العربية ، وعمادها كثرة الخير ووفرة ما يشتهى .

ولقد وجدت في اللغة مؤيدا للاستعمال السابق لكلمة د برخ ، و د برخة ، في بلاد العرب ، وفي قرية د محلة أبو علي . وفي اللسان : د يقال : كيف أسعارهم ؟ فيقال : برخ أى رخيص . والتبريخ : التبريك . وفي القاموس : د البرخ : النماء والزيادة ، والرخيص من الاسعار (عمانية) . وقيل : هي بالعبرانية أو السريانية . وقد آثرت في صدر المقال أن أورد العبارة د عام برخ ، فأعدل عن د سنة ، لما أن السنة توهم الجذب والازمة . وانظر قوله تعالى : د ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون . وانظر الروض الأنف ١/١٩٢

هندي ، هندكي

النسبة إلى الهند هندي ، وجمعه هنود ، يقال : رجل هندي ، ورجال هنود ، كزنجي وزنوج ، وقد ورد في النسبة إلى الهند هندكي ، ويقال في جمعه الهنادك والهنادكة ، قال أبو طالب في لاميته (١) .

بنى أمة مجنونة هندكية بنى جمع عبيد قيس بن عاقل

(١) انظر سيرة ابن هشام على هامش الروض الأنف ١/١٧٨

وقال كثير عزة :

ومقربة دم وكت كأنها طهاطم يوفون الوفار هنادك
فالهنادك : رجال الهند ، والطهاطم جمع الطمطم ، وهو الأعم لا يفصح .

ويستوعى النظر هذان الوجهان من النسبة ، وبالخرى الوجه الثانى منهما ، وهو الذى فيه الكاف ، إذ كان هذا غير مألوف فى النسبة العربية ، بلى هو محمود فى الإضافة والنسبة فى اللغة التركية ، وإن كانت الكاف عندهم مكانها جيم . ولقد سرت هذه النسبة فى كلمات كثيرة فى لسان العامة . ومن هذا التمرجى لمن يقوم بأمر المريض ، وهو منسوب إلى تمر ، وهو التبخ ، كما أخبرنى بذلك من يعلم هذا الشأن ، فهو الذى يقوم بحس التبخ . ومنه الكفتجى . وهو نسبة إلى كفتن ، وهو فى اللغة الفارسية مصدر معناه تقطيع اللحم . وقد تضاف علامة النسبة هذه إلى كلم عربية ، قالوا : السفرجى فى النسبة إلى السفرة ، وقهوجى فى النسبة إلى القهوة . ومثل هذا كثير غنى عن الإيراد .

ويبدو أن هذا دخل فى لسان الناس الذين يتكلمون بالعربية من قديم ؛ فى رسالة الغفران ذكر أبى الفرج الزهرجى ، وذلك إذ يقول أبو العلاء : « وأما أبو الفرج الزهرجى فعرفته بالشيخ تقسم أنه للأدب حليف ، وللطبع الحثير أليف ، وظاهر أنه منسوب إلى الزهر على اصطلاح الأتراك .

وقد كانت مسألة « هندكى » لغرابها فى العربية موضع بحث عند لغوي العرب .

١ — فبرى ابن جنى أن الكاف فى هندكى ليست زائدة ؛ إذ ليس هذا من موضع زيادتها فى قانون الصرف . فهندكى نسبة إلى هندك لا إلى هند ، وإن لم ينطق بهندك . وهذا كما قالوا : تهايم فى النسب إلى تهامة ، على نيّة النسب إلى تهم أو تهم وإن لم ينطق بهما . وعلى هذا فهند وهندك . وإن كان هذا الأخير لا يظهر إلا فى النسب . من مادتين مختلفتين لا من مادة واحدة ؛ إذ كانت الأولى ثلاثية ، والثانية رباعية . وإذا كان معناهما واحداً كان هذا من تداخل الثلاثى والرابعى ، كدمت ودمتر ، وسبط وسبطر . وقد عقد ابن جنى لهذا باباً فى الخصائص . وإن أسوق إليك كلام ابن جنى فى سر الصناعة (حرف الكاف) :
فأما قول كثير .

ومقربة دم وكت كأنها طهاطم يوفون الوفار هنادك

فقال محمد بن حبيب : أراد بالهنداك رجال الهند ، فظاهر هذا القول يقتضى أن تكون الكاف زائدة . ولو قيل : إن الكاف أصل ، وإن هندی وهندكى أصلان بمنزلة سبط وسبطر لكان قولاً قوياً ، وهو الصواب . ويقول ^(١) أبو حيان بعد أن أورد بيت كثير : « فخرجه أصحابنا على أن الكاف ليست زائدة ؛ لأنه لم تثبت في زيادتها في موضع من المواضع فيحمل هذا عليه ؛ وإنما هو من باب سبط وسبطر ، .

٢ — ويرى ^(٢) أبو حيان أن هذه العلامة اللاحقة (كى) علامة النسب ، وأنها سرت إلى العرب من لسان الحبش ، وقد كان قسماً بهذا اللسان وصنف فيه . وهاك مقالة هذا الجبر الضليع : « والذي أخرجه عليه أن من تكلم بهذا من العرب إن كان تكلم به فإنما سرى إليه من لغة الحبش ؛ لقرب العرب من الحبش ودخول كثير من لغة بعضهم في لغة بعض . والحبشة إذا نسبت ألحقت آخر ما تنسب إليه كافاً مكسورة مشوبة بعدها ياء . يقولون في النسب إلى قند : قندكى ، وإلى شواء : شواءكى ، وإلى الفرس : الفرسكى . وربما أبدلت الكاف تاء مكسورة ؛ قالوا في النسب إلى جبر : جبرى . وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش في كتابنا المترجم عن هذه اللغة ، المسمى بجلاء الحبش عن لسان الحبش . وكثيراً ما تتوافق اللغتان لغة العرب ولغة الحبش في ألفاظ وفي قواعد من التركيب نحوية ؛ بحروف المصارعة وتاء التأنيث وهمزة التعدية ، .

وإننا لنحمد لأبي حيان - وهو من جلة النحاة واللغويين ، وكانت وفاته سنة ٧٤٥ هـ - عنايته بغير لغة العرب ، ونزوعه إلى موازنة اللغات . فقد رأيت أن له تأليفاً في اللغة الحبشية ، وفي ثبت كتيبه : « منطق الخرس في لسان الفرس ، و « الإدراك لسان الأتراك ، . وهذه النزعة قليلة في علماء العربية ، وإنما استولت على العلماء الغربيين في العصر الحديث ، وكان لهذا أجل الآثار وأعظم الجدوى . وما زال الشرقيون متخلفين عنهم في هذا المضمار ، ولو نهجوا نهجهم لكان لهم من الآثار ما يفوق آثار أولئك الغربيين .

على أن ما ذكره أبو حيان عن لغة الحبش من النسبة بالقطع (كى) لا يعرف الآن على ما أخبرني به من اطالع على السكتب المصنفة في هذا اللسان ؛ وكذلك النسبة بالتاء .

والمعروف أن الجبرتي منسوب إلى الجبرت . وفي مستدرك الناج : « وبقي هنا على المؤلف « جبرت » ، وهو بلد الحبش . وينسب إليه أقوام من العلماء ، ولكن أبا حيان غير ظنين فيما يروى وينقل ، وإن كان المعروف عن هذه العلامة (كي) أو (جي) أنها من سمات النسبة عند الأتراك .

هذا ، وإبدال الياء جيما معروف في العربية ، في النسب وفي غير النسب . وذلك لما بين الحرفين من تقارب المخرج ؛ إذ كانا من وسط اللسان . ويقول أبو عمرو بن العلاء ^(١) : قلت لرجل من بني حنظلة : بمن أنت ؟ فقال : فقيمج . فقلت : من أيهم ؟ قال : مرج . أراد : فقيمي ، ومرى . وفقيم قبيلة من العرب ، وكذلك مرة . وقال هيمان بن قحافة أحد الرجاز في وصف الإبل :

تسير بالأيدي عجاجا راجحا يطير عنها الوبر الصهايجا
العجاج : الغبار ، والصهايج أراد : الصهاجي من الصهبة وهي من الألوان .

ومن هذا ما يعرف بجمعجة قضاعة ، يحولون الياء جيما مع العين ، يقولون : هذا راعج ، خرج معج ، يريدون : هذا راعي خرج معي . ومن هذا الرجز المشهور :

خالي لقيط وأبو عالج المطعمان اللحم بالعشج

يريد : أبو علي ، وبالعشى . ويقول ابن السكيت : بعض العرب إذا شدد الياء جعلها جيما ، ويقول أبو عبيد البكري في اللآلي : وبنو تميم يجعلون ياء النسب جيما .
ويبدون لي أن بعض العرب نسب إلى الهند على هذه اللهجة فقال : هندج ، بإبدال الياء جيما ، ثم توهم من جاء بعد أن الجيم من سنخ الكلمة ، فألحقها ياء النسب ، فقال : هندجي . وأبدلت الجيم كافا ؛ لما بينهما من تقارب ، وقد قالوا ^(٢) : مريتيج ويرتك إذا ترجج ، وأخذة شك في بطنه وسج : إذا لان بطنه ، وريح سيهوك وسيهوج : شديدة .

محمد علي النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

العِلِّيَّةُ فِي فِلْسَافَةِ هِيُومَ

يقوم مذهب هيوم على الوجدان الخالص ، فالمعرفة عنده مجموعة إدراكات . وتداعى المعانى ، هو القانون الذى ينشئ العلاقات بين المدركات بالتشابه أو بالتقارن فى الزمان والمكان أو بالعلية . وعلاقة العلية ذات قيمة كبيرة فى العلوم الطبيعية .

ولكن ما مقدار معرفتنا للعلة ؟ أليست هى الحادثة السابقة التى نشاهدها قبل حدوث معلولها ؟ ثم ، أليس من الضرورى أن نشاهد الحادثتين مما حتى نحكم بأن إحداهما علة والآخرى معلول ؟

الواقع أن هيوم ينكر العلية سواء أقلنا عنها إنها موجودة كامنة فى الأشياء المادية أو النفسانية أو قلنا إنها رابطة ضرورية بين الأشياء أو المظاهر النفسية . فكل ما هنالك — على حد تعبيره — هى حوادث مفككة متفرقة يلى بعضها بعضا ، لا نلاحظ بينها أى رباط أو أى عقدة وإن ظهرت لنا متجاورة .

هذا هو الموقف السلبي القاسى الذى وقفه هيوم من العلية . قد يكون من المفيد فى سبيل فهمه أن نعرف ما قاله الفيلسوف مالبرانش قبله وما قاله الفيلسوف كانت بعده . فسا هو موقف مالبرانش من العلية ؟ إن ذلك القسيس المتبتل لم يشأ إلا أن يدخل الله فى كل شئ ، كما كان التراجيديون اليونان يفعلون حين يضعون الله فى المواقف التى تخرج عليهم . فالله عند مالبرانش هو علة معرفة الأجسام وعلة لمعرفة النفس .

فهذه الأجسام التى نراها بما لها من صفات أولية أو ثانوية ، أو بعبارة أخرى هذا الامتداد ومظاهره ، لا ترتبط أحدها ببعض ارتباطا ضرورياً . وهذه النفس ومكوناتها والجسم المتصل بها ومكوناته ليس فيهما ما يحملنا على أن نعتقد أن الأول علة للحالات الثانى ولا أن الثانى علة لاحوال الأول ، ويؤيدنا فى ذلك مبدأ التمييز الديكارتى الذى يقول إنه ليست هناك علة بالمعنى الصحيح لا فى الجسم ولا فى النفس ولا فى صلة النفس بالجسم ، فالذى يوجد إذن هو تتابع ليس إلا لاحوال الجسم وأحوال النفس ، وليس ارتباطا ضروريا بحال

من الأحوال . الله هو العلة الوحيدة لأن القوة صفة قدسية لا يمكن أن تحمل إلا على الله سبحانه وتعالى ، فهي صفة الخالق ذاته في طبيعته تخلق ، وليس هناك موجود إلا الله سبحانه وتعالى نرى بينه وبين معلوله ارتباطاً ضرورياً ، فمن المستحيل كما يقول مالبرانش أن تؤثر الموجودات المخلوقة بعضها في بعض ، سواء أكانت مادية أم روحية .

ولكن ما هي هلة حركة جسم معين ؟ يجهلنا مالبرانش بنظريته الجديدة في العلة وهي نظرية العلل المناسبة فيقول إنه علته الصحيحة الفعالة هي إرادة الله لخلقه وحفظه في مكان معين بالنسبة إلى أجسام أخرى أو حفظه في عدة أمكنة مختلفة بالنسبة لأجسام ثابتة ، وأن علته المناسبة هي حركة الأجسام الأخرى التي تتقابل معه ، وقولنا في كلتا الحالتين صحيح بشرط أن ندرك تماماً أن علة الله الفعالة وعلة الجسم المناسبة تسيران وفق قوانين ثابتة رسمها الله ، قوانين بها يوفق الله بين عمل الجسم غير الفعال وعمله الفعال .

هذا هو حل مالبرانش لمشكلة العلية ، حل يشبه إلى حد كبير ما أورده هيوم في كتابه المسمى Inquiry وإن اختلفت النتيجة المستخلصة عند هذا الأخير عنها عند الأول . فهيوم وإن اعترف بأن مالبرانش قد وصل بنقده إلى أسنى درجة ، إلا أنه ينسكرك عليه بعد ذلك ولوغه في عالم خراف لا يمكن أن يستخلص منه شيء مؤكد ، ويظهر هذا من تسليمه بالقوى التي انتزعها من الأجسام والأشياء الإنسانية ، فهو حين سلم بها ، سلم بها في كائن أسنى هو مصدر القوى الظاهرة سواء في الأجسام أو في النفس . وهذا عيب في نظر هيوم يظهره بوضوح في إحدى نصوص كتابه ، حين يقول : « إن جميع الحوادث تبدو مفككة متفرقة ، فحدث يلي حادثاً آخر ، ولكننا لا نلاحظ أبداً أى رباط أو أى عقدة بين هذه الحوادث فهي تظهر متجاورة ولكنها ليست أبداً مرتبطة ، وبما أنه لا يمكن أن يكون لدينا معنى عن شيء لم يظهر أبداً لا للحس الخارجى ولا للشعور الباطنى ، فالنتيجة اللازمة لذلك أنه ليس لدينا أى معنى عن الرابطة أو عن القوة وأن هذه الألفاظ لا معنى لها على الإطلاق كليا استعملت في الحجج الفلسفية أو في الحياة الجارية » .

من هذا النص تبين لنا النتيجة القاسية التي يقف عندها هيوم ، وهي إنكار العلية إنكاراً

مطلقاً ، ولكن الواقع غير هذا ، فهيوم لا يصل إلى هذا الحد من الإنكار ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لا يريد أن يقع فيما وقع فيه مالبرانش ، فكيف إذن يفسر موقفه ؟

سيعرف الجواب بعد ذكر بعض الأمثلة . إذ رأينا حادثة معينة نتجت عنها حادثة أخرى ، فهل نحكم من أول مرة أن الحادثة الأولى علة والآخرى معلول ؟ إننا مهما أو تينا من سرعة الحاطر ودقة الانتباه فلن نستطيع ذلك ، ولكن إذا ما تجدد الحادث الأول ونشأ عنه دائماً الحادث الآخر فإيه يمكننا أن نسمى الحادث الأول علة والثاني معلول . فاستنتاجنا للعلّة والمعلول يأتي بعد تتابع الحادث الأول والتتابع الذي لزمه به الحادث الثاني ، لاننا إذا نظرنا إلى الحوادث ذاتها من الناحية الموضوعية لما وجدنا فارقا البتة بين الحالة الأولى والأحوال الأخرى ، فككرة البلياردو مثلاً لا تكاد تمس كرة أخرى حتى تبدأ الأخيرة في الحركة وهذا هو ما يحدث بعينه في كل مرة لا أزيد ولا أقل ، هذا من الناحية الموضوعية ، ولكن الأمر سيتغير لو نظرنا إلى نفوسنا وما يمتريها من أثر هذه الحوادث . ويذكر هيوم في ذلك نصاً يقول فيه : « الحالة الأولى التي رأينا فيها حركة ناتجة من احتكاك كرتي البلياردو مشابهة تماماً لاية حالة يمكن أن تقع لنا مرة أخرى إلا في أننا كنا عاجزين في الحالة الأولى أن نستنتج حادثاً من حادث آخر ، الأمر الذي أصبحنا قادرين عليه بعد مرحلة طويلة لتجربة ثابتة ، فليس لدينا أى معنى عن القوة ، أو أى معنى عن الرابطة الضرورية ، أو أى معنى عن عليّة موضوعية ، وكل ما هنالك هو تغير النظر بعد تكرار الحوادث وفعل هذا التكرار في نفوسنا .

فصدر العلية إذن ، مصدر نفساني ، وفي هذا يقول هيوم : « ليس هناك بين حالة واحدة وعدة حالات من المفروض أنها جميعاً متشابهة ، أى فارق ، إلا في أن العقل بعد التكرار يتوقع حين ظهور حادث معين ، وبفعل العادة فقط ، قرينته المعتاد . فالرابطة التي نحس أو نشعر بها رابطة عقلية ، والانتقال التعمودي للمخيلة من موضوع إلى قرينه المعتاد ، هو الشعور أو الإحساس الذي نشق منه معنى القوة أو الرابطة الضرورية ، ففكرة العلية ، مصدرها نفساني داخلي هو الإيمان بالنوع ، ومن ذلك نستطيع أن نصل

إلى تعريف العلة عند هيوم وهو « العلة شيء يتبعه شيء آخر وظهوره ينقل بالعقل إلى هذا الشيء الآخر » .

ليس لمعنى العلة إذن أى أساس للظواهر فى ذاتها أو فى طبيعتها ، فكل ما فى العقل حين يفكر فى مشكلة العلية هو ما ذكره وما ذكره فقط من حدوث ظاهرة أخرى وتوقع الظاهرة الثانية بعد تكرار الأولى ، ففكرة السببية إذن ذاتية محضة وهى خدعة من الخيال الذى يميل إلى فرض رابطة بين الأشياء ، والحوادث ليس لها وجود إلا فى العقل الذى يدركها ، ومن هذه الفكرة توصل هيوم الى القول بأن للعالم الخارجى وهم باطل ، ونزل بمعوله على العالم المادى ، فليس فى السكون إلا أفسكار ندركها ومن الخطل أن نفرض وجود ما لا نعلم ، وعلى كل حال فهذا مبحث آخر خارج عن موضوعنا .

هذا هو نقد دافيد هيوم للعلية ، إذا نحن قارناه بنقد كانت ، رأينا الأخير يفرض تنالما بين الظواهر وليس فقط بين تأثرات الشخصية بهذه الظواهر ، وأن التابع فى ظهور الشخصية ليس له أى قيمة موضوعية ، مالم يكن هناك تنال بين الظواهر ، وهذا معناه أن الظواهر تسير على قاعدة أساسية هى « أن حادثا ما يلى آخر » ، وأن الحادث الثانى لا يمكن أن يسبق فى الزمن الحادث الاول أو بمباراة أخرى لا يمكن أن يرجع التالى إلى الوارد قبل المقدم ، فبدأ العلية عند هيوم — على حد قول كانت — إنما هو تعبير آخر عن القاعدة الأساسية للتفكير التى تعين الزمن كنظام موضوعى بين الحوادث (كقبل وبعد) ، وأن هذا النظام ليس نتيجة لأفعال مخيلتنا ولتداعى الافكار فيها ، كما تصور هيوم ، بل إن حوادث الخيلة والتمييز بين (قبل وبعد) مبنى على القاعدة التى تسلم بضرورة هذا التمييز ، أى أن أولية العلية ما هى إلا تعبير آخر عن تعيين الفكر لخاصيات الزمن أو هو عبارة عن رفع طبيعة الزمن إلى مرتبة يمكنه فيها أن يكون أساسا للنظام الداخلى .

وبعد ، فهذا مقال فى ندد العلية عند فيلسوف الإنجليز دافيد هيوم ، لا أحب أن أوضحه أكثر من هذا ، فإننى أخشى ما خشيته هيوم من قبل : « إذا ما أظهرته فى أنوار مختلفة أن يصبح أكثر غموضا وأكثر تعقيدا » .

الرئيس يزور الأزهر

أقام سكان حى الأزهر وأصحاب المتاجر فى شارع العظم معالم الزينات احتفالاً بالرئيس المصلح اللواء محمد نجيب فى زيارته للأزهر يوم ٧ ربيع الأول ١٣٧٢ (٢٥ نوفمبر) وفى منتصف الساعة الحادية عشرة وصل الرئيس فاستقبله فضيلة الاستاذ الاكبر وكبار العلماء وجلسوا حول منصة أقيمت فى صدر الفناء الكبير الذى يقع فى مبنى الأزهر الجديد أمام كلية الشريعة وقاعة الاحتفالات الكبرى بالأزهر ، وقد ركبت إلى جوانبها مكبرات للصوت . وبعد ابتداء الحفل بآى الذكر الحكيم وقف فضيلة الاستاذ الاكبر وخطب قائلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين .

وبعد وقد تفضل الرئيس اللواء محمد نجيب بزيارة أهل العلم وطلابه ، وهم الذين يرجى أن يكون المستقبل بهم مشرقاً زاهراً ، وإننا إذ نشكره اليوم فإنما نشكره شكر الأرض الكريمة إلى الغيث النافع ، ونؤكد بهذه الزيارة ما عرفناه فيه من عنايته بدين الإسلام ، وتصريحه بأنه دين النظام . وتحضرني فى هذه المناسبة قصة موجزة : تلك أن القاضى أبابوسف كان جالساً ذات يوم إلى جانب الرشيد ، فدخل يهودى ورفع قضية على الخليفة ، فقام القاضى أبابوسف من مكانه وقال لليهودى : اجلس إلى جانب خصمك ، وجلس أمامهما وحكم لليهودى على الخليفة ، ثم قال القاضى : إني لا زلت أستغفر الله من أن أخطئ بنفسى أن يكون الحق مع الخليفة . وإنى أعود فأشكر للرئيس هذه الزيارة الكريمة ، وأدعوه ولرجال الجيش البواسل ، وأسأل الله له ولهم التوفيق والسداد .

ولما جلس فضيلة الاستاذ الاكبر وقف مندوب الطلبة الأزهريين وألقى كلمة حيا فيها الرئيس باسم الطلاب وختمها بقوله : « إن هذا اليوم ليوم تاريخى عظيم يسجله الأزهريون بمزيد من الفخر والزهو ، .

وعلى أثر ذلك قام الرئيس اللواء وألقى كلمة قال فيها :

يا أبناء الأزهر ،

السلام عليكم ورحمة الله .

جئت اليوم لنحية الأزهر ، وأنتم أبناءه وحملته رسالته وحماة تقاليده ، فأتهم بهذا حملة رسالة الإسلام ، وقادة الأمة إلى الخير ، ومنافذ رحمة الله للعالمين .

ولأن الأزهر ملاذ اللغة العربية ، ومعاد الشريعة الإسلامية ، وواجب كل عربي أن يصون الأزهر ليصون به لغة القرآن . وواجب كل مسلم أن يرفع رايته لترتفع به راية الإسلام .

ولقد كان الأزهر وما زال هو الجامعة الإسلامية العظيمة ، تهفو إليه أرواح المسلمين في كل موطن ، وتتطلع إليه آمالهم من كل مكان ثم يفدون إليه من كل قطر من أقطاره ، ويغترفون من مناهل معارفه وعلومه ، ليرجعوا بعد ذلك إلى بلادهم وأهلهم كما قال الله سبحانه وتعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) .

ولقد وقف الناس أمام الأزهر طائفتين : طائفة ترى فيه موطن أمل ، وموضع رجاء ، فهي تحرص عليه وتعينه على بلوغ غايته . وطائفة أخرى ترى فيه حصناً منيعاً دون غاياتها الاستعمارية ، فهي تكيد له حتى تصرفه عن الهدف السامي الذي أرادته الله له . ولكن الأزهر بفضل الله ، وجهود أبنائه ، وغيره الغيورين من أبناء الوطن العزيز ، سيصل إلى غايته من نشر رسالة الإسلام ، وجمع شمل المسلمين ، وحملهم على أن يتعارفوا ويتآلفوا ويتناصروا حتى يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولاني ، وأنا أحيي الأزهر الشريف ، لا أحييه تحية الغريب للغريب . فإن الحركة المخلصة التي قام بها الجيش ، ليست إلا معنى من معاني الإصلاح الذي ينشده الإسلام ، والإسلام دين الحرية ودين العدل ، والأزهر هو القائم برسالة الإسلام ، والحفيظ على هذه الرسالة في نفوس المسلمين . ولذلك أشعر وأنا أحيي الأزهر أنني فرد من أفراد الأزهريين ، لأنني فرد من أفراد المسلمين .

إن الإسلام يحب الحرية وبقدرتها ، ويكره الذين يختارون الضعف والعبودية ، وأنتم أعلم بقول الله في كتابه العزيز (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا

كننا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) .

إن الإسلام يحب العدل ويحرص عليه ويأمر به (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) .

ولقد اکتوننا واكتوت مصر معنا بنار العبودية ونار الظلم ، وكان الملك السابق يكاد يدعى أنه الإله من دون الله . واستباح لنفسه ما حرّمته شرائع السماء المقدسة ، فبغى وظلم واقتك الحرمات وسفك الدماء في استهتار بالغ بإرادة الشعب ، وخروج آثم على أوامر الله ، ولم يكن بد من أن يوقف الشعب ، مثلاً في جيشه ، هذا الطغيان ، فقام بحركته التي يرضى عنها الله ورسوله والمؤمنون ، وتوحيدها بمبادئ الإسلام الذي يرفع الأزهر رايته ويؤدى رسالته .

والآن وقد ذهب الطاغية إلى غير رجعة ، وتخلصت الأمة من الكابوس الذي كان يحجم على صدرها ، ويكاد يحبس أنفاسها ، تتجه إلى الله جلّت قدرته أن يوفقنا جميعاً إلى ما يعلى راية الخير ويثبت دعائم الحق ويأخذ بيد أمتنا إلى الحرية الشاملة والعدالة الكاملة والاستقرار السعيد العزيز .

وأن أماننا سبلاً كثيرة للإصلاح وتوفير أسباب الحياة الماجدة للشعب الكريم ، ولأننا لوائقون أننا وأبناء الوطن العزيز يد واحدة ، ولأننا بفضل توجيه الأزهر للأمة وإرشاده إياها ، سنستعين بالصبر على عزائم الأمور ، وسنكون كما يوجه القرآن الكريم (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

وكانت هذه الكلمة الجامعة تقابل في كثير من مواضعها بالهتاف المدوي والتصفيق الشديد .

ثم نهض فضيلة الاستاذ الشيخ سليمان نوار شيخ كلية اللغة العربية وألقى كلمة جامعة حيا فيها الرئيس وبارك عهده الميمون وقال : إن علماء الأزهر على بكرة أبيهم يتساندون في نصرة هذا العهد لأنه عهد الحرية والكرامة والنور والعرفان .

وعلى أثر ذلك وقف الرئيس ، فتعالى هتاف انطلاّب واشتد تصفيقهم ، غيا العلماء والطلاب ، واستقل سيارته وانصرف بين مظاهر التكريم والإجلال .

مملكة تَقْلِي

— ٢ —

قدمنا في الجزء الماضي من هذه المجلة لمملكة تقلى ، بعرض جغرافى وناريخى عام لهذه المملكة الإسلامية . والآن نواصل الحديث عنها مبتدئين بذكر تاريخ تقلى ، قبل أن ينشأ البيت المالك فيها .

يقطن تقلى اليوم شعب مكون من خليط من قبائل كثيرة ، ومزيج من الدماء المختلفة . ويرجع ذلك إلى هجرة الكثيرين إليها ، بعد أن تأسس فيها البيت المالك ، واستقر هؤلاء المهاجرون بتقلى . وتوضح آثار هذه الدماء المختلفة ، فى شعب تقلى اليوم .

ومنذ أربعمئة عام ، كان سكان الجبال الشمالية الشرقية ، عنصراً جنسياً واحداً ، يحيا حياة منعزلة فى ثلاث مناطق هى (١) ترمى Tirmi فى أم طلحة ، (٢) جبال السكجاجة ، (٣) تقلى نفسها .

وكان هؤلاء القوم وثنيين ، يحيون حياة بسيطة بدائية ، تحت سلطة زعمائهم الوراثيين ، الذين اتخذوا ديجال آرو ، Tegal'arro قاعدة لهم ، وهى تقع قريبة من قرية د الهوى ، الحالية . وكان سكان الجبال الشمالية الشرقية ، يعرفون باسم د الهمج ، . وسلالة هؤلاء السكان ، موجودة اليوم ، فى جبال السكجاجة ، نقية من الدم الغريب . ولقد انقرض هذا العنصر ، لدرجة كبيرة ، فى سائر جهات تقلى الأخرى ، إلا أن دماءهم تسربت إلى معظم سكان هذه الجبال الشمالية الشرقية .

وسكان السكجاجة يعتقدون الإسلام ، ومن المحتمل أن يكونوا قد أسلموا منذ ثلاثمئة عام ، إلا أنهم ما زالوا يمارسون كثيراً من عاداتهم القديمة ، وإن تكن القرون قد غيرت قليلاً من مظاهر حياتهم . وزراعاتهم قليلة ، أهمها القمح ، يزرعون فى جبالهم ، التى قلما يخطرون بالابتعاد عنها . ويتكلم قليل من سكان السكجاجة ، العربية ، بينما نرى أن سكان تقلى ، جميعهم يتكلمون العربية .

وقد عفت الايام على لغتهم الاصلية تماماً ، وقل أن تجد اليوم متحدناً بها . وكان « الجندى » يسيطر على قبائل الكجا كجة ، وهو وارث سلطات رؤساء القبائل . ولما تأسس البيت المالك الجعلى ، ظل هذا الجندى يشغل منصبه في عهدهم . وإذا استنفينا الديانة والملبس ، فإننا نجد أن سكان الكجا كجة اليوم ، في حياتهم وعاداتهم ، يشابهون أولئك الذين عمروا الجبال الشمالية الشرقية منذ أربعائة عام . ولقد وجدتم هناك ذلك الرجل الجعلى الفقير ، الذى أسس البيت المالك ، ونسل منه ملوك تقلى . ورواية نسب هؤلاء السكان مشوشة مضطربة ، وإن كانت ذريتهم تعزى بهذه النسبة ، وتحفظ بها ، فى أغانيها وقصصها . ويمكن أن نتبع آثارهم فى خرائب منازلهم فى « تيجال آرؤ » و « ترمى » حيث نجد الحصون التى أقاموها لصد المهاجمين . ونستنتج من ذلك ، أنهم لم يكونوا قوماً مسالمين ، كما هم الآن . وكان سلاحهم القذف بالحجارة ، والرمى بالسكاكين والحرايب ، من خلف هذه الاسوار التى أقاموها .

ويجمل بنا أن نقف قليلاً ، لنعرف من هم هؤلاء الغزاة ، الذين بنيت هذه الحصون ردهم . كان هناك خوف ، فى ذلك الوقت ، من غزاة يأتون من الشمال أو الشرق ، لأن سكان الجبال ، كانوا دائماً متناحرين . وتذكر الرواية أن سكان الجبال الشمالية الشرقية ، كانوا متحدّين تحت زعامة واحدة . ولكن الأرجح أن كل جماعة منهم كانت تحيا حياتها الخاصة تحت زعامة رئيس محلى . وذلك يفسر لنا نشوب العداوات بينهم . وتنسب الرواية لهؤلاء الرؤساء المحليين سلطة واسعة . وفى « تيجال آرؤ » ، تكون بيت تقلى القوى ، الذى نشر نفوذه فيما بعد .

ومعرفتنا بأصل هؤلاء القوم محدودة . وبين سكان الكجا كجة و « السكوالب » اليوم عداوات وإحن تفسر لنا شيئاً من تاريخهم القديم . وبين الجماعتين كثير من التناقض ، مرده إلى اعتناق سكان الكجا كجة الإسلام منذ أمد بعيد ، بينما السكوالب وثنيون حتى اليوم . ويمثل سكان « تاكام Takam » و « تورجوك Turjok » و « تاجوى Tagoi » حلقة متوسطة بين الجماعتين السالفتين ، لأنهم اعتنقوا الإسلام حديثاً . ويقال إن هؤلاء السكان ، الحديثي الإسلام ، يرجعون هم والنوباويون فى الجنوب إلى أصل واحد . وعلى كل حال فهذه أمور لا زالت تحتاج إلى مزيد من العناية والبحث . غير أن الشئ

الذى نستطيع أن نؤكدده ، هو أنه كان يعيش فى تقلى ، فى بداية القرن السادس عشر ، قوم بدائيون وثنيون ، وقد كانوا متشابهين فى كثير من الوجوه مع سكان النوبا ، وهم يختلفون الآن فيما بينهم اختلافاً كبيراً ، نتيجة للهجرات التى ندفقت إلى بلادهم ، بعد أن بدأ عهد الملوك . ونحن لا نعرف هل كان لهذه الجماعات اتصال بالعالم الخارجى أم لا . وبين هؤلاء الناس ، وفى هذا التاريخ ، بدأت مملكة تقلى بدءاً متواضعاً بسيطاً .

وفىما يختص بنشأة البيت المالك فى تقلى ، تقص علينا الرواية ، أن شخصاً يدعى د محمد الجعلى (١) ، قدم إلى تقلى من الشمال ، حوالى عام ١٥٣٠ م ، وأسس فيها البيت المالك ، الذى حكم تقلى . ويحتمل أن يكون محمد الجعلى هذا ، واحداً من الوعاظ الذين كانوا ينتشرون فى الأرض ، ليؤمنوا العقيدة الإسلامية ، مع موجة الفتح الإسلامى ، التى أعقبت تأسيس مملكة سنار عام ١٥٠٤ م ، ويحتمل كذلك أن يكون هذا الجعلى طريد قبيلته النهرية ، أو مجرد سائح مغامر ، يبعث المخاطرة وكل ما نعرفه عن ذلك الرجل ، أنه كان فقيراً ، تمتلئ جوانحه بالشفقة والرحمة .

ولقد وفد ذلك الرجل إلى تقلى ، وبصحبه رفيق له يدعى د أبو هياما Abu Hayama ، ووصل الرجلان فى تجوالهما ، إلى التلال الصغيرة ، التى اعتصمت بها الرئاسة الوثنية فى د تيجال آرو ، ويوجد فى هذه التلال الآن قرى د الهوى ، و د كيريا . ولما التقى رجال الجبال ، بالرجلين الوافدين ، قادوهما إلى زعيمهم كابر - كابر Kabr- Kabr ، فقدموا له فروض الطاعة والصدقة ، ولما رقى الزعيم لحالهما ، عاملهما بمنتهى التكريم ، فهدأ لذلك بالهما ، وقر قرارهما على الاستيطان فى مهجرهم ذاك الجديد ، وعزما على التعريف بالإسلام بين هذه الجماعات الوثنية ، وأخذوا يعلماهم الصلاة ، وأصول العقيدة . ووضع ، منذ البداية ، أن الرجلين قد نجحا فى مهمتهما .

وانتشرت الديانة الجديدة سريعاً بين الناس ، وتمسكت قلوبهم ، وتوطد بذلك مركز د محمد الجعلى ، بين هذه الجماعات ، وكانت شففته ورحمته وسلوكه العام ، مما جعله يحتل مكاناً محترماً ، ومركزاً فريداً بينهم ، وأضحى الرجل وله تأثير روحى كبير عليهم .

(١) يقال إنه من قبيلة الجرعية إحدى قبائل الجميلين .

ونزوج د محمد الجعلي ، من ابنة د كابر — كابر ، المذكور ، وولد له منها ولد يدعى د أبو جريدة ، ولما بلغ أشده ، ورث عن أبيه خلقه الكريم ، وساعد أباه ، في نشر الدعوة الإسلامية ، في المناطق المجاورة . ولما مات د كابر — كابر ، اختار كبراء المجتمع حفيده د أبا جريدة ، رئيساً عليهم ، وهو بعد حديث السن ، ودعوه في نفس الوقت د جيلي Geili ، ^(١) وعلى هذا فنحن نرى أنه حوالي عام ١٥٦٠ م تأسس البيت المالكي في تغلي في شخص د جيلي أبو جريدة ، ومنذ ذلك الوقت ، وذريته من بعده ، تحكم البلاد حكماً متصلاً لم يقطعه شيء . ولا شك أن قوة هؤلاء الملوك وشهرتهم التي أحرزوها ، ترجع إلى طول ما حكموا ، وإلى طول ما كلفوا في سبيل نشر الإسلام . وعندما تولى د جيلي أبو جريدة ، الإمارة ، لم تكن مملكته تتكون إلا من تلال تغلي نفسها ، وربما السكجا كجة أيضاً ، أي المناطق التي كانت خاضعة لجده (كابر — كابر) .

ولقد كان لجيلي أبي جريدة ، شخصية قوية أهلته - رغم أنه أجنبي - لكي يتربع على كرسي زعيمهم القديم . وبما يذكر بالخير لجيلي ، أنه هو الذي أكمل تحويل تغلي إلى الإسلام ، وهو العمل الذي بدأه والده . كما أنه حقق أطاعه ، فيما وراء المناطق المجاورة ، ونشر فيها الإسلام . وعمل كذلك على تقوية نفوذه الشخصي ، بجلب الجماعات من الشمال والشرق ، وتوطينهم في مملكته . وشعر هؤلاء المهاجرون ، أن حياتهم وكيانهم ، مرتبطان بهذا البيت الجديد فأزروه مخلصين . وبنى جيلي مسجداً لا تزال آثاره باقية إلى اليوم ، كما بنى حوشاً له في د الهوى ، التي تبعد عن د تيجال آرو ، بمقدار نصف ميل إلى الشمال . وترك جيلي بعد وفاته مملكة راسخة القواعد ، قوية البنيان ، وإليه يعزى الفضل الأكبر ، فيما أحرزته ذريته من بعده من قوة وسلطان . ودفن جيلي بحوشه الذي ابتناه لنفسه بالهوى . ويمكن الآن تتبع آثار هذا الحوش . وانتهى حكم جيلي عام ١٥٨٥ م .

وإلى مقال قادم ، نتابع فيه التاريخ لهذه المملكة ، ذات التاريخ المشرق ، في نشر الإسلام في السوادن الشمالي .

عبد المنعم محمد السنيح

مدرس أول الآداب بمعهد الزقازيق

(١) جيل معناه بالنوبارية الأحمر ، وكانوا يلقبونه بذلك إشارة إلى أنه من دم أجنبي ، وليس من شجرة

الحكام الأصليين .

نداء فضيلة الاستاذ الاكبر

إلى العالم الاسلامي

بما يجب عليه لإخوانه المسلمين في تونس والجزائر والمغرب الألفي

ومختلف الأسلحة وهي تغتال الأحرار بأساليب قطاع الطرق ، وتحصد أرواح المدنيين العزل من السلاح كما يفعل الجبناء ، وتأخذ لأصحابها - من المسلمين الآمنين في تونس والجزائر ومراكش - النار الذي عجزوا عنه في شرق فرنسا لما وطئت أرضهم سنايك خيول الألمان في بداية الحرب العالمية الثانية .

يقول نبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، أي لا يظلمه إذا كان في ولايته وتحت سلطانه ، ولا يخذله إذا مسه الظلم من عدوه ليغيب عليه .

نحن المسلمين العالمين بقواعد الإسلام - وهو دين السلام - قد فتحنا أبوابنا ووطأنا رحابنا للفرنسيين وغير الفرنسيين من أمم الأرض ، فأقاموا بيننا مراقبهم ومدارسهم ، وقصدوا أسواقنا بمصنوعاتهم ومنتجاتهم ، ولقوا من حسن معاملتنا ورحابة صدورنا وسلامة قلوبنا ما لم يروه في أي بلد آخر . كل ذلك على أمل منا بأن يحسنوا معاملتنا كل من له علاقة بهم من إخواننا

أذاع فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالي على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في صباح يوم الخميس ٣٠ ربيع الأول :

أيها المسلمون الآمنون في أوطانهم ، الممتنعون من الله عز وجل بنعمة العافية والاطمئنان . إن دماء إخوانكم في الإسلام تناديكم من الحدود الغربية لمملكة ليبيا إلى أقصى جبال الأطلس لتكونوا عوناً لأهلها على درء الظلم عنهم ، ووضع حد للبغي على حقوقهم الإنسانية والوطنية ، وتمكينهم من أن يعيشوا في ديارهم أحراراً كراماً آمنين .

إن إخوانكم هؤلاء هم ذرية الأبطال الذين كانوا مع طارق بن زياد في إيصال رسالة الإنسانية والحضارة والآداب والعلوم والعمران إلى غرب أوروبا ، وفيهم سلالة اللاجئين من الأندلس فراراً بدينهم وإنسانيتهم من مظالم دواوين التفتيش عند خروج المسلمين من ذلك الفردوس المفقود . وهذه أسلاك البرق وموجات التأثير تنقل اليكم بين كل ساعة وساعة صدى قذائف المدافع الرشاشة

بهذا تحكم الشريعة المطهرة ، وبهذا تنادي
دماء المسلمين المسفوكة في جناح الإسلام
الغربي . ومن حق هذه الدماء وأهلها على
المسلمين أن يبادروا لها باسعاف المنكوبين
وتضميد جراح المجروحين ، ومعاونة الأيادي
والإيتام والمنكوبين . والله في هون العبد
مادام العبد في هون أخيه .

زائرنا عظيمنا لمصر :

استقبلت مصر في هذا الشهر بعظيم الحفاوة
وبالغ الإكرام حكومة وشعباً ، زائرنا
عظيمين : أزلها ملك ليبيا ، فكان من نتيجة
زيارته زيادة التقارب والتآلف ، وبوشك بعد
ذلك أن تنضم ليبيا إلى جامعة الدول العربية .
والثاني : العقيد أديب الشيشكلي زعيم النظام
القائم الآن في الدولة الشقيقة سوريا ، فكان
من نتيجة زيارته التفاهم بين مصر وسوريا
على أهم ما يهم البلدين والعروبة من وسائل
الاتصال والتعاون على النهوض بالقومية
العربية وتنظيم قواها الادبية والاقتصادية
والدفاعية حتى تبلغ إن شاء الله المكانة اللائقة
بها بين الأمم . وكنا نود أن نسهب في تفاصيل
هاتين الزيارتين لو أن مجلة شهرية كمجلة
الازهر يحتفل نطقها هذا الواجب .

وسنشير بعد الآن إلى ما سيكون من نتائج
لهذه الزيارة في تطور العلاقات بين مصر وجارتها
وتعاونها معها على ما فيه الخير والمصلحة .

في الدين ، وأن يقوموا لهم بحقوق الإنسان
هلى أخيه الإنسان ، وأن يحترموا حريتهم
ويحافظوا على كرامتهم .

ولأننا لا نزال على أخلاقنا وآداب ديننا
مع جميع الأمم . ومن ينكر علينا أو على
طائفة من إخواننا في الدين ما يجب عليه أن
يرعاه من حقوقهم الإنسانية والوطنية
والمالية فإن أقل ما يجب على المسلمين حينئذ
ألا يتعاونوا مع أهل البغى في تجارتهم وصناعاتهم
ومرافقهم ، وأن يكون أول ما يفعلونه
مقاطعة مدارسهم ومعاهدهم وكل وسائل
التعاون معهم وأسباب الاتصال بهم .

والولاية في الإسلام هي النصرة . والتعاون
والاتصال من أوثق مظاهر الولاية ، والله عز
وجل يقول في كتابه العزيز : « ومن يتوكلهم
منكم فإنه منهم ، ولو أنهم قائمون لأبناء ديننا
بحقوقهم ، يحافظون لهم على كرامتهم وحريتهم
فإن المسلمين من أصدق أمم الأرض عهدا
مع غيرهم من الأمم . ومن كان منه لإخواننا
المسلمين عكس ذلك من البغى والظلم كما هو
جار الآن من الفرنسيين في شمال إفريقيا فإن
أقل ما يتحقق به الواجب الشرعى على المسلمين
في جميع بقاع الأرض مقاطعة أهل البغى في
جميع وسائل التعاون وأسباب الاتصال ، إلى
أن يعرفوا لإخواننا في الدين حقوقهم الإنسانية
والوطنية والمالية ويقوموا بها حق القيام .

الكتب

(طبقات فحول الشعراء)

لمحمد بن سلام الجمحي

محمد بن سلام الجمحي (١٣٩ - ٢٣١) إمام من أئمة العربية وأدبها وتاريخها وأنسابها . أخذ العلم عن فحول أهله الذين نبغوا في دولة بني أمية ، ولا سيما علماء البصرة منهم ، وكان من مفاخر صدر دولة بني العباس ، وأخذ عنه كبار أئمة الأمة ممن عاصروه . وهو ينتمى إلى ولاء بني جمح ، وللاؤه فيهم لقدامة بن مظعون الجمحي ، وكان أبوه سلام من شيوخ العلم ، وأخوه عبد الرحمن من رواة الحديث ، وابنه وابن أخته كل هؤلاء كانوا من العلماء .

وكتاب « طبقات الشعراء » سبق إلى طبعه المستشرق يوسف هل سنة ١٩١٣ - ١٩١٦ من مخطوطتين للشنقيطي نقلتا عن أصل في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة لعله مختصر أو ناقص ، ثم وقع في يد السيد أمين الخانجي الكتبي دشت اطلع عليه الأديب الضليح المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر قبل أكثر من ربع قرن وجمع منه أشتاتا من أصل قديم لهذا الكتاب القديم كانت جيدة الخط حسنة الضبط محررة اللفظ يقل فيها الخطأ ، ويظن الأستاذ محمود شاكر أنها ترتد إلى القرن الخامس الهجري ، وما وجده منها أوراق متتابعة أو مفرقة من أول النسخة وأوسطها وآخرها ، فنقل منها نسخة بخطه وبقيت من آخرها أوراق لم ينقلها لعلها لا تتجاوز عشرين ورقة ، ثم تصرف السيد أمين الخانجي بالأصل العتيق فلا يعلم أين هو الآن ، ولكن النسخة التي نقلها عنه الأستاذ محمود شاكر ، مضافاً إليها علمه وبصيرته النافذة في الأدب والشعر ، ومقارنته هذا الأصل بكل ما نقله المؤلفون كآبي الفرج الاصبهاني في الأغاني والمرزبان في الموشح عن طبقات الشعراء للجمحي ، قد رد إلينا هذا الكنز النفيس بأكمل ما يمكن أن تصل إليه يد العلم والتحقيق .

فطبقات خول الشعراء للجمعي في طبعتها الجديدة التي صدرت في هذا الشهر من دار المعارف بتحقيق الاستاذ محمود محمد شاكر في أكثر من سبعمائة صفحة كبيرة تمتاز بجودة الأصل الذي اعتمد عليه في الإخراج ، وما فيه من زيادات على الأصل المختصر المحفوظ بمكتبة عارف حكمة بالمدينة ، ثم تمتاز برجوع الاستاذ محمود شاكر إلى أمهات كتب الأدب القديمة التي نقلت عن طبقات الجمعي ، ففان المنقول فيها بالأصول الموجودة ، وتدارك النقص بما حفظته تلك النقول من زيادات . وقد وهب الله الاستاذ محمود شاكر روحاً تتجاوب مع أرواح شعراء الجاهلية وصدر الإسلام في لغتهم وديابجهم والمعاني التي يتألق وميضها في شعرهم البليغ ، فهو يفهم عنهم كل ما في كتاب طبقات الشعراء للجمعي من نصوص كما يفهم أحاسيس نفسه وخطرات فكره وعواطف قلبه ، وليس هذا بكثير على شارح قصيدة الشماخ الغطفاني التي يصف بها القوس العذراء ، بقصيدة تعد آية من آيات البعث والإحياء للمعاني العربية الأصلية بلغتها التي تستمد من لغة الإعجاز (١) .

أما شرح الاستاذ محمود شاكر لطبقات الشعراء فإنه بذاته كتاب آخر نفيس ، قد حفل بوجوه التحقيق ، ولآلىء الفوائد ، ودقيق الملاحظات . خذ لذلك مثلاً قول ابن الزبيرى في يوم أحد (ص ١٩٩) :

ليت أشياخى يبدر شهدوا ضجر الخزرج من وقع الاسل
حين ألقت (بقناة) بركاها واستحرق القتلى في عبد الاشل

فإن جميع كتب الأدب تحرف فيها البيت الثانى بلفظ « حين ألقت بقاء بركاها ، وبقاء لم ينشب فيها القتال يوم أحد ، والذي يقوله ابن هشام (٣ : ٦٦) أن قريشاً أقبلوا حتى نزلوا بجبل بطن السبخة من (قناة) مقابل المدينة . فترجح أن تكون (بقاء) محرفة عن (بقناة) وقول ابن الزبيرى بعد ذلك (ص ٢٠٠) :

فقتلنا النصف من سادتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

يتحرف في كتب الأدب : (فقتلنا النصف) و (فقتلنا الضعف) ، قال الاستاذ محمود شاكر : إن المشركين لم يقتلوا يوم أحد نصف المقاتلة ، فإن من شهد القتال من المسلمين ٧٠٠ قتل منهم ٧٤ من الشهداء . ولا قتلوا ضعف ما قتل المسلمون يوم بدر من المشركين فإن عدة

(١) انظر مجلة (الكتاب) جزء جمادى الأولى ١٣٧١

قتلى بدر من المشركين ٧٠ أو ٧٤ وإنما أراد ابن الزبير أنهم قتلوا من المؤمنين في أحد مثل الذي قتله المسلمون منهم ، فبدر فانتصفوا منهم ، والنصف العدول والانتصاف .
وفي شرح الأستاذ محمود شاكر لقول جزء أخى الشياخ يرثى عمر بن الخطاب (ص ١١١)
وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكفى سبتي أزرق العين مطرق
يقول : وقدما علمائنا يقولون في النمر يشبه أن يكون سمى سبتي لجرأته . وأنا أرى أنه مأخوذ من الإسبات وهو أن تطرق الحية فلا تتحرك . والمسبوت العليل إذا بقي كالنائم يغمض عينيه في أكثر أحواله ، وذلك صفة النمر . ولا معنى للجرأة هنا فإنه أراد الدم وسائر البيت دال عليه .

وقول ابن رواحة (ص ١٨٦) وقد أخذ بزمام ناقة النبي ﷺ في عمرة القضاء :
خلوا بنى الكفار عن سبيله خلوا ، فكل الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
نسبه ابن هشام لعمار بن ياسر مستدلاً بأن المشركين لم يقرؤا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل ، ثم تهاوى المؤلفون على سقطة ابن هشام كما فعل الشيعي في كتاب وقعة صفين ص ٣٨٦ . قال محمود شاكر : ليس المراد بالتأويل في البيت تفسير الكلام الذى تختلف معانيه ، بل التأويل هنا هو ما يؤدي إليه نبأ الله لنيبه ومصير المؤمنين إلى ما وعدهم به كما في قوله تعالى : هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله . . . وفي قول ابن رواحة إشارة إلى ما كان في عمرة الحديبية - قبل عمرة القضاء بسنة - ورؤيا النبي ﷺ أنه دخل البيت آمناً وأخذ مفتاح الكعبة ، فلما رجع بصالح الحديبية كره ذلك من كرهه فأنزل الله : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق . . . ، فن عام قابل أمر رسول الله ﷺ أن يعتمروا عمرة القضاء . . . فهذا هو التأويل ، وما صارت إليه موعدة الله لرسوله .
وفي ص ٣١٩ صحح قول أنى الفرج فى الأغاني (٨ : ٦) : قال محمد بن سلام : ورأيت اعرابيا من بنى أسد ، فقال الأستاذ محمود شاكر : ولم أعرف جريراً أجهجا بنى أسد ، والصواب : بنى أسيد ، بتشديد الياء على التصغير . ثم أورد الأدلة على ذلك ، وصحح أخطاء أخرى فى الأغاني .

وفي ص ٣٩٠ رد على الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٧٨ - ١٧٩ قوله : ويقال للرجل المفرط الطول : يا ظل النعامة ، واستشهد الجاحظ بقول جرير :
فضح العشرة يوم يسلم قائماً ظل النعامة شبة بن عقال

فقال الأستاذ محمود شاكر : وقول الجاحظ في إفراط الطول ليس بشيء ، فالنعامة طويلة العنق متنفخة الوسط دقيقة الساقين وظلها لا يطول . وربما كان له وجه لو قال إنه أراد قبح المنظر . وأرى أن النعامة هنا (أى في شعر جرير) خشبتان ينصبهما الربيعة أو الصائد في ريد الجبل ويلقى عليهما الثمام ليستظل به من الشمس أو المطر ، وهى خليقة أن تكون مختلطة الظل قبيحة . والجاحظ جرى قادر ، ولكنه يخطئ الخطأ يتوارثه الناس من بعده ثقة بعمله .

وفى ص ٣٩٥ انتقد مصححي دار الكتب لتحريفهم في الأغانى ٨ : ٨٤ قول الفرزدق :
سقى أربحاء الغيث ، وهى بغيسة إلينا ، ولكن كى ليسقاه هامها
فزعموا أن د كى ليسقاه ، تحريف . ويقول الأستاذ محمود شاكر : هو صواب محض جاء في الشعر (واستشهد بشعر لابن قيس الرقيات) .

وفى ص ٤٦٨ صحح لابن سلام الجمحي ما رواه عن مرور الفرزدق بذى الرمة وهو ينشد :
أمنزلى مى سلام عليك هل الأزمى اللاتى مضين رواجع
فولى الفرزدق وهو ينشد :

ودوية لو ذو الرميعة رامها بصيدح أودى ذو الرميح وصيدح
فقال الأستاذ محمود شاكر : وقد روى في ديوان الفرزدق ١٤٧ أن الفرزدق مر به وهو ينشد فى اللربد :

أمنزلى مى سلام عليك على النأى والنأى يود وينصح
قال : وهذه الرواية أشبه بالصواب ، لأنها هى التى ذكر فيها ناقته صيدح فذكرها الفرزدق فى بيته .

هذه نماذج من تحقيقات الأستاذ محمود شاكر وله مئات من أمثالها فى شرحه على طبقات الشعراء لابن سلام . وقد ألحق به فهرساً للأعلام والقبائل ، وآخر للأماكن ، وثالثاً للغزوات والأيام ، ورابعاً لقوافى الشعر ، وخامساً للأرجاز ، وسادساً لشعراء الطبقات على حروف المعجم ، ثم فهرست المكنتاب . ولو أن كل أصل من أصول الأدب والعلم فى تراث العرب والإسلام يقيض له من يعنى بتزيين المكتبة العربية به مصححاً محققاً مخدوماً مشروحاً كما فعل الأستاذ محمود شاكر بطبقات الشعراء لكان ذلك بعثاً لذكائر الأمة وإحياء لثرات عقولها .

الى الاسلام من جديد

هذا الكتاب حلقة من سلسلة اطلعنا حتى الآن على ست عشرة حلقة منها ، في بعضها بحوث اقتصادية لطيفة كتبت بلغة الخطابة ، قارن فيها المؤلف نظام الإسلام الاجتماعى والاقتصادى بغيره من الانظمة ولا سيما الشيوعية والرأسمالية فأحسن في المقارنة وأجاد على قدر ما وسعه علمه . وتعرض في بعض هذه الحلقات لما لا يفهمه ولا يعلمه من علوم الشريعة الإسلامية فسقط في هارية من الكفر لا يقبله منها إلا الرجوع إلى حظيرة الملة بالنوبة إلى الله عز وجل من التعرض لما يحمله . ونضرب للمثل لذلك برسالة (الصلاة كما فرضها الله في القرآن) وهى فى ٦٢ صفحة ذهب فيها إلى أن فريضة صلاة الصبح غير فريضة صلاة الفجر ، وإلى أن صلاة القيام (فرض) يومى دائم ، وأن صلاة الظهر ليست من فرائض الصلاة الإسلامية ، وأن صلاة المغرب أربع ركعات لا ثلاث ، وصلاة الفجر أربع ركعات ، وصلاة الصبح أربع ركعات ، وفريضة القيام أربع ركعات ، وفريضة الجمعة أربع ركعات ، وأن من الفروض نافلة الليل وهى أربع ركعات ، وأن سجدة التلاوة أربع . وهذه الصلوات الرباعيات المفروضة فى زعمه تصلى مثنى مثنى . وقد أصيب هذا المؤلف بهذا الخلل القادح فى دينه لأنه ينكر سنة رسول الله ﷺ ويغضها ويحاربها ويجادل فى صحتها بلا علم ولا دراسة ولا اطلاع . وفى كتابه الجديد دلى الإسلام من جديد ، نموذج من هذا الهديان . ولا ندرى هل هو كافر بالتاريخ كما هو كافر بالسنة المحمدية ، فينكر - مثلاً - ما يعلمه الناس عن الاسكندر المقدونى وسقراط وسولون ويوليوس قيصر وقسطنطين وشارل-كان وشارل مارتل والحروب الصليبية والاخبار المدونة عند الإنجليز عن تاريخ ملوكهم وتوسعهم الاستعمارى ، والاخبار المدونة عند الفرنسيين عن القديس لويس وجاندارك وقيام الجمهوريات الفرنسية وسقوطها . فإن كان كافراً بكل ما تعرفه الامم عن ماضيها فإننا ندع-وله بالشفاء من هذا المرض الذى أصيب به وحده . وإن كان مصداقاً بتاريخ البشر ، وما دوتته الامم من أحداث ماضيها وأقوال عظمائها وأعمالهم ، فإن ما عند المسلمين من سنة نبهم أوثق صحة وأعظم تمحيصاً وأكثر تحقيقاً من كل ما بذلته أمم الأرض من تحقيق فى تدوين التاريخ . ومن فنون الجنون أن يكون الرجوع إلى الإسلام من جديد ، قائماً فى مذهب مؤلف هذا الكتاب على أساس إنكار سنة

رسول الله ﷺ بدعوى الاكتفاء بالقرآن ، ولو كان فهمه للقرآن سليماً لعلم أن السنة من أعظم ما أقره القرآن ، والذي ينكر إقرار القرآن للسنة لا يجوز له أن يثق بفهمه للقرآن ، فما بالك بحكم الناس عليه . ولا ندري هل إنكاره للسنة المحمدية متفرع عن اعتقاده بأنه لو كان معاصراً للنبي ﷺ لكان غير مطيع له فيما صح صدوره عنه وأمره به ، أم أنه يقف هذا الموقف من أوامر رسول الله ونواهيه لإقحامه نفسه من الهندسة إلى علم لا معرفة له به .

ولعل القارىء يحب أن يعرف من هو هذا المؤلف الذى أسقط عن المسلمين صلاة الظهر ، وفرض لهم فرائض غير التى عرفها المسلمون من نبيهم ﷺ ، وأحدث لهم هذا التغيير فى هيئتها وأعداد ركعاتها بهندسة تنافى فقه الإسلام وما تواتر من شريعته وعبادته . إنه مساعد كبير مهندسى التليفونات الأستاذ نجيب متولى ، وكان فى الحلقات السالفة من سلسلة مؤلفاته ينجل من المسلمين أن يواجههم باسمه ، فلما ذاع الآن فى أقطار الأرض اسم قائد حركة الإصلاح فى مصر أباح منكر السنة المحمدية لنفسه أن يدخل تعديلاً على اسمه كالتعديل الذى أدخله على فرائض الصلاة الإسلامية فوضع على كتابه الجديد اسم (محمد نجيب) ، وهذا التعديل يسمى « تدليساً » فى اصطلاح علم السنة الذى ينكره هذا المؤلف . أما اسم كتابه الجديد (إلى الإسلام من جديد) ، فقد استعاره من كتاب مشهور تكرر طبعه فى مصر بهذا العنوان وهو من تأليف أحد مفاخر مسلمى باكستان الأستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى الذى كان ضيف مصر منذ عهد قريب ، غير أن كتاب الأستاذ أبى الحسن الندوى يدعو للإصلاح والخير ، وقد أصبح اسم كتابه من أسماء الاضداد بعد إطلاقه الآن على كتاب يدعو صاحبه إلى إماتة سنة رسول الله ﷺ وتعطيل العمل بها .

فهارس البخارى

لم تعز أمة على وجه الأرض بتحقيق ما صدر عن إنسان من أقوال وأفعال ، ولا بتمحيص ما نسب إلى عظماء التاريخ ، بل لم تذلل أمة من الجهور الكريمة الحكيمة للتثبت من صحة أى جانب من جوانب تاريخها وأحداث ما فيها ، كما اعتنى أصحاب رسول الله ﷺ بضبط ما سمعوا ورأوا من أقوال النبي محمد ﷺ وأفعاله وأحواله ،

وكما يحص التابعون لهم بإحسان روايات أسانذتهم من الصحابة وضبطوها وحفظوها وأدوا أماناتها لمن تلامهم من تلاميذهم إلى أن دون الزهري ثم مالك وطبقتهما ذلك التراث العظيم وهو لا يزال غصنا كما قطف ، صافيا كما خرج من ينبوعه ، فكان تدوين مالك في الموطأ عن نافع ما حدثه به عالم الصحابة عبد الله بن عمر بن الخطاب ، يكاد يشبه تناول الأمين الأمانة من أمين آخر كما يتناول الناس الأشياء من يد إلى يد سليمة كاملة نقية يرضى عنها الله ورسوله . وقد سن الصحابة والتابعون وتلاميذهم لهذه الأمة سنة في تحرى العدالة والضبط عند من يأخذون عنه سنة نبيهم ﷺ لأنهم مؤمنون بأنها دين وأن من الدين التثبت من صحة صدورها كما هي عن صاحب هذا الدين الذي توعده من يكذب عليه متعمداً بأن يتبوا مقعده من النار .

ومن أحفل صحاح الحديث النبوي وأكثرها عناية بالمتن والسند ، صحيح الإمام البخاري ، وكان أئمتنا السابقون يحفظونه بأسانيده ويحفظون غيره من أمهات دواوين السنة فلا يحتاجون إلى فهراس تدلهم على مواضع الحديث في هذه الكتب ، إلى أن ضعف الحفظ فعنى العلماء بتأليف الفهراس وكانوا يسمونها (الأطراف) ومنها كتاب الأطراف للحافظ المزي في ثمانية مجلدات وأطراف الصحيحين لابن خلف الواسطي ، وأطراف الكتب الأربعة (أي السنن) للحافظ ابن عساكر ، وأطراف العشرة للحافظ ابن حجر ، وآخرها ذخائر المواريث لعبد الغني النابلسي . ومن الفهراس مفتاح الصحيحين لأحد علماء الترك وفهراس الساري لأحد علماء الهند ، وحتى المشتغلون بالعلوم الإسلامية من المستشرقين ألفوا مفتاح كنوز السنة ، وتقوم (اليونسكو) الآن بالإتفاق على طبع فهرس بجميع ألفاظ السنة ومواضع وجودها في كتب الحديث وقد صدر منه في ليدن بهولده ثمانية عشر مجلداً ولا يكاد يبلغ نصف الكتاب .

وأما الآن كتاب على جيد خاص بأحاديث صحيح البخاري ألفه فضيلة الاستاذ المحقق المنقن الشيخ رضوان محمد رضوان وقسمه إلى أربع فهراس : الأول للأحاديث المسندة وهي معظم الكتاب فأورد الحديث القصير بتمامه ، وأخذ من الطويل قطعة منه تدل على الباقي ثم ذيله باسم راويه من الصحابة وذكر عقب ذلك مواضع تكرير الحديث في الكتاب وقد تبلغ في بعض الأحاديث سبعة مواضع أو ثمانية أو تزيد . وهذا الفهرس في ٤٤٤ صفحة كبيرة . وبعده فهرس للأحاديث المعقدة نحو ما صنعه في الفهرس الأول ، والفهرس الثالث للأثر . والرابع لكتب صحيح البخاري وأبوابه التزم فيه أرقام الأجزاء والصفحات

في الطبعة الأميرية سنة ١٣١٤ والطبعة التي أخذت عنها بالتصوير الشمسى . وإلى جانب ذلك دل على أرقام أجزاء وصفحات فتح البارى طبعة الخشاب سنة ١٣٠٨ ، وشرح السكرمانى طبعة سنة ١٣٥٢ ، وشرح القسطلانى . وهذه الفهارس المتممة للفهرس الأول بلغت صفحات الكتاب ٦٠٠ صفحة من القطع السكامل فجزى الله المؤلف بالمثوبة والرضا على ما بذل من جهد وتعب فى إتقان عمله تيسيراً للباحثين وخدمة لسنة سيد المرسلين ﷺ .

هواتف إسلامية - للشيخ إبراهيم على أبو الخشب

هى مجموعة من الهواتف الصاخبة عرضت لفضيلة الأستاذ المؤلف فى أوقات مختلفة وظروف متنوعة فانساق فى تسجيلها كما ينساب المساء فى النهر هادئ السير تمتد الحركة والانتقال . وقد عاجل فيها بعض الموضوعات الدينية أو المشاكل الإسلامية فصورها بريشة الأدب لأنه أصبح الوسيلة العظمى فى لغة التخاطب للعقول الناضجة والأذهان المستنيرة . فجاء الكتاب فى نحو مائتى صفحة من القطع الكبير ، فنلفت إليه أنظار القراء والمتأدبين .

السجل الثقافى لسنة ١٩٥٠

اعتادت إدارة التسجيل الثقافى منذ ثلاث سنين إصدار كتاب سنوى حافل بعنوان (السجل الثقافى) تؤرخ فيه حركة الطباعة والنشر والصحافة والمحاضرات والهيئات والمؤتمرات والتعاون الثقافى والمهرجانات والمسابقات والمناحف والحفائر والمعارض والمسرح والسينما . وقد صدر عنها الآن المجلد الثالث من هذه السلسلة التى تعد مرآة لنهضة مصر فى العلم والأدب والفن وكل ما يتصل بالثقافة من إنتاج فكري ونشاط أدبى فى سنة ١٩٥٠ ، فلاحظنا فيه تقدماً على أخويه السابقين بالتوسع فى بعض الأبواب ، وإضافة أبواب جديدة لم يتسع لها السجل فى سفره السابقين ، وتقديم نبذة موجزة بين يدي كل باب تشرح ما يحتويه الباب وطريقة تسجيل المادة فيه حتى يسهل الأمر على من يريد أن يتصفح السجل فى عومه وشمله قبل أن ينتقل إلى تفصيل القول فى كل باب من أبوابه .

وقد دعا القائمون على هذا العمل العلمى الشاق أهل الفضل من رجال الفكر والثقافة لأن يعاونوهم فى استكمال ما قد يستشعرونه فيه من نقص ، وذلك مما يقوى الرجاء فى أن يطرد التوسع فى أسفار السجل الآتية مع إطراد التقدم الثقافى فى المجتمع المصرى ، حتى يكون أصدق مرآة له فى الحاضر والمستقبل .

معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخارى

قال الجلال السيوطى فى الإتقان عند كلامه على غريب القرآن : « إن أولى ما يرجع إليه فى ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة . وما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبى طلحة خاصة ، فإنها من أصح الطرق ، وعليها اعتمد البخارى فى صحيحه ، ونقل السيوطى فى موضع آخر من الإتقان قول الإمام أحمد بن حنبل « بمصر صحيفة فى التفسير رواها على بن أبى طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا » . قال الحافظ ابن حجر وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث بن سعد رواها عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس . وهى عند البخارى عن أبى صالح كاتب الليث وقد اعتمد عليها فى صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس . وقال قوم : لم يسمع ابن أبى طلحة من ابن عباس التفسير ، وإنما أخذه عن مجاهد وسعيد بن جبير . قال ابن حجر : بعد أن عرفت الوسطة وهو ثقة فلا ضير فى ذلك .

ولما اطلع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي على هذه الحقائق ، أراد أن يجمع ما يمكن جمعه من صحيفة ابن أبى طلحة بعد أن أصبحت مفقودة فعكف على صحيح البخارى متقصيا كلماته كلمة كلمة ، فتصيد منها الحرف الغريب من القرآن وأرصده فى جزاة ، حتى إذا أوفى على الغاية من الاستقصاء والتحرى وتكاملت الجزئات أقبل عليهن يرتهن وينظمن على أوائل حروف المسادة التى منها اللفظة الغريبة وبوبها حتى خرج له من ذلك هذا المعجم جامعاً لكل ما جاء فى صحيح البخارى من تفسير الغريب ، بعضه من صحيفة ابن أبى طلحة عن ابن عباس وبعضه عن غير ابن عباس . والبخارى لم يرو فى صحيحه كل الصحيفة وإنما روى ما يتعلق بشرح معنى اللفظ الغريب . وعلى كل حال فهذا المعجم لغريب القرآن يعد من أقدم معاجم العربية ، وقد جاء فى ثلاثمائة صفحة من حجم صفحات هذه المجلة ، وعنت بنشره دار إحياء الكتب العربية بحروف جلية مضبوطة . فنلفت إليه الأنظار .

معضلات الاقتصاد وحلها في الاسلام

هي إحدى رسائل المفكر الإسلامى الكبير أبى الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية فى باكستان ، استعرض فيها معضلات الاقتصاد وذكر كيف أن الاقتصاديين بالغوا فى تعقيدها وهولوا فى أمرها ، ولو رجعوا فى دراستها وحلها إلى أساليب الفطرة على المنهج الإسلامى ، لتمكنوا من اكتشاف سبيل الإنسانية إلى السعادة . وقد أورد فى هذه الرسالة ما يقوله أهل المذاهب الاقتصادية المختلفة عن معضلات الاقتصاد وطريقتهم فى حلها وقارنها بأساليب الإسلام مبينا أنه هو أسلوب الفطرة وهو الأليق بالإنسانية ، وأن الآخرين أوجدوا المضلات وضخموها بسبب المذاهب التى يزعمونها لحل تلك المعضلات .

وكانت الرسالة مؤلفة باللغة الأوردية ، ونشرت بها وبالعربية لأول مرة فى باكستان ، ثم أعيد نشرها الآن فى مصر ، بعناية لجنة الشباب المسلم ، مع تحسين فى أسلوبها العربى ، لجاءت فى ٧٦ صفحة من القطع الصغير . فلمت الانظار إليها .

حقوق المرأة فى الاسلام

كتيب لطيف بقلم الفاضل الاستاذ عبد القادر شيبه الحمد بناء على الآية القرآنية : ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، فأفاض فى تفاصيل حقوق المرأة وامتيازاتها فى الإسلام ، وأن ذلك كان نعمة لها فى ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، وهى قريرة العين به ، حتى انطلق أقزام العقائد من بلاد الغرب لتفريق الصفوف ، وتمزيق الشمل ، فاستطاعوا بوسائلهم الخبيثة أن يصلوا إلى أعماق ما يريدون ، وارتفعت أصوات فى كل بلد تردد أفكار المحتلين ورغباتهم ، وتميزت من هذه الأصوات أصوات تحمل فى صداها ثورة لنساء الإسلام يرددها أذعيا الإسلام ليفسدوا على الأمة بجمتمعها وعلى نساء المسلمين هتاهن وسعادتتهن .

والرسالة على إيجازها حافلة بالمعلومات القيمة والآراء الصحيحة والنصيحة للمرأة المسلمة والأمة كلها ، وهى فى نحو مائة صفحة صغيرة . فنحث الشباب من أبناء المسلمين وبناتهم على تدبر ما فيها من حقائق .

العجلة الإسلامية في شهباء

تعديل الوزارة المصرية

سقوط دستور ١٩٢٣

أذاع الرئيس اللواء محمد نجيب من منزله بحلية الزيتون في الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة من صباح الأربعاء ٢٢ ربيع الأول (١٠ ديسمبر) بياناً تاريخياً أعلن فيه باسم الشعب المصري سقوط دستور سنة ١٩٢٣ لأن البلاد كانت قبل قيام الجيش بثورته قد وصلت إلى حال من الفساد والانحلال أدى إليها تحكم ملك مستهتر ، وقيام حياة سياسية معيبة ، وحكم نيابي غير سليم ، فبدلاً من أن تكون السلطة التنفيذية مسئولة أمام البرلمان كان البرلمان هو الخاضع لتلك السلطة الخاضعة لملك غير مسئول ، وكان ذلك الملك يتخذ من الدستور مطية لأهوائه ، ويجد فيه من الثغرات ما يمكنه من ذلك بمعاونة الذين كانوا يقومون بحكم البلاد .

والآن بعد أن بدأت حركة البناء وأصبح لزاماً أن نغير الأوضاع التي كادت تؤدي بالبلاد التي يسندها ذلك الدستور الملىء بالثغرات ، ولكي تؤدي الأمانة التي وضعها الله في أعناقنا لا مناص من أن نستبدل بذلك الدستور دستوراً جديداً يمكن للأمة أن تصل إلى أهدافها حتى تكون بحق مصدر السلطات وإن الحكومة آخذة في تأليف لجنة تضع

عدلت الوزارة المصرية يوم ٢١ ربيع الأول (٩ ديسمبر) فتولى وزارة الخارجية الدكتور محمود فوزى سفيرنا في لندن بدلاً من الأستاذ فراج طايح ، وتولى وزارة التجارة والصناعة الدكتور حلمي بهجت بدوى وكيل البنك العقاري بدلاً من الدكتور محمد صبرى منصور الذى عين وزيراً للتموين . وتولى وزارة الشؤون البلدية والقروية الأستاذ وليم سليم حنا الأستاذ بكلية الهندسة بدلاً من الأستاذ عبد العزيز على الذى عين حارساً على أموال الملك المخلولوع . وتولى وزارة الشؤون الاجتماعية الدكتور عباس عمار مدير البونسكو فى مصر بدلاً من الأستاذ فؤاد جلال وزير الشؤون الاجتماعية الذى تولى وزارة الإرشاد القومى بدلاً من الأستاذ فتحى رضوان الذى عين وزيراً للدولة وتولى وكالة الخارجية إلى أن يحضر الأستاذ محمود فوزى من لندن . وما لفت النظر فى هذا التعديل أن كتاب استقالة الوزارة افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم ، وأن الذين رشحوا لتعيينهم فى الوزارة الجديدة كانت دعوتهم بالتليفون فتلاقى الخارجيون والداخلون للفهم على التعديل وزارى .

محاباة الغرب لأصدقائه (وسادته) من اليهود فإن خسارة فلسطين لا تعد إلا جزءاً هاماً من العالم العربى الذى يمتد من الدار البيضاء إلى بغداد، ولكن على إسرائيل والدول الغربية أن تواجه سبعين مليوناً من العرب لن ينسوا هذه المأساة إلى الأبد. ولا يستطيع مخلوق أن يتحكم فى المستقبل أو يقرر مصاير البشر كما يريد. وإن العاصفة العربية المقبلة ستكون بمعونة الله عاتية وستقتلع كل شئ يعترضها فى طريقها.

وشعر ممثلو الدول العربية والإسلامية بأن الدول الضالعة مع اليهود جادة فى إصدار قرار من اللجنة السياسية بالموافقة على اقتراح الدول الثمان المحايدة، فقامت سوريا فى اللحظة الأخيرة بمحاولة لمنع أخذ الأصوات على ذلك، إذ اقترحت أن تعرض قضية فلسطين على محكمة العدل الدولية. وبنهض الاقتراح السورى على نقط أربع تريد سوريا أن تعرضها على محكمة العدل وهى:

١- هل من حق اللاجئين الفلسطينيين العودة إلى أوطانهم الأصلية ومزاولة حقوقهم المدنية ومصالحهم المالية؟

٢- هل من حق إسرائيل إنكار هذه الحقوق؟

٣- هل من حق الدول التى لا يتبعها اللاجئين أن تفاوض من أجل هذه الحقوق؟

مشروع دستور جديد يقره الشعب ويكون منزهاً عن عيوب الدستور الزائل.

وختم الرئيس بيانه مناشداً الجميع بأن ينسوا أشخاصهم، وأن يذلووا من أنفسهم ما يضمن للوطن القوة والسهادة والمجد، متحدين متكاتفين، فلا مصالح شخصية، ولا أهواء حزبية بعد اليوم.

قضية فلسطين والوصم المتعمدة

دفعت بريطانيا بمثل ثمانى دول من الدول المحايدة، كهنولندا والدانمرك والنرويج وكندا إلى تجديد الاقتراح فى هيئة الأمم المتحدة بدعوة إسرائيل والدول العربية إلى الدخول فى مفاوضات مباشرة للاتفاق على مسألة فلسطين. وعقب تقديم الاقتراح وقف مندوب إسرائيل فأيده. ثم وقف السيد أحمد الشقيرى الأمين العام المساعد للجامعة العربية فقال: «إن هذا الاقتراح يقضى على القرارات السابقة التى اتخذتها الهيئة بعودة اللاجئين العرب إلى وطنهم وتحويل القدس وغير ذلك مما ضربت به إسرائيل عرض الحائط. وفى الوقت الذى يعلم فيه اللاجئين العرب أنهم لن يعودوا إلى ديارهم، ويرفض فيه اليهود إطاعة قرارات الهيئة، يعرض علينا هذا الاقتراح العجيب الذى لا يهدف إلى السلام. إن العرب إذا فقدوا فلسطين كلها بسبب

٤ - هل لأعضاء الأمم المتحدة الحق القانوني في الاتفاق على هذه الحقوق ؟

ومن عجيب التصرف الصادر عن الدول الممثلة في اللجنة السياسية لهيئة الأمم - وهي تعد زعيمة الحضارة البشرية في هذا العصر - أنها لم تبال بهذه الأسئلة الأربعة الواضحة وضوح الشمس ، وكان عندها الجرأة العجيبة بأن أجازت اقتراح الدول الثمان التي يسمونها « المحايدة » ، ورفضت الاقتراح السوري باستفتاء محكمة العدل في هذه الأسئلة الدامغة . لقد صدق السيد أحمد الشقيري ساعة قال إن الغرب يحابي أصدقائه (وسادته) من اليهود في قضية فلسطين ، وإن الغرب يقدم للتاريخ دليلاً جديداً على هذه الحقيقة .

ولما انعقد مجلس النواب الأردني في اليوم التالي لخطبة أحمد الشقيري في الأمم المتحدة اتخذ قراراً باستنكار موقف بريطانيا في الأمم المتحدة من قضية فلسطين واللاجئين العرب وأرسل برقية احتجاج إلى الحكومة البريطانية باسم جميع النواب الأردنيين على ذلك الموقف الذي ينطوي على الاستهتار بالعدالة وحقوق الإنسان ، ثم قرر المجلس تحديد جلسة خاصة لمناقشة سياسة بريطانيا في الأردن .

وفي ساعة الظهر من يوم الاثنين ٢٧ ربيع الأول (١٥ ديسمبر) استدعى وزراء خارجية

الحكومات العربية - في جميع عواصمها - ممثلي بريطانيا المعتمدين لديهم وقدموا لكل منهم شبه احتجاج شديد اللهجة على موقف بريطانيا الجديد من قضية فلسطين والتعيز الظاهر من وفدها في الأمم المتحدة لإزاء الصهيونيين في القرار الذي أصدرته اللجنة السياسية للهيئة بدعوة العرب وإسرائيل للدخول في مفاوضات مباشرة ، غير مبالية بقرارات الأمم المتحدة السابقة بشأن إعادة اللاجئين إلى ديارهم ، وتعريضهم عن ممتلكاتهم ، وتدويل مدينة القدس . وقد اتهمت الحكومات العربية في مذكرة الاحتجاج الحكومة البريطانية بأنها هي التي وضعت القرار ودفعت به إلى الدول الثمان التي تقدمت به باسمها ، ثم لأنها هي التي قامت بالضغط السيامي على الكثير من الحكومات لتوافق على هذا القرار الذي جاء مخيباً لآمال الحكومات العربية في الأمم المتحدة ، وقد تجنبت فيه الأمم المتحدة مبادئ ميثاقها وعدالة القضية المعروضة عليها . وإن بريطانيا بتحيزها هذا للصهيونيين أرادت أن تطعن الحكومات والشعوب العربية طعنة جديدة . وأعلنت الحكومات العربية في ختام مذكرتها أنها غير مستعدة لإطلاقاً لتنفيذ القرار الظالم ، وتطلب من الحكومة البريطانية تصحيح الوضع عند عرض موضوع فلسطين من جديد على الجمعية العمومية للأمم المتحدة .

قطارات الرحمة

أبدى رجال القوات المصرية على اختلاف أسلحتها استعدادهم التام للتنازل عن « التعمين » المخصص لكل واحد منهم يومياً لمدة خمسة أيام فتقدم كمياته كلها إلى إخوانهم اللاجئين من عرب فلسطين . أما قطارات الرحمة فستمر بكل بلدة وكل قرية لجمع التبرعات ومستقام ساحات شعبية في القرى لهذا الغرض الإنساني العظيم .

انتحار الاستعمار الفرنسي

في شمال أفريقيا

فقد الاستعمار الفرنسي وعيه فعمد إلى أساليب الانتحار في الشمال الإفريقي ، وكان آخر ما صدر عنه من بنى تأليف العصابات لاغتيال الأحرار والعاملين على تحرير وطنهم . وفي فجر ١٦ ربيع الأول (٤ ديسمبر) بينما كان المجاهد التونسي فرحات حشاد زعيم اتحاد نقابات العمال التونسيين وعضو الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحرة يجتازاً بسيارته الطريق من تونس إلى سوسة انهمر عليه الرصاص من مدافع رشاشة أطلقت عليه من سيارة كانت تتبعه فأصابته في مواضع عديدة من جسمه . وقد عقد الأمير الشاذلي نجل ملك تونس مؤتمراً صحفياً انهم فيه عصابة البذخاء الفرنسية باغتيال فرحات حشاد ، وقال : إن الكفاح بين تونس وفرنسا الآن أصبح علنياً .

كان الرئيس اللواء محمد نجيب قد قال بحماسة بالغة في جمعية الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية : « من العار أن نطلب المعونة للاجئين العرب من كانوا سبياً في النكبة التي حلت بهم » .

والرئيس محمد نجيب إذا قال كلمة الخير بادر إلى التفكير في تحقيقها ، وقد كان تحقيقها بمشروع (قطارات الرحمة إلى اللاجئين من عرب فلسطين) ، وقد ساهمت في تنفيذ هذا المشروع البنوك والمصارف المالية وكل من يقدر على المساهمة في هذا العمل الإنساني . وما وصل خبر هذا المشروع إلى البلاد العربية الشقيقة التي تؤوي ألوفا من هؤلاء اللاجئين المشردين عن وطنهم المحبوب ظلوا وعدوا ناهضين شرعت في اقتفاء أثر مصر في القيام بمثل هذا العمل العظيم الذي سيتولاه في مصر الجيش المصري من بداية العمل إلى نهايته دون حاجة إلى اشتراك الكويكرز التابعة للأمم المتحدة كما اقترح ذلك بعضهم ، ودون حاجة أيضاً إلى اشتراك الهيئات النسائية ككبة محمد علي وغيرها ، فالجيش المصري وحده هو الذي سيتولى هذا الأمر في مصر وسيعمل على توفير الأغذية والكساء والأغطية للاجئين وعلى جمع أدوات البناء ليتولى اللاجئون بأنفسهم إنشاء البيوت لهم ولائهم . وقد

الحداد هذه كانت أروع ما في ذلك الاحتفال وقد أبرقت الهيئات المصرية الكبرى : الإخوان المسلمون والشبان المسلمون والحزب الوطني الجديد وحزب العمال وجماعة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية والحزب الاشتراكي ولجنة تحرير المغرب وحزب الفلاح برقية إلى رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة وسكرتيرها العام والاتحاد الدولي لنقابات العمال يحتجون على الطريقة التي ابتدعتها فرنسا في الاغتيال ، وعلى الارهاب المسلح الذي تقوم به السلطات الاستعمارية في تونس والجزائر والمغرب الأقصى .

ثم كان يوم الخميس ٢٤ ربيع الأول يوماً مشهوداً في المدرج الكبير بمدينة الأزهر الجامعية احتجاجاً على الاستعمار الفرنسي الغاشم من تونس إلى أقصى المغرب ، ومع أن المدرج يتسع لأكثر من عشرة آلاف مستمع لم يبق فيه موضع قدم لشدة ازدحامه بعلماء الأزهر وأبنائه ورجال الهيئات الإسلامية .

وقد ألقى كلمة الأزهر في هذا الاجتماع العظيم وكيل المشيخة الشيخ عبد اللطيف دراز فقال : إني باسم الإسلام وباسم رجال الدين أحمل فرنسا ما تأتبه من عنف وما ترتكبه من فظائع تأباه الإنسانية بل تأباه البربرية . وطالب أن يقف المسلمون في جميع بلاد

وما كاد نبأ اغتيال الزعيم التونسي يطرق مسامع الناس حتى أعلن ثمانون ألف عامل تونسي الإضراب العام ، وأغلقت الحوانيت والمتاجر العربية ، وخرجت مئات الألوف في مواكب حداد واحتجاج . ومع فرض نظام عدم التجول فإن الاضطرابات اتسع نطاقها وأدت إلى مقتل عدد كبير من الفرنسيين والمجاهدين التونسيين ، واجتاحت الثورة مدائن كثيرة في مناطق شتى ، وتجاوزت حدود تونس إلى الجزائر ، وقامت المظاهرات الدامية في وهران ، وقتل المدير العام لإدارة الأمن في الجزائر ، ثم اخترقت الثورة حدود الجزائر إلى المغرب الأقصى فقامت الاضطرابات في الدار البيضاء وغيرها من المدن ، واضطرت السلطات الفرنسية إلى إنزال الدبابات الحربية في الشوارع واستعملت المدافع الرشاشة .

وهكذا أراد الاستعمار الفرنسي أن يقمع الثورة التونسية باغتيال زعيم العمال ، فكان كالذي يحاول إطفاء الحريق بالبزير .

وبرى القراء في الخبر الذي ذكرنا فيه احتفال القاهرة بافتتاح مركز التدريب الثقافي أن عمال مصر الممثلين في ذلك الاحتفال ، وعلى رأسهم الوزير محمد فؤاد جلال ، وقفوا حداداً على روح الشهيد فرحات حشاد ، وقال الوزير : إن وقفة

لأداء صلاة الغائب على شهداء تونس والمغرب
تلبية لنداء اتحاد علماء المساجد وأداها القائدان
مع المصلين . وبعد الانتهاء من صلاة الغائب
صافح العقيد الشيشكلي الأستاذ الخطيب
وحياه شاكرآ ، كما صافح فضيلة الأستاذ
الأكبر وكبار المصلين .

وفي مساء ذلك اليوم (الجمعة) عقدت
هيئات إسلامية ووطنية مؤتمراً كبيراً في دار
الشبان المسلمين خطب فيه الأستاذ الأكبر
شيخ الجامع الأزهر وممثل للإخوان المسلمين
وممثل للشبان المسلمين وممثل للحزب الوطني
وممثل للحزب الاشتراكي ، ثم تكلم الأستاذ
هدد الرحمن عزام والدكتور محمد صلاح
الدين ، والسيد بشير إبراهيمي .

وفي الختام قرر المؤتمر الاحتجاج الشديد
على اغتيال الزعيم العالي فرحات حشاد وقتل
المئات من الوطنيين الأحرار وتضامن
الشعوب العربية والإسلامية مع شعوب
شمال إفريقيا في نضالها وتكوين لجنة دائمة
للمؤتمر برئاسة الدكتور محمد صلاح الدين
لوضع برنامج مفصل لهذا التضامن ومناشدة
الحكومة المصرية والحكومات العربية
والإسلامية تقديم المساعدات اللازمة ،
والضغط على الحكومة الفرنسية من النواحي
السياسية والاقتصادية والثقافية لتعترف
بمقوق شعوب المغرب ومناشدة الشعوب
العربية والإسلامية بمقاطعة البضائع والمعاهد

الأرض على قلب رجل واحد مع تونس
والجزائر والمغرب ضد هذا الاستعمار الغاشم
حتى تنحقق لهذه الشعوب حريتها . وتلاه
شيخ علماء الجزائر السيد البشير إبراهيمي
فدعا إلى الانصراف عن الكلام والتصفيق
إلى العمل في البلاد الإسلامية كلها لتحريرها
ولإخراج البغاة منها . ثم تكلم السيد الفضيل
الورتلاني والأستاذ محي الدين القلابي فوصفا
جرائم الاستعمار وأساليبه في شمال إفريقيا .
ثم قرر المجتمعون استنكار فظائع الاستعمار
ومطالبة الحكومات العربية والإسلامية
بتنظيم سياسة اقتصادية يكون هدفها الاستغناء
عن معاملة الدول الاستعمارية .

وفي يوم الجمعة ٢٤ ربيع الأول أدى
الرئيس اللواء محمد نجيب وضييف مصر
العقيد أديب الشيشكلي صلاة الجمعة في الجامع
الأزهر ، فكانت خطبة الجمعة على منبر الأزهر
عن فرنسا وما تحصد من أرواح أهل المغرب
وما تهرقه من دماهم ، وعن التعصب الجنسي
في جنوب أفريقيا وما يلقاه (الملونون)
من ظلم الأوربيين .

ثم أعلن الخطيب وجوب التعاون بين
شعوب الإسلام ، لأن الإسلام قام على أساس
أن العقيدة هي الوطن ، فإذا أصيب المسلمون
في مغارب الأرض بظلم فقد أصيب المسلمون
في مشارقها بما أصيب به إخوانهم في مغاربها .
وبعد أداء الفريضة اصطفت جماهير المصلين

بمرور العام الرابع على إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة ما يسمونه «حقوق الإنسان»، ولأنه ليحق للشرق أن يضحك - وشر البلية ما يضحك - لا شراك أنباء الاحتفال بإعلان حقوق الإنسان مع أنباء الدبابات والرشاشات التي تحصد بني الإنسان في شمال أفريقية لتمتعهم من المناداة بأنه إذا لم يكن لهم ولجميع الشرقيين النصيب الأول في «حقوق الإنسان»، فإن هذه الحقوق تكون حينئذ من الأكاذيب.

وفي الساعة العاشرة من صباح الثلاثاء ٢٨ ربيع الأول لبي أعضاء جماعة كبار العلماء دعوة حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لاجتماع عقده لبحث ما يجب على المسلمين إزاء موقف الاستعمار من الإفطار الشقيقة تونس والجزائر والمغرب وبعد أن استعرضت الجماعة الحالة القائمة الآن في هذه الاقطار، والاعتداءات المتكررة من فرنسا الباغية عليها منذ عهد بعيد، وبعد تداول الرأي فيما يجب على المسلمين إزاء ذلك تقرر بالإجماع ما يأتي:

١ - استنكار ما يقوم به الاستعمار الفرنسي من كبت الحريات وإراقة الدماء واغتيال الأحرار الذين يطالبون بحقوقهم الطبيعية والإنسانية في بلادهم.

٢ - إعلان هذا الاستنكار إلى جميع الدول الإسلامية، وإبلاغه إلى جميع ممثلي

الفرنسية واعتبار قضايا تونس والجزائر والمغرب وحدة لا تتجزأ.

وبينما كانت مصر والشرق الإسلامي كله على مثل هذه الحالة من الغضب لتونس والمغرب على ما ترتكبه فرنسا فيهما من همجية، كانت اللجنة السياسية في هيئة الأمم المتحدة تعمل على تأييد الاستعمار الفرنسي برفض مشروع قدمته الكتلة العربية الاسيوية في مشكلة تونس، فنال هذا المشروع ٢٦ صوتاً منها أصوات الدول العربية الاسيوية وهي ١٣ وأصوات الكتلة السوفيتية وهي خمسة وأصوات الصين وأثيوبيا وجواتيالا وليبريا وسيام ويوغوسلافيا. وعارضته ٢٧ دولة منها (تركيا) وأمريكا وبريطانيا وإسرائيل وبقية أعوان الاستعمار.

ومن العجيب أن الضمير العالمي في أوروبا وأمريكا مصاب بخدر قوى، فهو يكتفي بوقفه المنفرج تجاه هذه المآسى، بل إن إنجلترا وبلجيكا الاستعماريين تتعاونان مع فرنسا على هذا البغي، وتحاولان معها خنق صوت الحرية التي نزعهم هذه الدول أنها من دعايتها.

أما العالم الإسلامي الذي تغل في أفئدة أهله نيران الغضب على هذا البغي، فإنه كان يقرأ مع أخبار شمال أفريقيا أخباراً أخرى من احتفال الأمم الغربية يوم ١٠ ديسمبر

عشر ألف طالب جاءوا ليعلموا سخطهم على الاستعمار؛ وبعد خطب حماسية قوية أقيمت فى هذه المجموع . قرر الطلبة المجتمعون تأييد الشعب المغربى فى كفاحه ، واعتبار عدوان فرنسا على المغرب وانجلترا على مصر وأفريقيا والتدخل الأمريكى فى الشرق الأوسط حملة استعمارية واحدة ، واعتبار معركة المغرب امتداداً لمعركة التحرر التى بدأت فى فلسطين والقنال ، واعتبار تمويل أمريكا لفرنسا بالسلاح اعتداء أصلياً . والسعى لإنشاء وحدة اقتصادية بين جميع البلاد العربية ، وتكوين جبهة من الشباب الشرقى بالجامعة لمسكافة الاستعمار بأنواعه ومطالبة وزير المعارف باغلاق جميع المعاهد الاستعمارية فى مصر .

وطلبت جمعية الهلال الأحمر المصرى رسمياً من السفارة الفرنسية فى القاهرة تصريحاً بسفر بعثة من سيدات الهلال إلى تونس والمغرب للقيام بأعمال الإغاثة والإسعاف للبهابيين بالحوادث التى تقع هناك ، ونكتب هذا والمجلة على وشك الصدور ولما ترد السفارة الفرنسية على هذا الطلب الإنسانى .

وأدى مصدر رسمى مسئول بأن وزير الخارجية المصرية (وكذلك كل وزير للخارجية فى الدول العربية الشقيقة) استدعى سفير أمريكا ، وأوضح له مدى الأثر السئ الذى يحدثه استمرار العدوان فى تونس ومراكش

الدول الأجنبية فى مصر ، وإلى جميع الهيئات الدولية ، ونشر ذلك فى العالم كله بمختلف الوسائل .

٣ — دعوة الأمة المصرية وسائر الأمم الإسلامية إلى القيام بالواجب الدينى والإنسانى حيال فرنسا الباغية وموقفها العدوانى فى شمال إفريقيا ، وأقل ما يتحقق به هذا الواجب الآن أن يقاطعوها مقاطعة تامة فى تجارتها وصناعاتها ودور تعليمها .

٤ — دعوة الجامعة العربية والحكومات الإسلامية إلى مقاطعتها سياسياً ، وإلى منع الاستيراد منها .

٥ — دعوة هيئات الخدمة الإنسانية إلى المساعدة بإسعاد المنكوبين وتضميد جراحهم

٦ — دعوة الشعوب الإسلامية فى الأقطار كافة إلى الاكتتاب العام لمساعدة هؤلاء المجاهدين وتخفيف ويلاتهم . وقد افتتح أعضاء الجماعة - فعلاً - قائمة الاكتتاب فيما بينهم ، على أن تودع المبالغ المكتتب بها تحت إشراف حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ورئيس الجماعة

٧ — أن يوجه فضيلة الأستاذ الأكبر رئيس الجماعة نداء عاماً إلى المسلمين فى جميع الأقطار ينبههم فيه إلى ما أوجبه الله تعالى عليهم فى هذا الموقف (وقد نشرنا النداء فى مكان آخر) . وفى صباح الأربعاء ٢٩ ربيع الأول اجتمع بالحرم الجامعى بالجيزة نحو خمسة

أفريقيا لأفريقيين

دخلت ثورة كينيا على الاستعمار البريطاني في شهرها الثالث وقد تبين للرأى العام العالمى أن ما كان يزعمه الاستعمار البريطانى من أن ثورة كينيا همجية وتافهة إنما هو زعم لا يقوم على أساس ، وقد أذاعت وكالات الأنباء برقية من لندن تنفصها بأن ثوار كينيا يسعون للاتصال بثوار شمال أفريقيا على الاستعمار الفرنسى ، والمتذمرين من قوانين الاضطهاد العنصرى فى جنوب أفريقيا ، ليتفقوا جميعاً على التعاون للخلاص النهائى من الاستعمار توطئة لتقرير مبدأ « إفريقيا للأفريقيين » .

وقد اعترفت (التيمس) بأن حوادث كينيا تعتبر مرحلة من مراحل الكفاح التى تقوم بها الحركة الوطنية فى أفريقيا ، وأن هناك أوجه شبه كثيرة بين هذه الحركة والحركة الوطنية على ساحل الذهب فى غرب أفريقيا .

وقد بدأت تنشر بعض المعلومات الصحيحة عن زعيم الاتحاد الأفريقى فى كينيا وإسمه (جومو كينيا) ويسميه الوطنيون « الرح المشتعل » ، وهو قوى البنية فصيح اللسان وكان مدرساً فى مدارس كينيا ، وتلاميذ كينيا بمجدونه كما يمجّد المسيحيون المسيح . وقد زادت شهرته وتعلق الشعب به بعد اعتقاله فى سجون الإنجليز ، فلم يفهم اعتقاله شيئاً .

والجزائر ، وقد وعد السفير الأمريكى بأنه سيرفع الأمر إلى حكومته فوراً .

وبدأ وزير الخارجية المصرية من يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الأول فى مقابلة ممثلى الكتلة الاسيوية ، واجتمع بكل من القائم بأعمال سفارة أندونيسيا ، ثم بممثل الباكستان وسفير الهند وممثل الحبشة ، وسيقابل كلا من سفير إيران والافغان ، وكان الجميع مجمعين على رأى واحد فيما يتعلق بقضايا البلاد العربية ، وقضايا شمال إفريقيا .

امتضار الاستعمار البريطانى

أعلن فى مجلس العموم البريطانى أنه ابتداء من آخر سنة ١٩٥٢ يصبح من حق المستعمرات البريطانية أن تقرض مباشرة من بنك النعمير والإنشاء الدولى . ومن المعلوم أن أكثر أموال هذا البنك أمريكية .

وحينئذ نهض أحد أعضاء المجلس وقال : « أننا بذلك نترك المستعمرات تبيع شهادات ميلادها لدولة أخرى » .

فقال مستراً أوليفر ليتلتون وزير المستعمرات جواباً على هذه الكلمة وكلمات أخرى فى معناها : « إننا لم نعد نملك شلناً واحداً نبذره فى أرض مستعمراتنا . بل لقد أصبحنا مدنين لهذه المستعمرات ببلغ ٩٦٤ مليون جنيه أخذناها مقدماً . وليس فى استطاعتنا أن نمنع نشوء مشروعات جديدة بأموال غيرنا فيما وراء البحار ما دمنا لا نملك المال اللازم لإنشاء تلك المشروعات بأنفسنا » .

الأدب والعلم في شهر

تعميم التعليم

فإذا زادت كمية مدارس وزارة المعارف إلى ضعف عددها الحاضر سرت العدوى التي تشكو الأمة منها في المدارس الموجودة إلى الجديد منها الذي يخوفون البلاد من تبعاته المالية . وحذا لو يعلم رجال وزارة المعارف أن تفكير قادة الرأي في الأمة منصرف إلى (الكيفية) وشكواهم تدور حول الداء المزمن في المدارس منذ أريد منها تخريج آلات لمسكنة الحكومة غير معني بناحية التربية والاخلاق العملية في تكوينهم ، ولا بناحية إعدادهم للاضطلاع بمرافق الوطن الأخرى في خارج الحكومة .

فال المطلوب الآن أن تفسجم مدارس وزارة المعارف مع العهد الجديد بتغيير تلك الأسس كلها ، وأن يكون الأساس الأول في مناهجها التربية والاخلاق وأن يستعد الشباب المتعلم للكفاح في سبيل إصلاح المجتمع وإسعاده كما يستعد لإصلاح شئونه الشخصية وسعادته الذاتية ، وبذلك يكونون صالحين للنهوض بأعباء الوطن في مرافقه واتجاهه الصالح نحو التقدم . فهل لوزارة المعارف أن تلي هذا الطلب حتى تكون مدرسة العهد الجديد ملائمة لروح العهد الجديد ؟

تصبح البلاد الآن من جمود وزارة المعارف العمومية على الأسس القديمة التي رسمت لتخريج موظفين لا لتخريج رجال علم وعمل ، وتتكرر الصيحات بمطالبة الوزارة بأن تعنى بالتربية والاخلاق والدين ، وبتاريخ أجداد العرب والإسلام كمنايتها بالألعاب الرياضية على الأقل ، ليتم بذلك اتصال حاضر الأمة بماضيها ، وليكون منه بدء تحول بالمدارس من مصانع لتخريج موظفين ، إلى معاهد لتخريج رجال مثقفين مهذبين يعرفون واجبه نحو وطنهم وقوميتهم ودينهم و تاريخهم والنهضة التي سيعيشون معها وتعيش معهم .

ولمى الآن لم نسمع لوزارة المعارف صوتا في الاستجابة لهذه الدعوة الصادرة من ضمير العهد الجديد . وكل ما يتحدث به رجالها كلام عن تعميم التعليم وما يحتاج إليه من أموال ، ليخففوا رجال هذا العهد من التبعات التي تترتب على هذا التعميم حتى يشمل جميع أطفال الوطن الذين في سن التعليم . فتفكير رجال وزارة المعارف لا يزال منصرفا إلى (الشكل) و (الكمية) مع بقاء الداء كما هو ،

فن المكتبات :

السياسية المعتمدة من سوريا والهيئات الأهلية والخيرية غير الحكومية في البلاد العربية .
ومدة هذه الحلقة من ٨ إلى ٢٠ ديسمبر (٢٠ ربيع الأول إلى ٣ ربيع الآخر) ، ومن أهم ما يدرس في هذه الحلقة موضوع التكافل الاجتماعي وأثر التنمية الاقتصادية في وسائل التكافل . وإن وفد مصر في هذه الحلقة يرأسه الدكتور محمد عوض محمد وأعضاءه الدكتور عزيز المراغي والاستاذ محمد أبو زهرة والاستاذ أحمد حسن إسماعيل ينضم إليهم مستشارون والمحققان العسكري والثقافي بدمشق . وقد دعى للاشتراك في هذه الحلقة الاستاذ سيد قطب .

نظم معهد التربية للمعلمين بجامعة إبراهيم حلقة دراسات مسائية بين طلبة المعهد لدراسة فن المكتبات ، ويقوم بإعداد هذه الدراسات والإشراف عليها مستر جامي الخبير الأمريكي في فن المكتبات والاستاذ حسن رشاد ، وسيدعى بعض رجال التعاليم لثلق الأسس العلمية والعملية التي تكفل النهوض بالمكتبات المدرسية .

ملف الدراسات الاجتماعية

مسؤولية تحقيق الأهداف :

في يوم السبت ١١ ربيع الأول زار الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب كلية الطب بجامعة إبراهيم ، وخطب في الطلبة فقال :
أبناء الطلبة ، بل جنود الطلبة : إنكم أهم من الجنود ، لأن الجنود لهم مهمة معروفة ، أما أنتم فلكم مهمة أخصها في أنكم مسئولون مسئولية تامة عن تحقيق مبادئ وأهداف هذه الحركة .

إن ألمانيا ليست أحسن منا ، إنها هزمت في حربين ، لكنها قامت ونهضت من جديد . ونحن في أشد الحاجة إلى ما قامت من أجله (الرسالة النبوية الشريفة) وهي جمع صفوف العرب وغيرهم من الذميين الذين يعيشون

عقدت حلقة الدراسات الاجتماعية دورتها الثالثة في دمشق ، وقد قامت بتنظيمها جامعة الدول العربية بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة . وكانت حفلة الافتتاح بمدرج الجامعة السورية بدمشق . واشتركت في هذه الحلقة جامعة الدول العربية والجمهورية السورية والمملكة الأردنية والمملكة العراقية والمملكة العربية السعودية والجمهورية اللبنانية والمملكة اليمنية ومملكة مصر والسودان والمملكة المتحدة الليبية . وحضرها ممثلون وخبراء من المنظمات والوكالات المتخصصة التابعة للأمم المتحدة وهي هيئة العمل الدولية وهيئة التغذية والزراعة وهيئة الصحة العالمية وهيئة الأمم المتحدة للعلوم والتربية والثقافة (اليونيسكو) ووكالة لغائمة اللاجئين . ومراقبون من الإمارات العربية والبعثات

الوطن آله كبيرة :

احتفل بافتتاح مركز التدريب النقابي بالقاهرة . وعند بدء الاحتفال اقترح أحد العمال الاشتراك بالحداد على الزعيم العالى التوامى الشهيد فرحات حشاد ، فوقف الجميع دقيقة تين سادهما الصمت الرهيب . ثم خطب الوزير محمد فؤاد جلال فقال : إن أروع ما فى هذا الاحتفال وقوفنا حداداً على روح زميل كريم ذهب ضحية الاستعمار ، فبدت روح التضامن قوية بين العمال العرب فى أوطانهم . ثم قال :

« نحن نجتمع هنا ليكون كل منكم رسولا إلى زملائه فى أنحاء البلاد ، فبا الأمة إلا مجموع من العمال ، ولا مكان فى هذه الدولة لمن لا يعمل . هذا هو شعار العهد الحاضر فى سعيه لبناء الدولة من جديد . اننى أتمنى أن أرى اليوم الذى يصبح فيه العمال وأصحاب الاعمال طرفا واحدا شعاره : حكمة معاوية الخالدة : « لو كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت ، والشعرة هنا هى مصلحة العمل ، فحافظوا على هذه الشعرة ولا تقطعوها .

« اننى أحب الرجل الذى يتمسك بحقه ولا يتنازل عنه ، وأحب أيضاً ألا ينسى حق الوطن فلا يضيعه . إن الوطن آله كبيرة ، والعامل الذى يعمل ينفع بنى وطه ، وينفع نفسه وغيره من العمال إذا حافظ على هذه

معهم . فنحن كذلك فى حاجة الى جمع الصفوف لنعمل يدأ واحدة لمصلحة واحدة هى مصلحة مصر والسودان .

إن النظام يوفر الوقت ، ويكسبنا احترام العالم . إن النظام معناه « العمل » ، وأنتم تعملون أنه بغير عمل لا يستطيع الانسان أن ينجح .

لكل إنسان أن ينتقد ، على أن يصف العلاج لموضوع نقده . وافرضوا أنفسكم من قادة الحركة تستطيعوا أن تنتقدوا بملء حريتكم وثقوا أن كلا منكم يستطيع أن يكون محمد نجيب ، فأما لم أنهض إلا باستعداد الأمة وتضامنها .

إن رسالتكم ليست تحقيق هذه المبادئ فقط ، ولكن أن تكونوا أيضا لسانا للدعاية عن هذه المبادئ ، فتعملوا كل من يحيط بكم .

إن السكتب السماوية جميعا تحضنا على المحبة والوئام والنظام ، فليس هناك عمل بدون نظام .

وثقوا أن كل ما تطلبونه سيجاب لكم ، ولكن فى حدود مقدرة الدولة . فأنتم تعملون كيف تركوا مصر . ولهذا فنحن فى حاجة للاقتصاد ، والتقشف . وثقوا أننا لو اقتصدنا قليلا فسنكسب فيما بعد كثيرا . والسلام عليكم ورحمة الله .

إلا بعد تثقف عميق بكل ضروب الثقافات من فلسفية وغير فلسفية ، ولم يكن عندهم هذا التخصص الذى نشق به فى العصر الحديث والذى يجعل طالب الأدب لا يعرف فلسفة ولا كيمياء ولا طباً ولا قانوناً وشريعة ، فأنحصر فكره فى دوائر ضيقة ، ولم يعد من الممكن أن يكون متموجاً أو ملوناً بكل حظوظ الثقافة كما كان أدباء العصر العباسى ،

أثنا عشر ألف أثر عربى

كان الأستاذ كانون رشماتز أستاذ اللغات السامية بجامعة لوفان قد قام مع عبد الله فلبى برحلة فى بلاد العرب الجنوبية للبحث عن آثار العرب القديمة برعاية الملك ابن سعود ، فنتظما ١٧٥٠ ميلا ، ثم دخلا مناطق عربية لم تطأها قدم أعجمى قبل الآن ، وعثرا فى هذه الرحلة على اثنى عشر ألف أثر عربى يرجع بعضها إلى عهد ملوك سبأ . وتقوم الآن أكاديمية النقوش والذخائر الأدبية فى باريس على دراسة هذه النقوش وكتابة تقرير عنها .

مخطوطات طورسينا

ألفت جامعة الاسكندرية لجنة لتنظيم دراسة صور المخطوطات والوثائق الأثرية التى اشتركت بعثة الجامعة فى تصويرها مع بعثة الآثار الأمريكية فى دير سانت كاترين فى طورسينا . وتعد هذه المخطوطات والوثائق

الآلة ورعى حقها حتى يقبل أصحاب الأموال على استغلال أموالهم فى الصناعة .

أدباء السلف والأدباء المعاصرون

يقول الدكتور شوقى ضيف فى تعريفه بكتاب « الهوامل والشوامل ، لأبى حيان التوحيدي ومسكويه (فى فصل نشرته مجلة الكتاب) « أصبحنا فى عصر السرعة ، وأصبحنا لا نكاد نسأل حتى نجيب . فلم تعد عندنا هذه الصفات التى كان يتحلى بها الأسلاف ، صفات التؤدة والروية والتعمق فى المسألة وتشقيتها ، حتى لتصبح كأنها شجرة ذات فروع ، وما تزال غصون تمتد فى الفروع إلى ما لا نهاية .

و قرأت هذا الكتاب وخيل إلى عقب قراءته كأننا لا نستطيع أن نجارى فى عصرنا الحديث هؤلاء الناس الذين سبقونا ، لأننا مشغولون بالدعوى العريضة ، وبإلقاء الأحكام ونحن نرمى بهذه الأحكام يمينا وشمالا ، لا نكاد نتدبر أنفسنا ولا نتدبر ما نقول .

ويظهر أن المسألة لا ترجع إلى السرعة كما زعمت ، بل ترجع إلى أننا لا نتعب أنفسنا فى فهم المسائل وتبينها ، وكشف جوانبها وبواطنها وظواهرها ، إنما نكتفى بما نعرفه من الخارج وما تمر عليه أفكارنا .

وقد نكون مختلفنا عن الأسلاف لأن الأدباء منهم لم يكن يزعم لنفسه هذا الوصف

أصغر جمهورية إسلامية .

ظهرت للوجود في الشهر الماضي جمهورية جزائر مالديف الواقعة في المحيط الهندي ، وهي تبعد ٤٠٠ ميل عن سيلان . وكانت في ثمانية القرون الماضية تحكم بنظام الملكية حكما عادلا هنيئاً ، والمسلمون في هذه الجزائر وادعون يلتزمون الحق ويعيشون للخير وليس عندهم سجون وأكثر ما يتجرون به السمك يتقاضون بالزائد منه للحصول على ملابسهم وضرورياتهم من سيلان .

في سبيل الاستعمار المشؤوم

أوشكت أن تتم ست سنوات على الحرب الاستعمارية المشؤومة التي تخوضها فرنسا في الهند الصينية .

وقد بلغت خسائر الفرنسيين هناك حتى الآن ١٢٠٠ ضابط و ٣٠٠ ألف جندي . ولا نعلم كم بلغت خسائرهم في الأموال ، لكن الذي نعلمه أن الاعتمادات الفرنسية لهذه الحرب في ميزانية العام القادم هي ٣٩٠ مليون جنيه استرليني أى نحو ربع مجموع النفقات العسكرية في فرنسا .

أهم مجموعة تاريخية من نوعها في العالم من حيث تنوعها وكثرة موضوعاتها ووزارة مادتها وتعدد اللغات المكتوبة بها فهي تبلغ اثنتي عشرة لغة . وفيها غير الكتب الدينية المسيحية بعض المخطوطات اللغوية والأدبية والفلسفية والجغرافية والتاريخية والطبية ، علاوة على الفرمانات والوثائق القانونية التعليمية . ومن كتبها نسخة مخطوطة من الانجيل بالعربية الفصحى تعد فريدة في نوعها وقد سميت فيها الاناجيل الاربعة مصاحف كصحف لوقا ومصحف متى الخ ، ويظن أن هذه الترجمة العربية القديمة تصحح أخطاء لاتخلو منها الاناجيل بتراجمها العربية المتداولة وكان الامريكيون قد حاولوا شراء هذه المخطوطة بمبالغ ضخمة فرفض ذلك القائمون على الدين .

ويُنظر أن تستغرق دراسة مخطوطات طورسينا سنوات عديدة ، وهي تقتضى الاستعانة بالخبراء العالميين . إلا أن جامعة الاسكندرية تحفظ لمصر الفضل الأكبر في إظهار أهمية هذه المخطوطات والعناية بها .

طرائف علمية وأدبية

بركان فيزوف :

ترتفع قمة جبل فيزوف ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر ، وترقد على سفحه عشرات القرى الجميلة ، وأشهر ثورات هذا البركان في القرنين الأخيرين وقعت في سنوات ١٧٧٩ و ١٧٩٣ و ١٨٣٤ و ١٨٥٥ و ١٨٦٧ وأخيراً في سنة ١٩٤٤ . وقد انتشرت سيول الحمم التي تدفقت في ثورته سنة ١٧٧٩ إلى مسافة ١٥٠٠ قدم ، وقطعت في سيرها حوالى ثلاثة أميال ونصف ميل قبل أن تنتهى إلى ساحل البحر . ويتوقع بعض الجيولوجيين أن تتجدد ثورة هذا البركان عما قريب فتدمر القرى القائمة في جواره من سفح الجبل .

مراكز الإدراك في المخ :

تمكنت إدارة المحاربين القدماء في أمريكا من إتمام دراسة استمرت سنتين على ١٥٠٠ مريض بالأمراض العقلية أجريت لهم جراحات في الفصوص الامامية للمخ ، وهى مراكز الإدراك في الإنسان ، وفي هذه الدراسة اشترك ١٢٨ من الخبراء في شتى الأمراض العقلية وقالوا في تقريرهم إن ٤٠

في المائة من الحالات تحسنت إلى حد كبير ، وكان أكثر المتحسنين من المصابين بمرض الشيزوفرانيا وقد عادوا جميعاً إلى منازلهم ، منهم ١٠٢ فقط أمكنهم العودة إلى أعمالهم . وإن حالات العنف والعدوان والميل إلى الانتحار خفت كثيراً في أكثر الحالات وأصبح من السهل قيادة هؤلاء المرضى وبدأ أكثر من نصف المصابين يهتمون بما حولهم غير أن ١٠ في المائة منهم زاد انطوائهم على نفوسهم . ورغم هذه النتائج الحسنة فإن الخبراء لم يستطيعوا تفسير ما يحدث للمصاب عقب الجراحة وإن أفوتوا بأن تغييراً يحل بشخصيته . ولهذا ينصحون بالآلة تجري هذه الجراحات إلا بعد استنفاد الوسائل الأخرى وفي الحالات العنيفة التي يتعذر فيها التعامل مع المريض وتنهار كل الآمال في إمكان علاجه .

الورق من فضلات القصب

صرح وزير التجارة الأمريكية بأن ورق الصحف المصنوع من قصب السكر يضارع في جودته الورق المصنوع من لب الخشب إن لم يكن أفضل منه . وأن تسكليف الورق المصنوع من القصب ستكون زهيدة .

وهذا الغطاء الجديد للرأس هو (عمامة) من البلاستيك تشتمل على أجزاء إضافية لوقاية الاكتاف والرقبة والوجه وأعلى الصدر ، ولا يزيد وزن هذه المجموعة الواقية على رطل واحد ، وهي كالصلب في مناعتها إن لم تزد عليه ، وتكليف كل خمس وأربعين عمامة من هذا الاختراع الجديد تعادل تكليف خوزة فولاذية واحدة مع التفوق في الخصائص الوقائية . وقد نشر مع هذه الكلمة صورة لهذه العمامة الجديدة ، فتبين منها أنها في منتهى الجمال والهيبة ، ويعتينا منها نحن المسلمين على الخصوص أنها توافق تقاليدنا والمألوف عندما إلى درجة أن شكلها يصلح في الوقت نفسه لأن نقتبسه لحياتنا المدنية فضلا عن الحياة الحربية في الميدان ، ولماذا كانت العمامة الحربية تصنع من البلاستيك والمراد الصالحة للوقاية من الرصاص والشظايا ، فإن هذا الشكل إذا اتخذ للحياة المدنية ومن نسيج لطيف مريح فانه بلا شك يصح أن يتخذ أساساً لوحدة الأزياء التي يشدها من يدعو إليها . ونحن نلفت أنظارهم إلى هذه الكلمة في الأهرام ، وإلى الصورة المنشورة معها ، وإلى الوصف الشيق الذي وصفت به هذه العمامة التي تعد أحدث ما وصلت إليه العقول فيما يتعلق بغطاء الرأس في البلاد المتحضرة .

وأن الكميات الموجودة في أمريكا من فضلات قصب السكر تفي بجميع حاجات أمريكا المتزايدة من الورق .

معجم بأسماء المجرمين .

تقوم مصلحة الشرطة في سكوتلاند يارد بإعداد ونشر معجم مطول لأسماء وتراجم المحتالين والنصابين العالميين على غرار الكتاب السنوى للشاهير المسمى (من هو ؟) ، ليستفيد منه زوار الجزائر البريطانية من الأجانب المنتظر حضورهم حفلات التتويج ، فيكون لهم من معرفة هذا العنصر الخطر من البشر ما يحميهم منه . وقد شاركت في تأليف هذا المعجم إدارات تحقيق الجرائم في إنجلترا ودول الكومنولث وفي أمريكا وفرنسا .

عمائم مربية للجهاد

في جريدة الأهرام - من بداية الانقلاب الأخير حتى الآن - ركن عسكري عنوانه « سلاح الغد » يحرقه كاتب من رجال الجيش يرمز لاسمه بكلمة « صاروخ » ، وقد نشر في العدد الصادر يوم ١٢ المحرم (١١ أكتوبر) كلمة عن أحدث ما ظهر من التطور في صناعة غطاء الرأس للوقاية من الرصاص والشظايا والقنابل بدلا من الخوذات الفولاذية المعروفة إلى الآن .

فهرس

الجزء الرابع — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
٣٩٣	الاسلام والسلام	الاستاذ محمد عرفة مدير المجلة
٣٩٧	من نحن ؟	» محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٤٠٣	السنة : حقوق الاكتفاء	» طه محمد الساكت
٤٠٨	تطهير الاداة الحكومية في تاريخ الاسلام	» محمد فتحي محمد عثمان
٤١٣	في الفقه الاسلامي	الدكتور محمد يوسف موسى
٤١٨	أكل رسالات الله	خطبة لفضيلة الاستاذ الأكبر
٤٢١	افتحوا للفقه أبواب الحياة	الاستاذ أحمد فهمي أبو سنة
٤٢٤	الكتيب الفلسفية وسبيل إصلاحها	» محمد عرفة
٤٣٠	الحديث النبوي : مقاصده ، ألفاظه ، معانيه	» محمود النواوي
٤٣٥	الحكم التكليفي والوضعي	» عبد الله المراغي
٤٣٩	أزمة الأدب وحرية التعبير	» أحمد عباس صالح
٤٤٣	الدعوة إلى التشف	» محب الدين الخطيب
٤٤٦	رواية الحديث وتدوينه	» محمود فرج العقدة
٤٤٩	كيف بنى المسلمون مجدهم	» عبد الرحيم فرغل البليبي
٤٥٢	المسؤولية الحكومية في الاسلام	» السيد كمال الشورى
٤٥٤	سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب	» محمد محمد أبو شبة
٤٥٨	موقف الاسلام من الشيوعية والرأسمالية	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
٤٦١	ثورة الاسلام على الفوارق الجاهلية	الاستاذ عبد الحميد محمود السلوت
٤٦٥	الايمان يصنع المعجزات	» محمد خليفة
٤٦٨	بين الفلسفة وعلم الكلام	» علي مصطفى النرابي
٤٧٢	ذكريات تهز مشاعر الانسانية	» محمد عبد المنعم خفاجي
٤٧٦	لغويات : البدورة ، الطليان ، برخ ، هندكي	» محمد علي النجار
٤٨١	العلمية في فلسفة هيوم	» سعيد زايد
٤٨٥	الرئيس يزور الأزهر	قلم التحرير
٤٨٨	مملكة تقلى	» عبد المنعم محمد الشيخ
٤٩٢	بيان إلى العالم الاسلامي عن قضايا المغرب	فضيلة الاستاذ الأكبر
٤٩٤	الكتيب	قلم التحرير
٥٠٤	العالم الاسلامي في شهر	»
٥١٣	الأدب والعلوم في شهر	»
٥١٨	طرائف علمية وأدبية	»

رئيس التحرير
محمّد بن الخطيب
الاشتراك السنوي
٥٠
في مصر والسودان
٢٠
للطلبة في مصر والسودان
في الخارج
٤٠
للطلبة في الخارج
٥
من الجزء

مجلة الانوار
مجلة شهرية تباع بمئة
تصدر عن شيخ الأزهر في أول شهر ربيع

مدير المجلة
محمّد بن الخطيب
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الخامس - القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٢ - ١٥ يناير ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْعَاجِلَةُ وَالْآجِلَةُ

الآن ، وقد أخذنا نصلح ما أفسده الدهر من كياناتنا القومية - في حكومتنا ، ومجتمعنا ، وفي تعاوننا مع الدول العربية الشقيقة ، ومع البلاد الإسلامية والاسيوية - وبدأنا نواجه الغرب مدافعين عن حقوقنا ، ومحاولين أن نحدد مكاتنا من الأمم ؛ فقد آن لنا أن نباشر الإصلاح من أساسه ، فنحدد موضع دأنا ونحسن تشخيصه ، لنتمكن من معالجة ضعفنا في مصدره الأول .

لقد نقلتُ في الجزء الماضي من هذه المجلة (ص ٢٩٧) قولَ وزير خارجيتنا الاستاذ محمود فوزى في تشبيه مجتمعنا العجيب برجل نلقاه في الطريق العام وهو يعدو بأقصى سرعة لكنه لا يعرف إلى أين هو منطلق ، ولا يعرف من أين هو آت ، وإذا سأله عن عمله وعنوانه فإذا هو بلا عمل ولا عنوان ! ...

إن الاستاذ محمود فوزى وصف لنا حالتنا - وهي تنطبق على الفرد ، وعلى الأمة ، وعلى الدولة - كما رأى ذلك بعينه لما عاد إلينا من أمريكا قبل عشرة أشهر . فهل لنا أن نتساءل عن السبب الأول في ذلك ، ولماذا بلغت بنا الحال حتى إلى أن نجمل من نحن ؟ وأين نحن ؟ وماذا نريد ؟ وما هي وسائلنا لتحقيق ما نريد ؟

هذه الجبالة المضاعفة أجدر بها أن تلاقنا ، ونقضى مضاجعنا ، وأن نحلم في نومنا بأسبابها وعواقبها بعد أن نشغل أيماننا في التفكير بذلك إلى أن نجد لنا من هذه الحالة فرجا

ونخرجنا . ولست أدري كم عدد الذين أخذوا يفكرون في هذا الأمر منذ قرأوا في الشهر الماضي كلمة « من نحن ؟ » ، وكم عدد الذين توصلوا بتفكيرهم إلى اكتشاف موطن الداء فينا حتى صرنا إلى ما وصفنا به الاستاذ محمود فوزي .

أما أنا فيخيل إلى أن ما نحن فيه الآن عقوبة من الله لنا معشر المسلمين - أفراداً وجماعة وحكومات - لانتنا خرجنا عن فطرة الإنسانية وسنن الإسلام بإيثار (العاجلة) على (الآجلة) وكان من حقنا - بقدر ما نحن مسلمون - أن نعتاد في أنفسنا وفي تعاون بعضنا مع بعض إيثار الآجلة على العاجلة ، لأن الآجلة خير وأبقى وأدوم ، وإن لم يكن فيها إغراء العاجلة وزخرفها ووميضها الذي يخطف الأبصار والبصائر .

أسس رجل نشيط من غير المسلمين جريدة الأهرام ، فلما مات صارت إلى أخيه ، ومات أخوه فصارت إلى ابنه وكان قاصراً ، ثم مات الابن فصارت إلى الحفيد ، وهي الآن في السنة الثامنة والسبعين من حياتها . وأسس رجل من المسلمين أكثر منه نشاطاً جريدة المؤيد فعاشت معه ثم ماتت بموته . وأسس رجل نشيط من غير المسلمين مجلة الهلال ، فلما مات ازدادت بعده قوة وحيوية وانتشاراً . وأسس رجل من المسلمين أكثر منه نشاطاً مجلة المنار فعاشت معه ثم ماتت بموته . ولو شئت أن أضرب عشرات الأمثال لاسعفتني الواقع بأكثر مما أريد . فلماذا هذا ؟ لماذا تنقص أعمار أعمالنا ومشروعاتنا ومؤسساتنا بعد أن تجتاز سن الطفولة وتصير في طور الأبد والقوة والنضوج ؟ في ظني أن المرض مزدوج ، فالذين يؤسسون المؤسسات يعيشون في جو (العاجلة) فلا يرسمون لمؤسساتهم خطة طويلة الأمد ، ولا يعدون لها من يخلفهم عليها ويضمن بقاها . والذين كان ينتظر منهم العون على استمرارها من أعيان الملة يعيشون لأنفسهم في جو (العاجلة) فلا يبالون بمؤسسات أبناء ملتهم ، ولا يعتبرونها من تراث الملة ومن ثروتها ، ولعلمهم يسرون بموتها عند موت صاحبها . فنحن أمة يعيش أفرادها - ولا سيما خاصتها - للساعة التي هم فيها ، يحاولون أن يغموا فيها كل ما يستطيعونه من مغامرها كان لونها أو ريحها أو طعمها ، على قاعدة أحد ملوك فرنسا حين قال : إن الدينار لا يريح له ، فلا يضيره سوء مصدره .

وقس على الدينار الجاه والمنصب والوجاهة والتقدم

إن من أعجب العجب أن يكون فينا - نحن المسلمين - الأذكى الذين يؤثرون الكسب العارض المنقطع لأنه كثير خلاب ، على الخير الدائم النبيل لأنه قليل لا يريق له . وأن

تتبعجل جماعاتنا بالشيء قبل أوانه انخداعاً منها بالمظهر ، ثم لا تتعظ بعد ذلك إذا عوقبت بحرمانه ، وقد كانت حكومتنا إلى عهد جد قريب تشبه ذلك الرجل الذى تحدث عنه الأستاذ محمود فوزى وصوره لنا وهو يعدو منطلقاً بأقصى سرعته ، مع أنه لا يعرف لماذا يعدو ، ولا أين هو منطلق ، وسبب ذلك أنه لم يرسم لاتجاهه خطة يعرف بها أين يكون مصيره في العام الآتى ، وبعد خمسة أعوام ، وبعد جيل .

لقد كان لبطرس الأكبر قيصر روسيا وصية تتناول أهداف دولته في قرون ، فالتزم العمل بها خلفاؤه ، ثم جاءت الشيوعية فهدمت كل أوضاع القيصرية إلا خطتها العامة المرسومة في وصية بطرس الأكبر ، فإنها تعمل إلى هذه الساعة على تحقيقها بكل عناية وأمانة واهتمام ، أكثر مما كان يفعل ذلك القيصرية أنفسهم .

والإنجليز تتداول الحكم في بلادهم أحزاب متباينة الأغراض ، ووزارات مختلفة المشارب ، ولكنهم في سياستهم العامة وأهدافهم القصوى سائرون في طريق واحد لا يحدون عنه ويستلمون تصرفاتهم من قواعدهم وتقاليدهم مكتوبة في السطور أو محفوظة في الصدور فلا ينقض جيل عمل الجيل الذى سبقه ، ولا يسن جيل للجيل الذى سيخلفه سنة الاعوجاج عن طريقه القويم ، أو الشك في أغراضه القومية الماثورة ، وأهدافه الثابتة التى يتواصلون بها كابرأ عن كابر .

كلهم في عاجلتهم يعملون لما رسموه لآجلتهم ، لا يحولهم عن ذلك نفع شخصى زائل ، ولا طمع ذاتى خسيس . لأنهم يعيشون لآمتهم ، فتعرف لهم آمتهم أقدارهم ، وهكذا يكمل اللاحق ما بدأ به السابق ، ويتعاون السابق مع معاصريه ، واللاحق مع أبناء جيله بكل إخلاص بعيدين عن الانانية وانتهاز الفرص المعيبة للوجاهة السكاذبة والسكسب الحرام .

إن اضطراب سير مجتمعتنا ودولتنا ناشئ عن اضطراب سير أفرادنا ، ولا سيما خاصتنا : يتولى وزارة المعارف زكى أبو السعود فيقرر مشروع تأليف دائرة معارف عربية تستوفى أرقى ما وصل إليه العلم من المعارف السكونية والفكرية ، منضمنا إلى ذلك أشمل ما وصلنا إلى معرفته من تراث سلفنا وتاريخ أمتنا وتراجم أعلامنا والتعريف ببلداننا ومذاهبنا وكل ما يتعلق بنا وبتقافتنا . ويأتى بعد زكى أبى السعود وزير آخر للمعارف يكبر عليه أن يحقق مشروعاً قرن باسم سلفه ، فسميت ذلك المشروع ويدفنه مكفناً بالحسد والحمد والشتماء ، ويرضى لآمته أن تستمر في حرمانها العلمى . ويعمد اليهود قبل أن تصير لهم دولة إلى تأليف

دائرة معارف إسرائيلية ، على فقرهم فيما نحن أغنياء به من الابداع العلمية والخلقية والحربية والعمرانية ، فيتم لهم هذا العمل الضخم بتعاونهم ، وتساندهم ، وبإكل آخرهم ما بدأ به أولهم وهذه هي دائرة المعارف اليهودية موجودة في أيديهم ، وإن ما دونوه فيها كان مما أعان ساستهم على نشر الفكرة الصهيونية وثبتت الإيمان بها في شبابهم وبناتهم حتى قامت لهم دولة من العدم بعد أن عاشوا أذلاء محكومين لغيرهم أكثر من عشرين قرناً .

كل الناس في الأمم الأخرى يعيشون لمجوعهم ، والفرد منهم يعظم ويفبل بإخلاصه للصالح العامة والحياة المادية والمجد القوي والعمران الوطني . وأفرادنا - ولا سيما الخاصة منا - يعيش الواحد منهم لنفسه مستهزئاً بالمبادئ النبيلة ، معطلا القواعد الصحيحة الراسخة من رسالات الله ، ومحاولاً أن يختلس من مجتعه وأمه ودولته أقصى ما يستطيعه من مال أو جاه أو منصب ، حتى أصبحت قاعدة الإسلام ، طالب الولاية لا يولى ، أرخص في نظرهم من قطعة النقود النحاسية التي بطل التعامل بها . ولو أن الذكي من أذكيائنا أخاص النية لله فيما يعمل ، واكتفى بأن يعرف الله ذلك له وإن لم يعرفه الناس ، لكافأه الله بالخلال الطيب الدائم أضعاف ما طمع باختطافه من حرام لا يدوم .

لم يبلغ الطمع بالحرام في شخص أكثر مما بلغ في طريد مصر قبل أقل من نصف سنة : هذه قصوره قد خلت منه ، وهذا حرسه الذي كان يقيمه كالهاليق إلى جانب قصوره لم يستطع أن يمنع عنه نقمة الله عند نزولها به ، وهؤلاء الذين كانوا يتملقونه ويتزلفون إليه بأكثر مما يتفق به الحمار قد انقلبوا عليه ، وهم الآن يملأون صحفهم بالزراية عليه وحكاية ما يعرفونه أو يتسكرونه من قالة السوء فيه . ولو أن هذا الحادث الجسيم الذي شاهدناه بأعيننا وقع في أزمان المعجزات السابقة للإسلام لكان معجزة من معجزاتها ، ومع ذلك فإنه - في الواقع - آية من آيات الله على أن الذين يحبون (العاجلة) يذرون الآخرة ، لا شك أن وجوهم ستكون عند الله بأسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة . ولما كان الله يملئ لهم وهم سادرون في غيهم ، كانوا يذرون وراهم يوماً ثقيلاً ، والله قادر على أن يبدل أمثالهم تبديلاً .

إن القدر المشترك الذي تتم به القناعة والرضا من المعاش يسور للذين يفشدونه بجدهم وكفافتهم وإتقانهم وإخلاصهم ، ثم إذا صاروا إلى ربهم صاروا إليه بوجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة . وما زاد عن العيش المعتدل من نعيم العاجلة ومغانمها - مما لا يصيبه المرء

إلا بتضحية شيء من أخلاقه ، والحيف من دينه ، والنقص من آجله - فإنه لا يخفى على الناس وإن ظنه يخفى عليهم :

ومهما تسكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

على أنه لو خفى شيء من ذلك على الناس فإن الله لا تخفى عليه خافية ، وعنده مما أنزل بفاروق شيء كثير لغيره من الفواريق . وكما أنذر الله من يحب العاجلة بأن له جهنم يصلها مذموما مدحورا ، فإن سنة الله مضت في أهل العاجلة أن يجعل لهم العقوبة في الدنيا أيضا فلا يدفعها عنهم ذكاؤهم ولا أحابيلهم ولا أنصارهم ولا أموالهم ولا الذين يتملقونهم صادقين أو كاذبين .

إن الإسلام ليس بشهادة الميلاد ، وإن رسالته من الله عز وجل بقواعده وسنته إنما بعثها لإقامتها وتحقيقها والتعامل بها ، وفي طليعة قواعد الإسلام وسنته أن يكتفى المسلم بالقدر المعتدل من نعيم الدنيا ، وأن يترفع عما يتزاحم عليه صفار الاحلام من سفاسف الوجاهة والمظاهر ، وأن يؤثر بعد ذلك مرضى الله عز وجل في آجل خيراته ، على مساخطه في عاجل المغائيم من هذه الدنيا الفانية . ومن ضحى بهذه السفاسف إيثاراً لآجل رحمة الله ورضاه ، عظمه الله في عيون الناس ، ورفع مقامه في الدنيا فضلاً عما وعده في الآخرة . وكلما كثر في هذه الأمة الإسلامية عدد الذين يؤثرون الآجلة على العاجلة ، اقتربت بهم الأمة إلى مرضى الله وإعزازه ، وسهل على أهل النيات الصالحة من ولادة الأمور إنشاء الدولة القوية التي تعزز الملة بها ، ويبيأس الأعداء من تسخيرها لمآربهم الاستعمارية . ولا تصلح الدولة وتقوى وتعزز إلا بصلاح الأمة ونظافة سرائرها وسلامة أهدافها ، ولا تصلح الأمة وتصفو سرائرها وتسلم أهدافها إلا بإيثار الأفراد - ولا سيما الخاصة منهم - الآجلة على العاجلة . بهذا مضت سنة الله في أسلافنا الصالحين من زمن الصحابة إلى دولة بني أمية فالصدر الأول من دولة بني العباس ، وفي الفترات المتعددة بعد ذلك من تاريخ الإسلام . وإن لم تفعل فإن الله لنا بالمرصاد ...

محج الدين الخطيب

خَصْبُ الْعُقُولِ وَجَدِّهٖ

لا أعرف شيئاً في الوجود أسنى قيمة ، وأعظم مقداراً من العقل فهو الذى ميز الإنسان عن سائر الحيوان ولولاه لكان من الحيوان ما هو خير منه .

لم يتميز عنه بالقوة البدنية فإن من الحيوان ما هو أقوى بدنأ منه كالثور والجل ، ولم يتميز عنه بمحبة الانياب والاطفار فإن من الحيوان ما هو أحد منه أنياباً وأظافر ، وإنما تميز عنه بهذه اللطيفة الربانية التى هى العقل .

به استحق خلافة الله فى الأرض ودانت له أحجارها ونباتها وحيوانها ، ولو أعطى النمل للعقل وزاد على الإنسان بمقدار خردلة منه لكانت له الخلافة فى الأرض ولاستعبد الإنسان واستخدمه فى مصالحه كما يستخدم الإنسان سائر الحيوان ، والامة التى تسمو عقول أنبائها على عقول أمة أخرى تسخرها فى مصالحها كما تسخر هى الحيوانات التى هى أقل منها عقلاً وأتقص إدراكا ، لقد خلق الله الإنسان ولا صوف له ولا شعر ولا وبر يتقى بها الحر والبرد ولا أنياب له ولا أظفار تحميه من افتراس جوارح الطير وسباع الحيوان وليس له من قوة الجسم ما للجمل والحصان والثور ولكن وهبه الله العقل فكان سداداً من عوز وعوضاً عن الجميع .

ولو سئلت بماذا تشير على أمتك بعد طول ما جربت وكثرة ما قرأت من كتب الحكمة والفلسفة والاجتماع لقلت إن أول ما أشير به أن تعنى بمقولها وأن تنميتها وتركيبها وتبلغ بها أقصى ما قدر لها من قوة ونماء .

وإنى لأعجب للأمم التى تعنى بقوة أجسامها ولا تعنى بتقوية عقولها ، لو خيرت بين أن نخصب الصحارى المحيطة بمصر حتى تصير جنات وارفة الظلال وتجذب عقول أنبائها أو نخصب العقول وتجذب الصحارى لاخترت خصب العقول ولو أجدبت الأرض والبلاد . إن خصب العقول يخصب الجذب من الأرض ، وإن جذب العقول يجذب الخصب منها وإذا بقيت على خصبها لم يحتفظ بها وغلبه عليها الخصبون عقولاً والاقوياء بعقولهم ، قال الاصمعي أصبى من الاعراب أيسرك أن يكون لك مائة ألف وأنت أحق ؟ فقال لا إنى أخاف أن يحبنى على حقي جنانية تذهب بمالى ويبقى على حقي . وقال النبي ﷺ ما اكتسب

المرء مثل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى . وقال الحسن البصرى ما استودع الله أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما ما ، واعترف أهل جهنم بأنه ما جنى عليهم إلا ضعف عقولهم وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير ، وقالوا العقل أفضل مرجو ، والجهل أنكى عدو ، وإن الجاهل ليبلغ من نفسه ما لا يبلغه أعداؤه منه .

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

ولسلك قوة فى الجسد طريق لتربيتها ، فإذا مرنت بلغت كمالها ، وإذا أهملت بقيت كأمته مستورة ناقصة .

والعقل من قوى النفس له طرق لتنميته وإكاله قد عرفها اليونان فى القديم ، فأتجروا العلوم والمعارف ، وهذه ثروتهم باقية على الدهر ، وقد عرفها علماء الإسلام فى قرونه الزاهية فشغفوا بالعالم والفلسفة وأنتجوا فيها ، وقد هدى إليها علماء أوربة فى عصر النهضة فأتجروا هذه المخترعات وغيروا وجه الأرض بمبتكراتهم .

ومن الطرق لتنمية العقل تكليفه بأعمال عقلية يستخرج بها المجهولات من المعلومات كمسائل الحساب والهندسة ومسائل العلوم الصعبة كمسائل التوحيد والاصول ودراسة المنطق الذى يبحث فى قوانين الفكر التى توصل إلى المجهول وكيف يحتز عن الخطأ فيها ، وبما لا شك فيه أن علماء المسلمين كانوا يعرفون هذه السبل لتنمية العقل ويستعملونها ، قال ابن خلدون وكان شيوخنا يقولون : إن الهندسة للذهن كالصابون للشوب تغسل وتنقى وتزيل أدرانته . وقد بدأت النهضة فى أوربا عند ما بدأوا يبحثون عن المنطق وطرق ابتكار المجهول من المعلوم ويناقشون المنطق القديم ويريدون أن ينقدوه ويزيدوا عليه — وإنى أريد من الأمم الإسلامية أن يجملوا العقل قوة من قواهم يعملون على تربيته وإنمائه كما يتمنون على المصارعة وحمل الأثقال والرياضة البدنية فليست حاجتهم إلى تنمية عقولهم بأقل من حاجتهم إلى المصارعة وحمل الأثقال بل يجب أن يعلموا أن حاجتهم إلى عقولهم أشد حاجة . وليست مصائبنا الاقتصادية والسياسية والأخلاقية إلا من هدم : أو ملسكة الابتكار والاستنتاج فينا بالقدر اللازم لهذه الحياة المشابكة .

إن منا من يدرسون علم الاقتصاد والاجتماع والتربية ولكن ليس منا من يتنبأ بالازمات قبل وقوعها ويهذى أمته إلى طريق الخلاص منها ، بل إننا نخلق الازمات بأيدينا ونفرض أنفسنا بأكثر مما يضرنا به أعداؤنا .

ولعل الفارى يعجب من ذلك وسأضرب أمثالا له :

نحن الآن فى أزمة اقتصادية شديدة يتخوف منها ولاة الأمور وقد غلت الأسعار وبلغت خمسة أمثال أو عشرة أمثال ما كانت عليه قبل الحرب الأخيرة وهذا من صنع أيدينا ومن أنه ليس عندنا ملـكة الابتكار بالقدر الذى ينبغي فى هذه الحياة المشبكية المرتبكة .

كنا نعيش بميزانية قدرها أربعون مليوناً قبل الحرب الأخيرة وكانت تكفيها وتسد حاجة الدولة فزادت بعدها إلى مائتى مليون بالتدريج ، وهذه الزيادة أكثرها من دخل غير ثابت كرسوم الجمارك ، وكان ينبغي ألا ترتب عليها نفقات ثابتة خوف أن ترجع الأمور إلى حالها ويذهب الإيراد غير الثابت ويبقى المصروف الثابت لا نجد له دخلاً إلا الاحتياطي أو الاستدانة .

كان ينبغي أن نعلم أن هذه الحالة شاذة وطارئة والشاذ لا يجعل مقياساً ، وإنما تبني الأمور على الأصول المطردة وعلى الأعم الأغلب .

ولكن وقعنا فى الخطأ . وذهبتا نستكثر من الموظفين والمصلحة الواحدة اشتقت منها مصالح عدة وجعل لكل منها إدارة وكتاب ومستشارون الخ ، وزيدت رواتب الموظفين وبذلك ألقيت هذه الزيادة فى المرتبات فى السوق وهى أموال استهلاكية وقلت السلع المطلوبة عنها فغلت الأسعار وتضخم النقد ولو أننا عشنا بميزانيتنا القديمة وزدنا زيادة يسيرة فى مصاريف الاستهلاك وضمننا الزيادة الكثيرة فى الميزانية إلى مدخر الحكومة أى الاحتياطي وأنفقنا منه فى مشاريع منتجة لسكانت فرصة انتهزناها وكنا الآن من أغنى الأمم وكنا بذلك نجنب الامة غلاء الأسعار وتضخم النقد الناتج من طرح مال فى الاستهلاك لا يجد السلع التى يريدونها ولا نقينا تلك الأزمة المقبلة الناشئة من انخفاض فى الدخل غير الثابت الذى وظف عليه نفقات ثابتة .

كنا نزيد فى الموظفين وفى مرتباتهم وكلما زدنا كلما اندفعوا إلى السوق يستهلكونها فيها وكلما فعلوا ذلك زاد التجار أمان سلهم وكلما زادوها شكوا الموظفين وكلما شكوا الموظفون زدنا فى المرتبات . وهكذا وقعنا فى هذه الحلقة المفرغة أو فى هذا الدور الذى يزيد الأول فى الثانى ويزيد الثانى فى الأول حتى يصل إلى أن يرهقنا .

وقد وقعنا فى دور آخر وهو أن الدولة تزيد فى رسوم الجمارك لتدبر المال لزيادات

الموظفين وكلما زادت السلع وكلما زادت السلع شككا الموظفون فتعمد الدولة إلى زيادة رسوم الجمارك وهكذا .

أرأيتم كيف نصنع قيودنا بأيدينا أرأيتم كيف تخلق الازمات وهما نحن أولاء ، ندعو الامة إلى التقشف وكيف تستجيب لصوت العقل وفيها هذا المسال الكثير المطروح الاستهلاك ، إنه لا منقذ لنا إلا أن نعود بميزانيتنا إلى مثل ما قبل الحرب أو قريب منها في المصروفات ونحذف كل زيادة جدت عليها ، إنى أعلم أن هذا فظام والفظام شديد ، ولكنك هو الدواء الوحيد .

أندرون ماذا فعلت أمم أخرى أكثر منا تجربة وأوسع عقلا وأبعد نظراً ، خرجت لإنجلترا من الحرب الثانية مدينة للدول الأخرى بالبلايين من الجنيهات لأنها كانت تنفق في كل شروق شمس من أيام الحرب اثني عشر مليوناً من الجنيهات ، وكان يظن الناس أنها لا تجد وفاء ، وأنها عاجزة عن السداد فإذا فعلت حتى خرجت من هذه الضائقة ، لقد فرضت على نفسها التقشف وأبقت القيود على الاستهلاك التي كانت في زمن الحرب كما هي ولم ترحم نفسها بعد أن كابدت سبع سنين شداداً ذاقته فيها الحرمان بل مدت هذا الحرمان طواعية إلى أيام السلم وانتهزت غلاء منجاسها في البلاد الأخرى وأرسلت بها إليها وحرمتها على نفسها ، وهل تجد فرصة ذهبية كهذه وتضييعها ، إن متر الصوف الذي كان يباع بنصف جنيه أصبح يباع بأربعة جنيهات فلم لا تحرمة على نفسها وتبيعه في أسواق العالم ، إنها أبقت نظام البطاقات فلا تأكل ولا تلبس إلا بقدر معلوم ونظام محدود .

وكانت العاقبة أن وفات كثيراً من ديونها وتخلصت من عون أمريكا واجتازت هذه الازمة بسلام .

هاتان أمتان إحداهما خرجت من الحرب دائنة للأخرى بأربعمائة مليون جنيه ، والثانية خرجت مدينة لها ولازم أخرى بآلاف الملايين ولكن العقل بدل الحال ، وغير المسأل . وقبل ذلك ارتكبت غلطة كبيرة في أيام الحرب وذلك أن عند البنك الأهلي تصريحاً من الحكومة المصرية بأن يصدر أوراقاً نقدية بضمان الخزانة البريطانية ، فلما كثرت جيوش الحلفاء بمصر في أيام الحرب واحتاجت إلى المئونة والكسوة ، كفت البنك الأهلي بإصدار أوراق مصرية نقدية ، وأخذت هذه الأوراق ونزلت بها إلى الأسواق مشترياً : إلى سوق اللحم والخضر والفاكهة ، وكان همها أن تحصل على حاجتها ولا تبالي بما تدفع من ثمن

فأدى ذلك إلى ارتفاع الأسعار ارتفاعاً فاحشاً ؛ ولقى المصريون من جرائه عسراً وعقناً ، كان يجب على الحكومة المصرية أن تدرك هذه النتيجة فتطلب من القيادة أن يكون تمويل الجيوش عن طريقها ، فقتضى هي بمالاً يؤدي إلى رفع الائتمان وتوزيع توزيعاً عادلاً بين الأمة والجيوش .

وهناك مثل آخر :

ارتفع ثمن القطن عقب الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٩ حتى بلغ خمسين جنيهاً للقطن الواحد ، وقد حسد مصر بعض النواب البريطانيين في مجلس العموم ورأى أنها قد جنت من قطنها ما يسد ديونها ولم يدر أن هذه الثروة الضخمة لم تلبث حتى تسربت إلى أيدي أخرى كانت أحزم وأعقل وأعلم بالعواقب ، لأن المصريين جعلوا الائتمان في هذا العام الشاذ قاعدة وقاسوا عليها ولم يعلموا أنها نتيجة لإفهار المغازل طول الحرب ، فقاموا عليها ما يأتي من أعوام ، واندفعوا في شراء الأرض التي تنتج لهم القطن الذي يبيعون قطنهم بخمسين جنيهاً فغلت أثمانها لكثرة الطلب ، ورأت شركات الأراضي في ذلك فرصة فباعته ما تحت أيديها من أرض وقبضت بعض الثمن وأجلت باقيه ، فلما جاءت السنة التالية هبطت أثمانها إلى خمسة جنيهات فأصبحوا مدينين بدين لا يجدون له وفاء ، فرجعت إلى الشركات أراضيها وفازت بما عجل من ثمنه ، وربما نزع ما لهم من عقار تليد ، ثروة لم تمسك بأيدي المصريين إلا ريثما دخلت خزائنتهم ثم خرجت كأنما قد عنوا بقول الشاعر :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

لهذا كله أهيب بأمتي أن تعرف للعقل قيمته التي لا تعلقها قيمة لشيء آخر فتسعى لاستكماله فيها سعى من يعلم أنه إن حرمه هلك ، ولا تطمئن إلى شيء حتى تبلغ بعقولها مبلغ أرقى أمة في العالم .

لم يحرص الإسلام على شيء كما حرص على أن يستعمل المسلمون عقولهم وينمواها ويعيشوا بضياء عقولهم في ظلمات هذا الوجود .

وماذا كان يفعل في التنفير من الجهل والحق أكثر من قوله : « إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .

وماذا كان يفعل في بيان شرف العقل والعلم أكثر من قوله : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وهل هناك ما يحض على استعمال العقل وتحريك الفكر أكثر من قوله ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ، .

« ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ، .

« قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، .

وما أكثر ما تقرأ في ختام الآيات أفلا يعقلون ، بل أكثرهم لا يعقلون ، ولقد ارتضى الله أن يحكم العقل بينه وبين خلقه ، فكثيراً ما تحكم في القرآن إليه ورضى حكمه .

ولقد بغض في إهمال العقل وعدم استعماله وكره أن يكون أداة مهملة يطفئه صاحبه ويمشي في الظلمات وقد جعله الله نبراساً يضيء له أينما سار ، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كانت آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، « لانا أطلعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، .

« إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، والظاهر أن الإسلام أراد من المسلم أن يعمل عقله ولا يهمله ولو أدى إلى خطأ ، ويدل على ذلك أنه جعل للباحث الذي بحث واستقصى أجرب إن أصاب ، وأجر إن أخطأ فأثابه على خطئه ولم يجعل للكسلان الذي أراد السلامة شيئاً من الأجر .

هذا الهدى الإلهي حجب السالفين الأولين من المسلمين في عقولهم فحرصوا عليها واستعملوها وكانوا ييغضون التقليد في الدين . فقد قال ابن مسعود : أغد عالماً أو متعلماً ولا تغد إمعة فيما بين ذلك - والإمعة هو المحقّب دينه الرجال - وقال عبد الله بن المعتز : لا فرق بين بهيمة تقاد ، وإنسان يقلد ، ولكن خلفت خلوقاً أهملوا عقولهم ورضوا بالتقليد في أمر دينهم ودينام واستناموا إلى الكسل العقلي فلا يقرءون إلا السهل ، ولا يقفون أمام مشاكل الحياة ييغون حلها بل يهربون منها ما دامت تكافهم تفكيراً وعملاً عقلياً ، ولو مروا عقولهم على العمل والابتكار لوجدوا لذتهم في العمل العقلي الصعب ولبحثوا عن المشكلات لحلها جرياً وراء اللذة العقلية .

إن العقل الذي كان يعيش به أسلافنا في حياتهم السهلة البسيطة لا يكفينا اليوم لنعيش به في حياتنا الصعبة المعقدة فلا بد من ترتيبته وإنمائه وتعويده حل مشكلاتنا لنعيش سعداء .

لا أدري لم لم يفهم علماء المسلمين من هذه النصوص الكثيرة أن العناية بالعقل وتربيته وإنمائه حتى يبلغ مرتبة النظر الصحيح وحتى يمرن على العمل الفكري ويأنف من التقليد فرض من فرائض الإسلام كالصلاة والصيام والحج، أكانوا يريدون نصوصاً أصرح من هذه وأؤكد، إن الأوامر الدالة على وجوب ما ذكرنا لم تبلغ مبلغ الأوامر الدالة على وجوب النظر وعلى تحريم التقليد وعلى المحافظة على أعمال العقل وإنماء الفكر.

إنهم لو هودوا إلى ذلك لكان هناك علم واسع يشبه علم المنطق ويزيد عليه في معرفة ما يؤدي إلى السكسل العقلي والركون إلى التقليد لتجنب، ومعرفة ما يؤدي إلى النشاط الذهني والأنفة من التقليد لتتبع، ولأن من وراء ذلك كله إنماء العقول في البلاد الإسلامية حيث جعل فرضاً متعبداً به يأثم تاركه ويثاب فاعله.

أريد أن ألفت المسلمين إلى عقولهم ليعلموا أن فيها كنوزاً خيراً من كنوز الدنيا جميعها. وما بالك بكنز إذا ملئته صاحبه جعل كنوز الدنيا كلها وكنوز الآخرة كلها تحت قدميه.

أريد أن يتدارك المسلمون ما فاتهم من العناية بعقولهم، وأن يعلموا أنه واجب تحتمه عليهم ظروف الحياة القاسية ليتخلصوا من شرورها وآثامها كما يوجب عليهم دينهم الذي ارتضاه الله لهم.

إننا في هذا العصر الجديد نريد أن نرقى في كل شيء، نريد أن نرقى في الزراعة، والصناعة والتجارة، وفي مستوى المعيشة، ولن نرقى في شيء من ذلك إلا إذا رقيت عقولنا وارتفعت إلى مستوى أعلى من المستوى الذي هي عليه الآن.

إن كل رقى يأتي من الخارج يدوم ما دام ذلك الخارج، فإذا زال زال.

أما الرقى الذي يبقى فهو ذلك الرقى الذي يأتي من داخلنا ومن عقولنا فتستدير العقول وتير لنا طريقنا وتوحى لكل فرد منا بما يجب عليه في هذه الحياة فإذا كل شيء في حركة وكل شيء في تقدم، وكل شيء في نظام، هذا هو الطريق ولا طريق سواه.

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

نفحات القرآن

ولم لا أكتب عما يجيش بالخواطر من نفحات القرآن ، وما لها من الأثر الواقعي في تهذيب النفس ، وتربية الخلق ، وتغذية العقل ، وحياء القلب ؟؟

أليس ذلك أليق بنا ، وألزم لنا ، وأجدى على الناس مما يفشره آخرون من باطل القول بنسخ القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ ، وبأن الدين لا يتصل بالسياسة والحكم ، وأن الناس يملكون التحلل من نصوص القرآن طواعية لما يرونه مصلحة لدينامهم ؟؟

كنا نربأ بتلك الأفلام عن فتنة الناس في دينهم بهذه النزعات التي أثيرت من قبل ، ثم قبع في وكرها ولم يعد لإيقاظها اليوم سبب مفهوم .

وكنا نغضب ونطمئن لما يطلع علينا به أولئك السكرام الكتّابون ، حتى حملت إلينا عنهم مجلة تسمى نفسها رسالة الإسلام ، وتسمى نفسها لسان القريب ، فباعدت بيننا وبين الثقة فيما يكتبون ، وأوحت إلينا - بمسلكها في ترويح الضلالات - أنها نصبت نفسها للتفريق لا للتقريب ، وأنها لا ترى بأساً من تشكيك المسلمين في أحكام القرآن ، وإطلاق العنان لكل من كتب فيها ولو كانت كتابته أباطيل .

أنستطيع أن نقول لأوائك الأفاضل : وقروا كتاب الله ، ولا تهتكوا حرمانه ، ولكم في مجال الفكر متسع ، فأشعروا أفلامكم فيما ينفع ، لا فيما يضر ؟؟ ولكن كأن قائلهم يقول وهو واثق من شذوذه :

كل من في الوجود يطلب صيداً غير أن الشباك مختلفات

وبعد ، فما بنا من حاجة إلى الانصراف عما نحن بسبيله ، والانسحاق وراء هذه النزعة ، ونحن نتجه بالقارىء إلى ما أهدفتنا إليه .

استنفذ البحث في جوانب القرآن جهوداً وجهوداً من العلماء ، وسائرته الأجيال قروناً وقروناً من الزمن ، فما استعصى عليهم هديه ، ولا ضاقت بهم رحابه ...

وقد عنى القرآن أى عناية بالتربية الخلقية ، والاتجاه بالإنسانية نحو مثلها العليا ، وإحاطتها بسياج من الإرشاد ، لا وهن فيه ، ولا إرهاق ، ولا سامة منه ، وإن تردد على الأسماع بكرة وعشيا .

وها نحن - وقد عشنا والحمد لله في أحضان القرآن - وإن كانت نزعتنا الدينية لم تبلغ مبلغها من الكمال ، نرى القرآن مغرباً للأسماع ، تنصت لإيمه وكأنها تلتهمس فيه كل حين من نشوة القلب شيئاً غير الذى سبق لها أن وجدته ، وتقبل عليه وكأنها تحس في طيه نقائس مكثرة غير الذى وقفت عليه من جهود الباحثين طوال القرون .

ولا نزال نعهد في القرآن إذا خلى ما بينه وبين القلب من هو الحياة ، وإذا تهيأت له النفس صافية من شوائب الغرور : كأنه والحالة هذه في مطلعته الجديد سحراً ، وجاذبية ، وطرافة .

وما تستطيع فطرة لإنسان أن تتعاضد على الإعجاب به ، إلا أن تكون فطرة منقوصة ، أو مدخولة بالآفن ، أو سادرة في تبعية غاشمة جهلاء ...

ومن المسلم به أن للقرآن في خطاب الإنسان مسالك تتنوع بتنوع المقام والغاية : فأنت تراه مرة يشتد بالأئمة في تعنيفه ، ويصفه بما فيه من نقائص ، وبما يلزمه من هزات ، وتراه يذكره بما نسى من ضعفه وهوانه ، ويمن عليه بما يغمره من فضل الله ونعمائه مع تذكره للنعمة ، وصلفه عن تقدير الفضل وشكرانه .

ذلك التجنيه ليقم عليه الحجة ، ويكفه عن غلوائه ، ويلفته إلى الجانب الإلهي لفته فيها استكانة ومذلة ، وفيها ترضية وتقرب ، وفيها آدمية وادعة دائماً أمام جبروت إلهي وسلطان . يلهج القرآن في ذلك بأن الإنسان ظلم كفار ، وأنه يطغى أن رآه استغنى ، وأنه مختال غفور ، وأنه يصمر خده للناس ، ويمشى في الأرض مرحاً ، وإن كان لا يخرق الأرض ولا يبلغ الجبال طولاً ، وهكذا ، بما يعاب في نظر الإسلام ، وفي نظر التربية الحقة .

وحينما ينظر القرآن في الإنسان إلى جانب العقل الذى آثره الله به ، وينظر إلى مقوماته الأخرى التى رفعت على غيره إلى تعاليم الخلافة في الأرض عن ربه يسلك في خطابه مسلكاً لنا ، فيه رفق ، وترويح ، وفيه تلمظ يثير به الحساسية الكريمة ، ويستنهض به الوجدان الحى ، ويندبه ندباً لا قهر فيه إلى التجميل بالكمال الخاق ، والرفع عن المهانات .

ووسيلة الكتاب العزيز في هذا الجانب إما خطاب صريح ، أو تعريض وتلويح .
فأنت تراه يرفع من شأنه إذ يناديه « يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الآية ،
« قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ، الآية ، « يا أيها الناس أقمم الفقراء إلى الله ، ، « قل يا أهل الكتاب تعالوا
إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، وهكذا مما يكثّر مثله في نسق القرآن .

فهذه نداءات هينة ، فيها تفاهم ، وإيقاظ للشاعر ، وهو توجيه معسول ، لا يظفر به
المراء إلا إذا قصد القرآن أن يستدرجه إلى الهداية ويستلين جانبه إلى الخير لنفسه ، ولم يتركه
تكتشفه الاخطاء ، وتحيط به الرذائل ، ثم يستبد به اليأس ، ويجم على صدره القنوط .

وإن يكن ذلك منوطاً بالسياق اللفظي ، أو متصلاً بالمصطلحات الفنية في طرق الدلالة
وما يحيط بها من تعليقات ، فقد سما القرآن عن الوقوف عند المصطلحات فيما تخيره من
أسلوب التعريض والتلويح ، وعمد في التربية بهذا الأسلوب إلى الإيحاء ، واعتمد على روحانيته
في الدعوة التهديبية لا في الاحكام والتكاليف العملية .

ويجب - فيما أفهم - أن نلاحظ هذه الروحانية ، وألا نتجاهلها كوسيلة في التربية : بل
في التربية المثالية التي لا تكاد تدرك بالنظم الوضعية . وعلماؤنا لا يمانعون - فيما أعلم - أن
لكلام الله إشعاعاً نيراً ، ونفحاً أريجاً ، ولعل فينا من يستمع فيحس للآيات إشعاعاً يدخل
إلى القلب فيصحو من غفوته ، ويحس بنفحة السياق تنضوع في جنبات نفسه ، وحنايا صدره
فيشط منه الوعي ، وتنشع الحساسية المعنوية ، وتركز في القلب بجوى القرآن ، ويكون
من أثر هذا الإيحاء في التربية والتهديب نصيب ، أى نصيب ؟ ؟

وقد تبدو لك هذه الظاهرة في كثيرين ممن لا علم عندهم ولا تعلم : نهش وجوهم للقرآن
وتبدو عليهم ملامح التذوق لحلاوته ، حتى ليفصح بعضهم عما يحتاج شعوره ، وأحسب أن
هذا التأثير هو ما سماه الاعرابي حلاوة وطلاوة ، حينما راعه القرآن بقوته ورفقه معاً ،
فأعلن شهادته : إن هذا ليس من قول البشر . وليس يستكدر هذا الوصف من يذكر أن
القرآن نزل ليسمع قبل أن يكون متلوا ، وأنه للتأثير بأسلوبه وروحانيته أكثر مما هو مجرد
التلاوة والتعبد بها ، حتى كان خصومه من قريش يدركون ذلك بسليقتهم ، ويخشون على
أنفسهم وأتباعهم أن يحمل القرآن فيهم عمله ، فكانوا يتحاشون سماعه ، ويتناجون بالتحذير
من ذلك ، وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه لعلكم تغفلون .

ولدينا أمور تؤكد ما نقول إن كان بحاجة إلى التأكيد : منها - أن النبي ﷺ كان يتهافت حين النزول على تلقف ما يسمعه من جبريل ، فأمره الله أن ينصت قبل أن يتلو ، ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إلهك وحيه ... ، ، لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، .

وإذا كان ذلك للتعليم ففيه الدلالة الواضحة على أن الإنصات مطلوب من يسمع ، كما طلب إلى النبي ﷺ أن يرتل القرآن ترتيلا ، وكما طلب إلينا مع ذلك كله أن نتدبر آياته ، وليس للإنصات ، والتدبر ، والترتيل من حكمة واضحة سوى التفريغ لسماعه والإقبال على تفهمه ، وهذا مجال تنساب فيه الروحانية والعظة إلى النفس انسيابا .

ألم يطلب إلينا النبي ﷺ أن نحسن القرآن بأصواتنا ؟ ولقد كان هو نفسه يطرب لسماعه من صوت جميل ، كما حدث عن نفسه لأبي موسى الأشعري إذ سمعه يقرأ في جوف الليل فأصغى إليه في إعجاب ، ثم ذكر ذلك صبحاً لأبي موسى فقال له : لو علمت أنك تسمعي لحبرته لك تحبيرا ، يريد تجويده بصوت أحسن مما سمع الرسول وطرب له . ولقد كان تكبير القرآن شديدا جديدا على كفار قريش إذ رأهم يقاومونه بعواطف متحجرة ، ويستقبلونه بصدور حائقة ، وليس يحول بينهم وبين الاستجابة له إلا أن يحاولوا توجيه نفوسهم ، أفن هذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولا تبكون ، وأنتم سامدون ؟ فاسجدوا لله واعبدوا .

وكذلك : من الأمور التي تؤكد ما نقول ، أن القرآن يعتمد على الإيماء - إلى جانب ما سلف - من طريق بارزة أكثر . وهي : ضرب الأمثال ، والإشادة بالأنبياء والصالحين والتوبيه بشأن الأزمنة والامكنة التي جعل الله لها اعتبارا أرجح من سواها .

فن الأمثال ، ألم تركب ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها - الآية ، إلى أن قال : ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .

وواضح أن ليس القصد مجرد المقابلة بين شيء حسن وآخر قبيح ، بل ما يوحى به ذاك التمثيل ، ويستدعيه من فطنة ومتابعة ؛ وهكذا في بقية الأمثال ، ومن أجل ذلك امتن الله علينا بضرب الأمثال ، وعاب علينا أننا لا نهتدي بهديها لأننا نكون حينئذ في معزل عن محيط العقلاء ، ولسنا من ذوى الأبواب ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ، وما يذكر إلا أولو الأبواب .

وكذلك في قصصه لسير الانبياء وذكر مناقبهم وذكر الصالحين الذين سبقوا، فهو حين يصنفهم بقوله « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، أو بقوله « والذين اعتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ، لا يقصد مجرد خبر عنهم ، فليس القصد التاريخي غاية أولى للقرآن . وإنما يوحى إلينا أن نعمن في الآيات مثل ما أمعنوا ليتجلى من أسرارها ما تسكن إليه النفس ويزداد به الإيمان ويتم عليه الخلق الكريم .

وكذلك إذا نوه بشأن الاوقات والاماكن ، فإنما يوعز إلينا بما لها من فضل ، ويحثنا على انتهازها فرصاً نغتنم العمل فيها ؛ فهو يذكر الفجر ، والليالي العشر ، ويذكر الصبح ، والعصر ، والليل . ويذكر الغدو والآصال الخ ...

فإذا رجع الإنسان إلى كل هاتيك النواحي ، ولحظ أنها منوطة بفضل ، وأن لها من أجل ذلك اعتباراً خاصاً تبين له أنه يعيش في إطار من نظام التربية ، وأنه واجد من وسائلها ما يحصن به نفسه كل حين إذا لم تغلب عليه شقوته .

وإذا فطن المرء إلى أن الإسلام وفر لاهله العظة ، ورجع بهم مرة إلى سير السابقين ، وإلى ضرب الامثلة ، أو دفعهم مرة أخرى إلى اغتنام الاوقات والاماكن التي لها اعتبار خاص كالمساجد ومجالس العشاء ، تبين له أن هذه معالم هداية تجتمع الامة عليها في نهارها أو ليلها ، وترتبط بها كتوثيقات وعهود بينها ، فتكون مستمدة منها تقوية للصلة ، وأرتباطاً في الشعور والاتجاه .

وهكذا سيظل القرآن بيننا منارة وضياء وإن أعشى ضوؤها عيوناً رمداء ، وسيظل روضة فياحة وإن زكمت لنفحها أنوف .

عبد المظيف محمد السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

السنن

تجربة العاملين

أساس الاختيار - القوة والأمانة - تولية الأقارب - الحرص
على الولاية - الإنقاذ من الطغيان - خيار الأئمة وشرارهم

عن أبي موسى رضى الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عَمِي ، فقال أحد الرجلين : يا رسول الله أُمّرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ؛ فقال : « إنا والله لا نولى على هذا العمل أحداً سألهُ ، ولا أحداً حرص عليه ، .

وعن أسيد بن حضير رضى الله عنه أن رجلاً من الانصار خلا برسول الله ﷺ ، فقال : ألا تستعملني كما استعملت فلاناً ؟ فقال : « إنكم ستلقون بعدى أثره ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ، . رواهما الشيخان ، واللفظ لمسلم .

* * *

عرضنا في الحديث السابق لهدى النبي ﷺ في تقدير الكفيا من صحابته ، والاستعانة بهم على بناء أمة قوية رشيدة ، جدبيرة بأن تكون من أمم الأرض جميعاً موضع القدوة والإمامة ، مصداقاً لقول بارتها جل ثناؤه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .

ونعرض في هذين الحديثين لهدية صلوات الله وسلامه عليه وحسن سياسته في تخيير عماله ، وتوجيه كل منهم إلى الوجهة التي أعده الله لها ، والانتفاع بالموهبة التي مازاه الله بها ، وكل ميسر لما خلق له .

« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ، فهو صلوات الله وسلامه

عليه - بشهادة ربه - معلم أمته الاول ، وإمامها الامثل ، وقائدها الاعلى ، وأسوتها الحسنة ، في كل ما جاءت به شريعته الباقية الدائمة ، وما دعت إليه رسالته العامة الخالدة : من إقامة دينهم ، وولاية أمرهم ، وسياسة دولتهم ، ورعاية مصالحهم ، في الحضر والسفر ، والسلم والحرب ...

لا جرم أن هذه أعباء جسام ، وشئون عظام ، لا بد أن يعاون الإمام الأعظم فيها ولاية وأمراء ، وقواد وعمال ، وقضاة وهداة ؛ يمثلونه في حفظ الدين وسياسة الدنيا عامة ، وفيما وسد إلى كل منهم خاصة ، ولئن قضى ربك أن يجعل هباده درجات ، وأن يقسم بينهم الكفائيات ، لقد قضى - بشهادة المعصوم عليه السلام - أن يكون أصحابه أوفى الناس من الفضائل والمكارم حظاً ، وأعظمهم سداداً ورشداً ، كما هدى خاتم النبيين ، لفضائل الرسل السابقين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .

وكان صلوات الله وسلامه عليه أدرى الناس بأصحابه ، وأعلمهم بما يصلح له كل منهم ، وبما يجدر به أن يتولاه ويحسن البلاء فيه ، قرب شيخ وقور يصوم النهار ويقوم الليل ، ويُسْتَسْقَى بوجهه الغمام ، لا رأى له في الحرب ؛ ورب فتى محنك ضرغام ، يقود الجيوش ، ويخوض المعارك ، وينازل الفرسان والابطال ، لا خبرة له بإدارة الاموال وحساب الخراج ؛ ورب قوى في الدين ، راسخ في اليقين ، لا يغنى في ولاية أمر يسير ، غناء من هو أقل منه شأنًا ، وأضعف منه يقينًا . ومن هنا كانت معرفة الرجال ، وتوزيع الولايات والاعمال ، على ما تقتضيه المصلحة الخالصة والسياسة الراشدة - من أخص صفات الأئمة الهادين ، والولاية المقسطين ، وفي المقام الاول منهم أنبياء الله ورسله ، فقد عرفهم الله سبحانه طبائع النفوس ، وسياسة البشر ، وكل ما تحتاج إليه الدعوة ؛ ليدعوا إلى الله على بينة وبصيرة .

* * *

على هذا الأساس جرت سياسته عليه السلام في شئون الدولة الإسلامية . ومن عرف أن خلقه القرآن ، يرضى برضاه ويسخط بسخطه ، ويتأدب بأدبه — علم أن هديه في الإمارة والولاية على الجيوش والبلدان والصدقات وغيرها من مرافق الدولة ، هو هدى القرآن الكريم نفسه ، الذي يفرض أول ما يفرض تحقيق خلتين لا مناص منهما للنجاح في الأعمال وأدائها على وجهها كاملة غير منقوصة ، نانكم القوة ، والامانة ، وإن شئتم فقولوا : الحفظ ،

والعلم ، كما قالت ابنة الشيخ الكبير ^(١) في شأن موسى عليه السلام : « إن خير من استأجرت القوى الأمين ، وكما قال قبلها الصديق عليه السلام لملك مصر : « اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليهم » .

* * *

والقوى على الأمر الذى يسند إليه هو العليم به ، البصير بمدخله ومخارجه ، القدير على إحكام خطته ، وإنفاذ سياسته ، على مقتضى العلم والحكمة ، والمصلحة العامة ، وإيثار الحق والعدل على نفسه وأهله والناس أجمعين .

وليس القوى بالفظ الغليظ ، ولا بالمتكبر الجبار ، الذى يتسلح بسلاح العظمة والجبروت ساعة من نهار ، ثم يلقيه مهزوما أمام الشهوات والاهواء . ولقد رأينا رأى العين أن أصلب القادة عودا ، وأقوم الهداة طريقا ، أرقهم قلبا ، وألينهم جانباً ، وأولاهم بالرعية حباً « فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

والأمين على الأمر هو الحفيظ عليه ، والحريص على أدائه كما حمل ، الذى يدرك بإخلاصه لله عز وجل ، ثم بصدقه ونصحه وكياسته ، ما لا يدرك الخائن بإخلاصه لنفسه ، ثم بكذبه وغشه وشطارته ^(٢) .

والإمام الأعظم ونوابه ومن يعاونه في سياسة الدولة من بطانته وأهل مشورته ، أحوج الناس إلى التخلق بالقوة والأمانة ، والحفظ والعلم ، والتطبع بها حتى تكون منهم بمنزلة الخليفة الثابتة ، والسجية المتأصلة ، وإلا نغير لهم أن يتنحوا عن سياسة الأمة طائعين ، قبل أن ينحيمهم الأقوياء والأمناء يوماً ما مكرهين مدحورين .

* * *

ومن دقائق السياسة النبوية التى يحجدها أو يجهلها من لا يقدر النبي ﷺ قدره ، ألا يولى العمل أحداً سأل أو حرص عليه ، ولا سيما إن كان من يغنى غناؤه كفاية ورشداً ، بل أنه من يفضلّه ويزيد عليه . وذو الكفايات في العهد النبوى أكثر من أن يحصهم العد . ومن هذه الدقائق التى تطالع الناظر في السنة النبوية أنه صلوات الله وسلامه عليه إن

(١) المشهور أنه شعيب النبي الموصول عليه السلام ، وعليه أكثر المفسرين .

(٢) شطر فلان على أهله من بابي قتل وظرف : ترك موافقتهم وأعيام لوما وخيما .

آنس من السائل رفقا ولطفا وكان في سؤاله أقرب إلى العرض والاستشارة ، تطف في إجابته وبين له وجه المَعذرة في الرد ؛ وإن آنس منه إلحافا وحرصا اقتصر على إجابته بمجرد الرد ؛ ليعلمه أن الحفي بالسؤال والحريص على الأمر قلما يواتيه التوفيق والرشد ، وأن من آتاه الله الإمارة عن غير مسألة أعانه عليها ، ومن آتاه الإمارة عن مسألة وطلب وكله إليها ، ومن وكله الله إلى غيره فالويل له !

وما قصة أبي موسى الأشعري ، وأسيد بن حضير الأنصاري ، رضى الله عنهما إلا شاهدان من الشواهد التي لا تحصى على صدق هذا الهدى الحكيم النبوى :

قدم على أبي موسى رجلا من أبناء عمومته الأشعريين فقالا انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإن لنا إليه حاجة ، ولم يخبراه ما هي ؟ ولم يسألها عنها . وما إن ذهب بهما إليه صلوات الله وسلامه عليه حتى سألاه أن يؤمرهما على بعض البلدان التي جعلها الله تحت يده ، فقال النبي ﷺ : ما تقول يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس ؟ كأنه يلومه في أمرهما ، فاعتذر له أبو موسى مقسما بمن بعثه بالحق إنهما لم يطلعا على ما في أنفسهما ، فقبل هذره وصدقه ، وقال لهما إنا لن نستعمل على عملنا من أراده ، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى . فبعثه على اليمن ، ثم أتبعه معاذ بن جبل ، فكان كل منهما على عمل مستقل ، وكانا يتزاوران ويتعاونان ويتذاكران قيام الليل ...

ولم يول هذين الأشعريين عملا حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى صلوات الله عليه . وكذلك الحرص على الأمر مع الإصرار عليه لا يزيد طالبا إلا بعداً عنه .

ولقد كان خيراً منهما أسيد بن حضير رضى الله عنه ، وهو نفسه الذي خلا برسول الله ﷺ ، وفلان الذي يعنيه هو عمرو بن العاص رضى الله عنه ، كما قال صاحب الفتح ، وكأنه كفى في الموضوعين ولم يصرح رمزاً إلى معان من الأدب واللفظ لاتخفى على ذى لب .

لم يكن أسيد حريصاً على طلب الولاية ولا مصرأ ، بل كان إلى العرض والاستشارة أقرب منه إلى الطلب والحرص ، ولذا لم يجبه الرسول ﷺ بما أجاب به الأشعريين ، وإنما أفهمه بلطف أن مصلحة المسلمين العامة — وهي مقدمة على المصالح الخاصة — تقتضى ألا يوليّه العمل ، لا غمطاً لحقه ، ولا نقصاً لفضله ، ولا إشاراً لغيره عليه ، فقد علم الناس من هم الأنصار ، ومكانهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وقد كان أسيد من أفاضلهم

وأسبقهم إلى الإسلام ، وحسبه شرفاً أنه أحد النقباء ليلة العقبة ، وأنه من ثبت يوم أحد ، وأن أبا بكر رضى الله عنه لم يكن يقدم أحداً من الأنصار عليه . بيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم اختار عمراً للكفاية البادرة في الحرب وعظيم بلائه ودهائه فيها ، وسياسته في ولاية الأمور ، وفتوحاته وبلاؤه في الإسلام أشهر من أن تذكر . وما أجدره بشهادة عمر رضى الله عنه وقد رآه ذات مرة يمشى فقال ما يبغي لأبي عبد الله أن يمشى على الأرض إلا أميراً . وما كان اختياره صلى الله عليه وسلم عمراً أو تأميره إياه على العمرين والسابقين من أصحابه ليقدمه عليهم في الفضل ، إنما هي مصلحة المسلمين فوق كل شيء . ومن القضايا الثابتة أن للزينة لا تقتضى الأفضلية .

ثم زاد أسيداً طمأنينة بأن الإيثار للهوى وللحفظ الدنيوية لن يكون في عهده صلى الله عليه وسلم ، وإنما يقع بعده حينما تفتح لهم الدنيا ويتنافسون فيها ، وإن عليهم حينئذ أن يصبروا ويرضوا خشية الأحداث والفتن ، وسيلقونه صلى الله عليه وسلم على حوضه المورود راضياً عنهم . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وإخباره صلى الله عليه وسلم بهذا ونحوه من أعلام نبوته .

* * *

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون من بعده يولون الأقوياء الامناء شئون الدولة ، ويؤثرون مصلحة الأمة على ما سواها لا يباليون أن يكون الأمير صغيراً أو كبيراً ما دام للإمارة أهلاً ، وحسبنا ما قدمنا في أسامة بن زيد رضى الله عنهما ، في الحديث السابق . غير أن العمرين رضى الله عنهما بالغوا في الحزم والورع واتقاء الشبهات فأغلغوا في وجه الأهل والأقارب باب الولايات ، حتى فتحه ذو النورين رضى الله عنه ، فلما عوتب في ذلك أجاب بأن له في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، فقد ولى أولى الكفاية من أقاربه ، وبأن الخليفين بعده منعا أقاربهما في الله عز وجل وأنه يعطى أقاربه في الله عز وجل ، ولئن كان كل منهم على هدى ونور من ربه ، إن طريقة الخليفين أحكم وأحزم ، وطريقة ذى النورين - على شاكلته - أرفق وأرحم . أما الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم فهو المؤيد المعصوم الذى لن تحوم حوله شبهة ولن يقترب من ساحته هوى .

* * *

إن الحرص على الولايات والتنافس فيها ، وتولية غير ذوى الكفايات والامانة ، كل ذلك أدى إلى سفك الدماء وهتك الاعراض واستباحة الاموال ، وظهور الفساد فى البر والبحر ! بل أدى إلى قتل الكفايات وإهدارها ، والطمع فى رياسة الاعمال وسياسة الامم بالرشا والنفاق والدهاء والمكر !! ولأنه ليؤذن لأولى الكفايات حينئذ أن يطلبوا الإمارة ويحرصوا عليها قصداً إلى الإصلاح ما استطاعوا . بل يجب عليهم الطلب والحرص وجوباً لا رخصة فيه إذ لم يكن من ولايتهم بد . وحق عليهم أن يفتنوا على أنفسهم إذ لم يفتنوا عليهم أحد . ومن هنا قال الصديق عليه السلام لملك مصر « اجعلنى على خزائن الأرض ، وربما أوحى الله إليه أن اطلب ذلك من الملك لتؤدى رسالتك كما أداها آبائك من قبل ، وقد جعلت الملك طوعاً ويمينك جزاء ما اتقيت وصبرت !

بل إن حقاً محتوماً على القادرين من الامة وأولى الغيرة فيها والحرص عليها أن يتقنوها من الفساد والطغيان ما استطاعوا إلى الإنقاذ سبيلاً ، ثم لا يمكنوا من ولايتها ورعايتها إلا قوياً أميناً حفيظاً عليهما ، يهديها إلى الحق ، ويبصرها طريق الرشده ، ويفتح لها أبواب المجد والكرامة ...

وعلى ولى الامة الذى تخيرته قائداً لها وإماماً ألا يألو جهداً فى اختيار العاملين المخلصين فى نصحتها وإعلاء كلمة الله فيها ، ولن يكون إلا كما وصف الفاروق رضى الله عنه إذ قال : لا يصلح أن يلى أمور الناس إلا حصيف العقل ، وافر العلم ، قليل الغرة ، بعيد الهمة ، شديد فى غير عنف ، لين فى غير ضعف ، جواد فى غير سرف ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، واستشار عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعض صفوته فى قوم يستعملهم ، فقال له عليك بأهل العذر ، قال ومن هم ؟ قال الذين إن عدلوا فهم مارجوت ، وإن قصرُوا قال الناس اجتهد عمر . والقول الفصل فى خيار الولاية وشرارهم مارواه مسلم عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم » وشرار أئمتكم الذين يبعضونكم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم . قال قلنا يا رسول الله أفلا نتابذهم ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ، ؟

طه محمد السالك

أساس السُّعُورِ بِالمَسْئُولِيَّةِ

أخشى أن تصبح كلمة «المسئولية» في عرفنا كلمة مستكرهة ، لكثرة ما استخدمت أخيراً في أوضاع معينة ، توحى ببعض المعاني الرهيبة أو المهيبة .

فأكثر ما تستعمل هذه الكلمة اليوم في وضع يشعر المسئول فيه بشيء من القلق والخوف ، إما توقعا لجزاء مادي ، كوقوف المتهم أمام القاضي ، وإما توقعا لحرمان أدبي ، كوقوف الممتحن أمام لجنة الامتحان .

لكن الواقع أن فكرة المسئولية ، في أساسها ومنبتها ، ليست لها هذه الدلالات المزججة وإن كانت في بعض أطوارها وملابسها تحوم حولها هذه المعاني .

تفصيل ذلك أن المسئولية صفة تلازم صاحبها في فترة ممتدة ذات طرفين : بداية ونهاية ؛ وأن لها في كل طرف منهما معنى خاصاً ، ودلالة معينة . فالمسئولية تبدأ حين يطالبك الواجب ، ويناديك بمادى العمل ؛ وتنتهى بعد أن تقدم حسابك عما صنعتته في جواب ذلك الدعاء . وبين هذين الطرفين برزخ يطول أو يقصر على حسب المدة المقدرة لإنجاز عملك .

ها هنا إذاً ثلاث مراحل : مرحلة نداء الواجب لإيانا ، ومرحلة إجابتنا لهذا النداء ، ومرحلة المحاسبة والتقدير لقيمة هذه الإجابة .

ولنكتف الآن بالمرحلة الأولى من هذه المراحل ، وهي مرحلة مطالبة الواجب لنا بالعمل . وسنرى أن فكرة المسئولية في هذه المرحلة توحى إلينا معنى القوة لا الضعف ، وأنها تبعث فينا شعور السيادة واليد العليا ، لا شعور الرهبة أو الهوان .

جاوز بطرفك عالم الإنسان ، ثم ارجع البصر كرتين مصعداً منحدرأ ، فيما شئت من العوالم التي تشاهدها في السماء والأرض ، وانظر هل ترى من بينها مسئولاً واحداً عن حاله فضلاً عن حال غيره ؟ هل تسأل الجبال الراسيات عن استقرارها وثباتها ، أو الرياح المتحركة عن حركاتها وتقلباتها ، أو البدر عن استدارته واستنارته ، أو الشمس عن ضوئها وحرارتها أو البحر لماذا هو ملح أجاج ، أو النهر لماذا هو عذب فرات ، أو الطير لماذا لا تعيش في الماء ، أو الأسماك لماذا لا تسبح في الهواء ؟؟ .

إن هذه العوالم كلها ليست مسئولة عن شيء ، لأنها لا تملك شيئاً ؛ فلقد حددت لها الفطرة طريقاً معيناً هي مسيرة فيه ، ميسرة له ، لا خيرة لها في السير على خطها المرسوم ، ولا حيلة لها في الخروج عن مدارها المعلوم . ألا يكون من العبث والحالة هذه أن يطلب إليها سلوك سبيل هي سالكته حتماً بغير اختيارها ، أو ترك مجال هي ناركته حتماً بغير إرادتها ثم ألا يكون من أسفه السفه أن يطلب إليها التحول عما هي ملجأة إليه في كلا الحالين ؟

إن كل إلزام أدبي يفترض فيمن يوجه إليه الخطاب أن يكون ذا شخصية مستقلة ، تعمل لحسابها الخاص ، لا لحساب الطبيعة القاهرة . وذلك يقتضى أول كل شيء أن ينطوى المسئول على إمكانيات متعددة ، وأن يكون أمامه مسائل متنوعة ؟ ويقتضى بعد ذلك أن يكون له من قوى التفكير والتروى ، والمقايضة والموازنة ، ما يمكنه من الترجيح بين الطرائق الممكنة المعروضة عليه ؛ ثم أن تكون له الحرية بعد ذلك ، في التصميم على قبول ما يشاء ورفض ما يشاء من هذه الحلول ؛ وأخيراً أن تكون له القدرة على تنفيذ ما قدره في عزمه ، وأجمع عليه أمره . فكل شيء كان نصيبه الطبيعي الحرمان من هذه المؤهلات كلا أو بعضاً ، وكل شيء ثبتت برامته من الحول والطول ، كان حرياً بأن يأبى حمل أمانة التكليف ، وأن ينفذ يده من كل مسؤولية . وهذا كله لو تأملته ينطوى في معنى الآية الحكيمه : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها » .

من ذا الذى يستأهل إذأ أن يتصدى لحل هذه الأمانات ، ويدعى لنفسه القدرة على التزام النهوض بها ، وعلى الوفاء بالتزاماته ، من بين سائر العوالم التى يقع عليها حسنا ؟ لا شك أنه هو الكائن المجهز بجهاز يستطيع أن يعرفه باختياره ذات اليمين وذات الشمال ، فى استقامة واعتدال ، أو فى انحراف واعوجاج . لا شك أنه هو الكائن المزود بمؤهلات الخطاب ، وقوى الفهم والبيان ، والحرية والإمكان . ذلكم هو الإنسان ، بما هو ذو عقل وإرادة واقتدار ... فهو إذأ الذى رشخته فطرته لهذه الأعباء ، فأصبح ذا مسؤولية ، وموضع أمانة ، وصاحب نفوذ وسلطان ، ومصدر إنشاء وابتكار . وهذا هو معنى ختام آية الأمانة : « وحملها الإنسان » .

الشعور بالمسؤولية إذاً شعور نبيل ؛ لأنه شعور بالاستقلال والتحرر من أسر الطبيعة ، شعور بالقدرة على تغيير معالم الأشياء ، وعلى معالجتها بالعزيمة والإرادة المبسكرة ، شعور بالكرامة التي كرم الله بها بني آدم ، وبالفضل الذي فضلهم به على كثير من خلقه .

والمسؤولية إذاً صفة يستمدها كل امرئ من فطرته الإنسانية قبل أن يتلقاها من واضعي الشرائع والقوانين ، وهي كما قلنا صفة لازمة للإنسان بما هو ذو عقل وإرادة واقتدار ؛ وليست صفة له بما هو مقهور مجبور ، مسير مستخر . ومن عجيب أمر الإنسان أنه يجمع هذين الوصفين المتناقضين في علاقته بالسكون : إنه سيد مسود ، وحاكم محكوم ، ولكن في ميدانين مختلفين فهو في عالم المادة وعالم الحياة ، وعالم النفس ، لا يخرج عن أن يكون جزءاً من هذه العمارة الكونية ، خاضعاً لنواميسها وقوانينها : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان » ، ألا تراه حين يثب في الهواء لا يلبث أن يعود إلى الأرض قسراً عنه ؟ لأنه من حيث هو جسم مادي يخضع لقوانين المادة ، التي من أوائلها قانون الثقل والجاذبية .

أولا تراه في نفسه وهضمه ونبضات قلبه ، وفي نموه واكتفاله ، وشيخوخته وهرمه كائناً حياً ككل كائن حي تسرى عليه قوانين الحياة ؟ ثم ألا تراه حين يأخذ النوم : كيف تساوره الأحلام ؟ وحين تنقلب عليه المؤثرات : كيف يسر ويجزن ويخاف ويأمن ، ويرضى ويغضب ؟ لأنه ذو نفس تسرى عليها أحوال النفوس وأعراضها الجبلية .

الإنسان في هذه الميادين كلها أسير طبيعته ، وسجين فطرته . . . لا جرم وضعت عنه فيها كل الاحمال والاعباء ، لأنه يستوى هو وسائر الأشياء .

لكن له من فوق هذه الميادين ميداناً أعلى ، يملك فيه حريته ، ويبرز فيه سلطانه ، تنقرر فيه مسؤوليته ، ذلك حيث تسلس له الطبيعة قيادها وتمسكه زمامها ، وتمهد له سبلها المختلفة يفتق منها وينتخب : تحليلاً أو تركيباً ، تعميراً أو تدميراً ، وذلك حيث تأذن له قواه البدنية والنفسية وعلامته الخاصة والعامة ، أن يتصرف فيها قبضاً أو بسطاً ، رفعاً أو خفضاً قطعاً أو وصلًا يؤاسى ويأسو ، أو يجرح ويقسو ؛ يألف ويؤلف ، أو يتجبر ويتكبر ، يضيع أماته أو يصونها ؛ يحمي أوطانه أو يخونها ؛ يرفع رأسه إلى السماء طلباً للمثل العليا ، أو ينكس بصره إلى الأرض سعياً وراء زخرف الدنيا .

الإنسان في هذا كله وفي سائر تصرفاته الاختيارية سيد مسئول ، ومسئوليته مشتقة من سيادته ، إنه سيد بتسويد الله له منذ جعله خليفة في الأرض ، فمكثته منها واستعمره فيها ، ولأنه مسئول بموجب هذه السيادة أن يؤدي حقها .

كم من مرة سمعنا الكلمة المأثورة : « إن من نعم الله عليكم حاجة الناس إليكم » ، غير أننا هندسمع هذه الكلمة كننا نفهمها على صورة ضيقة ، وفي نطاق محدود ، إذ كان يبدو لنا أن صاحب المال ، أو صاحب الجاه هو الذي ينبغي أن يعد نفسه في نعمة ، لقدرته على قضاء حاجة المحتاجين . أما الآن فإننا نفهمها في أوسع معانيها ؛ ونستطيع أن نناشد بها الناس جميعاً قائلين : « إن من نعم الله عليكم ، حاجة المجتمع ، بل حاجة الكون إليكم » ، ذلك أن مطالب الحياة والصحة ، والعلم والقوة ، والأمن والرخاء ، والعدل والبر ، والرحمة والإحسان ، وسائر القيم الكبرى ، والمثل العليا ، لا غنى لها طرفة عين عن تضافر القوى البشرية ، وتماثل أيديها وسواعدها ، وتعاون عقولها وقلوبها . فنحن جميعاً شركاء في المسؤولية ، لا فضل الكبير على صغير ، ولا لقوى على ضعيف : كل على قدر وسعه ، وفي حدود متناوله ، مطالب بنصيب قل أو كثير ، في عمارة هذا الكون بالصلاح والإصلاح . وإن كل سهم تبخل به عزيمة من العزائم ، تنقص به لبنة أو لبنات في بناء المجتمع الصالح ، الذي يطالب منا لإقامته بمقتضى خلافتنا في الأرض ، والذي لولا يد الإنسان ما ارتفع له بنيان ، بل لولاها ما تغير وجه التاريخ في هذا العالم . فقد يما قال بعض الحكماء : « أروني ما ذا أضافت العجاووات إلى ما وهبته لها الطبيعة ، منذ نشأة العالم إلى اليوم ! .. بينما نرى الإنسان قد غير وجه الأرض ونقب في أحشائها ... واليوم وقد أمضى العقل الإنساني ألوف السنين في بحث وتنقيب ، لا يزال معينه جارياً لم ينضب ، ولا يزال يبتكر الجديد المفيد . لأنه لا شيء يقف أمام العقل الإنساني ، ولا شيء يضع حداً لكشفه وابتكاره ، إلا شيء واحد ، هو كسله وتراخيه ، »^(١) .

هكذا كل شيء في الكون يتنادينا منذ نشأتنا بأننا مسئولون ، لا بمعنى أننا متهمون محاسبون ، بل بمعنى أننا مقصودون مأمولون . وإن من أكبر دواعي الفخار للإنسانية أن تكون هي محط هذا السؤال العالمي ، ومناط ذلك الأمل الكوني . وهكذا يقين لنا أن المسؤولية في أساسها ليست خطاب تعنيف وتخويف ، وإنما هي

(١) الفيلسوف بروسويه في الفصل الثامن من كتاب « معرفة الله » .

لقب تشریف ، وخطاب تکلیف ، وهی تشریف من حیث هی تکلیف ؛ إذ لا یکلف بحمل الاعباء إلا من هو أهل لحملها .

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم
نعم إننا بفطرتنا مسئولون ، لا سؤال اتهام ومناقشة حساب ، بل سؤال التماس ودعاء ورجاء . وليس الإنسان المسئول هو الذى يلتمس ويرجو ، بل هو المدعو المرجو ...
فالمصالح المادية والأدبية تلتمس منه أن يقوم بأدائها ، والقيم الأخلاقية والاجتماعية والروحية تدعوه أن يتدخل بإرادته وعزمته لتحقيقها ؛ ثم تناشده مؤهلاته ومرشحاته نفسها أن يسرع إلى تلبية هذا النداء السرى العميق ، الذى تبسطه الكائنات بلسان حالها ، قبل أن تبسطه الأنبياء والرسل بلسان مقالها : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

دكتور محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

العربية

رمز وحدة العالم الإسلامى فى الثقافة والمدنية

قال العلامة الألمانى المحقق يوهان فك Johann Fuck فى خاتمة كتابه النفيس عن (العربية) الذى ترجمه الدكتور عبد الحليم النجار .

« إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمى - أساسياً - لهذه الحقيقة الثابتة ، وهى أنها قد قامت فى جميع البلدان العربية — وما عداها من الأقاليم الداخلة فى المحيط الإسلامى — رمزاً لغويا لوحدة عالم الإسلام فى الثقافة والمدنية .

ولقد برهن جبروت التراث العربى التالذ الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر . وإذا صدقت البوادر ، ولم تخطئ الدلائل ، فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هى (لغة المدنية الإسلامية) ما بقيت هناك مدنية إسلامية ، .

طريق الإفادة من الفقه الإسلامي

١ — بعد أن ألمعنا بنشأة الفقه الإسلامي وتدرجه حتى وصل إلى نضجه وكاله ، وبعد أن عرفنا شيئاً من خصائصه التي تجعله نظاماً فريداً يصلح له أمر المسلمين والعالم كله - نقول بعد هذا وذلك ، ما هو الطريق للإفادة من هذا الفقه في حياتنا العملية والقانونية؟ وبخاصة وقد نالت الصيحات من الراغبين حقاً في الإصلاح بوجوب أن تكون الشريعة الإسلامية أساس ما تحكم به الأمة من قوانين على اختلاف فروعها .

ولكي نعرف السبيل للاستفادة من هذا الفقه ، يجب أولاً أن نعرف الغرض من هذا الفقه ، والغاية العليا التي ننشدها منه ومن دراسته . ثم ننظر ، بعد ذلك ، في الطريق التي سرنا عليها الآن في دراسته لنرى إن كنا نسير في هذا على الجادة المستقيمة ، أو قد أخطأنا السبيل .

٢ — والفقه الإسلامي قانون من القوانين التي عرفها البشر ، إلا أنه يمتاز بأنه قانون إلهي في أسسه العامة وأصوله التي قام عليها . والقانون لأمة من الأمم ، سواء أكان سماوياً أم وضعياً ، من شأنه أن يعمل على ما يأتي :

- (أ) حماية عقائد الأمة وتقاليدها الطيبة .
- (ب) صيانة الأخلاق الفاضلة والمثل العليا الصالحة للفرد والجماعة .
- (ج) توجيه الأمة للخير بصفة عامة .

وما صرنا إلى ما نحن فيه من بلاء يتمثل فيما نحسه من انحلال الأخلاق ، والزيف في العقيدة والإلحاد في الدين ، والسير دون هدى ورقابة من الضمير المستقيم ، إلا بسبب ما فرض علينا من قوانين غريبة أو غريبة عنا ، قوانين لم توضع لنا ، بل لم تصلح لمن وضعت لهم من الأمم البعيدة عنا بعقائدها وتقاليدها وأخلاقها ، فأصبح من الواجب رفع هذا الإصر عنا ، وأن نتخذ لنا قوانين مستمدة حقاً من كتاب الله وسنة رسوله .

٣ — إذأ ، يجب أن تكون دراسة الفقه الإسلامي ، في الأزهر وفي غيره من المعاهد الدينية في الأقطار الإسلامية ، قائمة على وجه يؤدي لتحقيق هذا الغرض منه ، وموصلة إلى

الغاية التي فنشدها من الدراسات الإسلامية بصفة عامة ، أى إلى أن يكون التشريع الإسلامى هو القانون الذى تحكم به الامة المسلمة فى مصر وغيرها .

أما أن نجرى فى دراستنا للفقہ فى الأزهر ومثله من المعاهد الدينية ، على طريقة لا يمكن أن تؤدى لما نرجو بل لما نريد ، ثم نلجج فى كل مناسبة بالمطالبة بتطبيق التشريعات الإسلامية فذلك صنيع لا يليق بالمصلحين الجادين فى طلب الإصلاح . ذلك بأن العقل والمنطق السليم يقتضيان على من يريد الإصلاح حقاً ، أن يحدد الغاية التى يريد ، وأن يرسم لها الوسائل والطرق التى تؤدى إليها .

٤ — يجب أن نكف عن تردد : « صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان » ، من غير أن نتقدم بأى عمل يثبت عملياً هذه « الصلاحية » ، ويجايبها للناس ؛ فقد عرف علماء القانون فى الغرب للشريعة الإسلامية قدرها ، وأقروا بذلك فى أكثر من مؤتمر ومؤتمراتهم . ومن هذه المؤتمرات ما كان فى « لاهى » ، عام ١٩٣٨ ، وكان من قراراته : اعتبار الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها غير مأخوذة عن غيرها ، وأنها مصدر من مصادر التشريع ، وأنها حية صالحة للتطور (١) .

علينا أن نكف عن الكلام ، وأن نبدأ العمل الذى كان يجب أن نبدأ فيه منذ زمن طويل . إن علينا بيان الفقہ الإسلامى فى مراجعه الأولى الأصيلة ، ولن يكون ذلك إلا بنشر هذه المؤلفات نشرأ علمياً صحيحاً ييسر دراستها والإفادة منها للباحثين . وبعد ذلك يجيء دور نشر أمهات كتب الفقہ التى عرفها العالم الإسلامى قبل قفل باب الاجتهاد وركود التفكير الإسلامى فى كل نواحيه . وهنا يجب أن يكون هذا العمل شاملاً لكل المذاهب الفقهية المعروفة ، ومنها المذهب الظاهرى وسائر المذاهب الموجودة والمندرسه ، فإن فى هذه المذاهب من الآراء ما قد يؤدى لنا فائدة كبرى فى النهضة التى نريدها .

٥ — ثم - وهذا هو الأمر المهم - لابد من تغيير منهج الدراسة فى الكلية التى يدرس فيها قسم المعاملات من الفقہ فى المرحلة العالية بالأزهر ، وهى كلية الشريعة . ولا نغنى « بالمنهج » ، مواد الدراسة ، ولكن الطريقة التى يدرس بها الفقہ . إنهم يدرسون ما يدرسون من الفقہ فى هذه الكلية دراسة مذهبية فى الغالب من الأمر ، بينما الواجب أن يدرس

(١) من المفضل أن نحتاج لشهادة الأخرس لشريعتنا ، وأن نمر لذلك ونلجج به كثيراً .

دراسة مقارنة . نريد دراسة مسائل قسم المعاملات من الفقه دراسة يقارن فيها المذاهب بعضها مع بعض ، ثم تقارن كلها باعتبارها « وحدة » مع القانون الحديث . وفضل الدراسة المقارنة ، في الفقه وفي غير الفقه ، فضل معروف لا ينكره أحد من الذين يعرفون طرق البحث العلمية المنتجة ، وإذا فلا نطيل الكلام في هذه الناحية .

وقد أدرك رجال الجامعة ، وبعض الأزهريين ، أن هذه الطريقة هي الطريقة المثلى ، وهي في الفقه لازمة جدّ لازمة ، وبها وحدها نستطيع أن نعرف نحن وغيرنا مقدار ما عندنا من كنوز في التراث الفقهي الذي خلفه لنا أسلافنا الأجداد .

٦ — ومن الواجب أن يخص بعض الأسانذة بكلية الشريعة أنفسهم داخل الكلية لدراسة المعاملات المالية الحالية ، هذه المعاملات التي تجري في الأسواق والبنوك ، وتتناول كل محاصيلنا الزراعية من القطن والحبوب وغيرها . ولدراسة هذه المعاملات الحالية على ضوء الكتاب والسنة والفقه الإسلامي ، يجب أن نعرفها أولاً كما تجري الآن .

وسيل هذه المعرفة دراسة علم الاقتصاد السياسي ، كما يدرس على الأقل بكلية الحقوق ، فن هذا العلم تقف على ما يحصل في سوق البضاعة الحاضرة وسوق العقود وأسواق الحبوب^(١) ومنه نعرف أن كثيراً من هذه المعاملات ما قد يتفق مع شريعة الله ، ومنها ما ليس كذلك لأنها تدخل في باب الغرر أو بيع الإنسان مالم يقبض ، وهذا وذاك مانهى عنه الرسول ﷺ وما جاء به من تشريع .

٧ — وهناك مع ذلك كله واجب آخر على رجال القانون هو العمل على استقلال التشريع عندنا فلا يكون تابعاً للتشريع الغربي ، فقد آن لنا - إن كنا مسلمين ومصريين حقاً - أن نحقق هذا الاستقلال في التشريع ، ليسكون لنا تشريع يتفق مع ديننا وقوميتنا وتقاليدها ومصالحنا .

وهنا ، نترك الأستاذ الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهوري يتحدث في هذه الناحية ، إذ يقول^(٢) : « فإذا قدر لنا أن نستقل بفهمنا ، وأن نفرغه في جو مصرى ، يشب فيه على قدم مصرية وينمو بمقومات ذاتية ، بقي علينا أن نخطو الخطوة الأخيرة فنخرج من الدائرة

(١) هذا ليس عسيراً ، فقد أخذت نفسى به هذه الأيام ووصلت فيه إلى ما أردت بفضل الله تعالى .

(٢) من الكلمة الافتتاحية لكتاب النظرية العامة للالتزامات ، الجزء الأول في نظرية العقد .

القومية إلى الدائرة العالمية، ونؤدى قسطاً مما تفرضه علينا الإنسانية ضريبة في تقدم الفقه العالمى، .
 ٨ — ومن أهم الوسائل في الوصول إلى ذلك، كما يقول أيضاً في هذا الموضع الأستاذ السنهورى « العناية بالشريعة الإسلامية : شريعة الشرق ووحى إلهامه ، وعصارة أذهان مفكره ، نبتت في صحرائه ، وترعرعت في سهوله وودياه ، فبى قبس من روح الشرق ومشكاة من نور الإسلام . يلتقى عندها الشرق والإسلام ، فيضىء ذاك بنور هذا ، ويسرى في هذا روح ذاك ، حتى ليمتزجان ويصيران شيئاً واحداً . هذه هى الشريعة الإسلامية ، لو طئت أكنافها وعبدت سبلها ، لكان لنا في هذا التراث ما ينفخ روح الاستقلال في فقهنا وفي قضائنا وفي تشريعنا ، ثم لأشرفنا نطالع العالم بهذا النور الجديد فنضىء به جانبا من جوانب الثقافة العالمية في القانون ، .

٩ — ثم نرى بعد ذلك ، الكاتب والقانونى الكبير يعمل على الإفادة حقا من الفقه الإسلامى فيما يضع من قوانين، وفيما يقوم به من دراسات في كلية الحقوق . يعمل على الإفادة من الفقه الإسلامى بكل ما فى وسعه ، ويلتمس العون على ذلك ممن يتوسم فيه القدرة على العون ، ويدفع طلابه إلى دراسة هذا الفقه والإفادة منه ، ويتمنى أن يرى أهميات كتب الفقه الإسلامى مذكورة ومدروسة على الوجه العلمى الصحيح .

ونستطيع أن نتبين هذا كله من قوله : (١) أما « جعل الشريعة الإسلامية هى الأساس الأول الذى يبنى عليه تشريعنا ، فلا يزال أمنية من أعز الامانى التى تحتلج بها الصدور وتتطوى عليها الجوانح . ولكن ، قبل أن تصبح هذه الامنية حقيقة واقعة ، ينبغى أن تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الإسلامية فى ضوء القانون المقارن . ونرجو أن يكون من وراء جعل الفقه الإسلامى مصدراً من المصادر الرسمية للقانون الجديد ، ما يعاون على قيام هذه النهضة ، .

ومن أولى بالقيام بدراسة الشريعة الإسلامية ، فى ضوء القانون المقارن من رجال الأزهر متعاونين مع رجال القانون المخلصين للإسلام وشريعته ! ليكون من وراء هذه الدراسة جعل الأساس الأول للتشريع الحديث هو الفقه الإسلامى .

١٠ — وحتى يحين الوقت الذى يكون فيه الفقه الإسلامى هو المصدر الأساسى الأول

(١) الوسيط فى شرح القانون المدنى الجديد ، نظرية الالتزام ، ص ٤٨ بالهامش .

- بل الوحيد - للقانون ، أر إلى أن يحين الوقت الذى تكون الشريعة الإسلامية هى القانون فى مصر وسائر البلاد الإسلامية ، ونرجو أن يكون ذلك قريباً بفضل الله تعالى وجهود الأزهر والعلماء من الإخوان المسلمين ، علينا أن نعمل على تقنين الفقه حسب التقنين الذى نعرفه للقوانين العديدة ، أى جعله فى مواد تناسب روح العصر ومستمدة من الكتاب والسنة والروح الإسلامية فيما لا نص فيه . وبذلك ، لا يضل الباحث بين الآراء المختلفة التى تزخر بها كتب الفقه التى لا يكاد يحصرها العاد ، وبذلك يخرج الفقه الإسلامى إلى وضوح النهار والحياة العملية بعد أن ظل قروناً طويلة فى بطون الكتب .

ولنا أسوة فى السوابق التى عرفها تاريخ الإسلام الحديث ، ومن تلك السوابق المجلة العدلية ، وأعمال المرحوم قدرى باشا فى كتبه العديدة المعروفة . والله يوفق للخير ويعين عليه ، متى طلبناه وسلكناه له سبيله الصحيحة .

الدكتور محمد يوسف موسى
أستاذ بكلية الحقوق - جامعة القاهرة

الحق مغضبة

قال أبو سليمان الخطابي فى كتاب (العزلة) : أخبرنى أحمد بن إبراهيم بن مالك قال حدثنا الدغولى أن سليمان بن معبد قال : قلت للأصمعى : ما قول الناس « الحق مغضبة » ؟ فقال . وهل يسأل عن مثل هذا إلا رازم (أى ضعيف هزيل) . قل « ما يُسكعُ أحد بالحق إلا عرم له (أى اشتد وبدت شراسته) . قال أبو سليمان : وأنشدونا عن الربائى :

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المنصح

نشأة كتب الأمال خصائصها

إن هناك نوعاً من التأليف تعرف بالأمالى ، وهى ثمرة من ثمار أساليب التعليم والتثقيف فى الإسلام ، ووليدة نهج أئمة الحديث فى تلقينهم وطرق تحملهم مما سنفصله بعد .
قال حاجى خليفة فى كشف الظنون :

« الأمالى جمع إملاء وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس ، فيستكمل العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم ، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً يسمونه « الأمالى » . وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرها فى علومهم ، فاندurst لنهاب العلم والعلماء ، وإلى الله المصير . وعلماء الشافعية يسمون مثله « التعليق » .
وذكر ابن النديم فى الفهرست :

« ولابى العباس مجالات وأمال أملاها على أصحابه فى مجالسه تحتوى على قطعة من النحو واللغة والأخبار ومعانى القرآن والشعر ، رواها عنه جماعة » .

فهذا الضرب من التأليف لذن يسمى بالأمالى وبالمجالس أو المجالاتس وبالتعليق . وهى كثيرة متنوعة أشهرها أمالى ثعلب أو مجالس ثملب ، وأمالى الزجاجى ، والقالى وابن الشجرى ، والمرتضى ، والخفاجى ، وكل هذه مطبوعة سنصفها إن شاء الله ونذكر خصائصها .

أما ما لم يكن مطبوعاً فهو كثير ، يصادف ذكره الباحث فى معجم ياقوت وخزانة الأدب للبغدادى والمزهر للسيوطى وغيرها .

مثل أمالى ابن الأبيارى ، وأمالى جحظة ، وأمالى ابن الحاجب ، وأمالى الصولى ، وأمالى المرزوقى .

نشأتها

مقدمة :

للرب أساليب مختلفة فى تعليم أبنائهم تعليمياً أدبياً ، وتثقيف فلذة أكبادهم تثقيفاً لغوياً .

أول تلك الأساليب ترويتهم الشعر وتلقينهم الاخبار شفاهاً ، اعتماداً منهم على الحفظ لا على الكتابة .

فقد كانت العرب في جاهليتها أمة تغلب عليها الأمية فهي لا تقرأ ولا تكتب ، وكان كل عربي بطبيعته راوياً فيما هو بسبيله من أمره وأمر قومه ، وأكثر ما كانوا يروونهم الشعر . لأنهم يعتبرون الشعر ديوانهم ، وسجل مفاخرهم ، ومرآة عاداتهم وأخلاقهم .

ولهذا الأسلوب في التعليم محاسنه وله مساوئه :

أما محاسنه فإنه الطريق الوحيد الذى به حفظ كلام العرب وأخبارهم وأشعارهم ، وبعبارة عامة أدبهم .

وأما مساوئه فإن ما حفظ ونقل شفاهاً اعتوره النقص والزيادة والتقديم والتأخير ووضع لفظ موضع آخر . إذ لا يعقل أن الناس - كيفما قويت ملكة الحفظ فيهم - يضبطون كل ما يسمعون بلا تغيير ولا تبديل . وإلى هذا يرجع الاختلاف الذى لا يكاد يخلو منه نص قديم أو شعر جاهلى .

هكذا كان شأنهم في التعليم والتأديب عصر الجاهلية .

فلما جاء الإسلام جرت العرب على مثل عاداتها من رواية الأشعار ونقل الاخبار وحفظ الانساب والايام ، بل توسعوا في ذلك أول عهدهم بالإسلام لحاجتهم في الرد على شعراء المشركين ، الذين كانوا يهاجمون النبي ﷺ وأصحابه . فأخذ كل فريق من أنصار الإسلام وأعدائه يدافع عن أحسابه وأنسابه ويشيد بذكر قومه .

وهناك سبب آخر دعا إلى العناية برواية الشعر ، وهو حاجتهم اليه في تفسير القرآن والحديث . فقد كان ابن عباس يقول : « إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب » .

وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً . وقد ذكر صاحب العمدة أن عائشة رضى الله عنها كانت كثيرة الرواية للشعر .

بيد أن كل ما حفظوه وتناقلوه لم يدون فيه شيء ، ولم يكن فيه إسناد ، حتى انقضى عهد الخلفاء الراشدين فلم تكتب قصيدة ولم يدون خبر ، بل كان عمدتهم في ضبط آدابهم الحفظ والرواية ، هذا عدا ما دون من المصاحف لبعض الصحابة وشيء يسير من الحديث .

ويحسن بنا قبل أن نترك هذا العصر وننتقل إلى العصر الأموي أن نشير إلى أنه في هذا العهد - عهد الخلفاء الراشدين - وجدت أول صورة من صور المعاهد العلمية ، وأول شكل من أشكال الامكنة التي تلقى فيها الدروس ، وتروى فيها وسائل التهذيب والتعليم وهي المساجد ، فقد كان مسجد المدينة منتدًى أدبياً تلقى فيه القصائد ويفشد فيه الشعر فيروى ويسمع ، كما كان موطناً للعبادة وتلاوة القرآن ، فقد اتخذ الرسول ، صلوات الله عليه ، معهداً للتدريس والتلقين والتثقيف والتعليم .

روى البخارى عن أبي واقد الليثي قال : بينا رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ فوقفوا فرأى أحدهما فرجة في الحلقة فجلس ، وجلس الآخر خلفهم .

لا جرم أن يكون المسجد مركزاً للثقافة الإسلامية في أوسع معانيها واختلاف ضروبها ، فذلك أمر طبيعي ، لأن الباعث الأكبر على نشر العلم حينذاك كان دينياً ، فأما كن العبادة مدارس ، وبيوت الله معاهده ، ورجال الدين هم القائمون بمهمة التعليم في حلقات ومجالس ، فإن المدارس بمعناها الفنية لم تعرف إلا في القرن الرابع الهجري .

ذكر الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ، عن قرّة أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس ، جلس إليه أصحابه حلقة حلقة .

وقال أنس : كان الصحابة إذا صلوا الغداة قعدوا حلقة حلقة يقرءون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن .

وعن أبي معاوية السكندى قال : قدمت على عمر بالشام ، فسألني عن الناس فقال : لعل الرجل يدخل المسجد كالبعير النافر ، فإن رأى مجالس قومه ورأى من يعرفهم جالس إليهم ؟ فقلت : لا ، ولكنّها مجالس شتى ، يجلسون فيتعلمون الخير ويذكرونه . قال : لن تزالوا بخير ما دمت كذلك .

ولما خرج ابن ماجة في سنده عن عبد الله بن عمرو قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد ، فإذا هو بحلقتين : إحداهما يقرءون القرآن ويدعون الله ، والأخرى يتعلمون ويعلمون . فقال النبي ﷺ : كل على خير ، هؤلاء يقرءون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلماً ، فجلست معهم .

فلما كان عصر الدولة الاموية تعددت سبل التعليم ، وتوعدت وسائل التربية الادبية اللغوية . فكانت الرحلة إلى البادية لانه في هذا العصر قد شاع اللحن حتى لوث السنة الخاصة فتشدد الخلفاء في تربية أبنائهم على إلف المملكة العربية ، فكانوا يرسلونهم إلى البادية ليروضوهم على الفصاحة ، وينشئوهم تنشئة الاعراب الفصحاء ، كما فعل معاوية بن أبي سفيان في تربية ابنه يزيد ثم استحضار معلمين أو مؤدبين للتعليم والتأديب ليخرجوا أبنائهم في الإعراب واللسن ، كاتخاذ عبد الملك بن مروان مؤدباً لابنه ، واتخاذ هشام بن عبد الملك سليمان الكلبي مؤدباً لولده .

ويذكر الراغب الاصفهاني في محاضرات الادباء أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بنى أمية من يقول لهم : ما أشد ما مرّ بكم في الحبس ؟ فقالوا : ما فقدنا من تأديب أولادنا . ويلاحظ الباحث في هذا النمط من التأديب - وهو ما يعرف في هذه الايام (بالدروس الخصوصية) - أن ولى الامر يضع للؤدب أحيانا المهج الذى يسير عليه في تربية ابنه والبرنامج الذى يدرسه .

روى الجاحظ في (البيان والتبيين) أن عتبة بن أبى سفيان قال لعبد الصمد مؤدب ولده : ليسكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنى لإصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينيك فالحسن عندهم ما استحسنت ، والقبيح عندهم ما استقبحت . وعلمهم كتاب الله ، ولا تكررهم عليه فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه . ثم رومهم من الشعر أعفه ، ومن الحديث أشرفه . ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم . وتهدهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء . وجنبهم محادثة النساء . وروهم سير الحسكاه . واستزدنى بزبادتك إياهم أزدك . وإياك أن تتكل على عذر منى لك ، فقد اتمكت على كفاية منك . وزدنى تأديبهم أزدك فى برهم إن شاء الله تعالى .

فهذه من أجل الوصايا وأنفعها ، وأولى أن تكون دستوراً للؤدبين يحتذونه ، ونموذجاً فى طريقة التأديب يفتحنونه .

ومن أساليب التعليم أيضاً فى ذلك العصر الكتاتيب أو المكاتب بالمعنى المعروف اليوم ، وهو المكان يعلم فيه الصبيان .

فقد ذكر ابن خلكان في ترجمة أبي مسلم الخراساني أنه نشأ عند عيسى بن معقل ، فلما ترعرع اختلف هو ووالده إلى المكتتب .

وقد هجا بعضهم الحجاج فقال : كان هو وأبوه معلمين بالطائف . وكان عبد الحميد الكاتب معلم صبية .

وهنا يجدر بنا أن نقول كلمة عن لقب « معلم » و « مؤدب » ، والفرق بينهما في ذلك العصر الغابر . يظهر أن لقب (معلم) كان أحط الرتب العلمية في عرف ذلك العصر ، وذلك : أولاً — لأنه كثيراً ما يقرن بتعليم الصبية قال ابن خلكان في ترجمة عبد الحميد الكاتب « وكان في الكتاتبة وفي كل فن من العلم إماماً ، وكان أولاً معلم صبية » .

ثانياً — ما ذكرناه من أن الحجاج وأباه قد هجيا بهذا اللقب .

ثالثاً — أننا نجد في كتب الأدب ذكر لقب المؤدب بجانب العظماء كأبناء الخلفاء والخاصة من كبار الدولة حتى بعد هذا العصر ، فيقولون مثلاً إن أبا إبياد كان مؤدب المعتصم ، وكان أبو حفص النحوى مؤدباً لآل طاهر .

وذكر ابن خلكان أيضاً في ترجمة الكسائي أنه كان يؤدب الأمين بن هرون الرشيد ويعلمه الأدب .

وقال في ترجمة ابن السكيت : وكان يؤدب أولاد المتوكل .

رابعاً — ما ذكره الجاحظ نفسه في (البيان والتبيين) بعنوان (باب في ذكر المعلمين) يساعدنا أيضاً على التفرقة بين مؤدب ومعلم . فقد قال الجاحظ في مفتتح هذا الفصل : من أمثال العامة : « أحق من معلم كتاب » فنرى هنا أنه أضاف هذا اللقب إلى الكتاب ثم قال : والمعلمون عندي على ضربين منهم رجال أرتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة . فكيف تستطيع أن تزعم أن الكسائي وقطربا وأشباه هؤلاء يقال لهم محقق .

والرأى عندنا في حملة الجاحظ على المعلمين والتهكم بهم أن يرد ذلك أمور منها مسامرة الجاحظ للعامة في اعتقادهم ومجاراتهم في فكرهم ، لأن الجاحظ ككتاب الصحف في عصرنا يحرصون أشد الحرص على أن يقرأ العامة كتاباتهم ، فهم يهتمون الاهتمام كله لارضائهم والحصول على إعجابهم وكذا كان الجاحظ .

وفىها وربما كان أقواها، احتتمار العرب للهن الى لا تظهر فىها أعمال الرجولة التى تتجلى فى الحروب والغزو وركوب الخيل الى غير ذلك . وليس بمستغرب أن ينظر العرب هذه النظرة الى طائفة تصرف معظم أوقاتها فى مصاحبة الصبية وتحت سقوف البيوت ، بدلا من معايشرة الرجال وانفاق الساعات الطوال على صهوات الخيل وقرع السيوف . والعرب مثلهم فى ذلك مثل فرسان العصور الوسطى الذين حسبوا أن أعمال التعليم إنما تليق بالرهبان والقسوس فاستغنوا عن القراءة والكتابة بأعمال الفروسية والحرب .

أضف الى ذلك أنه ربما اضطر الناس الى احتتمار معلمى الصبيان لما كان يبدو من بعضهم ما يدل على صغر النفس والمسكنة وسخافة العقل والخطورة على الصغار .

ذلك كان الوجه المظلم فى مركز المعلم ، أما الوجه المميز فلا بد من إظهار حقيقة أنه أيضاً للمعلمين ، واعترافا بشرف مهنتهم ، وتقديراً لعظيم جهودهم . فإنه كما اختلفت المعاهد العلمية بين كتاب وجامع ومدرسة ، اختلفت أيضاً درجات المعلمين وتباينت مقاماتهم . فمن معلم صبية الى شيخ فدرس فأستاذ فعيد . مما سنبينه بالتفصيل فى مطاوى هذا البحث .

فإن من الشيوخ الافاضل والائمة المبرزين ما لا ينكر فضلهم على المجتمع الإنسانى علماً وخلقاً ، ويكفى أن نذكر أن الإمام مالك بن أنس طلبه الخليفة هارون الرشيد لياتى إليه ، فأجاب : أن العلم يؤتى ، ، فانتقل الرشيد الى منزل مالك خاشعاً . تبجيلاً للعلم وأهله .

ومن وسائل التأديب والتعليم فى هذا العصر الاموى ما ذكرناه فى عصر الخلفاء الراشدين وهى الجوامع والمساجد فى صورة أوسع وشكل أعم .

أما فى العصر العباسى وما يليه من الأعصر فسيجيء الكلام عليه فى المقال الآتى إن شاء الله .

عبد الوهاب محمود

الاستاذ بكلية الآداب

جامعة القاهرة

الطالح بن عيسى

سيد من سادات المسلمين وأجوادهم ، وأحد السابقين الأولين الذين أسلموا على يد الصديق أبي بكر رضى الله عنه ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ؛ مكارم من حظى بواحدة منها استحق التكريم والتمجيد والثناء العاطر ، فكيف بمن حظى بها كلها ؟

ذلكم هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى التيمي ، من أكرم بيوتات العرب وأشرفها وأشجعها . وأمه الصعبة بنت الحضرمي من أهل اليمن ، وهى أخت العلاء بن الحضرمي . وأهل اليمن أرق للناس قلوبا وأفئدة ، وأحكمهم رأيا ، فلا عجب أن كان طلحة رضى الله عنه شجاعا مغوارا ، يعاف الفرار ويثبت في مساقط الموت ، وأن كان رجلا رقيق القلب رحيمًا كثير الجود والبر والخير ، معروفا بالحكمة وإصالة الرأي ، وذكر الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » أنه كان يقال إن طلحة بن عبيد الله من فقراء قريش ، وقد بسط الله الرزق لطلحة حتى بلغت غلته من ماله كل يوم ألف درهم ، وبسط هو يديه للإنفاق ، فلم يرض بمال الله على عباد الله حتى كان يعطى من غير مسألة ، وتلك شيعة الكرماء . روى الحميدى في الفوائد بسنده عن قيس بن أبي حازم قال : صحبت طلحة بن عبيد الله ، فما رأيت رجلا أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه . وكانت له يد مشكورة على الدعوة الإسلامية استحق بها أن ينعمه رسول الله بنخير الألقاب وشريف الصفات .

روى أبو بكر بن عاصم بسنده عن طلحة أنه قال : « سمانى رسول الله ﷺ يوم أحد طلحة الخير ، ويوم العسرة طلحة الفياض ، ويوم حنين طلحة الجود » . وما ذلك إلا لكثرة جوده وبره . وقد صارت هذه الأوصاف سمات له في العصر الذى كانت تسوده الصراحة وقول الحق . ويندر - إن لم يتعدم - في ذلك العصر المداهنة والإسراف في إضفاء الألقاب بدون مسوغ . وكان مما قاله على كرم الله وجهه عند وقعة الجمل : « منيت بأربعة أدهى الناس وأسخام طلحة بن عبيد الله ، وأشجع الناس الزبير ، وأطوع الناس فى الناس عائشة ، وأسرع الناس إلى فتنة ، يعلى بن منية ... » وسمع على رجلا ينشد :

فنى كان يدينه الغنى من صديقه إذا هو ما استغنى ويبعده الفقر

فقال : ذلك أبو محمد طلحة بن عبيد الله ، وكان طلحة رضى الله عنه رجلاً آدم - وقيل أبيض - حسن الوجه ، كثير الشعر ، ليس بالجعد القلط ولا السبط ، لا يغير شيبه ، مربوعاً إلى القصر أقرب ، رحب الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم القدمين إذا التفت التفت جميعاً . وهذه الصفات الأخيرة من أمارات القوة والجلادة والتحمل . ومن الموافقات اللطيفة ما قيل من أن طلحة تزوج أربع نسوة أخت كل منهن عند النبي ﷺ : أم كلثوم بنت أبي بكر ، أخت عائشة . وحمزة بنت جحش ، أخت زينب . والفارعة بنت أبي سفيان ، أخت أم حبيبة . ورقية بنت أبي أمية أخت أم سلمة .

إسلامه

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وما أن عرض عليه الرسول الإسلام حتى سارع وأذعن ولم يتلعم ، ولم يكتف الصديق بإسلامه فحسب ، بل بذل نفسه وماله في سبيل الله ، ونصب من نفسه داعية إلى الإسلام . وكان له من دماثة خلقه وحلو شئامه وبره وكرمه ورجاحة عقله وعلمه بأنساب قريش وما فيها من خير وشر ما أعانه على القيام بهذه المهمة الشاقة الجليلة ، فأسلم على يديه نفر من السابقين الأولين ، ومن هؤلاء طلحة بن عبيد الله . وكان طلحة رجل أسفار بسبب تجارته ، فساقته الأقدار إلى سوق بصرى ، والذى هناك براهب من الرهبان فسمع منه البشارة بظهور نبي آخر الزمان وأغراه باتباعه وحذره من أن يفوته شرف السبق إليه ، فقفط طلحة مسرعاً حتى قدم مكة فأتى أبا بكر فدعاه أبو بكر إلى الإسلام وصحبه إلى رسول الله ﷺ فشرح الله صدره للإسلام . روى محمد بن عمر الواقدي بسنده عن محمد بن طلحة بن عبيد الله قال : قال طلحة بن عبيد الله : حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته يقول : سلوا أهل الموسم أفهم رجل من أهل الحرم ؟ قال طلحة : قلت : نعم أنا . فقال : هل ظهر أحمد بعد ؟ قلت : ومن أحد ؟ قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذى يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ، مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحره^(١) وسباخ فأياك أن تسبق إليه . قال طلحة فوقع في قباي

(١) ومصدق ذلك من كتاب الله [الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدهونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل] الآية ١٥٧ من الأعراف . وقوله [وإذا قال عيسى يزمرهم يا بنى إسرائيل إلى رسول الله إليك مصداق لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد] سورة الصف الآية ٦ .

ما قال ، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت . هل كان من حدث ؟ قالوا : نعم ، محمد ابن عبد الله الامين قد تنبأ وقد اتبعه أبو بكر بن أبي قحافة . قال : فخرجت حتى قدمت على أبي بكر فقلت : اتبعت هذا الرجل ؟ قال : نعم ، فانطلق لى فادخل عليه فاتبعه ، فإنه يدعو إلى الحق فأخبره طلحة بما قال الراهب ، فخرج أبو بكر بطلحة فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة . وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب فسر بذلك ، (١) .

ولم يسلم أبو بكر وطلحة رضى الله عنهما من أذى جبارة قريش ، فقد كان نوفل ابن خويلد بن العدوية - وكان يدعى أسد قريش - يأخذهما فيشدهما في جبل واحد ولا تستطيع بنو تيم أن تمنعهما منه ، فلذا كان يقال للصديق وطلحة ، القرينان ، وحسبهما شرفاً أن يلزما في قرن واحد في سبيل العقيدة والدين ، وحسب طلحة فخراً أن يكون قريناً للصديق وصنوا له .

روايته الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد جمع طلحة إلى شرف الصحبة شرف الرواية عن رسول الله ، فقد أخذ عنه كثيراً من الأحاديث النبوية التي هي مبعث الهدى والعلم ، وحفظها ووعاها وبلغها لمن جاء بعده . وروى عن طلحة بنوه : يحيى وموسى وعيسى ، وقيس بن أبي حازم وأبو سلمة بن عبد الرحمن والاحنف ومالك بن أبي عامر وغيرهم .

جهاده في سبيل الاسلام

ذكرنا آنفاً أن طلحة بن عبيد الله من السابقين الأولين الذين سارعوا إلى الإسلام . ولما أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة هاجر إلى المدينة . ولما آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار إخاء الارتفاق والمودة والنصرة آخى بينه وبين السيد الجليل أبي أيوب الأنصاري ، وقيل آخى بينه وبين كعب بن مالك . وقد ساهم في بناء صرح الإسلام الشاخ بنفسه وبماله . وكانت له مواقف مشرفة لا تنسى له ما بقى مسلم على وجه الأرض .

وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، إلا بدرأ . وقد اختلف في سبب تخلفه عنها ، فقال الزبير بن بكار : إن تخلفه كان بسبب اشتغاله بتجارة له في بلاد الشام . وقيل : إن السبب في ذلك أنه كان يتجسس الأخبار للمسلمين .

(١) البداية والنهاية جزء ثالث ص ٢٩ ، والاصابة في تاريخ الصحابة جزء ثان ص ٢٢٩ .

قال الواقدي : بعث رسول الله ﷺ قبل أن يخرج من المدينة إلى بدر طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار ، ثم رجعا إلى المدينة فقدماهما يوم وقعة بدر . (١) وهذا الخبر الثاني هو الصحيح ، ولهذا ضرب له رسول الله صلوات الله عليه بسهمه وأجره من بدر .

وقد روى ابن سعد وموسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : لم يشهد طلحة بدرأً وقدم من الشام بعد رجوع رسول الله من بدر ، وكلم رسول الله ﷺ في سهمه فقال : لك سهمك ، قال : وأجرى يا رسول الله ؟ قال : وأجرك . فلولا أن خروجه كان في مصلحة الدعوة الإسلامية لما ضرب له رسول الله بسهمه وأجره . وإذا كانت البطولة تقاس بكثرة حضور المواقع والغزوات وإجادة الطعان والنزال ، فإنها تقاس أيضاً بالثبات حين يشتد الهول ويعظم الخطر وتحقق بالشخص أسباب الموت . ورب يوم إذا وزن بعشرات الأيام رجحها وزاد عليها . ولئن كان طلحة شهد المشاهد كلها عدداً بدرأً فله من هذه الأيام يوم مشهود وهو يوم أحد ، فإنه لما دارت الدائرة على المسلمين بسبب مخالفتهم أمر الرسول ، ونادى مناد : أن محمداً قد قتل ! وفرّ أناس من لم قدم ثابتة في الإسلام لهول الموقف ، ووقع هذا النبأ على نفوسهم ، لم يثبت مع النبي ﷺ إلا عصابة قليلة من عصمهم الله من الفرار ، منهم الشهم الوفي طلحة بن عبيد الله ، فقد وفى بنذره حين يعز الوفاء وفدى رسول الله بنفسه ودافع عنه دفاع الأبطال ، حتى قطعت لإصبعه وشلت يده ووجد بجسمه بضعة وسبعون جراحة ما بين طعنة أو رمية أو ضربة . روى البخارى بسنده عن قيس بن أبي حازم قال : رأيت يد طلحة شلاء وفي بها النبي ﷺ . وفي مسند الطيالسي من حديث عائشة عن أبي بكر قال : أتينا طلحة بن عبيد الله فوجدنا به بضعة وسبعين جراحة وإذا قد قطعت أصبعه .

وقد كان رسول الله ﷺ يعلم من طلحة جلده وصبره عند اللقاء ويدخره لوقت اشتداد الكرب والبلاء . روى الإمام البيهقي في الدلائل بسنده عن جابر قال : انهزم الناس عن رسول الله يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل فلحقهم المشركون فقال : ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا يا رسول الله . فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله : فقاتل عنه . وصعد

(١) الاستيعاب لابن عبد البر جزء ٢ ص ٢٢١ على هامش الإصابة .

رسول الله ومن معه ، ثم قتل الانصارى فلحقوه فقال : ألا رجل لهؤلاء ؟ فقال طلحة مثل قوله الاول . فقال رسول الله مثل قوله : فقال رجل من الانصار : فأنا يا رسول الله . فقاتل وأصحابه يصعدون تم قتل فلحقوه ، فلم يزل يقول مثل قوله الاول ، ويقول طلحة أنا فيحبسه ، فيستأذنه رجل من الانصار للقتال فيأذن له فيقاتل مثل من كان قبله حتى لم يبق معه إلا طلحة ، فغشوهما ، فقال رسول الله : من لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا . فقاتل مثل قتال جميع من كانوا قبله ، وأصيبت أنامله فقال : د حس ، فقال رسول الله : لو قلت بسم الله ، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جو السماء . ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون .

ولما نهض رسول الله إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان قد ظاهر بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع لكثرة ما نزع من دمه ، فطأ طأ له طلحة بن عبيد الله على ما به من جراح فنهض به حتى استوى عليها ، فحينذاك قال الرسول - فيما رواه الترمذى عنه - : « أوجب طلحة » .

وقد عرف رسول الله ﷺ لطلحة هذا اليوم المشهود ، فقد روى أن ناساً من أصحاب رسول الله قالوا لاعرابي جاء يسأل عن قضى نخبه : ^(١) سل رسول الله ، فسأله في المسجد فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم طلع طلحة من باب المسجد وعليه ثياب خضر فقال رسول الله : أين السائل ؟ قال : ها أنذا . فقال « هذا من قضى نخبه » ، وفي رواية ابن أبي حاتم ما يفيد أن هذه القصة كانت عقب الرجوع من أحد ^(٢) . كما عرف الصحابة لطلحة هذا اليوم . وكان الصديق إذا حدث عن يوم أحد قال « ذاك يوم كان كله لطلحة » . وكان على كرم الله وجهه إذا سئل عن طلحة قال : ذاك امرؤ نزل فيه قول الله تعالى « فمنهم من قضى نخبه ومنهم من ينتظر » .

وفي غزوة تبوك وكانت وقت الجهد والحرقلة الظهر خطب رسول الله ﷺ حاثاً على الانفاق ، فجادت أريحية طلحة بمال كثير .

(١) النخب النذر والعهد . والمعنى وفي بعده . وقد كان طلحة بمن عاهد رسول الله على الموت يوم أحد فوفى بالعهد . ويطلق النخب على الموت . وقد فسرت الآية الكريمة بكل من المعنيين . وحمل الآية على المعنى الاول هو الذى يوافق هذه الرواية . (٢) تفسير ابن كثير جزء ٦ ص ٥٢٧ ط المنار .

ولما علم رسول الله ﷺ أن بعض اليهود اجتمعوا في بيت سويلم اليهودي يتآمرون ويثبطون الناس عن الخروج في جيش الرسول ، ندب لهم طلحة في نفر من أصحابه وأمرهم أن يحرقوا عليهم البيت ، فامثلوا أمر الرسول وقضوا على الشر قبل استفحاله . فلهذه الحياة الخافلة بصحائف من البطولة وجلال الأعمال وأنها لمثل يحتذى لمن يفتد الرجل الحق والوفاء .

وفاته

كان طلحة رضى الله عنه ممن خرج مع السيدة عائشة أم المؤمنين إلى البصرة لينأروا من قتل عثمان رضى الله عنه . وكان ما كان من أمر موقعة الجمل . وقد لقي على طلحة قبيل الموقعة فاجسه وذكره بأشياء من سوابقه وفضله — وكان الرجل يفتد الحق . ويطلبه ولم يكن خروجه إلا عن اجتهاد منه لا عن هوى وشهوة — فسالبت أن استجاب لعلى واعتزل القتال والصفوف ، فلم يلبث أن جاءه سهم فوق فرسيه وانظم المم مع ساقه خاصرة الفرس فجمع به حتى كاد يلقيه وهو يقول : إلى عباد الله ! فأدركه مولى له ، فركب وراه وأدخله البصرة فات بها . ويقال إنه مات بالمعركة ، وإن عليا لما رآه بين القتلى تألم وجعل يمسح التراب عن وجهه وقال : د رحمة الله عليك أبا محمد ، يعز على أن أراك مجدلاً تحت نجوم السماء . ثم قال : د لوددت أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ، .

وقد عاش طلحة حميداً ومات شهيداً . روى أبو القاسم البغوى بسنده عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشى على الأرض فلينظر إلى طلحة ابن عبيد الله ، وكفى طلحة جزاء وفاقاً أن يكون جاراً لرسول الله في الجنة . روى الترمذى بسنده عن على كرم الله وجهه قال : سمعت أذناب رسول الله ﷺ يقول : طلحة والزبير جاراي في الجنة ، والزبير كان ممن ثبت مع رسول الله يوم أحد ووفى بنذره ، وقد كانت وفاته يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة وكان عمره حين استشهد اثنتين وستين سنة وقبل أربعاً وستين سنة . فسلام عليه في الأولين ، ولسان صدق له في الآخرين ، وأمان له من مولاه يوم يقوم الناس لرب العالمين ؟

محمد محمد أبو شهبة

المدرس بكلية أصول الدين

تَبَدُّدُ الْمَخَافِ

مِنْ إِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ

من طول ما هجر الناس الروح الدينية في المجتمع ، وتغلبت الإباحية في ثوب براق من الحرية الزائفة في الأمم المتقدمة ، وانتقلت هذه العدوى إلى الشرق مهد الأديان والأنبياء ، وقعت الوحشة بين الناس ودينهم ، حتى عند بعض المتدينين أنفسهم ، فكيف بمن نشأوا بعيدين عن التربية الدينية في إباحة وحرية من كل قيد إلا ما تقيدهم به قوانين بلادهم بحسب ما يلتزمون من ذلك ظاهراً ويتحللون منه باطناً في سلوكهم الشخصي ، ويعود ذلك بالضرر الويل على ما في أيديهم من مصالح الوطن وحقوق الشعب .

وهذا هو حال كثير من أبناء هذا الجيل بين سمعنا وبصرنا يتولى المرء منصبا من مناصب حماية الآداب وهو في دخيلة نفسه شر معول على الآداب ، ويتولى الأمانة على أموال الدولة وهو اللص الذي يختلس خفية من هذه الأموال ، كل ذلك لأنه لا يحمل في نفسه عقيدة ولا إيمانا يحملانه على حرمة الواجب وحق الوطن .

ومن قبل هذا العهد الذي وفدت إلينا فيه وافدات الغرب وعدواه كان إسناد الوظائف والمصالح إنما يوكل أولا وقبل كل شيء إلى الرجل المتدين الأمين ، وكان الرجل إذا وقعت منه شائنة أو عرف بسوء الخلق أو اقتراف المعاصي نزع من عمله ، علماً بأن استقامته في العمل لا تكون إلا عن استقامته في نفسه ودينه ، ومن ليس له دين ليست له أمانة ، ومن هنا كانت لا توجد اختلاسات في المصالح ولا في أموال الأمانة ، ولا يقع فساد مثل هذا الفساد الذي برزت قروونه في الثلاثين السنة الأخيرة واكتشفته النهضة الحديثة في كثير من المصالح وفي كثير من الشخصيات التي تختال في حلل الثقافة والتربية الغربية اللادينية .

والبلبل الاستعمار الرجيم هو أول من وضع في مصر أن مقياس الموظف ليس خلقه الشخصي وإنما هو نشاطه وعمله ، وكل إنسان حر في شخصه وأخلاقه الخاصة به . مبدأ وضعه الاستعمار في مصر منذ وضع أقدامه فيها فنبت وامتدت أغصانه في جميع المصالح وأصبح هو المعيار الذي تقاس به قيم الموظفين في الحكومة ، ومنه سرت المقاييس في قيم الناس

ودرجاتهم عامة بعد أن كانوا يقاسون بالصلاح والتقوى والأمانة والعفة إلى آخر الفضائل الدينية ، ولا يبلغ الرجل درجة الاحترام بين مواطنيه إلا بذلك .

فأصبح ناس من الحكام في مصر بعد الاستعمار مباشرة يجاهرون بالمعاصي والفسوق وقلة المبالاة بالآداب الدينية ، والحكام هم قدوة المواطنين ، فانزوى الدين وآدابه وأهله ، وضعفت القيمة الروحية ، وكسدت سوق الفضائل ، وعاد ذلك بالضرر الفادح على الأمة ومصالحها ، حيث ارتفعت دولة الأشرار الفساق وفي يدهم مصالح العباد ، وفي ذلك مكسب ضروري للاستعمار لاجل أن يلجأ إليه المواطنون بالشكوى من حكاهم هؤلاء المستبدن المستهترين ، وتتسع هوة الخلاف بين أبناء الوطن ، ويتسلط المستعمر الغريب ، وقد حصل .

وصدق الله العظيم فيما حكى عن بلقيس : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » . كذلك صار جانب الدين والخلق والأمانة والعفة في مصر دليلاً معدوماً منذ حل بها الاستعمار ، وما سلبت أمة دينها وأخلاقها إلا حلت الوحشة والفرقة بين أبنائها ، وحل التخاصم والتنازع محل التراحم ، حيث ذهبت لجة ما بين الناس وهي الدين ، لأن الدين رحم بين أهله .

ولإذا ضربنا المثل بما كشفته لجان التطهير في أيامنا هذه من فساد امتد إلى إضرار الجيش الذي كان من حقه عايينا أن يفدى بأرواح الأمة بدل إضراره وإدخال الغش عليه ، وهو في حرب مع العدو ، بتقديم الأسلحة الفاسدة إليه ، واختلاس فروق الثمن إلى جيوب الموردين للأسلحة ، ضربناه لاسوأ الأثر في انتزاع الروح الدينية والخلقية وروح الأمانة من الأمة بيد الاستعمار الأنيمية ، فماذا ينتظر القارىء بعد ؟

ولعل المثل البارز لقلة الدين الذي خلق في جو الصحف العالمية ، وأصبح حديث المنتديات عن مصر ، وسيكون مادة للسمر والروايات في مستقبل الأيام والقرون ، مثل الطاغية السابق الذي أغرق في الفسوق والعصيان ، هو أكبر ما ينعى به على سلب مصر من شرفها الأخلاقي وروحها الدينية الكريمة التي لو كانت كسابق عهدها في التمسك بالدين وآدابه حينما كان ينقد العلماء على أعواد المنبر في خطبة الجمعة أعمال السلطان ، فيقوم السلطان ويقبل أيديهم ويبكي إليهم وينيب ، لكان لمصر شأن غير هذا الشأن ، ولكن الدين له السلطان على نفوس الكافة من حكام ومحكومين ، وبرزت آدابه وأحكامه الرحيمة الحكيمة ناصعة

تتلقفها الشعوب والأمم حينما يرونها رحمة للعالمين ، لأن الناس لم يعرفوا بعد سلطان الإسلام حينما يكون نافذاً نفوذاً سليماً صحيحاً يوزع العدل بين البشر على السواء ، ويحارب الجهل والفقر والمرض ، ويرفع الإنسانية من أحوال المبادئ المتضاربة المثيرة للحروب وزلزلة الأمن العام .

وما ظهور الشيوعية واستفحال أمرها والتهاهما كثيراً من الشعوب ووقوفها على قدم وساق لحرب العالم إلا نتيجة اضطهاد الدين في الغرب والإفراط في الانحلال الخلقي حتى بلغ الذروة ، وتطور في روسيا بأسباب اقتصادية وخلقية إلى هذا الوحش المخوف .

ولو أن الذين مقتوا الدين في الغرب وساءتهم طقوسه وألوانه ولم يهضموا تعاليم القس والسكهان بدل أن يكفروا بالدين كله وينطلقوا في أعنة الانحلال وهم يعلمون أن الدين ضرورة اجتماعية لا يصلح بدونها البشر ، كانوا يبحثون عن دين آخر ، ولعل أحدث دين وهو دين الإسلام كان أقرب إلى متناولهم وليس فيه ما يمتقون ، فلا كهنة فيه ولا سيطرة لرجال الدين ولا احتكار لتفسيره ومعانيه .

وكله دين متفق مع الفطرة ومع المبادئ التي اهتدى إليها البشر بعد الدماء المستبحرة من الحرية والعدالة والمساواة وسائر الفضائل البشرية السليمة وعدالة الحكم التي لا تعرفها الأمم ودعم الألفة بين أبناء الوطن الواحد بله أبناء الإنسانية حتى يشعر العالم بأنه جسد واحد فترتفع الخصومات ويقضى على الحروب وتضافر إمكانيات العالم في خدمة الإنسانية . ولا زال الباب مفتوحاً لذلك قبل أن تنشب الحرب العالمية الثالثة . ومصر وأزهرها الشريف هما صاحبا الاختصاص العالمي في دراسة الإسلام وأنه دين السلام ودين الرحمة الإنسانية ، فكيف يخاف منه إذا طالب به مطالب ، فلا بد من عقد مؤتمر عالمي من رجال الاجتماع والاقتصاد ورجال السلام ومقاومة الحروب ورجال الدين الإسلامي من مصر وغيرها لدرس الإسلام كدستور عالمي للبشر يخفف ويلات الحروب ويدفع في صدر الشيوعية وليظهر به تبديد هذه المخاوف التي تعتور الأجانب في مصر حينما يسمعون بالدعوة إلى إحياء العمل بالإسلام فيظنون وحشاً سيخرج عليهم يأكلهم ، فهل يرضى علماء المسلمين أن يعتقد الناس في الإسلام أنه وحش مخوف بينما هم يعتقدونه بحق أنزل رحمة للعالمين .

محمد عبد السلام القباني

أستاذ بكلية الشريعة

التحديث النبوي

مقاصد ، الفاظه ، معانيه

٢ — والكلام النبوي شيء جل عن الصنعة ، لأن الصنعة إنما تعوز ما فقد الحسن الذاتي فاحتاج إلى تجميل عرضي ، فأما الكلام الصادق في بلاغته الذي يجري مع النفس سهولة ويسراً ، فهو غني عن كل ذلك . وليس معنى هذا أن الكلام النبوي خلا من المحسنات ، ولكنها تحيى عفواً في كلامه فتكون حسناً على حسن ، كقوله : أسلم سالمها الله ، وغفار غفر الله لها ، وعصية عصت الله ورسوله . وقوله للأَنْصار : إنكم لتكثرثون عند الفزع وتقلثون عند الطمع ، وفي هذا الحديث مقابلة وسجع في غاية الحسن ونهاية الإفادة ، وغيره كثير في كلامه ، ولكنه لا يوصف بصفته ، والنزاهة عن التكلف متصل بذلك إلا أن التكلف أوسع دائرة ، فهو ﷺ ما كان يعاني جهداً ولا مشقة ، ولا كان يعد لموقف من المواقف كما كان غيره من الخطباء أو الكتاب أو الشعراء ، بل كان يقتضب في المناسبات — وكل حياته ﷺ مناسبات طارئة — ، وهذا من المعاني العجيبة في صاحب الرسالة ﷺ فقد كان يقع الأمر وهو في أصحابه في سفر أو حضر فيقف موقفه فما يشعر الناس إلا وقد هدأت نفوسهم وتحولت اتجاهاتهم ونسوا رعوناتهم وانقادوا للسيد الكريم ﷺ وكان يحضر أحياناً بعض الخصوم اللد أو الخطباء الوافدون يعد كل موقفه بين يدي هذا الزعيم الأعظم عدته من متخيرات الأغراض والألفاظ والمعاني ، فربما أوجز وربما أطنب ، والرسول ومن حوله يسمعون ، فإذا سمع الفصل والقول الجزل ، والحكمة البالغة ، والعذوبة السائلة في كلام محمد ﷺ خر لها رأسه وردد السامعين ساجدين ، ما استطاع أحد أن يأخذ عليه ما أخذ على غيره من عثرة لسان أو خفقة جنان ، ولا كلمة كان يذبح أن يكون غيرها ، ولا جملة زادت أو نقصت عن حاجتها .

ذلكم هو محمد المحدث الملهم ، والمؤيد الأعظم ، وكان ذلك عاملاً أعظم من سواه في نشر دعوته ، وصيرورة سمعته ، لأنه في قوم لدّ يتفاخرون بالبيان ، ويتحدون برجاجة الأحلام . والبلاغة أكبر مظاهرها ، وأعظم ظواهرها .

لقد كان حديثه في الاضطراب سكناً للنفوس ، وفي الضلال هداية ، وفي الفقر غنى ورضا ، وفي المرض سلامة وعافية . ولهذا كانوا يزعمون أنه ساحر يفرق بين المرء وزوجه ، ولعمري أنهم لقد كان سحراً حلالاً يفرق بين الضلال والهدى ، وبين الشقي والسعيد .

٣ — ولهذا كله كان ﷺ في غنى عن أن يستعمل الغريب والوحشى ، فهو لإنسان يرفض الإيحاءش ، ويتودد بالإيناس ويكره الأذى ، ولا يحب أن يشق . وفي الغريب والوحشى إيحاءش وأذى ومشقة ، وإنما يحتاج إليه أحق قد حاء عن القصد ، أو جاهل لم يجد ما يستعمله من اللفظ العذب ، أو جاف جلف لا يبالى أن يقسو في قوله كما يقسو في فعله .

وقد نزه الله محمداً ﷺ من كل ذلك ، وسخر له لغة العرب يتخير منها ويتصرف فيها ويبدل سيناتها حسنات ، كما فعل ذلك في كل الجهات . ومن قرأ له ولغيره من الكتاب قبله أو معه أو بعده ، وكذلك من الخطباء والشعراء ، رأى كيف كان وصفه في البيان ، ووضع من هذا الميزان ، فلا غرو أن يصفه الجاحظ بأنه شدد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وبأن الله ألقى على كلامه المحبة ، وجمع له بين القبول والمهابة ، لأنه سهل في إدراكه وفهمه ، صعب على طالب لحاقه ودركه .

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب
٤ — على أنه ﷺ كان يحمى تلك العذوبة عن كل ما ينزل بمستواها إلى حد التبذل ، وإنما هو في الحد الوسط . وإنما المبتدل لا يتفق مع البلاغة في كلام العامة فكيف يكون في كلام سيد الأمة .

وعلى أننى أستطيع بعد ذلك أن أعود بك إلى ما أشرت إليه في جملة ما سبق من أنه ﷺ استعمل الغريب الفسفى ، والوحشى الإضافى ، معنى ذلك أنه كان يخاطب غير القرشيين بلغتهم توفيقاً من الله وتعليماً ، واستكلاً لأدوات البلاغ ، فى البلاغة التى هى إيصال المعنى إلى السامع من أقرب طريق وأوضحه . وتلك ميزة خاصة أيضاً له ، وهى مما كان مثار العجب بين أصحابه . وفى البيان والشفاء وغيرهما من كتب الأدب الشيء الكثير من ذلك الباب .

قال القاضى فى الشفاء : إنه علم السنة العرب ، يخاطب كل أمة بلسانها ، ويحاورها بلغاتها ويباريها فى منزع بلاغها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه عن شرح كلامه . ومن تأمل حديثه وسيرته علم ذلك ، فليس حديثه مع قريش والأنصار وأهل نجد والحجاز ككلامه مع ذى الشعر الحمدانى^(١) وطهفة النهدي^(٢) الخ ، ماعدد . وأورد على ذلك عدة شواهد منها

(١) مالك بن نخط زعيم يبنى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك مع كثير من قومه مسلمين .

(٢) حيد يبنى أيضا .

في كتابه إلى همدان « إن لكم فراعها ^(١) ووماطها ^(٢) وعزازها ^(٣) تأكلون علافا ^(٤) وترعون عفاهما ^(٥) ، ثم لك أن ترجع إليه ولم غيره من كتب السير وإلى البيان والتبيين إن شئت التوسع في ذلك .

٧ - على أن في كلامه ﷺ من قيود الدين والأدب والمنطق ما كان جديراً أن يحدث ضيقاً في مجال البيان ، أو ضيقاً في معترك الحجاج . فإن التحلل من القيود ضرب من اليسر على المتكلم شاعراً أو كاتباً أو خطيباً أو محاوراً . ولكن السيد الرسول مع هذه القيود لم تقع له في كلامه زلة ، ولم يسمع بما هو أعم منه نفعاً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه ولا أبين في لحواه . كان ﷺ يتقيد بالصدق فيما يقول ، وبمجانبة الخيال والحلافة ، وبما يعرفه الخصم إذا كان في مقام خصومة ، ولسكنه مؤيد ملهم ومبلغ معزز مكرم . ولعل قد أطلت على القارئ الكريم ولكني لا أترك المجال حتى أقرى ذهنه بشيء من أدب النبوة : فما لم يشارك فيه ﷺ ما أوردوه من قوله « يا خيل الله اركبي » ، « حمى الوطيس » ، « مات خنف أنفه » ، « كل الصيد في جوف الفرا » ، « هدنة على دخن » ، « لا يلسع المؤمن من حجر مرتين » .

ومن أدعيته الفخمة المفخمة المعبرة عن كل ما في نفوس المؤمنين الصادقين :
 « اللهم إنك سألتنا من أنفسنا مالا نملكه إلا بك ، فأعطنا منها ما يرضيك عنا .
 « اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا .
 « اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ،
 ومن عمل لا ينفع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع .
 ومن بارع المجاز والتشبيه في قوله :

« بعثت في نفس الساعة » ، « اليد العليا خير من السفلى » ، « الخيل معقود بنواصيها الخير » ، « الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة » ، « أنتم الشعار والناس الدثار » ، « الناس معادن : خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » .

ولو شئت أن أعرض لبعض مطولات الأحاديث أو الخطب إذا لطال المدى . وامتد الشوط ، وضاق النطاق ، فإلى فرصة أخرى إن شاء الله .

محمود النواوي
 المفتش بالأزهر

(١) ما اوتفع من الأرض . (٢) ما اطمأن منها . (٣) ما صلب .
 (٤) ما تاكله الماشية . (٥) ما صفا منها .

هل للمرأة أن تباشر الوظائف العامة حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر

عادت مسألة المرأة إلى الظهور ، على مسرح الحياة الاجتماعية والسياسية ، وعادت المرأة، نفسها تنادى بأن لها حقوقا معينة ، ومن هذه الحقوق أن تكون عضواً في البرلمان ، ووكيلاً للنائب العام ، وضابطاً من ضباط البوليس ، ومحضراً يعلن الأحكام ويباشر عمليات الحجز التحفظي أو الحجز على مختلف أنواعه . وهي تقول في هذا المقام : إنه ليس بدعاً في تاريخ الأديان ، ولا في فقه التشريع أن تباشر مثل هذه المهام الاجتماعية والسياسية ، وخاصة في هذا العصر الذي استطاعت المرأة فيه أن تظهر من الحقوق العامة بحق المساواة والحرية . ويمكن أن يقال في مقام التدليل على صحة هذه الدعوى إن الحكومة قد وافقت أخيراً على أن تنشئ المرأة حزبا سياسيا ، وهذه الموافقة فيها اعتراف ضمني بأن الحكومة قد أقرت المرأة على وجهه نظرها . ولكن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر يرى أن في هذا قلبا للأوضاع المنطقية ، وأن المرأة قد جاوزت في هذه الدعوى القدر المحدود لها بحكم طبيعتها في الحياة العامة .

وقد استهل فضيلته حديثه في هذا الموضوع الخطير بالسؤال عن الغاية التي تهدف إليها المرأة من وراء هذه الدعوى ، وقال : هل تريد أن تهجر البيت لتقضى وقتها بين الاندية والمجتمعات والمحافل السياسية في مناقشة القوانين ، وفيما يجب أن يفرض من العقوبات ويرسم من الحدود ، وما إلى ذلك من مسائل التشريع والتقنين . إن كان هذا مقصدها ، فهل لها أن ترشد أهل العوالم والمنطق والحق في أي عصر إسلامي كان هذا ؟ وفي أي عهد من العهود التي ازدهرت فيها تعاليم الإسلام وانتشرت أحكامه ومذاهبه تولت المرأة شئون الولاية العامة ؟!

ثم استطرد فضيلته فقال : إن الشريعة الإسلامية تحرم اختلاط المرأة بالرجال . والدعوى بمنح المرأة حقاً سياسياً إنما هي وسيلة من وسائل الاختلاط تريد المرأة في هذا العصر أن تتذرع بها لتكسو اختلاطها بالرجال ثوب المصلحة العامة ، وهذا عمل لا تقره الشريعة الإسلامية ، وليس جائزاً في أي مذهب من مذاهبها ، لأن الشريعة قد فطنت إلى

ما ينبج عن اختلاط المرأة بالرجل من مضار اجتماعية وخيمة ، ومن شرور لو قلنا إنها محتملة الوقوع لكان ذلك الاحتمال كافيا لمنعها ودرئها . وإذا كانت المرأة تريد في سبيل تبرير دعوتها أن تلجأ إلى السباب وإلى الغض من أقدار سلف العلماء والطعن عليهم والنيل من كرامتهم وتحقير شأن من يريد أن يبصرها بالصواب والرأى السديد ، فإنما تكون قد أقامت الدليل القاطع على أنها لا تصلح عضوا في معترك الحياة ، لأن مثل هذا الطريق لا يلجأ إليه إلا من ضعفت حجته واختلطت عليه موازين الأشياء ومقاييس الأمور .

ولقد سبق أن أفتت لجنة الفتوى في الازهر ، فتوى شرعية بينت فيها بمختلف طرق التبيين : على مختلف الآراء الفقهية ما للمرأة من حقوق وما عليها من واجبات ، وفصلت لها نوع الولاية ، وعرفت أن الولاية العامة هي السلطة الملزمة في شأن من شئون الجماعة ، كولاية سن القوانين ، والفصل في الخصومات ، وتنفيذ الأحكام ، والهيمنة على القائمين بذلك ، وقالت : إن الشريعة الإسلامية قد قصرتها على الرجال إذا توافرت فيهم شروط معينة ، وزادت على ذلك في مقام التبيين أنه لم يثبت أن شيئا من هذه الولايات العامة قد أسند إلى المرأة ، لا مستقلة ولا مع غيرها من الرجال ، وقد كان في نساء الصدر الأول مثققات فضليات ، وفيهن من تفضل كثيرا من الرجال ، كأمهات المؤمنين ، وساقات قصة سقيفة بنى ساعدة ، في اختيار الخليفة الأول بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ بويع أبو بكر البيعة العامة في المسجد ، ولم تشترك امرأة مع الرجال في مداولة الرأى ، في السقيفة ولم تدع لذلك .

وقد أفاضت لجنة الفتوى في بيان أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بما يجب أن تمتنع منه المرأة من الوظائف العامة ، ودعمته بالبراهين القطعية ، والأسانيد التاريخية ، والأدلة اليقينية . وكان المأمول أن تقف المرأة عند حدودها التي رسمتها لها الشريعة الإسلامية ، في بلد إسلامي ، ودولة إسلامية ، وأن تعمل من جانبها على أن تسترشد بما يراه أهل الرأى من الفقهاء في أمرها ، فتلتزم بيئتها في رعاية زوجها وكنفه ، ولكنها عادت مرة ثانية إلى المناداة بوجوب منحها حقوقا سياسية معينة ، ومع أن الشريعة الإسلامية قد أفسحت لها الطريق في كل ما يتعلق بمسائل الولاية الخاصة ، وقد ساوتها بالرجل في هذا النوع من الولايات ، إذ جعلت لها حق التصرف في أموالها بالبيع والهبة والرهن والإجارة ، وغير ذلك من مختلف ضروب التصرفات ، وأجازت لها الوصاية على الصغار والولاية على المال والنظارة على الأوقاف ، إلا أنها لم تقنع بما رسمته لها الشريعة الإسلامية وأرادت أن تدفع

نفسها بنفسها ، وأن ترسم الطريق حسب أهوائها وغاياتها ، لتتولى وظائف الدولة التي تدخل في نطاق الولاية العامة ، كسن القوانين ، والفصل في الخصومات ، وتنفيذ الأحكام . الخ .

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد جعلت القوامة على النساء للرجال ، وقد قال الله تعالى : الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، ، وجعلت حق طلاق المرأة للرجل وحده ، ومنعتها السفر دون محرم أو زوج أو رفقة مأمونة ، وجعلت لها حق حضانة الصغار دون الرجل ، وأوجبت على الرجل حضور الجمعة والجماعة والجهاد ولم توجب عليها شيئاً من ذلك . أقول إذا كانت الشريعة الإسلامية قد رسمت لها حدودها وبيّنت لها مهمتها فما بالها تريد أن تخرج على أحكامها لتزج بنفسها في انتخابات تدافع فيها وتدفع ، وتختلط في ميدانها بالجماعات والأفراد من الرجال ، وهي بطبيعتها أنوثتها غير مأمونة ولا معصومة . وما بالها تريد أن تثير حولها الزواجر وتخوض المعامع ، في الوقت الذي كفتها فيه الشريعة مؤونة السكفاح وجنبها مواطن الزلل ، ورسمت لها من الحدود ما يتكافأ وطبيعتها في ميدان العمل المنتج المفيد لها وللجماعة التي تعيش فيها .

وأعتقد أنه من المستحسن أن أسوق بعض ما رآته لجنة الفتوى في مقام التدليل الفقهي على منع المرأة من الاشتغال بوظائف الولايات العامة ، فقد استندت إلى ما رواه البخاري في صحيحه وأخرجه أحمد في مسنده والنسائي في سننه والترمذي في جامعه . قال البخاري : حدثنا عثمان بن الهيثم ، قال : حدثنا عوف عن الحسن البصري عن أبي بكرة ، قال : لقد نفخى الله بكلمتين أيام الجبل ، لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن فارس ملككت ابنة كسرى قال : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ، ، وقد ذهبت اللجنة في استنتاج المراد من هذا الحديث وفي استنباط دلالة العامة مذهب صدق فقالت : إن الرسول ﷺ لا يقصد بهذا الحديث مجرد الإخبار عن عدم فلاح القوم الذين يولون المرأة أمرهم لأن وظيفته عليه الصلاة والسلام بيان ما يجوز لامته أن تفعله حتى تصل إلى الخير والفلاح ، وما لا يجوز لها أن تفعله حتى تسلم من الشر والخسار ، وإنما يقصد نهى أمته عن مجارة الفرس في إسناد شيء من الأمور العامة إلى المرأة ، وقد ساق ذلك بأسلوب من شأنه أن يبعث القوم الحريصين على فلاحهم وانتظام شملهم على الامتثال ، وهو أسلوب القطع بأن عدم الفلاح ملازم لنولية المرأة أمراً من أمورهم .

ولا شك أن النهى المستفاد من الحديث يمنع كل امرأة في أى عصر من العصور أن تتولى أى شيء من الولايات العامة ، وهذا العموم تفيد صيغة الحديث وأسلوبه كما يفيد المعنى الذى من أجله كان هذا المنع .

وهذا هو ما فهمه أصحاب الرسول ﷺ وجميع أئمة السلف ، لم يستثنوا من ذلك امرأة ولا قوماً ولا شأناً من الشئون العامة ، فهم جميعاً يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولى المرأة الإمامة الكبرى والقضاء وقيادة الجيوش ، وما لى لها من سائر الولايات العامة .

هذا الحكم المستفاد من هذا الحديث ، وهو منع المرأة من الولايات العامة ، ليس حكماً تعديداً يقصد مجرد امتثاله دون أن تعلم حكمته ، وإنما هو من الأحكام المتعلقة بمكان واعتبارات لا يحفلها الواقفون على الفروق الطبيعية بين نوعى الإنسان : الرجل والمرأة ، ذلك أن هذا الحكم لم ينط بشيء وراءه ، إلا نؤثته ، التى جاءت كلمة « امرأة » فى الحديث عنواناً لها ، وإذا فالأنؤثة وحدها هى العلة فيه .

وواضح أن الأنؤثة ليس من مقتضاها الطبيعى عدم العلم والمعرفة ولا عدم الذكاء والفطنة ، حتى يكون شيء من ذلك هو العلة ، لأن الواقع يدل على أن للمرأة علماً وقدرة على أن تعلم كالرجل وعلى أن لها ذكاء وفطنة كالرجل ، بل قد تفوق الرجل فى العلم والذكاء والفهم . ؟ فلا بد أن يكون الموجب لهذا الحكم شيئاً وراء ذلك كله .

إن المرأة بمقتضى الخلق والتكوين مطبوعة على غرائز تناسب المهمة التى خلقت لأجلها ، وهى مهمة الأمومة وحضانة النشء وتربيته ، وهذه قد جعلتها ذات تأثير خاص بدواعى العاطفة ، وهى مع هذا تعرض لها عوارض طبيعية تتكرر عليها فى الأشهر والأعوام من شأنها أن تضعف قوتها المعنوية ، وتوهن من عزيمتها فى تكوين الرأى والتمسك به والقدرة على الكفاح والمقاومة فى سبيله ، وهذا شأن لا تنسكه المرأة من نفسها .

ولا تعوزنا الأمثلة الواقعية التى تدل على أن شدة الانفعال والميل مع العاطفة من خصائص المرأة فى جميع أطوارها وعصورها .

فقد دفعت هذه الغرائز المرأة فى أسى بيئة نسوية إلى تغليب العاطفة على مقتضى العقل والحكمة .

وآيات من سورة الأحزاب تشير إلى ما كان من نساء النبى ﷺ وتطلعهن إلى زينة الدنيا ومتعتها ، ومطالبتهن الرسول أن يفدق عليهن بما أفاء الله به عليه من الغنائم حتى يعشن

كما تعيش زوجات الملوك ورؤساء الأمم ، لكن القرآن قد ردهن إلى مقتضى العدل والحكمة ، من ذلك : يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرحنن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للحسنات منكن أجرا عظيما .

وآية أخرى من سورة التحريم تحدث عن غيرة بعض نساءه عليه الصلاة والسلام ، وما كان لها من الأثر في تغليبهن العاطفة على العقل ، مما جعلهن يدبرن ما يتظاهرن به على الرسول ﷺ ، وقد ردهن القرآن إلى الجادة : إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه ، وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير .

هذه هي المرأة في أسى البيئات النسوية ، لم تسلم من التأثير الشديد بدواعي العاطفة ، ولم تنهض قوتها المعنوية على مغالبة نوازع الغيرة ، مع كمال إيمانها ونشأتها في بيت النبوة والوحي ، فكيف بامرأة غيرها لم تؤمن إيمانها ، ولم تنشأ نشأتها وليس لها ما تطمع به أن تبلغ شأوها أو تقارب منزلتها ؟ !

فالحق أن المرأة بأنوثتها عرضة للانحراف عن مقتضى الحكمة والاعتدال في الحكم ، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بنقصان العقل ، ورتب عليه كما جاء في القرآن الكريم أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل .

وبحمل القول في هذا كله أن المرأة لا يجوز لها أن تباشر عملا من أعمال الولاية العامة مطلقاً ، ولا يجوز لها كذلك أن تغشى الأندية والمحافل والمجتمعات العامة مهما كان السبب الذي يدفعها إلى ذلك ، لانتنا أمة إسلامية ، والإسلام يلزمها هذه الحدود ، ولا يجوز لها أن تتعداها .

لِخَوْبِ كَابِ رَجُلٍ

على أحول من خالد

يأتى (أحول) من الحيلة أى حسن التدبير فى الامر وإصابة المخرج فى الضيق ، فيكون اسم تفضيل ، فيقال : هو أحول من فلان ، أى أبصر منه بالخروج من المأزق ، والانسلال من المشاكل . ويصاغ منه التعجب فيقال : ما أحول فلانا ! والتعجب والتفضيل من بابة واحدة ، كما هو واضح جلى . وفى اللسان (حول) : يقال هو أحول منك أى أكثر حيلة ، وما أحوله ! .

وهناك أحول من الحول فى العين ، وهذا لا يصاغ منه تفضيل ولا تعجب ؛ إذ كانت هذه الصفة لأصل الوصف . فلا يقال فى هذا المعنى هو أحول من فلان . وإنما يقال : هو أشد حولاً ، ويقال : ما أشد حوله ! ولا يقال : ما أحوله ! ومثل هذا أسود ، يكون من السواد فلا يصح منه تفضيل ولا تعجب عند أكثر النحويين ، ويكون من السؤدد أو السيادة فيصح منه التفضيل والتعجب ، فيقال : هو أسود من فلان ، وما أسوده ! وفى اللسان (سود) . وفى حديث ابن عمر : ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية .

وقد دعانى إلى هذا البحث أنى وجدت فى كتاب « الوسيط فى تاريخ أدباء شنقيط » ، للأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطى فى ترجمة محمد بن السالم أنه كان شاعراً رقيق الالفاظ سلسها وكان يرى نفسه أفضل من شاعر شنقيطى آخر يدعى الاحول ؛ وكان إذا سمع الناس يطرون هذا الشاعر الاحول يقول : أنا أشعر منه وأحول . فتعجب ذلك عليه مؤلف الكتاب وقال : (١) وكان القياس أن يقول : أشد حولاً ؛ لأن أفعال العاهات لا يأتى منها التعجب

ولا اسم التفضيل ، وإنما جرى في ذلك على مصلح العامة ، والشاعر لم يذهب إلى ماذهب إليه ابن الامين أن يكون أحول من الحول الذي هو من الداهات ، وإنما يريد أحول من الحيلة ، وهذا من المحامد وسمات الكمال والميز ، وليس من العاهات والمشالب ، والموطن موطن افتخار وبأو ، وتعظم على من ينافسه . فما أتى به هو عين الصواب والسداد .

لما تزورنى أزورك

يكثر مثل هذا التأليف ، ولا يحس القائل لهذا حرباً في القول ، ولا شناعة في الكلام وهذا منكر لا يسوغ في العربية ، وذلك أن لما هذه - وتسمى الحيفية لأنها في معنى حين - تختص بالماضى فلا تدخل على المضارع ، وهى تقتضى تعليق حدث على حدث آخر ، ويقال فيها : حرف وجود الوجود ، أو حرف وجوب لوجوب ، ومعنى ذلك أنها تدل على وجود الثانى لوجود الاول ، أو وجوب الثانى لوجوب الاول ، ويقول صاحب المغنى : الثانى من أوجه لما أن تختص بالماضى ، فتقتضى جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما ؛ نحو لما جاءنى أكرمته .

ويبدو أن الخطأ في دخول لما على المضارع قديم فاش ، فقد جاء في كلام أحد جلة العلماء الفهماء في النحو ، الذين لا يعزب عنهم أمر لما وما يطلب فيها ، وذلك هو أبو بكر الشنوائى في كتابته على القطر فهو يقول (١) : « فإن قلت . قد ورد في الحديث أن إبليس لما يحى له بعض أولاده ويقول له : ما تركت حتى فرقت بين الرجل وامرأته بذنيه منه ويقول : نعم أنت ، وقد حكى هذا القول عنه السجاعي المتوفى سنة ١١٩٧ هـ في كتابته على القطر ولم يعقب عليه ، ولم يرفيه ما يستوجب النكير . وهذا على حين أن السجاعي في حاشيته على ابن عقيل في مبحث عوامل الجزم يقول عند قول الشارح : ولم ولما ، وهما للنفي ، ويختصان بالمضارع ما نصه : « : وخرج بهذا لما الحينية - وهى الرابطة لوجود شيء بوجود غيره - والتي بمعنى إلا - وتسمى الإيجابية - فإنه لا يحفظ دخولهما على المضارع أصلاً ،

(١) انظر حاشية السجاعي على القطر في آخر باب الفاعل .

لو كلها سمعت شيئاً حفظته لكنت أعلم الناس

قد يتردد هذا الأسلوب ، وقد يحتاج إليه في تأدية مثل هذا المعنى . ولكنه أسلوب مجاف للعربية نأب عنها . ذلك أن لو للشرط ، وكلما أيضاً تفيد الشرط والتعليق ، ولا يدخل الشرط على الشرط . وتصحيح هذا الأسلوب أن يقال : لو أنه كلها سمعت شيئاً الخ

وقد وقع مثل هذا التركيب في شعر لابي العباس أحمد بن سريج أحد أعلام فقهاء الشافعية المتوفى سنة ٣٠٦ هـ ، والذي وصف بأنه المجدد للأمة أمر دينها على رأس القرن الرابع . وذلك حيث يقول :

ولو كلها كلب عوى ملت نحوه أجابوه إن الكلاب كثير
ولكن مبالاتي بمن صاح أو عوى قليل لأنى بالكلاب بصير

ويقول أبو حيان في الارتشاف^(١) : إن أبا العباس في هذا ركّب ما دخلت عليه ، لو ، تركيباً غير عربى . ولم يذكر السبب في هذا الحكم . والظاهر عندي هو ما ذكرت آنفاً ، وهو كراهة دخول الشرط على الشرط .

وقد أورد ابن السبكي في كتابه ، طبقات الشافعية الكبرى ، في ترجمة ابن سريج كلام شيخه أبي حيان والرد على ابن سريج ، ولم يرض كلام شيخه ، وتصدى لتصحيح كلام ابن سريج . وسأسوق كلامه على طول فيه ، فهو لا يخلو من الفائدة : «^(٢) ولم يبين - يريد أبا حيان - وجه خروج أبي العباس من اللسان في هذا . فإن أراد تسليط لو على الجملة الاسمية فهو مذهب كثير من النحاة ، منهم الشيخ جمال الدين بن مالك ؛ جوزوا أن يليها اسم ، ويكون معمول فعل مضمر مفسر بظاهر بعد الاسم . قال في التسهيل : وإن وليها اسم فهو معمول فعل مضمر مفسر بظاهر بعد الاسم . وربما وليها اسمان مرفوعان . انتهى .

(١) انظر الورقة ٢٩١ ب من مخطوطة دار الكتب المصرية تحت رقم ١١٠٦ نحو .

(٢) الطبقات ٢ / ٩٠ .

ومثال ما إذا وليها اسم ما روى في المثل من قولهم : لو ذات سوار لطمتني ، ويقول عمر - رضى الله عنه - : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! وقال الشاعر :

أخلى لو غير الحمام أصابكم عتبت ولكن ما على الدهر معتب

وقال آخر :

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجوار إلى بنى العوام

وقال آخر :

فلو غير أخوالى أرادوا نقيصتى جعلت لهم فوق العرائن ميسا

فالاسماء التي وليت او في كله معمولة لفعل مضمر يفسره ما بعده ؛ كأنه قال : لولطمتني ذات سوار لطمتني . وكذا تقول في قول ابن سريج : ولو كلما كلب ... المعنى : ولو كان كلما كلب عوى . ويدله على ذلك قوله تعالى : « قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لامسكم خشيعة الإنفاق » ولا يلزم من رد أبى حيان لهذا المذهب ودعواه أنه غير مذهب البصريين أن يكون مردوداً فى اللسان ، وإن أراد حذف الجواب إذ التقدير : ولو كان كلما عوى كلب ملت نحوه كى أجابوه لسمعت أو تعبت أو نحو ذلك لأن الكلاب كثير ، فقد نص هو وغيره على جواز حذف جواب أو لدلالة المعنى عليه . وعليه قوله تعالى : « ولو ترى إذ وقفوا على النار » . وشواهد كثيرة .

وأغلب الظن عندى أن الامر وراء ما ذهب إليه التاج ، وإنما المانع هو دخول الشرط على الشرط ، وهذا غير سائغ فى العربية ، إذ يوجب معاطلة فى الكلام وتعقيداً ، فكلا الشرطين يحتاج إلى شرط وجواب ، ولم يعهد اجتماع ما يدنو من هذا إلا فى الشرط والقسم ، وعقد الكلام فيهما على حديث الشرط ، فأما القسم فإنه يشد من خبر الشرط ويؤكد ، كما تقول : والله إن جئتني أكرمك . وقد أنكر أبو حيان هذا التركيب ونفاه عن العربية ، ولم يختص ذلك بمذهب البصريين ، كما فهم التاج ، وأبو حيان من أكثر النحاة إحاطة بمذاهب النحاة وأجمعهم لذلك ، وقد حشر فى كتابه الارتشاف من الآراء فى النحو ما لم يجمع فى كتاب . وما كان يعنى عليه مذهب ابن مالك ولا ما ذكره التاج ، وإنما رأى فى هذا التركيب ما لا يتفق مع المزاج العربى عند الجميع .

محمد على النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

النفس

بسم الله الرحمن الرحيم :

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . . »

هذه الآية أوضح ما تكون في ارتباطها بما قبلها أن تكون مرتبطة بقوله تعالى « ومن الناس من يقول آمنا ، فإنه يراد بتصوير حالهم هذه أن تلك حال تتنافى في وضوح مع زعمهم الإيمان . فإن أول ما يقتضيه الإيمان متى حل في القلب ، وأشرق نوره على النفس الكسف عن الإفساد في الأرض فإن الإفساد شر مستطير ، لا يمكن أن يكون من شخص حل في قلبه نور الإيمان فكأنه يقول « يقولون آمنا وهم مفسدون » ، وإذا نهوا عن الإفساد بالغوا في التبرى منه ، ولو كانوا مؤمنين كما زعموا لما كان ذلك شأنهم .

وإنما سلك في التعبير ذلك الأسلوب فقال وإذا قيل لهم (بالبناء للمفعول) دون أن يسند الفعل إلى فاعله :

أولاً — لأن مصدر القول المعبر عن النهي عن الإفساد ليس مصدرا واحدا ، فقد يصل أذانهم هذا النهي مرة من رسول الله وأخرى من أصحابه ، وقد يفهمون هذا النهي مرة من صريح القول وأخرى بما كانوا يقابلون به من ناحية الرسول وأصحابه من تجهم وإعراض .

وثانياً — للدلالة على أن ما سلكوه من أسلوب في الدلالة على برامتهم بما نسب إليهم إنما هو أثر خبيثتهم التي كانت عن مفاجأتهم بأن ما حاولوا إخفائه ، وما أسدلوا عليه أستار نفاقهم معلوم للرسول وأصحابه ، ولو بنى الفعل للمعلوم وأظهر الفاعل لربما توهم أن ذلك الأسلوب الذي سلكوه لبرامتهم ، إنما كان عما أحسوه من شدة ما ووجهوا به من قائل

معين ، وبهذا يتبين أن بناء الفعل للمفعول أبدى حال المناققين وصور ذعرهم بأنه لكشف أستارهم لا لشدة مواجهتهم . هذا وإنما عبر بقوله « لا تفسدوا » بدل أن يقول مثلاً « نهوا عن الفساد » ، ليم إسناد فعل الإفساد لهم إسناداً مدلولاً عليه بالعبرة لا بالإشارة ، فإنه قد يفوت إذا عبر (نهوا عن الفساد) التنصيص على إسناد الإفساد لهم .

وعلق بالفعل الذى هو الإفساد قوله « فى الأرض » ، إيذاناً بأن الإفساد مهما ضاقت حدوده ، فإنه لا بد يوماً أن يتعدى الحدود إلى ما وراءها ، فقد يعم ويشمل إن لم يشتد فى الاحتياط له . لذلك جعل ظرف إفسادهم ، الأرض كلها مع أنهم فى بقعة محصورة . وتراه أطلق كلمة الإفساد دون أن يحدد له صورة ليثير إلى أن كل مخالفة لما شرعه الله سواء كان ذلك راجعاً إلى الشخص نفسه أو إلى المجتمع ، فهو إفساد ، إذ الكذب إفساد ، وإيذاء الجار إفساد ، والسرقة والقتل إفساد ، وهكذا لا تجد مخالفة لتشريع الله إلا وهى إفساد . وتدهش حين تسمع ردهم على نهيهم عن الإفساد إذ تراهم قد بالغوا فى الرد فخصروا أنفسهم أولاً فى الإصلاح مبالغاً المفجوع المفاجأ بكشف أستار حقيقته ، فتراهم لم يقتصروا على أن يقولوا (إنا مصلحون) ، بل قالوا (إنما) ، ثم أكدوا الجملة بكونها اسمية ليدلوا بذلك على أن شأنهم فى الإصلاح ثابت لازم ، ولما كان ما عبروا به عن براءتهم باطلا لا يمت إلى الحق والواقع بصلة ، ترى القرآن قد وضع فى الرد عليهم جملة صدرها بأداة الاستفتاح إيذاناً بأن ما قالوه يجب أن يهمل إهمالاً ، فلا يتصل الرد به ، بل يجب أن يكون وصفهم بالإفساد قضية مبتدأة مقررة حتى يتلقاها السامع غير مشغول النفس بما قالوه فى براءتهم لأخذ من النفس حيزاً كاملاً مطمئناً فقال : (ألا إنهم هم المفسدون) ، مؤكداً الجملة بعدة تأكيدات ، أولاً بتصدرها بيان ، وثانياً بتأكيد الضمير المتصل بضمير منفصل حتى يتم إلصاق الخبر بالمبتدأ . وثالثاً باسمية الجملة ، ورابعاً بإفادة قصرهم على الإفساد فى مقابل قصرهم أنفسهم على الإصلاح . ولما كان الرد عليهم بتأكيد إفسادهم فى مقابل تأكيدهم أنهم هم المصلحون مما يفيد تقابلاً بين الحالين واضحاً يستدعى عجباً كيف يصفون أنفسهم بأنهم لا حال لهم إلا الإصلاح وهم لا حال لهم إلا الفساد . أراد القرآن أن يزيل هذا العجب بقوله (ولكن لا يشعرون) . فما كان قولهم الذى قالوه إلا عن غباء حاط لإحساسهم وشمل مشاعرهم فأمسوا لا يدركون من شأن أنفسهم شيئاً ، شأن

الذين غلف الباطل قلوبهم وأظلم نفوسهم حتى صار الباطل في تقديرهم حقاً والخطأ في ميزانهم صواباً والإفساد عندهم إصلاحاً فيحقق هم غير شاعرين بأنهم مفسدون .

ويصح أن يكون لقوله تعالى : (وهم لا يشعرون) معنى آخر ، وهو أنهم لا يشعرون بأن غيرهم عالم بحالهم علماً مؤكداً ، وأنهم مفسدون مغمضون في الإفساد ، أو أنهم - جهلاً منهم - لا يشعرون بأن الله عالم بشأنهم وما هم عليه من سوء . وقد يكون في المعنى الثاني من تسوية واستئصال أعذارهم ما ليس في المعنى الأول ، إذ قد يكون لهم بمقتضى المعنى الأول في ظنهم الإفساد إصلاحاً وتقديرهم الخطأ صواباً ما يخفف المؤاخذة عنهم ، ولكن المعنى الثاني فيه أنهم أتوا الفساد قاصدين الإفساد عالمين بأنهم مفسدون ، ولكنهم حارلوا ستر حالهم بصور نفاقهم ، وظنوا أن تلك الاستار الملهلة قد تدر على الناس حالهم وتخفى عنهم أمرهم . وفي المعنى الثالث تصوير جهلهم البالغ ، حتى ظنوا أن ربهم غير عالم بحالهم ، وهو تحديد لنزول تفكيرهم إلى أسفل الدركات وأعمق الوهجات ، وعلى أى حال فإن أنسب هذه الوجوه الثلاثة بشأن المنافقين إنما هو الوجه الثاني . ففيه أنهم مستحقون لغضب الله ، وأنهم أغبياء إلى حد أنهم لا يفرقون بين ما يدركه الناس منهم وما لا يدركون .

والى هنا يكون القرآن قد عرفنا شأن المنافقين من غباء وإفساد ، وهم بذلك يكونون أضر الطوائف بالمجتمع ، يفسدون العلاقات بين الناس ويقلبون ما بينهم من تواد إلى تباعد ، وما بينهم من اتصال تقاطعاً ، فيبطل التعاون فيما بينهم ؛ إن المنافقين هم الطائفة التى تلقاك بوجه وتولى عنك بوجه آخر ، هم الطائفة التى لالسنتها إذكاء الفتن وإشعال الإحسان وإثارة الاحتماد وتقوية الخصومات ونشر ريح العداوة حتى يبطل بين أفراد المجتمع الإيثار وتقتلع الطمأنينة من القلوب ، ويصبح كل واحد من أفراد المجتمع محتاطاً من أخيه ، يناسرون ويستيقظون على مخافة وشفاق واحتياط وافتراق .

وإن أول ما كان يجب على ذوى الأمر فى الأمم والشعوب هو تطهير المجتمع من أمثال هؤلاء حتى يتم للأمة هناؤها ورخاؤها وسعادتها ونعيمها .

اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأبعدنا عن الشقاق واملأ نفوسنا بالحبة والوفاء .

حامد محسن

عضو جماعة كبار العلماء

المسلمون في مفترق الطرق

تسرع الأمم الحية ، وتحف الشعوب الناهضة إلى التماس العبرة واقتباس العظة مما تسوقه الأحداث المطيفة وتنمخض عنه الأيام من وقائع ومفاجآت ، لتقف في معترك الحياة قوية الجانب منيعة البنيان خفاقة العلم ، كاملة الهيبة ، لا يتمكن منها عدو ، ولا يتحكم فيها دخیل ولا ييسط عليها ظالم يد الظلم ، ولا يمد إليها سيف البغي والعدوان .

والأمة التي تمر بها الخطوب وتحل بساحتها المحن ، فلا تثير من حفيظتها ، ولا توقظ من غفوتها ، ولا تلهب من غيرتها وحماستها ، هي أمة متبلدة الحس ، فائزة النفس لا تستحق البقاء ، لأن منطق الوجود يحتم عليها أن تشعر وأن تفعل بما يجري حولها من الظواهر .

هكذا علمنا التاريخ ، وقص علينا الزمن . فالأمة تمر وتسود وتبقى وتحل بمقدار ما تغلغل فيها من مضاء العزم وذكاء القلب وفناء الفطرة ، وما يسرى في دمه من شجاعة ويوجهها من إيمان بالله واستعصام بالفضائل .

فإذا ضعف فيها الإيمان وتزلزلت الثقة وتحللت الرجولة ونال منها الخمول وألقت عن كاهلها العبء واستسلمت للماضى تعيش على أطيافه وتتغنى بأطلاله وتسبح مع خياله ، سكن في نفسها معنى الهزيمة ، وربض في حياتها روح الذل ، ولازمها دائماً مظهر الضعف والاستسلام ، فتوارت في زحمة الحياة ، وتخلقت عن ركب الوجود ، وأصبحت هدفاً لكل رام وغرضاً لكل صائد .

ولقد أنذر الرسول الأكرم - صلوات الله عليه - المسلمين بهذه الحالة حين قال : يوشك أن تنداعى عليكم الأمم كما تنداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ فقال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم وليقذفن في قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت ، .

إن للمسلمين في ماضيهم المجيد عبرة أى عبرة ، ولهم كذلك مثل عليا ترزع الناس بجلالها وجمالها .

لقد كانت لهم دولة قامت على الخلق وتحصنت بالعدالة وسادت في ربوعها الحرية والإخاء والمساواة، وأشرق عليها نور العطف والترحام. فكان المسلم على قلب أخيه المسلم: يفرح لفرحه، ويأسى لأساه، ويدبر له فيما ينوبه من مهام العيش ومشاكل الحياة، إذا مرض عاده، وإن افتقر عاد عليه، وإن غاب سأل عنه، وإن مات تبع جنازته وتعمد أسرته، وإن زاع عن الحق أذكّره به وحمله عليه، وإن تحرف عن الهداية بصره بالسبيل القصد وسدده على النهج الواضح.

وكان لهم ولادة ورعاة يستشعرون في أعماقهم خوف الله فيما ولاهم، ويتمثلون رقابته فيما عهد إليهم من أمانة، ويلوح لهم دائماً دستور عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات لحشيت أن يسأل عنه آل الخطاب».

كانت للمسلمين دولة قامت على الأمانة والعفة، فلا يطمع حاكم ولا يحكوم فيما ليس من حقه أن يأخذه، وكانت عفتهم في هذا مضرب المثل، حتى أيرى أنه قد أتى عمر ابن الخطاب بتاج كسرى عقب فتح فارس، فاستعظم الناس قيمته لما كان يحوى من جواهر. وجعل عمر ينظر إليه متعجباً. ثم قال: والله إن قوماً أدوا إلينا مثل هذا لأمناء، فالتفت إليه على بن أبي طالب وقال: يا أمير المؤمنين، إنك عفت فعفوا، ولو رعت لرتعوا.

كان أسلافنا رضى الله عنهم يوقنون أن أساس عزة المسلمين هي قول الحق تبارك شأنه «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة»، وبهذا الشراء أو بهذه العقيدة انطلقوا يحملون الراية ويخوضون المعامع، لا يحرصون على دنيا ولا يلتفتون إلى حياة، وبهذا دكوا المداقل واقتحموا الحصون وثلوا العروش وصرعوا التيجان، وتغلّبوا على خصوم أقوياء أشداء، وامتلكوا أرضهم وديارهم ووقفوا في ساحاتهم يرددون قول رب العالمين: «كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين».

فلما بدل المسلمون ما بهم ونسوا الخلال والآداب التي ملكوها بها الدنيا، والتعاليم التي بهروا بها العالم، لما نسوا سماحة دينهم ورسالة نبيهم والشمائل التي يجب أن يتحلّى بها جندي الإسلام، لما نسوا التقى والورع وحرصوا على الشهوات والمطامع، تسرب الدخيل إلى صفوفهم فأشاع فيها الخصام والفرقة، وتمكن العدو منهم فألقى بينهم العداوة والبغضاء،

وتركهم شيعاً وأحزاباً ، يلعن بعضهم بعضاً ، ويفشرون بعضهم سيئات بعض . وهكذا تقسمتهم المحن وانتاشتهم الفوائل وأصبحوا غرضاً للزمان يرميهم بذبله ويقذفهم بسهامه .

لماذا يتصالح المسلمون الآن بالشكوى ويجأرون بالانين ؟ لماذا يقفون في المعترك الدولي يلتفون لطمعة لأثر لطمعة ، ويستقبلون عدواناً بمد عدوان ، ويستصرخون خصومهم أن ينجدهم فلا يرون منهم نجدة ، ويتلفتون إلى أعدائهم أن يعينوهم فلا يحسون منهم من عون أو نصير ؟ لماذا ضعف المسلمون وغلبوا على أمرهم وملكوا زمامهم ومواردهم ومصابير أمورهم لمن لا يحس في قلبه رحمة لهم ، ولا ترد في فؤاده عاطفة من الاحترام والحب نحوهم ؟ ليس لذلك من سبب إلا ضعف الإيمان والاحلال العزم وفتور النفس والاعتزاز بالدنيا والبعد عن الله .

ليس لذلك من سبب إلا أننا تعودنا أن نقول فنحسن القول ، فإذا اتجهنا إلى العمل خارت قوانا وتفككت أوصالنا وشاع فينا التخاذل والنكوص !

هؤلاء إخواننا في الدين يلقون ألواناً مضيئة من الإغاثات والإرهاق ، فإذا صنعنا لهم وماذا قدمنا من أجلمهم ؟ هؤلاء إخواننا في تونس والجزائر ومراكش وفي فلسطين يسامون الخسف ويلقون الذل والهوان والعسف ، يسفك العدو دماءهم ، ويمزق أشلاءهم ويهتك حرمانهم ، ويقف في الميدان الدولي وقد تلطخ وجهه بجرميته فما يندى له جبين من الحجل ، وما يخفت له صوت من الحياء .

ها هي ذى قراهم تدمر وأرزاقهم تسلب وقادتهم وزعماءهم يقتلون ويسجنون ، وشبانهم يتساقطون صرعى تحت وأبل الرصاص المنهمر من الأيدي الغادرة المجنونة ، فإذا صنعنا لهم مما يعين به الأخ أخاه ، ويسعد الجار جاره ؟

إن العقلية الاستعمارية لم تعتبر بما مر عليها من عذابات الحياة وعبر الأحداث وضربات القدر . لقد كانت بالأمس تستصرخ الدنيا وتستنجد العالم ليعينها على عدو أذلها وعبث بمقوماتها ومقدساتها ، وكانت تصور الظلم وآسيه بصورة تقشعر لها الجلود ويشيب منها الولدان ، فما بالها لم تنفض عنها بعد غبار الهزيمة والعار ، تحاول أن تمثل دور الظالم الطاغية الذي يستمتع بمنظر الدماء المسفوحة ، والأعراض المفضوحة ، والجلود الممزقة .

إنه لا ينبغي أن نخاطب هؤلاء الناس باسم السلام العالمي ولا الأمن الدولي ولا القوانين التي يحتنون بها ويدعون أنهم حاملو لوائها ، لأن هذه السمات لا وزن لها في نفوسهم ولا تقدير لها في مجتمعاتهم ، ولا ينبغي أن نخاطبهم باسم العاطفة الإنسانية والرحمة البشرية التي تسكن كل قلب وتسرى في كل نفس ، فقد صغرت قلوبهم من العاطفة وخت نفوسهم من الرحمة ، وأصبحت كالحجارة أو أشد قسوة .

فهؤلاء الذين تمردوا على إنسانيتهم وثاروا على بشريتهم ، ولبسوا جلود الوحوش الكاسرة والذئاب العاوية ، لا يجدى لديهم المنطق ولا ينفع عندهم الاتجاه إلى الشهور والإحساس .

إنما منطقهم الذي يفهمونه واللغة التي تفزعهم وترهبهم هي لغة القوة أو لغة المقاومة المصممة المعاندة التي لا تضعف ولا تلين .

لقد هب المسلمون في كل مكان وتيقظوا لاساليب الاستعمار ودسائسه ومكائده التي يدبرها في كل مكان ، ولن يغضوا عيونهم بعد اليوم عن القنذ ، ولن يطووا صدورهم على الهوان . وعندما تنطلق الصيحة من أقصى الشرق فسيتردد صداها في أقصى الغرب .

فلنقف على أقدامنا نستمد القوة من صدورنا وإيماننا ، ولنتمس الحلول من وحى تفكيرنا وعقولنا ، وليكن شعارنا دائماً في كفاحنا وجهادنا ، قول الله تبارك وتعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

بهذا نأخذ في الحياة وضعنا الكريم الذي نفشده ، ومكاننا اللائق الذي نصبو إليه . ونستطيع أن نفخر حقاً بأننا مسلمون تجرى في دمائنا العزة الإسلامية ، وتملكنا الفضائل الدنيئة السكرية . والله الهادي إلى سواء السبيل .

عبدالمجيد محمود المسطوت

المدرس بكلية اللغة العربية

الإشاعات والأراجيف

الإشاعات سلاح خطر يفتك بجسم الأمة ويفرق بين أهلها، ويسىء ظن بعضهم ببعض ، ويؤدى إلى بغض المحكومين للحاكمين وعدم الثقة بهم ، فقد تنشر الإشاعة وتلصق بالحاكمين تهمة ، فيسمعها المرء من مصادر متعددة ، وتتكرر على ذهنه فيصدقها للتوكيد والتكرار . وأسرع الأمم تصديقاً للإشاعات هي الأمم الجاهلة ، فهي بسذاجتها تصدق ما يقال لها وليست فيها قدرة النقد والتحيص ، وقد تحمل الإشاعة تكذيبها ولكنهم لا يفتنون إلى هذا التكذيب .

أما الأمم العالمة ، فهي أبعد الناس عن تصديق الإشاعات وعن أن تروج فيهم ، فالمتعلمون فيها إذا ألفت إليهم إشاعة كاذبة محصوها وعرضوها على النقد فيبين لهم كذبها وزيفها ، ولكن العلماء المحصين قليل ، والكثرة الكاثرة أجهل من أن تمحص وأضعف من أن تنقد ، ولذلك كانت الإشاعات سلاحاً حاداً شديداً الفتك . وقد أدركت الأمم فتك هذا السلاح فحاربت أعداءها به ، وافتتت فيه وجهت في أن تقي أمتها شره .

ومن قبل ذلك أدرك المسلمون الأولون خطورة هذا السلاح ومضاهه ، وقد حاربوا وحاربوا به ، وكانوا إذا حاربوا به أحكموه ، وإذا حاربوا به فلقوه ، لعلمهم بقوته وفتكه وإدخاله الرعب والفرع والشك والشبهة في نفوس الأمة التي تبلى بها .

يحدث التاريخ أن المنافقين أشاعوا الشائعات حول امرأة طاهرة الذيل عفيفة الإزار ، وهي السيدة عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، اتهموها في عفتها وهي حسان رزان ، ماترن برية ، قد ربيت في بيت كريم ، بيت أبي بكر الصديق ، وخرجت منه إلى بيت كريم ، مهبط الوحى ومنزل النبوة ، ومثوى الأبرار الصالحين وهو بيت محمد ﷺ ، وكانوا يريدون بهذه الإشاعة إثارة الشكوك في نبوته ﷺ ، فيقول القائل إنه كسائر الناس تهم نسائه ويطنن من خلفه ، ولو كان نبياً لكان أكرم على الله من ذلك ، ولاعله بما يدور في بيته ، ولكن ما لبثت هذه الإشاعة أن قضى الله عليها ، فقد نزل القرآن ببراءتها مما رميت به ، وتوعد الذين جاءوا بالإفك بالشد أنواع العذاب ، ورسم للمسلمين سياسة حكيمة في إشاعات السوء

وموقف المؤمنين منها ومن مروجيها ، فما نزل في براءة السيدة عائشة : « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ، أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم » . ومما توعده به الذين أشاعوا الفاحشة : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » . ومما طلبه من المؤمنين الذين يسمعون إشاعات السوء : « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكن في ما أفضتم فيه عذاب عظيم إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » .

فقد علم الله المؤمنين كيف يجاربون الإشاعات والأكاذيب ، وكيف يتقونها فطلب أن يرجع المسلمون إلى ما علموه من سيرة من قبلت فيه الإشاعة ، وألا يتركوا ما علموه من نزاهته وصلاحه ، إلى ما لم يعلموه من هذه الأكاذيب ، وأن يغلب المؤمنون حسن الظن ، ويظنوا بأنفسهم خيراً فيكذبوا ما قيل وأن ينفقوا من هذه الأكاذيب موقف الناقد الفاحص والقاضي العادل ، فلا يصدق إلا بيقين ، ولا يحكم إلا ببينة .

وأخطر شيء في الإشاعات هو التحدث بها وترديدها والإفاضة فيها إذ بذلك يمكن للإشاعة من أن تفسد العدد الكثير ، وتعين الأمة بذلك عدوها عليها ، وتتولى إفساد ذات بينها ويدها ، ويكون نصيبها في ضررها أكثر من نصيب عدوها إذ هو يخلق الإشاعة ويرى بها وهنا ينهى عمله ، والأمة تتولى الباقي فتضر نفسها أكثر مما يضرها عدوها .

لذلك جعل الله من أعظم ما تنقي به الإشاعة عدم تلقيها باللسنة ، وعدم الإفاضة فيها ، وقتلها في مهدها : « لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » .

فليت أمتنا السكرية تعمل بهذه السياسة الرشيدة لفل سلاح الإشاعات ، فترجع إلى ما علمته من نزاهة القائمين بالحركة ، ومن تعريضهم أرواحهم حين قاموا بشورتهم ، ثم قيامهم بالإصلاح في الآداة الحكومية ، ثم ما علموه من تحديد الملكية ، وكل ذلك يكسبهم أعداء حاققين ، ولم يبالوا بذلك في سبيل الخير والإصلاح ، فهم لا يعملون لأشخاصهم ، وإنما يعملون للخير والمصلحة

العامه ، ويجب ألا يكونوا سريعي التصديق ، وأن يطالبوا مروّجى الإشاعات بالحجة والدليل ، ويجب أخيراً ألا يعينوا عدوهم عليهم برديد الأراجيف والإفاضة في الإثم والبهتان .

وقد لقي النبي ﷺ وأصحابه ، من حرب الإشاعات عنتاً كثيراً ، كانوا إذا خرجت سرايا النبي ﷺ أرجف بها مروّجو الأراجيف ، فيقولون هزمت وقتلت ، ليكسروا بذلك قلوب المؤمنين .

فتوعدهم الله أعظم وعيد ، وأنزل فيهم عقوبات هي أشد ما أنزل في مواطن وهي قوله : « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ، . فهل سمع سامع بعقوبات أشد وأنكى من هذه العقوبات ، ولإنها لا تزال قائمة يصبها القانون الإلهي على ناشري إشاعات السوء ومروجي الفتن والمرجفين في الأمة .

وقد اضطر المسلمون في عصر النبي ﷺ أن يحاربوا بالإشاعات ، وكان ذلك في واقعة الخندق ، وهي واقعة تألب فيها الشرك على الإسلام ، فتد تألبت اليهود وقريش وغطفان وجاءوا في العدد والعدة ، وحاصروا المدينة ، ولما أردت أن تعلم ما كان المسلمون فيه من هول ، فاقراً قوله تعالى في وصفه : « إذا جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ونظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلا شديدا ، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ، .

في هذه العسرة وهذا الضيق ، جاء نعيم بن مسعود الغطفاني إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله « إني أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فأمرني بما شئت ، ، فقال رسول الله : إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة ، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة من اليهود ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا صدقت ، است عندنا بئتم ، فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونسأؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم ، يكونون لديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمد حتى تتاجزوه .

فقالوا له : لقد أشرت بالرأى ، ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمداً ، وأنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكتموا عني قالوا : نعم ، قال تعلقوا أن معشر يهود ، قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشrafهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نسكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم . فأرسل إليهم أن نعم ، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً . ثم قال مثل ذلك لغطفان ، ثم أرسل أبو سفيان يستنهض اليهود للقتال فقالوا : لسنا نقاتل حتى تعطونا رهنا من رجالكم فقالت قريش وغطفان إن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، وأبوا عليهم . فقالت اليهود إن ما حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، فخذل الله بينهم واختلف أمرهم ، وكان أن أرسل الله عليهم ريحاً شديدة فى ليلة شاتية شديدة البرد ، فأصبحوا مرتحلين ونجى الله المسلمين .

لقد كان نعيم بن مسعود أرد على المسلمين من مائة ألف سيف تنافح عن المسلمين - فإذا كان المثل يقول إن من الرجال من هو بألف فإنى أقول إن نعيم بن مسعود بأمة أو بجيل من الناس .

وقد فعل السير ستافورد كريس سفير إنجلترا فى روسيا ما فعله نعيم بن مسعود فما زال يخوف روسيا من ألمانيا ويذكر لها ما طلبته من الصالح معهم على حرب روسيا ، حتى أوجسوا شراً من ألمانيا ، وظهر ذلك منهم نخافتهم ألمانيا ، ووقعت معهم فى حرب أعجزتهم قتلا وأفنت رجالهم وعدتهم وسلاحهم ، وخف بذلك الضغط على بريطانيا وكسب الحلفاء النصر . ولذا تأمل المرء يجد أن المصريين قد أتوا فى كثير من حروبهم من الإرجاف وقالة السوء ، فقد كان يرجف فى واقعة عرابى ، بأن جيشكم قد هزم وعرابى قد سلم فتفعل فيهم ما يفعل الداء بالجسم المريض ، ويقع الرعب ثم يقع التسليم .

الآن قد علمتم قوة الإشاعات والأراجيف فما أحرأكم بالخطر منها وعدم تمكين عدوكم منكم بتصديقها والإفاضة فيها .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

الرَّحْمَةُ وَآثَارُهَا

الرحمة صفة تنكشف بنتائجها ، وتدرك بمظاهرها ، وتعرف بآثارها ، وهي تضاف للخلق كما تضاف للخالق ، وإن كانت بالنسبة لله قديمة باقية ، وبالنسبة للعبد حادثة فانية .
وسأبين بعض آثارها بالنسبة للخالق والخلق . راجياً أن يكون فيها عظة وذكرى ،
« والذكرى تنفع المؤمنين » .

إن رحمة الله وسعت المتينين من الكافرين ، فحبا الله عنهم بها بعد الإسلام ما اجتروه قبله من السيئات ، وما حملوه من الآصار ، وما تلبسوا به من الأوزار .
وشملت التائبين من المذنبين ، فطهرهم بها من الذنوب ، وأقلمهم من العثرات ، وتجاوز لهم عن التبعات . قال تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » .

واكتنفت السابح في الماء ، والسائح في الهواء ، والسارح في القبراء ، فسخر لهم بها الشمس والقمر ، والليل والنهار ، والحر والبرد ، وغير ذلك من أسباب الرزق ووسائل الحياة ، ولوازم البقاء .

وعمت العصاة إلى أجل ما ، فلم يؤاخذهم الله حين التلبس بالمعصية ، ولم يعاجلهم بالعقوبة غب اقترافها . ولكنّه بواسع رحمته ، وعظيم لطفه ، أمهلهم عساهم يدركون قبح عصيانهم ، وتركهم عساهم يشوبون إلى رشدهم ، ويقرعون باب الله نادمين ، وسعت كل شيء في هذا الوجود ، فأغدق الله بها النعم السابعة ، والعطايا الشاملة ، والممن الوارفة ، التي لا يبلغها الوصف ، ولا يحيط بها الحصر : « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظالم كفار » .

وأرسل الغيث للأكوان يروها	أعطى الخلائق بالإفضال نعمته
سبحانه واهب الدنيا وما فيها	وأخرج الثبت من يبس بقدرته
ومن يقوم على الأفلاك يحميها ؟	من يحفظ السكون لولا فيض رحمته ؟
جاء الفناء بماضى العزم يربها	لولا الخلق من الألفاظ يمسكها

وأما رحمة العبد : فأول آثارها الكف عن الاعتماد على أموال الناس ودمائهم ، وحقوقهم وأعراضهم ؛ وما ذاك إلا أن صاحب الرحمة يكون طاهر النفس ، صافي القلب ، يراقب الله فيما يورد ويصدر ، ويخافه فيما يأتي ويذر ، وإذ ذاك يسمو عن الضرر والضرار ، ويتبرأ عن الشرور والآثام ، ويجعل الخير وجهته في جميع الاحوال .

ولإذا وقع منه ما يؤذى الغير بدون قصد قادته نفسه إلى الاعتذار ، وحملته على التحلل من خطئه . وهذا منتهى الخلق الكريم الذى يورث صاحبه عز الحياتين ، ونعيم الدارين :

لو أتت خـيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الاخلاق
كل الامور تبـيد منك وتنقضى إلا الثناء فإنه لك باق

وإذا لم يكن للرحمة التى تسكن قلب الإنسان غير هذا الاثر المحمود ، لكفى بها فضيلة تنق بها الاخطار التى ييؤ بها الظالمون ، وينوء بها المظلومون .

وثانى آثارها نادية العبد ما فرضه الله عليه من زكاة ، لأن الرحما لا يستطيعون أن يقبضوا أيديهم عن إخوان قد أحرق الجوع أحشاهم ، ومزقت الفاقة أجسادهم ، وأذاب البؤس نفوسهم ، ولكن الرحمة تبسط بالعطاء أيديهم ، فيتقاطر منها الإحسان كما يتقاطر الحيا على الزهر الدابل فتعود إليه النضرة والحياة :

لو وفا بالزكاة من جمع الدية يا ، وأهوى على اقتناء الحطام
ما شكا الجوع معدم أو تصدى لركوب الشرور والآثام
خصها الله فى الكتاب بذكر فهى ركن الأركان فى الإسلام
بدأت مبدأ اليقين وظلت لحياة الشعوب خير قوام

وثالث آثارها : أنها تبعث صاحبها على إغاثة الملهوف ، وإغاثة المكروب ، وإبلاغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، لأنه يرى أن السعادة فى هذه الحياة ليست عبارة عن المتع والملذات ، ولكنها تقوم على التعاون مع بنى الجنس على قطع مراحل الحياة ، وإمدادهم بما آناه الله من مال وجاه ، وعلم وسلطان . فما لاشك فيه أن الشخص الذى تدفعه الرحمة إلى إسداء الجليل لا يكون مخلوقا لنفسه ، ولكنه يكون مصدرا لإسعاد أمته ، ومن كان هذا شأنه فإنه يكون محط الرجاء ، وموئل العفاة .

ورابع آثارها : أنها تحمل صاحبها على إكرام جاره ، ونذكره بحقوقه وواجباته ، فلا يطيّب خاطره أن يراه في العوز والفاقة ، ثم يتجاهل أمره ، وينض عنه طرفه ؛ ولكن الرحمة تحرك في نفسه عاطفة الخير ، وتبسط يده إليه بالكرم والجود .

ولقد عني الدين الإسلامي بشأن الجار أيما عناية حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » ، وقال : « ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع » .

ولأن تلك العناية العظيمة بالجار لنحمل في طياتها أبلغ الحكم ، وأجل المصالح ، وأعظم الفوائد ، ذلك أنها تعقد بين الجيران أواصر المحبة ، وتخلق من شنائهم قوة ووحدة ، وتلك بغية الشرائع ، ونهاية المقاصد .

وبالجملة فصاحب الرحمة مجبول على حب المصلحة ، مفطور على بذل الخير والمنفعة ، معوان للبائسين . ولكن يجب ألا تكون الرحمة سبباً في الخروج عن حدود الدين ، وأداة لتسكب الطريق المستقيم .

ولبيان ذلك نقول : إن الحاكم مثلاً يجب عليه أن يقتص من الظالم وأن يعاقب المجرم ، فإذا دعت الرحمة إلى الإغضاء عن السارق ، أو حملته على التجاوز عن الزاني ، فإنه يكون جاهلاً بمعنى الرحمة ، ملوماً أمام الحق والعدل ، لأنه إذا رحم فرداً بترك عقوبته فقد قسى على الجماعة ، وأضاع حقوقها وواجباتها ، ذلك أن الجرائم تفسو بينهم ، وتشيع الفاحشة في أوساطهم ، وتسود الفوضى ويختل النظام ، وتعرض الأمة بتمامها للقضاء .

ولهذا قال الله تعالى : « لكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » . وقال : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله » .

فالرحمة الممدوحة هي التي تكف الإنسان عن الأذى ، وتدفعه إلى أن يؤدي ما عليه من واجبات ، وتحمله على فعل الصالحات وترك السيئات .

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرحمة ، ونهى على قساة القلوب فقال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » . وقال : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » وقال : « لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي » .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « كنت أضرب غلاما لى بالسوط ، فسمعت صوتاً من خلني : اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ، فنظرت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : لا أضرب غلاما بعدها أبداً ، فقال : « أما لو لم تفعل للفتحك النار ، » .

وكان للحيوانات نصيب من حث الرسول صلى الله عليه وسلم على رحمتها والرفق بها . فقد روى أن رجلاً أضجع شاة ليزبحها بشفرة كليلية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أتريد أن تميته موتتين ؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجها ، ؟ » .

وبعد فهذه كلمة في الرحمة نسوقها إلى الفقراء لمناسبة ما تقوم به الحكومة من بعث النفوس إلى الرحمة بالبؤساء والمحاييج ، والفقراء والمساكين ، والمهاجرين والمشردين ، راجين أن تكون نافعة لمن تقبلها بقلب سليم ، والله الهادي إلى الصراط المستقيم .

عبد الرحيم فرغلي البلينى
المفتش بالأزهر والمعاهد الدينية



ضمان المتقاضين في القضاء الاسلامى

في صحيح البخارى ومسلم وغيرهما بروايات متعددة وألفاظ متقاربة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلى ، وعسى أن يكون بعضكم ألحن بحجته من الآخر فأفضى له على نحو ما أسمع ، فن قضيت له بشيء من حق أخيه وإنما أقطع له قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها ، » .

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْقُرْآنُ

القرآن الكريم هو دستور السماء الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الغيث الإلهى الذى تنزل من لدن الرحمن الرحيم على الأرض الجدبة الماحلة ، فأحيا موتها ، ورد عليها شبابها . ولا يستقيم لمسلم إسلام أو يتم إيمان ، بدون رابطة له مع القرآن المجيد ، ولذلك قال رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام : « إن الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » .

ولقد كان لرسول الله صلوات الله عليه مع القرآن نبأ أى نبأ ، فهو ربيع قلبه ، ونور سبيله ، وسمير وحدته ، وزينة بجمعه ؛ يسمعه - وعليه أنزل - فإذا القلب الواجف والروح الخائف واللسان الذاكر . وفى الحديث أن عبد الله بن مسعود قرأ على الرسول قوله تعالى : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » ، ثم التفت إليه ابن مسعود ، فإذا عينا الرسول تذر فان ... وصلوات الله عليه ، فهو القائل : شيدتنى هود وأخواتها ... وهو القائل : إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين ... وهو القائل : « اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيحاً لأصحابه » .

وحينما كنت أتتبع سيرة الإمام العادل ، والخليفة الخامس ، عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فى مصادرهما ومظانها ، لفت نظرى كلمات وأخبار ومواقف لعمر بن عبد العزيز مع القرآن الكريم ، ورأيت أن جمعها من شتاتها ، والربط بينها ، ونظمها فى سلك واحد من المقال ، وسيلة من وسائل التخليد والتعجيد ، وطريقة من طرق التأديب والنهذيب ، وباباً من أبواب التذكير والتحذير ...

* * *

لعل أول ما نطالع فى سيرة هذا الإمام التقي العادل من صلة له بالقرآن بعد أن حفظه وهو غلام حدث أنه يروى عن أبيه عبد العزيز بن مروان عن أبي الدرداء قوله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا خشى أحدكم نسيان القرآن فليقل : اللهم ارحمنى بترك المعاصى

أبدأ ما أبقيتني ، وارحنني بترك ما لا يعينني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك غنى ، وألزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، وهور به بصرى ، وانشرح به صدرى ، واجعاني أتله كما يرضيك غنى ، وافتح به قلبي ، وأطلق به لسانى ... فيكون هذا الدعاء الذى ترويه كتب السيرة أو التاريخ شاهداً على أن عمر بن عبد العزيز يعرف للقرآن قدره ، وإذا نسيه ذكره ، وإذا غفل عنه تاب إلى ربه واستغفره .

ثم نشاهد عمر بن عبد العزيز فى موقف آخر مع القرآن الكريم : لأنه يدمن القراءة له ، ويديم المذاكرة له ، فهو يألف المصحف ، ولا يكاد يمر عليه يوم دون أن يتناوله ويتلو فيه جانباً من القرآن ، سواء أكان يريد تثبيت ذلك الجانب إن كان محفوظاً من قبل أو يريد استذكاره واسترجاعه إذا كان قد ندد عنه . وما هو سعيد بن عامر يحدثنا عن إسماعيل ابن أبى حكيم قال : كان عمر بن عبد العزيز لا يدع النظر فى المصحف كل يوم ، ولكنه لا يكثر . وفى رواية أخرى : كان عمر بن عبد العزيز قلباً يدع يوماً يقرأ فى المصحف بالغداة فلا يطيل .

ولعل عدم الإكثار ، أو عدم الإطالة ، مما يستوقف النظر هنا . ولكن الراجح أن عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه كان يستمدى فى ذلك بقول الرسول عليه صلوات الله : « اقرأوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا » . فهو يهرع إلى القرآن ما دام هادئاً فارغاً ، وما دام لا يجد من معوقات الحياة ، أو اختلاف الأمور أو الأشخاص ما يصرفه عنه .

ويؤكد هذا المعنى أن عمر كان إذا سمع القرآن شغله المعنى أكثر مما يشغله اللفظ ، واستبد به التفسير أكثر مما تستبد به متابعة الترتيل أو روعة التلحين ... حدث الغلابي قال حدثني رجل أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قرأ عنده قارئ مرة ، فقال له مسلمة ابن عبد الملك - وكان حاضراً - : لحن . فقال عمر : أما شغلك معناها عن لحنه ؟ ... وحدث عثمان بن عبد الحميد ابن لاحق قال : سمعت أبى قال : قرأ رجل عند عمر ابن عبد العزيز سورة ، وعنده رهط ، فقال لبعض القوم : لحن . فقال عمر : أما كان فيما سمعت ما يشغلك عن اللحن .

وليس هذا فيما يظهر تسويماً من عمر للحن فى كتاب الله ، فحاشاه أن يفعل ، ولكن لعله أراد ألا ينجل القارئ من جهة ، وأراد أن يخفف من مجاہته بنقد الناقد من جهة أخرى .

ولكنه رأى من أسلوب الناقد ما أفهمه أنه غفل عن تتبع المعنى والتأثر به ، واكتفى بإحصاء الهنات والمفوات ...

* * *

والإجابة الحاضرة عن معنى آية من آيات القرآن عقب السؤال عنها لا تيسر على وجهها إلا لرجل ألب القرآن تلاوة ، وتدبرا ، واستيعابا . ويلوح لنا أن عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه كان من ذلك الصنف الممتاز الذى طالعت صحبته للقرآن الكريم ، واستطاع من وراء ذلك أن يفقه معانيه ، وأن يستحضرها حين السؤال عنها ، دون الحاجة إلى استنباط المراجع أو المظان ... وهاك بعض الشواهد السريعة على ذلك ، وهى بعض الزهرات المنتورة فى سيرة ذلك الخليفة التقي .

حدث محمد بن كعب القرظى قال : اجتمع نفر من علماء أهل الشام وعلماء أهل الحجاز ، فكلمنا عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز فقلنا : نحب أن تسأل عمر ونحن نسمع عن قول الله تعالى : « وأنى لهم التناوش من مكان بعيد » . قال : فسأله ونحن نسمع . فقال عمر : سألت عن التناوش ، وهو التوبة ، طلبوها حين لم يقدروا عليها .

وهذا تفسير جميل لا تستوحش منه أقوال المفسرين فى كلمة « التناوش » ، فى كتاب (مفردات القرآن) للراغب الأصفهاني : « النوش التناول ... وتناوش القوم كذا تناولوه . قال : وأنى لهم التناوش ، أى كيف يتناولون الإيمان من مكان بعيد ، ولم يكونوا يتناولونه من قريب فى حين الاختيار والارتفاع بالإيمان ، إشارة إلى قوله : يوم لا ينفع نفساً إيمانها ... الآية » .

وقال الزمخشري فى كشفه فى تفسير الآية : « التناوش والتناول أخوان ، إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب ... وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون ، وهو أن ينفعهم إيمانهم فى ذلك الوقت ، كما ينفع المؤمنين إيمانهم فى الدنيا » .

والتوبة قريبة من الإيمان ، فقد قال الراغب أيضاً : « التوب ترك الذنب على أجل الوجوه » والكفر رأس الذنوب ، وفى التوبة رجوع إلى الله ، والرجوع إليه خضوع له وإيمان به !! ...

ومن جميل تفسيره للقرآن أنه سئل — كما حدث إبراهيم بن زيد — عن قول الله تعالى :
 « أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » ، فقال : لم تكن إضاعتهما أن تركوها ، ولكن أضعوا
 المواقيت . وسياق الإجابة يدل على أنه أجاب حين سئل ، دون استنباه أو رجوع ، وذلك
 يدل على صلته الدائمة بالقرآن ومعرفته له وأنسه به .

وهذا تفسير طريف آخر لبعض آيات القرآن الكريم ، ذكره عمر بن عبد العزيز ،
 ولمح فيه من ألفاظ القرآن ما قد يغيب عن سواه : كتب إليه بعض عماله يقول : يا أمير
 المؤمنين إني بأرض قد كثرت فيها النعم ، حتى لقد أشفقت على من قبلي من أهلها ضعف
 الشكر ... فكتب إليه عمر يقول :

إني قد كنت أراك أعلم بالله ، إن الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان حمده
 أفضل من نعمه . لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل فقد قال الله تعالى :
 (ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين)
 وقال الله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها
 وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيِّبتم فادخلوها خالدين ، وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده
 وأورثنا الأرض تنبؤاً من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) وأى نعمة أفضل من
 دخول الجنة ؟

والظاهر أن عمر رضى الله عنه لا يريد بذلك التهوين من شأن النعم الإلهية ، ولكنه
 يحث على مداومة الحمد المصحوب بالشكر وحسن العباداة ، وذلك خير مقابلة للنعم ، وإذا
 تذكرنا أن التوفيق للحمد على وجه نعمة أخرى كبرى ، فقد عرفنا كيف تتصل النعم وتدوم .

* * *

ويلوح من سيرة عمر بن العزيز ومواقفه مع القرآن المجيد أنه رضى الله عنه كان يقبل
 عليه بالسمع والبصر والفؤاد ، ويبدأ فى تلاوته يقظ القلب حاضر القلب طاهر الروح ؛
 ولذلك هو يتنبه لفواصله ، وتتبع تغللاته ، ويتأثر بألوان عباراته ، ويندج فى جوه الروحي
 السامى ، فينال من حسه ونفسه وشعوره الشيء الكثير ؛ فهو مثلاً يقرأ قراءة الفهم ، ويسمع
 سماع للتابع ، ويدرك ما يناسب كل آية من تجاوب أو تعليق . حدثت وكيع عن صالح بن
 سعيد المؤذن قال : بينا أنا وعمر بن عبد العزيز بالسويداء ، فأذنت بالعشاء الآخرة ، فصلى ،
 ثم دخل القصر فقلما لبث أن خرج ، فصلى ركعتين خفيفتين ثم جلس فاحتجى ، فافتتح

(الأنفال) فما زال يرددها ويقرأ ، كلما مرّ بتخويف أضرع ، وكلما مرّ بآية رحمة دعا ، حتى أذنت الفجر !!

وهو بهتز قلباً وقالبا إذا استبان أنوار الجلال القدسي أو ملامح القدرة الإلهية في التعبير القرآني ... حدث بجدل الشامي عن أبيه — وكان صاحباً لعمر — قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يتلو على المنبر هذه الآية : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، حتى ختمها ، فقال على أحد شقيه يريد أن يقع . يعني أنه فعل ذلك من شدة تأثره بما تلا . وهو كثير البكاء حين يتلو القرآن ، وإنما البكاء ترجمان حسي عما يحتاج في صدره ، وما يصطلي به كبده من زفريات :

حدث الفضيل بن موسى عن مقاتل بن حيان قال : صليت خلف عمر بن عبد العزيز فقراً : (وقفوهم إنهم مسئولون) فجعل يكررها لا يستطيع أن يجاوزها — يعني من البكاء وشدة التأثر .

وذكر أبو المليح عن ميمون بن مهران قال : قرأ عمر عبد العزيز : (ألهاكم التكاثر) فبكى ثم قال : (حتى زرتم المقابر) ما أرى المقابر إلا زيارة ، ولا بد أن يرجع إلى الجنة أو إلى النار ... والله ما ألطف ذلك التأويل ، وما أجمل استنتاج ذلك المعنى الرقيق المؤثر من الآية السكرية ... أرايت كيف يلح من كلمة « زرتم » ، أن البقاء في القبور إنما هو بقاء الزائر ، والزائر يخفف زيارته عادة فلا تطول وهي مهما طالقت قصيرة ، ولا بد له من عودة وإلى أين العودة هنا ؟ إلى الجنة أو النار !

وقد روى عن عبد الأعلى بن عبد الله الغزي أنه رأى عمر يوم الجمعة صعد المنبر فخطب فقراً (إذا الشمس كورت) حتى إذا انتهى إلى قوله تعالى : (وإذا الجحيم سعرت ، وإذا الجنة أزلفت) بكى وأبكى أهل المسجد ، حتى ارتجح بالبكاء . قال الغزي : حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه !! ...

وليس ذلك بعجب ، فعمر عندما تلا آصور ، وبلغ به التصور حده ، فكأنه يرى أهل الجنة وهم يتزاورون فيها ، ويرى أهل النار وهم يصطرخون فيها .. وإذا لم تكن الحيطان قد بكت حقيقة — إن أردت المراجعة — فلا أقل من أن تفهم أن هذه اللحظة بما فيها من جلال وخشية واستغراق جعلت الغزي يرى كل شيء حوله باكياً !! ..

وقال محمد بن الحصين : حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز — وهو أمير المؤمنين —
وقرأ عنده رجل : (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً) فبكى عمر حتى
غلبه البكاء وعلا نحيبه فقام من مجلسه فدخل بيته ، وتفرق الناس .

وروى سعيد بن أبي عروبة أن عمر بن عبد العزيز قال لابنه : اقرأ : قال : ما أقرأ ؟ .
قال : اقرأ سورة (ق) . فقرأ حتى بلغ : (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تحيد) فبكى ، ثم قال : اقرأ ، اقرأ يا بني . قال : ما أقرأ ؟ . قال اقرأ سورة (ق) . حتى
إذا بلغ ذكر الموت بكى أيضاً بكاء شديداً ؛ يفعل ذلك مراراً .

ولعله يشير بذكر الموت في آخر الخبر السابق إلى قوله تعالى بعد الآية السابقة : (وم
أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيى) . أو إلى قوله
تعالى بعد ذلك في السورة نفسها أيضاً : (إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير) ففي كل منهما
إشارة إلى الموت . .

وأخبر رجل من بني ضبة قال . شهدت رجلاً يقرأ عند عمر بن عبد العزيز ، فكلما
انتهى إلى هذه الآية : (فن الله علينا فوقانا عذاب السموم) بكى عمر حتى اشتد بكاءه ،
ثم ازداد بكاءه ، فلم يزل يبكي حتى غشى عليه . . .

والظاهر من سيرة عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه أن أسرته كانت تشاركه الشعور
بجلال القرآن ، وتتجاوب معه في ذلك الحزن العميق والألم البالغ إذا جاء ذكر الحساب
والعقاب ، ولا عجب فقد كانت ذرية مقودة بزمام الحق والإيمان .

حدث أبو مودود قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم : وما تكون
في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه . .
فبكى بكاء شديداً حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة (زوجته) جلست تبكي لبكائه ، ويبكي
أهل الدار لبكائهما ، فجاء عبد الملك (ابنه) فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون ، فقال :
يا أبتى ، ما يبكيك ؟ . قال : خير يا بني ، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه ، والله يا بني
لقد خشيت أن أهلك ، والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار .

وهذا خبر نجمله خاتمة هذه المواقف ، ولعله جدير بأن يكون خاتمتها ... لقد بكّت عليه زوجته فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاته بكاء شديداً موصولاً ، فلما أرادوا أن يصدوها عن ذلك أبت وقالت فيما قالت :

رأيت ذات ليلة قائماً يصلى ، فأتى على هذه الآية : « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، فصاح : واسوء صباحاً ! . ثم وثب فسقط فجعل يخور حتى ظننت أن نفسه ستخرج ، ثم إنه هداً فظننت أنه قد قضى ، ثم أفاق لإفاقة فنادى : يا سوء صباحاً ! . ثم وثب فجعل يحول فى الدار ويقول : ويلى من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ... قالت : فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم سقط كأنه ميت ، حتى أتاه الإذن للصلاة ؛ فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتنى عيناي ، فلم أملك رد عبرتي !! .

* * *

رضوان الله عليك أيها الإمام التقي الصالح ، بقدر ما أعليت من شأن القرآن ، وأقبلت عليه ، واحتفلت له ، وبقدر ما حزنت لوعيده وتحذيره ؛ وأعلى الله مكانك بين الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

أحمد الشرباصى

مبعوث الأزهر إلى الكويت

سر نجاح حركة الجيش

قال الرئيس محمد نجيب فى حديث له نشرته الأهرام : « لقد قامت حركتنا على نكران الذات ، فليست لى ولا لأحد من زملائى مطامع شخصية سوى مصلحة البلاد العليا . ولعل هذا هو سر نجاح الحركة ، وهو السر الذى نعمل اليوم على إشاعته فى البلاد ليعمل الجميع متعاونين فى خدمة غرض واحد وهو نهضة البلاد وعظمتها ، .

الرفقُ بِالْحَيَوَانِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حَدِيثُ فَضِيلَةِ الاسْتِثْنَاءِ الْكَبِيرِ

كتب مندوب د الأهرام ، الخاص يقول :

هذه مسألة لم يألف الناس أن يتحدثوا فيها ، إذ الحيوانات عندهم لاحقوق لها ، وهي عجائوات لا تفصح ، وخرساء لا تبين ، ونحن نضربها ضرباً مبرحاً أليماً ، حتى لنكاد نمزق أجسادها بالسياط ، ونحمل عليها ما يرهقها ، وما يثقل كاهلها . وغابتنا أن نحمل أنفـالنا ولا يعنينا ما ذا تكون . ولقد أراد فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يعطى هذه الناحية بعض عنايته : إذ الحيوانات خلق مثلنا ، وعوالم تتعاون معنا في هذه الحياة .

قال فضيلته : وهل جهل هؤلاء الذين يعنفون الحيوانات أنهم يخالفون قواعد دينهم ويخرجون على تعاليم السمحة ؟

ثم استطرد فضيلته فقال : لقد أقام الإسلام هدايته على أساس الرحمة المحفوفة بالحكمة ، والرحمة تبعث النفوس مبعث الرفق والإحسان ، والحكمة تقف بالرحمة عند حدود لوتجاوزتها انقلبت إلى ضعف ورعونة . وعلى هذا الطريق الوسط جاءت الأحكام والآداب الإسلامية الخاصة بالتصرف في الحيوان .

فقد أذن الإسلام في قتل الحيوان المؤذى - كالكلب العقور والفأر - لكنه أمر بالإحسان في قتله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله كتب الإحسان في كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل . وأذن الإنسان في ذبح الحيوان للاستمتاع بالطيب من لحومه ، لكنه أمر بالإحسان في ذبحه ، فقال صلى الله عليه وسلم : وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح . وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته .

وقد ذكر أئمة المسلمين آداباً اقتبسوها مما جاءت به الشريعة في أصول الرفق بالحيوان ، فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « من الإحسان للذبيحة أن لا تجر الذبيحة إلى من يذبحها ، .

وقال ربيعة رأى أحد فقهاء المسلمين وأئمتهم في المدينة : من الإحسان أن لا تذبح ذبيحة وأخرى تنظر إليها .

ونص الفقهاء على أنه يستحب للذابح أن لا يحد شفرته بحضرة الذبيحة ، وأن لا يصرعها بمنف .

وأباح الشريعة صيد الحيوان ، ولكنها منعت أن ينصب الحيوان غرضاً (أى هدفاً) ليرمى بالنبال والرصاص ، وفي صحيح مسلم قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً ، أى لتتعللوا به الصيد والرمية . وفي صحيح مسلم أيضاً أن عبد الله بن عمر ابن الخطاب مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه ، وجعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً .

ومن الرفق بالحيوان تجنب أذيته في بدنه بنحو الضرب الاليم . وورد النهى عن خصاء البهائم ، كما جاء في شرح معاني الآثار للامام الطحاوى من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يخصى الإبل والبقر والغنم والحيل . وحتى لو دعت الضرورة إلى ذلك في الحيوان الذى يخشى عضاضه ، فانه إذا وجد طريق لمنع أذاه من غير طريق الخصاء فانه لا خلاف في منع الخصاء حينئذ ، لانه تعذيب ، وقد نهى الشارع عن تعذيب الحيوان .

ومن الرفق بالدابة أن لا يتابع السير عليها متابعة ترهقها تعباً ، فقد روى مسلم وأبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظاً من الأرض .

وورد في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقيم في رقبة بعير قلادة من وتر إلا قطعت ، فذهب بعض أهل العلم في فهم الحديث مذهب الرحمة بالحيوان وقال : إنه أمر بقطع القلائد من أعناق الإبل مخافة اختناق الدابة بها عند شدة الركض ، لأنها تضيق عليها نفسها ورعيا ، وكراهة أن تتعلق بشجرة فتخنقها أو تعوقها عن المضى في سيرها .

ومن المحظور وقوف الراكب على الدابة وقوفا يؤلمها ، فقد ورد في سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر ، فإن الله إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس » .

وحرمت الشريعة الإسلامية الإساءة إلى الحيوان بتحميله من الأثقال ما لا يطيق ، وكان الصحابة ، رضى الله عنهم ، يعرفون أن من حمل دابة ما لا تطيق حوسب على ذلك يوم القيامة ، حتى روى عن أبي الدرداء ، رضى الله عنه ، أنه قال لبعير له عند الموت : يا أيها البعير لا تخافنى عند ربك ، فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك .

ولا يجوز الحمل على ما لم يخلق للحمل كالبقرة ، قال القاضى أبو بكر بن العربي : لا خلاف في أن البقر لا يجوز أن يحمل عليها ، وذهب كثير من أهل العلم إلى المنع من ركوبها نظراً إلى أنها لا تقوى على الركوب ، إنما ينتفع بها فيما تطيقه من نحو إثارة الأرض وسقى الحرث . ومن الرفق بالدابة أن لا يركبها ثلاثة أشخاص يكون عبؤهم عليها ثقيلاً . أخرج ابن أبي شيبة عن السكندی أحد علماء التابعين في السكوفة ، أنه رأى ثلاثة على بغل فقال : لينزل أحدهم فإن رسول الله ﷺ لعن الثالث .

وأخرج الطبرى عن على رضى الله عنه أنه قال : « إذا رأيتم ثلاثة على دابة فارجموهم حتى ينزل أحدهم » .

وبجمل هذه الآثار على حال ما إذا كان ركوب الثلاثة يرهق الدابة ، فإن كانت تطيق ذلك كالناقة ، أو البغلة ، يركبها رجل وصبيان مثلاً ، فليس به بأس ، ولا سيما ركوبها في مسافة قصيرة ، وهذا ما كان من النبي ﷺ حين قدم مكة راكباً على بغلته ، فاستقبله أغيلة من بنى عبد المطلب ، فحمل واحداً بين يديه والآخر خلفه .

ومن الفنون التي يسلكها قساة القلوب في تعذيب الحيوان تهيج بعض الحيوان على بعض كما يفعل بعض الكباش والديوك وغيرها ، وهو من اللغو الذى حرّمته الشريعة ، لما فيه من إيذاء الحيوان وإتعابه في غير فائدة ، وفي سنن أبي داود والترمذى : « نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم ، والتحريش بينها لإغراء بعضها ببعض » .

وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال : « كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فانطلق لحاجته ، فرأينا حمة (وهى طائر قد يسمى الحمة) معها

فرخان ، فأخذنا فرخها ، فجاءت الحرة فجعلت تعرش (أى ترتفع وتطل بجناحها) فلما جاء رسول الله ﷺ قال : « من فجح هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها ، ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال : « من أحرق هذه ؟ قلنا : نحن ، قال : إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار . »

ونص علماؤنا على حرمة تمكين الصبي من التلمى بالطير على وجه فيه إيلام له .
وروى الطبراني والبخاري عن أنس أن رسول الله ﷺ رأى حماراً موسوماً على وجهه فقال : « لعن الله من فعل هذا . »

وقال المقداد بن معدى كرب : سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن لطم خدود الدواب .
وفي صحيح مسلم أن امرأة كانت على ناقة فضجرت فلعننها ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بإعراء الناقة مما عليها وإرسالها ، عقوبة لصاحبها ، وفي رواية أنه قال : « لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة . »

ووردت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل سقى الحيوان وإطعامه ، وعدمهما من عمل الخير الذي تنال به الزلفى عند الله ، فجاء في صحيح البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يغرس غرساً ، أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة . »

وفي صحيح البخارى أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فنزل فيها فشرب ثم خرج ، فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : قد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكره الله فغفر له . قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا فى البهائم أجراً ؟ . فقال : « فى كل ذات كبد رطبة أجر . »

وفي صحيح البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عذبت امرأة فى هرة لم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض . »

وقرر الفقهاء وجوب القيام على سقى الدابة وإطعامها ، وصرحت طائفة منهم بأن القضاء الإسلامى يجبره على ذلك إذا قصر فيه ، فإن لم يتم للدابة بما يجب عليه من حسن تغذيتها وسقيها ، باعها ولى الأمر ، ولم يتركها تحت يده تقامى .

وفي سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم مر ببيعير قد لحق ظهره ببطانه ، فقال :
 « اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة (أى التى لا تقدر على النطق) فاركبوها صالحة ،
 وكلوها صالحة ، » .

وبلغ من تأثير الصحابة والمسلمين الأولين بهذا الادب فى الرفق بالحيوان أن كان عدى
 ابن حاتم يفت الخبز للنمل ويقول : لمنه جارات ولهن حق ، روى ذلك النسوى
 فى تهذيب الاسماء .

وبلغ من أدب إمام الشافعية أبى اسحاق الشيرازى فى الرفق بالحيوان أنه كان يمشى
 فى طريق يرافقه فيه بعض أصحابه ، فعرض لها كلب ، فزجره رفيق الإمام أبى اسحاق ،
 فنهأ الإمام وقال له : أما علمت أن الطريق يبنى ويبنه مشترك . ١ .

وإذا كانت جمعية الرفق بالحيوان فى إنجلترا قد تأسست سنة ١٨٢٤ ، فإن الإسلام
 أيقظ عاطفة الرحمة بالحيوان فى قلوب جميع المسلمين فأسس منهم - منذ بضعة عشر قرنا -
 أعظم وأقدم جماعة فى الدنيا للرفق بالحيوان ، فضلا عن الرفق بالإنسان ، ولا يشذ أحد
 منهم عن ذلك إلا بعد أن يكون قد شذ عن آداب دينية وأوامر شريعته .

وفاة حرم فضيلة الأستاذ الأكبر

انتقلت إلى ساحة رحمة الله الواسعة السيدة البارة الصالحة حرم حضرة صاحب الفضيلة
 الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر ، بعد أن عاشت معه ربع قرن
 فى سيرة فاضلة كانت فيها المثل الأعلى للزوجة المسلمة فى البيت الإسلامى السعيد .

وقد مشى فى تشييع نعشها قبل ظهر يوم الجمعة ١٦ ربيع الآخر الرئيس اللواء محمد نجيب
 والوزراء والعلماء والأعيان وممثلو الهيئات الإسلامية . وأوفد صاحب السمو وصى العرش
 حضرة التشريفاق لإبلاغ عزاء سموه وسائر أعضاء الأسرة .

أعمد الله الفقيدة برحمته ورضوانه ، وأحسن عزاء حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ
 الأكبر ، وأمتع المسلمين بحياته المباركة وتوجيهه الصالح فى هذا العهد الصالح .

بين الفلسفة وعلم الكلام عند المسلمين

— ٣ —

لقد انتهينا في مقالنا السابق من الكلام عند عقيدة المسلمين في عصر سيدنا عمر ، وأشرنا إلى ما جد في عهده من التعلل بالتقدير في فعل بعض المعاصي ، مثل ما حصل من الرجل الذي سرق ، متعللاً بقدر الله ، وأن عمر رضى الله عنه قطع يده للسرقة ، وضربه للكذب على الله . وقد وعدنا بأن نبدأ حديثنا من وقت فتنة عثمان رضى الله عنه ، أو بعبارة أقرب إلى الحقيقة ، فتنة المسلمين . ونريد من هذه الفتنة طبعاً الثورة التي انتهت بشهادة أمير المؤمنين ذى النورين رضى الله تعالى عنه .

إن من يستعرض تاريخ الدين الإسلامى يرى أن أصحاب الديانات الأخرى غير الإسلامية لم يفسوا موقف الدين الإسلامى منهم حين رأوا - فى زعمهم - أنه قد اعتدى على سلطانهم وثار على دينهم ، ولأذن لا بد من محاربته ، والوقوف فى سبيل نشره ، فرد كيدهم بسيفه ، بعد أن لم يمتنعوا بحجته . فلما عجزوا عن مقاومته بسيوفهم ، وردده بحرا بهم ، أخذوا يدبرون فى السكيد له ، فتروى بعض كتب التاريخ ^(١) أن يهودياً دس لآبى بكر السم فى شئ من الطعام وكان السم لسنة ، ثم مرض قبل وفاته بخمسة عشر يوماً بسببه ، وهكذا توفى أبو بكر رضى الله عنه نتيجة لحقد اليهود على الدين الإسلامى . وإذا تركنا أبا بكر الخليفة الإسلامى الأول إلى عمر ، الخليفة الثانى ، رأينا أن صاحب دين آخر هو الدين المجوسى قد ثار لدينه منه رضى الله عنه ، وهو أبو لؤلؤة المجوسى من أهل نهاوند ، قعد لعمر فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس ، وكان عمر يخرج فى السحر ليوظ الناس للصلاة ، فلما مر به طعنه ثلاث طعنات كانت سبباً فى موته ^(٢) . وهكذا قضى أصحاب دينين على خليفتين من خلفاء المسلمين ثاراً لدينهما من الدين الإسلامى الذى غلب أمره على جميع الديانات التى تخالفه .

لكن ما وقع لآبى بكر وعمر رضى الله عنهما على يدى رجلين غير مسلمين هل يسوغ لنا أن نحكم على قاتلى عثمان رضى الله عنه بأنهم من غير المسلمين ، مع أن كتب التاريخ قد ذكرت من بينهم محمد بن أبى بكر ؟ الحق أن محمد بن أبى بكر رضى الله عنه كان ممن دخلوا على عثمان

(١) مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ١٩٤ . (٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٢١٢ .

لقلته ولكنه خرج ولم يشترك معهم، وإنما قتل رجال آخرون كما روته كتب التاريخ^(١)، وإذا علمنا أن الثوار أتوا من السكوفة والبصرة ومصر، فليس بالبعيد أن يكون لمن يضمرون للإسلام الشر من غلبوا على أمرهم من أهل الديانات المخالفة النصيب الأكبر في هذه الثورة على الخليفة الإسلامي الثالث.

وإنما قلنا النصيب الأكبر لأن بعض المسلمين ممن خلصت نيتهم، واستضاءت طوبتهم بنور الإيمان قد خدعوا - حرصاً على تحقيق العدالة المطلقة بين المسلمين - بتليس هؤلاء الجبناء فثاروا معهم على الخليفة، والسكنهم لم يلوثوا طهارتهم بدنس الاشتراك في قتل خليفة المسلمين. ومن هنا نعرف أن أصحاب الديانات الأخرى مازالوا ولا يزالون يسددون ضرباتهم القاتلة للقضاء على الإسلام وأهله، ولكن الله حافظه، ولن تضع الحرب أوزارها بين أهل الديانات المختلفة حتى تقوم الساعة، ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين^(٢). إن موت الخلية الإسلامية لا يؤثر على قوة إيمان المسلم الصادق ولا يفتر في عضده، لأن إيمانه بأن كل نفس كل ذائقة الموت، حتى محمد ﷺ ما هو إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وإيمان المسلم بهذا جزء من عقيدته، ولهذا كان يصح أن يكون قتل عثمان رضي الله عنه أمراً عادياً كموت زميليه: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لكنه لم يكن كذلك لأنه ترتب على موته - بخلاف موت زميليه - صدع وحدة المسلمين، وانشقاق صفوفهم، وتفرق كلمتهم، مما بقي أثره حتى يومنا هذا، لقد قامت إثر هذا الحادث المشؤم حروب عظيمة أضعفت من شأن المسلمين مما جعل مجالا لغير المسلمين في زيادة السكيد للدين الإسلامي، تارة باستعمال السيف مع الخارجين على الحكم، وتارة بإثارة الشبه حول العقيدة الإسلامية الناصعة الخالصة.

بعد هذه الفتنة مباشرة قامت حرب ضروس بين المسلمين جعلت جماعهم صفين، ثم صيرتهم يكفر بعضهم بعضاً، فنشأت فرقة الخوارج التي يكفر كل من عداهم من المسلمين، وكذا فرقة الشيعة التي تكفر كل من عداهم أيضاً من المسلمين، ومن هنا أصبحنا نسمع أن مسلماً يكفر مسلماً لخلاف في الرأي الذي لم يرد به نص صريح في الدين الإسلامي، ونسى المختلفان قوله تعالى: «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا»^(٣). ثم شاع القول بالتكفير بارتكاب الكبيرة، أي أن من يرتكب كبيرة من الكبائر من المسلمين يصبح كافراً ويخمد في النار خلود أهل الكفر، لأن الإيمان اعتقاد وعمل،

(١) مروج الذهب . ج ٢ - ٢٣٣ (٢) الآية ١١٨ من سورة هود (٣) من الآية ٩٤ سورة النساء

فمن لم يعمل بما أمر به الله ورسوله ، فقد انهدم نصف إيمانه ، فلا يكون مؤمنا بل يكون كافرا
وجزاء الكافر الخلود في النار .

وكان الخوارج هم أصحاب هذا الرأي . وفي هذا الوقت الذي كانت تنادى فيه الخوارج
بأن مرتكب الكبيرة كافر لعدم تحقق أحد جزأى الإيمان فيه وهو العمل ، وجدت طائفة
تقول بأن الإيمان هو التصديق القلبي فقط وليس العمل جزءا منه ، وبالعكس متطرفوهم حتى
قالوا لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، بل ذهب بعض الغلاة منهم
إلى أن الإنسان إذا آمن بقلبه وأتى من الأعمال ما هو كافر كالسجود للشمس والقمر
والصنم فلا يكون سجوده لها كفرا في نفسه ، ولكنه علامة الكفر ^(١) .

بعد أن قام الخلاف على مرتكب الكبيرة وهل هو كافر كما قالت الخوارج ، أو مؤمن
كما قالت المرجئة ، جر هذا الخلاف إلى خلاف آخر كان وجوده أمرا طبيعيا لا بد منه ،
وقد نشأ هذا الخلاف من السؤال التالي : هل الإنسان عنده القدرة على أن يأتي ما يشاء
من الأعمال ويترك ما يشاء منها ؟ حتى نحكم عليه بأنه كافر إذا أتى من الأعمال ما يخالف
مقتضى الإيمان بناء على ما ذهب إليه الخوارج ، أو نحكم عليه بأنه ما زال مؤمنا وإن أتى
من الأفعال ما يتنافى مع إيمانه على رأى المرجئة ؟ من هنا نشأت مشكلة جديدة هي مشكلة
الجبر والاختيار . وهي : هل الإنسان مجبور على أفعاله ، ولهذا لا نحكم عليه بشيء ؟ أو أنه
مختار في أفعاله وعنده الاستطاعة عليها ، وإذن لا بد من الحكم عليه ؟

هذه هي المشكلة الثانية (مشكلة الجبر والاختيار) التي كانت نتيجة للمشكلة الأولى وهي
الحكم على مرتكب الكبيرة بالإيمان أو الكفر .

وفي المقال التالي إن شاء الله نبدأ بالكلام على أصحاب القول بالجبر ، ثم على أصحاب
القول بالاختيار ، وما أساس هاتين المشكلتين ، حتى يتأتى لنا حصر المشاكل التي قامت حول
الدين الاسلامي بعد عصر النبي ﷺ وأصحابه ، ثم كيف نمت هذه المشاكل وزادت من شأنها
الفلسفة بعد أن ترجمت إلى المسلمين ؟ ثم كيف اختلف علم الكلام بالفلسفة ، حتى أصبح
عند المسلمين تراث كبير من علم الكلام .

على مصطفى الغرابي

المدرس في كلية أصول الدين

نظم الإدارة الحكومية

— ٢ —

روى ابن عبد الحكم ^(١) أن المكاتبات دارت بين الخليفة عمر بن الخطاب ووالى مصر عمرو بن العاص بشأن حصيلة جباية أموالها : يقول الخليفة . . . أما بعد فإنى فكرت فى أمرك والذى أنت عليه ، فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة ، قد أعطى الله أهلها هدداً وجلداً وقوة فى بر وبحر ، وأنها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها عملاً محكماً مع شدة عتوم وكفرهم فعجبت من ذلك ، وأعجب ما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤدیه من الخراج قبل ذلك على غير قحط ولا جذب . ولقد أكثرت مكاتبتك فى الذى على أرضك من الخراج ، وظننت أن ذلك يأتينا على غير نزر ، ورجوت أن تفيق فترفع إلى ، فإذا أنت تأتيني بمعارض تعباً بها لا توافق الذى فى نفسى ، ولست قابلاً منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ، وقد رد عمرو بن العاص مدافعاً عن سياسته وعن أمانته وتعددت بين الخليفة وواليه المكاتبات .

وكان (ديوان الزمام) ويشبه ديوان المحاسبة اليوم — من أعظم النظم التى أدخلها الخليفة المهدى ، كما كان (ديوان الخراج) أيام بنى أمية أهم دواوين الدولة . ويقصد بديوان الأزيمة أو الزمام ، أن الدواوين تجمع لرجل يضبطها بزمام يكون له على كل ديوان ، فيتخذ دواوين الأزيمة ويولى على كل منها رجلاً . وقد أنشأ العباسيون (ديوان النظر) أو المكاتبات والمراجعات : وينقسم إلى ديوان الجيش وفيه الإثبات والعطاء ، وديوان الأعمال ويتولى الرسوم والحقوق ، وديوان العمال ويختص بالتقليد والعزل ، وديوان بيت المال وينظر فى الدخل والخرج ^(٢) .

وانت كانت تقارير ديوان المحاسبة فى مصر محرومة من القوة التنفيذية والسلطة الجزائية حتى صدر أخيراً المرسوم بقانون بإنشاء مجلس تأديبى لمحاكمة الموظفين المسؤولين عن المخالفات

المالية . كما صدر من وقت قريب مرسوم بقانون الكسب غير المشروع ، وصدر أخيراً مرسوم بقانون بتعديله ، وبمقتضى ذلك يرد الكسب غير المشروع ويعاقب صاحبه .

وهذه الناحية الإيجابية فى ضمان نزاهة الحكم سابقة فى تاريخ الإسلام . فقد سن الأمويون نظاماً غاية فى الدقة للإشراف على جباية الأموال ، وفى عهد عبد الملك بن مروان كان يعمل تحقيق دقيق مع الجباة وموظفى الخراج عند اعتزلهم أعمالهم الإدارية ، وكان للتحقيق أماكن خاصة تسمى « دار الاستخراج » ، وينتهى الأمر بالإقرار بأسماء من أودع عندهم الموظفون ودائعهم وأموالهم ، ويرد إلى بيت المال حقه المسلوب ^(١) .

ولم تقف نزاهة الحكم فى الإسلام عند ضمان حقوق الدولة من أن تضيق ، فلربما لو ثلث الحاكمون أنفسهم دون أن يمسوا من بيت المال - بطريق مباشر - درهما ولا ديناراً ، وذلك باستغلال نفوذهم . فيستلبون الأموال من جيوب الشعب بدلاً من استلابها من خزانة الدولة . كان عمر بن الخطاب يرى الدابة السمينة لولده فيقول : ما أشبعتها إلا بجاه أنك ابن أمير المؤمنين ! وإصدارها ويردها لبيت المال . وخرج ابنه عبد الله وعبيد الله إلى البصرة ، فأعطاهما أبو موسى الأشعري مالا مما تحت يده للسلعين ليتاجرا فيه ، فيرجعا رأس المال ويكون لهما الربح . فلما علم عمر سألها : أكل الجيش أسلفه ؟؟ ثم أمرهما أن يؤديا المال وربحه . وقبل بعد لآى أن يجعله قراضاً فيأخذ لبيت المال رأس المال ونصف ربحه .

ولقد سن عمر بن الخطاب طريقاً عملياً لتنظيم الاداة الحكومية من كل كسب يُشكك فى مصدره . فعرف عنه (نظام المقاسمة) ، وذلك بعمل لإحصاء دقيق لثروة الولاة قبل توليتهم ، والى لا تسمح بها روايتهم ^(٢) . يقول البلاذرى : كان عمر يكتب أموال عماله إذا ولاهم ، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك ، وربما أخذه منهم . فكتب إلى عمرو بن العاص :

(١) السيادة العربية لنان فلوتن ص ٢٧ - ٢٢ - تاريخ الإسلام السياسى ج ١ ص ٦١٤ - النظم الاسلامية

النسخة المفصلة ص ٢٧٠

(٢) إلا إذا ثبت عليهم أنها كانت من طريق غير مشروع فلإنها ترد كلها .

« إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر ، فكتب إليه عمرو « إن أرضنا أرض مزدرع ومتجر ، فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لنفقتنا ، فوجه إليه محمد بن مسلمة ليقاسمه ماله ^(١) .

ولقد استعمل عمر عتبة بن أبي سفيان على كنانة فقدم المدينة بمال فقال له : ما هذا يا عتبة ؟ قال : مال خرجت به معي واتجرت فيه . قال : ومالك تخرج المال معك في هذا الوجه ؟ ؟ فصّيره في بيت المال .

وعلى هذا النحور ذم معاوية بنفسه إلى بيت المال نصف الثروة التي جمعها ، لطبيب له الباقي ، . وكذلك شاطر عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص على ماله ، وشاطر أباهريرة أيضاً . وشاطر خالد بن الوليد على ماله ، حتى الخفين أخذ منهما واحدا وترك الآخر وصادر غيرهم أيضاً ورد أموالهم إلى بيت المال . ^(٢)

ودلالة هذه العمريات واضحة على نزاهة الحكم الإسلامي التي لا ترعى « محسوبيات » ، وهي قائمة على السبق في الإسلام ، ولا تسمح بوجود « أرستقراطية دينية » ، من أى نوع من الأنواع . بل إن الحكم الإسلامي كان يحاسب هؤلاء الصحابة الأكرمين بأشد مما يحاسب غيرهم ، فالحكم أمر خطير ، والصحة شأنها جليل ، وحسنات الأبرار سيئات المقربين كما يقولون ، لذلك ضاعف الإسلام العقوبة على الأحرار ، وضاعف العذاب على نساء النبي صلى الله عليه وسلم . ولئن كان الفرد العادي له حصانات و ضمانات في حالة اتهامه ، فإن الرجل العام شأنه أن يتقى مواطن الشبهات من بعيد ، لذلك أخذته سياسة الشرع في سمعته ونزاهته بما لم تأخذ به غيره من عامة المسلمين .

ودلالة هذه العمريات أيضاً أن الحكم الإسلامي في سائر الأرجاء ، ليس تحكم « الحجاز ، كقطر غالب في بلاد مقهورة ، وليس استعلاء العرب المسلمين على غيرهم من غير العرب وغير المسلمين . ولو كان لا يبيح للحاكمين من البلد الفاتح أن يعيثوا بأموال البلد المفتوح ،

(١) فتوح البلدان ص ٢٢٧ النظم الإسلامية ، النسخة المفصلة ص ٢٦٩

(٢) الطبري - في مواضع متفرقة منها قصة خالد ج ٤ ص ٥٦ و ص ٢٠٥ (طبعة الحسينية) - أشهر مشاهير

الإسلام م ١ ص ٤٠٠ ، ٤٠١

ولترك الخلفاء همالم العرب المسلمين يستنزفون دماء الشعوب ما دامت لا تتكلم العربية ولا تدين بالإسلام!!! ولكن الإسلام ليس حكم «أفراد» أو «أجناس» أو «أقطار» وإنما هو «حكم المثل العليا الإنسانية» في كل البقاع.

وقد يكون استغلال النفوذ لا بكسب المنفعة بالمال، ولكن بكسب المنفعة بتولية ذوى القرابة والحظوة. ولقد نهى الشارع أيضاً عن ذلك فى الحديث: «من ولى من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلاً وهو يحد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله، وفى رواية «من قلد رجلاً عملاً على عصابة، وهو يحد فى تلك العصابة أرضى منه، فقد خان الله. وخان المؤمنين، — رواء الحاكم فى صحيحه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) «... فيجب على ولى الأمر أن يولى على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل... ولا يقدم الرجل لكونه طلب الولاية أو سبق فى الطلب، بل ذلك سبب المنع، فى الصحيحين: «إننا نولى أمرنا هذا من طلبه،... فإن عدل عن اللاحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما، أو ولاء عتاقة أو صداقة، أو موافقة فى بلد أو مذهب أو طريقة أو جنس كالعربية والفارسية والتركية والرومية، أو الرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن فى قلبه على اللاحق أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهى عنه فى قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون»، ثم قال: «واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم».

(يتبع)

محمد فنى محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

دُستور الدولة في نظر الإسلام

أهل التقنين الحديث قصدوا بالدستور مجموعة القواعد التي ترسم نظام الحكم في الدولة ، ببيان نوع الحكومة ومصدر السلطات ، ومن يتولاها ، وكيفية تكوينها ، واختصاصاتها ، وبيان حقوق الشعب على الدولة وواجباتها عليه .

وقصارى القول أن هذه القواعد تنظم العلاقات بين الحاكم والمحكوم على وجه يصون مصالح الدولة والرعية وتعتبر أساساً للقوانين الخاصة التي يحكم بها الناس في منازعاتهم المالية والجنائية وشئون الأسرة . وهذه المبادئ من المقررات الأولى في نصوص الكتاب والسنة وعمل الخلفاء الراشدين المهديين ، بل ألف علماء المسلمين كتباً في أصول الحكم ونظام الدولة الإسلامية لم يصل إلى إحكامها وسموها عباقرة الساسة في القرنين التاسع عشر والعشرين ، وإن كانوا لم يعطوا لهذا النظام اسم الدستور .

فإذا تدبنا مضمون القانون الدستوري وغايته ، وأردنا أن نوازن في رأى الإسلام بين الدستور المصرى الذى أسقط في آخر عام ١٩٥٢ دستور يصلح أساساً للحكم في بلد مسلم ، وجدنا أن الأول تضمن أحكاماً كان يجب أن تعدل ، ونقصاً ينبغى أن يكمل . ويتبين هذا في الخطوط الرئيسية الآتية :

الحكم في الدولة الإسلامية يقوم على أصول أربعة :

الأصل الأول - « الإسلام أساس الحكم » .

إن القوانين في كل دولة تتجه الوجهة التي يحددها قانونها الأساسى وتتأثر بالنظام الذى يضعه . وهناك حقائق يسلم بها المنصفون .

الأولى : أن القرآن أمر المسلمين أن يحكموا في قضاياهم وفي سياسة أمورهم وفي تقاليدهم بما أنزل الله ، قال تعالى « فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، والرد إلى الله ورسوله هو العمل بما جاء في الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

الثانية : أن شريعة الإسلام مقصدها السامى هو قضاء مصالح الخلق والوفاء بمحاجاتهم كما يقول تعالى لنبيه « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، وكما يرشد إليه النص على الغرض من شرع الأحكام المختلفة ، كالزواج والقصاص والطهارة والصلاة ، وأن هذه الشريعة أمرت بتحقيق العدل بين الناس والإحسان إليهم ورفع الحرج عنهم ما استطاع الحكم إلى ذلك سبيلاً « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » ، « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ،

سوت بين المسلمين وغيرهم في الحقوق ولم تنهم عن البر بغيرهم ما سالوهم ، وأمرتهم أن يتركوهم وما يدينون .

الثالثة : أن مصر بلد مسلم وأن أهلها توارثوا الحكم بالشريعة منذ فتحها عمرو بن العاص ولهم في الأحكام الإسلامية فقه وقضاء وفتاوى ساهم في بنائها عباقرة الفقهاء كالليث بن سعد والشافعي والطحاوي وابن القاسم وابن الهمام والعز بن عبد السلام ، واستطاعوا بفضل مرانة الإسلام وسهولته أن يحلوا مشاكل المجتمع المصري قرابة أربعة عشر قرناً ، وورثوا المصريين ثروة قانونية عز على الزمان أن يجود بمثليها ، وهي من تالد مجدهم الذي يفاخرون به أعظم من مفاخرتهم بحضارتهم القديمة وملكهم العريض ، وصارت أحكام الإسلام محببة إلى قلوب المصريين ، مألوفة لهم لأنها الشريعة التي أحس الشعب بسماحتها ورضيها لنفسه ديناً .

هذه الحقائق هي التي صنعت الأصل الأول « الإسلام أساس الحكم » ، وهي التي تحتم أن يكون من دعائم دستور الدولة ليكون حكمها وقوانينها وتقاليدها مطبوعة بالطابع الذي يرتضيه سواد الأمة الأعظم ويرتاح إليه ويعده طابعه القومى الاصيل .

الأصل الثانى - « الأمة مصدر السلطات » : هذا الأصل يتناول السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية وهو من صميم الإسلام ، لأن أساس الحكم في الدولة هو الشورى كما يدل عليه قوله تعالى في مدح المؤمنين « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم » ، فليس الدولة يتولى سلطانه برأى الأمة وسلطته ليست مطلقة بل مقيدة برأى مجالس الشورى المؤلف من أهل الحل والعقد . على هذا جرى عمل السلف من المؤمنين :

أما الأول - فقد أجمع المسلمون على أن يكون للدولة رئيس مستجمع لصفات الاهلية التي تمكنه من الحكم بأن يكون كامل العمل سليم الدين ، عالماً بأحكام الله ، صاحب رأى يسوس به الأمة سياسة رشيدة ، وجرى عملهم في عهد الخلفاء الراشدين على أن يكون تعيينه برأى أهل الحل والعقد وفي علماء الأمة ووجوهها ورؤساء جماعاتها .

فقد انتخب أبو بكر يوم مؤتمر السقيفة بعد أن قال فهم أثره المشهور « لا بد لهذا الامر من إمام ، فانظروا وهاتوا آراءكم رحمكم الله » . واستخلف أبو بكر عمر بعد أن استشار أعيان الصحابة وقد أشرف على الناس في مرضه وقال ترضون من استخلفت عليكم ؟ فلم يخالفوا ، ولما طعن عمر رأى حصر الشورى في الزعماء الستة الذين توفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، لعلمه أنهم رؤساء الناس وأنه لا يخالفهم أحد ، وكذلك تمت الخلافة لعلى ببيعة جمهور الأمة . وأما ولاية العهد التي كانت في الأمويين والعباسيين فلا حجة في عملهم بل في

عمل العصر الاول، على أن خلفاء بنى أمية وبنى العباس كانوا يأخذون البيعة لأولادهم حرصاً على جمع الكلمة، وفي ذلك ضرب من الشورى.

وأما أن سلطة الحاكم مقيدة برأى الأمة فلأن رئيس الدولة يستمد سلطته من أهل الشورى، ولهذا كان لهم عزله إذا خرج عن الجادة. ولما ولي أبو بكر خطب الناس فقال: إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن رأيتم في أعوجاجا فقوموني، ودأب الخلفاء على اتخاذ مجالس للشورى يصرفون أمور الدولة بعد استشارتهم، وقدوتهم في ذلك عمل النبي صلى الله عليه وسلم. ونحن نعلم أنه استشار أصحابه في مشاهد كثيرة كبدر وأحد والخندق. ومجلس الشورى وليد رأى الأمة لأن ارتفاع أعضائه إلى تلك المسكنة إنما كان بتقديم قبائلهم لهم وثقتهم فيهم ورضاهم عنهم. ولم يكن للخلفاء إجبار أهل الشورى على رأى معين، بل على العكس كانت لأهل الشورى الكلمة على الخلفاء. وهذا المجلس بمثابة البرلمان الذى ييده عمل القوانين ومراقبة الحكومة، فإذا كانت الشورى فى سلف المسلمين أساسها الشريعة وجب أن يكون البرلمان على هذا النحو فى القوانين التى يسنها والآراء التى يشير على الحكومة بها. والإسلام لم يحدد وضعاً معيناً لأهل الشورى بل ترك تنظيم ذلك لأفكار الساسة.

ومما يجدر التنويه به بكثير من الإعجاب طريق الإسلام فى الانتخاب وهى أخذه برأى الرجال أهل الحل والعقد الذين يفهمون مصائر الأمور ويفرقون بين من يستطيع أن يرعى مصالح الدولة بعلم وعدل وأمانة ومن لا يستطيع.

أما انتخاب المرأة والانتخاب المباشر فعمل السلف لا يدل على اعتبار الإسلام لهما لأن الناس فى كل عصر منهم الحامل والجاهل والضعيف الذى يمكن أن تستغل إرادته بالمغريات، والمرأة لم تخلق للولايات العامة ولا تصلح لها. وعن هذا الأصل الثانى يتقرر أن الحكم الإسلامى ليس استبدادياً.

الأصل الثالث - تحقيق مصالح الأفراد والضمانات التى تحميهم من السلطة الحاكمة، كما قال رسول الله ﷺ، الإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته، وقال عمر رضى الله عنه: إنما مثل العرب مثل جبل آنف اتبع قائده فليظن قائده حيث يقوده، وفى سبيل ذلك ينبغى أن يتضمن الدستور أموراً:

(١) الحرية: بأنواعها فى الاجتماع والإمامة والتعليم وإبداء الرأى وفى الاعتقاد وإقامة الشعائر والنمك والحرية الشخصية، كل ذلك إذا لم يصادم المصالح العليا للوطن وعقائد الأمة. وقد وضع عمر رضى الله عنه مبدأ هذه الحرية بقوله: كيف تستعبدون الناس وقد ولدتهم

أهماتهم أحراراً . ولما أراد المنصور أن يحمل الناس على موطن مالك ، قال له مالك : « إن الصحابة تفرقوا في الأمصار وأذاعوا أحاديث غير أحاديث أهل الحجاز التي اعتمدتها وأخذ الناس بها فاتركهم ، وقال تعالى : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .

(ب) تقرير : الحرمات كحرمة النفس والمال والعرض والمسكن قال ﷺ : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام » ، وقال أيضاً : « من غصب شبراً من أرض طوقه الله بسبع أرضين ، وهو يعم الحاكم وغيره » ، وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا .

(ج) المساواة : في الحقوق المدنية والسياسية ومعناها أنه لا تفريق بسبب الجنس والنسب والحسب والدين قال ﷺ فيما روى البزار : « كلكم بنو آدم وآدم من تراب » ، وقال : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، وقال في أهل الذمة : « لهم مالنا وعليهم ما علينا » .

الأصل الرابع — واجب الدولة على الأفراد الإذعان لأوامرها في إقامة مرافق الأمة إلا أن تأمر بما فيه معصية الخالق ، قال النبي ﷺ : « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . وعلى الجملة ينبغي أن يتضمن الأصل الثالث والرابع تقرير الإلتزامات التي تحقق التضامن الاجتماعي بين الأفراد والجماعات وتساهم في بناء الشعب بناءً قوياً من ناحيته المادية والأدبية تحقيقاً لقول النبي ﷺ : « المسلم للمسلم كالبنان يشد بعضه بعضاً » ، وبه يلتزم الفرد بالتعلم والعمل وإتقانه وبذل عونه لإخوانه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتلتزم الدولة بإعانة العاجزين وجباية الزكاة وفرض الضرائب التصاعدية والمنع من تضخم الثروة في أيدي فريق وحرمان الآخرين .

هذه هي أصول الدستور كما يراها الإسلام لتكون أساساً لحكم صالح يحقق سيادة الدولة المستمدة من حقوق الأمة وسيادتها ، فهل لنا ونحن على أبواب بناء دستور جديد أن نطمح في حكومتنا المسلمة المصلحة أن تضمنه هذه الأصول ؟ ذلك ما تهفو إليه قلوب الملايين « ربنا آتانا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً » .

أحمد فرهمي أ. د.
المدرس بكلية الشريعة

المصونات الأدبية وأثرها في النقد

شهد تاريخ النقد العربي خصومات عدة محتدمة منذ العصر الجاهلي أكسبته كثيراً من الحيوية ، كما أضافت إليه قدراً كبيراً من الآراء والأفكار النقدية ، التي ربما لم يكن من الممكن الوقوف عليها لولا وجود هذه الخصومات العنيفة ، وربما كانت طبيعة النقد بوجه عام هي أن ينمو ويزدهر كلما احتدمت هذه الخصومات وعنفّت . ولست أود هنا أن أفصل تاريخ هذه الخصومات فهذا يحتاج إلى كتاب بأكمله ، وإنما سأنتقل نقلاً سريعة حتى أصل إلى أعنف هذه الخصومات في رأيي ، وهما خصومتان شهدهما القرن الرابع الهجري وحده ، وهما في جبين هذا القرن أوفى جبين النقد العربي بعامة درتان لامعتان ؛ أولاهما - الخصومة حول أبي تمام والبحترى كما سجلها الآمدي في كتابه « الموازنة » ، والآخرى - الخصومة حول المتنبي كما سجلها القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه .

ومن المستفيض في كتب الأدب القديمة أن النابغة كان يضرب له في سوق عكاظ قبة حمراء وينصب عليها حاكماً بين الشعراء الذين كانوا يأتون إليه كل عام يحتكون في شعرهم ، وكان عمله أن يجعل منهم طبقات بحسب إجادتهم . واختصام امرئ القيس وعلقمة إلى زوجة الأول للفصل بين شعرهما في وصف فرسهما أيهما أجود ؟ معروف . ومعروف أيضاً أن قصة الاختصام هذه قد انتهت بطلاق زوجة امرئ القيس لأنها قدمت عليه وعلقمة ، وكثير من هذا الاختصام قد شهدته مجالس الخلفاء والأمراء والقواد الأمويين . ولسكتنا نلاحظ أن هذه الخصومات وإن كانت تأخذ صورة جدية ويسمى إليها الشعراء سعيًا كما كان شأنهم في مجالس السيدة سكينة ، فإن المحصول النقدي من القواعد والمبادئ والنظريات لم يصل إلى حد الضخامة ، ولم يؤلف فيه كتاب كما سنرى في كتابي الآمدي والجرجاني .

فوجود شاعرين متمايزين في اتجاههما الأدبي وفي الصنعة الشعرية هما أبو تمام والبحترى لم يخلق بينهما خصومة لا تتعدى شخصيهما ، وإنما خلق هذه الخصومة بين الناس حولها ، بحيث نجدهم ينقسمون فريقين متميزين ، فريق يناصر المذهب الجديد مذهب أبي تمام ويدافع عنه وفريق يؤيد مذهب البحترى وينافح دونه .

وعند ما أقول المذهب الجديد عند أبي تمام فإنني أقرر بذلك حقيقة كبرى هي أن أبا تمام كان صاحب مذهب فني جديد . وليس المقصود بالمذهب هنا بطبيعة الحال مجرد الطريقة ، وإنما أعني المذهب بمفهومه الأوسع عند ما يدل على أسس ثابتة وقواعد مقررة كلها تنألف لإظهار فكرة جديدة . وعلى ذلك فقد كان أبو تمام صاحب مذهب فني جديد بهذا المعنى ، وكان له أنصار يؤازرونه ويتشيعون له . وكان للبحرئى مذهب أيضاً لا يقل في ثبات أسسه وتقرير قواعده عن مذهب أبي تمام ، بل ربما كان في عهده أكثر منه ثباتاً وقوة ، وكان له من الأنصار - بالتالى - عدد أضخم . كان البحرئى هو القمة الفنية التى يتمثل فيها بكل وضوح مذهب «عمود الشعر» ، أو نستطيع أن نسميه نحن «مذهب الطبع» ، وكان أبو تمام على عكس ذلك في مذهبه الجديد الذى نستطيع أن نطلق عليه «مذهب الصنعة» . وهاتان التسميتان الجديدتان تلخصان ما بين المذهبين من اختلاف في الاتجاه وبعد ما بينهما من افتراق .

وطبيعى أن يختلف الناس حول شاعرين من أبرز أعلام الشعر العربى لهذا السبب من تباين مذهبيهما ، وطبيعى أيضاً أن يمتد هذا الاختلاف إلى إبداء الرأى وإعلانه ، وطبيعى كذلك أن تشبك هذه الآراء وتتعارض فتأخذ صورة من صور المحاجة والتناظر ؛ هؤلاء يتشيعون لشاعرهم ويدينون محاسن مذهبه ، وأولئك يتعصبون لمذهب شاعرهم ويظهرون محاسنه ، وهؤلاء وأولئك ينعون على الشاعر الآخر عيوبه ويحسون عليه زلاته . وعلى هذه الوتيرة تأخذ الخصومة مجراها .

والناقد الحصيف الذى يرقب التيارات المتدافمة هو الذى ينتبه لما يتخلل هذه الخصومات من أفكار قيمة وآراء سديدة فيسجلها . ولكن الآمدى لم يسجل ما استخلصه من أفكار هؤلاء ومؤلاء ، وإنما هو أعطانا في كتابه صورة أطرف من ذلك بكثير ؛ فقد نقل إلينا الخصومة كما جرت بين المتخاصمين ، فسكنا نرى الرأى والرد عليه من الطرفين المتخاصمين ، فيتوافر لدينا بذلك الحكم والبيئة أو النقص له والحجة . ولذلك استمر الآمدى في تصوير هذه الخصومة هذا التصوير الطريف حتى استفدها ، ولكنها لم تكن بهذه الصورة طريفة ممتعة غسب ، بل ربما كانت المائدة فيها والدسم أكثر بكثير ؛ فند استعنا من تتبع هذه الخصومة أن نخرج بالناصر أو الأسس - كما سميتها - التى يقوم عليها كل من المذهبين ، كما عرفنا محاسن كل مذهب منهما وعيوبه . وربما كانت هذه هي الغاية التى هدف إليها الآمدى من كتابه ، فقد ذكر لنا أنه لن يفصل في هذه المنازعات وإنما سيتركها للقارئ

الحصيف يستخرج منها ما يشاء ، فيرضى عن هذا المذهب أو ذاك كما يحلوه . وحسنا فعل الآمدى لأنه لو أبدى رأيه وتدخل في الخصومة لما كان يعدو أن يكون واحداً من أولئك المتعصبين لأبى تمام أو للبحرئى . وهناك اتهام يسرى في كتب النقد الحديثة ، أو بعبارة أدق في الكتب التى تتناول النقد القديم بالدراسة ، يذهب إلى أن الآمدى كان يتشيع لمذهب البحرئى ويتعصب له على مذهب أبى تمام . ولست أدرى وقد طالت عشرق لهذا الكتاب كيف يجوز هذا الاتهام والآمدى لم يخرج في كتابه على المنهج الذى رسمه له منذ اللحظة الأولى . فإذا كان في هذا المنهج يحصى أخطاء أبى تمام وعيوبه فليس معنى ذلك أنه يتعصب عليه ، لسبب بسيط هو أن منهجه أيضاً فيه باب لإحصاء أخطاء البحرئى وعيوبه سواء بسواء .

ومهما يكن من شيء فإن كتاب الآمدى ليس تفصيلاً لخصومة أدبية بين شاعرين فقط وإنما هو تصوير دقيق للتيارين الأدبيين اللذين كانا يتجاذبان الناس في القرن الثالث الهجرى وحتى منتصف القرن الرابع تقريباً . ونستطيع أن نلخص العمل الذى تم في هذا الكتاب في أمرين :

أولاً - أنه يمثل منهجاً أدبياً عملياً في نقد الشعر ، يستعرض الآراء السابقة ، ثم يتركها جانبا لبناء رأى شخصى جديد .

ثانياً - الاعتماد في الحكم على الذوق الشخصى والخبرة الطويلة .

ثم يحفل القرن الرابع أيضاً بخصومة لا تقل في عنفها عن تلك الخصومة حول الطائيين ، وهى الخصومة التى كانت بين المتنبئ ومن يعارضون مذهبه .

ونحن نعلم أن صاحب بن عباد كان من زعماء هذه الخصومة البارزين ، وقد ألف رسالة مشهورة في الكشف عن مساوىء المتنبئ عبر فيها عن رأيه ورأى أستاذه ابن العميد . ومهما يكن سبب تأليف هذه الرسالة أدبياً أو شخصياً بين صاحب المتنبئ ، فالذى لا شك فيه أنها اشتملت على وجهات نظر في النقد قيمة إذا هى جردت من عنصر المبالغة والتحامل .

وقد تنقل المتنبئ بين الاقطار الإسلامية ، فكان يثير في كل قطر خصومة ، حتى إننا نستطيع أن نذهب إلى أن الخصومة حوله تعد أفسح الخصومات ميداناً ، وأوسعها رقعة ، وأكثرها انتشاراً . وربما كانت أسباب هذه الخصومة في كثير من الأحيان شخصية ، وإنما

كان شعره يتخذ تكأة لليل منه . وربما قيل إن المتنبي لم يحن عليه مثل كبره وعجرفيته ، وأقول إنه لم ينفع المتنبي مثل كبره ، ولم يخدم أدبه مثل عجرفيته .

وقد عاصر القاضي الجرجاني تلك الخصومة ورأى وسمع وقرأ الكثير ، وكان من هذا الذى قرأه رسالة الصاحب . ورغم صلة الود الوطيدة بين الجرجاني والصاحب ، فإن ذلك لم يمنع الجرجاني - وهو القاضى العدل المنصف - من أن ينتهف للمتنبي . وإذا كان هناك من يغالى أيضاً فى الانتصار للمتنبي ، فقد رأى الجرجاني أن مهمته تتحدد فى دفع هذا الغلو سواء عند المناصرين أو المعارضين .

وقد قسم الجرجاني وساطته أقساماً ثلاثة :

القسم الأول - وقد أفرده لمبادئ عامة فى النقد جرتة إليها المحاولة التى سينتهى إليها فى الدفاع عن الشاعر . ويمكننا أن نلخص هذه المبادئ فيما يلى :

أولاً : أن الخطأ فى الشعر داء قديم لم يسلم منه شاعر ، وأن هذا الخطأ وحده ليس سبباً كافياً لإسقاط شاعر كبير ، بل هناك مقومات فنية أخرى هى محل الاعتبار .

ثانياً : لا بد من توافر أربعة عناصر فى الشاعر حتى يصل إلى درجة الفحولة وهى : الطبع والرواية والذكاء والفطنة .

ثالثاً : مجانبة التكلف والركون إلى الطبع وترك الصنعة الممقوتة والاكتفاء منها بالقليل .

رابعاً : توسط الأسلوب بين السهولة التى تمحدر به إلى الضعف والركاكة ، وبين التصعب الذى يميل به إلى العورة والوحشية .

خامساً : تقسيم الالفاظ على رتب المعانى .

سادساً : وأخيراً أن يكون الشاعر جيد المطلع ، حسن التخلص ، محبوب الخاتمة .

القسم الثانى - وهو القسم الأكبر ، وفيه يتبين لنا منهجه فى الوساطة - أو إن شئنا فى الحكم - بين المتنبي وخصومه ، وتطبيقه لهذا المنهج . ويمكننا أن نلخص أفكاره الماضية فيما يلى :

أولاً : أن الشعراء يقع لهم الحسن كما يقع السيئ ، وأن المتنبي كسائر الشعراء فى ذلك .

ثانياً : لا تذهب سيئات الشاعر بحسناته ، ولا ضعفه بقوته .

القسم الثالث والآخر - وربما كان أكثر قيمة من سابقه لما نجده فيه من نقد عملي تصحبه الحجة ويسنده الدليل والتعليل .

ثم يختم الجرجاني وساطته بفصل أخير يعرض فيه لما عابه اللغويون على المتنبي . وفي هذا الفصل وحده نسمع صوتاً لانتصار الشاعر من اللغويين أنفسهم وعلى رأسهم ابن جني .

وقد يطول بنا المقام لو أننا وقفنا مع القاضي الجرجاني في كتابه فصلاً فصلاً ، ونحن لم نهدف منذ اللحظة الأولى إلى هذه الدراسة - وأرجو أن تتاح لها فرصة قريبة - وإنما كان هدفنا أن تبين أثر الخصومات الأدبية التي احتدم أوارها حول الأدب العربي والشعراء العرب في نهضة الحركة النقدية ونموها وازدهارها . ولو تصورنا أن تاريخ الأدب العربي خلا من أبي تمام والبحترى والمتنبي لما كان من الممكن أن نحصل على هذه الثروة الضخمة في النقد الأدبي ، وذلك التراث الحى الذى خلفه لنا الأمدى والجرجاني وأضرابهما كدعبل والاصمى والصولى وغيرهم .

وربما شهد النصف الأول من القرن العشرين لونا من هذا الصراع وهذه الخصومة الأدبية بين مدرستين شبهتين في وضعهما بمدرستى أبي تمام والبحترى وأعنى بهما المدرسة الاتباعية وكان مثار الخصومة فيها شوقى ، والمدرسة الابتداعية وكان على رأسها شكرى والعقاد . هذه المدرسة تمثل مذهباً وتلك تمثل مذهباً آخر ؛ فكان لا بد من اختصاص بين المذهبين ، وقدم كل منهما الحجج التي هي بمنابة الأسس التي يقوم عليها المذهب ، وجادل وناقح من أجلها ، فنتج عن ذلك أيضاً بطبيعة الحال حركة نشطة في ميدان النقد الأدبي وازدهار من جديد .

وهكذا كانت الخصومات دائماً بداية لنهضة النقد الأدبي . وكم نود أن تستمر خيوط هذه الخصومة الأدبية التي مثلها الجيل الماضى وخبا أوارها ، كم نود أن تعود جذعة من جديد ، والسكسب في هذه الحالة للأدب العربي والنقد معاً .

فالى الناهضين بالأدب والنقد : هل من خصومة ١٩ .

عز الدين اسماعيل

مدرس اللغة العربية في كلية الآداب - بجامعة ابراهيم

البُحْتِيتُ فِي صِرَاطِ الْإِسْلَامِ

درست الفنون العسكرية ، وأصول القتال وأساليبه في الكلية الحربية ثم في كلية أركان الحرب . ثم قرأت - فيما أقرأ - ما كتب عن السيرة النبوية الشريفة ، ولم أكن في قراءتي هذه إلا طالباً لثقافة عامة في ناحية من نواحي التاريخ .

وفيما كنت أقرأ غزوة بدر ، قرأت قول رسول الله ﷺ للمسلمين بعد أن عدل صفوفهم استعداداً للقاء قريش : « إن دنا القوم منكم فانضحوهم بالنبل واستبقوا نبلكم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » .

ومعنى « فانضحوهم » ادفعوهم عنكم بالنبل ، « واستبقوا نبلكم » أى لا ترموها على العدو وهو بعيد عنكم بل انتظروا حتى يقترب .

هنا تملكيتي الدهشة والعجب ! . . إن ما قاله الرسول الكريم هو نفسه مبدأ من المبادئ العسكرية التي درسناها ، والتي يدرسها العسكريون في جميع أنحاء العالم في ناحية أصول الدفاع ضد هجوم العدو . فإن النبي ﷺ كان يعنى بما يقول أمرين هامين هما :

أولاً - تأخير قذف السهام من القسي حتى يقترب الأعداء وهذا معنى قوله : « واستبقوا نبلكم » .

ثانياً - منع استعمال السيوف إلا إذا أصبح العدو قريباً منهم ، وهذا معنى قوله : « ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » .

وأصول الحرب الحديثة ، التي وضعها العسكريون الذين تعلموا فنون الحرب واتخذوها صناعة وعاشوا لها ، تقضى على المدافع الذي يقف يترقب هجوم عدوه ، عليه أن يتبع المبادئ الآتية :

١ - كبت النيران وعدم إطلاقها على العدو المهاجم حتى يقترب ويصبح من القرب بحيث يمكن معه أن تصيب كل رصاصة رجلاً منه فتقتله .

فالبندقية المستخدمة في الجيوش حديثاً يمكن لرصاصها أن يصل إلى مسافة ألف ياردة على الأقل ، ولكن أصول الدفاع تقضى ألا تطلق إلا إذا وصل العدو إلى مسافة مائتي

ياردة حتى تضمن إصابته إصابة قاتلة ، وحتى لا تترك له فرصة للإفلات من الفخ بحيلة من الحيل ، ولا شك أن نيران المدافع عندما تكون شديدة لها أثر مروع في نفوس المهاجمين ، فتتخبط روحهم المعنوية وتضعف قدرتهم على القتال ، ومن ثم كان كبت النيران أفضل من الضرب على مسافات بعيدة يطيش معها رصاص المدافعين ويذهب أكثره في الهواء ، فضلاً عن أنه ينهب العدو إلى مكان المدافع فيحتاط لامره ، وقد يلجأ إلى الخدعة والحيلة ليفوت على المدافع غرضه ويفسد عليه خطته .

وهكذا أراد الرسول بقوله « واستبقوا نبلكم » ألا يطيش سهم من سهام المسلمين ، بل يكون كل سهم برجل من المشركين ، كما أراد أن يقوم المسلمون بفياهم قومة رجل واحد ليلقوا الرعب والهلل في نفوس المهاجمين .

٢ — استخدام السلاح الأبيض عندما يصبح المهاجمون بين المدافعين ويستحيل عملياً إطلاق البنادق ، وهذا ما عناه الرسول في قوله : « ولا تسالوا السيوف حتى يغشوكم » .

ولقد زادنى تأملاً ودهشة وإعجاباً أن تصدر هذه التعليقات من محمد ﷺ وهو لم يتعلم الحرب ، ولا درس فيها في أية مدرسة عسكرية ، ومع ذلك تسبق إرشاداته العسكرية بألف وثلاثمائة عام الأصول الحديثة في استخدام الأسلحة ، والتي يدعى دهاء الحرب أنها من صنعم ووضعهم .

وهكذا خرجت من هذه المقارنة بعزم أكيد على أن أعود إلى حيث بدأت في قراءة السيرة النبوية الشريفة وأتابع قراءتها إلى نهايتها بإمعان ، فأصبحت غايى منها البحث الدقيق والموازنة والمقارنة ، لا مجرد طلب الثقافة العامة في ناحية من نواحي التاريخ .

وسرعان ما اكتشفت من الأمور ما جعلنى أومن بأن غزوات الرسول ﷺ حوت من فنون الحرب ، وأساليب القتال ، وآيات حسن القيادة ما يحى العقول العسكرية ، وأن جيش الإسلام الذى خاض هذه الغزوات سجل في التاريخ أنه لا يقل عظمة عن جيوش العالم وأن ، محمداً ، قائد هذا الجيش سجل في تاريخ الفنون العسكرية أنه قائد فذ بارز لا يتسامى إليه أحد من قواد الحروب ، مع أنه لم يتعلم فن الحرب ولم يتخذ القتال صناعة .

ولست بحاجة إلى الحديث عن سر مشروعية القتال في الإسلام ، فليس هذا من غرضى ، ولم يعد هناك من ريب في أن الدين الإسلامى قام على الحجة والبرهان ، وظهر على كل

الأديان بقوة البيان وإعجاز القرآن ، لا بقوة السيف والقهر والجبروت ، لا لإكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، ، وقد تظاهرت الأدلة والبراهين على أن الإسلام لم يسئل السيف في وجوه أعدائه إلا بعد اعتدائهم وبغيهم على النبي وأصحابه ، ووقوفهم في طريق الدعوة إلى الحق يصدون عن سبيل الله وصراطه المستقيم ، فلم يشرع القتال حباً في دنيا أو طمعاً في مال أو رغبة في سيادة ، وإنما شرعه لرد الظلم ودفع الأذى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، . وقال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، . إلى آخر ما نزل في مشروعية القتال من آيات الكتاب الحكيم .

ولعله من المناسب هنا أن نقدم لموضوعنا بالحديث عن جيش الإسلام وعن قائد جيش الإسلام :

جيش الإسلام .

كان هذا الجيش من العرب الذين نشأوا في الجزيرة العربية ، ولقد وهبتهم طبيعة بلادهم الصحراوية صفات طبيعية جعلتهم جنوداً بالفطرة ، ثم جاء الإسلام فتناول هذه الطبيعة بالتهذيب والتوجيه ، فخرج للعربي من المدرسة الإسلامية جندياً مثالياً يتصف بهذه الصفات الطبيعية التي تعد من خصائص الجندية :

١ — صحة الإبدان :

وهذه ناحية هامة لها أثرها في القوة العسكرية ، وهي تقوم على أمرين :

أولها — الزهد والتقشف وأثر الطبيعة في صحتهم وفي هذا يقول ابن خلدون :

« أما أهل البدو فأكولهم قليل في الغالب ، والجوع أغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك عادة . أما علاج الطبخ بالتوابل والفواكه فيأثم يدعو إليه ترف الحضارة ، وهم بمعزل عنه ، فيتناولون أغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالفها ويقرب مزاجها من ملائمة البدن . وأما أهويتهم (أى الجوع) فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات إن كانوا أهلين ، أو لاختلاف الأهوية إن كانوا ظاعنين . ثم إن الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الحيل أو الصيد أو طلب الخاجات لمهنة أنفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك كله الهضم

وجود ويقعد إدخال الطعام على الطعام فتكون أمزجتهم أصلح وأبعد من الأمراض ، فقتل حاجتهم إلى الطب ، ولهذا لا يوجد الطيب في البادية بوجه ، .

هذا وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يعد أسلم طريق للمحافظة على صحة الأبدان : نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع ، أى أن المرء لا يأكل إلا إذا أحس بالجوع ، وإذا أكل خفف ولم يسرف .

وإن لا اكتفاء العربى بالقليل من الطعام وقوة احتماله وصبره على الظمأ والجوع لأرا عظيما في جملة جندياً من الطراز الاول ، فهو إذا خرج للقتال حمل معه طعاما بسيطاً حتى إذا أحس بالجوع فحسبه بضع تمرات تقوم بأوده وتكفيه طويلا .

وقد قال نابليون : إن الجيوش تمشى على بطونها ، أى أن الجيش إذا تأخر عنه طعامه ضعف عن القتال . ولهذا لم تكن مسألة طعام الجيش في صدر الإسلام مما يعد في هذا الزمن من أعقد المشكلات .

وثانيهما — الرياضة ، كان العربى رياضياً بطبيعته ، فهو خير ركوب الخيل ففى وسيلته فى تنقله وسفره إلى جانب سفينة الصحراء ، وكان يعتز بالخيل حتى لقد قيل لبعض الحكماء : أى الأموال أشرف ؟ فقال : فرض يقبها فرس فى بطنها فرس .

وكان سباق الخيل من أحب الألعاب عند العرب ، كان الرجل يراهن صاحبه فى المسابقة ، يضع هذا رهنا وهذا رهنا ، فأيهما سبق فرسه أخذ رهنه ورهن صاحبه .

ومن رياضتهم السباق على الأقدام والمصارعة ورمى النشاب (النبال) واللعب بالسلاح ، إذ يحتاجون إليه فى الدفاع عن أنفسهم . ويروى أن بعض الأحباش كانوا يلعبون بالحرب فى المسجد أمام الرسول عليه السلام ، فأنكر عليهم عمر بن الخطاب ذلك ، وأهوى إلى الحصباء ليرميهم بها ، غير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : د دعهم ياعمر ، ، وهذا يدل على تقديره لاهمية هذا الفن . (يتبع)

يوزباشى أركان الحرب

محمد جمال الدين محفوظ

الكتب

صحيح ابن حبان
بتحقيق الشيخ أحمد شاكر

من نعم الله على هذه الأمة الإسلامية في دينها ، بل من نعمه عز وجل على الإنسانية في حسن توجيهها إلى الحق محضاً وإلى الخير صرفاً ، أن أصحاب خاتم رسل الله ﷺ حفظوا عنه ماحمله إلى الإنسانية من رسالات الله ، ثم نقلوه إلى السكلة العدول من أتباعهم ، ثم أداه هؤلاء بعناية وضبط إلى الحفظلة الأمانة من نوابغ تلاميذهم ، فكان ذلك هو الأساس الذي قام عليه تدوين السنة في الموطأ والكتب التي صنفت بعده ، وأعظمها صحيح البخاري (١٩٤ - ٢٥٦) ومسلم (٢٠٦ - ٢٦١) ، لأن هذين الإمامين الجليلين التزما في اختيار الصحيح شروطاً دقيقة كان بها ماخرجاهما في كتابيهما أعلى أنواع الصحيح درجة ، ولم يلتزما استيعاب الصحيح كله ، بل تركا كثيراً من الصحيح الذي على شرطهما ، والصحيح الذي هو أقل درجة من شرطهما .

وقد تبعهما في صنع كتب تقتصر على صحيح الحديث ، كثير من الحفاظ الأئمة الكبار ، منهم إمام الأئمة شيخ الإسلام محمد بن إسحاق بن خزيمة (٢٢٣ - ٣١١) ، وصحيح ابن خزيمة من تراث المسلمين الذي فرطوا فيه فعدت عليه عوادي الفتن والجهل فلا نعلم له الآن وجوداً ، ولعل الله يظفر أهل الفضل بمخطوطات منه فيقوم العلماء ببعثه ونشره .

ومن الذين ألفوا في الصحيح الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان التميمي (حوالي ٢٨٠ - ٣٥٦) وهو من تلاميذ الإمام ابن خزيمة ، فصنف كتاب (المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع) ، من غير وجود قطع في سندها ، ولا ثبوت جرح في نافيها) وهو المعروف بين علماء الحديث باسم (التقاسيم والأنواع) واشتهر على ألسنة الناس باسم (صحيح ابن حبان) ، وقد قال ابن حبان في مقدمة صحيحه : « ولعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ

من اسديجاب إلى الإسكندرية ، ولم نرو في كتابنا هذا إلا عن مائة وخمسين شيخاً ، لا أقل أو أكثر .

ولعل معول كتابنا هذا يكون على نحو من عشرين شيخاً ممن أدرنا السنن عليهم ، واقتنعنا برواياتهم عن رواية غيرهم ، على الشرائط التي وصفناها .

قال السخاوى في شرح ألفية العراقي (ص ١٤ طبعة الهند) عند الكلام على ابن حبان في صحيحه : « ومذهبه إدراج الحسن في الصحيح ، مع أن شيخنا (يريد الحافظ ابن حجر) قد نازع في نسبته إلى التساهل إلا من هذه الحيثية . وعبارته إن كانت باعتبار وجدان الحسن في كتابه فهي مشاحة في الاصطلاح ، لأنه يسميه صحيحاً ، وإن كانت باعتبار خفة شروطه فانه يخرج في الصحيح ما كان راويه ثقة غير مدلس ، سمع من فوقه ، وسمع منه الآخذ عنه ، ولا يكون هناك إرسال ولا انقطاع ، قال السخاوى : « ويتأيد بقول الحازمي : ابن حبان أمكن في الحديث من الحاكم . وكذا قال العماد ابن كثير : قد ألزم ابن خزيمة وابن حبان الصحة ، وهما خير من المستدرک بكثير ، وأنظف أسانيد ومتوناً . وعلى كل حال فلا بد من النظر للتمييز . وكفى في كتاب ابن خزيمة أيضاً من حديث محكوم منه بصحته وهو لا يرتقى عن رتبة الحسن . بل وفيما صححه الترمذى من ذلك جملة ، مع أنه ممن يفرق بين الصحيح والحسن » .

وكان أصل صحيح ابن حبان معتبراً في حكم المفقود كصحيح ابن خزيمة ، غير أنه بقيت منه بقايا ، منها قطعة من الجزء الأول في مجاميع كتب مصطفى فاضل باشا رقم ٢١٧ بدار الكتب المصرية ، وكانت في الأصل ملك ولي النعم الحاج ابراهيم سرعسكر عدد ١٢٦ ، ولعلها من المكتب التي جاء بها من الشام ، وهي ناقصة ومخرومة بين الورقتين ٧٠ و ٦٩ وعدد أوراقها ٧٢ ورقة ، وهذه القطعة واضحة الخط جيدة الضبط تغلب عليها الصحة ، والظاهر أن كاتبها من أهل العلم بالحديث ، ولعله أحد تلاميذ الحافظ ابن عساكر ، لأنه لما ذكر سلسلة رواية هذا الجزء عن العلماء إلى مؤلفه وقف عند رواية ابن عساكر ، وهذا مما يرجح أنه هو شيخه الذي روى عنه المكتب . والراوى الأول لهذا الصحيح عن ابن حبان هو أبو الحسن محمد بن أحمد الزوزنى ، وقد نبه العلامة الشيخ أحمد شاكر على خطأ السيد مرتضى الزبيدى شارح القاموس (في مادة بحث) لجعل الزوزنى هذا هو أبو العباس الوليد بن أحمد خلافاً للثابت في الورقة الأولى من هذه المخطوطة ،

وفي السماعات ونصوص أخرى . وقد وقع سبق قلم من الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على ص ٢٥ من مقدمته فذكر أن البحاثي شيخ الزوزني ، وهو تلميذه .

ومن بقايا أصول صحيح ابن حبان الجزءان الثاني والثالث من نسخة أخرى نفيسة محفوظة في مكتبة أحمد الثالث بالقسطنطينية رقم ٣٤٧ عدد أوراق كل منهما ٢٢٢ وهما بخط أحمد بن يحيى بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن عساكر فرغ من كتابتهما تجاه السكبة المشرفة فآتم الجزء الثاني في ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٣٩ والجزء الثالث في ٢٣ رجب من تلك السنة وقرأهما في العام نفسه في الحرم الشريف تجاه السكبة على عالين أحدهما قطب الدين أبو بكر محمد بن المسكرم (وهو ابن صاحب لسان العرب) و وفاة قطب الدين في سنة ٧٥٢ ببيت المقدس وهو من تلاميذ الإمام ابن القيم . والظاهر أن ابن عساكر هذا ليس من آل عساكر الدمشقيين . وعلى هذين الجزرين سماعات علمية على طريقة السلف لعلها أجلاء خرجت النسخة من تحت أيديهم صحيحة مخدومة معتنى بها ، فضلا عن العناية التي بذلها كاتبها وهو من العلماء المشتبهين . وهذان الجزءان نصف الكتاب .

ومن بقايا أصول هذا الكتاب الجزء الثالث من نسخة أخرى جىء بصورته الشمسية من القسطنطينية ، وهو جزء نفيس بالغ الغاية في الإتقان والضبط مكتوب بخط الحسن ابن علي الحوزي في سلخ المحرم ٦٠١ ، وعليه سماعات كثيرة تأثر بعضها بما يشبه البلبل . وقد أفاض الشيخ أحمد شاكر في وصف هذه السماعات وعن الترجمة لأصحابها كمعاده في استيفاء ما يتعرض له من البحوث .

وأنت ترى أن هذه القطع من أصل صحيح ابن حبان تنقص الجزء الرابع وأكثر الجزء الأول ولا يكتفى بها في نشر الكتاب كاملا ، زد على ذلك ما قاله السيوطي في تدريب الراوي (ص ٣٢) من أن ، صحيح ابن حبان ترتيبه مخترع ، ليس على الأبواب ولا على المسانيد ، ولهذا سماه (التقاسيم والأنواع) ، وسببه أنه كان عارفاً بالكلام والنحو والفلسفة ... والكشف من كتابه عسر جداً ، وقد رتب بعض المتأخرين على الأبواب ، وهذا العالم المتأخر الذي رتب على الأبواب هو الأمير علاء الدين أبو الحسن علي بن بلبان الفارسي المصري (٦٧٥ - ٧٣٩) من تلاميذ أبي حيان الأندلسي والحافظ الدمياطي والبهاء ابن عساكر . وكان عظيم المنزلة أيام المظفر بيبرس ، وعين مرة للقضاء ، وله غير ترتيب صحيح ابن حبان ترتيب المعجم الكبير للطبراني . وقد سمي ترتيبه لصحيح ابن حبان (الإحسان ،

في تقريب صحيح ابن حبان) وهو لم يصنع فيه غير الترتيب والتبويب المستحدث ، لم يخرم منه كلمة ، ولم يسقط منه حرفاً . أثبت الكتاب كله بنصه في مواضعه من الكتاب الجديد ، حتى الخطبة وما بعدها وخواتيم الأقسام ، أثبتها كلها في مقدمة (الإحسان) فكان كتابه كما كان أصله (صحيح ابن حبان) .

ومن كتاب (الإحسان) نسخة جيدة متقنة يمكن الثقة بها والاطمئنان إليها ، موجودة بدار السكتب المصرية (٣٥ حديث) في ٩ مجلدات من الأول إلى السادس ثم الثامن والتاسع . ثم مجلد من نسخة أخرى يكمل النقص الذي بين السادس والثامن وكتب عليه أنه الجزء الرابع ، وهو أكبر حجماً من أجزاء تلك النسخة ، وهذه الأجزاء كلها من خطوط القرن الثامن ، وهي غير مؤرخة ولم يسم من كتابها إلا كاتب الجزء الرابع الذي اعتبر السابع وهو يوسف ابن علي بن محمد المعروف بصلاح السعدي ، ويؤكد الشيخ أحمد شاكر أن الأجزاء الأخرى (غير السابع) هي نسخة المؤلف الأمير علاء الدين الفارسي نفسه وأنها ليست بخطه بل بخط أحد النسخين نقله من مسودة المؤلف ولعله بإشارته وإشرافه .

على هذه الأصول الجيدة اعتمد الشيخ أحمد شاكر في تحقيق صحيح ابن حبان بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان ، والشيخ أحمد شاكر أعلم من نعلم بهذا الفن وأقدرهم على تحقيق أصوله وحسن إصدارها وإتقان نشرها . وأما الآن الجزء الأول من صحيح ابن حبان في ٣١٥ صفحة كبيرة تضمنت ١٣٨ حديثاً منه وكانت في ٢٢٤ صفحة من الجزء الأول في الأصل المخطوط . وفي أول الجزء مقدمة للشيخ أحمد شاكر في التعريف بالكتاب ومؤلفه ومرتبته ووصف الأصول التي اعتمدها وما فيها من سماعات . يليها صور شمسية لبعض صفحات تلك الأصول . والذين اطلعوا على تحقيق الأستاذ وتعليقاته على الطبعة الثانية من مسند الإمام أحمد وغير ذلك من السكتب ككتاب الخراج ليعبي بن آدم القسري ورسالة الأصول للإمام محمد بن إدريس الشافعي لا يحتاجون إلى التنويه بالمجهود العلمي العظيم الذي يقوم به لسكتب أئمة الملة مما لا مطعم الآن في الزيادة عليه .

وقد نبه في كل حديث إلى ما وقع فيه من اختلاف النسخ ، وذكر الحكمة في ترجيح ما رجحه ، مع المقارنة بمواضع الحديث في السكتب المشهورة ، وقد يستقصي ما يتعلق به في المصطلح الأخرى بأقصى ما يتمكن منه العالم الصار الكثير الاطلاع . وربما علق على الحديث بخواطر علمية نفيد جمهور المطالعين ، كتعليقه على الحديث ٢١ في تأييد النخل

بقوله : « وهذا الفرق بين شؤون الدين وشؤون الدنيا إنما هو في أمور الصناعات والامور المادية والنجارب وما إليها ، ليس فيما يتعلق بالأحكام والآداب والأخلاق ونحوها مما يتصل بأمور الناس في الدنيا ومعاملاتهم وكل شأنهم ، فهذه من أمور الدين يقينا . ولكن الملحدين في عصرنا (١) ، والذين طغت على عقولهم التربية الافرنجية والمقائد الدخيلة . . يلعبون بالأحاديث التي وردت في هذا المعنى ليخرجوا بها كل شيء من شؤون الناس من حكم الدين ليأخذوا بأحكام الاهواء والشهوات ويخلصوا من قيود الإسلام الخ ،

وبما صحح به الاصل ما علق به على الحديث ٣٢ في بدء الوحي وقد جاء فيه « ثم انطلقت خديجة حتى جاءت به ورقة بن نوفل وكان أبا أبيها ، فقال الشيخ أحمد شاكر : هكذا وقع هنا في أصل العللاء الفارسي وفي مخطوطة ابن عساكر « وهو خطأ أو وهم من بعض الرواة دون عبد الرزاق ومخالف للثابت المعروف من عمود النسب » ثم استوفي بيان هذه الحقيقة . وفي الحديث نفسه « فقالت له خديجة : أي عم ، فصححه من روايتي أحمد والبخاري « أي ابن عم ، وأفاض في بيانه .

ووقع في اسم الاخوان علي ومحمد ابني الحسين بن ابراهيم بن الحر اختلاف في لقبهما « ابن إشكاب » في الحديث ٢٩ و « ابن إشكيب » في الحديث ٣٦ فأشار الشيخ أحمد شاكر إلى مواطن استعمال هذا اللقب في السكتب الأخرى وقال : الظاهر عندي أن هذا لقب أعجمي مما تنطق الالاب فيه بالإمالة فصح فيه الالف والياء .

وفي الحديث ٤٩ الخاص بالإسراء كلام مدرج لابن حبان هو مبتدأ وخبر ، وهو قول ابن حبان « ذكر شد البراق بالصخرة في خبر بريدة ورؤيته موسى ﷺ يصل في قبره ، ليسا جميعاً في خبر مالك بن صعصعة ، فظن كاتب ترتيب الأمير الفارسي أن قول ابن حبان « ذكر شد البراق بالصخرة » عنوان فسكتبه بالآخر ، وقد نبه الشيخ أحمد شاكر إلى هذا الخصاص ، وإلى خطأ آخر وهو كتابة لفظ « ليسا » برسم « ليثبنا » .

وتكلم على الحديث ٧٢ المروى تارة عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة ، وتارة عن ابن أبي مليكة عن عائشة مباشرة ، فأثبت تلقى ابن أبي مليكة عن عائشة مباشرة وعنهما بواسطة

(١) المجلد : كذاك المجتهد الذي أباح للمسلمين أن لا يؤمنوا بما ثبت صدورهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب (انظر ص ٣٦٩ في الجزء الثالث من هذه المجلد في سنها الجارية)

القاسم بن محمد وقال : إن هذا الحديث من المزيد في متصل الأسانيد ، وقد سمعه ابن أبي مليكة مرتين إحداهما من عائشة والآخرى من القاسم عنها حدث به علي الوجهين كما سمع .

وصحح لابن حبان نفسه في الحديث ٨١ ما انفقت عليه الاصول الثلاثة في سند د أحمد ابن علي بن المثنى عن محمد بن مسروق عن محمد بن بكر ، وهو البرساني ، لحقق الشيخ أحمد شاكر أن د محمد بن مسروق ، خطأ وصوابه د محمد بن مرزوق ، وهو محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي من شيوخ مسلم والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وأبي يعلى وغيرهم .

وحقق في الحديث ٩٤ شخصية د أبي بكر بن نافع العمري ، فقال هو عندهم اثنان مترجمان في التهذيب والميزان وغيرهما أحدهما أبو بكر بن نافع مولى عبدالله بن عمر والظاهر أن ابن حبان ظن أنه هو الراوى هنا أو وقعت له الرواية هكذا إذ وصفه بأنه د العمري . والثاني أبو بكر بن نافع مولى زيد بن الخطاب وهو الذى وقع في رواية البخارى هذا الحديث في الادب المفرد (ص ٦٨) قال د حدثنا عبدالله بن عبد الوهاب ، قال : حدثنى أبو بكر بن نافع ، واسمه أبو بكر ، مولى زيد بن الخطاب . الخ ، والبخارى فرق بين الترجمتين في كتاب السكنى رقم ٩٧ و ٩٨ و فرق بينهما صاحب التهذيب (١٢ : ٤١ و ٤٢) وحزم بأن راوى هذا الحديث هو الثانى ، ونحو ذلك صنع الذهبي في الميزان (٣ : ٣٤٩) فذكر الترجمتين الخ وبعد أن استقصى القول فى ذلك وعد بزيادة البحث عما إذا كان أبو بكر بن نافع شخصيتين أو شخصية واحدة .

ونبه فى الحديث ٩٦ إلى أن د عبدالله بن عياش بن عباس عن أبي عبد الرحمن الحبلى ، خطأ وأنه سقط من بينهما د عن أبيه ، ثم خرج الحديث بعناية وتحقيق مينا صحة ما ذهب إليه .

والحديث ١٠٤ د إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة ، تحرف فيه لفظ د أسند ، بلفظ د اشتد ، وسقط من أحد الرواة قوله د إلى غير أهله ، فنبه عليه الشيخ أحمد شاكر وردة فى التعليقات إلى أصله المحفوظ فى صحيح البخارى ومسندهما .

وحديث رؤيا الظلة التى تنطف السمن والعسل ، وهو الحديث رقم ١١١ ، سقطت منه فى الاصل جملة فى قريب من سطرين فنبه على ذلك وأثبت النقص بين حاصرتين من رواية مسلم بالاسناد الذى عند ابن حبان .

وسقط من الحديث ١١٤ اسم الراوى الذى أخذ عنه شيخ ابن حبان فوجده الشيخ أحمد شاكر فى تاريخ ابن عساكر (١ : ١١٢) .

وحقق في الحديث ١٣٢ صحة سماع الحسن البصري من الاسود بن سريع خلافاً لكلمة قالها على بن المديني فتابعه في ذلك العلماء وقلد بعضهم بعضاً استنباطاً من أخبار لم تثبت ، فنقل الشيخ أحمد شاكر نصاً عن المرى بن يحيى رجحه البخاري في تاريخه الكبير والصغير عن إثبات سماع الحسن من الاسود وتابع على ذلك يونس بن عبيد والمبارك بن فضالة .

وهكذا جاء الجزء الأول من صحيح ابن حبان بتحقيق الاستاذ الشيخ أحمد شاكر مصححاً منقحاً مقارناً بروايات الأئمة معلقاً عليه بملاحظات وتحقيقات عليّة عظيمة النفع ، مطبوعاً بمطابع دار المعارف طبعاً نفيساً على ورق خاص ممتاز . وقد طبعت منه نسخ قليلة لقلة الخواص الذين يعنون باقتناء هذه الطبقة من مؤلفات السلف ، وقد قصد من طبعه لإحيائه . ولعل من يهمهم تعميم مثل هذا الأثر النفيس يساهمون في طبعه طبعة شعبية يعم بها نفعه كما سبق مثل ذلك في مسند الإمام أحمد . وابقه الموفق .

المدخل الفقهي العام

إلى الحقوق المدنية

الفقه الإسلامى كنز من كنوز العدالة المطلقة فى الحكم بين البشر فى كل ما يتقاضون فيه من حقوق والتزامات وعقود ، وفى كل ما يختلفون عليه من علاقات بعضهم ببعض . وقد انتبه لذلك علماء القانون العالميون ، وأعلنوه معترفين به فى مناسبات كثيرة لعل آخرها القرار الإجماعى من أعضاء المؤتمر الذى عقدته فى يوليو سنة ١٩٥١ شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولى للحقوق المقارنة وبحثت فيه موضوع الفقه الإسلامى فى أسبوع أطلقوا عليه اسم (أسبوع الفقه الإسلامى) برئاسة المسيو ميو أستاذ التشريع الإسلامى فى كلية الحقوق بجامعة باريس ، ومما جاء فى قرار المؤتمر الإجماعى : « إن مبادئ الفقه الإسلامى لها قيمة (حقوقية تشريعية) لا يمارى فيها . وإن اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات ومن الأصول الحقوقية هى منط الإعجاب ، وبها يتممكن الفقه الإسلامى أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها ، . وقد أعلن المؤتمرون رغبتهم فى أن يظل (أسبوع الفقه الإسلامى) يتابع أعماله سنة فسنة ، ويأملون أن تؤلف اللجنة لوضع (معجم للفقه الإسلامى) سهل

الرجوع إلى مؤلفات هذا الفقه ، فيكون موسوعة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقية الإسلامية وفقاً للأساليب الحديثة ، .

وبينما الغرب يوجه مثل هذه العناية للفقه الإسلامي ، فإن الجامعة السورية في دمشق كانت تقوم من جانبها أيضاً ببعض ما يجب على المسلمين لفقههم وتشريعهم من دراسة وحسن عرض . وأما الآن مجلد ضخيم في ثمانمائة صفحة كبيرة هي الجزء الأول من (المدخل الفقهي العام إلى الحقوق المدنية) يشتمل على مقدمة تعريفية وتاريخية للفقه الإسلامي ، وعلى النظريات الإسلامية في مبادئه ، وشرح قواعده الكلية ، مع مقارنات مهمة بالفقه الاجنبي والقانون المدني ، قام بتأليفه العالم الجليل الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا أستاذ القانون المدني والشرعية الإسلامية في كلية الحقوق بدمشق ، وقد سبق له طبعه مرتين ، وأما الآن الطبعة الثالثة فريدة ومنقحة مشتملة على فهارس عديدة وفهرس أجدى مهم . وهو مطبوع بمطبعة الجامعة السورية أجمل طبع وأتقنه . ولو أن كل علمائنا المشتغلين بالفقه الإسلامي - بحثاً وتدریسا - يبدلون مثل هذه الجهود أو بعضها في تحرير بحوث الفقه ، والإشارة إلى مراجعها ، ومقارنة المذاهب بعضها ببعض ، ومقارنتها كلها بالنشرع الاجنبي إن أمكن ، لاستطعنا في سنين قليلة أن نهيء الأسباب لتأليف موسوعة الفقه الإسلامي التي تبنى مؤتمر باريس والقائمون بأسبوع الفقه الإسلامي فيه أن يقوم بها من يعينهم الأمر وفقاً للأساليب الحديثة .

ولإذا كان هذا المجلد البالغ ثمانمائة صفحة كبيرة هو المجلد الأول من المدخل الفقهي العام إلى الحقوق المدنية ، وهو كما ذكرنا يشتمل - بعد المقدمة التعريفية والتاريخية للفقه الإسلامي - على القواعد الكلية التي كانت تسمى أصولاً ، كقاعدة الامور بمقاصدها ، ود الضرر يزال ، ود اليقين لا يزول بالشك ، ... الخ ، فإن ذلك يدلنا على أن الأستاذ المحقق الجليل الشيخ مصطفى الزرقا قد وطن نفسه على تنظيم الحقوق المدنية من الفقه الإسلامي تنظيمًا مبسوطاً منقحاً مقارناً ستخرج منه إن شاء الله مجموعة عظيمة في الفقه تجلو جماله وتعلن كماله وتبرهن للإنسانية على أن الفقه الإسلامي هو الجدير بأن يكون مصدر التشريع لا للمسلمين وحدهم - فهذا أقل ما يجب عليهم لأنفسهم ودينهم وتعميم العدالة في أوطانهم - ولسكر للإمام كلها ودول الغرب في مقدمتها . ونحن ندعو له بأن يمد الله في حياته حتى يؤدي مهمته الإنسانية .

اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان

امتاز المسلمون بتحرى الصحيح مما أثر عن رسول الله ﷺ من أقواله ، وأفعاله ، وما أقر عليه الصحابة مما صدر عنهم ليسكون قدوة لغيرهم . وأعلى الصحيح من سنة رسول الله ﷺ مرتبة ما اتفق عليه الإمامان العظيمان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (١٩٤ - ٢٥٦) وأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٦ - ٢٦١) في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة .

وقد سبق لبعض المؤلفين الجمع بين ما اتفق عليه الشيخان ، ثم قام أخيراً حضرة الفاضل الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بإصدار هذا الكتاب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) في ثلاثة أجزاء من القطع الكامل ، التزم فيه ذكر نص حديث البخارى الذى هو أقرب النصوص انطباقاً على نص الحديث الذى اتفق فيه مسلم معه ، وهو التزام شاق لم يتقيد به قبل الآن أحد من أئمة ، أو قال ، إن هذا الحديث متفق عليه . وقد ضرب الاستاذ فؤاد عبد الباقي المثل لذلك بأن الحافظ ابن حجر - وهو أستاذ الدنيا فى علم الحديث - قرر فيما قرره أن المراد بموافقة مسلم للبخارى موافقته على تخرىج أصل الحديث عن صحابه ، وإن وقعت بعض المخالفة فى بعض السياقات . ولما وضع الإمام النووى - شارح صحيح مسلم - كتابه (الأربعون النووية) وابتدأ بحديث الاعمال بالنية ، وأشار إلى أنه ما اتفق عليه الشيخان لم يذكر أقرب نصوص البخارى إلى نص مسلم ، بل ذكر أول نص أخرجه البخارى فى صحيحه ، وبينه وبين الحديث الذى أخرجه مسلم بعض المخالفة فى السياق .

فالتزام مؤلف كتاب (اللؤلؤ والمرجان) ذكر نص حديث البخارى الذى هو أقرب النصوص انطباقاً على نص الحديث الذى اتفق فيه مسلم معه جعل لكتابته مزية ظاهرة يشكر على ما بذله فى سبيلها من مجهود ، وبما يسر ذلك عليه أنه سبق له تأليف كتابين لم يطبعوا بعد ، أحدهما (جامع مسانيد صحيح البخارى) والآخر (قررة العينين فى أطراف الصحيحين) ومن الكتاب الثانى اهتدى إلى الأحاديث المتفق عليها مع إحصائها وحصرها ، ومن الأول وقف على النص الذى التزمه فى (اللؤلؤ والمرجان) .

ومزية أخرى لكتاب (اللؤلؤ والمرجان) هى أن من سبقه إلى جمع ما اتفق عليه البخارى ومسلم وهو الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى مؤلف كتاب (زاد المسلم) بلغ عدد

جميع أحاديثه ١٣٦٨ حديثاً بينما الأحاديث التي أوردتها مؤلف (الؤلؤ والمرجان) بلغت ٢٠٠٦ زد على ذلك امتياز (الؤلؤ والمرجان) بجمال الطبع ودقة الضبط وترقيم الأحاديث والتعليق عليها بالضرورة من الشرح والتفسير .

وقد مضى في ترتيبه على ترتيب صحيح مسلم في أسماء كتبه وأبوابه مع أرقامها ، وأخذ من صحيح البخارى نص الحديث الذى وافقه مسلم عليه . وبين عقب سرد كل حديث موضعه من صحيح البخارى بذكر اسم الكتاب وعنوان الباب مع الأرقام التى قام على أساسها كتاب (مفتاح كنوز السنة) .

ولا نفوتنا الإشارة إلى أن التزام المؤلف ما التزمه من ذكر نص حديث البخارى الذى هو أقرب النصوص انطباقاً على نص الحديث الذى اتفق مسلم معه إنما كان باقتراح ناشر الكتاب السيد محمد الحلبي مدير دار لإحياء المكتب العربية التى تأثقت في طبعه وإصداره ، فجزاه الله والمؤلف على العناية بسنة رسول الله ﷺ أفضل الجزاء .

غوطة دمشق — للأستاذ محمد كرد علي

غوطة دمشق مجموعة كبيرة من قرى عاصمة الشام كانت تتسع وتقبض باتساع العمران وضيقه واستتباب الأمن والعدل أو اضطرابهما ، ويقدر طولها الآن بنحو ٢٠ كيلو متراً وعرضها بين ١٠ و ١٥ كيلو متراً ومساحتها ٥٣ ألف فدان ، تحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما شمالها ، فإن جباله عالية جداً والمياه العذبة خارجة من تلك الجبال وتمتد في الغوطة في عدة أنهر فتسقى بساكنيها وزروعها ، ويصب باقيها في بحيرتي المريج والهيجانة . والغوطة كلها أشجار وأنهار متصلة قل أن يكون بها مزارع للاستغلال إلا في مواضع يسيرة . قال ياقوت بعد أن طاف المعمور في زمنه : والغوطة بالإجماع أنزه بلاد الله وأحسنها نظراً ، وهي لأحدى جنات الأرض الأربع ، وهي : الصفد ، والأبله ، وشعب بؤان ، والغوطة - وهي أجملها - قال ابن قيس الرقيات :

أحلك الله والخليفة بالغـ وطة داراً بها بنو الحكم

المانعو الجار أن يضام فما جار دعا فيهم بمهتضم

وقال :

أقفرت منهم الفراديس فالغـ وطة ذات القرى وذات الظلال

قال الراعي :

ونحن كالنجم يهوى في مطالعه وغوطة الشام من أعناقها صدرٌ

وأعلم الناس اليوم بالغوطة وعاسنها الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق . وقد أحسن كل الإحسان بكتاب ألفه في كل ما يخطر على البال ، وكل ما يصل إليه البحث ، من أحوالها في ماضيها وحاضرها . مستعينا بمصادر جلية بلغ عدد المخطوط منها ٣٨ كتابا والمطبوع في أوروبا والشرق الإسلامي ٧٦ كتاباً ، مضافاً ذلك إلى خبرته الشخصية بزياراتها وعمرانها وبقاعها لأنه ابنها الناشئ فيها ، فذكر حدودها وبساتينها وقراها وسكانها وأديانهم والفصيح في كلام أهلها والطرائق الزراعية فيها ، ثم وصف متزهاتها وثمارها وزروعها وأنهارها وربها ، وتمليك الأرض فيها وجبلتها وأموالها وما يتعلق بها من الحكم والإدارة والعلم والآداب ، وما قام فيها من مدارس وخواق وربط وزوايا وألم بمدنيتها والأخلاق والعادات فيها وعوامل خرابها في السكوارث والحوادث ، وقراها الدائرة والقصور والجواسق والديورة التي كانت فيها قديماً .

وكتاب كرد علي عن الغوطة من منشورات المجمع العلمي وفيه فهرس للأعلام ، وثان للآدم والقبائل والبطون ، وثالث للأديان والمذاهب ، ورابع للكتب ، وخامس للبلدان والقرى والجبال والأنهار ، وسادس لفصول الكتاب ومباحثه ، وسابع لمتنوعات الغوطة من نبات وأزهار وغير ذلك .

ولو أن كل بقعة من بقاع الوطن العربي والعالم الإسلامي يعني أفاضل أهلها بتدوين المعلومات الجغرافية والتاريخية والعمرانية والأدبية المتعلقة بها كما فعل الاستاذ محمد كرد علي في كتاب الغوطة لكان ذلك من دلائل وفائتنا لأوطاننا ومحبتنا لها والتعبير عن هذا الوفاء وهذه المحبة بلسان العلم الخالد أهل بخلوده .

أحوال النفس - لابن سينا

وثلاث رسائل أخرى له

نشر الدكتور أحمد فؤاد الأهواني هذه المجموعة في أحوال النفس لابن سينا ، وقال في أحد فصول التصدير إن ابن سينا طلب معرفة النفس من صدر شبابه كما تحدث في رسالة القوى النفسانية التي ألفها للأمير نوح بن منصور الساماني فكانت أول مؤلفاته .

ولإذا كان قد استهل حياته الفكرية برسالة النفس فقد اختتمها أيضاً بعد أربعين سنة من تأليف ذلك الكتاب برسالة صغيرة في النفس الإنسانية ، وألف فيما بين ذلك كثيراً

من الرسائل النفسية ، والفن السادس من طبيعيات الشفاء يعد أوفى ما كتب في هذا الباب ، وهو يصور جملة آرائه وقد نقل بعضه بتمامه في كتاب النجاة ، ولأنه جمع أطراف هذا العلم المتفرق جعله هو - أو غيره - تأليفاً مفسقاً مترابط الأجزاء في رسالة (أحوال النفس) المنزعة من كتاب الشفاء ، فجعلها الدكتور الاهوانى أول هذه المجموعة معتمداً في تحقيقها على ثلاثة أصول : الأول في برلين والثاني بمكتبة أحمد الثالث بالقسطنطينية - وفي مكتبة جامعة فؤاد الأول صورة شمسية لسكل من هذين الاصلين - والثالث بمكتبة رضا رامبور في الهند وتوجد صورته الشمسية في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . وهناك ترجمة فارسية لهذه الرسالة تختلف عنها بعض الاختلاف وعنوانها (در روان شناسى) أى د في معرفة النفس ، وقد اطلع عليها الناشر . والمقدمة التى تكلم فيها على هذه الاصول واستعرض فيها موضوع الرسالة بلغت ٤١ صفحة ، ثم أنبت بعد المقدمة نص رسالته (أحوال النفس) وهي في ١٦ فصلا (من ص ٢٥ إلى ١٢٢) .

وثانى رسائل هذه المجموعة (مبحث عن القوى النفسانية) وهو الذى كان المستشرق صموئيل لانداور قد نشره في سنة ١٨٧٥ وأعاد نشره بمطبعة المعارف بالقاهرة سنة ١٣٢٥ الأستاذ ادوار فنديك الذى كان مفتشاً بالمعارف ، وهو ابن الدكتور كرنيليوس فنديك أحد أركان جامعة بيروت الأمريكية في عهدها الأول ، وقد اختار له عنوان (هدية الرئيس للامير) ولم يعتمد الدكتور الاهوانى في هذه الطبعة الثالثة على مخطوطات جديدة ، ولكنه اكتفى بتصويب ما فيها من أخطاء بالدق العربى ومعرفة سياق الكلام ، وحذف جميع الاختلافات الموجودة بالهامش ، والرسالة في عشرة فصول (من ص ١٤٧ إلى ١٧٨) .

وتلها (رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها) كان الدكتور محمد ثابت الفندى قد طبعها بمطبعة الاعتماد وكتب عليها أنها الطبعة الثانية ، ورجع في نشرها إلى ثلاث مخطوطات : اثنتان منها في مكتبة طلعت والثالثة في برلين . فأعاد الدكتور الاهوانى طبعها بمجموعته دون الرجوع إلى الاختلافات مرجحاً قراءته الخاصة ، وهي في ثلاثة فصول وخاتمة (من ص ١٨١ إلى ١٩٢) .

وآخر المجموعة رسالة في الكلام على النفس الناطقة كان الدكتور الاهوانى نشرها في مجلة الكتاب (أبريل ١٩٥٢) معتمداً على مخطوطة ليدن المصورة في المعهد الفرنسى في القاهرة وأعاد طبعها في هذه المجموعة (من ص ١٩٥ إلى ص ١٩٩) .

النشاط الثقافي للأزهر

في السنوات الأخيرة ، اضطر الأزهر إلى إسكانهم في أماكن أخرى : ففي معهد القاهرة يسكن منهم حوالي ٥٠٠ طالب ، وليس من المصلحة الاستمرار على ذلك ، لأن مسكن الطلبة يتوسط أماكن الدراسة . وفي بيوت وشقق مستأجرة يسكنها حوالي ٧٠٠ طالب ، ويدفع الأزهر إيجاراً سنوياً عن هذه المساكن يبلغ ١٠٢٠٠ جنيهه ، واضطر الأزهر بعد ذلك إلى إسكان الطلبة في الفنادق حتى بلغ عددهم فيها ١٠٥٠ من الطلاب ، وهم موزعون على ٢٦ فندقاً ويتكاثرون في إقامتهم بها حوالي ٤٢ ألف جنيه في السنة . وإلى جانب فداحة هذا المبلغ فإن إقامة طلاب العلم في الفنادق قد تعرضهم إلى الاتصال بأخلاق الناس ولا تهيئ المجال للإشراف عليهم على النحو الذي ينبغي .

ولقد كان هناك مشروع لإنشاء (مدينة لطلاب البعث الإسلامية بالأزهر) ، ووردت لهذا الغرض تبرعات مقدارها ٢١١٠٠ من الجنيئات مودعة بينك مصر . ولما كان طلاب البعث الإسلامية أمانة في عنقه ، وهو المسئول عن توجيههم ولإعدادهم الإعداد الديني الصالح الذين نزحوا إلى الأزهر

بعثة من علماء الأزهر إلى جنوب السودان أصدرت مشيخة الأزهر قراراً يقضى بإيفاد بعثة من علماء الوعظ إلى السودان برئاسة فضيلة الاستاذ الشيخ علي جعفر ، على أن يكون مقره في الخرطوم . أما علماء البعثة فقد تقرر أن تكون دائرة نشاطهم العلمي والثقافي الديني في جنوب السودان .

وقد قدمت مشيخة الجامع الأزهر إلى الرئيس اللواء محمد نجيب مذكرة خاصة بفتح اعتماد إضافي لمواجهة تكاليف طلاب جنوب الوادي بالأزهر .

مدينة الأزهر للبعوث الإسلامية

كان طلاب البعث الإسلامية إلى الأزهر يقيمون جميعاً - قبل أن يزيد عددهم على النحو الأخير - في أروقة الأزهر ، وهي ٢٩ رواقاً كل رواق لاهل قطر من الأقطار الإسلامية : كالشاميين ، والمغاربة ، وأهل الحرمين ، والهنود ، والترك وغيرهم . ولأبناء الأقاليم المصرية أيضاً أروقة يوزعون عليها . وهذه الأروقة مؤلفة من غرف ومبان أنشئت في أوقات مختلفة .

ولما تضاعف عدد طلاب هذه البعث

للفرض الذي وفد هؤلاء الطلاب من أجله ، فضلا عن أنه يخفف عنهم أعباء المعيشة بتنظيم وجبات الطعام لهم من هذا المكان الواحد ، على أن تخصص تكاليف الطعام من إعاناتهم الشهرية ، وإذا أخذ في تنفيذ هذا المشروع من الآن فإنه يمكن جني ثمرته في أول العام الدراسي المقبل بإذن الله .

إجازة نصف السنة :

أصدر فضيلة الاستاذ الأكبر قراراً بأن تبدأ إجازة نصف السنة لطلبة السكيات والمعاهد الأزهرية من يوم ٢٨ ربيع الآخر

مصادرة مجلد الأزهر في تونس :

تلقينا من وكلاء (مجلة الأزهر) في الديار التونسية إشارة تلفونية ثم رسالة مفصلة عن مصادرة الفرنسيين في تونس نسخ الجزء الماضي من هذه المجلة ، وهذه بشارة لنا ولاقطار العالم الاسلامي بأن إدارة الحماية الفرنسية في ذلك القطر الشقيق قد بلغت من الوهن والجزع وسوء التدبير إلى درجة الخوف من مجلة دينية تمثل أقدم معاهد العلم في العالم وأعظم جامعة دينية للمسلمين . وإذا كان نطاق الحرية الفرنسية قد ضاق وتفاصيل حتى صار لا يحتتمل مثل مجلة الأزهر الشهرية فلا شك أن هذا نذير للاستعمار الفرنسي بأنه في الذماء الأخير من حياته ، وأنه في أيامه الأخيرة ، ومن يعيش يره .

من أجله ، ولن يتحقق هذا بطبيعة الحال إلا إذا كان الإشراف عليهم إشرافاً دقيقاً متصلاً ، لذلك أبدت مشيخة الأزهر للرئيس اللواء محمد نجيب رغبتها في إنشاء مدينة جديدة للبعوث الإسلامية لتنظم جميع الطلاب الوافدين من مختلف البلدان الإسلامية . ولما كان مجموع ما ينفق على إسكان الطلاب في الوقت الحاضر ٥٢٢٠٠ جنيه كما تقدم ، فلو أضيف هذا المبلغ إلى ما جمع من تبرعات بلغ ذلك ٧٣٣٠٠ من الجنيهات ، وبهذا المبلغ يمكن إنشاء مبان خفيفة (على نظام المعسكرات) في الأرض الفضاء المملوكة للحكومة في تلال الدراسة أو صحراء التباسية التي لا تبعد عن الأزهر بأكثر من ١٥ دقيقة مشياً على الأقدام ، على أن تكون هذه المباني من طابقين وتوسع لأربعة آلاف طالب ، فالطابق الأول يعد لصالات الطعام وقاعات المذاكرة وحجرات الألعاب الرياضية والمرافق العامة . والطابق الثاني للتوم فقط ، على أن تكون بجدرانه دواليب للوازم الطلبة ، ويلحق بهذا البناء مغسل للملابس ، ومطبخ لإعداد الطعام ومقصف ليقدم لمن يشاء من الطلاب المشروبات الساخنة والمنلجة والسكراسات والأفلام وما إليها .

وبهذا يتيسر الإشراف على طلبة البعث الإسلامية بالأزهر إشرافاً منتجاً محققاً

الأدب والعلم في شهر

وظيفة المدرسة

الاهرام أراد أن يخلص ذمته وينبه رجال هذا العهد إلى موضع الداء في كيان مصر ، إلا أن هذه الطريقة في تخلص الذمة لا تصلح في عهد النهضة والإصلاح الذي دخلنا فيه ، ولا بد لتغيير الأساليب الفاسدة من إعلان فسادها بصوت جدير ودعوة خالصة لوجه الله .

النظام في المدارس

خطب الرئيس اللواء محمد نجيب في زيارته لكتيبة المشاة الحادية والعشرين بشكنات العباسية ، فكان مما قاله : « لقد كنا في أيام المدارس الأولى نحترم النظام كل الاحترام ، حتى جاءت مظاهرات سنة ١٩١٩ فأفسدت كل شيء ، وبدأت مدارسنا تحقر النظام ، مع أن ثورة سنة ١٩١٩ بدأت سليمة قوية حتى أقضت مضاجع الإنجليز ، إلا أن حب الزعامة بين الأفراد أفسدها ، فأصبح في البلد أكثر من زعيم وأكثر من رئيس ، ولم يترك هذا الفساد ركناً إلا دب فيه ، حتى وصل بالزعماء إلى المهارات في الأعراض ، وحتى أصبحوا كالأطفال يوم العيد : يجرون وراء إشارات الإنجليز للفوز بالوزارة ، كما يفعل الأطفال بالأراجيح . »

التعليم الديني في المدارس :

قابل وفد من الاتحاد العام للبيئات

يقول الدكتور أحمد عبدالسلام السكرداني : « إن أهم تقدم حدث في عالم التربية في عصرنا الحديث ، هو أن عملية التربية والتعليم لا يمكن أن تتم كما ينبغي ، وأن تؤتي الثمرة المرجوة من إيصال المعلومات ونقل المعرفة للتلاميذ ، ومن التكوين الخلقى الصحيح لهم ، إلا إذا اتخذت الدراسة في المدرسة اتجاهاً عملياً يستغل نشاط التلميذ وفاعليته ، ويستغل كذلك تعاون التلاميذ بعضهم مع بعض في تحقيق أهداف لهم يحسونها بأنفسهم كجماعة ، أى أن التربية لا تتم على وجه صحيح إلا إذا جعلنا من المدرسة مجتمعاً حياً صغيراً يعد الفرد للحياة في المجتمع الطبيعي الذى سينغمس فيه عندما يكبر . تلك هى (وظيفة المدرسة) وهذا أحدث الاتجاهات في كيفية اضطلاعها بمهمتها كما ينبغي . وإن (المدرسة المصرية) بوجه عام لا تزال بعيدة كل البعد عن فهم مهمتها على هذا الأساس . قلنا : ومن العجيب أن يعلن هاتين الحقيقتين رجل من رجال التربية والتعليم في مصر ، ووجه العجب فيه أن لا يدعوا زملاءه ورجال الوزارة على تحويل اتجاه وزارة المعارف إلى هذه الوجهة مادام مؤمناً بها ، ولعله بنشره هذه الحقيقة في جريدة

وبعض ما يلزم المشروع للتجديد بتحقيقه . وما دامت هذه المدارس ستنشأ من جديد فلفت الانظار إلى ضرورة تأسيسها على الاخلاق العملية والتهديب الإسلامى .

البعثات السعودية بمصر

وصل إلى القاهرة بطريق الجو ١٣٠ طالبا سعودياً لإتمام تعليمهم في مصر ، وسيبلغ ٣٠ منهم بالكلية الحربية ، و ١٥ بكلية الطيران ، و ٢٥ بمختلف الكليات ، و ٢٠ بسلاح المهمات ، و ١٠ بسلاح الصيانة . وكان يوجد في مصر - قبل وصول هذه البعثة - نحو ٢٥٠ طالباً سعودياً موزعين في مدارس مصر وجامعاتها .

وقد استقبل البعثة الأخيرة في المطار الرئيس اللواء محمد نجيب ، وكان في انتظاره هناك الأمير نواف رئيس الحرس المملوكى السعودى والشيخ عبد الله الفضل سفير المملكة السعودية وطائفة من رجال البلدين الشقيقين . وقد خطب فيهم الرئيس محمد نجيب فقال :

« أرحب بمقدمكم وأشكر الملك السعودى على التفضل بإرسالكم إلى ديارنا التى هى دياركم ، وأرجو أن تعتبروا أنفسكم مواطنين مصريين لأنكم فى الواقع مصريون ولأننا فى الواقع سعوديون . أو الصحيح أننا إخوان لا فارق بين مصرى وسعودى ، .

إن وجود ٤٠٠ طالب سعودى في مصر دليل على أن الحجاز وبقية البلاد العربية السعودية آخذة فى التوسع العلمى ، وسيكون لذلك أثره فى السنين الآتية إن شاء الله .

الإسلامية الرئيس اللواء محمد نجيب ، وقدم إليه مذكرة بجعل التعليم الدينى مادة أساسية فى جميع مراحل التعليم ، للنهوض بالامة نهوضاً يوفر لها العزة والحقاق والقوة والنظام .

ونحن لا نزال على ما أعلنه غير مرة ، وهو أن التعليم - ولا سيما بطريقة شخن الذاكرة كما هو متبع فى مدارس وزارة المعارف - لا يفيد فى السمو بنفوس الجيل إلى المستوى الذى يرجوه هذا العهد وأنصاره من كل الطبقات مالم يقرن بالتربية الإسلامية العملية ، وقد كانت طريقة صاحب الرسالة الإسلامية ﷺ تعتمد أولاً على التربية ثم على التعليم ، فتقرير التعليم الدينى مادة أساسية إذا اتبع فيه طريقة شخن الذاكرة كما هى الحال فى العلوم الأخرى لا نظن أنه يؤدى مهمته ، فالتربية الإسلامية أولاً هى التى تكون الجيل الصالح .

مدارس التحرير

بفكر المسئولون فى الجيش المصرى بعدة مشروعات ثقافية لرفع مستوى الحياة الاجتماعية والثقافية بين رجال الجيش .

ومن هذه المشروعات لإنشاء مدارس لتأهيل ضباط الصف والجنود للشهادات العامة ، وستسمى هذه المدارس « مدارس التحرير » ، وينتظر أن يفتتح الرئيس اللواء محمد نجيب أولى هذه المدارس فى هذين اليومين وهى تضم خمسمائة طالب ، وقد ساهمت وزارة المعارف فى هذا المشروع بالمدرسين

إنشاء العمل الإسلامي

دستور الباكستان الجدير

خطب في مدينة بشار السيد عبد القيوم خان رئيس وزارة ولاية الشمال الغربي لباكستان فقال: إن الإسلام أساس الوحدة، إذ يؤلف بين جميع الطبقات في أى قطر إسلامي، على الرغم مما قد يكون بين هذه الطبقات من تفاوت في الثقافة والثروة، ولهذا ينبغي للبلاد الإسلامية أن تجعل دستورها موافقاً لأحكام الإسلام ليكون أكثر تحقيقاً لمبادئ الإنسانية.

والآن، والبرلمان الاتحادى الباكستانى فى صدد دراسة التقرير الذى قدمته لجنة المبادئ الأساسية لوضع الدستور، ومدى ما ينبغي أن يكون لمبادئ الإسلام من أثر فى كيان الدولة السياسى، فإن الولايات الخمس التى تتألف منها دولة باكستان وتصل بينها مسافات شاسعة وتختلف لغاتها وثقافتها، فإن أقوى رابطة تؤلف بينها هى رابطة المبادئ الإسلامية السليمة التى دفعها إلى إنشاء وطن موحد.

دستور إسلامى لاندونيسيا

تقوم الآن لجنة ذات صفة تشريعية

فى أندونيسيا بدراسة فكرة الأخذ بالقواعد الأساسية فى الإسلام ليكون منها دستور لهذه الأمة التى أوشك أن يبلغ تعدادها مائة مليون نسمة. وأهم هذه القواعد أن تكون الزكاة مورداً مالياً لإنشاء منظمات ومنشآت تعنى بالعجزة والشيوخ واليتام.

وقد سبق القائمون على دولة الباكستان إلى الأخذ بفكرة الدستور الإسلامى لدولتهم التى ستكون جمهورية، وتعداد سكانها يبلغ أربعة أضعاف سكان القطر المصرى.

ميثاق اجتماعى للدول العربية

نوهنا فى الجزء الماضى (ص ٥١٤) بحلقة الدراسات الاجتماعية التى عقدت دورتها الثالثة فى دمشق من ٨ إلى ٢٠ ديسمبر (٢٠ ربيع الأول إلى ٣ ربيع الآخر).

ونزيد الآن على ذلك أن التوصيات التى وضعتها الحلقة خلال مؤتمرها الأخير قد أحيلت إلى الإدارات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، لإعدادها فى شكل (مشروع ميثاق اجتماعى) شبيه بالمعاهدة الثقافية القائمة بين الدول الأعضاء، وستعرض على مجلس

وقائد الجناح عمر الجلال، اجتماع حضره أكثر من خمسمائة شخص يمثلون توريث والبلاد المحيطة بها، واستمر الاجتماع زهاء خمس ساعات، وفى هذا الاجتماع الحاشد وقع السلاطين والزعماء والأعيان والتجار على وثيقة تضمنت موافقتهم على اتفاقية القاهرة بين مصر وشمال السودان، وعلى وحدة شمال السودان وجنوبه، والمطالبة بجلاء الانجليز فى خلال ثلاث سنوات وإحلال السودانيين محلهم، على أن يشغل الجنوبيون جميع الوظائف التى تخلو فى الجنوب، وعلى أن يبذل كل جهد فى رفع مستواهم بإنشاء المدارس والمستشفيات وغيرها من المشروعات.

نمير

بعث مستر ريتشارد كروسمان النائب الاشرافى البريطانى الذى يزور الشرق الاوسط الآن برفقة إلى لندن قال فيها: «إذا لم تتخذ بريطانيا وأمريكا قراراً حاسماً لحل مشكلة اللاجئين فإن الدول العربية ستنفجر فى وجوهنا واحدة بعد الأخرى، وإن ثورتها هذه ستحدث فجأة وبطريقة تجلب كوارث فادحة كما حدث لنا فى إيران. وإذا حدث هذا فإن بريطانيا ستفقد كل الأمل الباقى فى زيت الشرق الاوسط والقواعد الحربية الموجودة فيه».

وحث مستر كروسمان الحكومة البريطانية بعد ذلك على أن تقلل من اهتمامها بالزيت

الجامعة العربية هذا الميثاق خلال دورة شهر مارس لإقراره وحيثئذ يصبح ملزماً لجميع دول الجامعة.

التبشير فى جنوب السودان:

ألقى الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى خطبة فى بلدة (جوبا) وهو يودع الألوف من سكانها ممن أقبلوا لتوديع البعثة المصرية قبل سفرها شطر الجنوب، وبما قاله فى خطبته «لأنى أعلن للعالم - بصفتى وزيراً مسئولاً - أن الإرساليات التبشيرية فى جنوب السودان إنما تقوم دعوتها على مخالفة التعاليم المسيحية نفسها، فقد ثبت أن رجال تلك الإرساليات يتجرون بالدين المسيحى، كما أنهم يتجرون بالاستعمار. لأنهم يحاربون الإسلام لصالح المستعمر، ويمنعون المسلمين من تأدية شعائر دينهم. ولو كانوا يدعون إلى المسيحية الخالصة لما فعلوا هذا لأن المسيحية لا تعارض غيرها كما أن الإسلام لا يعارض غيره».

ثم قال الباقورى: «إن الاستعمار قد طال أمده فى جنوب السودان، فتاريخه يرجع إلى خمسين عاماً، ولكنه لم يكن إلا سلاحاً سموماً ضد أهل الجنوب. وانظروا إلى الجنوبيين بعد هذا الدهر الطويل من الاستعمار، ما زالوا عراة جوعاً!..»

وثيقة جنوب السودان

لما وصلت البعثة المصرية إلى (توريث) فى جنوب السودان عقد الصاغ صلاح سالم

وبعد أن تقوم الوحدة بتحويلها بحيث تنفق وظروف البيئة التي تخدمها ، على أن يشرف على كل وحدة إدارة تفشاً بعاصمتها برئاسة مدير يعاونه أخصائيون في مختلف فروع الخدمات التي تقوم بأدائها .

وسيستعين المدير في رسم السياسة العامة للإصلاح الاجتماعي في منطقته بمجلس من الأهل في المديرية أو المحافظة ، مع الانتفاع بجهود المتطوعين من الأفراد والجماعات في تنفيذ هذه السياسة الحكيمة .

وما يذكر لهذه المناسبة أن الدولة العثمانية في السنوات القليلة السابقة للحرب العالمية الأولى كانت أحوج البلاد الإسلامية إلى هذا النظام اللامركزي ، لاختلاف أقطارها في اللغة والجنس والاحتياجات المادية والفكرية . وكان الأمير صباح الدين ابن أخت السلطان عبد الحميد أحد المقتنعين بضرورة العمل بهذا النظام إليه ألف الرسائل بالدعوة وتأسست في البلاد العربية (سوريا ولبنان والعراق والحجاز واليمن) فروع لحزب اللامركزية الإدارية العثماني الذي كان مركزه العام في القاهرة برئاسة رفيق بك العظم ومن أعضائه السيد رشيد رضا وكان أحد كاتبي سره رئيس تحرير هذه المجلة . ولو أن الدولة العثمانية عملت بهذا النظام لتجددت به حيويتها وضمنت به بقاء العناصر التي انفصلت عنها ولما

والخطط الاستراتيجية ، وتقف جهودها على حل مشكلة مليون لاجئ مشرد ، وعلى إجابة الأمانى القومية للشعوب العربية .

اللامركزية

والإصلاح الاجتماعي بمصر

تتجه الجهود في مصر الآن للعمل بالنظام اللامركزي في جميع أنحاء الوطن ، لتربية الشعور في كل منطقة بالمسئولية عن إصلاحها الاجتماعي ، ووضع حد للتواكل الناشئ عن استئثار العاصمة بالشئون كلها ، وتجاهل التفاوت في الظروف والأحوال بين مختلف المناطق . وسيكون من آثار هذا النظام انحصار مهمة العاصمة بأنها مقر الجهاز الذي يرسم السياسة العامة لتنفيذ المشروعات الاجتماعية ، أما تفاصيل التنفيذ فتقوم بها كل منطقة بنفسها مراعية ظروفها وحاجاتها ، وستمد العاصمة جميع المناطق بالموظفين الفنيين والإداريين الذين يتولون التنفيذ الأخير .

والمنتظر أن تسمى كل منطقة بالوحدة الاجتماعية يخدم كل منها عدداً معيناً من السكان يختلف باختلاف تركيزهم ، ويقدر هذا العدد بحوالى ٣٠٠٠ نسمة في المناطق الريفية و ٥٠٠٠ نسمة في المدن ، وتقوم كل من هذه الوحدات بتنفيذ سياسة الإصلاح الاجتماعي التي تقرها الوزارة بعد أن تقوم بأقلتها الإدارة الإقليمية بالمديرية أو المحافظة

تولى دراسة المشروعات التى تقدم إليها وإعداد البيانات الصحيحة عنها ودراسة الاحتمالات التى تسكتفها، واقترح مشروعات جديدة ووضع الخطط التنفيذية اللازمة لها، وقد تقرر إنشاء مجلس دائم لتنمية الإنتاج القومى فى المشروعات التى تتصل بوزارات المالية والأشغال والزراعة والتجارة والصناعة ليكون الارتباط وثيقاً بين مشروعات الوزارات الأربع ووزارة التكوين. وبذلك ينهض الإصلاح وتدخل مصر فى طور جديد إن شاء الله.

إذاعة أذان الظهر

تقرر إذاعة أذان الظهر من دار الإذاعة بالقاهرة، وتعتذر دار الإذاعة ببعض الموانع التى تحول دون إذاعة أذان الاوقات الخمسة كلها، وهى تقول إنها تذيع أذان الاوقات الخمسة فى طول شهر رمضان وأيام العيدين والجمع وبعض المواسم الدينية، وبمجموع هذه الايام ٩١ يوماً فى العام.

وجمهور الأمة يجيب على اعتذار دار الإذاعة بأنه مادام يمكن إذاعة أذان الاوقات الخمسة فى ٩١ يوماً فهذا دليل على إمكان الاستمرار فى هذه الإذاعة فى كل أيام السنة وليس هذا بالكثير على وطن أكثر من تسعة أعشاره مسلمون.

بقى الأتراك وحدهم مضطربين فى نزعاتهم الفكرية كما هى حالهم اليوم. وإننا نذكر هذه الحقائق لنبين على بعد نظر القائمين على العهد الحاضر وحسن تفكيرهم فيما تنهض به البلاد، وتشعر معه بكرامتها وبمسئوليتها وبمكابحتها فى إدارة دولاب المجتمع.

مشروعات السنوات الخمس

رأى القائمون على توجيه العهد الجديد فى مصر أن الحاجة ماسة إلى وضع نظام يكفل لبرامج الدولة الدوام والاستمرار، مع توجيه هذه البرامج توجيهاً يحقق الخير لأفراد الشعب جميعاً، فقرروا وجوب قيام أداة للتخطيط والتنسيق حتى لا تأتى المشروعات مرتجلة ولا متعارضة وحتى يمكن تفادى الإسراف فى الإنفاق وتوفير الجهود والوقت والمال، مع زيادة الفائدة التى يمكن الحصول عليها من الأموال المخصصة للخدمات العامة وتنفيذ المشروعات.

ولما كان كثير من المشروعات الحكومية يحتاج فى تنفيذه إلى أكثر من عام، ونظراً لعدم وجود خطة مرسومة لهذا التنفيذ، فقد استدعى الأمر فيما مضى إحداث تعديلات مرتجلة تمشياً مع مقتضيات الظروف وأحوال الميزانية مما ترتب عليه تعثر المشروعات والسير بها فى غير الطريق المستقيم. لذلك تقرر تشكيل أداة للتخطيط والتنسيق

فهرس

الجزء الخامس — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
٥٢١	المأجلة والآجلة	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٥٢٦	خصب العقول وجديها	» محمد عرفة مدير المجلة
٥٣٣	نفعات القرآن	» عبد الاطيف محمد السبكى
٥٣٨	السنة - تخير الماملين	» طه محمد الساكت
٥٤٤	أساس الشهور بالمسؤولية	الدكتور محمد عبد الله دراز
٥٤٩	طريق الافادة من الفقه الاسلامى	» محمد يوسف موسى
٥٥٤	نشأة كتب الامالى وخصائصها	» عبد الوهاب حودة
٥٦٠	السيد طلحة بن عبيد الله	الأستاذ محمد محمد أبو شهبة
٥٦٦	تبيد المخاوف من إقامة دين الله	» محمد عبد السلام القبانى
٥٦٩	الحديث النبوى	» محمود الزواوى
٥٧٧	هل للمرأة أن تباشر الوظائف العامة	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٥٧٧	لغويات : على أحول من خالده	الأستاذ محمد علي النجار
٥٨١	التفسير	» حامد محيسن
٥٨٤	المسلمون في مفرق الطرق	» عبد الحميد محمود السلوت
٥٨٨	الاشاعات والاراجيف	» محمد هرفة
٥٩٢	الرحمة وآثارها	» عبد الرحيم فرغلى البليق
٥٩٦	عمر بن عبد العزيز والقرآن	» أحمد الشرياحى
٦٠٣	الرفق بالحيوان في الشريعة الاسلامية	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٦٠٨	بين الفلفة وعلم الكلام	الأستاذ علي مصطفى الغرابى
٦١١	قطهر الاداة الحكومية	» محمد فتحي محمد عثمان
٦١٥	دستور الدولة في نظر الاسلام	» أحمد فهمى أبو سنة
٦١٩	الخصومات الادبية وأثرها في النقد	الأستاذ عز الدين اسماعيل
٦٢٤	الجندي في صدر الاسلام	يوزباشى أركان محمد جمال الدين محفوظ
٦٢٨	الكتب	قلم التحرير
٦٤٠	النشاط الثفانى في الأزهر	»
٦٤٢	الأدب والمعلوم في شهر	»
٦٤٤	أنباء العالم الاسلامى	»

رئيس التحرير
عبد الله بن الخطاب
الاشتراك السنوي
٥٠
في مصر والستدان
للطبعة في مصر والستدان
٣٠
في الخارج
٦٠
للطبعة في الخارج
٥٠
من الجزر

مجلة الأندلس
مجلة شهرية بجامعية
تصدر عن شيخ الأزهر في أول شهر عربي

مدير المجلة
عبد الله بن الخطاب
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء السادس - في غرة جمادى الآخرة ١٣٧٢ - ١٥ فبراير ١٩٥٣ - المجلد الخامس والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَقَائِقُ

كانت مصر — إلى فجر يوم الأربعاء غرة ذى القعدة من العام المنهزم (٢٣ يولية) — كأنها القصر شاخ الذرى ، نغم البنيان ، عظيم الأركان ، ضخيم الجدران . لكننه لضعف الأساس الذى كان قائماً عليه ، وإطول ما اعتراه من إهمال المستبدين به عصرراً فعصرراً ، وانصرافهم عن تعهده بالإصلاح والتجديد ، كثرت فى جدران الصدوع المنذرة بقرب انهياره ، وأوشك أن يتداعى . فجاءوا له بأبرع النقاشين يرأبون صدوعه بالجلس وبما هو أوهى من الجص ، وينقشون ظاهر جدرانهم بأجمل النقوش وأبدعها وأزهاها : يخادعون بذلك أمتهم وغيرها من الأمم ، وما يخادعون إلا أنفسهم .

وهكذا اطمأنت قلوبهم للغش والرياء ، فأغروا بهما كل من يتعامل معهم ، أو يرجو حباهم ، أو يطمع فى الزانى إليهم . حتى إذا أوفى الغش والرياء فى المجتمع المصرى على غاية الغايات ، وبات ذلك هو الأصل المعروف والمتعامل به ، أما الاستقامة على الحق والتعامل بالصيحة والصدق فذلك هو الأمر الشاذ والعمل المنكر — حيثئذ تدارك الله كنهاته برجال قويت نفوسهم بسلاح الأخلاق ، واطمأنت قلوبهم لقواعد الدين ، فغلمهم ذلك على المغامرة بتجريد سلاح الأمة لإنقاذها من الغش الخذى والرياء النجلى ، وحاولوا انتشال

هذا الوطن المسكين - المظلوم من فراعنته ، المهضوم الحق من أقيائه وأذكيائه - فاجتثوا شجرة الغش والرياء في اليوم الرابع من ذى القعدة (٢٦ يولية) وألقوا بها في عرض البحر لتقذف بها أمواجه في بقاع أخرى إلى غير رجعة . وكان ذلك إيذاناً من الله بتحويل دفة السفينة المصرية وشراعيها عن اتجاههما الخاطئ ، إلى الوجهة السليمة التي يوشك أن يتحول بها كل عامل في هذا الوطن — بمداركه أو مواهبه أو جوارحه — إلى عضو نافع سليم ، في شعب نافع سليم ، يسبح الله بحسناته في هذه الأرض ، ويتعبد له بالإحسان في كل ما يحسنه من عمل صالح ، ويعلمن شكره لمولى النعم على نعمه بحسن استعجالها فيما خلقت له ، إلى أن يأتي يوم لا تذهب فيه قطرة واحدة من مياه النيل إلى البحر المالح ، بل تستعمل كلها في رى الصحارى القاحلة شرقاً وغرباً ، وتثار المعادن الجافة والسائلة من جوف الأرض لتسكون في أيدي شبابنا حراباً ومدافع ، وفي حقولنا فتوساً ومحاريث ، وفي مصانعنا آلات ودواليب دائبة الحركة بالثروة والسعادة والعزة والرضا .

إن النظام الذى كان قائماً في العهد البائد ، إنما كان قائماً على دعائم كثيرة من الباطل والشر ، وقد تعاونت على حياته ورعايته وضمن استمراره عناصر الرياء والغش سيحلها التاريخ ، وسيحتمل كل عنصر منها مسؤولية ما كان يحمله من دعائم ذلك العهد ، وما كان يتولاه من نظامه الفاسد . وأخطر بقايا تلك الشجرة الخبيثة وأشدّها ضرراً تلك الجذور التي كانت تمتدة في الثرى ، وطالما مثلت في هذا المجتمع أدوار الغش والرياء ، وبقيت تطمح بأن تعود فتعمل ، ليعود بها عهد الرياء والغش فيحيا من جديد .

تلك هي أحزاب العهد البائد التي بذرت بذور الفتنة والشقاق في الصحف وقرائها ، وفي معاهد العلم ومجامع الوطن ، وفي البيوت والأسر ، حتى فرقت بين الأخ وأخيه ، والأب وبنيه ، والمدرس وزملائه ، والطلبة في فصولهم ، والقرويين في حقولهم ، وحتى أودت بكيان البلاد ، ومزقت وحدتها ، وشتتت شملها لمصلحة نفر قليل من محترفي السياسة وأدعياء الوطنية .

والآن — وقد تمت كلمة ربك بانهياء الطاغوت الأكبر وهو أعز ما كان يباطله وطغيانه ، وبتمزيق شبكة الغش والرياء التي كان يستعين بها في تقييد نشاط الحق ، ويتمكك بخيوطها في الحد من حرية الفضائل ، فقد آن للحق أن ينشط من عقاله ، وأن يتخلص من ضمغه وهزاله . وآن للفضائل أن تتحرر من قيودها ، وتتعلق من معتقلاتها وبجونها ، فتعود

إلى هذه الامة سبحانه الموروثة عن سلف عظيم ، لتتجدد بها أجداد خلدها جهاد عظيم في تاريخ عظيم .

والحق لا يفسط مجرداً ، مالم يتول ذلك منه الله وأوليائه .

والفضائل لا تتحرر بنفسها ، إلا إذا نهض لها بذلك أنصارها وجنودها .

إن الإسلام دين الحق ، والحق من عند الله ، و هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق . وقد آن للمسلمين أن يحملوا في أوطانهم لواء الحق ، وأن يربوا عليه أنفسهم وأبنائهم وتلاميذهم ، وأن يُعبدوا له الجيل الذى سيخلفهم على أمانات الله . وبداية إعداد الجيل لذلك أن نجعل له من أنفسنا قدوة في الإيمان بالحق والعمل به . يأياها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين . وهذا الخلق ، أى شهادة المسلم لله ولو على نفسه أو والديه والأقربين ، قد اضمحل وزال في عهد الرياء والغش ، لأن الشهادة لله ولو على النفس من أخص خصائص الحق والقوامين عليه ، والحق لا يجتمع مع الرياء والغش في نفس واحدة ، فلما تعامل المسلمون بالرياء والغش أعرضوا عن الحق فأعرض الله عنهم .

وبانهيار صرح الرياء والغش يجب أن يقوم للحق صرح جديد في عهد جديد يكون منه بعث للإسلام في فضائله العليا ، وأعلاها إقامة الحق وتربية النفس عليه ، وتكوين كيان الجيل الآتى على أساسه ، حتى يكون المسلم ، وحتى يكون كل مسلم ، من الشهداء لله بالحق ولو على نفسه أو والديه والأقربين .

إننا يوم ننجح في تربية الجيل الآتى على الحق ، سيهبط عدد المحاكم المصرية وقضاتها وكلاء النيابة والمحامين وضباط البوليس وجنوده إلى أقل من عشر عددهم الآن ، وستقتصد الدولة كل ما تنفقه في هذا السبيل وأمثاله ، وسيخف عبء الضرائب عن عواتق أفراد الامة ، وسيتاح لهذا الشعب أن يستعمل فضل أمواله فيما يفتج ويثمر وينفع من مرافق ومشروعات ، وفيما يقوى به كيانه فيعتز ويسعد .

لقد كانت مصر قبل مائة وخمسين سنة في أحط عصر من عصور الإسلام ، وكان أرق عصورها في الإسلام هو العصر الاول الذى لم ير المصريون أسعد لهم منه ولا أكرم ولا أعدل ، فبلغ من احترامهم له ولعجاظهم به أن اندمجوا في نظامه ، وآمنوا بحقائقه ،

وتنازلوا عن لغتهم حباً منهم بلغته ، وبذلك صاروا هم أهل وسادة مرافقه وقادة أموره . ثم استعجم الإسلام في مصر وأخذ يخرج عن طريقه شيئاً فشيئاً حتى ابتعد عن المحجة ، فبدأ أثر هذا الابتعاد في ضعف الأمة وانحطاطها في آخر الحكم العثماني ، وكان أسوأ أحوالها في تاريخ الإسلام هو ما كانت عليه قبل مائة وخمسين سنة ، فعاقبها الله بالاحتلال الفرنسي ، ثم بتسلط أسرة محمد علي ، وبما منيت به البلاد في عهد هذه الأسرة من مصائب الاحتلال البريطاني . وفي خلال هذه المائة والخمسين من السنين اتخذت مصر لنفسها كياناً آخر ، واتخذت لكيانها نظاماً آخر ، وتفتنت في نظامها إلى أن صار إلى ما نعرفه إلى يوم الناس هذا ، وصار الغالب عليه ما وصفناه من رياء وغش عم جميع الطبقات حتى تدارك الله مصر بهذا العهد الذي بدأنا نفكر فيه بما يجب علينا له ، وبما ينبغي لنا أن نرسمه لأنفسنا من خطط للسعادة والطمأنينة والعيشة اللاتقة .

لقد اخترت لمقالى هذا عنوان « حقائق » ، والحقائق لا يخاف منها إلا مبطل أو جبان . ترى هل كنا في المائة والخمسين سنة الأخيرة في أنظمة ومعيشة وأخلاق أصلح مما كنا فيه قبيل حملة نابليون على مصر ، أم أسوأ مما كنا فيه ؟

وهل كانت الأمانة في نفس المصري أقل يومئذ ، فارتقينا في ظل الأنظمة الأوروبية والخبثية ؟ أم كانت الأمانة قبل ذلك أعظم فأنحطت نفوسنا في ظل الأنظمة التي تعاقبت علينا في المائة والخمسين سنة الأخيرة ؟

أنا معترف بأن العصر الإسلامي الأخير الذي أعقبته الحملة الفرنسية هو أحط عصور الإسلام في مصر ، ومع ذلك فإن العلماء الفرنسيين الذين صحبوا الحملة الفرنسية وشاهدوا بأعينهم أمانة المصريين وأخلاقهم في ذلك الوقت قد شهدوا لهم بأنهم كانوا أرقى مما صاروا إليه في ظل الأنظمة التي تعاقبت على مصر في المائة والخمسين سنة الأخيرة ، وهذه الحقيقة يجب أن تعلن على رؤوس الأشهاد لنستفيد منها في تعيين طريقنا نحو المستقبل .

عقد المسيو جومار - أحد مهندسي الحملة الفرنسية التي قدمت مصر مع نابليون - فصلاً علياً عن تخطيط القاهرة ببجلته الحملة في المجلد التاسع عشر من كتاب (وصف مصر) ، فكان مما جاء فيه أن بولاق كانت مرفأ القاهرة في الشمال ، كما كانت القسطاط (مصر القديمة) مرفأها في الجنوب ، فكانت بولاق فرضة تجارة الوجه البحري ، وكانت مقر الجرك القاهرة .

وعما لفت نظر مسيو جومار كثرة الوكائل التجارية في بولاق ووفرة الغلال التي كانت تسكدس على ساحل النيل بلا حراسة وبغير أن توضع في مخازن .

قال مسيو جومار : إن الثقة بين الناس في مصر كانت على أنهم ما يكون بحيث لم يكن ثمة خوف من أن تمتد يد إلى تلك الغلال ، وهذا يدل على أن الصدق والأمانة كانا من فضائل الخلق المصري .

هكذا يشهد للبصريين شاهد عيان من الفرنسيين المحتلين ، وقد سجل شهادته في أعظم أثر علمي تفتخر به تلك الحملة ، أو يفخر به الفرنسيون من بعدها حتى اليوم .

وهكذا كانت مصر في أحط عصورها الإسلامية ، وأما عصر الإسلام الأول فيها فإن مصر من عشرة آلاف سنة إلى الآن لم تر أسعد لها منه ولا أعدل ولا أكمل ، ولذلك اندمجت فيه وكانت من خيرة أهله .

والآن وقد قوض الله عهد الطفيان ، فإن مصر التي تبلغ نسبة المسلمين من أهلها ٩٢ في المائة تحب أن ترجع إلى إسلامها كما كان يوم أحبته في المائة السنة الأولى من تاريخ الفتح الإسلامي . وأعظم عظماء الأرض وأنبل أبطال التاريخ هو الذي يعمل على تجديد ذلك العهد الزاهر من عهود مصر يبعث أخلاقه وعدالته وبساطته ورفقه والمحبة الصادقة بين جميع سكان الوطن من كل المشارب والمذاهب ليتعاونوا على الأخذ بأرقى وأدق ما وصلت إليه أمم الأرض من علومها وصناعاتها ووسائل تنظيم أعمالها وتحسين مرافقها وتجميل عمراتها حتى نأخذ من كل شئ أحسنه ، وحتى نكون من أعرق الأمم في ذلك ، ومن أكثرها انتفاعاً بالعلوم الصناعية والحقائق السكونية والأساليب الإدارية ، فنبتق مسلمين بأخلاقنا وأحكامنا وطريقتنا في تبسيط الوسائل ، ونكون مع ذلك سباقين إلى التقدم في علوم السكون جميعاً .

إن وزارة المعارف - بمناهجها الحاضرة التي فشلت في كل شئ - إنما هي عنصر من عناصر العهد البائد ، فينبغي لها أن تسارع إلى إصلاح نفسها والقذف بمناهجها وأساليبها العقيمة في أعق بئر تدفن فيها الحباث ، لتبنى نظامها الجديد على تخريج جيل يؤمن بالأخلاق والفضائل التي لا يمكن الإيمان بها إلا عن طريق طريق التربية الإسلامية الأصلية ، والتمسح بحجة عظماء الإسلام الأولين ، وتقمص أرواحهم ، واتخاذهم قدوة وأسوة في تجديد عهدهم الأول الذي أحبه مصر منذ عرفته فترجمت عن محبتها له بالاندماج فيه والامتزاج به بشغاف قلبها .

وإن مدرسى المعاهد والكلديات الأزهرية يجب عليهم أن يقودوا حركة التجديد في الأخلاق ، وأن تكون لكل مدرس منهم رسالة علوية قدسية يؤديها في فصله وبين تلاميذه بإيمان وخشوع كوقفه بين يدي الله عز وجل في صلاته ، لأن القيام بذلك من أعظم العبادات التي يقوم بها المسلم في العهد الجديد ، لنحويل أبناء الجيل عن قاذورات العهد البائد إلى أخلاق الإسلام وفضائله التي يجب أن تكون شعار هذه الأمة ودثارها بعد اليوم ، وبذلك نستحق الحكم الصالح ، وتتجاوب قلوبنا مع قلوب القائمين عليه .

إنما انهار العهد البائد ، وقوض الله صروحه ، لأنه لم يقيم على أساس من الأخلاق ، ولأنه تبدل من الصدق والأمانة بالرياء والغش ، فكان الناس يمثلون هيئات الفضائل وأشكالها ويحسنون الحديث عنها وهم ينطوون على أضدادها ، وقد صدق الله عز وجل في قوله الحق : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

محبة الدين الخطيب

التعليم الأجنبي - والتعليم القومي

يقول حكيم البراهمة وشاعرها رابندراناث تاغور :

« التعليم بلغتنا هو الذي أنعش روحنا وأحيانا ، ورأى أن التعليم ينبغي أن يكون كالآكل ، بمعنى أنه عندما يسبغ الآكل اللقمة الأولى تنبه معدته إلى عملها قبل أن تمتلئ ، ويتمكن حينئذ عصفيرها من أن يؤثر كما يجب ؛ ونقيض ذلك التعليم الأجنبي : فإن اللقمة الأولى تؤذن الطاعم بخلع سطرى أسنانه ، أو تزلزل فيه ، وفي اللحظة التي يبتدىء يعرف فيها أن اللقمة ليست من جنس الحجارة - وإنما هي من السكر وقابلة للهضم - يكون قد ولى نصف عمره ، وبينما هو يعالج مضغ كتابتها ونحوها تبقى روحه جائعة ، فإذا تذوقها تكون شهيته قد ذهبت . »

ولما قرأنا هذا خطر على بالنا أن نستفتى وزير المعارف وجميع رجال وزارته : هل التعليم في مدارسنا من النوع الأول ، أم من النوع الثاني ؟

بِمَاذَا نَبْدَأُ

قد تغير العهد القديم، وجاء على أنقاضه عهد جديد، يريد الإصلاح فيلتفت حوله فإذا كل شيء بحاجة إلى الإصلاح. نحتاج إلى الإصلاح في المال والاقتصاد وفي الزراعة والصناعة وفي رفع مستوى المعيشة وفي التربية والتعليم، فيسائل المصلحون أنفسهم بمَاذَا نبدأ؟ فالعقل يقضى بأن يقدم الأهم على المهم، وبأن يقدم ما لا نجد منه بداً على ما نحن واجدون منه بداً. ويقضى بأن نقدم في الإصلاح ما لو إذا أصلحناه أصلحت المرافق الأخرى، وما لو أهملناه لم يستقم لنا إصلاح في جميع المرافق.

فبِمَاذَا نبدأ؟

الحق أقول إنه يجب البدء بإصلاح نفوسنا قبل كل شيء والعناية بذلك عناية من يعلم أنه إن حرمه هلك، إنه يجب أن نصلح أول ما نصلح المصريين أنفسهم.

إن مصر عبارة عن شيئين المكان والسكان، والسكان مقدمون في العناية على المكان، وأولى السكان بالإصلاح الإنسان، وذلك لأنه إذا أصلح أصلح مامعه من السكان وأصلح المكان، وليس إذا أصلح غيره صلح هو. وأول ما يجب إصلاحه في الناس أنفسهم، وهذا يشمل إصلاح العقول وإصلاح الأخلاق، فإذا صلح هذان في الإنسان أصلح البدن كله، وإذا صلح الإنسان أصلح كل ما يحيط به. وإذا أهمل إصلاح الإنسان لم ينفع إصلاح ما عداه، وسأبين ذلك بأمثلة:

١ — أراد محمد علي أن يصلح الصناعة في مصر فأدخل كثيراً من الصنائع وجلب لها العمال ليتعلموها ويصنعوا، فحييت الصناعة ما حيي محمد علي، فلبا مات ماتت الصناعة بعده. ولو بدأ محمد علي فحجب الصناعة إلى السكان وعرفوا ما فيها من مزايا مالية تعين على المعيشة فاندفعوا إليها بشوق من نفوسهم وأعاتهم الدولة بما تريد المعونة به، لبقيت الصناعة ما بقي الشوق في نفوسهم وما بقي متوارثاً يرثه الخلف عن السلف.

٢ — أرادت الدولة أن تصلح مياه الشرب في القرى فتقنيها وتقطرها لتقي سكانها من البلهارسيا والإنكلستوما والأمراض التي تسببها المياه الملوثة، فكان السكان يعافونها ويشربون من مياه الترع والقنوات ويرونها أصح لأجسادهم وقيسون قياساً مشاهداً لديهم

فيقولون إنها تفسد الزرع من القمح والذرة ، فكيف لا تفيد الإنسان ؟ ولو بدأت الدولة فمرفقهم ما تحمل هذه المياه الملوثة من جراثيم تضر بالأجساد وأن المياه المظهرة خير منها وأصح ، لبحثوا عنها بأنفسهم ، ولعرفوا بر الحكومة بهم لاذ سبيلها لهم وقربتها لاليهم .

٣ — بنت الدولة مراحل في بعض القرى وطلبت من السكان أن يقضوا حاجتهم فيها ، ولا يقضوها في المياه والموارد ليتقوا أضرار ذلك ، فكانوا يبعضونها ويذهبون إلى ما ألفوا .

٤ — ظفرت الأمة بالدستور سنة ١٩٢٣ وقد اعترف فيه لها بأنها مصدر السلطات ، وبأن الحكومة مسئولة أمام مجلس النواب ، واعترف لها فيه بالحريات ، ولكن هل انتقلت السلطات من الملك إلى الأمة حقاً ؟ أكانت الحكومة مسئولة أمام مجلس النواب حقاً أم كان النواب مسئولين أمام الحكومة ؟ هل احترمت الحريات والكرامات ؟ هل عاشت الأمة في ظله خيراً مما كانت ؟

لا ، لم يكن شيء من ذلك .

ذلك أننا عينا بكتابة دستورنا في السطور ، ولم نغن بكتابته في الصدور ، ولو كتبناه في صدورنا ، ونقشناه على قلوبنا ، وآمننا به وبأنه لا حياة كريمة ولا تقدم لنا إذا خولفت نصوصه وانتهكت حرماته ، لما رضينا بأن يخالف وأن تنتهك حرماته .

قال قائل : إن بريطانيا ليس لها دستور مكتوب فقلت كيف وهو مكتوب في أربعين مليون نسخة ؟ فعجب ، فقلت إنه مكتوب في صدر كل بريطاني ، ونفقه إنما هو في هذه الكتابة لا في كتابته في الأوراق والصكوك .

كل هذه المشروعات أخفقت لأنه بديء بالنتيجة قبل المقدمات ، وكان الأولى أن يبدأ بالمقدمات قبل النتيجة .

وهذا كله قد عرفه النبي ﷺ حين قال : ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب .

أصلحوا القلوب بإصلاح العقول وإصلاح الأخلاق وتهذيبها يصلح لكم كل شيء .
لأن العقل جعله الله مصباحاً يستضيء به الإنسان في هذه الحياة ، فدعوا لكل إنسان مصباحه ، وأمدوه بالزيت النقي حتى يضيء له طريقه ويبصره ما ينفعه في هذه الحياة .

وأول ما يجب أن يربى عليه المرء خلقياً هو الكرامة الإنسانية . ومن اعتقاد المرء بهذه الكرامة تنبعث كل الفضائل والخيرات ، وتحارب كل الشرور والآثام ، فإذا ما آمن المرء بكرامة نفسه وكرامة الناس حوله ، طلب الحرية لنفسه وطلب المساواة بين الناس جميعاً وأبى أن يسيطر عليه أحد من الطغاة والمستبدين ، وطلب مثل ذلك للناس . يجب أن يؤمن الناس بذلك ويحبوه كما يحبون الحياة أو أكثر من الحياة ، وأن يفضلوا الموت مع الكرامة على الحياة مع الذلة ، وما استعبد قوم ورضوا بالذلة والعبودية إلا بعد أن فقدوا إيمانهم بالكرامة الإنسانية ؛ هذا الإيمان بالكرامة هو الدرع الواقي للأمة من استعباد الظالمين واستبداد الجبارين ، ولن تنفع القوانين والدساتير في وقاية الأمة من التحكم والاستبداد إذا فقدت هذه الكرامة .

وإن الأمة التي تؤمن بكرامة نفسها تحول كل حاكم مستبد إلى حاكم عادل ؛ لأنها تؤمن بكرامتها وتعرف حقوقها ، وتأنى أن يمتدى عليها معتد وأن يستذلها مستذل ، وكلها حاول ذلك أحد رذته بسببها وبكل ما تملك من قوة ؛ والأمة التي لا تؤمن بهذه الكرامة تحول كل حاكم صالح إلى حاكم مستبد ، لأن الظلم من شيم النفوس ، وليس يردّها عنه إلا المقاومة ، فإذا فقدت رتغ الحاكم لأنه أصبح مخلى بيته وبين هواه ، وهذا معنى ماورد : « كما تكونوا يولى عليكم » .

هذه هي الروح السائدة في العالم ، وهذه هي التربية الحديثة التي تأخذ بها الأمم لأنه يؤيدها العلم والاختبار .

وسأخذ الناس العجب حينما أبين لهم أن هذا هو الإسلام وأن هذه هي التربية الإسلامية ، وأن الله بعث محمد بن عبد الله ليربى الأمة الإسلامية على ما ذكرنا من الكرامة وما يقبها من الحرية والمساواة .

إن أول ما يميز المسلم من غيره الشهادة - لا إله إلا الله محمد رسول الله - ومعنى هذه الشهادة التي جعلت فرق ما بين المسلم والكافر هو الكرامة الإنسانية ، فإن المرء إذا اعتقد أن لا إله له إلا الله ، فلا معبود له يستحق العبادة والخضوع والرجاء والسؤال إلا الله ، لأنه ليس من ينفع أو يضر ، أو يعز أو يذل ، أو يحيى أو يميت ، أو يرزق أو يمنع إلا الله . نقول إذا اعتقد المرء ذلك فقد آمن بكرامته ومساواته للبشر ، فلا يخضع ولا يذل ، ولا تعو جهته ، ولا يخشع صوته إلا لله ، ومن أراد ذلك ممن يساونه من الناس أبى ذلك عليهم

ووقف دونه . ولم يكتف الإسلام بذلك بل ذكر أخبار الملوك الظالمة ، والطغاة المستبدين واستعبادهم أممهم وإرسال الرسل إليهم ليخلصوهم من الهوان ، ويعيدوا إليهم كرامتهم الإنسانية ، فذكر بنى إسرائيل واستعباد فرعون إياهم .

« ولإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبجون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم » ، وذكر محاورة موسى لفرعون في دعوى الألوهية والتسخير ، وهى محاورة يجب أن تكتسب على كل قلب لتكون وقاية له من فقد الكرامة والارتكاس في مهاوى الذلة والاستعباد : « فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بنى اسرائيل . قال ألم نربك فينا وليدأ ولبئث فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين . قال فعلتها إذا وأنا من الضالين . ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكما وجعلنى من المرسلين . وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل . قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الاولين . قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون . قال إئن اتخذت إلهًا غيرى لأجعلنك من المسجونين . قال أولو جنتك بشئ مبين . قال فأت به إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين . ونزع يده فإذا هى بيضاء للناظرين » .

وقد ذكر الله هذا الحوار البديع ليوحى إلى الناس ضعف الإنسان ومساوانه لغيره من الناس ، فإذا تمرد وبغى وخرج عن طوره وجب إقناعه بالحجة ، فإذا لم يقتنع وجبت مقاومته ومحاولة الخلاص منه ، وقد ذكر الله هذه المقاومة في كثير من سور القرآن وبين أن العاقبة للشعب المقاوم والدمار والهلاك للطاغية المستبد ، بشرط واحد : وهو أن يصبر الشعب على المقاومة : « فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ، وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » ، وبين في القرآن أن إرادة الله وعونه وحمايته ، للغلوب المستضعف ليغرس الأمل في النفوس ، والإيمان بالغلب في القلوب :

« إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم

ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ، وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمسكن لهم في الارض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ، ، ولم يكتب القرآن بما ذكرنا بل ذكرها كلمة خالدة ناطقة بكرامة الإنسان : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

أرأيتم التربية الإسلامية كيف كانت مبناها على الكرامة الإنسانية ، وكيف كانت تربي الامة على التخلص من المستبدين الظالمين ، وكيف كانت كلمة التوحيد مخصصة للآدم من الداء الويل المبيد للآدم وهو الذل والاستعباد ، كما هي مخصصة من سوء الآخرة وعذابها بشرط أن يفهم معناها على وجهه ، وأن يربي المرء عليها حتى تختلط بلحمه ودمه .

ولا يظن ظان أنني أحمل كلمة التوحيد فوق ما تحتل وأفسر الربوبية والعبودية بأكثر من معناها ليتسنى الوصول إلى ما أريد ، فإن ذلك كان يعنيه النبي ويعنى أكثر منه ، فقد ورد عن عدى بن حاتم أنه قال أنبت رسول الله ﷺ وفي عنق صليب ، فقال لي يا عدى ألتى هذا الوثن من عنقك ! وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة « برأه » ، حتى أتى على هذه الآية : « اتخذوا أربابهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ، قال قلت يا رسول الله : إنا لم نتخذهم أربابا ، قال : بلى أليس يحلون لكم ما حرم الله عليكم فتحلونه ، ويحرمون عليكم ما أحل لكم فتحرمونه ، فقلت بلى ، فقال : تلك عبادتهم .

ولو شئت أن أقول إن جل ما في الإسلام يدور على تثبيت هذه الكرامة الإنسانية لقلت ، فإن الإسلام كله يؤيدني في ذلك .

استكبر سادة قريش أن يجلسوا مع النبي ومعه ضعفاء المسلمين من أمثال صهيب وعمار وبلال ، وقالوا للرسول اطرد هؤلاء الأعداء ونحن نستمتع إليك ، فأمر الله : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » ، وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من يئتنا أليس الله بأعلم بالشاكرين ، وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ، فكان النبي إذا رأى هؤلاء الضعفاء يقبلين بدأهم بالسلام تطييبا لنفوسهم وغرسا للكرامة في قلوبهم ، وهل كان عتاب النبي ﷺ في أمر الأعمى الذي جاء وهو مشغول بكفار قريش ،

ويرجو أن يهديهم الله تخاف أن يشغل به عنهم فيفوت ما يرجوه، فأنزل الله هذا العتاب وسجله على وجه الدهر في هذه الآيات : « عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتفتحه الذكري . أما من استغنى . فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى ، كلا إنها تذكرة . »

نقول هل كان هذا العتاب القاسى إلا لئلا يذكر دائماً بالكرامة الإنسانية وبكرامة هؤلاء الفقراء خاصة كلما قرأه قارىء أو تدارسه دارس .

وهل أمر الإسلام بالرفق في الأمور كلها وبغض في الفظاظ والغلظة ، فقال الله في كتابه الكريم : « ولو كنتم فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وقال النبي ﷺ : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، حتى إنه أمر بالرفق بالعبيد والإماء وقال لابي ذر وقد قال لآخر يابن السوداء :

« يا أبا ذر أعيرته بأمه ، إنك امرؤ فيك جاهلية » .

نقول هل فعل الإسلام ذلك إلا ليحفظ على الأمة عزها ويبقى لها الكرامة الإنسانية ؟ وقد خطب عمر بن الخطاب لما تولى الخلافة فقال : « إذا رأيتم في أعوجاجا فقوموني ، فقام إليه رجل وقال : « والله لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناه بسيفنا » ، فقال « الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من لو رأى في أعوجاجا لقومه بسيفه » ، فهل كان فرح عمر بذلك وحده الله عليه إلا لأنه استوثق من أن الأمة فيها خلق العزة والكرامة الإنسانية ، وأنه يحفزها هذا الخلق على ألا تفر لظالم ، ولا تعنو لمستبد .

ولما كان مما يهدر الكرامة الإنسانية استعلاء قوم على الآخرين بالجنس والدم أو باللون أو بأعراض خارجة من المال والجاه والسلطان ، أبطل الإسلام ذلك كله وأهدر تلك المقاييس الفاسدة التي درج الناس على أن يقيسوا بها الناس ، ويميزوا بها الرجال ، وأنزل في كتابه العزيز تلك الآية الذهبية التي هي أصل عظيم من أصول الاجتماع الإنساني والإصلاح البشري ، والتي أهدر فيها تفاضل الناس بالاحساب والانساب والمال والجاه والسلطان ، ووضع مقياساً خيراً من ذلك كله وهو التقوى : « يأبى الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وجاءت السنة الكريمة بشرح هذا الأصل فقال النبي ﷺ : « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ، « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، ومن أسرع به عمله

لم يبطئ به نسبه ، ، يا معشر قريش لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ، ، يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً .

ولم تكن هذه التعاليم كلمات متلوة على اللسان ، لا تتأثر بها القلوب كما هي عند المسلمين اليوم ، بل تأثرت بها قلوبهم ، وانطوت عليها صدورهم .

يحكى التاريخ أن سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب ورهطاً من سادة قريش طلبوا الإذن على عمر بن الخطاب وطلبه معهم صهيب وبلال من ضعفاء المسلمين ، فأذن لهما أولاً ، فغضب أبو سفيان وأخذته العزة ، وقال لأصحابه لم أراك يوم قط يأذن ل هؤلاء العبيد ويركننا على بابهم ! فقال سهيل إني أرى والله الذى فى وجوهكم ، إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم إلى الإسلام ودعيتهم فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعى اليوم القيامة وتركتم ! . وهذا هو السر فى أن الإسلام ديننا جميعاً ولكنه نفهمه ولم يفهمنا ، إنما أخذناه على طرف اللسان ، ولم يتجاوز الآذان ، أما هم فقد تغافل فى الضمائر وأشربت نفوسهم واختلط بلحمهم ودمهم بمبادئه السامية فكانت لهم العزة فى هذه الأرض .

أيها المسلمون : غيروا نظركم إلى الدين وغيروا فهمكم إياه ، لا تفهموه تعاليم جافة ، ولا تفهموه جزئيات مبعثرة لا رابطة تربطها ، ولا تفهموه معنياً بإزالة الحدث والخبث دون أن يكون معنياً بهذه الحقائق العالية ، بل افهموه على حقيقته : تعاليم مشمرة ، وقواعد باقية يراد بها تغيير النفوس وقلب الأوضاع الباطلة ، والاصطلاحات الظالمة التى تؤدى إلى استعلاء طبقة على طبقة ، واستغلال طبقة لغيرها من الطبقات . جاءت لرفع ذلك ليعيش الناس سعداء ، وقد فطن لذلك أمم الغرب فطبّقوها فى حياتهم ، فضمنوا السعادة لا كبر هدد من أهمهم ، وكانوا أحظى بها من المسلمين الذين تنزلت عليهم ولم يفتنوا لها ولم يأخذوها مأخذ الجد والحزم ، وهذا هو تغيير الدين وتبديله وتحريف الكتاب وتأويله والمروق منه كما يمرق السم من الرمية .

ربوا عليها الرضيع ونشئوا عليها الصغير ، وأرضعوها لأطفالكم مع اللبن تعيشوا أباة حماة كراماً لا يطفى عليكم طاع ، ولا يستبد بكم مستبد ، وكلما أراد منكم ذو سلطان وجد من يقول له : قف مكانك ، إني هنا أحمى حقيقتى ، وأدود عن كرامتى .

إذا الملك الجبار صعر خده مشيناً إليه بالسيوف نعاتبه

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

نَفَاحَاتُ الْفِرَاقِ

البيت العتيق :

من آثار النبوة ، أن لله خواص في الأزمنة ، والامكنة ، والأشخاص .
 وإذا كانت لنا كلمة سابقة عن شيء من هاتيك الخواص في أشخاص أشاد القرآن بذكرها
 وفي أزمنة رفع الله من شأنها حتى أقسم بها ؛ أقف اليوم خاشعاً في لكبار ، وهائماً في إجلال ،
 أمام بقعة من البقاع أثرها ربك بفضلته ورضوانه ، وأضفى عليها من حمايته وسلطانه ،
 فكانت في عين الزمن حلية الدنيا ، وكانت في حساب العقل متنفس الحياة .
 بقعة : اختصها ربك بالإيثار فسمها بيته ؛ وإن كان الملك كله ملكه ، والمساجد كلها
 بيوته ، فأى بيت هذا ؟ ذلك هو البيت العتيق (الكعبة) .

وإن في وصفه بالعتيقة لإيذاناً بأصالته في الشرف ، وسبقه على ما بعده ، إذ يكون
 معموداً قبل أن يعمد غيره ، ومشهوداً له بالرسوخ فيما هو من خصائصه .
 وسواء أكانت العتاقة لانه موضع بيت كان مطاف الملائكة قبل آدم ، أم كانت عتاقته
 تبدأ من عهد آدم إلى زمن الطوفان ، أم كانت عتاقته لانه بنى في عهد إبراهيم - عليه السلام -
 فهو على أى قول رجح من هذه الأقوال أول بيت في الأرض كان للعبادة .

وليس في معالم التاريخ ، ولا فيما أثر عن الأنبياء وما بنوه من المعابد بيت يسبقه .
 ثم كان المسجد الأقصى من بعده - كما أطبقت الروايات - ولكن بأزمنة اختلف فيها
 التقدير ، وبالبيت العتيق هتف القرآن غير مرة ، وركز في الأذهان أنه المهيبط الذى تخيرته
 هناية الله أول ما تخيرت ، وربطت به تاريخ البشرية في رحلة من مراحلها الحية ، وجعلته
 أساساً للقومية الجديدة في الشرق ، ومنارة تشع بضوئها في جنبات الدنيا . إن أول بيت
 وضع للناس للذى ببكة ، مباركاً ، وهدى للعالمين .

وحسبنا هذه الآية وثيقة لتاريخ البيت ، وستضيف إليها الآيات من بعد ، مناقب
 أخرى جددت على الأيام .

وكان تلك المناقب كانت آمالاً تداعب الإنسانية منذ فجرها الأول، وتشددها منذ صبوها الضالة، لتأنس بها في مهامه دنياها، وتركن إليها كلما هبت من حولها الأعاصير في حياتها الطولى.

حتى إذا ما حان لكل منقبة من مناقب البيت موعدها المقدور عند الله، برزت في عالم الوجود، وتم بها جانب من جلال البيت على ما شاء صاحب البيت له من جلال.. إبراهيم أبو الأنبياء يؤثر لطفه لإسماعيل، ولزوجه هاجر عزلة عن الناس، حتى يقضى الله فيهما أمراً كان مفعولاً؛ فسا يروق له سوى المسكن القفر بالمشوى القصى، فيدع أمانته هذه في جوار بيت الله، وعلى جانب تلك البقعة الميمونة، مطمئناً إلى صيانتها، مؤمناً بحسن رعايتها، وليس عليه إلا أن يدعو ربه مستعطفاً لهما، قبل أن يولى وجهه عنهما ربنا لأن أسكننت من ذريقى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون.

وهذه دعوات الوالد الواله، يؤججها في قلب إبراهيم لذع الفراق للولد العزيز، وللزوجة الاثيرة، ويلطفها على نفسه المحرورة غلبة الرجاء في رعاية الله لجيرة بيته الحرام، ثم يأخذ سبيله، ويدع جانباً من قلبه، ويتجه إلى ما يتجه إليه من شئون، وإذا عاد فإنما يعود لمأما وهو في حله وترحاله يتما. كك الإشفاق، ويلازمه الحذب، فتظل دعواته صاعدة من قلبه، جارية على لسانه، ولمن ياترى دعاؤه؟ للبلد كله من أجل البيت، ولقطان البلد من أجل إسماعيل وهاجر. فتراه مسوقاً بعاطفة رحمة وموجها بإلهام غيبي إلى الضراعة حيناً بعد حين فهو يجأ مرة: «رب اجعل هذا بلداً آمناً، وارزق أهله من الثمرات لعلهم يشكرون»، ثم يعود أخرى، ويجدد إلى الله دعاءه، ويوثق رجاءه أن يرعى رب البيت هذا البلد، وأن يحضه ما كان يرى - في غير مكة - من جمالة ضاربة، وطغيان مستبد، وأصنام جاثمة، وكفر متوطن، يوم كان يرى ذلك من أبيه آزر وقومه فيشتد عليهم في نكيره، ويقول: «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون... لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين». ويوم كان يقرع سمع أبيه بقوله: «إني أراك وقومك في ضلال مبين»، فهو اليوم يسأل ربه في لطفة ورجاء: «رب اجعل هذا البلد آمناً، واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس، فمن تبعني فإنه منى، ومن عصانى فإنك غفور رحيم».

أليست الدائرة التي دعاها إبراهيم مقرأ للبيت الذي آثره مأوى لولده وزوجه ، بعد أن سبق له العلم بأنه بيت كريم على صاحبه ، وأنه محفوف بحراس من السماء ، وأن له سياجا من رعاية الله ، حتى ذكره في دعائه بوصف ينم عن قداسه ، عند بيتك المحرم ، أو ليس إبراهيم صديقا نبيا ، ترفع الحجب دون دعواته ؟؟

هنا يتجلى عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا ، ويشاء الله أن يشب إسماعيل بعد أن لقيت أمه في رعايته ما لقيت أيام الطفولة أو بعد أن احتمل والده ما احتمل من صروف ، وبعد أن أبطأ عليه الأمل في الولد ، ولم تبق له إلا بقية من عمر ، يغلب عليه الظن أنها أيام قصار .

وقد كان إبراهيم يتصابر على ذلك الحظ المتباطيء في الذرية ، وهو راض عن هذا بالدأب على رسالته ، وكان يواجه من أمره صعبا ، ويتخذ من صبره على المسكاره عدة للنجاح وأسبابا ، وإذا كان من أولى العزم فليس يقل التصيب من قوته ، ولا ينال من عزيمته ، وإنما هو على أكمل ما تكون شخصية النبوة ، حتى ليمتحنه ربك مرة أولى في نفسه أيام شبابه ، يوم اتمر عليه عباد الأوثان ليصرفوه عن دعوتهم ، فأضرموا له نارهم ليحرقوه وينصروا آلهتهم من تكبيره وتقبيحه ، بما كان يواجههم به وهم في كثرة ، وهو في قلة ، وهم يظنونه ضانا بشبابه مطاوعهم في الكف عن رسالته ، ولكنه يرخص حياته في جنب الله ويجود بنفسه ، بينما المرء في شبابه يضن بالتافه من عرض الدنيا ، فما بالك بالحياة ؟ فلتوقد نيرانهم في غير تريث ، وليطرح فيها إبراهيم في غير رفيق ولا رحمة ، وليقف الطغاة حول نارهم ليشتروا فيها نزل إبراهيم ، غير أن ربك ينهر من أسلم وجهه إليه ، ويعز من أعز دينه ، وانتصر لربه ، فلم يعظم على قدرته أن تكون النار بردا وسلاما على إبراهيم ، وأن يحبط كيد الكائدين ، ويجعلهم الاخسرين .

ثم تقتضى حكمة الله أن يمتحنه على الشيخوخة مرة ثانية في ولده إسماعيل ، وهو الموهوب له على الكبر ، الممنوح له بعد حرمان ، فيوحى إليه فيما أراه الله من منامه أن يتقرب إلى ربه بذبح ولده وأن يودعه إلى غير لقاء ، والمرء في كبره أحوج إلى البنين ، وأعطف على الولد ، ولكن إبراهيم إن يكن والدا حنوناً فهو نبي صديق ، وخصائص الرسالة أملك للإنسان من عواطف الأبوة ، فلم يهتم نفسه في صدق رؤياه ، ولم يتردد في تنفيذ ما أمر الله ، وكذلك لم يعص الولد البار في تمكين والده من رقبته ، ولم يعوّقه عن المبادرة إلى طاعة مولاه .

ونحن نعلم أن الحرص على الحياة غريزة ، وأن حداثة السن تغرى بالعصيان ، وأن العناد أو التدلل فطرة في الأحداث ، فلم لا يبدو من إسماعيل شيء من ذلك إذ أفضى إليه والده بما رآه في منامه ، وصارحه بما ليس أشد من وقته على السمع ؟ ولكنها ذرية بعضها من بعض .

وهنا يتمثل لطف الله في قضائه ، وحكمته في تدبيره ، فيفتدى — سبحانه — الولد لآبيه بذبح عظيم من عنده ، وينادى خليله في تزكية وثناء : " أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين ، .

وبهذا الوفاء تبين لإبراهيم وولده إسماعيل من أمرهما وبرهما ما كان مطوياً عنهما ، من دخائل النفس ، وتجلت لإبراهيم حظوة عند ربه له ولولده كان يأملها ويرجوها فيما كان يدعو به لنفسه ولذريته ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

ثم يكون من تدبير الله أن يجعل من شباب إسماعيل المفدى نصيباً لإقامة البيت الذي أوى إليه رضيعاً ، واحتمى به طفلاً ، وشب في جواره يافعاً ، وأن له أن يقف إلى جانب أبيه في إبراز ما كان في حجب الغيب ، وطالما اختلاج بنفس إبراهيم ، ولهج به لسانه ، فعهد الله إليهما : أن طهرا بيتي للطائفين ، والعاكفين ، والركع السجود ، .

وفي مثل ما كان لإبراهيم ينشط إلى الدعاء والرجاء كان نشاطه هو وإسماعيل إلى الاستجابة لهذا التكليف في رحابة صدر ، وأكرم وفاء ، وأفسح أمل ، وأطيب دعاء . ولذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل : ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ، .

كانت هذه الدعوات الخاشعات أنشودة لإبراهيم وإسماعيل وهما ينهضان بالبناء ، وما أشق البناء بالصخور ، وتناوله باليد ، وفي قلة من الأعوان ؟ وما أشفق الوالد ، لاذ يرى ولده مجهداً معه يتكلف الأمر الذي لا يطيقه أثرابه إلا في عنت وسأمة ؟ وما أعطف الولد الرحيم وأشد وجهه على أبيه الشيخ ، لاذ يراه مكدوداً في شأن يخشى أن ينال من شيخوخته ، وهو أحوج إلى الاستكانة ، وإلقاء العبء ، ولكنه مع ذلك مأخوذ بالغبطة له ، وأخذ بالمضى فيه ؟

تجواب العاطفة بين الشيخ والفتى فيحجب إلى نفسيهما ما قد يكرهه غيرهما ، ويسهل عليها ما يشق على سواهما ، ويريان من اليسير الهين ما قد يكون في ذاته غير يسير ولا هين ، بل ولا من اليسير والهوان في شيء .

وهل نرى إبراهيم وإسماعيل ذاكرين لشخصيهما في هذا الموقف ؟ أو شاعرين بما يلحقهما من عنائه ؟ أو حاسبين لشيء مما هنالك أدنى حساب : إلا أنهما يقومان بأمر الله ، ويرفعان بناء ترمقه عين الزمن ، وستمستظل به الإنسانية في حياتهما المستأنفة ، وتستكشف الدنيا من خيره في أطوارها القابلة ؟ ؟

لم يكن إلا ذلك : شعور حق ، وأمل وصدق ، واطمئنان بالله ، وثقة في رضوان الله ، وليس بعد الله جانب تستمد منه القوة ، وتلتمس منه المعونة ، فلتكن الغبطة شاملة للشيخ وولده ، بدلا من كل تقدير آخر ، ولتنبثق الدعوات على لسانهما أوسع مما كانت ، فهما يسألان الله القبول ويسألانه تثبيتهما على الإسلام ، ويسألانه تخليد الإسلام في أمة من ذريتهما ، وأن يرهما مناسكهما في البيت ، وحول البيت الذي عهد إليهما بتأده وتطهيره من كل رجس يشينه ، وأن يديم عليهما توبته ، ويسألانه أن يبعث في الأمة المسئلة من ذريتهما نبيا منها ، يكون رسولا إليها ، يتلو عليهم آيات الله ، ويعلمهم الكتاب وما فيه من أحكام ، وما يتضمنه ويتصل به من حكمة ، ويركهم من كل شائبة تنقصهم .

فظهر الغبطة عند إبراهيم وإسماعيل دعاء شامل لا يخصهما ، بل يتسع لهما ولمن بعدهما من يشاء الله ، وذلك شأن الظافر ببيغيته : إذا زكت نفسه ، واستقامت وجهته ، تراه لا يختص نفسه بحب الخير ، وطلب المزيد ، بل يفسح رجاءه لبقية كما أفسح لنفسه ، ويفسح لغيرهم كما أفسح لنفسه ولبقية ، وتراه يزداد على النعمة شكراً لا بطراً ، ويشهد لإقباله على الله ، ولا يعرض عن ربه مفتونا ولا أشرا .

دعوات ينفخ منها عطف الأبوة ، وتشف عن روح النبوة ، وتجذب الفكر إلى التأمل ، وتثير الحواطر نحو ما تتطوى عليه من غايات .

ومن لهذه النجوى مثل إبراهيم المبارك ؟ ؟ أليس قد أكرمته ربه في نفسه فآناه رشده من قبل ، ورفعته في الأكرمين عنده حتى أيده (أمة قانتا لله حنيفا ، ولم يك من المشركين ؟)

ألم تشف دعواته المبكرة عما تدخر له الأقدار بعد ؛ فكان من ذريته شجرة أينعت في النبوة ؟ ؟

حقاً : « إن إبراهيم — كما شهد الله — الحليم ، أواه ، منيب ،

وإذ آن لدعوات إبراهيم أن تبرز إلى عالم الوجود ، ولصبح المنى عنده أن ينبليج ، ولساعة الاجابة أن تدق . هبط وحى ربك بالامر المرتقب « وأذن في الناس بالحج ، يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم . » وذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها ، وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقتضوا نفقهم — يزيلوا ما بهم ويتنظفوا — وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق . »

وبهذا الامر صدع إبراهيم ، وأعلن في الملأ أن البيت أصبح مثابة للناس وأمناء .

وحان لهذه الحياة أن ترسم على صفحاتها خطوط لم تكن ، وأن تقوم على جوانبها المظلمة معالم الهداية شاحنة ، وأن تشرق جوانبها المتراصة بقبس وضاء من نور السماء .

وحان للبيت الفراغ أن يعمر بأئمة من الناس تهوى إليه ، ولمسكه أن تهض لاستقبال عهد خصب تترادف عليها ثمراته ، ولم يكن لها في حساب . . لها بقية .

عبد اللطيف محمد السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

الاستعمار كما يصفه نائب فرنسي

جاء في تقرير النائب الفرنسي مسيو موتيه الذي رفعه إلى مؤتمر الاتحاد البرلماني في برن سنة ١٩٢٤ :
« من المحقق أن الاستعمار عمل لا يسوّغه قانون ، وكثيراً ما ظهر بمظهر الفظاظ والغلظة ، لأنه يقضى بحكم القوى على الضعيف . وقد مضى على وجوده قرون بحجة نشر المدنية والارتقاء بين الشعوب المزعوم جهلها وخمولها . والحقيقة أنه لم ينشر من تلك المدنية وذلك الارتقاء إلا الأسماء التي تفتحلها لنفسها الأمم المستعمرة . وقد أراد المستعمرون أن يسدّوا على أعمالهم ثوباً شرعياً قانونياً فقرروا ضم ما استولوا عليه من البلدان إلى ممتلكاتهم بحجة نشر المدنية والعلوم ، والحقيقة أنهم لم يفعلوا ذلك إلا لمصلحة بلادهم . »
ثم ختم كلامه بقول لاروشفوكو : « النفاق حكمة تقدمها الرذيلة للفضيلة بكل احترام . »

التطهير

١ - التطهير في الاسلام

عناية الإسلام به - مبالغ الشرائع الوضعية منه - المبايعة على ترك الموبقات
رجال تخرجوا في مدرسة التطهير - درجات الناس في الوفاء بالعقود

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه - وكان شهد بدرأ ، وهو أحد النقباء ليلة العقبة - أن رسول الله ﷺ قال ، وحوله عصابة من أصحابه : « بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا بهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف . فمن وفى منكم فأجره على الله ؛ ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ؛ ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه ، فبايعناه على ذلك . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

أشرنا في الجزء الثاني من هذا العام لإشارة مجملة إلى التطهير في الإسلام ، ثم بدا لنا أن نفصلها في هذا الجزء وما يليه إن شاء الله ؛ ليعلم من لم يكن يعلم كيف عني الإسلام ورسول السلام بالتطهير عناية ما كانت لتخطر لأحد على بال .

لقد عني الإسلام بالتطهير بطننا وظهرنا ، وسرا وجهرا ، وحسا ومعنى : في النيات والسلوك والعقائد والأعمال والأحوال ، وسائر شعبه وشرائعه كلها ، جليها ودقيقها ، فرضها ونفلها ، في الأفراد والجماعات والرجال والنساء والأطفال ، والأمم والشعوب ، وفي السفر والحضر والسلم والحرب . لم يدع صغيرة ولا كبيرة في هذه الشؤون عامة وخاصة إلا جعل التطهير أساسا لها أو مرتبطا بها . وهل الإسلام إلا أوامر تمتثل ، ونواه تجتنب ؟ وما الأوامر في الإسلام إلا الفضائل أو الخير ممثلا في شعبه ومناهجه ودرجاته ، وما المناهي فيه إلا الرذائل أو الشر ممثلا في ضروبه وأبوابه ودركاته .

ألا فليعلم من لم يكن يعلم أن ضروب التطهير قديما وحديثا في الشرائع الوضعية كافة ،

لم يبلغ معشار ما بلغه في الإسلام ، بل لم يبلغ فيها ما يبلغه القشر من لبه ، ولا الزبد من زبده ، وأين تدبير العباد الضعفاء وتطهيرهم ، وهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، من تدبير الحكيم الخبير وتطهيره ، وهو الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، وخلق كل شيء فقدره تقديراً ١٩

إن التطهير في الإسلام - إلا ما تدعو الضرورة إليه - أمر اختياري يوكل إلى العبد حتى يزكى نفسه بنفسه من غير جبر ولا إكراه ، وما هو إلا الإرشاد والبيان ، والدعوة والبرهان : « فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، « فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر » ، « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » ، « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » .

وأما التطهير في الشرائع الوضعية فإنه إجباري ، يوكل أمره إلى ذوى النفوذ والسلطان ، يتولونه بالعنف والقوة ، ويأخذون فيه بالشدة والظنة . ولا يستوى تطهير أسس على الطوع والاختيار ، وآخر أسس على السكرة والاضطرار .

وفي هذا الحديث الجامع يروى عبادة بن الصامت ، رضى الله عنه : كيف بايع النبي ﷺ هذه العصاة المطهرة من أصحابه ؟ وكل أصحابه أطهار كرام : بايعهم النبي ﷺ على التطهير من ستة خبائث هن جماع الموبقات ، وأصول المملكات ، من وقمن فقد وفى شراً مستطيراً ، وأعد إعداداً كريماً ، يرشحه لأن يكون عضواً حياً في خير أمة أخرجت للناس . والعصاة - ومثلها العصبة - هي الجماعة بين العشرة والأربعين .

* * *

ذكر البخارى لعبادة رضى الله عنه منقبتين من أجل مناقبه ، ليرينا أى إنسان كان راوى هذا الحديث ؟ ذكر أنه شهد بدرأ . وحسبك في فضل أهل بدر ما جاء في الصحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ... لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ، وذكر أنه أحد النقباء ليلة العقبة .

وجملة القول في أخبار العقبة - وهى في طريق الذهاب من مكة إلى منى - أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ينس من قومه أخذ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج يدعوهم إلى الله تعالى . وقبل الهجرة بعامين لقي ستة من الخزرج ، فعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم

القرآن ، فأسلموا وحلوا الإسلام إلى المدينة . ويذكر بعض أهل السير والمغازي أن منهم عبادة . . فلما كان العام المقبل لقيه من الأنصار اثنا عشر رجلا : خمسة من السابقين وسبعة غيرهم أسلموا جميعا . وهذه هي البيعة الثانية ، وكان فيها عبادة يقينا . فلما كان العام الذي يليه قدم من المدينة جم غفير من الأوس والخزرج وبايعه منهم سبعون رجلا وامرأتان ، واختار منهم - اقتداء بالقرآن - اثني عشر نقيبا أحدهم عبادة ، وجعلهم كفلاء على قومهم ككفالة الخواريين لعيسى بن مريم . وهذه هي البيعة الثالثة .

وكانت بيعتهم في العقبة على الإيواء والنصرة ، وأن يمنعوه ﷺ مما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم ، لا على التطهير من هذه الموبقات الست التي ينتظمها هذا الحديث ، كما ظن كثير من المحدثين وأهل السير ، وإنما كانت المبايعة التي في الحديث هنا بعد فتح مكة ، وبعد أن نزلت آية الممتحنة : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعنك ، فبائع النبي ﷺ النساء ثم بايع الرجال . و مرجع الالتباس على من ذهب إلى أن هذه البيعة كانت في العقبة قبل الهجرة أن عبادة بايع البيعتين جميعا ، إلى غيرهما من المبايعات ، وكانت بيعة العقبة من أجل ما يتمدح به ، ولذا أشار إليها البخاري في هذا الحديث ، وكان يذكرها عبادة تنويها بما من الله عليه ، فلما أشير إليها في مقدمة البيعة التي هنا ، وهي على مثل بيعة النساء ، توهم من لم يقف على جليلة الأمر أن بيعة العقبة وبيعة الفتح سواء .

* * *

وإذا كان عبادة راوى هذا الحديث واحداً من المتخرجين في مدرسة الطهر والتطهير والتحرر والتحرير ، لحق علينا أن نأتي على بعض صفاته وأخباره ؛ لتبين كيف تربى المدرسة الطاهرة أبناءها ؟ وكيف توتى الشجرة الطيبة أكلها كل حين بإذن ربها ١٩

أتى الله عبادة رضى الله عنه بسطة في العلم والجسم ، والقوة والشجاعة والصلابة في دين الله عز وجل ، ومن أجل ذلك كان يحمله الفاروق رضى الله عنه ويكرمه ، حتى بلغ من إجلاله إياه أن قال له على أثر مقدمه من الشام لنزاع بينه وبين معاوية : إرجع إلى مكانك ، فقيح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك ، وكتب إلى معاوية : لا إمرة لك على عبادة . ومن إجلاله إياه أنه أمد عمرو بن العاص بأربعة آلاف في فتح مصر ، فلما أبطل عليه الفتح أمدّه بأربعة آلاف أخرى ، وأمر على كل ألف واحداً من أربعة : عبادة ، والوزير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، ومسلة بن مخلد ، وكتب إليه : قد أنفذت إليك أربعة آلاف على كل

ألف منهم رجل مقام ألف ، فصار معك اثنا عشر ألفاً ، ولا تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة ^(١) .
 وشهد رضى الله عنه بعد بدر أحدا ، وبيعة الرضوان ، والمشاهد كلها .
 أولئك آبائي فجئني بمنهم إذا جمعنا يا جرير المحامع

* * *

عاهد النبي ﷺ صحابته وأمنه - أول ما عاهد - على التطهير من رجس الشرك في كل صورة من صورته ؛ لأنه منبع كل بلاء ، وموطن كل داء ، لا يرفع معه إلى الله عمل ، ولا يزكو في أرضه نبت ، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا ، وقد اتفقت رسالات الله كلها على أن الشرك أكبر الكبائر ، وأشد الموبقات ، وأعظم الظلم ؛ لأنه جحود للرب ، وإهدار للعقل ، وإمعان في كفر النعم والمنعم ، واستحباب للعمى والضلال المبين . وعاهدكم على التطهير من السرقة ، قليلها وكثيرها ، ولعن السارق ، لأنه يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده ^(٢) والسرقة كسب خبيث غير مشروع ، مضیعة للشرف والمروءة ، مجلبة للخزى والعار ، مزرعة للبطلالة والدناءة والكسل ، موجبة للعة والنكال في الدنيا والآخرة .

وعاهدكم على ألا يقربوا الزنى : لأنه كان فاحشة وساء سبيلا . وكان فاشيا في الجاهلية على أنحاء شتى . وهو أعظم الجرائم هشكا للأعراض ، ونشرا للأمراض ، وهما للبيوت والأمر ، وقتلا للأحساب والأنساب ، وخيانة للأمانات ، ومقتنا عند الله والناس ! وكانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر أو العار ، وشاع فيهم وأد البنات إسرافا في السكراهية لمن دون ذنب جنيته . والوأة هو قذف البنت في حفرة أعدت لدفنها بالحياة . وفي هذه الجريمة الشنعاء يقول تبارك وتعالى : تبكيها لصاحبها ، وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت ، جريمة تقشعر من ذكرها الأبدان . وتشيب من هولها الولدان ، وتصف أفظع صورة لقسوة الإنسان ! وهي بعد ذلك قطعة للرحم ، وعدوان على المخلوق الضعيف الذي لا يملك أن يدفع عن نفسه شيئا ، واتهام للخلاق الرازق ذي القوة المتين ، من يده مفاتيح الرزق وخزائن السموات والأرض - بأنه عاجز عما تكفل به ! اجتماع هذه الجرائم البشعة

[١] ليس عجبا أن يعد الواحد منهم ألفا بالقول ، فباب المجاز واسع ، وإنما عده ألفاً بالحساب والفعل وبناء الحكم المنطقي .

(٢) لأن سرقة ما لا قطع فيه تجرى على ما فيه القطع . ومنهم من أخذ بظاهر الحديث فجعل القليل والكثير سواء في إقامة الحد .

في قتل الولد هو سر التخصيص في النهي وإن كان القتل كله منكرا ، ولكن كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، ونظير هذا الزنى بحليلة الجار ، ونسكاح امرأة الأب ، وكلاهما إلى الفاحشة قطيعة وسوء أدب ، وهذا هو سر إضافة « المقت » في قوله تباركت أسماؤه ، ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ، وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يا نبي الله : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت ثم أى ؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى ؟ قال أن تزاني حليلة جارك .

* * *

وإتيان البهتان هو اختلاق الزور والكذب الذى يبهت من يرمى به ويدعشه لشدة هولاه وفظاعته ! وخص الأيدى والارجل بالذكر ، لأنهما الاداة في معظم الأفعال ، إذ هما العوامل أو الحوامل للباشرة والسعى ، وقد يعاقب الشخص بجريمة قولية فيقال هذا بما كسبت يداك وإن كان السكاسب هو اللسان ، وقيل كنى عن الذات بالأيدي والارجل لأنها بينهما ، فالمعنى لا تأتوا بهتان تنشرونه من قبل أنفسكم ، أو من قبل ضمائركم وقلوبكم .

وأظهر ما يكون البهتان في نساء الجاهلية ، وكانت إحداهن تلتقط المولود وتقول للرجل هذا ولدى منك زورا وإفكا ! ومن هنا استدل بعض المحققين على سبق بيعة النساء ، وسوق بيعة الرجال على منهاجها .

ثم يختم النبي ﷺ مبايعته بالوصية البليغة الجامعة ، التى تهى عن كل قبيح ذكر أو لم يذكر ، كما تتضمن الأمر بكل حسن جميل من مكارم الأخلاق التى بعث لإتمامها صلوات الله وسلامه عليه .

والتقييد بالمعروف مع أنه صلوات الله عليه لا يأمر إلا به ، لتنبه أمته على أنه لا طاعة لمخلوق وإن عظم في معصية الخالق جل وعلا ، وفي هذا أبلغ رد على من زعم أن طاعة أولى الأمر واجبة من غير قيد ولا شرط .

وبعد أن وفى رسول الله ﷺ هذه الأمور الست التى عاهدكم عليها ، بين لهم أن الناس فيها فرق ثلاث . فرقة توفى بعهد الله إذا عاهدت فجزاؤها إلى الله عز وجل ، ونعما هو ، وفرقة تقصر ثم تطهر ، وفرقة إلى الله أمرها ، وفى علمه عاقبتها .

وإذا ضاق المقام عن بيان هذه الفرق فوعدنا الجزء الآتى بعون الله ومشيئته .

طه محمد السكاك

أزمة الفقه الإسلامي

١ — شجعتى تقبل كلبتى الماضية فى هذه المجلة : « طريق الإفادة من الفقه الإسلامى ، بقبول حسن ، من المعنيين بحق بما فيه صلاح الأزهر وإقداره على أداء رسالته ، ومن الذين يعنون بما فيه الخير للعالم الإسلامى بعامه ، على أن أتقدم بكلمة أخرى فى هذا الشأن ، كلمة أخرى فيها الصراحة الواجبة فى معالجة مشاكلنا وإن آلم هذا بعض الناس :

إن صاحب هذا القلم الضعيف ظل سنوات طويلة يكتب فى إصلاح الأزهر ، وفما يتصل من مُقرب أو مُبعد بالشئون الإسلامية العامة ، وهو يائس من أن يكون لما يكتب أثر أو صدق قوى لدى أولى الأمر وبخاصة فى الأزهر . ذلك ، بأننا كنا فى عهد استشرى فيه الفساد وعم جميع مرافق الأمة ، فلم يكن يلقى المؤمن بما يكتب سميعاً ولا تقديراً من القائمين على الحكم وتصريف شئون الأمة .

والآن ، وقد انبلج فى هذا العهد الحاضر المبارك فجر جديد قوى نوره حتى صار ضوءاً نسير فى الإصلاح على هداه ، وصار ناراً تحرق الفساد والمفسدين ، صار من الواجب أن نكتب ونبدل بما نؤمن به من آراء ، وأن نكتب بقوة فى سبيل الإصلاح . وبخاصة ، ونحن نرى أن الثورة التى نعيش الآن فى نعمتها لم تمس حتى الآن بعضاها السحرية الأزهر ، فتخرجه عن الطريق الذى ظل فيه دهرأ طويلاً إلى الطريق الذى يجب أن يسلكه إن أراد الخير لنفسه وللعالم الإسلامى كله .

٢ — وبعد هذا ، ماذا نريد أن نقول ؟ نريد أن نقول إن الفقه الإسلامى فى أزمة حادة عنيفة منذ زمن بعيد ، زمن يقدر بالملئات من الاعوام ، وقد اشتدت هذه الأزمة حتى أصبحنا لا نحس بها فتلتمس السبيل للخروج منها ، وحتى تناسيناها واستقمنا إلى ما نحن فيه ورضينا به .

ولكن هذه الأزمة أخذت تنفرج ، أو على الأقل أصبحنا نلمح فى الأفق بوادر

انفراجها . فقد أحسنا بها ، ومتى أحس المريض بمرضه يأخذ طبيعاً في الطَّـبُّ له وعلاجه حتى يبرأ منه ويعود صحيحاً سليم الجسم . وكان من بوادر قرب انفراج هذه الازمة ، أن صار لإحياء هذا الفقه الإسلامي ، كما نعرفه من كتاب الله وسنة رسوله ، ثم الدعوة في إلحاح من سائر الأقطار الإسلامية ، قضية عامة ومشكلة تشغل الدولة والمصالحين المسلمين ، وذلك لعمشرى أماره قاطعة على أننا صحونا حقاً بعد نوم طويل .

٣ — وكل « أزمة » ، في أية ناحية من نواحي العلم والحياة ، لها بلا ريب أسبابها وأعراضها وعلاجها ، وهكذا نجد « لازمة الفقه » ، ما نجد لاية أزمة أخرى ؛ نفى الأسباب التي أحدثتها ، والأعراض التي عرفناها منها ، ثم العلاج الذي به يكون البرء أو الشفاء والتخلص منها .

ولإذا كانت أعراض المرض تظهر أولاً للعين المشاهدة الملاحظة ، ثم يحى الطبيب للفحص عن أسبابه ، فإن علينا أن نتعرف أولاً أعراض الازمة التي يمر بها فقه الإسلام . إن أعراض هذه الازمة ترجع في جماعها إلى أمرين :

١ — الانصراف عن هذا الفقه شيئاً فشيئاً حتى أطرحناه جملة في تشريعاتنا وقوانيننا الحديثة ، وكان ذلك منذ زمن بعيد يرجع إلى ما قبل إنشاء المحاكم الأهلية ، إذ عمد رجال القانون عندنا إلى الأخذ عن القوانين الغربية وبخاصة القانون الفرنسى اللاتينى .

٢ — استنكار كثير من الناس ، وبخاصة أولى الأمر ورجال القانون الصيحات التي أخذت تتجاوب في أنحاء العالم الإسلامى ، والتي تنادى بوجود الرجوع للشرعية الإسلامية في تشريعاتنا الحديثة ، وكان من أثر هذا الاستنكار ، أن عمد الداعون للفقه الإسلامى إلى الاستشهاد بأراء علماء القانون في الغرب في صلاحية الفقه الإسلامى للتطور وأن يكون من مصادر التشريع الحديث . وهذا الاستشهاد نفسه أماره على استشراء الداء واشتداد الازمة ، حتى نحتاج في تقوية ثقتنا بأنفسنا وتشريعاتنا الاصيله إلى الاستنجاد بأقوال الأجانب عنا !

٤ — وبعد أن عرفنا أعراض هذه الازمة الخطيرة ، لابد أن نحاول نعرف الأسباب التي أدت إليها ، ليسكون من الميسور بعد ذلك الأخذ في علاجها بما يستأصل هذه الأسباب ، فيعود لفقه الإسلام مكانته الملحوظة بين التشريعات والقوانين العالمية ، وليأتى له أن يسهم بأوفر نصيب في تقدم الدراسات الفقهية في العالم كله لخير الإنسانية عامة .

والكلام فى هذه الاسباب طويل ، ويتشعب هنا وهناك ، ولكننا ترجع فى رأينا إلى إهمال القائمين على دراسة وتدريس الفقه فى الأزهر إهمالاً شديداً للدراسة التاريخية والدراسة المقارنة . وهذا ما تكلمنا عنه بإجمال فى الكلمة الماضية ، ونود فى هذه الكلمة أن نتناوله بشئ من التفصيل .

• — إن الدراسة العلمية الحديثة للفقه أو القانون وغيره من ضروب العلم المختلفة ، تتميز باتجاهين خطيرين : الاتجاه أو البحث التاريخي ، والبحث المقارن ، وقد كان الأمر قبل ذلك مقصوراً ، إذا اكتفينا فى كلامنا الآن على القانون ، هلى أن تدرس كل أمة نظمها القانونية لمعرفة أحكامها وتطبيقاتها على الحوادث والحالات الفردية الموجودة ، ولا تعدى ذلك إلى دراستها التاريخية لمعرفة نشأتها وتطورها ، ووسائل هذا التطور .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان علماء القانون فى أمة من الأمم يتناولون بالدراسة نظمها القانونية وحدها ، ولا يمدون بحوثهم إلى دراسة مشيكلاتها فى الأمم الأخرى غافلين عن قيمة الدراسة المقارنة وخطورها ، هذه الدراسة التى تعرف أن أى ضرب من ضروب المعرفة فى أمة ما ، ليس إلا جزءاً من كلٍّ : هو المعرفة الإنسانية العامة التى تسهم فيها الأمم كلها بنصيب قليل أو كثير .

٦ — ولما اتصل العالم والشعوب بعضها ببعض ، اتجه العلماء فى دراساتهم إلى التاريخية والمقارنة ، ومن ذلك عرفوا أن الشعوب تتشابه إلى مدى بعيد فى ظروف نشأتها وتطورها وفى وسائل معالجتها وتنظيمها لشيئونها وأحوالها الاجتماعية ، وقد عرفوا ذلك كله من الدراسة التاريخية .

كما عرفوا من الدراسة المقارنة مقدار ما بين الأمم من تشابه ، بل تماثل فى نواح عدة ، فى تقاليدها وأنظمتها القانونية ، وأن بعضها أفاد من بعض فى هذا السبيل . وكان من أثر هذه الدراسة المقارنة ، أن ظهرت أصالة بعض الشرائع بالفلسفة للبعض الآخر ، فكان لتلك فضلها غير المنكور .

٧ — وقد أتى على الشريعة الإسلامية حين طويل من الدهر كان الفقه يدرس فيه دراسة قيمة لا ينقصها البحث المقارن بين مذاهبه العديدة ، ماخذ منه حتى الآن وما اندرس بفعل الزمن ، وفى هذه الفترة المجيدة ، التى كان الجهل والظلام يسودان فيها على العالم الغربى ، وضع علماء الأصول الاجلاء نظمه وقواعده التى تتسع لكل ما جد ويجد

من النوازل والحوادث ، وهذا بفضل ما قامت عليه هذه النظم والقواعد من أصول قوية ومرنة تسمح بتطور الفقه حسب الزمان والمكان ، مع بقاءه دائماً يسير في فلك كتاب الله وسنة رسوله .

ولكن هذه الفترة يطويها الزمن الذى لا تنقطع مجلته عن الدوران ، وتوالى السنين والأعوام ، وإذا بفقهاء المسلمين يفقدون الحيوية والأصالة ، وإذا بهم يجمدون على ما وصل إليهم من تراث فلا يعملون على تنميته ، بل ولا على تجليله وعرضه للناس عرضاً طيباً ، وإذا بالفقه الإسلامى لا يعيش إلا بين جدران الازهر لا يحس بالعالم ولا يحس العالم به ، وإذا بعلساء القانون الوضعى يولون وجوههم شطر أم غربية عنا بنظمها وتقاليدها وعاداتها فيأخذون عنها لنا ، يأخذون عن هذه الأمم لنا نحن المسلمين الأغنياء بترائنا الفقهى لو عرفنا الإفادة منه .

٨ — فإذا ما أنشئت كليات ، منها كلية الشريعة التى تقوم على دراسة الفقه وعلومه وأدواته ، قلنا الآن بدأ الازهر يفيق من غفلته ويستيقظ من نومه ، وقلنا وقال الناس معنا الآن يبدأ الفقه الإسلامى استعادة حيويته وأصالته ، والآن سيكون لنا من خريجى قسم تخصص المادة أو الاستاذية ثروة فى الفقه تظهر الناس على خصائصه التى تميزه عن سائر القوانين والشرائع ، ثم بعد قليل سيكون للقارئ العربى بحوث أصيلة مقارنة تكملة رجال القانون من المصريين وغيرهم من الغربيين على الاعتراف لفقه الإسلام بمسكاته ، ثم سيكون من أثر ذلك الاتجاه الرسمى الجاد إلى الإفادة منه فى تشريعاتنا وقوانيننا الحديثة حتى يكون أخيراً هو المصدر الأول لتلك القوانين .

ولم نكن مسرفين فى الأمل ، ولا متجاوزين حد الممكن بل الميسور فيما رجونا ؛ فإن خريجى أقسام تخصص المادة أو الاستاذية . نشأوا فى ظروف غير ظروف شيوخهم الاجلاء ، وأعدوا الزمان غير زمانهم ، والمفروض أنهم حذقوا من أساليب البحث ما لم يحذقه أسانذتهم ، فليس كثيراً عليهم إذا أن يحققوا ما رجونا وانتظرناهم . ولكن ، والامر مؤسف مؤلم ، لم نر شيئاً ذا غناء تحقق من هذا الذى رجونا منهم . فلماذا ؟ وعلى من تقع التبعة ؟

٩ — إنى أرى أن التبعة فى ذلك لا تقع عليهم وحدهم ، بل ربما كان نصيبهم منها

ضئيلاً ، ولكن أكبر جانب من هذه المسئولية تقع على عاتق المسئولين عن الأزهر بعامة ، وعن كلية الشريعة بخاصة ^(١) ، وذلك لأمور :

(١) ان لخريجى هؤلاء المتخصصين رسائل نالوا بها درجاتهم العلمية ، فأين هذه الرسائل ؟ إن أكثرها لا يزال مخطوطاً لم ير نور الشمس ، ولا أعرف فى الفقه رسالة مطبوعة إلا رسالة واحدة عن « العرف والعادة فى رأى الفقهاء » ، وهى رسالة تم عن بحث جيد وعرض طيب ووصل صاحبها الفاضل إلى نتائج محدودة لها أثرها . وكان من الفرض على الكلية أن تعمل على نشر سائر الرسائل ، فإن هذا واجب عليها بلا ريب ؛ ليعرف رجال القانون أن الأزهر قد تغير وتطور فى البحث ، وعزم على المشاركة فى تقدم الدراسات الفقهية .

(٢) ان كثرة هؤلاء المتخصصين ، إن لم تقل لإنهم جميعاً ، ظنوا خطأ أنهم بفيلهم الدرجات العلمية بعد رسائلهم التى تقدموا بها قد عملوا كل الواجب عليهم ، وكان من هذا أن أعفوا أنفسهم من البحث والإنتاج ، على حين أن درجة الدكتوراه نفسها من جامعة من الجامعات لا تعتبر إلا جوازاً للوصول إلى التدريس فى كلية من الكليات . ثم على صاحبها بعد ذلك أن يأخذ نفسه بالبحث والإنتاج فيما تخصص فيه ، إلى درجة أنه ليس له أن يتشوف إلى ترقية فى كليته إلا جزاء إنتاج جديد .

(٣) ومن المعروف أن المقرر دراسته من الفقه أو الأصول فى فرقة من فرق كلية الشريعة لا يتسع عام واحد بل أكثر من عام لدراسته واستيعابه ، وهنا يجد المدرس المجال فسيحاً أمامه لاختيار موضوع من موضوعات المقرر لدراسته فى هذا العام ، ثم يختار آخر لدراسته فى العام التالى فى الفرقة نفسها ، وهكذا حتى يتم دراسة جميع المقرر دراسة جادة عميقة ، وعليه أن يذيع بحثه لكل موضوع مطبوعاً يقرأه الناس ويفيدون منه . ولكن الأمر يسير فى كلية الشريعة ، وغيرها من كلياتها الأزهر ، على غير هذا المنهج المستقيم ، وتسير الترقيات للمدرسين على قاعدة مرور الزمن وحدها ، بلا نظر إلى الكفايات والإنتاج العلمى الاصيل . وبذلك تعظم الحسارة ويطول نوم الأزهر ، ونظف نحن الأزهريين نعيش على هامش الحياة ، وتظل الصلة منقطعة أو تكاد بين الفقه الإسلامى والقوانين الأخرى ورجالها .

(١) إنى أتكلم هنا عن الفقه وحده ، ولذلك خصصت بالحديث عن المسئولية كلية الشريعة ، فالأمر كذلك فى الكليتين الآخرين فيما يختص بكل منهما .

١٠ — وأخيراً ، كان من قدر الله الرحيم بالإسلام وتراثه العلمى أن اتصل الغرب بالشرق ، وكان علماء الغرب الطائفة التى نعرفها باسم « المستشرقين » ، وهذه الطائفة تقاسمت التراث الإسلامى فيما بينها ، فكان منهم من تفرع على الجانب الفقهى منه . ثم كان من ازدياد الصلة بين الغرب والشرق ما جعل الجامعة ترسل كثيراً من أبنائها لجامعات أوروبا ، وكان من هذه البعثات كلية الحقوق ، وكان من هؤلاء من كتبوا رسائلهم فى موضوعات فقهية إسلامية أو موضوعات تتصل بالفقه الإسلامى من قرب ؛ فعرف كثير من رجال القانون فى الغرب جانباً غير قليل من فقه الإسلام ، وعرفوا له بسبب ذلك قيمته السامية بين سائر القوانين ^(١) .

وهنا ، كما يقول الأستاذ الكبير على بدوى ^(٢) ، نكاد نلص الوسيطة السامية الفعالة للكشف عن أسرار الشريعة الإسلامية ، وإبراز مبادئها فى ثوبها العصرى ، ووضعها فى المستوى الجدير بها بين الشرائع الأخرى . تلك الوسيطة التى يجب أن تتوفر وأن تقوى فى البيئة العلمية الإسلامية على وجه عام ، والتى يجب أن تعمل على توفرها وتقويتها فى البيئة العلمية المصرية على وجه خاص ؛ وهى تفقه رجال القانون فى علوم الشرع الإسلامى من جانب ، ووقوف علماء الشريعة على مبادئ القانون العصرى وأساليب بحثه من جانب آخر . فإذا تم تبادل الثقافتين الدينية والمدنية ، وامتزاج العقليتين الشرعية والقانونية ، جاءت الجهود متضامنة والمعونة مزدوجة ، وقامت الصلة بين الشريعة والقانون ، وأخذ الفقه الإسلامى مكانه فى العلم الحديث .

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(١) وهنا نشير أيضاً إلى الأثر الطيب الذى أحدثته اتجاه كثير من طلاب الدكتوراه فى كلية الحقوق بمصر إلى رسائلهم فى موضوعات فقهية إسلامية ، فحصلت الصلة المباشرة بين رجال القانون وبين الفقه الإسلامى ، وهى صلة نرجو وتوقع أن تزيد كثرة .

(٢) ص ٧ من كتابة : أبحاث التأريخ العام للقانون ، الجزء الأول ،

عَلِّمْنَا التَّوْحِيدَ

لقد علمت في الكلية الشرعية في دمشق، والكلية الشرعية في بيروت، والكلية الشرعية في بغداد، منذ أكثر من خمس عشرة سنة، وكلها قد أنشئ على غرار معاهد الأزهر وكراماته وكلها يتبع مناهج قريية من مناهجه — فسكنت أعجب من القائمين عليها كيف يهلون (علم التوحيد) . ويسمون باسمه ، ويقيمون مقامه (شيئاً) هو أبعد عن التوحيد ، من الأرض عن السماء ، مع أن التوحيد من الدين ، بمقام الروح من الجسد ، وأنه أول أغراض الرسل جميعاً — وأعظم مقاصد القرآن ، ولأجله بعث الانبياء ، وشرعت الديانات .

والذي يقرأ اليوم على أنه توحيد مما اشتملت عليه العقيدة الفلسفية وأمثالها (ولا أستثنى من ذلك رسالة الشيخ محمد عبده) لا يكاد يقوى عقيدة ، ولا يثبت إيماناً ، ولا يبعث في النفس خشية الله ، ودوام مراقبته ، ولا يدفع إلى إخلاص في عبادة ، ولا يذيق صاحبه حلاوة الإيمان . يخاطب العقل بالمنطق ، وكان من حقه أن يخاطب القلب بالشعور ، وربما انتهى إلى جدل عقيم لا يلد فائدة ، ولا ينتج نفعا ، وأعجب ما فيه رواية شبه أقوام انقروا ، وتلقين الطالب ضلالتهم (وكفرياتهم) التي لم يبق اليوم أحد على ظهر الأرض يعرفها أو يقول بها .

ولقد كان المسلمون الاولون ، وهم أئمة الدين ، وصفوة المؤمنين ، لا يعرفون من علم التوحيد ، إلا الآيات التي أنزلها الله في القرآن ، أقبلوا عليها تلاوة خاشعة ، وعلما وفهما ، فأعطاهم الله بها إيماناً ثابتاً ظهر في كل حركة من حركاتهم ، وسكنة من سكناتهم ، وكانوا يعلمون أن الإيمان شعباً تجمع مطالب الخير والحق كلها ، فكانوا متمسكين بشعبه جميعاً ^(١) من تنزيه الله عن الشريك ، وإخلاص العبادة والدعاء له ، وابتغاء الخير منه ، والاستعانة (فيما وراء الأسباب) به وحده ، إلى ما يبدو أنه أيسر أعمال الخير وهو إماطة الأذى عن الطريق . وكانوا لا يأتون المحرمات ، لأنه (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) ولا يشرب الخمر شاربها وهو مؤمن ، وكيف يزني وهو (مؤمن) بأن الله مطلع عليه ، وناظر إليه ؟

[١] أحسن مرجع في هذا المعنى مقالات الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب في الفتوح .

هل يستطيع أن يزني من يعلم أن أباه أو أستاذه ، قائم في شباك ينظر إليه ، وكانوا أهل نظافة وطهارة في ثيابهم ، وأجسادهم ومساكنهم ، وألسنتهم لا يدنسونها بالخبث ، وأعمالهم لا يوسخونها بالغش والرياء والفسوق والعصيان ، لأن (النظافة من الإيمان) .

وكان في عصرهم مخالفون من كل نحلة ومذهب ، فاضرمهم في إيمانهم ومناظرتهم لخصومهم أنهم لم يدرسوا علم الكلام ، ولم يعرفوا منطق أرسطو ولم يقرأوا الفلسفة ولا ما يشبه الفلسفة ، وما احتاجوا أن يسلكوا في جدال هؤلاء المخالفين والرد عليهم غير مسلك القرآن . ومر على ذلك القرن الأول ، وهو خير القرون ، وشيء من الثاني ، ثم نجمت في الأمة طائفة المتكلمين من المعتزلة ، وقد أجمعت كلمة العلماء في عصر نشأتهم على إنكار بدعتهم ، وتقييح نحلتهن على ما كان لهم من إخلاص في نية الذب عن الإسلام ، وثبات في مواقف الدفاع ، وبصر بصناعة الجدل ، وما كان لهم من سعة علم وحدة نظر ، وروعة بيان .

واتفق أن إماماً من أئمتهم ، ولساناً من لسانهم ، ترك الاعتزال ورجع إلى الجماعة ، ولكنه حل معه تفكيره وأسلوبه وطريقته ، وهو أبو الحسن الأشعري ، فلم تتحول هذه الطريقة حتى تصبح سلفية قرآنية ، ولكن تحولت طريقة السلف به فصارت منطقية عقلية ، واختفى بذلك التوحيد الذي كان مصدره ومرده ، إلى آيات القرآن لا يعرف غيرها ، ولا يعتمد إلا عليها ، ونشأ علم الكلام ، الذي يعتمد على منطق أرسطو .

والغريب أن هذا العلم الذي نسميه خطأ بـ (علم التوحيد) وندرسه في مدارس الدين ونشغل به الطلاب ، ونأخذه على أنه طاعة من الطاعات ، وقربة من القربات قد كرهه علماء الملة وأئمة الاسلام ، ولما وصل المصري الذي أرسله ابن العاص إلى عمر بن الخطاب ووجده يتكلم في شيء يشبه علم الكلام اليوم بسؤاله عن معنى الاستواء وأمثال ذلك من المتشابه ضربه ونفاه وأمر الناس بمقاطعته ، مع أن ما ضربه لاجله هو ما تمتلئ به كتب علم الكلام الذي نسميه علم التوحيد .

ومالك لما سئل عن ذلك عد السؤال بدعة ، وجوابه مشهور معروف ، ونهى أبو حنيفة ابنه عن مناظرة رجل كان يناظره في القدر وأمره ألا يعود ، ومنع أصحابه من الصلاة خلف رجل كان يتكلم في خلق القرآن وآخر كان يرد عليه ، فقيل له الأول ينكر قدم القرآن ، فما بال الآخر ؟ قال : ينازع في الدين ، والنزاع في الدين بدعة ، وروى عنه النهي عن الصلاة خلف أصحاب الكلام ، وقال الشافعي : حكى في أهل الكلام أن يضربوا

بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على كلام أهل البدعة ، ونقل عنه أنه قال : « لأن يلقى العبد الله بكل ذنب خلا الشرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام . وقال : إذا سمعتم الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهدوا أنه من أهل الكلام ، .

وقال أحمد بن حنبل : علماء الكلام زنادقة . وقال : لا يصلح صاحب الكلام أبداً .

* * *

وقد يقول قائل : إن هذا كله فيمن جاء بما يخالف نصوص القرآن وظواهره من المعتزلة وأشباههم . فإقول هذا القائل فيما روى عن جماعة نعدم اليوم من أكابر علماء أهل السنة والجماعة ، مارسوا علم الكلام حتى صاروا الأئمة فيه ، وصرنا نأخذ عنهم أكثر ما نملا به كتبنا التي ندرسها في معاهدنا وكلياتها ، ثم ندموا واستغفروا ، وتابوا وأنابوا ، أولهم الأشعري ذكر في كتاب (الإبانة) وهو آخر كتاب ألفه ، أنه رجع في عقائده إلى مذهب أحمد بن حنبل ^(١) ، ورجع الغزالي إلى مذهب السلف ، ذكر ذلك في كتابه (إلهام العوام) وأعرض عن تلك الطرق جملة حتى مات والبخاري على صدره ^(٢) والرازي قال :

ولقد تأملت الطرق الكلامية ، والمنادج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي غليلاً ، ولا تروى غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن . اقرأ في الآيات ، الرحمن على العرش استوى ، و « إله يصعد الكلم الطيب » و « اقرأ في النفي » ليس كمثل شيء ، « ولا يحيطون بشيء من علمه ، إلى أن قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل تجربتي .

وهو القائل :

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعى العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

والشهرستاني يقول في الفلاسفة والمتكلمين :

[١] التعليم والإرشاد للحلبي ص ١٧٠ طبع مصر ١٩٠٦ . [٢] شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري ص ٥

طبع مصر ١٣٢٣ .

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرق بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأبو المعالي الجويني قال : يا أصحابنا لا تشغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغني إلى ما بلغ ما اشتغلت به . وقال عند موته : لقد خضت البحر الخضم ، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت في الذين نهوني عنه . والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني .

إلى أن قال — ومأثدا أموت على عقيدة عجائز أهل نيسابور .

وقال الخسروشاهي وهو من أجل تلاميذ الفخر الرازي لبعض الفضلاء : ما تعتقد ؟ قال : ما يعتقده المسلمون . قال : وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به ؟ قال : نعم . قال : أحد الله على هذه النعمة . فإنني والله ما أدري ما أعتقد . وبكى حتى اخضلت لحيته .

وقال الخونجي عند موته : ما عرفت شيئاً مما حصلته سوى أن الممكن مفتقر إلى المرجح . ثم قال : الافتقار وصف سلبي . أموت وما عرفت شيئاً .

وقال آخر : اضطجع على فراشي وأضع الملحفة على وجهي ، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر ولم يترجح عندي شيء منها .
فأين بعد هؤلاء ؟ وهؤلاء هم أعلام الكلام في الإسلام ؟

* * *

هذا هو علم الكلام الذي نشغل به اليوم ، نشغل بالصفات وهل هي عين الماهية أو شيء زائد عنها . والأعراض وهل تبقى زمانين ، والطفرة والاستطاعة وخلق القرآن وأشياء آخر قرأتها من قديم ونسيتها والله الحمد ، وليس بعض من يسمون أنفسهم بالسلفيين على خير من هذه الحال ، فهم يشتغلون بالمتشابه الذي ضرب عليه إمام السلف الصالح عمر بن الخطاب ، ولا دأب لهم إلا الكلام في اليد والوجه والاستواء ينكرون التأويل وهو من سنن العرب في كلامها ، والقرآن أنزل بلسان العرب ، ولا يعرفون كيف يخرجون مما أدخلوا نفوسهم فيه من هذه المضايق ، فيقع الجبلية منهم بالتجسيم وهم لا يدرون ،

ويأتون على ادعائهم السلفية بما لم يعرفه السلف من مثل قولهم : الله بآن من خلقه . وإلزامهم صغار الطلبة والمبتدئين بحفظ ذلك واعتقاده .

فهل هذا هو التوحيد الذى بمث الله به محمداً ؟ هل هذا هو الطريق الذى سلكه النبى ﷺ فى الدعوة إلى الله؟ أم مبتدعون نحن أم متبعون ؟ ومصلحون نحن أم مفسدون ؟

إنى أرجو من أستاذنا وصديقنا العلامة الأديب المصلح السيد الخضر ، شيخ الإسلام علما ومنصبا أن يأمر بتعديل المناهج وإلغاء هذه الكتب جملة واحدة . وأن يجعل علم التوحيد مقصورا على إلهام الطلاب آيات التوحيد فى القرآن ، على إلهامها ولم أقل على تفسيرها ، لئلا يدخل من باب التفسير شيء مما فى تفسير الفخر وأمثاله وأن يتولى ذلك مدرس حاضر القلب ، قوى الإيمان ، من المسلمين الصادقين ، والعلماء العاملين ، يعلم بفعاله أكثر مما يعلم بمقاله ، ويصلح بصلاح نفسه أكثر مما يصلح بنجاح درسه ، وأن يكون المنهج منهج الرسول فى تلقين التوحيد لمن كان يفد عليه من الكفار ، يقيمون اليوم أو الأيام ، ويسمعون الحديث أو الأحاديث ، فيصرفون وهم مؤمنون ، وهم عارفون بالإسلام ، وهم دعاة إلى الله ، وما تعلموا منطق أرسطو ، ولا ناقشوا فى رؤية الله فى الآخرة ، ولا لقنوا أنه بآن من خلقه !

وأن يتفرغ بعد ذلك بعض كبار الطلبة لدراسة علم الكلام الذى ينبغى أن يوضع من جديد ، العلم الذى يرد على الخصوم الأحياء من الشيوعيين والقوميين الملحدون والقاديانية والأحمدية والهائية والبيجانية ، يدرس مقالاتهم المعادية للإسلام ، ويبين ضعفها وفسادها ، ولا يشتغل إلا بالشبه الدائنة المنتشرة وإلا كان عرنا للعدو علينا ، ومذيعا لضلالاتهم فينا ، وينبغى أن تعين الطوائف التى يجب الرد عليها فى مطلع كل سنة مدرسية . وأن يترك الرد على الجهمية والمعتزلة والمشبهة وما لا أذكره الآن من القاب المخالفين — إلى الأبد !

وبذلك نكون قد دعونا إلى الإيمان ، ودافعنا عن الإسلام .

على الطنطاوى

فاضى دمشق

خير نظام للحكم

حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

كتب مندوب ، الأهرام ، يقول :

أثيرت في الأيام الأخيرة بحوث حول نظام الحكم ، كيف يكون ، وعلى أى وضع يقوم ؟ والحق أن هذا الموضوع من الدقة والخطورة بحيث يصح أن يستأثر بشيء كبير من عناية الباحثين . وقد كانت فرصة طيبة تلك التي أتيت لي في مساء أمس ، إذ التقيت بفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وتحدثت إلى فضيلته في هذا الموضوع الحيوى ، وكان الاستاذ الأكبر صريحاً على عادته فتحدث إلى يقول :

تجناز مصر في أيامها التاريخية الحاضرة أعظم انقلاب اجتماعى مر بها منذ قرون ، لأنه الانقلاب الوحيد الذى ينشد لمصر النظام لتتمكن من الاستقرار عليه والاستمرار فيه إلى الأبد .

وما يلاحظ في هذا الموقف أن التطورات الماضية لم تكن نتيجة طبيعية للوعى القومى ، ولذلك كان الوطن يفاجأ بها مفاجأة ، وكان نظام الحكم الذى يترتب على تلك المفاجآت يفرض على البلاد فرضاً ، إما من استعمار قاهر ، أو من مستبد متغلب . ولذلك قلنا كان يلاحظ فيه حاجة الأمة واقتناعها ، والأساليب التى ترناح إليها وتعتبرها منتزعة من روحها وذوقها ومن المبادئ التى آمنت بها ، ونشأت عليها ، وترجع بذكرياتها وتقاليدها إلى ما حفظه التاريخ من مفاخرها وأمجادها ، لذلك كان نظام الحكم فى مصر فى العصور الأخيرة بعيداً عن أمنية الاستقرار ، وكان مؤيدا بالقوة القائمة عليه ، لا بالاقتناع به والطائفة له والإيمان بصلاحه .

والآن وقد عزم مصر على أن تختار نظامها بمحض إرادتها ، فمن سعادتها أن يكون نظامها المرتجى منتزعا من مثلها العليا التى تؤمن بها ، وترناح إليها ، بوازع من النفس ولإيمان من القلب ، لا بوازع من سلطان القوة الصماء ، ونصوص القانون الذى كثيراً ما شكّا أقطابه مواطن الضعف فيه .

ولقد أخذ كل عالم بزايا نظام من الانظمة الاجنبية يعرض على الرأى العام مزايا ذلك النظام محاولا إقناع الأمة بالأخذ به . إن هذه الانظمة - مع كثرة عيوبها وما يحف بها من مواطن الضعف - لا يتعاملون بها مع كل من يتعامل معهم من الشعوب القوية والضعيفة والمشاهد من حالهم أنهم مع الشعوب القوية في عداة متواصل ، ومع الشعوب الضعيفة في بغى مخجل ، وما هكذا يكون أصحاب المبادئ الإنسانية السليمة ، والنظم البريئة التي يراد منها سعادة المجتمع في عصر يفتخر بحضارته وعلومه . فالوصف النظري الذي نسمعه من فصحاءنا وخطبائنا لبعض تلك النظم الاجنبية عنا ، لا نرى آثاره في البلاد التي اخترعته وعملت به وقلبت جميع الأوجه في تعديله وترقيعه وتحويره لينتج لها السعادة ، فكان أملها منه في السعادة كأمل الظلمآن بالمراب ، فكيف بنا ونحن الأجانب عن تلك النظم المخترعة لغيرنا ، ولو حاولنا استعارتها لكانت لنا كما تكون الالبسة التي تستعار للممثلين .

إن الدعاة لتلك الانظمة قرروا في مؤلفاتهم وأعلنوا في صحفهم ، أنها كل لا يتجزأ ، وهم يدعون هذه الأمة إلى أن تأخذ بهذا الكل الذي لا يتجزأ شامت أو أبت ، والأمة لها نظام فطرى نظيف ينظر إلى الحق من حيث هو حق وإلى الخير من حيث هو خير وتدين لله بقول خاتم رسله : « أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ، وقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في رسالته المشهورة إلى أبي موسى الأشعري واليه على البصرة : « آس بين الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

هذا النظام الفطرى الذى يقيم الحدود على الكبير والصغير سواء ، لا فرق بين عربى وعجمي إلا بالقوى ، وحث على استعمال الأصلح ، واختيار الأمثل فالأمثل للولايات العامة والوظائف ، وأوجب على ولى الأمر أن يقلد أعمال المسلمين لمن يجده صالحاً منهم ، فقد قال النبي ﷺ : « من ولى من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله » وفي رواية أخرى لهذا الحديث : « من قلد رجلاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه ، فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين » . وقد جاء كذلك عن عمر بن الخطاب أنه قال : « من ولى من أمر المسلمين شيئاً ، فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » ، ومعنى هذا أن النظام

الذى يكفل المساواة بين جميع الأفراد في الحقوق والواجبات ، ويجعل من الواجب على كل من ولى شيئاً من أمر المسلمين أن يوجه في موضع وفي كل عمل من الأعمال أصلح من يقوم به ويؤديه الاداء الصحيح ، فإن عدل عن الاحق الأصلح إلى غيره ، بسبب قرابة أو صداقة أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة ، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة ، أو لضغينة في قلبه على الاحق ، أو لعداوة بينهما ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين .

وهو النظام الذى يشعر الحاكم والمحكوم بأنهما سواء ، وهذا أبو عبيدة الجراح يضرب لنا أروع الامثال في هذا الباب ، فقد فتح بلد حصص ، فجاءوا له بطعام فاخر صنع له خصيصاً فما كان منه إلا أن سأل : أهذا الطعام قد أطعم منه الجيش ؟ فقالوا : كلا ، وإنما هو لك . فقال . ردوه . . . فإني لا أأكل طعاماً لم يأكل الجيش منه !!!

وقد جاء في الآثار أن بعض خلفاء بنى العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك ، فقال أدركت عمر بن عبد العزيز ، فقيل له يا أمير المؤمنين : أفغرت أفواه بنيك من هذا المال وتركتم فقراء لا شيء لهم . وكان في مرض موته فقال : يا بنى . . . والله ما منعكم حقاً هو لسكم ولم أكن بالذى أخذ أموال الناس فأدفعها إليكم ، وإنما أنتم أحد رجلين ، إما صالح ، فالله يتولى الصالحين ، وإما غير صالح ، فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله ، قوموا عنى . . .

هذه هي الامثال التى تضرب في معنى العدالة في ولاية أمور الناس ، وكلها تجمع على أن الإسلام دين لإنسانى محض ، وهو نظامنا الذى تؤمن به ، خلافاً للأنظمة الاجنبية عنا ، وإن العمل به ليجول هذه الامة إلى كتلة فولاذية مؤمنة بنظامها كإيمانها بسكبتها وقرآنها . والامر أعظم وأخطر من أن ترتجل فيه الخطط والنظم .

ونحن لا ندعو الامة وأهل الحل والعقد فيها إلا إلى التروى والتفكير والدرس والمقارنة . مع العلم بأن مصر لا تعلم منذ عشرة آلاف سنة إلى الآن حكماً أعدل ولا أراف ولا أسعد من الحكم الذى بسط جناح رحمته عليها في المائة السنة الاولى من الفتح الإسلامى ، ودليل عدله ورأفته وسعادته أن مصر باختيار منها تحولت إليه بأرواحها وقلوبها وألسنتها ، فكانت الدرة المتألقة في تاج الوطن العربى والإسلامى ، ويرجو لها كل محب لها أن تبقى كذلك إن شاء الله إلى ما شاء الله .

نشأة كتب الأمان وخصائصها

— ٢ —

تحدثنا في المقال السابق عن معاهد التعليم في صدر الإسلام والدولة الاموية . والآن
لتحدث عن العصر العباسي وما يليه فنقول :

أما في العصر العباسي وما يليه من الأعصر فقد استمرت تلك الوسائل ، وزيد عليها
معاهد جديدة . وهي :

المدرسة — : فما لاشك فيه أن المدارس من منشآت هذا العصر ، غير أنه بين المؤرخين
خلاف في تحديد الزمن الذي ظهرت فيه .

يقول (زيدان) في الجزء الثالث من كتابه تاريخ التمدن الإسلامي ، : د وقد أجمع
المؤرخون تقريباً على أن أول من بنى المدارس في الإسلام نظام الملك الطوسي وزير ملك
شاه السلطان السلجوقي في أواسط القرن الخامس الهجري . ومن الغريب أن ينقضى العصر
العباسي ويتم نقل السكتب وينضج العلم على اختلاف موضوعاته ولم ينشئ المسلمون مدرسة ،
أو أن ينشئوا المدارس ولا يرد ذكرها في تاريخهم .

ثم يقول (زيدان) : د على أننا رأينا فيما ذكره المسلمون عدة مدارس أنشئت
في نيسابور عاصمة خراسان قبل نظام الملك منها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة (٤٠٦ هـ)
ذكر ذلك ابن خلكان ، والمدرسة البيهقية نسبة إلى البيهقي المتوفى سنة (٤٥٠ هـ) بنيسابور ،
والمدرسة السعدية بنيسابور بناها نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوي ، ومدرسة
بنيت للأستاذ أبي إسحق الاسفراييني . وكل هذه المدارس بنيت قبل بناء المدرسة
النظامية ببغداد .

وهنا نقول لزيدان : إذا كان الامر كذلك فكيف جاز لك أن تقول د قد أجمع
المؤرخون على أن أول من بنى المدارس في الإسلام نظام الملك ، ؟

أما كان الأجدر أن تصاغ العبارة في أسلوب يقلل من هذا الاجماع أو يردّه أو يصرح
بنقده - على أننا نرى أن (زيدان) إنما نقل القول ببناء هذه المدارس عن شيخ الإسلام
السبكي ولم يشر اليه مما سنيته بعد .

والدليل على ذلك العبارة الآتية فهي بنصها مذكورة في كتاب «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي .

يقول «زبدان» : «ولعل السبب في اشتهار أسبقية نظام الملك في إنشاء المدارس الإسلامية أنه أول من بنى مدرسة كبرى في بغداد وجعل التعليم فيها بالمجان وفرض لتلاميذها الأرزاق» .

ونحن نقول إنما يرجع السبب في لإنشائها إلى استرضاء الشعب بنشر التعليم الديني وإجراء الأرزاق على الأساندة والتلاميذ ولتأييد المذهب السني والقضاء على مذهب الشيعة .

وقد ذكر شيخ الإسلام السبكي «في طبقات الشافعية الكبرى» في ترجمة نظام الملك فقال : «وشيعنا الذهبي زعم أن نظام الملك هو أول من بنى المدارس ، وليس الأمر كذلك ، فقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعدية بنيسابور أيضا ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعيد الإستراباذي الواعظ الصوفي ومدرسة رابعة بنيسابور بنيت للأستاذ أبي إسحق الاسفراييني . وقد قال الحاكم في ترجمة الأستاذ : لم يبن بنيسابور قبلها يعني مدرسة الأستاذ مثلها . وهذا صريح في أنه بنى قبلها غيرها ، ثم يقول السبكي «وقد أدت فكرى وغاب على ظنى أن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة ، فإنه لم يتضح لى هل كانت المدارس قبله بمعالم للطلبة أولا ، والأظهر أنه لم يكن لهم معلوم» .

وذكر ياقوت في «معجم الأدباء» أن أحمد بن عبد الملك بن أحمد (٣٨٨ - ٤٧٠ هـ) كان يؤذن على منارة المدرسة البيهقية .

وذكر المقرئى : أن أول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور ، فبقيت بها المدرسة البيهقية .

ومهما يكن من شيء فإن العصر العباسى هو الذى أنشئت فيه المدارس ، بمعنى أما كن خصوصية لدراسة العلم رتبت فيها الدروس على درجات ورتبت وظائف للطلبة والعلماء وظائف (أى مرتبات) وجعلت منهم طائفة يبيتون في المدارس بما يشبه النظام في مدارسنا . هذا في المشرق . أما في مصر فقد قال ابن خلدكان :

لما ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب بالديار المصرية في القرن السادس الهجرى لم يكن بها شيء من المدارس فبنى السلطان صلاح الدين بالقراة الصغرى المدرسة المجاورة

للإمام الشافعى وبنى مدرسة مجاورة للمشهد الحسينى بالقاهرة ثم مدرسة للحنفية وبنى مدرسة للشافعية ومدرسة للبالكية - ثم اختفى أثره فى ذلك بنو أيوب فى ممالكهم بمصر والشام ثم سلاطين المماليك من بعدهم .

من ذلك يتبين أن المسلمين سبقوا الأوربيين فى إنشاء المدارس بأكثر من (٥٠٠ سنة) .

قال د نيكلسون ، فى كتابه ، التاريخ الأدبى للعرب :

« بينما كانت المبادئ الأولى للتعليم فى أوربة المسيحية خلال القرن العاشر الميلادى محصورة بين القسوس والرهبان ، كان كل فرد فى الأندلس تقريباً يستطيع أن يقرأ ويكتب ، ويعبر د هيوار د فى كتابه - تاريخ الأدب العربى - عن مدرسة بغداد النظامية بأنها الجامعة النظامية .

وكذا د نيكلسون ، يعبر عنها بالكلية النظامية ، وأحياناً بالأكاديمية النظامية .

وبودنا لو نطيل البحث فى كل هذه المدارس وبرامجها ونظمها وأثرها لولا أن هذا ليس بموضوع بحثنا .

وعلى الرغم من كل هذه النصوص التاريخية التى يبين فيها فضل العرب وسبقهم فى هذا المضمار مما يبرهن على أن الشرق أستاذ الغرب وأن الغرب مدين للشرق دين التلميذ لأستاذه ، فإننا لا نعدم باحثاً غير منصف مثل (أندريه سيرفيه) يقول فى كتابه ، الإسلام وعلم النفس عند المسلمين ، :

« إنه لا فضل للعرب على العلم والتعليم والحضارة ، إذ لم تأت أعمالهم بشئ حسن ، فالحياة العربية كانت مجدبة تقريباً لم تسكد ثمر ، .

ولإزاء هذا رأى الخاطى آراء أخرى منصفة لمستشرقين اعترفوا بفضل العرب وقدرهم خير تقدير . من أولئك المستشرق الانجليزى (استانلى لين بول) والأستاذ الأمريكى (درابر) فى كتابه ، النزاع بين الدين والعلم ، .

ومن أساليب التعليم التى لها الأثر فى هذا العصر مجالس الإدباء والشعراء فقد زادت فيه تلك المجالس ، وكان المسجد أكبر معهد لها . فكان مسجد عمرو فى مصر ، ومسجد البصرة ، ومسجد الكوفة ، والحرم المكي ، والحرم المدينى ، وغيرها من المساجد كمسجد ابن طولون ، والجامع الأزهر تقوم مقام الكليات والجامعات فى عصرنا .

فكان يجلس الإمام في قبة بجانب سارية من ساريات المسجد ويجتمع الطلبة حوله . فكنت ترى هنا حلقة لعلوم الدين ، وهناك حلقات لعلوم العربية ، وحلقات لعلماء الكلام ، وحلقات للشعر والأدب .

ففي سنة (٢٥٣ هـ) رحل الطبري إلى مصر وأملى في مسجد عمرو شعر الطرماس عند بيت المال في الجامع . وحكى المرزباني في كتابه « الموشح » ، أن مسلم بن الوليد كان يملئ شعره في المسجد .

وكان أبو العتاهية يجلس في المسجد وحوله الناس . وقال أبو محمد اليزيدي . كان أبو عبيدة يجلس في مسجد البصرة إلى سارية وكنت أنا وخلف الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى .

ومن هذه المجالس أيضاً مجالس المناظرة ، فكانت تعقد في الدور والقصور وفي المنازل وأقبيتها وفي مجالس الخلفاء وبحضرة الإمراء . وقد حكى لنا بعض كتب النحو مناظرات بين العلماء في المسائل النحوية والصرفية واللغوية . وقد جاءت فصول ممتعة منها في الجزء الثالث من كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطي .

والآن وقد وصلنا إلى هذا الحد ، يجدر بنا أن نفتقل إلى نشوء كتب الآمالى وخصائص كل . فكتب الآمالى ثمرة من ثمار تلك المجالس التي ذكرناها ، ونتيجة لنظام الرواية التي تشعبت طرقها وتطورت حياتها وهي صورة لا بد منها لعدم وجود الطباعة . فلنبداً أولاً ببيان ما طرأ على الرواية من تغيير وتبديل . وذلك :

أولاً : أن الرواية أصبحت صناعة علمية عرف بها نفر وهم الذين إليهم ينتهى الإسناد في الأدب ، إذ لا إسناد في الروايات يكاد يرجع الى عرب الجاهلية . ومن رجال الرواية الذين كونوا الطبقة الأولى حماد الراوية المتوفى سنة (١٥٥ هـ) وهو أول من خص بلقب الراوية من الأدباء ، وكأبى عمرو بن العلاء المتوفى سنة (١٥٤ هـ) ، وكأبى عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة (٢٠٩ هـ) ، وكالاصمى المتوفى سنة (٢١٤ هـ) . فهؤلاء عمدة الرواة ، وعندهم أخذ الأدباء .

ثم ظهرت الطبقة التي أخذت عن هؤلاء ، وقد رأت هذه الطبقة أن ما بعث على الإسناد في الحديث قد تحقق في الأدب من افتعال اللغة والتزيد في الاخبار والصنعة في الشعر ، فلذا

أوجبوا الإسناد فى الآدب . وهذا أثر من آثار الحديث فى الآدب ، فلولاء الحديث وإسناده لما خلصت اللغة من شائبة الكذب والتدليس .

ثانياً : قد عنى المحدثون بعلم الرجال أتم عناية وأكملها ، فحاکهم فى ذلك علماء الآدب ، فجرحوا من جرحوا وعدلوا من عدلوا ، فالجرح والتعديل انتقالاً من الحديث إلى الآدب .

فعدلوا الخليل بن أحمد وأبا عمر بن العلاء ، وجرحوا قطرباً .

ثالثاً — أن الراوية الآدبية ضعفت فى القرن الرابع حين كثرت الكتب . فأصبح الإسناد من يومئذ مقصوراً على تلقى الكتب وروايتها بالسند عن مؤلفيها ، لأن العلم قد نضج وكملت فنونه ، فقلما يظهر كتاب لإمام فى فقه . إلا سارع الناس إلى قراءته عليه ، أو يقرأ عليه وهم يسمعون . فكان أبو العباس ثعلب إمام الكوفيين المتوفى سنة (٢٩١ هـ) يحفظ كتب الفراء كلها . والفراء أملى هذه الكتب هذه الكتب كلها من حفظه إلا بعض أوراق استعان فيها بالمراجعة — كما يذكر ابن خلكان — وكان مقدارها ثلاثة آلاف ورقة . وهنا لا بأس بأن نستطرد إلى تحديد معنى ثلاث كلمات تصادفنا كثيراً فى كتب الآدب .

الكلمة الأولى : « الوراقون » ، والثانية « الورقة » ، والثالثة « المجلد » ، أو « المجلدة » .

أما الوراقون : فهم الذين صنعتهم الوراقه .

والوراقه كانت حرفة احترافها كثير من العلماء ، وهى انتساخ الكتب ، وتصحيحها ، وتجليدها ، والتجارة فيها ، فهى تقوم مقام الطباعة فى عصرنا هذا ، بل أكثر منها ، إذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتاب — أو ينسخ تحت إشرافه — ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيه تحريف ويجلده ويبيعه ، وقد كان ابن النديم صاحب كتاب « الفهرست » وراقاً . ذكر ابن خلكان فى ترجمة (الفراء) نقلاً عن الخطيب فى تاريخ بغداد : أن الفراء لما اتصل بالمسأمون أمره أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية ، وأمر أن يفرد بحجرة من حجر الدار ، ووكّل به من يخدمه ويقضى له حاجاته ويؤذّنونه بأوقات الصلاة ، وصير له الوراقين والزّمه الامناء ، فكان يملئ الوراقون يكتبون حتى صنف كتاب الحدود فى سنتين (وهو يريد بالحدود التعاريف ، كحد المعرفة والنكرة ، وحد

النداء والتزخيم . وهذه أمور لم يعتد بها سيويوه كثيرا في كتابه ، لأنها أثر من آثار المنطق والفلسفة في النحو) .

فبعد أن فرغ الفراء من ذلك خرج الى الناس وابتدأ بكتاب المعاني . قال الراوى : وأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم ، فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيا ، فلم يزل يمليه حتى آتته . ولما فرغ من كتاب المعاني خزنة الوراقون من الناس ليسكبوا به وقالوا لا نخرجه إلا لمن أراد أن ننسخه له على خمس أوراق بدرهم . فشكا الناس إلى الفراء فدعا الوراقين فقال لهم في ذلك . فقالوا : إنما صحبناك لنتفع بك ، وكل ما صنفته فليس بالناس إليه من الحاجة ما بهم إلى هذا الكتاب ، فدعنا نعيش به .

فقال : فقاربوهم تفتعوا ويذفعوا . فأبوا عليه . فقال سأريكم ، وقال للناس : إني مل كتاب معان أتم شرحاً وأبسط قولاً من الذى أملت . فجلس يمل فأملى (الحمد) فى مائة ورقة ، فجاء الوراقون إليه وقالوا نحن نبليغ الناس ما يحبون ، فذسخوا كل عشر أوراق بدرهم .

وكان سبب إملائه (كتاب المعاني) أن أحد أصحابه وهو عمر بن بكير كان يصحب الحسن بن سهل ، فكتب إلى الفراء : أن الأمير الحسن لا يزال يسألنى عن أشياء من القرآن لا يحضرنى عنها جواب ، فإن رأيت أن تجمع لى أصولاً وتجعل ذلك كتاباً يرجع إليه فعلت . فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه : اجتمعوا حتى أملى عليكم كتاباً فى القرآن . وجعل لهم يوماً ، فلما حضروا خرج إليهم ، وكان فى المسجد رجل يؤذن فيه وكان من القراء ، فقال له اقرأ فقرأ فاتحة الكتاب ، ففسرها حتى مر فى القرآن كله على ذلك يقرأ الرجل ، والفراء يفسره ، وكتابه هذا نحو ألف ورقة .

وقد سقنا هذه القصة لأنها صورة واضحة من الصور التى كان عليها الإملاء .

وذكر (متز) فى كتابه « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » : « وقد قيل إن من آفات العلم خيانة الوراقين ، وكان العلماء الذين يحرصون على سلامة العلم يذسخون كتبهم بأنفسهم إن استطاعوا . »

أما الورقة : فقد قدر ابن النديم فى الفهرست ما ذكره من المؤلفات بعدد الاوراق ، ويريد بها الورقات السلمانية ، منسوبة إلى سليمان بن راشد الذى كان والياً على خراسان فى أيام هرون الرشيد ، ومقدار ما فى الصفحة من هذه الورقة عشرون سطراً . وكان قدر كتاب الاغانى المطبوع فى واحد وعشرين جزءاً بخمسة آلاف ورقة من ذلك الغرار .

أما المجلد : فى اصطلاحهم . فقد ذكر ابن خلكان فى تاريخ أبى محمد اليزيدى النحوى عن أبى حمدون الطيب بن إسماعيل قال : شهدت ابن أبى العتاهية وقد كتب عن أبى محمد اليزيدى قريباً من ألف مجلد عن أبى عمرو بن العلاء خاصة فيكون ذلك عشرة آلاف ورقة . لأن تقدير المجلد عشر ورقات .

والآن يمكننا أن نأخذ فى الحديث عن كتب الامالى وموعدها المقال الآتى إن شاء الله .

عبد الوهاب محمود

الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة

أقدم الخرائط الرمزية من اليمن

جاء فى مجلة المقتطف (م ٦٩ ص ٤٥٩) : إن أقدم الخرائط الرمزية خريطة محفورة على حجر من القرن التاسع قبل المسيح وجدت فى بابل . ويظهر من شكلها أنها من جنوب بلاد العرب ، مما يدل على قدم العمران هناك . وقد ظن الدكتور ويدر أن خريطة الاصطخرى — أول جغرافى العرب — التى صنعها فى القرن العاشر الميلادى بنيت على هذه الخريطة . ومن المحتمل أيضاً أن بطليموس بنى خريطته عليها فى إيصاله إفريقية بآسيا عند الاوقيانوس الهندى .

صَدَى قَامَتِي مَجَلَّة دَارِ التَّقْرِيبِ

لما اطلعنا في العدد الرابع للسنة الرابعة من مجلة دار التقريب (ص ٣٦٩) على فتوى مجتهد الشيعة محمد حسن الاشتياني التي نقلها رئيس المحكمة الشرعية الشيعية العليا عن الاصل الرابع من أصول الفقه الشيعي في كتاب (بحر الفوائد) للاشتياني المذكور، ومضمونها الإباحة للمسلم بأن لا يؤمن بما ثبت صدوره عن النبي ﷺ من أمور الغيب مثل كيفية خلق السموات والارض ووصف الجنة، بدعوى أن هذه الأمور الغيبية لا تدخل لها بشرية سيد المرسلين ٩١.

وفي ذلك العدد نفسه من مجلة دار التقريب (ص ٢٩٢ - ٢٩٣) دعوة للمجالس التشريعية والنيابية في العالم الإسلامي بأن تنسخ ما نشاء من آيات القرآن وأحكامه بدعوى أن النسخ في القرآن لم يفته حكمه بوفاء الرسول ﷺ، بل إن آية د وأمرهم شورى بينهم، نقلت حق التشريع من الله إلى الأمة، فالله عز وجل د كان هو المشرع ابتداء، ثم غدا التشريع إلى الأمة انتهاء ٩١.

لما اطلعنا في مجلة دار التقريب على هاتين القاصمتين الخبيثتين، رأينا أن من أول واجبات كل مجلة إسلامية في العالم - وعلى رأسها مجلة الأزهر - أن تستنكر هذه الجراءة على الله ورسوله. ولا ريب في أننا أدينا بعض ما يجب على كل مسلم بما كتبناه في ص ٣٢٩ - ٣٣٠ من الجزء الثالث لهذه السنة بعنوان د قاصمتان خبيثتان في مجلة دار التقريب، وبما نشرناه لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء في ص ٢٨٣ - ٢٨٧ بعنوان د طوائف، ولفضيلة الاستاذ المحقق الشيخ محمود النواوي المفتش بالأزهر في ص ٢٨٨ - ٢٩٥ بعنوان د نظام الإسلام السيامي، وهو نفس العنوان الذي كان لمقالة الدعوة إلى نسخ القرآن في مجلة دار التقريب.

وكنا نتوقع من مجلة دار التقريب أن تعتذر في أول جزء يصدر منها بعد الجزء الذي تلتطخ بتلك المقاليتين، بأى عذر يقبله أهل العقول، ولكنها آثرت السكوت، واكتفت

بنشر مقالة الدكتور محمد يوسف موسى بعنوان « في سبيل القرآن والسنة » التي علق فيها على القاصمتين بقوله (في العدد الاول ، السنة الخامسة ، ص ٨٠) :

« في هذين الرأيين تعرض خطير لأقدس ما يحرص عليه المسلمون ، وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنة رسوله الحكيم الذي لا ينطق عن الهوى . ومن أجل هذا ليس من الممكن أن يمر المسلم بهما كما يمر بكثير من الآراء الخاطئة المنتشرة هنا وهناك ، بل يجد من الواجب الديني والعلمي مناقشتها مناقشة موضوعية لا هدف لها إلا معرفة الحق . »

ثم قال عن موضوع النسخ : « وهذا الرأي على خطأه الواضح له عرق قديم في تاريخ الفكر والآراء . لقد قال من قبل برأى قريب منه نجم الدين الطوفي ، »

قلنا : ورأى الطوفي يدور حول تقديم المصلحة على النص ، متجاهلاً الحقيقة التي برهن عليها أئمة الإسلام وآخرهم معاصره شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهي أنه ليس في الشريعة الإسلامية نص صريح يخالفه العقل الصحيح أو المصلحة الشاملة . وقد تطرأ مصلحة شاذة تكسر الموت من الجوع على من لا يجد إلا اللحم الميتة ، أو خطر الموت بالغصة على من لا يجد ما يسوغها به إلا الخمر ، فيفتنذ يعمل في أمثال هذه الحالات الشاذة والخاصة بقاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » ، مقيدة بالحدود الضيقة في القاعدة الأخرى : « الضرورة تقدر بقدرها » . ورسالة الطوفي في هذا الموضوع كانت مجلة المنار قد نشرتها وعلقت عليها في المجلد التاسع . ثم أعادت نشرها مجلة دار التقريب نفسها بالعدد الأول من سبها الثانية ، ورد عليها علامة النجف الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء .

ولثلا ينخدع بعض القراء بالطوفي (٦٥٧ - ٧١٦) ، على بعد ما بين مذهبه ومذهب الداعية إلى نسخ القرآن ، فنبه إلى أنه أحد الأذكياء المتسلاعين بالمذاهب والعقائد ، ولد في قرية طوف من قرى منطقة صرصر على نهر عيسى بالعراق في طريق الحاج من بغداد ، وانتقل إلى الشام أيام شيخ الإسلام ابن تيمية فلم يجد فيها لهنمة العسكرية مرتعا ، فخرج منها وهو يهجو أهلها ، ثم حضر إلى مصر وانتضح بها ، وحكم عليه قاضي الخبابة سعد الدين الحارثي بالعزير والضرب والحبس بسبب عقائده الباطلة وإطالة لسانه على أم المؤمنين عائشة

وقوله في صاحبي رسول الله ﷺ وخليفته على أمته سيدنا أبي بكر الصديق وسيدنا على ابن أبي طالب رضى الله عنهما :

كم بين من شك في خلافته وبين من قيل إنه الله !
وهو الذى يصف نفسه بقوله (على ما جاء في كتاب الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر ٢ : ١٥٥) :

حنبل رافضى ظاهرى أشعرى ، إنما لأحدى الكبر
ونقل الحافظ ابن حجر كلاما له يدل على جهله بالسنة ، ثم نقل الرد عليه من قول الحافظ ابن رجب بما لا يتسع المقام لبسطه .

ونقل ابن حجر أيضاً قول ابن مكتوم في ترجمة الطوفى من تاريخ النحاة : د قدم علينا في زى الفقراء ، ثم تقدم عند الحنابلة ، فرفع إلى الحارثى (قاضى الحنابلة بمصر) أنه وقع في حق عائشة فعززه وبجته . . ثم أطلق فسافر إلى قوص ، .

ونقل ابن حجر عن الصلاح الصفدى أنه لما حوكم أخرجوا بخطه هجواً في الشيخين . (أبى بكر وعمر) وبعد حبسه أطلق وتوجه إلى قوص فنزل عند بعض النصارى .

وقال الحافظ ابن رجب في طبقات الحنابلة : وذكر بعض شيوخنا عن حدثه أنه كان يظهر التوبة ويتبرأ من الرفض وهو محبوس . قال ابن رجب : وهذا من نفاقه ، فانه لما جاور في آخر عمره بالمدينة صحب السكاكينى شيخ الرافضة ، ونظم ما يتضمن السب لأبى بكر . ذكر ذلك عنه المطرى حافظ المدينة ومؤرخها .

وانظر ترجمة الطوفى في الدرر الكامنة (٢ : ١٥٤ - ١٥٧ طبع حيدر آباد الدكن بالهند) وفي شذرات الذهب لابن العماد (٦ : ٣٩ - ٤٠ طبع القاهرة) .

وعلى كل حال فان هذا الحنبلى الرافضى الظاهرى الأشعرى المتلاعب بالعقائد والمذاهب ، لم يرد في رسالته موضوع البحث على أن المصلحة تقدم على النص ، أما دعوة المجالس الثيائية والتشريعية في البلاد الإسلامية إلى أن تفسخ ما أنشأ من القرآن فلا نظن أن في السكرة الأرضية صحيفة تنسب إلى الإسلام تبلغ بها الجرأة إلى أن تعلن ذلك وتفسره .

ثم علق الدكتور محمد يوسف موسى (ص ٨٤) على كلام المجتهد الشيعى محمد حسن الاشتيانى بقوله : د ومن العجب أن يضرب المثل بخلق السماوات والأرض وأحوال

الدار الآخرة لما لا يجب التدين به من أقوال الرسول وإن علمنا بصدوره عنه ، بدعوى أن ذلك لا دخل له بشريعة سيد المرسلين ! إن مهمة الرسل الذين اصطفاهم الله من خلقه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، تقوم - أول ما تقوم - على إثبات وحدانية الله ووجود الدار الآخرة وتفهم من أرسلوا إليهم شيئاً من أحوال هذه الدار ليسهل عليهم التصديق بها ، فكيف لا نجعل ذلك مع كيفية خلق العالم من الشريعة التي جاء بها رسولنا عليه الصلاة والسلام ١٩ لو أن الكاتب ضرب الأمثال لما لا يجب التدين به في رأيه من أحاديث الرسول بشيء مما يعرف بالتجربة كأموال هذا العالم الذي نعيش فيه ^(١) لكان له بعض العذر ، ولكن خلق العالم وأحوال الدار الآخرة وأمثال ذلك ، من الأمور التي لا يمكن أن تعرف بيقين إلا بوحى من الله ، لأنها من عالم الغيب لا عالم الشهادة ، فكيف نفهم أو نتصور أن الرسول كان يجازف ويقول في شيء من ذلك برأيه ١٩ وهذا ، فضلاً عن أن هذه الأمور جاء بها القرآن ، فهل نقول : لا يجب التدين أيضاً بما جاء عن ذلك في القرآن ، وهو كثير ٩١ .

ومن صدى قاصمتى مجلة دار التقريب أن رصيفتنا القديمة (مجلة العرفان) الغراء وهي لسان الشيعة في جبل عامل ، رأت الطريق المختصر للخروج من ورطة الفتوى الشيعية بأن تنبرأ من هذا المجتهد الشيعي ، أي الاشتياني ، فقالت في الجزء الثاني من المجلد ٤٠ ص ٢٢٨ : « ونحن لا نعرف شيئاً عن هذا الاشتياني وعن آثاره ، بالرغم من كثرة الكتب المخطوطة والمطبوعة طبع لإيران عندنا ، بل نعلم أن مراجع الشيعة في القرن الثالث عشر هم : الميرزا حسن الشيرازي المتوفى سنة ١٣١٢ ، والميرزا حبيب الله المتوفى سنة ١٣١٤ ، والشيخ محمد حسين الكاظمي المتوفى سنة ١٣٠٦ . ولو سلمنا أن الاشتياني قال ذلك فيكون شاذاً عما يعتقد الشيعة ، وسواء كان الاشتياني أو الشيخ محمد جواد مغنية فقوله ليس حجة على الشيعة . وهذا قول حسن نشكر رصيفتنا مجلة (العرفان) عليه ، ولكن أين هذا الكلام من دعوى الشيخ مغنية بأن مثل هذا الاجتهاد الشيعي لو اطلع عليه الخواص من علماء السنة لقويت ثقتهم بالشيعة ونفكيرهم ٩١ . »

وأهم ما نعتبره صدى لقاصمتى مجلة دار التقريب رسالة مطولة حملها إلينا بريد العراق من أحد كبار مجتهدى الشيعة في هذا العصر وهو الشيخ محمد مهدي الخالصي ، وكنا نود

(١) مجلة الازهر - أي كسالة تأييد النخل وشئون الصناعات والمهن .

لو اقتضت رسالته على هذا الموضوع ، إذن لنشرناها بحذافيرها ، ولكنها تعرضت لأمور كثيرة في غير موضوعنا هذا ، وفي كل سطر منها فقرة لو نشرناها لاضطررنا إلى الجواب عليها بمقال أو أكثر ، فبعد أن نكون مع الاشتياني ومغنية ودار التقريب ، نفتقل إلى مناقشات عقيمة ليس من خطتنا الخوض فيها إلا عند الضرورة ، وإنما نحن الآن في موقف دفاع ، نستنكر فيه كل منكر في الدين ، لأن مجلتنا تأسست يوم تأسست لبيان الحق في مثل هذه المواقف .

ومما يدخل في موضوعنا من رسالة العلامة مجتهد الشيعة الشيخ الخالصي أنه نقل لنا نص كلام الاشتياني في كتابه بحر الفوائد مطولا غير مختصر . والخالصي كان ينتظر منا قبل أن نكتب ما كتبناه أن نطلع على كتاب الاشتياني لنثبت بما عزي إليه فيه . ولكن إذا كانت مكتبة رصيفتنا مجلة (العرفان) ليس فيها كتاب الاشتياني ولم يسمعوا باسمه ، فإن من تكليف التعجيز تكليفنا بأن نكون أكثر اطلاعا على كتب متأخرى الشيعة من الشيعة أنفسهم . ومع ذلك فإن حملتنا لم تسكن على الاشتياني ولا على كتابه ، بل على الكلام الصريح المنشور في مجلة دار التقريب منقولا لها من قاض شيعي كبير يعرضه على أهل السنة على أنه نموذج ممتاز من اجتهادات الشيعة التي يباهون بها عند أهل السنة ، فكان موقفنا من ذلك هو الموقف السليم الذي لا ينبغي غيره لأمثالنا . وسواء عندنا بعد ذلك أكان هذا الكلام من قول الاشتياني أو مغنية أو المجلة نفسها ، لأننا لم نسكن في معرض الحكم على الاشتياني بالذات ، بل في معرض الحكم على كلام صريح ، وقد تلطفنا كثيراً في الحكم عليه .

على أننا باطلاعنا على النص المفصل الذي نقله المجتهد الخالصي رأينا أن الاشتياني يعتبر أحاديث رسول الله ﷺ في أمور الغيب لا تخبر عن الأمر الديني ؟! كأن الإيمان بالغيب ليس عنده من صميم الإيمان الإسلامي ؟! ويجزم بأنه لا إشكال في أنه لا يجب التدين به ؟! بعد حصول العلم به ؟! فضلا عن الظن به ؟! ولما رأى نفسه قد تورط وأسرف وأشنى على الشفيع ، استدرك على نفسه فقال : نعم ، لا يجوز إنكاره بعد ثبوته من حيث إيجابه لتكذيب النبي فيكون كفراً ، وهذه هي الفقرة التي أهلها الشيخ مغنية وتعلق بها الخالصي . وفيما عدا ذلك فإن ما نقله الشيخ مغنية كان أمينا فيه . بقي أمر الجمع بين قول الاشتياني عن الحديث الثابت صدوره عن النبي ﷺ في شعب الإيمان بالغيب بأنه لا إشكال في أنه لا يجب التدين به بعد حصول العلم به ، وقوله لا يجوز إنكاره بعد ثبوته ، فقد وقف مرديده على صراط أدق من الشعرة فوق واد من أودية الجحيم بتحريضه

لإيائهم على عدم التدين بما صح صدورهم عن النبي ﷺ من أمور الغيب ، وفي عدم تجويزه إنكاره بعد ثبوته . وهو موقف لا نعرف مسلماً يحسد عليه هذا المجتهد الاشتيائي الذي أثنى عليه المجتهد الخالصي مستنكراً براءة مجلة (العرفان) منه فقال عنه : « إنه من تلاميذ الشيخ المرتضى الأنصارى في النجف وأكبر علماء طهران عاصمة إيران طيلة ملكية ناصر الدين شاه ، أى مدة خمسين سنة ، وكتابه (بحر الفوائد) من أنفس الكتب في أصول الفقه وهو مشهور بين العلماء » .

ثم يقول مجتهد الشيعة العلامة الخالصي في رسالته إلينا : « وأما مجلة رسالة الإسلام ، فأنا أعرف بعض كتابها وأشكرهم على حسن نيتهم ، وأطلب منهم أن يواظبوا على التحصيل والدراسة ، ويتنوعوا عن نشر مجلّتهم ، إلى أن يتقنوا ما في دين الإسلام ، فإنها غير خالية من بعض النقول ، والاستاذ مغنية سلمه الله غير معذور في نقله صدر عبارة الاشتيائي وطرحه تمام كلامه حتى نقلته مجلة رسالة الإسلام جهلاً ، وأوقعت مجلة الأزهر في هذا الخطأ العظيم (كذا ١) الذي لا يرد عقابه إلا حسن النية والاستغفار » (٢) ولا تحسبوا أن علماء العراق يكتبون شيئاً في رسالة الإسلام لأن المقالات التي تنشر فيها يكتبها غالباً مبتدئون في التحصيل لأن علماء العراق استولى عليهم اليأس من المجلات والنشرات ، لما يرونه فيها من الشذوذ ، ولم أجد في رسالة الإسلام إلا مقالا لعالم واحد غصب (٣) . » .

وبما تعرض له المجتهد الخالصي في رسالته إلينا دعوة الأزهر ومجلته إلى السعي في جمع الكلمة . وهي فرصة طيبة تتيح لنا الكلام في موضوع جمع الكلمة وأمنية التقريب : نحن بقدر ما نؤمن باستحالة التقريب بين مذهبين دينيين — حتى لو كانا من أصل واحد كالشافعي والحنفي — فإننا نؤمن كذلك بضرورة تعاون جميع أهل المذاهب المنسوبة إلى الإسلام على كل ما فيه مصالحهم الدنيوية والاجتماعية ، كمقاومة الاستعمار ، وكالتعاون على ما يصلح المسلمين في أخلاقهم ومعايشهم وأسباب تقدمهم . أى أن التعاون في المصالح

[١] مجلة الأزهر — إذا كنا نستحق العقوبة التي لا يردّها إلا الاستغفار بعد ثبوت حسن النية ، لأننا تعرضنا لقدس الأنداس بما تحدثنا به عن الاشتيائي وفتواه ، فما الذي يستحقه الاشتيائي لتقرير أن ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث في أمور الغيب لا يجب على المسلم التدين به لانه لا يخبر عن الأمر الدينى ؟
أنا نرجو المثوبة من الله على موقفنا من الاشتيائي ، وليحاسب الخالصي نفسه على موقف الاشتيائي من النبي صلى الله عليه وسلم وما صح عنه من أحاديث الإيمان بالغيب الإلهي .

[٢] مجلة الأزهر — لعل المجتهد الخالصي يهجر إلى رد كاشف الغطاء على الطوفى .

الاجتماعية والمعيشية والخلقية مطلوب بين أهل المذاهب الإسلامية ، أما التقريب بين المذاهب نفسها بفتح الأدبية لذلك وإصدار المجلات لهذه البحوث خاصة فإنه يدعو الى عكس ما يراد منه .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن جميع فقهاء الشافعية والحنفية المعاصرين لنا لا يملكون أن يقربوا بين هذين المذاهبين - وهما من أصل واحد - في أى حكم فقهي تحكم الشافعية بأن لمس الزوج المتوضىء يد زوجته ينقض وضوءه ، وحكم الحنفية بعكسه . وحكم الشافعية بأن خروج الدم من المتوضىء لا ينقض وضوءه ، وحكم الحنفية بعكسه . فلو حاول بعض الشافعية والحنفية أن يقربوا بين المذاهبين بغير ما هو مقرر فيهما لخرجوا بذلك عن المذاهبين ولاحدثوا به مذهباً جديداً لا يعترف لهم به الشافعية ولا الحنفية

أما التعاون الآخر الذى يتناول مصالح أهل المذاهب الإسلامية في شئونهم الأدبية والعلمية والاجتماعية وعزتهم المالية فنحن من أقدم دعاة . ونضرب المثل لذلك في هذا المقام بأن فقيه العلم الشيخ أبا عبد الله الزنجاني لما قدم من إيران إلى مصر للمرة الثانية قبل نحو سبعة عشر عاماً اقترح رئيس تحرير هذه المجلة على مولانا صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر إقامة حفلة تكريم له في دار الهداية الإسلامية ، للتوصل الى المودة المطلوبة بين أهل القبلة ، وكانت الحفلة التى أقيمت له في جمعية الهداية الإسلامية يومئذ عظيمة جداً وحافلة بأهل الفضل ، وخطب فيها مولانا الأستاذ الأكبر والشيخ أبو عبد الله الزنجاني ، وكان كاتب هذه السطور هو الساعى في ذلك ، ولا يزال إلى هذا اليوم مقتبظاً بما فعل . أما العبث بالمذاهب بدعوى التقريب بينها فلم يأت يوماً بخير ، ولا يرضى عنه العلماء من أهل كل مذهب ، ولا يترتب عليه إلا لإحداث فرقة أخرى . وموقفنا نحن من كل ذلك هو موقف من يدرأ المفسدة عند وقوعها من أى جهة وقعت ، ولذلك تأسست هذه المجلة قبل نحو ربع قرن ، وعلى ذلك هى اليوم وبعد اليوم إن شاء الله .

وقبل أن نختم هذه الكلمة - نقدم الشكر للأستاذ الخالصى على هدية لمكتبة المجلة وصلت إلينا منه ، وهى مؤلفاته ، ومنها (إحياء الشريعة في مذهب الشيعة) وكتابه (الشيعية والباوية) ومراسلته الى قوام السلطنة لما أراد رضا فهلوى شاه محو الشيعة من إيران وإقامة المجوسية والباوية دينا للإيرانيين ، وغير ذلك من الرسائل ، فنكرر الشكر له .

حج الدين الخطيب

فصل الدين عن الدنيا إن صَحَّ في دينٍ لا يَصَحَّ في دينٍ الإسلامِ

فصل الدين عن الدنيا ، تلك الاسطورة التي عرفت في أوروبا في القرون الوسطى ، وأصبحت فكرة عامة تأثر بها الكتاب عندنا واقتضتها هناك في ذلك التاريخ تصرفات القسوس والباباوات ، لا يوجد مثلها في المجال الإسلامي ، لأنه لا يوجد في الإسلام رجال دين يدعون لأنفسهم الوساطة بين الله والناس ، ولا أن ييدهم الجنة والنار يمنحون منهما كيف شاءوا ، ولا أن ما يربطونه في الأرض يرتبط في السماء ، ولا رسوم مالية في الموت ولا في الحياة ، ولا معمدان ولا اعتراف ولا أى لون من هذه الألوان التي أخذت على الأحرار أنفاسهم فضايقوا بها ذرعا ولم يفتنوا منها إلا بقرار فصل الدين عن الدنيا في سنة ١٨٧٠ متدربين بما قيل عن المسيح سلام الله عليه من قوله « إن ملكتي ليست من هذا العالم » ، وقوله « أعطوا ما لله الله وما لقيصر لقيصر » ، وإنما الإسلام دستور إصلاحى اجتماعى عالمى ليس فيه عصبية لأحد على أحد ولا لطائفة على أخرى ، ولا شعب يرفعه فوق شعب ، ولا جنس يعلم به على جنس ، فهو الدين الخالى من ألوان العصبية جميعها ، وأية أمة تعتقه وتقيم مبادئه وحدوده تكون هي الأمة الفضلى التي تستحق الزعامة على العالم الإسلامى جميعه لا زعامة أوتوقراطية ، ولكنها زعامة ديمقراطية حقة بالمعنى الذى ينشده أول من تكلموا في الديمقراطية .

فالإسلام الذى يدرس الآن في الأزهر وفي سائر المعاهد الدينية والذى هو مستمد صراحة من القرآن الكريم ونصوص السنة المحمدية التي هي شرح وبيان للقرآن ، وأعمال الخلفاء الراشدين ، وأفهام الصحابة وفقههم في تلك النصوص ، واجتهاد المجتهدين في ذلك ، كل ذلك مدون فيما يسمى كتب الفقه الإسلامى ، مفصل إلى فصول وأبواب وكتب في جميع شئون الدولة وسياستها الداخلية والخارجية ، وكل معاملته تقع بين اثنين على نحو أوسع وأدق وأعدل من كل قانون في العالم للبشر ، لأنه ينتهى إلى أسس ليست من وضع البشر ، ولم تتأثر بأهواء بعضهم على بعض ومظامع بعضهم ببعض .

وأول حجر أساسي في صرح الإسلام؛ هو أفراد الله بالعظمة ، واستواء جميع البشر بعد ذلك في سلك المساواة التامة ، لا فرق بين ملك وصعلوك . وحسب العالم دليلاً على نصاعة مبادئ الإسلام ثورة مصر هذه الصارخة التي دلت على أن الخروج على الإسلام ومحاربة أهدافه وانتهاك حدوده ومبادئه شر مستطار حيث وضعوا في دستور الدولة أن الملك غير مسئول وأن ذاته لا تمس ، تلك المادة التي حاربوا الله بها ، حيث جعلوا الله شريكاً آخر من البشر غير مسئول والله يقول : لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ، فكان من نتيجة ذلك ما حصل في الأمة من طغيان وجور من تلك الذات التي قدسوها وأشركوها بالله في عدم المسئولية طغياناً أصبح في تاريخ مصر وصحة لا تزول ، ولولا ما قبض الله لمصر من هذا الجيش الكريم الأبى الذي أنقذ مصر لرسفت في قيود الذل والطغيان والاستعمار إلى ما شاء الله .

والحجر الثاني في بناء الإسلام؛ هي الشهادة لمحمد بن عبد الله بأنه رسول الله الذي أرسله للبشر كافة معلماً ومبشراً ونذيراً ، وهذه الذات التي تجب الشهادة بذلك هي شخصية مثالية تاريخية أشادت بكل ما سبق من رسالات الله ، فسكتب عنها الكتاب المسلمون والأجانب آلاف الكتب في فضائل أخلاقها ومعاملتها المثالية ، وقدرتها التي قلبت بها التاريخ البشري وأخرجته من وصمة عبادة الأحجار والأوثان إلى نور الحرية والمساواة .

ووجب أن يقال بحق في محمد بن عبد الله نبي الإسلام أنه أبو التاريخ العالمي الحديث ، وصاحب الفضل في تحرير العقل البشري من خرافات الجاهلية وعقائدها الضالة ، وأول عامل على نشر تعميم تعليم القراءة والكتابة ومحاربة الأمية ، وأول موجه للقوى الحربية على أساس الإصلاح الإنساني ، ومحاربة الضلال والفساد في الأمم المجاورة ، حتى نجح نجاحاً باهراً في قلب الدنيا إلى شيء آخر خلاف ما كانت عليه من قبل .

والدعامة الثالثة في الدين الإسلامي العالمي هي ما يسمى بإقامة الصلاة في اليوم خمس مرات ، أولاهما قبل طلوع الشمس من مشرقها بساعة ونصف ودعا إليها الإسلام بحث وحض شديدين ليوظ البشر من سباتهم إلى العمل والنشاط ، ووزع الأربعة الأخرى على أوقات الناس في الحياة اليومية وجعل ذلك فرضاً عاماً على الذكر والائتي واشترط لها الطهارة التي كانت سبب تعويد الناس على النظافة العامة التي أصبحت بعد هذا التشريع الديني

أهم شئون المتحضرين وقد كانوا قبل لا يعرفون النظافة ولا الحمامات ، حتى كانت تفتك بهم الأمراض والعلل ، ولا يعرفون كيفية الوقاية منها ، وما انتشرت الحمامات في أوروبا ونظمها إلا عن طريق الأندلس في الإسلام ، وهبطت بذلك فيها إحصائيات الأمراض والعلل والوفيات ، فالعالم المتحضر مدين في تاريخ حياته الصحية للإسلام في الأندلس ، ويعترف له بذلك المنصفون .

وفرض الإسلام هذه الصلاة على الكافة ، ففرض أن تكون جماعة على الرجال يصلونها في مساجد عامة مفتوحة للكافة ديمقراطية الوضع لا يتقدم فيها غنى على فقير ولا حاكم على محكوم ولا كبير على صغير ، يؤم الناس أفقيهم ولو كان أفقرهم ، ويتلو على أسماعهم في الصلاة الجهرية ما شاء الله من القرآن . فرض الإسلام إقامة هذه الشعائر كل يوم خمس مرات ، وفرض كل أسبوع اجتماع الكافة من أهل الحى أو القرية أو الخط من الرجال أعيانهم وحكامهم وأمراءهم ، وأغنيائهم وفقرائهم ، وكبارهم وصغارهم ، تزاحم أكتافهم وتصطك ركبهم بعضهم إلى بعض من جميع الطبقات يسمعون قبل الصلاة إلى الخطيب الذى يعظمهم في شئونهم الحاضرة التى تمس حياتهم وأحوالهم اليومية ، فيفشأ على ذلك صغيرهم ويدوم على ذلك كبيرهم ، فيتمرسون على الامتزاج والائتلاف فى أخص عبادة يؤدونها للرب ، فى أظهر وأقدس مكان يجتمعون لله فيه .

وأية فرحة للشعب تجمعه قسرا أو تخطط أفراده بعضهم إلى بعض فيتعرفون أحوال أنفسهم وشئون جيرانهم وإخوانهم وتمتلى أعيانهم بمختلف أحوال مخالطتهم من حال يرثى لها أو خلق يوعظ فيه صاحبه . يتعلم فى تلك المدرسة الاخلاقية الصغير من الكبير والجاهل من العالم والفاسق من التقى : تفاعل أخلاقى ما قام فى جماعة إلا صلح أمرها ونضجت فيها الحياة الاجتماعية على أحسن مثال ، وتألقت فيها القلوب ، وتعاظفت فيها القوى ، واستغنى بها الفقير ، واستجود بها البخيل ، وتكتلت بها أسرة المجتمع . فأية عملية هذه وأية مدرسة اجتماعية ربى بها الإسلام شعوبه وألف بين أبنائه وأخضع الكافة للكافة وأنزل الحاكم إلى المحكومين ودفع الغنى إلى البصر بالفقراء وأسمع الصحيح أنين المريض وأخضع الطائش برويته خشية الخاشع وتقاه .

فهذه الصلاة التى ينظر الناس إليها كأهون شئ وأبسطه فى الإسلام وهذه بعض آثارها

وأفعالها في المجتمع . فهل يمكن فصل الدين عن الدنيا وهذه أخص عبادة فيه أنزل العتاة الجبارين والاغنياء المنكوبين من صياصيمهم وقصورهم إلى الامتزاج بأصحاب الاكواخ والبائيسين في بيوت الله على مائدة عبادة الله سبحانه ، وأي اجتماع مائدة أصغى للقلوب من ذلك .

فكيف تتجافى عقول أناس عن دين هذه آثاره في المجتمع وأي زعيم لإصلاح أو حاكم سياسى لا يتشبث بهذا الدين الذى يساعده على ما يروم الإصلاح والزعامة .

إن هذه المساجد التى ينظر الناس إليها وقد أهملت وأصبحت مهجورة ذات منظر مؤسف كتيب من إهمالها وفرشها بالحصص البالية أو تركها بلقعا بلا فراش ، هذه المساجد كانت أعظم أثر في الأمة من برلماناتها الآن لأنها كانت مصدر تعليم الأمة وإرشادها ، ومبعث الرحمة بين أفرادها مهبط الوحى بالعواطف الرقيقة لقلوب مرتاديا ، يدخلها الجناة الاجراميون فيسمعون عظة من عالم متواضع فتفعل فيهم ما لا تفعله قوانين الحكومة ويخونها ، فهل يفصل هذا الدين الكريم عن الدنيا ويعزل ، وهل هذا الدين هو الذى يقال فيه ذلك .

محمد عبد السلام القباني

أستاذ بكلية الشريعة

إنما يقدس المرء عمله

روى عبد الله بن هبيرة أن أبا الدرداء كان قاضياً بالشام ، فكتب إلى سلمان : دلم إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد ، فأجابه سلمان : د كتبت تدعوني إلى الأرض المقدسة وأرض الجهاد . ولعمري ، ما الأرض تقدس المرء ولكن المرء يقدس عمله . وقد بلغني أنك جلست طويلاً تداوى (أى واعظاً تعظ) ، فإن كنت طبيباً مبرئاً فطوباك ، وإن كنت متطبياً فاتق الله لا تقتل إنساناً فتدخل النار .

الحزبية في القرآن الكريم

ما أشبه القرآن الكريم بالسكنز الفريد المجيد - وقه المثل الأعلى - ، وهذا السكنز يضم في أرجائه مختلف اللآلئ وشتيت الجواهر ، وكل ناظر فيه بالتعمق والتدبر يستطيع أن يحصل منه على بعض هذه الفرائد ، وتختلف حظوظ الناظرين فيه - والعاكفين عليه - من هذه الخرائد ، ولكن الجميع لا يستقصون جوانبه ولا يحصون عجائبه . ومن غرائب القرآن أنك تتابع كثيراً من ألفاظه في متباين استعمالاتها ، فتتري للفظ معنى عاماً واسعاً ، يشمل استعمالاته أو يغلب عليها ، ويمكنك من هذه المتابعة للفظ من الألفاظ أن تتعبد لاستعماله في الغالب قاعدة أو ما يقاربها ، ولا يشترط أن تكون تلك القاعدة موجودة بنصها وفصها عند كل استعمال ، بل تكون هي أو ما يشير إليها أو يذكر بها من قريب أو بعيد .

وللحزبية ، وما تفرع من مادتها في القرآن الكريم ، حديث قد يدخل في هذا التقعيد أو يدنو منه ، وقد تابعت استعمال « الحزبية » في التنزيل ، ورأيت أن أعرض له بالبحث ، لعل في ذلك من الفائدة ما يتلام مع مناسبات الزمان ، ولما فهو على الأقل نذكير بحديث القرآن . وقبل أن نعرض للحزبية في القرآن يحسن أن نعرض معانيها في اللغة ، فقصد تتعاون المعاني اللغوية مع الاستعمالات القرآنية لتلك المادة على إيضاح ما يزيد استنتاجه من ذكر ألفاظ الحزبية في الكتاب الحكيم ..

نلاحظ أن معنى الحزبية الغالب في اللغة يدل على التفرق والانقسام والاختلاف ، والشدّة والغلاظ أحياناً ، فقد جاء في القاموس : « الحزب بالكسر الورد والطائفة والسلاح وجماعة من الناس ، والأحزاب جمعه ، وجمع كانوا تألبوا وتظاهروا على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ، وجند الرجل وأصحابه الذين على رأيه ، وإن أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب هم قوم نوح وعاد وثمود وهن أهل مكة الله من بعدهم ، وحازبوا وتحزبوا صاروا أحزاباً ، وقد حزبتهم تحزيباً ، وحزبه الأمر نابه واشتد عليه أو ضغطه ، والإسم الحزابة . . وأمر حازب وحزيب شديد جمعه حُزوب ، والحزابي والحزبية مخففتين الغليظ إلى القصر كالحزباب

بالكسر ، والحزب والحزباء بكسرهما الأرض الغليظة وجمعه حزباء وحزابي . .
وحاربه كنت من حزبه . .

وفي النهاية لابن الاثير : طرأ على حزبي من القرآن فأحببت ألا أخرج حتى أقضيه .
الحزب ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورد . والحزب النوبة في ورود
الماء . . . وفي حديث أوس بن حذيفة : سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :
كيف تحزبون القرآن . . . اللهم اهزم الأحزاب وزلزلهم . . . كان إذا حزبه الأمر
صلى ، أى إذا نزل به مهم أو أصابه غم . . . ومنه حديث على نزلت كرائه الأمور
وحوازب الخطوب ، . . . ومنه حديث الإفك : ومضت جنة تحارب لها ، أى
تعصب وتسعى سعى جماعتها الذين يتحزبون لها . . . ومنه حديث الدعاء : اللهم أنت
عدتي إن حزبت . . . (١)

وها هو ذا الراغب الأصمغاني في كتابه (مفردات القرآن) يشير إلى المعاني اللغوية
العامة لكلمة (الحزب) في القرآن الكريم فيقول : « الحزب جماعة فيها غلظ ، قال عز
وجل : « أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ، « وقوله تعالى : « ولما رأى المؤمنون
الأحزاب ، « عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبي ﷺ . « فإن حزب الله هم الغالبون ،
معنى أنصار الله . وقال تعالى : « يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يدوا
لو أنهم بادون فى الأعراب ، .

* * *

والقاعدة العامة ، أو المعنى الغالب فى استعمال القرآن لكلمة (الحزب) هو الدلالة
على الانحراف إلى السوء والشر ، والرمز إلى الباطل والسفه ، فلا يرد هذا اللفظ إلا فى
مواطن الفسوق والإجرام ، اللهم إلا إذا أضيفت كلمة (الحزب) إلى الله فإن المقام يكون
مقام خير وتبشير ، فى الحال أو الاستقبال ، وأما إذا أضيفت إلى غيره فهى سوء وضلال ،
فى الحاضر والمآل .

وكان القرآن يشعرننا بذلك أن الحزبية البعيدة عن صراط الله سيئة أيا كانت ، وكأنه قد
استعمل كلمة (الحزب) فى موطن النسبة إلى الله لمجرد المشاكلة ومجاراة السياق ، على حد

(١) لم ننقل عن القاموس والنهاية كل ما ورد بهما عن المادة ، بل قطفنا من كل منهما الجزء
الكافى للموضوع .

قوله تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » ، ولذلك نرى تعبير القرآن « حزب الله » ، يأتي في سياق التعرض لحديث « حزب الشيطان » ، ١ .

وفي القرآن الكريم ذكر لأربعة أصناف من أحزاب الشر والضلال : الأول منها أتباع الشيطان مطلقاً ، والثاني القوم الكافرون الضالون قبل محمد صلوات الله عليه وسلامه . والثالث الأحزاب الذين تألبوا عليه في غزوة الخندق وأذاقهم الله بقوته ما أذاقهم من النكال والوبال . وقد خص الله سورة من سور القرآن الكريم باسمهم ، وكأن ذلك أيضاً من بين الإشارات إلى خطرهم وسوء تحزبهم ، فهم يحتاجون إلى التنبيه الجلي لتحذر منهم الحذر القوي ، والصنف الرابع هم شذاذ اليهود والنصارى الذين عارضوا الإسلام ، ووقفوا في طريقه معاندين أو مفتريين . . ويجمع هذه الأصناف كلها جامع الشر والسوء والضلال كما أسلفنا . هذا هو التصوير العام لحديث الحزبية في القرآن ، وما يستفاد منه من سمات عامة أو غالبية ، ومن حق البحث علينا بعد ذلك أن نذكر شواهد هذا التصوير من القرآن الكريم .

يقول الله تعالى في الآية السادسة من سورة فاطر : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » . فقد أخبر الله جل جلاله هنا أن الشيطان لنا عدو مضل مبين ، وأن حزبه على فساد وإلى سوء معاد ، ووعظنا بأن نتخذة عدوا ، لأنه - كما علمنا - عدونا الذي لا عدو أعرق في العداوة منه ، واتخاذة عدواً يكون مخالفته في العقائد والأعمال ، لأنه يدعو حزبه - وهم شيعته ومتبعو خطواته - إلى ورود موارد الشقوة والهلاك ، وهل هناك أشق من ينتهى إلى عذاب السعير المقيم ؟ .

وقريب من هذا قول الله تعالى في سورة المجادلة : « استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون » . وقد نتعرض لهذه الآية فيما نستقبل من البحث . وهاتان الآيتان تشيران إلى الصنف الأول من أصناف الأحزاب في القرآن .

ولنتنقل إلى الصنف الثاني منها . يقول الله تبارك وتعالى في الآية الخامسة من سورة « غافر » : « كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب » .

والأحزاب : هنا هم الذين تركوا طريق الرحمن وخالفوا الرسل ، وهم عاد وثمود ، وفرعون وغيرهم ، وقد وصف القرآن هؤلاء الأحزاب بأوصاف سيئة ، فهم طغوا وبغوا

على رسلهم ، وحاولوا ليتكفروا منهم ويعذبوهم أو يقتلوه ، وهم قد جادلوا مبطلين ، وهم قد أرادوا بذلك محاربة الحق ؛ فما كانت عاقبة هؤلاء الأحزاب ؟ ... ، فأخذتهم فكيف كان عقاب ، ١٩ .
ويقول الله سبحانه أيضا في الآيتين الثلاثين ، والحادية والثلاثين من سورة غافر :
« وقال الذى آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل دأب قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد . . . » والأحزاب فى الآية الأولى قد فسروا
فى الآية الثانية ؛ وهم قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم ، من الذين كفروا وتمردوا وعصوا
الرسول ، فوصفهم سيئ ، والجزاء أليم ، فشكل حزب منهم كان له يوم دمار ، وقد فصل
القرآن الكريم لنا ذلك فى مواطن كثيرة .

ومما يدخل فى هذا الصنف ما أشار إليه القرآن فى قوله فى الآية السابعة والثلاثين من سورة
« مرهم » : « فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من عذاب عظيم . . » والآية وردت
بعده قصة سيدنا عيسى عليه السلام ، والمراد بالأحزاب هنا الذين تحزبوا على الأنبياء ، لما قصوا
عليهم قصة سيدنا عيسى اختلفوا فيه من بين الناس ، ولذلك أنذرهم بالويل فى يوم شديد .
ومثل ذلك الآيات التى وردت فى سورة الزخرف وهى : « ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم
بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ، إن الله ربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم ، فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم . . »
وفى الآية الحادية عشرة من سورة (ص) نجد القرآن يقول : « جند ما هنالك مهزوم
من الأحزاب . . » وبعدها فى الآية الثالثة عشر يقول : « وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة
أولئك الأحزاب . . » والآية الأولى جاءت بعد آيات تصور جهالات الكفار على الرسول
وعنادهم معه ، فهى تقول على لسانهم : « ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ،
أنزل عليه الذكر من بيننا . . » فرد الله عليهم قائلا : « بل هم فى شك من ذكرى بل لما
يذوقوا عذاب ، أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ، أم لهم ملك السموات والأرض
وما بينهما فليرتقوا فى الأسباب ، وهذا استنكار من الله لطريقتهم السيئة ؛ ثم أرشد رسوله
ألا يبالى بهم ، ولا يكثر بهم مجمعم ، ولا يهتم لعنادهم ، فقال : « جند ما هنالك مهزوم من
الأحزاب . . » ما هم إلا فئة من الكفار المتحزبين على رسل الله ، وهم مهزومون مكسورون
عما قريب ، فلا تبال بما يقولون .

أحمد الشرباصى

مبعوث الأزهر الشريف إلى الكويت

« يتبع ،

آراء وأحاديث

بدأ حضرة السيد الأديب البجائي صاحب التوقيع د م . ع ، يكتب سلسلة أحاديث تحت هذا العنوان ، فاستلهم بما يدل على نفوذ ودقة وحرص على الاختراع والجدة ، وهي ناحية خطيرة في الإصلاح العلوي لا يهدى إليها إلا الفحول ، ولا يوفق لها إلا كل كامل من أهل البحث . إنها ناحية لو لم يكن فيها إلا تحرير الفكرة وفتح باب الاستقلال لكفى بها يداً طولى يبيضاء على العلم .

ولقد نعي حضرة الكاتب على من خلف بعدهم من تركوا الإنتاج والابتكار والنقد ، ووقفوا عندما ترك الأولون فلم يزدوا حرفاً ، ولم ينقدوا رأياً ، ولم ينتجوا قاعدة .

وعد ذلك العقم مرضاً خطيراً لا بد من علاجه . فإنما تتفاضل الأمم بالعقول ، وتمتاز بالإنتاج ، فكلمنا خصب العقل في أمة وكثر الانتاج فيها انتفعت ببركات الحياة وثمراتها ، وسارت في هذا الوجود على هدى .

إن جديراً بالازهر أن تصلح مناهجه تمشياً مع دعوة التحرر ، وأن يحسن لطلابه التخير . ولو لم يكن في ذلك الإصلاح الذي أناشدهم الله أن يحققوه إلا إصغاء إلى تلك القضية العادلة الحكيمة « العلم أكثر من أن يحاط به ، فخذوا من كل شيء أحسنه ، لكان في ذلك ما يكفي لتحقيق إصلاح المناهج ، وتغيير الأوضاع فيما يدرسون .

إن عاراً على الازهر أن يسبق في ميدان التجديد الصالح ، وهو السباق إلى المسكارم . وإن التجديد الصالح هو أساس النشاط الفكري ، والمظاهر المشرف للحياة العلمية العقلية الرشيدة ، وهو صورة من صور التقدم والثوب . فأما الجود على التقليد ، فشئ تأباه النفوس السكرية وتمجه العقول السليمة .

جدير به أن ينشط لهذه الدعوة ويعيرها ما تستحق من تقدير ، فيجمع أهل الحل والعقد من رجاله للنظر في مناهجه ، ونبد ما لا يتفق مع حاجة كلياته ومعاييده . وجدير به أن يكون

لجاناً من المنفوقين للتأليف فيما يحتاج إلى تغيير في الأسلوب أو طريق البحث . ولقد تفتحت أذهان الطلاب مع حضرات أساتذته إلى هاته الناحية ، فأخذوا يرمون ببعض المؤلفات ، ويشكون من عدم مناسبة أساليبها ولا لياقتها في هذه الأوقات ، وهو شيء يبشر بروح طيب كريم ، ويدعو ولاية الأمور لالتماس العلاج والاستطباب .

نشكر لحضرة السيد الباحث أنه جرأ أفلاننا على تناول تلك الناحية ، ونرجو أن يدخل الأمر في حده العمل الجدوى ، وألا يكون مجرد إزجاء للوقت في أقوال نظرية تخلو من تحقيق الغاية المثمرة وبالله التوفيق .

علوم البلاغة في الميزان

هذا أول عنوان عملي بدأ به الكاتب الكريم بحوثه ، وسأستميحه وحضرات القراء الكرام عذراً إذا جمح بي قلم قد سنحت له فرصة أن ينفث على هذا القرطاس أولاً خواج كانت مكبوتة وأفكاراً كانت محجورة ، لأن هذه الفاتحة الكريمة من حضرة الكاتب أنشطت عقلا وحررت حبسا ، فالشيء يذكر الشيء ، وإن كان فضيلة الكاتب يعجب من الكاتبين في البلاغة في بعض مناهجهم في البحث فذلك عندي شيء يسير ، فاضر البلاغة لو أنهم تعوجوا في تعليل لذكر أو حذف أو تقديم أو تأخير على أن يستقيم اتجاههم العام وتحقق ثمرة الدراسة في الجملة لطالب البلاغة . البلاغة التي جعلوها : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته . والبلاغة التي وصفها الأولون بأنها « إصابة المعنى والقصد إلى الحجة » . والتي وصفوا بها الفرزدق لأنه لقي الحسين بن علي في مسيره إلى العراق فسأله الحسين عن الناس فقال الفرزدق : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من السماء . والتي وصف بها شبيب بن شيبه لأنه يقول عند باب الرشيد وقد سئل عن الناس كيف رأيتم فقال : رأيت الداخل راجيا ، والخارج راضيا . والتي يمثلون لها بقول علي رضي الله عنه وقد قيل له : كم بين المشرق والمغرب ؟ فلم يتلعم ، ولكنه قال : مسيرة يوم للشمس . قيل له : فكم بين السماء والأرض ؟ قال : مسيرة دعوة مستجابة . هذه البلاغة التي أعيا على الناس دركها ، وعز عليهم مطلبها ، حتى تكون هناك طبيعة صافية ، ونفس دراكه ، وتغلغل في مزاوله أساليب الافذاذ من الفصحاء والبلغاء في النثر والنظم ، وفقه ذلك وإدراكه ، ومحاولة محاكاته . هذا الفن الجليل ، وهذا المعنى الجليل قد اشتراه أولئك القوم في دعواهم أنهم رجاله وأنهم تناولوه في كتبهم بالبحث والاختصاص لقواعد الأصول والمنطق ومصطلح

اليونان وأهل الفقه . وقد أفلسوا في كل مؤهل للبلاغة إلا هذه المصطلحات وبعض أصول تترامى أشباحا هزيلة ، لأنه لا غذاء لها ولا منبت صالحا يحفظها ، وإنما هي أشياء تنكلم الشيخ عبد القاهر بما يشبهها ، ونقل عنه السكاكي بعضاً منها فأخضعه لضوابطه وتحقيقه ، والبلاغة شيء يأبى أن يخضع إلا للذوق أو ينال إلا في رائع النثر والنظم .

انظر كيف صرنا نضفي هذه الألقاب على من حقق في دراسة السعد وشروحه ، وما حقق السيد في بعض تعليقاته ، وما كتب عبد الحكيم السيالكوتي ، أو العصام ، أو السمرقندي أليس هذا أعجب العجب ، لأنه تحريف مناف للحق كل المنافاة ؟

لقد صرنا نعد فهم هذه الاصطلاحات الوصفية والمباحكات اللفظية عملاً عظيماً نجيز به العلماء لأنهم يستطيعون فهم معنى من عبارة معقدة ، ويرجعون الضمير ، ويبيّنون المشار إليه في جملة ، ويقدرّون مضافاً أو مضافين ، ويجرون استعارة بالسكنانية على مذهب الخطيب والسكاكي والعصام والقوم .

ولقد كان أول من حمل لواء هذا الابتداع في الانحراف بالبلاغة عن كنهها ، ووضعها في غير موضعها ، ذلكم الرجل المتكلم الأصولي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، ثم الخطيب القزويني من بعده ، فقد وجدنا فيما يتدارس العلماء والمتكلمون شيئاً له اختصاص بمعرفة إعجاز القرآن الكريم يسمى البلاغة ظناً أنها على ذلك النحو الذي رسمه الشيخ عبد القاهر في كتبه دراسة توجيهية كان عمادها الذوق وفهم أساليب البلاغة ممزوجاً بشيء مما هدى إليه من القواعد في سنن الخاصة من العرب والمتأدين ، فشغلا بهذه القواعد ومباركتها والبحث فيها والزيادة عليها وضبطها . ثم ادعى السكاكي بذلك الاجتهاد والمذهب الخاص ، وأخذ يناقش القدماء في اصطلاحهم ويجادلهم في تقسيمهم ، ويرى أن الأقسام أحياناً قد تزيد على الحفظ وأن له طريقاً في تقليل الضبط ، وأن الربيع يطلق على الله سبحانه ، وأن المراد بعيشة راضية صاحبها ، وما إلى ذلك من نواحي الاقتصاد لجعل للخطيب مجالاً في مناقشته ، ثم للسعد والسيد في تأييد الخطيب أو الدفاع عن السكاكي ، ثم ليترك الجميع عبارات يتنافس الأواخر في تحريرها وتفتيحها وتفسيرها كما يفسر الكتاب والسنة وكلام العرب ، لأنها أقوال رجال برزوا في المنطق والفصول ، وأئمة هم عندهم الفحول الفحول .

والفخر كل الفخر لمن خدم كلامهم وقدم للناس أقوالهم . وهكذا اتسع الخرق على الراقع واندست البلاغة تحت هاتيك البراقع ففسى الناس معالمها ، وجعل الدارسون أصولها

وحقائقها . لأن رجال العلم والمشفون عليه يقولون إن هذه هي البلاغة . ورحم الله البلاغة . بدأ السكاكي والخطيب يحصران البلاغة في حظيرة هذه الأوراق التي كتبها ، أما السكاكي ففي مفتاحه الذي وضعه في العلوم العربية كلها لا في البلاغة وحدها ، وأما الخطيب ففي تلخيصه وإيضاحه . ولو وقف الأمر عند ذلك لوجد طلاب العلم منفسحاً من الزمن يسرون فيه مع الاستعداد الخصب على ضوء ما بقي من توجيهات ، إلى مدارس الأدب وخصائص لغة العرب ، حتى يتسكون الذوق ويصح تصور الإعجاز ولو إلى حد ، وحتى تتسكون ملكة الأداء ويقع التفريع بين الصحيح والتقسيم في صور الأداء ، ولكن شروح المفاتيح وشروح التلخيص قد تعهدا بالبقية من الزمن والعمر مع البقية من الذوق والفهم فأضاعاها على طلاب العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم جاء الأزهر المعمور يحدد ما درس من كتبهم ، ويحيي معالم معارفهم ، وقد جاز ذلك يوم كانت مدرسة الألفاظ هي المدرسة القائمة ، ولم تكن بين أيديهم مدرسة البلاغة الأدبية في كتب أبي هلال وابن الأثير والنعالي وابن رشيق والنجي . أو كتب قدامة ومن على شاكلته من أهل التفلسف الذي لا يعطي معالم البلاغة ولا يحجبها بحجب جملة بين المصطلح الشريف وشرح ألفاظ المتن ثم ألفاظ الشروح ثم اختيار الحواشي وترجيح واحدة على أخرى ثم التقارير وما حوت من معارف في كل شيء عدا البلاغة .

فلئن شاء القارئ من غير رجال الأزهر ، أو أراد رجل الأزهر ، أن يحدد العهد بطرق بحثهم إجمالاً في هذه المناسبة ليتصور كيف جنى هؤلاء ومن تبعهم من حيث لا يقصدون ولا يحتسبون على بلاغة العرب ، ودراسة الرحيق المختوم من أساليب الأدب ، فليتكبر بعض ما يعجلني به الخاطر الآن من مقدمات ووسائل في دراسة المسائل : فالبلاغة المقصودة بالدرس لها أصل هو الفصاحة ، كما حكم الإمام السكاكي .

فأما الشيخ عبد القاهر فهو يسوى بين الفصاحة والبلاغة في كتابه ، ثم هذه الفصاحة تكون في عدة أشياء : المفرد ... إلخ ، ثم هي في المفرد خلوصه ، ثم تفسير الفصاحة بالخلوص لا يخلو عن آساح ... ثم لماذا ؟ لأن أحدهما وجودي والآخر عدمي . ثم نخوض الحواشي والتقارير في معركة الوجودي والعدمي ، والفرق بينهما ، ويطول المقام جداً حتى يسبحون بقلبك إلى أصل البحث : ما المراد بالمفرد ، وهل يشمل المركب غير المفيد ، هل المركب غير المفيد داخل في الكلام . وكيف ولماذا . ثم ما التافر وهل هو ذوق ،

أهو كما يقول بعضهم يرجع إلى المخارج أو الصفات وكيف تكون دأعهد ، في دألم أعهد ، فصيحة . ما معنى الغرابة ، وما المراد بالمسرج ، وماذا قال المرزوقى فى المسرج ، وهل دأزمان ، فى قول العجاج اسم امرأة . وهل الكراهة فى السمع قسم مستقل يجب الاحتراس عنه لتحقيق الفصاحة ... ؛

ما اعراب مع فصاحتها وما الفساد الذى يترتب على بعض وجوه الاعراب ، ومن المنتصر فى معركة الاعراب ، ما المثال الفذ ، للتعقيد المعنوى . هو بيت العباس بن الاحنف الذى ذكره عبد القاهر . ألم تجدوا فى الادب غيره ، ولكن استغفر الله هل فرغوا من مناقشتهم فى فهم العبارات ؟

وهكذا تسير فى هذه المقدمة لتصوير البلاغة وحصر موادها بالعمليات الحسائية ، وولادة أبوابها بالطرق الطبية الفلسفية ، ثم وضع أسمائها وكتابتها على شهادات الميلاد حتى لا تضيع ولا تنسى ، وما يعترى ذلك من بحوث نفيسة قد يجود بها السعد فى الشرح المطول لأنها من ذخائر المعارف ، وكنوز المصطلح الشريف . وكانت تدرس فى عام طويل قبل النظام ، فإذا انتقلت إلى أول أبوابها دالإسناد الخبرى ، فما الإسناد ، وما محترزات القيود ، وهل الإسناد مرادف للحكم ، وما معانى الحكم الخ الخ . ثم ما المراد بالخبر ولماذا ، وما الفائدة ، وما المراد باللازم ، ولماذا كان لازما . ويقول السكاكى إن الأولى بدون الثانية تتمتع ، ولكن الثانية بدون الأولى لا تتمتع كما هو حكم اللازم المجهول المساواة ... وتسير طويلا حتى تصل إلى أن الإسناد منه حقيقة عقلية ومجاز عقلى ، وما قيود كل وما المحترزات وما صور كل منهما حتى لا يلتبس بالآخر ؟ ومعركة عبد القاهر والرازى فى أن هل كل مجاز عقلى له حقيقة ؟ فيقول الرازى لابد لكل فعل من فاعل ، فإن ظهر وإلا فهو الله سبحانه .

وهكذا حتى ينتهى باب الإسناد وهو أحد الأبواب الثانية للبعانى وحدها وهو أقلاها ، وما خرجت منه فيما يسمونه البلاغة بأكثر من أضرب الخبر على مقتضى الظاهر أو خلاف مقتضى الظاهر ، ثم الحقيقة الفعلية والمجاز وقرينته .

فإذا صرت إلى الباب الثانى : أحوال المسند إليه ، فما المراد بالأحوال ؟ وهل الحال هو الأمر الداعى الذى تقدم التنويه به ؟ وما الداعى إلى تقديمه المسند إليه ، ولماذا عبر

في جانب المستند إليه بالحذف ، وفي جانب المسند بالترك . وهل صورت لك دواعي الحذف تصويراً يميز لكل واحد . وهل مثلوا كل داع على حدة فتجدد المعلومات ، أم لملك مخير في تصور النكات وهي لا تنزاحم . والذكر لماذا ؟ لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول . وهل الأصل نسكته بلاغية . وما الفرق بين المعاني الأولية والمعاني الثانوية . ثم التعريف . . ولماذا يكون بالاضمار . . ولماذا يكون بالعلية ، وما العلية ، وهل القيود للاحتراز ؟ أم لعلها لتحقيق مقام العلية فهو مقام خطير . . وهكذا تسير على ذلك المنوال من المسند إليه وتتم بهذه المباحث النفيسة وفيها سلب العموم عند المناطقة ، وهل يشمل سلب العموم عموم السلب ويصدق عليه ، وما مذهب ابن مالك في ذلك .

هكذا هكذا تسير ، فلا نخرج من هذه البلاغة بفنونها الثلاثة إلا وقد مررت بعدة بحوث في مختلف العلوم ولا سيما المنطق والمقولات (الكيف والالين والمثنى الخ) .

وهل تستطيع أن تعلمه كذلك إلا وقد درت في كل فن من تلك الفنون وأخذت منه بطرف صالح. هذا إلى ما يحشون به ذهنه من ألفاظ (ثبوت النسبة والاثباتها : الغير والابن) المعنى المصدرى والإسمى ، هل البسيطة والمركبة ، وجود الشيء ووجود الشيء للشيء وغير ذلك لا استقصيه الآن ، ولكي لعمر القارئ الكريم أكتب من الذكوة لا من مرجع أمامي من طول ما زالت هذه الكتب فضحت على منها بالشيء الكثير .

وبعد فهل بعد هذا العناء والدرس كان يزارها بليغاً ، وكانت له ملكة نقد في الظم والنثر ، أو مقدرة على كتابة أو خطابة أو شعر كما تعطيه عبارة (البلاغة العربية) ؟ لا والله إنها لتبعد عن البلاغة بما تضع من وقت في غيرها ، وبما تحشوبه الذهن من كلماتها وجمالها ومتى كان واحد من هؤلاء بليغاً يحسن التعبير عما في الضمير ؟ وهل فاقده الشيء يعطيه ؟ إن العمليات نفسها قد دللتنا على الحقائق ، فهل آن لكم أيها الناس أن تدرسوا البلاغة الأدبية التي لا ترجع إلى الحكم العقلي ومصطلحاته ؟ هل تلتصمون ذلك في الأدب نثره ونظمه وفيما بين أيديكم من كتاب الله وسنة رسول الله ؟ وهل آن أن تتعلموا حكومة الذوق التي لا تخطئ ولا تحيد ، وهل آن أن تقرءوا إن شئتم التوجيه كتب العسكري والآمدى والجحى وابن الأنبار الجرزى وابن رشيق القيروانى حتى تكونوا لأنفسكم نقداً وذوقاً ، ثم تكتبوا مثل ما يكتبون ؟ اللهم وفقنا ونصرنا الحق وأما المناقشة مع السيد الكرم صاحب التوقيع د. م. ع. جزاء الله خير الجزاء فإلى العدد المقبل إن شاء الله حتى تستمر هذه المساجلة النافعة

محمود التوادى

الفتاوى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

شرعت بلدية الكويت في إنشاء طريق داخل مدينة الكويت وخارجها واستعانت في ذلك بمهندسين رسموا الخرائط التي تتفق مع التقدم العمراني . وقد اعترض أحد الشوارع المراد أنشاؤها خارج الكويت مسجد جديد لم يبنه واقفوه إلا بناء بدائياً وهذا المسجد يدخل جزء كبير منه في الشارع لو مر على استقامته . وبما لا شك فيه أن الشارع المستقيم يسهل سير المارة والسيارات أكثر من الذي يتخلله انحراف واعوجاج . وفي إمكان البلدية إذا أزيل هذا الجزء من المسجد أن تصل باقيه بقطعة من الأرض أعظم مساحة من الجزء المزال وتتكفل بعمارته على نظام أحسن مما هو عليه .

ولما كان الإقدام على مثل هذا العمل يتوقف على العلم بجوازه شرعاً — وعلمائنا مختلفون في ذلك — فزجوا لإفادتنا .

وبهذه المناسبة نرجو أن تكون الفتيا عامة فيما تتخذة نحو جميع المساجد والمقابر التي تعترض الطريق المزعم لإنشاؤها مع العلم بأننا لا نهدف إلا المصلحة العامة المتفقة مع تقدم الكويت ، والتي تستوجب إنشاء وإصلاح الطرق على هيئة تكفل الأمن والنظام .

مدير بلدية الكويت

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ونفید بأنه قد جاء في الجزء الثالث من حاشية ابن عابدين على الدر المختار من كتب الحقيقة أنه إذا كان الطريق ضيقاً والمسجد واسعاً لا يحتاج إلى بعضه جازت الزيادة في الطريق من المسجد لأن كلا منهما للمصلحة العامة ، وهذا هو المعتمد وعليه متون المذهب .

وجاء في كتب المالكية أن ما كان لله فلا بأس فيه أن يستهان ببعضه في بعض ، ومعنى هذا أنه يجوز توسيع الطريق من المسجد والمقبرة ، كما يجوز توسيع المسجد من الطريق والمقبرة وتوسيع المقبرة من الطريق والمسجد ، تراجع حاشية العدوى على الحرثى على متن خليل في باب الوقف .

وجاء في اختيارات ابن تيمية الحنبلي أن جمهور العلماء جوزوا تغيير صور الوقف للمصلحة ، وأنه إذا كانت هناك حاجة فإنه يجب إبدال الوقف بمثله ، أما من غير حاجة فإنه يجوز الإبدال بخير منه لظهور المصلحة ، ثم قال : ونقل صالح ، عن أحمد ، أنه ينقل المسجد لمنفعة الناس .

ومن هذه النصوص يتبين أنه متى كانت الحاجة ماسة الى أخذ جزء من المسجد لتوسعة الطريق واستقامته تيسيراً على المارة والسيارات فإنه يجوز أن يؤخذ ذلك الجزء من المسجد للطريق العام .

وإذا كانت إدارة البلدية مع هذا قد التزمت في موضوع السؤال بتعويض المسجد بأكثر مما يؤخذ منه ، والتزمت أيضاً بإعادة بناء المسجد أحسن مما كان عليه فإنه يجوز بالأولى .

هذا - وكما يجوز ذلك في المسجد أخذاً من هذه النصوص - يجوز أن يؤخذ من المقابر ما يوسع به الطريق ولكن بعد أن يقل رفات الموقى الى المكان الذى يجعل مقبرة ، كما نص على ذلك الفقهاء .

هذا هو الحكم الشرعى في هذه المسألة على المذاهب التى قدمنا نصوص فقهاءها - وعلى ولاية الامر أن يقدروا هذه المصلحة العامة الواضحة ويمثلوا على وفقها بالظر الى المساجد والمقابر والطرق العامة .

وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

٦ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢

٢٢ يناير سنة ١٩٥٣

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

يوجد في سوريا أيتام وفتيات غريباء ، أصلهم من أبناء المملكة العربية السعودية ، وقد أمر الله البعض من محسنى المملكة بأن يهتموا بالامر الذى يكفل سعادة هؤلاء الأيتام الفقراء أبناء السبيل ببحث أن يبنى لهم ملجأ فى دمشق يكون مأوى لجمع شمل الفتيات الغربيات اللواتى لا أزواج لهن ولا كاسب يعولهن ، وللأطفال الذكور أيضاً الذين لم يبلغوا سن الرشد ، فهل هناك مانع شرعى من دفع الزكاة الشرعية بهذا السبيل . نرجو الإفادة .

فهد بن مازن

مندوب الحكومة العربية السعودية لمقاطعة

لإسرائيل بدمشق - بالسفارة السعودية

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن صرف الزكاة فى إنشاء الملاجىء والإنفاق فى مصالحها جائز شرعاً ، لأن ذلك من الإنفاق فى سبيل الله ، الذى جعله الله تعالى مصرفاً من مصارف الزكاة فى قوله سبحانه : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » . وذلك أن « سبيل الله » علم يتناول كل ما هو من وجوه الخير والبر ، وجاء فى كتاب بدائع الصنائع للسكاسانى فى فقه الحنفية (وأما قوله تعالى « وفى سبيل الله » فهو عبارة عن جميع القرب ، وقال الفخر الرازى فى تفسيره الكبير ، واعلم أن ظاهر اللفظ فى قوله « وفى سبيل الله » لا يوجب القصر على الغزاة ، فهذا المعنى نقل الفقهاء فى تفسيره عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقات إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لأن قوله « وفى سبيل الله » علم فى السكلى (١ . هـ .

وظاهر أن ذكر تكفين الموتى وما عطف عليه إنما هو مجرد التمثيل لبعض وجوه الخير التى تتناول هذا وغيره . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢

٤ فبراير سنة ١٩٥٣

رئيس لجنة الفتوى

مملكة تَقْلِي

- ٣ -

انتهينا في مقالنا السابق ، إلى أن د جيلي أبا جريدة ، ترك بعد وفاته ، مملكة راسخة القواعد ، قوية البنيان ، وخلفه على عرش المملكة ، ابنه د سابو Sabo ، الذى نقل قاعدة ملكه من د الهوى ، إلى د تودم To'dim ، ومن القاعدة الجديدة ، واصل د سابو ، نشر الإسلام ، وتوسيع ملكه ، وسار على سياسته من بعده ، ولده ، د جيلي مُحَمَّارَة ، و د جيلي أبو شَهْرَا ، وكذا حفيده د جيلي عوان الله ، ، وقد اعتلى كل منهم العرش على التوالي ، ودفنوا جميعاً ، فى حوش د الهوى ، حيث ترقد رفات د جيلي أبو جريدة ، ويمكن اليوم مشاهدة أطلال مقارهم ، ومقابر من يلوذ بهم من الأقرباء والوزراء .

ونحن نعرف القليل عن الحياة الشخصية لهؤلاء الملوك الأوائل ، غير أننا نعرف الكثير عن اتساع المملكة فى عهدهم ، وتقل - مثل روما - لم تشيد فى يوم واحد ، ولقد نما نفوذ هؤلاء الملوك ، أول الأمر بطيئاً ، ثم لم يلبث أن أصبح لهم السلطان المطابق فيما بعد ، ومر نجاحهم كامن ، فى احتضانهم الدعوة ، إلى الإسلام ، وكانت أهداف هؤلاء الملوك مزدوجة ، فهم يريدون نشر العقيدة الإسلامية من جهة ، وهم إذ يفعلون ذلك ، فأما يمكنون لنفوذهم الشخصى من جهة أخرى ، واستطاعوا أن يظلموا بسلطانهم تقل ، وما جاورها من التلال ، وساروا فى نفس الدرب الذى سلكه د جيلي أبو جريدة ، من تشجيع الهجرة إلى بلادهم ، وعن طريق ذلك ، احتكوا بالعالم الخارجى ، وجذبوا إلى تقل كثير من رجال الدين والتجار والمغامرين من كل نوع ، وكانت أيام هؤلاء الملوك ، باختصار ، عصر هجرة عربية إلى السودان ، وعصر عزة وغر لهؤلاء العرب .

ولقد وفد على تقل ، بعض مبعوثى ملوك الفنج ، من رجال الدين ، للتعريف بالإسلام وكان من بين هؤلاء د حسن واد حسونة ، و د ناج الدين البحارى ، ، وزار كلاهما تقل فى أوائل القرن السابع عشر ، وكان هدفهما من هذه السياحة مزدوجاً : المتعة الروحية بنشر الإسلام فى هذه الأوكار الوثنية ، والحصول على الكسب المادى بالتجارة فى هذه الاصقاع .

وكان من عادة ملوك تغلي ، إذا قدمهم أحد هؤلاء الدعاة الإسلاميين ، أن يعينوا له منطقة وثنية ، لتكون ميداناً لنشاطه التبشيري ، وذلك في مقابل بعض الفوائد المادية ، التي يحصل عليها من السكان دون إكراه ، وكثير من رجال الدين هؤلاء ، ومن التجار ، كانوا يقررون الاستيطان في تغلي ، وكانوا يمنحون الملك بعض المال ، باختيارهم ، في نظير حمايته لهم .

وبهذه الوسائل ، استطاع ملوك تغلي ، نشر العقيدة الإسلامية في ديارهم ، كما استطاعوا بذلك أيضاً توطيد أركان مملكتهم ؛ لأنهم أخذوا حماة العقيدة الجديدة ، وأخذوا يضمون للملك ، الجبال تباعاً ، وتزواج المهاجرون الجدد ، مع أهل البلاد الأصليين ، ولا زالت الذراري الناتجة عن هذه المصاهرات ، موجودة في كل الجبال الشمالية الشرقية ، في هيئة قبائل وعشائر ، ومنهم الآن ، مشايخ القرى ، في تلك الجهات .

وقبل مضي وقت طويل ، قويت مملكة تغلي باديء ذي بدء ، بهذه الوسائل السلبية لدرجة مكنت الملوك ، فيما بعد ، من توسيع نطاق مملكتهم ، بالقوة الحربية ، وبالرغم من أن مملكة تغلي ، قد أصبحت بغير حاجة ، إلى مهاجرين جدد ، إلا أن سيل الهجرة لم يتوقف ، ومن هؤلاء المهاجرين ، تكون الجنس الخليط الذي يقطن تغلي اليوم .

ولم يكدها ينصف القرن السابع عشر ، حتى كان لملوك تغلي ، السيطرة التامة ، على كل الجبال الشمالية الشرقية ، ولما كان هؤلاء الملوك على علاقة حسنة بملوك سنار ، فانهم استطاعوا ، أن يرضوا تحت لوائهم المهاجرين من الفُنج ، وكان من هؤلاء مكوك و رشاد ، و د ناجوى ، و د قدير ، ، ويمكن أن نرجع نجاح هؤلاء الملوك في سياهم إلى عدة اعتبارات : منها أنهم أظفوا الأرض بظلال القانون والنظام ، وهى عناصر لم تكن موجودة من قبلهم ، ومنها طرقهم فى الاستعمار ، ومنها شجاعتهم الشخصية ، ومنها - وهو أهم هذه الاعتبارات جميعاً - أنهم جاءوا معهم بالإسلام ، واستطاعوا بكل ذلك ، أن يجعلوا لبيتهم مركزاً محترماً مرموقاً ، بين مواطنيهم ، وظل العرش وراثياً فى ذريتهم ، مدة أربع مائة عام ، وقليل من البيوت الحاكمة ، من نهيات له أسباب العزة والمنعة ، كذلك البيت الذى استطاع بوسائله أن يوجد مجتمعاً متحداً سعيداً .

وخلف د جيلى عوان الله ، ابنه د جيلى أبو قرون ، الذى حكم من عام ١٦٤٠ إلى عام

١٦٦٥ م . ومعلوماتنا عن هذا الملك قليلة . ولقد تزوج من « أجيم شيلا » ابنة الملك « الرباط ابن بادي » ملك سنار . وقد أحضرت هذه الأميرة معها كثيراً من الانباع ، أحاطهم في حوش « بالولا » ، التي انسحبت إليها عقب وفاة زوجها . ومعظم التفتيح في تقلى من هذه الحاشية وسلالتها ^(١) . وكان هذا الزواج الملكي سبباً في تقوية أو اصر الصداقة بين سنار وتقلى ، غير أن هذه الصداقة ، ما لبثت أن انفصمت عراها ، عندما هاجم « بادي الثاني أبو ذقن » مملكة تقلى في عهد « أبي قرون » .

وكان لأبي قرون هذا ، ولدان ، من هذه الأميرة السنارية ، وكلاهما قد اعتلى العرش . وعاشت الأميرة عمراً طويلاً ، ولعبت دوراً هاماً ، في تاريخ مملكة تقلى ، سنعرض له فيما بعد .

وفي منتصف القرن السابع عشر ، ازداد سلطان ملوك تقلى ، وأصبحوا حكاماً طغاة ، فأخذوا يجبون الضرائب عن يمر بمملكتهم ، وكل مسافر لا يتفق معهم على هذه الضريبة يكون معرضاً لقمعتهم . وقد عرض « جيلي أبو قرون » ، بسياسته الخرقاء ، نفسه ومملكته للخطر ، عندما عامل صديقاً للملك سنار معاملة سيئة ، وزاد على ذلك ، أنه تحدى علناً ملك سنار ، معتقداً أن في جباله المنفعة والعصمة . وقبل ملك سنار التحدي ، وسار هو ورجاله صوب جبال النوبة ، فوصلوها ، وذبحوا كثيرين من أهلها ، وأسرُوا كثيرين ، ثم تقدموا حتى وصلوا تقلى فحاصروها ، وكان الملك « أبو قرون » قد حصنها ضدّهم ، غير أنه عامل المحاصرين معاملة كريمة ، بما دفع ملك سنار ، إلى فك الحصار . واتفق الطرفان على جزية سنوية ، تؤديها تقلى إلى سنار . وبذلك أصبحت تقلى تابعة أو خاضعة لسنار ، ولم تعد كما كانت دولة مستقلة ذات سيادة . وساد الوئام بين المملكتين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، على اعتبار أن ملوك سنار سادة لملوك تقلى .

وتوفي الملك « جيلي أبو قرون » ، ودفن في « كيريا » ، وخلفه على العرش ابنه الأكبر « محمد » ، الذي بنى قلعة في « تاسي » واستقر هو وخلفاؤه في هذه القلعة مدى قرنين من الزمان . وخلف « محمداً » أخوه « عمر أبو زنتير » ، وهو أول ملوك تقلى ، الذين يذكرون ، فنذكر معهم الصفات السيئة . فالظلم والقسوة والطغيان ، كانت السمات العامة لعمره ،

(١) مثل عائلة « اريد » ، ومنها عدة « بالولا » ،

لذا كرهته رعيته . وقد كانت أمه تحشاه ولا تثق به ، فعملت على إقصائه عن العرش ، واستخلاصه لحفيدها د اسماعيل ، ابن ولدها د محمد . ويقال لها أعدت طبقاً من الطعام ، ودست له فيه سمّاً ، وقدمته له . ولما اكتشف د عمر ، السم ، طار صوابه ، وذبح ثلاثين من عبيده ، ظناً منه ، بأنهم هم الذين دسوا له ذاك السم .

وأثارت هذه المذبحة نيران الثورة عليه ، في تقلى كلها . وطرد هو وأتباعه عنوة واقتداراً ، ونصب لإسماعيل بدله ، ملكاً على تقلى . ودارت حروب بين إسماعيل وعمر ، كان عمر الخاسر فيها . وذهب إلى سنار يفشد معونتها ، عملاً بنصيحة أمه التى كتبت سراً إلى قريبها ملك الفنج ، تطلب منه فيه حجز عمر ومنعه من العودة إلى تقلى ، بل وقتله إذا أمكن .

ولما وصل د عمر ، وأتباعه إلى سنار ، استقبلهم الملك د بادى الأحمر ، ملك الفنج استقبالا كريماً ، وكان الملك آنذاك مشغولاً بشورة إحدى القبائل فى الجهات النائية من مملكته فرغب إلى د عمر ، أن يذهب للقضاء على هذه الثورة ، مؤملاً الخلاص منه فى هذه الثورة ، ورضخ د عمر ، لذلك ، مع إدراكه قلة الفرصة فى النجاح ، ولكنه استطاع أن يخضع الثوار وعاد ظافراً إلى سنار ، فأغدى عليه الملك الهدايا ، ووعد - غير صادق - بمساعدته على استعادة عرشه المسلوب ، وترك د عمر ، سنار بناء على هذا الوعد ، وعول الملك على إغراقه فى مياه النيل الأبيض عند عبوره ، وقد كان ، وأغرق بحارة د بادى الأحمر ، القوارب ، فذهب د عمر ، وأتباعه إلى قاع أليم ، ما عدا اثنين من أتباعه ، نجوا من الغرق ، وبما شطر تقلى يقصان مأساة د عمر .

والى مقال قادم ، نعرض فيه بإذن الله حلقة جديدة من حكايات هذا البحث ؟

عبد المنعم محمد السنج

مدرس أول الآداب بمعهد الزقازيق

قصة فلسطين

وإندل ألمانيا الغربية بحيادها في إتفاقيات التعويضات لإسرائيل

حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

قال مندوب د. الأهرام ، الخاص :

أتيح لي أن أقضى بعض الوقت مع فضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين ، شيخ الجامع الأزهر ، وهو رجل أحبه وأوثره المودة والتقدير ، لما جبل عليه من صفات الرجل المؤمن ، وكان على غير عادته ، إذ كان يبدو غضبان أسفا . وقد أعرب حقا عن ألمه البالغ حين تحدث إلى في مسألة إسرائيل والتعويضات التي رأت ألمانيا الغربية أن تمدها بها . قال الشيخ الأكبر في عنف وغضب :

لو أن المؤرخين أرادوا أن يؤرخوا أسوأ مثل لأقبح حادث أسى به إلى الإنسانية ومبادئها في القرن العشرين ، لما وجدوا أبلغ من تاريخ هذا الحادث المروع الذي تألبت فيه بعض دول الغرب وعاونت على إخراج أهل فلسطين الشرعيين من بيوتهم وبساتينهم وحقوقهم ومتاجرهم ومصانعهم ، ليحلوا محلهم فيها أقواما من اليهود الغرباء الذين كانوا أشتانا في مختلف أقطار الشرق والغرب ، من بلاد روسيا إلى أقصى أودية اليمن وجبالها .

هذا الحادث الإنساني الأليم الذي كان من نتائجه أن العنصر اليهودي المتعرب الذي كان تعداده في فلسطين سنة ١٩١٤ أقل من عشر السكان الشرعيين ، فما زال يتزايد هذا العدد شيئا فشيئا بالحشود التي كانت تنضم إليهم من المهاجرين غير الشرعيين ، الذين حملتهم الحركة الصهيونية بمعاونة المحتلين على مزاحمة أهل البلاد الحقيقيين في مساكنهم ، وضيّقوا عليهم الخناق في ممتلكاتهم ومعايشهم وحرّيتهم ، حتى لقد أصبحوا الآن أصحاب الدولة في البلاد ، بينما أضحي أصحاب البلاد مشردين فيها تحت كل نجم : يعانون آلام البرد والزمهرير شتاء ، ولهب القيظ صيفا ، حتى صاروا في حالة من الضنك والهوان والبؤس والشقاء توجب الاشفاق والرحمة ، من قلوب تشعر من معاني الرحمة بما لا تشعر به قلوب كبار ساسة الغرب .

إن إسرائيل الباغية على أهل فلسطين لا تزال في حالة حرب مع مصر والدول العربية والامم الإسلامية ، بسبب تلك الجريمة التاريخية ، وكان ينبغي على الحكومات المحايدة ، وفيها ألمانيا الغربية ، أن تلتزم الحياد التام بين العرب وإسرائيل ، فلا تدن إحداهما على الأخرى ، ولا تبسط يد واحدة لتغل يد الأخرى ، ولكن مما يؤسف له كثيرا أن ألمانيا الغربية قد أخلت بهذا الحياد الذي كان واجبا عليها أن تلتزم نفسها به ، فجاءت تمثل فصلا جديداً في هذه الرواية المخجلة للضمير الإنساني ، إذ تقدمت بمبلغ ٨٣٠ مليوناً من الدولارات تعهدت بأن تسلمه إلى حكومة إسرائيل ، أفساطاً مقسطة ، بعضها مال وبعضها عتاد من منتجات مصانعها ، بدعوى تعويض اليهود - الذين قيل إن هتلر قد طردهم من بلاده - عن الخسائر التي تكبدوها ، مع أن هؤلاء اليهود الذين طردوا من ألمانيا كانوا رعايا المانين .

والقوانين الدولية لا تلزم أية حكومة بدفع تعويضات من غير طريق القضاء ، في الدعاوى التي تقام من أشخاص كانوا من رعايا تلك الدولة . وفصلاً عن ذلك فإن إسرائيل التي يراد دفع هذه التعويضات إليها ليست هي التي تستحقها ، وكان الوضع السليم يقضى على ألمانيا بدلاً من أن تدفع هذه التعويضات ، أن تفتح أبوابها ليعود إليها كل يهودى ثبت أنه أخرج من ملك كان له في ألمانيا ، وأن يعود إلى فلسطين كذلك كل عربى ثبت أنه أخرج من ملك كان له في فلسطين ، أما العدول من ذلك إلى أن تعطى ألمانيا الغربية مئات الملايين من الدولارات لإسرائيل ، وهي في حالة حرب مع مصر والدول العربية والعالم الإسلامى ، فإن ذلك يعد من ألمانيا الغربية إخلالاً بقواعد الحياد ، ويصورها في صورة الضالع مع أحد الطرفين المشتبكين في حرب ضروس سجال ، وتعهده الدول العربية تهديداً لها ، وإطالة لحياة حكومة إسرائيل عشرة أعوام أخرى أو أكثر ، بينما هي تعيش الآن على الصدقة والاستجداء ، وسيكون هذا العمل من ألمانيا الغربية سابقة تستعين بها إسرائيل على أخذ تعويضات أخرى من بلاد يزعمون أن بنى جلدتهم اضطهدوا فيها أيضاً ، ومنها النمسا وألمانيا الشرقية وهنغاريا ورومانيا وبولندا . الخ . . .

ويجب أن تعلم ألمانيا الغربية أن مساعدتها هذه لإسرائيل ، ستخل بالتوازن الحالى في الشرق الأدنى ، وتمكن إسرائيل من القيام بعدوان جديد على البلاد العربية ، بينما الذين يدعون أنهم الأوصياء على السلام العام واقفون يتفرجون على هذه المهزلة التي لم يسبق لها نظير في العالم .

إن إسرائيل ليست ورثة لحقوق اليهود المزعوم أنهم تضرروا من حكومة هتلر ، لذلك لا يجوز أن تعتبر طرفاً في تسوية مع ألمانيا الغربية ، على حقوق يهود لم يكونوا يومئذ من رعايا إسرائيل ، بل لم تكن حكومة إسرائيل هذه موجودة في الدنيا يوم وقع الاضطهاد المزعوم من ألمانيا على رعاياها اليهود .

وحكومة إسرائيل هذه لا تعترف بحق التعويض في القانون الدولي ، ولو كانت تعترف بهذا الحق الموهوم بالنسبة لليهود الألمان الذين كانوا قبل وجودها ، لسكر ينبغي لها أن تعترف بالحق الأبلغ المائل أمام أعينها وأعين رجال حضارة القرن العشرين للاجئين العرب الذين أخرجوا من ديارهم وبساتينهم وحقولهم ومتاجرهم ومصانعهم ، وقررت الأمم المتحدة التعويض لهم ، فهزأت إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة ، وألقت بها في سفلت المهملات .

إن يهود ألمانيا الموجودين الآن في فلسطين وتزعم إسرائيل أنها تتقاضى التعويضات من ألمانيا الغربية باسمهم ، قد هاجر معظمهم إلى فلسطين قبل اضطهاد هتلر لليهود وقسم كبير منهم جاء إلى فلسطين بعد انقضاء حكم النازي في ألمانيا ، وقد جاءوا إلى فلسطين في الحالين عند ما كانت فلسطين آهلة بأصحابها الشرعيين من العرب ، فكان يجبرهم الاختيار إلى فلسطين اضطهاداً منهم للعرب وبغياً عليهم واغتصاباً لوطنهم ، حتى بلغ عدد العرب الفلسطينيين الذين شردوا من وطنهم الشرعى تحت ضغط الصهيونية العالمية أكثر من مليون نسمة نساء ورجالا ، أطفالاً وشيوخاً ، فانتزعت منهم ديارهم في غير شفقة ولا رحمة ، ولأول مرة في التاريخ يشرد سكان متوطنون في بقعة ما ، ليحل محلهم أناس غيرهم يزعم أنهم شردوا من بقاع أخرى .

إن النازي غير موجودين اليوم ، فأعيدوا المشردين الألمان إلى وطنهم في ألمانيا ، وأعيدوا المشردين من عرب فلسطين إلى وطنهم فلسطين ، وإلا فإن دعوى الإنسانية والحق في بلاد الغرب المتمدنة تكون من أكبر الأكاذيب التي سيسجلها التاريخ لتحجل منها الأجيال الآتية مادام للإنسانية ومبادئها أنصار صادقون في العالم .

الخَوَابِرُ

اختر بين هذين الأمرين

هذا نمط جديد استحدث في كلام الكتاب . وفي صحيفة المصري الصادرة في ٢٣/٦/١٩٥٢
 « على أن يكون للسودانيين حق الاختيار بين الوحدة أو الانفصال في استفتاء حر خال من
 كل شائبة » . وقول الكاتب : « أو الانفصال » الصواب في هذا الموطن أن يقال :
 « والافصال » بالواو لا بأو ؛ فإن لفظ « بين » لا يضاف إلا إلى متعدد ، وأولاً الشئيين
 أو الأشياء ؛ كما هو واضح مستبين .

واستعمال « بين » مع الاختيار ، غير معروف . وإنما يقال : اختر أحد الأمرين ،
 أو اختر من الأمرين ما تشاء ، أو اختر الأمرين ما تشاء على حذف « من » ؛ وذلك على حد
 ما جاء في قوله تعالى : «^(١) واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا ، والاصل : اختار من
 قومه ... » ، وكما قال الشاعر :

اخترتُك الناس إذ رئت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السؤل
 وقال الفرزدق :

ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجوداً إذا هبّ الرياح الزعازع
 وإنما تأتي « بين » مع صيغة التخيير ، تقول : خيّرته بين الأمرين ، وكأن ذلك لأن
 التخيير يتضمن التردد ؛ فإذا قلت : خيّرتك بين أمرين فكأنما قلت : أرددك وأميلك بين
 الأمرين . فأما الاختيار فجزم بالمختار واقتصار عليه ، فلا موطن فيه للفظ « بين » . وفي
 المصباح : « خيّرته بين الشيئين : فوضت إليه الاختيار ، فاختر أحدهما ، وتخيّره » . وقد
 يقال : أنت بين أمرين فاختر أحدهما ، أو اختر بحذف المفعول ؛ كما قال الأعشى :
 فقال : نكل وغدر أنت يديهما فاختر وما فيهما حظ لمختار

(١) آية ١٥٥ سورة الاعراف .

إني مقدر لك جهدك وإخلاصك للعمل

يكثر هذا الأسلوب في معرض عرفان الفضل وتعظيم صاحبه وتبجيله . وفي كلمة وزير المعارف عند افتتاح المجمع اللغوي يخاطب أعضاء المجمع ^(١) : تشرفت بحضور هذا الاجتماع ولإني أنتهز هذه الفرصة لاحتياكم وأرحب بكم ، وأهنيكم بثقة حضرة صاحب الجلالة الملك وب تقدير الحكومة المصرية لفضلكم ومكانتكم .

وقد فرط من قوم الإنكار على هذا الأسلوب ، وأوجبوا الأخذ من الثلاثي (قدر) فيقال : إني قادر لك جهدك وفضل سعيك . وذلك ليكون وفق قوله تعالى ^(٢) : « وما قدروا الله حق قدره » ، ولأن الثلاثي في هذا المعنى هو الوارد في المعاجم التي بين أيدينا .

فقد جاء في القاموس في سرد معاني القدر « التعظيم ، وزاد التاج : « وبه فسر قوله تعالى : وما قدروا الله حق قدره » ، والقدر مصدر الثلاثي ، كما هو معروف . وفي اللسان : « وقوله تعالى : وما قدروا الله حق قدره أي ما عظموه حق تعظيمه . وقال الليث : ما وصفوه حق صفته » . وجاء في اللسان في موطن آخر ما يؤم ورود قدر — بالتشديد في معنى التعظيم . وذلك حيث يقول : « وقوله : وما قدروا الله حق قدره خفيف ولو نقل كان صواباً ، فقد يسبق إلى الوهم أنه يريد التخفيف والتثقيب في الفعل ، وإذن فقد ورد قدر ، وهذا بعيد عن مراد صاحب اللسان ، وإنما يريد التخفيف والتثقيب في المصدر في قوله « حق قدره » ، ويعنى بالتخفيف تسكين الدال ، وبالتثقيب فتحها . وذلك لأن الحركة - أيا كان نوعها - أثقل من السكون . ويدل لذلك قوله عقب هذا : « وقوله : ^(٣) إنما كل شيء خلقناه بقدر مثقل ، ولا معدل عن أن يراد بالتثقيب هنا التثقيب في القدر .

على أن البحث قد هدى إلى أن التقدير في معنى التعظيم عربي صحيح لا مجال لإنكاره . وليبيان ذلك يحسن الرجوع إلى المعنى الأصلي لمادة (قدر) الذي تفرع عنه التعظيم . ذلك لأن هذه المادة لا تفيد في أصلها هذا المعنى ؛ كما هو ظاهر فأصل هذا أن يقال : قدر ^(٤) الشيء إذا حزره ليعرف مبلغه ويقول أبو حيان : « أعمل ^(٥) القدر معرفة الكمية . يقال : قدر الشيء إذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقداره » ، وظاهر هذا أن يأتي فيما لا يقع تحت

(١) أنظر مجلة المجمع ، صدر الجزء الاول .

(٢) آية ٩١ سورة الانعام ٦٧ سورة الزمر . (٣) آية ٤٩ سورة القمر

(٤) انظر أمثال ابن القوطية ٢٣٩ ، ومستدرك التاج في المادة فقلان تهذيب الأفعال لابن الفطاع

(٥) أنظر البحر ٤٣٩/٧ .

الحس ويناله الخزر والسبر . وهو يأتي فيما لا يقع تحت الحس من المعقول بالقياس على الحس . تقول : قدرت فلاناً وفضله ، أى عرفت مبلغ أمره ومقداره في فضله أو عله . ويستوى في هذا بحسب أصله أن يعلم منه الكمال في ذلك أو النقص والتقصير ، ولكنه معروف في معرفة الكمال وكثير لإيراده في مقام المدح والتعظيم ، وصار هذا كما يقال : عرفت قدر فلان ، في معرض التويه به والإعلاء من شأنه .

وفي كتابة الشهاب على تفسير البيضاوى في آية الأنعام ، وقد فسر البيضاوى الآية في الأنعام بمعنى : ما عرفوا الله حق معرفته ، والآية في سورة الزمر بمعنى : ما عظموا الله حق تعظيمه : فسر هنا بما عرفوه حق معرفته ، وفي الزمر بما قدروا عظمتهم في أنفسهم حق تعظيمه لانه في الأصل معرفة المقدار بالسبر ، ثم استعمل في معرفة الشيء على أتم الوجوه حتى صار حقيقة فيه ، كما قالوا : رحم الله من عرف قدره - أى نفسه وحقيقته - ومعرفة الله لما لم تكن إلا بصفاته فسر في كل محل بما يليق به .

ويرى بعضهم أنه مأخوذ من القدر ، وهو شرف الإنسان ومكانته ، ألا تراهم يقولون : فلان قدر ، وفلان لا قدر له بين قومه . فعنى قدرت فلاناً : عرفت قدره وفضله .

وأعود بعد هذا إلى صيغة التقدير ، فهل جاءت في معنى حزر الشيء وسبره وتعرف مبلغه ؟ إنها إذا جاءت لذلك ساغ أن تجيء للتعظيم بالاتساع والاستجازة ، كما جاء ذلك في القدر . والجواب على هذا السؤال بالإثبات والإيجاب ، كما يقولون . فقد قال أبو جعفر النحاس : معنى ^(١) قدرت الشيء ، وقدرته : عرفت مقداره ، وأيضاً فقد جاء في معاني التقدير - على ما في اللسان - التفكير في تسوية أمر . وسبر الشيء يرجع إلى هذا ، ومنه قوله تعالى في سورة المدثر : إنه فسر وقدر فقتل كيف قدر ، أى قدر في نفسه قوله وعرف مبلغه .

فإن أراد القارىء استظهاراً على ما ذكرت من تسوية التقدير في معنى التعظيم فذلك له ، وحكمه مسقط ، ذلك أنه قرئ في الآية : وما فددروا الله حق قدره ، بتشديد الدال في الفعل ، قرأ ذلك عيسى بن عمر الثقفي والحسن البصري ، وهما من هما في بحرى الفصح والمعنى في الآية التعظيم . ويقول أبو حيان في البحر في تفسير آية الزمر : وما قدروا الله حق قدره أى ما عرفوا الله حق معرفته ، وما قدروه في أنفسهم حق تقديره ، إذ أشركوا معه غيره ، وسأوا بينه وبين الحجر والحشب في العباد ، وقرأ الاعمش : حق قدره ، بفتح الدال ، وقرأ الحسن

(١) أنظر تفسير القرطبي ٣٧/٧ .

وعيسى وأبو نوفل وأبو حيوة : وماقدروا - بتشديد الدال - الله حق قدره - بفتح الدال - أى ما عظموه حقيقة تعظيمه ، ، وفى الكشف : « وقرئ بالتشديد على معنى : ما عظموه كنه تعظيمه ، ، وفى البضاوى : « ما قدروا عظمتهم فى أنفسهم حق تعظيمه ، حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به ، وقرئ بالتشديد » .

البندار — تاجر الجملة

تاجر الجملة فى هذا العصر يراد به التاجر الكبير الذى يأخذ منه السلع تجار دونه فيبيعون . وهو يجمع مقادير كثيرة من السلع ويكون كثير المال الذى يلقبه فى التجارة . وقد وقفت على كلمة تؤدى هذا المعنى ، وهو البندار . والبندار كلمة فارسية ، ومن معانيها فى الفارسية الثرى والمحتكر . وقد دخلت هذه الكلمة العربية ، وتصرفت العرب فيها فأدخلوا عليها أل ، وجعلوها على البنادرة . وفى اللسان : « البنادرة دخيل وهم التجار الذين يلزمون المعادن . وفى النوادر : رجل بندرى ومبندر ، ومتبندر ، وهو الكثير المال » . ونرى فى التاج الص الآتى : « وفى كتاب ابن الصلاح فى معرفة الحديث : البندار : من يكون مكثراً من شئ يشتره منه من هو دونه ثم يبيعه ، وهذا يثبت ما رأيت من أن البندار معناه تاجر الجملة ، كما يثبت وجود هذا الضرب من التجار فى المذنية الإسلامية فى عصورها الغابرة .

هذا الرجل يقتنى الطيور غواية فيها

يستعمل الناس مادة (غوى) فى معنى الهوى والميل فهم يقولون فلان غاو للدوسيقى ، أى يميل إليها بطبعه ، وينزع بشوقه إليها . وقد أنكر على هذا الاستعمال ، وأوجب الباحثون أن يستعمل فى مكابها الهوى وما اشتق منه ، وأحب هنا أن أدون نصاً وجدته فى آخر ديوان ابن قزمان الأندلسى صاحب الزجل والمبرز فيه وفى النسخة أنه : طالعه أضعف عباد الله وأقواهم طمعاً فى رحمته أحمد بن محمد الهراس ، لطف الله به وسأحه سنة ٦٨٣ ، وهذا النص هو : « استكتبه لنفسه الأديب محمد بن أبى بكر القطان بصفد المحروسة ، استجساماً له وغواية فيه ، فتراه استعمل الغواية فى معنى الميل ، كما هى فى الاستعمال الشائع الآن ، وهذه النسخة مطبوعة . بالفوتستات عن صورة نسخة مخطوطة ، وقد تم طبعها فى برلين

سنة ١٨٩٦ .

محمد على النجار

الأستاذ بكلية اللغة

وَحْيَةُ الدُّوَّةِ

سَبِيلُهَا إِلَى النَّصْرِ

حين يفكر الإنسان في حال هذه الأمة ، وما تفتش بينها من أدواء مهلكة وأمراض قاتلة ، لا يلبث أن تملكه الحسرة وتغالبه الدمة ويحس في أعماقه بالآلم الدفين والهم اللاذع ، فنحن أتباع دين كريم يدعو إلى القوة البانية المشيدة ، ويوصي أصحابه بالعزة ، ويحذرهم من الضعف والاستكانة والذلة . والله تعالى يقول : « والله العزة ولرسوله وللمؤمنين » ، ورسولنا صلوات الله عليه يقول : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

والتاريخ الصادق الأمين حافل بروائع المثل التي ضربها أسلافنا العظام حين تجردوا من مطامع الدنيا وطهروا أنفسهم من رجسها ولم تلهم طيبات الحياة ومفاتيح العيش عن الجهاد في الله والفناء في سبيله فعزوا وفازوا ، وكانوا قادة الدنيا وسادة العالم .

ومن العجب أننا نطالع في أسفار التاريخ هذه المثل ، ونؤمن بها ونعتز بما تحوى من صور البطولة والعظمة ، ولكننا لا نحاول أن نأخذ أنفسنا بهذا السلوك ، ولا أن نحملها على التحلي بما كانوا عليه من فضائل . ولذلك ضعف شأننا وهان أمرنا ، وتمزقت وحدتنا وتحللت قوتنا وحل بيتنا الخصام محل الوثام والتدابير مكان التآلف ، وأصبحنا لقمة سائغة لا تفص بها الخلق ، وغنيمة سهلة لا تكلف النهازين المستغلين عناء ولا مشقة .

لماذا لا نلتمس الدواء من ماضينا ؟ ولماذا لا نصلح آخر هذه الأمة بما صلح به حال أولها ؟

إن عبر الحياة وأحداثها ناطقة بأن العباد الذي تقوم عليه الدول وتحيا به الشعوب عزيزة الجانب منيعة السلطان نافذة الكلمة ، هو الوحدة : وحدة الجهود ، ووحدة المشاعر ، ووحدة القلوب ووحدة الأهداف والغايات . كما أن التفكك والانحلال واضمحلال الشخصية وفناء المقومات وضياع النفوذ وانهيار السلطان لا يتسرب إليها إلا من قبيل الفرقة والتنازع ، ومن هنا حرص الإسلام أشد الحرص على تأكيد الوفاق في نفوس الناس ، وأندر المتنازعين بالفشل وذهاب الريح .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، ،
« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ، »

فإذا اتحدت الأمة وتآلفت فيها القلوب وتآخت النفوس ، وعاشت متماسكة مترابطة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، استطاعت في سهولة ويسر أن تعمل وأن تنتج وأن تخيف العدو الطامع وترهب الخصم المساور ، وتسير في موكب الحياة شاحخة سعيدة لا يشغلها توزع النفوس بالخصومات الفاجرة ولا اشتغال القلوب بالاحقاد الثائرة . ولا نزوع الناس إلى الانتقام الغادر .

إذا اتحدت الأمة صفت النفوس من المواجد والاضغان ، وطهرت القلوب من الحسد والتباغض ، وشعر كل فرد بأنه عضو في هذا الجسد القوي يجب أن يصونه ويحافظ على سلامته .

ولقد ضرب الرسول الأكرم صلوات الله المثل الرائع في هذا المعنى ليقبض به كل من يريد أن ينجح في دعوته ويوفق في رسالته ، فإنه حين جهر بالدعوة وصعد بأمر ربه لم يغفل المعنى الذي تقوم به الجماعات وينجح به الدعاة . لم يغفل الرابطة التي يجب أن تقوى بين المجاهدين وتنوئق بين العالمين . بل ألف بين قلوب لم تكن تعرف الألفة ، وآخى بين نفوس طالما تمرت على الإخاء ، وربط بالحب بين أفئدة أنكرت الحب حقبا متطاولة من الزمان ، وجعل المسلم يؤمن حقيقة أنه أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ويحب له ما يحب لنفسه .

ولما دخل المدينة قضى على كل ما كان يتسمر فيها من فتنة ، وبغضب بين قبائلها من عداوات مدمرة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وجعل المتخاصمين المتدابرين من الأوس والخزرج جسماً واحداً وقلباً واحداً وكتلة واحدة يظلمها الحب ويكتمنها الإخاء . فلم يتدر أن يطمع فيهم عدو ولا أن يمشى بين صفوفهم دخيل ، ولم يستطع غريب أن ينقض عليهم دعوتهم أو يكيد لهم في صفوفهم . وحذرهم أشد التحذير من أن يصيخوا إلى دعاة الفرقة ، وأبراق الشتات الذين يبعون فيهم الفتنة . « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، »

أليست بين أيدينا هذه العظات البالغة هادية لأمعة ؟ ألسنا نعتز بأننا سلالة هذه الصفوة التي عرفت ربها فنصرها ، وأعزت دينها فأعزها ، وقامت بحقه فأمدتها بالعون والنصر والتأييد ؟ بلى ولكنتنا استسلمنا لما يتردد في نفوسنا من شهوات طاغية ، وخضعنا لما

يستبد بنا من أهواء متبعة ودنيا مؤثرة وأطماع خلافة ورغبات متقدمة في اللذة والاستمتاع ، استسلمنا للشياطين المضلة التي توسوس في صدورنا بالفرق وتصدع الشمل ، وتدعونا إلى الكيد والختل والتباغض والتحاسد . ومن العجب أننا نقف بعد ذلك متباكين متصايحين . تمر بنا صور الحياة فلا نأخذ منها العبرة ، وتعطو أحداث الوجود فلا نتنبه إلا على القوارع المدوية والصيحات المجلجلة ، فإذا استيقنا من الغاشية واستيقظنا من السبات العميق وجدنا الركب قد سار ونحن خلف القافلة ، ووجدنا الدنيا كلها مشغولة بالكفاح والعمل ، ونحن ما زلنا نتفض عن عيوننا غبار النوم والكسل .

يجب أن نشق هذه الصدور وأن نغسلها من إدران الضغن والموجدة ، يجب أن نظهرها من الإطماع التي ألحت عليها فأظلمتها ودنس أرجاءها وجوانبها . يجب أن نعودها الطهر والمحبة فقد تعبت من طول ما كرهت ، وشقيت من كثرة ما عانت من البغض والخصام . لقد جرب الناس الخلاف والشقاق فلم يحصلوا إلا على الضنى والمذاب والشقاء المقيم ، وجربوا العكوف على الشهوات والإقبال على اللذات والحرص على المطامع والغايات ، وجربوا الإثم والعصيان والبعد عن الله والإقبال على الدنيا . أفأنا لم أن يجربوا الطاعة الخالصة والاخوة الطاهرة والحب في الله ؟ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون .

إن العدو لا يأتي المسلمين من قلة عدد ، إنما يهدم بناءهم ويمزق وحدتهم ويفرق جمعهم ويشقت صفوفهم بتنايذهم واختلافهم ، وتفرقهم في الأهواء والمشارب ، وتوزعهم في الأغراض والمطامع . فما أحوج المسلمين في هذه الفترة العصيبة إلى أن يوحدوا صفوفهم ويربطوا بين قلوبهم برباط الإخاء والحب حتى يخرجوا من هذه المعركة الحامية فائزين منتصرين .

عبد الحميد محمود المسالوت
المدرس في كلية اللغة العربية

تطهير الأداة الحكومية في تاريخ الإسلام

- ٣ -

العدل في الحكم:

يقول الله عز وجل : « إن الله يأمر بالعدل ، ، ويأمر سبحانه وتعالى : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ، وفي الحديث الشريف : « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة » .

ولقد كان (الخليفة) يفتح قلبه للشاكين من عماله ، وهو ما يعرف اليوم بالشكوى بالطريق الإداري ، .

أخرج الطبري في التاريخ ^(١) عن أبي فراس قال : خطب عمر بن الخطاب فقال : يا أيها الناس إني والله ما أرسل إليكم عمالا ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكنني أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه إلي ، فوالذي نفس عمر بيده لا قصته منه . فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين أرأيتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته ، إنك لتقصه منه ؟؟ قال : إني والذي نفس عمر بيده ، إذن لا قصته منه ، وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه ؟؟ ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجعروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم .

واقعد اعتزم عمر رضي الله عنه رحلة يحوس فيها خلال ديار الإسلام بنفسه ليتفقد أحوالهم ويتسمع شكواهم ، فقال : « لئن عشت إن شاء الله لاسيرن في الرعية حولا ، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني ، أما عمالهم فلا يرفعونها إلي ، وأما هم فلا يصلون إلي . فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين ، والله لنعم الحول هذا ، » ^(٢) .

(٢) الطبري ج ٥ ص ١٨ .

(١) (طبعة الحسينية) ص ١٩ - ٢٠ .

ولقد كان الفقه الدستوري القديم في الغرب يرتضى من العدل صورة سلبية تسكن في منع الحاكم من الاعتداء على حقوق الفرد، ولكن الفقه الدستوري الآن لا يتنفع إلا باتجاه إيجابي يلزم الحاكم فيه أن يهيء الظروف للفرد كي يمارس حقوقه . فنصت وثيقة حقوق الإنسان الأخيرة الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة، مثلاً، على ما لم تتضمنه سابقتها وليدة الثورة الفرنسية، ففي المواد ٢١ : ٢٤ نصَّ على حق كل فرد في أن يجد عملاً بشروط عادلة وأجر مجزٍ، وفي حمايته من البطالة، وفي تكوين نقابات، كما نص على حقه في الغذاء والسكن والعلاج الطبي والتمتع بمستوى اجتماعي يضمن له ولاسرتة الراحة في الحياة، والضمان ضد البطالة والمرض والعجز والشيخوخة .

والإسلام قد قرر هذا العدل الاجتماعي ووجه إلى هذه النزعة الإيجابية قبل أربعة عشر قرناً . روى أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن الرسول ﷺ ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة . اقرءوا إن شئتم قول الله : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فأيا مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاة . - رواية البخاري . ولقد جاء في صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يطلب إليه أن ينظر في أمره لأنه خال من وسائل الكسب ولا شيء عنده يستعين به على القوت . فدعا الرسول ﷺ بقدم ودعا يده من خشب سواها بنفسه ووضعها فيها ، ثم دفعها للرجل وأمره أن يذهب إلى مكان عينه له ليعمل لكسب قوته، وطلب إليه أن يعود بعد أيام ليخبره بحاله ، فعاد الرجل يذكر حسن حاله ويشكر رسول الله عليه الصلاة والسلام . وفي هذا أبلغ دلالة على التزام الدولة التزاماً إيجابياً بكفالة الحقوق الاجتماعية . ولقد ندب الغزالي في « الإحياء »، ولي الأمر أن يزود العامل بألة العمل، فللنجار آلة النجارين، وللحداد مثل ذلك وهكذا ^(١) .

وكتب خالد بعد فتح العراق أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام . .

(١) في هذا تفصيل في كتاب [الاسلام : لا شيوعية ولا رأسمالية] للاستاذ الهبي الخولي صفحة ٧٠

ومرة ثانية نقول : هكذا كان يحكم المسلمون دولتهم ، ويرعون رعيتهم ولو كانوا على غير دينهم !!!

وحين تلقى عمر شكاية يهودى طاعن فى السن يسأل الناس لىنى بالجزية والحاجة فى شيخوخته ، لم يرفض عمر الشكوى ، شكلاً ، لأنها خارجة عن الاختصاص ، فلم تكتف دولة الإسلام قط بالاتجاه السلبي الذى يقنع بحماية الحقوق من العدوان ، دون العمل على تهئية السبيل لتمتع بهذه الحقوق . ولذلك بادر عمر بالفرض للشيخ الذى من بيت مال المسلمين قائلاً : « ما أنصفناك . أكلنا شبيبته وتركناك عن الشيخوخة ، !! ووضع عنه الجزية (١) . وعمر أيضاً هو الذى راعى أن يكون الأجر مجزياً ، حين رفض أن يقيم الحد على خادم يجمعه من يعمل عندهم .

ولقد عرف تاريخ الإسلام ، القضاء الإدارى ، حيث يشكو الرعية من سوء استعمال السلطة .

فقد كانت هناك محكمة علياً هى (محكمة المظالم) ، وكانت تستأنف أمامهم الأحكام القضائية الصادرة من قضاة أول درجة ، كما كان يطعن فى القرارات الإدارية سواء بسواء ، وينقل إلينا أبو الحسن المساوردى اختصاصات هذا النوع من القضاء :

١ — النظر فى القضايا التى يقيمها الأفراد والجماعات على الولاية إذا انحرفوا عن طريق العدل والإنصاف ، وعمال الخراج إذا اشتطوا فى جمع الضرائب ، وكتاب الدواوين إذا حادوا عن إثبات أموال المسلمين بنقص أو زيادة .

٢ — النظر فى تظلم المرتزقة - أى موظفى الدولة - إذا نقصت أرزاقهم ، أو تأخر ميعاد رفعها لهم .

٣ — تنفيذ ما يعجز القاضى والمحتسب عن تنفيذه من الأحكام .

٤ — مراعات إقامة العبادات ، كاللحج والأعياد والجمع والجهات (٢) .

وهكذا جعلت السلطات الإدارية تحت رقابة المحاكم ، وجعلت العبادات من مهام الدولة العامة التى تسأل عنها قضائياً أمام أعلى قضاء ، ذلك أن دولة الإسلام دولة ربانية

(١) الخراج لأبى يوسف

(٢) الأحكام السلطانية ص ٧٢ - ٨١

النظرة السليمة عند ديكارت

يرى ديكارت أن الفطرة السليمة مملكة قادرة على تمييز الحق من الباطل وعلى الاهتداء إلى الحق ، فهي — بعد — لم تحجب فيها بذور المعرفة بالأخطاء . فن يرد تقرير شيء محقق في العلوم يجب أن يبدأ من جديد ، فيطرح جانباً كل ما علق بذهنه من معارف ، ويشك في جميع مناهج العلوم وأساسياتها ، مثله في ذلك مثل البناء يزول الانقاض ، ويحفّر الأرض ، حتى يصل إلى الصخر الذي يقيم عليه بناؤه . وأساسنا هنا ، هو الفطرة السليمة مجردة وخالصة من كل شائبة . والفطرة السليمة ، واحدة في جميع الناس ، مقسمة بينهم بالتساوي ، ومحتوية على بذور المعرفة ، وليست صفحة بيضاء كما تصور المدرسيون . فهي تملك بالقوة — منذ البداية — ما سيكون — بعد — في الفكر بالفعل .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الفطرة السليمة واحدة في كل الناس ، فما هو السبب في اختلاف آرائنا ، وتشعب وجهات نظرنا ؟ إن السبب ، جد بسيط : إن الاختلاف ينشأ من توجيه الأفكار إلى وجهات مختلفة ، وعدم اتحاد انظرات كل منا إلى الأشياء . فليس يكفي

عبادية ، تقوم على رسالة لها شعائرها ودعائمتها التي تميز شخصيتها . هذه الرسالة هي أن عبادة الناس لله ، التي قامت عليها الأديان المنزلة ، هي القاعدة الرشيدة التي بها تصلح أحوال البشر في سياستهم واجتماعياتهم واقتصادياتهم ، فإن الروح في ظل دين الله تطمئن بعبادة ربها ، والناس حين يرجون الله واليوم الآخر تمحى من مقاييسهم الفردية ، و « النفعية » ، و « الإباحية » ، ويغدون مرتبطلين بشرع الله ، وهو رحمة للعالمين أجمعين . فكيف لا نكون العبادات بهذه المنزلة في أنظمة الدولة ، وهذه هي منزلتها في فكرتها ورسالتها ؟ .

بهذا كانت الحكومة الإسلامية طاهرة في جهازها لأمانة أفرادها ، مطهرة في إدارتها لسلامة أوضاعها : عدالة في الأحكام ، وعدل في النظام ، الذين إن مكنتهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور .

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

إذن أن يكون للمرء فطرة سليمة بل أن يحسن استخدامها . والتسرع في الأحكام ، سبب آخر من أسباب اختلاف الآراء .

فالفطرة السليمة صادقة بطبيعتها ، ووجودها معلوم قبل أى وجود ، وكذا علمها أوضح من علم أى وجود ، فهو قائم على البدهة ويهدينا إليه النور الفطرى ، ذلك النور الذى تحجبه آثار المجتمع والاختطأ الكثيرة التى تكدست أمامه . فالعلم إذن هو ما اشتملت عليه النفس وما عدا ذلك يعد وهماً خادعاً . وإذا نحن استمعنا إلى صوت الطبيعة فينا تبيين لنا الصواب من الخطأ ، وفعلنا ما فعله « أودكس » ، ذلك الرجل ذو الفهم العادى الذى لم تفسد أحكامه بالاعتقادات الباطلة ، والذى لا تزال فطرته السليمة على حال نقائها الطبيعى .

وما دامت الفطرة السليمة واحدة فى كل الناس ، وأن السبب فى اختلاف مراتب اليقين بين العلوم هو اختلاف المناهج التى يسلكها الباحثون ، أيقن ديكارت أنه لو اتبع كل باحث المنهج الرياضى لبلغت نتائج العلوم حالة مستقرة ثابتة ، واتقن اختلاف العلماء ومجادلاتهم . وأساس المنهج الرياضى هو الاستنباط ، ونسبة عملية أخرى هى الحدس ، الذى به يستطيع كل إنسان أن يرى بالبدهة أنه موجود وأنه يفكر ، وأن المثلث محدود بثلاثة خطوط ، وما إلى ذلك من الحقائق الماثلة .

ويضع ديكارت أربع قواعد لتدبير العقل هى : اليقين ، والتحليل ، والتأليف ، والإحصاء التام . أما اليقين فهو « ألا يقبل المرء شيئاً على أنه حق ، ما لم يعرف يقيناً أنه كذلك ، فينبغى أن يتجنب التهور والسبق إلى الحكم قبل النظر ؛ وألا يدخل فى أحكامه إلا ما يتمثل أمام عقله فى وضوح ، بحيث لا يكون لديه أى مجال لوضعه موضع الشك » . فالتهور ، إذن ، أحد مصادر الخطأ عند ديكارت ، وهو عبارة عن الجزم بحكم قبل تبين وجه اليقين فيه ، وتصديق النتائج قبل تحقيق المقدمات .

وأما التحليل فهو أن « ينبغى للمرء أن يحجز كل مشكلة يريد خفصها إلى أكثر ما يمكن من الاجزاء ليتسنى له حلها على أحسن وجه مرضى » ، فعليه أن يرجع إلى الحقائق الفطرية على حال نقاوتها الأولى وبساطتها ، فهى « كامنة كمن النار فى الحجر الصوان » .

والتأليف هو أن « يسير المرء أفسكاره بنظام بادئاً بأبسط الامور وأسهلها معرفة ، ثم يتدرج قليلاً قليلاً حتى يصل إلى حقيقة أكثر تركيباً ، ويفرض — أحياناً — ترتيباً بين الامور التى لا يسبق بعضها البعض الآخر بالطبع » .

أما الإحصاء التام فهو : « أن يعمل المرء في كل الأحوال لإحصاءات كاملة ومراجعات شاملة ليكون على ثقة من أنه لم يغفل شيئاً ، والغرض من هذه القاعدة واضح الفائدة فيها يكمل العلم ، وذلك بالمرور — بحركة فكرية متصلة — على كل الموضوعات التي تتصل به ، والإحاطة بها في إحصاء كاف منهجي .

وهذه القواعد الديكارتية التي وضعت لتدبير العقل تصيف صاحبها إلى طائفة الفلاسفة الاسمين ، الذين ظهروا في القرن الرابع عشر ، واعتبروا التجربة أساساً للمعرفة ، فكانوا بذلك أول الخارجين على فلسفة أرسطو . فالمعانى السككية — في نظره — أسماء جوفاء ، ويجب الاستعاضة عنها بتلك الطبائع البسيطة وعن منطق أرسطو بمنهج الرياضيين .

يلزم من ذلك أن ليس هناك حقائق منطقية ضرورية ولا أحكام مطلقة ، ويكون لدينا سبب آخر للشك في العقل شكاً حقيقياً لا منهجياً . ويستبعد ديكارت بالفعل الحكم الارسطي مثل أسناد محمول إلى موضوع أو وصف شيء بشيء ، ويستعيض عنه بمعنى آخر هو « أن الحكم اعتقاد الإرادة بوجود خارجي لموضوع فكرة ما ، فليس في العقل سوى الطبائع البسيطة يضم بعضها إلى بعض أو يفصل بعضها من بعض وليس في العلم سوى « قوانين » . فالإرادة هي أساس المعرفة عند ديكارت ، ولا يقع الخطأ على الحقيقة ذاتها بل يأتي من الحكم عليها . ويشبه أبو الفلاسفة الحديثة في هذا أفلاطون والابيقوريين في مثلهم المشهور وهو أنه إذا رأى إنسان الشمس في حجم التفاحة فليس هذا خطأ بل الخطأ هو الحكم بأنها كذلك ، أي أن الخطأ يأتي من تدخل الإرادة ... ينتج من هذا أن الأحكام عند ديكارت تتكون من عنصرين : ملاكة الذهن التي ترى الصورة الذهنية وتبينها ، وملاكة الإرادة التي توافق أو ترفض هذه الصورة الذهنية ... فالذهن المحدود قد يرى الصور الذهنية على غير حقيقتها ، وتسرع الإرادة في الحكم بأنها كذلك قبل التأمل في الحقيقة هو الذي يوقعنا في الخطأ .

وهناك موضوع آخر يعرض للذهن حين يكتب المرء عن الفطرة السليمة ، هذا الموضوع هو النفس . فالطبيعة الإنسانية مؤلفة من نفس وجسم وهما جوهران متضادان بل متمايزان فالنفس روح بسيط مفكر . والجسم امتداد قابل للقسمه ، وقد يشك الإنسان في وجود جسمه والأجسام جميعاً دون أن يتأثر بذلك الشك وجود فكره ونفسه ، ولم يسبق ديكارت أحد في هذا البرهان من الفلاسفة اليونانيين الذين قالوا بتمايز النفس عن البدن ، وإن سبقه الفيلسوف الإسلامي ابن سينا في كتابه الإشارات حين قال : « ولو توهمت ذاتك قد خلقت

أول خلقتها صحيحة العقل، والهيئة وفرض أنها على الجلمة من الوضع والهيئة بحيث لا تبصر أجزاءها ولا تلبس أعضائها بل هي منفردة ومعلقة لحظة ما في هواء طلق، وجدها قد غفلت عن كل شيء إلا عن ثبوت لانيها ، ، ويرجع أن يكون ديكارت قد اطلع على ترجمة الإشارات اللاتينية .

ولكن، كيف يفسر قوله باتحاد النفس والجسم اتحاداً جوهرياً، مع ما ذكرناه قبلاً من تمييز النفس والجسم إلى حد التضاد ؟ ... الواقع أنه يدعى هنا مكرهاً بشهادة الوجدان ، وأن مذهبه ثنائى لا يطبق الوحدة بحال ، فهو في مواضع كثيرة يتكلم عن النفس والجسم كأن النفس حالة في الجسم مجرد حلول ، وهو يعين لها مكاناً ممتازاً هو الغدة الصنوبرية ، حيث تقوم بوظائفها ، فكما أرادت شيئاً حركت الغدة المتحدة بها الحركة المطلوبة ، لإحداث الفعل المتعلق بتلك الإرادة ، أما الجسم فيؤثر في النفس بأن يبلغ إليها الحركات الواقعة عليه والحادثة فيه فتترجمها هي ألواناً وأصواتاً وروائح وطعوماً ورغبات وآلاماً ، هكذا رتب الله الأمور لخير الإنسان وحفظ كيانه .

يلجأ ديكارت إذن إلى د الله ، ليتوج به مذهبه إذ لا يلوح أن باستطاعة العقل الإنسانى أن يتصور بجلاء وفي نفس الوقت تمايز النفس والجسم واتحادهما ، إذ أن ذلك يقتضى تصورهما شيئاً واحداً وشيئين ، وهذا تناقض ، .

يظهر مما تقدم ، أن ديكارت قد حرر العقل من سلطان الوجود ، وأعلن أن الفكر يكتفى نفسه ولا يخضع لشيء سواه ، فالعقل في ذاته هو القانون الأكبر والواحد لا يسلم بشيء إلا أن يعلم أنه حق ، أى إلا أن يعقله هو ويركبه بأفكار واضحة جلية هي في الواقع أفسكار سهلة ، فإن استعصى عليه شيء أنكره .

وديكارت بذلك قد قلب الوضع الطبيعى الذى يجعل العقل الإنسانى تابعاً للوجود ، ومحتاجاً إلى التعلم ، وأقام الفردية على أساس فلسفى ، وكانت من قبل أقرب إلى التمرد منها إلى الحق ، تلك الفردية التى تجعل الشخص يظن نفسه أهلاً للحكم على الأشياء ، كأن ليس هناك عقول غير عقله ، ويجعل من نفسه أيضاً مركزاً تدور حوله الأسرة والمجتمع ، فنورث بذلك الفوضى العقلية والاجتماعية .

نظم الحكم في الشرق

نظم الحكم القائمة الآن في الشرق الإسلامي نظم تجافى طبع الشرق الروحي ، ولا تتفق مع مقررات الإسلام في الحكم والقيادة الخيرة الرشيدة ، هي نظم تلقفها المخدوعون من بني الشرق المسلم عن الغربيين ليحكموا بها بلاد المسلمين ، وغاب عن هؤلاء المخدوعين أن الغربيين عند ما يهرتهم مبادئ الإسلام في الحكم ، تعلقوا بها واستمدوا منها كل ما يقوم مجتمعهم المنحل في السياسة والاجتماع والاقتصاد ؛ هذه المبادئ التي تضع الأمة في المحل الارتفاع ، وتضع في قبضتها كل مقدرات الحكم ، إذ هي تعين حكماها عن رضى واختيار ، من ذوى الكفاية والإيمان والصلاحية ، ولها ، بل عليها أن تراقب تصرفات الحكام ، ولها حق إمضاؤها أو تعديلها أو إلغائها ، ولها أن تقوم الحاكم إذا عوج ، وتسدده بالنصح إن أخطأ ، وتحمله على الجادة إن مال أو جنح ، ولها عزله إذا لم يرهو لناصح ، ولج في عتوه وجوره ، واقصت حلقات ظلمه ، فإن أبى الاستقامة على المحجة والعدالة ورفض أن يعتزل ، هزلته بقوة السلاح ونصب الحرب له ، ما دامت ترى ذلك في مصلحتها .

ولا غرو ، فالحكم في الإسلام خدمة عامة ، لا سيادة على العامة ، والحاكم مجرد وكيل عن الأمة في القيام بقيادتها وتدبير مصالحها ، ومباشرة كل سلطاتها التي لا تستطيع الأمة أن تقوم بها مجتمعة ، وبالضرورة ليس للوكيل سيادة على الموكل ، ولا من حقه الاقتيات عليه ، واغتصاب حقه ، أو استعباده واستغلاله ، ضرورة أنه خادم رفيع الشأن له أجر خدمته ، وبالجملة فقد وضع الإسلام أنظمة الأمة فوق رأس الحاكم ، وسلطها عليه ، وكلفها بمراقبته وقرر مسؤوليتها عن كل تصرفاته ^(١) .

وجد الغربيون ذلك وأكثر منه في الإسلام ، فأدركوا سر قوته ، وسر قوة المسلمين الذين يتبعون شرعيته بإحسان ، وآمنوا بأن نهضتهم ، وإصلاح مجتمعهم ، مقرونان بالعمل بهذه المبادئ القوية القويمة .

(١) راجع بحثونا [الفقه السياسى للإسلام] في أعداد السنتين الماضيتين من هذه المجلة .

ولكن ليس دن المستساغ عند أوروبا المسيحية المتعصبة ، أن تقبل إليها مبادئ الإسلام على أنها مبادئ الإسلام ، وإلا كان ذلك كفرآ ، أو إلحادآ على الأقل ، في نظر رجال الكنيسة والعامّة الذين يتأثرون بهم ، ولم يقف ذلك في وجهه المفكرين من رجال العلم السياسى والدستورى ، الذين وجدوا منقذآ لهم في نظرية التعاقد الإغريقية التى تقرر أن الحكم فى الأصل تعاقد بين الحاكم والمحكومين - على وجه ما من أوجه التعاقد - ؛ وهنا دسوا مبادئ الإسلام القوية ، فى نظريات التعاقد ، بل هم فى الواقع خلقوا بها نظريات تعاقدية جديدة ويظهر ذلك بوضوح فى فلسفات السياسيين المتحررين الذين دعوا إلى هدم الملكية القائمة فى بلادهم كنظام للحكم ثبت فسادُه وظلمُه ، وخلقُه للمشاكل بين المحكومين ، وتفريق وحدتهم يجعلهم طبقات يتمايز بعضها على بعض بالألقاب والاحساب ، ويجعل الشرف وراثياً ، لادخل لعمل الشخص وسلوكه فى تحصيله ؛ ونخص بالذكر من هؤلاء الفلاسفة المتحررين «روسو» الفرنسى صاحب كتاب «العقد الاجتماعى» ، الذى قرر : أن الأمة هى مصدر السلطات ، وهى سيدة الحاكم الذى يستمد منها قوته وعزته وسلطانه ؛ ثم يقرر فى نفس الكتاب : أن محمداً قد أقام نظاما سياسيا بارعا لحكم دولته ، وقد كان ذلك سر قوة خلفائه الذين اتبعوه فى حكم المسلمين ما داموا ملتزمين لنظامه . . ولو علم أولئك المخدوعون أن مبادئ «روسو» التى حطمت عرش البربون ، مبادئ قاصرة بالنسبة لمبادئ الإسلام الحقيقية فى الحكم على الأقل لأن «روسو» يعتبر أن أفراد الأمة قد تنازلوا عن شىء من حرياتهم وحقوقهم ليجمعوا من مجموع هذه «التنازليات» سلطة ممتازة للحاكم . بينما الإسلام لم يعترف بشىء من هذا التنازل إطلاقا ، إذ التعاقد فيه قائم على أساس الوكالة ، فالحاكم وكيل خاضع لسلطان الاصيل ، وسيادة الموكل على وكيله ثابتة ، والحاكم خادم للأمة لا سيد عليها ، وشرط دوام حكمه ، أن يتوجه به إلى صالح المحكومين ؛ فإن جعل نفسه سيّدا ، أو وجه الحكم لصالحه وصالح خواصه ، فسد الحكم ، وزالت عنه صفة الوكالة ، أو أزيلت عنه . وفى هذا يقول عمر رضى الله عنه : «مثل وإياكم كمثل وإلى اليتيم منه ومن ماله . . . وواضح أن ولى اليتيم لا سيادة له عليه ، ولا ماله ، وإنما هو راع وموجه للخير ، وناصح أمين ، يأخذ أجر رعايته وتنميته للسل إن كان فقيرا ، وعمر أيضاً هو القائل : «إن من استراحه الله على المسلمين فقد وجب عليه ما يجب على العبد لسيده ، الخ

أقول : لو علم الخدوعون بالغرب من رجالنا ما في مبادئ الإسلام من قوة وجمال وحيطة لصالح الشعوب ، لسعوا إلى الإسلام وينابيعه الصافية الطاهرة قبل أن يذهبوا إلى الاستجداء من موائد الغربيين وهي من فئات موائد الإسلام ! ولكنه الجهل بالإسلام ، وحب تقليد أهل المدنية ..

وإن من أهم ما يشترطه الإسلام لصلاحية الحكم قيام الانسجام بين الحاكم والمحكوم ، وتحقيق التجاوب العاطفي بينهما ، وتبادل الشعور بمسئولية كل منهما عن الآخر ، فإذا لم يكن هناك توافق وانسجام بين الحاكم والمحكومين ، وإذا لم يتحقق التجاوب العاطفي بينهما ، وإذا فقد الطرفان الشعور بالاشتراك في المسئولية عن الصالح العام للدولة ، فسد الحكم وتوزعت الميول ، وتعددت الأهداف ، فيستبد الحاكم بالحاكم ، ويحقد المحكوم على الحاكم ومن هنا تقوم الثورات نتيجة لفساد الحكم وضياح الغاية منه ، وهي تحقيق الصالح العام للدين والدولة ؛ ولهذا أوجب الإسلام التضامن الجماعي بين كل فرد وفرد وبين كل فرد والجماعة ، وحمل كلاهما من مسئولية الحكم مثل ما يحتمله الآخر . وفي ذلك جاء قول الرسول الكريم صلوات الله عليه : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ، ويحبونكم ، وتصلون عليهم ، ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » ، وقوله : « من ولي من أمور المسلمين شيئاً ثم لم يحطهم بنصحه ، كما يحوط أهل بيته ، فليتبوأ مقعده من النار » .

ولتحقيق الانسجام بين الحاكم والمحكوم ، يجب أن يكون الحاكم واحداً من الشعب الذي يراد حكمه ، غير غريب عنه ، لأن ابن الشعب أعرف بتقاليده ، وأدرى بمصالحه ، وهو أعطف عليه من الغريب ، وهو أرحم به منه ، لأن الغريب لا يهيم من الشعب إلا أن يحكمه ، ويستعبده ، ويستغل كل إمكانياته ؛ ثم إن همة الغريب عن الشعب تتجه حتماً إلى تدعيم حكمه ، وتثبيت مركزه . واصطناع الأعوان والانصار ، ولا يتأق له ذلك إلا بتفرقة وحدة الشعب ، وضرب بعض المحكومين ببعض ، وغالباً ما يضحى بمصلحة الدولة والصالح العام في سبيل الوصول إلى غايته هذه ؛ وكثيراً ما يعتمد الرشوة وشراء الذم ، فتفسد الأخلاق تيمناً لفساد الحكم ، ولا يهيم الحاكم الغريب كل هذا ما دام يسيطر على الجميع ! .

ولم هذا المبدأ الجميل يرشد القرآن الكريم عن طريق الإيحاء ، فالقرآن يتحدث عن

أولى الأمر فيقول : «... أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» ، «ولو رده» إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» . ولما كان الحاكم معدوداً من أولى الأمر في نظر العلماء ، وجب أن يكون من المحكومين ، وهذه إشارة قوية لها دلالتها ، ولقد كان المسلمون الأولون يتركون حكم الأقاليم لأهلها ، ويكتفون بالإشراف العام ، ومراعاة تنفيذ أحكام الإسلام .

ولدينا إشارة إرشادية تعليمية ، فيما قصه الله علينا من أنباء الرسل عليهم السلام «وإلى عاد أخاهم هوداً» ، «وإلى ثمود أخاهم صالحاً» ، «وإلى مدين أخاهم شعيباً» ، «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين» . هذه سنة الله في إرسال الرسل . وهم الهداة المعصومون ، المرعيون بعناية الله ، وتأيد الوحي . وقد اقتضت حكمته جل شأنه أن يختار الرسل من أبناء الشعوب الذين يرسلهم إليها ، لأنهم أعرف بأحوالها ، وأدخل من غيرهم على عواطفها ، والرسل قادة ربانيون ، ونماذج يبعثهم الله للاقتداء بهم وجرياً على هذه السنة الربانية في اختيار الرسل يجب أن يكون حكام كل شعب من الشعب نفسه ، لأن ذلك أدنى إلى تحقيق المصلحة ، وأوقع في نفوس المحكومين ، وهو طريق تحقيق الانسجام والتفاعل الوجداني بين الشعب وحاكمه .

وكذلك يجب أن يكون الحاكم مؤمناً بما تؤمن به أغلبية المحكومين ، ليتوحد الهدف ، وتتناهل الميول ، وتتجه في اتجاه واحد ، وعندئذ يمكن التعاون بين طرفي الحكم في سبيل تحقيق صوالح المجموعة كلها ؛ وتوفير أكبر قسط من السعادة للمحكومين وهو هدف الحكم .

فإذا كان الحاكم غير مؤمن بما تؤمن به الأغلبية ، كأن يأتي مثلاً من صفوف الأقلية أياً كان لونها ؛ أو كان مؤمناً بما لا تؤمن به الأغلبية ، فإن حكمه لا بد أن يكون قائماً على التجبر والقهر وكبت الحريات ، وإشاعة المظالم ، مضيقاً لحقوق الشعب ، اعتماداً على بطش السيف ، وضغط الحديد والنار ، وزحمة الجيوش .

ومثل هذا النوع من الحكم الذي يتعدم فيه الانسجام والتعاطف بين الحاكم والمحكومين حكم فاسد لا يقره الإسلام بأي حال من الأحوال ؛ إذ الحكم في الإسلام - كما قررنا من قبل - خدمة عامة ، تهدف إلى تحقيق أكبر قسط من السعادة للمحكومين ؛ وطريقه الحق

والعدل ، وهو يعتمد على الإيمان العميق بمقدسات واحدة ، يلتزم ما تفرضه الحاكم والمحكوم على السواء ؛ ثم هو يستند إلى التقاء القلوب على حب الخير للجميع ، وقوة التعاطف الأخرى في ظلال الشعور بالمسؤولية المشتركة عن صالح الدين والدولة ...

وطبعي أن الحكم في الشرق الإسلامي لا يقوم على هذا النظم الإسلامي ، فهو إما حكم ملكي أو توراتي ، أو ملكي دستوري ، أشبه بالديكتاتوريات التي تقوم على الغلبة وقوة السيف ؛ أو هذه الديكتاتوريات ، أو حكم أوليغاركي يقوم به جماعة من التجار الذين يسمون أمراء في بعض البقاع ؛ أو حكم جمهوري ديكتاتوري ، أو حكم في الجملة يستند إلى ما يسمى في العصر الحديث بالديكتاتورية البرلمانية ، التي يقولون إنها شر أنواع الحكم .

وفي كل لون من هذه الألوان الحكومية ، تختنق أصوات الشعوب ، وتضيع مصالحها ، وسط ضجيج الجيوش ، وجور السلطان ، وضغط المظالم ؛ ولا يتصل لون منها بأى سبب بالإسلام من قريب أو بعيد .

وقد آن لنا - نحن علماء المسلمين - أن نتحسس شيئاً من ماء الحياء في وجوهنا ، حتى نكف عن تأييد هذه النظم الباغية ؛ وقد آن أيضاً لزعماء العلماء ، وكبار قادة الفكر الإسلامي ، أن يطلبوا في إلحاح من المشرفين على مقدرات الحكم في الشرق الإسلامي - كل في محيطه - أن يديروا حكمهم على منهج إسلامي .

يا قوم : إن الوعي الإسلامي قد استوى اليوم على سوقه ، وروحه تسرى في الشرق الإسلامي قوية ، تدفع إلى التحرر من جمود الدعاة ، وظلم الحكام ، وأقسم إن لم تسرعوا إلى العمل الجسدي المنتج ليحرقنكم النيران ، وليفلتن من أيديكم الزمام ، فسارعوا إلى تحصين التحرر بالدين الصافي الخالص من شوائب الأهواء ، وأهواء الطوائف ، واهتفوا بالناس جميعاً : حكموا الإسلام في مشاكلكم وحياتكم ، فإن الشرق في حاجة إلى حكمه الصالح ، ولقد أفلح من تزكى ، ولتعلن نبأه بعد حين .

محمود فياض

مدرس التاريخ الإسلامي

بكلية أصول الدين

مَآثِرُ السِّلَاحِ بِالسَّيْرِ

دماء مہراقہ تفور فوق رمال الصحراء ، وأجسام مبعثرة تشهد على ظلم الإنسان نجوم السماء ، وأشلاء مرقمتها قذائف الطغاة ، ورؤوس عبثت بها الأوهال ، ونفوس شواها سعي النضال .

إنها دماء التونسيين أحفاد طارق وجند طارق ، لأنها أجسام الذين أفزعت صيحات جدودهم فرنسا فتمنت في الأرض نفقا يقيمها سيوف الغزاة وبأس الغزاة ، لأنها أشلاء أبناء الفاتحين الذين أترعوا الأرض عدلا وحرية .

فإذا دمی المسلمین ؟ أم قلة حيث تداعت عليهم الالكة ؟ أم هم كثر كفناء السيل ؟ إن النفس لتتمزق حشرات كلها سمعت أنات الشعوب الإسلامية وقد جرح الطغاة عزتها ، وطعن الغدر كرامتها ، وسحق البغي سلامتها وحق لها أن تتمزق ويدمها الأسف على تلك العزة الإسلامية التي انهارت في المغرب واستسلمت للطغيان منذ قرون ، منذ هزت الدسائس والفتن عرش غرناطة رويداً رويداً ، حتى انكفأ وسقط تاج أبي عبد الله آخر ملوكها ، وخرج منها متعثراً يلم في يده المرتعشة أذيال الخيبة ووراءه رنات الأسى تشيع ذلك الأمل المتهدم .

إن ما يعانيه المغرب اليوم صدى لأحداث الماضي البعيد ، اختفى في غضون الزمن حيناً ليظهر عاصفاً يحتاج من لم توقظه العبر .

لقد نسى المسلمون خروج أبي عبد الله من غرناطة ووقوفه متحسراً يلقي على (الحمراء) نظرات الأسف ثم يسترجعها مبلة بالدموع .

لقد نسى المسلمون منظر أبي عبد الله حين أغمض عينيه ليعيش لحظة بين ذكريات (الحمراء) وقصرها المنيف وظلها الوارف ، ثم فتحهما فإذا رماح الأعداء حوله ، وإذا السيوف تظلل رأسه التي بجها التاج ، وإذا النذر أصبح فيه : إلى صحراء المغرب ، إلى صحراء المغرب ...

لقد نسى المسلمون وقفته حزيناً على تلك الصخرة التي وثب عليها طارق من قبل معزاً
يايمان وإيمان أصحابه الذين مزق بهم ناج (لذريق) وداس بهم لآلئه، وقد لمعت فيها
قطرات دم الشعب الأسباني التي استنزفها الطاغية واستنزف معها حيوية شعبه، فلبارفرت
عليهم رحمة الإسلام أعادت إليهم حيويتهم المسلوقة.

لقد نسى المسلمون وقفة أبي عبد الله على تلك الصخرة التي فقدت صلابتها تحت قدميه،
فلانت، ثم ذابت، فانساح في ذراتها ذلك الطريد الذي أسلمته ظروفه إلى حالة، ظلمات القبر
أهون منها على نفوس الأباة.

إن أمواج الزمن تحمل إلينا من أغوار الماضي البعيد تلك الصيحة التي أرسلها أبو عبد الله
بين يديه إلى أحد ملوك أفريقيا :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم	رعيا لما مثله يرعى من الذمم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لم	جار الزمان عليه جور منتقم
هى الليالى وقاك الله صولتها	تصول حتى على الآساد فى الأجهم
كنا ملوكا لنا فى أرضنا دول	نمنا بها تحت أفنان من النعم
فلا تم تحت ظل الملك نومتنا	وأى ملك بظل الملك لم ينم

حقاً لقد أيقظته مهام الردى، وأفاق على سقوط ملسكه وتداعى عرشه، وانتبه على
أجراس الكنائس تدق فتمحو صلصلتها صوت الأذان الذى دوى فى الأندلس
ثمانية قرون.

لقد صك المسلمون فى الماضي البعيد أسماعهم عن صرخات النجدة وأصوات الاستغاثة
التي هنف بها الأندلسيون، فلم يستجب لهم شعب إسلامى، ولم تتيقظ الحمية فى نفس ملك
من ملوك المسلمين حين نادته الأندلس الجريحة.

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا	إن السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمس	فلم يزل منك عز النصر ملتصبا
وفى بلنسية منها وقرطبة	ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الإشراك مبتصبا	جذلان، وارتحل الإيمان مبتصبا

ولم يلها أحد من أصحاب التيجان المزيفة حين دعت وأهابت به أن يتشلها من بطش العتاه :

نادتك أندلس قلب ندامها واجعل طواغيت الصليب فداءها
وهكذا أخذت تستنجد بمن ماتت في نفوسهم حب النجدة حتى مضت من الوجود تاركة
وراءها سمائب من الدموع لن تجف أبداً .

ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أشبه المذايح التي تلتطخ دماؤها أرض تونس بمذايح محاكم
التفتيش في الأندلس ، وما أشبه استنجد مسلمي المغرب اليوم باستنجد مسلمي الأندلس
بالأمس . فهل هي صرخات ضائعة في أودية كضاعت صرخات الأمس ؟ وهل ماتت
أحاسيسنا ففقدنا نخوة ، وأودعنا في بطون التاريخ القديم الشهامة والرجولة .

إن شجاعة أفلاننا حين نكتب ، وقوة منطقنا حين نخطب ، وجرأتنا في أقطارنا على
الثورة وتحن بمنأى عن رحي المعارك الدائرة ، كل ذلك لا يحسب له العدو حساباً ، وكل
ذلك لا يعيد للصرير حياته ، ولا يضمد للجريح جروحته ، ولا يرد كيد الطغاة في نحورهم .
لقد ضيع مسلمو الأندلس حين قعدوا عن الكفاح وقد استنفرتهم أخوة العقيدة
وازورت أعناقهم عن تلبية ندائهما وهي مشخمة بالجراح . وكأن الله عاقب الأحفاد بجريمة
الأجداد ، جريمة إثارة الحياة على حب الله ، جريمة خذلان المسلم للمسلم ، جريمة السكوت
على عدوان اللادينيين على أرض كانت محاريب لعباد الله ثمانية قرون .

فأسأل بلفسية ما شأن مرسية	وأين شاطبة أم أين جيان
قواعد كن أركان البلاد فما	عسى البقاء إذا لم تبق أركان
تبكي الخيفية البيضاء من أسف	كما بكى لفراق الإلف هيجان
على ديار من الإسلام خالية	قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كمائس ما	فيهن إلا نواقيس وصلبان
يا من لذلة قوم بعد عزم	أحال حالهم كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم	واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
يارب أم وطفل حيل بينهما	كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت	كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العاج للسكر وه مكرهه	والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كد	إن كان في القلب لإسلام وإيمان

هذه صورة أندلسية دامية يصورها أحد شعرائها فيصور ذلك الانقلاب الذي أتى على المسلمين وعلى آثار المسلمين وعلى أعراض المسلمين .

إنها صور المأساة التي ظلت حية في التاريخ ، حتى انعكست على المغرب اليوم مكبرة تكشف عن الإنسانية المعذبة بين أهوال التشكيل والعسف ، فكم من رضيع مسلم حرمة وحشية الفرنسيين صدر أمه التي جادت للوت بروحها ، وضنت على الفرنسيين بكرامتها . وكم من كهل أدمت القيود أعقابها ، وحطمت الأغلال أصلابه ، فلم يرحمه أولئك الذين أسبغ عليهم منذ سنوات رحمته .

لو أن لفرنسا ضميراً لتزق حين رأى جنودها يتسكرون بل يقتلون من هموم وقذائف الألمان تحصدهم وأطعمهم حين استولت النازية على أقواتهم وآوهم وغوائل برد الصحراء تلتهمهم .

وأخيراً ماذا يكون موقف مسلمي اليوم من تلك الأحداث ؟ أهو موقف الاسترجاع ؟ أهو موقف القاعد الذي ينتظر دوره وهو مؤمن بأنه سيؤكل كما أكل الثور الأبيض . أيها المسلمون ، أفيقوا قبل هبوب العاصفة ، وأجمعوا شتانكم لتردوا عن كيأنكم التآمر الدنيء ، تأمر الإطاع ، وتأمر الاستغلال ، تأمر القضاء على الحريات .

أيها المسلمون :

إن الأخوة الإسلامية هي السلاح الوحيد الذي يقضى على ذلك التآمر ، ويمزق نيات المتآمرين ، على أن تكون الأخوة قلبية تجمع بين هذه الشعوب المتباعدة الأقطار ، وتكتل قواها أمام كل من تسول له نفسه النيل من ضعفها أو قويتها .

أيها المسلمون :

إذا فاتكم أن تعيشوا في الدنيا أعزة كراما ، فليمن يغوتكم أن تموتوا بين معامع الحرب سادة أشرفا تكتبون بدمائكم الطاهرة أعظم صفحات من البطولة الخالدة .

أيها المسلمون :

إذا كانت قد أيقظتكم صيحات تونس فلتنهف قواكم وجميع ألوان أسلحتكم : لييك يا تونس . ثم أذنوا في الوجود : لقد تيقظنا ، ولن نسمح بعد اليوم لقوة في الدنيا أن تمس قداسة أرضنا .

محمد خليفه

المدرس في الأزهر

الدعوة

إلى عقد المؤتمر الإسلامى فى القاهرة

حديث فضيلة الأستاذ الأكبر

كتب مندوب الأهرام يقول :

يعد اجتماع المؤتمر الإسلامى فى مدينة القاهرة حدثا تاريخيا له دلالة وأهمية ، ولعل أولى نتائجه أن الأمم الإسلامية سوف يتاح لها أن تجتمع فى صعيد واحد ، لتتدارس ما يعتورها أو ما كان يعتورها من مختلف العوامل لتقول كلها كلمة واحدة ، ولتضع نظاما واحداً من شأنه توحيد الجهود لمقاومة العدو المشترك ، سواء أكان هذا العدو مرضا وفقرا وجهلا ، أم كان مستعمرا يجثو فوق رؤوسنا وصدورنا بعدده وعدته وخيله ورجله .

وقد رجعت إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لأقف منه على ماقد يعرض على هذا المؤتمر فى اجتماعه المقبل من امهات المشكلات المشتركة بين الأمم الإسلامية . والحق أن فضيلته قد تردد كثيرا فى إجابتي الى ما طلبت ، وذكر لى أن من الخير أن لا نتحدث عن مثل هذه المشكلات قبل أن يتخذ المؤتمر فيها قرارا عمليا قد يكون له أثره المرتقب . ولكنى شرحت له أن هذا الاعتبار وإن كان اعتبارا له قدره إلا أنه لا يصح أن يقف حائلا دون الاعداد والتمهيد ، فقال فضيلته .

زعماء المسلمين

لقد تقرر أن يجتمع كبراء المسلمين ، وزعمائهم فى مؤتمر عام يعقد فى القاهرة ، كما عقد فى مدينة كراتشي فى العام الماضى ، للتفاهم أو للتفكير والبحث فى التعاون ، على البر والتقوى . واستطرد فضيلته فقال مقائل : فهل لنا أن نهد لذلك بالتفكير فى أنفسنا ، ثم فى بحوثنا عن سبل الانتفاع الصادق بهذه الرابطة التى عقدها الله بين قلوب خمسةائة مليون مسلم على الحق والخير ، وأباح بها لهم جميعا سبل التعاون على الانتفاع بكل ما فى أوطانهم من نعمة مدخرة . إن التفكير فى ذلك من مصلحتنا ، ومن أسباب سعادتنا . ولا سيما إذا استلهمناه من روحنا الأصيلة ، ومن مبادئ ميثاقنا الآقوم ، معتبرين الأخوة التى عقدها الاسلام بيننا خطوة الى الإنسانية التى تنشدها الأمم اليوم وتمناها ، ولكن العصيات القومية ، والاختلافات الوطنية والتنافس على توافه المتع وسفاسف الرغائب تحول بينهم وبين ذلك .

ولو وقفنا نحن إلى شيء من ذلك لضربنا المثل به لأمم الأرض ، فتستكشف بضوئه مسالكها إلى السعادة والتعاون في أسمی معانيه .

وهنا سكت فضيلته قليلاً ثم عاد يقول :

المسلمون أسرة واحدة

كانت الإنسانية في بدء تكوينها أسرة واحدة ، تتعاون كما تتعاون الأسرة الواحدة ، وتتراحم كما تتراحم . ثم تكاثرت واتسعت . فطرات عليها العصبية والاختلافات والتنافس على توافه المتع وسفاسف الرغائب .

وما زالت هذه العصبية والاختلافات تنمو وتستفحل حتى نشأت عنها العداوات والإحـن بين الأسر ، فالجأزر والمذابح بين القبائل ، حتى إذا تمكنت الأثرة والامانية من النفوس ، وانتقلت من القبائل إلى الشعوب ، جاء الإسلام وهذا المرض الانساني في مقياس واسع بين الروم والفرس ، فكان من أعظم رسالات الله إلى الإنسانية على لسان خاتم النبيين دعوة الامم للرجوع بالإنسانية إلى وحدتها الأولى متآلفة بميثاق جديد ، وهو ميثاق الحق حيثما كان والخير كيفما يكون .

رسالة الاسلام

جاء الإسلام بهاتين الكلمتين : الحق ، و الخير ، باسـطا يده إلى أمم الأرض لا فرق بين أصفر وأحمر وأبيض وأسود ، فكل من دخل منهم في ميثاق الحق والخير ، كان أخاً للداخلين فيه ، لا فضل في ذلك لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بقدر مبادرته في الاستجابة لهذا الميثاق الانساني ، وتجنبه كل ما يخالفه أو يخل به .

روى الحسن بن أبي الحسن البصري ، أن خطيب قريش سهيل بن عمرو أحد بني عامر ابن اؤى ، وأبا سفيان بن حرب بن أمية ، والحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وغيرهم من أشرف قريش كانوا يباب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكان في بابه أيضاً بعض الموالى كصهيب وبلال وغيرهما ممن شهد بدرأ فخرج إذن عمر للموالى ، وآخر عنهم أولئك الأشرف ، فامتعض بعض هؤلاء وقال أبو سفيان لم أر كاليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد وتركنا على بابه لا يلتفت إلينا . فقال سهيل بن عمرو وكان من ذوى أحلامهم : أيها القوم ، إنى أرى والله الذى فى وجوهكم ، إن كنتم غضاباً فعلى أنفسكم فاغضبوا . دعى القوم ودعيتهم فأسرعوا وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم .

هذه هى أخوة الإسلام التى رفعت الضعفاء جزاء مبادرتهم فى الاستجابة لدعوة الحق والخير ، وسأوت بلالا وصهيباً وأمثالهما بأشرف قريش وساداتها ، بل قدمتهم عليهم .

الإخاء في الإسلام

وفي ظل هذا الميثاق الإنساني الأعظم كان الإسلام قد عقد الإخاء بين الأوس والخزرج ، فكانوا جميعاً أنصار هذا الحق ، ودعاة هذا الخير ، ثم عقد الإخاء بين الأنصار والمهاجرين بما لم يسبق له نظير في تاريخ الإنسانية لما تتمناه الإنسانية من التماسى والتراحم والتعاون في أسمى معانيها . وأن هذا المثل الإسلامي الأعلى لا يزال مضروباً للناس جميعاً - وفي مقدمتهم المسلمون - ليعودوا إليه فيعظموا به ، وليأخذوا بمبادئه فيقووا ويسعدوا .

الحق والخير من مبادئ الإنسانية الأولى في الأزل ، وسيقيان جديدين إلى الأبد ، وميثاق الحق والخير مدعو إلى الأخذ به كل إنسان يعرف قدر الإنسانية ، والذي يستجيب لدعوته التي نادى بها الإسلام يضمن بذلك السعادة لنفسه وذويه ، والإسلام لا يطلب منه جزاء على ذلك . وأول من ينبغي لهم أن يستجيبوا للدعوة الحق والخير وإحياء ميثاقهما هم المسلمون ، وسيجدون أنفسهم وبلادهم وأممهم بعد ذلك قد استحالَت خلقاً آخر غير الذي كانت فيه .

وتعال تتساءل

وتعال تتساءل : ما بالنا نحن المسلمين لا نفكر في ذلك ، وما بالنا لا نحسن إلى أنفسنا بالرجوع إلى مبادئ الإسلام الطيبة ، وأساليبه الحكيمة الطاهرة في الأخوة والتعاون ، ألسنا نعلن في كل يوم أن الناس بخير ما تعاونوا ؟

لماذا نستحسن التعاون على قروش في مواد البقالة ، ولا نجرب التعاون على السعادة بمخادفها في مواد الحياة ومبادئها ؟ ١١٩

لقد دعانا الإسلام لتكون إخوة متعاونين ، لا على الأمور الصغيرة كفتح دكاكين البقالة وحسب فإن هذا التعاون مطلوب بعد الإيمان بمبدأ التعاون الإسمى فيما هو أسمى من ذلك وأوسع نطاقاً وأعظم آفاقاً .

نحن الآن أمة لا يقل عددها عن خمسمائة مليون أو تزيد ، فما أقوانا وما أسعدنا لو تعاونوا على كل ما نشترك في الانتفاع به من معادن نفوسنا ومرافقنا ومدخراتنا ، وما أكثرها وأعظمها وأثمنها ! بل لماذا لا نتعاون في آلامنا وأوصابتنا ، وأوجاعنا ، وما أشدها ! وفي آمالنا لحاضرنا ومستقبلنا ، وما أوسع آفاقها !

لقد أنعم الله علينا بدولتين جديدتين مستقلتين الباكستان وأندونيسيا وفيهما أكثر من ربع

عدد المسلمين في العالم ، وأنعم علينا بتطهير أرض الكنفانة من أسوأ أظلام وأبشعه ، وأنعم علينا باليقظة في كل مكان ، والاستعداد للأخذ بما هو أحسن ، حتى نصل إلى الاستقرار والطمأنينة والرضا بالحق والإقبال على الخير ، وفي ميثاقنا الإنساني الأول الذي أنعم الله به علينا في أكرم رسالاته ما يحقق ذلك كله لنا على أتم الوجوه وأجملها ، فلماذا لا نمد يدنا إلى هذا الماء النير العذب الصافي فنغترف منه ؟ وفي أوطاننا الإسلامية من أقصى أندونيسيا إلى آخر دنيا المسلمين كل أنواع المعادن والمحصولات والمنتجات والمواد الأولية ، فلماذا لا نتعاون مع إخواننا من أهلها على تبادل هذه المنافع ، ولما كمال ما يتقصنا من أوطان إخواننا الذين يكثرون ذلك عندهم ؟ لماذا لا نعتبر الوطن الإسلامي وطناً واحداً في تبادل منافع بالحق والخير ، مع الاعتراف لأهل كل بقعة بأن الأقربين لها أولى بالمعروف ، وأن عليهم أعباءها في مقابل ذلك ، ثم علينا معاونتهم ولنا عليهم أن يكونوا في عوننا ؟ ولماذا لا نفتح لهم قلوبنا ليفتحوا لنا قلوبهم ، وبذلك نحصل على مفاتيح الخير كلها في السماوات والأرض ؟

ميثاق الانسانية

إن عقبة واحدة واقفة في طريق تحقيق ذلك ، وهي أننا تناسينا ميثاق الإنسانية الذي عقدته رسالة الإسلام بين الأصفر والاحمر والأسود والابيض ، وقد علمنا الاستعمار في داخل فصول مدارسنا التي تنفق عليها من أموالنا بأن المسلمين أجانب عن المسلمين ، وإن الإسلام نفسه شبح خفيف يجب أن نتذكر حتى للأخلاق التي جاء يدعو إليها ، وللمثل العليا في التاريخ التي ضربها أبطال التاريخ الإسلامي للعالم بما بنوا من أجداد ، وبما أقاموا من حق ، وبما نشروا من دعوة الخير ، فنشأ أبنائونا ومعاصرونا غرباء عن هذا الجو ، متخوفين من فتح نوافذهم إلى ناحيته ، ولهذا بقي المسلمون متقاطعين فيما بينهم ، ومقاطعين لميثاقهم الإنساني الأعظم ، ومتجافين عن أخلاق دينهم التي بعث الله نبيهم ليعلم مكارمها ويحمل الإنسانية بها .

مدارسنا وروح الاسلام

وإذا كانت مدارسنا لا تحب أن تعلم هذه الأشياء لابنائنا ، فلماذا لا يقوم سليمو النية من أفاضلنا وأذكيائنا ومتقفينا بدراسة روح الإسلام من ناحيتها التعاونية والتعاملية ، ويحاولون استنباط معادن الخير منها لننتفع بها في أزماننا الحاضرة ؟

اختيار الزوجة في الشريعة الإسلامية

جاء الإسلام فوضع لنا قواعد لبناء هذا المجتمع على أساس صالح ، ليخرجنا من ظلمات التعاسة والشقاء إلى نور السعادة والهناء ، قال تعالى « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » وقال « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

ومن هذه القواعد ما جاءت به الشريعة الغراء لتنظيم الأسرة ، لأنها أساس المجتمع ونواته ، فإذا صلحت صلح المجتمع كله وسار قدما نحو التقدم والرفاهية .

وأول لبنة في بناء الأسرة وتكوينها هي الزوجة الصالحة التي تسعد زوجها وتوافقه وتطيع رغباته وتشاركه أفراحه وأحزانه وتجعل من بيتها جنة فينانة وعشاً جميلاً يأوى إليه الزوج فينسى همومه وآلامه ومتاعبه وأسقامه . هذه الزوجة هي التي عناها الله بقوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ، وهو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ،

ولكن أين هي هذه الزوجة المثالية ، وما مقياس هذه السعادة الزوجية ؟

هل هو الثراء ، أم الجاه ، أم الجمال ، أم الأخلاق الفاضلة ؟

أفكار تختمر وتتردد في ذهن كل إنسان يرغب في الزواج ، فالبعض يفضل الغنى لأن الثراء في نظره هو كل شيء في الحياة ، فيعتقد أن زواجه من غنية سيسعده ويؤدي به إلى العيش الرغيد من غير جهد أو تعب ، والبعض الآخر يرى في الجمال مبعث غواية مناه لأنه رجل شعوى يسمع بمشينوس تمثال الجمال فيريد أن يراها في بيته تقدم له الطعام الشهى وتجاذبه أطراف الحديث الطلى وتسرد له العبارات المزوقة والألفاظ المنمقة ، وفريق ثالث يرى أن سعادته هي في الزواج من كريمة أحد (الباشاوات) أو الوزراء أو من عائلة معروفة الحسب والنسب ليصل إلى غرضه كترقية أو تعيين في إحدى الوظائف أو افتخار على غيره من الأقران الذين ينقصهم هذا الجاه الجديد والمصاهرة السعيدة ، وهناك فريق رابع لا ينظر إلى هذه الاعتبارات جميعها فيجعلها ذبر أذنه وتحت قدمه ، ويفضل عليها الزوجة ذات الخلق والقل والدين ويرى فيها المثل الأعلى للزوجية الصالحة التي يسعد بها ويعيش في ظلها الوارقة .

أوضح لنا الإسلام أى هذه الطرق أولى بالسلوك ، وأى هذه الاعتبارات أحق بالنظر ، فبين لنا أن الجمال طلاء زائل وعرض حائل ، وأنه إن لم تزينه الأخلاق الفاضلة كان فكبة فكباء وطامة كبرى تدفع الزوجة إلى الطغيان والفساد والاستهتار بالحياة الزوجية ، ولذا حذرنا منها الرسول ﷺ وشبهها بالنبات الأخضر الجذاب وسط الدمن والأوساخ والقاذورات فقال : « يا أيكم وخضراء الدمن . قيل : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء ، . كما بين لنا أن الغنى وحده — من غير أخلاق تحدد من طغيانه — لا يصلح أساسا للزوجية ، فهو يدفع الإنسان إلى البطر والغرور والكبرياء ، والتعالى على الزوج وامتهان كرامته ، قال تعالى : « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى ، .

وكذلك الجاه يفسد الزوجة إن لم يكن لها من عقلها ودينها وأخلاقها رادع يقفها عند حدها ، ويشهرها بأنها وإن كانت أنسب وأحسب من زوجها ، إلا أنها صارت زوجته ، وواجب عليها طاعته ورضاؤه ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا تزوجوا الفسء لمحسنين ، فعسى حسنهن أن يردهن . ولا تزوجوهن لأمواهن فعسى أمواهن أن تطغين . ولكن تزوجوهن على الدين ، ولامة خرماء سوداء ذات دين أفضل ، . وقال : « ألا أخبركم بخير ما يمكن المرء : المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته ، وإذا غاب عنها حفظته ، وإذا أمرها أطاعته ، . وقال : « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة ، ، « تنسكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها ، فاطفر بذات الدين تربت يداك ، .

وروى أن سيدنا عمر رضى الله عنه نهى الباعة عن مذاق اللبن بالماء ، فخرج في إحدى الليالى يتفقد الرعية ، وإذا به يسمع امرأة تقول لابنتها : ألا تمزقين اللبن بالماء فقد أصبح الصباح ؟ فقالت البنت : كيف ذلك وقد نهى عنه أمير المؤمنين ؟ قالت : قد فعل الناس فافعل مثلهم ، فما يدرى أمير المؤمنين ؟ فقالت : إن كان عمر لا يعلم ، فإنه عمر يعلم . ما كنت لأفعله وقد نهى عنه .

فسر سيدنا عمر لذلك ، فلما أصبح دعا عاصما ابنه وقال له : يا بني اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية ووصفها له . فذهب عاصم فإذا جارية من بنى هلال ، فقال له عمر : اذهب يا بني فتزوجها فما أحرأها أن تأتى بفارس يسود العرب . فتزوجها عاصم بن عمر فجاء من نسلها عمر بن عبد العزيز خليفة المسلمين .

فعمّر رضى الله عنه قد اختار هذه الفتاة زوجا لابنه لصلاحها وتقواها ، ولمراقبتها الله في سرها ونجواها ، وهى صفة قلما توجد إلا في ذوى الضمائر الحساسة والنفوس العالية التى عرفت الله حق معرفته شفافته في السر والعلن ، وأحسّت به في تصرفاتها ، وأدركت أنه مطلع عليها ، وهو ما قصده المصطفى ﷺ بقوله : « عبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

فالإسلام إذن قد جعل أساس اختيار الزوجة هو تقواها وصلاحها وتمسكها بدينها ومراقبتها الله وتحليها بالأخلاق الفاضلة والطباع السكرية ، وهذا لا يعنى ألا تجمع الزوجة مع الأخلاق السكرية الجمال أو الغنى أو الجاه قال ﷺ : « إن أفضل المؤمنين إيمانا هو أحسنهم خلقا » ، « خير ما يعطى العبد خلق حسن » ، « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

محمد فرهمى الطماوى

مفتش تحقيقات بالشئون الاجتماعية

الجزائر فى سنة أشهر

بلغ عدد الذين اعتقلتهم السلطات الفرنسية فى الجزائر فى السنة الأشهر الأخيرة ٨٩٠ من أنصار حزب الشعب ، وحكم فيها بالسجن لمدة سنة على ٣٢٥ متبهما سياسيا ، وأبعد ١٨٥ لمدة سنة ، وحرم ٣٠٥ من الحقوق المدنية والسياسية لمدة سنة ، وهذه الاعتقالات قاصرة على المحكوم عليهم ولا تشمل الوطنيين المسجونين بلا محاكمة أو حكم .

الكتب

تاريخ مدينة دمشق

الإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١ هـ)
نشره الجمع العلمي العربي بدمشق . بتحقيق الاستاذ صلاح الدين المنجد
المجلد الأول ٨٥٩ ص . ك

الحافظ أبو القاسم بن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) إمام من كبار حملة العلم الإسلامي ، ولد في دمشق في بيت من أكبر بيوت الحديث والفقه والفضاء ، فتطلع وارتوى من العلم منذ نشأته الأولى إلى أن كان - كما قال عنه السبكي في طبقات الشافعية - رأس بيت معمر بالائمة والمحدثين ، بل كانت أمه كذلك من آل القرشي وكان منهم قضاء دمشق مدة طويلة . وفي سنة ٥٢٠ بدأ رحلته إلى العراق في طلب الحديث ، ثم حج في السنة التالية ، واستأنف رحلته بعدها إلى العراق وخراسان ونيسابور حتى بلغ سرخس في أعماق المشرق ، ولقي علماء الاقطار وكتب عنهم ما تفردوا به حتى بلغ عدد شيوخه الذين سمع منهم ألفاً وثلاثمائة شيخ ، والذين أخذ عنهم الشعرسة وأربعين ، ومن شيوخه بضعة وثمانون امرأة . ثم عاد إلى العراق فدمشق وقد أوفى على الثالثة والثلاثين من سنه فتبوأ أريكة التحديث في تلك العاصمة المليئة بالعلماء والحفاظ ، واستمر بعد ذلك قرابة أربعين عاماً يؤلف ويدرس ويعلّي على طالبي المعرفة حتى ملأ الدنيا علماً من مؤلفاته الكثيرة ، ونبع على يده طائفة كبيرة من العلماء الذين تلبذوا له في تلك العشرات من السنين . ولما دخل السلطان المجاهد الفاتح نور الدين محمود ابن زنكي مدينة دمشق ، بلغه خبر (تاريخ مدينة دمشق) الذي اشتغل ابن عساكر بتأليفه ولم يكن قد أتمه فكان السلطان متشوقاً لإكمالها ، وحثه على ذلك فراجع العمل فيه إلى أن أتمه ، فجاء حافلاً بتراجم أعلام الإسلام الذين أنجبهم دمشق أو دخلوها من صدر الإسلام إلى

القرن السادس الهجري . وهو بلا ريب أوسع تاريخ كتب في الإسلام لاية عاصمة من عواصمه ، ولا نعلم كتاباً أكثر منه تخليداً لمآثر خلفاء هذه الملة وأئمتها ونوابغ عظمائها في الحرب والسياسة والعلوم والآداب والرواية والصلاح ومكارم الاخلاق . والمرجح أنه ألفه في عشرين سنة ، مع اشتغاله بالتدريس والتأليف وغيرهما . وطريقته فيه كطريقة الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري في إيراد كل خبر بسنده إلى مصدره ، وابن عساكر كالطبري حريص على تزويد قارئه بوجهات النظر المختلفة - حتى ما يعتقد المؤلف نفسه أنه من الاخبار الضعيفة ، أو من روايات المخالفين له في النحلة . وعنده أن إيراد الخبر بسنده يفيد من بعض الوجوه حتى لو كان ضميماً ، ثم على من يريد أن يفتنح بأي خبر أن يقف أولاً على منزلة روايته ليعرف درجة الخبر الذي جاءوا به . وابن عساكر استمد أخبار كتابه من مصادر ذهب الدهر بكثير منها فحفظ لنا تاريخ دمشق ما اقتبس منه .

وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر معجم تراجم لنظام الإسلام مرتبة أسماؤهم على حروف الهجاء بدقة ، إلا أنه بدأ بمن اسمهم أحمد تيمناً باسم النبي ﷺ ، ثم تابع لثبات التراجم مرتبة سلسلة ، حتى أنه راعى الترتيب في أسماء الآباء والاجداد . والذين اشتهروا بكنيتهم ولم تعرف أسماؤهم أفرد لهم قسماً مستقلاً ، وبعده قسم للذين اشتهروا بنسبتهم ، ثم خصص قسماً للنسوة والإماء والشواعر . والذين ترجم لهم ذكر ما عرفه لهم من ثناء ومدح ، وما فيهم من هجاء وقذح ، وما ذكره العلماء فيهم من تعديل وجرح ، وحكى ما نقل عنهم من جسد ومزح ، وأورد بعض ما وقع له من رواياتهم ، وتعريف ما عرفه من موالدهم ووفياتهم .

وهذه المجلدة التي تم طبعها الآن من تاريخ مدينة دمشق بلغت ٨٥٩ صفحة بالقطع الكامل ، ومع ذلك فإنها استوعبت نحو نصف مقدمة التاريخ ، وقد أورد فيها المؤلف الأحاديث والأخبار عن أولية دمشق وفضائلها والثناء على أهلها ، وأنها صفوة الله من بلاده ، إلهها يجتبي خيرته من عباده ، وفيه أخبار جهاد الصحابة فيها ، وتاريخ فتحها ، وما يتعلق بذلك . وفي المجلدة الثانية التي لم تنتشر بعد بقية المقدمة عن خطط دمشق ووصف مسجدها وما كان عليه من قبل وبناء الوليد بن عبد الملك له ، وما في دمشق من مساجد ومآثر ومعالم . ثم يأتي بعد ذلك معجم التراجم وسيكون بمجلدات كثيرة .

وقد عهد المجمع العلمي العربي بدمشق في إخراج هذه المجلدة الأولى وتصحيحها وتحقيقها إلى الأستاذ الفاضل السيد صلاح الدين المنجد مؤلف (خطط دمشق) المطبوع في بيروت سنة ١٩٤٩ ، وكتاب (دمشق القديمة) المطبوع بدمشق سنة ١٩٤٦ ، و (مخطط دمشق القديمة) الذي نشرته مديرية الآثار العامة بدمشق سنة ١٩٤٧ . فقام بهذا العمل خير قيام ، واستعان في بعض مواطنه بأهل العلم والتخصص ، وقد أحضر له المجمع العلمي صورة شمسية لخمس الأجزاء الأولى من المخطوطة المقرورة على المؤلف ابن عساكر سنة ٥٧١ والمحفوظة في مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة برقم ٧١٤ تاريخ (١٠٦٧٠ ع) إلا أن تصويرها كان غير جيد فضلاً عن أن أصلها فيه آثار الرطوبة والأرضة والترسيم ، وهذه الأجزاء الخمسة الأولى تبلغ النصف الأول من هذه المجلدة الأولى التي تم طبعها . ومن حسن الحظ أن خمسة الأجزاء التالية لها والمتمة للمجلدة الأولى من مطبوعة المجمع العلمي بدمشق توجد الآن في المتحف البريطاني ، وقد سعى المجمع العلمي بدمشق بتصويرها في فلم تم تكبيره بدمشق ، وهي جيدة واضحة الخط ، فتم بالاعتماد عليها تحقيق المجلدة الأولى مع المقارنة بمخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق ومكتبة كبرديج وغير ذلك .

وكان الشيخ عبد القادر بدران رحمه الله قد بدأ باختصار تاريخ دمشق هذا ، وطبع منه في دمشق سبعة مجلدات إلى ترجمة عبد الله بن يسار ، كما أن الشيخ أبا الفتح الخطيب (والد رئيس تحرير هذه المجلة) قام باختصاره وتوجد منه في المكتبة التيمورية خمسة مجلدات مذكورة في فهرسها الخاص بكتب التاريخ ، ومنه جزء في مكتبة جامعة برنستون مذكور في فهرس مخطوطاتها ص ١٩٢ ، وفي مكتبة دار الفتح بالروضة جزآن من أوله برقم ٧٤٥ ، ونعتقد أن هذا المختصر لم يتم .

أما هذه الطبعة التي قام على تحقيق المجلدة الأولى منها الأستاذ صلاح الدين المنجد فتقد بلغت العاية من الجودة والإتقان ، وقدم لها الأستاذ العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي بمقدمة قال فيها : « قد يكون تاريخ دمشق أوسع تواريخ المدن ، وهو أيضاً من أوسع المصادر في تراجم الرجال ، حتى ليجرّد منه كتب على حدة في موضوعات مختلفة ، كولاية دمشق مثلاً ، وقضائها . وشعرائها ، ومنه يستخرج أحسن تاريخ لبي أمية سكنت ، معظم التواريخ عنه . . . الخ . . . وبعد مقدمة الأستاذ كرد علي تأتي مقدمة الأستاذ المنجد ،

وفيه سلسلة نسب أشهر رجال بني عساكر، وسلسلة بني القرشي أخوال الحافظ ابن عساكر، وخريطة للعالم الإسلامي في زمن المؤلف مشار فيها إلى المعروف الآن من المدن التي رحل إليها في طلب العلم إلى ما وراء خراسان من البلاد التي تقع الآن في حكم روسيا، وذلك في خلال ترجمة كتبها الأستاذ المنجد للمؤلف فوقعت في نحو أربعين صفحة كبيرة.

ثم زين محقق الكتاب هذه المجلدة بالسماعات العلمية التي وجدها في آخر الأجزاء الباقية من المخطوطة المقروءة على المؤلف، وألحق بها فهرساً هجائياً لشيوخ ابن عساكر الذين سماهم بأول كل خبر من أخبار هذه المجلدة، وفهرساً للأحاديث مرتبة بحسب أوائلها، وفهرساً للأمم والتبائل والأرهاب والجماعات، وفهرساً للأشعار، وفهرساً للبلاد والمدن والقرى والأماكن والجبال والأنهار، وفهرساً للأعلام من الرجال والنساء، وفهارس أخرى متعددة غير ما ذكرنا. ويقول الأستاذ المنجد: «لقد بذلنا الجهد في إخراج هذه المجلدة، ومع ذلك فما استعسر علينا كثير. وكان علماءنا الذين لجأنا إليهم يحارون أو يتوقفون مثلنا. وهذا التاريخ من مفاخر التراث العربي، فليتفضل من يجد فيه خطأ أو خلافاً بتصحيحه، فإنما هو ملك للمسلمين والعلماء عامة».

فشكراً للجمع العلمي العربي بدمشق، ولحقيق هذه المجلدة الأستاذ صلاح الدين المنجد. ونرجو الله أن يوفقهم إلى الإسراع في إصدار المجلدات التالية، فإن الناس في تعطش إلى ما في الكتاب من تراجم، ولا سيما ما لم يسبق نشره من مختصره. وماذا يضير لو أنهم سارعوا ببقية حرف العين وما بعده على أن يعودوا بعد ذلك إلى المجلدة الثانية أو الثالثة فما بعدهما؟

ما وراء الآيات — للأستاذ أحمد محمد جمال

مطبعة مصطفى الحلبي، ١٨٠ ص جاير

الأستاذ أحمد محمد جمال من أفاضل أدباء الحجاز، وقد انتشرت له قبل الآن مؤلفات في التاريخ والشعر والأدب. وكتابه هذا (ما وراء الآيات) بمجموعة أحاديث له أذاعها من محطة الإذاعة السعودية اقتبسها من قصص القرآن، وأدارها في الغالب على ما اشتهر

في كتب التفسير عن أسباب النزول ، ثم استخلص منها ما يقتضيه المقام من فوائد وعبر وملح وإرشاد . غير أن أسباب النزول التي يوردها المؤلفون في التفسير يتساهلون فيها كتساهل بعضهم في إيراد الإسرائيليات ، وحتى الذين يذكرون أسباب النزول مروية بأسانيدنا التي وصلت إليهم رأينا أكثر ما أورده من هذه الأسانيد منقطعاً ومنها ما بين وقت النزول وأعلى راولها نحو مائة سنة أو أكثر ، ومع انقطاع هذه الأسانيد فإن في بعض رواها ضعفا . والمفسرون الذين يوردون أسباب النزول بأسانيدنا يكون أمرها إلى من يقف عليها ليحكم على تلك الأخبار بما تستحقه في قواعد الجرح والتعديل . ونضرب المثل لذلك بآية الحجرات التي قيل إنها نزلت في بني المصطلق ، فقد اجتمع فيما رواه من أخبار سبب نزولها انقطاع السند وضعف الرواة كما نبه عليه القاضي أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم (ص ٩٠ - ٩٣) وتري أدلة ذلك في التعليق عليه . وطريقة السلف في التحدث عن مثل هذه المسائل إما نقل سبب النزول بسنده ليقين الواقفون عليه درجة صحة الخبر من ذلك ، أو أن يتولى المؤلف ذلك بنفسه على طريقة أهل الجرح والتعديل حتى إذا تبين له أن سبب النزول الذي ذكره لا يثبت على طريقة علماء الحديث صرف النظر عن بناء الأحكام عليه وإيهام القاري أنه صحيح ثابت .

وعلى كل حال فإن النية في هذه الأحاديث حسنة ، وما استخلصه الأستاذ أحمد محمد جمال من إرشاد وعبرة نافع مفيد وهو مشكور عليه . وكما أحسن في أحاديثه من محطة الإذاعة أحسن كذلك في جمع هذه الأحاديث في كتاب مستقل ، فشكرآ له .

التربية في القرآن - للأستاذ محمد عبد الله السمان

مطبعة دار الكتاب العربي ، ٧٧ ص نصف القالين

يقول مؤلف هذه الرسالة في خاتمة المقالة الأولى منها : إن آيات القرآن من أولها إلى آخرها دستور شامل للتربية الصحيحة والتوجيه السليم ، وهذا ما حدا بالمستشرق (كارليل) أن يقول :

« إن الإحساسات الصادقة الشريفة ، والنبات الطاهرة الكريمة ، تظهر في فضل القرآن ، الفضل الذي هو أول وآخر فضل وجد في كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها ، » .

ثم استعرض المؤلف آيات القرآن في تربية الأمم ، وفي تربية الدعاة ، وفي تربية النفس ، وفي الفضائل — ومنها السمو الخلقى ، والائزان ، والتروى ، والاعتدال ، وبقظة الضمير ، وآداب السلوك ، وضريبة الإنسانية . وفي الرذائل — ومنها : الغرور ، والمكابرة ، والتماذى فى الغنى ، والآنانية ، والنفاق : وكفران النعمة . ثم دروس فى الحياة ، والتربية العامة .

وهى رسالة لطيفة يجدر بشباب الأمة وجمهورها أن يتدبروا ما فيها من آيات الله فى تربية النفس الإنسانية ليزدادوا بها علماً ، بل ليتمرنوا على التربية الإسلامية عملاً ، إلى أن تكون من صميم سجاياهم وأصيل فطرتهم ، ثم ليسكونوا بعد ذلك قدوة فيها لكل من يتصل بهم ، وبهذا يكون المسلم المتأدب بأدب القرآن كتاباً معروضاً على أنظار الناس يقرأون به حقائق الإسلام فى أسواقهم وبيوتهم ومجتمعاتهم .

تفسير جزء عم

لخصه من التفسير المعتمدة الأستاذ محمد توفيق عبيد

المكتبة العربية بدمشق ، ٤٤ ص قالين

إن السور التى تضمها جزء عم هى السور القصار التى تتلى فى الصلوات غالباً . وقد آثر الأستاذ محمد توفيق عبيد تقديمها بتأليف تفسيرها تلخيصاً وسطاً بين الإيجاز والإسهاب ، مستمداً ذلك من تفاسير البيضاوى والجلالين والشيخ محمد عبده ، ثم قابله على تفسير الذى فى وغيره . وقد جعل السور بخط جلى من خطوط المصاحف فى وسط التفسير مشكولة الآيات مرققة ، فجاءت جميلة الطبع ، مصقولة الورق ، تفى بحاجة الجمهور ، جزاء الله خيراً .

رد على كتاب السقيفة

للأستاذ عبد الله الحضرى ، مطبعة دار الكتاب العربى بمصر ، ٢٣٨ ص جابر

قال الله عز وجل مخاطباً أصحاب رسول الله ﷺ : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، فألف رجل من أهل النجف اسمه محمد رضا المظفر كتاباً عنوانه (السقيفة) ليقول فيه لأصحاب محمد ﷺ : كنتم شر أمة أخرجت للناس . وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ، فأراد النجفي مؤلف كتاب (السقيفة) أن ينقض هذه الحقيقة التي أيدها الواقع والتاريخ فكانت من أعلام النبوة ، فجاء محاولاً إقناع قرائه بأن شر القرون قرن أصحاب رسول الله ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

إن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا معصومين ، فإنه لا معصوم بعد رسول الله ، ولكنهم كانوا بأجمعهم عدولاً أخياراً بشهادة الله ورسوله لهم ، وكانوا أفضل جيل عرفته الإنسانية من آدم إلى هذا اليوم ، وقد مضى في طريقهم التابعون وتابعو التابعين فكانوا المثل العليا للحق والخير ، ولذلك استجابت لدعوتهم الأمم ، ودخلت في الإسلام على أيديهم ، وهذا العالم الإسلامي كله من ثمرات دعوتهم وبركتهم وجهادهم في الله حق جهاده وقيامهم بتبليغ رسالات الله على ما يرضى به الله .

وقد صدر في الرد على كتاب النجفي هذا الكتاب للأستاذ عبد الله الحضرمي ، وتكرم فأهداه إلينا في هذا الشهر . وفي اعتقادنا أنه خير من الرد على هذه الكتب السخيفة تأليف كتب مختصرة ومتوسطة ومطولة في تاريخ عصور الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، ونشر رسائل في تراجم أعلامهم مستمدة من كتب الثقات وأئمة السنة وأعلام الدين ، وبذلك يرد الحق إلى نصابه ، وينشأ شباب الإسلام عارفين بفضل الصحابة والتابعين على العالم الإسلامي وعلى الإنسانية كلها ، ولو كره الذين في قلوبهم مرض .

الرسالة الجامعة — المنسوبة للحكيم الجريطي

نشرها المجمع العلمي بدمشق ، بتحقيق الأستاذ جميل صليبا ، جزءان ١١٦٤ صفحة قاليين
الحكيم الجريطي المنسوبة إليه هذه الرسالة الجامعة هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد الجريطي القرطبي الأندلسي ، وجريط هي (مدريد) عاصمة إسبانيا الآن ، وكان الجريطي إمام الرياضيين بالأندلس في القرن الرابع الهجري ، وقد ترجم الأوربيون كتابه في الاسطرلاب باللاتينية ، وكتابه في الفلك الذي نقله عن بطليموس — وهو يبحث في الكرة السماوية المسطحة — ترجمه باللاتينية هرمان سكوندوس ، وقد اشتهر الجريطي بكتابه (رتبة الحكيم) في الكيمياء و (غاية الحكيم) في السحر والطلسمات .

والرسالة الجامعة المنسوبة اليه بقيت منها نسخ مخطوطة : إحداها في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وثانية في المكتبة التيمورية ، وثالثة في طهران ، ورابعة في المكتبة الوطنية بباريس ، وخامسة في دار الكتب المصرية ، وسادسة في مكتبة أحد الإسماعيليين في السليمانية من بلاد الشام .

والظاهر أن نسبة هذا الكتاب إلى الجريطي نشأت عن وهم مؤلف كتاب كشف الظنون ، وأسلوب الكتاب أشبه بأسلوب رسائل إخوان الصفا منه بأسلوب كتب الجريطي ، وأبوابه هي أبواب رسائل إخوان الصفا ، وعدد الرسائل في الكتابين واحد وإن اختلفت الفصول فيهما . بل قد وردت عبارات من إخوان الصفا في هذا الكتاب متفقة بالحرف ، ونبه على ذلك محقق الكتاب في مواضعه . . إلى غير ذلك من القرائن الكثيرة على أن (الرسالة الجامعة) متممة لرسائل إخوان الصفا .

والذي نقل رسائل إخوان الصفا من المشرق إلى الأندلس هو الكرماني تلميذ الجريطي كما يقول القاضي صاعد في طبقات الامم ، والكرماني توفي سنة ٤٥٨ هـ والقاضي صاعد توفي سنة ٤٦٢ هـ ، فيحتمل كثيراً أن تكون (الرسالة الجامعة) التي قلنا إنها متممة لرسائل إخوان الصفا قد جاء بها الكرماني إلى الأندلس مع ما جاء به من الكتب الفلسفية عند رحلته إلى حران وبلاد الجزيرة والعراق .

وتتفق الرسالة الجامعة مع رسائل إخوان الصفا في أنهما يتضمنان صورة ما بلغ إليه العلم بالرياضيات والطبيعات والفلسفة في القرن الرابع ، ولو كان الغرض من رسائل إخوان الصفا والرسالة الجامعة هو العلم المحض لما كان هناك داع إلى خفاء اسم مؤلف هذه الرسائل ، سواء أكان واحداً أو أكثر ، غير أن دراسة هذه الرسائل تدل على أن لكتابها - أو لكتابيها - أغراضاً أخرى دينية تخالف رسالة الإسلام في صميمها ، وسياسية تضمر ما تنكره الدولة القائمة في ذلك الحين ، والشر يدعو دائماً إلى التستر ، والخير لا يتستر أحد منه .

وان الدكتور حسين الهمداني - أحد دعاة الاسماعيلية المعاصرين لنا ، وقد كتب محقق الرسالة الجامعة اسمه محرراً بالحاء : الهمداني - كان يقول قبل نحو ربع قرن : إن رسائل إخوان الصفا كتاب الأئمة ، والقرآن كتاب العامة ، والظاهر أن مؤلفي رسائل إخوان الصفا والرسالة الجامعة كانوا يدعون إلى هذا المعنى القبيح ولذلك تستروا وكنتموا أسماهم .

وعلى كل حال فنحن في هذا العصر نستفيد من الرسالة الجامعة ورسائل اخوان الصفا أمرين اثنين : أحدهما معرفة المستوى العلمى فى القرن الرابع الهجرى ، والثانى التقيب عن المرامى الاحادية والسياسية التى كان يضمها مؤلفو السكتابين ويدسونها فى مطاوى القضايا العلمية فيفسدون العلم بذلك من حيث يريدون افساد الدين .

ومن حسن حظ الرسالة الجامعة — مع أنها الآن فى طبعها الاولى — أن تحظى من العناية والتحقيق بمالم تحظى بمثله رسائل إخوان الصفا على شهرتها وتكرر طبعها فى الهند أولا وفى مصر أخيرا ، وقد جاءت الرسالة الجامعة فى مجلدين كبيرين أولهما فى ٧٣٠ صفحة والآخر فى ٣٣٤ صفحة من قطع صفحات هذه المجلة ، وموضوعات المجلدين كموضوعات رسائل إخوان الصفا ، والغرض فى السكتابين واحد ، وأهل المذهب الإسماعيلى يرفعون مقام هذين السكتابين فوق مقام كل كتاب آخر فى الأرض ، أما غيرهم من علماء الشرق والغرب فلا يرون لهما فائدة أكثر من الدلالة على تطور التاريخ العلمى والفكرى فى حقبة من الزمن .

مجل تاريخ حاضرة الصعيد (أسىوط)

اطلع فضيلة الاستاذ الشيخ سيد على الطوبجى من علماء أسىوط على بحث فى إحدى الصحف الكبرى عن ماضى أسىوط وأعلامها ، فبدا له أن يتوسع فى الموضوع لتدارك ما فات تلك الصحيفة ، لمكنه اقتصر فيما نشره على الجزء الاول فى ٥٧ صفحة واعدأ بأن يرجع إلى ذلك فى أجزاء أخرى . وما سرده فى هذا الجزء لم يتعمد فيه الترتيب ، بل أورد فيه من خواطره المتعلقة بماضى أسىوط البعيد والقريب وأبنائها المعاصرين والذين سبقوهم . وقاعدته فى السرد أن الواو لا تقتضى ترتيبا . والمعلومات المشحونة فى الجزء الاول تفيد الباحثين فى تاريخ أسىوط ، ولعل المؤلف عند نشره الاجزاء الاخرى يلتزم فيها التبويب والتقسيم بحسب التسلسل الزمنى والموضوعى ، فتكون الفائدة به أتم ، والانتشار له أعم .

هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة

للشيخ على محفوظ ، مطبعة دار الكتاب العربى ، ٥٤١ ص قالين

كان العلامة المخلص الصالح الشيخ على محفوظ رحمه الله أبا الوعاظ ومؤسس الوعظ السليم فى الديار المصرية . ولد رحمه الله فى محلة روح من أعمال طنطا وتلقى علومه

في الجامع الاحمدى ثم في الازهر الشريف ، وتخرج منه سنة ١٩٠٧ ، ثم اشتغل بالتدريس ونال عضوية جماعة كبار العلماء سنة ١٩٣٩ ، وانتقل إلى رحمة الله يوم ٣ ذى القعدة ١٣٩١ (١١ نوفمبر ١٩٤٢) وله كتب نافعة من أهمها (هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة) ولا يزال الوعاظ والمرشدون ينتفعون به إلى يومنا هذا وبين أيدينا الطبعة الخامسة منه قام أنجاله بنشرها .

وفي هذا الكتاب التعريف بالدعوة والحاجة إليها ، والسنن العامة في دعوة الرسل إلى الدين ، وهدية صلوات الله عليه في الدعوة وفي تربية أصحابه ، وواجب العلماء في الوعظ والإرشاد ، وقد ألم بتاريخ الوعظ الديني قديما ، وبآداب الداعي ، وبالكثير من المواعظ الدينية ، وبطرق الوعظ من ترغيب وترهيب ، وبمناذج من مواعظ القرآن والسنة النبوية ، وفي الكتاب محاضرات وخطب علمية ودينية وخلقية واجتماعية ، وما ينبغي أن يراعى في وضع خطب المنابر ، مع إيراد نماذج جيدة منها . فالكتاب كما ترى سفر نفيس جدير بما حظى به في طبعاته السالفة من إقبال عليه من جميع الطبقات .

نظرية الأنساب في الميزان

هو بحث قيم قام به العالم المحقق الأستاذ عبد الوهاب حمودة ونشره في مجلة كلية الآداب ، ثم فصل منه نسخاً مفردة أهدى إلينا نسخة منها . وقد بحث فيه عن معنى كلمة « النسب » في اللغة وما بينها وبين لفظ « سبب » ، من علاقة ، وما كانت تطلق عليه في أول استعمالها وكيف تطورت بعد ذلك . وانتقل إلى موقف المستشرقين من أنساب العرب وآراء كل فريق منهم ، وأفاض في بيان مذهب من ذهب منهم إلى أن الامومة هي الأصل في الأنساب ، وهو مذهب نقضه وأثبت خطئه كثير من علمائنا قبل نحو نصف قرن لمناسبة انتشار رسالة بنسلي صليبا الجوزى . وانتهى الأستاذ حمودة بعد استعراض أدلتهم إلى القول بأن الامومة « لم تكن قانوناً شائعاً عند جميع القبائل ، ولكن لا مانع في رأينا من أن يكون العرب قد مروا قديماً في هذا الدور ، وكان للام عندهم اعتبار ومركز ممتاز » . وأنت ترى أن الأستاذ على تسامحه مع القائلين بالامومة عند العرب بنى رأيه على الظن والاحتمال في دور قديم ليس لدينا ما تقطع في حقيقة ما كان عليه .

ثم عقد فصلاً ذكر فيه رأيه في الأنساب معتمداً على آراء لبعض المستشرقين وعلماء

الإسلام ، وافتتح هذا الفصل بالإشارة إلى ما في بعض كتب الانساب من تخطيط ووم واختلاف . وفي اعتقادنا أن هذا الحكم على كتب الانساب كان ينبغي أن يتناوله التفصيل والتمييز ، ولعلنا نقرب من الصواب كثيراً إذا علمنا أن الانساب لا تتناول كل أفراد القبائل ، وإنما يقتصر نسب القبيلة على أعمدته من بيوتها المشهورة دون المغمورة . وما أثبتته علماء النسب من أنساب البيوت المشهورة قريب جداً من الواقع ، وليس لأعيان أمة من أمم الأرض ما لأعيان الأمة العربية من المعرفة بأنسابها ، وإذا وقع الخطأ في ذلك فإنما يقع في النقص لا في الزيادة ، لأن التواريخ والوعى القوسى يحفظان أسماء المشهورين بالرياسة أو الفروسية أو الكرم أو الشعر والخطابة والحكمة ، وقد تحفى عنهم أو تسقط من حفظهم أسماء المغمورين من رجال سلسلة النسب فتجىء السلسلة ناقصة عما هى عليه في الواقع ، ومن المستبعد وقوع الزيادة بتسمية رجال لم يكونوا في الواقع من آباء تلك السلسلة . أما جمهور العامة ممن ينتمى إلى قبيلة من القبائل فإنهم يكتفون باتتاهم إليها في الجملة ولا يعرفون لبيوتهم سلسلة أنساب كما يعرف الأعيان ذلك لأبائهم وسلفهم .

وما أشار إليه الاستاذ حمودة من تخطيط أو اختلاف فكثيراً ما ينشأ عن وفاة أب من آباء بيت معروف النسب ، فتزوج زوجته في قبيلة أخرى وينشأ ابنها الصغير من زوجها الأول في بيت زوجها الثانى فينسبه من لا يعرف ذلك إلى زوجها الثانى ، كما نسبوا قضاة إلى معد مع أن نسبه متصل عند قومه من حمير الذين يعرفون آباء مالك بن عمرو بن مرة ابن زيد بن مالك بن حمير . وقد يقع الاختلاف بسبب نزوح قبيلة عن ديار القبائل التى تجمعها بهم صلة النسب إلى ديار قبائل أخرى غريبة عنها ، فتندسج بها وتشاركها في سلمها وحربها ، فينشأ أبناء المتحالفين بمتزجين كامتزاج المتسلسلين من أصل واحد ، فينسبهم من يعرف نسبهم إلى أصلهم الأول ، ويلحقهم من يجهل ذلك بالقبائل التى طاروا عليها . وعلى كل حال فإن هذا الاضطراب يكون في جمهور العامة ، أما أعيان القبيلة فيحفظون أنسابهم حيثما ارتحلوا .

وفي رأينا أن نسب كل قبيلة يرجع فيه إلى العلماء من أبائهم إن بقيت لهم مؤلفات تحفظ أنسابهم ، فقبائل حاشد وبكيل من همدان حفظ لنا الهمداني أنسابها في الجزء العاشر من كتابه (الأكليل) بدقة وأمانة لانظير لها ، وما اطلعنا على نسب همداني في كتاب من الكتب وعارضناه بما ذكره الهمداني في الأكليل إلا وجدناه عند الهمداني صحيحاً مضبوطاً لا غبار عليه وأنساب قبائل كلب القضاة توسع فيها ابن الكلبي في جمهرة النسب

التي اختصرها ياقوت ، وفي دار الكتب المصرية نسخة من هذا المختصر . وإنك لا تعارض ما نسبته ابن الكلبي لبيت من بيوت قومه في الجهرة بما حفظه العلماء ودونوه في كتبهم الأخرى إلا ظهر لك علم ابن الكلبي وجودة حفظه إلى أقصى غاية .

ولو حفظ لنا الدهر كتبنا القديمة في الأنساب - وفي طليعتها مؤلفات الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ومؤلفات الهيثم بن عدى الطائي ، ومؤلفات أبي الوزير محمد بن مطرف العبدى ، ومصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيرى ، ومحمد بن حبيب البغدادي ، وكتب ابن خلدون ، والمفكود من أجزاء كتاب أنساب الأشراف وأخبارهم للبلاذرى ، لحصلنا من هذا التراث العظيم على تحقيق دقيق في أنساب العرب نحل به أكثر ما يشكل علينا من تخليط ووهم واختلاف .

هذا في القبائل المعروف أعيانها بالرياسة والفروسية والبلاغة والكرم في الأدوار التاريخية من ماضى العرب . أما العصور العريقة في التقدم فالعلم بأنسابها علم إجمالى ، وما يجمله التاريخ من أسماء آباء النسب في تلك العصور أكثر بكثير من الذى حفظه لنا . ثم إن الأمم التي أباد الله سلطانها وأزال ملك رؤسائها كعاد وثمود وقوم شعيب والمعيفين والسبأيين ، فإن جماهير عامتهم انغمست في الأمم التي نهضت بعدهم وورثت السيادة عليهم ، فهم موجودون بدمائهم وأنسابهم ، ومنقرضون بأنسابهم وأصولهم منذ انقرضت دولهم واضمحلت سلطنتهم . ونظن أن المفكود من أمهات كتب الأنساب ، إذا جاد الدهر بظهور شيء منه وتناوله يد البعث والنشور بالطبع والتحقيق ، ستنمحص به أنساب العرب وتعرف قيمتها وتنبأ مكانها في تراثنا من آداب العرب وتاريخهم .

قصة المولد النبوى — لنافع الجوهرى الخفاجى

العلامة نافع بن الجوهرى الخفاجى التلبانى (١٢٥٠ — ١٢٣٠) من أفاضل رجال الأزهر المتأخرين ، كان كثير التأليف ، ومن مؤلفاته هذا المولد الشريف الذى سعى بفضله فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى عن نسخة بقلم المؤلف ، وتولى تصحيحه وكتابة مقدماته ، وهو من مطولات الموالد فقد بلغت صفحاته ١٢٨ صفحة فشكراً لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى على مجهوداته فى سبيل نشر العلم .

الأدب في العلم في شهر

اللغة الأجنبية في التعليم الابتدائي

استقر الرأي في اجتماع اللجنة العليا للتعليم على إلغاء تعليم اللغات الأجنبية خلال المرحلة الابتدائية الإجبارية ، على أن يكون للتلميذ الذي يرى في نفسه الكفاءة والمقدرة للالتحاق بعد ذلك بالمرحلة المتوسطة أن يتقدم لامتحان يجيز للتأجيل فيه الالتحاق بها إذا كانت سنه بين العاشرة والثانية عشرة .

رسالة الجامعة :

يرى الدكتور محمد محفوظ وكيل جامعة الإسكندرية أن رسالة الجامعة لا تقتصر على تخريج باحثين ومستنطين ومستغلين لجميع قوى الطبيعة وخباياها .

قلنا : ولن يتيسر ذلك للجامعات المصرية ، حتى لو أرادته وحرصت على تحقيقه ، ما لم يتحول طلبة المدارس الثانوية من ييغاوات يحفظون نصوصاً وأعلاماً وأرقاماً ليرددوها في الامتحان بحروفها ، تحقيقاً لخطة وزارة المعارف التي لا يرضى مفتشوها بغير ذلك . فإذا سمحت لهم وزارة المعارف بإطلاق أرجلهم من قيود الحفظ الحرفي لمواد مناهجها ،

وصارت تعتبر الفهم والتصرف في التعبير من أسباب النجاح لا من أسباب السقوط ، فإن من يتخرج من هؤلاء الطلبة الثانويين بعد ذلك ويدخل الجامعات يصبح مستعداً للبحث والاستنباط ، لأن البحث والاستنباط من ثمرات الفهم والتحرر من قيود وزارة المعارف في مدارسها .

الجامعي الصالح

يقول الرئيس السابق على ماهر في حديث له مع جريدة المصري : وإن السبيل إلى إيجاد الجامعي الصالح هو أن تنمى في نفوس أبنائنا الطلاب الاستعداد الذاق للتربية الذاتية ، وأن نحب إليهم مواصلة الدرس ومتابعة الحياة في طورها ، وأن ندرهم على الملاحظة والتجربة ، والانهاء من أمثال المعارف إلى خلق الجديد المبتكر . وأن نفرس في نفوسهم التسك بالواجب ، ونخصنهم بالمعاني الروحية السامية والمبادئ الخلقية القويمة .

وفي اعتقادنا أن هذه الامنية لا تتحقق إلا بانقلاب أساسي في الأساليب الجامعية المتبعة الآن في مصر ، وأن تتغير النية التي ينويها الطالب عند التحاقه بالجامعة كما تتغير

وهيات لآبناء هذه البلاد الفرصة للتزود بقدر من الثقافة يدفع بعجلة حياتهم دائماً إلى الأمام .

ولا شك أن معهد الدراسات الإسلامية سيهيئ لشباب هذا القطر أيسر السبل إلى التسليح بذخيرة الإيمان وفضيلة العدل ، فتسند إليهم مناصب القضاء والتدريس والوعظ . وليكن شعارهم دائماً قول الله تعالى : « وقل رب زدني علماً » ، وإن الله القدير « يرفع الذين أتوا العلم درجات » .

وخطب الأستاذ محمود حماد فكان مما قاله : « إن الإسلام ليس ديناً غريب ، إنما هو دين ومدنية وحضارة . وما من شك في أن حضارتنا القائمة الآن مدينة للإسلام بنصيب وافر » .

مدرسة إسلامية في كارديف :

يفتظر أن يساعد الأزهر في تشييد مدرسة إسلامية للجالية الإسلامية الكبيرة التي تقطن في كارديف بانجلترا ، وستكون هذه المدرسة بجوار مسجد (نور الإسلام) وقد صمم بناؤها من طابقيين على الطراز العربي ، وقد أنفقت البناء ٣٥ ألف جنيه استرليني تجمع من التبرعات التي يشرف عليها الشيخ عبد الله الحكيم . وستكون المدرسة ذات خمسة فصول تتسع لنحو ١٢٠ إلى ١٥٠ تلميذا وتستغرق عملية البناء أربعة عشر شهراً .

النظرة التي ينظر بها المدرس بالجامعة إلى مهمته كما كان متبعاً حتى الآن . لجامعتنا لم تخرج فيما مضى الجامعي الصالح لأنها لم تسكن تعلم أنها أقيمت لذلك وفتحت أبوابها لتحقيقه .

الدراسات الإسلامية في الصومال :

يقول الشريف محمود عبد الرحمن رئيس الرابطة الإسلامية في مدينة مقديشو عاصمة الصومال الإيطالي : إن الجهد الموفق الذي بذله العلماء مبعوثو الجامع الأزهر إلى بلادنا ظهر أثره الطيب في نفوسنا جميعاً ، فقد رفعوا مكانة بلادهم في ربوعنا وفي قلوبنا ، وفي ضوء السعي المشكور والعمل الدائم تم افتتاح معهد الدراسات الإسلامية الذي كان أمنية جميع سكان الصومال منذ أمد طويل ، وأقيمت لهذه المناسبة حفلة كبيرة حضرها نائب الحاكم العام الإيطالي والأستاذ محمود حماد العضو المصري في المجلس الاستشاري للأمم المتحدة وقناصل الدول وأعضاء البعثة الأزهرية وجميع ذوي المكانة .

وقد خطب نائب الحاكم الإيطالي العام فقال : « إن تأسيس هذا المعهد كان تنفيذاً لمشروع السنوات الخمس المتعلق بفتح الثقافة في الصومال ، وكان مقدراً أن يفتتح في العام الدراسي القادم ، غير أن معونة الحكومة المصرية وجهود حضرات العلماء مبعوثي الأزهر الشريف قد بكرت بافتتاح المعهد ،

إِنْبَاءُ الْعُمَّالِ الشَّرَافِ

قواعد الحكم

في فترة الانتقال

أعلن القائد العام للقوات المسلحة وقائد ثورة الجيش - باسم الشعب - أن حكم البلاد في فترة الانتقال سيكون وفقاً للأحكام الآتية :
جميع السلطات مصدرها الأمة .

المصريون لدى القانون سواء فيما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات .

الحرية الشخصية وحرية الرأي مكفولتان في حدود القانون ، والملكية حرمة والمنازل وفق أحكام القانون .

حرية العقيدة مطلقة ، وتحمى الدولة حرية القيام بشعائر الأديان والعقائد طبقاً للعادات المرعية ، على ألا يخل ذلك بالنظام العام ولا ينافي الآداب .

تسليم اللاجئين السياسيين محظور .

لا يجوز إنشاء ضريبة إلا بقانون ، ولا يكلف أحد بأداء رسم إلا بناء على قانون ، ولا يجوز إعفاء أحد من ضريبة إلا في الأحوال المبينة في القانون .

القضاء مستقل لا سلطان عليه بغير القانون وتصدر أحكامه وتنفذ وفق القانون باسم الأمة .

يتولى قائد الثورة بمجلس قيادة الثورة أعمال السيادة العليا ، وبصفة خاصة التدابير

التي يراها ضرورية لحماية هذه الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهدافه ، وحق تعيين الوزراء وعزلهم .

يتولى مجلس الوزراء سلطة التشريع .

يتولى مجلس الوزراء والوزراء - كل فيما يخصه - أعمال السلطة التنفيذية .

يتألف من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء مؤتمر ينظر في السياسة العامة للدولة وما يتصل بها من موضوعات ، ويناقش ما يرى مناقشته من تصرفات كل وزير في وزارته .
واللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة وقائد ثورة الجيش قد أعرب بعد إعلان هذه القواعد عن إيمانه بضرورة قيام نظام دستوري ديمقراطي كامل الأركان أثر فترة الانتقال ، وبضرورة توفير حياة حرة كريمة ومستقبل مشرق باسم للجميع وعلى الجميع أن يساهموا في بنائه .

الجمعيات التعاونية وانهاض القرية :

يدرس كبار التعاونيين في مصر مشروعا يهدف إلى أن تتولى الجمعيات التعاونية سلطات المجالس القروية في القرى التي ليس لها مجالس ، وذلك لأن للتعاونيين وأنظمتهم من المقدرة على الاضطلاع بهذه المهمة ما ليس لغيرهم في القرى المصرية .

السودانيون يقررون مصيرهم

إذا كان ميلاد الدولتين الإسلاميتين باكستان وإندونيسيا ، وخروج الفرنسيين من بلاد الجمهوريتين الشقيقتين سوريا ولبنان ، سيكون في نظر الاجيال الآتية أعظم الأحداث في تاريخ الإسلام والعروبة في هذا العصر ، فان نجاح قائد مصر إلى الخير الرئيس محمد نجيب ، في خطواته السديدة التي كان آخرها حل معضلة السودان بتوقيع الاتفاق عليها بين الجانبين المصري والبريطاني في يوم الخميس ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ هـ (١٢ فبراير سنة ١٩٥٣) ، لن يكون أقل شأنًا ولا أهون خطراً من ميلاد دولتي باكستان وإندونيسيا فضلاً عن جلاء القوات الفرنسية عن سوريا ولبنان . ولا ريب أن الفوز المتواصل الذي يلقاه رئيس مصر في أعماله إنما هو انتصار للأخلاق ، ومعجزة من معجزات الحكمة عند ما يحسن أصحابها استعمالها ، ويعالجون المشاكل بهدايتها وعلى ضوئها .

إن القصة التي بدأت بمغامرات غوردون وكتشنر ، وحبكت باتفاقية سنة ١٨٨٩ م ، انتهت أخيراً في يوم الخميس ١٢ فبراير من هذا العام ، فلم يبق على إخواننا السودانين إلا أن يستعرضوا خاتمتها في ثلاثة أعوام ، والأعوام الثلاثة في حياة الأمم كبح بالبصر ،

ثم يصدر البرلمان السوداني إن شاء الله قراره التاريخي الذي يعرب فيه عن رغبته في اتخاذ التدابير للشروع في تقرير المصير ، فتسحب حينئذ القوات العسكرية - المصرية والبريطانية - من السودان فور صدور ذلك القرار ، في مدة لا تتعدى ثلاثة أشهر . وإن التدابير التفصيلية لعملية تقرير المصير - بما في ذلك الضمانات التي تكفل حيطة الانتخابات وأي تدابير أخرى تهدف إلى تهيئة الجو الحر المحايد - ستخضع لرقابة دولية ، وستقبل الحكومتان - المصرية والبريطانية - توصيات أية هيئة دولية تنشأ لهذا الغرض . وبعد انسحاب القوات المصرية والبريطانية من السودان في خلال الأشهر الثلاثة التي تلي الأعوام الثلاثة تقوم الجمعية التأسيسية بتقرير مصير السودان (الشامي والجنوبي) بوصفه وحدة لا تتجزأ ، كما تقوم بإعداد دستور جديد للسودان يتواءم مع القرار الذي يتخذ في هذا الصدد ، وتسن معه قانوناً جديداً لانتخاب برلمان سوداني دائم .

وسيتقرر مصير السودان إما بأن تختار الجمعية التأسيسية ارتباط السودان بمصر على أية صورة ، وإما باختيار الجمعية التأسيسية الاستقلال التام . وقد تعهدت الحكومتان المصرية والبريطانية من الآن باحترام قرار الجمعية التأسيسية فيما يتعلق بمستقبل السودان ، وستقوم

تعارضاً مع مسؤولياته يرفع أمره إلى الحكومتين المصرية والبريطانية ، وعلى كل منهما أن تبلغ ردها على ذلك فى خلال شهر واحد من تاريخ الإخطار الرسمى ، ويكون قرار اللجنة نافذاً إلا إذا اتفقت الحكومتان المصرية والبريطانية على خلاف ذلك .

وهناك لجنة أخرى مختلطة للانتخابات تشكل من سبعة أعضاء : ثلاثة منهم سودانيون يعينهم الحاكم العام بموافقة لجنته ، وعضو مصرى ، وآخر بريطانى ، وعضو من الولايات المتحدة الأمريكية ، والسابع هندى . ويكون تعيين الأعضاء غير السودانيين بمعرفة حكومة كل منهم ، ويرأس اللجنة العضو الهندى . ويعين الحاكم العام هذه اللجنة بناء على تعليمات الحكومتين المصرية والبريطانية .

ولتهيئة الجو الحار المحايد لتقرير المصير ، تشكل لجنة للسودنة تتألف من عضو مصرى وآخر بريطانى ترشح كلا منهما حكومته ، ثم يعينهما الحاكم العام ، وثلاثة أعضاء سودانيين يختارون من قائمة تتضمن خمسة أسماء يقدمها إليه رئيس وزراء السودان ، ويكون اختيار هؤلاء الأعضاء السودانيين وتعيينهم بموافقة سابقة من لجنة الحاكم العام ، وفى هذه اللجنة عضو أو أكثر من لجنة الخدمة العامة السودانية للعمل بصفة استشارية بحسب دون أن يكون له حق التصويت .

وهكذا سيمضى العمل فى فترة الانتقال ، إلى أن تنقضى السنوات الثلاث بتوفيق الله وعونه على أحسن حال إن شاء الله .

كل منهما باتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار .

والفترة التى تمر بين هذا الحادث التاريخى الجديد (١٢ فبراير ١٩٥٣) ونهاية السنوات الثلاث تعد (فترة انتقال) يهد فيها لتصفية الإدارة الحاضرة فى السودان وإنهاءها لإنهاء فعلياً ، ويحفظ إبان فترة الانتقال بسيادة السودان للسودانيين حتى يتم لهم تقرير مصيرهم بإرادتهم واختيارهم .

وفى إبان فترة الانتقال يمارس الحاكم العام سلطاته الدستورية وفقاً لقانون الحكم الذاتى بمعاونة لجنة خماسية تسمى : لجنة الحاكم العام ، وهى تشكل من اثنين من السودانيين ترشحهما مصر وبريطانيا بالاتفاق بينهما ومن عضو مصرى وآخر بريطانى ، واتفق على أن يكون العضو الخامس باكستانيا ، ويتم رسمياً تعيين هذه اللجنة بمرسوم من الحكومة المصرية . وقد اتفقت الحكومتان المصرية والبريطانية على أن لا يمارس الحاكم العام السلطات المخولة له بمقتضى قانون الحكم الذاتى على أية صورة تتعارض مع المبدأ الأساسى للسياسة المشتركة للحكومتين فى الاحتفاظ بوحدة السودان بوصفه إقليماً واحداً .

وسيبذل الحاكم العام للسودان مسؤلاً مباشرة - أمام الحكومتين المتعاقدتين - فيما يتعلق بالشئون الخارجية ، وأى تغيير يطلبه البرلمان السودانى بمقتضى المادة ١٠١ من قانون الحكم الذاتى فيما يتعلق بأى جزء من ذلك القانون ، وكل قرار تتخذه اللجنة ، ويرى فيه الحاكم

مذبحة الدار البيضاء

هي المذبحة الشنيعة التي دبرها مع دار الإقامة الفرنسية العامة في مراكش الفرنسيون المتوطنون هناك ، فقتل فيها يومى ٧ و ٨ ديسمبر الماضى أكثر من ألف مراكشى مسلم راحوا ضحية التعصب والحقد والطمع والانحطاط فى المبادئ الإنسانية .

ولما وصل خبر هذه المذبحة إلى باريس عقد فريق من أصحاب الضمائر من الفرنسيين اجتماعاً خطيراً فى « دار المثقفين الكاثوليك » ، وحضر هذا الاجتماع مئات من الساسة والصحفيين والاسانذة والطلاب ، ورأس الاجتماع السكاتب الفرنسى الشهير مسيو فرانسوا موريالك فخطب مندداً بالاستعمار الفرنسى فى مراكش ، ونادى بضرورة لإنعام النظر فى مذبحة الدار البيضاء وقال : يجب على الفرنسيين أن يصرحوا بالحقيقة مهما كان ثمنها .

وخطب مسيو أندريه دويبيرقى المستشار السابق للاتحاد الفرنسى فقال : لم يبق فى شمال أفريقية من أثر لسياسة فرنسا الغاشمة غير الخوف والحقد والتعصب العنصرى . وإن أفراد الجالية الفرنسية فى شمال أفريقية قطعوا علاقتهم بفرنسا التى لم تهتمهم فى شيء ، كما أنهم لا يرون فى المغاربة أصحاب البلاد إلا أنهم أداة للاستغلال .

وخطب مسيو بيير كورفال أحد مستشارى الاتحاد الفرنسى سابقاً فأفاض فى استنكار السياسة الفرنسية . ثم تلاه مسيو رويير بارا سكرتير الجمعية فقدم للجمعية ملفاً بوثائق خطيرة عن مذبحة الدار البيضاء التى بلغ عدد القتلى فيها ألف مراكشى ، وقد استخدموا رجال المطافىء لغسل الشوارع من الدماء الغزيرة ، لطمس معالم هذه الجريمة .

ثم خطب القسيس الأب ديوم الذى عاش ١٥ عاماً فى المغرب ، والمسيو شارل أندريه جوليان الأستاذ بجامعة السوربون ثم مسيو فرانسوا ميتيران الوزير السابق فنددوا بهذا الاستعمار الهمجي وجرائمه الشنيعة .

التعويضات الألمانية لإسرائيل

أوفدت ألمانيا الغربية وفداً إلى مصر ليعبر عن شعور بلاده بالأسى والحزن لما حل باللاجئين العرب ، وليفاوض ذوى الشأن فى مصر للوصول إلى الوسائل التى تؤدى إلى استمرار العلاقات الودية بين ألمانيا ودول الجامعة العربية ، والتقليل من أثر التعويضات الألمانية لإسرائيل .

وقد اجتمع الوفد الألمانى بممثلى الدول العربية ، وكان الاجتماع فى وزارة الخارجية المصرية ، وأعلن وزير الخارجية المصرية فى الاجتماع الأول أن « العرب من جانبهم

أقرت تلك القواعد الجمعية الدستورية ، ونشرت اللجنة تقريرها في ديسمبر عام ١٩٥٢ وأعطيت مهلة ليتسع الوقت لبحث ذلك الدستور حتى ٢١ يناير ١٩٥٣ ، وقد قام الدستور الجديد على أساس (الصلة بين القوانين الباكستانية والشرعية الإسلامية) ، ونص فيه على أنه : لا يجوز إصدار تشريع يخالف للكتاب والسنة ، ، وجعل لأعضاء المجلس التشريعى الاعتراض على أى قانون يخالف الإسلام . ونص الدستور على أن تؤلف اللجنة من أعضاء عالمين بالشرعية الإسلامية لا يزيدون عن خمسة ، فإن اختلفت اللجنة فلرئيس الدولة الخيار فى إصدار القانون أو رده للمجلس ، وإن أجمعت اللجنة على أن القانون يخالف للإسلام وجب على رئيس الدولة إعادته إلى المجلس لمقترح النظر فيه على وجه يدينه . فسأله مندوب البلاغ :

هل رجع الباكستانيون عند وضع الدستور إلى الدساتير المختلفة للأمم ، واستعانوا بها على إنشاء دستورهم ؟ أم أنشأوه كله جديداً مستمداً من روح الباكستان والإسلام ، ومن التقاليد والعادات والخلق الباكستانى ؟ فقال السفير :

« لقد رجعوا بالطبع إلى دساتير الأمم المختلفة ، واستعانوا فوق ذلك بخبراء من الأجانب . ولكن للروح الإسلامية ، وللطابع الإسلامى ، وللبادى الإسلامية فى دستور الباكستان مكانا كبيراً ومنزلة تكاد تسيطر عليه وتسوده . »

قرروا الوقوف فى وجه اتفاق ألمانيا مع إسرائيل على التعويضات ، .

وأجاب رئيس الوفد الألمانى ممبراً عن شعور بلاده وما ترجوه من توثيق العلاقة العظيمة مع البلاد العربية ، واعتذراً بأن ألمانيا تواجه بعد الحربين العالميتين كثيراً من المصاعب والمتاعب لكنها رغم ذلك مستعدة لمساعدة العرب فى كل ما يقوى صناعتهم وينشط اقتصادياتهم ، وأن تزود العالم العربى بالمشورة الفنية فى جميع الميادين مع ما تتطلبه هذه المشورة من أمور أخرى .

وقد استقر الرأى على تأليف ثلاث لجان فرعية لبحث التفصيلات الفنية ، المتعلقة بالصناعات والمشروعات والتمويل على أن يشترك فى كل لجنة أعضاء يمثلون الفريقين . والسائد فى الجانب العربى أنه فى حالة الوصول إلى اتفاق فإن قرار المقاطعة العربية سيطبق على كل هيئة أو شركة ألمانية يثبت للعرب أنها تتعامل مع إسرائيل .

دستور باكستان الجديد

تحدث سفير مصر فى الباكستان الدكتور عبد الوهاب عزام إلى مندوب جريدة البلاغ عن دستور باكستان الجديد ، والنحو الذى نحتته تلك الدولة فى ذلك فقال :

« فى عام ١٩٤٩ نشرت (لجنة الأصول) فى الباكستان تقريرها متضمناً (القواعد) التى يوضع عليها دستور الباكستان ، وقد

مخططة للسجبر الصحى بجمرة

كان حجاج الشرق الذين يقصدون جدة من طريق باب المنذب تفرض عليهم المراقبة الصحية ذهابا وإيابا فى محجر صحى أقيم فى جزيرة كمران تجاه نغر الحديدية البنى من أيام الدولة العثمانية . فلما زال الحىكم العثمانى عن البين احتل الإنجليز جزيرة كمران وأصبح محجرا الصحى خاضعا لهم وللمولنديين .

وقد أنشأت الحكومة العربية السعودية الآن محجرا جديدا فى جدة لحجاج الشرق ، ليحل محل محجر جزيرة كمران الذى كان يستقبل زهاء مائة ألف حاج . والمحجر الحجازى الجديد يتألف من محطة حجر صحى ، ومستشفى للأمراض المعدية ، ومستشفى عام ، ومعمل . وستساهم الهيئة الصحية بتزويده بالأجهزة والمعدات الإكلينيكية . وسيشرف على هذه المحطة الدكتور صبرى الفار الخبير المصرى فى شئون الحجر الصحى موفدا من المكتب الصحى الإقليمى .

ومحطة جدة الجديدة ستكون أول محطة من نوعها خاضعة لسلطة الحكومة السعودية .

الخطر الاسرائيلى

قالت جريدة المصرى فى مقالها الافتتاحى : « لقد آن للدول العربية أن تعترف بالحقيقة التى طالما صعب عليها الاعتراف بها ، وهى أن إسرائيل أصبحت خطرا حقيقيا علينا ، وأن هذا الخطر يزداد يوما بعد يوم ، ويتراعى

فى صور شتى وأساليب مختلفة . وإن أعظم مظهر لهذا الخطر ما تؤديه شهادة الأرقام والإحصاءات من أن هذه الدولة تعمل ليل نهار ، وتقيم عملها على ضوء العلم والنظام ، وتجنّد قواها كاملة استعدادا لعدوان جديد على نمط واسع . ولا يستطيع قمع هذا الخطر على حقيقة إلا إذا قورن جهـد إسرائيل الدائم المنظم بمثله فى الدول العربية . وعلى كل عربى أن يكلف نفسه عناء هذه المقارنة ويستخلص منها - ولو لنفسه خاصة - النتائج المنطقية الصحيحة ، فهو إن فعل ذلك استيقن من حقيقة الخطر الإسرائيلي الذى أسلفنا الإشارة إليه ، وأخشى ما نخشاه أن يستنمى العرب إلى كثرة عددهم وموافقة بعض الظروف الحاضرة لهم ، فى حين أن الكثرة العددية لا خطر لها إذا كانت جاهلة ، أو غير منظمة ، أو غير معدة للعمل . أما الظروف فإنها قد تتغير فجأة من النقيض إلى النقيض ، وعلى كل حال فإن القسوة تهيء الظروف الملائمة ، والضعف يحرم صاحبه من الظروف الحسنة ويحيلها إلى ظروف سيئة .

رئيسى لبنان يزور الرباصه

زار رئيس الجمهورية اللبنانية الملك عبد العزيز آل سعود فى عاصمته النجديّة (الرياض) فاستقبل بحفاوة عظيمة . ولما اجتمع الرئيس اللبناني بالملك السعودى بعد ظهر اليوم الأول من وصوله إلى الرياض لبثا معا ما يقرب من ساعة ، وتناول الحديث العلاقات بين

ثم ألغى في هذا العام نظام الحكم الوراثى وأعلنوا الحكم الجمهورى كما ذكرناه في جزء ربيع الآخر ، وكان آخر رؤسائهم الزعيم المصلح الحاج عبد المجيد ديدى رحمه الله ، ثم كان الآن أول رؤساء جمهوريتهم الزعيم الوطنى محمد أمين ديدى الذى يجمع بين العلم والأدب ومزايا الحكم الصالح .

قانونه حماية الآداب

تبحث وزارة العدل الآن في تعديل القانون الخاص بحماية الآداب بحيث يحقق الغاية التى سنبلوغها وأنشئ مكتب الآداب من أجلها . وقد طلبت من بعض رجال الأمن موافاتها بنتائج خبرتهم في هذه الناحية حتى يحىء التعديل المطلوب تحقيقاً لما يستهدفه العهد الجديد من رفع مستوى الأخلاق إلى أقصى حد ممكن .

تحريم الخمر في ابراه

كما تعتنى حكومة مصر الآن بمكافحة المخدرات ومطاردة من يبيعها أو يشتريها أو يحملها ، فكذلك يحاول مجلس النواب الإيراني مطاردة الخمر ، فوافق ٨٨ من أعضاء المجلس على اقتراح قدمه ١٦ نائباً يقترحون فيه منع استعمال وشراء واستيراد وبيع وصنع المسكرات التى لعن الإسلام شاربها وصانعها وبائعها ومشتريها ومن يرضى بها . وكذلك طلبوا في اقتراحهم تحريم الأفقيون ، والمتنظر أن تصدر الحكومة الإيرانية مشروع قانون بذلك في خلال ستة أشهر .

الدول العربية ، وضرورة توثيق الروابط الاقتصادية والثقافية والدفاعية بين دول الجامعة بشرط أن يكون في ذلك ما يضمن استقلال الدول العربية وما لا يتعارض مع حريتها وابتعادها عن الخضوع لهذا المعسكر أو ذاك .

جزائر مالديف

نشرنا في جزء ربيع الآخر من هذه السنة (ص ٥١٧) خبر إعلان الحكم الجمهورى في جزائر مالديف الإسلامية ، ونزيد الآن أنها دخلت في الإسلام في سنة ١٤٤٨ للهجرة على يد رجل صالح من المغاربة اسمه الشيخ الحافظ ابن البركات ، وكان حاكم هذه الجزائر بوذياً فدعاه هذا الشيخ إلى دين الإسلام وعرفه بحاسنه وحقيقته فاستجاب له ، وأسلم معه سائر سكان هذه الجزائر التى يبلغ عدد الآهل بالسكان منها ٢١٥ جزيرة ويتبعها أكثر من ألف جزيرة أخرى خالية من السكان . وظلت هذه الجزائر مستقلة حتى احتلها البرتغاليون في سنة ١٩٦١ هـ ثم أجلاهم عنها السكان المسلمون في شهر ربيع الأول سنة ١٩٨١ بمجاهد زعيم من زعمائهم ولوه بعد ذلك هليم وهو السلطان الغازى محمد تسكر فان ، والمالديفيون يعتبرون يوم تحررهم من الاحتلال البرتغالى عيداً قومياً . وفي سنة ١٩٦٦ احتل هذه الجزائر قوة من بلاد مالابار ، ثم تحررت منهم بعد سبع سنوات بقيادة السلطان حسن عز الدين . وقبل ٢٢ سنة تحولت حكومتها إلى حكومة دستورية ،

فهرس

الجزء السادس — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بـقـلم
٦٤٩	حقائق	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٦٥٥	بماذا فبدأ	» محمد عرفة مدير المجلة
٦٦٢	فصحات القرآن	» عبد اللطيف محمد السبكي
٦٦٨	السنة : التطهير في الاسلام	» طه محمد الساكت
٦٧٣	أزمة الفقه الاسلامي	الدكتور محمد يوسف موسى
٦٧٩	علم التوحيد	الأستاذ علي الطنطاوي قاضي دمشق
٦٨٤	خير نظام للحكم	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٦٨٧	نشأة كتب الأمل	الأستاذ عبد الوهاب حمودة
٦٩٤	صدي قاصص مجلة دار التقريب	رئيس تحرير المجلة
٧٠١	فصل الدين عن الدنيا	الأستاذ محمد عبد السلام القبانى
٧٠٥	الحزبية في القرآن الكريم	» أحمد الشرباصى
٧٠٩	آراء وأحاديث : علوم البلاغة	» محمود الندواوى
٧١٥	الفتاوى	لجنة الفتوى
٧١٨	مملكة تنلى	الأستاذ عبد المنعم محمد الشيخ
٧٢٢	قضية فلسطين وتمويضات الألمان لاسرائيل	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٧٢٥	لنـوـيـات	الأستاذ محمد علي النجار
٧٢٩	وحدة الأمة — سبيلها إلى النصر	» عبد الحميد محمود للسلوت
٧٣٧	تطهير الاداة الحكومية	» محمد فتحي محمد عثمان
٧٣٥	الفطرة السليمة عند ديكارت	» سعيد زايد
٧٣٩	نظم الحكم في الشرق	» محمود فياض
٧٤٤	ما أشبه القيلة بالبارحة	» محمد خليفة
٧٤٨	الدعوة إلى عقد المؤتمر الاسلامي	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
٧٥٢	اختيار الزوجة في الشريعة الاسلامية	الأستاذ محمد فهمي الطماوى
٧٥٥	الكتـب	قلم التحرير
٧٦٧	الأدب والعلوم في شهر	»
٧٦٩	أنباء العالم الاسلامي	»

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والشرق
٣٠ للطلبة في مصر والشرق
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
٥٠ من الجزر

مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ
مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٌ بِجَامِعَةِ
تصدر عن شيخ الأزهر في أول شهر عربي

مدير المجلة
محب الدين الخطيب
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء السابع - في غرة رجب ١٣٧٢ - ١٥ مارس ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَانَتَانِ

أما أولاهما فخمسمائة مليون مسلم منتشرون في بقاع الأرض كالأيتام الذين لا راعى لهم ، ولا يجدون من يحدد ارتباطهم العملي بالإسلام وأخلاقه وقواعده وسننه ، بعد أن صارت بيوتهم غير إسلامية ، ومعايشهم غير إسلامية ، وروابط الصداقة والتعاون والتعامل فيما بينهم غير إسلامية ، ومجتمعهم كله غير إسلامي ، وحتى أهدافهم قد انحرفت عن أهداف الإسلام ، ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيهم مرة أخرى لانكروهم ولانكسر نسبهم إليه . . .

ترى هل أخلاق الإسلام وقواعده وسننه جاءت لتكون خاصة بالجيل الذي صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل المنتسبون إلى الإسلام الآن في حل من أن يتنكروا لتلك الأخلاق ، وألا يعملوا بتلك القواعد ، ولا يلتزموا تلك السنن ؟

أنا لا أنكر أن المساجد حافلة والله الحمد بالمصلين ، بل لأنها على كثرتها يضطر المئات من المصلين إلى افتراش الحصر والجيب في خارج أبوابها ليصلوا الجمعة مع الذين سبقوهم إلى الصلاة في داخلها ، وبين كل حين وآخر يحتفل المسلمون بإنشاء مساجد جديدة ، ومع ذلك فإن المجتمع الإسلامي لا يتعامل فيه الناس بأخلاق الإسلام ، ولا يعترفون بقواعده ، ولا يلتزمون سننه .

إن الأئمة الأربعة وغيرهم من أعلام الفقه الإسلامى اختلفوا فى كثير من أحكام العبادات كمنوافض الوضوء وأسباب الأيدى فى الصلاة أو عقدها ، لأن النصوص التى اعتمدوا عليها فى استنباط تلك الأحكام متعددة فى أحوال مختلفة ، أو هى ليست من الصراحة والقوة بالدرجة التى تمنع الخلاف عليها فى المذاهب الفقهية .

أما النصوص التى تلزم المسلمين بأن يكونوا أمة صدق ، وبأن يقيموا الحق ، وأن يتعاونوا على الخير ، فإنها أصرح وأوضح وأقوى من جميع النصوص التى اعتمد عليها أئمة الفقه فيما اختلفوا فيه من أحكام الفروع فى العبادات . فكيف استباح جواهر المسلمين — إلا من عصم الله — هذا التساهل المشاهد الآن فى أخلاق الإسلام ومنها الصدق وإقامة الحق والتعاون على الخير ، مع أن الكثيرين من الذين يتساهلون فى ذلك يتشددون فى الأحكام المختلف عليها بين المذاهب لأنها من أمور الدين ، أما الأخلاق فأكثرهم يحسب أنها من أمور الدنيا ، وأن لهم أن يتصرفوا فيها بحسب ما يظنونه مصلحة لهم . نعم إن التشدد فى أحكام العبادات ضرورى لكل مسلم حتى ما اختلفت المذاهب على أدلته من النصوص ، ولكن كيف يجوز لعامة المسلمين فى بيوتهم وأسواقهم ومجتمعاتهم أن يعتبروا الأخلاق من أمور الدنيا لا من أمور الدين ، وكيف يستبيحون التحلل من أوامر الله فيها مع أنها أصرح وأقوى من أدلة الفروع الفقهية المختلف عليها بين الأئمة ؟

اللهم إن هذا منكر يجب على المسلمين معالجته عمليا بكل ما يزيله من العالم الإسلامى ، ويظهر هذه الأمة منه ، حتى تعود كما كانت أمة صدق ، وحتى تعلق فيها كلمة الحق ، وتعم جميع أفرادها سجايا الخير . وبهذا الإصلاح يعود المسلمون مسلمين ويرد إليهم اعتبارهم بين الأمم ، ويصلح الله لهم به دنياهم ، وتعرف شعوب الأرض إلى الإسلام بمشاهدة أخلاقه معمولا بها فى جماعات المسلمين وأفرادهم .

وهنا يحسن بنا أن نتساءل : من الذى يتولى معالجة هذا المنكر حتى يزيله ، ويرد المسلمين إلى إسلامهم حتى يكونوا من أمة نبيهم حقا ؟ .

كنت أعتقد منذ طفولتى أن هذا الواجب فى أعناق علماء الإسلام ، وأنهم ورثة المقام النبوى فى معالجة كل ما كان يمالجسه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من نقائص الناس ومواطن ضعفهم . لكننى سمعت الكثيرين منهم فى فترات كثيرة من حياتى يعتذرون بأنهم

ليس لهم من د الأمر ، شيء ، وأن هذه الأمانة في أعناق ولاية د الأمر ، وهذا نقف مرة أخرى لتسأل : ما هو هذا د الأمر ، لنعرف من هم ولاته ؟

إن د الأمر ، في الإسلام وأمة الإسلام هو الإسلام نفسه وأخلاقه وقواعده وسننه . ويوم كان أمراء المؤمنين وولايتهم وعماهم هم الذين يرتقون منابر الإسلام ليقوموا بمهمة التوجيه للمسلمين ، ولما كانوا يؤمّون المسلمين في دينهم كما يؤمّونهم في دنياهم ، كانت المسؤولية ، يومئذ في أعناقهم مباشرة ، ومع ذلك فإن ورثة مقام النبوة من علماء المسلمين لم يكونوا ينفصلون من هذه المسؤولية ، وكان كل واحد منهم يقوم بنصيبه الذي يطيقه منها .

وأما بعد أن انحصر د أمر ، الإسلام ورسالاته وقواعده وأخلاقه وسننه في ورثة مقام النبوة من علمائنا ، فقد انحصرت فيهم ولاية هذا الأمر ، ولن يخلصهم من مسؤولية ذلك في يوم الحساب إلا كبر أى عذر يعتذرون به .

إن هذه الأمة الإسلامية د أمانة الله ، في أعناق علمائها ، فعليه أن يعدوا أنفسهم لقيادتها إلى الإسلام وأخلاقه والعمل بقواعده وإحياء سننه ، بأن يجعلوا لها من سيرتهم قدوة تقتدى بها ، ومن إيمانهم الصادق مصباحاً تستنير به ، ومن توجيههم الحازم اتجاهات تسير به إلى أهداف الإسلام بصدق وعزيمة وأمانة وإخلاص .

ولانقطع الحجة على الذين يقولون منهم : ليس لنا من د الأمر ، شيء ، أتحدث إلى سادق شيوخ الكليات الأزهرية والمعاهد الدينية الإسلامية فأسألهم : أليس د الأمر ، لكم فيمن وضعهم الله تحت أمانتكم من شباب المسلمين الذين أقبلوا على معاهدكم ليتلقوا منها رسالة الإسلام ، ثم ليكونوا خلفاءكم في بيئاتهم على وراثته مقام النبوة ، يوم تشهد لهم معاهدكم بأنهم صاروا من العلماء ومن ورثة الانبياء ؟

نعم يا أسيادي ، إن هؤلاء الطلبة د أمانة الله ، في أعناقكم ، وفي أيدي المتعاونين معكم من أساتذة الأزهر والمدرسين فيه ، وإن أمثالهم من طلبة العلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي د أمانة الله ، في أيدي أساتذتهم من علماء المسلمين في كل بقعة من تلك البقاع .

لأنها لأمانة ثقيلة في ميزان الله ، وعظيمة المسؤولية في يوم الحساب . . .

ولإذا كانت الأمانة - بوجه عام - قد تهيئتها السماوات والأرض يوم عرضها الله عليهن ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، فإن جزءها الذي اتتمن الله عليه سادتنا العلماء من شيوخ

الكليات والمعاهد والمدرسين فيها وفي أمثالها بكل بلد ، لا شك أنه أنقل ما في أمانات الله وأعظمها خطراً ومسئولية .

إن الرعاة الذين سيجهد لإلهم بعد سنوات قريبة بالإشراف على مئات الملايين من المسلمين هم هؤلاء الألوف وعشرات الألوف من طلبة الكليات والمعاهد الأزهرية في مصر وأمثالها في الأوطان الإسلامية الأخرى . وإن كانت قد فاتتنا الفرصة فيما مضى لإعداد هؤلاء الرعاة الإعداد الصالح لرعاية الشعوب الإسلامية بلا تهرب من هذه المسؤولية ولا تعلل بالمعاذير للتخلي عنها ، فقد آن لنا أن نشعر اليوم بثقل مسؤوليتنا من هذه الناحية ، وأن نتذكر أن المعاهد الإسلامية ينبغي أن تكون - قبل كل شيء - دور إعداد وتربية وتكوين خالق وتوجيه ملي ، ثم هي بعد ذلك معاهد تعليم . والصحابة في عصر النبوة كانوا يتلقون الأخلاق والفضائل وحسن التوجيه من المبعوث إلى الإنسانية ليتعم مكارم الأخلاق ، أكثر مما كانوا يتلقون العلوم كما صرنا نفهمها في عصور الانحطاط . وقد ثبت أن الصحابة والتابعين كانوا يتلقون الآيات القليلة من القرآن فيتقنون تلاوتها ، ويتدبرون أغراضها في أوسع آفاقها وأبعد مراميها ، وللكثرة تكرارها لتدبرها كانوا يحفظونها أتم الحفظ وأجوده ، وفي خلال ذلك يتخلقون بكل ما فيها من أخلاق ، ويعملون بكل ما فيها من توجيه وأحكام ، حتى إذا استوفوا ذلك على أتم الوجوه وأكملها في هذه الآيات القليلة ، انتقلوا منها بعد ذلك إلى آيات أخرى غيرها . قالوا : فكنا نتعلم العلم والعمل به . وإذا تعلموا العلم والعمل به ، حملوا رسالتهم إلى كل مكان حلوا فيه ، فعملوه لجميع من يتصل بهم من إخوانهم المسلمين ، وحملوهم على العمل به كما التزموا هم العمل به في السر والعلن والمنشط والمكره . وبذلك ورثوا مقام النبوة في الإسلام . أما العلم الكثير الذي ينظر إليه كبضاعة للتصدير لا للفتية ، فإنه هو العلم الذي لا ينفع ، وكان رسول الله ﷺ يستعين بالله من هذا النوع من العلم كما يستعين من الشيطان ، وطالما قال ﷺ : أعوذ بالله من علم لا ينفع . فالعمل بالعلم ، والتخاق بما يرشد إليه من فضائل يجب أن يكون في مقدمة ما يعنى به المدرس في نفسه أولاً ، ثم في توجيه أبنائه الطلبة إليه ، ومراقبة عملهم به ، كما يراقب الأب الحكيم ابنه الحبيب وكلما صدر ذلك عن المدرس من صميم القلب ، وتأيد عليه به بعمله به ، رسخ ذلك في قلوبهم ، وتشبعت به نفوسهم ، وجرى مع دمائهم في عروقهم ، لا سيما إذا اقتنعوا بفائده

لهم في معترك الحياة . وما ينبغي لنا معرفته أننا مقبلون على زمن ينحط فيه ويفشل في الحياة كل من عامل الناس بالاخلاق الملتوية ، ويرقى فيه وينجح في الحياة كل من عامل الناس بالاخلاق المستقيمة . وإن الاخلاق الإسلامية هي العنصر المطلوب بعد الآن في المجتمع ، والمجتمع سيبحث بمصباح ديوجين عن المتخلفين بأخلاق الإسلام ليأتمنهم على مصالحه ومرافقه وخيراته . وكما رأينا أصحاب الاخلاق الملتوية ممن وصلوا إلى المقامات العليا في عهد قريب قد سقطوا الآن في أقفاص محاكم الجنايات ، أو فتحت دفاتر حسابهم عما اقترفوا فيامضى من آثام ، فإن السنين الآتية لن يكون فيها لآمال هؤلاء مجال للعمل ، وإن العمل كله سينشده له المجتمع عمالا من المتخلفين بالاخلاق التي كان يبتهج بها رسول الله ﷺ ويمتلئ قلبه بحبة لاهلها وسرور آبهم .

إن على أساتذة السكيات والمعاهد الازهرية أن يرغبوا طلبتهم في معرفة تراجم أصحاب رسول الله ﷺ وفضائلهم وما كانوا عليه من أخلاق ، ويطعموهم في أن يكونوا مثلهم فيها ، بل عليهم أن يفهموهم بأن على المسلم أن يكون له في رسول الله ﷺ وأخلاقه السامية أسوة حسنة كما أرشد الله المسلمين إلى ذلك ، ومن أولى من طالب العلم الإسلامي بأن يطلب الاسوة والقذوة لنفسه وقلبه وعقله وأخلاقه بكل ما كان عليه رسول الله ﷺ من سجايا وفضائل ؟ والسيرة المحمدية يجب أن تعرف لا للتحدث بها من الالسنه إلى الاسماع ، بل للنأسي بها حتى ترجم بالاخلاق والاعمال ، فيتلقاها الناس بالمشاهدة والنظر ، والتعامل بها والعمل . حتى إذا تخرج طلبة الازهر وهم متحلون بهذه الخلية ، استطاعوا أن يقودوا الامة الإسلامية ويعدلوا بها عن طريق الشيطان إلى مرضاة الرحيم الرحمن ، وبذلك يتحول المسلمون من غشاء السيل ، ويطهر الله قلوبهم من جرائم الوهن ، ويملا صدور الامم مهابة لهم ، فنتبوا المسكنة السكريمة التي أرادها رسول الله ﷺ لامته .

الاخلاق قوة ، والمسلمون ضعفاء الآن في كل شيء ، لانهم نشأوا وتكونوا أيتاما ليس لهم من يحسن القيام عليهم في إعدادهم الخلق وتوجيههم الإسلامي . ولن يكونوا مسلمين حقا إلا إذا تخلقوا بأخلاق الإسلام ، وإن لم يتول علماء المسلمين هذه الامانة ، في أمة محمد فن ذا الذي يتولاها فيهم ؟

يا أسيادى شيوخ السكليات الأزهرية والمعاهد الدينية ، ويا إخوانى من أسانذتها ومدرسيها : إن الأمر جد ، والزمان قد استدار ، ويوشك أن يكون كهيئته يوم بعث الله محمداً ﷺ بالحق والخير ، فأصبحت هذه المهمة هى مهمتكم الأولى . وإذا لم تعتبروا أنفسكم ولاية هذا الأمر ، فى جماهير المسلمين ، فأنتم بلا شك ولاية الأمر كله فى طلبتكم وأبناء كلياتكم ومعاهدكم . وإن الدرس قد يؤخذ من الكتب ، أما التكوين الخلقى والتوجيه الإسلامى فتنبه قلب المدرس المؤمن بأخلاق الإسلام والذى يشعر بخطر الأمانة التى ائتمنه الله عليها .

أيها المدرس الأزهرى ، أنت قائد ، والذين تنصل بهم من طلبتك الأزهريين هم جندك ، فسلحهم بأخلاق الإسلام ، واملأ قلوبهم وأرواحهم برسالته ، وادفعهم بإيمانك وحكمتك إلى ميادين الجهاد ومعاقل النصر ، وإن الله سيكتب بجهادكم الصادق الظفر الكامل للفضائل فتزول بها الرذائل التى أوهنت المسلمين وأطمعت بهم الأمم . إنك أيها المدرس المسلم على ثغرة من ثغور الإسلام ، فحذار أن يوقى الإسلام من قبلك !

* * *

وبعد فهذه إحدى الأمانتين ، وقد اتسع القول فيها لأنها عظيمة فى مصير الإسلام وأهله ، وثقيلة فى موازين الله عز وجل . وسأتحدث عن الأمانة الأخرى فى الجزء الآتى إن شاء الله .

محب الدين الخطيب

علماء السلف

لما تقلد الخاقانى الوزارة أرسل إلى الإمام محمد بن جرير الطبرى بمال كثير ، فأبى أن يقبله ، فعرض عليه القضاء فامتنع . فعاتبه أصحابه وقالوا له : لك فى هذا ثواب ، وتحب سنة قد درست . فانهزم وقال : قد كنت أظن أنى لو رغبت فى ذلك لتهيمونى فنه .

دِفَاعٌ عَنْ الزُّهَرِ

شر ما تبلى به أمة من الأمم شك بعضها في بعض ، وانعدام الثقة بين أفرادها ، فكما أشار عليها أولو الأمر فيها شكوا في مشورتهم ، وأساءوا بها الظن ، وذعّبوا يلتمسون الأسباب والعلل للتفلت منها .

وإما نحس تدبيرا خفياً يعمل في الظلام للتفريق بين الامة وعلماء الدين فيها ، ويبذر بذور الشك في أقوالهم ونصائحهم وفتاواهم . لقد سارت الامة منذ عهد بعيد منذ مجيء الإسلام على حسن الظن بهم والتماس مشورتهم في كل حادث جد وفي كل خطب نزل ، وكانت تأتمر بأمرهم وتصدر عن رأيهم ، وكانوا يحذرونها من أعدائها ويرونها مكرهم ودسائسهم ، ويعرفونها كيف تتقى حبايلهم وتأمن مكرهم ، ولم يخف ذلك على أعدائها فسعوا في غرس الشك في قلبها وخلقوا سوء الظن بهم ، لتنفرد عن علمائها وينفرد أعداؤها بها .
« ولأنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » .

وقد أصابوا بعض النجاح في ذلك ، فلا يخطئك أن ترى في بعض الصحف تشويها لهم وإساءة ظن بمشورتهم . ونحن إذا التمسنا العذر لبعض الكتابين ، فلا نجد عذرا لبعض علماء الدين الذين يبذرون الريب والشكوك في العلماء ، ويصورونهم بصورة من باعوا دينهم وضمايرهم لدنيا يصيبونها أو عرض يقتونه ، وقد رأينا منهم من يطعن في قدماء العلماء ومحدثيهم ، فإذا رأى فتوى في أمر هو مجال الاجتهاد طعن فيهم إذ لم يأخذوا بالرأى المخالف ، وإذا كانت الفتوى صحيحة ليست باطلة ، جعل الباعث عليها سيئا ، والامور تسوء بسوء الباعث عليها حتى العبادات نفسها . قال رجل في مجلس الأمير : سبحان الله ، استعظما الأمر وقع من بعضهم ليغرى به الأمير ، فقال بعض العلماء : ما علمت أن سبحان الله معصية إلا في هذا اليوم .

وإذا رأى العلماء ينزلون على الأمر الواقع حين غزا نابليون مصر وتغلب عليها نعى عليهم ذلك ، كأنما كان يريد بعد أن سقطت المقاومة أن يقاوموا ويحملوا المصريين على المقاومة ليبيدهم أعداؤهم ، وإن حكم الشرع والعقل يأبى ذلك - قال الشاعر القديم :

إذا المرء أولاك الهوان فأوله هوأنا وإن كانت قريبا أوأصره
فإن أنت لم تقدر على أن تهينه فدعه إلى اليوم الذي أنت قادره
وقارب إذا ما لم تكن لك حيلة وصم إذا أيقنت أنك عاقره

وقد رأينا الألمان في الحرب الثانية يغزون الممالك فلا تقف أمامهم إلا أياما ، وكانوا أعظم المحاربين شجاعة وإقداما ، ولكنهم لما سقطت مقاومتهم خضعوا الأمر الواقع ، وساروا على حكم الوقت ، فحرم قوادهم واستجابوا لما يفرض عليهم .

فهل كان يطلب من علماء الدين في عهد احتلال الفرنسيين غير ذلك ؟ وهل كان يطلب منهم أن يقودوا الأمة إلى حتفها بعد أن سقطت مقاومتها ؟ لا ، إن العقل يقضى بمسيرة الأمر الواقع ، والعمل على التخلص والصبر حتى تتمكن الفرصة كما كان ، فقد جاءت الفرصة وأخرج نابليون والفرنسيون من مصر .

هذا مرض يجب أن يطب علماء الدين له ، ويجب أن يعنوا به ويتعرفوا أسبابه وعلمه ، فليس ذلك يمس أشخاصهم خسب ، وإنما ذلك يمس المصلحة العامة وخير المجتمع .

إن العلماء هم الهداة المرشدون بحكم الدين ، وإنه لا يقبل قولهم ولا يسمع نصيحهم إلا إذا وثق بهم ، وهذه الحملة المدبرة عليهم تفقد هذه الثقة .

لننا نعلم أن صلة العالم المسيحي بالبابا وبرجال الدين فيهم صلة تجعلهم إذا أمرهم بأمر نفذوه في بلدان العالم المختلفة .

وإن اليهود في جميع العالم يرتبطون برباط وثيق ، وإن الأمر ينزل عليهم من هيئتهم العليا ، فإذا هو قول مطاع وحكم منفذ ، وهذا سر قوتهم ونجاحهم ، إن قادتهم يروون في الأمر فتبين لهم وجوهه المختلفة فيختارون ويضعون الخطة ولو لمئات السنين ، ويعلمون اليهود في جميع بقاع الأرض بذلك ، فيأخذون جميعا في التنفيذ ، فليست هناك آراء مرتجلة ولا عمل وقتي ولا رأى شخصي ، إنما هو الرأى المدروس المتفق عليه الذي هو أمنية الأجيال والقرون .

أما نحن فلا نزال على عتبة الباب ، ولا نزال متفرقين مختلفين لا يعلم بعضنا شيئا عن بعض ، ولا يزال بعضنا ينزع الثقة من بعض ، حتى نصير بددا متفرقين ، لا نجتمع على رأى ولا نستجيب لنداء .

إن الأمر جد خطير ، يجب أن يلتبس له الدواء لإعادة الثقة وحسن الظن ، ولعل هذا هو الذى دعا الرئيس اللواء محمد نجيب إلى أن يستقرى التاريخ حتى يعثر على مواقف مشرفة لعلماء الأزهر من وقوف في وجه ظالم أو عمل على رفع مظلمة ، أو إنقاذ الأمة من جبار متعنت ، فيسجلها في خطبه العامة ويشيد بها في مواقفه التاريخية ؛ فقد ذكر في خطبته في عيد التحرير في يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٥٣ ما يأتى : « لقد أرادت مناهج التربية والتعليم فى الماضى أن تطمس هذه الصفحة المشرفة من تاريخ بلادنا لينشأ أبناؤنا على الذلة وليستقر فى أذهانهم

أنهم كانوا عبيدا أبدا ، لذلك أرانى اليوم مطالبا بأن أعلن أن أجدادنا كاخوا من أجل الحكم الصالح ، وأنهم جاهدوا فى سبيل الدستور الصحيح منذ أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، فقد عزل الشعب فى ١٣ مايو سنة ١٨٠٣ واليا معيننا من قبل السلطان ، فقال الوالى لى مولى من طرف السلطان فلا أعزل بأمر الفلاحين ، فرد عليه علماء الازهر ، وكانوا وقت ذاك نواب الشعب ، إن للشعوب طبقا لما جرى به العرف قديما ، ولما تقضى به أحكام الشريعة الإسلامية ، الحق فى أن يقيموا الولاية ولهم أن يعزلوه إذا انحرفوا عن سنن العدل ، وساروا بالظلم ، لأن الحكم الظالمين خارجون على الشريعة ، فركبتكم التى تحتفلون اليوم بعبيدها كما ترون . ووصولة الاسباب بجهاد أجدادكم ، فما قاله الاجداد فى سنة ١٨٠٣ قاله الاحفاد فى ٢٣ يوليو الماضى . وفى خطابه الذى افتتح به أعمال لجنة الدستور أشار إلى إحدى الثورات الدستورية التى قامت فى مصر بقيادة الشيخ أحمد الدردير والشيخ الشرفاوى ، وقد قال الرئيس إن هذه الثورة قام بها شعب مصر قبل أن يستتب الأمر لثورات أوربا الكبرى .

هذا ما نسجله للرئيس اللواء محمد نجيب مغتبطين له ، مقدرين هذا الشعور النبيل ، وهذا التوجيه النافع ، فإذا يجب على علماء المسلمين أن يعملوه ، وماذا يجب أن يساعدوا به فى إعادة الثقة بهم . إن البون بينهم وبين النظام الواجب شاسع ، ولكن ذلك لا يمنع من جعله غرضا سائيا يسعون للوصول إليه ويلتمسون له الاسباب ، إن الثقة بهم هى التى تجعل قولهم مقبولا وأمرهم مطاعا ، وإن تنال هذه الثقة إلا بأن يؤمن رجال الدين بأنهم لم يخلقوا لأنفسهم ، وإنما خلقوا لهداية أمتهم ، وأنهم مسئولون عنها إذا زاعت أو ضلت ، وبأن يعملوا على مقتضى هذا الإيمان ، فيجب أن تجدهم أمتهم إذا اشتجرت الآراء ، وعمت الأهواء ، ناصحين هادين ، ويجب أن ترى فيهم تضحية بأموالهم ومناصبهم وأرواحهم إذا اقتضى الأمر فى سبيل خيرها وإنقاذها ، يجب أن تعلم فيهم أنهم لا يجنون عن قول الحق ، ولا ينكصون عن نصره الصدق .

ويجب أن يتحللوا من ذلك الواجب الذى يفرض على المرء ألا يتحدث عن أعماله ولا يركب نفسه ، فما عليهم أن يتحدثوا عن أعمالهم ، ويدينوا أخطائهم وتضحياتهم ماداموا يداقون عن أنفسهم ويردون قول خصومهم ، وما داموا يرجون من وراء ذلك إعادة الثقة أو توطيدها برجال الدين ليتمكنوا من بذل النصيحة ومن توجيه الأمة إلى خير العمل وعمل الخير .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

نَفَاثُ الْفِرَافِ

- ٣ -

٢ - البيت العتيق :

« وأذن في الناس بالحج »

صدع إبراهيم بالامر ، وامتد في الآفاق نداؤه ، وتحقق لمكة رجاؤه ، فأصبحت وجهة للقصاد بعد أن طالت عزلتها ، وهوت لإلهها أفئدة من الناس وإن بعدت عليهم شقتها ، وتوافد الناس عليها من كل حذب ، « وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » .

وكان قد اندمج إسماعيل في العروبة فنشأ على لسانها ، وشب بين ناشئتها ، وانثقلت فيه روحانية الابوة بخصوبة الامومة المصرية ، واشتمل عليه الطابع العربي في ميزانه المحموده : من نجابة ، وصراحة ، وصدق ، ووفاء .

وبهذا التكوين كانت شخصية إسماعيل طرازاً جديداً للرسالة الدينية في طور حديث من التاريخ ، وكان مهياً للبعث في الأمة العربية . . على غير ما كانت تتجه الرسالات من قبل . « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

ثم يبدو توجيه القدر المحتوم في تلقين العروبة القديمة بما يخفف من جفوتها ، ويلطف من خشونتها لتساير حياتها القابلة في سبيل التدرج .

بدا ذلك في إصهار إسماعيل إلى العرب ، فكانت ذريته - العرب المستعربة - وكانت بعد : قبائل ، تبتدىء منه ، وتتأصل به ، وتمتد فروعها في جنبات مكة ، وفيما حولها ، حتى لتزخر بهم مكة يوماً فيوماً ، وغمر الله البلد الماحل بما رزق أهله من الثمرات مجلوبة إليهم على أيدي من هدام الله لتلبية أذان إبراهيم بالحج . وتلك دعوة من دعوات الخليل .

تعارف الناس بفضل البيت ، وتوارثوا قداسه ، وأصبح تاريخه عندهم مطلع تاريخ

العرب المستعربة . . وأصبح كذلك في تقديرهم - وهو حق - منقبة من مناقب الشرف المؤثر لإسماعيل وذريته من بعده .

وعندى - وهو امتطراد حسن - أن انتساب العرب لإسماعيل بنسب محفوظ ، وارتباطهم بالبيت في تاريخ مصدوق كانا من بواثع العزة التي عرفوا بها ، ومن أسباب الخصال المحموده التي لم تكن لسواهم ، فإن يكن هذا في البيئته العربية الأولى فقد وضح في بني إسماعيل أكثر ، وقوى اعتزازهم بذلك منذ أصبح نجمهم في تألق ، ونجم الآخرين في أفول ، ومنذ أصبح لهم لإدلال بأبوة إبراهيم وإسماعيل ، وأصبحت لهم منقبة بالبيت الذي أقيم فيهم ، ولا يزال بينهم ، فمن حقهم أن يتساموا بالنسب الكريم ، ومن الحق عليهم أن يتسابقوا إلى المسكارم : حماية للشرف الموروث ، ولإعلاء للمجد المعروف ، وتعزيزاً للسيادة الموهوبة .

بلغنا السماء مجدداً وسناؤنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

وقد تأصل في العرب إذا امتدح الواحد منهم نفسه أن ينحاز إلى أعراقه الأولى ، حتى يذهب إلى إسماعيل لو يستطيع خسبه ، وإلا يستطيع خسبه أن يصعد في النسب الضارب في العروبة إلى غاية ، ولم يكن فيما تعارفوه أركى لأحدهم من نسب معترف به وإن صفت يده من المال ، ولا أخزى من نسب منكور وإن كانت الدنيا في قبضته ، . وكل ما هناك من شمائل محمودة أو شائعات مردولة فردة عندهم إلى أصل كريم ، أو نسب لئيم .

ويتخيل إلى أن هذا من وحى الفطرة ، فإننا نشهد من أنفسنا نزوعاً إلى ما نزعوا إليه فشعور الواحد منا بعراقته ، واحتسابه المجد في عمومته وخمولته قد يدفع به إلى النبالة فيما يقول أو يعمل ، بل فيما يفكر ويتخيل ، وكثيراً ما يصرفه ذلك عما يتخذه مجده الذي يعتز به ولو كان في صنيعة بنجوة من الرقباء .

كما أن استكانة المرء إلى هوان منبته ، وضالة نسبه واختفاء معالنه قد تزدهه في الترفع ، وتبعده عن المسكارم ، وتؤيسه من المجد ، وليس يغنى عن كرم المحدث مظهر زائف ، ولا يمنع الإناء من رشحه طلاؤه بالتقوية بل قد تكون الحداثة في الظهور مغربة بالإسفاف ، فإنها كالنكسة شرها لأهل وأنتكى من المرض الهاجم .

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت إسلام

. وعلى تأييد هذا جاءت تعاليم الإسلام فيما أوصت به عند اختيار الزوجة ، وفيما حذرت منه : مخافة الافتتان بخضراء الدمن — المرأة الجميلة من أصل سوء — فإن للنسب شأنًا مراعى ؛ غير أن الإسلام لم يجعل كرم النسب شفيعاً للسيء ، ولا لؤم النسب مسوغاً للعدوان والتحقير ، ولا مانعاً من الزكية بالدين ، والعلم ، والخلق ؛ والميزان الحق في نظر الدين مع ما للأنسب من أثرها في توجيه الإنسان إنما هو العمل ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

وأعود - بعد الاستطراد - فأقول : ظل بيت الله والعرب من حوله هم أهله ورعاته تربطهم به رابطة الوطن ، ورابطة التاريخ ، فهو منارة في أم القرى ، وهو وثيقة تاريخهم التي لا يماريهم فيها أحد . وتربطهم كذلك رابطة الدين منذ دعاهم إبراهيم وبعث فيهم إسماعيل . فليس بدعا أن يدين العرب على تعاقب الأزمان بأن بقاء مجدهم في الحفاظ عليه ، وأن سيادتهم في الالتفاف حوله والانتساب إليه .

ثم يتناول العهد ، وتتصدع القومية العربية من بعض جوانبها ، وتجرفهم ضلالات حاقت بهم ، وتنطوى على الأحداث صفحات من التاريخ ...

ولكن شيئاً واحداً ظل شاخصاً فيهم ، مهيأً عندهم : ذلك - هو البيت العتيق - يدأبون على رعايته وعمارته ، ويتعهدون الحجيج إليه بالسقاية وكرم الوفادة ...

ولإذا اختصموا في البيت ساعة ما ، وتنازعوا الأولوية به ، وتقاسموا الأمر في قبائلهم فهو على أى حال في ولد إسماعيل ، لا يدعيه غيرهم ، ولا ينتزعه أحد من أيديهم ، ولا يستطيع منافس حائق أن يصرف الناس عنه وإن توفرت له القوة أو تمكن له السلطان . ولم تكن رعاية الله لبيته لتدع أصحاب القيل ينالون من قداسة البيت ، أو يقتربون منه مع بالغ قوتهم وكثرة حشدهم ؛ بل نزل بهم ما نزل من هلاك ، وبقي بيت الله المحرم مثابة للناس وأمانا .

فإذا اضطربت حياة العرب لأسباب ناجمة فيهم ، أو اندلعت بينهم الحرب تراحماً على غرض ، أو إدراكاً للثأر ، فمكة بمعزل من هذا الصخب ، وأرضها وسماؤها ، وطيرها ونباتها ، والملازمون لها ، واللاجئون إليها : كل أولئك في حماية البيت ، لا تمتد إليهم يد ، ولا يلحقهم إيذاء .

ذلك لعرفانهم أن الله أفاء على مكة في حدودها المعلومة لهم ظلاً ظليلاً من حمايته ، وجعلها من أجل بيته حراماً آمناً بينما يتخطف الناس من حوله .

وعلى هذا النمط المفكك يعيش أهل مكة ومن إليهم : بين اعتزاز بترائهم ، واضطراب في مجتمعاتهم ، وبعد أن كانت لهم تقاليد تتصل في أولها برسالة إبراهيم ثم إسماعيل أخذت تقاليدهم تتسع وتضيق ، وتصيب وتخطئ ، حتى انحرفت عن الرشد ، وتحكمت فيهم الجهالة ، ولم يبق البيت لله وحده كما ورثوه ، وإنما أصبح مباءة للوثنية المنكراء ، والباطل الفاحشة ، وأصبحت الحياة في مكة مذعورة قلقة ، وصارت كذلك أو أشد من ذلك فيما حوّلها ، حتى شملت نفوس من طول ما أعنتها ، وفزعت إلى الله خواطر تلمس من لدنه رحمة تنقذهم من هذا البلاء ، وتكشف عنهم غضبة السماء .

وكان هذه الأمنية كانت ترديداً لدعوات إبراهيم من قبل .

وكانها كانت من قدر الله - سبحانه - على موعد تتمثل فيه بغية إبراهيم وإسماعيل ، وتحقق أنشودتهما قديماً « ربنا وابعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

حان ذلك الموعد المقدور . لتستأنف مكة يقظتها بعد فترة مديدة ، وتنفض إلى رسالتها في وثبة فنية جديدة .

وها هو ذا : محمد بن عبد الله - صلوات الله عليه - من صميم العرب ، ينهض بين عشيرته ليعلم فيهم رسالته ويدعوهم ، ويتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ، ويردد في الخافقين من جديد ما هتف به إبراهيم ، والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً .

بدأ البيت الحرام يستعيد شأنه قوياً ، ويسترد مجده قشيباً ، ويتجلى في ضوء الاسلام ما له عند الله من قدر ، وما لزيارته بين فرائض الله من مقام وخطر .

وإنك لتلاحظ هذا - أولاً - في أن الله واجه عباده بإيجاب الحج عليهم جميعاً ، والله على الناس حج البيت ، وفي هذا التعميم لأول ما ترى إشعاراً بأن حج البيت يبلغ مبلغ الصلوات فيما عرف المسلمون من تأكدها وتعلقها بذهة كل مسلم دون استثناء ، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً .

فإذا ما قصر الوجوب بعد هذا التعميم على المستطيع بقوته وماله ، فإنما هذه رحمة بذوى الأعذار ، وتخفيف عنهم أن يشكفوا مالا يطيقون ، والله سبحانه رحمن رحيم ، يسلك بعباده سبيل التيسير فيما شرع لهم من دين ، فهو يكلفهم بالمقدور ، ثم يعفى من التنفيذ صاحب العذر المقبول .

وتلاحظ هذا - ثانياً - في أن إيجاب الحج متبوع بقوله تعالى : ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ، وهذا مقام التهديد لمن ترك الحج إلى بيت الله ، وقد بولغ في التشذيع عليه حتى اعتبره القرآن في حيز الكفر ، وسبق التهديد له مساق التهديد بالكفر وأهله ، . . . وكفى بذلك إفصاحاً عن شأن البيت وأهمية الحج إليه .

أرأيت أن القرآن الكريم لم يقف من شأن البيت عند إيجاب الحج ، والتهديد القوي على تركه ؟ بل يواصل التنويه إلى كرامة البيت على الله ، ويتابع الإشادة بذكره في الكتاب ، حتى ليبلغ من شرف هذه البنية في تلك البقعة أن يردد الله ذكرها ، وذكر البلد المحمى بها ، في سبع وخمسين آية من آياته ، وتراها منثورة في ست عشرة سورة من سور كتابه العزيز .

وتأخذك الروعة إذا تفهت إلى إبداع الله فيما صنع بتلك الآيات وهذه السور . . . ففي الآيات تريد لذكر البيت موصوفاً بصفات كريمة متعددة : فهو البيت المحرم ، وهو البيت العتيق ، والبيت المعمور ، والبيت الحرام ، وهو أول بيت وضع للناس بيك : مباركا ، وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وهو البيت مضافاً إلى الرب ، رب هذا البيت ، وهو البيت مضافاً ومستغنياً بالإضافة عن كل وصف وثناء ، وطهر بيق ، .

وكذلك توصف مكة وما حولها من أجل البيت بأوصاف كريمة متعددة . . فهي البلد الأمين ، والحرام الآمن ، وبها الصفا والمروة من شعائر الله ، وهناك عرفات : ملتقى الحجاج من كل صوب ، وموقفهم الرهيب في وقت محدود ، ومنه الإفاضة إلى المشعر الحرام ، وفيه ذكر الله مطلوب ، وطيب مشهود ؛ ثم تنتهي تلك المواقف إلى البيت وكان البدء منه ، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، واستغفروا الله ، إن الله غفور رحيم ، .

لسكل وصف من تلك الأوصاف معنى ، وفي كل منسك من هاتيك المناسك حكمة ، فإن لم نخط بتفصيلها علماً ، فحسبنا أنها ذكريات صادقة لما شهدته أسلافنا بتلك البقاع ،

وأنها معالم ناطقة بالأوضاع الأولى لتاريخ الإسلام؛ والتاريخ تعوزه كثيرا الدلائل المسادية وتفيده، وحسبنا أنها مشاهد حية لما سبقنا إليه تاريخ الأوائل، وليس من الأمور الثانوية أن يحدد الإنسان المتدين سالف ذكرياته التي يركز بها عقيدته، ويدعم بها يقينه، ويشد بها أواصره الدينية بأواصر من سبق، وبدل بها إلى من لحق؛ ولعل ذلك مما يشمله قول الله عز شأنه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » فليس يبعد أن يظل الحبل ممدودا بين الأوائل والآخره فهو من جانب السلف ذكريات كريمة، ومن الخلف تبعية لقدوة مستقيمة، وجميعهم على تقوى من الله، وعلى نهج مما رسم لهم دين الله؛ فإذا تتابعوا على الهدى فهم معتصمون بحبل الله جميعا. ألم يكن من دعاء إبراهيم عليه السلام « رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين » .

فهو يسأل التوفيق للأخذ بما أخذ الصالحون من قبله، ويسأل التوفيق أن تكون له الذكرى الطيبة - وهي اللسان الصدق في الآخرين، لتسكون به القدوة للخلف، كما يجب هو الاقتداء بالسلف؛ وهذى هي الصلة القويمة أو الحبل الممدود بين السلف والخلف .
ثم انظر ثانيا فيما أبدع الله بتلك السور التي اشتملت على هذه الآيات؛ فهي ست عشرة سورة، منشورة بين سور القرآن: الأربع عشرة والمائة، من سورة البقرة في أوله إلى سورة قريش في آخره .

ويبدو لي - فيما أفهم - أن الحكمة في نشرها وتناول ذكر البيت على هذا النحو: أن يكون البيت شاخصا في كل مرحلة من مراحل القرآن، وأن تسكون ذكراه جارية على لسان القارئ، ما ثلث في ذهن السامع، كلما تنقلا في النلاوة والسماع من راحة إلى راحة، وبهذا تتمزج بالخواطر دائما روابط الأخوة التي تجمع المسلمين حول البيت من عام إلى عام، والتي تقفهم إلى جهة البيت في صلواتهم الخمس أينما كانوا، فتتقوى فيهم المحبة إذا فطنوا، وتتأكد قوميتهم الدينية إذا حرصوا وتذكروا دائما أن البيت هو قطب الدائرة الإسلامية، ومشرق نورها، وليس أوضح من هذا الصنيع القرآني في توجيه الناس إلى تقديس ما قدس الله، وإلى وصل البيت كما وصله الله. وإن أمة تسير على هذا النهج لهي الأمة التي تمنّاها إبراهيم وإسماعيل من ذريتهما، وهي الأمة التي بعث فيها محمد بن عبد الله؛ ومن أجله، وباتباع هديه كانت خير أمة أخرجت للناس .

عبد المظيف السبكي

، الحديث ، وصول ،

عضو جماعة كبار العلماء

النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ، .

لما كان الغرض من هذه الآية والآيات قبلها بيان حال المنافقين وما أدى إليه نفاقهم وزعمهم أنهم آمنوا وما آمنوا ، إلى تناقضات واضطرابات ؛ تناقضات بين أقوالهم وأفعالهم ، واضطرابات في أساليبهم وأقوالهم . فلما قالوا آمنا وما آمنوا وجه لإلهم النهى عن الفساد ؛ لأن ما هم عليه من إفساد يناقض زعمهم أنهم مؤمنون ؛ ولما بالغوا في أنهم غير مفسدين بحصر أحوالهم في الإصلاح وجه لإلهم طلب أن يؤمنوا بإيماننا كما إيمان الناس ، وفي ذلك الطلب إظهار لباطلهم وكشف لغباثتهم وبيان أنهم نازلون في جدهم وحجاجهم إلى درك منخفض . فكان الإيمان المطلوب منهم كما إيمان الناس ، وكأنه يقال لهم لا نريد منكم إيمانا تفوتون به الناس ، أو يكون فيه مالا تطيقون ، أو يكون منه إرهاب لكم ومشقة عليكم ؛ لا نريد إلا أن تكونوا كالناس ؛ وفي ذلك بيان لأن الموازين التي يظالبون بوزن أعمالهم بها مبصرة واضحة أنهم كلفوا ، وحدود ما كلفوا به ظاهرة نيرة ، فلا هم يستطيعون دعوى مالا يطيقون ، ولا هم يستطيعون التخلص بمزاعمهم مما به يؤمرون ؛ أى إن كنتم صادقين في أنكم آمنتم فلا نطلب منكم إلا إيماننا كما إيمان الناس . غير أن المنافق الذى مرن على المخادعات وبالغ في الحيدان عن الجادة حتى جف ماء الحياء من وجهه ، من ذلك شأنه لا يعدم مخلصا مما يواجه به من الحججة ومنفذ مما يُغَلُّ به من دليل ، إذ المبطل الذى لاهياء له جرى جدا على المجادلة بغير الحق ، سمح فى المواجهة بالباطل .

لذلك نرى هؤلاء المنافقين لم يعدوا مخلصا مما حاق بهم من حجة واضحة وطلب محدد ، فتراهم وردهم على ما طلب منهم هو « أنؤمن كما آمن السفهاء » وهم فى هذا يحتمل أن يكون مرادهم بالاستفهام والإنكار هو إنكار إيمان غير إيمانهم ، أو إنكار إيمان بمائلون به

إيمان الناس ، فيكون المعنى على الأول : أإيماننا إيمان سفهاء حتى تطلبوا منا غيره أو أطلبون منا إيماننا كيإيمان الناس ، وهؤلاء الناس سفهاء فتطلبون منا إيماننا كيإيمانهم ؟ إيماننا إيمان صحيح لا نرضى غيره . أو هؤلاء الناس سفهاء لا نرضى أن يكون إيماننا كيإيمانهم ، وهكذا المسأزوم بالحجة تراه لا يجد خلاصا حين يحزبه الامر وأضيق به الحجة إلا أن يلجأ إلى بذى القول ورمى مخاطبه بالعيب والسفه . وإنك لتشهد ذلك كثيرا فيمن يضيق عليهم الخناق في الجدل ؛ فإن أسفنتهم تطول بفاحش القول وتنسع أفواههم بالهراء الذى لا يغنى ولا يفيد .

ولما كان ذلك هو ردهم الذى لم يكن إلا خلاصا من خناق الحجة وفرارا من حصار البرهان ، ترى القرآن الكريم قول الحكيم العليم فى رده عليهم قد فصله بالألا الاستفتاحية لئذانا بأن قولهم هذا مما لا ينبغي أن يتصل به رد . لذا فصل الرد بالألا الاستفتاحية عن جوابهم كأنه قول مستقل وقضية مستأنفة استئنافا دألا لإنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . . هكذا ترى الأسلوب مؤكدا بتأكيدات عدة : أكد أولا يان ، وثانيا بإعادة الضمير « لأنهم هم السفهاء » ، وثالثا باسمية الجملة إذ لا يكون فى مقابل ما ردوا به إلا ذلك القول المستأنف المؤكد الذى قطع عن جوابهم قطعاً د لأنهم هم السفهاء » ، وإن السفاهة قد لبسوا منها شعارا ودثارا ، وحاطتهم من جميع جوانبهم ، وحاقت بهم من كل نواحيهم ؛ فإنه لاسفه بعد أن يكونوا على الحال التى هم عليها ، تلك الحال المعلومه لمن حولهم من كذب وفساد وتردد ، مرة إلى هؤلاء وأخرى إلى هؤلاء ، ثم لا يزالون يحملون أن أمرهم مستور على الناس وأنهم لا يزالون يظنون أن مزاعمهم يستطيعون رواجها ، وأن دعاواهم لا يزالون يفهمون لقناع من حولهم بها ، ولكنه الجهل هو الذى غشى عقولهم وغبر آفاق نفوسهم ، فأصبحوا وقد جدت مشاعرهم وتبلدت إحساساتهم فلا يدرون حقيقة أحوالهم . لهذا ترى القرآن يقول : د لأنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . .

ويحتمل أن يكون المعنى : لا يعلمون أن من حولهم يعلمون أحوالهم ، أو لا يعلمون أن الله عليم بكل شيء فهو عليم بخفى شئونهم وظاهرها ، أو لا يعلمون أنهم سفهاء نتيجة غيائهم وتبلدهم . كل محتمل ، ولكن أنسب هذه الوجوه أن يكون المعنى ولكن لا يعلمون أن الله عالم بشأنهم ؛ إذ لو أدركوا ذلك لتكشف هن أذهانهم غياؤها ، ولتفتق عن قلوبهم أغلفتها ، ولتقشع عن أنفسهم ظلامها ، فجهاهم بشأن ربهم جر عليهم نواحي الجهل كلها ، فجهلوا بغياهم

أنهم سفهاء، وجعلوا أن الناس بحالهم يعلمون نتيجة جهلهم بالله وما يجب له من علم يحيط بالسر وأخفى، ألا بحق إذ جعلوا شأن ربهم لأنهم هم السفهاء ولكنهم يجهلون .

وهكذا شأن المنافقين في المجتمع يرمون غيرهم بدائهم في قحة وتبجح، إذ أنهم بانحرافهم عن الجادة ومرانهم على الكذب والادعاء أصبحوا لا يبالون؛ وإن أزموا بالحجة فزعوا إلى البذاءة والشتائم، لأنهم إذ يواجهون بحقيقة باطلهم، وإذا تحوّلهم الحجة ويحصرهم البرهان ترى ما خيلوه في أنفسهم من حجج ومعاذير ظانين أنهم يستطيعون أن يواجهوا بها مخاطبتهم ترى ما خيلوه لأنفسهم وما زوروه من قول زائف، تراه عند المواجهة يفر من بين أيديهم خبيلا متستراً بأستار الخزي فما هو إلا أن يواجهوا حتى ترى أيديهم قد صفرت من الحجج وساحتهم قد خلت من المعاذير، وما كان في كل عصر من العصور من ضرر بالمجتمع إلا بأمثال هؤلاء المنافقين . ولأنه ما من أمة طهرت من أمثال هؤلاء إلا كانت خطواتها إلى الإمام واسعة، وتدرجاتها في مدارج السكال قوية مسرعة . ولأننا لا يهمنا في تلك المناسبة من أمل يحقق وأمنية تتم، إلا أن يطهر الله شعبنا وشعوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من ذلك العنصر، عنصر المنافقين الخبيث الملتصق بريحه المؤذى جواره المعطل لمن هم فيه من شعوب عن السير إلى الغاية . ألا قاتل الله المنافقين .

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . قد بينت الآيات السابقة حالهم حين ينهون عن سوء وحين يؤمرون بخير، وأنهم في هذا إنما يلجئون إلى المبالغات في التبرؤ شأن المفجوع الذي فوجئ بالكشف عما حاول ستره أو إلى البذاءة والسفه انفجاراً عن ضغط الحجة وأزمة البرهان؛ وفي هذه الآية يبين القرآن سيرتهم وما هم عليه من غير نهى ولا أمر ليسكون ذلك تعليلاً لما يردون به عند المواجهات إذ أن من حاله هو تلك الحال، وأنهم يلقون الناس بوجوه مختلفة فإن لقوا المؤمنين قالوا لهم إنا مثلكم مؤمنون، وإذا لقوا لمخوانهم الشياطين قالوا لهم إنا معكم في عقيدتكم وتقريركم ما آمننا ولا صدقنا ولكننا بهم مستهزئون . وانظر إلى ما سلكوه في الإخبار عن أنهم مستهزئون بالمؤمنين؛ فتراهم قد أكدوا وبالفراغ في التأكيد، فجاءوا بأداة الحصر، وجاءوا بالجملة اسمية تطميناً لشياطينهم على أحوالهم، ويحدثون شياطينهم عن مقابلة المؤمنين بأنهم مستهزئون ولم يصدقهم فيما أخبروهم عن واقع أمرهم، ألا لأنهم إنما يقولون ذلك وقاية لأنفسهم، وبعداً بها عن المؤاخذه والإيذاء، ولكن لا يريدون أن يخبروا عن حقيقة ما في نفوسهم

إبقاء على الاحتفاظ بشأنهم أمام إخوانهم ، ألا وإنهم مهما حاولوا فليسوا بمنخفين شأن أنفسهم ، ولا مقيمين لها وزنا في نظر شياطينهم ، فهم نازلون نازلون وصاغرون صاغرون مهما حاولوا . وإذا نظرت إلى الأسلوب وتمعنته وجدت فيه عجائب البلاغة وآيات الإعجاز : يعبر عن حالهم مع المؤمنين بالملاقاة ، وعن حالهم مع الشياطين بالخلوة ، إذانا بأن هؤلاء المنافقين لا أنس لهم بالمؤمنين ولا طمأنينة منهم إليهم ، فهم لا يجالسونهم ولا يسامرونهم ، وإنما كل ما هنالك أن يلقوهم في عرض طريق أو في مكان عمل عن مصادفة . أما شأنهم مع شياطينهم فهم إليهم يركنون وإليهم يتسارون ويتحدثون ؛ لذلك هم بهم يخلون وليكن للمؤمنين منهم لقاء عارض وتقابل عن مصادفة ، هذا أولاً . وترى القرآن يحدد ما في نفوسهم فتراهم إذ يتحدثون المؤمنين لم يزيدوا عن أن يخبروا بأنهم آمنوا غير مؤكدين ولا مبالغين ، وإذا تحدثوا إلى شياطينهم أكدوا وبالغوا في التأكيد وعللوا فقالوا إنا معكم ، ثم يجيبون عما يرد عليهم في ذلك القول إذا كنتم معنا فما قولكم لهم آمنا ؟ فجواب هذا إنما نحن مستهزون ، فيؤكدون ويدفعون ما يرد من اعتراضات على أخبارهم ومخادعاتهم ليقبوا على منزلتهم في نفوس شياطينهم . نعم ما أعلى ذلك الأسلوب وما أروع ! يحدد حال هؤلاء تحديداً يكشف للسامع واقع حالهم وحقيقة أمرهم ، وهكذا المنافق مهما حاول ستر ما خبأ في نفسه لا بد أن تغلبه جوارحه التي ضغط عليها في توجيهها ، فمرة يدل عليه ما يبدو في وجهه من بشر أو عبوس أو تقطيب أو انبساط ، وأخرى يغلبه لسانه بما يهتك أستاره ويكشف عما في نفسه كما تراه ها هنا ، إذا لقوا الذين آمنوا لم يزيدوا عن قولهم آمنا وإذا خلوا إلى الشياطين قالوا مؤكدين إنا معكم ودافعين ما يرد بقولهم إنما نحن مستهزون بتأكيد التعليل أيضاً وتثبيت الدليل ، وبهذا وأمثاله يفتضح أمر المنافقين .

ومهما تكن عند امرئ من خلية وإن خالها تخفى على الناس تعلم وإن الله يعلم بأن المنافقين في كل شعب مفضوح أمرهم مكشوف سترهم ، ولكنهم إنما يعيشون في المجتمع في منازلهم بين أفراد الشعب لإهمال الشعب نفسه ، وإن الأمم لختلف في مواقفها إزاء أمثال هؤلاء ؛ فمن أمة تسارع إلى استئصالهم حتى يطهر المجتمع وتزال من طريقه العوائق والمعطلات ؛ ومن أمة لاتنبي بذلك فتزيد في طريقها الاشواك وتعظم في سبيلها إلى غايتها المعوقات . فالهم رشادا وتوفيقا إلى تمييز المنافقين من الخالصين تمييزا يبعد فيه عن الهوى ويحاذي فيه الغرض حتى يكون تمييزاً صحيحاً ليجزى كل فريق بما يعمل وبما يستحق .

قال الله تعالى : والله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون .

لما وضحت الآيات السابقة شأن المنافقين وما هم عليه وما يقابلون به المؤمنين وما يقابلونه به الشياطين ، كان لابد أن يكون للسامع سؤال : إذا كان هذا شأن هؤلاء فكيف تركهم الله ولم يعاقبهم ؟ فكان الجواب : والله يستهزئ بهم ، وليس مهملم ولا تاركهم ، ولكن لما كان شأن القوى مع الضعيف والمتمكن مع المزعزع والمحيط علماً بكل الشئون مع الجاهل بكل شيء ألا يتم بإساءة المسمى وسفه السفه فلا يتم بمعالجة ذلك الضعيف بالعقوبة لأنه إذا مرت فرصة فليده فرص أخرى إذ كل الشئون خاضعة له فيوجه العقوبة إلى المسمى فيما يشاء من زمان وكما يشاء من مكان وعلى ما يشاء من حال ، فعبّر القرآن عن شأن الله مع هؤلاء بالاستهزاء على سبيل الكفاية ، لأنه يراد هنا من الاستهزاء لازمه وهو عدم العناية بما يأتيه هؤلاء لأنه محيط بظروفهم قادر على شئونهم جميعها متمكن من جميع نواحيهم ، فهو مدخر لهم عقوبة منسكية فيما يحددها من زمن وما يشاء لها من مكان وما يخصص لها من مال . ذلك هو ما يراد التعبير عنه بالاستهزاء ، فهو بما لا يعبر به في جانب الله ؛ ولذلك تراه قد أتبع الاستهزاء بهم بمدحهم في طغيانهم إذ المعنى من قوله : ويمدهم في طغيانهم ، أى يطيل لهم وجودهم في مهاوى الطغيان حتى تكون أخذته لهم أخذة رابية ، وإبلام العقوبة لهم إبلاماً محضاً إذ طول الزمن بهم في الطغيان مما يوجب غرورهم بأنفسهم ويخطر ببالهم أنهم قد تمكن لهم ، فإذا أصابتهم الصاعقة وهم في غرورهم وظن تمكنهم كانت أقسى عليهم وأمر . وقوله : يعمهون ، حال من الضمير في يمدحهم ؛ أى أن الله يطاول هؤلاء في الطغيان حال كونهم عمين عن وجه الصواب ونور الحق ، فهم في سيلهم حائرون ، إلى المؤمنين ينجازون أم إلى الكفار الشياطين يتعيزون ؟

وهكذا شأن المنافق ذي الوجهين : تراه دائماً معوج السير حائر الاتجاه ، إن سار خطوات يمينا سار مثلاً شمالاً ، وإن تقدم خطوات رجع إلى الوراء أخرى ؛ ذلك لأنه لم يستقر في نفسه عتيقة بهذا ولا عتيقة بذاك ، ولم أطمئن نفسه للاستمسك بمبدأ من المبادئ ، فهو مروع القلب حائر النفس زائف البصر لا يطمئن لأحد في المجتمع ولا يطمئن أحد في المجتمع إليه ، فلا يجدون لأنفسهم متجراً إلا الإيقاع بين الناس وجمع أحطاب الفتنة وإذكاء نارها ؛ ألا قاتلهم الله وطهر منهم كل الشعوب حتى تعيش آمنة مطمئنة . اللهم حقق وأنت العليم الخبير .

حامد مجبوم

السنن

٢ - التطهير في الاسلام

من المثل العليا في التطهير - رجال ونساء يجودون بأنفسهم لله عز وجل -
- ستر الله وكشفه - الأدب مع الله - الخوف منه والرجاء فيه .

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، وكان شهيداً براء ، وهو أحد النقباء ليدنه
العقب ، أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو له عصاية من أصحابه : « يا يعقوب
على ألا تتركوا بالله شيئاً ، ولا تتركوا ، ولا تتركوا ، ولا تتركوا أولادكم ، ولا تأتوا
بشركائه تفترون بين أئمةكم وأركانكم ، ولا تعصوا في معروف ؛ فمن وفى منكم
فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب
من ذلك شيئاً ثم ستره الله ، فهو إلى الله ، إنه شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه » ، فبايعناه
على ذلك . رواه الشيخان ، والملفظ للبخاري .

بعد أن عاهد النبي ﷺ أصحابه وأمته على التطهير من هذه الموبقات الست : أصول
الزنازل ، وجماع المآثم - بين أنهم في الوفاء ببيعته على ثلاث درجات ، بين كل درجة ودرجة
من التفاوت والفضل ما لا يقدره إلا الله عز وجل ، بل إن أهل الدرجة الواحدة في الفضل
والمنزلة ليسوا سواء .

أما أهل الدرجة الأولى فقد وفوا بعهد الله كاملاً غير منقوص ، فوفى الله لهم بمعهده
وضمن لهم على لسان رسوله أجراً عظيماً ، هو النعيم المقيم ، والمقام الكريم ورضوان من الله أكبر
« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .

وأما أهل الدرجة الثانية فهم الذين اقتربوا من هذه الموبقات شيئاً ما عدا الشرك الأكبر ،

فإن الله لا يغفر أن يشرك به ، غير أن الله طهرهم بإقامة الحاكم الحداء عليهم ، إذ يقطع يد السارق ، ويجلد أو يرحم الزاني ، ويقتل القاتل ، ويجلد القاذف . وهكذا كانت العقوبة ماحية لذنب صاحبها مطهرة له ، حتى يلحق بالسابقين ، ولا حرج على فضل الله سبحانه ؛ وأما أهل الدرجة الأخيرة فهم الذين اقترفوا من هذه الموبقات شيئاً - ما عدا الشرك كذلك - إلا أن الله تعالى سترهم ، فإن تابوا وأحسنوا فإن الله يتقبل توبتهم فضلاً منه وكرماً ، وإلا فأمرهم مفوض إلى ربهم ، إن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم .

وليس عجباً أن يغفر الله لمن تاب إليه وأتاب ، ولو بلغت ذنوبه عنان السماء ، أو أدركته منيته قبل أن يعمل بعد توبته عملاً صالحاً ، وحسبنا من الشواهد الكثيرة على هذا ما رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه في الحديث القدسي عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل قال : « يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ؛ يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ؛ يا ابن آدم ، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيناك بقرابها مغفرة »^(١) ، وما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب ، فسأله : هل له من توبة ؟ ففقطه من رحمة ربه ، فكمل به المائة ؛ ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على عالم ، فسأله كما سأل صاحبه ، فقربه من رحمة ربه ، ليعلم أنها أوسع من ذنبه ، وأمره أن يهجر هذه الأرض التي عصى الله فيها إلى أرض سماها له ليعبد الله بها مع قوم عابدين . ولكنه قضى نحبه في نصف الطريق ! فاختصمت في شأنه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فكان قضاء الله الرحيم ، الذي يغفر الذنب العظيم ، للأولين على الآخرين^(٢) .

ومن هذا القبيل قصة السكفل ؛ أخرجها الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : كان فيمن كان قبلكم رجل يسمى السكفل وكان لا ينزع عن شيء ، فأتى امرأة علم بها حاجة فأعطاهما ستين ديناراً ، فلما أرادها على نفسها ارتعدت وبكت ، فقال ما يبكيك ؟ فقالت لأن هذا عمل ما عملته قط وما حملني عليه إلا الحاجة ! فقال أنت تفعلين هذا من مخافة الله تعالى ؟ فأنا أخرى بذلك ، فاذهبى ولك ما أعطيتك ، ووالله

(١) العنان : السحاب وزنا ومعنى ، وقراب الأرض بالضم ويجوز الكسر : هو ما يقارب مثلاً .

(٢) اكتفينا بمعنى الحديث إجمالاً لشهرته في مواطن كثيرة ، وأقربها رياض الصالحين ،

لا أعصيه بعدها أبداً : فات من ليلته ! فأصبح مكتوباً على بابه : إن الله قد غفر للكفل .
فمعجب الناس من ذلك حتى أوحى الله إلى نبي زمانهم بشأته .

بل ليس عجيباً أن يغفر الله تعالى لمن شاء من عباده الذين ماتوا قبل أن يتوبوا مما اجترحوا
من كبائر الإثم - إلا الشرك - وليس لنا أن نحكم على أحد معين من أهل التوحيد بالنار
بالغة ما بلغت ذنوبه وسيئاته ، فإن هذا سوء أدب مع الله عز وجل وافتيات على شئونه ،
وانتهاك لحرماته . وفي الصحيح أن رجلاً قال : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله تعالى :
« من ذا الذي يتألى على ألا أغفر لفلان ؟ » فإني قد غفرت له وأحببت مملوكاً ، وجاء
في الصحيحين وغيرهما أن بغياً رأته كلباً في يوم حار يطيف بهثر قد أدلع لسانه من شدة العطش
والحر فنزعت له موقها [خفها] فلأته ماء وسقته ، فشكر الله لها وغفر لها به ؛ وروى
مثل هذه القصة عن رجل كان يمشى بطريق فاشتد عليه العطش فوجد بهراً فشرب منها فإذا
كلب يلهث الثرى من العطش ! فقال : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني
فلأ خفه من البئر وسقى الكلب ، فشكر الله له وغفر له بما صنع . وأعجب من هذين ما رواه
الشيخان وغيرهما عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه قال : بينما رجل يمشى
بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله تعالى له ، فغفر له .

وأكبر الظن أن هؤلاء جميعاً تداركهم الله بفضل منه ورحمة قبل أن يتوبوا ، وجائز
أن يكون الله قد من عليهم فوقهم للتوبة حين وفقهم لهذا الصنيع الذي شكره لهم ، وجعله
مع التوبة سبب مغفرته ورضوانه .
وأيا ما كان الامر فلا تزال الملوك أسرار ، ليس من أدب العبيد أن يتجسسوا عليها ،
بله أن يقتحموا حماها .

وإذا لم يحل لأحد أن يحكم على آخر من أهل القبلة بعذاب الله وسخطه ، فلا يحل له
كذلك أن يحكم لأحد بالغة ما بلغت حسناته وخيراته ، بنعيم الله ورضوانه ، ما عدا
المبشرين بالجنة على لسان المعصوم صلوات الله عليه وسلامه ، فإن الأعمال بالخواتيم ،
ولا يعلمها إلا علام الغيوب سبحانه .

غير أن ستر الله لعبده وكنفه عليه في الدقيا أمانة على كنفه عليه ورضاه عنه في الأخرى
ومن دلائل هذا ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه [ستره ورحمته] فيقرره

بذنوبه ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : رب أعرف ، قال : فإن قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته .

ولا يغرن أحدًا ما توسوس به نفسه ، أو ما يخدعه به شيطانه ، من سعة فضل الله تعالى وعظيم رحمته ؛ فإن ذلك من الحق الذي يراد به الباطل ، ومن الخير الذي يتوسل به إلى الشر والأذى ! فن تلا قوله تعالى : وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، وقد قيل لأنها أرجى آية في القرآن الكريم ، فليتل بعدها ، وإن ربك لشديد العقاب ، ومن روى أحاديث الرجاء في الله فليرو معها أحاديث الخوف من الله ، ومن أحسن الظن به سبحانه فليحسن الأدب معه ؛ فإن قوما غرتهم الأمانى وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ^(١) .

وبجمل القول في هذا المقام أن يتأدب العبد مع ربه بأدب الخوف منه والرجاء فيه ، فلا يطغى خوفه حتى يقنط من رحمته ، ولا يطغى رجاءه حتى يتهاون في طاعته ، فإذا أحس بقرب قدومه على مولاه فليغلب الرجاء فيه ، وليحسن الظن به ، وليوقن أنه قادم على أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين .

ويعد ، فالناس في التطهير أو التطهير من الموبقات على طبقات ، لا يحصيها إلا من فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات :

فمنهم من قوى إيمانه ، وعظم يمينه ، حتى جاد بنفسه - في سبيل تطهيرها - لله عز وجل ، ومن هؤلاء ما عز بن مالك الأسلمي رضى الله عنه . أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ، إني ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني ، فردده . فلما كان من الغد أتاه فقال يا رسول الله إني قد زنيت ، فردده الثانية ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه ، فقال هل تعلمون بعقله بأساً ؟ تنسكرون منه شيئاً ؟ فقالوا ما نعلمه إلا وفي العقل ، من صالحينا فيما نرى . فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضاً فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله ، فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم .

ومن هؤلاء امرأة من جهينة ، أنت رسول الله ﷺ وهي حبلى من الزنى فقالت يا رسول الله ، أصبت حداً فأقنه على ، فدعا نبي الله ﷺ وأنها فقال أحسن إليها ، فإذا وضعت فأتني بها ففعل ، فأمر بها فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها . فقال

(١) اقتباس من آثار الحسن البصري ، وليس حديثنا كما ظن بعض أهل العلم .

عمر: أتصلي عليها وقد زنت؟ فقال ﷺ: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل؟!

وأعجب من هذه امرأة من غامد - بطن من جبهينة - قالت يا رسول الله: لاني قد زنت فطهرني فردها، فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ما عزا فوالله إنني لحبلى، فلما رآها لا تريد السر على نفسها أمر بالإحسان إليها حتى تلد وترضع ولدها وتقطمه حتى جاءت به وقد أكل الطعام، فدفعه إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فرجمت، وكان من رجمها خالد بن الوليد فنضح الدم على وجهه فسبها، فسمع النبي ﷺ سبه إياها فقال: مهلا يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس أغفر له.

وصاحب المكس - أو المساكس - هو الذي يجبي الضرائب من الناس بغير حق. والمكس من أقمح المعاصي والذنوب الموبقات؛ لكثرة مطالبات الناس له وظلاماتهم عنده. وفي مسند الإمام أحمد وغيره عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبي ﷺ: لا يدخل الجنة صاحب مكس، قالوا هو العشار الذي يأخذ العشر على ما كان يأخذه أهل الجاهلية، كان يأخذ من النجار إذا مروا به مكساً باسم العشر. وأما من يعشرهم^(١) على ما فرض الله سبحانه فحسن جميل، وقد عشر جماعة من الصحابة للنبي ﷺ، وللخلفاء بعده، فكانوا يأخذون عشر ما سقته السماء، وعشر أموال أهل الذمة في التجارة.

وأعجب من هؤلاء جميعاً رجل تلقى امرأة تريد الصلاة فتعشها وقضى حاجته غضباً، فصاحت! فانطلق؛ فانطلق خلفه عصابة من المهاجرين فأخذوا رجلاً دلت عليه غلطاً فأتوها به، فقالت نعم هو هذا، فلما أمر النبي ﷺ به ليرجم قام صاحبها الذي وقع عليها فقال يا رسول الله أنا صاحبها؛ فقال لها اذهبي فقد غفر الله لك، وقال للرجل قولاً حسناً، وأمر بالذي تجملها أن يرجم، فرجم، وقال: لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقبول منهم!^(٢)

ومن الناس من لم يقدر على تطهير نفسه جبراً، أو قدر عليه ولسكنه آثر ستر الله تعالى فطهر نفسه فيما بينه وبين ربه سرّاً، ومنهم من تولى الله تطهيره بما ابتلاه من ضروب المحن والبلايا!! وإذا ضاق المقام عن استيفاء البيان فوهدا الجزء التالي وبه الخاتمة إن شاء الله تعالى.

طرح محمد الساكت

[١] عشرهم يعشرهم بالضم عشرّاً بضم الدين: أخذ عشر أموالهم، ومنه العاشر والعشار بالتشديد اهـ مختار.

[٢] راجع كتاب الحدود في تيسير الوصول وغيره.

كيف ننصر على أنفسنا

تنظيم العلاقة بين الإرادة والغرائز

يخطئ الذى يزعم أن الإنسان فى هذه الحياة مخلوق أعزل ، قد شد وثاقه إلى عجلة الكون ، وسخر تسخيراً بطبيعته وطبيعة الأشياء ، كما يخطئ الذى يزعم أن الإنسان فى هذا الكون سيد مطلق اليدين ، يتصرف بملء حريته فى طبائع الأشياء وطبيعة نفسه .
وعبثاً حاولت بعض المذاهب الفلسفية أن تصوره لنا فى أحد هذين الطرفين :
فالحقيقة ، كما قلنا ونقول ، إن الإنسان مسير مخير معاً ؛ ولكنه يقوم بهذين الدورين فى ميدانين مختلفين .

وليس من العسير علينا فى كثير من الشؤون ، أن نقبين ماهو من عمل الطبيعة القاهرة ، وما هو من عملنا الحر المستقل ؛ غير أن هناك حالات خاصة تلبس فيها المعالم ، وتشتبه فيها الحدود ، ويدق الفصل فيها على غير الناقد البصير ، ومن هنا يميل أكثر الناس فيها إلى التنصل من مسؤولياتهم ، وإلقاء عبئها على كاهل الطبيعة ، زاعمين أنهم كانوا من نوعين بحركة قسرية لا حيلة لهم فى وقفها ولا تصريفها .

تلك هى الحالات التى يلتقى فيها عمل الغريزة وعمل الإرادة ، ويكون هذا استمراراً لذلك حتى يخيل للبره فى بادىء الرأى أنه كان معطل الإرادة أو مسلوبها ، وأنه كان يتحرك حركة آلية ليست من صنعه ولا من كسبه .

لا جرم كان من أول مهام الربى الحكيم - حين يتولى قيادة الإرادة وتربيتها على أخذ الأمور بالقوة والحزم - أن يكشف الغشاوة التى تحيط بهذه المنطقة المختلطة المشتبهة ، وأن يبصر العقول بكنه الحركات النفسية والجثمانية التى تدور فى فترة هذا الاتصال ، ليعرف كل امرئ إلى أى حد انتهت حركة الفطرة فيه ، وسلطانها عليه ، وعند أى نقطة تبدأ حركة اختياره واقتداره ، وسلطانها ومسئوليته .

ولسوف يرى المطلع على وجهة نظر الإسلام فى ذلك أنها نظرة بريئة من عنف البرهمية

وجفاف البوذية ، وغرور أدعياء الصبر والجلد في الفلسفة الإغريقية ، وأنها في الوقت نفسه منزهة عن ميوعة اليسوعية ^(١) وخور الجبرية ، ورخاوة الكسالى في كل ملة ونحلة .
فبينما يذهب الفريق الأول إلى إنكار الفرائز ، والمكابرة في سلطانها ، ودعوى القدرة على محوها واستئصالها ، وبينما يميل الفريق الثاني إلى التسليم لها ، والانهمام أمامها ، والنزول الكلى على حكمها ، تقف الدعوة الإسلامية على الجادة الوسطى مشرفة بنظرها على جانبي الطريق ، فتعترف بسلطان النزعات الجبلية إلى حد محدود ، ثم تترك المجال للهمم والعزائم في الوقوف بتلك النزعات عند حدها ، ومقاومة الاسترسال معها في غير ضرورتها الملية ، وصدق منزل هذه الشريعة الحكيمة في وصفه لدعوته « قل هـذـه سبيلـى أدعـو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » .

فلنتظر الآن في الصلة بين هذين العاملين حين يلتقيان : عامل الجبلية وعامل الاكتساب الإنسانى . ولنبرز الخط الفاصل الذى رسمه الإسلام بينهما ، حتى جعلهما لا يبغيان ، ولنتأمل كيف كان الإسلام في تطبيقه لهذه الحدود على طائفة من الانبعاثات والانفعالات ، قد وضع أوضح منهج عملى لتربية الإرادة ، وتدريبها على التزام موقف الحكمة والهدى ، والنبات أمام تيار الهوى .

وإليك مثلا من ذلك :

١ — فى كظم الغيظ ، والحد من الغضب .

كلنا نعرف أن ظاهرة الغضب ظاهرة مزدوجة : فيسيولوجية وبسيكولوجية : أعنى أنها عضوية نفسية فى وقت واحد . السنارى الانفعال النفسانى فيها تصحبه ثورة دموية ، تغلى منها مراحل الصدر ، وترتفع بها حرارة الجسم ، وقد تنقلص منها عضلات الوجه ... فى أعراض تشبهها ... ثم يتبع ذلك لواحق أخرى ، كالجر بالقول ، والبطش باليد ، إلى غير ذلك ؟

ها هنا يتدخل الفرقان السماوى فيفصل هذه الظواهر إلى شطرين اثنين : تاركا الشطر

(١) فرقة من المسيحية

الأول منهما لحكم الجبلة الذى لا سلطان لنا عليه ، ولا مسؤولية علينا فيه . أما الشطر الثانى ، وهو شطر اللواحق ، فان هذا التوجيه الحكيم ينبهنا إلى أنه - فيما عدا الحالات المرضية الشاذة ، التى يأخذ الغضب فيها صورة تشنجية لا يسيطر عليها العقل ولا الإرادة - شئ فصرعه نحن باختيارنا ، داخل فى نطاق مسؤوليتنا ، حتى لو فرض أن جهاز النطق وجهاز الحركة يقومان بوظيفتهما إذ ذاك بطريقة آلية اندفاعية ، فان نوع الكلام ونوع الحركة يقيان خاضعين لشئ من التفكير والإرادة ، بحيث نستطيع أن نوجههما الوجهة التى نريدها . ولذلك يطالبنا الشرع الحكيم فى أشد حالات الغضب ، ما دمنا متمتعين بوعينا وإدراكنا ، أن نسيطر على حركات ألسنتنا وجوارحنا ، ونحاسبنا على الأسلوب القولى والفعلى الذى نختاره فى التعبير عن شعورنا . ذلك أن قصارى الثورة الغضبية - حين تندفع إلى التعبير عن نفسها بالقول أو بالفعل أو بهما معا - أن تكون كالشحنة الكهربائية التى لا بد لها متى اندفعت أن تفرغ ، فلا سبيل إلى كبت حركتها ، ولكن لنا سبيلا إلى اختيار المجال الذى تفرغ فيه ، وذلك بوضع جهاز « مانعة الصواعق » فى مكان ما . وهو كما نعلم جهاز لا يوقف التيار الكهربائى بل يستقبله ويتلقاه ، ثم يحوله بعيدا عن هدفه الأول . فكذلك نستطيع أن نتصرف فى موقف الغضب ، لا بمصادمة هذه الغريزة نفسها ، ولا بمقاومة حركتها الطبيعية فى بداية اندفاعها ، ولكن بتوجيه هذه الحركة ، وتحويل خط سيرها على النمط الذى رسمه لنا القدوة الأعظم صلوات الله عليه .

فلنستمع إلى شئ من إرشاداته الحكيمة التى يوجهها إلى من يقع تحت سلطان الغضب ، وهى إرشادات تبرهن على ما لصاحبها من علم واسع عميق ، وإدراك كامل دقيق ، لمدى هذه القوى النفسية فى حدودها الطبيعية ، وفيما وراء تلك الحدود .

فى اللحظة التى يدقنا فيها الغضب إلى التفوه بكلمة تنفس بها عن صدورنا ، لا يأمرنا الرسول الحكيم بأن نسكت ونحبس أنفاسنا ، بل يرشدنا بالعكس إلى أن نقول شيئا ، ولكنه يختار لنا الصيغة المعبرة عن هذا الانفعال « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ، أليست هذه الكلمة وحدها كافية لفتح صمام المرجل الذى يقفل فى الصدر ، وتخفيف الضغط الذى كان يولد فيه الانفجار ؟ أليس كل ما يجىء وراء هذه الكلمة يعد نافلة وتزييدا تستطيع الطبيعة أن تستغنى عنه ؟ فإذا ما دفعتنا حدة الغضب إلى شئ أكثر من القول ، وانبعثت

فينا نزعاً قوية إلى البطش باليد أو غير ذلك من الحركات البدنية ، فإن الإرشاد النبوي يساير هذه الحركة الطبيعية أيضاً في مبدئها ؛ ولكنه لا يلبث أن يحول مجراها برفق بعيداً عن هدفها ، فالستمع له عليه الصلاة والسلام حين يقول : « إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقع ، فإن ذهب عنه الغضب ، وإلا فليضطجع » ^(١) .

هل نجد أيسر وأسرع ، وأدق وأنجع من هذا العلاج الروحي البدني معاً ؟

٢ — في الحب والبغض :

هذا الفرقان الحكيم بين نصيب الغريزة ونصيب الإرادة ، نجده بصورة واضحة في ظاهرتي الحب والبغض ، وهما حالتان نفسيتان ، وليدتا أسباب يبدو لنا بعضها ويخفى عنا بعضها ؛ فقد يكون مردها إلى مجرد تجاذب الأرواح أو تنافرها ، أو إلى تقارب الأذواق والآراء أو تباعدها ، أو إلى غير ذلك من البواعث ، وأياً ما كان فهما من صنع الله مقلب القلوب ، وكذلك ما يتبعها من الآثار الجبلية التي لا تنكر : قرّة عين ، وإشراق جبين ، وانفساح صدر وراحة ونعم ، في لقاء من تحب ومناجاته ، وأضداد ذلك في لقاء من تبغض . إلى هنا يقف عمل الفطرة الذي رفعت عنا فيه الأفلام ، ولكننا في غالب الأمر نضيف إليها آثاراً من صنعنا ، إذ نفرق في المعاملة بين من نحب ومن نبغض ، ولا نسوى بينهما في الحكم ؛ بل نكيل لهما بكيلين ، ونزن بميزانين : فتحابي من نحب ، ونغضي عن هفواته ، ونتحامل على من نكره ونغطي على حسناته . وهذا هو الجور الذي نهانا الله عنه ؛ إذ يقول عز شأنه : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، ويقول : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، هكذا حملنا الإسلام مسؤولية عملنا ، وعافانا عما ليس من كسبنا : فلم يكلفنا اقتلاع عاطفة الرضا ونازعة السخط من أنفسنا ، ولا كف آثارهما الجبلية ، ولكن كف آثارهما الاختيارية الجائرة ، وقد جعل لنا في ذلك الأسوة الحسنة بصاحب الخلق العظيم ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يعدل حق العدل بين زوجاته ، ثم يقول : « اللهم هذا جهدي فيما أملك ، ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك » ^(٢) .

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب .

(٢) رواه ابن ماجه وأصحاب السنن .

٣ — في انفعالات الحزن :

وترى الناس إذا أصابهم ما يكرهون فاندفعوا في هلع هالع ، وجزع خالغ ، اعتذروا بشدة الصدمة الأولى ، وبعجزهم فيها عن الصبر والتجمل . كلا إنها حجة داحضة ؛ والله الحجة البالغة ؛ فإن للحزن أثرا طبيعيا لا جناح فيه ؛ وإنما السبيل على قول الهجر ، وفعل النكر ، الذى تبرأ منه الفطرة .

ها هنا أيضا نجد فى مشكاة الشريعة من الاضواء الباهرة ما يكشف لنا حدود مسئولياتنا ، وما وراء تلك الحدود . فى الاثر الصحيح الذى يرويه البخارى أن النبي صلوات الله عليه دخل على ابنة إبراهيم وهو يعالج سكرات الموت . فلما رآه رق له قلبه ، وجعلت عيناه تذرفان الدموع . فقال له عبد الرحمن بن عوف : « وأنت يا رسول الله ، ! فقال : « يا ابن عوف . إنها رحمة ، إنها رحمة . ثم قال : إن العين تدمع . والقلب يحزن . ولا نقول إلا ما يرضى ربنا . وإننا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » . هكذا فرق الرسول الحكيم بين الظواهر الحيوية والنفسية التى ليست من كسبنا ، وبين الأقوال والأفعال التى تتبع هذه الحالات الطبيعية ولكنها من محض عملنا ، واقعة تحت مسئوليتنا .

٤ — فى غريزة الشهى والتنى .

وليك مثلا آخر من هذه الطبايع ، المستعصية علينا فى نفسها ، الخاضعة لإرادتنا فى توابعها ولواحقها . تلك هى غريزة التشوف والتطلع ، التى أودعها الله فى فطرة الإنسان الحكمة بالغة ؛ فهى التى تحفزه إلى طلب ما به قوام حياته المادية والمعنوية . فليس من الصواب مكافئتها ، بل ليس فى الطاقة اقتلاعها ؛ فإن الطبع غلاب كل مغالب . ولكننا على الرغم من ذلك نستطيع معالجتها من طريقين : إما بتحويل اتجاهها ، وإما بوقف آثارها .

ومعنى تحويل الاتجاه أن نستبدل بالهدف الأول ، الذى اتجهت إليه رغبتنا بادية ذى بدء ، هدفا آخر يلهينا عنه ، ويعوضنا منه . بحيث يكون مثلنا فى معالجة أنفسنا مثل مؤدب الطفل حين يراه شديد الشغف بلعبة خطيرة . فالسياسة الرشيدة فى هذه الحال لا تعتمد على كبت إرادة الطفل كبتا كلياً ، بل تقدم له لعبة أخرى تشبهها أو تفضلها . غير أنها تكون عديمة الخطر . وكلما كان الاستبدال لما هو أنفس قيمة وأجزل نفعا ، دل ذلك على حصافة عقل المربي وكال رشده .

وهكذا علمنا القرآن كيف يكون موقفنا أمام إلحاح رغباتنا الجامحة : خطوراً يأذن لنا أن نشبع رغبتنا بأسلوب آخر نستبدل فيه الحلال بالحرام ، والطيب بالخبيث . وهذا هو علاج الجمهور والعامّة . وطوراً يلفتنا عن هذا الوضع الرخيص كله ، ويصرف هممتنا عن محقرات الأمور وسفاسفاتها ، موجهاً إياها نحو معالي الأمور وأشرفها ، وهذه هي رتبة الصفوة والخاصة . وأياماً كان فإنه لا يأمرنا بترك التثبي والتثني إطلاقاً ، ولكنه يرسم لنا أهداف هذا التثني . فلنستمع له حين يقول : « ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، ثم يقول : « واسألوا الله من فضله » . وهذا نفسه هو الأدب الذي أدب الله به نبيه فأحسن تأديبه ؛ إذ قال له : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه . ورزق ربك خير وأبقى » . وما أجمل الوصية الذهبية التي يقول فيها الرسول العظيم : « خصلتان من كانتا فيه كتبته الله شاكراً صابراً . ومن لم تكونا فيه لم يكتبته الله شاكراً ولا صابراً : « من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبته الله شاكراً صابراً . ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه ، فأسف على ما فانه منها لم يكتبته الله شاكراً ولا صابراً^(١) » .

هذه هي سياسة تحويل الاتجاه .

وأما سياسة وقف السير فانها تتبع في ظروف خاصة ، كأنها استثناء من القاعدة ؛ وحتى في هذه الحالات الخاصة ، ليس المطلوب منا أن نسكت صوت رغائبنا ، وأن نحملها قسراً على الجود والحنود ؛ فالله أرحم بنا من أن يكلفنا ما لا طاقة لنا به ؛ وإنما العلاج هو أن ندع جهاز الغريزة يدور حول نفسه ، ولا نقدم له المادة التي يطلبها . وتلك هي السياسة التي رسمتها شريعة الصوم ، فطاماً لنا عن المشتبهات إطلاقاً في أوقات معلومة . تلك هي سياسة قمع الهوى التي يقول فيها الكتاب المجيد : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » .

ولا أطيل في سرد الأمثلة وتعداد الشواهد ؛ فكل غرائزنا ونزعاتنا على هذا النمط ،

(١) رواية الترمذى في صفة القيامة .

لم يجعل الله لنا سبيلا عليها في تكوينها ولا انبعاثاتها الطبيعية ، ولكنه جعل لنا عليها سلطانا في ضبطها ، وتوجيهها ، وتنظيم آثارها العملية .

* * *

ولم يفتقر النجيب صورة حسية ملموسة ، لعله يكون قد لحظها من خلال هذا البيان :
فليتصور جهازاً متحركاً ، يتألف من ثلاثة أجزاء رئيسية :

(١) مفتاح المحرك (السكوتناكت) .

(٢) دفعة التوجيه (الدريكسيون) .

(٣) الرباط (الفرملة) .

وليفترض أن مفتاح المحرك في اتصال دائم بالمحرك ، وأن المهندس أو السائق لا يستطيع ، لأمر خارج عن إرادته ، منع هذا الاتصال ، وأنه ليس في متناول يده إلا « الدفعة » ، و « الرباط » - فهل يخليه ذلك من مسؤولية المصادمات والتردى في الحفر التي في الطريق ، على حين أنه كان في استطاعته أن يستعمل : إما « الدفعة » ، للتحويل عن الخطر ، وإما « الرباط » ، لوقف العجلات عن السير ، مع بقاء المحرك يدور على نفسه .

ذلك هو مثل الوسائل الخارجة عن ملكتنا (القاب الذي مفتاحه بيد الله) ، والوسائل التي خولها الله لنا في قيادة أعمالنا (العقل والإرادة) ، وهذه الوسائل الأخيرة هي الفيصل بين طبيعة الكائنات الحية المستخرعة لغرائزها ، وطبيعة الإنسان المسيطرة على قواه ، المسئول عن حسن سيرها . فلو تناول الإنسان كل ما اشتى ، ومد يده وسمعه وبصره إلى كل ما يهوى ، وترك نفسه كالكرة أمام صولجان عواطفه ، يطيعها طاعة عمياء ، دون تروٍّ ولا توقف ، ولا تنظيم ولا تنسيق ، فأى ميزة يمتاز بها عن الحيوان الهائم على وجهه ، الذي لا عقل له ولا عقال ؟

ألا فلنفكر في صلة النسب بين هاتين السكمتين : كلمة « العقل » ، وكلمة « العقال » ، فإن العقل ما هو إلا عقال معنوي ، وقيد أدبي ، جامع مانع ، جالب دافع ؟ فيه نقيض حركاتنا ونحجزها عن الشرود والوقوع في مهاوى الخطأ والضلال ، وبه نقيض شوارذ العلوم والمعارف التي تهدينا سواء السبيل . وإن هدى الله هو الهدى .

محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

أزمة الفقه الإسلامي

نظرية السبب في العقد

١ — نحب ونحن نتكلم عن طريق الاستفادة من الفقه الإسلامي وعن الأزمة التي يعانيها منذ قرون طويلة ^(١) ، أن نؤكد أن هذا الفقه غني كل الغنى بأحكامه وحلوله التي جاء بها لمختلف المسائل والمشاكل التي كانت في عصوره المختلفة ، ولكن مما ينقصه أن يقوم الفقهاء والمعنون بالدراسات الفقهية في هذا الزمن بأمرين :

(١) العمل على أن يتطور الفقه ، - في حدود الكتاب والسنة وأصوله المعروفة - ليعيش في كل عصر مع الزمن ، لا على هامشه كما هو الحال الآن بكل أسف ، وأن يكون هذا على غرار ما كان من الصحابة والفقهاء الأولين ، فإن هذا التطور في فقه الإسلام بدأ منذ عصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، بل منذ عهد عمر بن الخطاب نفسه حين كان الإسلام غزواً وقوياً ، وحين كانت تعاليم الرسول صلوات الله عليه لا تزال حارة دافقة خصبة تحس بها قلوب المسلمين جميعاً ^(٢) .

نعم إن الأحداث التي حدثت بين عصر الرسول وعصر الفاروق ، كانت من الكثرة والقوة والسعة والعرض بدرجة استلزمت هذا التطور ؛ فليس يقاس الزمن بالطول فقط ، بل بالعرض أيضاً ، وربما كانت الفترة القصيرة منه أحفل بالأحداث من الفترة الذاهبة في الطول إلى مدى بعيد ، ولعل الفترة التي مرت منذ ثورة الجيش المصري المباركة مصداق ما نقول هذه الأيام .

(ب) استخلاص النظريات الفقهية العامة التي تندرج تحت كل منها طائفة عديدة

[١] راجع المحدثين المساجين : جمادى الأولى وجمادى الآخرة .

[٢] مثل تطور الفقه في فجر الإسلام كثيرة ، ونشير هنا إلى بعض ما كان من ذلك أيام سيدنا عمر ابن الخطاب : [مضاء الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ثلاث طلقات ، إسقاطه سهم المؤلفة فلزهم من الصدقات ، وعدم قسمة أرض العراق ونحوها بين الفاتحين .

من الحلول والاحكام التطبيقية ، بدل أن يظل الفقه الإسلامى على ما نعرف من كثرة التفريعات ، دون العناية بتأصيل النظريات العامة .

وهذا على عكس ما يتميز به الفقه الغربى هذه الايام ، نعى العناية باستخلاص النظريات وتأصيلها ، ثم دوران البحوث عليها ، وأخيراً يحى التطبيق والتفريع .

وليس هذا الذى ندعو إليه هنا بجديد كل الجدة ، فقد عنى غير قليل من الفقهاء بهذه الناحية ، وإنما الجديد هو أن نستأنف عمل هؤلاء السابقين ، ونستطيع أن نذكر من بين هؤلاء الفقهاء الأجداد : ابن رجب الحنبلى صاحب القواعد الفقهية ، وابن مَجَزَى المالكي صاحب القوانين الفقهية ، وابن نجيم الحنفى ، والإمام جلال الدين السيوطى الشافعى ، وكلاهما صاحب كتاب فى الاشباه والنظائر .

٢ — وبعد أن أشرنا إلى هذين الامرين اللذين يجب العناية بهما هذه الايام أشد عناية ، نذكر أن كبير رجال القانون فى مصر وهو الأستاذ الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهورى ذكر فى بعض دروسه فى قسم الدكتوراه بكلية الحقوق من جامعة القاهرة منذ بضعة أسابيع ، أن الفقه الإسلامى لم يعرف نظرية السبب فى العقود .

وللأستاذ الكبير كل العذر حين يذهب إلى هذا رأى ، فإن أحداً من رجال الفقه الإسلامى فى مصر لم يحاول التعمق فى البحث والتنقيب فى التراث الفقهى الإسلامى فى هذه الناحية ، مع أنه من الحق أن تؤكد أن جرثومة هذه النظرية نجدها واضحة فيما ترك بعض الفقهاء القدامى ، وإن كنا قد أغفلنا متابعتهم فى البحث قروناً طويلة فى هذا السبيل . ولولا هذا الإغفال من جانبنا ، الذى كان نتيجة السكسل والقناعة العلمية بما لدينا من قديم لعرفنا أن الفقه الإسلامى عرف هذه النظرية فى أسسها وأصولها العامة ، بل وفى كثير من فروعها وتطبيقاتها ، هذه النظرية التى عرفها البحث القانونى فى الغرب منذ عصور طويلة .

٣ — ذلك ، أنه من الحق أن نقرر أن رجال الفقه والقضاء فى الغرب قد عنوا بهذا البحث الدقيق منذ قرون طويلة . وكان من هذه العناية ، وبما امتازوا به من الروح التحليلية والفلسفية ، أن تكونت عندهم نظرية لسبب المقعد أو الالتزام بعامة .

نجد هذا لدى الرومان فى عصورهم المختلفة ، ولدى الفقهاء الفرنسيين وغيرهم فى الزمن

القديم والحديث ، ثم لدى رجال القانون فى مصر متأثرين ومستلهمين رجال القانون فى أوربة^(١).

٤ — ومن أجل ذلك ، ومن باب التطبيق لما ندعو إليه من ضرورة استخلاص النظريات العامة فى الفقه الإسلامى ، رأينا أن نحاول بهذه الكلمة والتي بعدها إن شاء الله تعالى بيان ما قد يكون من التفات الفقهاء المسلمين لاعتبار سبب صحيح للعقد أو الالتزام ، وذلك ليترب عليه أثره الشرعى ، ثم مقدار عنايتهم بهذه الناحية .

وهنا ، نذكر أنه إن فات هؤلاء الفقهاء أن يبحثوا د سبب العقد ، فيما تركوا لنا من تراث فقهي مجيد ، فإنه لم يفتحهم بحث ذلك فى علم أصول الفقه . وقد كانوا بحاجة لهذا البحث ما دام السبب الصحيح شرعاً يعتبر شرطاً لا بد منه فى العقد والالتزام ، إن لم نقل يكاد يكون ركناً من أركانه . وبخاصة ، وهذا يعم جميع أبواب الفقه من عبادات ومعاملات ، فكل من ضروب المعاملات لا بد له من سبب شرعى يختلف باختلاف العقود والتصرفات .

٥ — وبحث السبب فى العقد يتطلب منا أن نعرض لهذه النواحي :

- (أ) تعريفه ومعانيه وما يراد منه فى الفقه .
 - (ب) الشروط التي يجب أن تتوفر فيه ليسكون سبباً صحيحاً شرعاً يجب رعايته .
 - (ج) حكم التصرف المجرد عن السبب ،
- ٦ — فن ناحية تعريفه ، نستطيع أن نذكر أن د السبب ، فى باب العقود هو د الغرض المباشر المقصود فى العقد ، ، وذلك أخذاً من كلام علماء أصول الفقه حين يتكلمون عن السبب أو الغرض أو المقصد .

ذلك ، بأنه من أصول الشريعة الإسلامية ، أن كل فاعل عاقل مختار إنما يقصد بعمله غرضاً من الأغراض ، حسناً كان أو قبيحاً ، مطلوب الفعل أو الترك أو غير مطلوب شرعاً ، .^(٢) ولهذا ، د قد تظاهرت أدلة الشرع وقواعده على أن القصد فى العقود معتبرة ،

[١] يرجع فى ذلك إلى النظرية العامة للدوجبات والعقود فى الشريعة الإسلامية ، للدكتور صبرى محمدي ، ج ٢ : ٨٢ وما بعدها ؛ الوسيط للاستاذ السهورى ، ص ٤١٧ وما بعدها ، وص ٤٣٥ وما بعدها ، وص ٤٧١ وما بعدها . وانظر أيضاً ، فى نظرية السبب بصفة عامة ، نظرية الالتزام فى القانون المدنى المصرى ، للدكتور أحمد حشمت أبو ستيت ، مطبعة مصر عام ١٩٤٥ م ، ص ١٦٦ وما بعدها .

[٢] الموافقات للشاطبى ، ٢ ، ٢٢٧

وأنها تؤثر في صحة العقد وفساده وفي حله وحرمة ، بل أبلغ من ذلك ، وهي أنها تؤثر في الفعل الذي ليس بمقد تحايلا وتحريما ؛ فيصير حلالا تارة وحراما تارة باختلاف النية والقصد ، كما يصير صحيحاً تارة وفاسداً تارة باختلافها ،^(١) .

ونتيجة هذا كله ، أن يكون لكل فعل أو تصرف أو عقد غرض أو سبب يجب قصده ، وأن كل تصرف لا يترتب عليه مقصوده لا يشرع ، كما يقول الإمام القرافي . أو كما يقول أيضاً في موضع آخر ، وكل تصرف كان ، من العقود كالبيع أو غير العقود كالتهنئات ، وهو لا يحصل مقصوده ، فإنه لا يشرع ويبطل إن وقع ، إلى آخر ما قال^(٢) .

ولذلك ، امتنع بيع الحر ونكاح المحرم ، والإجارة على الأفعال المحرمة ، وتعزير من لا يعقل الزجر كالسكران والمجنون ، فإن مقاصد أو أسباب هذه العقود والتصرفات لا تحصل بها ، والأمر واضح كما نرى .

٧ - على أن للسبب لإطلاقات ومعاني عديدة مختلفة فيما بينها ، فلا ينبغي لنا أن نخلط بينها ، إذ لكل منها معنى خاص قد لا يكون هو المراد هنا ، وهذه الإطلاقات - كما يذكر الإمام الغزالي -^(٣) هي :

(١) ما به يحل ويحرم المال وغيره من موضوعات العقود ، وهذا كالبيع والإجارة والزواج وغير ذلك من العقود ، فالعقود على هذا تعتبر أسباباً ظاهرة لحل أو حرمة موضوعاتها التي ترد عليها .

(ب) الفعل المباشر الذي يؤدي إلى نتيجة ما ، كالرمي بالسهم أو الرصاص ، فإنه يعتبر سبباً لما ينتج عنه من القتل ، وإن كان هذا قد حصل بالإصابة فعلاً لا بمجرد الرمي الذي يخطئ هدفه ، فهي على التحقيق سبب لعللة القتل . ومن هذا القبيل حفر البئر الذي يعتبر سبباً لموت من يتردى فيه ، وإن كان السبب الحقيقي هنا هو التردى في البئر لاحفره ، ولكن سبباً لحصول الهلاك عنده .

[١] إعلام الموقعين لابن القيم ٤ : ٣٠ ، ٩٦

[٢] الفروق ، ٣ - ٢٥٤ ، وانظر أيضاً ص ١٧١ - ١٧٢

[٣] المستصفى ، ١ - ٩٢ - ٩٤

(ح) ما يحسن إضافة الحكم إليه ، مثل ملك النصاب يعتبر سبباً لوجوب الزكاة ، دون حولان الحول عليه ، وإن كان هذا شرطاً لا بد منه لوجوب الزكاة . ف هنا ، نرى أن ملك النصاب هو سبب وجوب أداء الزكاة ، ومرور العام على هذا الملك شرط ضرورى لوجوبها .

٨ — وبعد الغزالي المتوفى عام ٥٠٥ هـ نجد غيره من الأصوليين قد تكلموا فى السبب وما يطلق عليه لغة ، ثم على ما يراد به فقها ، وعلى منزلته من الحكم الشرعى . ومن هؤلاء سيف الدين الآمدى المتوفى عام ٦٣١ هـ ، إذ يقول : « والسبب فى اللغة عبارة عما يمكن التوصل به إلى مقصود ما ، ومنه سمي الحبل سبباً والطريق سبباً ، لإمكان التوصل بهما إلى المقصود . وإطلاقه فى اصطلاح المشرعين على بعض مسمياته فى اللغة ، وهو كل وصف ظاهر منضبط دل الدليل المسمى على كونه معرفاً للحكم الشرعى » (١) .

ومن هؤلاء الأصوليين أيضاً ، أبو إسحاق الشاطبى المتوفى عام ٧٩٠ هـ إذ يذكر أن المراد بالسبب ما وضع شرعاً لحكمة يقتضيه ذلك الحكم ، كما كان حصول النصاب سبباً فى وجوب الزكاة ، والزوال سبباً فى وجوب الصلاة ، والسرقة سبباً فى وجوب القطع ، والعقود أسباباً فى إباحة الانتفاع أو انتقال الاملاك ، وما أشبه ذلك (٢) .

٩ — وواضح مما تقدم ، أنه لا يراد بالسبب الذى نحن الآن بصدد بحثه فى العقد شىء من هذه المعانى التى يطلق السبب عليها بصفة عامة فى اللغة وأصول الفقه . وإنما المراد به هنا ما سبق أن ذكرناه من أنه الغاية أو الغرض المباشر المقصود فى العقد ، أى الذى دفع المتعاقدين إلى عقده . وهذا المعنى واضح من الشذرات التى نقلناها عن الفقهاء ، الآن عند ما أردنا تعريفه .

ونعتقد أخيراً ، أنه من الحق أن نؤكد ما قررناه سابقاً من أنه يمكن بشىء من البحث والاستقصاء استخلاص نظرية فى « سبب العقد » من الفقه الإسلامى ، هذه النظرية التى تقوم على وجوب تعرف إرادتى طرفى العقد والغرض أو المقصد الذى يستهدفانه من العقد . وفى الكلمة الآتية تمام الحديث إن شاء الله تعالى ، بالكلام على شروط السبب والحكم الشرعى للتصرف المجرد منه .

الدكتور محمد يوسف موسى

(١) الأحكام ، ١ - ١٨١

(٢) الموافقات ، ١ - ١٨٥ .

شهر التصرفات

بين القانون والشريعة

الغاية من التقنين الوضعى فى كل أمة تنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات فى المعاملات الجارية بينهم ، وتدير أمور الناس بما يحقق الصالح العامة والخاصة ويدرك الضرر عن المجتمع ، وهذا بعينه هو مقصد الشرع الإسلامى . بيد أن الأساس فى التقنين أفكار الناس وعقولهم فى نطاقها الضيق المحدود بحدود الزمان والمكان ، وقد تؤثر فيه الأغراض والأهواء ، ثم إن العقول بطبيعتها خاطئة ما لم يعصمها نور من الله .

أما الأساس فى الشريعة فوحى الله الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما نزل إلا ليسكون منارة للعقول يهديها فى مشاكل الحياة الهائجة التى طالما ضل فى علاجها أئمة الاجتماع والاقتصاد والسياسة عند ما سلكوا غير سبيل الإسلام كضلال الملاح فى بحر لظى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

إن يد ذلك الشرع البصير قد غلت عن تدبير أمر الناس فى مصر منذ عشرات السنين فى الأمور المالية والجنائية ، وكفى فقه عن توجيههم برأى السماء ، وترك التدبير لآراء استعمارية مفروضة بقوة المدفع وقوة التقليد الاعمى ، حتى بلغ بنا الأمر على مر السنين أن كان البعض منا يقول : إنما الوحى من أوروبا لا من الله .

فالمفروض علينا الآن لنرد الحياة القانونية إلى الإسلام فى انسجامه واعتداله ، أن ننظر إلى القوانين الوضعية المدبرة لنبحث مواضع التجديد فيها أو ما يظن تجديدا ، ونوازن بينه وبين آراء المجتهدين المستمدة من نور الكتاب والسنة ، فنرى أيها نقره وأيها نعدله وأيها نلغيه ، لنعود بقوانيننا إلى الصراط المستقيم .

ومسألة اليوم هى تختم القوانين المصرية شهر بعض التصرفات وإعلانها بتسجيلها فى مكاتب الشهر العقارى لترتيب آثارها عليها . فقد جاء فى المادة ٩٣٤ ، ١٠٥٣ من القانون

المدنى والمادة ٩ من قانون الشهر العقارى أن جميع التصرفات الواردة على العقار التى من شأنها إنشاء حق من الحقوق العينية الأصلية كالمالك فى البيع ، وحق الحبس فى الرهن ، والحبس فى الوقف ، أو التى من شأنها نقله أو زواله ، لا تترتب عليها هذه الأحكام إلا إذا شُهرت بتسجيلها فى سجل الشهر العقارى . وهذه النصوص شاملة للعقود العوضية وعقود التبرعات كالهبة والوصية ، كما أنها شاملة للرهن والإيجار الزائد على ثلاث سنوات . والمادة الأولى من قانون الوقف تنص على أن الوقف لا يصح إلا إذا صدر به إرشاد أمام المحاكم الشرعية وضبط فى سجلاتها . ومقصود القوانين السابقة أن أحكام هذه التصرفات لا تثبت بين المتعاقدين أو فى حق الغير إلا بالتسجيل ، اللهم إلا فى عقد الرهن فإن التسجيل فيه شرط لنفاذه فى حق الغير ، وهو نافذ فى حق المتعاقدين من حين العقد . وقد أبانت المذكرات التفسيرية أن العقود مالم تسجل ليست إلا التزامات شخصية تترتب عليها الحقوق التى من شأن هذه التصرفات إفادتها ، كالتعهد بإتمام التصرف والمطالبة بيباقى العوض واسترداده إن لم يتم التصرف . وأبانت أيضاً أن الوقف بدون إرشاد باطل .

ونحن نعلم من المنصوص فى الفقه أن التصرفات تترتب عليها آثارها بمجرد الإيجاب والقبول ، أو الإيجاب فقط فى الإرادة المنفردة دون اشتراط كتابة أو تسجيل . والذى دعا المقتنين إلى القول بضرورة التسجيل هو ما شوهد من التحايل فى العقود والتلاعب بالحقوق وعدم احترامها بغية ابتزاز أموال الناس وإضاعتها عليهم ، فقد يبيع إنسان داره أو يرهنها ويقبض المال ، ثم يبيعها أو يرهنها لشخص آخر جاهل بالتصرف الأول . وقد يقف أرضه على مسجد ، ثم يعيث بالوقف فيبيعها أو يغتصبها غيره وتتعذر إقامة الدليل على الوقف . وهكذا أسرف الناس فى تجاهد الحقوق ، فرؤى شهر التصرفات العقارية ليسكون عاصماً من هذه الخيل ؛ فأصبح مريد الشراء أو الرهن لا يقدم إلا بعد علمه بخلو العين من الحقوق العينية ، وأصبح المالك والمرتهن آمنين من طغيان الغير على حقوقهما . والفقه لا يعترض على صيانة الحقوق ، لكنه يعترض على الوسيلة التى اتبعت فى تلك ، ولكى نعرف رأيه ينبغى أن نتبين التكيف الفقهى للتصرف الذى لم يسجل .

يتبين من العرض السابق لما حوته النصوص والمذكرات أنه تصرف استوفى أركانه وشرايطه ، غير أن أحكامه لا تترتب عليه إلا بالتسجيل ، بمعنى أنه إن سجل نفذ وإن لم يسجل بطل ، ومثل هذا الوضع يحكم عليه الفقه بأنه تصرف موقوف على التسجيل ، ويتبين فى الوقف غير المسجل أنه باطل .

والشريعة : ترى أن هذه التصرفات قبل التسجيل صحيحة نافذة تترتب عليها آثارها بمجرد انعقادها شفاها أو كتابة ، وولى الأمر لا يستطيع أن يحكم على العقود النافذة لإجماعاً بأنها موقوفة بقوة سلطانه كما جاء فى قوانين التسجيل ، نعم نستطيع فى الوقف أن نصوب اعتبار واضح القانون الإشهاد من شروط صحته ، وذلك بأن يحكم عليه عند عدم الإشهاد بالبطان أخذاً برأى من يذهب إلى بطلان الوقف كله كشرى وأحمد بن صالح وإحدى الروايتين عن أبى حنيفة ، ويحكم عند الإشهاد بصحته أخذاً برأى الجمهور .

أما فى عقود التملك وعقد الرهن فاعتبارها موقوفة بأمر الحاكم غير جائز لأنه خروج على إجماع الفقهاء القاضى بترتب الملك على عقود التملك وحق الحبس على الرهن فور حصولها إلا للمانع شرعى كبيع الفضولى .

ونظرة إلى متقدمى الفقهاء ثرينا كيف وقفوا أمام مثل هذه المشكلة الاجتماعية : فقد كثرت ادعاء الملكية لعقارات أو منقولات فى حوزة ملاكها الذين طالت مدة وضع يدهم عليها ، وربما حكم للدعين بحجج زائفة تقدم منهم ، وكان فى ذلك خطر على الحقوق التى يجب أن تصان ؛ لأن وضع اليد المدة الطويلة ، من غير اعتراض من أحد عليه مع التمكن من الاعتراض قرينة عرفية على صحة اليد وكذب الدعوى ، فأجاز الفقهاء للحاكم علاجا لهذه المشكلة أن يمنع القضاة من سماع دعوى العقار بعد مضى المدة الطويلة .

نقل الحموى فى حاشية الأشباه عن يحيى المنقارى أن سلاطين آل عثمان أمروا قضاتهم فى جميع ولاياتهم أن لا يسمعوا دعوى بعد مضى خمس عشرة سنة سوى دعوى الوقف والإرث ، ونقل فى الفتاوى الحامدية عن المذاهب الأربعة عدم السماع بعد نهى الحكام . وسندهم فى المنع من مثل هذه الدعاوى هو أن لولى أمر الدولة تخصيص القضاء بالزمان والمكان وبأنواع من القضايا .

وهذا المبدأ عمل به المقتن المصرى فى دعوى الزواج فنع من سماعها إلا إذا كان الزواج ثابتاً بوثيقة رسمية وحصل فى سن معينة للزوجين ، وهذا المنع كف الناس عن مباشرة الزواج إلا بالشرطين السابقين فابتعدوا بذلك عن أضرار صحة واجتماعية بالغة كالعقم والشقاق بين الزوجين والطمع فى مال القصر ، وأخذ به أيضا فى الوقف قبل صدور القانون الأخير حيث نص فى لائحة ترتيب المحاكم الشرعية على أنه لا تسمع دعوى الوقف غير المسجل .

فلو أن واضع القانون المدني أخذ بهذا المبدأ فتنع من سماع الدعوى بالتصرفات غير المسجلة لو^(١) في بالمصالح المرجوة من غير خروج على الشريعة .

وبعض إخواننا من فقهاء سوريا يرى أن العقد غير المسجل باطل بعد أن صدر قانون التسجيل ، وكان قبل ذلك صحيحاً شرعاً ، لكن لولى الأمر أن يأمر ببطالان العقود الصحيحة للمصلحة . واستدل على هذا المبدأ بفتوى أبي السعود مفتى آل عثمان في أوائل القرن العاشر الهجرى عند ما سئل عن وقف على أولاده هرباً من الديون ، هل يصح وقفه ؟ فأجاب بأن وقفه باطل ، والقضاة ممنوعون من قبل السلاطين عن تسجيله وعن الحكم به صيانة لأموال الدائنين .

ففهم المستدل من الفتوى أن الوقف الصحيح ينقلب باطلاً بأمر ولى الأمر ، فأخذ منه مبدأ عاماً هو أن التصرف الصحيح يصير باطلاً بأمر الحاكم للمصلحة الداعية^(٢) . لكن أمر الحاكم لا يجعل الصحيح فاسداً إلا بمسند من تقليد لأحد الفقهاء أو اجتهاد ، على أن العقود المجمع على صحتها كالبيع والرهن والزواج لا يصح الاجتهاد المؤدى إلى بطلانها ، لأن الاجتهاد فى مقابلة الإجماع باطل .

وأما فتوى أبي السعود ببطالان وقف المدين فليست مستمدة من الأمر ، بل هى ترجيح لمذهب المالكية ، وأمر السلاطين بالمنع من القضاء بصحته تخصيص للقضاء بهذا المذهب ، لأن المصلحة كانت فى العمل به ، ومن الأصول المقررة جواز ترجيح مذهب معين ، والأمر باتباعه للمصلحة ، ومذهب المالكية بطلان وقف المدين بدين مستغرق أو غير مستغرق إذا كان الباقي بعد الوقف لا يكفي للوفاء به . ويمكن أن تكون الفتوى وأمر السلاطين عملاً بإحدى الروايتين عن أبي حنيفة ، وهى القول ببطالان الوقف .

أما بطلان العقود الصحيحة بمجرد الأمر من غير أن يكون له مسند من تقليد أو اجتهاد فلا يمكن أن يكون مبدأ فقهيّاً يستخدم فى تدبير أمور الناس ، وإلا لدخل على الشريعة من قبل الحكام التبديل والمحو والزيادة والنقص والعياذ بالله ، ولا سيما أنهم لم يرتفعوا إلى مرتبة المجتهدين الذين يعرفون وجه المصلحة والاستمداد من الأدلة ، وكثير منهم الظالمون الذين يجهلون طريق المعدلة . والله أعلم بأحكامه .

أحمد فهمى أبو سنة

المدرس بكلية الشريعة

(١) انظر (المدخل الفقهى) للاستاذ الزرقا . - ١ ص ٩٩

حَقِيقَةُ الْوَجُوبِ وَالنَهْيِ

وعدنا القارئ في مقالنا السابق بمواصلة بحث الأحكام التكليفية والوضعية . وهما نحن أولاء نفي بهذا الوعد فنبداً بذكر الواجب وما يتعلق به من أبحاث ، مع ذكر الخلاف بين اصطلاحى الحنفية والشافعية في الفرض والواجب ، حتى يزول ما يعلق بالذهن من شبه حين النظر في بعض المسائل الفقهية التى يقع فيها الخلاف بين الشافعية والحنفية .

تعريف الواجب لغة وشرعاً : الوجوب في اللغة يطلق بمعنى السقوط ، وفيه يقال « وجبت الشمس » ، إذا سقطت . « ووجب الحائط » ، إذا سقط . وقد يطلق بمعنى « الثبوت والاستقرار » ، ومنه قوله عليه السلام « إذا وجب المريض فلا تبسكين باكية » ، أى استقر ، وزال عنه التزلزل والاضطراب .

وأما الوجوب في العرف الشرعى فمقد ارتضى فيه الغزالي تعريف القاضى أبى بكر الباقلاني إذ يقول « هو الذى يذم تاركه ويلام شرعاً بوجه ما » ، لأن الذم أمر ناجز والعقوبة مشكوك فيها لجواز العفو ، ويشمل التعريف : الواجب المعين ، والواجب النخير ، والواجب الموسع . فإنه يلام على تركه مع ترك العزم على امتثاله . ولا فرق بين الواجب والفرض عند الشافعية بل هما من الألفاظ المترادفة كالحتم واللازم .

تفرقة الحنفية بين الفرض والواجب : وفرق الحنفية بينهما ، فخصوا الفرض بما يقطع بوجوبه ، وخصوا الواجب بما لا يدرك إلا ظناً . ولا يشكر الشافعية انقسام الواجب إلى مقطوع ومظنون . فيرجع الأمر إلى مجرد الاصطلاح ، وقد اشتهر بين العلماء أنه لا مشاحة في الاصطلاح إذا ما فهمت المعاني وتميزت الحقائق واتضحت .

ويقرب تعريف القاضى أبى بكر من تعريف الآمدى إذ يقول « الوجوب الشرعى عبارة عن خطاب الشارع بما ينتهض تركه سبباً للذم شرعاً في حالة ما » ، وشرح هذا التعريف بقوله : إن القيد الأول وهو « خطاب الشارع » يمنع من خطاب غير الشارع . والقيد الثانى وهو « انتهاز تركه سبباً للذم شرعاً » يخرج بقية الأحكام الشرعية . والقيد الثالث

وهو وجود الذم في حالة ما ، يجعل التعريف شاملاً للواجب الموسع إذا ترك في أول الوقت بدون عزم على الامتثال وأداء الفعل فيما بعد ، كما يشمل ترك الواجب الخير .

تعريف الفرض ، نظر الحنفية في الفرض والواجب : والفرض في اللغة يطلق بمعنى التقدير ، قال تعالى (فنصف ما فرضتم) أى قدرتم ، وبمعنى القطع ؛ قال تعالى (نصيباً مفروضاً) أى مقطوعاً معدوداً . ويطلق الفرض على ما يعطى بغير عوض ، تقول العرب : ما أصبت منه قرصاً ولا فرضاً ، ويطلق بمعنى الإنزال كقوله تعالى (إن الذى فرض عليك القرآن) أى أنزل . ويطلق بمعنى التبيين ؛ قال تعالى (قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم) أى بينها . ويطلق بمعنى الإحلال ؛ قال تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أى أحل الله له .

وقد رتب الحنفية أحكاماً مختلفة لكل من الفرض والواجب بناء على قطعية الدليل بالنسبة للفرض وظنيته بالنسبة للواجب ، وما هي عبارة البردوى حيث يقول : وأما الفرض فحكمه اللزوم علماً وتصديقاً بالقلب وهو الإسلام . وعمل بالبدن وهو من أركان الشرائع ، ويكفر جاحده ويفسق تاركة بلا عذر . وأما حكم الوجوب فلزومه عملاً بمنزلة الفرض لا علماً على اليقين لما في دليله من الشبهة حتى لا يكفر جاحده ويفسق تاركة إذا استحق بأخبار الآحاد . فأما متأولاً فلا ، لأن الدلائل نوعان : ما لا شبهة فيه من الكتاب والسنة ، وما فيه شبهة ، وهذا أمر لا ينسكرك . وإذا تفاوت الدليل لم ينسكرك تفاوت الحكم وبيان ذلك أن النص الذى لا شبهة فيه أوجب قراءة القرآن في الصلاة وهو قوله تعالى : فاقروا ما تيسر من القرآن ، . وخبر الواحد فيه شبهة يعين الفاتحة فلم يجوز تفسير الأول بالثاني بل يجب العمل بالثاني على أنه تكميل لحكم الأول مع إقرار الأول . وكذلك الكتاب أوجب الركوع وخبر الواحد أوجب التعديل فيه . والمتتبع لكتيب الفقه الحنفى يرى فروقاً كثيرة وأحكاماً متباينة لكل من الفرض والواجب .

نظر الشافعى في الفرض والواجب : وإذا ذكرنا الفرض والواجب عند الحنفية وبيننا وجهة نظرهم في الاختلاف بينهما ، فيحسن بنا أن نذكر وجهة نظر الشافعى في الفرض والواجب . وقد جعلهما الشافعى في نقطتين مترادفتين لمعنى واحد منكراً للفرقة بينهما . وقال هما مترادفان ويطلقان على معنى واحد وهو الذى يذم تاركة ويلام شرعاً بوجه ، سواء

ثبت بدليل قطعى أو ظنى ، واختلاف طريق الثبوت لا يوجب الاختلاف فى حقيقة الفرض والواجب ، وتخصيص اسم الفرض بالمقطوع والواجب بالمظنون تحكم ، لأن الفرض هو التقدير مطلقاً سواء أكان مقطوعاً به أم مظنوناً . وكذلك الواجب هو الساقط سواء أكان مظنوناً به أم مقطوعاً . فكان تخصيص كل واحد بقسم تحكما . وبجمل القول فى هذا النزاع أن وجوب العمل فى الواجب عند الشافعى مثل وجوب العمل فى الفرض ، والتفاوت بينهما فى ثبوت العلم وعدمه . وعند الحنفية التفاوت بينهما ثابت فى وجوب العمل أيضاً حتى كان وجوب العمل فى الفرض أقوى من وجوبه فى الواجب ، ولم ير الشافعى وبقية الأئمة فرقا بين الفرض والواجب إلا فى الحج استناداً إلى دليل شرعى يوجب التفرقة ، فقد ورد عن الشارع فى بعض أفعال الحج أن تركها مفسد له فسميت أركاناً ، وفى بعضها أن تركه غير مفسد له ويجبر بدم فسميت واجبات .

نظر الحنفية فى النهى : ولما فرق الحنفية بين الفرض والواجب جعلوا النهى موجباً للتحريم إن كان ثابتاً بطريق القطع ، وموجباً لكرهية التحريم إن كان ثابتاً بطريق مظنون . وعلى ذلك تكون الأحكام التكليفية عندهم سبعة : واجبة ، ومفروضة ، ومندوبة ، وحراما ومكروهة كراهة تحريم ، ومكروهة كراهة تنزيه ، ومباحة .

عبد الله المراغى
مدير المساجد بوزارة الأوقاف

التربية بالقُدوة

كتب أمير المؤمنين عمر إلى أبى موسى الأشعرى واليه على البصرة :
« إن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته . وإياك أن تزبغ فيزبغ عمالك ، فيسكون مثلك عند الله كمثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغى بذلك السمن ، وإنما حثفها بسمنها . »

نشأة كتب الأماله وخصائصها

- ٣ -

أمالى ثعلب

ثعلب هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة والحديث .

ولد سنة مائتين ، وابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة وهو في سن السادسة عشرة .
روى ياقوت عنه وهو يتحدث عن نفسه :

« حذقت العربية ، وحفظت كتب الفراء كلها ، حتى لم يشذ عنى حرف منها ، ولى خمس وعشرون سنة ، وكنت أعنى بالنحو أكثر من عنايتى بغيره ، فلما أتقنته ، أكتب على الشعر والمعانى والغريب ، » .

وقد ظهرت كل أنواع هذه الثقافات فى أماليه ظهوراً واضحاً ، فهى تمثل بحق ضروب دراسته وألوان ثقافته .

عاش أبو العباس ثعلب دهراً طويلاً ما بين سنتى (٢٠٠ ، ٢٩١ هـ) وقضى حياة حافلة بخدمة النحو واللغة والأدب فى بيئته بلغت فيها المنافسة بين البصريين والكوفيين غايتها إذ ذاك .

شيوخه :

لقد طلب أبو العباس كل علم من أهله ، فجلس إلى ابن الأعرابي فى اللغة ، وتلقن على سلة بن عاصم النحو ، وروى كتب أبى زيد الأنصارى عن ابن نجدة ، وكتب الأصمى عن أبى نصر ، وكتب أبى عمرو عن ابنه عمرو . فاجتمع له بذلك علم واسع صحيح ، جعل شيوخه أنفسهم يلجئون إليه .

قال ياقوت : كان ابن الأعرابي إذا شك فى شيء يقول لثعلب : ما عندك يا أبا العباس فى هذا ؟ ثقة بغزارة حفظه .

ومن شيوخه كذلك محمد بن حبيب ، وفيه يقول : حضرت مجلسه فلم يُبْثِلْ ، وكان والله حافظاً صدوقاً .

ومنهم محمد بن عبد الله بن قادم ، وكان من أعيان أصحاب الفراء .
ومنهم ابراهيم بن اسحاق بن بشير الحربى ، حدث أبو عمر الزاهد قال : سمعت ثعلباً مراراً يقول : ما فقدت ابراهيم الحربى من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة .
ومنهم ابراهيم بن المنذر الحزامى ومحمد بن سلام الجهمى والزبير بن بكار .
ومنهم أبو الفضل العباس بن فرج الرياشى البصرى .
وكان لأبى العباس ولوع بأن يحضر مجالس العلماء للإفادة منهم .

قال ياقوت فى معجم الأدباء نقلاً عن الصولى :
قال أبو العباس ثعلب : لم أسمع من جماعة كلهم قد رأيتهم وتمسكنت منه ، ولو أردت ذلك ما فاتنى عنهم جميع ما أطلب ، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام واسحاق الموصلى وأبو توبة ، والنضر بن حديد . وإنى لأذكر موت الفراء ذكرأ جيداً ، وأنا فى السكتئاب .
ويروى الخطيب البغدادى فى تاريخه أن ثعلباً قال :

كنت أحب أن أرى أحمد بن حنبل فصررت اليه ، فلما دخلت عليه قال : فيم تنظر ؟
فقلت : فى النحو والعربية . فأشدنى أبو عبد الله أحمد بن حنبل :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ما مضى ولا أن ما تخفى عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابع ذنوب على آثارهن ذنوب
فياليت أن الله يغفر ما مضى ويأذن فى توباتنا فنتوب

وكان مع اشتغاله بعلم العربية لا يزال به حنين ينازعه إلى علوم الدين .

قال أبو بكر بن مجاهد ، كما ذكر صاحب نزهة الالباب :

كنت عند أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب فقال لى : يا أبا بكر ، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمر ، فليت شعرى ماذا يكون حالى فى الآخرة ؟

تلاميذه :

وأما تلاميذه فكثير ما هم ، وأشهرهم هو أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد ، كان من أكابر أهل اللغة وأحفظهم لها ، وكان يعرف بـ غلام ثعلب .
وكان يشاركه في هذا اللقب محمد بن علي بن الحسين أبو طالب النحوى ، كان يسمى كذلك غلام ثعلب .

ومن كان يسمى (ثعلبا) من النحويين محمد بن عبد الرحمن النحوى .
كان ثعلب يتولى زعامة مدرسة الكوفة ، على حين كان المبرد يتزعم أهل البصرة .
وكل منهما كان علما وإماما فى صناعة العربية ، فأحدث ذلك بينهما من المنافسة ما حفظه التاريخ وسجله الشعر .

حكى ابن السراج قال : كان بين المبرد و ثعلب ما يكون بين المعاصرين من المنافسة ، وكان أهل التجميل يفضلون المبرد على ثعلب .

مؤلفاته :

حفظ التاريخ لابن العباس أكثر من أربعين مؤلفا فى فنون العربية والقرآن ، بيد أن كثيرا منها عدت عليه عوادم الأيام ، فيما عدت على التراث العربى الضخم .
ونحن نكتفى هنا بذكر ما نرى له صورة فى أماليه :

- ١ — إعراب القرآن .
- ٢ — القراءات .
- ٣ — معانى القرآن .
- ٤ — معانى الشعر .
- ٥ — اختلاف النحاة .
- ٦ — كتاب الفصيح ، وهو أشهر كتبه .

الامالى :

وتسمى أيضا د مجالس ثعلب ، ود مجالسات ثعلب ، .
اشتملت (أمالى ثعلب) على ضروب شتى من علوم العربية ، وحفظت لنا فى مطالعها

كثيراً من المسائل النحوية على مذهب الكوفيين ، وهى فى هذه البابة من أهم الوثائق العلمية فى بيان مذهب المدرسة الكوفية ، على أن ثعلباً كثيراً ما يستعرض فى أثناء هذه المجالس أو الأمالى بعض آراء مدرسة البصرة .

وهو كذلك كثيراً ما يعرض لتفسير بعض آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، ويذكر أقوال العلماء واللغويين فى ذلك ، مجادلاً آراءهم ، مخطئاً لهم أحياناً ، ومتفقاً أحياناً أخرى .

وله مختارات من الشعر تفىء بما منح ثعلب من حسن الاختيار ، وجمال الذوق ، ويلبس الباحث فى أراجيزه التى اختارها ، وهى كثيرة وبعضها نادر ، أنه لغوى متمكن ، وعالم مدقق ، وراوية ثبت .

وأسلوب ثعلب فى أماليه أنه أحياناً يبدوها هو بذكر خبر أو بيت ثم يستطرد منه إلى فنون شتى من علوم العربية ليس بينها وحدة ولا ارتباط ، إلا أنها من اللغة العربية وآدابها . وأحياناً أخرى يتقبل الاسئلة من طلابه فيجيب الجواب السديد تارة ، ويتردد تارة أخرى ، وأحياناً يقول : « لأدرى » .

على أننا لا ندرى تاريخ تلك الأمالى ، وفى أى الأيام كان يجلس لها ، كما سنرى ذلك فى بعض الأمالى الأخرى كأمالى ابن الشجرى أو أمالى المرتضى .

والذى نأخذه على ثعلب فى أماليه ، أنه لم يبرأ بما وقع فيه بعض الرواة من ذكر أخبار هى أشبه شئ بالأساطير ، ولم يعن هو كما لم يعن غيره بنقد النص وتطبيقه على الممكنات العقلية أو الآراء العلمية ، كالذى ذكره فى مطلع الجزء الثامن :

حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى ثعلب قال :

حدثني عمر بن شبة قال : حدثني عبيد بن جناد ، حدثنا عطاء بن مسلم عن أبي جناب السكبي قال :

أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشرف للعرب بها : بلغنا أنكم تسمعون نوح الجن ؟ قال : ما تلقى حراً ولا عبداً إلا أخبرك أنه سمع ذلك .

قلت : فأخبرني ما سمعت أنت :

قال : سمعتم يقولون :

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش جده خير الجدود

فترى أن ثعلباً قد تقبل الفكرة الشائعة عند الرواة للشعر بأن للجن شعراً ، ولم يأخذ
بأى مقياس من مقاييس النقد التي وضعها علماء الحديث ، مع أنه ممن عرفوا الحديث ،
ووقفوا على مناهج النقد عند علمائه .

ونحن نرى أن هذا الشعر من وضع الشيعة ولا جرم ، وهم في ذلك يحتذون حذو من
وضع منهم الأحاديث على لسان الرسول صلوات الله عليه ، وهي كثيرة . فإذن قد جنت
المذاهب وتطرفها على الشعر كما جنت من قبله على الحديث .

وأما ثعلب في جملتها ، قد رواها جماعة - كما ذكر ابن النديم - منهم أبو بكر بن الأنباري
وأبو عبد الله اليزيدي ، وأبو عمر الزاهد غلام ثعلب ، وابن درستويه ، وابن مقسم .

أما المطبوعة التي بين أيدينا فهي من رواية أب بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم
المقرئ العطار . وفي هذه النسخة زيادات لابن مقسم من تفسيرات ينص هو عليها منسوبة إليه
وهذه الامالى اثنا عشر جزءاً ، وقد طبعت في (٦٦٩) صفحة .

نماذج منها

الاجزاء في القرآن :

عن محمد بن يعقوب السمرقندي رحمه الله أخبرنا محمد بن الحسن بن مقسم ، ثنا أبو العباس
أحمد بن يحيى ثعلب ، ثنا محمد بن يعقوب السمرقندي ، ثنا أبو بكر الحميدي عبد الله بن الزبير ،
ثنا أبو الوليد عبد الملك بن عبد الله بن شعوة ، عن اسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين ، عن
حميد الاعرج أنه حسب حروف القرآن فوجد النصف الأول من القرآن يفتي إلى خمس
وستين آية من سورة الكهف عند قوله تعالى : د هل أتبعك على أن تعلن مما علمت رشداً .
قال إنك لن تستطيع ، وهو الربع الثاني ، والسادس الثالث ، والثمن الرابع ، والعشر الخامس
وصارت د معي صبرا ، من النصف الآخر إلى أن تختم القرآن .

والثلث الأول ينتهي إلى بعض إحدى وتسعين آية من براءة ، عند قوله : د كذبوا الله
ورسوله سيصيب ، إلا الباء من سيصيب ، وهو السادس الثاني ، والتسع الثالث ، وصارت
الباء من سيصيب من الثلث الاوسط . والثلث الاوسط إلى بعض ست وأربعين آية من

سورة العنكبوت ، عند قوله تعالى : «إلا بالتي هي أحسن إلا ، وهو السدس الرابع ، والتسع السادس ، وصارت «الذين ظلموا ، من الثلث الآخر إلى أن تختم القرآن .
النحو الكوفي :

وأنشد :

اسمع حديثاً كما يوماً تحدثه عن ظهر غيب إذا ما سائل سألا
رفع . وقال : زعم أصحابنا أن (كما) تنصب ، فإذا حيل بينهما رفعت ، وغيرهم يقول :
(كما) ترفع ، قال هشام : تقول أفعل كما يفعلون ، قال : يزعم البصريون أنها لا تعمل كما
تعمل كي . قال : وأصحابنا يقولون (كما) مثل (كي) قال السكسائي : أمثل ذلك ، أتيتك كي
فينا ترغب ؟

تفسير القرآن :

قال أبو العباس في قوله : «يأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين ، .
قال : قالوا للنبي ﷺ اطرد صهييا وسلمان وبلالا - وهؤلاء قد سبقوا إلى الهجرة -
حتى ننبئك . فأنزل الله هذا .

وهذه رواية غريبة لم ترد في تفسير من التفسير التي بين أيدينا ؛ لا في الطبري ،
والكشاف ، والفخر ، وأبي السعود ، والنيسابوري ، والذسفي ، والقرطبي ، وأبي حيان ،
وابن كثير ، والبيضاوي ، والجلالين ، والبعوي ، والطبرسي ، والألوسي ، والأحكام
للجصاص ، ولا ابن العربي ، ومشكل القرآن لابن قتيبة ، فهذه ثمانية عشر تفسيراً لم نجد
فيها الرواية التي ذكرها ثعلب .

فضلا عن أن النقد الموضوعي لهذه الرواية يجعلنا لا نتقبلها بسهولة ، وذلك أن السورة
مدنية بالإجماع ، وهؤلاء أسلموا بمكة ، فإن كان هناك حديث عنهم فليكن في مكة ،
وقد وردت هذه القصة في صدد آيات مكية وهي في سورة الأنعام عند قوله تعالى
(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) .

روى أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وغيرهم عن عبد الله بن مسعود
قال : مر الملاء من قریش على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وخباب ونحوهم
من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء من الله عليهم

من يئتنا؟ نحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم هناك فلعلك إن طردتهم أن تتبعك . فأنزل فيهم القرآن (وأذنبه الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم - إلى قوله - أليس الله بأعلم بالشاكرين) . وروى مثل ذلك أيضا في سبب نزول آية سورة الكهف وهي مكية كسورة الانعام والآية هي (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الآية .

وهذا هو الواقع وهو المعلوم من السيرة النبوية ومن سنة الله تعالى في خلقه المبينة في آيات كثيرة من كتابه .

وهو أن أول أتباع خاتم الرسل عليه السلام هم كأتباع من تقدمه من إخوانه الرسل ، أكثرهم من الضعفاء الفقراء ، وأن أعداءه كالأعداء هم المترفون من الأكابر والرؤساء ، وأن هؤلاء الأعداء المستكبرين عن الإيمان كانوا يحتقرون السابقين إلى الإيمان ويذمونهم بل يسومونهم سوء التعذيب .

وتارة يقترحون على الرسل طردهم وإبعادهم . قال تعالى في سورة هود حاكيا قول الملأ - أى الأشراف - من قوم نوح (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) . وقد حكى الله عن كفار قريش أنهم قالوا في هؤلاء الضعفاء السابقين إلى الإسلام (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) .

على أن الإنصاف يقتضينا أن نعتز لا بنى العباس ثلث بما في أماليه من محاسن كثيرة بما يدل على الاستقراء والتتبع وسعة الاطلاع وطول الباع . من ذلك ما يذكره من السكليات في جانب معاني القرآن التي تطبق على جميع الآيات ، مثل قوله :

(لا يحليها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السموات والأرض)

قال : كبر عليها على أهل السموات والأرض . . . قال : وكل شيء لم يعلم فهو ثقیل . . . وهذا الرأي عندى فى التفسير خير من رأى الراغب فى مفرداته .

وكقوله فى قوله عز وجل (تظن أن يفعل بها فاقرة . كلا) .

الفاقرة : الداهية ، من فقرت أنفه ، أى حززت أنفه .

و (كلا) فى القرآن كله ، أى ليس الأمر كما يقولون ، الأمر كما أقوله أنا .

ومهما يكن من شيء فهذه الامالى جديرة بالبحث والدرس والقراءة والاطلاع ،

عبد الوهاب محمود

الاستاذ بكلية الآداب - جامعة القاهرة

آراء وأحاديث

علوم البلاغة في الميزان

كتبت في العدد الماضي من مجلة الأزهر الغراء تعليقاً على مقال كاتب فاضل في هذه المجلة أيدت فيه حضرته فيما ذهب إليه في وجوب التجديد في البحث ، واستطردت إلى بيان واجب الأزهر الشريف وحظه من تلك الناحية ، وأنه أولى الناس بأن يجدد في مناهجه ، ويغير في مؤلفات الأولين ما لا يناسب الزمن أو لا يحقق الغرض ، أو لا يكون على شريعة الصواب .

ثم انتقلت مع حضرة الكاتب الفاضل (مسامرة لاتبجاهه) إلى ناحية من نواحي البحث وتكلمت في البلاغة كما هي في المكتب التي تدرس في الأزهر منذ قرون ، فأثرت مسائلها واثرت مباحثها ، وأبنت معانيها ، ودعوت إلى وجوب نسخها ، والاستبدال بها ، صنفاً بالوقت ، والتماساً للحق .

ثم أعود اليوم إلى ما وعدت من التفاهم مع حضرة الكاتب الفاضل فيما أخذ على حضرات الكتّاب في البلاغة من تعليقات في الحذف والذكر ، ثم تصوير للتجريد البديهي . وقصدت مع واجب الوفاء أن يظل باب البحث مفتوحاً لي ولمن شاء ، فإن البحث في الفنون العلمية والأخذ والرد حريٌّ أن يحدث في الأذهان حركة ، وأن يبعث فيها نشاطاً منشوداً ، وربما نبه القارئ بالامر إلى حفز الحمم على الإصلاح والتجديد إن شاء الله .

* * *

بدأ حضرة الكاتب الكريم يعترض على ما كتب الأولون من تعليل الحذف بغير علته النفسية إذ قالوا إن الحذف يكون للأحراز عن المبت بقاء على الظاهر أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ الخ .

ولا بد لي قبل التفاهم أن أبين للقارىء الكريم كيف سلك هؤلاء الكتّابون بعد الشيخ عبد القاهر في بحثهم للبلاغة ، وكيف عللوا بهذه العلل التي تسوى بين الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتذكير وما إلى ذلك .

أما أساس بحثهم ومسلكتهم بالعلل فقد كان هو ما كتب الشيخ عبد القاهر من النكات التي يسميها علل النحو ، إلا أنه كان يعتمد قبل ذلك على الذوق ثم يحاول أن يجعل له أساساً وقاعدة تكون حكماً عند التخالف ، وقل أن يقع التخالف عند المتذوقين ، فالذوق المعنوي كالحس لا يقاب الحلو مرأ ولا العذب الفرات ماحاً .

ونظير ذلك معرفة النظم وما فيه من اتزان وغير اتزان ، فإن العارف بالذوق لا بد أن يعرف البيت الصحيح من المكسور إذا عرض عليه ، ولكن الوزن بالفعليات جعل حكماً عند الخلاف ، وقل أن يقع الخلاف إلا أن يكون بين ذائق وغير ذائق ، فإذا رجعا إلى حكم الأوزان اعترف غير الذائق بصحة قوله . فالشيخ عبد القاهر جعل البلاغة تأخى معاني النحو بين الجمل وجعل معاني النحو هي تلك التي سماها القوم أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال من الحذف والذكر . الخ الخ .

وتكلم الشيخ في أبواب من تلك المعاني قصد بها أن يعبد الطريق أمام الأديب المتذوق ليتعلم فلسفة البحث في التراكيب لتكون عدة له إذا جادله من لا يحسن ما يحسن ومن لا يتذوق ما يتذوق . ولم يستوعب جميع تلك الأبواب ، وما كان له عند الحق ولا لاحد أن يستوعب ولا أن يحاول إلا أن يتكلف ما لا يستطيع ولا يحسن ، ونعوذ بالله أن نتكلف ما لا نستطيع ولا نحسن .

أما القوم من بعده وإمامهم السكاكي فقد حصروا حصراً منطقياً ليحوزوا البلاغة من أقطارها ، ويجمعوا النكات من أطرافها .

وقالوا إن الكلام العربي إما خبر أو إنشاء ، ولا بد من مسند ومسند إليه وإسناد ، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو شبهه ، وكل إسناد وتعلق فهو إما بقصر أو بغير قصر ، والجملة مع غيرها إما معطوفة عليها أو غير معطوفة ، والكلام البليغ إما على قدر

المعنى أو زائد عليه لفائدة أو أقل ، فلا بد عندهم من تفصيل الأحوال في هذه الأبواب الثمانية وبيان العلل لكل الأحوال .

وأحوال المسند إليه الذى فى ضمنه بحث اليوم هى الباب الثانى من الأبواب الثمانية ، وقد حصروها فى الحذف والذكر ، والتعريف بأقسامه الستة والتشكيك ، والوصف ، والتوكيد ، والبيان ، والبدل ، والعطف ، والفصل بضمير الفصل ، وليكون القارىء الكريم على بينة تامة بالأشياء ، فليعلم أن الشيخ عبد القاهر لم يذكر من هذه المباحث إلا ثلاثة :

١ — الحذف : فقد ذكر صوراً منه جارية فى كل أنواعه غير مقيدة بالمسند إليه مع سياقة روائع من النظم تصلح لبنات متينة لتكوين الذوق السليم ، على أن القوم من بعده قد وزعوا الحذف على ما يصلح من الأبواب الثمانية ، ولم يذكر الشيخ الذكر .

٢ — التقديم والتأخير : ذكر صوراً منهما تدور مع كل مجال فى المسند إليه وغيره ومع الاستفهام والخبر وفى النكرة والمعرفة ، وحقق فروق ما بينهما فى آيات من القرآن الكريم وآيات من الشعر الجليل .

٣ — التعريف والتشكيك : ذكر منهما صوراً مطلقة أيضاً ، وفيها فروق سليمة واضحة ، وتطرق إلى فروق فى القصر لها مجالها العمل الأدبى الجليل .

أما القوم فقد أطالوا وأجالوا ولم يعملوا بالعلل المثمرة إلا أن يتبعوا الإمام عبد القاهر ، ولم يكن ذلك قاصراً على علل الحذف والذكر ولكنه مطرد شامل .

ولو أنهم أنصفوا إذا تعرضوا ما عرض الإمام من النماذج ، ولبحثوا عن نظائرها فجددوا العهد بالأدب وبالذوق .

مسألة الحذف والذكر

هذه هى الناحية التى ناقش الكاتب الكريم بعض عليها . فإن السكاكى إمام المتأخرين قد ذكر للحذف عللاً عدة قد يتداخل بعضها مع بعض ، فذكر الاحتراز عن العبث ، وتخيل العدول إلى أقوى الدليلين : العقل واللفظ . وإيهام تعهير اللسان أو تطهيره عن اللسان أو تأتى الإنكار ، أو التمين حقيقة أو ادعاء أو اتباع الاستعمال الخ . ثم أتى للذكر بعلل

منها قصد التخصيص والاحتياط وزيادة الإيضاح الخ . وتبعه من بعده في الجملة . والكاتب الفاضل يناقشهم الحساب فيقول إنهم يعللون الحسن بغير العلل النفسية وأنهم لم يسلكوا مسلك الشيخ ولا وفقوا للتعليل النفسى المقنع .

ولأنى أؤيده في أنهم لو اتبعوا الشيخ لأفادوا وأفادوا ، فتمد جاء بأمثلة شريفة شافية للنفوس كبيت الكتاب^(١) :

اعتاد قلبك من ليل عوائده وهاج أهواك المسكنونة الطلل
ربع قواء أذاع المعصرات به وكل حيران سار ماؤه خصل

وكقول القاسم بن عقيل المرى يمدح زفر بن أبى هاشم وقومه :

هم حلوا من الشرف المعلى ومن كرم العشيرة حين شاموا
بناة مكارم وأساءة كلم دماؤهم من السكب الشفاء

وقد ذكر غير هذا وغير ما ذكره حضرة الكاتب صورا من النظم لها أثرها في تهذيب اللسان والقلم والذوق كدأبه .

ولكننى أناقش حضرة الكاتب مناقشة لا تخلو من طرافة لاندماجها في سلك طريق القوم كما شاء حضرته ، ولتكن المناقشة في ناحيتين : ما سلكه في التعليل ، وما ناقش به الكتّاب في البلاغة . أما ما سلكه من التعليل ففيه ما يأتى :

(١) سلك مسلك التعليل النفسى ، وهو كما بينه في آخر الكلام : معنى يشعر المرء بأثره ولا يدركه ، ولكن الفلسفى العارف بخفايا النفوس يدركه ويؤمن به .

وإذا كان ذلك فلماذا لم يطبقه على قولهم الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر . أو تخيل العدول إلى أقوى الدليلين . أليس ذلك لازما لقوله إنه إذا ذكر مع القرينة كان كالثقل الخ . ولا يضره أن يدققوا بمراجعة قيود معينة مثل كلمة (بناء على الظاهر) وكلمة (تخيل)

[١] راجع ١١٢ فما بعدها من دلائل الإعجاز طبع المنار . قواء : لا أنيس به . المعصرات : السحائب . وأذاع بالشئ : ذهب به .

فإن ذلك هو مقتضى الدقة الفلسفية ما دام قد رضى الرجوع إلى حكم الفيلسوف ، فإن الفيلسوف لا بد أن يحتاط فيجعل كلامه منطبقاً على الواقع كل الانطباق .

وفي الحق إن المتكلم لا ينطق بالبلاغة في حذفها وذكرها ، إلا مستمداً من ذوق سليم ينشأ كما قلنا من مزاوله التراكيب التي تجعله يضع الهناء مواضع النقب . ويقول : كاذبي ما قالت العرب .

وأذكر في هذا المقام قول البحتري ينعى على بعض العلماء في عصره :
كفتمونا حدود منطقكم في الشعر يكفى عن صدقه كذبه
والشعر لمح تكفى إشارته وليس بالهذر طولت خطبه
ولم يكن ذو القروح يلجج بالمناطق : ما نوعه وما سببه ؟

٢ — أورد حضرته ثلاث علل للحذف جعل الثاني منها الهجوم بالمخاطب على المطلوب دفعة ، وهذا المعنى يلزمه الوجه الأول وهو دفع الاستئثار والاستكراه ، فإن من هجم بك على المطلوب فقد دفع عنك ثقل الفضول الذي تقضى به العين . على أنني كنت أحب ألا يورد في هذا المقام البيت الذي أوردوه .
وهو قوله :

قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل
فإن القريب من النفس أن الحذف هنا لضيق المقام بسبب المرض وما يحدثه من ضجر وإن اشتغال المريض بشأنه جدير أن يحول دون مراعاته لحال السامع ، وإذا كان المريض مشغولاً بأمره عن احترام الزائر والاعتدال له وتحيته الخ ، فأحرى ألا يفكر في الهجوم به على المطلوب .

٣ — العلة الثالثة للحذف في كلام حضرته الجدة والطرافة ، وهو يقول : إن الناس لم يعتادوا الأسلوب الذى حذف منه بعض أجزائه .

وأستطيع أن أقول لحضرته إن الناس اعتادوه كثيراً ؛ اعتادوا أن يحذفوا المعلوم ، وأن يتركوا ما تدعو المقامات إلى حذفه ، والبلاغة تصرف عقلى أولاً ثم ذوق وبممارسة ثانياً ، وللعمامة القدح المعلن في ذلك ، ولهم بلاغة بحجية الأسلوب ، وأذواق في التخاطب ، وكثيراً

ما يصلح بعضهم لبعض عبارة تصدر ، وكثيرا ما تسأل مريضا ما شكواك ؟ فيقول : رأسى . أو رجلى ، أو بطنى ، ولا يزيد . وتقول لاحدكم من زارك ؟ فيقول سعيد . وبراك تنتظر القطار فيقول لك إذا جاء ولم تره : الانتظار . اضيق الفرصة ، ويقول إذا رأى العقرب : عقرب فإذا قلت : أين ؟ قال : فى الحائط . وكل ذلك مشتمل على حذف . والدليل على ذلك من كلام حضرة السكاتب نفسه ، فهو يقول فى العلة الاولى : إن السكامة الخالية من الفائدة كالثقل الخ .

والثقل غير محبوب وفى الطباع العمل على التخلص منه ، فإن الناس يحبون الحفة والركة ، فليس من الإنصاف أن نجرد حتى العامى من الذوق وحسن التخير ، وإن لهم بلاغة تكون أحيانا مادة لائمة الادب والبيان . قالوا إن أبا تمام كان يصنع قصيدة فأرتج عليه فى أنثائها ، حتى كان بالطريق فسمع سائلا متسولا يقول : بياض عطاياكم فى سواد مطالبنا . ففتح ذلك له مجال القول وقال :

وأحسن من نور يفتحه الصبا بياض العطايا فى سواد المطالب

وسار فى القصيدة .

وأما مناقشته فيما يرد به على السكاتبين فى البلاغة فإنه يقول :

إن السكاكى والخطيب ومن بعدهما أبوا أن يكون الحذف مزية على الذكر الخ . فى كلام حضرته بحث ، لما يأتى :

١ — إن أراد عدم المزية مطلقا حتى تكون منزلة الذكر كنزلة الحذف لا فرق بينهما أبدا ، فذلك ما لا يدل عليه كلامهم ولا يعرضون له ، وليس من دأبهم فيما كتبوا أن يعقدوا موازنات بين حال وأخرى ، وإنما يكتبون بإيراد العلل والتوجيهات التى تناسب كل معنى ، فالحذف لسكذا والذكر لسكذا والتعريف لسكذا والتشكير لسكذا ... الخ .

وأما أن مسلك الحذف أدق أو سبيله أغض أو غير ذلك فقد أعفاهم الله منه لأنهم لم يراعوا فى جانبه ولم يحاولوه .

٢ — بقى الوجه الثانى ؛ وهو أنه ليس للحذف مزية ، على معنى أنه يجوز أن يكون

للمذكر مزية كما أن المحذف مزية ، وهذا المعنى هو الواقع وإن كانت عبارة الكاتب لا تهدي إليه أولاً ، وهو معنى صحيح لا غبار عليه ولا معنى لإنكاره على الكاتبين في البلاغة .

إن الذكر في موضعه وضع صحيح بليغ له مزية بحيث لو حذف المذكور لنقص الجمال . وكلام حضرة الكاتب في مبدئه وهو ما نقله عن الشيخ وأقره ، من أنك تحس في الكلام المحذوف منه بعض أجزائه في بعض الحالات الخ ، ومعنى ذلك أنه (المحذف) في بعض الحالات لا يكون حسناً إذا كان المقام للذكر فيكون الذكر هو الحسن . وقد أجمع الأدباء والبلغاء على أن الذكر مقامات لا يسد غيرها أبداً مسدها ، بل إنها قد تدق جداً وتخفى على غير الفحول ، كالذكر في سورة الرحمن ، فبأى آلام ربك تكذبان ، وفي قصيدة مهملل التي تكررت فيها : على أن ليس هدلاً من كليب .

وهم ما يزالون ينوهون بالذكر في قوله سبحانه ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ، فيقولون إن ذكر اسم الإشارة مرة ثانية مع إمكان أن يقال ، والمفلحون ، مع صحة المعنى لأنه أريد استحضار صفاتهم والإشارة إلى أنها أساس الفلاح كما يدل عليه الذوق العربي . ونظيره عكسا قوله سبحانه ، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ، .

ومن هذا الباب قوله سبحانه ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، .

وانظر إلى جمال الذكر وروعه في قول المتنبي :

وما عفت الريح له محلاً عفاه من حدا بهم وسارا

ولو قال من حدا بهم وسارا لصح الكلام مع ثقل المحذف ، للحاجة إلى المحذوف كما يشهد به الذوق .

فالذكر في موضعه بلاغة كالمحذف ، غير أن المحذف قد يكون فيه من اللطائف التي قل أن يهدي إليها في جملتها وعلى وجهها إلا المذاكي القرح والجياد السبق .

هذا وإنني أخشى أن يكون القلم قد اشتط على القارئ الكريم فأدع بقية المناقشة إلى مجال آخر ، إن شاء الله .

محمود النواوي

المفتش بالأزهر

حقوق الإنسان في شرعية الإسلام

«... يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ،
ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع
عندهم إصراهم والأغلال التي كانت عليهم ،
[من سورة الأعراف]

مقدمة :

جرنا الحديث في مقالنا السابق «تطهير الاداة الحكومية في تاريخ الإسلام» إلى أن نقول
عند الكلام عن العدل :

« ولقد كان الفقه الدستوري القديم في الغرب يرتضى من العدل صورة سلبية تكفي
في منع الحاكم من الاعتداء على حقوق الفرد ، ولكن الفقه الدستوري الآن لا يقنع إلا باتجاه
إيجابي يلزم الحاكم فيه أن يهيء الظروف للفرد كي يمارس حقوقه . فنصت وثيقة حقوق
الإنسان الأخيرة الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة مثلا على ما لم تتضمنه سابقتها وليدة الثورة
الفرنسية ، ففي المواد ٢١ - ٢٤ نص على حق كل فرد في أن يجد عملا بشروط عادلة وأجر
جز ، وفي حمايته من البطالة ، وفي تكوين نقابات ، كما نص على حقه في الغذاء والسكن
والعلاج الطبي والتمتع بمستوى اجتماعي يضمن له ولاسرتة الراحة في الحياة ، والضمان ضد
البطالة والمرض والمعجز والشيوخوخة .

والإسلام قد قرر هذا العدل الاجتماعي ، ووجه إلى هذه النزعة الإيجابية قبل
أربعة عشر قرنا ، ا . هـ

العدالة السياسية :

ذلك أن الإسلام لم يكتف فقط بتقرير أصول العدالة السياسية بل تعادها إلى تقرير
أصول العدالة الاجتماعية . لأن العدالة السياسية وحدها لا تغني قليلا في شعب عامته
من الجائعين المحرومين « فن العبث الكلام عن الحرية الفردية أو قدرة الفرد على التأثير

في نظام المجتمع الذي يعيش فيه ، فلا حرية لمن لا يمتلك شيئاً . والذين لا يتغذون تغذية صالحة أو يرهقهم العمل المضني لا يرون في حق الاستمتاع بالنقد سوى نوع من الترف لا قبل لهم به ولا رغبة لهم في تذوقه لأنهم أحوج إلى ملء بطونهم منهم إلى تحريك أسننهم ،^(١) والإخاء لا يقوم بين مترف ومحرور ، والمساواة أمام القانون يصعب تحققها ما دام في استطاعة أحد المتقاضين بماله من جاه و ثراء أن يأتي بالأدلة ويستعين بالدفاع ويستقدم الشهود . وفي بعض أمم العالم تعد وظائف ومهن معينة مقصورة على طوائف بالذات ، كما أن التعليم ترتفع نفقاته في المرحلتين الثانوية والعالية . وفي بعض الأمم يقصر حق الترشيح على من يدفع قدراً معيناً من الضرائب ، فضلاً عن أن كثيراً من الناس لا يشتركون في الانتخاب لظروف اقتصادية .^(٢)

فالعدالة السياسية وحدها لا تكفي إلا إذا كانت مقرونة بالعدالة الاجتماعية ، والعدالة الاجتماعية وحدها لا تكفي إلا إذا كانت إيجابية تعتنقها الدولة فكرة وعقيدة ، وتحققها تشريعاً وتنفيذاً ، وتحاسب عليها سياسياً وقضائياً .

هذا والعدل السياسي في الإسلام وطيد الأركان ، فقد وكلت شريعته اختيار الحاكم إلى الأمة إذ جعلت أمر الرعية بين أفرادها شورى ، وجعلته مسؤولاً مسؤولاً سياسية عن كل تصرفاته ؛ وهذا هو الإمام مالك رضى الله عنه يعلق على خطبة أبي بكر حين استخلف ، إذا أحسنت فأعينوني وإن أنا زغت فقوموني ، فيقول فيما أورده السيوطي :

« لا يكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط »^(٣) . كما أن الحاكم الأعلى مسئول مسؤولية قانونية - مدنية وجنائية - فهو يؤخذ في فقه الإسلام بالقصاص والأموال ، وإذا كان أمر الحدود دون القصاص إليه - لا شرط الإمام لاستيفائها - فإننا نجد بالنظر إلى قوله تعالى « فاجلدوا . . . » أن الخطاب موجه لجماعة المسلمين ، وما الإمام إلا نائب عنه في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود ، وهي صاحبة الحق أولاً وبالذات ، فعليها تنفيذ حكم الله فيه إذا أصاب حداً من حدود الله . ولقد جاء في مذهب الشافعية : يقيم عليه الحد من ولي الحاكم عنه كما قال القفال . وجاء في استيفاء الحد : ويستوفيه من الإمام بعض نوابه^(٤) .

(١) المذاهب السياسية المعاصرة - آدم - ص ٨٧

(٢) النظام الاشتراكي - البراوى - ص ١٤٦ : ١٥٢

(٣) أشهر مشاهير الاسلام - م ١ - ص ٩١١ - ١٢٠ .

(٤) فقه القرآن والسنة - شلتوت - ص ٩٦ ، ٩٧ .

ومن ميزات العدل الإسلامي : أنه عدل لإنساني للناس أجمعين ، إذ أن رسالة الإسلام رحمة للعالمين ، على اختلاف الأجناس والبلدان والأديان . ومن ميزاته كذلك أنه مرتبط بعقائد الناس ، ومن ثم يتعبد الناس بإقامته : فيتفق العالم المجتهد ويسوس الحاكم ويقضى القاضى ويحتكم المختصمون عن إخلاص و يقين ، وهذا أدعى لأن يأخذ العدل حقه وينال التشريع مكانته ، ولا تنفصل فكرة العدالة - عن الفكرة الأخلاقية كما حدث عند غيرنا فيما يفرضه أوزفلد كوله ، كانت فلسفة القانون في مبدأ الأمر جزءاً من علم الأخلاق ولكن كلما انفصلت فكرة العدالة عن الفكرة الأخلاقية ، بحيث تظهر الأولى في صورة قوانين محدودة تنشرها الدولة وتلزم الناس بها إلزاماً - انفصل العلمان اللذان يدرسانها انفصالا تدريجياً وتميز أحدهما عن الآخر وقد وضع (كانت) حداً فاصلاً بين قانونية الفعل وأخلاقيته بأنها العمل بمقتضى القانون في الظاهر ،^(١) .

ونحن في هذه السكيات نعرض للعدل الاجتماعى في شريعة الإسلام ، وللاتجاه الإيجابى في تقرير حقوق الإنسان المعاشية ، لنبسط من روائع صنع الله جانباً يغفل عنه الكثيرون وينكبون على التماسه عند الفلاسفة والمشرعين شرقاً وغرباً ، ولا يخضر بياهم - مجرد خاطر - أن في الإسلام غاء ، بل ربما لا يفكرون قط أن الإسلام اتجه مثل هذا الاتجاه في قليل أو كثير . ونحن بعد ذلك نعرض هذا الجانب ليستيقن الناس ويزداد الذين آمنوا إيماناً أن الله يأمر الناس بمبادئه لينتفعوا بهدايته وشريعته ، لا ليزدان ملكه بطاعة الطائعين . وأن الله تعالى يأمرنا بمبادئه وطاعته لا لنسكن أرواحنا لحطب بل لتطمئن أجسادنا أيضاً بالطعام واللباس والسكن ، وأن الله تعالى يجازينا على طاعتنا في الدنيا حياة طيبة ، ثم مردنا في الآخرة إلى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

العدالة الاجتماعية :

بين الله في كتابه حدوداً كالفصاص في القتل ، وقطع اليد في السرقة وغيرها من العقوبات . ومن الطبيعى أن يسلك الإسلام سبيل التشريع القانونى بعد أن سلك سبيل التوجيه الفكرى عن طريق العقيدة ، والتدريب العملى عن طريق العبادة .

ولكن تشريع الإسلام القانونى لا يكاد يذكر حتى تثب إلى أذهان الناس صورة مشوهة عن الأيدى المقطوعة والأبدان المرجومة وهكذا . وحقيقة أن رحمة الله للعالمين التى يطالب

[١] المدخل إلى الفلسفة - تمريب عفيفى - ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

بها كل داع إلى الإسلام ليست مجرد الاشتفاء بتنفيذ العقوبات ، ولكنها ما سنت العقوبة إلا بعد أن سلكت سبيل الوقاية كما يقول فرنسيس آيفانج ، إذا كانت غايتها هي مصلحة المجتمع وجب أن يكون الغرض من العقاب هو الوقاية . وأى وسيلة تحقق هذا الغرض يجب أن تعتبر صالحة من الوجهة الاجتماعية . فإذا كان في إمكاننا أن نستبعد أسباب الإجرام وظروفه - سواء - أكانت هذه الأسباب ترجع إلى البيئة أم إلى الشخص نفسه فهي الوسيلة المثالية التي يجب علينا أن نتخذها . ولقد قامت بالفعل عدة محاولات في هذا السبيل عن طريق الخدمات الاجتماعية ... ولكن لو أن جميع الظروف المتعلقة بالبيئة قد أصبحت مهيئة على خير وجه ، يبقى علينا أن نفكر في الأسباب النفسية التي تؤدي إلى ارتكاب المخالفات^(١) .

فكما يقرر الإسلام توقيع القصاص في القتل ، فهو يقرر أيضا استئلال عوامل البغضاء بين الناس التي تنتج من الخلافات العصبية أو الحزبية أو الطبقية . وكما يقرر الإسلام قطع يد السارق فهو يقرر حقوق الفرد المعاشية ويقرر مسؤولية الدولة لضمانها . وكما يقرر الإسلام رجم الزاني أو جلده يقرر تيسير سبل الزواج ، وصيانة الحرمات بستر العورات وغيض الأبصار والنهي عن الخلوة ؛ وهكذا يسير التشريع الاجتماعي بجانب التشريع الجنائي أو يسبقه .

وسنعرض في الجزء الآتي إن شاء الله لمحات سريعة خاطفة عن تقرير الإسلام للضرورات المعيشية للأفراد ، ولإلزام الدولة بمسؤولية ضمان هذه الحقوق ، لتبين حقيقة النظام الإسلامي في أسسه الاجتماعية الأصلية ، بعد أن صارت معرفة الناس مقصورة على جانب العقوبات وحده .

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

جِيلُ يُؤْمِنُ بِالْإِخْلَاقِ

حَدِيثُ فَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

قال مندوب جريدة الأهرام الخاص :

حضر أمس الأول فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر اجتماعا عاما انتظم عديداً من ذوى المناصب العامة المختلفة ، من ضباط الجيش ورجال القانون والهندسة والطبابة ، كان خطباء الاجتماع يتسابقون في تعداد الصفات التى يجب أن تتسلح بها لتواجه المستقبل الحافل بجسام الأمور . فتوجه فضيلته بالحديث الى قائلا :

إن الأمم الناهضة تحتاج نفوسها إلى الغذاء الجيد ، من الأخلاق والسجايا ، لتقوى به على مواصلة النهوض إلى المعالى ، كما تحتاج أجسامها إلى الغذاء الجيد من الطعام ، لتقوى به على مواصلة السكفاح فى سبيل المعاش ، والشجاعة غذاء من أغذية الأمة فى طور التحرير ، لا يتهاون به إلا صغار النفوس ، والذين يستعذبون موارد العبودية ، وإن لم تفرض عليهم ، وأصل الشجاعة أن تعرف الحق : حق الله ، وحق الأمة ، وحق المواطنين ، وحقك الشخصى ، فتوطن نفسك على أن تكون صادق العزم فى إعطاء كل ذى حق حقه بالعدل والإنصاف .

وقد أوصى المسلمين بأن يكونوا أهل الشجاعة فى مواقف الدفاع عن الحق ، ما داموا يرجون لهذا الحق العزة والاستعلاء ، فقال عز وجل فى سورة النساء : ولا تنهوا فى ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ، وكان الله عليا حكيما ، فأرشدهم الله إلى أنهم بما يرجون من إقامة الحق ومعونة الله عليه ، ينبغي لهم أن يكونوا أبعد من أعداء الحق عن الوهن والضعف ، لأن المؤمن الذى يرجو الحق ويعيش له ويعد نفسه لإعلانه ونصرتة ، يجب أن يكون من أبعد الناس عن الوهن فى سبيله ومن هنا يتبين لنا أن الشجاعة العسكرية وليدة الشجاعة الأدبية ، لأن كلا نوعى الشجاعة منبعث عن الولاء للحق ، وتوطن النفس على إقامته ونصرتة . وإن الرجل الشهم الذى يوطن نفسه على الدفاع عن الحق ويؤدى الشهادة الصادقة على نحو ما علم دون أن

يهاب ذا جاه أوسطوة ، لا يقل عن البطل الصنديد في موقفه بساحة الحرب أمام فيران العدو مدافعاً عن حق أمته وملته ووطنه .

واستطرد فضيلته فقال :

إن المسلم الذي يعلم أنه لم يكن مسلماً إلا بشهادة الحق ، لا إله إلا الله ، يوطن نفسه على ألا يشهد إلا بالحق ولو على نفسه وعلى والديه في كل المواقف ، متمثلاً دائماً في ذهنه أمر الله عز وجل للمسلمين ، ولا تكتسبوا الشهادة ومن يكتسبها فإنه آثم قلبه ، .

ولما ربي الإسلام أبنائه على إقامة الحق ونصرتة ومحبته والشهادة به والإعانة عليه ، ربي فيهم بهذه السجية ، خلق الشجاعة في النفوس فأخرج منهم أمة لاتهاب الخطوب ، وترى الموت في سبيل إعلاء كلمة الحق خيراً من ألف حياة يقضيها صاحبها في مشاهدة الباطل يمشى في الأرض مرحاً .

انظروا إلى قول الخليفة الأول أبي بكر الصديق في وصيته لقائده العظيم خالد بن الوليد ، احرص على الموت توهب لك الحياة ، فباقتحام موارد الموت في سبيل إقامة الحق تبرهن الامة على أنها جديرة بالحق ، وبهذا نكون من أهل الحياة ، وأن الشهداء من رجالها أحياء عند ربهم ، وأحياء في قلوب عباده ، والذين لم ينالوا منهم نعمة الشهادة يتمتعون بالحق وبما يفوضه عليهم الحق من نعمة الحياة . وإلى هذا المعنى يشير الفارس الشاعر حصين بن الحمام أحد بني سهم بن مرة :

تأخرت أستاذي الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

جلس القائد المجاهد الشهير مسلمة بن عبد الملك مع أخيه الخليفة الاموي هشام ذات ليلة ، فقال له أخوه الخليفة :

« يا أبا سعيد هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ ، فأجاب مسلمة : « ماسلت في ذلك من ذعر يذبه إلى حيلة ، ولم يغشني فيها ذعر سلمني رأيي ، فقال له هشام : « هذه هي البسالة . »

ولما كان الحكم والسلطان في إسبانيا للخليفة الاموي عبد الرحمن الناصر ، رفع أحد التجار قضية على الخليفة إلى القاضي الأكبر في عاصمة الأندلس (قرطبة) وهو العالم الفقيه الورع ابن بشير ، فحكم ابن بشير للتاجر على الخليفة ، ولم يكتف بإصدار الحكم بل كان

حريصاً على سرعة تنفيذه ، فذهب إلى الخليفة يخبره بنص الحكم الذي صدر عليه ، وينذره بالاستقالة من القضاء إن لم يبادر الخليفة بالتنفيذ .

وحتى في أحط أدوار الدولة العبيدية بمصر دخل الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى على الملك الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجملى - وكان الأفضل وزير مصر للمستنصر والمستعلى والآمر - فتكلم الطرطوشى موجهماً الموعظة والنصيحة للملك الأفضل . ولاحظ في أثناء موعظته أن إلى جانب الملك رجلا لا يؤمن على الدولة ولا تهمه مصلحة الملة ، فغنى الطرطوشى موعظته بالحديث عن ذلك الرجل غير المؤتمن وأشار إليه بيده ، فلم يكن من الملك الأفضل - لما استنصره من صدق الإمام الطرطوشى وغيرته على الحق وشجاعته في إعلانه - إلا أن أمر ذلك الرجل الجالس إلى جانبه بأن يتنحى عن ذلك المقام . ثم قال فضيلته :

إن الأمة الضعيفة المستكينة لا تستحق الحياة ، وهى لا تقوى وترقى وتعتز إلا إذا شاع في أفرادها - ولا سيما شبابها ، خصوصاً المثقفين منهم - خلق الصدق ، ومحبة الحق ، وتوطين النفوس على نصرته ، والصراحة فيه ، والدفاع عنه . ومن هذا الخلق يولد الجيش الباسل الذى لا يغاب ، بل من ذلك الخلق يولد الجيل الفاضل الذى لا يطمع في حق غيره ولا يطمع غيره في حقه . والحق شطر الإسلام ، بل هو عظامه التى تقوم بها بنيته ، أما الشطر الآخر فهو الخير ، وهو في مقام اللحم والشحم من بنية الإسلام . ولم يرد في الإسلام أمر ولا نهى إلا وهو يرجع إلى شعبة من شعب الحق أو إلى شعبة من شعب الخير . والمسلمون لن يعدوا كباخوانهم الذين حملوا لواء الحق ونشروا قانونه في الأرض إلا إذا تضلعوا من معين الحق وارتوا من موارد الخير ، فأصبحوا يعرفون بين الأمم بأنهم أمة الحق والخير ، وحينئذ يكون منهم الجيش الغالب الظافر الذى يقتحم كل عقبة تحول بينه وبين الحق ، ويحتاز كل مخاضة تمنعه من الوصول إلى أهداف الخير . وكما ينبغي أن يجهز الجيش بالدبابات والمدافع الضخمة والطائرات النفاثة والقنابل الذرية ، فإن كل هذه المعدات لا تنفعه ان لم يستمد جنوده وضباطه من أمة تربت على الصدق ، وآمنت بالحق ، ووطنت نفسها على محبة الخير . بل ان تجهيز الأمة بسجية الصدق ، وتربيتها على الإيمان بالحق وعلى الإيمان بالخير ، هو الذى ييسر لها الأسلحة من كل نوع ، والآنصار من كل أمة ، وهو الذى يملأ

بإلهية والحرمة لها قلوب الأمم جميعاً . وهكذا الأخلاق لا تزال معيار الأمم ، وهي مفتاح الأمانى المغلقة وهي السبيل إلى استرداد الحقوق وتيسير السبل إليها .

إن إعداد شباب الجيل بسجية الصدق ، وتربيتهم على الإيمان بالحق وعلى محبة الخير عنصر من عناصر الإسلام .

ولقد صرنا الآن إلى عهد قام بالأخلاق ، وهو في حاجة إلى الاستعانة بجيل يؤمن بالأخلاق . والمصانع المصرية لتربية الأخلاق هي معاهد العلم التي يتوقف عليها نجاح هذا العهد ، ويكون لامتنا منها الجيش الظافر الذي هي بحاجة إليه في مصيرها القريب وكل يوم تضيقه معاهدنا العلية ، وتحجم فيه عن البدء في متاهجها الصالحة يكون خسارة على الأمة ، وعلى حقوقها .

إن الامر جد ، والوقت أثمن من أن يضيع بغير عمل .

اللحن في العربية كذب وذنوب

روى الشيخ عبد الوهاب خـلاف أنه سمع الشاعر حافظ إبراهيم يتلو شعراً في مجلس الشيخ محمد محمود التركى الشنقيطى فلحن في حركة العين من أحد الأفعال ، فغضب الشيخ الشنقيطى وقال له : كذبت !

والشيخ الشنقيطى مسبوق إلى مثل هذا الموقف بالإمام الحسن بن أبى الحسن البصرى ، فإن لسانه عشر مرة بشيء من اللحن فراجع وقال : « أستغفر الله » ، فسأله حين سمع ذلك منه عن سبب الاستغفار فقال : من أخطأ في العربية فقد كذب على العرب ، ومن كذب فقد عمل سوءاً ، وقد قال الله عز وجل : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً » .

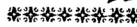
ويروى الخليل بن أحمد أنه سمع أيوب السخيتاني يحدث بحديث فلحن فيه فقال : « أستغفر الله » ، يعنى أنه عد اللحن ذنباً .

نفســــــــــــــــيات

نفسٌ يحشُّه نفسٌ والأسى بادٍ ومحتبسٌ
ويلتأ للجدِّ أسلبيه كخمودِ النَّارِ تقبّسٌ
ألمنى من دونها حذرٌ كالمهى من دونها حرسٌ
والعلی من غيرِ طيبة حُلْمٌ لم يدنه نَعْسٌ !!!
غرةُ الاختيارِ مقبِلٌ طاحَ عَنْ أَثْوَابِهِ الدَّنسُ
كم حیاةٌ في منافسةٍ وحياةُ الزَّاهِدِ النَّفسُ
الكریم الحُرُّ مبتئسٌ للكریم الحُرِّ يبتئسُ



خَطَرَاتُ الحُسْنِ تاركِتي وفؤادی للها جرسٌ
لَا أَهْجِ السُّرْبَ يعصمه حرمٌ للحسنِ أو قدسٌ
شدَّ مَا أزهى فَلَا حورٌ يزدهى لِي وَلَا لَعْسٌ !!!
لَا أَحِبُّ الطَّيِّبَ مُبتدلاً عفته كالأظي يفترسُ
غبطةُ الفُضاحِ خزيته طابَ للزَّحجةِ الفطسُ !!!
الْفَقَى يسرى لعزته والمساعى وحدها قبسٌ



خِذْلَةٌ لِلْيَاسِ يعضغه مقولٌ يشنّقه الخرسُ !!!
خطبةُ الآمالِ في دعة كلُّ ما يوحى به الهوسُ
أُسْتَي حَقِي مناجزة وعداةُ الحبِّ تخالُسُ !!!
آفةُ المغلوبِ رفته راحَ في آماله الشرسُ
منَ ابْنِ والحقِ مستلبٌ صلُّ به والحقُ يلتبسُ !!!
ناهضٌ يزهى بسآلبه ناكلٌ في يده عرسُ
مَا رَأَيْتُ الحَقَّ منتصفاً مذ رأيتُ الحقَّ يلتبسُ !!!

لغوي كتاب

وهبتك الله النعمة والخير الكثير !

يكثّر استعمال وهب متعدية لمفعولين كما ترى ، كأنها مرادفة في المعنى والعمل لاعطى . ويشيع هذا في السنة الفقهاء في الحديث عن الهبة ، وهم يعملون من صيغها الشرعية وهبتك كذا ، وهبت لك كذا . والوارد في فصيح الكلام تعدية الفعل إلى من يملك الموهوب بحرف اللام ، فيقال : وهبت لك مالا ، كما قال سبحانه وتعالى : دهب لمن يشاء إنا أنا وهيب لمن يشاء الذكور ، وقال سبحانه : دهب لي من لدنك وليا .

وتعدية الهبة ومتصرفاتها إلى مفعولين موضع بحث قديم . ومن المنكرين لها إمام النحاة سيويه . فهو يقول في الكتاب ١٦٠/١ بعد كلام جرى له : : إنما تجرى ذا كما أجرت العرب . ومثل ذلك عددتك وكتلتك ووزنتك . ولا تقول : وهبتك ؛ لأنهم لم يعدوه ، ولكن وهبت لك ، ، وسيويه يريد أن يقول إن الأفعال : عدّ وكال ووزن تعدى في الأصل إلى من يُفعل الفعل له بحرف الجر ، تقول : عددت لك الدراهم ، وكتلت لك الحب ، ووزنت لك القطن ، وقد تعدى هذه الأفعال بحذف حرف الجر ، فتقول : عددتك الدراهم ، وكتلتك الحب ، ووزنتك القطن ، إذ ورد هذا عن العرب ، ومن ذلك قوله تعالى : : وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ، والأصل وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ، فحذف الحرف وعدى الفعل بنفسه ، فأما وهب له مالا ، فإن العرب لم يحذفوا فيه الحرف فلم يقولوا : وهبه مالا . كالوا كاتك الحب في كتلتك الحب . وسيويه يرى العمل على ما جرى عليه العرب واطراح ما اطرحوه .

فن ثم قال في ختام بحثه : : ولا تقول : وهبتك لأنهم لم يُعدوه ولكن وهبت لك ، . وقد أورد السيرافي في شرحه لسيويه رأيا للبرد أنه يجوز أن يقال : وهبتك مالا ، ولا يجوز

وهبتك ؛ لأن الصيغة الأخيرة تحتل أن الهبة واقعة على المخاطب ، وهذا في أيام الأرقاء والموالي ، أما في عصرنا فلا يخطر هذا الاحتمال . ويعزز السيرافي رأى المبرد بأنه سمع من العرب نحو وهبته مالا ، فكانت صيغة وهب كصيغ عد . وكال ووزن : سواءً في القبول والاستساعة .

وإني أنقل هنا كلام السيرافي فهو جد نفيس قال ^(١) : « وكان المبرد يقول : وإنما قالوا : عددتك ووزنتك وكتلتك في معنى عدت لك ووزنت لك وكتلت لك لأنه لا يشكل . ولم يقولوا وهبتك في معنى وهبت لك لأنه يجوز أن يهبه . فإذا زال الإشكال ^(٢) زال ، وهو أن تقول : وهبتك الغلام أى وهبت لك ^(٣) . وإنما ذكر سيبويه كلام العرب أنهم يحذفون حرف الخفض في عددتك ووزنتك وكتلتك وإن لم يذكر المعداد والمكيل والموزون ؛ كما قال عز وجل : « وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » . ولا يجوز مثل ذلك في وهبتك لأن ما كان أصله متعديا بحرف لم يحذفه وإن لم يكن لبس إلا فيما حذفته العرب ، ألا ترى أنه لا يجوز مررتك ولا رغبتك على معنى رغبت فيك . وحكى أبو عمرو الشيباني عن بعض العرب : انطلق معي أهبتك نبئلا ، يريد : أهب لك نبئلا . وهذا يؤيد قول أبي العباس ، وكان ابن الشجرى رأى ما استقر عليه السيرافي من جواز وهبتك مالا فذكره من غير تعقيب إذ يقول ^(٤) : « يقال : وهبت لك درهماً ، ووهبتك درهماً ؛ كما تقول : وزنت لك الدرهم وزنتك الدرهم ، وكتلت لك البُرّ وكتلتك البُرّ ؛ كما جاء في التذييل : وإذا كالوهم أو وزنوهم أى كالوا لهم أو وزنوا لهم » . والقارىء يخرج من هذا البحث باستساعة أن يقال : وهبتك الله النعمة والخير الكثير .

التليذ المجد لا يخفق إلا في الندرة

تستعمل الندرة في السنة الناس بضم النون . ولا يكاد يخطر ببال قارئ أو متكلم فيها غير ذلك . ولشد ما يعرفه العجب إذا رأى ضم النون موضع بحث وبحال أخذ ورد ، وأن الجمادة فيه هو فتح النون : الندرة .

(١) انظر شرح السيرافي ٢ — ٢٨٠ نسخة التيمورية . (٢) كذا . وكان الأصل : زال المنع .

(٣) هذا من كلام السيرافي لامن كلام المبرد (٤) انظر أمالي ابن الشجرى المطبوعة في الهند ١/ ٥٠ .

ففي القاموس : « ولقيته ندره ، وفي الندره مفتوحتين ، وهو يريد فتح الحرف الاول مع سكون الثاني ؛ كما هو اصطلاحه . ونرى مثل هذا في اللسان بفتح نون الندره بضبط القلم . وفيه زيادة على ما في القاموس : « ويقال : إنما يكون ذلك في الندره بعد الندره إذا كان في الاحايين مرة ، » .

وكان الندره في الاصل : المرة من ندر الشيء إذا زال عن مكانه وخرج عن مستقره ، فمن هذا كان مفتوحا على حد اسم المرة . وفي الجهره لابن دريد ٢/٢٥٨ : « كل شيء زال عن مكانه فقد ندر ، يندر ، ندرا ، فهو نادر ، فيقال : ضربه على رأسه فندرت عينه أى خرجت من موضعها . وسمى نواذر الكلام ، لأنه كلام ندر فظهر من بين الكلام ، » .

ويبدو أن جريان الالسنه بضم نون الندره وتسكب جادة الفتح في ذلك قديم أتت عليه السنون والاحوال حتى أضحي لا يعرف سواه . وبلغ من هذا أن صار ضبط الندره فيما يعنى بضبطه بضم النون تحفظا على الصواب ، وتحززا من الخطأ المردى . فهذا التاج السبكي يعرض في كتابه الخالد « جمع الجوامع » حرف « الندره » فيضبطها بالضم ، فقد جاء في أوائل كتاب السنه : « وفعله صلى الله عليه وسلم غير محرم ، للعصمة ، وغير مكروه للندره ، فيقول شارحه الجلال المحلى في حديثه عن الندره : « بضم النون بضبط المصنف ، يريد أن التاج السبكي ضبطها كذلك بضبط القلم . وقد وثق المحلى بالتاج أن كان ضليعا في العلم بحرا ، أخذ العربية عن أبي حيان وغيره من أعلام عصره . وكانت وفاة التاج سنة ٧٧١ هـ ، ووفاته الجلال المحلى سنة ٨٦٤ هـ ، وكان (١) علامة فهما ، ويؤثر عنه أنه كان يقول : فهمي لا يقبل الخطأ .

ونرى لغويا معاصرا للسبكي يذكر الفتح في الندره ، ويضم إليه الضم على أنه لغة . ذلك هو الفيومي صاحب المصباح ، فهو يقول : « وندر العظم من موضعه : زال . ويتمدى بالهمزة . والاسم الندره بالفتح ، والضم لغة ، . ويتبعه صاحب المعيار إذ يقول : « ندر الشيء ، ندورا ، كقعد قعودا : سقط وخرج من غيره ، ومن بين أشياء فظهر . ومنه النوادر والاسم الندره كضربة ، وكغرفة ، لغة ، ولا أدري علام اعتمد صاحب المصباح في إثبات ضم النون لغة . وقد يكون سرى له هذا من نطق الناس بضم النون نخاله لغة ، وضمه

(١) انظر في هذا : حسن المحاضرة .

إلى ما وجدته في دواوين اللغة . وهو في ذلك أحق بالعدر من ابن السبكي الذي اعتمد على سمعه وما لقنه من الشيوخ فضبط (الندرة) بالضم .

وقد وقع هذا الخطأ في طبعة المخصص لابن سيدة ؛ ففيه : د ويقال لقيته الندرى ، وفي الندرى وندرى أى في الندرة يعنى بين الايام ، وفيه ضبط (الندرة) بضم النون . وبعد فإن النفس بعد هذا لا تركز إلى الضم في هذا الحرف ، وأرى أن تعود الألسنة الفتح ، وهو الصواب .

العبيط

يقال العبيط في لسان العامة ، لذى الغفلة والبله . وهذا المعنى لا يبين في معانيه اللغوية . فإن العبيط في اللغة يقال للدم الطرى ، ولحم السلم من الآفات الذى لاداء فيه ، ولا يقال لذى البسالة . وقد تصدى لغويان لتخريج الاستعمال العامي وبيان أصله في العربية ، فيرى الأستاذ حسن العدل في رسالته : د أصول الكلمات العامة ، أن الأصل في ذلك : الهييت ، وهو الجبان الذاهب العقل ؛ قال طرفة بن العبد :

الهييت لا فؤاد له والتبيت عقله قيمه

فأبدلت الهاء عينا ، والهاء طاء . وهذا تخريج قريب ونظر صحيح .

ويرى الأستاذ عبد القادر المغربي في بحثه المنشور في مجلة المجمع اللغوى ٢٩٣/٣ أن العبيط مقلوب البعيط ، وهو فمیل من قولهم : بعط في الجهل إذا أبعد فيه وأغرق ، فالبعيط هو المغرق في الجهل ، وقلبه العامة إلى عبيط . وهذا التخريج فيه بُعد إذ لم يرد في المادة بعيط ، وقياس الوصف منه باعط .

وقد بدا لي تخريج ثالث . ذلك أن العبيط يقال للطرى غير النضيج . وجاء في الحديث : فقامت لحماً عبيطاً ففسر بالطرى غير النضيج ، والابله ذو الغفلة يشبه بالفج الذى لم ينضج ، وما زلنا نقول في المدح : هذا رجل ذو نضج ، وفي الذم : هذا رجل غير ناضج ، والله الموفق للصواب .

محمد على النجار

الأستاذ بكلية اللغة

الإسلام في أمريكا

قالت جريدة « أخبار اليوم » بتاريخ ١٨ / ٣ / ١٩٥٠ تحت عنوان « أمريكا مستعدة لقبول الإسلام » ، ما يلي :-

« زار كامل عبد الرحيم (بك) سفير مصر في واشنطن فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر في خلال هذا الاسبوع ، وتحدثا في موضوعات كثيرة ، وكان أهم هذه الموضوعات ما قاله كامل (بك) ، عن أن الشعب الأمريكي استمع له في الشهر الماضي ، في محاضرة دينية ألقاها في إحدى الكنائس الأمريكية ، عن الدين الإسلامي ، وأظهر المستمعون إهتماماً كبيراً بهذه المحاضرة ، وعلق السفير على ذلك بقوله : إن الشعب الأمريكي على استعداد لتفهم حقيقة الدين الإسلامي ، إذا ما عيّنت السلطات الدينية في مصر بهذه الناحية الهامة ، وقد وعد شيخ الأزهر بدراسة الموضوع . . . »

وها هو ذا قد مضى على هذا الوعد ثلاث سنوات تقريباً ، ولم نعلم ما الذي استقر عليه قرار مشيخة الأزهر بعد ، ولاننى أود شكر (سعادة) السفير على محاضرته تلك أولاً ، وتفكيره بهذا الأمر الجليل ثانياً ، وعرضه على الاستاذ الاكبر ثالثاً .

ثم أود القول ، بأن تاريخ العناية بالقرآن الكريم ، يبين لنا أن نفرأ من المسيحيين في الشرق والغرب ، قد عنوا عناية كبيرة بالقرآن الكريم ، فدرسوه ونقلوا ما تيسر لهم نقله إلى لغاتهم ، ودرسوا علومه وتفسيره ، ونقلوا من كل ذلك الشيء الكثير ، ولقد أفرد الاستاذ الفيكونت فيليب دى طرازى ، فصلاً كبيراً في كتابه « خزائن الكتب العربية في الخافقين » ، عن كل ذلك .

ويتبين مما نقله الاستاذ طرازى ، أن كثيرين من رجال الطوائف المسيحية ، أخذوا من القرآن الكريم طائفة من الشرائع وجعلوها في شرائعهم فقد قال حضرته :

« أقبل فريق كبير من أئمة النصارى وعلمائهم ومفسكريهم ، على دراسة القرآن ، فدققوا النظر في سورة وآياته ، وأمعنوا وتعمقوا في نواحيه وشرائعه ، ثم كتبوا عنه الشيء الكثير أو القليل في تصانيفهم وفتاويهم ، واتخذوه دستوراً في بعض القضايا والفرائض الدينية .

وتفرغ بعض جثالة النساطرة وأساقفتهم لإنشاء قوانين مدنية للملثم ، استمدوها من أحكام القرآن وسننه ، ومن أقدمهم الجاثليق حنيشوع الأعرج (٦٨٦ - ٧٠١ م) ، ولميخائيل الكبير بطريرك السريان (١١٦٧ - ١٢٠٠ م) ، عدة أحكام مدنية استخلصها من القرآن ، وجرى بموجبها أبناء ملته ، وجاء بعده أبو الفرج ابن العبري (المتوفى سنة ١٢٨٦ م) غلف فصولاً متمعة في الشرائع والفرائض اقتبسها من القرآن ، وقد أثبت زبديتها في تاريخيه المدنيين ، ولا سيما في مؤلفه المشهور بكتاب « الهدى » وهو دستور تمشي عليه أبناء ملته في العصور الغابرة وما برحوا يسرون بأحكامه حتى اليوم .

وظفق الأستاذ فليب طرازي يسرد أسماء الذين نقلوا الشرائع عن القرآن الكريم ، والذين درسوا علوم القرآن وحققوا فضل القرآن على العرب جميعاً والعالم أجمع ، إلى أنه قال : وإذا انتقلنا من الشرق إلى الغرب رأينا رهطاً من ترايع المستشرقين ينافسون المسلمين في درس القرآن وشرحه وتحليله ، ويعتنون بتدوين تواريخه واكتتاز مخطوطاته ويكبرون إلى ترجمته وطبعه ، ومن ذلك أن المستعرب بابا غانيي طبع القرآن في مدينة البندقية منذ القرن السادس عشر ، وعدت طبعته العربية هذه باكورة طبعات القرآن برمتها ، ونشرت مطبعة ليدن هولندا سنة ١٦١٧ سورة يوسف وهي السورة الثانية عشرة من سور القرآن ، وهي أول طبعة عربية أبرزتها مطابع أوروبا بالشكل الكامل .

* * *

ولقد نقلت كل ما تقدم ، لأسائل نفسي ، وأسائل أولياء الأمور : ما الذي عملناه نحن لنشر الإسلام ، وإذاعة مبادئه العادلة في العالم ؟ إن بعض كبار رجالنا من ذوى الرأى ، يهتزون اهتزازات عصبية ، إذا قلنا إننا نود تشريعاً إسلامياً ، ليعرف الناس فضل الإسلام في العالم ، وانقضى على المبادئ الشيوعية الهدامة ، ومع أن هؤلاء المفكرين مسلمون جغرافياً فالظاهر أنهم لا يعلمون شيئاً عن أسرار الإسلام وسفنه ومبادئه ، ولو أنهم درسوا قليلاً من الشريعة الإسلامية ، ومن سير مشرعى الإسلام ، أو أصحاب المذاهب الإسلامية ، لحججوا من عنجهيتهم السخيفة ، وها هو ذا سفير مصر في أمريكا يقول إنه حاضر عن الإسلام ، في عمر دور المسيحية ، فإذا لقي ١٤ لقد لقي كل ترحيب وكل عناية ، مما جعله يطلب من رجال الأزهر العمل على نشر الإسلام في تلك الربوع ، التي وجد فيها استعداداً لقبول مبادئ الإسلام السمحة ، وشرائعه الحكيمة .

وإذا شككنا في أقوال السفير ، لأنه مسلم ، فها هي ذى أقوال وأفعال المسيحيين أنفسهم ، بل ها هي ذى مأخذهم عن الإسلام ليتخذوها شرائع لهم تنقلها عن رجل مسيحي فاضل اشتهر بأنه مؤرخ . صدق ، فماذا بعد هذا كله ؟ ألا يحق لنا بعد هذا كله ، أن نطالب بأن يكون التشريع الحديث ، تشريعاً مطابقاً لأصول الإسلام وسننه وقواعده ، ومعلوم أن الإسلام جمع فضائل وقواعد الشرائع الإلهية السابقة وهي : اليهودية ، والنصرانية . ويحضرني في هذا المقام كلمة سمعتها من عمي السيد محمد رشيد رضا رحمه الله عن ناظرة للمدرسة السنية وكانت بريطانية في عهد دنلوب صاحب المبادئ الاستعمارية الهدامة للوطنية ، فقد رأت تلك الناظرة الفضلى أن العمل جار على خروج البنات المسيحيات من الدرس في أثناء إلقاء الدروس الإسلامية ، فاعتضت على ذلك ، وقالت ما معناه : « إنني لا أوافق على خروج البنات القبطيات من حصة الدروس الإسلامية ، لأنني لم أر في برامج تلك الدروس ما يخالف الشريعة المسيحية ، بل إنني أرى أن الآداب التي تتضمنها تلك الدروس ، تتفق تمام الاتفاق مع الآداب المسيحية » . فسلم بذلك دنلوب فهاج وماج وعمل على تنحية تلك الناظرة وإعادتها إلى بلادها بعد ما قال لها : « لقد جئت لمحاربة أعمالنا كلها بانحاد المنصرين !! » .

إن التشريع الإسلامي ، وإن العمل بآداب الإسلام ليحترم المسيحية والمسيحيين أشد الاحترام ، وحسبك أن تعلم أن القرآن الكريم يحرم على أتباعه سب ما يدعون من دون الله أيا كان ذلك المدعو أو المعظم ، عملاً بقوله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فيسبوا الله عدوا بغير علم ، كذلك زيننا لكل أمة عملهم ، ثم إلى ربهم مرجعهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون » . (١٠٨ الأنعام) .

فالشريعة التي تقول لاتباعها : « دعو كل عامل وما يعمل لحسابه ليس عليكم وإنما حسابه عند ربه ، والشريعة التي عومل المستظلون برأيها خيراً معاملة ، والشريعة التي رد رجالها الأموال الأميرية إلى المستظللين بحكمها يوم يحجزوا عن حمايتهم ، لحي شريعة مثالية تليق أن يستظل الجميع تحت رايتها ويتمتعوا بعدلها الفطري وفضائلها السامية ، فهل يحرم مع هذا على أهلها الاحتكام إلى أحكامها مع أن بعض الطوائف الأخرى أخذت شرائع لها منها كما بينا فيما تقدم نقلاً عن الأستاذ فيليب دي طرازي .

تفكروا يا أيها القوم والله ولي التوفيق .

محبي الدين رضا

الفتاوى

خطبة الجمعة بغير العربية

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

إن بلادنا تحتوي على اثنتي عشرة مقاطعة ، وفيها زهاء ثلاثين مليون مسلم يقيمون شعائر الإسلام ، مع أن اللغة المستعملة عندنا غير العربية .

فالسؤال الأول — هل يجوز إلقاء خطبة الجمعة بلغة غير عربية ، إذ الذين امتلأت بهم المساجد لا يستفيدون من الخطبة بالعربية شيئاً ، مع أن الخطبة إنما جعلت لاطرف الإنذار والتبشير ، وإن لم يجوز إلقاءها فما المانع ؟

ثانياً — هل يجوز تفسيرها بغير العربية بعد إلقائها قبل الصلاة ؟

الطلبة السنغاليون بالجامع الأزهر
عنهم أبو بكر أحمد محمد مختار
والقاسم البيهقي

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه لا يشترط في خطبة الجمعة أن تكون باللغة العربية عند أبي حنيفة وهو رأى عند الشافعية لأن المقصود من الخطبة هو الوعظ والإرشاد وذلك إنما يحصل باللغة التي يفهمها السامعون .

وبناء على ذلك ترى اللجنة — تحقيقاً للغرض من الخطبة — أن يتعين إلقاءها باللغة التي يفهمها القوم .

ولا يفوت اللجنة في هذا المقام أن توصي قادة الشعوب غير العربية أن يبذلوا جهدهم في تعليم الناس اللغة العربية ليتيسر لهم فهم القرآن وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام والانتفاع بما فهما من أحكام وآداب ، وليتحقق بذلك رباط التفاهم بين المسلمين في جميع الأقطار وهو أقوى مظاهر الوحدة التي حث عليها القرآن .

وبهذا علم الجواب عن السؤال ، والله أعلم .

٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢

رئيس لجنة الفتوى
محمد عبد الفتاح العناني

(مجلة الأزهر) نزيد على الشطر الأخير من الفتوى أن شيخ الإسلام ابن تيمية فيه في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) إلى أن طريقة سلف هذه الأمة من أيام الصحابة والتابعين ، قامت في جميع بلاد الإسلام على إرشاد الأمم الإسلامية إلى أن تكون العربية لغتهم ، للحكمة التي أشارت إليها الفتوى ، أي تيسير فهم القرآن والحديث النبوي مباشرة بقدر الإمكان .

ومن ذلك يفهم أن سياسة الإسلام في هذا الباب هي نقل الأمم إلى الإسلام لفهمه بنفسها من لغته مباشرة ، لانقل الإسلام إلى الأمم بترجمات قديتشتب بها الرأي وتختلف الفهوم ويضيع الغرض الأول من وحدة المسلمين وتثيت الاخوة بينهم ، وعلى كل حال فإن الغرض من خطبة الجمعة فهمها بأى حال .

زكاة المال الشرعية غير الضرائب

والصلاة فريضة بدنية لا تغنى عنها فدية

وجاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

أرجو إفادتي في أمر زكاة المال الآن التي قدرها الشارع باعتبار أنها ربع العشر ، في حين أن الأموال المقلول عنها هي نتيجة محصول أهلان وإيجار مساكن تؤخذ عنها الضريبة سنوياً ، خصوصاً وأن الضرائب لا يستهان بها الآن .

كما أرجو إفادتي عما إذا كان هناك قول بدفع شيء من المال نظير ما فات المرء من صلوات لم يؤدها ، وإن وجد قول ففي أى مذهب ؟ وفي حالة ما إذا لم يؤدها لعدم قدرته على الاداء مع ملاحظة أن القدرة شرط التكليف فكم يدفع عن اليوم الواحد أى الخمس الفرائض أو عن الفرض الواحد ؟
 الشيخ عبد الحكيم محمد خليفة
 شارع سعد زغلول — بنى سويف

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلمت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد عن السؤال الأول — بأن زكاة المال واجبة متى بلغ المال نصاباً وحال عليه الحول ، ومصرف هذه الزكاة مبين في قوله تعالى : إنما الصدقات للفقراء والمساكين ... ، الآية .

أما الضريبة التى تتقاضاها الحكومة من أصحاب الأموال فلا علاقة لها بالزكاة ، ولا تغنى عن إخراج الزكاة الواجبة .

وهن السؤال الثانى — بأن الصلاة من الفرائض البدنية التى فرضها الله تعالى تهدياً للنفوس كما قال تعالى : إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فلا يجوز للمرء تركها بحال من الأحوال .

وقد راعت الشريعة السمحة فى أدائها التيسير على الناس ففرضتها من قيام على القادر عليه ، فإن عجز عن القيام أداها من جلوس ، فإن لم يستطع ذلك أداها مستلقياً على ظهره أو مضطجعاً مع الإيماء والإشارة برأسه أو بيمينه إن لم يستطع الإشارة بالرأس ، فإن لم يستطع أداها بوجهه من الوجوه فقط سقط التكليف بها .

ومن هذا يتبين أن من استطاع الصلاة بوجهه من الوجوه التى بينها ولم يؤدها فهو آثم ، ولا يغنيه عن ذلك فدية ولا أى عمل من الغير .

وهذا هو ما تفتى به اللجنة ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢

محمد عبد الفتاح عنانى

لِمَاذَا صَارَ الْمُسْلِمُونَ هَذَا الْمُسْتَعْرَبِينَ ؟ الإسلام يحض على التماسك والترابط والالتفات للقلب

حديث لفَضِيلَةِ الْأَسْتَاذِ الْأَكْبَرِ

تفضل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فأدلى بالبيان التالي إلى جريدة (الأهرام) ونحن ننقله عنها . قال :

إن مصر وجميع أقطار العالم الإسلامي تجتاز الآن دوراً من أعظم أدوار التاريخ ، وكلما أدرك أهلها واجههم ، ووطنوا أنفسهم على القيام به ، وبذل التضحيات الثمينة في سبيله ، عجل الله لهم بشمراته الطيبة ، وكافأهم بأضعاف ما كانوا يأملون . والإسلام قد تكفل لأهله بالتوجيه السليم إلى كل ما يقيم لهم الكيان القوي ، والمجتمع الصالح ، والدولة العادلة المهيبة . ولو أنهم لم ينحرفوا في العصور الأخيرة عن التوجيه الإسلامي في أنفسهم وجماعاتهم وحكوماتهم ، لما وجد الاستعمار سيلاً لإلهم ، فقد أراد الإسلام لأهله أن يكونوا أقوياء بالإيمان الصحيح والأخلاق السكرية والعمل الصالح ، وأقوياء بالاستعداد الحربي والتأهب دائماً للدفاع عن كيان الأمة وحقوقها . وقد كانوا بالفعل هم أهل العزة في الأرض ، والهبة في عيون الأمم ، عند ما كانوا منقادين لهذا التوجيه الإسلامي وعاملين به . فلبسوا تهاونوا به في المئات الأخيرة من السنين ، وقصروا في الاستعداد من كل نواحيه ، لتقصيرهم في معرفة الحقوق التي أتاحها الإسلام لهم ، والواجبات التي أوجبها عليهم ، طمعت دول الاستعمار حينئذ في استعبادهم واستغلال خيراتهم ، وتذرعت بأرهم الأسباب لبسط سلطانها عليهم ، وكان ما قد حدثنا عنه التاريخ من استيلاء المولدين على جزائر أندونيسيا قبل نحو ثلاثمائة

سنة ، ومحاولة البرتغاليين السطو على سواحل العالم الإسلامى ، وتوغل الإنجليز فى الهند وغيرها ، واستيلاء فرنسا على الجزائر ثم على بقية بلاد شمال أفريقيا . وهذا كله لتقصير المسلمين فى معرفة ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات التى بينها الإسلام لهم ، ثم لنهاونهم فى متابعة التوجيه الإسلامى أفراداً وجماعات وحكومات . ولقد كان رسول الله ﷺ ينظر إلى ذلك بنور الله عز وجل من وراء العصور الكثيرة ، ويصدر فى بيانه لأمتيه عن وحى صادق من الله فيما أنذرهم به ، وذلك فيما رواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث ثوبان مولى رسول الله وقد رواه عن ثوبان أيضاً الإمام أبو داود فى الباب الخامس من كتاب الملاحم من سننه أن رسول الله ﷺ قال : يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا ، وكراهية الموت . .

فالمسلمون لما وهنت قلوبهم فى العصور الأخيرة لإيثارهم توافه الدنيا على المثل العليا ، ولتهيبهم الموت فى سبيل حقائقهم وحقوقهم ، نزع الله حيثئذ من صدور الأمم ما كان يملأها من مهابة المسلمين بسبب ما شاهدوه من موت همهم وانحطاطهم فيما كان أسلافهم يمتازون به من سمو الخلق وعلو النفس والغيرة على الحقوق والحقائق ، فأصبح المسلمون بسبب ذلك كالغثاء التاف الذى يطفو على سطح الماء فى الأنهار ومجارى السيول . وحيثئذ طمعت فيهم الأمم المستعمرة ، وتداعت لالتهايم كما يتداعى الجائعون إلى التهام الطعام . ثم كان ما كان من جشوم الاستعمار كالكبوس البغيض على صدور المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وإن كان المحتل يجد فى من يفتنى إلى الإسلام قلوباً يقلبها بأصبعه كما يشاء ، وألسنة يحرکہا فى أغراضه كما يريد ، فإن تلك القلوب وتلك الألسنة - إلا من عصم الله أصبحت مأمورة بالشعور الذى يربها الحقوق وأبصار العين ويمنعها من أن تستخدم إلا فى صالح المحتل وتمكنه من احتلال ما شاء . وفى الأمثال البديعة : أن أشجاراً رأيت فأساً ملق بجانها ، فانزعجت منه ، فقالت لها شجرة منهن ، لا تخافوا منه ، فإنه لا يكسرنا إلا إذا دخل فيه عود منا .

والآن وقد أخذت اليقظة تدب في أرواحنا وانتشرت الدعوة بيننا إلى معرفة حقوقنا والاستمسك بها والتعويل على الدفاع عنها بأى ثمن ، فتمد أصبح من الواجب على كل فرد منا أن ينتظم في صفوف هذا الدفاع في كل مكان . وقد رأى المسلمون بعد الحرب العالمية الأخيرة كيف أن الله عز وجل كافأ أهل كل قطر إسلامي هب للدفاع عن حقوقه ، فوهبه الظفر بأمانيه ، والتوفيق بالحصول عليها بأسرع مما كانوا يأملون . وإن قيام دولتي أندونيسيا وباكستان أعظم شاهد ملموس في هذه السنوات على صدق ما وعد الله به الذين يجاهدون في سبيل حقوقهم من المسلمين . ومن سنة الله في هذه الأمة أن يعلى مقامها ، على قدر ما تعرف من حقوقها وتؤديه من واجباتها . والدنيا كلها بين حق وواجب ، وما ضاع حق سعى له أهله من طريقه المعقولة الحكيمة ، ولم يخيب الله أمة قامت له بما يجب عليها .

لغة العرب وعلومها

قال (فريتاغ) الألماني في مقدمة معجمه الكبير في اللاتينية والعربية :

« ليست لغة العرب أغنى لغات العالم وحسب ، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العت ، وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجيا والاختلاق ، أقام بيننا — نحن الغرباء عن العربية — وبين ما ألفوه فيها حجبا لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة » .

والعلامة فريتاغ يقول هذا عن تراث أمة أباد الدهر أغلى تراثها وأجوده ، فكيف به لو شاهد وشاهدنا معه كل ما ألفه العرب والمسلمون من بدء التأليف إلى الآن ؟

الْجُنَيْتُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ

— ٢ —

ومن لم يرو رحمة من دم العدى إذا اشبكت سمر القنا بالقواضب
ويعطى القنا الخطى في الحرب حقه ويبرى بحد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغصة وإن مات لا يجرى دموع النوادب

٣ — خبرتهم بعلم الفلك وعلم القيافة :

نشأ العرب في البادية وحياتهم كلها ترحال وانتقال من مكان إلى مكان وراء الرزق والمرعى ، وكانت لهم تجارة بالقوافل . ولم يكن عندهم آلات للرصد يستخدمونها في سيرهم بل كانوا يعتمدون على الطبيعة وعلى ما فيها من ظواهر وكواكب وأفلاك ، وصارت عندهم خبرة بمسالك الصحراء ودروبها ، السهل منها والوعر ، لكثرة ما تنقلوا فيها ، وكانوا أعلم بأما كن المياه ومواردها لشدة حاجتهم إليها في أسفارهم .

وكان من علومهم « القيافة » ، وهى تتبع آثار الأقدام والحوافر وكانت لهم فراسة في هذا ذاعت فيهم .

٤ — حدة البصر وقوة السمع :

لا شك أن حاستي الإبصار والسمع كانتا عند العرب مكتملتين لجميع عناصر القوة ، فقد كانت حواس العرب طليقة تعيش على سجيتهما ، لم تصطدم بما يضعفها أو يؤثر في قوتها من مظاهر المدنية من أنوار وضجيج وغير ذلك .

ويقرن بحدة البصر براعتهم في رمى القوس ، والقصة التي نرويها الآن خير دليل : خرج أعرابي للصيد فصاد ضباً فعلقه على ظهره ثم مر بنجاء ليس فيه إلا عجوز ، فجلس فلما أمسى حضر شيخ كبير يسوق لبلا كثيرة فلما رآه رحب به وأكرم مثواه ثم ناموا ، فانتهاز الاعرابي هذه الفرصة وقام إلى الإبل فربط أحدها بيهره وخرج تتبعه سائر الإبل ، وأسرع

الرجل في سيره يرجو أن يصل إلى مكان أمين بينه وبينه مسيرة ليلة ، فلما طلع الفجر أبصر ذلك المكان فإذا عليه سواد ، فلما دما وجد الشيخ قاعداً وقوسه في حجره فقال : أضيفنا ؟ قال : نعم . قال : استخر نفسك عن هذه الإبل . فقال : لا .

فأخرج الشيخ سهماً وقال : انظر بين أذن الضب المعلق في ظهرك . ثم رماه فصدع عظامه من دماغه ثم قال : ما تقول ؟ قال : أنا على رأي الأول ... فقال انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى . ثم رمى به فكأنما قدر بيده ثم قال : ما رأيك ؟ فقال : إنني أحب أن أستثبت . قال : فانظر هذا السهم الثالث في عكوة ذنبه ، والرابع والله سيكون في بطنك . ثم رماه فلم يخطئها . فلم يسع الاعرابي إلا أن يرد الإبل لصاحبها وهو خائف يرتعد .

• — صفاء الذهن :

كان ذهن العربي صافياً كصفاء الطبيعة من حوله ، مشرقاً كإشراق الشمس والنور ، لم يصطدم بما يغبر صفحات العقول ، ويكدر مرايا الأفكار من دخان الحضارة . وإذا تحققت هذه الصفة في الجندى كان أقدر من غيره على فهم الاوامر ، وعلى تدبير الحيلة ، وحسن التصرف ومعالجة الامور ...

بهذه الصفات الفطرية التي ذكرناها دخل العربي المدرسة الإسلامية ، فتناول الإسلام هذه الطبيعة ، وهذه المواهب بالتهذيب المستبصر ، والتوجيه الصحيح ، ناشداً فيهم أعلى الفضائل على ما سنذكره فيما يلي ، حتى أخرج من هذا العربي جندياً عظيماً ، وبطلاً قاهراً ، وفارساً مغواراً .

١ — الفضائل ومكارم الأخلاق :

تولى رسول الله ﷺ إرشاد العرب الذين دخلوا المدرسة الإسلامية ، إلى الفضائل ومكارم الأخلاق ، ولقد تجلى ذلك بكل معانيه في معاملته لهم بأخلاقه وفضائله ، فكان لهم خير أسوة يحرصون عليها الحرص كله ، والأسوة خير مرشد ، على أنه لم يكلمهم إلى ذلك غصب ، بل كان يتعهدهم بالإرشاد إلى الحلال الحميدة ويمرهم على الأخذ بها حتى تصير ملكة وخلقاً ، وحتى يتنافس فيها المتنافسون .

انظروا إلى قوله : د ثلاث من كن فيه استوجب الثواب ، واستكمل الإيمان : خلق يعيش به في الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ، وحلم يرد به جهل الجاهل .
وإلى قوله : د إن أحبكم إلى وأقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، المواطن أكنافاً ، الذين يالفون ويؤلفون .

ولقد غرس النبي في المسلمين مبادئ قوة العزم والرأى واستقلال الفكر ، والاعتماد على النفس ، ولم تلبث ثمار هذا الغرس أن ظهرت وأينعت ، فلم يجد عليه الصلاة والسلام في أصحابه ضعفاً في مواقف الجِد ، لم يجد همهم فائز ، وعقولهم قاصرة كما وجد موسى عليه السلام في بني إسرائيل ، ذلك الخور الفاضح حين ذهب بهم إلى العدو فإذا بهم ينكصون على أعقابهم ويخاطبونه بلسان الخائن الجبان : د اذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون ، كلا لم يجد من أصحابه مثل هذا ، بل وجدهم يقولون د اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكم مقاتلون .

٢ — الشورى :

لما كان استقلال القائد بالرأى ، يشعر باستبداده وترفعه ، وعدم مبالائه أو تقديره لرجاله ، ويورث الغضاظة ويستثير الحفيظة ، اقتضت شريعة الرسول الحسكينة أن يعامل أصحابه بمبدأ الشورى ولا سيما في أمور الجهاد ، إذ أن ذلك يشعرهم بمكانتهم عنده ، واعترافه بصحة رأيهم وشدة إخلاصهم ؛ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت هذه الآية (وشاورهم في الأمر) قال النبي ﷺ د إن الله ورسوله غنيان عنها ، ولكن جعلها رحمة في أمي ، فمن شاور منهم لم يعدم رشداً ، ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا .

ولقد جعل الله تعالى الشورى أساساً للحكم في الإسلام وأمر نبيه بها ، وامتدح القائمين بها في قوله (وأمرهم شورى بينهم) . فأخذ الرسول يسوس المسلمين بها ، بل كان يتنزل معهم إلى أبعد من ذلك ؛ روى أنه كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله على ذبحها ، وقال آخر : على سلقها ، وقال آخر : على طبخها ، فقال الرسول : وعلى جمع الخطب . فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل ، فقال : علمت أنكم تكفوني ، ولكنني أكره أن أتميز عليكم ، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه .

يوزباشى أركان الحرب

(يتبع)

محمد جمال الدين محفوظ

رَسُولُ اللَّهِ فِي الطَّائِفِ

تمر كتب السيرة على رحلة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الطائف مروراً حابراً مما جعل كثيراً من المسلمين القارئ لها يفهمون أن هذه الرحلة كانت من الرحلات السهلة الهينة ، ويعتقدون أنها كانت رحلة إلى ضاحية من ضواحي مكة ، مع أنها كانت أقصى رحلة وأشقها على رسول الله ، وأشهد أنني كنت ممن يفهمون هذا الفهم الذي وجدته عند كثير من المتقنين حتى حضرت إلى مكة في العام الماضي وتقرر أن يكون عملي في الطائف ، وكنت إلى تلك اللحظة أعتقد أنها على بعد يسير من مكة ، ولكن بعض العارفين أخذ يعطيني فكرة عن الطائف فعرفت منه أن السيارة تقطع إليها من مكة ما يقرب من ١٥٠ كيلو متراً فدهشت وتساءلت : وهل قطع الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الطريق الذي تقطعه الآن ؟ إننا كنا نظن أنه ذهب إليها وعاد منها في يوم أو في ضحاه !! قال : إن الرسول قطع المسافة إلى الطائف من طريق أضصر من هذا قليلاً لا تسير فيه السيارات الآن وهو يقرب من مائة كيلو متر يقطعه الناس اليوم سيراً على الأقدام أو ركوباً على الدواب !! قلت إنها مسافة طويلة جداً عما كنا نظن ، وإنما لرحلة شاقة ومتعبة لا بد أنها أخذت أياماً قاسية من حياة الرسول ﷺ .

ثم رجعت إلى كتب السيرة فوجدت ابن هشام يذكر عن هذه الرحلة : ولما هلك أبو طالب - بعد وفاة خديجة - نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل فخرج إليهم وحده .

إذن كان الرسول عليه الصلاة والسلام بمكة في أزمة نفسية ، وكان في شدة بلغت أوجها بعد أن فقد النصيرين : الزوجة التي كانت تتلقاه في البيت بصدر حنون وقلب شفيق فتزيل عن نفسه المجهد المتعب كثيراً من الهم والتعب ؛ ثم تبعها العم الذي كانت تحشاه قريش فتمنع عن محمد - كارهة - كثيراً من سفاهتها . فوجد الرسول نفسه بعدهما في أتون اتقدت ناره ،

وتشعب لهيبه ، وأصبح بمكة وقد انطلق عليه سفهاؤها وتناولوه بالإيذاء والاعتداء فإذا رجع إلى بيته وجد الحزن يحيم على جوانبه ، فنارت في نفسه ذكرى الزوج الوفية فتمتلىء نفسه من الهم ، وتفيض عينه من الحزن ، ويبحث حوله عن نصير في الخارج أو مواس في الداخل فيعز عليه النصير والمواسى ، ويفكر في الدعوة التي حمله الله أمانتها - وهل يفكر إلا فيها - ويحاول أن يجد لها متنفساً بعد أن ضيق القرشيون عليه الخناق ولم تعد مكة بيئة صالحة لشر دعوته ، فألى أين يذهب وقد بلغ الأمر منتهاه ؟ وفكر الرسول فوجد أنه في الجنوب الشرقى من مكة قوم من ثقيف يقطنون « الطائف » ، وبينهم وبين قريش عداة ربما يساعد على احتضان دعوته وهم إن استجابوا كانوا نعم العون والنصير .

ولابد أن الرسول مرت به حالة من التفسير العميق في هذه الرحلة ونتائجها ، وإن الإنسان ليتصور الحالة النفسية التي كان الرسول يمر بها في هذه الآونة : كيف يذهب ؟ وهل يستجيب له هذا الخي من العرب بعد هذا السفر الطويل ؟ إن هذا هو الأمل !! ولكن كيف يكون موقفه إن تنكروا له ؟ ثم كيف تكون عودته إلى مكة حينئذ ؟ وماذا يفعل الشامتون ؟ لابد أن الرسول قد فكر في هذا كله ومرت بنفسه فترات من الأمل المشرق له ولدعوته حيناً ، فتنبسط أسارير وجهه ، وتشرق جنبات نفسه ، ويتصور المستقبل الباسم للإسلام ، وحيناً تمر به صور اليأس من استجابتهم ومن النتائج المرة التي تلعب لإعراضهم فتمتلىء نفسه همماً وحزناً وخوفاً من هذا المستقبل القاتم !! ولكن هل يستسلم لهذا الجانب المظلم ويقعد خوفاً من إعراضهم ومن النتائج المؤلمة التي تترتب عليه ؟ كلا !! إنه عليه الصلاة والسلام لا يترك فرصة أمامه لدعوته إلا انتهازها ، وليسكن بعد ذلك ما يكون من مصاعب ومشاق فكل شيء يهون احتماله في سبيل دعوة التوحيد .

وجاء الوقت المحدد بفرج الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الطائف وحده وبدأ رحلة المشاق والمتاعب ليس معه أحد إلا ربه الذي يرعاه ويحفظه ، لقد تصورت الرسول سائراً بين الجبال يحمل عبء الدعوة وهو ينقل خطاه صاعداً فوق الجبال أو هابطاً منها ، تصورته حيناً كنت أنظر لما حولى من السيارة التي تنهب في الأرض نهبا إلى الطائف .

نعم تصورته عليه الصلاة والسلام وحيداً يقطع هذه المسافة تحت ثقلين من تعب النفس وتعب الجسم . إذا رأيت عربياً يسير هنالك في بطن الجبل يعار ويهبط ، قلت : ألم يكن الرسول تضمه الجبال كهذا الرجل ؟ كان يسير في الشمس المحرقة وفي ظلمات الليل البهيم ، لا يؤنسه شيء إلا تفكيره في ربه واتصاله بخالقه وحارسه . من كان يظن حين يراه

أنه يحمل أمانة ربه ١٤ ومن كان يظن حين ينظر إليه أن ينظر إلى المثل الأعلى الإنسانية إلى الرجل الذي اختاره الله ليلبغ رسالة السماء وليكون خاتم الأنبياء ١٤ من كان يظن حين ينظر إلى هذا الرجل العربي — كأي عربي تضمه هذه الجبال — أنه ينظر إلى الرجل الذي سيهز العالم بأسره وأن لفظ الخلود سيقترن بمبادئه واسمه ٤ من كان يفكر عن رآه أن هذا الرجل سيجذب الملايين إليه وإلى دعوته، وأن هذه الملايين من خارج الجزيرة ستؤمن به قائداً ومنقذاً وشفيعاً ١٤ من كان يفكر أن هذا الرجل العربي الذي يسير وحيداً في فيافي الجزيرة القاحلة سيحيي مواتها ويجعلها مهوى الأفئدة في جميع أنحاء العالم، ويجعل لغتها التي تحاصرها الجبال فلا تخرج إلى ما وراءها — لغة عالمية خالدة تنعصب لها دول وشعوب، وتطرق المجامع الدولية، وتبعثها موجات الأنير من كل ناحية، وتصبح بفضلها لغة شعوب ولسان حضارات ١٤ نعم من كان يظن حين ينظر إلى هذا الذي يسير منقلاً بالهموم أنه سيفعل كل هذا ١٤ كانت هذه خواطر مرت بي سريعاً سرعة السيارة التي أركبها، وقلت لا أشك في أن كل من رآه مر عليه كأي عربي يمر عليه بالليل والنهار؛ ولم يكن يعلم أية نفس يحمل هذا الرجل، ولا أية رسالة يؤديها ١١.

قطع الرسول ﷺ هذه المسافة الطويلة المتعبة، ولا شك أن الأمل كان يدفعه في كل خطوة من خطواته، الأمل في أفق جديد لدعوته، ولا شك كذلك أنه كان مع هذا الأمل شيء غير قليل من الخوف، الخوف من الفشل؛ كان الرسول يؤمل أن تتضمن إليه ثقيف وتصدر دعوته ضد أعدائه وأعدائها بعد أن عز عليه النصير فيهم، ولكن هذا الأمل كثيراً ما كان يخفى أمام عوامل القلق والخوف من إعراضهم وصدودهم، وهذه حالة لم تمر بحياة الرسول قبل ذلك ولا بعده، فقد كان يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج، ولكنه لم يتكلف سفراً كهذا السفر، ولم يلجأ مع ذلك إلى أعداء قريش كالجأ هذه المرة، وقد سافر بعد ذلك إلى المدينة، ولكنه لم يخرج إليها إلا بعد أن اطمأن إلى مركزه فيها وأرسل طلابه يعلمون أهلها الإسلام فسكانوا محل الرعاية والعناية، ومكث مدة تسكونت فيها جماعة إسلامية تفوق أصحابه بمكة، فلم يكن إذن حين سافر للمدينة محل خوف أو قلق من المصير المجهول، ولكنه كان مطمئناً إليها عازماً على الإقامة فيها.

وأقبل الرسول عليه الصلاة والسلام على الطائف د وعبد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم وهم إخوة ثلاثة، ^(١) أقبل عليهم الرسول ونفسه متجهة إلى الله أن

يهديهم سواء السبيل ويهدي بهم من وراءهم من قومهم ، ولكن قلوبهم كانت مغلفة ، ونفوسهم كانت متكبرة ، حتى ليقول له أحدهم في سخريه واستهزاء ، وكأنا عز عليه وهو السيد الكبير أن يرى هذا القرشي اليتيم رسولا من الله يدعو إلى هذا الأمر العظيم فيقول له : « أما وجد الله أحدا يرسله غيرك » ^(١) ، كأننا ظن أن الرسالة تتبع الجاه والمال ، فاهما أنها ملك وسلطان ، وقد جهل المغرور أن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وكانت هذه نعمة سائدة في الناس حينئذ حكاهما القرآن ورد عليها حين قال ، وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ! ! ! هم يقسمون رحمة ربك ١٩ ، وكان هذا الرد من الثقي الكبير الذي يحمل كل معاني الاستخفاف والاستعلاء صدمة لآمال الرسول عليه الصلاة والسلام في القوم ، وصدق الله العظيم ، إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، وكانت نذيجة مريرة على نفسه العظيمة ، فقد قطع الآمال الطويلة والأمل يحذوه ، ومن ورائه قريش لا بد أنها سترقب في لهفة أمر هذه الرحلة بعد أن تعلم بها وتتوق إلى فشلها ، حتى أشمت كما تحلو لها الشمانية ، وتزداد في عتوها . والرسول عليه الصلاة والسلام يحس كل هذا ويقدره حتى لنجدده يقول لمؤلاة الثلاثة المتكبرين من ثقيف بعد أن يئس منهم : « إذ فعلتم ما فعلتم فاكنتموا عني ، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباغ قومه عنه فيذئروهم ، يجرئهم ، عليه ، » ^(٢) .

إن الرسول قد لقي إعراضا وصدودا من كثيرين قبل ذلك ، ولكنه ما كان يحسب لأي إعراض سابق ما حسبه لهذا الإعراض ؛ كان يدعو الناس في موسم الحج ووراءه الصادون عن دعوته ينفرون الناس منه ، وما كان يقيم لهم وزنا ولا حسابا ، أما هذه المرة فتختلف ظروفها وأوضاعها ، لقد ترك مكة حزينا لفقد النصيرين واشتداد الإيذاء عليه ، وسافر طويلا إلى أعداء قريش والتجأ إليهم لعالمهم ينضمون إليه ويدخلون في دينه ، ولكنهم لم يستجيبوا فإذا تفعل قريش إذن ؟ وما مبلغ فرحها وشماتها ؟ لأنهم لا شك سيشتدون ، وسيزدادون عليه جرأة ، ومن هنا كان حزن الرسول وخوفه من إذاعة الخبر .

كل المصائب قد تمر على الفتي وتهون غير شماتة الأعداء

عبد المنعم النمر

مبعوث الأزهر وأستاذ النفسير بدار التوحيد بالطائف

الحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

خلق الله سبحانه النوع الإنسانى لمهارة الأرض وإصلاح الكون ، وركب فيهم عقولا وجعلها مناط التكليف ، وخلق فى الإنسان غير القوة العقلية القوة الشهوانية والقوة الغضبية وغيرهما من الغرائز النفسية التى تضعف سلطان العقل وتقلل من شأنه ، بل تتغلب وتتنصر عليه فى بعض الأحيان ، ومهما سما العقل واكتمل فما هو بمستطيع أن يهتدى المرء إلى جميع ما يحتاج إليه فى تحصيل السعادة الدنيوية فضلا عن الآخروية ، لقصوره عن إدراك هذه المنزلة ، فكان لابد للعقل من هاد يكمل هدايته ، ويرسم له الطريقة المثلى فى الحصول على الكمال الدينى والدنيوى ، وكان هؤلاء الهداة رسلا مبشرين ومنذرين يصطفيهم الله بمن زكت فطرتهم وكملت عقولهم ويفيض عليهم من أنواع وحيه ما يشاء ، فيأخذون بزمام العقل ويدلونه على المنهج الواضح والصرائط المستقيم ، وهؤلاء الرسل يستمدون هدايتهم من المشرع الأعظم ، وهو الله سبحانه وتعالى العليم بما كان وما يكون ، الخبير بالنفس البشرية وغرائزها وطبائعها ، الحكيم فى كل شئونه وأصرفاته ، المنزه عن العبث واللغو والهوى والشهوة ، فلذلك كان تشريع الله عادلا كل العدل صادقا غاية الصدق ، لا يطرُق ساحته خلل أو نقض أو إبطال ، وصدق الله حيث يقول : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » ، وهذا فرق ما بين شرع الله وقوانين الإنسان .

وقد اقتضت حكمة الله أن تكون رسالات الأنبياء السابقين محدودة بالزمان والمكان ، فجاءت شرائعهم ملائمة لزمان خاص ، وليئة خاصة . فلما بلغت البشرية كما لها العقل وسن الرشد وجأت إلى الله تطلب الغوث مما حاق بها من صنوف الفساد فى الحياة الدنيوية والخلقية والاجتماعية ، اقتضت رحمة الله أن يرسل خاتم النبيين وسيد البشر محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشريعة هى خاتمة الشرائع ، فجاءت على أتم وأكمل ما تكون شريعة فى الوفاء بحاجات البشر لتحصيل السعادة الدنيوية والدنيوية .

وجعل هذه الشريعة هى المهيمنة على الشرائع السماوية السابقة فما وافقها فهو الحق

وما خالفها فهو مما تزيده المتزيدون ؛ قال سبحانه د أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومبيناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، . والشريعة الإسلامية هي الشريعة العامة للبشر كافة الباقية على وجه الدهر إلى أن يرث الله الأرض وما عليها ؛ وصدق الله حيث يقول د وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، د وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ، . وفي الحديث الذي رواه البخاري د وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة ، . وهي التشريع الذي ارتضاه الله لإصلاح الكون ، والحكم بها بين الناس واجب محتم ، وهذا قول الله لنبيه محمد ﷺ د وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، ؛ وقد شدد الله التنكير على من لم يحكم بما أنزل الله ووصفه بأشنع الصفات وأعظمها إثمًا فقال د ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، وفي آية ثانية د ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، وفي آية ثالثة د ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ، ^(١) ، والآية الأولى - وكذا الثانية والثالثة عند من يحمل الظلم والفسق على أعلى أنواعهما - محمولة على من فعل ذلك مستحلاً له طيبة به نفسه راضياً به قلبه فهو الكافر ولا محالة وهو الظالم ، لانه وضع الأمور في غير موضعها ، وهو الفاسق لانه فسق عن أمر ربه وتمرد على شرع الله وخرج بعمله من حظيرة الدين الحق إلى مباءة الهوى والباطل .

روى ابن جرير عن علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى د ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، قال : من جحد ما أنزل الله فقد كفر ، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق ، وروى مثل ذلك عن عكرمة .

وهذه الآيات وإن ذكرت في القرآن الكريم في سياق الكلام عن التوراة والإنجيل والحكم بما أنزل الله فيهما ، والرد على من لا يرتضون حكم الله من اليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويشترون بآيات الله ثمناً قليلاً من الرشا وابتغاء الجاه ورضا الناس ^(٢)

[١] الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ من سورة المائدة .

[٢] ذكر الرواة أن السبب في نزول الآيات ما حدث من أن يهودياً ويهودية دنيا وكانا محصنين وكان حكم التوراة الرجم ولكنهما كانا شريفيين فلم يقيموا عليهم الحد ، وقد احتكم اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاجهم وبين لهم أن حكم الله الرجم ، فلم يحدوا بدأ من النزول على رأيه . وقبل إن السبب ما كان بين بني قريظة والنضير من عدم التساوى في القتل وإعراضهم عن حكم الله إلى اتباع الهوى والشهوة .

إلا أن حكمها عام ، إذ لفظها عام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وإلى القول بعموم الآيات وأنها ليست خاصة بأهل الكتاب ذهب كثير من السلف ؛ روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنها عامة في اليهود وغيرهم ، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال : « نعم القوم أنتم ، ما كان من حلولهم لكم ، وما كان من مر فؤ لاهل الكتاب ، وكأن ابن عباس يرى أن حكم الآيات يشمل المسلمين ويرد على من يقول إنها في أهل الكتاب خاصة (١) .

وروى الحاكم وصححه وعبد الرزاق وابن جرير عن حذيفة رضى الله عنه أن الآيات الثلاث ذكرت عنده ، فقال رجل : إن هذا في بني إسرائيل خاصة ، فقال حذيفة : نعم الاخوة لكم بنو إسرائيل ، إن كان لكم كل حلوه ولهم كل مره ، والله لتساكن طريقهم حذو النمل بالنمل ، (٢) وأخرج عبد بن حميد عن حكيم بن جبير أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى : « ومن لم يحكم ... ومن لم يحكم ... » قال : فقلت إنها نزلت على بني إسرائيل ، ولم تنزل علينا ، قال : اقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال : « لا بل نزلت علينا ، ولعل مراده بنزولها على بني إسرائيل أنها نزلت في شأنهم .

وكان الشعبي يرى تفريق الآيات على حسب الطوائف الثلاث ، روى ابن جرير عن الشعبي في قوله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، قال هذا في المسلمين » ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، قال هذا في اليهود » ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ، قال هذا في النصارى .

نعم روى عن بعض السلف أن الآيات في أهل الكتاب وليس شيء منها في أهل الإسلام ، ولعل مراد هؤلاء أنها نزلت في شأنهم وقصتهم ، لا أن حكمها ليس عاما شاملا ، فإن من عمل من المسلمين بمثل عملهم فقد استحق أن يوصف بمثل ما وصفوا به ، بل المسلمون إن عدلوا عن الحكم بما أنزل الله فهم أحق بهذه الأوصاف من أهل الكتاب ، لأن شريعتهم وافية باقية ، وأدلة الأحكام عندهم متوافرة ، فليس لهم عذر في الحكم بغير شرع الله وقد جعل الله سبحانه وتعالى الحكم بغير ما أنزل الله جاهلية جهلاء وضلالة همياء فقال في شأن اليهود الذين لا يرتضون حكم الله « أخذك الجاهلية يبخون ، ومن أحسن من الله

(١) تفسير المنار جزء ٦ ص ٤٠٣

(٢) تفسير الألوسى جزء ٦ ط . منير

حكما لقوم يوقنون ، ^(١) وصدق الله فلا أحد أصدق ولا أعدل من الله حكما عند ذوى اليقين والتفكير . وللشيخ العلامة ابن كثير فى تفسير هذه الآية كلام حسن أحببت نقله ههنا أن يكون فيه وازع وعظة قال : ينكر تعالى على من خرج من حكم الله المشتعل على كل خير الناهى عن كل شر وعدل الى سواد من الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجمالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم وكما يحكم بها التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملوكهم د جنسكز خان ، الذى وضع لهم د الياسق ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية ، وفيها كثير من الأحكام من مجرد نظره وهواه ، فصارت فى بذه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ^(٢) .

فالحكم بما أنزل الله والدعوة إليه أمانة فى عنق كل مسلم وسيأسأله الله عنها يوم القيامة ، وعلى كل مسلم أن يحجر به ويطالب أولى الأمر بالعمل على تنفيذه ، وذلك عن طريق الحجة والإقناع وإثبات أن خير الشرائع لحكم الناس وصلاح الأحوال هو الإسلام الذى ارتضاه الله للناس كافة والذى أقام دولة الإسلام الأولى التى كانتى ولا تزال مضرب الأمثال فى العدل والترحام والأمن والسلام .

وإذا كان الله سبحانه قبيض لهذه الأمة من أبنائها الأحرار الغيورين على مصالحها من رفع عنها نير الظلم والاستبدال ، وأراد تحريرها من أى سلطان أجنبي عنها سواء أكان فى السياسة أم فى الثقافة والتشريع والأخلاق ، فن حقنا عليهم أن نرغب اليهم فى أن تكون القوانين التى تحكم بها تتفق هى وأمة إسلامية لها الصدارة بين الدول الإسلامية .

ولقد قدر لى أن أكون مبعوث الأزهر للتدريس ببلد الله الحرام ، وقد هيا لى ذلك الالتقاء بكثير من رجالات الإسلام فكانوا يأخذون على مصر أنها لا تهتدى بهدى الإسلام فى كثير من شؤونها ، ويستكثرون على مصر بلد الأزهر العتيق ومنارة العلم والإسلام

(١) الآية ٥٠ من سورة المائدة .

(٢) تفسير ابن كثير جزء ثالث ص ١٧٤ ط المنار .

أن يكون فيها كل هذا اللهو والفجور والمظالم والمخازى التى يندى لها جبين الانسانية الفاضلة ونحن الآن على مفترق الطرق ، فإما إلى طريق يحفظ لمصر مكائنها بين أربعمائة مليون مسلم ينظرون إليها كما ينظر الطير إلى اللحم ويحسون عليها كل كبيرة وصغيرة ، والطريق إلى ذلك سهلة قريبة لمن يتناول الامور بجدة وعزم ، وإما إلى طريق أخرى تضيق علينا ما كسبناه فى مئات السنين ، وهذا ما لا نحب ولا نرضاه .

نحن لا نريد قوانين تحمى الإلحاد والإباحية والريذيلة وما إلى ذلك من عوامل الهدم والفناء للأمم ، وإنما نريد تشريعاً يدعو إلى الإيمان والحق والعدل والفضيلة ، ويقرر القيم الاخلاقية العالية ، ويظهر المجتمع من أمراضه وأدوائه ، ويحيط الأعراض والدماء والاموال والعقول بنسيج من الحفظ والرعاية ، نريد تشريعاً يقضى على الشفاعات السيئة والآثرة والرشوة والكسب الحرام والظلم واستغلال النفوذ والسلطان ، ويهدف إلى تحقيق العدل فى كل شأن من شؤوننا ، نريد حكماً يقوم على الشورى الحقة التى نوه بها القرآن الكريم منذ قرابة أربعة عشر قرناً ، وأثنى على المتمسكين بها فى قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » ، وأمر الله بها رسوله فى قوله « وشاورهم فى الامر » .

وكل هذه الاصول الفاضلة لن نجد لها مثمثلة بأجلى صورها إلا فى شرعة الإسلام الحقة ، وبحسبنا قول رسول الرحمة وهادى الامة « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
وفقنا الله جميعاً الى ما فيه إقامة الحق والعدل .

محمد محمد أبو شربة
المدرس بكلية أصول الدين

أمر الله والقائمون عليه

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « لا يقيم أمر الله إلا رجل لا يضارع ، ولا يصانع ، ولا يتبع المطامع . ولا يقيم أمر الله إلا رجل لا ينقص غربه ، ولا يكظم فى الحق على حزبه » .

الحاكم في الإسلام

كانت الحكومة في صدر الإسلام لمحمد ﷺ ، وكان المؤمنون يخضعون له عن رضى وإذعان ، وانقياد وقبول ، فهو الذى يتقاضى بين المتخاصمين ، ويؤلف بين المتنافرين ، ويقرب بين المتباعدين ، ويقيم الحدود ، وينفذ الأحكام ، والأمر كله له دون منازعة أو خلاف . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ، وعلى الرغم من أنه كان أميناً على الوحي ، منفذاً لكلمة الله فيما ينزل به جبريل ، لم يكن فيه استبداد الرؤساء ، ولا كبرياء المصلطين ، ولا زهو الحكام ، إنما كان يضع نصب عينيه فى كل حالاته أن مهمته الإنقاذ من التردى ، والانتشال من التورط ، والهداية إلى الصواب ، والإرشاد إلى ما يجب أن يكون ، وأنها رسالة ألقىت مسئوليتها على عاتقه من الله الذى له ملك السموات والأرض ، وحين يمثل تسليفه إياه ، ويستجيب لإلزامه له . بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، لا يجد نفسه بحاجة إلى الامتنان عليهم ، لتأخذه العنجية ، ويهزه الصلف ، لأنه أسدى معروفًا ، وقدم غنما يحصلون فائدته ، ويحزون ثمرته : . ولأنك لعلى خلق عظيم . لهذا فإن أول ما أدرك العرب من معانى الشورى كان بما رأوه من النبي الكريم ، الذى لم يكن يأبى أن يعرض المسألة على أصحابه يناقشونه غير متبرم بمناقشتهم ، أو حاقر لجدهم . وقد حصل فى بدء استعداده لملاقاة المشركين ببدر أن نزل بعيداً عن البئر المسماة بهذا الاسم ، وقال له أحدهم : أهو وحى نزل عليك ، أم رأى رأيته ؟ فقال : بل هو رأى ، فقال : لنزل على الماء لئلا يحول العدو بيننا وبينه ، وبذلك تضعف شركتنا ، وتفتر همتنا ، وتلحق بنا الهزيمة والانكسار ، ولم يسمع صلوات الله عليه إلا أن يقول لصاحب هذا رأى : نعم ما رأيت ! .

وهكذا كان ييادهم المشورة ، ويظهر من التبسط بهم ، وخفض الجناح لهم ، ما يدل على أن شأنه شأن الأب الحانى على ولده ، والراعى الشفيق برعيته ، وصدق الله العظيم .
د حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم .

والامر الختم من الكتاب العزيز أن نطيعه ، وأن نطيع من بعده أولى الامر منا ،
والتصريح في الآية الشريفة بأولى الامر ، منكم ، دليل على أن قيام الحاكم في الامة يقود
زمامها ، ويتحمل أعباءها ، ويرد عدوان القسوى ، وظلم المتعسف ، وطمع الجائر ،
من الواجب على أهل الرشد ، وأصحاب الحصافة .

ولذلك لم يلبث المسلمون أن انتخبوا أبا بكر رضى الله عنه ، ووسدوا إليه زمام
السلطان بعد أن ارتفع الصادق الأمين إلى الرفيق الأعلى ، وهناك قضى على الفتنة ، وحارب
المرتدين ، ونشر أولوية الأمن ، وجاء في إثره عمر بن الخطاب فنهج نهجه ، واهتدى بسيرته ،
وتتابع الخلفاء والولاة بعدهما ، ونظموا الملك ، ودونوا الدواوين ، ووزعوا الاختصاصات
بين الموظفين ، فقام كل منهم بما عهد إليه ، وانصرف إلى مصلحة الرعية في حدود استطاعته .
فوجود الحاكم للشعب ، وتمسكه مقاليد الامور في الامة فضلا عن كونه من ضرورات
ال عمران ، وحاجة الاستقرار ، ولوازم النظام السياسية يوجبها الدين لأنه يهتم بالإصلاح
ويعنى بالسكينة ، ويرعى الحقوق ، ويكره النزاع والخصومة ، ويرغب إلى الناس أن يلتزموا
حدودهم ، وينصرفوا إلى البر والمعروف ، وال عمران والتقدم ، وهذه أشياء لا تتم من غير
راع يكلؤها ، وسلطان يجرسها ، وقوة حازمة تصونها ، وعقل كبير يدبر شؤونها ، ويصرف
أمورها . ولا بد أن يكون من هؤلاء الذين يحبون العدل ، ويؤثرون الإنصاف ، ويميلون
إلى إيصال الحقوق إلى أربابها ، وأن يعطى من سيرته وسلوكه ، وأخلاقه وآدابه ، وزهده
وورعه ، وتدينه وتقواه ، ورأيه وكياسته ، وعلمه وفضله ، واعتدال ميزانه في تقدير الأشياء
وحل المشاكل ، وفهم المعضلات ، ما يجعل الناس يلتفتون حوله ، ويبالغون في الولاء له ،
والتمسك به ، والعطف عليه ، ليعيش في دنيا من قلوبهم ، وملك من أفئدتهم ، ويؤازروه
في المحن ، ويواسوه في الشدائد .

وكذلك كان المسلمون مع الملوك والرؤساء في مختلف العصور والأزمنة ، يجعلون طاعتهم
من الدين ، والرضا بأحكامهم من أوجب الواجبات . غير أنه ، لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق ، كما يقول صاحب الشريعة المطهرة هداانا الله بهديه .

ولذلك رسم القرآن الدستور الذى يحكمون به ، والقانون الذى يسرون على ضوئه ،
ويعملون بمقتضاه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، ومن أجل ذلك
كانوا يلاحظونه ، ويتبعون هديه ، ويسترشدون به في كل عمل يعملونه ، أو أمر يقدهون

عليه ، بل كانوا أسبق من العامة إلى الاختلاف إلى المساجد ، وحضور الجماعات ، وقد حدث - في الأندلس - أن شغل الخليفة الناصر عند بنائه مدينة الزهراء ففاته صلاة الجمعة ، ثم انتهى إليه أن الإمام المنذر بن سعيد خطب على المنبر وجاء في خطبته الاستشهاد بقوله تعالى « أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، ، فلما بلغته الخطبة علم أنه المقصود فبكى واستغفر ولم ينقطع عن الجمعة والجماعات إلى أن مات .

وليست ولاية المسلمين ، وتملك زمام أمورهم بالشئ الهين عند الله سبحانه ، لأنه تسكليف قبل أن يكون تشريفا ، ولا يدرك معنى هذا التسكليف إلا من يتصور موقف « الخليفة الثاني ، في السياسة والحكم ، والسلطان والرعاية ، والعناية والإصلاح .. وكيف أنه كان يبذل جهده وتفكيره ، وراحته ونومه ، ليوفر السعادة للأمة ، والرخاء للناس ، والطمأنينة للشعب ، غير مدخر من وقته وعافيته ، ورأيه وتدبيره ، بما يسمح لنقد الناقد ، ولوم اللائم .

ومع ذلك قال عند موته لمن أشار عليه أن يجعل الخلافة بعده لابنه عبد الله : حسب آل الخطاب أن يحاسب الله واحداً منهم عن هذه الأمة يوم القيامة ١ . وما أظن وراء هذا كله من العدل والإنصاف ، والسهر على المصلحة ، والتفاني في خير الناس ، والدأب على إرضاء مطالبهم ، وإشباع رغباتهم ، وتوفير الأمن والسلامة لهم ، غير أنه الورع والتقوى والمبالغة في مراقبة العزيز الجبار الذي لا يأمن مكره إلا الكافر ، ولا ينسى رهبة عذابه إلا الجاحد ...

ولعل المنتقيع لسيرة هذا الرجل - بالذات - يعرف إلى أى مدى كان يرسم بتاريخه السياسة والملك ، والحكومة والسلطان ، والتدبير والرأى ، حتى لا تجعل الولاة والقضاة ، والأمراء والخلفاء ، تلك المراكز سبيلا إلى المغامرات السافلة ، والمطامع الدنيئة ، والشهوات المردولة ... لأنهم مسئولون أمام الله عن الفقر الذي يصيب المعوزين ، والمرضى الذي تعمل معاوله في أجسام المرضى ، والجهل الذي ينشر الجرائم ، ويشيع الفساد ، ويغري بالفوضى .. والواحد منهم مؤاخذه يوم العرض على رب العالمين بحساب هو من أشق ما يكون ، « ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

ابراهيم علي أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

الفرض العلمى

— ١ —

إذا تأملنا فى تاريخ الحركة الفكرية ، وعلى الأخص فى القرون الحديثة ، نجد أن لكل قرن - على وجه التقريب - ميزة خاصة به تميزه عما عداه من القرون . فإذا أمكن القول بأن القرن السابع عشر هو قرن التكوين العلمى الصحيح فى الغرب ، إذ كان للعقل فى حركاته العلمية نصيب كبير ؛ يمكن القول إن القرن الثامن عشر - على العكس من ذلك - يقيد ، بقدر غير قليل ، حرية العقل من الميدان العلمى .

ولقد كان للفرض العلمى نصيب كبير فى نظريات المنهج والمنطق فى القرن السابع عشر ، بعكس ما كان له من قيمة محدودة فى القرن الثامن عشر ، فلم يكن يرجع إليه إلا فى أحوال اضطرارية . وسنستعرض هنا آراء عالمين مبرزين هما ديكارت فى القرن السابع عشر ونيوتن فى القرن الثامن عشر ، ثم نذكر حالة الفرض العلمى فى القرن التاسع عشر ، على أن نفلح فى إعطاء القارى فكرة عن الفرض .

تعطى الفلاسفة الديكارتيه للعقل كامل الحرية فى البحث والاستنتاج فى ميدان ما وراء الطبيعة ، وهى حين تعرج إلى البحث فى مجال الطبيعة لا تضعف هذه الحرية وإن حددت اتجاهاتها ومرماها . وأبو الفلسفة الحديثة يؤمن - بصفة عامة - بنوع واحد من الفروض هى الفروض الاستنتاجية ، فإن المتأمل للجزء السادس من كتابه « مقال عن المنهج »^(١) ، يرى أنه بعد أن أوضح قوانين الحركة وطبيعتها التى تكون من الامتداد المتجانس أجزاء العالم المختلفة ، رأى أنه بين الحركات العامة الآلية أو الميكانيكية الخاصة بالاجسام المختلفة توجد مرحلة لا يمكن للاستدلال العقلى المحض أن يجتازها ، فلا بد من إجراء تجارب مختلفة للتحقق من أن تطبيقاً معيناً لقانون عام ألزم أو أنجح من تطبيق غيره . ولكن العقل قبل أن يصل إلى هذه المرحلة التجريبية يفرض التطبيقات الممكنة نظرياً للمبادئ العامة

(١) نقله إلى العربية الأستاذ محمود الحضرى ، ونشرته المطبعة السلفية .

وبختار بينها قبل أن يحاول تحقيق إحداها ، هذا الفرض الاول فرض استنتاجى لأن الظواهر تستنتج منه . هذا ملخص رأى ديكارت فى « المقال عن المنهج » ، يصعب على القارىء أن يستخلص منه رأى ديكارت الحقيقى فى الفرض ، فمن الجائز أن يكون قد اعتبره فى الطريق إلى القانون العلى ، ومن الجائز ألا يُعتبر قانون على بآى معنى من المعانى .

غير أننا إذا قلبنا كتابا آخر من كتبه ويسمى « مبادئ الفلسفة » وجدناه يقول : « إن المعرفة الفرضية لعل الطبيعة كافية كما لو كانت هناك معرفة صحيحة بهذه العلل ، إذ أن الطب والميكانيكا وغيرهما من الفنون التى تستخدم قوانين الطبيعة لا تعمل إلا على تطبيق بعض أجسام محسوسة على البعض الآخر ، ونصل من هذا إلى نتائج محسوسة أيضاً ، ثم يستطرد قائلاً : وهو ما سنفعله لو درسنا ما ينتج عن علل تخيلناها ، ولو أنها خاطئة ، كما لو كانت صحيحة ، وذلك لأن النتائج تتشابه لو نظرنا إلى الآثار الحسية . » وموقف ديكارت هنا ، موقف من تأكد من قوانين الحركة بأنها قوانين مطلقة للعالم ، ولكنه حين انتقل من المجال العام إلى المجال الخاص لم يرجع للنجربة فقط بل إلى القول إن الطريقة التى تسير عليها الطبيعة لا يمكن معرفتها ، إذ لا يمكن معرفة أى طريقة اختارها الله فى هذا المجال .

هذا هو رأى ديكارت فى الفرض .

أما نيوتن فإنه يبدو لأول وهلة معارضاً لملك الحرية الفكرية التى نادى بها ديكارت وللفروض على اختلاف أشكالها ، فهو يقول « الفروض لا تخرج » .

وعلى كل فليس عنده ما يدعو إلى الإيمان بضرورة الفروض أو إلى الاقتناع بموقف فرضى لا يتحول إلى قانون طبيعى . وموقفه هذا ناتج عن طريقته فى الكشف عن التفسير الصحيح للطبيعة وخاصة فى الكشف عن مبدأ الجاذبية للعام . فهو بعد أن تأمل حركة التفاحة الساقطة وفحصها بعقله ، انتقل من هذه الظاهرة الخاصة إلى ظاهرة الجاذبية ، وفرض أن هذه الجاذبية تشابه تماماً حركة القمر بالنسبة إلى الأرض ، وأنه فى اللحظة التى يصل فيها العقل إلى القانون الحسابى الجبرى لهذه الجاذبية فإنه يكون قد اقترب جداً من كشف قانون عام فى الطبيعة له على الأقل عمومية قوانين ديكارت . فنيوتن يفرض أن الأجسام يجذب بعضها بعضاً كما تجذب الأرض القمر ، ثم يتوصل - بعد تحليل تجربى ورياضى كامل

لظواهر النظام الشمسى - إلى أن القانون الحسابى المذكور يسمح بتفسير كل حركات أجسام هذا النظام ، وفى هذه اللحظة ، أى بعد التحليل ، يصبح الفرض قانونا طبيعيا صحيحا .

ولكن من الواجب أن نعرف أن نيوتن يتجه فى بحثه نحو القانون الطبيعى لثقلته الكاملة فى الآلة الرياضية التى يستخدمها وهى آلة حساب اللانهايات ، ولثقلته التامة فى الآلات التى يعرف بها الطبيعة الظاهرة ويستنتج الخفية ، وأن الفرض الذى دعمته التجارب المختلفة وعبرت عنه العمليات الرياضية الدقيقة لم يعد فرضا بل أصبح قانون الله للطبيعة فهو إذن لا يهدف الفروض الاستنتاجية من العلم بل يقبلها ، بشرط أن تقترب من الظواهر المختلفة للطبيعة ، وبشرط ألا يكون للفرض وجود فى ذهن عالم الطبيعة لأنه لا يفرض بل يثبت ويبرهن فقط .

ولقد بدا أثر نيوتن فيمن جاء بعده ، فأوغست كونت (فى أوائل القرن التاسع عشر) يفتقد الحركة الفرضية للعقل ولا يسلم إلا بما تقرره الملاحظة والتجربة ... ولكن من ناحية أخرى نرى جون هرشل Herschel يبحث العلماء على ألا يوقفوا فروضهم على عتبة الباب بل يتجاوزوا ذلك ويذهبوا إلى تفسير داخلية الأجسام وتركيبها العنصرى . وهذا لازم فى رأيه ، فهناك من الظواهر ما هو خفى على الحس ، ولا يمكن تفسيره ما لم نحاول أن نخمن ما وراء الحس ، فالفرض التخمينى متضمن فى حركة العقل الاستقرائية ، فالبحت عن عناصر الأجسام وعن مكوناتها موجه إلى التكوين الداخلى للمادة عامة لا إلى طائفة خاصة من الأجسام .

(٢) وبعد ، فما هى الفروض ؟ الفرض من ناحية ماهيته هو الفكرة التى يرى المرء قبل دخوله فى مشكلة عقلية أنها ما يحتتمل أن تكون هى الحل أو النتيجة ، أو هو الشيء الذى نفكر فيه ونظن أنه الحسل الذى يصح أن يكون ، فنعمل على تحقيقه بإثبات صحته أو بطلانه ، وفرض الفروض - كما يقول العلامة ميل - يبعث على الملاحظة وعمل التجارب وهو شيء ضرورى فى تقدم العلوم ، بل يمكن القول إنه ما من مسألة عقلية أو مشكلة علمية إلا ولها نصيب من الفرض .

وهناك مفهومات مختلفة لكلمة الفرض : فهناك الفرض الرياضى . ونجده عند أقليدس منذ القدم ، وقد استعمله أفلاطون فى محاورته Menon ، وفيها يقول (عند ما رأى نفسه

أمام مسألة هويصة من مسائل الهندسة ، لم يستطع حلها بطريق الاستنتاج المباشر) : « لرجع إلى فرض ، أو لنبحث فرضيا هذه المسألة ، . ويعرف أرسطو الفروض بأنها « المبادئ التى تبني عليها قضية ما ، . فلوحاولنا مثلاً أن نبرهن على تساوى زوايا المثلث المتساوى الاضلاع رجعتنا - حتماً - فى برهاننا إلى تساوى الاضلاع كشيء مفروض مقبول نحاول أن نتجه منه إلى شيء مطلوب ... فهناك إذن معنيان رياضيان للفرض : فرض بمعنى قضية صحيحة هى مبدأ البرهان ، وفرض بمعنى قضية لم نقطع بصحتها بل نسلم بها مؤقتاً دون برهان ثم نحاول باستخلاص نتائجها البرهنة على صحتها .

وهناك أيضاً الفروض الطبيعية ، وهى إما استنتاجية وإما تكوينية ، فالاستنتاجية هى التى إذا سلمنا بها ، سلمنا كذلك وبمقتضاها ، بالظواهر المشاهدة فى مجال معين ، والفروض الاستنتاجية إما أن تكون فروضاً لا يجزم بصحتها ولا بخطئها وهى موجودة عند ديكارت فى الكتاب الثالث من مبادئ الفلسفة فهو يقول « لكن يدرك كل شخص أنه حر فى أن يقرر ما يشاء بصدد ما كتبت ، أرجو أن يعتبر ما كتب ك مجرد فرض ، ربما كان بعيداً كل البعد عن الحقيقة ، .

ويزيد على ذلك فيقول « وإنى سأضع بعض فروض أعتقد أنها كاذبة ولكن كذبها لم يمنع من أن تكون نتائجها صادقة ، وإما أن تكون فروضاً موجزة أو ملخصة وتوجد عند إرنست ماخ ودوهيم ، والفرض هنا عبارة عن تلخيص الظواهر الملاحظة ملاحظة جيدة ، كما أن وظيفة النظرية العلمية منحصرة فى إيجاز القوانين المسلم بها فى العلم وجمعها فى عبارة بسيطة ، وإما أن تكون فروضاً مفسرة وهى التى توجد عند نيوتن ، وهى فروض توضع لكى تصبح قانوناً علمياً .

أما النوع الثانى من الفروض الطبيعية فهى الظروف التكوينية وهى التى تبحث فى الأشياء وفى حقيقة الظواهر الداخلية .

(٣) بقى أن نتكلم عن شروط الفرض ، فليس كل ما يفترضه الإنسان بالفرض المقبول ، وليس كل تخمين برأى سديد ، فلايد لكى يكون الفرض علمياً يصح قبوله واستخدامه كوسيلة من وسائل التفكير ، ألا يكون خيالياً يستحيل تحقيقه ، وألا يتعارض مع الحقائق العلمية المسلم بصحتها ، وأن يكون قضية قابلة للبرهنة على صحتها أو فسادها وإلا تركنا الحبل على

الغارب للتخمينات والظنون ، كما يجب ألا يتأثر الباحث في فرضه برأى أو نظرية مرجحة لم تصل بعد إلى مرتبة القوانين ، وألا يكون متحيزاً لآراء تصدر عن أشخاص متنازعين ، فقول العلامة أديسون عن الأرواح : لو أن هناك أرواحاً تخاطب لكنت أول من يخترع آلة لمخاطبتها ، . هذا القول لا يصح اتخاذه أساساً للبحث في عالم الأرواح ولو أنه صادر عن عالم كبير .

ولكن ، يجب التمييز بين الاعتقاد الملبى الصحيح الذى وصل إليه الفكر البشرى بعد البحث والتفكير المنطقي قروناً عديدة حتى أصبح حقيقة لا تقبل الجدل ، كالاعتقاد في كروية الأرض مثلاً وغير ذلك من الحقائق التى يصح اتخاذها أساساً لفروض تفرض لحل مشكلات علمية ، وبين المعتقدات التى نشأت عن أساطير أولية تدارلها الناس جيلاً بعد جيل حتى أصبحت عند العامة فقط حقائق لا تقبل الشك .

وبعد ، فهذه آراء فى تاريخ الفرض وماهيته وشرطه . وفى المقال القادم إن شاء الله سنتكلم عن تحقيقه ومراحل هذا التحقيق .

سعيد زهير

الحياة

قال الهادى الأعظم عليه السلام : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة : إذا لم تستحى فاصنع ما شئت ، .

وقال علقمة بن علاثة للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله عظمى . فقال له صلى الله عليه وسلم : استحى من الله استحياءك من ذوى الهيبة من قومك ، .

فَضْلُ الرَّسُولِ عَلَى قَوْمِهِ

متى نعود إلى وضعنا في التاريخ ؟

« إن العرب دخلوا التاريخ من الإسلام ، .

كلمة سديدة ورشيدة ، لم يقلها مسلم أو عربي ، ولكن قالها منصف غربي :
كلمة لا يوسع المفكر إلا أن يتحسس معانيها في نفسه . وأن يدير مغزاها على نواحي
حسه ، كلما أراد أن يستشعر فضل محمد ﷺ على العرب وفضل الإسلام على المسلمين .
حقا إن الإسلام كان هو الطريق الذي دلف منه العرب إلى التاريخ ، فتبوءوا أولى
صفحاته واحتلوا مسرح الوجود قرونا ، فثلثوا فوقه الأدوار الأولى ، وتزعموا القافلة البشرية
فقدادوها من زمامها في رفق ولين إلى معارج الرقي والتقدم والمغانق المثالية الرفيعة .

كان العرب قبل الإسلام أمة أمية . ولم يكن لهم في التاريخ العالمي شأن يذكر . طوقتهم
الجغرافية بدول كبرى جبارة كالفرس والرومان والأحباش . دعتهم هذه الدول ذات البطش
والجبروت تارة برعاة الإبل ومرة بالخفاة العراة . . فها هو إلا أن بعث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم بهذا الدين الخنيف فأخذ يروضهم عليه ، ويعلمهم بتعاليمه السامية ، ويحتفر لهذا
الغيث الإلهي مجاريه ومساربه في أعماق هذه النفوس المتأبية ليبذر فيها البذرة الأولى لكلمة
طيبة ، كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، . أمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى
ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى . وحث على الوحدة في جميع أشكالها وصورها ، وحذر
من الفرقة . ومن كل ما يقرب إليها من قول أو عمل . ودعا إلى توحيد الكلمة كما دعا إلى
كلمة التوحيد تماما . وأبرز الفضائل النفسية والفكرية والعملية صورة مجلوة واضحة في إطار
من البلاغة القرآنية التي أخذت بمجاميع القلوب أخذا . وسدت على المعادين منافذ القول
سدا . أنذر ويشر ورغب وأرهب . واستعمل من وسائل الإقناع والتربية ما دلت العلوم
النفسية والتربوية الحديثة على أنه كان ضرباً من ضروب الإعجاز ، هو الذي بعث في الأميين

فسيح بمحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ، فإذا بقي بعد وفاة الرسول من نصر ومن أمر ؟ بقي شيء كثير ، فلم تكن رسالة الإسلام موضوعية ودستوره ينادى د قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً (١) ، ولم يكن لأصحاب النبي وورثته الذين رباهم تربية إسلامية سليمة أن يتركوا الجهاد لتركوا أعداء الإسلام يتربصون به الدوائر ، ويتحينون الفرص للانقضاض عليه واقتلاع جذوره من شبه الجزيرة ، فلم يكن بد من أن تندفع خيل الله كالسيل الجارف من شبه الجزيرة إلى ما والاها فتدك بسنابكها القوية عروش القياصرة والآكاسرة فيمتد ظل الإسلام من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً بسرعة لم يعهد لها نظير في التاريخ ، ويتوطد للإسلام ملكه وجلاله في عهد الدولة الأموية ، ثم تتوطد حضارته وتزدهر في عهد الدولة العباسية ، ويحدث الإسلام باسم العرب والمسلمين مدينة خدمت العلم والثقافة والفقه والقانون والفلسفة والطب والفلك والموسيقى والطبيعة والكيمياء ، ودفعت الإنسانية بكلتا يديها إلى الامام أشواطاً ، وكان منها القبس الذي قبسته أوروبا في العصور الوسطى فكان أساساً لنهضتها هاته التي تدل بها اليوم على الإسلام ناسية أنها منه مأخوذة وأنها كانت عليه في يوم من الأيام تليدة . وهكذا تفاعلت مبادئ الإسلام وتعاليمه بما طبعت عليه النفسية العربية من خصائص ومزايا فأحدث هذا التفاعل تلك المعجائب . وهكذا أثبت العرب بالإسلام وجودهم ، وكان منهم الخليفة الذي يتحدى السحاب أن ينزل في أرض لا يجي إليه خراجها ، والقائد الذي تقول له الشعراء :

وأخضت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تخلق
وصدق الله وهو يقول لئيبه عن القرآن والإسلام : وإنه لذكر لك ولقومك (٢) ..

* * *

ترى هل خرجت الامة العربية الإسلامية اليوم من التاريخ ، فهي على هامشه بعد أن كانت في صلبه ؟!

كانت هي الوسط المحمي فانتقضت منها الحوادث حتى أصبحت طرفا
فليس للعرب اليوم بين أمم الأرض خطر : يحكمون ولا يحكمون ، ويساسون

(١) سورة الاعراف الآية ١٠٨ .

(٢) سورة الاخرى الآية ٤٤ .

رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين^(١) .

استجاب لله وللرسول من استجاب . وآمن بهذا الدين من آمن . من أهل الحق والخير الذين استثار الإسلام بجماله وجلاله ما كان كامنا في نفوسهم من حمية للحق والخير والجمال . تبطنوا الإسلام قبل أن يلتحفوه ، بحبه خفقت قلوبهم لتدفع الدماء إلى عروقها نابضة بحرارة الإيمان وحرارة الحياة معا فبدمائهم وأعصابهم ومشاعرهم امتزج الإسلام فكانوا الشراة الذين باعوا أنفسهم لله . اعتنقوه ديننا ودولة . مصحفاً وسيفا . عقيدة وجهادا . رهيانا بالليل وفرسانا بالنهار . إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون^(٢) عز جانبهم بالإسلام ، وعز بهم جانب الإسلام ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحملون على الرجز والاثوان حملة تستحيل بها الجزيرة العربية قبيل وفاة الرسول إسلامية خالصة بيضاء واضحة ليلها كنهارها وينفض الرسول يده من ثلثائة وستين صنما كانت حول الكعبة يحطمها وهو يقول : د جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

لم ينس ﷺ قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى أن يخط بكفه الشريفة الخطوط الأولى في خريطة الامبراطورية العربية الإسلامية التي صيرتها فيما بعد أكف المقادير حقيقة واقعة تسامت الخلود . وتحدى الزمن وتفرض نفسها على التاريخ فرضا . فمكتب كتبه التاريخية المشهورة إلى هرقل والمقوقس وكسرى والنجاشي وغيرهم يدعوهم بدعاية الإسلام ليسلموا ، فإن تولوا فعليهم إثم غيرهم ، ثم قال - وكأنه يزيد هذه الخريطة إيضاحا - ، إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده . والذي نفسى بيده لتنفق كنوزهما في سبيل الله .

فإذا كان النصر في حياة النبي قد تم للإسلام والمسلمين في داخل الجزيرة العربية ونزل على الرسول قوله تعالى : إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفراجا

(١) الآية . من سورة الجمعة وقريب منها الآية ١٦٤ من سورة آل عمران . لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا الآية .

(٢) الآية ١١١ من سورة التوبة

ولا يسوسون ! كثرة في العدد وقلة في العدد ، تصدق فيهم نبوءة نبيهم حين قال « ستنداعى عليكم الأمم كما تتنداعى الأكلة على قصعتها ، فقال قائل : أمن قلة يا رسول الله ؟ قال : « كلا ، أنتم يومئذ كثرة ، ولكنها كثناء السيل ، ولينزعن الله مهايتكم من صدور أعدائكم ، وليلقين في قلوبكم الوهن ، ، قالوا : وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكرهية الموت ، .

فإذا كان ذلك صحيحاً فعن أى طريق خرج العرب من التاريخ ؟ إنهم خرجوا من نفس الطريق الذى دخلوا منه : الإسلام . فالإسلام قوة وعزة ، ونحن فى ضعف وذلة . الإسلام وحدة ووفاق ، ونحن فى فرقة وحزبية عمياء . الإسلام نظام ، ونحن فى فوضى ضاربة الاطواب . الإسلام عمل وجهاد ، ونحن فى نوم وكسل . الإسلام « إيثار ، جميل ، ونحن فى « أثر ، مقية . الإسلام علم ومعرفة ، ونحن فى جهل وأمية . أعرضنا عما أنزل الله ، فأعرض الله عنا ، وصدقت فينا آيته « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى «^(١) .

عبد الغنى عوصه الراجحي

بعض الجرائد

جرائد ما خط حرف بها لغير تفريق وتضليل
يحلو بها الكذب لأربابها كأنها أول لمبريل
حافظ إبراهيم

أَسْرَارُ الْإِسْلَامِ

في تعدد الزوجات

تقوم في هذه الأيام حملة شعواء على أحكام الإسلام بحجة الانتصاف للمرأة والانتصار لها . ويقود هذه الحملة قوم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، ولا يدركون منه إلا رسمه . ولقد تمادى هؤلاء القوم في عدوانهم ، ولجوا في طغيانهم ، حتى جرموا المرأة على منازلة الرجل في ميادين الجدل من غير استحياء ، ومهاجمة الشرع في شتى المواقف من غير خجل ، وهي التي كانت عن كثب تهاب الرجل وتخشاه ، وتحفظ الشرع وترعاه . ومن تلك الأحكام التي صارت غرضاً لسهام الغاوين ، وأضحى مقصداً لمرماها ، حكم تعدد الزوجات في الدين الإسلامي .

فلقد طلعت علينا بعض الصحف اليومية ذات مساء تفشر آراء طائشة ، وأفكاراً ضالة تدعو إلى وجوب تقييد الرجل بزوجة واحدة تمشياً مع حضارة العصر في نظرهم ، وتهجم على آيات الكتاب وسنة الرسول ، فتؤولها تأويلًا يمليه الهوى ، ويدبجه يراع الإلحاد ، ويفشره دعاة السوء .

ولقد رأيت من واجبي - إزاء هذه الحملة - أن أبين حكمة هذا التشريع على صفحات هذه المجلة الغراء ، عسى أن يرد الله بها النفوس السادرة ، ويرشد بها العقول الغاوية ، ويهدي بها الأفكار الخائرة . فأقول :

ثبت بداهة أن كل أمة يزيد عددها ، يرتفع - في الغالب - مجدها ، ويسطع في سماء العز نجمها ، ويرهب لدى الأمم جانبها ، وتسعد في حاضرها ومستقبلها .

وبعكس هذا أمة أصيبت بالعقم الجنسي ، فإن نجمها يأفل ، ومجدها يبيد ، وشأنها يهون وظلها يتقلص حتى تمحي من قائمة الوجود .

وإن أنجح الوسائل إلى نمو الأمم وكثرتها كثرة تورثها القوة والعز ، وتكسيها الشرف والمجد ، هو - بلا شك - تعدد الزوجات الذي أباحه القرآن ، وأرشد إلى سره نبي الإسلام حيث قال : « تناكحوا تناسلوا تكثروا » .

ومن أسرار ذلك التشريع : أن الله سبحانه وتعالى قد أجرى سنته أن يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال ، لما يقوم به الرجال من مهام الأمور : كتدبير أمور الدول وصيانتها ، وتنظيم الجيوش وإعدادها ، ومواجهة الأخطار وصدّها ، وإحباط الفتن وقمعها ، وغير ذلك من شئون الحياة التي لا يستطيعها غير الرجال ، والتي تسبب لهم الوهن والضعف ، وتسلم أجسادهم في النهاية إلى الردى والفناء .

فلو أنه حظر على الرجال تعدد النساء في هذه الأحوال ، ومن محتاجات إلى الأزواج في ضرورة السكفالة والتحصين ، لكانت فتنة في الأرض وفساد كبير .

ومن أسرار ذلك التشريع : أن المرأة غير مستعدة للنسل في كل آن ، لأنها عرضة للرض والضعف ، والكبر واليأس ، والعقم وفقد أسباب النسل .

فلو منع تعدد الزوجات لظل الرجل محروما من الولد ، معذباً بلظى الشوق إليه ، أو وقعت الزوجة في أضرار الفراق . وما ذلك شأن العدل ولا شرعة الإنصاف .

ومن تلك الأسرار : أن بعض الرجال تغلب الشهوة على طباعهم إلى حد لا يصبرون معه على ملامسة النساء ، وقد تكون الزوجة مريضة ، أو غائبة ، أو حائضاً ، أو نفساء .
فلو منع تعدد الزوجات لوقع الرجل الذي هذا حاله في الفاحشة وساء سبيله ؟ .

ومن الأسرار المهمة : أن صاحب الزوجة الواحدة إذا كان يبغيها لدمامتها أو بذاتها ، والزمناه بها دون سواها ، فإن العشرة تسوء بينهما ، والهدوء ينقلب إلى ضده ، ويصير البيت جميعاً لا راحة فيه .

ولا علاج لمثل هذه الحالة إلا بإباحة التعدد الذي يصون الحقوق والنفوس ، ويحقق الصفاء والهدوء .

بما تقدم يتضح ما في إباحة التعدد من حكم سامية ، وفوائد هامة ، يتوقف عليها نظام الحياة ، وتقتضيها ضرورات الوجود .

وقد أدرك بعض الأوروبيين تلك الأسرار وغيرها في هذا التشريع الجليل ، فنصبوا من أنفسهم دعاة لتعميمه حتى إن الكاتب الإنكليزي الكبير (برناردشو) قال في كتابه الحياة الزوجية عند الكلام على تعدد الزوجات في الدين الإسلامي :

« إن الدولة الإنكليزية تضطر حسب تقدمها المطرد إلى اتخاذ الإسلام ديناً لها قبل انقضاء القرن العشرين » .

وجاء في جريدة (لندن تروث) الإنكليزية بقلم بعض الكائنات الإنكليزيات ما ترجمته :
 « لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء ، وقل الباحثون عن أسباب ذلك ، وإذ كنت
 امرأة أراي أنظر إلى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن . وماذا عسى أن يفيدهن
 بئى وحزنى ، وتوجع وتفجعى وإن شاركنى فيه الناس جميعا ، لا فائدة إلا فى العمل بما يمنع
 تلك الحالة الرجسة . والله در نبي الإسلام ، فإنه رأى الداء ووصف الدواء السكامل للشفاء ،
 وهو الإباحة للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة ، وبهذه الوساطة يزول البلاء لا محالة ،
 وتصبح بناتنا بنات ييوت ، فالبلاء كل البلاء فى إيجاب الرجل الأوربى على الاكتفاء
 بامرأة واحدة .

أى ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا
 كلا وعالة على المجتمع الإنسانى ؟ ! فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الأولاد
 وأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون .

وإن مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار ، ألم تروا أن حال خلقها تنادى بأن عليها
 ما ليس على الرجل ، وعليه ما ليس عليها ، وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة
 بيت ، وأم أولاد شرعيين .

هذا هو رأى غير المسلمين فى بعض أحكام الإسلام ، أما أبناؤه فإنهم يدأبون
 على التقليل من شأنه ، والعمل على محاربة أحكامه بكل ما ملكوا من وسائل وأسباب .

وإن من المطاعن التى وجهوها إلى إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام قول بعضهم :
 إن الرجل الذى يجمع بين زوجتين يعتبر فى نظر المجتمع آثماً ، لأنه يخلق العداوة بين أبنائه ،
 والبغضاء بين نسائه .

وأقول : إن ما يشاهد من هذه العداوة والبغضاء لم يكن مصدره تعدد الزوجات ،
 بل مذئؤه جور الرجل على زوجاته ، وعدم عدله بين أولاده . ومن كان هذا شأنه لا يبيح
 له الإسلام من هذا التعدد شيئاً .

ويجدر بنا بعد هذا أن نذكر الدليل على جواز التعدد من كتاب الله تعالى فنقول :
 الدليل عليه قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ،
 فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا » .

نزلت هذه الآية قاضية بجواز الجمع بين الأربع من النساء ، وقد بين النبي ﷺ المراد منها حيث قال لغيلان الصحابي الذي أسلم وتحتة خمس نسوة : « أمسك عليك أربعاً وفارق واحدة » .

فدل كلام المصطفى ﷺ على أن معنى الآية . « فانكحوا مثنى ، أو ثلاثاً ، أو رباعاً ، على التخيير لا التحريم » .

وإن الله سبحانه وتعالى قد أباح الجمع بين النساء ، ولكنه لم يطلق القول بإباحته ، بل حظره على من خاف من نفسه عدم العدل بينهن ، وأمره بالاعتصار على واحدة ، مبيحاً له أن يمسك ما شاء من الإماء المملوكات . فقال جل وعلا : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أذن ألا تعولوا » .

ولما كان تمام العدل بين النساء لا يمكن لبشر أن يحققه ، وكان اشتراطه منافياً لسماحة الدين ، لما فيه من شدة الحرج ، تجاوز لنا سبحانه وتعالى عن بعض الأمور كالحبة القلبية وسائر ما لا يدخل تحت الاختيار ، وحتم علينا العدل في بعضها ، كالمليت والإتفاق والسكنى ، وسائر ما يدخل تحت الاختيار . فقال جل وعلا : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » .

أى محال أن تقدروا على تمام العدل بين الزوجات بحيث لا يقع جور ما ، ولو حرصتم على إقامة العدل وبالغتم فيه ، فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور ، فتذروها كالمعلقة التي ليست بذات بعل ولا معلقة .

وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه ويعدل فيما يدخل تحت الاختيار ، ثم يقول : « اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك » ، يعنى فرط محبته لعائشة . وبعد فهذه هى أسرار التشريع الإسلامى فى إباحة تعدد الزوجات لضرب بها فى وجوه الملاحظة الذين يحاولون النيل من سماحة هذا الدين ، والخط من شأنه .

وقد فأنهم أن الإسلام كالطود الشاخ لا تنزله العواصف ، ولا تؤثر فيه التوازل . كيف وقد أنزله الحكيم العليم ، ودعمه الرسول الأمين ١٩ .

عبد الرحيم فرغل البلينى
أستاذ بكلية الشريعة

التشريع الاسلامى

فى دراسات أعلام الغربيين وقرارات مؤتمراتهم

يقول الدكتور أنريكو أنساباتو فى كتابه (الإسلام وسياسة الخلفاء) :

إذا كان الإسلام فى شكله ثابتاً لا يتغير ، فإنه - مع ذلك - يساير مقتضى الظروف ويستطيع أن يتطور معها دون أن يتضاءل مهما مرت عليه الأزمان ، فهو لذلك يحتفظ بحيويته وبمرونته ، ولا يجوز قط أن يهدم هذا الصرح العظيم من العلوم الإسلامية ، ولأن يغفل شأنه ، أو أن تمسه يد بسوء . إنه أوجد للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً ، وانها لشرعة تفوق الشرائع الأوروبية فى كثير من التفاصيل .

والتونى الإيطالى (بيولا كازيلي) الذى كان مستشاراً ملكياً لوزارة العدل ورئيساً للجنة قضايا الحكومة زمناً طويلاً هو القائل :

« يجب على مصر أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية ، فهى أكثر من غيرها اتفاقاً مع روح البلد القانونية . »

وفى سنة ١٩٣٢ قرر المؤتمر الدولى المنعقد فى لاهى للقانون المقارن أن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن ، وبهذا صارت مصادر القانون المقارن أربعة وهى : القوانين الفرنسية ، والقوانين الألمانية ، والقوانين الانجليزية ، والشريعة الإسلامية

وفى سنة ١٩٣٨ انعقد مرة أخرى المؤتمر الدولى للقانون المقارن وأعلن أن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة بذاتها ليس لها صلة بالقانون الرومانى ولا بأى تشريع آخر .

وليس بين الغربيين العارفين بحقائق الشرق من لا يؤمن بكلمة جيبون الشهيرة : « القرآن مسلم به من حدود الأوقيانوس الاطلانطيكى إلى نهر الغانج بأنه الدستور الاساسى ، ليس لاصول الدين فقط ، بل للأحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التى عليها مدار حياة نظام النوع الإنسانى وترتيب شئونه . »

الكتب

الدارس في تاريخ المدارس للنعمى

فشره المجمع العلى الدربى بدمشق بتحقيق الامير جعفر الحسنى جزءا ١٥٠٠ ص قالين

العلماء هم الناس . ومن العناصر الاصلية فى تاريخ كل أمة معرفة حال علمائها ومستواهم الخلقى فى أداء رسالة العلم ، وكلما كثرت المراجع التى تدير طريق المؤرخ وتبين له عمل العاملين لإصلاح حال المجتمع من راع ورعية ، كان ما يسجله من حقائق التاريخ أعمق بحثا وأدسم مادة وأوضح بيانا لحقائق الأشياء ؛ لأن تقدم الأمم ونهوضها نتيجة لعوامل كثيرة من أهمها أمانة العلماء فى أداء رسالتهم لأممتهم ، كما أن تقهقر الأمم وانحطاطها نتيجة لعوامل أخرى من أهمها كفر العلماء برسالة العلم ، وجهلهم أقدار أنفسهم ، وقصور همهم عن بلوغ ما أراده الله لهم من مرتبة ورائة النبوة .

وكتاب (الدارس فى تاريخ المدارس) لعبد القادر بن محمد النعمى (٨٤٥ — ٩٢٧) أحد نواب القضاة الشافعية بدمشق من أمتع الكتبة فى تاريخ معاهد العلم فى عاصمة الشام وتراجم علمائها فى نحو خمسة قرون (من القرن الخامس الهجرى إلى عصر المؤلف فى القرن العاشر) ، ويجوز لنا أن نعتبره متمما لتاريخ الحافظ ابن عساكر الذى وصفنا المجلد الأول منه فى الجزء الماضى ، وقد جمع فيه النعمى ما تشتت فى الكتب السابقة له عن تاريخ العلم ومعاهده وشيوخها ، ومن أهم مراجعه ابن الأثير وأبو شاة وابن خلكان وابن شداد والبرزالى والذهبي وابن الكتبي والصفدى والحسيني وابن كثير والحسباني وابن قاضى شعبة وقد جاء فى مقدمة الكتاب ص ٣ بلسان تليذ من تلاميذ المؤلف لم يصرح باسمه قوله : « فلما رأيت غالب أما كن الخير الموقوفة بدمشق الشام اندرست ... سمح لى أن أشرع

بجمع تراجم يحيى لها ذكرنا ... فاذا شيخنا الامام العالم المؤرخ المحقق المدقق يحيى الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد النعمي الشافعي قد سبقني إلى جمع ذلك ، ولكنها عنده في مسودتها إلى الآن ، فسألته في تبليغها على طول الزمان ، فتعلل على بضعف الحال وهم العيال ، ثم أمرني بتعليق ذلك ناسجا على منواله ، فقابلت أمره بامثاله ، غير أني ربما اختصرت تراجم متصدرها الاعلام اعتماداً على الطبقات وتواريخ الإسلام .

إذن فنحن في هذا الكتاب أمام كتاب هذب أحد تلاميذ العليبي واختصره بعض الاختصار من كتاب شيخه ، والمخطوطات المتداولة من كتاب العليبي كلها من هذا المذهب أو المختصر ، أما أصل العليبي فلم يعثر عليه إلى الآن ، والذين قاموا باختصاره منهم شمس الدين محمد بن طولون وعبد الباسط العلوي وأحمد البقاعي وآخرهم الشيخ عبد القادر بدران المتوفي في القرن الرابع عشر الجارى ، وأغلب الظن أن الشمس بن طولون هو صاحب هذا التهذيب أو الاختصار لأنه أقربهم من المؤلف .

ومعاهد العلم الدمشقية الموصوفة في هذا الكتاب نحو ثلاثمائة وخمسين بين مدرسة ومسجد وخانقاه وكلها مما كانت تدرس فيه العلوم ويتخرج فيه العلماء . وإن مدينة واحدة من مدن الاسلام يكون فيها مثل هذا العدد من معاهد العلم لبرهان على أن رسالة الاسلام رسالة علم ، ولا غرو فإن المسلمين يتوارثون عن نبيهم ﷺ ما رواه ابن قتيبة في غريب الحديث أن ساعة من العالم على فراشه يتفكر في علم الله تعالى أحب إلى الله من عبادة العابدين أربعين عاماً . وفي هذا قال الامام الشافعي رحمه الله : الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة .

وكان المجمع العليبي العربي بدمشق قد عهد قبل خمس عشرة سنة إلى ثلاثة من أعضائه بمعارضة نسخ هذا الكتاب وبيان اختلافها . ثم قام الأمير جعفر الحسني من أعضاء المجمع بتحقيق الكتاب والاشراف على طبعه فاستعان على ذلك بخمسة وثمانين مرجعاً بين مطبوع ومخطوط . وألحق به فهرساً بأسماء المؤلفات المذكورة في نص الكتاب ، وفهرساً للأمكنة والباق والمساجد والمدارس والمعاهد ، وفهرساً للأعلام من رجال ونساء وجماعات . وقد بلغ الكتاب بفهارسه ألفاً وخمسمائة صفحة من قطع صفحات هذه المجلة . وكما أنه

مرجع من أوفى المراجع في تاريخ العلم والعلماء في إحدى عواصم الاسلام مدة خمسة قرون ، فهو كذلك مرجع من أوفى المراجع في الخطط وتاريخ العمران إلى العصر العثماني الذي انحطت فيه الامة وبلادها ودرست معالم العلم فيها على ما ذكره المؤلف .

فشكراً للجمع العلمي العربي ورجاله على مساهمتهم في نصيب كبير من مهمة البحث والإحياء العلمي مدفوعين إلى ذلك برغبة صادقة من خدمة العلم احتساباً لوجه الله ، ولذلك تأتي أعمالهم وعليها طابع التجويد والاخلاص .

أسماء جبال تهامة وسكانها

وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه

لعرام بن الأصمغ السلمي

نشره وجها الحجاز الشيخ محمد نصيف والشيخ يوسف زينل
بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

لما كان حفاظ السنة وأئمتها يطوفون البلاد ليلقوا الشيوخ المسنين من رواة الحديث الأولين فيتلقوه عنهم ليدونوه ويحفظوه ، كان حفظة اللغة وأئمتها يقومون باللغة القرآن بمثل هذه العناية فيقتلون في البادية ليلقوا علماء الأعراب فيحفظوا عنهم مفردات اللغة وشواهدا من الأشعار والأمثال ، وليتعرفوا منهم أسماء بقاع الجزيرة العربية من جبال وأودية ومنازل ومياه ، وأسماء ما فيها من نبات وشجر ، فيدونوا ذلك في السكتب قبل أن يموت العلم بموت أهله .

ومن المراجع العريقة في القدم للواد الجغرافية في الوطن العربي هذا السكتب النفيس من علم عرام بن الأصمغ أحد علماء الأعراب من بني سليم ، وهو كما يقول ابن النديم في الفهرست أحد أقران أبي الهيثم الأعرابي وأبي المجيب الربيعي وأبي الجراح العقيلي ، وكانت الأيام قد جمعت بهذا العالم الأعرابي عالماً من أهل الحضرة في صدر القرن الهجري الثالث ،

وعو أبو الاشعث عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك الكندي ، فلقى للعالم الحضري عن العالم الاعرابي كل ما في هذا السكتيب من المعلومات ، وكان يستملها منه فيملها عليه ، ثم تلقاها عن أبي الاشعث الكندي تلميذه عبيد الله بن عمرو الانصاري الوراق المعروف بابن أبي سعد (١٩٧ - ٢٧٤) وتلقاها عن ابن أبي سعد تلميذه عبيد الله بن عبد الرحمن السكري المتوفى سنة ٣٢٣ ، وأخذها عن عبيد الله السكري تلميذه أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي القاضي (٢٩٠ - ٣٦٨) .

وكتاب عرام السلى كان المظنون أنه فقد مع ما فقد من تراثنا القديم ، غير أن العلماء كانوا يتعززون عن ذلك بانتشار نصوصه في معاجم البلدان ، ولا سيما كتاب معجم ما استعجم لأبي عبيد السكري علامة الاندلس ، ثم ظهرت مخطوطة من هذا الاصل في المكتبة السعيدية بحيدر أباد (مجموعة رقم ٣٥٥ حديث) كتبت سنة ٨٧٦ ، ولكنها بخط نسخي غامض ردىه وكثيرة التحريف والتصحيف ، ومخطوطة ثانية نقلت عنها بخط الشيخ ابراهيم حمدي مدير مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة ففسخ صورة منها الشيخ سليمان الصنيع من أفاضل المملكة العربية السعودية ، وقد عني بمراجعتها وتحقيق بعض مواضع منها ، وكذلك وجد عين أعيان الحجاز الشيخ محمد نصيف مخطوطة ثالثة نقلها الشيخ عبد الرحمن بن يحيى الباني عن الاصل الهندي ، وأنت ترى أن الاصل في هذه النسخ واحد وهو المحفوظ في المكتبة السعيدية بحيدر أباد ، فعمد وجهها الحجاز وعينا أفاضلها الشيخ محمد نصيف والشيخ يوسف زينل إلى حضرة الفاضل المحقق الاستاذ محمد عبد السلام هارون بأن يحقق هذا السكتيب ويعني برده إلى أصله بقدر الطاقة ، فقام بذلك خير قيام مستعيناً بمعاجم البلدان وكتب اللغة وغيرها ، فجاء في ١١١ صفحة من قطع الجاير مزيناً بفهرس للبلدان والأماكن وآخر للأعلام ، وثالث للقبائل والطوائف ، ورابع للنبات والشجر ، وخامس للحيوان ، وسادس للقوافي ، وسابع للغة ، فشكراً للناشرين الكريمين على سعيهما بإحياء هذا الاصل القديم خدمة خالصة منهما للعلم ، وهذا هو دأب الشيخ محمد نصيف حفظه الله في مواصلة السعي والعمل والإحياء في كتب العلم النافعة .

كنوز الأجداد

للأستاذ محمد كرد علي

نشره المجمع العلمي العربي بدمشق - في ٤٣٨ صفحة قالبين

الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العربي بدمشق من رجال هذا العصر الذين عاشوا للعلم ودأبوا على خدمته من ستين سنة إلى الآن . وكان مما عني به في عشرات السنين دراسة تراجم علماء هذه الأمة وقادة الأدب والفكر في مختلف الأمصار والأعصار ، وتسجيل أعمالهم ، وجرد تركتهم ، ووصف ما خلفوه لنا وللإنسانية من تراث خالد على الدهر . وكتابه هذا (كنوز الأجداد) يتضمن تراجم بضع وخمسين إماماً من أئمة الدين والعلم والأدب كتبها الأستاذ المؤلف في سنوات مختلفة ونشر كثيراً منها في مجلة المجمع العلمي العربي أو في أوائل بعض المؤلفات التي تولى الأستاذ كرد علي نشرها وترجم لأصحابها . وأكثر ما يعنى به في ترجمة الرجال وصف علمهم وأدبهم ونواحي اختصاصهم والتعليق على ذلك في مواطن العبرة من أعمالهم . وقد أحسن كل الإحسان بجمع هذه التراجم في هذا الكتاب النفيس الذي يضارع أجود كتب التراجم المشهورة كوفيات الأعيان للقاضي ابن خلكان وإرشاد الأريب لياقوت .

وقد تولى الأستاذ صلاح الدين المنجد وضع ثلاثة فهارس له أحدهما للمكتب المذكورة فيه ، والثاني للأعلام والثالث للبلدان ، وفاته أن يفرد الفهرس الاسامي لأسماء المترجم لهم والدلالة على مواضع تراجمهم من الكتاب ، أما إدراج أسمائهم في عامة أسماء الأعلام فلا يغني عن ذلك الفهرس .

الكتاب الذهبي لمهرجان ابن سينا

نشرته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية في ٤٦٣ صفحة قالبين

(و ٦٩ صفحة القسم الأجنبي)

كانت الأمة العربية قد احتفلت بمرور ألف سنة على عِلين من أعلام الأدب والفكر وهما أبو الطيب المتنبي وأبو العلاء المعري ، ثم اشتركت لجتان من مصر والعراق في إقامة

مهرجان ذهبي في بغداد لمرور ألف سنة على وفاة أبي علي بن سينا ، فعقد في هذا المهرجان عشر جلسات : واحدة افتتاحية ، وأخرى ختامية ، وثمان بينهما للدراسة والبحث التي فيها ثلاثة وثلاثون بحثاً وتسع محاضرات ، وقد دارت مناقشات حول أصل ابن سينا ونسبه وتاريخ مولده وعقيدته وعلاقته بالشيعة والإسماعيلية ، وهل فلسفته ملحدة وتصوفه ستر لهذا الإلحاد . وقد تبين من النقاش بما لم يبق معه مجال للشك أن ابن سينا نشأ في وسط إسماعيلي وأنه تأثر بدعاة الإسماعيلية وتعاليمهم التي كانت منتشرة في عصره . وإن البحث القيم الذي ألقاه الأستاذ عباس العزاوي في اليوم الثالث من أيام المهرجان بعنوان « ابن سينا وأثره في التصوف » ، من أجود ما قيل في هذا المهرجان وأكثره تحقيقاً . والحق أن ما عرض في هذا المهرجان من بحوث عن ابن سينا قد ألم بجميع نواحي حياته وإنتاجه . ولذلك أحسنت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية كل الإحسان بجمع هذه البحوث كلها ونشرها في كتاب ذهبي نفيس جاء في ٣٠٠ صفحة من قطع هذه المجلة .

تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان

للأستاذ مسعود الندوي - نشرته لجنة الشباب المسلم - في ١٦٠ ص

إن اتساع نطاق التعاون بين مسلمي باكستان والهند وإخوانهم في الأوطان العربية والبلاد الإسلامية ، منذ قامت للإسلام هذه الدولة الجديدة في ربوع الهند ، قد أشعرت الفريقين بالحاجة إلى زيادة التعارف . وقد كان من نتائج ذلك ظهور هذا الكتاب اللطيف بقلم الأستاذ مسعود الندوي معتمد دارالعروبة للدعوة الإسلامية في باكستان وصاحب مجلة الضياء التي كانت تصدر بالعربية في مدينة لكنو ومترجم مؤلفات الداعية الإسلامي الكبير أبي الأعلى المودودي من الأوردية إلى العربية . وآخر أعماله العلمية النافعة هذا الكتاب (نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان) ذكر فيه بداية دخول الإسلام إلى القارة الهندية وتطور انتشاره ، ثم محارلة الملك أكبر في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السكيد للإسلام بتقليص ظله ، وظهور المجاهد المصلح المجدد أحمد السرهندي ووقوفه في وجه ذلك الملك الطاغية حتى تغلب عليه بإخلاصه وعزمته وتقواه ، وقيام العلماء

بعده بمثل هذا الجهاد وفي مقدمتهم الشيخ عبد الحق الدهلوى وولى الله الدهلوى وتلاميذه ، ثم الإمامان الشهيدان السيد أحمد بن عرفان والشيخ اسماعيل حفيد ولى الله الدهلوى ، فاستعرض المؤلف حالة مسلمى الهند الدينية فى العصور الثلاثة الماضية وما طرأ عليها من ضرور وما يسر الله لها من قيام العلماء الاعلام الأبرار لإرجاع الناس إلى سنة نبيهم وتعريفهم بدينهم والسير بهم فى طريقه المستقيم ، إلى أن تأسست معاهد العلم الإسلامية النافعة وفى مقدمتها مدرسة ديوبند ثم ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها ، وموقف مسلمى تلك الديار وحركاتهم السياسية والتحريرية التى قاموا بها على بصيرة من الله ، وما كان يعترضهم من ضلالات مبثوثة وأباطيل ألبيت لباس الدين وليست منه ، ثم انتهى هذا الكشف الإصلاحي بقيام دولة باكستان ، فانبرى حينئذ أهل النزعات المختلفة فى التعصب لنزعاتهم ومحاولة التأثير على الأمة لاستئصالها اليهم ، وموقف دعاة الإسلام الصحيح من ذلك كله ، وما قاموا به لدين الله من الدعوة إلى سبيله بالحكمة واليقظة والموعظة الحسنة فكاتب الله لهم التوفيق بأكثر مما كانوا يرجون .

إن هذا الكتاب على إيجازه يقدم للمسلمين فى الأوطان العربية والاقطار الإسلامية صورة صحيحة لحيوية الإسلام وتطورها فى القارة الهندية ، وقد كتب مقدمته رئيس تحرير هذه المجلة معرفاً قراءه بصديقه القديم الأستاذ مسعود عالم . وقد تولت نشره لجنة الشباب المسلم المؤلفة من أفاضل أبنائنا الجامعيين فى مصر ، وقد سبق لها نشر الكتب النافعة التى نوهنا بها غير مرة . والكتاب مختوم بفصل عقبته به اللجسة على ما ورد فيه ، ملخصة أبوابه ، ومشيرة إلى مواطن العبر منها . وهو بلا شك كتاب طريف لا نعرف فى العربية كتاباً يغنى عنه فى باب .

أحاديث الثلاثاء بدار السلام

نشرتها دار السلام للنشر — فى ٧٢ ص قالبين للقسم العربى ، و ١٤٠ ص للقسم الفرنسى

فى مصر مرافق ومعاهد وندوات للعلم قد لا يعرف المشتغلون بالعلم شيئاً عنها ، ومنها ندوة اسمها « دار السلام » تألفت من فريق من الفرنسيين والشرقيين للبحوث الفلسفية

والمصوفية على اختلاف مصادرها البرهمية أو المسيحية أو الإسلامية أو غيرها ، وقد أهدى إلينا من أعمالها كتاب بالعربية والفرنسية عنوانه «أحاديث الثلاثة بدار السلام سنة ١٩٥١» ، اشتمل على النص الفرنسى والترجمة العربية لمقال كتبه المستشرق الأستاذ لويس ماسينيون بعنوان «قيمة الكلمة الانسانية كشهادة» ، وقد عنى فى هذا المقال بتحديد الطريقة الحسنة لقراءة الكتب السماوية ، والذين يعرفون الأستاذ ماسينيون يعرفون مشربه الصوفى ونظرته من هذه الجهة إلى المأثور من أقوال الخلاج وأمثاله ، وبهذا المشرب ومن هذه الجهة ينظر إلى التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية ، وقد لا يوافق علماء جميع هذه الديانات على فهمه وتفسيره وتلقيه لسلك ذلك ، وقدما افترق الطريق الصوفى عن الطريق الشرعى حتى عند أهل المنهج الأول للتصوف وهم براهمة الهند ، ومن باب أولى فى اليهودية والمسيحية والإسلام ، غير أن هذا لا يؤس المتعلقين بالتصوف من مواصلة السير فى طريقهم على أمل أن يتفاهموا ويتقاربوا مهما اختلفت نسبتهم الدينية ، ولعل هذه هى مهمة دار السلام وأحاديث الثلاثة فيها .

وبأنى بعد مقال الأستاذ ماسينيون فى هذا الكتاب بحث مستفيض للأستاذ لويس غارديه عنوانه «البحث عن (المطلق) فى التصوف المسيحى والتصوف الإسلامى والتصوف الهندى» وهو ينقسم إلى خمسة أبواب أولها فى «التعطش نحو المطلق» ، والثانى عن «اليوغا الهندى فى شكله الكلاسيكى» ، والثالث عن «حالات الانفراد والتجربة الصوفية» ، والرابع «التجربة الصوفية فى نظر ابن سينا» ، والخامس «معرفة الله ومحبه عند الفلاسفة والمتصوفة» ،

إن الفرنسيين الأفاضل الذين يشتغلون بهذه البحوث لا يشتغلون بها باعتبار أنها بحوث تاريخية ، بل يظهر من كتاباتهم أنهم هم أنفسهم صوفيون وأصحاب دعوة ، ومن أغراض دعوتهم أن يكون فيها تجاوز بين متصوفى أهل الديانات المختلفة ، ونحب أن نقول فى هذا المقام إن الإسلام هو الإسلام ، والتصوف الذى ينحرف عن ظاهر نصوصه لا يجوز أن يسمى تصوفاً إسلامياً ، بل إن الإمام الشافعى كان يكره هذه التسمية ، وله فى ذلك كلمة مشهورة رواها عنه الحافظ أبو نعيم فى حلية الأولياء وأبو الفرج بن الجوزى فى صفة الصفوة ، والإسلام دقيق جداً فيما ينتسب إليه وما يخرج عنه ، وأكثر ما يسميه المستشرقون تصوفاً إسلامياً لا يلتقى مع الإسلام فى طريق .

فاتح مصر عمرو بن العاص

الاستاذ صابر عبده ابراهيم من شباننا الافاضل المعروفين بنشاطهم ولانتاجهم ، وقد سبق له قبل ست سنوات نشر سلسلة من الرسائل في تراجم الصحابة رضى الله عنهم كان لها جميل الحظوة بين شباب المسلمين . وهو الآن يستأنف نشاطه بالشروع في سلسلة أخرى أهدي إلينا الحلقة الأولى منها عن فاتح مصر العظيم (عمرو بن العاص) رضى الله عنه ، وقد اعتذر المؤلف عن الإحاطة بسيرة هذا الصحابي الجليل بأن أعماله وجهاده ونبوغه وعبقريته ليس من المعقول أن يتسع لها كتاب كهذا الكتاب ، لأن تاريخه في الجاهلية والإسلام حافل بعظائم الأعمال التي تدعو إلى البحث والنظر في سر القوة السكامنة في هذا الرجل القوي . ومع ذلك فإن المؤلف استعرض من سيرة هذا الداعية الأول إلى الإسلام في مصر ما وسعه المقام من عظيم أعماله ، فجاء كتابه في ١٢٥ صفحة . فترجو لهذه السلسلة الجديدة من (أعلام الصحابة) ما لقيته السلسلة السابقة من الإقبال عليها والانتفاع بها .

الققعقاع بن عمرو التميمي وبلاؤه في الاسلام

للاستاذ عبد الله قاسم صقر

الققعقاع بن عمرو من أفاضل الصحابة وشجعانهم وأهل الرأي والعدالة فيهم ، وقد كانت له مواقف في الجهاد الإسلامي مدة الخلفاء الراشدين استعرض الاستاذ عبد الله قاسم صقر أخبارها في كتب التاريخ ، ويجلها في كتاب بلغ ٩٢ صفحة مرتبة بحسب تاريخ وقوعها ، وعنى بما للققعقاع من الشعر فأورده وفسره ، فكان كتابه بذلك كتاب تاريخ وأدب . جزاه الله خيراً .

الأدب والعلم في شهر

انحطاط التعليم الثانوى

قال الدكتور محمد عوض محمد مدير جامعة الاسكندرية في حديث له مع مندوب جريدة المصرى : « إن الجامعات في مصر كلها مزدهمة ازدهاما شديداً لا يتفق ورسالة التعليم الجامعى وهى تخريج قادة الامة فى مختلف الميادين .

« ويكاد الاجماع يتعقد على أن التعليم الثانوى بحالته الراهنة لا يؤهل للتعليم الجامعى ، وليس جميع الحاصلين على شهادة التوجيهية بقادرين - لا من حيث الاستعداد ، ولا من حيث دراساتهم - على الالتحاق بالجامعات . وانحطاط المستوى العلمى للطلاب لم يكن هناك مفر من انحطاط مستوى التعليم الجامعى أيضاً ، حتى لقد انتشر فى كثير من الاقسام الدراسية بكل الكليات - بدلا من إلقاء محاضرة - أن يملئ المدرس إملاء على الطريقة التى تتبع فى المدارس الثانوية . فن الضرورى

أولا رفع مستوى التعليم الثانوى وشهادة التوجيهية بصفة خاصة .

سياسة التعليم فباطنة

حتى فى التعليم الصناعى

زار وزير التجارة والصناعة الغرفة التجارية فى القاهرة ودارت بينه وبين أعضاء مجلس إدارتها أحاديث مهمة ، منها أن أحد الأعضاء أشار إلى مشكلة الحاجة إلى الكتبة التجاريين إذا حتم القانون على تجار مصر جميعاً وعدهم حوالى ستائة ألف تاجر أن يسكوا دفاتر قانونية ، فأجاب الوزير :

« إن التعليم الفنى فى مصر قد مات . وكما نشكو فى مصر من أن الطبقة المتوسطة فى المجتمع قد ماتت نشكو أيضاً من أن التعليم الفنى الذى يخرج رؤساء عمال فنيين أو كتبة تجاريين غير موجود . وليس فى مصر مدارس تخرج من الفنيين من هم بين مركز المهندس والعامل . وكل المدارس الصناعية فى مصر

معلم المدرسة وضابط الجيش

في خطبة ألقاها الرئيس اللواء محمد نجيب عن التعليم قال : « نظرت في التعليم هي أنه السبيل إلى إعداد المواطن الصالح الذي يحسن التصرف في الأمور ، ويكون له من الغيرة الوطنية قدر وفير . ولهذا أعتقد أن المعلم هو النواة الأولى في هذا السبيل . فالمعلم يعد المواطنين ، والضابط يعلمهم الجهاد . وأنا أضع التعليم في المحل الأول من عنايتي ، فإن رجال التعليم لا يقلون في نظري عن ضباط الجيش وجنوده ، بل إن المعلمين بمثابة جنود المقدمة أو الفرسان لأنهم يضعون الحجر الأول في سبيل إعداد جيل سليم . والمعلم في حرب طول حياته ، الأمر الذي يجعل له عندنا مكانة خاصة » .

الكتب في المدارس الأهلية

كانت وزارة المعارف توزع كتب الدراسة على تلاميذ المدارس الأميرية التابعة لها . وفي الأيام الأخيرة قرر مجلس الوزراء أن يكون نظام الكتب شاملاً المدارس الأهلية أيضاً فتوزع على تلاميذها كما توزع على تلاميذ المدارس التابعة للوزارة .

تخرج موظفين للحكومة فقط ، مع أن عصب الصناعة في العالم هو « الاسطى » أو « العامل المتعلم » . وأعتقد أن هذا سببه أن سياسة التعليم الصناعي في مصر سياسة خاطئة ، وأنه يجب أن يكون التعليم الصناعي في مصر وفقاً للاحداث النظم في البلاد الصناعية ليخرج عمالاً فنيين مهرة » .

مكتبات في المساجد

دعا الرئيس اللواء محمد نجيب المواطنين إلى قضاء جانب من أوقات فراغهم في المساجد ، وعلمت (الأهرام) على هذا النبأ بأن وزارة الأوقاف تحسن صنماً لو نظمت - بمعاونة وزارة المعارف - مكتبات علمية وأدبية تزود بها المساجد ، فتحجب إلى المواطنين قضاء أوقات فراغهم فيها وتقرن العلم بالدين .

والمسجد في التاريخ الإسلامي معهد علم ، ويجمع أدب ، وكان في بعض أدوار التاريخ محكمة للقضاء العام ، وداراً للشورى ومركزاً للقيادة والاستعداد للجهاد . ولم تسقط منزلة المسلمين وتنحط أخلاقهم إلا منذ اخترع لهم إبليس هذه المقاهي وحشرهم فيها ، نفسروا دينهم وآخروهم . ومن العجيب أن جميع أمم الأرض لا تنكث المقاهي في أمة منها كما تنكث في بلادنا معاشر المسلمين !

أَنْبَاءُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِيِّ

الثقة بهم والاطمئنان إليهم في إبرام أية معاهدة معهم .

ثم قال بلهجة قوية : لقد اختار الحسيبان النسيبان والزعيمان الكبيران السيد عبدالرحمن المهدي والسيد علي الميرغني المندوبين السودانيين في لجنة الانتخابات ، ووافقنا على اختيارهما ، ومع ذلك فقد اعترض الجانب البريطاني على هذا الاختيار من غير ما سبب ، وبلا أدنى موجب ، ويترب على هذا الاعتراض تأخير إجراء الانتخابات في حين كان الواجب على الجانب البريطاني أن يوافق هو الآخر على اختيار هذين المندوبين ما دام أصحاب الشأن الأول هم الذين اختاروهما ثم وافقنا نحن على هذا الاختيار .

وقال : لقد وردت إلينا من مصادر رسمية وغير رسمية أنباء عن ازدياد حوادث التعسف والاضطهاد . وطلب الكثيرون من المواطنين السودانيين العمل على إيقاف هيمنة دولية للتحقيق في هذه الحوادث . كما وردت أنباء عن محاولات يعتمد هؤلاء الإداريون البريطانيون إلى اتخاذها دون حساب ولا مبالاة ، وذلك بتعيين موظفين بريطانيين في وظائف ثابتة كالوظائف القضائية وغيرها ،

نصرفت الانجليز في السودان :

من دواعي الأسف الشديد أنه قبل أن يحف الممداد الذي كتبت به الاتفاقية التي عقدت بين مصر وبريطانيا بشأن السودان ، أخذت ترد إلى مصر من مختلف أنحاء السودان شكاوى صارخة من المعاملة السيئة التي يعامل بها الإداريون البريطانيون في الأقاليم الجنوبية من السودان بعض الزعماء الذين وقعوا اتفاقات مع مصر وكثيرين غيرهم من الأهلين وقد ورد في هذه الشكاوى أن زعماء ورجالا عديدين ألقوا في غياهب السجون ، وإن الإداريين البريطانيين في السودان عادوا إلى سيرتهم الأولى من الالتجاء إلى التهديد والوعيد ، وجميع هذه الأعمال لا تتفق في شيء مع ما تنص عليه الاتفاقية التي قالت مصر عقب توقيعها : إن العبرة في تنفيذها تنفيذاً دقيقاً وسليماً .

وقد صرح الرئيس اللواء محمد نجيب تعليقاً على هذه الحقائق بأن الإداريين البريطانيين خرجوا على الاتفاقية ، وأقاموا الدليل الملموس على عدم توفر حسن النية عندهم . قال : وهذا ما يحملنا من غير شك على عدم

الامر بصفتهم أصحاب الحماية على أراضى مسقط وعمان، وعرضوا الالتجاء إلى التحكيم فى هذه المسألة، فعقب على ذلك متحدث باسم وزارة الخارجية السعودية بأن حكومته تطلب استفتاء سكان المنطقة فى أمر تابعيتهم لأنهم أهل الحق فى ذلك، ولا ترى الالتجاء إلى تحكيم أحد. ومع أن بين الحكومتين اتفاقاً على وقف كل نشاط عسكري فى هذه الجهة، فإن ممثلى الحكومة البريطانية فى الخليج الفارسى قاموا بإجراءات سريعة خلقت طائرتهم على الواحة بقصد التأثير على أهلها، وساقوا قوات مسلحة من الجنود الذين جلبوهم من بعض البلاد العربية لإلزام الأهالى بالخضوع.

ولما لم تجد الاتصالات الودية لمنع هذا التعدى قامت الحكومة السعودية - عملاً بالمادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة - بتوسيط الولايات المتحدة الأمريكية فى الأمر. وإن الحكومة السعودية تستند فى ملكيتها لهذه المنطقة إلى التاريخ والواقع، وإلى أن سكان واحة البريمى يدينون بالطاعة للحكومة السعودية هم وآباؤهم وأجدادهم من قبل، وقد ظلت هذه المنطقة تحت حكم السعوديين إلى المدة التى غاب فيها والد الملك عبد العزيز عن قلب الجزيرة وهى مدة إحدى عشرة سنة، ثم عاد ابنه الملك عبد العزيز بعد تلك الفترة وبسط سلطانه على البريمى وغيرها، ومازال الأمر على ذلك من ٥٣ عاماً بلا منازع.

لإبقائهم فى السودان أطول مدة ممكنة، وهذا عمل لا يجوز الإقدام عليه، بل ولا التفكير فيه، إلا بواسطة لجنة الحاكم العام التى تنص عليها الاتفاقية.

ثم ختم الرئيس تصريحاته بلهجة الحزم والعزم الشديدين قائلاً: «لأننا إذا اتفقنا، فإن رجولتنا الحققة هى التى تصون هذا الاتفاق وتنفعه بحذافيره. ونحن رجال نعرف حق المعرفة كل مالنا فنحصل عليه، وكل ما علينا فنعطيه لصاحبه. ولست أدرى كيف تتوفر الثقة عندنا وتنبعث الطمأنينة فى نفوسنا لنعمل اتفاقاً آخر مع الانجليز وهذا موقفهم العجيب من اتفاقية أبرمت بيننا وبينهم يوم ١٢ فبراير الماضى، أى لم يمس بعد شهر واحد على إبرامها، وهذا ما يجب أن يكون واضحاً من جانبنا لهم، فليتدبروا الأمر، ولنا بعد ذلك ما نريد».

واحة البريمى

هذه الواحة واقعة بين أراضى المملكة العربية السعودية وأراضى عمان ومسقط المحمية من الإنجليز. ولما زار سلطان مسقط وعمان فى المدة الأخيرة العاصمة البريطانية ووقع مع حكومتها اتفاقية جديدة، أخذت تنشر من لندن الأخبار عن اختلاف على واحة البريمى، وعن تدخل الإنجليز فى هذا

الوحدة العربية :

يظهر أن مبدأ الاتحاد ، فى مصر سيكون خطوة نحو الوحدة العربية والتعاون بأسلوب أقوى بين الشعوب الناطقة بالضاد . ولذلك دلائل متعددة أحدها قول البكباشى جمال عبد الناصر لمدير القسم العربى بإذاعة صوت أمريكا صباح يوم ١١ جمادى الآخرة (٢٥ فبراير) : « إن الشعوب العربية قاطبة - كشعوب - تشعر بالرغبة التواقفة الى الوحدة وأقول لك عن مصر صادقا : إننا نعد أى عربى نزيه مخلص أخالنا وواحدا منا . وتجاه هذا الشعور السارى فى صفوف الشعوب العربية جمعاء فإنه ينبغى للأمم الصديقة أن تلبس هذه الرغبة المشتركة بين العرب وألا تنقص منها أو تستخفها ، وألا تحاول وضع العراقيل فى سبيل تحقيقها . »

وقال له أيضا : إن أمة قوية فنية كالولايات المتحدة قادرة على استرداد ما كان لها من منزلة شريفة بيننا وفى أرجاء العالم العربى قاطبة إن هى وعت وأدركت الرغبة الصادقة لشعوب هذه المنطقة ، وفهمت عزم هذه الشعوب على أن تعيش إلى جانب الأمم الأخرى وتعامل معها تعامل الأحرار المستقلين . وكما قال لكم الرئيس اللواء محمد نجيب فإننا نرى فى الواقع تشابها كبيرا بين هذه المرحلة من تاريخنا

فى مصر والمرحلة الأولى من تاريخ تحرير أمريكا ، لا من الحكم الأجنبى غصب ، بل تحريرها أيضاً من الفوضى والفساد فى الداخل .

من هو الأجنبى فى البطل العربية ؟

صدر مرسوم جديد فى سوريا يتناول تنظيم بعض أمور الجيش فى الحرب والسلام ، ومما جاء فيه أنه : يحظر على العسكريين الزواج من أجنبيات . وتنص هذه المادة على أن المرأة العربية لا تعتبر أجنبية .

تعاون المسلمين جميعا :

عادت من باكستان البعثة العسكرية المصرية التى زارت تلك البلاد الإسلامية أخيرا ، وفى الاحتفال باستقبالها خطب الرئيس اللواء محمد نجيب فقال : « لقد سرنى كثيرا ، ماسمعته عن النهضة المباركة فى باكستان ، مما يشرح له صدر كل مصرى . وأرجو الله أن يحقق آمالنا ، وأن يقرب اليوم الذى نجد فيه جميع أبناء البلاد الإسلامية والعربية متكاتفين ، حتى نقف جميعاً جبهة واحدة أمام الخصم الكبير من الاطماع . »

المسلمون فى الحكم السورى

برهن الشيوعيون فى ظل حكمهم الذى بسطوه على بخارى وخيبر والقرىم والقفقاس وسائر الأقطار الشرقية الداخلة فى نطاق حكمهم

في مدارسها ثم أعادتهم إلى بلادهم وعلى رأسهم المدعو (أفندي كاييف) الكاتب التتري الذي كتب في أحد مؤلفاته يقول : « أيها اللغة الروسية العظيمة ، إنني أركع تحت أقدامك ، وأسألك أن تنشرى فوق جناحيك ، لأن جناحيك رحمة وبركة » .

الإصلاح يبدأ بالأمم

شكا السيد سامي الصلح رئيس الوزارة اللبنانية السابق إلى مندوب جريدة الاختيار الجديدة ما يلقاه رجال الحكم من الصعوبات بسبب فساد الأخلاق فقال عن الحالة في لبنان : « إن إصلاح الحال من المحال : فالنزبية السياسية عندما بحاجة إلى معالجة سريعة ، والحاكم يبتئ لا يستطيع أن يحكم بدون تأييد قطاع الطرق ومهربى الخشيش ، والزعيم يبتئ لا يزعج إلا بنفوذ أصحاب أندية القمار والمشردين والمطاردين أمام القانون . ومن هؤلاء وهؤلاء يستجدي الحاكم والزعيم نفوذه وسلطانه .. ولعنة الله على الزعامة التي لا تأتي إلا عن هذا الطريق ، وباضيعه الحكم الذي لا يتحقق إلا بتأييد هؤلاء وهؤلاء . إن الرجال الذين تعاونوا مع الانتداب .. ثم تعاونوا مع عهد الاستقلال .. ثم تعاونوا مع الشيخ بشارة الخورى .. هم اليوم - بأنفسهم - أبطال هذه الأيام » .

على أنهم أشد ملل الأرض تعصباً لعقائدهم واضطهاداً لعقائد غيرهم .

فقد جاء في كتاب انتشر في الشهر الماضي بقلم البروفسور والتر كولارز من علماء تشيكوسلوفاكيا وصف مطول لحالة دول آسيا الوسطى ، وكانت حتى في العهد القيصري تدين بالإسلام وتعزز بالثقافة الإسلامية . فسر البروفيسور كولارز - بصراحة - قصة التوغل الشيوعي في هذه الدول وشرح كيف تحامل الشيوعيون على الإسلام واعتدوا عليه وحاولوا دون نشر الثقافة الإسلامية في أوطانها الصميمة التي ظهر منها أعلام الإسلام كالإمام البخاري ، ثم حملوا شعوب هذه الدول على نبذ اللغة العربية ، وفرضوا عليهم الحروف اللاتينية ، ثم اللغة الروسية ، واعتقلوا قادة المسلمين ورجال الدين والفكر ، وصادروا المصاحف والكتب الدينية ، وألغوا مناهج التعليم الإسلامي ليحولوا دون نشوء أجيال أخرى مؤمنة بهذا الدين . ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا اللغة الروسية هي اللغة الرسمية في هذه البلاد الإسلامية من سنة ١٩٣٩ إلى الآن ، وبسبب ذلك فقدت تلك البلاد طابعها الإسلامي ، ونشأ شبانها الأحداث لا يدرون شيئاً عن الإسلام ولا يشعرون بعلاقة بينهم وبين المسلمين أو الماضي الإسلامي . بل إن روسيا دربت عدداً كبيراً من أبناء المسلمين

الروتين الحكومى

ولما افتتح الرئيس اللواء محمد نجيب معسكر إمبابة التى خطبة قال فيها : إن الله يحب الاقوياء ويكره المستضعفين. وهذه باكورة معسكرات التدريب العسكرى يقوم عليها نفر من خيرة شباب ضباطنا ليتعمدوا شبابكم بالتدريب على حمل السلاح واستخدامه ، وعلى رياضة النفس والجسم على تحمل المشاق واجتياز المصاعب ليعدوا الشباب إعداداً قوياً للدفاع حين يحزب الامر ويدوى النفر أن ، انفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله .

تشجير مصر

قاد الرئيس اللواء محمد نجيب حركة مباركة لتشجير بقاع مختلفة من الارض المصرية ، وإن العزيمة معقودة على غرس ملايين كثيرة من الاشجار بأيدى رجال الجيش وطوائف الطلبة والموظفين وغيرهم من الجماعات والافراد . وقد خصصت لذلك مساحات واسعة من الارض ، وينتظر أن تكسب مصر من هذه الحركة النشيطة قيام كثير من الغابات فى جميع الانحاء .

العلم المصرى

تتجه النية إلى التحرر من الرمز للتابعة العثمانية الممثل فى العلم المصرى ، وتصحيح رأى الخاطىء فى الشرق والغرب بأن الهلال رمز دينى فى الإسلام ، وليس فى الإسلام نص على أن الهلال رمز له ، بل إن استحداث

خطب الاستاذ محمد فؤاد جلال (وزير الإرشاد القومى) فى قاعة يورت الامريكية ، فكان مما قاله عن إصلاح الإدارة الحكومية : « إن أداة الحكم هى ذلك المخلوق الخطير المترامى الاطراف الذى أنشئ جمازه منذ أكثر من مائة عام وظل يتسع شيئاً فشيئاً . والثورة (يعنى تطور العهد الجديد) إما أن تقتل الروتين ، وإما أن يقتلها الروتين . وليس هناك حل وسط . ولذلك اتجهت الثورة إلى قلب الاوضاع فى نظم الاداة الحكومية قلباً أساسياً يجعل من هذه الاداة المعوقة أداة فعالة تستهدف ما تستهدفه الثورة نفسها ، بل تصبح جزءاً منها . وهنا لانجد الامر هيناً كما وجدناه فى الخطوات السابقة التى لم تسكن فى ذاتها هينة . فان الاداة الحكومية قد وضعت لنفسها نظماً وقوانين وتقاليد بالتون والشروح والحواشى ، وجعلت لنفسها دهاقنة وكهانا لا تقلت من بين أصابعهم الدقيقة شعرة ، فأصبحت دولة داخل دولة ، بل أصبحت هى الدولة ، وكأنها غاية فى ذاتها ليست وراءها غاية من الغايات . وواقع الامر أن الاداة الحكومية وسيلة لتحقيق الغايات ، وإذا لم تغلح فى تحقيق الغايات فلا كانت ولا كان لها وجود . »

نواة الجيش الاقليمى

أخذت مصر فى افتتاح معسكرات لتدريب الشباب تمهيداً لجمعها نواة لجيش مصر الاقليمى ،

٣٣ ألف فدان ، وفيها مركزان إلى جانب حاضرتها وعدة نقط للبوليس في جهات ستكون مأهولة بالسكان . وقد وضع لهذه المديرية تصميم هندسى ، وينتظر أن يبدأ العمل في تنفيذ مشروعات العمران ، وأولها شق ترعة تبدأ من مصرف المحيط عند مديرية الجيزة ويبلغ طولها حوالى عشرة كيلو مترات وقد أصبح في حكم المقرر توزيع أراضي هذه المديرية على المعدمين وذوى الاسر المؤلفة من خمسة أشخاص على أن يكون نصيب كل أسرة خمسة أفدنة يزرعها صاحبها بتقاوى توزعها وزارة الزراعة .

مدافن جبرية للقاهرة :

اعتادت مصر من زمن الفراعنة العناية بالاموات أكثر من عنايتها بالاحياء ، وتقيم لدفن الموتى مدافن أعظم مما تقيم من البيوت لسكن الناس . ومع أن الاسلام قد وضع حدا لهذا الشذوذ العمرانى ، فإن آثاره لاتزال باقية إلى الآن عند المسلمين وغيرهم ، مع أن المسلمين يرون منذ نحو أربعة عشر قرناً أن المسلم الاول في مصر والسبب الاول في اسلام كل مسلم فيها وهو عمرو بن العاص صاحب رسول الله ﷺ ، لم يشأ ابنه وسائر أصحابه من القواد والولاة والعمال أن يقيموا له على قبره بناء ، لان الاسلام يرى أن المسلم

الهلل في الراية حديث عهد حتى في الدولة العثمانية المنقرضة ، فإنها في بداية عهدها لم يكن الهلال رمزاً لها .

وقد اختارت هيئة التحرير علماً لها مؤلفاً من الألوان الثلاثة : البياض والسواد والحررة ولا يبعد أن يعمم هذا العلم فيكون هو علم الدولة المصرية . وقد لاحظ بعضهم أن اللون الاخضر الذى تتألف منه أرضية العلم المصرى الذى يراد تغييره أصرح تعبيراً عن طبيعة مصر وخصب واديها وبركة النيل في تربتها ، وعندنا أنه لا بأس في أن يكون اللون الاخضر هو اللون الثالث في العلم المصرى مع اللونين الابيض والاسود . ومن الثابت في التاريخ أن الرايات الإسلامية الاولى كان منها الابيض ومنها الاسود ومنها الاخضر ، وكان كل من هذه الألوان شعاراً لدولة عربية إسلامية مجيدة في التاريخ ، فإذا جمع العلم المصرى هذه الرموز التاريخية يميزاً بالنسر أو بالصقر الذى كان هو أيضاً من الرموز العربية والمصرية قبل الاسلام كان التوفيق حليف مصر في هذا الاختيار .

مديرية التحرير

تقرر إنشاء مديرية جديدة في الصحراء الغربية بالقرب من الطريق الصحراوى بين القاهرة والإسكندرية تسمى (مديرية التحرير) . وستكون مساحة هذه المديرية

أبلغ الأمير فيصلا أنه سيجمل هدفه الثابت العمل على إعادة روح الثقة والطمأنينة .

فتنة القاديانية في لاهور

كان الداعية المأفون غلام أحمد القاديانى يرى بدعوته إلى أغراض متعددة أحدها إعانة الاستعمار الاجنبى بدعوى أن حكمه على المسلمين حكم شرعى ، وأن الجهاد نسخ ، وذلك فضلا عن الضلالات الاخرى فى هذه الدعوة كادعائه بأنه نبي يوحى اليه ، وإطالة لسانه على بعض الانبياء والصحابة ، وكان المنتظر من أتباعه المثقفين — ولا سيما بعد زوال سلطان الاستعمار — أن يكفوا عن هذه الدعوة وأن يرجعوا إلى أحضان الإسلام ويجعلوا نشاطهم وقفاً عليه .

فلما رأى منهم مواطنوهم المسلمون أنهم لا يزالون على إصرارهم السابق فى الدعوة إلى هذه الضلالة ، وهم مواصلون نشاطهم فيها مستغفزين مشاعر الجمهور الاعظم ، نشأت عن ذلك فتنة فى الاسابيع الاخيرة بمدينة لاهور قتل فيها أحد عشر شخصا وجرح أربعة عشر فأعلنت حكومة باكستان الاحكام العرفية فى تلك المنطقة وهيمن الجيش عليها ليحول دون وقوع اضطرابات أخرى .

تصحيح

تحررت كلمة عام ، بكلمة د علم ، فى وصف د سبيل الله ، بالسطرين ١٧ و ٢٢ من الصفحة ٧١٧ فى الجزء الماضى والصواب فيهما : د سبيل الله ، عام .

إذا مات يجب أن يخلد ذكره بأعماله لا بما يقام على قبره من أنصاب ومعالم .

نقول هذا لمناسبة عزم ولاية الامور على تخصيص ٢٥٠ فدانا فى الجبل الاخضر لإقامة مدافن صحية جديدة عليها يراعى فيها المساواة التامة بين الطبقات ، فلا يمتاز قبر الغنى لغناه على قبر الفقير ، بل يقتصر فيها جميعا على إعدادها بما يتناسب مع جلال الذكرى والشروط الصحية .

تحریم المسكرات فى برقة

أصدر ملك ليبيا قانوناً بتحريم المسكرات فى ولاية برقة على كل مسلم ، فأحسن بذلك إلى أهل ذلك الوطن الإسلامى فى عقولهم وأخلاقهم وثروتهم كما أحسن به إليهم فى دينهم

أمريكا والعرب

عقب زيارة الأمير فيصل السعود وزير الخارجية السعودية للرئيس ايزنهاور أصدر البيت الابيض بيانا أعان فيه أن رئيس الولايات المتحدة أعرب عن اهتمامه وقلقه بقيام بعض الادلة على أن العلاقات بين الولايات المتحدة والدول العربية تدهورت فى المدة الاخيرة ، ويقول البيان إن ايزنهاور وعد بالعمل على تصحيح الاخطاء ، وأنه

فهرس

الجزء السابع — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقة
٧٧٧	أمانتان	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٧٨٣	دفاع عن الأزهر	» محمد عرفة مدير المجلة
٧٨٦	فتحات القرآن	» عبد اللطيف محمد السبكي
٧٩٢	التفسير	» حامد محيسن
٧٩٧	السنة : التطهير في الاسلام	» طه محمد الساكت
٨٠٢	تنظيم العلاقة بين الارادة والفرائض	الدكتور محمد عبد الله دراز
٨٠٩	نظرية السبب في العقد	» محمد يوسف موسى
٨١٤	شهر التصرفات بين القانون والشرعة	الاستاذ أحمد فهمي أبو سنة
٨١٨	حقيقة الوجوب والنهي	» عبد الله المراغي
٨٢١	نشأة كتب الأمالي	» عبد الوهاب حودة
٨٢٨	آراء وأحاديث : علوم البلاغة في الميزان	» محمود النواوي
٨٣٥	حقوق الانسان في شريعة الاسلام	» محمد فتحي محمد عثمان
٨٣٩	جيل يؤمن بالأخلاق	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
٨٤٣	نفسيات (شعر)	الاستاذ « السيد »
٨٤٤	لغويات	» محمد علي النجار
٨٤٨	الاسلام في أمريكا	» محي الدين رضا
٨٥١	الفتاوى	
٨٥٤	لماذا صار المسلمون هدفا للمستعمرين	حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر
٨٥٧	الجنسية في الاسلام	ليوزباشي محمد جمال الدين محفوظ
٨٦٠	رسول الله في الطائف	الاستاذ عبد المنعم النمر
٨٦٤	الحكم بما أنزل الله	» محمد محمد أبو شهبه
٨٦٩	الحاكم في الاسلام	» ابراهيم علي أبو الخشب
٨٧٢	الفرض العلمي	» سميد زايد
٨٧٧	فضل الرسول على قومه	» عبد الغني عوض الراجحي
٨٨١	أسرار الاسلام	» عبد الرحيم فرغل البليتي
٨٨٥	التشريع الاسلامي	قلم التحرير
٨٨٦	الكتب	»
٨٩٥	الادب والعلوم في شهر	»
٨٩٧	أنباء العالم الاسلامي	»

رئيس التحرير
محمّد بن عبد الله الطيّب
الاشتراك السنوي
٥٠٠ في مصر والسترات
٣٠٠ للطلبة في مصر والسترات
٦٠ في الخارج
٦٠ للطلبة في الخارج
٥٠ من الجزر

مجلة الأناضول
مجلة شهرية جامعية
تصدر عن شيخ الأزهر في أول شهر ربيع

مدير المجلة
محمّد بن عبد الله الطيّب
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء الثامن - في غرة شعبان ١٣٧٢ - ١٥ أبريل ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْأَمَانَةُ الثَّانِيَّةُ

هي هذا التراث العلمي العظيم الجسم الذي ملا خزائن كتب الأمم من كنوز شريعتنا ،
وجهود أعلامنا وأمتنا وعلماؤنا وحكّائنا وخطبائنا في أربعة عشر قرناً .

هي هذا النهب المقتسم بين أيدي الدهر ، وأهواء الملل ، وحسد الأقوياء ، وشهوات
العلماء والجهلاء ، وآفات الأرض والسماء .

ومن قبل هذا التراث الإسلامي الأعظم ، كانت ألسنة أسلافنا وعقولهم مؤتمنة من الله
على هذه اللغة العريقة في القدم ، البالغة في أوديتها وجبالها أقصى غايات الكمال والجمال ،
حتى اضطر عدو العروبة والإسلام العلامة الفرنسي الكبير ارنست رينان لأن يقف
- في كتابه تاريخ اللغات السامية - أمام عظمة العربية وجلال روعتها ، وخصب مادتها ،
ودقة الاحساس التي تعرب عنها بكل حرف من حروفها ، وبكل صيغة من صيغها ،
وبكل لحن موسيقى ساحر من ألحان نبراتها وجمال منطقها ، وبما في ظلال هذه الحروف
والصيغ والألحان من باهر الدلائل على رجاحة أحلام قدماء الناطقين بها ، وسعة مداركهم ،

وبعد أغوار إنسانيتهم ، فأنساه ذلك كله ما انطوت عليه نفسه من إحنة للعروبة والإسلام ، فلم يلبث أن رأى صوته يهتف بكلمته الخالدة يوم قال :

« إن هذه اللغة قد بلغت حد الكمال في قلب الصحراء عند أمة من الرحل ، ففاقت اللغات بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها . وكانت مجهولة من الأمم ، لكنها من يوم علمت ظهرت للناس في حلال الكمال ، ولم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة . ولا نعلم شيها لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج ، وبقيت حافظة كيانها ، خالصة من كل شائبة . »

إن أمة ائتمنها الله على هذه اللغة المحسودة ، وعلى هذه الشريعة الحكيمة التي هي رجاء الإنسانية في مبادئها المثالية العليا لو قيض لها رجال يتقنون تنظيمها ويحسنون عرضها ويتعاملون بأحكامها وأخلاقها حتى يراها الناس بأبصارهم لا بأسماعهم ، ثم ائتمنها الله على جهود قادة الفكر وأئمة العلم في الدنيا منذ كان الفكر معطلا من نشاطه إلا في أوطاننا ، ومنذ كان العلم غريباً عن الناس إلا في معاهدنا ومساجدنا وحلقات دروسنا ...

هذه الأمة التي ائتمنها الله على تراث للعقول والفهوم والعلوم لا نظير له في ماضى أمة أخرى من الأمم ، ما أدري بماذا يحكم عليها قضاء الله العادل جزاء إعراضها عن هذه الثروة الفخمة الضخمة ، وإهمالها هذه التركة الغنية بأثمن موارث الفكر البشري والترف العلى والمتاع الثقافى والأدبى .

أليس من العجيب أن يتسع وقت موظف واحد من موظفى الحكومة المصرية في القرن السابع الهجرى لتأليف معجم لسان العرب في عشرين مجلداً بلغ بها في زمانه حد الاتقان ، ثم نعيّز نحن وأزهرنا وجامعاتنا وجمعنا اللغوى عن أن نؤلف لزماننا معجماً للعربية يكون - في إتقائه وشموله وسهولة استعماله وحسن التسلسل الاشتقاق والتاريخى في مواده - مضارعاً للمعاجم الممتازة في اللغات الأخرى ، ثم نختصر منه لجمهور المثقفين معجماً متوسطاً ، ونختار من الوسيط لصغار الطلبة معجماً وجيزاً ، ففسد بهذه المعاجم الثلاثة الوافية حاجة العصر إلى مراجع في اللغة يرتاح الناس إليها ويقضون وطرم منها .

أليس من العجيب أن يحدث الله هذا الانقلاب السريع في اتجاه الطلبة الجامعيين ، فبعد أن كانوا قبل عشرين سنة طابوراً خامساً يتنكر للتراث الإسلامى ، صار لنا منهم الآن

حثاث ومثات يهتفون من أعماق قلوبهم : القرآن دستورنا ، لكنهم يبحثون آناه الليل وأطراف النهار عن مراجع جيدة يتعرفون منها إلى تفاصيل أحكام هذا الدستور القرآني فلا يجدون بين أيديهم ما يشبعون به نهيمهم الفكرية ، وما يسهل به عليهم التفقه بسنن الإسلام في تكوين المجتمع الصالح ، والامة المفلحة ، والدولة الإسلامية المثالية .

إن فقهاء القانون الفرنسي - على قرب عهده - قد أصدروا معاجم لفقه قانونهم حافلة بكل معنى من معانيه وكل غرض من أغراضه ، مؤيدة بصوص القوانين المعمول بها ، ومقارنة بأمثالها في مختلف البلاد اللاتينية الأخرى ، ومشفوعة بأحكام المحاكم العليا في فرنسا وبلجيكا وسويسرا وغيرهن ، ومرتبة موادها على حروف المعجم ، فيستطيع القاضى أو المحامى أو طالب الحقوق أن يراجع كل معنى يريده في دقائق ليجد نصوص القانون وآراء علماءه في تفسيرها وأحكام المحاكم وحيثياتها في تطبيقها . أما فقهاء السابق على فقه القانون الفرنسي بأكثر من ألف سنة ، والذي ملأ علماءنا وأئمتنا خزائن الارض بأجود المؤلفات في تأصيله وتفريعه ، وفي شرحه وبيان حكمته ، وقد حكم به مثات الالوف من قضائنا في أوربا (الأندلس وغيرها) وفي آسيا وإفريقيا بأحكام أصابت كبد العدل المجرد عن كل غاية وهوى ، وأفتى بدقائق وقائمه ومختلف مذاهبه ألوف الالوف من اعلام الفتيا في جميع أمصار الإسلام من عصر الصحابة إلى الآن ، فإنه - وبإلأسف - لا يزال مبعثراً في المخطوط والمطبوع من كتبه التى لم يتمرس بمراجعتها ولم يأنس بالإفادة منها حتى طلبة كلية الشريعة بالآزهر ، فما بالك بطلبة كليات الحقوق في الجامعات المدنية ! بل إن أنفس كتب الفقه وأئمتها لا تزال مخطوطة وموزعة في آفاق الشرق والغرب ، والمطبوع منها أصبحت طبعاته نادرة وفي حكم المخطوطة . وحتى غير النادر منها كيف يتوصل طلبة العلم إلى مراجعتها بوقت سريع وهى لم تنظم تنظيمًا مقارنا يقوم عليه فقهاء ضليعون أمناء على هذه الشريعة ويعتبرون عملهم هذا عبادة كما كان فقهاؤنا الأقدمون يتعبدون بهذا الضرب من ضروب القرية إلى الله عز وجل ؟

وأعلام هذه الامة من الصحابة والتابعين والفتاحين والدعاة والحاكين والعلماء والادباء والساسة والمؤرخين والشعراء والمؤلفين وقادة الرأي ، لماذا لا يكون في الأيدى كتاب واحد يجمع تراجمهم جميعاً من قدامتهم الأولين إلى زماننا هذا ، ليجد شباب الجيل في سيرتهم الاسوة والقودة ، وليعرفوا طريقهم إلى أهدافهم سائرين فيه على آثار من تقدمهم .

والمذاهب والنحل التي نجمت في الإسلام ، لماذا تبقى إلى الآن عالة في معرفتها على كتابي الشهرستاني وابن حزم ، ولماذا لا يقوم في علمائنا من يدرس ما جد بعد الشهرستاني وابن حزم من مذاهب وطوائف ونحل آخرها البساوية والبهائية والشيخية والبكتاشية والتجانية والقاديانية والاحمدية ؟ أليس من الفقر العلمي أن لا يكون في أيدي الناس معجم عصري جامع لكل فرقة ونحلة وطائفة وطريقة ومذهب نجم في تاريخ الإسلام ، ولكل داعية من دعاة الفتنة والفساد الذين حاولوا أن يحدثوا في الإسلام بدعة لم تكن منه ، وانحرافا عن كتاب الله وسنة رسوله بالبدس أو التأويل أو التفضيل أو غير ذلك من أساليب الشيطان ، فيكون هذا المعجم قائماً على دراسة كل فرقة ، والتعريف بها من نصوص كتبها وصميم دعوتها ، وكيف تطورت ، وما هي مقاطع أطوارها ، ومن هم الذين مثلوا هذه الأدوار ، وما هي مقاصدهم ، ولحساب من كانوا يعملون ؟ .

وهذا الوطن الإسلامي والعربي ، هل في أيدينا معجم واحد شامل لكل ما فيه من أمكنة وبقاع كما هي اليوم وكما كانت من قبل ؟ إننا لا نزال نعيش في ذلك على مجهود أبي عبيد البكري يوم كنا نحن أصحاب البلاد الإسبانية ، وعلى مجهود ياقوت الحموي قبل مئات كثيرة من السنين . وقد قامت بعدهما معالم العمران تغيرت بها الأرض غير الأرض ، وجدت لأبناء العروبة والإسلام ذكريات تاريخية ومفاخر أو كوارث مليمة وقومية في جبال وطن المسلمين والعرب وأوديته ومرابعه لم يسكن يعرفها أبو عبيد البكري ولا ياقوت ، فهل تحركت في قلب عالم من علمائنا المشتغلين بالجغرافيا أمنية التفريغ لتأليف معجم جديد للبلدان الإسلامية والعربية يبنى فيه على ما أسسه البكري وياقوت ، ويستقصى أسماء الأمكنة والبقاع إلى زماننا ، وكما هي في زماننا ، فتحي به مواطن الذكريات للنشأة عظمائنا وأحداث تاريخنا وميادين جهادنا الحربي والعمراني والعلمي .

وحديث نبينا أيضاً كدنا نصير فيه عالة على الأجانب عنا في ديننا ولغتنا وعلومنا ! أليس من الخجل أن يسهر في بلاد هولندا رجال من علمائنا على دراسة السنة المحمدية في دواوينها الكبرى دراسة شمول واستقصاء ، فيتبعوا كل لفظة وردت في أي حديث نبوي ، ويثبتوها في مكانها من معجم عظيم يشتغلون الآن بتأليفه ، ويضعون إلى جانب تلك اللفظة كل حديث وردت فيه ، ومكان ذلك الحديث في كتبه المعتمدة مع تعيين أجزائها وصفحاتها من تلك المكتب. ونحن كان لنا من القرن السادس الهجري كتاب النهاية في غريب الحديث، وهو معجم

لألفاظ السنة ألفه ابن الأثير الجزرى بعد مؤلفات كثيرة تقدمته في هذا الموضوع ، وجدت بعده كتب أخرى على هذا النمط ، غير أن هؤلاء الهولنديين لم يريدوا من معجمهم تفسير غريب الحديث ، بل أرادوا استيفاء ألفاظه واستقصاء الأحاديث التي استعملت فيها هذه الألفاظ والدلالة على مواضعها من كتب السنة ليتمكن طالب كل حديث من معرفة مواضعه في الكتب المشهورة بسرعة ويسر ، ومع أن المؤلف الأول لهذا المعجم قد مات ، فإنه قد خلفه على الاستمرار فيه عالم من مريديه وأصدقائه ، ثم مات هذا المؤلف الثانى ، فتسكفت مؤسسة (اليونسكو) بالإنفاق على إتمامه والاستعانة بأهل العلم للضى فيه ، وقد صدر منه إلى الآن ثمانية عشر جزءاً ، ومن الإنصاف الاعتراف للعاملين الأولين في هذا الكتاب بأنهم لم يخطر على بالهم فيه أى كسب مادى ، وإنما قاموا به ليلاؤوا فراغا عالياً شعروا - قبلنا - بوجوده ، فأعدوا أنفسهم لسد ثغرة العلم من هذه الناحية ، ومضوا في عملهم بجد وصبر ومثابرة لا يعرف قدرها إلا من يعرف قدر العلم ، ويشعر بالسعادة فى السهر عليه ، دون أن يخامرهم خاطر من خواطر الكسب المادى من وراء ذلك .

وتاريخ العروبة والإسلام ، وهو من حاجياتنا الأساسية فى مدارسنا ودراساتنا ، لا يزال إلى اليوم مهملاً ، بحيث لا نستطيع أن نزعم أن لنا كتاباً واحداً فيه يعطى صورة صادقة لأبناء الجيل عن عظمة أسلافهم وما قاموا به للإنسانية وأجادها من جهاد لم تبلغ أمة من أمم الأرض عشر معشاره . وإن أسلافنا البررة المخلصين ، والمعاصرين لهم فى كل أدوار التاريخ من علماء الطابور الخامس فى الإسلام ، قد سجل هؤلاء وهؤلاء وقائع التاريخ ، فجاء فيه الصدق والحق من طريق أهل الحق الصادقين ، وجاء فيه الإفك والزور من طريق ذوى الأهواء والمغرضين ، وقد يختلط هذا بهذا على الطلبة وأنصاف المتعلمين إن لم يبادر أهل الألمعية من علمائنا العارفين بأقدار أسلافنا فيمحصوا هذه الروايات ويجردوها من آفاتها ويردوها إلى أصلها الصحيح ، ثم يحسنوا عرضها فى كتب وجيزة ومتوسطة ومطولة ، فيتم البعث بذلك لجهاد مجيد قام به عظماء كانوا بشهادة الله لهم " خير أمة أخرجت للناس " ، وسار فيه على قدمهم مجاهدون من التابعين لهم بإحسان ففتحوا الممالك ونشروا دعوة الله إلى الهدى ، فنبغ فى ظلال نظامهم رجال من أبناء البلاد التى دخلت فى الإسلام على أيديهم كانوا أئمة الدنيا ومفخرة العلم والعدل ، وكانوا هم الناس فى زمانهم . بينما كتب التاريخ التى تاقن الآن فى مدارسنا ومعاهدنا لا يجد فيها شباب الجيل الصورة الصحيحة لتلك العصور ، وكل ما فيها قشور عن اختلافات زيد فيها وحرفت عن حقيقةها حتى صار

فيها العظيم صغيراً ، وذو اليد السكرينة على أمته ذمياً لثيماً . ولو أن ماضي المسلمين كان للآسمان وأمثالهم عشرة أو جزء من مائة جزء منه في ماضيهم لسكرتوه بأساليب حكيمة تقفع أبنائنا فضلاً عن أبنائهم بأنهم هم الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس . أنا لا أدعو إلى محاباة الأسلاف ، ووصفهم بغير ما كانوا عليه ، وإنما أدعو إلى تجريد سيرتهم من أكاذيب الطابور الخامس التي دسوها في كتبهم وأصابت فيما مضى رواجاً بتشجيع أهل الأهواء من ذوي السلطان ، وقد آن أوان تطهير التاريخ الإسلامي من هذه الطوارئ عليه والدخائل فيه .

نعم لقد آن أوان هذا التطهير والتنقيح في كتب المناهج ، ومن الواجب على معاهد الأزهر وعلى وزارة المعارف أن يعيدا النظر في كتب الدراسة ، وأن تكتتب من جديد بالأساليب التي تلائم تكوين الأمة تكويناً جديداً سليماً تقبوا به مكانها بين الأمم .

يزعمون أننا في عصر تقدم وارتقاء ، ومن الناس من يريد أن يوهننا بأن عصور أسلافنا كانت دون عصرنا هذا في نهضته العلمية وتقدمه الثقافي . ويكفي لإدحاض هذه الأكذوبة دليلان قائمان لا يستطيع أن يمارى فيهما أحد : أولهما أن الأقدمين كفوا أزمانهم ما كانت تحتاج إليه من المؤلفات والمعاجم الكبرى التي لا تزال عالمة عليهم فيها ، والآخر أنهم كانوا يعملون لله معتبرين العلم وخدمته عبادة لا يشوبونها بشيء من شهوات الكسب المادي أو أنانية الاستعلاء .

ولو أننا من خمسين سنة إلى الآن أخلصنا للعلم كما أخلص له ابن منظور في تأليف لسان العرب ، والنووي في تأليف ما خلفه لنا من مصنفات نفيسة ، وابن حجر العسقلاني في هذه العشرات الكثيرة من المجلدات التي خدم بها السنة ورجالها والشرعية وعلومها والتاريخ وأعلامه ، وابن تيمية الذي أحدث في علوم الإسلام بعثاً جديداً بمؤلفات مبتكرة لو تفرغ أربعة رجال من بده حياتهم إلى نهايتها لبييضوا مسوداتها لما أتوا على آخرها — وهكذا كان علماءنا من زمن الإمامين الشافعي وأحمد إلى زمن السيوطي وأضرابه يتعبدون بخدمة العلم وتمحيصه وتدوينه لوجه الله وحده — فلو سار علماءنا من خمسين سنة في طريقهم وخدموا العلم بالنية التي كان يخدمه بها الأسلاف ، لوجدت في الأيدي حتى الآن أمهات الكتب التي نحن محتاجون إليها ، ولأمكن توزيع هذه الجهود بتأليف دائرة لمعارفنا كما ألفت الأمم — وأخرها اليهود — دوائر لمعارفهم .

وأعظم ما أئتمن الله علماءنا عليه من أمانات العلم في التراث الإسلامي (سنن الإسلام) التي يجب على كل مسلم إحياؤها والعمل بها في الأخلاق الشخصية ، والتقاليد المنزلية ، والمعاملات في السوق ، والآداب في المجتمع ، والأحكام في المحاكم ، والأهداف في سياسة الحكم . وكيف يستطيع المسلم أن يحيي هذه السنن إن لم يعرفها ، وكيف يعرفها المسلمون إن لم يقيم العلماء بأعباء هذه الأمانة الإسلامية بجد وحزم وعناية واستقصاء ، وأول مراحل القيام ببعث سنن الإسلام بعد العلم بها العمل بها ، وأول من يترتب عليه العمل بها العالمون بها . فإحياء سنن الإسلام أول جهاد العلماء ورأس واجباتهم ، وإثم انحراف الأمة عن هذه السنن وتعطيلها في جميع المرافق - بعد تعطيلها في النفوس والبيوت - واقع بلا شك على المقصرين في تعريف المسلمين بها ، ودلائلهم عليها بالبيان العلمي ، وحسن عرضهم لها بالسيرة والتعامل والأخلاق .

وبعد فإن تراثنا العلمي القديم أغنى وأضخم من تراث أى أمة أخرى ، ولكن نقصيرنا في دراسته وتنظيمه والإفادة منه قد تجاوز كل حد ، حتى كاد يحكم علينا المستشرقون بأننا لسنا من أهله ، ولو أننا نحن أصحابه لسكان لنا فيه شأن آخر .

ترى هل أن الألوان لتغير موقفنا من أمانة العلم ، وهل يحاسب كل منا نفسه على ما قام به في حركة البعث والإحياء ، انصل حاضرنا بماضيها ، ونكون أمتنا في عصرنا تكونتاً عربياً إسلامياً نعيد به ما مضى من جمال كيانتنا ، مع ما نحن قائلون به من تجهيزه بأحدث معارف العصر وصناعاته وأسباب قوة الأقوياء فيه ؟

إن التفكير في ذلك ، والتماس الأسباب لتحقيقه ، من تمام ما نحن فيه من تجديد ، في هذا العهد الجديد ؟

محج الدين الخطيب

العاجلة والآجلة

من كلام سهل بن هارون :

من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفيته رزقه فيها ، ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرج منه .

الشرق والغرب، وهل يجتمعان

الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولا يلتقيان أبدا .

هذه الكلمة قالها كبلانج الشاعر الإنجليزي وشاعت في البيئات العلمية ، وأخذها كثير من الناس بالقبول ، وأدخلت في قلوبهم يأسا من الوصول إلى عالم أفضل يتفاهم فيه الشرق والغرب ، ويتعاونان لاعلى التغلب على مشاكل الإنسانية الحاضرة فقط ، بل على التغلب عليها في المستقبل أيضا ، فإن تعاون البشر جميعا يجب ألا يكون تبعا لمصلحة وقتية ، يبرمه قوم متى شاءوا ويحلونه متى شاءوا ، بل يجب أن يكون تبعا لمصلحة الإنسانية الخالدة في جميع عصورها ، ويجب أن يكون تعاوننا في العلم والأخلاق والسلوك . وفي غزو المجبولات من قوانين السكون ، وفي غزو الأفكار والنظم التي تفتك بالبشر ، وفي غزو الأحقاد والأضغان والإطماع والاستعلاء والاستبداد ، وفي غزو الشقاء والحرمان ، وفي غزو هذا النقص الذي في الإنسانية والعروج بها نحو الكمال الممكن .

إننا نؤمن بأن هذا التعاون ممكن ، وأنه لا يقف في سبيله اختلاف بين الشرق والغرب ، وأن الشرق والغرب يمكن أن يجتمعا وأن يلتقيا لخير الإنسانية الحاضرة والمستقبلية . وسيلنا هنا أن نسار هؤلاء القوم الذين يرون أن الشرق والغرب لا يجتمعان ، ونعلم حججهم ونرى أي تبرر لهم ما يعتقدون ؟

يرى القوم أن بين الشرق والغرب فوارق في العقلية والمعتقد والقيم الأخلاقية والنظر إلى الحياة . وهذا الاختلاف مما يبعد بينهما ويجعل الالتئام والتفاهم عسرين ، فالغرب مادي موغل في المادية ، والشرق روحى موغل في الروحية ، والغرب تعنيه الحياة الدنيا والعمل لها أكثر مما تعنيه الحياة الأخرى ، والشرق بالعكس ، لذلك ترى الأول معنيا بإصلاح دنياه في حين أن الثاني مهمل لها ، والأول يحكم المصلحة حتى في عالم الأخلاق فلا يني بالزمامات وعموده وموائقه إذا رأى المصلحة في ذلك ، والثاني بالعكس ، فهو يني بعموده ولو أدت إلى ضرره أو قتله أو قتل من يحب ، والأول يعتقد الحرية والاختيار في تكوين نفسه وصوغ مستقبله ، والثاني يرى أنه محكوم بقوة غيبية هي التي تصرفه وهي التي تحركه وقد كتبت مستقبلا

وهو ينشر ما كتبته ويتصرف في الحياة على ما رسمته . وهذان الاعتقادان لها تأثير عظيم في عمل كل منهما وفي تصرفاتهما في الحياة ، والاول ينسب الحوادث إلى أسبابها الظاهرة والثاني ينكر الاسباب وينسبها إلى الله مباشرة فعلا وتقديراً لأنه لا فاعل إلا الله .

وهذه الخلافات العقلية والنفسية بين الشرق والغرب كونها البيئة الطبيعية في كل منهما من الحر والبرد ، والرطوبة واليبوسة ، وسهولة الأرض وحزوتها ، وخصبها وجدها ، وكرمها وبخلها... الخ . فإذا كانت الأرض على حالة ، كسّون أهلها على وفق هذه الحالة ، فالأرض الخصبة الكريمة التي تعطى أهلها خيراتها عفوا تولد في أذهان أهلها سطحية لأنها لا توجههم إلى كد الذهن واستنباط الفكر ليأخذوا ما يحتاجون إليه منها ، والأرض البخيلة بالعكس تكسب أهلها عمقا في التفكير لأنهم يعملون عموهم في استنباط ما يحتاجون إليه منها ، وكما تؤثر في العقول تؤثر في الأخلاق ، فالأرض التي تعود أهلها أن يأخذوا خيراتها في مواعيد محدودة لا تكاد تتخلف ، وبكثرة وسخاء لا تشح ولا تقل ، تعود أهلها الكرم والبذل والتعاون وعدم التفكير في العواقب ، والعكس صحيح ، فالأرض الشحيحة البخيلة بخيراتها تعود أهلها البخل والاحتفاظ بما في أيديهم والتفكير الطويل في المستقبل والاستعداد وأخذ الإهبة . وهكذا . وما بنى على أسباب طبيعية لا تتغير فسيبقى ما بقيت هذه الاسباب . وكما كان الحر في المناطق الحارة يسود لون البشرة ، والبرد في المناطق الباردة يبيضا ، ولا تغير النتيجة ولو حاول المرء التغيير ، كذلك الحال في تأثير البيئة الطبيعية في الأخلاق والعقول .

لنتقى أعلم هذا جميعه ، وأعلم أن منه ما هو قابل للمناقشة ، وأنا أحاول التوفيق وإزالة أسباب الخلاف والعمل على تكوين مجتمع إنساني أفضل ، وأريد أن أقتصد في بحثي وأتناول جزءاً من ذلك الموضوع العام وهو الإسلام والغرب ، وأرى أن الفجوة التي بين الإسلام والغرب ليست فيما ذكرنا بعضه من أخلاق وعادات وبيئات طبيعية وجغرافية ، ولكن الفجوة قد عمقها ووسعها حوادث تاريخية خلقت كثير من سوء الظن وعدم الثقة وقواعد السلوك والمعاملة . ونحن سنجمل بعض ذلك فيما يلي :

كانت المسيحية تبسط نفوذها على كثير من البلدان التي فتحها الإسلام كسورية ومصر وشمال أفريقيا وبلاد الأندلس ، فكان كلما فتح بلد آلم معتنق المسيحية ، وتناقلت أخباره الركبان إلى البلاد القريبة والبعيدة وكان له رنة أسمى وحزن وعدّوه خذلانا واندحاراً للمسيحية أمام الدين الجديد : الإسلام ؛ وكانوا يرونه رقا واستعباداً للمسيحيين

ويتناقضون الاخبار الكاذبة عن سوء المعاملة. وقد أراد المسيحيون أن ينصروا هذه الأكاذيب ويفرقوا في المبالغة والخيال ليبغضوا الشعوب المسيحية في الإسلام والمسلمين ليستثيروا عزائمهم وأقصى ما عندهم لدفع الإسلام وردة عن بلادهم.

وقد كان فتح بيت المقدس وسورية نصراً مؤزراً ذات نتائج باهرة وخيرات عظيمة للإسلام والمسلمين، ولكنه كان من جهة ثانية أكبر العوامل في تعميق الهوة بين الإسلام والمسيحية، فقد رأى المسيحيون أن الإسلام استولى على الأرض المقدسة التي هي مكان يحجون إليه من جميع بلاد الدنيا، ويقدمونه لأنه ولد فيه المسيح وفيه تربى وفيه علم تعاليمه وفيه صلب ودفن - على ما يعتقدون - فهو محل الذكريات الدينية المقدسة وهو مكان الوحي والإلهام وموطن الفحات القدسية والبركات الإلهية والحج والمزار والتقدیس والاعتبار، فكان ذلك حادثاً بغض اليهم الإسلام والمسلمين وأحدث جفوة عظيمة الاتساع عميقة الغور بين المسيحية والإسلام.

وعلى الرغم من أن الإسلام كان يعظم موسى وعيسى وآثارهما وكان يعظم داود وسليمان وأنبياء بني إسرائيل ويعظم بيت المقدس وجعله من المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، وعلى الرغم من أنه احتفظ بالسكناس والبيع لأربابها، حتى أن الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب لما زار بيت المقدس بعد أن فتحه المسلمون وحضرته الصلاة أبي أن يصلى في كنيسة للنصارى مخافة أن يتخذها المسلمون مصلى ومسجداً، فنخرج من أيدي أصحابها، وبالرغم من أنه لم يحمل بين المسيحية والحج إلى بيت المقدس، بالرغم من ذلك كله ظلت المسيحية ترى قلبها النابض الذي يرسل إليها الحياة في أيدي المسلمين فاستعمل رجالها الدعايات وصوروا الإسلام ديناً وثنيا يهيم بالشهوات الجسدية وليس فيه معان إنسانية مقدسة وصوروا رسوله بصورة الكاذب المشعوذ الهائم بالذلة الجسدية والذي يدعو معتقيه إلى عبادتها والهيام بها.

أفسحت الدعايات الباطلة في خلق روح معادية للإسلام والمسلمين ملوثة بالاحقاد والأضغان والإحزن.

وكان هذا الرصيد من البغض والكراهية وحب الانتقام من الإسلام والمسلمين قد حمل أوربة، ملوكها وقوادها وشعوبها، على أن تقطع الفيافي والقفار والوديان والبحار لغزو المسلمين في عقر دارهم وتخليص الأرض المقدسة من أيديهم وإعادة بلاد النصرانية إلى

النصرانية ، وكانوا يرون من المسلمين معاملة إنسانية سامية ، وكانوا يعاملون المسلمين معاملة وحشية قاسية ولم يخف حقدهم ووجدتهم مع هذا كله وتكررت الغزوات والحملات ومكثت ما شاء الله من الزمن الطويل .

وللآدم رأى في دراسة التاريخ فهي تسخره لخدمة شعوبها وأغراضها ، فهي ترفع أوطانها وأبطالها إلى الذروة وتنقص الآخرين ولا يعنينا أن يطابق التاريخ الواقع ، إنما يعنينا أن يخدم وطنها وأن تغرس الكرامة والمحبة لأحبابها وتغرس الحقد والبغض والهووان لأعدائها أو لمن تراهم أعداءها ، وعلى ذلك جرى التعليم والتربية في مدن أوربة واتى الإسلام والمسلمون جوراً وظلماً واتهاماً كانا بريئين منها ، ولكنها عمقت الهوة بين المسيحية والإسلام .

وكان لمثل فتح بيت المقدس فتح القسطنطينية ، فقد كانت عاصمة الروم الشرقية وكانت المسيحية تعز بها ، فلما فتحت كان له من الأثر مثل ما لفتح بيت المقدس .

وهذا هو السر الدفين في كثير من الحركات والحوادث في التاريخ ، فالحروب المتوالية التي استمرت قروناً بين الأسبانيين والمسلمين في الأندلس ، والتي انتهت بإجلاء المسلمين عنها وخروج هذه الدرة اللامعة من التاج الإسلامي ، وما كان في خلال ذلك وبعده من اضطهاد ديني يقشع المرء منه عند سماعه ، مرجعها هذه الروح التي ربّتها الأجيال والقرون والدعايات المغرضة ، وهذا هو السر أيضاً في أخطاء الباحثين في الدين الإسلامي من المستشرقين ، فكثير منهم كان يعالجه بهذه الروح ، ولقد خرج بعض منهم من قيود هذه الروح فأنصفوا الإسلام وبني الإسلام كالكونت دي كاستري وكارليل ، ورأوا فيه ديناً أدى للإنسانية خدمات ، وعرج بها درجات .

وهذا هو السر أيضاً في أن أوربة تنكر على الإسلام والمسلمين أنهم ساهموا في رقيها ، وقاموا بقسط وافر في نقلها إلى هذه الحضارة التي تنعم بها اليوم ، والمسلمون في الأندلس الذين جوزوا كما جوزى سنهار ، هم الذين دونوا الفلسفة وشرحوها ولخصوها وأزالوا عنها أغلاط القرون وفساد الدهور ، فأخذتها عنهم وشغلت بها نقداً وتمحيصاً وبناء على ما عرفوا منها حتى كانت هذه المدنية التي يتمتع بها العالم اليوم .

هذه هي الحوادث التاريخية والدعايات الباطلة التي أثرت في نفوس الغربيين وباعدت بينهم وبين الإسلام وخلقت روحاً عامة في أوربة معادية للإسلام والمسلمين .

أما الحوادث التاريخية التي أثرت في نفوس المسلمين وحملتهم على فقد الثقة بالغرب فهي ما لا يزالون يذكرونه من الحروب الصليبية ومن تجمع أوربة عليهم وعلى غزوهم

في عقردارهم ، ثم إخراج المسلمين من الأندلس ، وإزالة ملكهم منها ومحكم التفتيش ، ثم حروب البلقان ومعاونة أجزائه على الانفصال من حكم الإسلام ، ثم تقسيم تركة الرجل المريض ، ثم ذلك الاستعمار الذى جثم على ممالك الإسلام وتوزيع المالك بين المستعمرين ، ثم حوادث فلسطين الدامية وتشريد سكانها في الفياض والقفار ، ومنح اليهود لإياها تحت سمع العالم المتمدن وبصره ، فهى مثل الحوادث التى أثرت في نفوس أوربة ، والفارق أنه لم تصحبها دعايات باطلة ، فما زال عيسى ابن مريم في الإسلام روح الله وكلته ، وما زال يقر له بالكرامة والمعجزات وما زال ينزهه وينزه أمه عما قرفهما به اليهود وما زال يتلى في كتابه الخالد : « ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » .

وقد أصبح الدواء معروفا مما تقدم وهو ينحصر فيما يأتى :

١ — أن ينصف الفريقان بعضهما بعضا في التاريخ فيعلم كلاهما أن الأرض التى هم عليها قد أخذوها من كان يملكها قبلهم ، وأن من كان يملكها قبلهم قد أخذها من كان يملكها قبله ، وهكذا دواليك ، وأن هذه سنة الله في الوجود ، وأنه لو صح لأحد أن يطالب بها بحجة أنه كان يملكها قبل ذلك بقرون ، لصح لسكان أرض فرنسا وإنجلترا الغابرين أن يطالبوا بإخراج الفرنسيين والإنجليز الآن من أراضيهم بحجة أنهم كانوا يملكونها قبل ذلك :

ولو دامت الدولات كانوا كغيرهم رعايا ولكن ما لهن دأوم وبذلك تسقط حجة اليهود في أن فلسطين لهم لأنهم كانوا يملكونها من قديم .

وقد كان بعض هذا التعاقب فيه صلاح البشرية وتقدم الإنسانية . إذا علمت هذه الحقائق خفت الموجدات والاحتقادات وبطلت هذه السياسات التى تعمل على رد ما كان إلى ما كان .

٢ — أن تغير دراسة التاريخ في أوربة ولا سيما ما يتعلق بتاريخ الإسلام والمسلمين ، فلا يدرسوه على وجه يحى العصبية على الإسلام والمسلمين ويدعو إلى احتقاره واحتقارهم ، بل يدرسوه دراسة منصفة تبين حقيقته وما قام به من جهد في تقدم الإنسانية وخدمة البشرية وأن تنصف المسلمين كذلك ، ومن حسن الحظ أن بعض علماء أوربة قد درس الإسلام وعلم حقيقته وأنصفه وأنصف المسلمين وبين ما لهم من قسط وافر في نقل الحضارة والعلوم إلى أوربة .

ومن حسن الحظ أيضاً أن هيئة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة قد علمت ضرر

دراسة التاريخ على وجه يثير العصبية والاحقاد فأوصت أن يدرس على غير هذا الوجه في الشرق والغرب والعبرة بالتنفيذ ؛ ونرجو أن يصاحبه التوفيق .

٣ — يجب أن يزول نظام الاستعمار وتسلب أمة على أمة وأن يكون لكل أمة الحق في تقرير مصيرها ، وإذا كان الضمير الإنساني قد أنكر أن يستعبد فرد فرداً ، فأعظم نكراً منه أن تستعبد أمة أمة . يجب أن يزول علاقة السيد بالأسود والحر بالعبد وتحل محلها علاقة الشريك بالشريك والمعاون بالمعاون والحر بالحر . وتجربة بريطانيا في الهند والباكستان تشجع على ذلك .

وكما أن نظام الرق يجعل الأرقاء لا يصلحون لشيء إلا لخدمة من استعبدوهم ، كذلك نظام الاستعمار يعطل المواهب والعقول ويسخر الأمم لخدمة المستعمرين . وهذا مخالف لسنة الوجود ، لأن البشرية تريد أن تنفع من جود جميع أبنائها وأن يعمل الجميع لتقدمها ولا تحتل فساد طائفة لأن الفساد يعدي ، والداء يسرى .

إن الاستعمار يولد بغضاً وحقداً في الأمم المستعمرة على من استعمرهم ، وكذلك يولد الحقد والبغض بين الأمم الراقية ، لأن الأمة المحرومة تجدد على الأمة التي ملأت يديها من خيرات الأرض وفازت بقسط أكبر من المستعمرات ، فتريد أن يكون لها هذا النصيب فتشعل نار الحرب . وإذا دقت النظر في الحربين العالميتين الأخيرتين وجدت أسبابهما ما ذكرنا ، فإنك تلمح المجال الحيوي الذي كانت تشبث به ألمانيا ، وتدعو إليه ، وتلمح موازنتها بين ما يملكه الفرد الألماني من الأرض وما يملكه الفرد الهولندي أو الإنجليزي أو الفرنسي والفرق الشاسع بينهما بسبب الاستعمار .

ومهما قيل من أسباب أخرى ، فذلك إبعاد في الخطأ وإيغال في البعد عن الحقيقة ، ولفت للأنظار عن السبب الحقيقي وذلك ليس في مصلحة الإنسانية .

ومن حسن الحظ أيضاً أن هيئة الأمم المتحدة أدركت ذلك أيضاً وأعلنت حقوق الإنسان وحقوق كل أمة في تقرير مصيرها ، ونتم لها ثمانية : إن العبرة بالتنفيذ ، وقد سمعنا مثل هذا في شروط الرئيس ولسون عقب الحرب الأولى ، كما سمعنا الميثاق عقب الحرب الثانية من الرئيس روزفلت . من مصلحة الإنسانية أن يكون ذلك صدقاً وحقاً ، وأن تعمل الدول على تحقيقه .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

نَفَاثُ الْفَرَانِ

— ٤ —

٣ - البيت العتيق

« وأتموا الحج والعمرة لله ،

في ظل الدعوة الجديدة التي هتف بها محمد ﷺ في مكة ، واستقرت دعائهما في المدينة ، وكثر سواد المسلمين بها ، كانت للنبي وأنصاره غلبة على قريش ، واستردوا البيت من أيديهم بعد أن حيل بينهم وبينه ثمان سنوات ، منذ هجر النبي وصحبه وطنهم الأول إلى دار النصر والإخاء . منذ اليوم خضعت رموس كانت تتشاخ بالجبروت ، وخشعت للحق أصوات كانت تصاحج بالباطل ، ودكت في هوان ومذلة أصنام كانت تحاط بالإجلال . . وطهر البيت العتيق من لوثته ، وعاد كما كان أول نشأته ، وتركزت راية الإسلام في مستقرها الأول . وعرفوا بعد طول شقاق أن الله الدين الخالص : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح في مكان سحيق » .

وإلى اليوم لم يكن حج البيت عندهم إلا تقليداً موروثاً ، وعادة مرعية يحتفظ بها العرب كما كانوا يحتفظون بغيرها من عادات وتقاليد ، ولئن كان في أول أمره ديناً على عهد إبراهيم وإسماعيل ، فقد تبدل كما تبدل الحق بينهم في كثير من صوره ، وطنى عليهم الباطل في أغلب الاوضاع .

فأما وقد نهض الحكيم الله في مكة المهادنة ، وأصبح الشأن للإسلام الذي كان طريداً منها ، فقد آنت دعوة الناس جيعاً إلى الحج والعمرة بعد أن استقرت بمكة قدم الفاتحين بعام واحد : أعنى في السنة التاسعة من هجرتهم لإيها .

وبذلك تألفت أركان الإسلام الخمسة ، إذ كانت الصلاة ، والزكاة ، والصوم قبل الحج بأعوام .

وأصبح المسلمون من قريش وسواهم يتشبهون بشعار الوحدة الدينية المتماكة ، وأصبح

البيت من جديد ملقى جموعهم وإن شطت بهم الديار ، وموسم تزاوهم وإن اجتازوا إليه المهامه واستهدفوا للأخطار ، وقبلة صلاتهم ، وإن ترامت بهم الأفطار وزحرت دونهم البحار . فهو البيت الذى تتوحد فيه أوطانهم ، وتندمج عنده جفسياتهم ، وتألف حوله عواطفهم ، وتتآخى على الحب قلوبهم .

فإذا اجتمعوا إليه : أحاطوه بالأجساد والأرواح .

وإذا تفرقوا من حوله : رمقوه على البعد بالافتدة ، والخواطر ، والبصائر ، فأى صلة تكون بين المسلمين أكد من هذه ؟؟

وأى عهد أوثق عند الله من عهد تولى الله عقده بينه وبين خلقه ، وربط به بين الآخذين بدينه ، وجمعهم به على ملة أبيهم إبراهيم ؟؟

ولم تك ملة إبراهيم سوى الإسلام مهما تحيفوا منها ، أو بدلوا فيها ، أو صبغوها بالطائفية ، وسموها بغير ما سماها الله .

« ما كان لإبراهيم يهوديا ، ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » ، « أم تقولون إن إبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط : كانوا يهوداً ، أو نصارى ؟؟ قل : أنتم أعلم أم الله ؟؟ » ،

دين إبراهيم هو الإسلام : الإسلام الخالص . . « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

فن الذى يرتكس فى الضلالة عن هذا ، أو تجرفه الجهالة فيحسب جميع الناس سواء فى عاقبتهم إذا كانوا على عمل طيب فى دنياهم ، ويتعمى عما فرق الله به بين خلقه فيما يعتقدون . . « إن الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئين ، والنصارى ، والمجوس ، والذين أشركوا ، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شئ شهيد . . » هذا تقرير القرآن ، وما سوى ذلك فباطل (١) . درج المسلمون على هذا ، وفرغوا قديماً من تمحيص العقيدة ، واطمأنوا إلى ما بينهم من أسباب فصلهم بالله ، وتجذبهم إلى نقطة الارتكاز التى هى معقل الإسلام وبرجه الشاىخ الظليل ، ... وهم حفيون بالبيت العتيق وإن ازورت منه أمم ضالة ، وفرحون به وإن حنقت عليه طوائف مكبوتة ، ومتعلقون به وإن انحرفت عنه نفوس مريضة .

(١) انظر الجزء التاسع رمضان سنة ١٣٧١ ص ٢٢ من هذه المجلة .

وهم يعتقدون حقاً أن من رحمة الله بهم، وكرمه فيما تخير لهم أن دعاهم إلى الحج والعمرة، وجعل هذا فيما شرع لهم أمراً حتمياً ولم يكن اختيارياً، إلا لمن أدى فرضه، وأبرأ ذمته.

ونحن نقف الآن من حكمة الله موقف المستهدى إلى تعرفها، والتثبت منها، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، فالله سبحانه يقول بعد تشريعه دعوة الناس إلى الحج: «ليشهدوا منافع لهم».

فما هي تلك المنافع التي يستهضئها إليها القرآن، بل استهضئنا إليها الإسلام من عهد إبراهيم عليه السلام، وأين هي؟ سيما أن القرآن يوجهنا إلى أنها مشهودة، والمشهود لا يحول بينه وبين مبتغيه إلا أن يخف إليه، ويدركه فيما يدرك بجهد يسير.

كما أن القرآن لا يدعو إلى أمر متخيل، ولا يرغبنا في خير طفيف، وإنما يعتمد الواقع، ويبحث على الجزيل.

ونحن في ضوء هذا التوجيه نلاحظ أن أسلوب الدعوة إلى الحج أقرب إلى الترغيب والتشويق والإطماع في الخير، ويكاد لا يفصح عما يلايس أعمال الحج من متاعب كما يفصح عما يقترن به من آمال، فأنت تقرأ - مثلاً - قوله تعالى: «ليشهدوا منافع لهم»، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير، ثم ليقتضوا نفثهم، وليوفوا نذورهم، وليطوفوا بالبيت العتيق، ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه - ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب».

تقرأ هذه الفقرات فتلمس فيها ترغيباً قوياً، وتلمس فيها إشادة بالأيام المعلومات - أيام الحج -، وإشادة بذكر الله في هذه الأيام لما لها من خصوصية، وتلمس فيها امتناناً من الله على عباده بما رزقهم من بهيمة الأنعام، وبما أتاح لهم من هناة مباحة، ومن عمل صالح، فهم يأكلون، ويطعمون البائس الفقير، وهم يوفون لله بما نذروا، ويطوفون ببيته، ويعظمون شعائره، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.

تقرأ هذا السياق الرطب المعسول عن الحج والعمرة إلى بيت الله الحرام، وما يتصل بذلك من مقاصد مشكورة، وهذا يهرك ويغريك ويفسيك ما قد يكون من نصب وعنت، وتقرأ في مقابلة هذا شيئاً عن الإحصار الذي يصادف المحرم بعد أن تلبس بالنسك، والزم

وفاء واحتمال ما به من حرج ، وتقرأ عن حظر الصيد في الحرم ، وحظره على المحرم أينما كان ، وعن عدم حلق الرأس إلى أمد معين ، وعما سوى ذلك من محظورات الإحرام ، وما يترتب عليها من فدية وجزاء ؛ على ما هو مبين ويعرفه أولو العلم .

والنظر إلى هذا الجانب يوقع في الروع أن في الحج متاعب ، وخاصة على المغترب والمترب ، وأن العناء في أعماله قد يزيد عما هو في الحسبان ، وقد ينال من الإنسان كثيراً .

فلم أفصح القرآن وأشاد في جانب الدعوة ، ولم أجمل واقتصد في الجانب الآخر : جانب المشقة ؟

قلت : إن القرآن يعتمد الواقع ، ويبرزه في صورة تكشفه ترغيباً فيه إن كان مشوقاً ، وترهيباً منه إن كان مخوفاً .

لذلك كانت لإشاداته بنفع الحج بقدر ما علم الله فيه من خير ومغرم ، فإن فاتنا شيء من علم ذلك الخير المرجو ، فحسبنا اطمئناناً أن الله نوه إليه ، ووعد به ، ورغب فيه وأحبه لنا ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه .

وأما ما يعلق بالحج من مخاوف ، أو يعترض قاصد بيت الله من مشقة ، فلا يداني ما فيه من فضل ، وما له من مقام . لذلك لم يأبه القرآن في هذا الجانب إلا بذكر ما يترتب على المحذور ، وبيان ما يقتضيه الشأن ، وما سوى هذا فلا يقام له وزن في باب الطاعات ، ومن شأن النفوس الخيرة السلسة القياد أن تسبق إلى الغرض وتتوق إلى الفوز ، وتخف إلى المبادرة ، وتذشط إلى التلبية غير حاسبة حساباً لما يلم بها من شظف . . على أن متاعب النسك قد لا تبلغ في قسوتها على المترب مخارف سفر آخر يقصد للربح ، أو يراد لغاية أخرى من الغايات .

في حين أن أى سفر آخر وإن عظم لا يجدى على المرء ما يجديه القصد إلى بيت الله الحرام فإذا كان الربح الهين ، والمنفعة التافهة مما يدفع بالناس إلى ركوب المخاطر ، فكيف يقعد المستطيع عن ربح خطير وعد به الله ، وهتف به القرآن ؟؟ .

ومع هذه الموازنة وبيان أرجحية النفع فقد يسر الله على عباده ، وجعله في العمر مرة ، وشرط فيها القدرة والأمن ، وكان من شأن هذا التيسير أن يجتذب الناس إلى السمع والطاعة خروجا من عهدة الغرض وشكرا على هذا الرفق ، ولكن الناس توسعوا في تحمل المعذرة

واستمرأوها حتى توانوا عن ركن من أركان دينهم ، وهم قادرون عليه ، وانتفضوا في تبجح بغضب على أقدس مظهر من مظاهر الفوقية الدينية ، وأجهر شعيرة من شعائر الإسلام .
نستطيع بعد هذه اللقطة اليسيرة أن نعود إلى تعرف المنافع التي حدثنا القرآن أنها مشهودة ، وهي بعينها الحكمة التي نيط بها تشريع الحج والعمرة في دين الله منذ القدم .

١ — نرى الحياة الدنيا بعد أن اجتازت من عمرها شوطاً بعيداً ، ونرى الحضارة منذ بدأت تنضج في جوانب دنياها ، ونرى العقلية الاجتماعية منذ نشطت من عقابها : ترى كل هذه الأمور الثلاثة توجه الناس توجيهاً لا مندوحة عنه إلى الاتصال ، وتدفهم دفعاً إلى التلاق ، وتحفزهم على تقريب المسافات رغبة فيما وراء هذا من منافع لا تال إلا باشتراك الجهود في عمارة الدنيا ، وبسط أجنحة الحضارة ، وإسعاد الإنسانية أينما كانت ، وبهذا تردت في الآفاق دعوات المصلحين الواقفين على مشارف النهضة ، بعد أن كشفت لهم تجارب الزمن عن الحاجة إلى التضافر الأشمل : غير أنهم وإن تصايحوا بالدعوة إلى تلك الأهداف لا يزالون أشتاتاً متفرقين في الاتجاه ، لأن إيمانهم بما يدعون إليه لم ينزه عن الغايات ، ولم تبرأ دعوتهم من الالاعيب ، ولم تنزل نياتهم في قبضة الشيطان .

ولسكن الإسلام - وهو دين الفطرة - أدرك من قبل : ما أدركه الناس من بعد ، فسبق إلى تشريع مؤتمره العام ، وحاطه بنظام يغني عن السكد في التقنين وهياً للمسلمين ، بل حتم عليهم أن يتلاقوا في مؤتمركم كل عام في بيت الله الحرام .

وما كان لدين بوجه دعوته إلى من هنا ومن هناك ، وينظر إلى سكان الأرض نظرة سواء ، ويرى إلى تكوين أمتة على غرار متحد وقومية متماسكة : ما كان له أن يغفل جمع أهله في مواسم معهودة ، ليتعرفوا ما بينهم ، ويدركوا ما يحيط بهم ، يأخذوا بما ينبغي لهم ويجدر بهم ، حتى لا تعطل مواهبهم ، ولا تضعف شوكتهم ، ولا يستبد الجهل بعقولهم فتضييق عليهم سبل الحياة بما يصيبهم من كسل ، أو يحدق بهم من هوان .

باجتماع المسلمين في البلد الأمين كل عام تنفتق أذهانهم عما توحى به الفطرة الجماعية ، ويستفيدون من سجال الرأي ما يدعون به حياتهم ، ومن التعارف ما يشد أواصرهم ، ويتعاضدون به على من عاداهم ، ويرهبون به من طمع فيهم ، وذلك جانب خطير في تركيز الدولة لو فطن الغافلون .

فأنت ترى من هذه الناحية وحدها أن الإسلام ، القديم على حضارتنا الراهنة ، قد سبقها

منذ قرون إلى جديتها المستحدثة ، وهو مع ذلك أكمل في نظامه ، وأصدق في دعوته : وأخلص في أهدافه ، فهو شباب في حضارته وإن تقدمت به السنون .

٢ — وناحية ثانية - لا يعوزها الإيضاح - فيما ينطوى عليه تشريع الحج والعمرة : ناحية التربية الفردية ، لتكوين أشخاص تتألف منهم الأمة المنشودة .

فالإسلام في مساوانه بين الناس يتمثل في مظاهر المحرمين بالنسك من الرجال ، لما يقتضيه أن يخلعوا ملابسهم ، ويطرحوا ما عساه من مميزات البيئته ، ومظاهر النعماء ، ليتوارى عن الأعين ما يكون من أمارات السؤدد ، ومياسم المجد ، فلا زهو ولا خيلاء ؛ أو ما يكون من أكسية فيها ابتذال وراثته ، فلا غضاضة ولا هوان .

فإذا استووا في شعار الإحرام على نحو ما وصفت الشريعة - إلا من اضطر - أحس الجميع بتلاشي الفوارق ، ورجعت بهم الخواطر إلى المساواة في العبودية لله ، وإلى الأخوة في الإنسانية ، وصغرت في نفوسهم الظواهر الشخصية أمام العزة الدينية ، ودبت فيهم الحساسية بالكرامة ، وأنه لا سيد بينهم ولا مسود ، ولا راجح ولا مرجوح ، وإنما هم جميعاً عفاة ضارعون ، خرجوا من ديارهم ، واغتربوا عن أهلهم ، وخلفوا وراءهم ما كان يشغلهم من أموال ، ومن كان يعز عليهم من بنين ، وتمثلوا في تجردهم من الخيط بما سيلقون عليه ربهم بعد ارتحالهم عن الدنيا . وتقدموا في تواضعهم هذا إلى ساحة إله كريم ، يجأرون إليه بالاستجابة : (لبيك اللهم لبيك ؛ لبيك لا شريك لك لبيك الخ) . وهكذا يناجون ربهم بالدعوات الطيبات ، ويستشفعون بأعمالهم الصالحات .

يتعاطف بعضهم على بعض ، لأن الإسلام هو اللحمة الواصلة بينهم ، ومرضاة الله مطمعمهم وأملهم ، وبذلك تذهب الانانية من بينهم ، ويملا الإخلاص قلوبهم ، وتركز لديهم العقيدة الإسلامية على أساس من الحق ، وركن شديد من اليقين .

وإذا كانت هذه الخصائص من نفحات الله على بيئته ، ومن فيضه على زواره ، أفلا يكون من الخير لعباده أن جعل الحج إليه ركناً من أركان دينه ، ليتفقهوا ويفقهوا : كيف جعل الله السكبة البيت الحرام قياماً للناس ، ؟ ؟

وإذا فقهوا ذلك فإن يصرفهم عنه كبرياء ، ولن يزهدهم فيه خطأ في التقدير ، وسيعلمون ، أو يعلم الموفقون المهديون منهم ، أن المتقاعدين عن البيت - وهذا شأنه -

متخلفون عن نفع كبير ، وخير غير يسير ، وأنهم منتفضون على نظام خطير وضع لصالح الفرد ونظام المجتمع ، وإنما الكبيرة لا يبوء بها إلا من سفه نفسه .

ولكن : مهما غفل عن بيت الله غافلون ، فإن جماعة المسلمين على إيمان حق بأنهم إذا شخصوا إلى البيت فإنما يلوذون بمقام تهبط فيه الرحمت ، وتستجاب عنده الدعوات ، إليه يلجأ العائد بربه ، ويظهر فيه التائب من ذنبه ، ويتجدد فيه العهد ، ويتوثق فيه الإيمان .

هو مشهد تودحم فيه الأشباح ، وتناجى ربها الأرواح ، والمسلم الحاضر هناك . . أخو المسلم الغائب هنا . . يذكره كما يذكر نفسه إذا زار البيت ودعا . . ويذكره إذا وقف بعرفات وأفاض ، وإذا طاف وسعى ؛ وربك عن دعاه قريب ، وهو للأوابين مجيب . ورب قائل : - قد يفيض الرضا من جانب الله ، ويغمر من لدنه العفو ، وقد يشمل بإحسانه القاصر والمقصر ، والغافل والمتذكر ، ويهب العاصين للطيعين ، والمذنبين للمستغفرين ، ثم يدخل عباده في ساحة رضوانه أجمعين .

نعم ! ! ولكنته - سبحانه : - علمنا أن الأمل لا يغنى عن العمل ، والرجاء لا يجدى مع السكسل ، وقد أهاب بنا إلى طاعته ، فحق علينا أن نستجيب لدعوته .

فأما العفو المطموع فيه فن شأن ربك ؛ وقد وعد العاملين المخلصين ، وهو أعلم بالسرائر ، وأدرى بالنوايا . . وكرمه أوسع من أن يضيق بالرجاء ، وهو لا يخلف الميعاد .

(للحديث بقية)

عبد اللطيف محمد السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

تدارك

وقع اشتباه في المقال السابق بعدد رجب ، إذ أتى ذكرت (ربنا وابعث فيهم رسولا من أنفسهم) والصواب (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) الآية فأرجو التنبيه مع الشكر .

السنة

٣- النظير في الإسلام

مبايعات النساء على التطهير - مكان المرأة في الإسلام - هل تستعيد المرأة سيرتها الأولى؟ - التطهير بالحنن والبلايا حتى يحسن ستر العورات ١؟ - القول الفصل في مبايعات الصوفية - دعوة إلى إصلاح الطرق .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النَّسَاءِ : أَلَّا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تُسْرِقَ ، وَلَا تُزْنِيَ ، وَلَا تُقْتَلَ أَوْلَادُنَا ، وَلَا يَعْصَهُ بَعْضُنَا بَعْضًا (١) فَنَ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَتَى مِنْكُمْ حَدًّا فَأَقِيمَ عَلَيْهِ فَمَوْ كُفَّارَتُهُ ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ عَذِّبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَّرَ لَهُ .

رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

* * *

رجعنا في صدر البيان لهذا الحديث أن المبايعات على التطهير من هذه الموبقات الست كانت بعد فتح مكة ، وبعد نزول آية الممتحنة د يأيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك ، فبایع النبي ﷺ الفساء ، ثم بايع الرجال على وفق مبايعتهن اقتداء بالقرآن الكريم . وكنا سقنا في كل من المقالين السابقين لفظ البخارى لهذا الحديث في كتاب الإيمان ،

(١) أى لا يرميه بالعضية وهى البهتان والكذب ، فالجمله هنا معنى الجملة الاخرى « ولا تأتوا بهتان يفترونه بين أيديكم وأرجلكم » .

لأنه أوفى الروايات وأدله على فضل هذه البيعة والمبايعين؛ ثم بدا لنا في هذا المقال الأخير أن نختار رواية مسلم في كتاب الحدود، تأييداً لما رجحناه، وتمهيداً لذكر مبايعات النساء ومكانهن في الإسلام..

لقد بايعن الرسول ﷺ وبايعهن غير مرة: في مكة بعد الفتح، وفي المدينة، أخرج الإمام مالك في موطنه عن أميمة بخت رقيقة (١) رضي الله عنها أنها قالت: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة بايعنه على الإسلام، فقلن يا رسول الله: نبايعك على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى بهتاناً نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف؛ فقال رسول الله ﷺ: فيما استطعن وأطقتن، قالت فقلن: إني الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلم نبايعك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة.

ومن بايعنه بمكة، صلوات الله وسلامه عليه، هند بنت عتبة زوج أبي سفيان، ففي حديث أسماء بنت زيد قالت: كنت في النسوة المبايعات وكانت هند بنت عتبة في النساء، فقرأ ﷺ عليهن الآية، فلما قال دعي ألا يشركن بالله شيئاً، قالت هند: وكيف نطمع أن يقبل منا ما لم يقبله من الرجال؟ فلما قال: دولا بسرقة، قالت: والله إني لأصيب الهنة من مال أبي سفيان لا يدري، أيحل لي ذلك؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها، فقال لها: وإنك لهند بنت عتبة، قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله، عفا الله عنك؛ فقال: دولا بزني، فقالت: أو تزني الحرة؟ تعني أن الحرة لا تزني أو لا يفبغى لها أن تقترف هذه الفاحشة! فإنها لا يتردى في بؤرتها إلا الأمة وأشباهها من الساقطات، وإلا فلايس يخفى على مثلها أن ذوات الرايات في الجاهلية كن حرائر! فقال: دولا يقتلن أولادهن، فقالت: ريبناهم صغاراً وقتلهم كباراً! تعني ما كان من أمر ابنها حنظلة بن أبي سفيان، فإنه قتل يوم بدر، فضحك عمر حتى استلقى، وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويروي أنها قالت: قتلت الآباء وتوصينا بالأولاد! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: دولا يأتين بهتان، فقالت: والله إن البهتان لا مرقيسح، ولا يأمر الله تعالى إلا بالرشد ومكارم الأخلاق؛ فقال: دولا يعصينك في معروف، فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا

(١) بقافين مصنفة كابنتها، وفي بعض النسخ رقية وهو تحريف.

أن نعصيك في شيء . ولم يرو عن امرأة من المبايعات على كثرتهم ما روى عن هند في جرأة مراجعتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة تعقيها عليه ، وإذا صحت هذه الجرأة في المراجعة فلحدادتها عهدها بالجاهلية ، مع حدة في اللسان وقوة في الجنان ، ثم لمكان ابنة زوجها أم المؤمنين رمة ^(١) ، رضى الله عنها ، من النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

واحتفال القرآن العظيم والنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، بمبايعة الفساء وتعليمهن وإرشادهن والاستماع إليهن ، ثم مبايعة الرجال على منهاجهن - أعظم دليل على إنقاذ المرأة من وهدهتها ، وإعلاء الإسلام لمكانتها ، والسمو بها إلى أوج العزة والكرامة ، بعد أن كانت من سقط المتاع !!

ولو أن المرأة عرفت في الإسلام مكانتها ، لشكرت نعمة الله عليها ، بالتزام حدوده وآدابه ، واستمسكها بهديه وكتابه ، ولكنها بدلت نعمة الله كفراً ، فسلبت نعمة المعرفة والهداية . وتخطت في متاهة الضلالة والغواية ، فلم يكن عجباً - وقد ركبت رأسها ، ومشت مكبة على وجهها - أن تبيع ما ملكها الإسلام من ملك عظيم ، بهرج من المدنية الكاذبة ، وزبرج ^(٢) من الحضارة الفاتنة الصاخبة ، حتى خسرت نفسها ودينها ومكانها جميعاً !!

يبد أن باب التوبة مفتوح على مصراعيه لمن شاءت أن تئوب إلى رشددها ، وتنظير من رجسها ، وتنظر بنور الإسلام إلى تاريخها ، مستعينة بالله تعالى أن يعيدها سيرتها الأولى .

* * *

وبعد فقد بينا في المقال السابق درجات الناس في النظير من الموبقات ، وضررنا أروع الامثال بأناس جادوا بأنفسهم لله عز وجل ، وذكرنا فيمن ذكرنا أناساً لم يقدروا على تطهير أنفسهم جهراً ، أو قدروا ولكنهم آثروا ستر الله ، فطهروا أنفسهم فيما بينهم وبينه سرا ، رأوا أنه تعالى ستر يحب السر ، وأنهم ما كان لهم أن يكشفوا ستر الله عنهم وقد سدله عليهم وجلهم ، فباؤوا لله ضارعين باكين ، منفقين مستغفرين ، مستسكين من الصالحات والخيرات ، مطمئنين إلى أن الحسنات يذهبن السيئات .

(١) كنيها أم حبيبة ، وأما صفية بنت أبي العاص بن أمية عمة عثمان رضى الله عنه .

(٢) الهرج . الباطل ، والزبرج الزينة والذهب والسحاب المنيهة .

ومن شكر نعمة الله تعالى على عبده في ستر فضائحه ومساويه - وما أعظمها من نعمة - أن يستر عورة أخيه، ويعف عن ذكرها ما استطاع إلى الستر سبيلا ، فقد روى أبو داود والنسائي عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال ، قال رسول الله ﷺ : من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مودة . وفي حديث مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه : « ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة » ، ولكن لا يحسن الستر إلا على ذى مروءة تعد هفواته ، ويرجى منه الخير وقبول النصيحة ؛ وأما من لا يرعوى عن غيه ، ولا يبالي نصيح الناصحين ، ولا هداية الهادين ، فإن الستر عليه لا يزيد إلا غيا وضلالا .

وآخرون أراد الله بهم خيرا فعجل عقوبتهم في الدنيا بما ابتلاهم من ضروب المحن والبلايا ، حتى يلقوا ربهم مطهرين أبرارا . فقد روى الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة . وروى الترمذى أيضا عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط . وروى الشيخان عن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب^(١) ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها . وروى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه لما نزلت : « من يعمل سويا يجز به » ، بلغت من المسلمين مبالغا شديدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة ، حتى النكبة ينكها والشوكة يشاكها .

* * *

وإنما تكون النكبات والمصائب - على اختلاف ضروبها - مطهرة ومكفرة ، إذا صبر المصاب عند الصدمة الاولى ، راضيا بقضاء الله وقدره ، مؤمنا بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ؛ فإن أمر المؤمن كله له خير : إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له . ومن آثار عمر رضى الله عنه : الصبر

(١) النصب : التعب ، والوصب : المرض .

والشكر مطيئنان لأبالي أيهما ركبت . يبين ، رضوان الله عليه ، أن شأن المؤمن في كل أحيائه أن ينتقل من خير إلى خير ومن أجر إلى أجر .

ولا يقدح في الإيمان والصبر والرضا أخذ المصائب بالأسباب المشروعة من التداوى والسعى وما إليهما ، بل ربما كانت واجبة يثاب عليها ولا يجوز التهاون فيها . وكل من عند الله ، وكل بقضاء الله حتى العجز والكيس . وللتفصيل مقام غير هذا . .

فإذا جزع العبد ولم يرض بقضاء الله تعالى كان كل ما أصابه عقوبة معجلة في هذه الدنيا : « ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

وان يتم تطهر العبد إلا بتخليه عن التبعات والمظالم ورد الحقوق إلى أهلها ما استطاع إلى الرد سبيلا ، فإن عجز فليكثر من الاستغفار لهم ، والتصدق - ما استطاع - عنهم ؛ فإن ذلك أدنى أن يرضى الله ويرضى خصومه عنه ، وإلا فويل له ثم ويل له يوم يطالبه غرماءه بديون لا قبل له بها ، ثم يكبه الله على وجهه وقد خسر الدنيا والآخرة !

إن ذلك هو المفلس الذي عناه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، حين سأل أصحابه فقالوا : هو من لادرم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ؛ فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار . رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه .

ذلك ، والصوفية وأرباب الطرق يعتمدون على أحاديث المبايعات في مبايعاتهم المختلفة ، وأخذ العمود والمواثيق على المريدين في التوجيه والسلوك . والقول الفصل فيما يعملون هم أو غيرهم من عمل ، أن يعرض على كتاب الله وهدى نبيه صلوات الله وسلامه عليه فما وافقهما فهو الرشd والهدى ، وما خالفهما فهو الغي والهوى . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما .

لاجرم أن البيعة على الاستقامة والهداية وما جاء به النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من أمر ونهى ، وورد وذكر ، وفرض ونفل ، من غير إرهاب ولا تطع ، ولا تكاسل ولا تواكل

ولا ذلة ولا مهانة — فهي تجديد لما بايع النبي صلوات الله وسلامه عليه أصحابه وأخذهم به ورباهم عليه ، وذلك من العهود المستولة ، والأمانات المحمولة ، والعقود التي لا يوفي بها إلا القوى الأمين ، من أمثال هؤلاء النفر الذين يروى مسلم حديثهم عن عوف بن مالك الأشجعي رضى الله عنه فيقول : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تباعون رسول الله ﷺ ؟ وكنا حديثي عهد ببيعة ، فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ، فبسطنا أيدينا ، وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك ؟ قال : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وتصلوا الصلوات الخمس ، وتسمعوا وتطيعوا ، وأسر كلمة خفية — قال : ولا تسألوا الناس شيئاً ، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه .

إن رجال الطرق في مصر وغيرها من بلدان الإسلام ، كثرة ذات شأن وثروة ذات بال ، وهم مسئولون بين يدي الله والتاريخ عن تربية أتباعهم ، فعليهم أن يطهروا أنفسهم ويأخذوها بالتي هي أقوم ، وأن يكونوا قادة للناس يدعون إلى الخير ، وبأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويهدون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والهدى النبوي فيما يأتون ويدرون ، لا عصبية ولا هوى ، ولا ابتداع ولا انحراف . وإنما هو التعاون على البر والتقوى ، وإيثار الحق أينما كان .

وعلى ولاية الأمور من العلماء والحكام أن يعاونوهم ويهيئوا لهم أسباب الرشاد والسداد . وقد علم الناس أن نفرا من أولى الفضل قد استجابوا في هذه الأيام لدعوة طالما وجهها كثير من ذوى الغيرة الإسلامية لإصلاح هذه الطرق وتقييمها بما يشينها من البدع والانحرافات والانحراف عن دين الله الخنيف . وهامهم أولاء ، ينتظرون ما وراء هذه الإجابة من خير ورشد وهداية إلى الصراط المستقيم : صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ^(١) ، والله المستعان ، ، وعلى الله قصد السبيل .

طه محمد السالك

(١) نرجو أن يكون لنا بحث في إصلاح هذه الطرق في مناسبة قريبة إن شاء الله .

التقليد والمحكاة في نهضتنا الحاضرة

ما يجب أن نقبسه من مظاهر القوة والخير

حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

تفضل فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر نخس ، الاهرام ، بهذا المقال الذى نشره فيما يلى :

نحن الآن فى طور من أطوار التاريخ ، عزمنا فيه على أن نهالج أسباب ضعفنا ، وأن نأخذ إن شاء الله بجميع وسائل القوة ، لنعود كما كنا أمة صالحة سليمة الاتجاه سعيدة العيش محترمة من الأمم ، ومتبادلة معها صنوف المصالح والمنافع ، ومتعاونة مع الجميع على التقدم بالإنسانية إلى أهدافها العليا .

وأول ما ينبغى لنا تمييزه فى معالجة أسباب الضعف والأخذ بوسائل القوة ، أن نكون على بينة مما نأخذ من غيرنا ، وما ينبغى لنا التمسك به من أصولنا ومبادئنا ، وما به قوام كياننا .

إن الإسلام يأمرنا أمرا دينيا بأن نكون أمة قوية بأخلاقها ، قوية بعلومها النافعة وصناعاتها التى عليها مدار العمران ، قوية باستعدادها العسكرى للدفاع دائما ، وفى أى لحظة عن كل ما لنا من حقوق ، وما تؤمن به من حقائق . فالأخذ بأسباب القوة من جميع هذه النواحي ، والاضطلاع بالعلوم اللازمة له من طبيعة وكيمياء وميكانيكا ورياضة واقتصاد وإحصاء ، فرض لازم على المسلمين ، لأن دينهم أمرهم بأن يكونوا أقوياء ، فأصبح ذلك واجبا عليهم ، وكل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ومما ينبغى لنا فى هذه الأمور ألا تقتصر على المحكاة والتقليد ، بل يجب أن نعد الأذكاء من أبنائنا وشباننا للتقدم فيها ، حتى يكونوا من أئمة المبتكرين وعلمائها المخترعين ، وقد وهبهم الله من الألعية والذكاء وعظيم الاستعداد ما يساعدهم على ذلك فى سنوات قريبة إن شاء الله .

هذا هو الجد ، وبهذا تتم النهضة فنأخذ في طريق الفلاح ، ونبلغ مقام الإمامة في العلوم ، ونأهل لما وراء ذلك مما استخلف الله به الانسانية الكاملة في الارض .

أما الامور التي بها قوام كياننا والعمل بمبادئنا والرجوع إلى أصولنا ، فهذا مما لا يجوز لنا محاكاة غيرنا فيه ، بل إن كل أمة تحترم نفسها وتعتز بكيانها ترفع عن محاكاة غيرها في أصولها ومبادئها ، وإننا لا نزال نذكر ما وقع في إنجلترا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فإن أعضاء حزب العمال في وزارة تشرشل كانوا يطالبون بتجديد الانتخابات النيابية ، وكان تشرشل يحب أن يتأني في ذلك ، فكتب إلى مستر أتلي يقترح أن يستعاض عن تجديد الانتخابات بعمل استفتاء عام ، فأجابه مستر أتلي بكتاب لا يزال يرن صدهاء في الآذان حتى اليوم ، إذ قال له فيه : « إن فكرة الاستفتاء » اختراع أجنبي ، وليس من الخير أن يسمح له بدخول البلاد البريطانية ، ولقد كان مستر أتلي على حق في هذا ، لأن كل أمة ذات أصول ومبادئ تتصل بنظامها الخاص بها ، وبكيانها الذي تعتز به في تاريخها ، لا يجوز لها أن تفرط في أصولها ومبادئها لتحاكي غيرها في شيء من ذلك ، وهذا الاعتزاز بأصول الأمة ومبادئها من مظاهر قوة الأمة ، بل هو من وسائل تلك القوة ، أما التفريط في ذلك والتلون بالألوان الغربية ، فإنه من مظاهر الضعف ومن وسائله ، وهذه الحقيقة الاجتماعية قررها ابن خلدون في مقدمة تاريخه وبرهن عايبها ، ولا تزال من حقائق الاجتماع إلى الآن ، على أنه لو لم يكن هذا من حقائق الاجتماع ، فإن الإسلام حتمه على أهله والأزهمم بالتزامه ، وكان أسلافهم أقوياء يوم كانوا ملزمين به ، ولو قبض الله لهذه الأمة علماء من أهل البصائر النيرة ، يدرسون ما عندنا من هذه الأصول والمبادئ دراسة علمية بلا تعصب ولا غرض ، لتبين لهم أنها هي المبادئ السليمة والأصول الصحيحة التي تقوى بها الأمة وترقى ، وأن التفريط فيها من مدارج الضعف وأعراض الانحطاط ، ونحن إذا عمدنا إلى التفريط فيها نكون متناقضين مع أنفسنا فيما نحاوله من أسباب القوة في مرافقتنا المسادية من زراعية وصناعية واقتصادية وعسكرية وغير ذلك ، إذ لا معنى لذلك إلا الجمع بين أسباب الضعف وأسباب القوة في وقت واحد .

إن هذه القاعدة المزدوجة - وهي الأخذ بكل ما وصلت إليه الأمم من علوم القوة والتقدم العمراني وأسبابهما ، مع التمسك بالأصول والمبادئ الخاصة بنا والموروثة عن أسلافنا - هي التي ينبغي لنا أن نعمل بها في أنفسنا أفرادا ، وفي بيوتنا وأسواقنا ومجتمعاتنا ودولتنا ، فالفرد منا يجهز نفسه وبيته بكل ما يحتاجه مما توصل إليه العلم ،

كالادوات الكهربائية والتليفون وأمثال ذلك ، وفي الوقت نفسه يتوقى كل ما لا يتفق مع آداب دينه ، كاختلاط النساء بغير محارمهن . وفي مصانفنا نستعين بكل ما وصل إليه العلم من آلات دقيقة وسريعة لتنافس الأمم بتقدمنا وجودة إنتاجنا ، وفي الوقت نفسه نتعامل مع عمالنا وعمالنا بكل ما أرشد إليه ديننا من رفق وتراحم وتعاون وإخلاص وأمانة وحفظ للبواعيد ، وتمسك بالعهود وتجنب لتقيصتى البخل والإسراف والمحاباة والاحجاف . وفي مجتمعتنا نتحرى المبادئ والقواعد والاصول الخاصة بنا فى كل ما نحاوله من تنظيم وعمل مع ما نحرص عليه من أسباب القوة والتقدم والتجاح ، لىصل حاضرتنا بماضيتنا ، ولنكون به قدوة لمن يأتى بعدنا من الاجيال .

إن النهضة التى تقوم على هذين الاساسين هى النهضة الصادقة النابتة الحظى ، الوثيقة الدعام ، وهى التى تقبلها الأمة بالاستبشار ، لأنها توافق مصالحها وتتفق مع راحة ضمائرنا ، وتكون بذلك فى عبادة ، لأنها جمعت بين سعادة الدنيا وفصائل الدين .

أما الذين يشغلون الأمة عن سعادة الاستعداد للنهوض بالتعرض لأمور تراها الأمة ماسة بأصول ومبادئ عزيزة عليها ، وهى فى الوقت نفسه لا دخل لها فيما نحن آخذون به للنهوض بالمرافق الصناعية والزراعية والعسكرية ، كمحاولة محاكاة الأمم الأجنبية فى نظام الأسرة وشئون الزواج والأمور الشككية كالازياء وما إليها ، فإن ذلك كله ليس من مصلحة الوطن ، ولا خير فيه لهذه الأمة ، وهى فى هذا الطور العظيم من أطوار نهوضها وتقدمها . وما ينبغى لجمهور الأمة أن يكون على علم به أن كل ما طرأ علينا من عدوى أجنبية فى حياتنا الاجتماعية ، كالإضراب عن الطعام احتجاجا على أمر من الأمور ، أو الإضراب عن العمل لاختلاف بين العمال وأصحاب الأعمال ، فإنه مما لا يلىق ببلد إسلامى ، لأن الإضراب عن الطعام انتحار ، والانتحار يسخطه الله ، وصاحبه يتعد عن حياة الدنيا وحياة الرضا فى الآخرة ، والإضراب عن العمل قتل للوقت وسخط للرزق ، وتعطيل لمصالح الأمة ، وما دامت أبواب العدل مفتوحة ، ومرافق الدولة مستعدة للنظر فى الشكاوى والتوفيق بين المصالح ، فذلك هو الطريق للوصول إلى الحقوق العادلة ، وإن هذا الشرق الإسلامى فى حاجة إلى أن يأخذ عن غيره أسباب القوة ، لا وسائل التعطيل والانتحار . ومن أدق موازين الحكم على الوعى القومى والنهوض الاجتماعى مراقبة ما تأخذه الأمة عن غيرها من خير ، وما تتجنبه مما لا خير فيه ، ونحن اليوم فى هذا الطور من أطوار التاريخ ، والتاريخ يراقبنا فى هذا الامتحان ليرى ما نأخذ وما نذر .

أزمة الفقه الإسلامي

نظرية السبب في العقد

(تممة)

١ - ذكرنا فيما سبق أنه يجب أن نعمل على استخلاص النظريات الفقهية التي تندرج تحت كل منها طائفة عديدة من التفريعات والأحكام التي نعرفها في الفقه ، وبهذا يغير الفقه الإسلامي في منهجه وطريقه عرضه ، ويأخذ في طريقه إلى التقدم .

ورأينا في الكلمة السابقة لهذه ، أن نعرض لنظرية السبب في العقد أو الالتزام ، وذلك من باب التطبيق لما ندعو إليه ، ولنوكد للعلماء بالقانون أن العلماء بفقه الإسلام وأصوله لم يغفلوا هذه الناحية في بحوثهم ، وإن كانوا لم يصلوا إلى وضع نظرية عامة فيها .

وانتهينا في تلك الكلمة من الحديث عن تعريف السبب ومعانيه وما يراد به في الفقه ، واليوم نتكلم عن الشروط التي يجب أن تتوفر فيه ليكون سبباً صحيحاً شرعاً يجب رعايته ، ثم عن حكم التصرف المجرد عن السبب ، وبذلك يتم البحث .

٢ - ونحب أن نوكد من أول الأمر أن الفرق كبير جداً ، فيما يتصل بشروط السبب الصحيح وتطبيقاتها ، بين الفقه والقانون . فالشريعة الإسلامية ، وهي تقوم على رعاية الصالح العام للفرد والمجتمع ، تتدخل حين يجب التدخل للحد من حرية المتعاقدين ، ومن ثم لا تجيز من العقود إلا ما لا يتنافى مع الأخلاق الطيبة والمصاحبة العامة للمجتمع ، على حين نرى القانون يجعل العقد شريعة المتعاقدين ، ومن ثم لا يتدخل في حريتهما إلا بقدر محدود .

حقيقة إن من قواعد القانونية أن ما يخالف النظام العام والآداب باطل ، وأنه لا يوجد الالتزام إلا إذا كان له سبب حقيق ومشروع ، وأن السبب يكون غير مشروع إذا حرمه القانون أو كان مخالفاً للآداب والنظام العام ، وأنه يجب أن يتوفر في السبب أن يكون موجوداً وأن يكون مشروعاً^(١) . كل هذا حق ، ولكن شيئاً منه لم يمنع أن يجوز

(١) نظرية الالتزام في القانون المدني المصري ، للأستاذ الدكتور حننت أبو سنيت ،

قانوناً ما كان من استئجار الدور للدعارة فى مصر وغيرها ، ولا يزال يحصل حتى الآن بكل أسف من استئجار الدور لتسكون مائة للخمر والميسر ، إلى نحو هذا وذاك من العقود التى لا يقر أسبابها خلق أو دين أو شريعة فاضلة .

٣ — هذا ، والشريعة الإسلامية ، التى تقدر أن الأعمال بالنيات ، وأن الأمور بمقاصدها ، توجب أن يتوفر فى سبب للعقد شروط ثلاثة :

(أ) ألا يكون واجباً على أحد طرفى العقد بدون العقد .

(ب) أن يظل قائماً حتى يتم تنفيذ العقد .

(ج) أن يكون مشروعاً حقاً .

وهذه الشروط الثلاثة نستخلصها من كلام الفقهاء فى أبواب كثيرة من الفقه ، وكذلك من بحوث الذين عنوا منهم بقواعد الفقه العامة ، مثل ابن رجب الحنبلى وابن جزى المالكي . ولم يكن هؤلاء الفقهاء نظريين ، بل كانوا عمليين يضعون الحلول لما يعترض فى الحياة من مشاكل ومساائل ، ولذلك نجد فى ثنايا كتب الفقه وقواعده كثيراً من التطبيقات لتلك الشروط .

٤ — فمن تطبيقات الشرط الأول أنه لا يكون صحيحاً أن يستأجر إنسان خادمه أو زوجته على عمل هو واجب على أحدهما ، لأن عقد الإجارة فى هذه الحالة لا سبب له . ولذلك يذكر الإمام الزيلعى أنه لا يجوز استئجار الأم لإرضاع طفلها إذا كانت فى عصمة زوجها (أى الأب) أو فى عدته ، لأن الإرضاع مستحق عليها ديانة ... فلا يجوز أخذ الأجرة عليه . ولهذا لا يجوز أن تأخذ الأجرة على خدمة البيت من الكفء وغيره ، وإنما لا تجبر عليه لاحتمال عجزها فعذرت ، فإذا أقدمت عليه ظهرت قدرتها فلا تعذر ، إلى آخر ما قال (١) .

٥ — ولو كان للعقد سبب من أجله أقدم عليه المتعاقدان ، ثم زال هذا السبب ، كان هناك حينئذ مقتضى لفسخ العقد ، ولذلك مثل كثيرة تمدنا بها كتب الفقه ونكتفى هنا بذكر البعض منها (٢) :

(١) راجع شرح الزيلعى ، ٣ : ٦٢ - ٦٣ فى باب النفقة .

(٢) راجع فى هذه الأمثلة وغيرها ، البدائع للسكاسانى ٤ : ٢٢٢ - ٢٢٣ ، مجموعة الرسائل

والمسائل لابن تيمية ، ٥ : ٢٢٤ وما بعدها ، القواعد فى الفقه الإسلامى ، لابن رجب ، ٣٢٢ - ٣٢٣

(١) استئجار مرضعة للطفل ، أو خادمة لخدمته وحده ، أو معلما لتربيته ، ثم يموت الطفل .

(ب) استئجار أرض للزراعة فانقطع الماء عنها أو صارت غير صالحة للزراعة لآى سبب من الاسباب .

(ح) استئجار دار للسكنى فانهدمت أو صارت غير صالحة للسكن ، أو محل للتجارة ثم أفلس المستأجر أو اضطر لترك البلد التى بها المحل .

ففى هذه الحالات وأمثالها ، نجد سبب العقد قد زال وأصبح غير قائم ، والنتيجة لذلك انقضاء العقد وانتهائه فى رأى جمهرة الفقهاء ، ومن هذه الحالات المرأة تنهب مهرها لزوجها طلبا لاستدانة العشرة بينهما ، ثم يطلقها ، فلها حينئذ الرجوع عن الهبة لزوال سببها .

٦ — ومن باب التطبيق للشرط الثالث وهو وجوب أن يكون للعقد سبب مشروع^(١) نذكر هذه العقود^(٢) .

(١) استئجار أحد المجرمين للإضرار بآخر ، بحرق بيته أو زراعته أو قتله مثلا .

(ب) بيع عصير العنب لمن يصنعه خمرآ .

(ح) بيع أدوات القتال لقاطع طريق أو لاهل الفتنة ، ومثل ذلك بيع أدوات الميسر والقمار .

(د) تأجير دار للدعارة أو للعب الميسر أو لتسكون حانة يباع فيها الخمر .

(هـ) الهدية لمن يتشفع للبهدى لدى أصحاب السلطان .

فهذه العقود ونحوها التى تقوم على سبب غير مشروع ، غير صحيحة فى رأى كثير من الفقهاء ، وما هذا إلا لعدم شرعية أسبابها .

٧ —بقى بعد ما تقدم ، أن نبحث بإيجاز التصرف المجرد عن سبب ، لنعلم هل يجب

(١) يوجب القانون ، كما عرفنا ، أن يكون للعقد سبب مشروع ، ولكن ما أعظم الفرق بين ما يعتبر مشروعا فى القانون وبين ما يعتبر كذلك فى الفقه الاسلامى .

(٢) راجع المحلى لابن حزم ٩ : ٢٩ - ٣٠ ، الخطاب على خليل ٤ : ٢٦٣ وما بعدها ، القواعد لابن رجب ص ٣٢٣ .

الوفاء بما يكون فيه من التزام أولاً يجب ، وهنا نجد الله تعالى يقول في سورة الصف :
 « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » ،
 كما نجد الرسول ﷺ يقول : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ،
 وإذا ائتمن خان » ، كما يقول : « وأى المؤمن حق واجب »^(١) .

ومن أجل هذه الآيات والأحاديث التى ذكرناها ، يرى بعض الفقهاء أن من يعد غيره
 بشئ ، ولو بلا سبب إلا ابتغاء الثواب من الله تعالى ، يجب عليه أن يفي بما وعد ؛ وإلا
 كان من الذين يقولون مالا يفعلون ، وكان فيه لذلك خصلة من خصال النفاق الثلاث .

٨ - وهنا نجد العلامة ابن حزم الأندلسى المتوفى عام ٤٥٦ هـ ، ثم الإمام القرافى
 المالكي المتوفى عام ٧٢٣ هـ ، يتعرضان فى دقة وتحليل لمسألة الوعد (وهو نوع من أنواع
 التصرف المجرد) لبيان ما يجب الوفاء به منه وما لا يجب مطلقاً .

لقد استعرض الأول آراء الفقهاء فى هذه المسألة ، فذكر أن أبا حنيفة والشافعى
 وداود بن على شيخ أهل الظاهر ، لا يرون أن الواعد يلزمه - شرعاً وقضاء - الوفاء بما وعد ،
 بلا سبب . ولا فرق بين أن يكون قد أدخل من وعده فى كلفة أو لم يدخله ، وإن كان من
 الأفضل طبعاً أن يفي بما وعد ، ثم ذكر أن الإمام مالك يرى أن الوفاء لازم فى الحالة
 الأولى فقط ، وأن ابن مبرمة يرى أنه لازم فى الخالتين ، وانتهى إلى أن الوفاء غير لازم مطلقاً
 إلا أن يكون الواعد قد وعد بشئ واجب عليه ، وهذا مثل الإنصاف من دين أو أداء حق^(٢) .

أما الإمام القرافى ، فقد ذكر شيئاً من اختلاف الفقهاء فى المسألة ، ثم قال^(٣) : « وجه
 الجمع بين الأدلة المتقدمة ، التى يقتضى بعضها الوفاء به وبعضها عدم الوفاء به ، أنه إن أدخله
 فى سبب ما يلزم بوعده لزم ، كما قال مالك وابن القاسم وسنخون ، أو وعده مقروناً بذكر
 السبب كما قاله أصبغ ، لتأكيد العزم على الدفع حينئذ ، ويحمل عدم اللزوم على خلاف ذلك ،
 ومن الوعد المقرون بالسبب أن يقول إنسان لآخر : اهدم دارك وأنا أسلفك ما تبني به ،
 اشتر هذه السلعة أو تزوج هذه المرأة وأنا أسلفك .

(١) الوأى : هو الوعد وزناً ومعنى ، وهذا الحديث رواه أبو داود ، انظر ابن حزم ج ٨ : ٢٩

(٢) المحلى ، ج ٨ - ٢٨٠ ، ٢٩٦

(٣) الفروق ، ج ٤ : ٢٧

٩ - ومن الواضح أن ما ذهب إليه الإمام مالك هو الصحيح ، نغنى وجوب الوفاء من الواعد إن تسبب بوعده في إدخال الموعود في كلفة ونفقات ، وعدم وجوبه - إلا في شرعة الأخلاق - إن لم يكن الأمر كذلك .

وأخيراً ، هذه هي نظرية السبب في العقد والالتزام ، عرضناها بإيجاز كما يمكن أن تستخلص من أقوال الفقهاء في كثير من أبواب الفقه . ولم نرد بذلك أكثر من تقرير أن الشريعة الإسلامية لم تغفل هذه الناحية الفقهية ، كما لم تغفل شيئاً مما يتهدد به رجال القانون في هذه الأيام ، وما علينا ، نحن ورثة أولئك الأسلاف العظام ، إلا أن نغنى بدراسة الفقه دراسة تاريخية مقارنة من ناحية ، ثم العمل على استخلاص النظريات التي يمكن أن تنتظم أحكامه وفروعه المنشورة هنا وهناك ، وحينئذ نكون قد قمنا بعملية التركيب ، بعد أن قام أولئك الأسلاف رضوان الله عليهم بعملية التحليل ، والتفريع .

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق

بجامعة فؤاد الأول

من أقوال أنا تول فرانس

- * من الحسن أن يكون القلب ساذجاً والفهم غير ساذج .
- * من الحق العظيم أن تحتقر خطراً يهددك .
- * في المموم تسلية عظيمة .
- * ينشأ الخطأ عن ضعف في الخلق ، أكثر مما ينشأ عن ضعف في الإدراك .
- * كل تبدل يطرأ علينا - وإن تميناها كثيراً - يورث حزناً وغماً ، لأن ما نتركه جزء منا ، وينبغي أن نموت في حياة لندخل في حياة أخرى .
- * لكل صورة شعرية معان عدة ، فأى معنى وجدته ، كان عندك معناها الحقيقي .

لغويات

استدراك

عرضت في جزء جمادى الآخرة ١٣٧٢ من هذه المجلة للعبارة الشائعة « اختر بين كذا وكذا » ، وقد خرجت من البحث إلى أن هذه العبارة لا سند لها في العربية ولم يرد مثالا . وقد وجدت مثيلا لها في صيغة تساق « اختار » من مادتها ، وهي « تخير » ، فيقال : تخير بين كذا وكذا ، ويقال على نسق هذا : اختار بين كذا وكذا . ويراد من التخير والاختيار حيثئذ الترجيح بين الأمرين أو الأمور .

وتقول العرب في هذا المعنى أيضاً : ميّـل بين الأمرين ومايل . وفي اللسان (ميل) : « وتقول العرب : إني لاميّـل بين ذينك الأمرين وأمايل بينهما أيهما أركب ، وأمايط بينهما ، . وشاهد ما أرى إليه من ورود « تخير بين الأمرين » قول الكلجة (١) :

يا كأس وبلك إني غالى خلقى على الساحة صعلوكا وذا مال
تخيري بين راع حافظ برم عبد الرشاء عليك الدهر عمال
وبين أروع مشمول خلائقه مستهلك المال للذات ، مكسال
فأى ذينك إن ثابتك نائبة ؟ والقوم ليسوا - وإن سوءوا - بأمثال

كأس : بنته ، ولها يقول في قصيدة مفضلية في شأن فرسه :

فقلت لكأس أجليها فإنما نزلنا السكيب من زرود لنفرعا

و « غالى خلقى » أى أهلكنى ، وإنما أهلك ماله ، وقد راعى في الخلق أن المرء مطبوع عليه فقال : « على الساحة » أى طبعى على الساحة . والصعلوك : الفقير لا مال له . والبرم :

الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر ، بخلا منه وشحاً بماله ، وهذا مذموم عندهم^(١) . والرشاء : حب الدلو . يريد بعيد الرشاء من همه الإسقام والامتياع ، ولا يعنى بالغزو وهم السادة . والاروع : الرجل الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسؤدد . والمشمول الخلائق : كريم الاخلاق ، طيبها ، أخذ من قولهم : ماء مشمول ، وهو الذى هبت به ريح الشمال فبردته . وقوله : « مستهلك المال للذات ، أى يبذل ماله ويفنيه فى سبيل لذاته من الخير والنساء ، وكان ذلك مما يتمدح به العرب ، كما كان السكسل مدحا عندهم إذ يدل على النعمة والرفه . وقوله : « فأى ذينك ، برفع د أى ، وهو مبتدأ محذوف الخبر ، أى فأى ذينك خير . ويروى د فأى ذلك ، بنصب د أى ، وفعله محذوف أى فأى ذلك تحتارين ، والإشارة على هذا بذلك إلى المذكور من الرجلين ، وقد أفرد نظراً لذلك كما فى قوله تعالى : « لا تافرض ولا بكر عوان بين ذلك » .

الطيارة أحد الأشياء المخترعة

المذياع إحدى الأدوات المستحدثة

«أحد» و «إحدى» من أسماء العدد . ولهما فى أغلب الأمر استعمالات واضحة لا تعقيب فيها . تقول : هذا الكتاب أحد الكتب النافعة ، وهذه الرسالة إحدى الرسائل الممتعة . وقد تعرض لهما فى بعض المواطن استعمالات تدعو إلى النظر ، كما فى المثالين المصدر بهما البحث . فهل تراعى المضاف إليه فتقول : الطيارة أحد الأشياء المخترعة ، أو المحدث عنه فتقول : الطيارة إحدى الأشياء ؟ وهل يقال : المذياع إحدى الأدوات المستحدثة ، أو أحد الأدوات ؟

والذى يبدو أن الأصل فى ذلك مراعاة المضاف إليه فى التذكير والتأنيث ، إذ كان أحد وإحدى بعض ما يضافان إليه . فإذا جاء الكلام على هذا الأصل فلا كلام فيه ، إذ جاء على الجادة وعلى طريقة الملحّسب . وإذا اختلف المحدث عنه - وهو بالموصوف بأحد

(١) المجلة - لأن المؤسرين منهم كانوا يدخلون فى الميسر فى زمن القحط ، أو فى الشتاء إذا أفقرت الأرض من السكلاً والمرعى ، فيضربون بالقداح على الابل ثم يجزرونها ويطعمون منها فقراء القبيلة . فن أبى من أغنيائهم أن يساهم فى ذلك نسبه إلى الأناثية والشح .

واحدى - والمضاف إليه في التذكير والتأنيث كما مر في الأمثلة السابقة فلا ضير أن يراعى المحدث عنه ، فإذا قلت : رسالة الشافعى أحد الكتب الجلية كان هو الأصل في الباب ، ولك أن تقول : رسالة الشافعى لحدى الكتب ، فتأتى بإحدى نظراً للرسالة . وهذا بالقياس على الضمير والإشارة إذا اختلف مرجعهما مع ما بعدهما . تقول : قراءة العلم نافعة ، وهو أمر محمود ، وهى أمر محمود ، وتقول : الحنطة تزرع في مصر ؛ وهذا غذاء جيد ، وهذه غذاء جيد .

وقد جاء من هذا قوله تعالى في الآية ٧٨ من سورة الانعام : « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر » ، فترى أن اسم الإشارة في الآية للشمس وهى مؤنثة ، وإشارتها هذه ، وليكنه أتى بالإشارة مذكراً نظراً للخبر وهو « ربي » . ويقول « الزخشرى » : « فإن قلت : ما وجه التذكير في قوله : هذا ربي والإشارة للشمس ؟ قلت : جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد ، كقولهم : ما جاءت حاجتك ؟ ومن كانت أمك ، ولم تكن فتنهم . وكان اختيار هذه الطريقة واجباً لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ، ألا تراهم قالوا في صفة الله : علام ولم يقولوا : علامة ، وإن كان العلامة أبلغ ؛ احترازاً من علامة التأنيث ، . وقوله : ما جاءت حاجتك أى ما صارت ، وقد ورد نصب « حاجتك » ، على أنها خبر « جاء » واسمها ضمير ما . وقد أنت الاسم مع عوده على ما — ولفظها مذكر — نظراً لمعناها وأنها حاجة . وكذلك قولهم : من كانت أمك ، فاسم كان يعود على من ، ولولا أنه يراعى فيها أنها أم لذكر ضمير الاسم ، وهذا كله مبنى على أن الاسم يسرى إليه التأنيث من الخبر . وهذا يرجع إلى باب واسع في العربية يترجم عنه بباب مراعاة المعنى . وقد أفرد له في الخصائص باباً ذكر فيه أمثلة كثيرة . ومن مراعاة المعنى قوله تعالى في الآية ٣٢ من سورة القصص : « أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه » ، ويقول أبو حيان في البحر ١١٨/٧ : « فذانك » ، إشارة إلى العصا واليد ، وهما مؤنثتان ، وليكن ذكر لتذكير الخبر ؛ كما أنه قد يؤنث المذكر لتأنيث الخبر ؛ كقراءة من قرأ : « ثم لم تكن فتنهم إلا أن قالوا ، بالتاء في تكن ، . »

وقد جاء في عيون الأخبار ١٣٢ / ٣ : « وسأل آخر قوما فقال : رحم الله اسراً لم تمجج أذناه كلامي ، وقدم لنفسه معاذاً من سوء مقامى ، فإن البلاد مجدبة ، والحال مصعبة والحياة زاجر من كلامكم ، والعدم عاذر يدعو إلى إخباركم ، والدعاء أحد الصديقتين . »

ورحم الله امرأ أمر بمير ، ودعا بخير . فقال له رجل من القوم : بمن الرجل ؟ فقال : اللهم غفرا ! من لا تضرك جهالته ، ولا ينفعك معرفته . ذل الاكتساب يمنع من عز الانتساب . .
والقارىء يرى في قوله : الدعاء أحد الصدقتين ، أنه راعى المحدث عنه ، ولو شاء لقال : لإحدى الصدقتين ، نظرا للبضاف إليه . وقد جاء في بعض الحديث : قلة العيال أحد اليسارين ، ولو جرى على ما جاء في خبر الأعرابي السائل ل قيل : لإحدى اليسارين .

وقد وقعت مباحثة في مسألة شبيهة بما نحن فيه بين علمين من أعلام النحو والعربية ، وهما السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ ، وابن خروف المتوفى سنة ٦١٦ . وقد كانا من محاسن الأندلس في عصره الزاهر . وقد ساق هذه المباحثة الجلال السيوطي في الأشياء والنظائر النحوية ٣/ ٩٩ ، وأورد الحجاج بينهما .

وحاصل المسألة أنه جرى في عقد ذكر ذكور وإناث محجورين ، وكتب الكتاب في الحديث عن أنثى : « لإحدى المحجورين » ، فتناول الشيخان هذه العبارة ونظرا فيها من جهة العربية . ويرى السهيلي أنها خطأ ، ويرى ابن خروف أنها صواب .

ويعتمد ابن خروف على شواهد في العربية روى فيها المحدث عنه ، ولم يراع المضاف إليه في أحد وإحدى . من ذلك قول النابغة :

بانث سعاد وأمسى حبلمها انجذما واحتات الشرع فالاجزاع من إضما
إحدى بلى وما هام الفؤاد بها إلا السفاه وإلا ذكرةً حُلما

فتراه يقول : لإحدى بلى في الحديث عن سعاد ، ولم يراع المضاف إليه وهو بلى . وكذلك قول العرجي :

عوجى علينا ربة الهودج إنك إلا تفعل على تخرجى
إنى أتيت لى يمانية لإحدى بنى الحارث من مذبح

وبما استدل به ابن خروف قوله تعالى في الآية ٣٨ من سورة الأعراف : « حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار » ، فترى أن المضاف إليه أولى وأخرى جماعة الذكور ، وجاء أولى وأخرى مؤثنين نظرا إلى معناهما وأن الحديث بهما عن أمتين .

ولا يرضى السهيلي ما ذهب إليه ابن خروف ، ويدفع احتجاجه بالبيتين بأن الكلام فيهما على حذف المضاف ، أى إحدى نساء بلى ، وإحدى نساء بنى الحارث ، وقد يدفع هذا ابن خروف بأن الاصل عدم التقدير ، ولا داعى إليه ما دام له وجه من التأويل .

ويدفع السهيلي احتجاج ابن خروف بالآية بأن المضاف إليه ضمير الامم ، ومفرد الامم أمة ، وهى مؤنث ، فلا شئ فى أولى وأخرى ؛ إذ يراد بهما الامة ، وكأنه يرى أن التأويل فى الضمير المضاف إليه ، إذ جهل للذكور وهو للامم نظراً للمعنى ، ولو روعى لفظ الامم لقليل : أولاهن وأخراهن . ولابن خروف أن يقول : إن الامم روعى فيهم التذكير ، فجاء ضميرهم ضمير جماعة الذكور ، فصار واحدهم حقه التذكير من هذه الجملة ، فكان حقه أن يقال : أول وآخر ، فلما جاء أولى وأخرى علم أن ذلك نظراً للحدث عنه فيهما لا للمضاف إليه .

والقارى يخرج من هذا بجواز ما صدر به البحث إن شاء الله .

محمد على النجار

الاستاذ بكلية اللغة

الزهر

الزهر أحلى مخلوقات الله ، غير أنه لم يهب له نفساً ناطقة . ه . و . بتشر
خلق الله الزهر زينة للأرض ، وتعزية للبشر . وأسعد الناس حظاً من يقرأ آيات الحكمة
السموية فى زهرة واحدة .
ورود سورث

الزهرة كتاب فتحه الله أمام أنظار خلقه ليتعلموا منها اللطف والتساح فى كل شئ ،
حتى أنهم ليطأونها بأقدامهم فترفع لهم رأسها وعلى وجهها ابتسامة جميلة . دى مونتغمرى
الازهار كواكب الارض ، والكواكب ازهار السماء . مسز بلفور

حَدِيثُ الْفَارِسِ عَنِ الْلُغُو

ما أكثر الكلام بين الناس ، وما أهون شأنه على الثرثارين الفارغين ، وما أقل الاعمال الطيبة عند هؤلاء ، وخاصة في المجتمعات الضعيفة المتحللة التي تقنع باجترار الالفاظ وترديد الكلام وتشقيق الاماني ، وقد راحت هذه الحقيقة كثيراً من المصلحين والحكماء منذ أقدم العصور ، وجسمها أبو العلاء المعري في بيت موجه له ، فقال :

لو غرِبَل الناس كيما يَعمَدُوا سَقَطَا لما تحَصَلَ شيء في الغراييل !!

وللقرآن الكريم حديث عن اللغو ، له عظته وعبرته ، وفيه فائدته وثمرته ؛ ويحسن بنا قبل عرض الحديث القرآني عن اللغو ، أن نستأنس بمعاني المسادة الكثيرة المتقاربة في معاجم اللغة .

فما جاء في لسان العرب عن مادة اللغو ، قوله : اللغو واللغا : السقط ، وما لا يعتد به من كلام وغيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع . وعن الفراء : ولد الشاة المبيعة يسمى لغواً لأنه تبع لها ، ولا ثمن له مسمى . وقال الأصمعي : هو الشيء الذي لا يعتد به . وجماع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والعجلة . وكلمة لاغية : فاحشة ، وفي التنزيل العزيز : لا تسمع فيها لاغية ، هو على النسب ، أى كلمة ذات لغو ، وقيل أى كلمة قبيحة أو فاحشة . وقال قتادة : أى باطلاً ومأثماً . وقال مجاهد : شتماً ؛ ونباح الكلب : لغو أيضاً . وقال الفراء في قوله تعالى : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، قالت كفار قريش : إذا تلا محمد القرآن فالغوا فيه ، أى اغلطوا فيه يبدل أو ينسى فتغلبوه . وإذا أمروا باللغو : بالباطل . ولغا فلان عن الصواب وعن الطريق : إذا مال عنه ، .

وفي معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس في مادة لغو ، (١) هذه العبارة : اللام والزين والحرف المعتل - الواو - أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على الشيء لا يعتد به ، والآخر على اللهج بالشيء . فالأول اللغو : ما لا يعتد به من أولاد الإبل في الدية ، قال العبدى :

أو مائة تجمّل أولادها لغواً ، وعرض المائة للجلد

يقال منه لغا يلغو لغوا ، وذلك لغو الإيمان . واللغا هو اللغو بعينه . قال الله تعالى :
 « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، أى ما لم تعقدوه بقلوبكم . والفقهاء يقولون : هو قول
 الرجل لا والله ، وبلى والله . وقوم يتولون : هو قول الرجل لسواد مقبلا : والله إن هذا
 فلان ، يظنه إياه ، ثم لا يكون كما ظن . قالوا : فيمينه لغو ، لأنه لم يتعمد السكذب .
 والثانى قولهم : لغى بالامر ، إذا لهج به ، ويقال إن اشتقاق اللغة منه ، أى يلهج
 صاحبها بها .

والقاعدة العامة التى نفهمها من حديث القرآن الكريم عن د اللغو ، أن اللغو باطل ،
 وأمر قبيح مكروه ، لا يليق بالمسلم ولا يحسن منه ، وأن الله يبغض اللغو ويكرهه ، ويبعده
 عن ساحة عباده المسكرين فى الدنيا والآخرة ، وأن هذا د اللغو ، سواء أكان قولاً أم عملاً
 من شأن الذين كفروا ، وأن المؤمنين يفرون منه ويعرضون عنه ، وأنهم إذا وقعوا فيه
 خطأ فإنما يقعون فيه عن طريق السهو والنسيان ، وسرعان ما يتذكرون ويرجعون ،
 ولذلك لا يحاسبهم الله عليه ولا يؤاخذهم به ، وأن الجنة - وهى موطن الراحة والتنعيم - ليس
 فيها هذا د اللغو ، ولنوضح ذلك نقول :

قال الله تبارك وتعالى فى الآية السادسة والعشرين من سورة فصلت : « وقال الذين
 كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » . وهذا هو المظهر الأول
 من مظاهر تنفير القرآن الكريم من اللغو ، إذ جعله عملاً من أعمال الذين كفروا التى
 يتواصون بها ، فهى إذن أدخل فى باب الكفران والعناد من غيرها . ومعنى الآية السكرية
 أن الكفار قالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن الذى يتلوه محمد ، وتشاغلوا أثناء تلاوته عنه برفع
 الأصوات وإحداث الضججات وترديد الهذيان والخرافات ، حتى تخطوا على القارىء ،
 وتغلبوه على قراءته ، وبذلك تغلبونه وتفتصرون وأى امرئ مسلم يقبل أن يلغو فيكون
 بمظنة الإضافة إلى حمى هؤلاء

وانظر — هُديت الصواب — إلى الآية التالية للآية السابقة ، تراها إنذاراً خفيفاً لهؤلاء
 اللاغين ، ووعيداً مفزعاً لهم ، إنها تقول : « فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ، ولنجزينهم
 أسوأ الذى كانوا يعملون ، فصلت - ٢٧

والله تبارك وتعالى يقول في الآية الثالثة من سورة المؤمنون : « والذين هم عن اللغو معرضون » . وهذا الوصف قيل في شأن المؤمنين ، لأن السورة الكريمة بدأت هكذا « قد أفلاح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون » ، وبالآية الثالثة هنا يبدأ المظاهر الثاني من مظاهر تنفير القرآن من « اللغو » .

ولنتذكر هنا أن اللغو هو مالا يعنى من قول أو عمل ، وأن « اللسان » يقول إن جماع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والبهجة . فكأن القرآن يقرر حقيقة من « حقائق النفس المؤمنة التي لا تكون مؤمنة إلا بها ، وهي إعراضها عن اللعب والمزل والباطل من القول والفعل ، وكل ما توجب المروءة للغاء وإطراحه ، لأن النفس المؤمنة تجدد من ميادين العمل المثمر والسعى الواجب ما يشغلها عن لغو القول والعمل » .

ولنلاحظ كيف وصف الله المؤمنين أولاً بالخشوع في الصلاة ، ثم بالإعراض باللغو ، ليجمع لهم بين الفعل والترك الحميدين الشاقين على الأنفس ، الذين هما قاعدتا بناء التكليف ، لأن هذا التكليف لا يخرج عن الأوامر والنواهي ، والأوامر تطالب بأعمال تؤدي ، والنواهي تحذر من أمور ترك . ولأنه لشأن جليل أن يوضع الوصف بالإعراض عن اللغو هنا ، وقبله ذكر الصلاة وبعده ذكر الزكاة

ويلحق بهذا الموطن قوله تعالى في الآية الثانية والسبعين من سورة الفرقان : « والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما » ، وهذه آية من آيات في وصف « عباد الرحمن » ، ومعناها أن عباد الرحمن هم الذين يتباعدون عن مجالس الكذب والبهتان من القول فلا يشهدونها ولا يقربونها ، تنزهها عن مخالطة الشر ومصاحبة أهله ؛ وإذا مروا باللغو — وهو كل ما ينبغى أن يلغى ويطرح — أو مروا بأهله ، مروا معرضين عنهم ، مترفعين بأنفسهم عن مشاركتهم ؛ وقد يدرك الذوق البياني شيئاً من جمع شهادة الزور مع اللغو ؛ فلا يحسن خاطيء أن أمر اللغو ميسور ، بل إن إتيانه واعتياده من أخطر الأمور .

ويقول الله تعالى في الآية الخامسة والخمسين من سورة القصص : « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » . والحديث عن عباد الله الطيبين . وسلام عليكم ، أى توديع لكم ومشاركة^(١) . وعن الحسن : هي كلمة

(١) استغفنا من الكشف في معاني الآيات .

حلم من المؤمنين . ولا نبتغي الجاهلين ، أى لا نريد غلاتهم أو صحبتهم . وما أشد التعريض حينما يقول القرآن عقب هذه الآية : « إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين » ، القصص — ٥٦

* * *

ويقول الله تبارك وتعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حلِيم ، البقرة ٢٢٥ » ؛ ويقول أيضاً في الآية التاسعة والثمانين من سورة المسائدة : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان » ، وهنا يأتي الموطن الثالث من مواطن تنفير القرآن من اللغو ، فاللغو من الأيمان والأقسام هو الساقط الباطل الذى لا يعتد به ولا يتعلق به حكم ، ولا عقد معه ؛ ولما كان باطلاً وليس داخلًا في همة المسلم أو قصده ، وليس مما يحسن به الالتفات إليه أو الاعتماد عليه ، جعله الله لغواً ، وعفا عنه فيما يعفو عنه ، والله غفور حلِيم .

وقد أفاض المفسرون والفقهاء الحديث عن لغو اليمين ، وتعددت آراؤهم فيه تعدداً مبيناً ، ولكنك تستطيع أن تلمح فيها بسهولة جامعاً يجمع بين أغلبها ، وهو عدم قصد لهذه اليمين ، وعدم عقد القلب عليها أو اعتبارها من كسب المرء المراد له ، وإنما هي فلتات اللسان أو هزات الغضب أو توابع الخطأ والسهو والنسيان ؛ وإليك ما نعرفه من وجوه اختلاف العلماء في تحديد اللغو :

عن ابن عباس : هو قول الرجل في درج كلامه واستعجاله في المحاورة : لا والله ، وبلى والله ، دون قصد لليمين . وعن عائشة : أيمان اللغو هو ما كانت في المراء والهزل والمزاح والحديث الذى لا ينعقد عليه القلب . وعن أبي هريرة : إذا حلف الرجل على شيء لا يظنه إلا أنه إياه ، فإذا ليس هو ، فهو اللغو ، وليس فيه كفارة ؛ وروى أن قوماً تراجعوا القول عند الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يرمون بحضرتة ، خلف أحدهم قائلاً : لقد أصبت وأخطأت يا فلان ، فإذا الأمر بخلاف ذلك ؛ فقال الرجل : حنث يا رسول الله . فقال النبي : « أيمان الرماة لغو ، لا حنث فيها ولا كفارة » ، وعن سعيد بن المسيب : هو يمين المعصية ، كالذى يقسم ليشر بن الحنجر ، أو ليقطعن الرحم ؛ وبره ترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه ، وقيل إن الحجة في ذلك قول الرسول كما في سنن ابن ماجه : « من حلف على يمين

فراى غيرها خيراً منها فليتركها ، فإن تركها كفارة ، . وعن ابن عباس : لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان ، وذلك لقول الرسول كما في صحيح مسلم : لا يمين في غضب ، . وعن سعيد بن جبير : لغو اليمين تحريم الحلال ، مثل ما لي على حرام إن فعلت كذا . وعن زيد بن أسلم : لغو اليمين دعاء الرجل على نفسه ، مثل أعنى الله بصره ، أذهب الله ماله . وعن مجاهد : هما الرجلان يتبايعان فيقول أحدهما : والله لا أبيعك كذا . ويقول الآخر : والله لا أشتريه بكذا . وعن النخعي : هو الرجل يحلف ألا يفعل الشيء ثم يفسى فيفعله . وعن ابن عبد البر : اللغو أيمان المكروه . وعن ابن العربي : أما اليمين مع الفسيان فلا شك في إلغائها ، لأنها جاءت على خلاف قصده ، فهي لغو محض . وقال الضحاك : لغو اليمين هي المكفرة ؛ أى إذا كفرت اليمين سقطت وصارت لغواً . .

الاقوال كثيرة كما ترى ، والجامع بين أكثرها أنها غير معتبرة أو مقصودة ، فهي لغو ، ولا يؤخذ صاحبها عليها ، والله هو ذو المغفرة ، وأقرب الآراء إلى القبول هنا هو القول الأول ، أى ما يحدث في درج الكلام واستعمال المحاورة . .

* * *

ثم يأتى الموطن الرابع من مواطن تنغير القرآن عن اللغو ، وتصويره له بصورة الشيء المكروه المرغوب عنه . فالجنة وهي دار الثواب والنعم ، وهي محل الزينة والمتعة ، تخلو من اللغو ، وكأن في هذا إشارة بليغة من القرآن ، ورمزاً دقيقاً للمؤمنين الطالبين لنعيم الجنان ، بأن يتجنبوا لغو القول ولغو العمل ، حتى في لاهوتهم وتمتعهم وسميرهم ، لأن الجنة وهي مثلهم الأعلى في المتاع والنعم خالية من هذا اللغو الذى لا يليق . يقول الله تبارك وتعالى : لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً ، إلا قتيلاً سلاماً سلاماً ، الواقعة - ٢٥ ، ٢٦ .

أى لا يسمعون في الجنة شيئاً من اللغو أو التأثيم ، ولكن يقولون ويسمعون : سلاماً سلاماً ، أى يفشون السلام بينهم ، فيسلمون سلاماً بعد سلام . ويقول : لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ، مريم - ٦٢ ، أى لا يسمعون فضول الكلام وما لا طائل تحته ، ولكن يسمعون سلاماً ، ويأتهم رزقهم فيها رغداً صباحاً ومساءً ، ويتكلمون كلاماً يسمعون فيه من النقيصة والعيب .

ويقول : لا تسمع فيها لاغية ، الغاشية - ١١ ، أى لا تسمع فيها لغواً ، أو كلمة ذات لغو ، أو نفساً تلغو ، إذ لا يتكلم أهل الجنة إلا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعم الدائم

ويقول : « لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ، النبأ - ٣٥ . أى لا يكذب بعضهم على بعض ، ولا يكذب بعضهم بعضا . ومن الممكن أن نلاحظ من طريق الذوق اقتراب اللغو من الكذب ، إذ اجتماعهما فى موطن واحد .

ويقول : « يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ، الطور - ٢٣ ، حتى الخمر فى الجنة ليس فيها لغو . أى يتعاطى المؤمنون ويتبادلون هم وجلساؤهم وإخوانهم كأسا من الخمر لا لغو فى شربها ؛ فلا يتكلمون أثناء تناولها بسقط الحديث أو ما لا نفع فيه ، كما يفعل اليوم المجرمون الآثمون المتنادمون على الشراب فى عربدتهم وسفهمهم ، ولا يأتون إنما كالـكـذب أو الشتم أو الفواحش ، وإنما يتكلمون بالحسك والكلام الحسن ، متلذذين بذلك ، لأن عقولهم ثابتة ، وهم علماء حكماء .

وهكذا ينزه الله عباده عن اللغو حتى فى الآخرة ، وهى الدار التى لا تكليف فيها ، نعوذ بالله من الخوض فيما لا يعنيننا من قول أو عمل .

وقد يكون من مقتضيات الحال أن نعرف شيئا عن استعمال كلمة « اللغو » فى الحديث النبوى الشريف . يقول ابن الأثير فى كتاب النهاية : « قد تكرر فى الحديث ذكر لغو اليمين ، قيل هو أن يقول لا والله ، وبلى والله ، ولا يعقد عليه قلبه ، وقيل هى التى يحلفها الإنسان ساهيا أو ناسيا ، وقيل هو اليمين فى الغضب ، وقيل فى المرأ ، وقيل فى الهزل ، وقيل اللغو سقوط الإثم عن الخالف إذا كفر عن يمينه . يقال : لغا الإنسان يلغو ، ولغى يلغى ، إذا تكلم بالـلـطـفـرـح من القول وما لا يعنى وألغى إذا أسقط ... وفيه : من قال لصاحبه والإمام يخطب : أنصت فقد لغا . والحديث الآخر من مس الحصة فقد لغا ، أى تكلم ، وقيل عدل عن الصواب ، وقيل خاب ، والاصل الاول وفيه : والحوالة الماثرة لهم لاغية ، أى ملغاة ، لاتعد عليهم ، ولا يلزمون لها صدقة ، فاعلة بمعنى مفعلة ، والماثرة : الإبل التى تحمل الميرة ، ومنه حديث ابن عباس أنه ألغى طلاق المسكرة أى أبطله ، وفى حديث سلمان : إياكم وملغاة أول الليل . الملغاة مفعلة من اللغو والباطل ، يريد السهو فيه ، فإنه يمنع من قيام الليل . »

أما بعد ، فاللغو فى القول والعمل شئ قبيح باطل ، وقد صورده القرآن بصورة منفرة فى جميع أحواله وليس من شأن المسلم أن يألفه أو يميل إليه ، فلنسأل الله أن يأخذ بنواصينا إلى الجدد ، وأن يوفقنا لصالح القول والعمل .

أحمد الشرباصى

مبعوث الأزهر الى الكويت

سقى السيفَ عفواً من دم لك طليح
دع الهزل يا (ابن الحنظليّة) إنه
هي (اللاتُ والعزى ^(١)) أضلّتك هذه
مضى جأرك المأفون ^(٢) خزيان وانقضت
لقد كنت ترجو أن ترى (الهليل) الذى
أصبت (ابن مسعود) سناءً ورفعة
نخذ سيفه ، ثم ارفع الصوت شاكراً
فن (مرتقى صعب) إلى مستقى سهل
هو الجدُّ كلُّ الجد لو كنت ذا عقل
وزادتك هذى من ضلال ومن تخيل
حباؤك فانظر هل ترى الآن من حبل ^(٣) ؟
رضيت به رباً يفوز ويستعلى
وباء عدو الله بالخزى والذل
فا بعد ما أعطاك ربك من سُؤل

* * *

سواد بن غزيرة

كان سواد بن غزيرة حليف بنى النجار من أفراد الجيش في هذه الغزوة ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم خارجاً عن الصف وهو يعدل الصفوف ، وكان ييده سهم قطعته به في بطنه وقال له : استو يا سواد . فقال : يا رسول الله أوجعني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأعطني القصاص . فكشف الرسول الكريم عن بطنه وقال : استقد ، أى خذ قودك ، وهو القصاص ، فاعتنقه سواد ، وقبل بطنه الشريف :

(يوم بدر) وأنت أعلى مقاماً
ما ذكرنا بك القواضب يفتظي أنت أيقظتها مشعوباً نيماً
غرقت في الظلام لا تحسب البغي ذمياً ، ولا الفسوق حراماً

(١) كان المسلمون يقولون في هذه الواقعة : والله مولانا ولا مولى لكم . . وكان أبو جهل يقول :
لنا العزى ولا عزى لكم . .

(٢) تمثل إبليس في صورة سرافة بن مالك للمشركين وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، وكانت يده في يد الحارث بن هشام أخى أبى جهل ، فلما رأى الملائكة انزع يده من يده ، ثم نكس على عقبه ، فقال له الحارث . يا سرافة ، أتزعم أنك جار لنا ؟ قال : إني برى منكم ، إني أرى مالا ترون . إني أخاف الله . فتشبت به الحارث وقال والله لا أرى إلا خفافيش يثرب . قال الحارث : ما علمت أنه الشيطان إلا بعد أن أسلمت .

(٣) لما قتل رؤساء المشركين . قال أبو جهل : يا قوم ، لا يهولكم قتل من قتل ، فواللات والعزى لا نزع حق نفرن محمداً وأصحابه بالجمال ، لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد .

تكره العدل في الحقوق وترضى حين يأبى ساداتها — أن يُقاماً
استقم يا (سواد) في الصف واعلم أن للجيش في الحروب نظاماً
يا (سواد) طعنة سهم صادفت منك أريحياً ثماماً
لو يُريدُ الأذى بها لم تطفئها من يعاف الأذى ، ويأبى العُراماً
عدل الصف فاستوى ، وقضى الأمر على شرعة الهدى فاستقاماً
لإنها شرعة ربك يضيئها فهدى الشعوب والأقواماً
تمنع المرء ذا البراءة أن يؤذى وتحمي الضعيف عن أن يضاماً
وتزيه القوي بذعن للحق ويغني بجانيه اعتصاماً
قلت : أوجعتني ، وقد جئت بالحق وبالعدل رحمةً وسلاماً
القصاص القصاص ، إني أراه يا (إمام الهداة) أمراً لازماً
قال : هذا بطن لبطنك كفؤ فاستقد إن للضعيف ذماماً
طابت النفس يا (سواد) وعاد الآ ن برداً ما كان منها ضرماً
واعتقت (الرسول) بعد شكاة فاعتنقت الخلال غراً وساماً
وابتدرت (البطن المطهر) لثماً فابتدرت الحيرات شتى عظاماً
ها هنا العدل والسباحة والإحسان أعظم بذاً المقام مقاماً
أدب الله (عبدَه) وهدهداه واصطفاه للبتقين إماماً
أى دين كدينه في علاه ! أى قوم كالمسلمين القدامى ؟
أرأيت الضعاف في كل أرض كيف أمسوا للأقوياء طعاماً
حرّموا الطيبات بغياً وظلماً واستحلوا الذنوب والآثاماً ؟
رب إن شئت للشعوب حياة فابعث المسلمين والإسلاماً
لمبعث النور في الممالك ، يهدى كل شعب غوى ، ويمحو الظلاماً

إِمَامٌ

مع القارئ الفاضل في إمام كان واحداً من ستة انتهى إليهم علم الإسلام في أزهى عصوره ، كما كان من قبل ، سادس ستة ما على وجه الأرض مسلم غيرهم . إمام من أئمة الهدى والفضل كان أشبه الناس بمحمد ﷺ في هديه وسمته ودله ^(١) كان محبوباً : يشهد إذا غاب الناس ، ويؤذن له إذا حجب الناس ، ملك في زى مسكين ، وقوى بلا عشيرة من الأقربين ، وهاد خطير وهو عند المحجوبين من المستعففين رفعة العلم والاستقامة ، وتأنق نجمه بالجد والاستدامة ، أشرق نور الحق في قلبه غلاماً منذ رأى صاحب الرسالة يباركه الله بالسر والرعاية ، فترك شأنه كله ولزمه حتى انطبعت في نفسه معارف الوحي من الكتاب والحكمة وحتى صار لا يفرق بينهما إلا ما خص الله به نبيه في شخصه من الرسالة ، وفي نوعه من النسب العريق والجمال في الخلق . فكان محمد رسولاً ونبيّاً ، وكان هو معلماً وولياً ، وكان محمد في نسب وحسب من قومه وآبائه ، وكان نسبه وحسبه فيما أفاد من محمد من دينه ولإبائه وكان محمد جميلاً لا يدرك جماله ، وكان جماله فيما أخذ عن محمد من رفقه ودله وسمته ومنطقه .

وجدير بك أيها القارئ الكريم أن تدرس سيرة هذا وأمثاله - وقليل ما هم - ليؤتيك الله سبحانه تقوى تكمل بها نقصك . وديناً تحفظ به عقلك ، وخلقاً ترفع به شأنك . ورياضة نفسية تحجزك عن كثير من الشهوات والشذوذ . وتوجه بك إلى الجدم المنشود ، والحق الرفيع ، والمجد الذي لا يدرك . ذلك أن النفس حيث تضعها أنت . وهي تصدأ كما يصدأ الحديد فتنزول إلى الدرك الأسفل وتستعصى على الرفعة (وهي خير لها) حتى تجلو صدأها بذكرى الرجال وتوارىخ المجاهدين العالمين ، فعند ذلك تلمس سماءاً مما خلقها الله له فتخرق الحجب ، وتأنى إلا أن تقر في السماء ذات البروج .

[١] الهدل ما يكون على المرء من سكينته وسمته .

وبعد فذلك هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي ، حليف بني زهرة الذي كان يرعى الغنم لعقبة بن أبي معيط ، حتى رأى محمداً فشرح الله للإسلام صدره ، ولزم باب أمير الانبياء ، وأسلم نفسه له يلقنه من القرآن والعلم والحكمة ما شاء ، وشهد مع السيد الرسول جميع المشاهد لحاز الفضل من أقطاره حتى صار مرجع العلماء ، وموضع تبجيل الأمراء والكبراء ، وتخيره عمر - وهو من تعلم في تخيره ودقته - تخيره قاضياً على الكوفة ومعلماً ووزيراً ، لعله الفياض وحكمته ، وتخيره أميناً على بيت المال لما استفاض من أمانته ، حتى عزله عثمان أيام الفتنة ، وهو أطوع ما يكون ، وأبعد الناس من الفتنة ، وصار إلى المدينة موضع التثمين والهداية لامة محمد حتى كانت وفاته بها سنة ٣٢ عن بضع وستين سنة .

كان عبد الله نحيفاً قصيراً تكاد الجلوس توازيه . تفتححه العين ، ويزدريه أهل الشرك ، حتى ذكروا أن أبا جهل خاطبه وهو يحمن عليه في بدر فقال : لقد رقيت مرقى عالياً يا رويي الغنم ! واسكنه لما أقبل بصاحب الرسالة وترك الدنيا إثارة لصحبته ، وإخلاصاً له ، وطلباً لما عنده من فضل وعلم ودين ، أعزه الله وأعلاه وفضله .

روى أبو نعيم وغيره بأسانيدهم إلى عبد الله بن مسعود قال :

« كنت غلاماً يافعا أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة ، فأتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فقال : يا غلام ، عندك لبن تسقيننا ؟ فقلت : إني مؤتمن ولست بساقيكما فقال : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ فأتيتهما بها . فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا ، فحل الضرع ، فخاب وشرب هو وأبو بكر . ثم قال للضرع : أفلص ^(١) فقلص . فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : علمني من هذا القول الطيب فقال رسول الله : إنك غلام معلم . فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد » .

هذه بداية عبد الله بن مسعود في الإسلام ، فما ظنك برجل تكون هذه بدايته . لهذا كان عبد الله يعتد بتلك الناحية في مزاياه ، ويدعو الناس إلى الأخذ بقراءته ، ويوجب من أمر من يترك روايته ويأخذ بقراءة زيد فيقول « عجباً للناس وتركهم قراءتي وأخذهم بقراءة زيد

[١] من قلص الظل يقلص فلوصا . انقبض .

وقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وزيد بن ثابت صاحب ذؤابة يجيء ويذهب بالمدينة .

لزم عبد الله رسول الله يأخذ عنه القرآن والدين ، وخالطه مخالطة جعلت من لا يعلم أمره يرى أنه من أهله .

أخرج الشيخان والترمذي بأسانيدهم إلى أبي موسى الأشعري قال :

« قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرة دخولهم على رسول الله ولزومهم له . »

وقد استفاضت الأخبار أن عبد الله وفق في هانئ الناحية أيما توفيق ، فكان خادماً مخلصاً أميناً ، وتليذاً حاذقاً رشيداً . كان صاحب سر رسول الله ووساده ، وعصاه وسواكه ، وطهوره في سفره . وبلغ من خدمته وإخلاصه أنه كان يلبسه النعل إذا قام ، ثم يمسك بعصاه فيسير بها أمامه ، فإذا عاد إلى مجلسه خلع نعله فوضعهما في كم قيصه ، فإذا قام إلى بيته سار أمامه حتى يدخل الحجر قبله لا يمنع ولا يحجب كما أمره رسول الله وأمر له . ثم يوقظه إذا نام ويستتره إذا اغتسل ويفتديه بنفسه في أخرج الأوقات .

ذلك وهو يسمع ما يقول محمد وما يقال له ، ويتقبل تعليماته وشرائعه . وهل خدمه إلا ليفيد منه الدين واليقين ؟ لهذا يقول في لغة المعتد الواثق في مجمع الأصحاب « ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبارخه الإبل أو المطايا لآتيته ^(١) . »

ويقول أبو وائل راوى هذا الخبر : « إنني كلما سمعت ابن مسعود يقول ذلك والقوم شهود قمت إلى الخلق أسمع ما يقولون ، فما سمعت أحداً من أصحاب محمد ينكر ذلك عليه . »

ولقد كان في ابن مسعود من سابقة الجهاد والجلاد التي هي صفحات مشرقة لكل من عرف بها وفي تميزه ذلك بالدين واليقين والخلق الكريم والنفع المستديم ما يخول له أن يعتد بنعمة الله ، ويذكرها في مناسبات القرض . وفي مواقف التوفيق . أليس هو الذي

[١] أسد الغابة وطبقات ابن سعد وحلية الأولياء في ترجمة ابن مسعود .

زاحم عمر بن الخطاب - وربما سبقه - إلى إظهار الدعوة والجهربها في قوم يضطهدون دعوة الإسلام بجمعهم على الباطل ، ويضاعفون الأذى لـكل من أظهر كلمة الله والحق ولا سيما إذا لم يكن من قومه في عشيرة تؤويه ومنمة تحميه ؟ إن ذلك الإشراق جدير ألا تمحوه الأيام ، ولا تنساه الأجيال .

ذكر صاحب أسد الغابة فيما نقله عن أصوله بالسند إلى عروة بن الزبير عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود . اجتمع يوما أصحاب رسول الله فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فن رجل يسمعون ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا . فقالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلا له عشيرة تمجعه من القوم إن أرادوه . فقال : دعوني فإن الله سيمنعني . فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أئديتها ، حتى قام عند المقام فقال رافعاً صوته : بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن ، فاستقبلها فقرأ بها . فتأملوا فجعلوا يقولون : ما يقول ابن أم عبد ؟ ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا فجعلوا يضربونه في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذي خشينا عليك . فقال : ما كان أعداء الله قط أهون على منهم الآن ، وإن شئتم غاديتهم بمنزلها غدا . قالوا : حسبك ، قد أسمعتهم ما يكرهون . يخ لك يا ابن أم عبد ، لقد فزت بها نفسك سخية كريمة تستذب في سبيل الله العذاب ، وتستعين في مرضاته بجميع الصعاب .

جدير بعبد الله إذا أن يكون موضع العلوم والمعارف في هذه النفس الخسبية العظيمة ، وأن يقدره الناس جميعاً قدره ، حتى عمر بن الخطاب الذي قل أن سلم من سوطه أو نقده ، والخلاف عليه كثير من الناس .

لقد كان حانظاً للقرآن على وجهه ، يستمع إليه الرسول ويعجب بقراءته ، وكان مفسراً للقرآن عارفاً بمعانيه ، يدرسه بالمدينة وبالسكوفة بعد أن أوفده عمر إليها ، فيخرج بها كبار التابعين من سلف هذه الأمة ، وكان راوياً للسنة ينقل عنه البخاري ومسلم وغيرهما الكثير منها ، وتحصى الرواة له ثمانمائة وثمانين حديثاً مع تخرجه من الرواية خشية التبديل في كلام السيد الرسول ، ترتد فرائضه إذا روى أو نقل عنه ، ولهذا كان يقف ، ويقول بنفسه على مقتضى علمه ، وقد أخذ عنه كثير من أجلاء الصحابة كخبر الأمة عبد الله ابن عباس وابن

عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الزبير وغيرهم ، وروى عنه كثير من أجلة التابعين كعلقمة وأبي وائل والأسود وممروق (١) .

وكانت له يد طولى فى الفقه والاستنباط والقياس ، كما كان هجر بن الخطاب وبعض الصحابة الذين يستثمرون الكتاب والسنة ويحكمون فى غير ما ورد على قياس ما ورد ، خلافاً لبعض المتخرجين من الصحابة كعبد الله بن هجر وغيره ، وجدير بمن كانت له ثمرة يافعة من المنقول وثروة ضخمة من المأثور وعقل راجح وقلب مشرق ونفس أمينة كعبد الله أن تكون له مله تقوم رأيه وتوضح فقهه .

قال أبو البخترى : أتينا علياً فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ ، فقال : عن أيهم قلنا : حدثنا عن ابن مسعود . قال : علم القرآن والسنة وكفى به علماً ، قلنا : حدثنا عن أبي موسى ، قال : صبح فى العلم صبغة ثم خرج منه . قلنا : حدثنا عن عمار بن ياسر . قال مؤمن نسى ، وإذا ذكر ذكر . قلنا : حدثنا عن حذيفة . قال : أعلم أصحاب محمد بالمنافقين . قلنا : حدثنا عن أبي ذر . قال : وعى علماً ثم عجز فيه . ثم قلنا : حدثنا عن سلمان . قال : أدرك علم الأول والآخر ، بحر لا ينزح قعره . قلنا : فأخبرنا عن نفسك . قال : إياها أردتم ، كنت إذا سألت أعطيت ، وإذا أمسكت ابتدئت .

ولو كان المقام يتسع للتعليق . . ولكن المقصود شهادة لعبد الله بن مسعود بأنه أوقى علم الكتاب والسنة وكفى به . قال ذلك وهو يعلم ما كان عليه ابن مسعود من الفقه والاستنباط والقياس فدل على أن ذلك لا يخرج عن علم الكتاب والسنة . والله أمير المؤمنين وإدراكه .

ولعلك إذا علمت أن علم الكتاب والسنة لم يكن رواية فقط وإنما كان رواية وإدراكاً يقسم الله فيه الحفظ بين العباد لفهمت هذا المعنى فى مثل عبد الله بن مسعود حق الفهم .

قال عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود أنهم كانوا إذا قءلوا عشر آيات من النبى لم يتجاوزها حتى يعملوا ما فيها من العلم والعمل .

وانظر شهادة الخريت العليم المحدث عمر بن الخطاب له وإعجابه به إذ أرسله إلى أهل الكوفة وقال لهم : إنه من النجباء والنقباء من أصحاب محمد ، فاستمعوا له ، وقد آثرتمكم به على نفسي .

وقال زيد بن وهب : إني لجالس مع عمر إذ جاءه ابن مسعود فضحك حين رآه فجعل يكلم عمر ويضاحكه ، ثم ولى فأتبعه عمر بصره حتى توارى وجعل يقول : كنيشف على علماء . (١)

وقد كان لك ، ولما عرف الناس له بما استفاد من معارفه ، كان لذلك أثره في تلقى الناس عنه والتزامهم كنفه .

وفيا انتشر من علم الدين بالكوفة ، فإنه لم ينزل بها من الأئمة إلا على وابن مسعود ، أما على فقد شغله ما نعلم من سياسات وحروب وخلافات ، وأما ابن مسعود فهو الذي قدم إليها لهذه الغاية ، قدم إليها قاضيا ومعلما وأمينًا على بيت المال فقط ، فخرج أئمة العلم بها من أهل الفقه والاستنباط ممن يقول فيهم سعيد بن جبير : كان أصحاب عبد الله سرج هذه الأمة .

ومن عجيب الحكمة أنه كان سادس ستة في الإسلام أولا ، وكان واحدا من ستة في العلم أيضا ، وكان أستاذ أئمة ستة في الكوفة آخرًا . وهم علقمة ، والأسود ، وممروق ، وعبيدة ، والحارث بن قيس ، وعمرو بن شرحبيل . أولئك الذين خلفوه بحركة كبيرة في العلم صارت تتوارث حتى توجت بأبي حنيفة تلميذ حماد تلميذ النخعي تلميذ علقمة تلميذ عبد الله بن مسعود .

ذلك بعض فضل عبد الله في العلم والمعرفة ، أما مزاياه النفسية والخلقية ، وعباراته الحكمية والأدبية ، وإرشاداته الرياضية فلها مقام آخر إن شاء الله .

محمود النواوي

[١] تصغير كنف وهو الوفاء .

حقوق الإنسان في شرعية الإسلام

- ٢ -

المقالة الاجتماعية

١ - تقرير ضرورات المعيشة : من تكريم الله لبني آدم أن تصان هيئتهم باللباس والنظافة والزينة ، وأن يحملوا في حلهم في المساكن ، وأن يحملوا في ترحالهم بوسائل المواصلات ، وأن يتناولوا من طيبات الطعام والمشرب ، وهذا مفهوم من قول الله تعالى في سورة الإسراء : ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً .

ولقد أمر الإسلام بعدم قتل النفس والإلقاء باليد إلى التهلكة . والطعام فيه حفظ النفس . كما أمر بستر العورة وأخذ الزينة . وهذان الأمران لا يكونان إلا باللباس . ولقد حدد الله للباس أن يوارى السوء وأن يبق من الحر - وأيضاً من البرد - يقول تعالى : يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم ، (سورة الأعراف) . وقال تعالى في سورة النحل : وجعل لكم سراويل تقيكم الحر . وقال تعالى في سورة الأعراف : خذوا زينتكم عند كل مسجد . كذلك تحدث القرآن عن السكن . قال تعالى في سورة النحل : والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، وقال تعالى عن وسائل المواصلات ما ورد في سورة الإسراء : وحملناهم في البر والبحر . وفصلت آيات أخرى الحديث عن أنواع من مواصلات البر وعن الجوارى المنشآت في البحر كالاعلام .

كل هذه النعم التي كرم الله بها بني آدم لا بد أن توفر لهم ليحيوا حياة طيبة وليرى الله نعمته عليهم . ولقد كان الرسول ﷺ يحب أن يرى الإنسان في أحسن تقويم خلقه الله فيه . روى أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم أن أبا الأحوص الجشمي روى عن أبيه قال : رأيت النبي ﷺ سيء الهيئة فقال : هل لك من شيء ؟ قلت : نعم - من كل المال قد آتاني الله . قال : إذا كان لك مال فلير عليك^(١) . وروى النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

رأى قوما يظهر عليهم جهد الفاقة ، فتغير وجهه الشريف وطلب إلى الناس أن ينفقوا ليعطى هؤلاء . ثم وقف فقال « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها... إلى آخر الحديث »^(١)

(٢) وسائل الحصول على هذه الضرورات : وللحصول على هذه الضرورات وسائل متعددة تدرج في أصلين كبيرين : العمل ، والتأمين الاجتماعى :

(١) العمل : العمل فى الإسلام حق للفرد وواجب عليه فى الوقت نفسه ، إذ لا يباح للفرد أن يعيش على التسول أو السلب والنهب . ودولة الإسلام واجبة الأول أن تهىء العمل للقادرين عليه وأن تحمى حقوقهم وأن تراقب أداءهم لواجباتهم . وليس واجبا فقط كما يزعم البعض أن توزع الإعانات والصدقات لأنها تربي الناس على الإباء والكرامة لا على البطالة والموان . يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعد لرجل درهمين وقال له : كل بأحدهما واشتر بالآخر فأساء وأعمل به ، وروى البخارى وغيره أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب إليه أن يدبر حاله لأنه خال من وسائل الكسب ولا شيء عنده يستعين به على القوت . وهنا ذكر الرواة كلاما آخر قالوا بعده : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بقدم ودعا ييسد من خشب سواها بنفسه ووضعها فيها ثم دفعها للرجل وأمره أن يذهب إلى مكان عينه وكفمه أن يعمل هناك لكسب قوته وطلب إليه أن يعود بعد أيام ليخبره بحاله ، فعاد الرجل يشكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم صنيعه ويذكر له ما صار إليه من يسر الحال . فالعاطلون كانوا يرون أن لهم حقوقا على الدولة ، فيذهبون إلى ولى الأمر أعزاء باسم هذه الحقوق ليدبر لهم أمرهم بما يراه ، والدولة تقر العاطلين على هذه الحقوق وتدبر لهم العمل فوراً بل وتلتبس نتائج عملها . ولقد أوجب الغزالي فى الإحياء ، أخذاً من هذا الحديث على ولى الأمر أن يزود العامل بآلة العمل . ومن بركات العقيدة هنا أن التماس العمل يسميه الإسلام ابتغاء من فضل الله بما يزيد الإنسان حرصاً عليه . يقول تعالى : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، ، علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، .

والدولة إذ تدبر للعامل عمله فإنها تحمى حقوقه فى الأجر ، فينبغى أن يكون الأجر كافياً . وقد جعل الحديث ثالث الثلاثة الذين يخاصهم الرسول ﷺ يوم القيامة : رجلا

استأجر أجيراً فاستوفى منه فلم يعطه أجره . وهذا الأجر لا يقبل الماطلة في الحديث « اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه »^(١) ، كذلك ينبغي أن يراعى تحديد ساعات العمل بما يلائم الطاقة الإنسانية . وفي الحديث « وأمر عامة بالرفق والرحمة تنسحب بلا شك على هذه الناحية . وقد صحح السيوطي ما رواه أبو يعلى وابن حبان والبيهقي في شعب الإيمان « ما خففت عن خادمك من عمله فهو أجر لك في موازينك يوم القيامة » .

(ب) التأمين الاجتماعي : فإذا تعطل إنسان عن العمل ، أو كان أجره لا يكفيه لزيادة في أفراد أسرته أو عجز عن العمل لمرض أو شيخوخة فهو في كفالة الجماعة في صور شتى : في كفالة الأسرة التي ينتمى إليها إذ يأمر الشرع بالنفقة وصلة الأرحام ، وفي كفالة المجتمع الذي يعيش فيه فقد قال ابن حزم أخذاً من الحديث « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » : من تركه يجمع ويعمرى - وهو قادر على إطعامه وكسوته - فقد أسلمه ، وهو أولاً وأخيراً في كفالة الدولة التي تلتزم بنفقاته من بيت المال أولاً ، وتنظم بسلطة الحكم واجبات أسرته والمجتمع الذي يعيش فيه لإزائه ثانياً ، ولذلك قال عمر بن الخطاب « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين »^(٢) . جاء في كتاب الخراج لابن يوسف أن عمر بن الخطاب رأى شيخاً يهودياً يتكفف الناس فسأله عن سبب ذلك فأجاب : أسأل الجزية والحاجة والسن . قال : ما أنصفناك أكلنا شيبتك وتركناك عند الشيخوخة . وطرح جزيته وأمر أن يعال من بيت مال المسلمين هو وعياله^(٣) .

هذا التأمين الاجتماعي في حالة التخلف عن العمل أو عدم كفاية الأجر واجب لا بد منه ، يقول ابن حزم « فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يتوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك ، إن لم تقم الزكاة بهم ، ولا في سائر أموال المسلمين ما يقوم بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكتفون من المطر والصيف والشهس وعيون المارة »^(٤) .

بل إن الإسلام يرخص للفرد ما هو أكثر من ذلك في سبيل هذه الحقوق الاجتماعية إذ يعتبره في حالة دفاع شرعى عن نفسه ما دام يجد فضل مال عند واحد من الناس . قال

[١] رواه ابن ماجه وأبو يعلى والطبرانى والحاكم . قال المنذرى (يكتب بكثرة طرفه قوة)

[٢] المحلى ٦٠ ص ١٥٧ [٣] الطبرى ٥ طبعة الحسينية ص ٣٣

(٤) المحلى ٦٠ ص ١٥٦

ابن حزم « ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو لذى ، لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير . . . إلى أن قال - : وما منع الحق باع على أخيه الذى له حق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانع الزكاة ^(١) ، . وقد تناول التشريع الجنائى الحديث موضوع عقاب مرتكب جريمة القتل بطريق سلبى . وفى رأى الإمام الدردير المسالكى فى كتاب (الشرح الكبير على متن الخليل) « يضمن من يترك تخليص مستهلك من نفس أو مال قدر على تخليصه بقدرته أو جاهه أو ماله فيضمن فى النفس الدية وفى المال القيمة ، ومن ترك إنساناً يموت جوعاً أو عرياً وهو يدر على تخليصه فإنما يكون قد قتله بطريق الترك أيضاً .

ولقد كانت الدول الإسلامية تحمل رسالة ضمان الحقوق الاجتماعية حين تفشى رايها على أى قطر . وهذا خالد بن الوليد يتحدث عن سياسته فيما غاب عليه فيقول « . وجعلت لهم أئماً شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام ، ^(٢) ، بل إن للإسلام ضرباً فريداً فى التأمين الاجتماعى وهو تأمين الناس على ديونهم ، فمن مصارف الزكاة أن توجه الى « الغارمين » لتسديد ديونهم وتفرج كربهم . وهكذا تصرف الدولة اهتمامها إلى حفظ كيان هؤلاء . بدلا من أن تصرف هذا الاهتمام إلى ترتيب الإجراءات الخاصة بشهر إفلاسهم كما يجرى الآن . ومن آثار عمر بن الخطاب أنه أقام دور الضيافات وأدر عليها الارزاق . عن ابن سعد قال . اتخذ عمر دار الدقيق فجعل فيها الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه يعين به المنقطع ، ووضع فيما بين مكة والمدينة فى الطريق ما يصلح من ينقطع به ، كما فعل ذلك بالطريق بين الشام والحجاز ^(٣) .

٣ — التعليم : طلب العلم فى الإسلام فريضة ^(٤) ، فهو حق للفرد وواجب عليه . والدولة تلزم تهيئة السبيل إليه ، ذلك أن الإسلام لا يكتفى بضمان الضرورات المعيشية المادية ، بل يضمن أيضاً وسائل التنقيف والنهذيب . ولقد كان الرسول ﷺ يرسل إلى الجهات المختلفة من يهصر الناس بالإسلام فأرسل مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم إلى المدينة بعد بيعة العقبة الثانية . وفى خبر بئر معونة أرسل عليه الصلاة والسلام سبعين شابا

(١) المحلى ٦ ص ١٥٩ (٢) عبقريه خالد ص ١٨٣ [٣] أشهر مشاهير الاسلام مجلد ١ ص ٣٧٨

يسمون القراء لإجابة لدعوة عامر بن مالك . وقد تكلف رسل الهداية هؤلاء حياتهم في الطريق نتيجة عدوان وقع عليهم . وإن القرآن الكريم وخطب الجمعة والعديد من وسائل التنقيف والتهذيب التي تضمنها الإسلام في عباداته . وقد أتت النساء إلى رسول الله ﷺ شاقيات من غلبة الرجال على مجالسه ويطلبن منه وقتاً يخصهن لينتعلن فيه ، فأجابهن الرسول ﷺ إلى ذلك ^(١) . وفي غزوة بدر خرج الإمام أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس قال : كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعبدوا أولاد الانصار السكتابة ... وقال عامر الشعبي : كان فداء الأسرى من أهل بدر أربعين أوقية أربعين أوقية ، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين فسكان زيد بن ثابت عن علم ^(٢) .

فالإسلام إذ شرع إقامة الحدود فقد شرع معها توفير الحقوق وترقية المستوى المادى والادبى . يقول تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » . فلا بد من أن يبين للناس الهدى ويبصروا بسبيل المؤمنين حتى يتحملوا تبعه أعمالهم ويتولوا مسئولية مشاققتهم لاوامر الله ورسوله .

٤ — العلاج : ومن تمام واجبات الدولة أن تتكفل بعلاج المريض ، والامر بعيادة المريض منبث في كثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ألزم عليه الصلاة والسلام أن يهيم للرضى مكاناً يتداون فيه ويثقهون . ففي سيرته المطهرة أن نفراً من عريثة - ثمانية - قدموا عليه فأسلموا ، واستوبأوا المدينة وشكوا ألم الطحال فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه ، وكان سرح المسلمين بذى الجدر ناحية قباء قريباً من غير ترعى هناك - فكانوا فيها حتى صحوا وسموا ، وكانوا استأذنوه أن يشربوا من ألبانها وأبوالها فأذن لهم . وإن كان هؤلاء قد قابلوا المعروف بالإساءة بعد برهم فعدوا على اللقاح فاستاقوها ^(٣) .

وكان عمر بن الخطاب يحاسب ولاته على عيادة المرضى ، فكان الوفد إذا قدموا على عمر سألهم عن أميرهم فيقولون خيراً . فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : كيف صنيعه بالضعيف هل يجلس على بابه ؟

(١) الحديث الذى رواه ابن عبد البر عن أنس وصححه السيوطى

(٢) البخارى ج ١ طبعة منه ص ٦٠ - ٦١ (٣) إمتاع لأسماع المقرئى ص ١٠١

(٤) إمتاع الأسباع ص ٢٧٢

فإن قالوا الحصلة منها لا ، عزله ^(١) . ولقد مر يوم مجيئه الشام على قوم من المجذومين ففرض لهم شيئاً من بيت المال ومنعهم بذلك عن التكفف بين الناس ^(٢) . واشترى الوليد بن عبد الملك من خلفاء بني أمية بعمله على تخفيف آلام المرضى وتخصيص أعطيات للمجذومين لمنعهم من سؤال الناس ، كما أعطى كل مقعد خادماً يهتم بأمره ، وكل ضرير قائداً يسهر على راحته ^(٣) . وفي عهد أحمد بن طولون من أحكام مصر في العصر العباسي الثاني بنى ابن طولون في مؤخر مسجده مبخضة وخزانة شراب بها الأدوية والأشربة ، وقرر لهذا المكان الخدم ، وعين طبيباً خاصاً يقوم بتطبيب المرضى من المصلين ، كما بنى مستشفى بأرض العسكر و المارستان ، وأدخل فيه ضروباً من النظام تشبه ما في أرقى المستشفيات الآن ، وكان يتفقد بنفسه في يوم الجمعة فيطوف على خزانة الأدوية ويتفقد أعمال الأطباء ويواسى المرضى ^(٤) .

٥ — مسؤولية الدولة : هناك اتجاه في تقرير حقوق الإنسان في الوثائق الدولية والقواعد الدستورية إلى ألا يكتفى بتقرير الحقوق تقريراً سلبياً ، بل أن ينص على التزام الدولة بصفة إيجابية ضمان هذه الحقوق وتهيئة الوسائل لمزاواتها . فحق العمل وحق التعليم للأفراد يقترنان بواجبات على الدولة في تهيئة موارد الكسب ومعاهد العلم .

والدولة الإسلامية من ذلك الطراز الذي يضطلع بواجبات إيجابية في ضمان حقوق الأفراد . ولقد قدمنا كيف كان ولاية الأمور وعلى رأسهم النبي ﷺ في عصره يتكفلون بتهيئة فرص العمل والعلم والعون الاجتماعي والعلاج للأفراد .

وقد علق المودودي على الآيات الكريمة : الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، فقال في تعليقه عليهما : - : فن تدبر هذه الآيات اتضح له أن الدولة التي يريد القرآن ليس لها غاية سلبية فقط ، بل لها غاية إيجابية أيضاً . أى ليس من مقاصدها المنع من عدوان الناس بعضهم على بعض وحفظ حرية الناس والدفاع عن الدولة لحسب ، بل الحق أن هدفها الاسمي هو نظام العدالة الاجتماعية الصالح الذي جاء به كتاب الله . وغايتها في ذلك النهي عن جميع أنواع المنكرات التي ندد الله بها في آياته ، واجتماعه شجرة الشرح من جذورها ، وترويج الخير المرضى عند الله

(١) الطبى طبعة الحسينية ج ٥ ص ٣٣ (٢) أشهر مشاهير الاسلام مجلد ١ ص ٧٨

(٣) تاريخ الاسلام السيامى الطبعة الأولى ج ١ ص ٤٧٨ (٤) تاريخ الاسلام ج ٣ ص ٥٧٢ - ٥٧٣

المبين في كتابه . وفي تحقيق هذا الغرض تستعمل القوة السياسية تارة ، ويستفاد من منابر الدعوة والتبليغ العام نارة أخرى ، ويستخدم لذلك وسائل التربية والتعاليم طوراً ويستعمل لذلك الرأي العام والنفوذ الاجتماعي طوراً آخر كما تقتضيه الظروف والأحوال . يقول تعالى « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان بالفسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، فالمراد من الحديد في الآية هو القوة السياسية . والآية قديمت ما يبعث الرسل لأجله وهو أن الله قد أراد بيعهم أن يقيم في العالم نظام العدالة الاجتماعية على أساس ما أنزله عليهم من البينات وما أنعم عليهم في كتابه من الميزان أى نظام الحياة الإنسانية العادل ^(١) . صحح السيوطي ما رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن النبي ﷺ « ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة . لإقروا إن شئتم قول الله « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فأيمما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فلأنتى فأنا مولاه ^(٢) . وفي هذا تقرير صريح لمسئولية الدولة في توفير الحقوق . ومسئولية الدولة هي مسئولية عامة تجاه الرعايا جميعاً على اختلاف أديانهم وأجناسهم . وهذا يؤخذ من القاعدة العامة : لهم ما لنا وعليهم ما علينا . وقد تقدم كيف كان عمر يفرض حتى لليهود ، وكيف كانت سياسة خالد في البلاد المفتوحة .

هذه الحقوق كلها في ضرورات المعيشة من مأكل وملبس ومسكن ، وفي التعليم والعلاج ، هي التي يكفلها الإسلام في شريعته وتلتزم بضمانها دولته . والدعوة إلى تحكيم القرآن إنما تعنى كفالة هذه الحقوق وإقامة الدولة التي تلتزمها شرعاً ، وتتعبد بئشر رحمة الله للمؤمنين .

والذي ينظر إلى نظام الإسلام هذه النظرة يجد أن تطبيق هذا النظام مدعاة للانتفاع بهذا التشريع الاجتماعي الجليل بجانب التوجيه الأخلاقي النبيل . وإن تكون العقوبات - مثله في الحدود الشرعية - إلا بعد استكمال سبل الوقاية المادية والنفسية من كل دواعي الإجرام . وفقنا الله إلى الانتفاع من بركات شريعته ، ونحن في عهد تقنين دستوري جديد « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ... فأواكم وأيدكم بنصره ... ورزقكم من الطيبات ... ، اللهم اجعلنا من هؤلاء ... آمين .

محمد فتحي محمد عثمان

مدرس الآداب بالمعاهد الدينية

هَلْ يَعِيدُ التَّارِيخُ نَفْسَهُ

قام جدل على طویل بین علماء التاريخ والسياسة والاجتماع حول العبارة الفائلة « التاريخ يعيد نفسه » ، بل لقد ألفت في ذلك الجدل كتب قيمة ، واختلفوا بين رأيين : جماعة قالوا : إن التاريخ يعيد نفسه حقيقة بكل الظروف والملايسات والمقومات ، أما الشخصيات التي تدور عليها حوادث التاريخ ، فاختلفوا لا وزن له في تقرير هذه الحقيقة ، وآخرون قالوا : إن التاريخ لا يمكن أن يعيد نفسه تماما ، وكل ما هنالك أن ظرفا قد يشبه ظرفا ، وأن أحداثا قد تتماثل ، فتتشابه النتائج التاريخية التي يسفر عنها تشابه الظروف والملايسات ؛ ولا بد من وجود فوارق حتما بين السابق واللاحق .

ومهما يكن من أمر فإن التاريخ يعيد نفسه إلى حد بعيد ، وليس المقصود من ذلك التطابق التام بين الظروف والاحوال والنتائج والأشخاص ، في السابق واللاحق ، وإنما المقصود أن الإنسان هو الإنسان ، وأن المجتمع الإنساني لا يفقد خصائصه الذاتية بالتطور العام ، وأن الإدراك البشري قد يتماثل ، وأن العقل والتفكير ، كثيراً ما يتبع نمطا واحداً ، ومقدمات واحدة ، فيصل إلى نتائج واحدة ، وأن بعض البلاد قد يمر بظروف متشابهة مع ما مر به بلد آخر . وهنا نضرب مثلاً بجميع البلاد التي خضعت للاستعمار ثم تحررت ، أو هي في طريق التحرر . فما لا شك فيه أن التماثل والتوافق بين الظروف والملايسات والنتائج فيها ظاهر جلي ، وأن التاريخ فيها يعيد نفسه . ونحن لا ننسى أمراً إنسانياً فطرياً غريزياً ، هو المحاكاة التي يقيم علم النفس التربوي عليها أسساً تربوية هامة ؛ ويصدق هذا المثل كثيراً جداً فيما يتعلق بالأشخاص وتاريخهم ، لأن الأبطال يحاكي بعضهم بعضاً ، ويقتدى الحاكم العادل بعادل سابق ، والطاغية بآخر سابق عليه ، حسب استعداد كل شخص . وهنا يصل التوافق إلى حد يتعذر معه التمايز والنفرة بين الحادثين في النظر السريع ، وهذا كالقول بأن « الضغط يولد الانفجار » ، وهي حقيقة علمية مقررة في على الطبيعة والكيمياء ، وتقوم عليها نظريات هندسية وحرية لها أهمية كبيرة ؛ ويقصد منها في التاريخ والسياسة أن الحكم الظالم الذي يقوم على كبت الشعور ، والضغط على الحريات ، يدفع دائماً إلى الثورة ، والظلم هو الظلم مهما اختلفت وسائله وأساليبه ، ونتائجها دائماً واحدة .

فعمدا يثور شعب مظلوم على حاكم ظالم - كيفما كانت طريقة الثورة - ويحصل الشعب على حريته اقتداء بشعب آخر يصح أن يقال : إن التاريخ يعيد نفسه .
ونحن اليوم في هذا العهد الجديد نرجو أن يعيد التاريخ نفسه إلى أبعد الحدود ، ولأننا لنلح أمارات اتجاه قوى إلى سبل الحكم الرشيد ؛ ونلح اتجاه قائد الثورة إلى الاقتداء بأعدل حاكم عرفه تاريخ المسلمين حتى اليوم - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - الذي ظلم في مصر كثيراً في العهد البائد ، ولم يرع الحكم ولا العلماء والكتتاب مكاتته وكرامته وقدسيته ، فنزلوا به إلى درجة أحط حاكم عرفه تاريخ المسلمين . إلى أن شاءت قدرة الله سبحانه ، أن ترفع الظلم عن مصر ، وعن أمير المؤمنين عمر في وقت واحد ، وإلى القارىء ملاحظات عابرة نسجلها لإحياء الذاكرة العاطرة ، ذكرى أمير المؤمنين عمر ، أعظم قدوة حسنة للحاكم الذي يفنى في خدمة المحكومين :

الاولى : كان عمر يرتفع بنفسه وبعماله فوق الشبهات ، وكان يجعل من نفسه وأهله نموذجاً عملياً حياً للعمال والرعية على سواء ، فكان إذا أراد أن يصدر أمراً ، جمع أهله وقال لهم : د إن الناس ينظرون إليكم نظرة الطير إلى اللحم ، إني سأمر الناس بكذا ، وأقسم لو أخذ أحدكم بخالفته لأضاعفن له العقوبة ، وكان أهم ما يحرص عمر على تحذير عماله منه ، ويشهد الناس عليهم فيه هو الهدايا ، قائلاً : د إياكم والهدايا فإن الهدايا هي الرشا ، لأنه كان يعتقد أن الهدية التي تقدم للعامل إنما تقدم على حساب مصلحة المسلمين ، وعلى حساب الإسلام والحق والعدل ، ولقد فهم عمر رضى الله عنه ، أن الهدية تساوى الرشوة أو الاختلاس ، من قول الرسول عليه السلام : د ما بال الرجل نرسله في أمر المسلمين فيرجع إلينا ويةول : هذا لكم . وهذا أهدي إلى . فهلا جلس في بيت أبيه وأمه لينظر أيهدى إليه ؟ ، ولقد أهدت ملكة الروم إلى زوجته أم كلثوم بنت علي هدية فصادرها عمر ورد إلى بيت المال !! ولم يستمع في ذلك إلى تعليقات فقهية من بعض إخوانه . لأنه قدوة ، ويجب أن يكون فوق للشبهات ، بعيداً عن الظن والنقول !! ومن محاسن اقتداء الخلف بالسلف في عصرنا أن الرئيس القائد يرد إلى متحف من متاحف الدولة كل هدية تقدم إليه ، فكأنه يحولها إلى بيت المال ، وكأنه يرفضها ، وهو محق في ذلك ، وغير هذا لا يليق به ، فهل كان هؤلاء المهدون إليه ، يهدون إليه قبل ٣٣ يولييه سنة ١٩٥٢ ؟ والذي نرجو أن يكمل الرئيس اقتداه فيه بعمر ، هو تحريم الهدايا على جميع الوزراء والموظفين العامين ، وهذا أحوط وسائل تحقيق العدالة .

الثانية : حدث بعد فتح مصر واستقرار الإسلام بها ، أن تسابق محمد بن عمرو ابن العاص - ابن أمير مصر - مع شبان من المسلمين والمصريين المسيحيين ، فسبق شاب مصرى مسيحي محمد بن عمرو ، فغضب ابن الأمير وضرب المصرى سوطاً على ظهره قائلاً : خذها وأنا ابن الأكرمين . . ومر الحادث يوماً بسلام كما خيل للبتسابقين ، ولكن الفتى المصرى الذى يعرف عدل عمرو وسماحة نظام الإسلام لم يهدأ له بال حتى وقف أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وقص عليه القصص ، وكان موسم الحج قد قرب . فاستبقى الخليفة المصرى حتى حل الموسم ، واستقدم الخليفة أمير مصر عمرو بن العاص وابنه محمد ، وفى مجمع من المسلمين فى موسم الحج ضم أمير مصر وابنه ، نادى عمر : أين المصرى ؟ فهب الفتى المصرى هاتفاً : لبيك أمير المؤمنين ، فنارله عمر السوط قائلاً : اضرب ابن الأكرمين ، ضعف ما ضربك ! فتناول المصرى السوط وضرب به محمد بن عمرو أمام أبيه مثل ما ضربه ، ثم ناول السوط للخليفة ، فقال له عمر : أعل به صلعة عمرو فإن ابنه ما ضربك إلا بسلطانه !! فأبى المصرى قائلاً : إنه أخذ حقه وزيادة . فقال الخليفة لأمير مصر فى غضب : د يا عمرو . متى تعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ . وهكذا اقتص عمر الحاكم العادل ، للضعيف من القوى ، فرد عليه بذلك عزته وكرامته ، وجعل أمره حديث الدنيا بأسرها حتى تقوم الساعة . ومن محاسن اقتداء الخلف بالسلف فى زماننا ما روته الصحف عن فلاح مصرى مسكين جاء إلى دار الرياسة ، يشتكى إلى الرئيس القائد ضراً أنزله به عمدة بلده وهو عمدة جبار من الطغاة العتاة ، الذين رضعوا لبان الظلم فى عهد الفساد ، ونحن جميعاً نعرف مدى استبداد هؤلاء العمدة بالفلاحين ، فاستقدم الرئيس العادل هذا العمدة الجبار ، وأذله أمام أخينا الفلاح ، وأرغمه على رد حقوق الفلاح إليه ، وجعله عبرة للمستبدين ، وهكذا انتصف الرئيس العادل للفلاح الضعيف من العمدة المستبد ؛ وهو مالم يحدث فى مصر من زمن طويل .

الثالثة : فى سنة ١٥ هـ حدثت مجاعة شديدة ببلاد العرب ، وسموا عامها عام الرماد أو الرمادة ، لالتصاق الأيدى بالرماد . فأقسم الخليفة عمر : ألا يذوق سمناً ولا عسلاً ، ولا لحماً ولا شحماً حتى يحيا الناس . وبر الخليفة بقسمه ، فشحب لونه ، ونحل جسمه ، واعرورق وجهه ، حتى خاف الصحابة أن يلحقه من جراء ذلك مكروه ! فانفقوا على حمله على التحمل من قسمه ، وإفهامه أن حياته ليست ملكاً له ، وإنما هى خير وبركة للمسلمين ، وعليه أن يحافظ عليها من أجلهم ، فقالوا له ذلك . فرد عليهم غاضباً بقوله : وأنتم الذين

تقولون الذى قلتم ، لا أشبع الله بطن عمر ، بئس الحاكم أنا إذا شبع وجاع الناس !! لم إذن كنت إماما ؟ وكيف أصلح للناس قدوة ، إذا لم يصبنى ما أصابهم ، وكيف يعيننى شأن الرعية إذا لم يمسنى ما مسهم ، أيها الناس : إن لنا عليكم حقا ، الصبح بالغيب ، والمعاونة على الخير ؟

وبالأمس القريب ذهب الرئيس نجيب لمواساة أهل قرية صهرجت الصغرى التى دمرها الحريق ، وبعد أن طاف بالقرية ، وواسى أهلها ، ووزع عليهم مدونة الله لهم ، صم على رؤية المصابين حيث هم ، ليطمئن قلبه على راحتهم ، فقال له مأمور مركز أجا : ياسيدى الرئيس ، انهم فى مستشفى أجا ومستشفى ميت غمر ، وشرح له متاعب الطريق الزراعى الطويل ، ثم قال : تستطيع يا سيدى الرئيس إنابة من تشاء لزيارة المصابين ، فقال الرئيس : إنى أريد زيارة المصابين بنفسى ، أما الراحة التى تحدثنى عنها فأسقطها من حسابك ، وكيف لى بالراحة ، وهؤلاء المساكين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء !! ، وأصر على الركوب إلى المصابين للاطمئنان بنفسه عليهم ، وهذا أمر يستحق التسجيل لأن مصر لم تتعوده من حكامها الناعمين المترفين ، المتألمين فى تاريخ حديث طويل ؟

هذه ملاحظات عابرة نقصد منها التوجيه إلى الخير ، وتقدير إحسان المحسنين ، وتحرى ولاة أمورنا الاقتداء بسلفهم فيما كانوا عليه من الكمال المثلالى .

وإذا كنا نطمح اليوم فى « القدوة الحسنة » التى نجدها فى الرئيس نجيب ، أن تعيد لنا وبنا عهد العزة والكرامة ، عهد عمر بن الخطاب ، فلنسنا نسرف على أنفسنا وقادتنا ، فهذا الذى ذكرنا بشير عودة بالحكم إلى معنى خدمة الشعب ، وإن الحاكم خادما أو رائدا للشعب ، وقائده إلى الخير العام ، أو أنه كما قال عمر : « مثلى وإياكم كمثل ولى اليتيم منه ومن ماله » ، أى حسن الرعاية ، وحسن الإرشاد ، لا السيادة والاستعباد ، ونحن فيما نلمح من بشارات وأمارات تؤمن بأن العهد الجديد لابد بالغ بنا إن شاء الله إلى ذروة العزة والكرامة ، وأنه سيعيد للإسلام مجده وقوته ، وأنه سيجعل « دين الدولة الإسلام » ، بحق ، لا كما كان فى العهد الماضى حبرا على ورق ، وإننا له أعوان وأنصار « وليصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .

محمود فباضى

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين

الأزهر والثورة العربية

لم يقتصر دور الأزهر في التاريخ المصرى على الناحية العلمية ، بل كان للأزهر مواقف خالدة في تاريخ مصر القومى ، ومن أهمها الدور الذى قام به فى الثورة العربية :

بعث روح النهضة الفكرية والأدبية : ساهم الأزهر بنصيب وافر فى إذكاء الحماسة ونشر التعليم وإعداد النفوس لتلبية نداء الحرية ، فقد قام رجاله وعلى رأسهم الشيخ عبد الله الشرقاوى منذ أوائل القرن التاسع عشر بإعلان حقوق الشعب والزام الوالى باحترام هذه الحقوق ، ثم ظهر بعد ذلك رجال أفذاذ سجلوا للأزهر صفحات ذهبية فى تاريخنا مثل رفاة رافع والسيد عبد الله النديم والشيخ محمد عبده .

فالأول كان زعيما لهضة العلم والأدب فى عصره ، ومن أهم أعماله تأسيس مدرسة الآلسن التى خرجت نخبة من العلماء والأدباء والشعراء ، كما قام بترجمة الدستور الفرنسى ، وعلق على الترجمة تعليقات تدل على فهم صحيح لأحكامه ومبادئه ، وميل فطرى إلى ((النظم الحرة ، وترجم القانون المدنى الفرنسى ، ونشر رحلته فى فرنسا وسماها (تخليص الإبريز) ، ولم يقتصر نشاطه على التأليف والترجمة والتدريس بل خدم وطنه بقصائد شعرية تدل على وطنية صادقة وتفان فى محبة الوطن حتى بلغ من حماسه أنه عرب نشيد (المارسلينز) الفرنسى الذى يعتبر من أعظم الأناشيد الحماسية القومية حتى لا يحرم أبناء وطنه من تذوق هذا النشيد .

وهناك السيد عبد الله النديم الذى حاول أن ينفث فى الأمة روح الحماسة كي يستيقظ الشعب من غفوته ، ونادى بضرورة تعاليم أبناء الوطن تعاليم نافعا ، وفى سبيل تحقيق أغراضه أسس (الجمعية الخيرية الإسلامية) ونحنا نحوا جديداً لنشر أفكاره ، فألف مسرحيتين إحداهما (الوطن وطالع التوفيق) والاخرى (العرب) ، مثلهما هو وتلاميذه على مسرح زيزينيا بالاسكندرية . وقد بين فى مسرحيته الأولى جميع الأمراض والعلل التى تهدد

وجود الامة من عدم اكتراث بمصالح البلاد القومية وانصراف إلى المصلدات واستغلال لضعف الجمهور وإبتزاز للأموال ظلما وعدوانا . وقد نجح في تصوير هذه الادواء نجاحا منقطع النظير ، ثم عمل على نشر أفكاره عن طريق الصحافة فأسس صحيفته الاسبوعية (التنكيت والتبكيك) .

وبينما كان صوت النديم يجلجل بالإصلاح ويمهد للثورة في نفوس المثقفين كان الشيخ محمد عبده يبث تعاليم السيد جمال الدين الأفغانى في دروسه ، ويعالج الشؤون العامة للبلاد في صحيفتى الاهرام والوقائع الرسمية (١) .

ومالنا نذهب بعيدا ورأس الثورة المفكر (أحمد عرابى دباشا) تلقى علومه في الازهر مدة أربع سنوات ، وكان لهذه المدة على ضآلها أثر كبير في تكوين شخصية عرابى كزعيم ثورى إذ جعلت منه خطيبا مفوها يستولى على عقول سامعيه ويهز مشاعرهم .

ووسط هذا النضوج الذهنى اندلع لهيب الثورة .

الشيخ محمد عبده يضع صيغة اليمين الوطنية :

في ٢٥ مايو عام ١٨٨٢ قدمت كل من إنجلترا وفرنسا مذكرة يطلبان فيها لإبعاد عرابى باشا وإرسال كل من على باشا فهمى وعبد العال باشا حلمى إلى أية جهة داخل القطر المصرى واستقالة وزارة البارودى ؛ فرفض مجلس الوزراء مطالب الدولتين ، واجتمع أحمد عرابى باشا ومحمود سامى باشا البارودى وكبار الضباط في قشلاق عابدين واتفقوا فيما بينهم على أن يكونوا يدا واحدة في الدفاع عن البلاد ، وأرسلوا إلى الشيخ محمد عبده ليضع لهم صيغة يمين الثورة فوضعها لهم ، وتلاها عليهم ، فرددوها في صوت واحد .

العلماء والضباط ينسحبون من مجلس الخديو :

استقالت وزارة البارودى يوم ٢٦ مايو عام ١٨٨٢ ، وأراد الخديو توفيق أن يبعث التفريق في صفوف الزعماء ، فعقد اجتماعا يوم ٢٧ مايو حضره من العلماء الشيخ محمد الانبأبى شيخ الجامع الازهر والشيخ محمد عليش والشيخ حسن العدوى والشيخ أبو العلا الخلفاوى ، وحضره شريف باشا وكبار النواب والضباط وعرض الخديو على المجتمعين تشكيل وزارة

(١) مقالاته منشورة في الجزء الثانى من تاريخ الامام محمد عبده .

برياسته ، وقبول المذكرة الإنجليزية الفرنسية . فأجاب طلبة باشا عصمت على كلام الخديو قائلاً : إننا مطيعون لجناب السلطان الشاهاني وللجناب الخديوى . ولكن هذه اللائحة يستحيل علينا تنفيذها ، ولا حق للدولتين فى طلب تنفيذها ، فهى تتعلق بمسائل من اختصاص الباب العالى أن ينظر فيها ويستحيل علينا قبول أحد رئيساً للجهادية خلاف رئيسنا أحمد باشا عرابى ، ، ووافق على قوله الشيخ عليش والعلماء جميعاً . ثم غادر طلبة باشا مجلس الخديو بدون استئذان وتبعه الضباط والعلماء .

العلماء يصدرون فتوى بعزل الخديو توفيق .

بعد ضرب الاسكندرية فى ١١ يولية عام ١٨٨٢ قام عرابى باشا للدفاع عن البلاد ، فأصدر الخديو أمراً بعزله فى ٢٠ يولية ، وبناء على ذلك اجتمع المؤتمر الوطنى للبرة الثانية فى ٢٢ يولية سنة ١٨٨٢ ليقدر موقف الامة من الخديو الذى أعلن بتصرفاته انضمامه الى الانجليز . وتلا الشيخ محمد عبده على أعضاء المؤتمر أوامر الخديو التى تثبت إدائته ، ومفشورات عرابى باشا التى تدعو الى الدفاع عن الوطن . ثم ألقى على باشا الروبى خطبة تند فيها بموقف الخديو المزرى إزاء قضية البلاد ، ثم تليت فتوى شرعية أصدرها العلماء بمروق الخديو عن الدين لانحيازهم الى الجيش المحارب لبلادهم ، فأصدر المؤتمر الوطنى قراره التاريخى بعزل الخديو ووقف أوامره وتكليف عرابى باشا بالدفاع عن البلاد ، وتكليف المجلس العرفى بتبليغ هذه القرارات للسلطان ، ووقع الحاضرون على ما قرره المؤتمر الوطنى وكان من بين العلماء الموقعين على ذلك :-

الشيخ محمد الانبأى شيخ الجامع الأزهر ، الشيخ حسن الهدوى ، الشيخ عبد الله الدرسناوى مفتى الحنفية ، الشيخ محمد عليش مفتى المالكية ، الشيخ يوسف الحنبلى مفتى الحنابلة ، مفتى الاوقاف ، الشيخ عبد الهادى الايبارى ، الشيخ محمد الاشتمونى ، الشيخ خليل العزازى ، الشيخ مسعود النابلسى ، الشيخ محمد القلماوى ، الشيخ زين المرصنى ، الشيخ حسين المرصنى ، الشيخ سليم عمر القلعاوى ، الشيخ عثمان مدوخ ، الشيخ عبد الرحمن السويدي ، ومن رجال القضاء الشرعى : الشيخ أبو العلا الخلفاوى ، الشيخ عبد القادر الرافعى ، الشيخ عبد القادر الدليشانى ، الشيخ أحمد الخشاب .

جهود العلماء أثناء الحرب :

بذل العلماء مجهوداً كبيراً فى سبيل الدفاع القومى ندعوا الى التطوع فى صفوف الجيش

المصرى وإمداده بالمؤمن والتبرعات . وكان من أبرزهم الشيخ محمد عبده والشيخ حسن العدوى والسيد عبد الله النديم الذى كان لسان الثورة الناطق والذى كان يستدعى للخطابة بالبرق حتى لقب بخطيب الثورة بل (خطيب الشرق) .

محاكمة العلماء الذين اشتركوا فى الثورة العرابية :

بعد انتهاء الثورة العرابية قبض على زعمائها وعلى المشتركين فيها وقدهوا للمحاكمة . وهاك بيان العلماء الذين قبض عليهم والاحكام التى صدرت ضدهم وأمام كل منهم لاسم البلد التى اختارها لمنفاه ^(١) :

الشيخ عبد الرحمن عlish	نفى خمس سنوات خارج القطر المصرى (الآسنة)
عبد القادر قاضى مديرية القليوبية	أربع
محمد الهجرسى	
أحمد عبد الجواد القاياتى	
محمد عبد الجواد القاياتى	
يوسف شرابة	
محمد عبده	

هذا مع تجريدهم من الرتب والامتيازات والمناصب وعلامات الشرف .

وحكم على العلماء الآتية أسماؤهم بتجريدهم من جميع رتبهم وعلامات شرفهم وامتيازاتهم :

الشيخ حسن العدوى وابنه الشيخ أحمد العدوى - الشيخ أحمد المنصورى - الشيخ محمد السملوطى - الشيخ أحمد البصرى -- الشيخ محمد أبو العلا الخلفاوى العضو الاول بالمحكمة الشرعية - الشيخ عبد الوهاب عبد المنعم قاضى إسنا سابقاً - الشيخ محمد أبو عائشة قاضى بور سعيد سابقاً - الشيخ على الجمال نقيب الاشراف بدمياط - الشيخ أحمد عبد الغنى - الشيخ محمد عسكر - الشيخ أحمد مروان - الشيخ محمد جبر قاضى المنصورة سابقاً - الشيخ عبد البر الرملى قاضى العريش سابقاً - الشيخ أحمد صلى نائب محكمة المنصورة سابقاً - الشيخ محمد غزال قاضى مركز البحيرة .

[١] الثورة العرابية للعلامة الرافعى صفحة [٩٤٠] وما بعدها .

شجاعة الشيخ حسن العدوى رحمه الله تعالى .

استدعى هذا العالم الجليل من السجن محاكمته يوم الثلاثاء ١٤ محرم سنة ١٣٠٠ (الموافق ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٢) فنطق بالحق غير هياب ولا وجل ولا مكترث بالحكم الذي سيصدر عليه، ونفتس هنا طرفاً من محاكمته : مثل رحمة الله تعالى : هل ختم على عزل الخديو وإسناد أمر الدفاع عن البلاد إلى عرابي باشا برغبته ورضاه ، أم لسبب آخر ؟ .

فأجاب : ختمت تابلاً للعلماء الذين ختموا قبلي مثل شيخ الإسلام ومفتي الجامع الأزهر وشيخ الجامع وغيرهم ، وكان ختمى برغبتي ورضائي للدفاع الواجبة شرعاً وسياسة ، وما كان ينبغي لأحد أن يتمتع عن الختم .

س : علم المجلس أنك أفتيت بعزل الجناب الخديوى ، فهل هذا حقيقة أم لا ؟ .
ج : لم تصدر منى فتوى فى ذلك ، ولم أسأل فى هذه المادة . ومع ذلك فإذا جئتمونى الآن بمنشور فيه هذه الفتوى فإنى أوقعه ، وما فى وسعكم وأنتم مسلمون أن تنكروا أن الخديو توفيق مستحق للعزل لأنه خرج عن الدين والوطن ، .
هذه هى صفحة من الصفحات المجيدة سجلها الأزهر بحروف من نور فى تاريخنا القومى .

أحمد عز الدين عبد الله خلف الله

المدرس بمعهد دسوق

إلى الذين يشوهون تاريخ الإسلام

- إذا أردت أن تسلكم عن ميت ، فضع نفسك فى موضعه ثم تسلكم .
- ليس المصلح من استطاع أن يفسد عمل التاريخ ، فهذا سهل ميسر حتى للحمقى .
- ولكن المصالح من لم يستطع التاريخ أن يفسد عمله من بعده .
- للتاريخ حدود كمالك الأرض ، فلا يتسع إلا لعدد محدود .
- لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم ، ما ملأوا داراً صغيرة ،

مصطفى صادق الرافعى

الغزو الفكري للبلاد الإسلامية

بفضل الغزو العسكري للصليبي

منذ اندحرت جيوش أوروبا في حملاتها الصليبية على البلاد الإسلامية أمام جحافل صلاح الدين ومن جاء بعده من سلاطين المسلمين وملوكهم وقادتهم المجاهدين الذين قاوموا الغزو الصليبي بكل ما لديهم من قوة وبأس ولم يفتروا في مقاومته مدة مائتي سنة أو تزيد حتى قضوا عليه قضاء مبرما ، وطهروا منه البلاد وأراحوا العباد ، وحفظوا بذلك لبلاد الشرق حريتها واستقلالها وأبقوا لها صبغها الإسلامية والعربية ، مما يجعل التاريخ لأوائك المجاهدين الأبرار بأجل التقدير والإعجاب .

ومنذ ارتدت فلول الصليبيين إلى بلادها تجر أذيال الفشل والإخفاق ، أخذت حكومات أوروبا وجمعياتها وساستها وكبار رجال كنائسها على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، في بحث أسباب هزيمتهم واندحارهم أمام جيوش المسلمين ، وبعد أن رجعوا إلى تاريخ حملاتهم على البلاد الإسلامية وسبروا أعمالها بكل دقة وتمحيص اتضح لهم أن لإخفاقهم أسباباً وعوامل متعددة ، وتؤكد لديهم أن العامل الأول في صدمهم وطردهم من البلاد الإسلامية هو إيمان المسلمين بالله ورسوله محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وتغلغل هذه العقيدة الإسلامية في أعماق نفوسهم واعتبارهم الجهاد في سبيل الله عبادة مفروضة يتقربون بها إلى الله ، وأن استمساك المسلمين بأوامر الإسلام وآدابه وحرصهم على أداء واجباتهم الدينية كان له أكبر الأثر في ثباتهم في ميادين القتال وتصميمهم على مقاومة عدوهم والانتصار عليه مهما كلفهم ذلك من خسائر في الأموال والأنفس والثروات ، وغير ذلك من تضحيات يعتبرونها قربات إلى الله تعالى .

فهذا الإيمان العميق والإخلاص والصدق في دفع العدوان عن دينهم وأوطانهم وديارهم استحقوا النصر والفوز على أعدائهم .

فلما ثبت لديهم بالدليل القاطع أن قوة المسلمين في عقيدتهم وتعاليم دينهم ، وأنهم ما داموا متمسكين بها فلن تستطيع أية قوة من الغزاة أن تسيطر على بلادهم ، حينئذ أخذ

أولئك الصليبيون من الساسة والقادة ورجال الكنيسة يرسمون الخطط ويضعون البرامج لإضعاف الروح الدينية في نفوس المسلمين وفتنتهم عن دينهم وتنصيرهم إن أمكن ، فأعدوا حملات منظمة لغزو بلاد المسلمين في المشرق والمغرب غزواً سلمياً ، بإرسال طوائف وجماعات من القسس والرهبان والراهبات المدربين تدريباً خاصاً والدارسين تاريخ وعادات وتقاليد البلاد التي ندبوا للعمل فيها ، وأدخلوهم في بلاد المسلمين للتبشير بالنصرانية بين المسلمين وأمدوهم بالأموال الطائلة وجعلوهم في حماية الدولة الكبرى وتحت رعايتها وإشراف رجالها من مدنيين وعسكريين .

قال مستر ادوين بلس في كتابه (ملخص تاريخ التبشير) : « إن ريمون لول الاسباني هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها ، فتعلم لول اللغة العربية بكل مشقة وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة (١) » .

وقررت اللجنة التي ألفتها مؤتمر أدنبرج التبشيري لبحث الأعمال المدرسية التي يقوم بها المبشرون في البلاد الإسلامية ، ما يلي :

« اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة تركيا على أن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأوربيون في البلاد الإسلامية ، كان لها تأثير على حل المسألة الشرقية يرجع على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها ، (٢) » .

وقال اللورد بلفور رئيس الشرف لمؤتمر أدنبرج التبشيري في تأييد المبشرين ووجوب تشجيعهم ومعونتهم ما نصه : « إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات ، يعني الاستعمارية ، ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيراً من العقبات . وعلى هذا فنحن في حاجة إلى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين . فأجيب اللورد إلى اقتراحه وتألقت لجنة مختلطة لمواصلة العمل (٣) » .

٢ — وجاء في مجلة العالم الإسلامي الفرنسية أن السير جيروار حاكم أفريقية الشرقية

[١] عن كتاب (الغارة على العالم الإسلامي) ص ١٧ تأليف مسيو لوشاتليه وتريب الاستاذين محب الدين الخطيب ومساعد اليافى .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٢

(٣) نفس المصدر ص ٧٨

الإنكليزية صرح في المؤتمر الذي أقامه المبشرون على ظهر الباخرة «غالف» في البحر الأحمر أنه يجب على المبشرين أن يتركوا في العمل ضد الإسلام،^(١).

وقد ذكر مستر بلس في كتابه تفصيلات عن أعمال الجمعيات التبشيرية الإنكليزية والأمريكية والهولندية والفرنسية والسويدية والدانماركية وسواها من جمعيات اقتسمت العمل في الأقطار الإسلامية في مصر والسودان وسوريا وفلسطين والعراق وبلاد إيران والهند وجاوا وبلاد المغرب وأفريقيا وغيرها من أقطار.

فقد انطلق أولئك المبشرون والمبشرات بتأييد من حكوماتهم يحوسون خلال الديار الإسلامية منذ القرن الثامن عشر الميلادي أو قبل ذلك كما تدل بعض الروايات التاريخية، مستغلين ضعف الحكومات الإسلامية في القرون الأخيرة، ومن جراء ذلك الضعف استطاع المبشرون أن يؤسسوا في أكثر الأقطار الإسلامية كصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وبلاد المغرب والهند وأفريقيا وسواها مدارس وكليات ومستشفيات ومصحات ودوراً للكتبة وجمعيات ومنتديات للذكور والإناث ظاهرها معالجة المرضى وتدريس العلوم العصرية واللغات الأجنبية وإلقاء المحاضرات العلمية والأدبية. وباطنها حقيقة قصدها محاربة العقيدة الإسلامية ومقاومة الآداب والتقاليد العربية والشرقية الفاضلة.

ولا شك في أن المبشرين قد نجحوا كثيراً في تنفيذ جانب كبير من خططهم وأهدافهم في البلاد الإسلامية، وبخاصة توطيدهم للاستعمار الأجنبي، وعملهم على خدمته. كما أن مدارسهم الأجنبية ودعائهم السامة تتحمل أكبر قدر من تبعه ما تعانيه مصر وسوريا ولبنان والعراق وفلسطين وبلاد المغرب وسواها من بلاد العرب والمسلمين من انحلال خلق وانطلاق من آداب الإسلام وتقاليد الحميدة، فقد بث المبشرون والمبشرات الشكوك والشبهات واحتقار العقيدة الإسلامية في نفوس النشء من أبناء المسلمين وبناتهم ممن أدخلوا مدارسهم وطبعوهم بطابعهم الأجنبي الغريب عن الإسلام وتقاليدهم، وآدابهم، وعودهم على مشاركتهم في طفوسهم وعاداتهم، وأغروهم باتباع مبادئ التقاليد الأوروبية الإباحية بزعم أنها من أسس التمدن والرفق العصري، وبإغرائهم انتشرت الحفلات الماجنة

(١) منه ١ ص ١٣٧ .

التي يختلط فيها الرجال والفساء مخمورين في حابسات الرقص الهمجى المستهتر المخالف لكل دين وخلق نبيل .

ولقد أثر المبشرون والمعلمون الأجانب على عقول تلاميذهم المسلمين وحشوا أدمغتهم بتاريخ أوروبا وأمريكا وتجيد قادتها وساستها ومفكراتها من الفلاسفة والمخترعين والعسكريين وصوروهم لهم بصور الأبطال العباقرة الذين يجب الاقتداء بهم ، وحملوهم بطريق مباشر أو غير مباشر على الاستهانة بدين الإسلام والاستهتار بأوامره وآدابه وفضائله ، محرفين الكلم عن مواضعه ، مصورين لهم بصورة مشوهة مفتراة تاريخ النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقادة الإسلام وحماته ، ذاكرين تاريخ فتوحات المسلمين ومفاخرهم وما كان لهم من قوة وعلم وحضارة بشكل قائم لبنفروا أولئك الصغار السذج من البنين والبنات من دينهم الإسلامى الخفيف ومن أبطاله المجاهدين الذين ملأوا الأرض إبان دولتهم قسطاً وعدلاً وحكمة وحضارة وعلماً .

وبما يقررونه لتلاميذهم أن حرية الفكر والرأى ينبغي أن لا تمنع الإنسان من الطعن في الدين ومخالفة ما عليه جماهير المسلمين وعامتهم ، وأن الشخص لن يكون متمديناً عصرياً إلا إذا قلد الأجانب في زيهم وعاداتهم ، وسائر الغربيين في تقاليدهم ، وانغمس في حفلاتهم ومبازلهم ، واقترف مثل ما يقترفون من آثام في اجتماعاتهم المختلطة رجالاً ونساء ، وتعاطى ما يتعاطون من كؤوس المشروبات المحرمة إلى جانب كؤوس المخادنة وما يتبعها من فحشاء ومنكر وتقويض للعقل والاخلاق ثم خراب للبيوت وانتهاك الأعراض والحرمات .

فتلك الآراء الضالة التي بثها أولئك الأجانب في تلاميذهم من أكبر العوامل في حدوث البلبلة الخلقية والاجتماعية التي يشكو منها المجتمع الإسلامى والعربى اليوم .

ولا نكون مبالغين إذا قلنا : إن هذا الغزو الفكرى الاجنبى لمصر والسودان وسواهما من بلاد المسلمين والعرب في المشرق والمغرب لا يقل خطره وضرره عن الغزو العسكرى ، بل صنوه ونصيره . وإن الأفطار العربية والإسلامية لن تطمئن على حريتها واستقلالها إلا إذا تخلصت من الغزو الاجنبى بأنواعه سواء أكان غزواً عسكرياً أم فكرياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً .

إن الدين الإسلامى يفرض على المسلمين كافة أفراداً وجماعات أن يتعاونوا على مقاومة الغزو الأجنبى بجميع أشكاله ليحفظوا دينهم وعقيدتهم ، ويصونوا أوطانهم وديارهم من كل نفوذ أجنبى ليعيشوا أحراراً كما خلقهم الله .

وإن مقاومة حملات الغزو الفكرى الأجنبى تحتاج إلى خطط مضادة وتنظيم وكفاح مرير يقوم به علماء الأزهر الشريف وإخوانهم من علماء المسلمين ، وقادتهم وزعمائهم وأصحاب رأى منهم فى مختلف الأقطار ، وإلى لوجه أنظار القادة الداعين إلى مؤتمر العالم الإسلامى المزمع عقده فى هذا العام إن شاء الله أن يبنى مؤتمراً بمعالجة هذا الموضوع ويرسم الخطة العملية لإنجاحه .

وإلى لاهيب بقيادة هذه النهضة الإصلاحية المباركة فى مصر ، الذين عانوا من فساد المبشرين وكيدهم فى جنوب السودان ما عانوا ، أن يعملوا للخلاص من هذا الغزو الفكرى الاستعمارى ، باتخاذ خطوات إيجابية حازمة تستأصل الشر فى جذوره وترد كيد العدو إلى نحره ، وذلك بإنشاء مدارس كافية ومستشفيات ومصحات ومكتبات يستغنى بها الشعب المصرى عن معاهد الأجانب ، وأن يسن قانون جديد يوحّد نظم التعليم العصرى وبرامجه وينص فيه على وجوب تعليم الدين الإسلامى لكل تلميذ مسلم وإنشاء مسجد فى كل مدرسة مصرية أو أجنبية فى جميع البلاد المصرية ليؤدى فيها المسلمون من الطلبة والطالبات فرائض الصلوات والشعائر الدينية الإسلامية . ولا جدل فى أن اتخاذ مثل هذه الوسائل الحازمة وتنفيذها من حق أبناء الوطن ، وذلك كفيل بإراحة البلاد والعباد من شرور أعداء الحق وضلالاتهم ، وأى إجراء تتخذه حكومة مصر فى هذا السبيل سيكون له صداه وأثره الحميد فى جميع البلاد الإسلامية والعربية التى ستقتدى بمصر وتتبع خطواتها وأساليبها فى ذلك إن شاء الله .

محمد صبرى عابدين

من علماء الأزهر الشريف

آراء وأحاديث

علوم البلاغة في الميزان

إنا نتقدم بالشكر إلى الأستاذ الشيخ محمود النواوى ، أن أجاب دعوتنا إلى مناقشة ما كتبناه في نقد علوم البلاغة لنحفر العقول إلى البحث والابتكار ، وغربة تراثنا الماضى لنطرح منه الزوان ونبقى منه الحب الخالص النافع ، وقد حصر ما نقدنا به فى أمور :

١ - أنه جعل للذكر بلاغة مثل الحذف إلا أن الحذف أدق وجعل منه د فتأى آلاء ربكنا تكذبان .

على أن ليس عدلا من كليب . د أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به . وقول الشاعر :

وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا بهم وساقا
وما ذكره يؤدى إلى أن يكون جاء زيد وضرب عمرو وأكل خالد بليغا لأنه ذكر صادف موضعه فيقال ذكر المسند إليه لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه .

ومثل هذا لا يوصف بالبلاغة وإنما يوصف بالصحة والسلامة من الخطأ واللحن ، وما ذكره من الأمثلة ليس بعرضه بما نحن فيه بل هو من باب آخر هو باب التكرار مثل : د فبأى آلاء ربكنا تكذبان ، التى تكرر فى سورة الرحمن ومثل : على أن ليس عدلا من كليب . التى تكرر فى قصيدة المهمل .

وكنا نود أن يأخذ بالمنهج الذى رأينا أن نأخذ أنفسنا به وهو أن نعرض القول على أذواقنا فإن أحسننا له جمالا وأخذتنا له أريحية ، علمنا أنه بليغ وبجئنا عن علة جماله وسديه ، ولو أخذ نفسه بهذا المنهج لما رأى فى أمثال جاء زيد وضرب عمرو جمالا وحكم بأنه وإن كان من باب الذكر الذى صادف موضعه لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه ليس بليغا ، ولحكم بأن عبد الفاهر كان مصيباً حين عمد إلى أبواب وخصها بالقول وبين ما فيها

من بلاغة ولم يجعل كل كلام ككل كلام ما دام قد أصاب النحو ولم يخالف موضعه ولو سار المتأخرون كما سار عبد القاهر لميزوا الجمال وأفردوه وهدوا إليه ودلوا عليه ولا جدى ذلك على المتعلمين فيمكنوا بذلك التمييز والإفراد يعرفونه ويتوخونه في نثرهم وشعرهم .

٢ — لما قلنا إن في الحذف جدة وطرافة لأن الناس لم يعتادوه اعترض بأن الناس اعتادوه ثم ذكر هنا أن العامة تعرف البلاغة وذكر حكاية :

وأحسن من نور تفتحه الصبا بياض العطايا في سواد المطالب
ونحن لا نزال نؤكد أن الكلام الذى لم يحذف منه آلف وأشد دورانا على ألسنتهم
وأن الكلام المحذوف منه أقل من القليل .

وما زلنا نرى في الكلام المحذوف جدة وطرافة ونرى مكان المحذوف خاليا نفتقده
فلا نجد من حيث كنا نترقب وجوده .

وأما أن العامة قد يقع لها كلام بليغ فهذا ما لم ننسكه ولم نخالف فيه ، بل قد صرحنا به
وقد كنا نود أن نمثل في باب الحذف بقولهم :

شاكى ومين يسمع منى باكى ومين يبسال عنى

والمعنى أنا شاك ، وأنا باك ولكنك حذفت فكان له هذا الحسن وهذا الجمال .

٣ — وأما اعتراضه بأن قول علماء البلاغة بأنه يحذف للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر أو تخيل العدول إلى أقوى الدلائل من العقل أو اللفظ لازم لقوله إذا ذكر مع القرينة كان كالنقيض .

ولا يضرهم أن يدققوا بمراعاة قيود معينة .

ونحن ننقل عبارته بلفظها ليشركنا القارىء فهمها .

سلك مسلك التعليل النفسى وهو كما بينه فى آخر الكلام معنى يشعر المرء بأثره ولا يدركه
ولكن الفيلسوف العارف بخفايا النفوس يدركه ويؤمن به .

وإذا كان ذلك فلماذا لم يطبقه على قولهم الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر ، أو تخيل العدول إلى أقوى الدلائل أليس ذلك لازما لقوله إذا ذكر مع القرينة كان كالنقيض الخ .
ولا يضره أن يدققوا بمراعاة قيود معينة مثل كلمة « بناء على الظاهر » ، وكلمة « تخيل » ، فإن

ذلك هو مقتضى الدقة الفلسفية ما دام قد رضى الرجوع إلى حكم الفيلسوف فإن الفيلسوف لا بد أن يحتاط فيجعل كلامه منطبقاً على الواقع كل الانطباق .

الفرق بين العلل التي تذكرها والتي يذكرها العلماء المتأخرون أن العلل التي تذكرها هي أمور إذا كان الكلام عليها اكتسب الجمال والروعة سواء أعلمها المتكلم أم لم يعلمها أما العلل التي يذكرونها فهي أمور يقصدها المتكلم فلا بد أن يكون عارفاً بها ولذلك إذا اعترضنا عليهم حين يقولون بأن المسند إليه يحذف لتخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ وبأن هذه معان لا تدور بخلد المتكلم ولا يعرفها - لا يلزمنا ذلك في تعليلنا لأننا لم نقل إن المتكلم يقصدها ، أما هم فقو لهم تخييل العدول أى تخييل المتكلم العدول يقتضى أن المتكلم يعرفه ويقصده لأنه كيف يخيل شيئاً لا يعرفه ولا يقصده ، فقله ولا يضر أن يدققوا بمراعاة قيود معينة مثل كلمة «بناء على الظاهر» وكلمة «تخييل» فإن ذلك هو مقتضى الدقة الفلسفية ما دام قد رضى الرجوع إلى حكم الفيلسوف فإن الفيلسوف لا بد أن يحتاط فيجعل كلامه منطبقاً على الواقع كل الانطباق .

قلنا ذلك يضر كل الضرر لأن المتكلمين ليسوا جميعاً فلاسفة بل الفيلسوف يكون واحداً في المليون أو أقل ، فلا يراعون هذه المعاني الدقيقة والقيود الخفية المحتاط فيها كل الاحتياط ، أما نحن فلم نوجب أن يعرف المتكلم علل البلاغة التي تذكرها ، وإنما يعرفها العالم الذي اشتغل بالعلوم الحسكية ، وهما جميعاً يحسان جمال الكلام وروعته ، وبعد ذلك يختلفان ، أما العامي فلا يدري العلة والسبب ، وأما الحسكيم فيدري العلة والأسباب ، ومثل ذلك مثل عالم وحكيم يسمعان قطعة موسيقية أو يربان روضاً فضيراً ، فيطربان ويعجبان ولكن الحسكيم يدرك من تنايق النغم ومن بدائع الصنعة ما لا يدركه الآخر .

وقد بقي من اعتراضات حضرته اعتراض واحد وهو أن بعض العلل التي ذكرتها لازم لبعض ، فالحجج بالمخاطب على المطلوب دفعة يلزمه دفع الاستئصال والاستكراه ، فإن من هجم بك على المطلوب فقد دفع عنك ثقل الفضول الذي تقضى به العين - وأقول وإذا كان أحدهما يلزمه الآخر فإذا قدح في كونهما شيئين - لا أنه لا يقدر في كونهما شيئين وقد عددناهما أمرين لذلك ، وهما حقيقةتان متميزتان كل التميز . ثم قال: مع أنني كنت أحب ألا يورد في هذا المقام البيت الذي أورده .

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

فإن القريب من النفس أن الحذف هنا لضيق المقام بسبب المرض وما يحدثه من ضجر، وإن اشتغال المريض بشأنه جدير أن يحول دون مراعاته لحال السامع وإذا كان المريض مشغولاً بأمره عن احترام الزائر والاعتدال له وتحينه، فأحرى ألا يفكر في الهجوم به على المطلوب. وأقول هذا الاعتراض يزول بما قدمناه من أن العمل التي عملها بها حسن الكلام لا يلزم أن يقصدها المتكلم فلا يضربنا أنه مشغول بأمره عن أن يفكر في الهجوم على المطلوب دفعة، فإن ذلك لازم للحذف سواء أراده المتكلم أم لم يردده، فإن من سمع في جواب كيف أنت؟ عليل، فقد هجم على المطلوب دفعة دون أن يشغل بأمر آخر، وما ارتضاء من أن الحذف هنا لضيق المقام بسبب المرض وما يحدثه من ضجر لا يقتضي مع ما قلناه فيمكن أن يجتمعا، ولو شئنا المشاحة لقلنا إذا كان ضيق المقام لم يمنعه أن يتبسط في الجواب، فيقول عليل سهر دائم وحزن طويل ثرى ألا يضيق بقوله: أنا.

وأكرر شكرى للأستاذ النواوى مرة أخرى وأل الله أن يلمنا الصواب ويخففنا الزلل.

م. ع.

المرأة

- * لا شيء يشرف المرأة مثل صبرها، ولا شيء يشينها مثل صبر زوجها عليها.
- جوير
- * خير للمرأة أن تنظر في شأن منزلها وأطفالها، من أن تبحث في أمور لا شأن لها بها.
- نابليون
- * المرأة أفقدتنا الفردوس، وهى وحدها قادرة أن تعيده إلينا.
- هوتير
- * أصعب شيء على المرأة أن تسكن امرأة.
- شكسبير
- * يختبر الذهب بالنار، ويختبر المرأة بالذهب، ويختبر الرجل بالمرأة.
- شيلون
- * امرأة كسيحة فى البيت، خير من امرأة طائشة متسكمة فى الطرقات.
- برودون

الأمانة الأولى

للأستاذ الكبير رئيس التحرير بمجلة الأزهر الغراء جولانه القوية الموفقة ، وبحوثه الضافية القيمة ، وتوجيهاته السديدة الرشيدة في سبيل الإصلاح والمصلحين ، وهو إذ يعالج كيف تنهض الامة يضع أمله في العلم ورجال التعليم ، ويطلب إلى وزارة المعارف أن تسارع إلى إصلاح نفسها ... لتبني نظامها الجديد على تخريج جيل يؤمن بالاخلاق والفضائل .

فإذا تكلم عن مدرسي الأزهر رأى واجباً عليهم أن يقودوا حركة التجديد في الاخلاق وأنهم أولو الأمر في الإسلام ، وبخاصة منذ تخلى الخلفاء والملوك والولاة عن قيادة الناس وإمامتهم وإرشادهم الديني .

ويقول الأستاذ : « إن هذه الامة أمانة الله في أعناق علمائها ... وإن الرعاة الذين سيعهد إليهم بعد سنوات قريبة بالإشراف على مشات الملايين من المسلمين هم هؤلاء الألوف وعشرات الألوف من طلبة الكليات والمعاهد الأزهرية في مصر وأمثالها في الاوطان الأخرى ، .

وهذا الكلام القوي الرائع من مثل الأستاذ في مكانته وعلمه وجهاده المعروف ، ومن فوق هذا المنبر العتيق الخالد ، سيكون له بإذن الله أثره المرجو في حفز الهمة الوانية ، وإيقاظ العزائم الخافية ، وتوجيه العقول والقلوب إلى مواطن الضعف ومواقف الإصلاح .

وان الأزهرى في حاجة إلى أن يسمع هذا الكلام الصادق الجميل ، فلم يخرج الأزهرى عن دنيا الناس يوماً ، وإنما هو بشر من البشر ، يسوؤه ما يسوؤهم ، ويسره ما يسرهم ، وطالما سمع القوارص اللاذعة من المحبين والشائنين على السواء ، وطالما آذاه الجحود والنكران حتى أوشك بنوه أن يفقدوا الثقة بأنفسهم ومعهدهم ، من كثرة ما يسمعون ويقرومون على السنة قوم يجيدون الهدم ، وقلما يحسنون البناء .

الأزهر مسئول عن تراث النبوة ، ولغة العروبة ، وبلاغ الدعوة إلى العالمين ، ما في ذلك ريب ، وليس يجديه ولا يعفيه أن يرى السلطان في يد غيره ، فسلطانه بالدين أقوى ، وعزه بالله أوثق ، وبلدنا والحمد لله بلد إسلامي يستجيب للدين متى وجد من يوجهه إليه في حكمة وموعظة حسنة .

وفي الازهر قوى كثيرة منذورة ، وجنوده بحمد الله لا يحصيهم العد ، ولو أحسن توجيههم وقيادتهم لانهضوا مصر عن أقرب طريق وأيسر سبيل ، ومن وراء مصر العالم الإسلامى كله ، ولشع نوره ، وبهر ضوؤه أبصار الغرب والشرق البعيد ، فجاء النصر من الله والفتح ، وكان الدين كله لله .

إنه لحق ، يرويه بعيداً ونراه بتيسير الله قريباً .

ولكن أمر الإسلام يا سيدى ليس واجب الازهر فحسب ، إنه واجب كل مسلم يستطيعه ، وإذا كان الازهر يقوم به فرض كفاية عن جميع المسلمين ، فإن حق الازهر على الدولة أن تمكن له فى أداء هذا الفرض على أكمل الوجوه وأتمها .

ولمّا أردت المشاركة بكلمات معقولة أطلقها المقال القيم ه أمانتان ، وأملى فى الإصلاح كبير ، لتدخل هذه الكلمات فى إعداد هذا الجيل من الرعاة للأمة الإسلامية .

إن أول ما يشكوه الطالب الازهرى فى دراسته صعوبة الكتب ، وكلها أو جلها قد كتب فى عصور تقضت ، ليست هى بأرقى العصور الإسلامية فكراً ، ولا أغزرها علماً ، ولا أعظمها مدنية أو حكماً ، بل كان دأب المؤلفين فيها أن يوجزوا فيجمعوا المعانى الجمّة ، فى الالفاظ القليلة كأنها بمدوح الشاعر يقول فيه :

ويقتضب المعنى الكثير بلفظة ويأتى بما تحوى الطوامير فى سطر

فما اضطرهم إلى الشروح والتقريرات والخواشى ، فلا يسترسل الطالب فى طريق معبد يسير به قدما إلى غايته ، يحبب إليه الدرس ويغريه به ، ولمّا ينتزعه من المعنى العام الذى يريد المؤلف أن يؤديه إلى ملاحظة ما تشير إليه لفظه ، أو تفيده عبارة ، أو تعنيه جملة ، أو يستقيم عليه تأويل وتخرّيج . ولئن كان فى ذلك نوع من التربية لقوة الملاحظة فإن الإسراف فيه جعله ثقلاً فادحاً معوقاً عن التحصيل ، فلا يكاد الدارس يقف على نهايته حتى يكون استنفد قواه ، وشت موضوعه ، وتفرقت وحدة مسأله .

وقد كان ذلك هينا نوعاً ما ، يوم أن كانت العلوم والمعارف محدودة ، ولم يكن الازهرى فى حاجة إلى غير كتبه ، وكان هو وحده العالم المشهود له . أما الآن وقد اتسعت المعرفة وكثرت فروعها وتنوعت فنونها ، وشاعت الثقافة ، وصار القارئ أو السامع يلم بأخبار العالم فى دقائق ، ويعلم آخر ماجد من أنباء العلوم والمعارف ، والحياة كلها سباق لا هوادة فيه ،

فلم يعد مفهوماً أن يظل الأزهرى معنى بهذه السكتب يحمل ألقابها ، فأما أن تهبط فينوء بها ويتبرم ويود لو تخلص منها - وقلما أجدت على من زهدا وقلها - وإما أن ينقطع لها ، ويقف حياته عليها ، ويصحبها في غدوه ورواحه يتألف نافرهما ، ويعالج ما استعصى عليه منها ، فإذا ملكها وملكته فهو عن دنيا الناس في معزل .

وقد أحسن فضيلة الأستاذ الأكبر - أدام الله له التوفيق وأعانه - حينما استجاب لرغبات كثيرة في هذا الشأن فعمد إلى أصحاب الفضيلة شيوخ المعاهد بتأليف لجان من الأساتذة في كل علم ، لدراسة أمر السكتب المقررة ، وإبداء الرأى في مقدار صلاحيتها للدراسة .

ولسنا نريد الوقوف عند حد إبداء الرأى في السكتب ، ليغير كتاب بكتاب مثله أو أفضل منه ، إنما نريد نهضة علمية شاملة ، تجدد من حياة الأزهر وروحه وقواه ، نريدها نهضة تنظم هذه القوى الشتى ، وتستثير في ذلك الأسد الرابض نشاطه ، عله ينفذ عن نفسه ذلك الخدر الذى طال عليه الأمد .

في الأزهر كبار الشيوخ من تعرف الأمة ، وعن لا يعرفهم سوى الأزهر ولهم في العلم أقدام راسخة . وفي الأزهر شبيبة ناهضة متبصرة ، فلم لا ينفذ بكل أولئك القوى في تجديد شباب الأزهر وخدمة الإسلام ؟

لقد ذكر الشيخ الأكبر أن من صميم عمل الأزهر قيامه بتأهيتين : ناحية الدرس وتولاها هيئة التدريس بالمعاهد والكلية . وناحية البحث ، وتقوم بها جماعة كبار العلماء من توفروا على بحث قضايا العلم والدين ، لم لا ينفذ بجهود هؤلاء الاعلام في البحث والتأليف ولم لا تكون هناك اللجان العلمية للمعاهد والكلية ، تتابع النظر في البرامج ، وتدرس وتقارن وتقرر وتعديل ، مستنيرة برأى الأساتذة القائمين بالتدريس - كما طلب ذلك اتحاد العلماء بالغربية في مذكرته المرفوعة إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وولاية الأمر فيه .

لقد طلبوا في جملة ما رأوا من وجوه الإصلاح العلمى :

أن تؤلف لجنة دائمة للشئون العلمية ، لا شأن لها بالنواحي الإدارية ، وليست كذلك اللجان المعهودة !! وإنما يجب أن تعمل جدياً على رفع المستوى العلمى والحقاقى فى الأزهر ، وأن تستعين بالكفاء وذوى الرأى وأن يتاح لـكل راغب فى الإصلاح الاتصال بها على أن نواجه العام الدراسى الجديد بشمرة هذه الجهود .

لسنا نريد إذن مجرد الرأى فى الكتب ، فهناك موضوعات جديدة كثيرة يجب أن يلم الطالب الأزهرى بها ، فقد جد فى الفقه مثلاً ما لم يكن معروفاً لغير الخاصة وكانوا يتخرجون منه وصار الآن أمراً مقضياً يتعامل الناس عليه فى حياتهم الجارية ، وتعتمده الفتيا الرسمية . وجد فى التوحيد من الآراء والمذاهب والشبه ما يضطر الطالب إلى دراسته وتفهمه ومعرفة وجه الحق فيه . وهكذا سائر العلوم المقرر تدريسها فى الأزهر ومعامده . وليكن ذلك الجهاد العلمى بين الأساتذة أساساً لتقدير الكفايات العلمية ، والمكافآت الأدبية والترقيات إلى السكيات والمناصب الكبرى ، وليكن كذلك علاجاً ناجعاً لكثير من المشاكل الحاضرة التى تزداد على الأيام تعقداً .

أما الوسائل الأخرى لإعداد هذا الجيل من ثقافة وخلق ونشاط مدرسى وغيره فهالى مقال تال إن شاء الله .

كمال محمد عوى
المدرس بمعهد طنطا

المسلمون بين يقظتهم وسباتهم

عرفوا الحياة نعيمها والبوسا	المسلمون على جهالة بعضهم
وتجرعوه من الخطوب دروسا	أخذوا عن الزمن المشاغب علمها
أم يدركون سنا البروق جلوسا	أفيلغون مدى العواصف نوّما
جعل التهب والنكول لبوسا	ليس الذى لبس السلاح كماجز
لا تأخذوه محرفا معكوسا	قل للآلى جهلوا الجهاد وحكمه
حتى تروها تستطير ضروسا	خوضوا الغمار ، فلن تنالوا مأربا
مانال من دنيا الرجال نفيسا	لو ضمن معتق الختوف بنفسه

أحمد محرم

كِفَاحُ الْحَيَاةِ

قِصَّةُ كِفَاحِ مُسْلِمِي الْفِلِيبِينِ

حين أشرق نور الإسلام على الجزيرة العربية ، بدل حياة أهلها من تخمول و لهُو إلى جِهاد وعمل ، فإذا بالأمه العربية المبعثرة التي لم تكن تحس بها الإمبراطوريات العظيمة الموجودة حينذاك ، إذا بها تهز العالم المعروف هزاً ، وتغزو أراضيه ، وتشر دين الله ، فيدخل الإسلام القلوب ، ويقيم فيها راسخاً لا يزله أمر مهما عظم .

وأخذ العرب يسيحون شرقاً وغرباً ، يركبون متن البحار أو يقطعون الفيافي ، يملأ النشاط جوانب حياتهم ، ويفيض عنهم ، فيغمر من يتصل بهم من شعوب . وعن طريق هؤلاء الرحالة الجوابين في كل الآفاق ، المتاجرين في كل ثغر وميناء ، دخل الإسلام جزر الهند الشرقية ، وتمكن من قلوب أهلها ، فغدت بلاداً إسلامية ، وكانت المدينة الإسلامية في القرن العاشر الميلادي تلبع بأسطع أشعتها فتضيء الطريق لسلك من يريد أن يهتدى .

وعرفت جاوة والملايو الإسلام عن طريق هؤلاء التجار العرب ، ولم تكن العلاقات التجارية وحدها هي السبب في اعتناق أهلها الإسلام ، وإنما هي قوة العقيدة في نفوس حاملها ، تفيض منهم إلى غيرهم ، فتأخذ طريقها إلى القلوب ببساطتها ، وإلى العقول بقوتها ، فلم يكن عجباً أن يكتسح الإسلام في هذه الأقاليم الديانتين السائدتين وهما البرهمية والبوذية .

* * *

ودفعت الحالة الاجتماعية أهل الملايو إلى الهجرة ، وكان طريقهم الطبيعي يتجه إلى مجموعة من الجزائر - هي المعروفة بجزائر الفلبين - فوصلوا إليها على ثلاث دفعات ، الأولى ما بين سنة ٢٠٠ - ١٠٠ ق . م ، والثانية ما بين ١٠٠ ق . م - ١٣٠٠ م . والثالثة من

١٣٧٠ - ١٥٠٠ م ، وكان أهل الملايو في هذه الفترة الاخيرى قد دخل الإسلام قلوبهم ، فتملوا معهم دين الله الخفيف إلى جزائر الفلبين ^(١) .

والفلبين مجموعة ضخمة من الجزائر ، يباغ عددها ٧٠٨٣ جزيرة تقريباً ^(٢) ، تقع بين خطى عرض ٢١ ، ٤ شمالاً ، وخطى طول ١١٦ ، ١٢٨ شرقاً ، وهى جزائر بركانية جبلية كثيرة الزلازل ، غنية بمحاصلاتها النباتية والمعدنية .

وسكانها الاصليون زنوج أقزام Nigritoes من جنس Aetas ، قاربوا الانقراض ، ولا يوجد منهم الآن إلا أقل من ٣٠ ألفاً ، موزعين في جبال المناطق السكبرى ، يعيشون على الفطرة ، ثم جاء أهل الملايو ، ويكنون العنصر الغالب في السكان الآن بجانب جاليات صينية وبابائية ضخمة ، وعدد من الاوربيين .

وعدد السكان - حسب إحصاء ١٩٤٨ يزيد عن ١٩ مليوناً ، ٤ ٪ منهم مسلمون أى ٨٠٠ ألف نسمة كلهم سنيون ، يقيمون في جزيرة منداناو وخليج صولو .

أما باقى السكان فيدينون بالمسيحية والوثنية ، وكان توزيعهم سنة ١٩٣٠ كالآتى :

مسيحيون ٨٠٤٨٦٠٧١٣ ، مسلمون ٣١٥٠٩٨١ ، وثنيون ٧٠٠٠٥٧٨ .

ويطلق على المسيحيين لفظ Philippinos ، وعلى المسلمين لفظ Moros ^(٣) .

* * *

قام فرديناند ماجلان برحلته المعروفة حول الأرض في أوائل القرن السادس عشر ، وفي ١٦ مارس ١٥٢١ وصل إلى أرخبيل كثير الجزر ، أطلق عليها اسم جزائر الفلبين ، تيمنا باسم الملك فيليب الثانى ملك أسبانيا وقتئذ . ودخلت هذه الجزائر باب التاريخ الحديث من ذلك اليوم ، فحاول الأسبان تثبيت أقدامهم فيها بقوة السيف ، ووطئوا أرضها بقواتهم سنة ١٥٦٥ ، وما لبثوا أن أرسلوا إليها رئيساً دينياً Bishop أسبانيا سنة ١٥٨١ ليشرى على نشر المسيحية في هذه الجزائر ، بنفس الطرق التى اتبعتها أسبانيا بعد خروج المسلمين من أرضها ، والى اتبعتها في كل مستعمراتها ، وهى طرق محاكم التفتيش .

(١) من مجلة Islamic Review عدد يناير سنة ١٩٥٣

(٢) ذكر الأمير شكيب أرسلان أن عددها ١٢٠٠ جزيرة فقط . راجع حاضر العالم الاسلامى -

(٣) ED. 1944 — V. 21. Encyclopedia Americana

ومن هنا جاء اصطدام الإسبان بالمسلمين ، الذين أطلق عليهم اسم « مورو » ، لأنهم يدينون بنفس الدين الذي يعتنقه المراكشيون أو « المورو » ، باللغة الأسبانية ، فقد حاول هؤلاء أن يخرجوا المورو عن دينهم ، ولكن التاريخ يقص علينا أنه ما من شعب اعتنق الإسلام إلا بقي عليه ، وليس ثمة أمة اعتنقت هذا الدين الخفيف وتركته . وثار المورو من أجل دينهم ، وثاروا من أجل حريتهم فكان كفاحهم العنيف ضد المستعمرين .

يروى تاريخ المورو أن « مقدم » ، أحد العلماء المسلمين من ملقا نزل بساحل جزيرة صولو وأرسي أول حجر في تاريخ الإسلام في الفلبين ، ثم توالى قدوم العلماء المسلمين وعدد من أمرائهم ، فأشأوا الممالك ، ونشروا العدل ، وعدلوا نظام الحكم إلى النظام الإسلامي ^(١) ودخل أهل هذه الجزائر في دين الله أفواجا ، وعم نور الإسلام أنحاء كثيرة منها حتى جاء الإسبان .

وأراد الإسبان أن يغتصبوا الأرض ، وأن يستعبدوا الناس ، وأن يحولهم إلى الدين المسيحي . واستجاب الوثنيون إلى رغباتهم ، أما المسلمون فوقفوا دون أرضهم وحريتهم وعقيدتهم وقفة الأبطال واستمروا يكافحون ضد المستعمرين قروناً طويلة استشهد فيها منهم عدد عظيم ؛ ولكنهم حفظوا استقلالهم بشرف دفاعهم . ولم يتمكنوا الإسبان منهم .

بدأ الإسبان العدوان ، فأرسلوا حملة ضد مصلى صولو سنة ١٥٧٨ فاستولت عليها على الرغم من الدفاع المجيد والمقاومة العنيفة . وكانت هذه الحملة بدءاً لسلسلة طويلة من الغزوات والحروب بين المورو والإسبان ، كان النصر فيها يتجالا بين الطرفين . وكان الإسبان يستعينون بالفلبينيين المسيحيين ، ولكن الثورات ما لبثت حتى عمت أهل الفلبين جميعاً ، وأخذ النصر تتأرجح كفته بين أصحاب البلاد المؤمنين بدينهم وحقهم في الحرية ، وبين المغتصبين المعززين بقوتهم وطفيتهم .

ورأت إسبانيا أنها لن تجد سبيلاً إلى الاستقرار ، وأن السلاح القوي في أيدي جنودها لن يجديها نفعاً ضد هؤلاء المسلمين المتعطشين إلى الموت في سبيل دينهم وحريتهم ، ومن ثم عمدت إسبانيا إلى عقد المعاهدات معهم ، وكانت أولى هذه المعاهدات سنة ١٦٤٥ ، وأهم بنودها النص على التبادل التجاري .

(١) لا يزال هؤلاء يكونون الطبقات الحاكمة (دائرة المعارف البريطانية) .

ولسكن لم تلبث الحرب أن استؤنفت .
 وشهد النصف الثاني للقرن الثامن عشر أعنف صور الحرب بين المورو والإسبان ،
 فأخذ الأولون يشنون هجماتهم في قوة وعنف على المراكز الإسبانية ، ويكبدونهم خسائر فادحة
 في المال والأرواح والعتاد .
 وكان المورو إذا فقدوا أحد مراكزهم ، انتقلوا إلى غيره واتخذوه قاعدة يشنون منها
 هجماتهم ، كانوا كتلة من الإيمان المشتعل ، لا يخمد لهم أوار ، ولا يفل لهم عزم ، كان النصر
 يدفعهم إلى نصر آخر ، وكانت الهزيمة تؤملهم في نصر قريب .
 وإزاء هذا الإصرار الكريم في الدفاع عن الأهل والأرض ، جلا الإسبان عن منداناو
 ووصول سنة ١٨٩٩ ، وحل محلهم جنود أمريكيون ^(١) ، واضطر هؤلاء إلى الحرب أيضاً ،
 فغسروا خسائر فادحة في أيام قليلة ، ورأوا أن يبحثوا عن السلام بعقد معاهدة مع المورو ،
 وبسطوا وجهة نظرهم وهي أنهم لم يبحثوا مستعمرين للنهب والاستغلال وفرض الدين
 المسيحي ، ثم عقدت معاهدة عرفت باسم معاهدة Bates نال بها المورو الحكم الذاتي
 وتعهد الأمريكيون باحترام دينهم ، وحلت فترة من السلام والاستقرار فعمروا ما خربته
 الحرب ، وأقاموا المدارس ^(٢) .
 وهكذا كان المورو سكان جزر منداناو وصولاً أعظم أهل الفلبين شجاعة وبطولة ،
 فقد فشل الإسبان في إخضاعهم رغم أربعة القرون التي استغرقها الكفاح بينهما .

* * *

استقر المورو في بلادهم ، واطمأنوا إلى حريتهم وإلى دينهم ، ولسكن انشغالهم هذه القرون
 الطويلة بالكفاح جعلهم لا يعرفون من أمور دينهم إلا القليل ، فأرأوا أن يولوا وجوهم
 شطر البلاد الإسلامية يسألونها العون للتفقه في أمور الدين .
 ولم يكن أمامهم سنة ١٩١٣ إلا تركيا ، فأوفدوا إليها رسولا يلتمس لإرسال مرشدين
 لتفقيه مسلمي الفلبين في أمور الدين ، واستجابت المشيخة الإسلامية في استانبول إلى الالتماس ،
 فأوفدت أحد العلماء العرب وجعلته أشبه بإمام للفلبين ^(٣) ، واستقبله المسلمون هناك أجمل

(١) نشبت الحرب بين أمريكا وإسبانيا في الفلبين سنة ١٨٩٨ وانتصرت أمريكا ، وفي معاهدة
 باريس نزلت إسبانيا لها عن جزائر الفلبين نظير ٢٠ مليون دولار .

(٢) تذكر دائرة المعارف البريطانية أن المورو عظيمو الاحترام لأنفسهم ، وعلى قدر كبير
 من الكرامة الشخصية ، شديدو الشوق للتعليم ، يميلون إلى الموسيقى ، كرماء ، وهم جنس
 مثالي جم الأدب . V. 17-P. 730.

(٣) عن كتاب حاضر العالم الاسلامي - تعليقات شكيب أرسلان - المطبعة السلفية .

وأحى استقبال، وبدأ في تحقيق مهمته لولا أن دهمه المرض فعاد إلى بلاده، ثم أبت المشيخة الإسلامية (في تركيا) أن تعنى بالامر بعد ذلك، مهمة أمر المسلمين في الفلبين، فرأى المبعوث، بعد أن أبل من مرضه، أن يعود على نفقته، وقد ذكر في بعض تقاريره أن مسلمي الفلبين يتراوح عددهم بين مليون ومليونين. (١)

* * *

وكننت أود - حتى ينتهى هذا الحديث نهاية منطقية - أن أتحدث عن الصلة التي قامت بين الأزهر، وبين مسلمي الفلبين، ولكننى لم أجدر لدى مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية بالجامع الأزهر، الأوراق التي تبين طبيعة هذه الصلة ومبداها وتطورها، بحجة ضياعها من المراقبة في العهد السابق، وهو أمر مؤسف، إذ أن مثل هذه الأوراق والمراسلات إنما هي ملك للمسلمين جميعاً وللتاريخ، وفي ضياعها ضياع لكثير من الحقائق التي كان يجب أن تبقى وأن تداع.

ومهما يكن من أمر، فقد انتقلت زعامة العالم الإسلامى، بعد الحرب العالمية الأولى إلى مصر، فكان طبيعياً أن تتجه أنظار المسلمين إليها، وأن ترنو قلوبهم نحو جامعتها الأزهرية العظيمة التي هي حلم كل مسلم في مختلف أرجاء العالم.

وكانت قد تكونت في الفلبين عدة جمعيات إسلامية تهدف إلى الرقي بالمسلمين، وتعمل على تفقيهم أمور دينهم، واتصلت هذه الجمعيات بالأزهر، فرأت مشيخته أن توفد إلى هذه الجزائر اثنين من الأندونيسيين المتخرجين في الأزهر - وهما من أبناء أقرب الشعوب الإسلامية إلى شعب الفلبين - لتفقيه المسلمين في أمور دينهم، فسافرا حوالى عام ١٩٥٠ م، ولا يزالان يعملان - تحت إشراف الأزهر وعلى نفقته - على أداء رسالة الأزهر السامية، فأنشأ بعض المدارس، وعمرا كثيراً من المساجد، وبذلا الجهد الكبير للرقى بهؤلاء القوم الذين طالما كانوا من أجل دينهم وحرىاتهم.

عمر طلعت زهرانه

أستاذ في الآداب

(١) عددهم في إحصاء ١٩٤٨ نحو ٨٠٠ ألف فقط. والاحصاءات الأجنبية للمسلمين في أوطانهم كثيراً ما يعتمد فيها نشر أرقام قديمة لاحصائيات قرن سابق، ومن هنا يظهر التفاوت بين ما يعرفه المسلمون عن عددهم وما ينشره الأجانب منه.

النقد الأدبي وتاريخه

في اللغة، النقد والتنقاد: تمييز الدرامم وإخراج الزيف منها. ومن المجاز نقد الكلام: مَنِّزٌ جَيِّدُهُ من رديئه. وكان للعلماء المتقدمون يريدون بنقد الكلام تعقب الأدباء وبيان أخطائهم. وقد ألف أبو عبد الله المزرباني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ كتاب (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء) ضمنه عيوب الشعراء العائدة إلى سقطاتهم في اللفظ والمعنى أو الوزن أو القواعد.

وكانت كلمة «النقد» تقابل كلمة «التقريض»، المراد بها بيان المحاسن والكشف عن مواطن الجودة والصواب. والمراد بالنقد في اصطلاح مؤرخي الآداب دراسة النصوص الأدبية دراسة تفسرها وتشرحها وتحللها وتوازن بينها وتحكم عليها حكماً يكشف عن قيمتها في نفسها ودرجتها بالنسبة إلى غيرها. وبعبارة أخرى هو «التقدير، الصحيح للأثر الأدبي، وبيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة إلى ما سواه».

تاريخ النقد

وقد نشأ النقد موجزاً مرتجلاً، فقد كان في العصر الجاهلي نقد أدبي لكنه فطري يعتمد على الذوق يسير ملائماً للعصر الجاهلي وللشعر الجاهلي نفسه. فالشعر الجاهلي إحساس محض، والنقد كذلك، كلاهما مبني على انفعالات نفسية وتأثر بما يشاهد أو يقرأ أو يسمع. وهو جار على السنن الطبيعي لكل نقد أول نشأته فالعربي مرهف الحس، سريع التأثر، تنال القصيدة الرائعة منه فيطرب لها، وتؤذيه الكلمة النابية فينفّر منها. وفي كلتا الحالتين يحكم على هذه الآثار بذوقه وبظرة عاجلة، غير معتمد في حكمه على أسس موضوعية، أو أصول مقررة.

ومن أجل هذا نستطيع أن نقول إن النقد الأدبي في هذا العصر لا يتعدى أن يكون مآخذ على الشعر هدى إليها الأدباء والشعراء بطباعهم. وعيوباً دلهم عليها ذوقهم السليم.

وظل النقد على فطرته وسذاجته في صدر الإسلام فلم يعمل ناقد حكمه ، أو يبين الأسباب الموجبة للتحسين أو التقييح ، وإن كان قد تقدم بعض الشيء مسaire لسنن الارتقاء . فالرواة يحدوثونا أن عمر بن الخطاب فضل زهيراً على الشعراء بأنه كان لا يعاقل في الكلام ، وكان يتجنب وحشى الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . فهو يشرح لنا سبب التفضيل بأنه كان واضح المعنى ، تكشف العبارة عنه ، ليس فيه غريب ولا تعقيد ، بعيد عن الإفراط في المدح . ففضل زهير يرجع إلى وضوح أسلوبه . ففي هذا العهد مال النقد إلى شيء من الدقة وحاول أن يترجم عن بعض الخصائص الفنية لاتساع تفكير العرب بما فتق القرآن الكريم من عقولهم وصفي من أذهانهم . لكنه لم يعد أن يكون يافعا خاضعا للانفعالات النفسية والاذراق الفطرية فلم يصف شيئا جديداً إلى النقد وأساليبه .

وفي النصف الاخير من القرن الاول تغير النقد وتعددت مذاهبه ، وهو الوقت الذي يمكن أن نؤرخ به النقد الأدبي ، فقد قويت نهضة الشعر وتعددت بيئاته وتبارى الشعراء في تجويده وتهذيبه ، وساعد على ذلك إحياء العصبية وقيام الحروب الداخلية وشيوع الغناء بالحجاز وتتابع الوفود على الخلفاء والولاة ، فتقدم النقد وتناول اللفظ المفرد والمركب والمعنى والخيال والوزن ، وصرنا نسمع د صفاء الطبع ، و د جمال الصنعة ، و د الجزالة ، و د رقة الاسلوب ، و د متانة التركيب ، و د القوافي الخنثى ، وتناول فنون الشعر كلها ، وشمل المفاضلة بين الشعراء ، وقسمهم إلى طبقات ، ودار بين خول الشعراء بكبرير والفرزدق والاخلطل وشعراء الغزل كجميل وكثير وعمر بن أبي ربيعة والاحوص وغيرهم ، ولاحظ الصلة بين الشاعر وبيئته . فعدي بن زيد ليس في مرتبة المتقدمين من أقرانه لأنه حضري مقيم بالحيرة فزال ذلك من ملكته الشعرية واللغوية . وابن قيس الرقيات لا يوثق به لأنه أقام بتكريت .

ومع هذا التقدم ، فإن النقد إلى هذا العهد يعتبر امتداداً للنقد الجاهلي وشيهاً به في قيامهما على الذوق واعتادهما على السليقة .

وفي القرن الثاني نهض الادب والنقد لتقدم النشاط العلوى وتطور الحياة الاجتماعية وقيام ثورة على الادب القديم تولى كبرها خول الشعراء أمثال بشار وأبي نواس وأبي العتاهية

ومسلم بن الوليد ، وتبع ذلك قيام النقاد بفضولهم بين مذهب وآخر فوجد من يتعصب للقديم فيؤثر غفو الخاطر وجمال الطبع ، ومن يتعصب للحديث فيؤثر الصناعة والتعمق في المعنى ، وتنتهى أصول النقد عندهم إلى أصليين عامين : ما يسرى إليهم من العصور السابقة وما تجدد لهم من أثر الفلسفة والجدل والبلاغة والمنطق . ولكل طائفة آراؤها التي ذهبت إليها وأنصارها المؤيدون لها . وجد المبرد والسكري من اللغويين وابن المعتز صاحب كتاب البدع من الأدباء وابن قتيبة من العلماء وقدامة صاحب كتابي نقد النثر ونقد الشعر من الذين تأثروا بالفلسفة ، وكان من آثار ذلك تفاوت مناحي النقد والوقوف على خواص الشعر المحدث وما يؤخذ عليه وإن لم يبلغ رجاله في التفسير والتعليل ما بلغ نقاد القرن الرابع فإن النقد في هذا القرن بلغ أوفى غاية الغايات من حيث شموله وعمقه ودقته ، ونضجت ملكة الذوق عندهم لطول ممارستهم للآداب ونظرهم في أعقابها وموازينهم للآثار الأدبية ، فاجتمع لهم جمال الطبع وحسن الصناعة وصفاء الذوق ، فنقدوا الآثار الأدبية نقداً عميقاً واسع الآفاق ، فيه تحليل للظواهر الأدبية ورد لها إلى أصولها الصحيحة ، ودارت معركة عنيفة بين أنصار أبي تمام وأنصار البحتري ثم بين أنصار المتنبي وخصومهم ، وكسب النقد من وراء ذلك كتباً قيمة مثل كتاب (الموازنة بين الطائيين) للامدي و (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للجرجاني . ورسالة الصاحب بن عباد في (الكشف عن مساوي المتنبي) ودخلت مسألة السرقات الشعرية في باب النقد ، ولم يبق شيء يمكن أن ينقد غفل عنه أدباء القرن الرابع ولم يشرعوا فيه .

وكان هذا النقد الأدبي العامل الأول في نشأة علم البلاغة ، فإن هذه المأخذ والآراء تحولت إلى قوانين علمية هي قوانين البلاغة .

عبد الغنى اسماعيل

المدرس في كلية اللغة

أيهما المعتدى ؟

لو كنت قاضياً ، ورفع إلى شاب تجسراً على امرأة فمسها أو احتك بها أو طاردها أو أسبعها ، وتحقق عندي أن المرأة كانت سافرة مدهونة مصقولة متعطرة متبرجة لعاقبت هذه المرأة عقوبتين : إحداها بأنها اعتدت على عفة الشاب ، والثانية بأنها خرقت كسفت اللحم للهر . مصطفي صادق الرافعي

الفتاوى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

اتجهت النية إلى نقل رفات شهداء حملة فلسطين من مقابر سيناء إلى المقبرة الجديدة بالخفير التى أعدت تكريماً لهؤلاء الشهداء وتعزية لآلهم الذين كرروا الرجاء لنا بطلب نقل رفات شهدائهم إلى القاهرة .

فخرجوا التكرم بإفادتنا عن المراسيم الدينية التى تقتضيها الشريعة الإسلامية الغراء أثناء النقل وعند الدفن ، مع العلم بأنه سبق أن اتخذت حيالهم المراسيم الدينية كشهداء عند دفنهم هناك .

ملاحظة : الشهداء المذكورون منهم من صلى عليه ومنهم من لم يصل عليه قبل الدفن ولم يعلم من صلى عليه من غيره . وأيضا قد كان مع المسلمين مقاتلون من غير المسلمين ولا يتميز المسلم من غيره . فخرجوا الإفادة عن ذلك .

قائم مقام
رئيس إدارة الجيش

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فتمت اطلعت اللجنة على هذا السؤال وعلى البيان الملحق به . وتفيد بأن الشهداء الذين قتلوا فى المعركة من المسلمين وغيرهم لا يغسلون بل يدفنون بحجورهم ودمائهم وثيابهم التى عليهم بعد أن يصلى عليهم ، وثيابهم هذه هى كفنهم لا يزداد عليه ولا ينقص منه ، لكنه إذا كانت ثيابهم لا تكفى لتغطية أجسامهم فينبغى أن يزداد عليها ما يكفى لذلك ، كما ينبغى أن ينزع عن كل منهم حداؤه وجوربه ومنطقته وقلنسوته وسلاحه وكل ما ليس من جنس ثياب الكفن .

ولذا كان هؤلاء الشهداء قد صلى عليهم قبل دفنهم فى مقابر سيناء فلا تعاد الصلاة عليهم مرة أخرى . أما إذا كانوا قد دفنوا من غير صلاة ، فإنه يصلى عليهم هناك قبل نقلهم ،

أو يصلى عليهم في مصر بعد نقلهم إليها ، كما أنه يصلى عليهم لو كان هناك شك في أنه صلى عليهم قبل ذلك .

ولإذا اختلط بهؤلاء الشهداء غيرهم من الذين كانوا يقاتلون معهم من غير المسلمين ، ولم يمكن التمييز بين المسلمين وغيرهم لأجل الصلاة على الشهداء ، فإنه يصلى على الجميع بنية الصلاة على الشهداء . وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

وجاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

نرجو التفضل بالإفتاء على مذهب الإمام الشافعى أو على غيره من المذاهب عن صرف البعض من زكاة التجارة على غير الأصناف المذكورة في الكتاب الكريم :

أولاً — إذا صرف البعض من زكاة التجارة على المدارس الدينية التى ليست لها أوقاف ولا مساعدة من أغنياء المسلمين تقوم بالكفاية ، وأن آباء التلاميذ لعاجزون عن القيام بنفقات الاساتذة أو يحصل منهم شيء ، ولذا لم تجمع كمية وإفرة من زكاة التجارة التى تسد رواتب الاساتذة لسنة كاملة تتوقف تلك المدارس عن مباشرة عملها وسيعيش الاولاد في ظلمات الجهل .

ثانياً — إذا صرفت أيضاً لتأسيس المدارس الدينية أو لعبارة المساجد أو لإعانة الملاجىء التى يأوى إليها الفقراء العاجزون عن الكسب وليس لهم من يعولهم ، أو على غير ذلك من المشروعات الخيرية . فهل يجزى صرفها على المشروعات الخيرية التى ذكرناها .

سعيد بن صالح السيلوى
التميمين

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلمت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه يجوز الصرف من الزكاة على المدارس الدينية التى ليست لها أوقاف ولا مساعدات من أغنياء المسلمين تقوم بكفائتها مع عجز آباء التلاميذ عن القيام بنفقات التعليم في هذه المدارس كما هو وارد في السؤال . وكذلك يجوز صرفها في تأسيس المدارس الدينية وعمارة المساجد وإعانة الملاجىء ،

التي يأوى إليها الفقراء العاجزون عن الكسب وليس لهم من يعولهم ، وغير ذلك من المشروعات الخيرية وأعمال البر .

وهذه الجهات تعتبر من « سبيل الله » ، الذي جاء في آية مصارف الزكاة وهي قوله تعالى « إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية » ، فإن سبيل الله ليس مقصوراً على الجهاد ، بل هو شامل له ولكل ما هو من أعمال البر والخير . وبهذا تفتى اللجنة ، والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

إن لجنة جامع بلودان في جمعية الهداية الإسلامية بدمشق قد عازمت على بناء جامع في قرية بلودان يتسع للوطنين والمصطفين الذين يقصدون هذا المصيف الجليل . وقد أقبل على هذا المشروع جمهور كبير من ذوى الغيرة والدين مما جعل اللجنة على ثقة من فضل الله الكريم بنجاح هذا المشروع الإسلامى .

ولكن بعض الجيران من المسيحيين أراد المساهمة في بناء هذا الجامع بالتبرع بشئ من الأرض لتأمين الوصول إلى حديقة الجامع ، وبعضهم تنازل عن مواشير حديدية لا فائدة له منها ويستفيد الجامع بنقل مائه بواسطتها . فهل يجوز شرعاً قبول هذا التبرع منهم . كما نستفتيكم في جواز قبول المال من يتبرع من المسيحيين ليضم إلى المال الذى ينفق على عمارة المسجد .

أمين سر جمعية الهداية الإسلامية

بدمشق

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه لا مانع شرعاً من تبرع المسيحيين للمسجد بقطعة الأرض المشار إليها ، أو بمال ، أو بأدوات يستعان بها في بنائه . وقد نص فقهاء الشافعية في معتمدات كتبهم على جواز وقف غير المسلم على المساجد ونحوها مما هو قربة عند المسلمين . وجاء في المادة السابعة من قانون الوقف المعمول به في مصر رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦ ما نصه « وقف غير المسلم صحيح ، ما لم يكن على جهة محرمة في شريعته وفي الشريعة الإسلامية » .

ومتى كان الوقف من غير المسلم على المسجد جائزاً فيكون التبرع بغير طريق الوقف جائزاً أيضاً . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

بَيْنَ الْجَسَدِ وَاللَّعْبِ

خَطرات - في فترات - تجدد ، فتكسد ، وتُسِف فتتحف

البيِّنَات

تلوت خبراً رقيقاً عن دابة كانت فاقدة فردت ، فقال مالكها في إثبات ملكيتها :
لأنه يتقبل أن ترسل دابته في أطراف بلده ، فإن لم تعتمد إلى داره ، فليست بدابته III ،
على أن القانون - فيما يقولون - لا يقر هداية الدواب ، كما يقر الشهادات III
خبرٌ طريفٌ ، على أن لي فيه هذا الحديث الطلي المجدي :

اتخذ رجلٌ مريبٌ ، بيتاً مريباً في ضاحية بغداد ، يأوى إليه المريبون ، فلما أخذ بفعلته ،
جحد تهمته ، فقيل له إن دواب المكارين كلها تعرف بيتك ، لكثرة ما تغشاه بركابها III ،
فلما أرسلت عمدت إليه III ، فقال الرجل : إن الله عز وجل يقول : « من ترضون من
الشهداء ، وأنتم تسمعون شهادة الحمير III .

هزلٌ هذا ، ربما كان أداة الجدل III ، أما أن القانون لا يتقبل مثل هذه البيينة أو القرينة ،
فإن فيه مقالا للتشريع :

كان الفقه الإسلامي يقول في البيينة : إنها الشهادة ، حتى قال الإمام د ابن تيمية ،
أو تلميذه د ابن القيم ، أو هما معاً : كلا ، إن البيينة كل ما أبان الحق (١) III ، فكان هذا الرأي
من عالم إسلامي خطير ، مفخرة التشريع في الإسلام والشرق ، بل وفي الغرب III .

لقد سبق الإمام د ابن تيمية ، وتلميذه د ابن القيم ، أساطين العلم والقانون في الشرق
وفي الغرب حين قالوا : إن البيينة كل ما أبان الحق ، لا الشهادة وحدها ، فأدخلا في البيِّنات
كل ما هو يسيل من لمبة الدعوى ، وجلاء الحقوق . أجل ، إن التحليل السكجاري ، والتصوير

(١) المجلة - إن الامام ابن القيم توسم في بيان ذلك في كتابه « أعلام الموقعين » ، عند شرحه كتاب
أمير المؤمنين عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري واليه على البصرة .

والخط ، والصوت في الحاكي والتسجيل ، وتهديّ الحيوان ، هذا ، بما يبين الحق من البينات ،
بما هو عماد العمل في القضاء العصري . ولقد كان قبل « ابن تيمية » وقبل تلميذه ، من القرينة
على الجريمة !!!

لعينى البيان :

السكنانية في الأدب العربي طلاوة البيان ، سحر الاحسان ، بل هي قيد الحسن ،
مغزى الجمال .

قال شاعر يثرم بليله يتبلد ، وصبحه لا يتباج :

أسودوا مسارح ليل العرا ق أم صبغوا فجره أسودا ؟؟؟

« صبغوا فجره أسودا » معجزة البيان العربي كله . أما السحر بجملته ، في جلال الشعر ،
وأما الفتنة البحتة ، في وقار الحشمة : وعزة العصمة ، فتلك كلبة « ليلي العفيفة » ، في قصيدتها
التي تستعدي فيها قومها ، وأخاها ، وابن عمها « البراق » ، حيث تقول في أسرارها والثيل منها :

ليت « للبراق » هينا فترى ما ألقى من بلاء وعنا

ثم تقول فيها من السكنانية الساحرة :

قيدونى ، غسلونى ، ضربوا « ملمس العفة » منى بالعصا ! !

لقد درجت عصور الأدب كافة ، على أن في كلبة « ليلي العفيفة » ، « ملمس العفة » نفثة
السحر ، لا فتنة الشعر ، وحشمة الحياء ، في ثوب الإباء .

بيد أنتى لست أدرى : لم ؟ : ولا كيف ؟ ، تلغى تلك الكلمة على عمد ؟ ، لهذا
العهد ، وتبدل بكلمة أخرى ؟ ، وهى عفة خفرة ؟ ، يندى لتركها البيان والاغنيات ،
وجبين الحفريات .

قديم وجديد :

أطبقت الآراء كافة ، وزكيتها صور الرجال الماثلة ، على أن المثقف القديم إذا
انسق له أن يكتسى إلى قديمه مسحة من جدة العلم والحياة ، ويحذق طرازاً من المدنية ،
كان رجل الدنيا ، ظفر بالأجازاتين ، وذهب بالحسنين ، كذلك أطبقت الآراء ، وزكيتها
المشاهدة ، على أن الدارس إذا كان قديماً بحتاً ، لم تصقله جدة العصر والعلم ، فإن عجائز
القرى ، وقعايد الأكوخ ، أقوم منه لباً ! ، وأنضر تحضراً ! .

نبأ ساحر عجب ، لا بالعجيب ولا المستندر ، أن تأخذ الشرطة بالأمس مسجديا يتجر في المخدرات !!! ؛ ويتصرف في الآفيون !! ، ولست أمارى في أن هذا المسجدى تنزل عليه وحى كتبه العتيقة المتبدلة ، التى تؤمن بأن « حشيشة الفقراء ، على التمثيل ، كانت من كشف أبناء الطرق الصوفية ، فليست كبيرة الحرمه ، وإن ذهبت بالحرمه !!! .

تعالى الله ماشاء ، لقد تبليج الدين ، وتوضح اليقين ، بأن كل ما عدا على الجسمان من المأكّل حرام قراح ، حتى الخبز ، وكل ما سطا على اللب والحصاة من الشراب حرام محض ، حتى اللبن !!!

هذا المتجر المنصرف في المخدرات والآفيون ، قديم الدراسة ، غاب عن أنظمة العصر !! ولم يشهد تحضر القانون !!! الذى يحظر كل ما سطا على الجسمان ، واستلب اللب ، ولو شهد العصر !!! ، لتعلم حرمة المخدرات كحرمة المخدرات !!! .

ولو شئت أشهدتك ، دارساً قديماً ، إن شئت حذقت على يده الصناعات المبتكرة ، تزيف النضار والمسجد !!! ، بالنحاس !!! وصرف الدرهم ديناراً !!! يصنعه عن فتيا ، بل دعوى . رأى عتيق زائف عند ذلك المزيف وأشابهه من قدامى الدارسين ، أن سك النقدين لا يحظر إلا حيث يكون الحاكم الشرعى القائم ، والخلافة الإسلامية !!! فيها أمير المؤمنين ومنبر .

أما أن يتقى الدارس القديم معرفة القانون ، والعهد ، فلا يرى الجهره بفتكه ضخمة من التزييف ، ولجعة نكراء ، من إتلاف النقد ، لا ينادى وليدها !!! ، فليس هذا منه فى رأى بعد ، ولا هو مما يعتد !!!

من يدخل الآفيون بيت لهاته فليلق بين يديه نقد حياته !!!

تلك المسجدية القديمة كما تشهد ،

أما حديث « أبو سمرا !!! » ، فذاك أن علامة كبيراً قديم الدراسة ، لقينى ، فقال لى : أبلغك تحية « أبو سمرا !!! » ، فقلت حياه الله ، أحسبه بعض من يداخلنا من السوقيين والخدم !!! ، ثم مضيت ، ومضى .

تمكشفت دخيلة الامر فى « أبو سمرا !!! » ، الذى يبالغى الاستاذ الكبير تحيته ، عن سيد عربى أصيل ، هو بضعة من الزهراء بنت محمد صلوات الله عليه !!! ، وهو على هاتيك

عالم مدرس عريق، وشاعر كبير ، بيد أن أشعة الشمس الوقادة ، نفضت عليه لون السمرة !!!
وكان الأستاذ لجهالة التاريخ !!! ، لم يسمع بأن في السمر بعد ، إلا عبد !!! .

هما خططان : إما دراسة مدنية حديثة ، وأنت سيد من العلماء ، وإما دراسة عتيقة
بجثة ، ولست وإن طاولت السماء ، من العلماء !!! .

بيض محول :

فمكاهة ساحرة ، أو دعابة ساخرة ، فقد يفرط الجد ، فيكبد ، وتسأم حين تدأب ،
فتلعب !!! ، قال شاعر ، أشك في أنه « أبو دلامه ، يهجو عبد الصمد بن المعذل ، الشاعر :

ابن المعذل من هو ومن أبوه المعذل !!!

سألت د وهبان ، عنه فقال « بيض محول ، !!!

« بيض محول ، هذا مغزاه أن عبد الصمد ليس لأبيه بل هو ، لغية ، ! .

سمع د وهبان ، بائع الحمام هذا ، نخاف معرة الهجاء من عبد الصمد بن المعذل ، فطاف
على مجالس العلماء وأنديتهم في المساجد . يقسم لهم : أنه لم يقل إن عبد الصمد بن المعذل
« بيض محول ، فقال عبد الصمد : من يعذرني من د وهبان ، فإن طوافه على الناس في المحافل
يقسم لهم : إنه لم يقل إن عبد الصمد بن المعذل « بيض محول ، أغيط لى من الهجاء ، بهذا
الشعر البارد !!!

هذه طريقة التاريخ الأدبية ، أما طريقة الأدب العصرية ، فهي هذه :

حرس شيخ من شيوخ القضاء والأدب ، تغمدته الله برحمته ، أديبين هما اليوم في رحمة الله
مثله : أحدهما شاعر وزجلي مقتدر ، والثاني طاب علم ديني قديم ، وزين لهما أن يتهاجيا ،
وجعل لمن يدمغ صاحبه بالهجاء جائزة يظفر بها ، وإن كانت دراهم معدودة ، فقال الشاعر
يهجو صاحبه الطالب ، فدمغه :

حتى متى أنا صامت وعن الاعادى ساكت

لعن الإله معاشرنا الجهل فيهم ثابت

فتبلى الطالب الدينى طويلا ، ثم قال تافهاً :

قال النبي المتتمه ابن الامة ما ألامه !!!

استطير الشاعر فرحة وطرباً بهذه المقالة ، أو هذه النبوة ، واغتنمها من صاحبه !!! ،
والشاعر فكهُ مَرَحٌ ، فأقسم ليبْلَغَن من يملك أمر هذا الطالب . أنه يتكذب على النبي
صلوات الله عليه حيث يقول :

قال النبي المنتمهُ ابن الامة ما ألامهُ !!!

وعنده ، وهو أكبر يقينه ، لا ظنه ، أن النبي صلوات الله عليه لم يفله ، وقد أوقع
ما تهدد به !!! ، فتغضب رؤساء الطالب غضبتهم الدينية ، على شاعر يصنع على النبي أنه قال
« ابن الامة ، ما ألامهُ ، فتبوا مقعده من النار !!! ، فشدوا لمحاكته مجلساً علياً ، ثم فضوه ،
حين قيل لهم : بعض هذه الاضاحيك !!! ، إنها هي مجانة أدبية ، ومساجلة في قهوة !!!
ماجنة ، بين أديبين ، ليست من الدين ، ولا اليقين !!! .

إن النفاهة الساخرة أن تجد الغضبة ، والحديث يلعب !!! ، ولعل أخذ الطالب الاديب
بالكذب على النبي صلوات الله عليه ، في حديث بشاشة وفكاهة ، أغيظ له من نصرة
خصيمه عليه ، كما كانت براءة دوهبان ، من مقالة دبيض محول ، أغيظ لابن المعذل النائر ،
من هجاء الشاعر !!!

« السير »

عضو المجمع اللغوى

الطبقة المتوسطة

حكى عن ابن المعتز السلى قال :

الناس ثلاثة أصناف : أغنياء ، وفقراء ، وأوساط .

فالفقراء موتى ، إلا من أغناه الله بعز القناعة .

والأغنياء سكارى ، إلا من عصمه الله بتوقع اليخير .

وأكثر الخير مع أكثر الأوساط ، وأكثر الشر مع أكثر الفقراء والأغنياء ، لسخف

الفقر وبطر الغنى .

البلاغة والنقد

— ١ —

البلاغة العربية مدينة في نشأتها الأولى لجهود علماء اللغة والأدب ، وللمثابرة الرواة والنقاد والباحثين في أصول البيان العربي ؛ مع الأثر الغد الذي أحدثه الكتاب والشعراء والأدباء في القرن الثاني والثالث الهجري .

ولقد تلاحقت الثقافات ، واتصلت المعارف ، وتبدلت الأفكار ؛ في عواصم العلم والثقافة في العالم الإسلامي القديم ، على أيدي العرب الذين نبغوا في اللغات الأجنبية ، والموالي الذين حذقوا اللغة العربية وأجادوها ، والمترجمين الذين كانوا همزة الوصل بين الثقافات القديمة والثقافة العربية الإسلامية الأصلية .

كان خلاف لا يشق له غبار في صناعة النقد ، لنفاذه فيها وحذقه بها وإجادته لها ، ^(١) . وكان أبو عبيدة يعجب من فطنة بشار وجودة قريحته وصحة نقده للشعر ^(٢) ، وكان خلف يعجب من نقده للشعر ومذاهبه ^(٣) . وكان الجاحظ ^(٤) يرى أن بشارا زعيم المولدين . ثم جاء ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن المدبر وابن المعتز ، فكان لجهودهم أثر كبير في نشأة البلاغة ونمو البحث في أصول البيان .

ولا ننسى جهود طائفة أخرى من العلماء في إثارة البحوث البلاغية والتعليق عليها ، وتلك الطائفة هي جماعة العلماء الذين شغلوا بالبحث في إعجاز القرآن الكريم وتفهم أمرار هذا الإعجاز والتأليف فيه ، فكشفوا الكثير من غوامض البلاغة وأصولها ، ومن هؤلاء أبو عبيدة والجاحظ وسواهما من أئمة المهتلة وفحولها .

وعلى أيدي قدامة وأبي هلال والآمدى والقاضي الجرجاني وغيرهم من أفذاذ النقاد في القرن الرابع الهجري ، نرى البحث البلاغي ينمو ويقوى ويزدهر .. ثم تلاهم الباقلاني وابن سنان وابن رشيق من علماء النقد والبيان .

(٢) ٢٠٧ طبقات ابن سلام

(٤) ٩١ / ١ العمدة

(١) ١٩٧ / ١ العمدة

(٣) ٢٣ / ٣ الأغاني

ولقد لمعت عبقرية عبد القاهر الجرجاني المتوفى عام ٤٧١ هـ في هذا العهد ، وكان مظهر هذه العبقرية اللامعة كتابان جليلان ألفهما قبل وفاته بقليل هما : دلائل الإعجاز ، و د أسرار البلاغة ، اللذان يعدان حتى اليوم أصلاً ضخماً من أصول البيان وبحوث البلاغة والنقد والموازنة .

وبعد عبد القاهر انطفأ السراج ، وذبل العود ، وأصيبت الأذواق بالعي والعمى ، كما أصيبت البلاغة بالتأخر والاضمحلال . . وبعد نحو قرن ونصف قرن ظهر نجاة السكاكي بعقليته المنطقية وذوقه الأعجمي ؛ فأحال البلاغة إلى جدل عقيم في الإنفاظ والأساليب ، وإلى قواعد جافة لا صلة لها بالذوق ولا بالحياة ؛ وكثر تلاميذ السكاكي ، وانتشر مذهبه في البلاغة الذي يمثل القسم الثالث من كتابه « المفتاح » ، والذي عني فيه مؤلفه بالقشور لا باللباب وبالتوافه لا بالحقائق ؛ ولا تزال دراستنا للبلاغة حتى اليوم قائمة على أصول مذهب السكاكي وتلاميذه وحده دون سواه .

- ٢ -

ولقد نهض جماعة من أدبائنا يدعون إلى التجديد في البلاغة ، فن قائل : إن السكتب القديمة يجب أن تحل محلها كتب أخرى مؤلفة على النهج الحديث ؛ ومن دعاة إلى تلقيح البلاغة العربية بأصول الدراسات البلاغية في شتى اللغات الحديثة الأوروبية ، ومن ناهجين مناهج الغرب في بحث أسرار البلاغة وأصولها ، ومن منادين إلى مذاهب البلاغيين القدماء من أمثال عبد القاهر وقدامة وأبي هلال .

وهكذا تعددت الآراء ، وتخاصمت الأفكار ، في التجديد في البلاغة ، وبيان كيف يكون هذا التجديد ، على أن أذواق علمائنا المعاصرين وأدبائنا المشهورين لا تكاد تساعد على الوصول إلى هدف أو غاية ينشدها المشفقون على البلاغة العربية اليوم . . والذين يحاولون التجديد فيها يكتفون بنقل أفكار الغربيين دون فهم أو يقظة فكرية أو لمسار ما بترائنا القديم الخالد في البلاغة والبيان والنقد .

ومن أمتع صور البحث البلاغي والنقد البياني هذه الصور الخيالية التي قرأناها في مجلة الأزهري - عدد ربيع الأول ١٣٧٢ هـ - بعنوان : علوم البلاغة في الميزان ، والتي اتجه فيها الكتاب إلى إثارة المللكات ، وتنشيط الأفكار ، وتحريض الأذهان على النظر والبحث والنقد والاستنتاج والكشف ، وحفز إلهم للبحث والابتكار . . وهي محاولة مجدية قوية في سبيل التجديد البلاغي المنشود . وأول ذلك الأسرار البلاغية الدقيقة للحذف

ومحاولة الكشف عنها ، فلقد عرض عبد القاهر الجرجاني للحذف ومكانه من البلاغة دون أن يبين سبب هذا الحسن والإحسان ، وسر هذا الجمال البياني الأخاذ .

وجاء السكاكي والخطيب وتلاميذهم فجعلوا الحذف في موضعه كالكذكر في موضعه ؛ لكل مكانه من البلاغة ، ومنزلته من سحر البيان ؛ وأبوا أن يكون للحذف منزلة على الذكر بل هما يحصلان البلاغة ويوجدانها ؛ ثم عللوا الحذف بعلة متكلفة لا صلة بينها وبين أحكام الذوق الأدبي السليم .

ويحاول الباحث أن يعمل سر جمال الحذف وبلاغته بأسباب نفسية وأمور بيانية ، منها الهجوم بالسامع على المطلوب دفعة ، والجدلة التي نراها في أسلوب الحذف ، ومنها أن المحذوف تدل عليه القرائن فإذا ذكر كان ثقيلًا في موضعه لأنه تعريف لما عرف وبيان لما بين ؛ فيربط بذلك بين البلاغة وأحكام الذوق وأسرار البيان وملكات النفس الإنسانية .

ومن البحوث التي أثارها الأستاذ ، أسلوب التجريد وتحليل ألوان جماله وسر هذا الجمال ، بعيداً عن تكلف القدماء البغيض وتأويلهم المصنوع .

وكذلك عرض لأسلوب : رأيت اليوم حاتماً ولقيت ما دراً وسمعت سخبان وما أشبه ذلك مما أوله البلاغيون فجعلوا حاتماً هنا كأنه موضوع للجوار ، فانتزعه من معناه وهو العلمية على الرجل المعروف من طيء ؛ وبهذا التأويل يكون حاتم متناولاً للفرد المتعارف المعهود والفرد غير المتعارف وهو من يتصف بالوجود ، فيصير استعماله في غير المتعارف استعمالاً في غير ما وضع له فيكون عندهم استعارة .

وأستاذنا يبحث ذلك كله ويناقشه وينقده ويحاول الوصول إلى الصواب في أمره ، حيث يرى أن المراد هنا تشبيه هذا الكريم بحاتم في جوده ، فخاتم باق على معناه دون تغيير أو تبديل . وهكذا نجد نهجاً جميلاً في البحث والمناقشة ومحاولة الكشف عن أسرار البلاغة وأصولها ؛ وهو نهج طريف ما أجدر الأزهر أن يسير عليه في الدراسة والبحث ، لتسكون دراسة البلاغة فيه مجدية منتجة ، وليحاول أن يقف على قدميه أمام هؤلاء الذين يزرون بالبلاغة القديمة لجزاء شديداً .

إن القديم ليس كله صواباً ، وليس كله خطأ ؛ بل فيه الصواب ، وفيه الخطأ ؛ وفيه سوى ذلك ألوان من القصور العلمي الذي يجب ملاقاته ؛ فما أجدرنا في الأزهر بتجديد البحث والدراسة في أصول بلاغتنا ، وفي مذاهب البيان وأسراره . محمد عبد المنعم خفاجي
المدرس في كلية اللغة العربية

الفرض العلمى

- ٢ -

تكلمنا فى المقال السابق عن الفرض العلمى ، وسنفصل فيما يلى الكلام عن تحقيقه . ونستطيع أن نميز مرحلتين لهذا التحقيق ، هما مرحلة التحقيق النظرى ، ومرحلة التحقيق العملى .

١ - وبعد العلامة إرنست ماخ والعلامة لالاند من أوائل المهتمين بالتحقيق النظرى . وقد لاحظ ماخ أن كبار العلماء مثل جاليليو يباشرون تجريباً عقلياً سابقاً ، ويأخذ هذا التجريب أحد اتجاهين ، فإما أن ينتج ويكفى العالم مؤونة التجريب العلمى ، ولما أن يكون نجاحه جزئياً فيساعده على توجيه التجريب العلمى .

وهناك ثلاثة مظاهر للتجريب النظرى ، أولاها : مظهر التغير المتصل ، وهو تصور العالم للظروف والأحوال التى تحدث فيها ظاهرة معينة ، هذه الظاهرة تتغير تغيراً متصلاً يوقفنا - عقلياً - على كل الأحوال المختلفة لهذه الظاهرة أو لقانونها .

فإذا لاحظنا مثلاً أن حجراً يسقط على الأرض على بعد معين ، وفرضنا أننا زدنا فى بعد هذا الحجر حتى أصبح على بعد القمر من الأرض وزدنا فى حجمه حتى أصبح فى حجم القمر . فإن هذا التصور يؤدى بنا مباشرة إلى تصور سقوط القمر نحو الأرض ، فإذا تصورنا بعد ذلك أن القمر ذاته يكبر تدريجياً حتى يصل إلى حجم الأرض ، فإننا سنلاحظ أولاً أن كبره هذا لم يمنع من سقوطه ، ونستنتج ثانياً أن الأرض متجهة هى أيضاً نحو القمر ، أى أن الجاذبية متبادلة ، وإذا استمر الذهن فى هذه الحركة العقلية بما فيها من تغيرات متصلة فى الظواهر ، فسيرى أن الأرض والقمر مكونتان من حجارة وأن مكوناتها فى جاذبية مستمرة متبادلة .

ويلاحظ - من ناحية أخرى - أنهما لا يختلفان جوهرياً عن الأجسام الأخرى المكونة للنظام الفلكى العام ، وأن حركة كوكب معين لا تختلف كثيراً عن حركة مقذوف أبداً كان ، وعجلة هذه الحركة متوقفة بطبيعتها على بعد الكواكب عن الشمس ، إذ هى ككل عجلة متوقفة على المسافة ، من كل ذلك نستنتج أن تغييرنا المتصل للظواهر وانتقالنا شيئاً فشيئاً بواسطة البرهان التمثيلى يوصلنا إلى قانون الجاذبية العام ، أى أن العقل - بواسطة تجريب عقلى سابق على التجارب العملية - يوسع حدود الفرض ، وإن لم يصل إلى تحقيقه تحقيقاً تاماً .

والمظهر الثانى ، هو التجريب العقلى بالخلف ؛ وقد رجع إليه جاليليو بصدد قانونه الخاص بسقوط الأجسام . فهو قد فكر قبل أن يصل إلى هذا القانون فى أنه لو كان صحيحاً أن الأجسام الأكثر ثقلاً تسقط بسرعة أكبر من غيرها ، لاضطررنا إلى قبول النتيجة التالية : لربط مثلاً جسمًا ثقيلًا بجسم خفيف ، فسندسلم بمقتضى الفرض السابق بأن الجسم المكون من الاثنين يسقط ببطء ، ما دام الجسم الثقيل قد يبطل فى السقوط بسبب الخفيف . ولكننا نرى مباشرة أن قضيتنا الأخيرة متناقضة مع نفسها إذ أن الجسمين المكونين للجسم الساقط أثقل من الجسم الثقيل ذاته الذى يسقط بسرعة مفروضة فيها أنها أكبر من سرعة الجسم الخفيف . أما المظهر الثالث فهو مظهر الحذف التجريبي : فقد يمكن - بواسطة الفكر فقط - تخفيف أو إضعاف أو حذف عنصر أو عدة عناصر لها تأثير هام فى الظواهر التى ندرسها ، مع تصور أن العناصر والظروف الأخرى تعمل وحدها فى الظاهر ، والواقع أن التخفيف والحذف لبعض العناصر والظروف التى تحيط بالظاهرة لا يمكن تطبيقه عملياً ، فلو تصورنا مثلاً أن احتكاك جسم متحرك على سطح أفقى يخف شيئاً فشيئاً حتى يعدم . فسنصل من هذا التصور إلى أن تمثل جسمًا متحركًا بحركة منتظمة دون أية مقاومة خارجية ، والحقيقة أن هذه الحالة التى نتصورها لا تحصل تماماً فى الواقع التجريبي ؛ ولكن هذا التصور ذاته هو الذى ساعد جاليليو على التحقق من قانون القصور الذاتى الذى يقول : « لا يمكن لجسم أن يغير شيئاً فى حالته ساكناً كان أم متحركاً ما لم يقع تحت تأثير قوة جديدة » .

هذه هى مظاهر ثلاثة للتجريب النظرى ، يظهر فيها إمكان الاستغناء عن التجريب العملى ، ولكن هناك أحوالاً أخرى لا تغنيها عن التجريب العملى بل تعد الطريق لهذا التجريب ، ولا يتسع المقام لذكر أمثلة عنها .

٢ — أما التحقيق العملى ، فله أيضاً طرائق ثلاث : أولاًها ، الطريقة المباشرة ، وظاهر من اسمها أنها تفسر العلاقات العلية بين الظواهر المشاهدة أو التى تخضع للتجربة ، وتدخل قواعد (مل) الخمسة ضمن هذه الطريقة :

وأول قاعدة من قواعد مل ، هى « قاعدة الاتفاق » ، وتتلخص فى أنه إذا كان هناك عامل مشترك بين حالتين أو أكثر لظاهرة معينة ، فإنه يعتبر بمثابة العلة أو المعلول لهذه الظاهرة ؛ فإذا مرض سكان قرية ما بمرض البلهارسيا مثلاً ، وأراد الأطباء أن يعرفوا علة هذا المرض ، فعلمهم أن يبحثوا كل الظواهر التى سبقت حدوثه ، كاللبس نوع معين من الملابس

مثلا أو أكل نوع معين من الطعام أو شرب ماء معين ، فإذا وجدوا أن المرضى لم يشتركوا إلا فى شرب نوع معين من الماء عرفوا بذلك علة المرض ، وهذا المثل يضرب للبحث عن العلة . ولا بأس من أن نذكر مثلا يضرب للكشف عن معلول فيما يأتى : إذا أرادت حكومة أن تلغى البغاء مثلا ، فليها قبل أن تقدم على هذا العمل أن تفحص جميع اللواحق التى اتفق وقوعها فى جميع الحالات التى ألغى فيها البغاء فى بلاد أخرى : هل زادت منازل الدعارة السرية ؟ أم كثر الإقبال على الزواج ؟ فإذا تبين لها أن الإلغاء تلاه فى بلد ما ازدياد منازل الدعارة السرية ولكن صحبته مع ذلك كثرة الإقبال على الزواج ، وأنه فى بلد آخر تلاه قلة انتشار الأمراض السرية وصحبته أيضا كثرة الإقبال على الزواج ، من ذلك تستطيع أن تستنبط النتيجة التى يؤدى إليها إلغاء البغاء وهى كثرة الإقبال على الزواج لأنه قد ازداد فى كل مرة . . . ويتضح مما ذكرنا من أمثلة أن أساس هذه القاعدة هو فى وجود الظاهرة والعامل المشترك الذى يسمى علة أو معلول تلك الظاهرة ، ولكن هذه القاعدة ليست عامة مطردة فى كل زمان ومكان ، ولا تعطينا صورة منطقية توصلنا إلى قانون حاسم ، فن الصعب وجود ظواهر مختلفة تتفق فيما بينها فى صفة واحدة فقط تعد بمثابة العلاقة العلمية بينها .

والقاعدة الثانية من قواعد علم ، هى قاعدة الاختلاف ، وهى عكس القاعدة الأولى فالحالتان هنا تشتركان فيما بينهما فى كل العوامل ما عدا عامل واحد يظهر فقط فى إحداها ولا يظهر فى الأخرى ويعد علة أو معلول الظاهرة التى لدينا .

أما القاعدة الثالثة فتجتمع بين القاعدتين السابقتين ذكرهما ويتضح ذلك من اسمها وهو المنهج المركب من الاتفاق والاختلاف . وتتلخص فى أنه إذا وجد عامل مشترك بين حالتين ، وتختلف هذا العامل ذاته من حالتين أخريين ؛ فإن هذا العامل يعد علة أو معلول الظاهرة . فمثلا إذا تغيب طالب عن حضور درس معين ثم رسب فى الامتحان ، فمقد يظن أن السبب فى رسوبه هو عدم حضوره هذا الدرس ، وإذا عرف أن كل من حضر هذا الدرس نجح فى الامتحان ازداد يقينه ، وإذا عرف أيضا أن كل من لم يحضر هذا الدرس قد رسب ازداد يقينه أكثر ونسب رسوبه إلى عدم حضور الدرس . فإذا وقع المقدم يقع التالى والعكس صحيح .

أما القاعدة الرابعة فهى قاعدة البواقي ، وتتلخص فى أننا إذا حذفنا من ظاهرة الجزء الذى عرف عن طريق استقرارات سابقة أنه المعلول لمقدمات معينة فإن بقية هذه الظاهرة

تكون معلولة لبقية المقدمات ، فإذا قذف مدفع طلقة إلى مسافة ألف متر ثم ركبت ما كينة أخرى فزاد بذلك بعد الطلقة مائة متر ، فعرف من ذلك أن الفرق بين قوتي الماكيفتين هو علة المائة متر التي زادت الطلقة .

أما القاعدة الخامسة والآخرى فهي « قاعدة التغير النسبي » ، وفكرتها الرئيسية هي أنه بين أية ظاهرتين إحداهما علة والآخرى معلول تلازم ، بحيث أن أى تغير في العلة يستلزم تغيراً موازياً له في المعلول . فمثلاً إذا لاحظنا أن جو حجرة الدراسة التي فتحت نوافذها بارد ، ثم لاحظنا أنه بعد قفل نافذة صار الجو دافئاً قليلاً ، وبعد قفل نافذة أخرى ازداد الجو دفئاً ، وهكذا أمكننا أن نستنبط أن النوافذ المفتوحة هي علة ازدياد البرودة . وهذه القاعدة - كما يتضح من المثال - عبارة عن قانون الاستنباط الذي بمقتضاه نحكم بأن حادثة معينة علة في وقوع أخرى لأنهما متلازمان في التغير .

هذه بالإجمال قواعد العلامة مل في تحقيق الفروض ، وهي لا تسكن في إثبات وتحقيق جميع الفروض ، فهي تقوم على وجود علاقة عليية بين الظواهر التي نشاهدها أو تجري عليها التجارب ، أما إذا جعلنا العلة الواقعة بين الظواهر التي لدينا فإنها لا تستطيع أن تحقق لنا الفرض ، وبذلك يتحتم الالتجاء إلى :-

الطريقة الثانية من طرق التحقيق العملي ، وهي الطريقة غير المباشرة ، وهذه تفترض وجود علاقة عليية بين حالتين أو جملة حالات ، وبناء على هذا الفرض تستنتج النتائج ، فإن قابلت حقائق صحيحة أيقنا بصحة الفرض وإلا فلنأجأ إلى فرض آخر .

أما الطريقة الثالثة فهي عبارة عن شكلين عامين يذكرهما العلامة لالاند ، وأولهما ، الطريقة السلبية أو منهج الحذف ؛ وتتلخص في أنه إذا بقي لدى العالم عدد معين من الفروض بعد فقد سابق ، فليكن منها قائمة ، ثم يقوم بحذف الفروض التي تناقض التجارب التي يقوم بها للتحقيق . فلا يقبل فرض يعارض القول بأن الضوء ينتشر بسرعة أكبر من سرعة الصوت في الانتشار . وثانيهما الطريقة الإيجابية وهي تثبت صحة الفرض بنجاحه في أحوال مختلفة كل الاختلاف ومتباعدة كل البعد كميًا وكيفياً عن الأحوال التي وجهتها نحو الفرض ، أى أن العالم الذي يريد تحقيق فرض معين يطبقه عملياً في أحوال مختلفة كل الاختلاف عن الحالة التي بدأ بها العالم الذي فكر في الفرض ، ويجمع نتائج هذه التطبيقات وبقائها بالفرض الذي لديه ليرى مبلغ اتفاقها أو مبلغ اختلافها ، وبعبارة أخرى يرى مدى اتفاق العمليات الرياضية المجردة مع تجارب المعمل .

العلم وعلاقته بالدين

لا يوجد بحث من البحوث التي تشغل بال الاجتماع وتحمل عقول المصلحين أكثر أهمية، ولا أدخل في باب الحداثة، ولا أشد تعقداً، ولا أعظم - بالتالي - فوزاً بالصدارة من بحث العلاقة بين العلم والدين. ومآل ذلك هو أن العلم - منذ أن فاز بحريته في فجر النهضة الحديثة - قد أصبح يزعم لنفسه المقدرة على فرض سلطانه المطلق على العقول والاجسام، بينما يهدف الدين - منذ أول عهده بالبشرية - إلى سيادة سلطته الروحية وإلى قيادة الحياة العملية في الأمم وإرشادها إلى سبل الهدى والسعادة. ولا جرم أن هوة الخلاف بين المعسكرين قد اتسعت أرجاؤها إلى حد أن عدداً كبيراً من العلماء العصريين قد وضعوا نصب أعينهم تجاهل كل التعاليم الدينية التي تبتعد عن التجارب العملية ولا تسترشد بهدى الأقيسة الموضوعية الخاضعة للمناهج العلمية الحديثة.

ولما لم تؤد هذه الخطة التي سلكها العلماء المحدثون إلى إسعاد الإنسانية، بل بالعكس قد انتهت بها إلى فقدان التوازن الروحاني من جهة، ولما كان باب النقاش في هذه النظرية لا يزال مفتوحاً على مصراعيه من جهة ثانية، وكانت العقول المثقفة المتزنة لا تزال تنتظر لها حلاً مقنعاً يحقق السعادة الإنسانية من جهة ثالثة، فقد حاولنا منذ أعوام أن نعالج موضوع الصلة بين الدين والعلم على صفحات هذه المجلة موجزين آراء علمية المفكرين الذين عنوانوا بدراسة هذه المشكلة ومجهوداتهم التي بذلوها للتوفيق بين العلم والدين، أو لتضييق هوة الخلاف بينهما ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لكي تكون دراستنا علمية مؤسسة على دعائم التطور التاريخي المألوف.

وبهذه المناسبة لا يسعنا إلا أن نتقدم إلى قرائنا الاعزاء الذين رافقناهم على صفحات هذه المجلة زهاء ثلاثة عشر عاماً، ثم احتجبتنا عنهم بغتة معتذرين إليهم بأن ظروفنا ملتوية تختلف مع طبيعتنا قد أحاطت بالمجلة فجعلتنا نقطع صلتنا بها راضين عن أنفسنا مطمئنين

إلى مبادئنا . والآن نعود إلى وصل ما انقطع محاولين الإحاطة بهذه المشكلة من جميع جوانبها بقدر الإمكان . وإليك البيان :

ألمنا في الفصول السابقة من هذا البحث بآراء ديكارت ، بمثابة للقرن السابع عشر ثم بآراء دجون لوك ، و دجان جاك رسو ، معبرة عن أكثر تفكير القرن الثامن عشر . واليوم نستأنف الحديث عن ناحية أخرى من ذلك العصر المذكور وهي آراء دكانت ، Kant التي يعثر عليها الباحث فيما يسميه مؤرخو الحركة العقلية : « ثورة كانت الفلسفية » .

وبجمل هذه الآراء أن دكانت ، يزعم أنه عندما نظر في فلسفة القرن السابع عشر هاله ما هوى فيه العقل البشري من تناقض واضطراب حينما جعل يحاول حل معضلتى وجود الإله وكنه النفس البشرية . ومن دلائل ذلك عنده تناقض بعض الفلاسفة العقلين مع البعض الآخر ، بل تناقضهم مع أنفسهم ، وهو يفتى في آخر هذه الدعوى إلى تقرير أنه ينبذ ذلك المبدأ الشهير الذى ساد القرن السابع عشر كله ، وهو القول بأن فى مكنة العقل أن يدرك الوجود فى ذاته ، وبالتالي هو يستطيع - فى غير تجربة عملية - أن يصل إلى المعرفة المطلقة ، وأنه يستطيع فى سهولة أن يتحدث بيقين عن الوجود اللامحس ، وأن يقيم الدليل القاطع على وجوده عن غير طريق الواقع المشاهد ، وأنه لابد من وجود نوعين من العلم يسيران متوازيين جنباً إلى جنب ، أحدهما العلم الطبيعى الذى يشتغل بالظواهر المادية ، والآخر العلم الأعلى الذى موضوعه ما فوق المحس أو ما بعد الطبيعة ، ومعنى هذا أن غايتى العلمين مختلفتان ، وليستا متعارضتين . وذلك كله باطل من أساسه .

حقاً إن النظرة العاجلة فى النقد الذى وجهه دكانت ، إلى تراث ما بعد الطبيعة أو إلى ما يسميه هو بالميتافيزيكا التقليدية ولا سيما منها براهين وجود الإله والحياة الأخرى من شأنها أن تلقى فى روع الباحث الحكم على العقل بالعجز والقصور البالغين ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، إذ أنه لم يحتقر العقل إلى هذا الحد ، وإنما أراد - فيما يزعم - أن يعيد إليه سلطانه الحقيقى على صورة جديدة يمكن أن نجماها فيما يلى :

يؤمن كانت بوجود العالم الخارجى حق الإيمان ، وهو فى الوقت عينه يقرر أن هناك موجودات فى ذاتها ، ولكنها غير قابلة للمعرفة بالنسبة لنا ، ويمكن أن يطلق عليها اسم « نوميونون Nouménon ، وهى نفس الكلمة الإغريقية « نوميونا Nooumena ، التى كان أفلاطون يطلقها على « المثل » .

على أنه لكي تتحقق معرفتنا بالعالم الخارجى يجب أن يخضع العقل البشرى ذلك العالم لقوانينه الخاصة حتى يبدو لنا فى صور ظواهر وأحداث : « فينومين Phenomen » ، حينئذ يصير العقل سلطة تشريعية يذعن لقوانينها كل ما من شأنه أن يكون موضوعا للمعرفة . وعلى هذا النحو هو يعترف للعلم باليقين ما دام أن المعلوم لا يخرج عن نطاق التجربة .

بيد أن العقل الإنسانى بفطرته طموح يتطلع إلى ما هو أسى من ذلك فيرنو - فى شغف مشروع - إلى ما وراء استقرار قوانين الطبيعة وما فوق معرفة للظواهر الحسية فيدرك فكرياً من عالم الوجود فى ذاته كفكرة النفس وفكرة الكون وفكرة الإله التى هى مانحة الحقائق أقصى آواج المعقولة .

على أنه إذا كان فى مقدور أدوات العقل البشرى شرح الظواهر المادية وتعليلها ، فإن الذى لا ريب فيه أن الشأن ليس كذلك عند ما يتعلق الأمر بالنظر فى الوجود فى ذاته ، أى الوجود الذى لا يخضع للتجربة كجوهية النفس وبساطتها ، أو كمنشأ الكون ، أو كاستدلال على وجود الإله ، إذ أن جميع المحاولات التى عاجلت أمثال هذه الجوانب عن طريق العقل عندما ينعم المرء فيها نظره فى شىء من الدقة يلقى أنها مشتملة على متناقضات لا يمكن قبولها ، أو متعارضات بدون حلول أو ضعف فى الأسانيد المؤيدة على أقل تقدير .

من هذا كله يتبين إجمالاً أن العقل يستطيع أن يصل إلى العلم اليقيني فى كل ما ينحصر فى منطقة التجربة وأنه منعطف بطبعه إلى إدراك وجود حقائق أخرى أسى من عالم الحس ، وهى غير قابلة لموضوعية العلم ، بل هى قابلة لموضوعية الإيمان المشروع الذى يهدف إلى غاية أخرى مغايرة لغاية المعرفة النظرية التى لا تلحق إلا موضوع العلم فى نظر « كانت » ، ولأذن فيجب على الميتافيزيكية أن تقنع بدورها الحقيقى وأن تتواضع فتدرك منزلها الصحيحة وأن تقدر مهمتها الطبيعية حق قدرها ، فبدلاً من أن تتعقب غاية مستحيلة بالنسبة لها ، وهى محاولة مد سلطان العلم إلى ما وراء التجربة الحسية ، يكون حسبها أن تقف به عند حدود المجربات التى هى حدود المقدرة البشرية ؛ وبهذا الاتجاه تصبح الميتافيزيكية عملية منتجة لا نظرية مجردة . وعلى هذا النحو لا يفوتها شىء مما هو ضرورى للمعرفة أو للحياة ، لأن من الخطأ أن تتعلق بما يتجاوز حدود معرفتنا طمعاً فى أن ينظم هذا المجهول - المستعصى

علينا فهمه — سلوكنا . ولهذا كان من العبث أن نجعل يقيمتنا بالحياة الأخرى هو الحامل لنا على التمسك بالفضيلة ، أو أن نتخذ عدم قابلية النفس للفناء حافزاً لنا على العمل أملاً في جزاء الخير ، لأن ما لا يدخل في نطاق التجربة لا يصلح لأن يدفع إلى تنظيم سلوك الحياة الواقعية مستنداً إلى تعليل نظرى .

والحق بإزاء هذه المعضلة أن القلب هو الذى يقود العقل فيها فيفرض عليه بدياً أن أداة المعرفة هنا عابثة معدومة الفائدة لقصورها ، بل لعجزها ، وأن أوامر القانون الخلقى التى تنظم الحياة وتقوم السلوك وتدفع إلى الفضائل هى مستقرة فى أعماق النفس الإنسانية ، وأنها ، تثبت منها عند الحاجة ، أى قبل الحكم على أى عمل بله الشروع فيه ، وأنها — فيما يبدو — هى التى تحدد منزلة كل فرد فى الحياة الأخرى .

على هذا النحو كان ، كانت ، يعتقد أنه من الممكن التخلي عن الميثافيزيكية التقليدية دون أذى عدوان على الفضيلة الخلقية والدينية التى كان يضعها فوق كل اعتبار . ولا جرم أن أبرز نواحى مذهب ، كانت ، فى هذه المشكلة هى إعتاده على الفرق الواضح الذى يابح عليه بين العلم التجريبى والعقيدة التسليمية ، فهو يصرح بأن الأول يبحث عن معارف حقيقية مؤسسة على أدلة يقينية غير قابلة للاعتراض ، بينما أن الثانية تعتمد على إيمان بسيط وتسليم أبسط ، وأن ظلمة المشكلات وتعقدها والضرورة الملحة على وجوب الاختيار السريع والتصميم الحاسم ، كل هذه العوامل تخلق ، من الإيمان التسليمى البسيط شيئاً لا نلث أن نتخذه مبدأً لأحكامنا ثم لسلوكنا . على أن هذا المبدأ ليس تافهاً أو خفيف الوزن ، وإنما هو مؤسس على الرجحان ، أوله ما يبرره من شهادة شخصية جديرة بالتصديق . وإذن فلا يمكن استبعاد العقائد الدينية بحجة أنها مؤسسة على إيمان تسليمى إذ أن تلك العقائد لها ما يبررها من اليقين بأحقية الإله نفسه .

وإذن فلو أن المرء دقق النظر فى معتقداته وعنى بفحصها نهاية فائقة فلم يحتفظ منها إلا بما هو من الوعى الإلهى حقاً ، وبذل جهده فى اقتناص المعانى الحقيقية لهذه الموحيات لصارت العقيدة الدينية مبدأً من مبادئ اليقين الذى لا يقل عن العلم بأكمل ما فى هذه الكلمة من معان .

وعلى هذا الأساس استطاع د. كانت ، أن يجد في اختصاصات العقل جميع الشرائط الأساسية للعلم والدين . فأما العلم فمبادئه مستقرة في العقل حينما يكون نظرياً ، إذ هو في هذه الحالة يؤلف دعائم العلم مطبقاً على العالم الحسى التجريبي قوانينه التي تصير ذلك العالم قابلاً للمعرفة ، وهي معاني الزمان والمكان والعلية .

بيد أن هذا العقل لا يستمر دائماً نظرياً ، وإنما يكون أحياناً عملياً لإنشائياً فلا يكتفى بشرح العالم الخارجى وتعليل ظواهره وأحداثه ، وإنما هو يود أن يعمل عملاً منتجاً ، وهذا العمل محتاج إلى قواعد تنظمه وتنسقه ، وفي هذه الحالة الأخيرة يبرز العقل أقصى ما يشتمل عليه من عناصر . وإذ ذاك يجب أن نعيّنه على امتداد سلطانه حتى يلحق بالغاية الأخرى المؤسسة على الإيمان والتي باجتماعها مع العلم تحقق أسمى وظائف العقل .

وإذا كانت طبيعة تكويننا تقضى علينا بضرورة وجود بعض المبادئ لإمكان تنظيم سلوكنا ، فإنه يجب علينا أن نقبل هذه المبادئ الإلهية المنظمة كحقائق حتمية ، وتلك هي المبادئ الميتافيزيكية كاللوهية وحرية الاختيار وخلود النفس وما شاكل ذلك . ولكن قبولنا هذه المبادئ هو على معنى أنها عملية خلقية لا علمية ولا نظرية . وإذن فالعقيدة على هذا الاتجاه ، السكنتى ، شئ لا بد منه لتحقيق المبادئ الخلقية التي لا نستطيع التدليل على صحتها علمياً ، لشذوذها عن قواعد التجارب الحسية كما أسلفنا .

وأخيراً نستطيع أن نجمل مذهب د. كانت ، فى : أن العقل يكون نظرياً وعملياً حسب اختصاص اتجاهه . فإذا كان هدفه التعقل والفهم كان نظرياً ، وإذا كانت غايته التنظيم الخلقى كان عملياً ؛ وثمرة الحالة الأولى العلم ، وثمرة الثانية الأخلاق . ومن هذه الحالة الأخيرة تنبثق العقيدة ، وكل من هذين الاتجاهين مستقل عن الآخر تمام الاستقلال ولسكنهما متصلان فيما بينهما عن طريق ذلك الرابط العام المشترك وهو العقل .

المركز محمد غلوب

تصحيح

وقع في الجزء الماضى خطأ فى ترتيب صفحتين من المجلة . فالصفحة التي رقبها ٨٧٩ وأولها «رسولانهم» ، كان ينبغي أن يكون رقبها ٨٧٨ بدلا من الصفحة التي قبلها وصواب ترقيمها ٨٧٩

الكتاب

التفسير الواضح — للأستاذ محمد محمود حجازي

إن الجمهور المثقف من المسلمين يحتاج في كل عصر إلى تفسير لكتاب الله يقتصر فيه على ما ييسر للمسلم فهم آياته للاهتمام بها فيما نزلت له . وفي مختلف عصور الإسلام كان العلماء يقومون بهذه المهمة ، كما فعل الجلال المحلى ثم الجلال السيوطي في إخراج تفسيرهما اللطيف المنسوب إليهما . وقد تصدى لأداء مثل هذه المهمة الإسلامية لشبابنا الآن فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمود حجازي ، فأخذ يصدر (التفسير الواضح) في أجزاء متتابعة كتب الله لها القبول عند من ألف هذا التفسير لهم ، حتى إن بعض أجزائه أعيد طبعها والكتاب لا يزال في إبان تأليفه ونشره . وطريقة المؤلف فيه أن يأتي بوضع آيات متناسقة يتم بها المعنى ، فيتخير لمعناها عنواناً ، ويجعل الآيات بحروف جلية وبالشكل الكامل ، ثم يتبعها بتفسير مفرداتها تفسيراً لغوياً مشفوعاً بالمراد بها في الآية ، ويعقبه بإيراد المعنى الإجمالي للآيات بعبارة وجيزة واضحة . وقد يتخلل ذلك ذكر المناسبة وسبب النزول ، وأحياناً يتعرض لمواضع العظة من قصص القرآن وأمثاله .

وأجزاء التفسير يقع الواحد منها بين ٨٠ صفحة و ١٠٠ ، وذلك مما يسهل على الشبان قراءة الجزء والإفادة منه إلى أن يصدر الجزء الذي يليه .

وقد صدر إلى الآن أحد عشر جزءاً من التفسير الواضح بلغ بها المؤلف إلى آخر سورة يونس . فرجو له من الله دوام التوفيق في هذا وغيره من الأعمال العلمية الإسلامية .

الرسالة المحمدية — لعلامة الهنود السيد سليمان الندوى

نشرها المركز العام للإخوان المسلمين — ١٨٤ ص — بالمطبعة السلفية

كانت جامعة مدراس الهندوكية في الهند قد أباحت منبرها لبعض كبار علماء الديانة المسيحية ليحاضروا الطلبة من كل المذاهب والأديان في بيان الأسس التي تقوم عليها رسالتهم

الدينية . ولما انتهوا من ذلك اقترح الطلبة المسلمون في تلك الجامعة على رؤسائهم أن يأذنوا لهم بدعوة أحد علماء المسلمين ليحاضر الطلبة بمثل ذلك عن رسالة الإسلام .

وبالفعل دعوا لذلك علامة مسلمى الهند السيد سليمان الندوى أمتع الله الإنسانية بفضله وسعة معارفه ، فألقى من منبر تلك الجامعة الشهيرة ثمانى محاضرات عن الرسالة المحمدية أدارها على معانى قلبا وفاقا حقها غيره من ألوف المصنفين في السيرة المحمدية بمختلف اللغات . ومن ذلك لإعلانه امتياز هذه السيرة بأنها هي السيرة الوحيدة التى يجوز وصفها بأنها « تاريخية » ، ليصح الاقتداء بها واتخاذها أسوة فى الحياة ، بينما سير مؤسسى الديانات الأخرى لا يكاد يعرف عنها التاريخ إلا النزر القليل مما لا يتم به التأسى والاقتداء .

ومنها أن الرسالة المحمدية هي العامة الخالدة ، ولذلك جاءت بشرائع ثابتة للإنسانية كلها فى كل زمان ومكان ، بينما الرسائل الإلهية الأخرى جاءت مختصة بعصر واحد من العصور ، أو بعنصر واحد من عناصر الناس ، فانتهت مهمتها بانقضاء زمانها ، أو انحصرت بالعنصر الذى اختصت به .

ومنها أن السيرة المحمدية : هي المعلومة للناس بكاملها وتماها وشموها من ميلاد صاحبها إلى أن اختاره الله إليه ، فلم يخف شيء من دخائلها عن أعداء صاحب هذه الدعوة ولا عن أوليائه .

ومنها أن حياة محمد ﷺ جمعت كل ما تفرق فى الأنبياء مما امتازوا به ، لأن ما أعطاه الله لرسله جميعا متفرقين ، قد أوتيته محمد صلى الله عليه وسلم وحده . وقد أورد السيد سليمان الندوى الشواهد والمقارنات التاريخية فى هذا الباب ، واستعرض مدرسة محمد ﷺ وبين كيف كانت جامعة للطوائف والطبقات وأجناس الأمم ، وبرهن على أن محمد صلى الله عليه وسلم هو المصلح الأخير للإنسانية ، وأن العالم لا يتم هدايته إلا بهذا المصلح الأخير .

ثم تسكلم على الناحية العملية فى السيرة المحمدية ، فبين أن الأنبياء والمصلحين من الساميين أو من أهل المشرق البعيد كانوا يبينون رسالاتهم لأنهم بلسانهم ، فأدوا عن الله رسالاته . غير أنهم لم تنس لهم فرصة التعبير عن رسالات الله بالعمل والتطبيق كما أتاحت لمحمد ﷺ . وقد قدم المحاضر براهين ذلك من تاريخ الأنبياء ، ومؤسسى الديانات ، بأمثلة لا تقبل المراء أو الجدل .

وكانت خاتمة محاضراته تبياناً لأسباب فساد الديانات القديمة وكيف تطرق إليها الباطل من ناحية تشبيه الله بالبشر وتأليه البشر بسبب ذلك ، أو من ناحية تجسيم الصفات الإلهية والرمز لكل صفة بوثن من الأوثان ، فنشأت عن هذين الأمرين عبادة البشر وعبادة الأوثان . وكيف أن الإسلام وحده هو الذى جاء بتوحيد الله فى أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه ليس كمثل شئ . فلم يعرف التاريخ الإنسانى دعوة قضت على عبادة البشر وعلى عبادة المخلوقات - بحجة أنها رموز للإله - كما قضت على ذلك رسالة الإسلام بأصرح بيان وأقوى حجة .

إن لغات البشر كلها حافلة بألوف الكتب فى السيرة المحمدية ، ولكن محاضرات السيد سليمان الندوى هذه عنيت بهذه النواحي بأكثر مما نجده فى أى كتاب آخر . وكان قد ألفها باللغة الأوردية ونشرت بها كما نشرت ترجمتها الإنجليزية . فلما وفد على كراتشى فى العام الماضى وفد من الإخوان المسلمين فى القاهرة للاشتراك فى المؤتمر الإسلامى حظى أعضاؤه بزيارة هذا الإمام العلامة الكبير وطلبوا منه هدية إلى شباب المسلمين فى مصر والوطن العربى ، فأهدى إليهم هذه المحاضرات النفيسة مترجمة بالعربية ليقوم المركز العام للإخوان المسلمين بنشرها فى مصر وجميع أقطار العروبة .

وقد ناط المركز العام للإخوان المسلمين برئيس تحرير هذه المجلة كتابة مقدمة لهذا الكتاب والتعريف به وبمصنفه العلامة الكبير ، والإشراف على طبعه ، فتم طبعه فى هذه الأيام بلغة عربية فصحة زادت فى محاسن الكتاب . فنحث قراء العربية جميعاً على تدبر ما جاء فيه من الحقائق الناصعة وإطالة النظر فيها ، فإنها جديرة منهم بذلك .

الأموال ونظرية العقد فى الفقه الإسلامى

للدكتور محمد يوسف موسى — ٥٢٤ ص قالين — نشرته دار الكتب الحديثة

يقول الدكتور المؤلف فى مقدمة كتابه هذا : إذا كان لكل قانون ، سماوى أو وضعى ، طبيعته وسماته وخصائصه التى يتميز بها عن غيره من القوانين ، فإن للفقه الإسلامى من هذا كله ما يجعله بحق ضرباً فريداً من التشريعات والقوانين التى عرفها العالم حتى الآن ، سواء من ناحية الأسس التى قام عليها ، والمقاصد والغايات التى استهدفها ، والاحكام والحلول التى جاء بها على مر العصور .

وموضوع د الاموال ونظرية العقد ، هو الذى يمرر في كتب الفقه بالمعاملات ، وقد ألف المؤلف كتابه هذا لطلبة كلية الحقوق بالجامعة ، وسيستفيد من ذلك بالعرض جميع الذين يعينهم دراسة الفقه الإسلامى من مراجعته الاصلية ، وقد امتاز الكتاب بصفة خاصة بالمقارنة بين آراء الفقهاء المسلمين من مختلف المذاهب ، ثم بالمقارنة بين هذه الآراء والمذاهب وما جاء فى القانون المصرى الحديث ، عند ما يتطلب الأمر وموضوع البحث هذه المقارنة .

والفقه الإسلامى هو فقه السواد الأعظم من الامة المصرية ، وإن ٩٢ فى المائة من هذه الامة يؤمنون بأن هذا الفقه هو تشريعهم الاصيل ، وكل ما عداه أجنبي عنهم ، وكما يرون أنه فقههم الذى اطمأنوا إليه وتعاملوا به مدة ثلاثة عشر قرناً وأكثر ، يرون كذلك أنه هو الايقى بهم والنافع لهم واللاق بمجتمعهم ، وزيادة على ذلك فإن إحياءه والتعامل به يعدونه ديناً ، ويعتقدون أنهم يثابون عليه كما يثابون على العبادة ، وبعبارة ذلك يعتبرون إهماله وتضييعه والتنكر له جريمة يعاقبهم الله عليها . لذلك كان مما يسرُّ له المصريون عناية علمائنا بالفقه الإسلامى تدريجاً وتأليفاً وبحناً ، وحسن عرضه فى مؤلفات تقطع الحجة على كل من يساهم فى تعطيله وإحلال الفقه الاجنبى فى محله من المجتمع المصرى .

ويقول الدكتور المؤلف فى مقدمة هذا الكتاب : « وفى الفقه الإسلامى ثروة ضخمة من التشريعات العديدة التى تناول الفرد ، والمجتمع ، والدولة - من النواحي المختلفة - بل تتناول أيضاً العلاقات الدولية بين الامم جميعاً . ولن يستطيع أن يقف على مبلغ هذه الثروة من قصر نفسه على مذهب واحد من مذاهب الفقه لا يعدوه إلى غيره ، بل يجد تجاوزه غير جائز له ما دام قد التزمه مذهباً له . »

والكتاب فى ثلاثة أقسام : أولها المدخل لدراسة الفقه وفلسفته ، ذكر فيها نشأته وتدرجه وأدواره والمذاهب الفقهية المهمة ، وأصول الفقه ومصادره ، وطبيعة الفقه الإسلامى وخصائصه . والقسم الثانى فى الاموال ، وفيه تعريف المال والملك وتقسيمهما وحقوق المنفعة والارتفاق ، والأسباب النافذة للسلوكية . والقسم الثالث فى نظرية العقد وتكوينه وشروطه وأقسامه وانتهائه .

وكان المؤلف على نية الكتابة بإيجاز على العقود عقداً عقداً ، كالبيع والإجارة والرهن والعارية وغيرها ، لكنه عدل عن ذلك اكتفاء بما كتبه عنها فى أثناء بحث نظرية العقد وقد جاء كتابه فى ٣٤ صفحة مستوفياً لما أراده منه ، وسيفيد منه طلبة كليات الحقوق ومن فى درجتهم من المثقفين فائدة تخطو بهم خطوات للاستقلال فى البحث والاستئناس باتجاهات الفقه الإسلامى .

خلاصة تاريخ تونس

نشرته دار الكتب الشرقية بتونس — ٢٠٠ صفحة

هو مختصر مدرسي للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب يشمل حوادث القطر التونسي من أقدم العصور إلى الزمان الحاضر . وكان قد طبع قبل الآن مرتين فأعيد الآن طبعه للمرة الثالثة بعد أن أصلح فيه المؤلف ما تعين لإصلاحه ، وحوّر البعض ، وأضاف إليه فقرات وفصولاً وغرائط جغرافية رجاء أن يزداد الكتاب بذلك شرحاً وإيضاحاً .

ومثل هذه الكتب في التعريف بالأقطار الإسلامية وأجزاء الوطن العربي مما يعين على تعارف المسلمين والإلمام بأحوال أوطانهم ليم بذلك شعورهم جميعاً بأنهم أمة واحدة . وللمؤلف تاريخ آخر لتونس مبسوط يعنى بجمعه وتأليفه منذ أحقاب ، فعساه يبادر إلى نشره ليعم النفع به .

ديوان ابن حيوس

نشره المجمع العلمي العربي - بتحقيق خليل مردم بك - في مجلدين ٧٥٠ صفحة قالبين

الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان المشهور بابن حيوس الغنوي الدمشقي (٣٩٤-٤٧٣) من أعلام الشعر العربي ، وكان شاعر الشام في عهد الدولة الفاطمية في القرن الخامس ، عاصر أبا العلاء المعري ، وكان جده الهيثم بن عثمان الغنوي من قواد المعتمد ومن الرؤساء الذين مدحهم البحري . ونشأ ابن حيوس من أول شبابه جامعاً إلى وجاهته وثراته واتصاله بالولاة والحكام ، الميل إلى الفصاحة والجزالة والارتياح إلى نظم الشعر ، فنحا منحى أبي تمام في الصنعة اللفظية والغوص على المعاني ، كما ذهب مذهب البحري في استواء الشعر وعدم التفاوت وطول النفس . ويماب عليه انزلاقه في مناصرة ولاة الفاطميين والتحامل على خصومهم ، فاضطر على سنيته - إلى مجاملة الباطنيين وأئمتهم بما لا يجوز صدوره عن مسلم ، ولا يليق إلا بمثل ابن هاني . وقد عاقبه الله على ذلك ، وعلى تهويله من شأن قومه العرب لإرضاء لمثل انوشتكين الدربري ، بأن دالت دولة هؤلاء وهؤلاء فققد ما كانت تملك يده ، وأراد أن يذهب إلى بغداد فتذكر أنه قد أغضب بني العباس ونال منهم تقرباً إلى بني عبيد وولاتهم . وأراد أن يذهب إلى حلب فصده عن ذلك أنه ملأ الدنيا بشعره في ذم الأمير

صالح بن مرداس وابنه نصر بن صالح لما كان يمدح أنوشتكين العدو الالذلال مرداس .
إلا أن الله أنقذ شيخوخة هذا السرى الشاعر على يد الأمير على بن منقذ فتوسط له عند
الأمراء آل مرداس وأمر ابنه نصر بن على بن منقذ بأن يصحبه ويقدمه إلى أمير حلب محمود
ابن نصر المرداسي فكان وسيلة التجميل والصفاء بعد الجفاء . وأنشد بين يديه قوله في مدحه :

قفوا في القلى حيث انتهيتم تذهما	ولا تقتفوا من جار لما تحسبما
أرى كل معوج المودة يُصطفى	لديكم ، ويلقى حتفه من تقوما
حتى الناس من قبلُ القسى لتقتنى	وُتقف منآد القنا ليحطما
وما ظلم الشيب الملم بلى	ولن بزنى حظى من الظلم والما
إلام أفى النفس ما لا تناله	وأذكر عيشاً لم يعد مذ تصرما
وقد قالت السبعون للهو والهوى	دعاني أسرى واذها حيث شئنا

فأحسن الأمير محمود بن نصر المرداسي وفادة ابن حيوس واحتفى به ووهب له ألف
دينار ذهباً في صينية فضة وجعلها له رسماً عليه في كل سنة ، وأنساه بنى عبيد ووزراءه
وأمرأه . فقال يخاطب ابن منقذ ويذكر الأمير ابن مرداس :

يا ابن المقلد قد قلدتني منما	ما قارب الحمد أدناها ولا كربا
فيمنُ جـدك أفضى بي إلى ملك	ما ابتزه الشعر إلا هزه طربا
أغنى وأفنى وأدنى ثم أغرب في	إنصامه فأفاد العقل والأدبا
فكل نوء بمصر جادنى زمنا	فداء نوء سقانى الرى فى حلبا

ويقول محقق هذا الديوان العالم الأديب الشاعر المحقق السيد خليل مردم : دخل
ابن حيوس حلب في شوال سنة ٤٦٤ وهو ابن سبعين سنة ، وبقي في كنف آل مرداس حتى
انقرضت دولتهم سنة ٤٧٣ ، وفي الديوان من شعره فيهم ثلاثون قصيدة من أجزل شعره
وأحسنه ، يعجب الإنسان كيف استجابت له وهو في عشر الثمانين من عمره .

وفي ذلك يقول :

وما أضعفت عشر الثمانين منى كما تضعف الضرغام وهو غضنفر
ومما ذكره محقق الديوان من أخلاق ابن حيوس أنه كان يغلب عليه الجذ والتعاون ،

وأنه ليس في سيرته أو شعره لهو أو عبت أو مجون ، ولم يكن محتالاً غفوراً ، ولا سباباً طعناناً ، ويكاد ديوانه يخلو من الغزل ووصف الخمر والفخر والهجاء ، ولعل غلبة الجد عليه جعلته خشناً في بعض أحاديثه كالذي رواه الحافظ ابن عساكر (١ : ٤١٠) في ترجمة الشريف أحمد بن علي النصيب قاضي دمشق للمستنصر العبيدي ، فقد قال القاضي لابن حيوس يوماً : وددت لو أني كنت في الشجاعة مثل علي وفي السخاء مثل حاتم . فقال له ابن حيوس : وفي الصدق مثل أبي ذر . يعرض له بأنه كذاب لأن القاضي كان يرمى بالكذب . وكان ابن حيوس معجباً بشعر معاصره عبد المحسن الصوري ، حتى لقد روى عنه ابن عساكر (ج ١٠ ورقة ٢٢٥ مخطوط) أنه كان يقول : إني ليعرض لي الشيء من شعر أبي تمام والبحرئى وغيرهما من المتقدمين فأعمل في معناه فأبلغ مرادى منه ، ولا أقدر على أن أبلغ من موازنة شعر عبد المحسن الصوري ما أريد لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه وقصر أبياته . وكان يعترض على من يقول إن جريراً أغزل الشعراء ويقول : أغزل منه عبد المحسن الصوري في قوله :

بالذى ألهم تعذيبى ثساياك العذابا
ما الذى قالته عيناك لقلبي فأجابا

وكان أبو العلاء المعري يعيب عبد المحسن الصوري بقصر النفس ، فلما حضر ابن حيوس عند أبي العلاء أنشده أبو العلاء أبياتاً لعبد المحسن وقال : « هذه لتقصيرك » فقال له ابن حيوس : « هو أشعر من طويلك » يعنى المتنبي . فدأبوا العلاء يده إليه وقبض على ثوبه وقال : « الأمر لا يناظرون » وأراد بذلك أن يحول مجرى الحديث .

وقد تعرضنا لنقل هذه الاخبار ليعرف المتأدبون أن بلغاء هذه الامة وأعيان البيان فيها قد طوى النسيان منهم العديد الاكثر ، والمشهورون منهم هم النزر القليل .

فشكراً للجمع العلى العربى على إحيائه هذا الديوان البالغ من تراثنا الادبى ، وأضاف هذا الشكر للسيد خليل مردم على ما بذله من روحه وأدبه فى حسن لإخراج شعر ابن حيوس صحيحاً مضبوطاً مشروحاً بأجل طبع وأنفسه .

الأدب والعمل في شهر رجب

معهد ومدرسة الدين

إذا كنتم حقاً تؤمنون بما تقولون . طبقوه على أنفسكم ، وعدلوا أولادكم الصلاة ، وساعدوا جيرانكم ، وانشروا الفضيلة . وإني أقول لكم بمـلء صوتي : من رأى فينا منكراً فليواجهنا به ، من رأى منا خروجاً على القرآن فليحدثنا عنه . إننا نريد أن نعمل . وعلى كل من يريد أن يطبق القرآن أن يطبقه على نفسه وذويه . هذا هو الدين الصحيح .

معهد ديني برفني

كان الوجه السيد كشك من أعيان رفق رحمة الله ، قد أنشأ معهداً دينياً أهلياً ببلدته ووقف عليه وقفاً داراً من أطيانه للإتفاق منه على هذا المعهد . وقد زار نجله الكريم الأستاذ بسيوني كشك الناظر على أوقافه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر وقدم له طلباً رسمياً بأن يلحق المعهد بالجامع الأزهر وتعهده بأن يقدم لإدارة الأزهر الريع الموقوف على هذا المعهد لاستمرار الإتفاق منه عليه . فعهد فضيلة الأستاذ الأكبر إلى المختصين بإتمام ذلك بحسب النظام المتبع في أمثاله .

في زيارة الرئيس اللواء محمد نجيب لمدينة دمنهور يوم الأربعاء ٣٠ رجب وضع بيده حجر الأساس لمعهد دمنهور الديني في الأرض التي تبرع بها أعيان دمنهور لهذا الغرض . وقد خطب الرئيس في هذا الحفل فكان مما قاله : « أحب أن أقول لكم إننا نستمد هدينا من القرآن ، وإن أعمالنا جميعاً من وحيه . وإني لأتساءل : هل قصرنا في الأخذ بأهداب الدين ؟ هل خرجنا عن حدوده ؟ ألم نقرر الصلاة في المدارس ؟ ألم نجعل تعليم الدين مادة أساسية ؟ إذن ماذا تريدون ؟ اقموا أن النظام والاتحاد والعمل هي وسيلتنا الوحيدة لطرد الإنجليز . من كان يحب بلاده فعلاً فلي نظم نفسه وليقاع عن الهتاف الذي لا هدف له إلا حب الظهور ، وخدمة الأغراض الخاصة . إن الذين يهتفون في كل مناسبة : نريد القرآن . لاحكم إلا بالقرآن .. يسيتون إلينا وإلى أنفسهم وإلى بلادهم ، لأننا لم نقصر في تطبيق القرآن . اعملوا بمبادئ القرآن

ويكون الامتحان في إجازة حفظ القرآن
تحريراً في جميع العلوم ، وشفوياً في القرآن
الكريم حفظاً وأداء وفي التجويد والنحو .

ويكون الامتحان في إجازة حفص تحريراً
في القراءات ، وشهادة التخصص في القراءات
تحريراً في علوم السنة النهائية عدا مادة
القراءات فيكون الامتحان فيها في جميع مقرر
المرحلة . ويكون الامتحان شفوياً في حفظ
القرآن الكريم وفي مادة القراءات في جميع
مقرر المرحلة وفي النحو والصرف في الشهادة
العالمية والنحو والبلاغة في شهادة التخصص .

ويكون امتحان المكفوفين شفوياً فقط
في جميع ما يمتحن فيها المبصرون أسوة بالطلبة
المكفوفين في المعاهد الدينية ، .

د مادة ١١ - لا يعيد الطالب في كل مرحلة
من مرحلتى شعبة القراءات أكثر من سنتين
ولا يعيد في السنة الواحدة أكثر من مرة
ولشيخ الجامع الأزهر منحه الطالب سنة
استثنائية ، .

المادة الثانية - تلغى المادة العاشرة من
المرسوم الصادر في ١٢ يونيو سنة ١٩٤٥
المشار إليه .

المادة الثالثة - على رئيس مجلس الوزراء
تنفيذ هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ نشره
في الجريدة الرسمية ، .

ومعه دینی بیا قوس

تبرع الاستاذ محمد فريد الطاروطى بقطعة
أرض مساحتها فدان ونصف فدان في موقع
جميل بمدينة قاقوس ، وبألف جنيه ، ليشيد
عليها معهد ديني وجمعية للمحافظة على القرآن .

علم تجويد القرآن الكريم :

مرسوم بتعديل أحكام امتحانه :

صدر أ.س مرسوم بتعديل بعض أحكام
المرسوم الصادر في ١٢ يونيو سنة ١٩٤٥
بإنشاء قسم في كلية اللغة العربية لتدريس علم
تجويد القرآن الكريم وفن القراءات ننشره
فيما يلي :

المادة الأولى - يستبدل بالمائتين ٨ ، ١١

من المرسوم الصادر في ١٢ يونيو سنة ١٩٤٥
بإنشاء قسم في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر
لتدريس علم تجويد القرآن الكريم وفن
القراءات النصان الآتيان :

د مادة ٨ - يكون الامتحان في جميع مراحل
سنى قسم القراءات وفي امتحان الحصول على
الشهادة ، على دورين . ويكون الامتحان في سنى
النمل تحريراً في جميع علوم السنة التى يجرى
فيها الامتحان ، وشفوياً في حفظ القرآن
الكريم ومادة القراءات وعلى النحو
والصرف في المرحلة الأولى والنحو والبلاغة
في المرحلة الثانية .

التعليم الجامعى

وترى اللجان الفرعية للتعليم الجامعى أن كل كلية يجب أن لا يزيد عدد طلبتها عن ألف فى الحد الأعلى ليستقيم التعليم فيها ، ومعنى هذا أن عدد طلبة الجامعات الثلاث يجب أن يهبط إلى نصف عددها الحالى ، وألا تقبل الجامعات الثلاث من الطلبة الجدد إلا حوالى ستة آلاف فى كل عام ، أى ٢٠٠ إلى ٣٠٠ طالب لكل كلية . والواقع أن الذين التحقوا بالجامعات المصرية هذا العام زاد عددهم على ١١ ألفاً ، والمنتظر أن يكون عدد المتقدمين للجامعات فى العام الآتى أكثر من ذلك . وما دام إقبال الحاصلين على الشهادات الثانوية على الدخول فى الجامعات كما هو الآن فلا مناص من إنشاء ثلاث جامعات أخرى .

نظام التعليم الثانوى :

أقر مجلس الدولة مشروع القانون الجديد الخاص بنظام التعليم الثانوى وأرسله إلى وزارة المعارف تمهيدا لعرضه على مجلس الوزراء . وهو يقوم على تقسيم التعليم الثانوى إلى مرحلتين : الأولى (المرحلة الإعدادية) ومدتها أربع سنوات والفرص منها نهائية وسائل النمو لطلبات التلاميذ وميولهم على اختلاف أنواعها من أدبية وعلمية وعملية وفنية ، والتصرف على ما يظهر فيهم من

يقترح الدكتور على ماهر أن يكون من أغراض التعليم الجامعى الإعداد المهنى ، وأن تترك وزارة المعارف أمر التعليم العالى كله للجامعات . وأن تختص إحدى كليات الآداب فى جامعة القاهرة باللغات ، وأن تختص كلية الآداب الأخرى بالفنون الأدبية كالنسيج والجغرافيا والفلسفة والاجتماع . وأن تختص إحدى كليات الهندسة بشئون الرى والعمارة والكلية الأخرى بالميكانيكا والكهرباء . وأن تختص إحدى كليات العلوم بالرياضة والفلك والأخرى بالطبيعيات والجيولوجيا . أما العلوم المشتركة فيتولاها القسم المختص فى الكليتين معا حسب النظام الذى يوضح هذا .

وقد أخذت لجنة الأهداف والمبادئ العامة للتعليم الجامعى فى دراسة مقترحات الدكتور على ماهر هذه وما يلحقها من مقترحاته الإدارية .

افتتاح الجامعات المصرية :

دل آخر لإحصاء لعدد الطلبة فى الجامعات المصرية الثلاث أنها اختتمت بكثرتهم ، فى جامعة فؤاد ٢٢ ألف طالب ، وفى جامعة إبراهيم ١٥ ألفاً ، وفى جامعة الاسكندرية ٦ آلاف . وبمجموعهم حوالى ٤٣ ألف طالب

لنا (إشراف كامل) على ثقافة هذا الجزء الحيوى من العالم .

• إن (إشرافنا) على ثقافة الشرق الأوسط يعتبر أمراً جوهراً بالفسبة لمستقبل مشروعاتنا العسكرية والسياسية والاقتصادية .

إحصاءات ثقافية

نشرت اليونسكو كتباً في ٦٠ صفحة تضمن إحصاءات ثقافية لـ ١٢٠ دولة ، وبما جاء فيه أن فنلندا أقل بلاد الأرض أمية لأن نسبة التعليم فيها ٩٩ في المائة .

وانجلترا أكثر البلاد خزان كتب ، فقد بلغ عدد دور الكتب فيها ٢٣٧٥٩ مكتبة . وبلغ عدد الكتب التي نشرت فيها سنة ١٩٥٠ نحو ١٧٠٧٢ مؤلفاً ، وفي الولايات المتحدة ١١٠٢٢ مؤلفاً ، وفي فرنسا ٩٩٩٣ مؤلفاً . وفي إنجلترا توزع الصحف اليومية بنسبة ٥٩٨ نسخة لكل ألف ساكن ، وفي الولايات المتحدة يستهلك من ورق الصحف ٣٦ كيلو غراماً لكل فرد في السنة .

اعتماد البعثات الدراسية

قرر مجلس الوزراء فتح اعتماد إضافي بمقدار ٥٧٥٠٠ جنيه في ميزانية رئاسة مجلس الوزراء للسنة المالية ١٩٥٢ - ١٩٥٣ زيادة على اعتماد الـ ١٥٠٠٠٠ جنيه المخصص لطلاب البعثات الأزهرية ، على أن يؤخذ هذا الاعتماد من وفور مخصصات الجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

مواهب وميزات وميول خاصة ، حتى يمكن أن يتجهوا في المرحلة الثانية وهي (المرحلة النهائية) ومدتها ثلاث سنوات إلى نوع الدراسة الثانوية الذي يلائمهم ، وفي هذه المرحلة الثانوية النهائية تنطوي الدراسة على نوع من التخصص ، وفيها يبدأ تنوع الدراسة .

وقد جعل (الدين) مادة من مواد امتحان الانتقال في جميع الفرق بالمرحلتين . ونص في المشروع على إعفاء غير المسلمين من دراسة القرآن الكريم ، وإذا وجد عدد كاف منهم في الفرق ترتب لهم دروس خاصة في الدين ، وسيترتب على هذا النظام الجديد إلغاء امتحان شهادة الدراسة الابتدائية و امتحان شهادة الدراسة الثانوية (القسم العام) ويكتفى بامتحانين عامين يجتازهما التلميذ في المرحلة الثانوية هما امتحان شهادة الدراسة الإعدادية و امتحان شهادة الدراسة الثانوية العامة التي ستحل محل شهادة القسم الخاص . وسيكتفى في نهاية التعليم الابتدائي بامتحان تعقده أقسام التفيش لمن أتموا دراسة مناهج هذا التعليم ويمنح الناجحون فيه إقراراً بذلك .

استعمار القلوب والعقول

أذاعت جريدة (المصري) في مقال عمتع ملوه بالتوجيه والعبر قول وزير خارجية أمريكا في خطاب له لم يذع في بلاد الشرق الأوسط . « يجب أن نفهم نحن - الأمريكيين - أن كل مشاريعنا السياسية والعسكرية في الشرق الأوسط ، متصبغ بلا جدوى ، ما لم يكن

إنشاء العجل الشاهي

بضع وثلاثين سنة، ونرى أن الوقت الحاضر
أجدر الأوقات بالاستجابة لتحقيقها .

المحمل

لما كان موكب الحاج يسافر براً على
الجمال أيام الدولة العثمانية ، كان من لوازم
ذلك أن يصحبه حرس عسكري ، وجرت
العادة أن يكون سفر الموكب بحرسه في موعد
واحد وعودته في موعد واحد كذلك ،
فكان لسفره حفلة وداع ولعودته حفلة
استقبال ، واتخذوا في مصر والشام محملين
مركزشين يرون أنهما من تمام مظاهر هذا
الموكب . ومعلوم أن ذلك ليس له أصل
في الدين ، وإذا توهم العامة أن له علاقة
بالدين ، كان ذلك منهم تزيماً في الدين يأثمون
به . لأن الزيادة في الدين كالتقص منه .
زد على ذلك أن وسائل المواصلات غيرت
الأوضاع كلها فصار الحجاج يسافرون
ويعودون في أوقات متتالية لا في وقت واحد ،
وكان المحمل المصري قبل سنة ١٣٤٤ (١٩٢٥)
يسافر بالفعل إلى الأراضي الحجازية باعتباره
جزءاً من القوات التي ترافق الحجاج حينما
كأوا جميعاً ينتقلون على الإبل من جدة إلى

إصلاح الحرم النبوي .

عاد وفد الجامعة العربية من زيارة المملكة
العربية السعودية برئاسة أمين الجامعة الأستاذ
عبد الخالق حسونه . وقد قال الأستاذ
عبد الخالق عقب وصوله إلى مصر : إن العمل
سيبدأ قريباً في إصلاح وبناء الحرم النبوي
الشريف ، وإن المسترلين في المملكة السعودية
أخذوا في إعداد الوسائل للبدء في هذه
الإصلاحات فوراً .

سكة الحجاز الحديدية :

زار الأمير سعود ولي عهد المملكة العربية
السعودية لبنان للبحث في وسائل التقارب بين
الحكومات العربية ضمن نطاق الجامعة .
وعند انتهائه من زيارة لبنان قام يمثل هذه
الزيارة لدمشق .

وقد انتهزت الغرف التجارية والزراعية
والصناعية في سوريا هذه الفرصة فعمدت
اجتماعاً قررت فيه مفاتحة الأمير سعود في
مسألة إعادة تسيير الخط الحديدي الحجازي
لربط سوريا بالمملكة السعودية وتوثيق
التبادل بينهما .

وهذه الأمنية ما زالت تتردد وتتجدد منذ

دائماً لو يقام لهم جامع يؤدون فيه الفرائض لأن من غير اللائق أن لا يوجد في تلك المدينة الكبيرة إلا جامع «ووكنج» الذي يقوم عليه القاديانيون، وأخيراً تقرر بناء جامع إسلامي في المركز الثقافي الإسلامي بقلب مدينة لندن وتألفت لهذا المشروع لجنة أوصياء وتبرع كذلك نظام حيدر أباد السابق بسبعين ألف جنيه، كما تبرعت الحكومة المصرية بعشرين ألف جنيه، وستتصل اللجنة الفرعية التي يرأسها المندوب السامي للباكستان في لندن بالحكومات الإسلامية وكبار الزعماء المسلمين للحصول على التبرعات اللازمة لإتمام هذا المشروع.

ولايات منمودة عربية

أدلى الرئيس اللواء محمد نجيب بتصريح في افتتاح مؤتمر الصحافة العربية أعلن فيه أنه يود من صميم قلبه أن يرى الدول العربية قد صارت «ولايات عربية متحدة».

وقد سئل الاستاذ أحمد الشقيري الأمين المساعد للجامعة العربية عن رأيه في هذا التصريح، وعن علاقة هذه الفكرة بميثاق الجامعة العربية فقال:

ليس في ميثاق الجامعة العربية ما يمنع تحقيق هذه الفكرة الجليلة، بل إن هذا الميثاق يدعو إلى كل ما يزيد روابط العرب رسوخاً وتمسكاً. ثم إن الجامعة العربية

مكنة ومنها إلى المدينة، فلها استتب الأمن في الحجاز بما لا نظير له وصار انتقال الحجاج بالسيارات في الأكثر الغالب، انقطع سفر المحمل، ومع ذلك بقيت مظاهر الاحتفال بوداعه واستقباله. ومن العجيب أن تحتفل الدولة والأمة باستقبال محمل لم يرسل فكيف يعود!

وبما أن مصر هي التي تتولى نسج كسوة الكعبة المشرفة، وتقوم بإرسالها في كل عام، فقد اتجه الرأي إلى إلغاء حفلة وداع المحمل واستقباله، والاقتصار على الاحتفال بعرض الكسوة إيداناً بالحج في أول الموسم ونهايته عملاً بالآية الشريفة «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ» ولعل الموسم المقبل سيكون أول مواسم الحج في مصر يلغى فيه عرض المحمل والاحتفال بوداعه واستقباله.

قبة المسجدين الأقصى

تبين للمهندسين المصريين الذين أوفدتهم الحكومة المصرية إلى القدس لدراسة حالة قبة المسجد الأقصى أن المياه المتسللة من السقوف إلى جدران القبة في سنين متطاولة قد أثرت فيها حتى أدى ذلك الإهمال إلى ضرورة إحداث إصلاحات قد تبلغ تكاليفها ٤٢٠ ألف دينار أردني.

جامع جبريل في لندن

كان المسلمون المقيمون في لندن يتمنون

قرأنا هذه الفقرات يوم ٢٤ رجب الماضى
عن جامعة الدول العربية :

« هذه الجامعة تعد فى الواقع إحدى المنظمات
الإقليمية الرئيسية فى العالم . وللأسف الشديد
فإن قيمة أو قوة هذه المنظمة تكاد تكون
مجهولة تماماً من القائمين بأمرها أو الأوصياء
عليها ، فى حين أنها تستطيع أن تكون
بالفعل أداة إيجابية تجذب إليها الدنيا بمن فيها
وما عليها . »

« من العجيب أن تدرك كل من الكتلتين
الماردتين - فى الشرق والغرب - قوة أو خطورة
هذه المنظمة ومدى الطاقة الكامنة فيها ،
فتعمل كل من هاتين القوتين على تكييف
أمورها وسياستها على أساس وجود هذه
المنظمة « الناعسة » ، أو « الثائرة » ، والتي
لو استيقظت لاستطاعت أن تفرض على الدنيا
ما تشاء ، وليكانت هى القوة التى ترجح أى
جانب تتجه إليه . »

« إننى أكاد أذوب حياء وضعفاً من أن
أكون أنا من يوجهون الجامعة العربية وهى التى
تضم من الأقطاب والمحترفين لتجارة السياسة
والدبلوماسية ما يزيد عن حاجة الدنيا كلها . »

أعظم معارك التحرير

يقول المسئولون البريطانيون فى نيروبي
- سواء منهم الرسميون وغير الرسميين -
إن المعركة التى تدور رحاها الآن بين قبائل

ليست نهاية ، ولكنها بداية ، ونحن نعلم أن
هذا رأى الموقف الذى أبداه رجل مصر
الأول هو تعبير صادق عن أمانى الشعوب
العربية . وأرجو أن يأتى ذلك اليوم الذى
تتباين فيه الأسباب والظروف لتحقيق هذه
الفكرة النبيلة ، وسواء انتهت علاقة العرب
فيما بينهم إلى « وحدة » أو « اتحاد » أو أى
نظام آخر فإن المهم أن نصدر فى أمورنا
عن رأى واحد إلى هدف واحد .

نواة لمؤسسة إسلامية كبرى :

علقت جريدة (باكستان نايمز) التى تصدر
فى كراتشى على تصريح الرئيس اللواء محمد نجيب
فى مؤتمر الصحافة بشأن أمنية « الولايات
المتحدة العربية » ، فقالت : « إن أمل اللواء
الرئيس سيلقى اهتماماً كبيراً فى جميع أنحاء العالم
العربى . ولا شك أن أى اتحاد عربى سيكون
نواة لمؤسسة إسلامية كبرى تقرب بين
الحكومات الإسلامية ، وتضع لها سيادة
موحدة لإزاء المشاكل المشتركة . ويجب أن
يقوم مثل هذا التعاون على أسس علمية إيجابية ،
لا على أسس عاطفية . »

جامعة الدول العربية

نعمة ... ضائعة

فى قطعة مما ينشر يومياً فى (الأهرام)
بعنوان « سلاح الغد » ، وبتوقيع « صاروخ ،

الخطبة شيئاً جديداً لاعدلهم بمثله لانها صادرة عن القلب وكان يخاطب بها القلوب ، ففسر التحرير بأنه لا يقتصر على إجلال الغاصب ، ولا على نفي الطاغية ، بل هو ينصرف أولاً وقبل كل شيء إلى تحرير النفوس من أنانياتها وما خلفته فيها الاحوال السابقة من أثره واستئثار وسائر ألوان الضعف ، إلى أن ينتصر كل مواطن على نفسه بقوة إيمانه وتوجيه دينه ، فيتمكن من إخراج إبليس وجنوده من النفس المسلمة ويصبح كل واحد منا ولياً من أولياء الحق ورجلاً من رجال الخير ، وبذلك نعود أمة صالحة ، وبذلك نكون خير أمة أخرجت للناس كما أراد لنا الله أن نكون .

تحرير سوريا الاقتصادية

من ذبول الانتداب الفرنسي الذي رفع الله كابوسه عن البلاد السورية بقاء النقد السوري مكبلاً بانفاقية البنك الفرنسي الى وضعت في أيام الانتداب وتمتد مدتها إحدى عشرة سنة أخرى (أى إلى سنة ١٩٦٤) ولكن سوريا خطت في هذا العام خطوة جريئة للتحرر من هذا الاحتلال الاقتصادي ، فسنت قانوناً لإنشاء بنك سوري أهلى تفتقل إليه مهمة إصدار أوراق النقد المسالية الرسمية . وهى خطوة لا تقل عن قرار تأميم بترول عبادان في إيران ، بل إن السيد سعيد الزعيم وزير

حار مار وقوات الاستعمار البريطانى قد تصبح أعظم معارك نصف القرن الحالى . وهم يرون أن ثوار مار مار فى كينيا ليسوا سوى رمز للثورة التى تحتاج الآن القارة الإفريقية ، وأنها قد تسبب مضايقات ومتاعب لاحد لها فى القارة كلها من أدناها إلى أقصاها . فى كل مكان فى القارة (من السودان شمالاً إلى جنوب أفريقيا) يسمع المرء قصة واحدة لا تتغير وهى قصة حرب المبادئ التى لا يخجو لها أوار .

إن سكان أفريقيا الشرقية ينظرون إلى ما حصل عليه سكان أفريقيا الغربية (ليبريا وساحل الذهب ورودسيا الجنوبية) فتدور رءوسهم غضباً وإصراراً على أن يظفروا بحقوقهم فى الحرية والحياة . ولكن الغربيين ينكرون عليهم هذا الحق بحجة عدم استعدادهم .

خطيب سيف وضبر

هكذا كان أسلافنا ، يرتقى أعواد المنابر فى مساجدهم من يقودهم فى حروبهم ومن يوجههم فى مجتمعاتهم وكيانهم . وفى يوم الجمعة ٢٦ من رجب ارتقى أعواد المنبر فى مسجد الخنق بحى السيدة زينب البكباشى أنور السادات عضو مجلس قيادة الثورة فالتقى منه خطبة الجملة ، وكانت مفاجأة مدهشة للصالحين إذ رأوا فى القائد خطيباً من الطراز الاول ، وكانت

ولو عن طريق الخيال أن يطلق على تركيا دولة ديمقراطية بالمعنى الغربى المعروف .

ولسنا نريد أن نخدع أنفسنا بمثل هذا الكلام . والواقع أننا لا ننفق أموالنا فى تركيا لنساهم فى دعم ديمقراطيتها ، ولسكننا ننفق أموالنا هناك لنستعملها كسلاح حربى عام ، وذلك بمساعدة الأتراك على الاستعداد لمواجهة أى خطر يحتمل أن تسببه روسيا ، لأننا لا نساعد الأتراك ، ولسكننا ننفذ فى تركيا جزءاً من برنامجنا الدولى . وليس الأتراك أكثر من وسيلة فى فضالنا الدولى مع الاتحاد السوفيتى . ليسكن هذا واضحاً من الآن ، ولنواجهه بصراحة .

سماجة وبغى

تلقت وزارة الشؤون الاجتماعية من حكامدار الإسكندرية تقريراً عن جمعية تبشيرية استقدمت ثلاثة من الأجانب لإلقاء محاضرات دينية وتوزيع نسخ من كتاب دينى فيه بغى على الإسلام وافتراء عليه . وقد طالبت إدارة الهجرة من هؤلاء المحاضرين أن يغادروا البلاد ، ورفضت تحديد مدة إقامتهم . ولما تلقت وزارة الشؤون الاجتماعية تقرير حكامدار الإسكندرية أخذت فى دراسة أغراض الجمعية التى استقدمت هؤلاء المحاضرين الثلاثة وما فى أعمالها من تعارض مع قانون الجمعيات .

المالية السورية يقول إن المشروع الجديد بإنشاء البنك الأهلى السورى يعادل فى أهميته جلاء القوات الفرنسية عن سوريا ولبنان عام سنة ١٩٤٦ ، وقد نشرت الصحف صورة الليرة السورية الجديدة وهى فى شكلها - كما هى فى حقيقتها - عربية محضة لم تشب بأى شائبة من اللغة الأجنبية أو حروفها وأرقامها .

مطامع

فى برقية من بغداد أذاعتها وكالة الأنباء العربية خبر عجيب عن تفاصيل تلقىها جريدة (الحارس) البغدادية جاء فيها أن قوات عسكرية إيرانية أعدت سرّاً لغزو جزر البحرين التى يحكمها الأمراء آل خليفة منذ دهر طويل .

وتتوالى الاخبار من قبل ذلك بأن هجرة منظمة يقوم بها بعض الإيرانيين من بلادهم إلى البحرين والكويت مجتهدين فى أن تكون لهم جاليات أكثر عدداً فى هذه البلاد العربية من الأزل ، حتى تكون هذه الجاليات الصغيرة حجة تبرر هذه المطامع !

ترى أليس فى أحوال إيران ما يشغلها عن مثل هذه المساعي التى تضر ولا تنفع ؟

تركيا فى نظر الأمريكيين

نقلت مجلة (التحرير) قول الكاتب الأمريكى المعروف (جون جنز) : لا يمكن

فهرس

الجزء الثامن — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	للموضوع	بقلم
٩٠٥	الامانة الثانية	الاستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٩١٢	الشرق والغرب وهل يجتمعان	» محمد عرفة مدير المجلة
٩١٨	فتحات القرآن : البيت العتيق	» عبد الطيف محمد السبكي
٩٢٥	السنة : التطهير في الاسلام	» طه محمد الساكت
٩٣١	التقليد والمحاكاة في نهضتنا الحاضرة	» الأكبر شيخ الجامع الازهر
٩٣٤	أزمة الفقه الاسلامي	» الدكتور محمد يوسف موسى
٩٣٩	لغويات	» محمد علي النجار
٩٤٤	حديث القرآن عن اللغو	» أحمد للشرابي
٩٥٠	ديوان مجد الاسلام	» أحمد محرم رحمه الله
٩٥٣	إمام	» محمود النواوي
٩٥٩	حقوق الانسان في شريعة الاسلام	» محمد فتحى محمد عثمان
٩٦٦	هل يعيد التاريخ نفسه	» محمود فياض
٩٧٠	الازهر والثورة المراهية	» أحمد عز الدين خلف الله
٩٧٥	الغزو الفكري للبلاد الاسلامية	» محمد صبرى هابدين
٩٨٠	آراء وأحاديث	» م . ع
٩٨٤	الامانة الأولى	» كمال أحمد عون
٩٨٨	قصة كفاح مسلمي الفلبين	» عمر طلعت زهران
٩٩٣	النقد الادبي وتاريخه	» عبد الغنى اسماعيل
٩٩٦	الفتاوى	لجنة الفتوى
٩٩٩	بين الجهد والعب	الاستاذ « السيد »
١٠٠٤	البلاغة والتجديد	» محمد عبد المنعم خفاجي
١٠٠٧	الفرض العلمى	» سعيد زايد
١٠١١	العلم وعلاقته بالدين	» الدكتور محمد غلاب
١٠١٦	الكتيب	قلم التحرير
١٠٢٣	آداب والعلوم في شهر	»
١٠٢٧	آباء العالم الاسلامي	»

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
٥٠٠ في مصر والستردان
٣٠٠ للطلبة في مصر والستردان
٦٠٠ في الخارج
٥٠٠ للطلبة في الخارج
٥٠٠ من الجزر

مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ
مَجَلَّةُ شَهْرِيَّةٌ بِجَامِعِيَّةِ
تَصَدَّرَ عَنْ شَيْخِ الْأَنْفَرِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٌّ

مدير المجلة
محب الدين الخطيب
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء التاسع - في غرة رمضان ١٣٧٢ - ١٤ مايو ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من طالب علم إلى طلاب العلم

وكلنا طلاب علم .

وإن طلب العلم فريضة من فرائض الإسلام ، وكان أسلافنا يتواصون بأن يكونوا طلاب علم من المهد إلى اللحد .

وحدثني النبي ﷺ أمته بأنه ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له نكة أجنتها رضا بما يصنع . وكان أبو الدرداء يحدث في مسجد دمشق بأنه سمع النبي ﷺ يقول : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » .

إنها قافلة مباركة من طلاب العلم ما برحت تغذ السير منذ نحو أربعة عشر قرناً ، وإن أولها عند أولئك النفر الأولين الذين كانوا يختلفون إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم بجوار الكعبة والصفاء ، يوم كان الإسلام في النأأة ، وآخرها في كلية أصول الدين بشبرا ، وفي كليتي الشريعة واللغة العربية بالدراسة ، وفي المعاهد التي تصنع طلاب العلم لتلك الكليات ، وفي زميلاتها في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي .

هى قافلة طويلة من طلاب العلم ، كان فيها الخلفاء الراشدون ، والعشرة المبشرون بالجنة . وكان فيها أمهات المؤمنين وعلماء الصحابة وحائقات العلم التى انفتحت حولهم فى مساجد الأمصار الإسلامية الأولى وفى بيوت المسلمين الأولين . وكان فيها أعلام التابعين ، والدعاة الذين دخلت أقطار الدنيا فى الإسلام استجابة لدعوتهم ، وعملا بعلمهم ، واقتداءً بمخلقيهم ، ونأسياً بسيرتهم وسنتهم . وكان فيها أئمة الفقه الأربعة وشيوخهم وأندادهم وتلاميذهم فى مدينة الرسول ، وفى العراق والشام ، وفى الفسطاط - فسطاطنا نحن الذى كان أفقا فى سماء العلم العالمى ، تشرق منه شمس العلم الساطعة أنوارها فى الخافقين ، فتجول اليوم إلى جبال ومقابر الروم والآرامن واليهود . ولو أن الليث بن سعد ومحمد بن إدريس ويونس بن عبد الأعلى عادوا إليه لاجهشوا بالبكاء دماً على ما صارت إليه قافلة العلم فى ألف سنة مرت عليه بعدهم ، وكان ينبغي لها فى زماننا أن تضيف إلى علمهم علوماً ، وإلى أخلاقهم فضائل ، وإلى سيرتهم وجهادهم أمجاداً ومحامد تتحدث الدنيا بنيلها وكاملها وجمالها .

هى قافلة غنية بالرجال ، غنية بالحكمة والمعرفة ، غنية بالآخلاق ومعادن النفس ، غنية بالمصنفات التى يعكف علماء الغرب على دراستها وترجمتها والإفادة منها منذ بضعة قرون ، وغنية بالعمل الصالح لإسعاد الإنسانية ، وإخراجها من الظلمات إلى النور .

هى قافلة طويلة ما برحت تسير ، وتسير ، ولا تزال تسير ، حتى انتهى (الفلم) عندنا نحن : عند جيل الذى كان يختلف إلى المدارس والمعاهد فى النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وجيلكم أنتم - يا إخوانى وأبنائى طلاب العلم - الذين تختلفون إلى المدارس والمعاهد فى النصف الأخير من هذا القرن .

فأنا وأنتم أبناء قافلة واحدة يجمعنا فيها طلب العلم ، بل نحن معاً فى قافلة تجمعنا بأعلام العلم وأئمة الإسلام وعظماء المصنفين وهداة الدنيا ودعاة الإنسانية إلى الحق والخير . فنعم الله علىّ وعليكم أن جعلنا طلاب علم ، لنكون فى زمرة هؤلاء ، ولأن العلم فى ذاته نور ، بل هو قوة ، بل هو ثروة ، وأهله هم الناس ، وكل الناس غيرهم تبع لهم . فتعالوا يا إخوانى ويا أبنائى طلاب العلم لنعرف مكاتنا فى هذه القافلة ، ولنعرف نظامها ، ولنمين الاتجاه الذى هى ذاهبة بنا إليه .

إن هذه القافلة - التى أولها فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وآخرها فى كليات أصول الدين

والشرعة واللغة العربية — لها تاريخ طويل ينبغي لنا أن نلم به ، بل لقد بلغ من عظمتها وخطرها أن كان التاريخ واقفاً بشيخوخته المهيبة يراقب سيرها خطوة خطوة ، ويستعرض وجوه أهلها وجهاً وجهاً ، ويزن بأدق موازين الذهب والسموم خلجات نفوسهم ، وخفقات قلوبهم ، واتجاهات نياتهم : فمن كانت هجرته في هذه القافلة لله وحده ، وللخير الذي به سعادة أهله ، وللحق الذي قامت به السماوات والأرض ، سجله له التاريخ في صفحاته التي اخضع بها الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الحق من قلاَميد دار الأرقم بن أبي الأرقم والمسجد المدني . ومن كانت هجرته في هذه القافلة لدنيا يصيبها ، أو متعة زائلة يتمتع بها ساعة أو يوماً أو سنة ثم ينسى طعمها في فمه ، بل ينسى أنه كان قد تمتع بها ، سجلها له التاريخ وسجل صاحبها معها في قائمة التافهين والمنسيين .

يقول معلم الناس الخير ﷺ فيما رواه عنه الإمام محمد بن اسماعيل البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري :

« مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً . فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثنى الله به ، فعمل وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ،

يا أبناء القافلة الذين التحقوا بها في الجيل الجديد ، إن من حَقكم على الذين ارتادوا لكم الطريق وتقدمت بهم السن في هذه القافلة ولا يزالون أحياء فيها أن يحولوا تجارتهم في خدمتكم ، لأنكم بمنزلة أبنائهم ، ولكم في قلوبهم مثل ما في قلوب الآباء للأبناء من محبة وعاطفة ونصيحة صادقة .

إن الفرق جد قليل بين طلاب العلم الذين يسجلهم التاريخ في صفائف الخالدين من أبناء القافلة ، وبين طلاب العلم الذين يسجلهم في التافهين والمنسيين .

إنه فرق ما بين النية والنية ، وما بين النظرة والنظرة :

إن طالب العلم التافه ، والذي سيبقى تافهاً مدة طلبه العلم وبعد انتهائه منه ، هو الذي ينوى بطلبه للعلم أن يحترف العلم ليميش من التكسب به ، كما يلتحق الصبي بـدكان الكواء

أو المبيض ليجترف الصنعة ويعيش من التكسب بها . أما طالب العلم الذى سيكون فى الخالدين فهو الذى ينوى بطلبه للعلم أن يتجرى الحق فى كل ما يتعلمه ، وأن يقيم الحق فى كل ما يعمل به ، وأن يوجه أمته إلى مراطن الحق حتى تكون من أهل الحق فيعظم الله هيبتها فى عيون الأمم ويملى درجاتها عنده .

وطالب العلم الذى سيسجل فى قائلته مع الخالدين ، هو الذى يوطن نفسه على أن يبدأ بنفسه فيراقب ما فيها من شوائب لا تليق بالإنسان الخالد ، فينظفها منها . وهو الذى يراقب كل ما يقع تحت نظره من حسن فيحرص على أن يتجلى به ، أو قبيح فيحمد الله على أن طافه منه . وبعد أن يكون له من هذه المراقبة عادة مستمرة فى الإقبال على كل حسن ، والنفرة من كل قبيح ، يعاهد ربه على أن يكون ذلك دينه فى أمته ووطنه طول حياته : فكل ما كان حسناً تعاون عليه مع أهله ، وكل ما كان قبيحاً أيقظ أهله بحكمة ورفق إلى أن من مصلحتهم ومن الخير لهم الإقلاع عنه .

إن إقامة الحق والتجلى بحسن كل شيء هو سبيل الله الذى بعث به أنبياءه ، وهو الذى يدعو إليه الحكماء فى كل زمان ومكان . والطالب فى قافة العلم إذا كان ممن يشهدون الخلود يبدأ بنفسه فيجلبها من أهل الحق ، ويحياها بحسن كل شيء ، بينه وبين نفسه ، وبينه وبين ربه . ثم يحرص على أن يشيع ذلك فى أمته ووطنه ، فيدعو إليه لإخوانه وجيرانه وذوى قرابته وأبناء بلدته ، متوسلاً إلى ذلك بالرفق والحكمة . ذلك هو سبيل الله ، وتلك هى صفة الخالدين من أبناء القافلة التى أرلها فى دار الأرقم بن أبى الأرقم وآخرها فى جامع الخازندارة والدراسة والبرامونى وفى كل ما للمسلمين الآن من معهد علمى .

أيها الطالب ، إن طريق العظمة والخلود مفتوح أمامك ، لا يصد أحداً عنه إلا حماقته . ثم هو لا يرزأ صاحبه شيئاً ، وما هى إلا النية ، وراقبة النفس ، وتحبيب الحق إليها ، وتمرينها على كل شيء حسن حتى يكون ذلك ذوقاً لصاحبه وخلقاً من أخلاقه ، وبعد ذلك تكون الدعوة إليه بالحكمة والمرعظة الحسنة .

أيها الطالب النجيب ، إن من حقلك على الذين ارتادوا الطريق قبلك أن يتحدثوا إليك عنه ، وأن يصفوه لك كما رأوه ، والرائد لا يكذب أهله .

لما كان عمك كاتب هذه السطور طالباً في القسم الثانوى قبل نحو خمسين عاماً ، كان يتوسم كل طالب في فرقته وفي سائر الفرق ، وكلما توسم في واحد منهم الخير ، وغلب على ظنه أن ذلك الطالب فيه استعداد لأن يكون عند الله من الخالدين ، باذراً إلى عقد الصداقة معه ، وتعاون معه على الحق والخير . وقد كسبتُ بذلك أصدقاء كانوا هم الدنيا ، والدنيا بغيرهم لا تساوى جناح بعوضة . وقد يكون كثير من أبنائى الطلبة قراء هذا المقال قد رأوا في الصحف صورة وزير سوريا المفوض في مصر الأمير مصطفى الشهابى . إنه رجل عالم ، بل هو عالم جليل ، وله مؤلفات وبحوث وتحقيقات هو بها أعظم منه في منصبه . ومع ذلك فإن له أخاً أكبر منه - رحمه الله عليه - كان أعظم منه ، وكان - في نظرى على الأقل - فى الذروة العليا من أبناء جيله . وهذا الاخ الأكبر للأمير مصطفى الشهابى هو الشهيد السعيد الأمير عارف الشهابى ، كان معى فى دراستنا الثانوية ، ثم كنا معاً عندما انتقلنا إلى التعليم العالى . ولما كنا فى الدراسة الثانوية كان هو أحد الذين تعاونت معهم على الحق والخير ، فأحببنا إسلامنا ورأينا فيه الحق كله ، وأحببنا عربيتنا وساق الله إلينا الأدلة والبراهين من مطالعاتنا واطلاعاتنا ودراساتنا الشخصية على أن فى هذه العروبة الخير كله . ويوم أتممت دراستى الثانوية ألح على فى دعوتى الى منزلهم لا كون فى ضيافة والده الأمير سعيد الشهابى أسبوعاً ، وكان والده فى تلك السنة مأموراً المسال الدولة العثمانية فى بلدة المعلقة المجاورة لبلدة زحلة فى لبنان ، وهو مع ذلك من الشعراء المجيدين . وفى ذات مساء من أسبوع هذه الضيافة أخذ عارف الشهابى ييدى وخرج بى الى متنزه جميل فى أفق جميل بين سماء صافية وأرض زاهرة زاهية ، فد الى يده مصاحفاً ومعهاداً ، وقال : « لقد آن لنا بعد هذا التعاون الطاهر على الحق والخير أن نعاهد الله بأن نجعل حياتنا وقفاً على الحق والخير كما تسكون الدكان وقفاً على مدرسة أو كما يكون المنزل وقفاً على الحرمين الشريفين . لقد كنا متعاهدين على هذا بلسان الحال ، فلماذا لا نوثق هذا العهد بصريح كلماتنا ونبرات أصواتنا حتى نشهد على ذلك هذه السماء الصافية وهذه الأرض الزاهرة الزاهية ؟ ، قلت : على ، انى أعاهدك وأعاهد ربى على هذا ، وإن كنا على هذا العهد من قبل أن ننطق به .

أما هو فقد ثبت على العهد إلى أن ارتقى أعواد المشنقة فى سبيل العروبة والإسلام بأمر عدومها جمال باشا ، وهو اليوم عند ربه مع الشهداء والصالحين .

إن المدرسة الثانوية التى تخرجنا فيها كان يملئنا العربية فيها شيخ تركى ، من كتاب تركى

وضعته وزارة المعارف التركية لمدارس الأناضول ففرضوه علينا في عاصمة عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز . وكانوا يعلموننا الجمل . وكان أكثر كتب الأدب والتاريخ المطبوعة الآن طبعاً أنيقاً على ورق صقيل لم تكن قد طبعت بعد ، فكنا نقرأ العقد الفريد ونفح الطيب والكامل لابن الأثير وقلائد العقيان والبيان والتبيين للجاحظ من طبقات سقيمة على ورق أصفر ، وكنا نعتبرها كنوزاً ، وننقل منها بخطوط جميلة النصوص التي نختارها ، ونحفظ عن ظهر قلب ما نختاره منها ، ونرى أن العربية من تمام الدين ، وأن الأدب من غذاء الخلق وبه حياة النفوس ، وكنا نعيش مع الأخيار والابرار من رجال القافلة ، ونتحرى معرفة أخلاقهم وسفهم كما لو كنا معاصرين لهم وسائرهم في القافلة بجوارهم ، ونحاول أن نتطبع بطباع من نحبهم من رجال القافلة ، وأعرف من زملائي من كان يحاول أن يملأ فراغ من يحبه من السلف ببعث أخلاقه كما عرفها من السكتب ، وبالتعامل مع الناس بتلك الأخلاق .

يا طلاب العلم ، إن طلاب العلم هم الناس ، ولكن إذا أحسنوا انبيهم في طلبه ، وإذا صبروا على العلم فطلبوه على الصعب والذلول ، وارتووا منه غرقاً من البحر أو استنباطاً من الصخر ، وإذا عاهدوا الله على أن يعيشوا بالحق والحق ، وأن يقيموا في المجتمع دعاء إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأنا أضمن لهم على الله بعد ذلك أن يعطيهم حتى يرضوا .

محب الدين الخطيب

من الأعماق

- * الإيمان واحدة مخضلة الجوانب في صحراء القلب ، لا تبلغ إليها قوافل الفكر .
- * يحتاج الحق إلى رجلين : أحدهما لينطق به ، والآخر ليفهمه .
- * الناس رجلان : رجل يستيقظ في الظلام ، ورجل ينام في النور .
- * الحياة موكب عظيم . ينظر إليه بطيء الحركة فيحسبه سريعاً جداً ، ولذلك يهرب منه . وينظر إليه سريع الخط ، فيحسبه بطيئاً ، فيهرب منه .
- * ويل لامة كل قبيلة فيها أمة .
- * ليس الشعر رأياً تعبر الألفاظ عنه ، بل هو أنشودة تتصاعد من جرح دام أو فم باسم جبران خليل جبران

مشكلات التعليم في مصر

للتعليم في مصر مشكلات كثيرة ، لا مشكلة واحدة ، فهناك مشكلة التوسع في التعليم العالي ، ومشكلة التوسع في التعليم الابتدائي والثانوي ، وكيف نجعل المدرسة تربي في التلاميذ العقول والاخلاق والإرادات ليصبحوا أعلم بزمانهم ، وأقدر على مواجهة مشكلات عصرهم والتغلب عليها ، وكيف ندخل في عقول الأمة أن الغرض من التعليم هو هذا ، ونصرفها عن أن يكون الغرض منه التوظيف ؟ وكيف نعيد للمدرسة احترامها ؟ وكيف نعيد إليها النظام ؟ وكيف نحجب العلم إلى التلاميذ ؟ وكيف نعيد إلى الأستاذ حب تلاميذه والشفقة عليهم كما يشفق الوالد على ولده ، ويكدهح ليله ونهاره لإفادتهم وحل مشكلاتهم ؟ هذه وغيرها هي مشكلات التعليم عندنا .

ومن العجب أن بعضها مرتبط ببعض ، وأن بين الفساد والفساد تلازما ، كما بين الإصلاح والصالح تلازم ، حتى أن الأمر الواحد في التعليم إذا فسد جر إليه ما لا يحصى من الفساد ، وإذا صلح جر ما لا يحصى من الصلاح ، ومثال ذلك نظر الأمة إلى التعليم وغايتها منه ، فإذا تلبست غاية التلميذ أو أبويه من التعليم وجسدتها الحصول على وظيفة من وظائف الدولة ، ولما كان السبيل إلى ذلك هو الحصول على الشهادة ، وكان نوال الشهادة موقوفا على جواز الامتحان ، تعلقت الانظار كلها بالشهادة وجواز الامتحان ، حتى أنظار المعلمين والنظار وإدارة التعليم ، وجعل ذلك غاية ، والتمست الأسباب والسبل للوصول إليه ، فمنها الحفظ ولو بدون فهم ، ومنها السبل غير الجائزة وأنواعها كثيرة لا تحصى . ولا يمكن إصلاح التعليم ما دامت هذه هي الغاية ، وما دامت الشهادة هي الغرض ؛ ومن الواجب الختم أن تصلح الغاية من التعليم فتجعل تثقيف العقول وتهذيب الاخلاق واستقلال الفكر واكتساب ملكة الإقدام والعزم والقدرة على المساهمة في بناء هيكل العلم بابتكار علوم جديدة أو باستغلال العلم في الحياة .

وإذ كان الأمر كذلك أردنا أن نتكلم عن ذلك كله إجمالا وسنبداً بالكلام عن :

مشكلة التوسع في التعليم العالي والثانوي :

وقد اختلفت الآراء : أنفتح أبواب التعليم على مصاريحها يدخلها من شاء ، أم ، نضيق من أبوابه ونضع حراسا عليها ، فلا يسمحون بالدخول إلا لمن كانت فيه أهلية التعليم الثانوي

ثم العالى، والسبيل إلى معرفة ذلك هى اختبار المتقدمين بمقاييس الذكاء . والقائمون على التعليم الآن من أنصار الرأى الثانى، والذين كانوا يقومون عليه قبل من أنصار الرأى الاول، ولهم فى ذلك أقوال كثيرة وآخرها تمكُّمُ مُرَّةً على مقياس الذكاء ومناداة لرجال الثورة بأن يتوسعوا فى التعليم العالى على مقدار التعليم الثانوى، وفى التعليم الثانوى على مقدار التعليم الابتدائى . وقد طال هذا الخلاف وقدم، وكلنا تولت طائفة جرت بالتعليم على نحو ما ندعُب اليه من توسع أو تضيق.

وإن المسألة جد خطيرة يجب أن تعالج ويقطع فيها برأى، وتوضع لها سياسة ثابتة لا تتغير، ويلزم كل وزير باتباعها لأمور : منها أن لها أثراً عظيماً فى حياة الأمة واستقرارها، ومنها أن المحر والاثبات والجزر والمد فى سياسة التعليم بما يدعو إلى اضطرابه وعدم ثباته . لانه يجب على من يريد أن يحكم على التعليم العالى فى مصر أيتوسع فيه أم يضيق منه، أن ينظر إلى فعله وإلى من يخرجهم، فإن كان فعل التعليم أنه يخرج رجالاً نافعين لأنفسهم وللأمة مهما كثروا ومهما بلغ عددهم وجب أن يتوسع فيه ما أمكن الجهد، وما بلغت الطاقة، وإن كان فعله أنه يسد حاجة جزئية وأن من يخرجهم إذا زادوا على هذه الحاجة لم ينفعوا أنفسهم ولا الأمة بشئ بل ضرروا أنفسهم وضرروا أممتهم وجب أن يقتصر فيه على مقدار هذه الحاجة الجزئية وألا يتوسع فيه أثلاً يأتى الضرر .

ولعمري إن هذا دليل منصف، وإن الناس ليستعملونه فى حياتهم اليومية، فمن عنده مصنع ينتج جوارب يجد لها الرواج فإنه يتوسع فيه، ولكن إذا كانت لا تروج إلا بعدد محدود فإنه لا يتوسع فيه إلا بقدر هذا العدد وبمقدار هذا الرواج .

والواقع أن المخرجين من التعليم العالى يطلبون جميعاً وظائف فى الدولة فإن وسعتهم وإلا تعطلوا، والدولة قد فتحت لهم أبوابها فى أيام اليسر فكانت تشتق من الإدارة الواحدة إدارات كثيرة وتعين لها المديرين والوكلاء والكتاب وما هناك من أسماء .

وكانت بذلك تستوعب المنتخزين وتضر بالادخار والمشروعات الإنتاجية، فلما جاءت أيام العسر وتقلصت ميزانية الدولة كفت الدولة عن التوظيف فتعطل خريجو التعليم العالى إلا قليلاً، وسيزداد عدد المتعطلين عاماً بعد عام، حتى يصير جيشاً عرمرماً يطلب القوت ويهدد سلامة البلاد وتنتشر فيه المبادئ الخطرة .

إن التعليم بحاله الراهنة لا يربى المتعلمين على الإقدام والاعتماد على النفس فى الحياة وكسب الرزق، وإنما يعتمدون على الدولة فإن أسعفتهم وإلا عاشوا متعطلين وملاؤ المقاهى والمنتديات .

إن التعليم بحاله الراهنة يأخذ أبناء الامة من الصناعة والجمارة والزراعة ، ويدفع بهم إلى حالتين لاثالته لها : إما وظائف الدولة وإما البطالة والعطل ، وهو على خير حالنيه يخرجهم من زمرة المنتجين الحقيقيين الذين يفيدون المجتمع والدولة بزراعتهم وصناعاتهم وتجارتهم ، أى من الذين يكسبون للدولة إلى الذين يكسبون منها ويعتمدون فى حياتهم ورزقهم عليها ، وشتان بين من يكسب للدولة ومن يكسب منها ومن يزيد فى الإنتاج القومى ومن ينقص منه .

إن التليذ يسير فى مراحل الدراسة الشاقة وأمامه غاية واحدة وهى الوظيفة وإن مرتبها المضمون وعلاوانها الرتيبة ودرجاتها المتدرجة لتسهل عليه مشاق التعليم .

وإن والدى التليذ لينفقان عليه ويتحملان شطف العيش ويحلمان أنفسهما من اللقمة واللباس ليوفرأ ذلك لولدتهما فى التعليم ، يفعلان ذلك رجاء أن يظفر بوظيفة كائن جارهما القاضى أو وكيل النيابة أو المستشار أو المعلم أو ناظر المدرسة أو ما إلى ذلك من وظائف ، ومن البديهي أن عدد وظائف الدولة محدود ومتناه ، وعدد المخرجين غير محدود ولا متناه ، والمحدود المتناهى لا يسع غير المحدود وغير المتناهى .

إحدى اثنتين : إما أن يكون عند الدولة وظائف تتسع لكل من يتخرج ، ولها حينئذ أن تتوسع فى التعليم ما تشاء ، وإما ألا يكون عندها ما يتسع ، وحينئذ يجب عليها أن تضيق منه حتى لا يتعطل الخريجون وتفقد البلاد إنتاجهم ، فأما ألا يكون عندها متسع فى الوظائف وتفتح هذه المصانع الهائلة التى لا تصنع إلا موظفين وتتوسع فيها ، فهذه جنابة عظيمة ، جنابة على التلاميذ لأنها صرفتهم عن تعلم حرفة أو زراعة أو تجارة تكسبهم قوتهم إلى سراب خادع أطمعهم فلما جاءوه لم يجدوه شيئاً ، وجنابة على آبائهم لأنهم أرهقوا من أمرهم عسراً لغاية لم ينالوها ، وجنابة على الامة لأنها حرمتها من كيد صفوة من شبابها فى الاعمال المنتجة ورمت بهم فى زمرة غير المنتجين .

يقولون من حق من يطلب العلم ألا تغلق أبوابه دونه ، ومن حقه أن تيسر له الدولة مسيله كلما أراد .

ونحن لا نخفى علينا أمرارنا وأغراضنا ، ونعلم أننا لا نريد العلم للعلم ، وإنما نريد الوظيفة ، فبلى الدولة أن تحمى من التعليم العالى إذا لم تسكن الوظيفة .

ولمّا نعلم أن التلاميذ وآباء التلاميذ يتذرعون بحب العلم وبغض الجهل ، فإذا نالوا الشهادة طلبوا الوظيفة وألحوا في طلبها واعتقدوا أن حقاً على الدولة أن تيسرها لهم .
 ية ولون إر الديمقراطية توجب أن تيسر الدولة لكل راغب في الازدياد من التعليم رغبته -
 كأنما الديمقراطية توجب أن تفسر الدولة البطالة والتعطّل وتحرم الأمة من جهود شبابها .
 إنها رغبات مخطئة ، ويطلب من الدولة أن تلبّيها فتتوسع في التعليم وتكسّر الطلاب في الفصول ، ثم لهم الوظائف أخيراً .

لو تغير هذا الأساس الفاسد في التعليم لمّا كانت هناك أزمة في الجامعة ولمّا كان هناك عدد جم من المتعطّلين وكان أولياء التلاميذ لا يسرفون في الطمع في وظائف الدولة لأنهم يعلمون أنها ضئيلة ومحدودة ، وينتجون بأنفسهم إلى ناحية الرزق الطبيعي من الأرض والأسواق والمعامل .

إلى أن يكون ذلك ، وإلى أن يصالح التعليم في معنى بتربية الأخلاق والملكات ويعلم البحث العلمي ، ويعين على الإنتاج الفكري ، ويربّي في المتعلمين ملكة الإقدام والمغامرة والاعتماد على النفس ، يجب أن يحد من هذه المصانع التي تصنع الموظفين ولا يكون منها إلا ما تمس إليه الحاجة .

في حديث للسيدة سهر القلأوى أن بعض حملة شهادة كلية التجارة لم يجد وظيفة في هذه الأيام ، فعلق شهادته على عربة وسار حول الجامعة يبيع لباً ، ليعبر بذلك عن سخطه على الجامعة ، ولو كنّا نحسن الاعتبار لسخطنا على ميوانا وميول آبائنا وعلى فسكتنا في التعليم .
 يقولون إنّنا سنرفع التعليم العالي ونزيل عيوبه ونجعله يربّي في المرء الشجاعة والإقدام والاعتماد على النفس فلا خوف بعد من التعطل لأنّ المخرجين إما أن يجدوا أما كن في وظائف الدولة ، وإما أن يجدوا أما كن في الحياة الحرة .

قلنا فلنربّي في التوسع في التعليم حتى يصالح ، أما وهو بهذه الحال خرام أن نتوسع فيه وأن نشير بالتوسع فيه .

التوسع في التعليم الابتدائي :

وأما التوسع في التعليم الابتدائي أو في التعليم العام ، فهذا مالا يخالف في وجوبه أحد ، ولكن مع المحافظة على الجودة في التعليم .

لقد أصيبت مصر بحمى التوسع في التعليم في السنين الأخيرة ، فلم تسر إليه رويداً وعلى مهل ، محافظة على الجودة وعلى تثقيف العقول وتهذيب النفوس وتنمية الملكات . ولم تنظر إلى إمكانيات الدولة ولا إلى الظروف الاجتماعية ولا إلى مرافق الإنتاج الأخرى التي هي بأشد الحاجة إليها - بل سارت إليه قفزاً وطفرة ، فلم يعقها مكان ولا إمكان ، فشدت التلاميذ في الردهات وفي الفصول حشداً يمنع المدرس أن يراعيهم ويعنى بهم ، ورمت بنظريات قواعد التربية وقواعد علم النفس ، وهزئت بهما ، وقاست قياساً عجيباً وهو أن الجهل حريق والملم ماء ، وكما أنه لا يلتقي الماء الذي يطفأ به الحريق فيطفأ ولو بماء آسن كذلك يجب أن يزال الجهل ولو بتعليم فاسد غير صالح .

إذا كان الجهل هو عدم معرفة القراءة والكتابة ، والعلم هو معرفتهما فذلك لا يزيد على أن تكون صنعة يدوية لا تصلح نفساً ولا تربى ملكة - وإن كان العلم معرفة قوانين الكون وطرق تربية الملكات من العقل والخلق والعاطفة ، وكانت التربية الحققة هي أن يتفوق امرؤ فيما ذكرنا ويطلع تلاميذه على غرار ، فهذا لا يحسنه إلا المعلم الصالح ولا يوصل إليه إلا التعليم الصالح ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، فلا تطلب من ضعيف في العقل والتفكير أن ينمى ملكة العقل في غيره ، ولا تطلب من ضعيف الخلق لا يؤمن بالفضيلة أن يربي غيره على الفضائل النفسية ، وأن يحلهم بمكارم الأخلاق وحيد الصفات .

إنكم إلى الآن تنظرون إلى التعليم نظرة بدائية ، لا يعينكم منه إلا الكم دون الكيف ، فجهلكم ينحصر في كثرة المتعلمين ، أما كيفه وجودته وما الذي يحققه وكيف يربي العقل وينميه ويجعله أندر على الاستنباط وعلى الابتكار أو على الانتفاع بعلمه وتطبيقها في الحياة ، وكيف يربي العزم والشجاعة والاستقلال والاعتماد على النفس ، وكيف يكون مواطنًا صالحًا ينفع مجتمعه وينتفع منه ، نقول أما هذا وما ينخرط في سلكه فلا يعينكم ، ولا تنظرون إليه ، ولا تتفاخرون به ، مع ما تتفاخرون به من الكم والعدد والكثرة .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

النفس

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .

بينت الآية السابقة جزاء الله المنافقين على سيرتهم الشائنة الخزية ، وعلى مخادعتهم ومحاولاتهم للنتيجة عما اختاروه لأنفسهم من وضع كانوا فيه لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ... فكان جزاؤهم على ذلك استهزاء الله بهم ، وهو استهزاء من جبار ذى عظمة وجلال وقدرة لا تقدر ، استهزاء من ذى القوة المتين بضعيف مهين حاول مغالبة لجند الله ومخادعة لربه . وكان إلى الاستهزاء إطالة لإغراقهم فى طغيانهم على حيرة مقلقة موقعة لهم فى الاضطراب والفرع . فجاءت تلك الآية فى موضع البيان لهؤلاء الذين استحقوا ذلك الجزاء وجاءت مفصلة غير موصولة ، وجعل المسند إليه فيها اسم إشارة ليسكون فى البيان به توضيح وتمييز للمستهزى بهم ، والممدن فى الطغيان . وفى التعبير عنه باسم الإشارة لإعداده جلياً للصق المسند به حتى تبدو صورته واضحة وقد لبس وصف المسند ويكون ذلك إذا كان المسند أمراً عجيباً . وهو هنا عجيب إذ كان مؤذناً بغباء الموصوف به وبلاذنه وظلمة قلبه وسخف تقديره . فإن هؤلاء قد اشتروا ضلالة بهدى أى اشتروا ظلمة بنور وضمة بشرف وذلة بمزة وضيقاً بسعة . وبماذا يكون الشخص سميك الغباء مغلف القلب مظلم النفس إذا لم يكن كذلك .

عبرت الآية بالاشتراء على سبيل الاستعارة ليتحدد مقدار رغبتهم فى الضلالة ، وزهدهم فى الهدى فإن المشتري يكون شديد الرغبة فيما يشتري ، رغبة تجعله شديد الزهد فيما يبذله من ثمن ، فهم راغبون فى الضلال زاهدون فى الهدى وقد تلا هذا التعبير وهو قوله (اشتروا) ترشيعات أخرى من شأنها أن تقوى بها الاستعارة لجاء قوله (فما ربحت) وقوله (تجارتهم) والمعنى أن هؤلاء قد اشتدت رغبتهم فى الضلالة وارتفعت عندهم قيمتها على قدر ما زهدوا فى الهدى ونزلت عندهم قيمته .

اشترى الضلالة ظانين أنهم سيربحون فيحصلون على وقايتهم من أذى المؤمنين ، وعلى منزلتهم في نفوس الكافرين . نزلة الود والمحبة ، ولكن هيهات أن يتحقق لهم غرضهم هذا وهم على سيرتهم تلك إذ الماتوى في سيره المعوج في طريقه قد يصعب عليه الوصول إلى غايته إن لم يترد في طريقه في حفرة تهلكه قبل الوصول .

لذا كانت النتيجة كما بيث الآيات وهو ما فرعته بالفاء على الاشتراء أى قوله (فاربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) أى أنهم اشترى الضلالة بالهدى . متجرين في ذلك محاولين ربح فاسد أغراضهم ووضع غايتهم ، ولكن كانت نهايتهم أنهم أولا لم يربحوا في تجارتهم وعزت عليهم طلباتهم ومقاصدهم ، وثانيا ذهب نور الهدى من حولهم فبقوا في ظلمة الضلال خامسين . وما أوجع أن يجتمع على التاجر خسارته وتورطه ، ما أوجع أن يجتمع على التاجر أن يقطع عن غايته وأن يكون في ظلمة تعوقه عن التبصر .

وله لطبعي أن تكون عاقبة من يشتري تسفلا بملو وغموضا بوضوح وضعفا بقوة وانقطاعا بصلة وبضا بتحبب ومودة وجفوة بعطف وتحن ، إنه لطبعي أن تكون عاقبته تلك العاقبة . فهؤلاء المنافقون قطعوا صلاتهم بذرى العزة من المؤمنين وأثاروا كرههم لهم وحاولوا إعداد منزلة لهم في نفوس الكافرين . ولكنهم لا إلى هؤلاء استقروا ولا إلى هؤلاء اطمأنوا ، وبقوا على حالهم مهدين في الظلمة حائرين . مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاء ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، .

لما كان اشتراء الظلمة بالنور والذلة بالعزة واشتراء الضلالة بالهدى مما يثير في نفس السامع العجب ويهيج الدهشة ، فإن في ذلك التصرف دلالة واضحة على أن طبائع هؤلاء طبائع مركوسة وعلى أن تقديراتهم تقديرات منكوسة كان لابد أن يتسامل السامع : أهؤلاء في الناس أمثلة ونظائر لجأت تلك الآية مفصلة غير موصولة تشرح حال هؤلاء وتبين مثلهم الذى يوضح سوء تصرفهم ، وأنه ليس هناك ما يماثلونه إلا الذى استوقد نارا ثم بعد إضاءتها ما حوله ذهب نوره وبقى في ظلمة حالكة لا يبصر بإطلاق لا عن بعد ولا عن قرب ، لا عن البين ولا عن اليسار لا . ما هو أمامه ولا ما هو خلفه . إذ أن هؤلاء المنافقين لما نزل كتاب الله هدى ونورا مضيقا للمستقيم من السبل موضحا الجادة . وكان موقفهم منه هو ذلك الموقف المتردد ، ذلك الموقف الذى سدوا فيه آذانهم وأغمضوا عيونهم ،

وحولوا فيه قلوبهم . فكان القرآن الذى هو الهدى والنور عليهم نارا محرقة بما كشف من أسرارهم وما أبرز من طوياتهم ، وما حرر في المجتمع من موازينهم .

وما كاد الكتاب الهادى والقرآن المبين - وهو في حقيقته النور - يضيء ما حولهم ليستبينوا . واطن الهداية ومهبط الرشاد حتى حولوه بسيرتهم ذلك التحويل ، فانقطع عنهم ذلك النور . وأظلمت من حولهم الآفاق ، وراحوا مضطربين لا يركنون إلى المؤمنين ، ولا يستقرون إلى الكافرين . فما أشبه حالهم بحال الذى انطفأ مصباحه في يده . وهو في ظلمة حالكة . فإن الذى تكون حاله تلك الحال ، لا يستطيع سيرا إلى الامام ولا رجوعا إلى الخلف ولا ميلا إلى اليمين ولا إلى اليسار . وكذلك يكون حال المنافقين في المجتمع . فهم دائما مضطربون فزعون لا تحل قلوبهم طمأنينة ولا ينزل بساحتهم استقرار فنتيجة لما يقومون به في المجتمع من أن يلقوا كل فريق بوجه غير الوجه الذى يلقون به الفريق الآخر ولأن يفوت المجتمع دائما منهم أذى وشر وتفكك وخصام وإن كانوا لا يفوتهم من المجتمع شيء الجزاء - بفضهم واحتقارهم وتجنهم واستصغارهم - فلا يأنسون ولا يؤنسون ، ولا يسمر إليهم أحد ولا يسمرون هم إلى أحد من الناس . يتخرجون من الناس ويتخرج الناس منهم لخياتهم فكده وعيشهم مرير . ولا يكون إلا كذلك جزاء المنافقين .

فعنى الآية على الجملة أن مثل هؤلاء المنافقين مثل الذى حاول إشعال نار حتى إذا أخذت تضيء جوانبه انطفأت وبقي في ظلمة . وما أشد الظلمة إذ تعقب إضاءة ، وما أعمق ألم الذى تنطفئ ناره وهو في ظلمة حالكة .

وإذا أنت استعرضت الآية فوجدتها تعبر باستوقد دون أو قد رأيت دلائل الإعجاز والبلاغة . فإن الاستيقاد يدل على أن هؤلاء قد حاولوا ذلك محاولة هم فيها حريصون على ما حاولوه . ولم يكن تحول النور نارا إلا عن معالجة ورغبة وترى ثانيا أن الآية قد عبرت بأضامات دون أنارت . والضوء أعظم من النور ليدل ذلك على مبلغ ما في القرآن من هدى وارشاد وليلد من ناحية أخرى على عظم مصيبتهم ، فإن الإظلام بعد الإنارة أخف من الإظلام بعد الإضاءة وترى ثالثاً أنه عبر بذهب الله بنورهم دون انطفأ ليذانا بأنه استئصال لا رجاء معه . . . وترى رابعاً أنه عبر بالذهاب بالنور فلم يقل ذهب الله بضوئهم لأن ذلك قد يخيل أن ذهاب الضوء قد لا يفهم . معه ذهاب النور . فعبر بالنور في ناحية الذهاب ليدل على استئصال النور . فإن ذهاب النور ذهاب الضوء ، وليس ذهاب

الضوء ذهاباً للنور... وترى خامساً أنه عبر بقوله تركهم ولم يقل ذهب بنورهم وبقوا في ظلمات ليدل بذلك على قطع الصلة بينهم وبين ربهم. وأنهم متروكون غضباً عليهم ونكابة بهم. ثم ختم الآية بقوله (لا يبصرون) وكان ينبغي أن يقال تركهم في ظلمات. ولكنه أراد أن ينص على لازم كونهم في الظلمات صراحة حتى لا يفوت السامع تصويرهم في تلك الظلمات. وهكذا نجد في القرآن دلائل الإعجاز وآيات البلاغة في كل مقطع نستعرضه من ذلك الكتاب المبين.

يقول الله تعالى : (صم بكم عى فهم لا يرجعون) جاءت الآية هكذا بدون عاطف مفصلة عما قبلها. وإنما جاءت كذلك لأحد وجهين. إما لأنها بمثابة التأكيد للآية السابقة عليها، وإما لأنها جواب لسؤال نشأ عن الآية التي قبلها..

أما الأول : فلأن ما دلت عليه الآية السابقة. من أنهم فرجئوا بعد الإضاءة بظلمة انعدم معها الإبصار انعداماً مطلقاً. الأمر الذى دل عليه عدم ذكر المتعلق في قوله : لا يبصرون مما يستلزم اضطراب مشاعر المعاجئين واختلال حواسهم فجاءت تلك الآية للتفصيل على ما فهم لزوماً من سابقها للتأكيد والتثبيت.

وأما الثانى : فلأن الآية السابقة لما دلت على أن عدم الإبصار إنما هو للظلمة التى حاطتهم كان لابد أن يثير ذلك سؤالاً مؤاده : ألماذا انبج الفجر يعودون إلى الإبصار والسمع والنطق أى يستردون مشاعرهم ويعود إليهم انتظام حواسهم فجاءت تلك الآية جواباً عن ذلك مبيناً أن اختلال مشاعرهم مطرد مستمر. فهم قد صاروا بما رضوه لأنفسهم من وضع دائمى الصمم والبكم والعمى. فهم لا يصيخرون لصوت الحق والإرشاد. بل هم لاوون عن الحق أعناقهم مصعرون عن الرشاد خدودهم، لا ينطقون بحجة لإحساسهم ببطان ما هم عليه ولا يطرحون شبهة ليزيلوها من ساحة الحق. لأنهم راغبون عن الحق مستهزئون بأهله، لا يفكرون فيما أقام الله فى الأفق وفى الانفس من آيات. فهم مغمضون عيونهم عن نظرها إذ لا يقوم فى نفوسهم دافع إلى تدبيرها وتقديرها. وما داموا لا يصيخرون إلى برهان ولا ينطقون بحجة لهم أو شبهة، ولا ينظرون فى آية من آيات السكون إذ أنهم صم بكم عى إذ نودوا لا يسمعون، وإذا حارلوا النداء لا ينطقون. وإذا أرادوا تكشف الطريق لا يبصرون ويكونون بذلك كالمثبتين فى مكانهم لا هم يستطيعون سيراً إلى الامام، ولا هم يستطيعون عوداً إلى بدايتهم. فلا إلى الوراء ولا إلى الامام،

نَهْكَاتُ الْفِرَاقِ

- ٥ -

٤ - البيت العتيق

« خاتمة »

« و طهر بيقى للطائفين والقائمين والركع السجود »

ألحنا بجوانب الحديث عن البيت العتيق في كلمات سابقة ، وطوفنا بك حول مناقبه ومباهجه ، حتى تكشف لنا من مثاقى القرآن - إلى حد ما - ما له عند الله من قدر ، وما له بين معالم الإسلام من خطر ، وحتى انتهينا إلى صدق الإيمان به قبله للراكعين والساجدين ، والافتناع به ملاذاً للطائفين ، وموتلاً للعاكفين ، والاطمئنان إليه مثابة للوحدة الدينية : منها تبتدىء ، ومنها تصدر ، وإليها تجتمع وتأتلف ، والاتجاه إليه منارة تشع هدايتها في الخافقين ، لا يحجب ضوءها حدود إقليمية ، ولا تستأثر بها جنسية على جغرافية ، وإنما هو في ظل العروبة تحت إشراف ولد إسماعيل ، ومكة للناس سواء : العاكف فيه والباد .

ولا إلى اليمين ولا إلى اليسار . وكذلك المنافقون في كل مجتمع يخشون خطوات إلى الامام قد يكون فيها ارتطامهم ، وخطوات إلى الورا قد يكون فيها ترديهم ، وميلا إلى اليمين أو اليسار قد يكون فيه تمزق أستارهم وانكشاف أحوالهم وافتضاحهم في المجتمع . فتسكون حيرتهم في أمرهم وخشية انكشافهم هي الحال التي تشدهم إلى مكانهم الذي هم فيه ، والدرر التي تسمرهم في أوضاعهم التي انتهوا إليها ثم أمسوا لا يستطيعون تحولا عنها . إذا (فهم لا يرجعون) كما جاء في الآية تفرعا على اختلال مشاعرهم واضطراب حواسهم .

وفي الله المجتمع شر المنافقين وحفظه من سوء طوبانهم وخبيث محاولاتهم إنه هو

الحفيظ العليم .
 همام مجيد
 عضو جماعة كبار العلماء

نجدير بالبيت الذى هذا شأنه ، والذى انعقد به تاريخ الإسلام من فجره الاول ، أن نقف منه مرقف المحاسبين لأنفسنا على ما نبدى نحوه من عناية ، وما تقدم إليه من تكميم ..

فليس يكفى من حقه علينا أن نحج إليه ونطوف حوله ، ولا من تكميمنا له أن نتعلق بأهدابه ، ونبلل أستاره بالدمع الهتون .

تلقى إبراهيم الامر بتطهير البيت ، وما كان إبراهيم إلا ملييا بالطاعة ، ومبادرا إلى التنفيذ ، فن أى شيء - يا ترى - كان التطهير ، ولمن يكون القصد فى تطهيره ؟؟

نتجه إلى أنفسنا بهذين السؤالين ، ونتجه إلى أنفسنا فى الإجابة عنهما ، ولعل من وراء ذلك ثنها من غفلة ، وصحوة إلى واجب ، ووصولا إلى غرض ، وراحة لضمير .

١ - من أى شيء كان التطهير ؟ قد يخطر بالبال أن البيت يومذاك كان مدخولا بالأصنام ، ولسكن هذا لا يجارى الواقع المأثور ، إذ لم يكن البيت معبداً مأهولاً قبل ذلك بعباد ولا بأوثان ، وإنما كان بقعة مباركة محمولة ، عرفها إبراهيم بتوجيه الله ، ثم بناها هو وإسماعيل تنفيذاً لأمر الله ، ومن يومئذ ابتدأ العهد باتخاذ للعبادة . فإذا شئنا توجيه الامر بالتطهير إلى الواقع الوجودى ، فإنما يراد تطهيره من الأقدار ، وتجليته فى مظهر حسن يلائم طهره المعنوى وقدره الادبى ، فلا يكون من الإهمال والابتسفال كما يكون موضع آخر مهيئ .

ب - ولمن يكون القصد فى تطهيره ؟ تفصح الآية بأنه للطائفتين والفائمتين والركع السجود ... نعم ! فما يذنب أن يلائم بالنجاسة ، أو يتقذر بالمسكره مكان يطوف به الطائفت مناجيا ربه بدعوته ، وينهض فيه القائم خاشعا لله فى صلاته ، ويهوى من قيامه ضارعا بركماته وسجداته ، بل ما يذنب أن يكون ملتقى الحبيج إلا أبهج ما يروق للعين مظهره ، وأروع ما يجذب النفس رواؤه .

فإن لم يكن : - فلا أقل من نظافة - والنظافة فى حساب الفطرة وقاية مطلوبة ومرغوبة ، وأيسر ما يبنى منها بالتكليف أن تتوفر الطهارة من اللوث والقذر ، حتى تكون كرامة البيت غير مشوبة . لذلك أوحى إلى إبراهيم فيما أوحى من شأن هذا البيت أن ينشط إلى تطهيره مما هنالك ، والتطهير أيسر مقدور .

وهل يقف الأمر بالنظير عند هذا الحد ، ويضيق عما يحدث بعد ؟ لا ١١

ولنأمل الأمر في مثل هذا ممتد في الزمن ، وشامل لكل ما لا يتفق وصيانة المسجد الحرام ، فهو واصل إلينا فيما وصل من شريعة إبراهيم . . . ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا . . . ، والتطهير المطلوب به يتعلق بكل ما يتكشف عنه الزمن من أرجاس . . . ولقد بدت عناية الإسلام في حرص على تطهير المساجد عامة حتى ذاد عنها أسباب الظنة ، فخاها من ولوج أصحاب الاحداث المغلظة ، وبالف أكثر من ذلك في صيانة البيت الحرام حتى منع من لا يدين به أن يقترب منه ، واعتبر الكفر به نجاسة تقضى البعد عنه . . . يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، ، كل ذلك ليتوفر للبيت العتيق لإجلاله ، وتكمل له قداسته ، ويظل مناط الثقة في تقاوته ، ويبعث الحياة الروحية بنفحاته .

بل لم تقف عناية الإسلام بتطهير المساجد عند الجانب السلبي بمنع الاجحاس أن تتسرب إليها فرفع من شأنها حتى كلفنا أن نتأهب لدخولها بالترزين في ملابسنا ومظهرها : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، ، فما بالك بمسجد أفسح له القرآن كثيراً من آياته ، وأضفى عليه ما أضفى من الخصائص ، حتى جعل ثواب الصلاة فيه يعدل ثواب الصلاة في غيره مائة ألف مرة ، ولم يقاربه في هذا إلا مسجد اشتملت روضته على أكرم جثتان على الله - مسجد المدينة - فإن ثواب الصلاة فيه يعدل ثواب ألف في سواه من مساجدنا ، وذلك ما عرفناه من لا ترقى إلى صدقه شبهة ، (صلوات الله وسلامه عليه) .

فإذا اجتمعت الطهارة الحسية للمسلم في مظهره وفي معبده ، وكان في هندامه الشكلى متجاوباً مع إيمانه القلبي ، فليس من وراء ذلك إلا نظافة من دخائل النفس ، ونقاوة في أطواء القلب ، وطهارة في مخبوء السريرة .

وذلك هو الشعاع الحق ، والطابع الصدق لما يبدو من حقيقة المسلم ، وهذا هو الهدف الذي ينبغي الإسلام إلى أهله فيما كلفهم به من اتخاذ الزينة وتطهير المساجد .

ونفحات القرآن بادية في كل ذلك ، وقد جلاها قول النبي ﷺ والنظافة من الإيمان ، فإذا انتهينا إلى وجهة الإسلام فيما يفشده إلى أهله ، وفيما يفشده للمساجد عامة فهل الأمر في شأن المسجد الحرام من تكريمه بتنظيفه ، والتتظف له ، على نحو ما تنادي به الشريعة ؟ ؟ وتقضى به العاطفة الدينية ؟ ؟ أولا يستحق هذا البيت كلمة صريحة تبرى بها الذمة ونرضى بها الحق ؟ ؟

رأيت البيت في موسم الحج ، وجلت هناك كما يحول الوافدون على مكة ، فوقعت تحت النظر ما لا يرضى ، ورأيت من الإهمال ما يكفي لإثارة الغضب ، والنهوض بالعتب على على من يبدم الأمر ، ولو فرض الله على المسلمين أن يهملوا بيته لما صنعوا به أكثر مما هو عليه اليوم .

أفلم يكن يستحق بيته على الحكومات التي تعاقبت على الحجاز أن تمد كل واحدة منها يد الإصلاح إلى جانب من الجوانب التي حرمت من النظام طوال هذه السنين ؟؟ نعم : للعامل الزماني حكمه ...

ولكن : لو أتيج لبيت الله الحرام نصيب من عناية في كل عهد من عهوده لكان اليوم أحسن حالا من حاله التي يتأذى لها الحس ، ويجزع لها الفؤاد .

ليس من الإنصاف أن تلقى التبعة كلها على الحكومة القائمة ، فإن عهدا في الحجاز لم يبلغ ما بلغ عهد سواها من قبل ، ويبدو من الملم هناك أن تلك الحكومات لم يتسع نطاقها الإداري أن تشمل البيت ولا غيره من مناسك الحج بشيء من رفاء ، فأصبح للحديث مجال عن البيت ، وعن المسعى ، وعن عرفات . والحديث عن هذه حديث عما يلقاه الجميع من شقاء وعنت ، وهو حديث يستريح إليه المتصفون ، فإن فيه تنبيهاً من غملة ، وتوجيهاً إلى واجب ، وإن تخيل من تخيل أن فيه مساساً فما قصدت ذلك ولا يدخل في تقديري ، وإن كان : فالأمر أمر يحل عن مراعاة خاطر .

من ذا يظن أن بيت الله الحرام الذي تهوى إليه الأئمة ، وتحدرد إليه الأفواج من كل صوب ، يظل يتراعى بين الأبنية حتى كادت تخنقه لشدة انطباقها عليه ، والنفافها حوله ، مع ما هنالك من قم عالية تقرب منه ، وتقوم عليها المساكن أشبه - لارتفاع بقعها - بناطحات السحاب ، وإذا روعى إلى جانب هذا أن مكة محفوفة بالجبال حولها أشبه بالحلقة ، فن أين يكون جو مكة طيباً ، أو يكفل عدم الاختناق لمن لم يتعود مثل هذا الحصار ؟؟

لم تنفرج هذه الأبنية عن بعضها لتدع السبيل إلى البيت ؛ إلا بحارات ضيقة ملتوية ينحدر سالكيها من علو ، ويصعد من هبوط ، وعلى جانبيه حوائط الباعة ، ويكتظ الممر بينها بالمبتاعين لعروض مكة التجارية ، وفي اجتيازها على هذا الوصف جهد غير يسير ، وإن الداخلة إلى البيت من أى منفذ من هذه المنافذ ليحس بانقطاع الصلة بين ما كان يرسم

في ذهنه من تخيلات بهجة عن موقع المسجد الحرام في أهته ، وبين ما يرى بعينه ، حتى
لكأنه في سوق ريفية تجتمع في طرقاتها السلع ، ويتدافع أمامها الناس ، في غير إشفاق ،
ولا تمكن من الهويتا .

وإن تسكن هناك طرق فسيحة نوعا فهي تدج بالسيارات المتلاحقة ، والمشاة المتلاحمين ،
فأنت إذ تتقي خطر السيارة يدفع بك دافع إلى اليمين ، وآخر إلى اليسار ، وإذا خطوت
فسيلنوى بك المسير لتفسح لمن يقابلك سائراً في عكس اتجاهك ، وقد يتوقف السير ويكتظ
الموقف حتى يشق عليك النفس ، أو يجبر بتمدريك العياء .

وعلى هذا الوصف من غير مبالغة طريق السعى بين الصفا والمروة ، وهو في أى لحظة
من اللحظات غاص بالجموع الزاخرة كبحر متلاطم الأمواج .

فإذا اعترضك في شوطك ثلة من الجنود تأخذ سيديها في نظام عسكري ، أو رتل
من السيارات يتلاحق في تتابعه ، فقد يطول بك الموقف حتى يجتاز كل أولئك ويتخطوا
طريق السعى المعترض للدرب المسلوك . فانظر : كم يلاق المحرم في أشواطه السبعة بين الصفا
والمروة ، وخاصة إذا كان الوقت ظهيرة حارة ، أو كان شيخاً مسنناً ، أو سيدة حبل ٢٢ ؟

تلك حالة السبل المؤدية بك إلى البيت ، والتي حوله من كل جانب ، وأحسبك لا تسكذبني
إذا قلت لك : إن طريق السعى حين يخلو (وهو لا يخلو إلا في ساعات من الليل ، آخر
موسم الحج إذا خف الحجاج إلى المدينة أو إلى أوطانهم) يكون الدرب المعتد
بين شعائر الله مسرحة للهمز والخراف ولغيرها مما لا أسميه من الحيوانات ، فكيف يرتضى
غيور على تلك البقاع أن تكون بهذا الابتذال ٢٢ ؟

وإذا دخلت إلى رحبة المسجد ، وحومت على زمزم ، وجدتها في حجرة ، وحول البئر
جدار يحيط بها ، ويقف عليه المختصون برفع المياه ومناولتها للراغبين ، والراغبون طبعاً
هم جموع تنهالك ويختلف بعضها بمضا ، فإذا بحثت عن انفاة البيت أو طهارته في هذه البقعة
(وهى من الكعبة ومقام إبراهيم على شكل مثلث) وجدت نفسك بين شكوك تساورك ؛
فإن الماء يتموج تحت أرجل المتزاحمين على زمزم ، وأكثر هؤلاء - كما يبدو من شأنهم -
لا يعرفون ما ينبغى للطهارة وما لا ينبغى ، والماء ينساب من أرض الحجرة إلى خارجها ،
وكذلك هؤلاء يخرجون مبتلة أرجلهم ، ويجوسون في رحبة البيت المتصلة بحجرة زمزم ،

رح حيث يصلّي هناك المصلون ، أ رأيت أن حكم الطهارة المطلوبة للبيت في كتاب الله يكون حذوفاً الآن ، أم هو ساقط في اعتبار المسؤولين ؟؟ وما مقدار اطمئنانك على صلاتك وأنت ترى بنفسك هذه الهراة في مراعاة النظافة والنظهير ؟؟

ثم انظر إلى أولئك الذين يغطون الليل كله في نومهم على الحصباء في رحبة المسجد الحرام ، وما يكون من شأهم إذا حقنهم البول وليس بقربهم مرافق ، هم يتخذون من مضاجعهم مرافق ولا حرج عندهم ، لأنهم في الأغلب يحجون البيت بعاطفة قوية ، ولكن الجهل مطبق ، والإدراك مفقود ، والطهارة والنظافة أبعد ما يكون عن معارفهم ، وأعجب ما يعجبك أن ينام الواحد منهم ملء عينيه طول ليله ، فإذا هف المؤذن لصلاة الفجر نهض ذلك النائم إلى الصف مع المصلين ، وهو لا يدري أن للصلاة طهارة مشروطة ، وكيف تنصح ذلك المسكين ولسانه غير لسانك ، وذمته لا يفهم بالإشارة والتشخيص ؟؟ رأيت ذلك ، ورأيتته نهاراً في محرم تخير أن ينام ضحوته تحت المروحة الكهربائية ، حتى نودي لصلاة الجمعة فعمل ما فعل غيره في صلاة الصبح ، وكان هؤلاء يعرفون أن في الإسلام حجاً وكفى ، غلبت من يوجههم إلى الصواب !!

نعم — إن حكومة السعوديين أخذت في تنظيم المياه ، وتناولها من زمزم في غير تواحم ، وذلك بتوزيعها في الانابيب ، وإعدادها في كل جانب من جوانب المسجد . ولكن بقي ما ذكرت من رعاية هؤلاء ، وبقي توفير المرافق بكثرة وكثرة ، وبقي أن يسلك النظام سبيله إلى عرفات ومنى ، حتى تكون الخيام مشوثة بين الأفذار ، وحتى لا يجد المرء جرعة الماء إلا بعد شديد الظم ، وبعد المساومة وترضية الجشع ، وحتى يجد وضوءاً للصلاة في تلك الصحراء في شيء من اليسر .

تلك وأمثالها من المتاعب التي يتعرض لها المحرم ، إلا من خرج في سيارته وانهى في يسير من الوقت ، وكم عدد هؤلاء ؟ وهم أيسار الحجاز لا من جهرة المسلمين المغتربين .

قلت : إن العامل الزمني له كبير الأثر في اختناق المسجد بتلك الأبنية القديمة وليست حكومة السعوديين ملومة على ذلك ، ولكنها وقد أصبح الأمر إليها ، ولها من الفشاط ما هو مشهود في نواحي الحياة الاجتماعية لديهم فإننا نتجه إليها بالرجاء ألا نفض الطرف

عن أخطاء العمود السابقة وتقصيرها نحو بيت الله وحجابه ، وإذا كانت المروءة العربية بدت في نهضتها إلى إصلاح الحرم المدني ، ثم منها الترفع والإباء عن تناول المعاونة من الاقطار الإسلامية فإن أمر مكة لأعظم خطراً وأحوج إلى مال أكثر مما يحتاج الحرم المدني .

وما دام الأمر في الواقع أمر المسلمين جميعاً فليس من الحرج أن ترفع مكة نداهما للمسلمين أن يتآزروا في التعاون على ما يقتضيه تنظيم البيوت والمناسك من نفقات ، وليس في الناس ولا في تقدير المفكرين ما يمنع ذلك ، ولا معابة فيه ، وإن الاستيلاء على الأملاك المجاورة للمسجد الحرام إن كانت أملاً كاشخصية ، أو استبدالها بالنقود إن كانت أوقافاً لمشروع لا تنهض به خزانة الحجاز فيما أعتمد ، وإصلاح الوسائل لتعميم المياه والمرافق في عرفات ومنى ليس أهون من سابقه فيما يقتضيه من مال .

وليس عملاً متجهاً ، ولا تفكيراً صائباً ، ولا أملاً مرجواً أن نكل الأمر ونلقى الحمل على عاتق الحجاز ، وليس كريماً ولا مستساغاً أن يترك الأمر على ما مضى عليه الحال منذ قرون وقرون ، وإن المدنية الحديثة التي امتدت إلى مجاهل الدنيا أو التي أبدلتنا في الحجاز طيارات وسيارات بدل النوق والجمال ، لتأبى أن تسكنين إلى هذا الوضع الممين .

هناك عين فوارة عثروا عليها بعد مكة بأميال ، وتعميم الماء منها كفيل بخلق حياة جديدة في مكة وفيما حولها ، فليس ينبغى أن نتوارى عن الموقف ، ونترك حكومة الحجاز ما بين حياء يمنحها ، وعجز يثبطها ، ومتاعب الحج فوق ما يطاق في هذا الزمان ، وفي الإهمال صد للناس عن سبيل الله ، وفي الإنجاز دعاية ، وتشجيع ، ونشر للدعوة الإسلامية ، ولقد سبق إلى شيء من ذلك وزير مصر أحمد حمزة ، فأوجد مولداً كهربائياً ، فكانت الكهرباء للإضاءة وللتهوية بعد المصاييح ، وبعد اصطلاء الحر أزماناً وأزماناً ، فهلا كان لحمزة من حمزات به يقتدون ؟ ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

السنة

من أسرار الصوم وآدابه

مكان الصوم من العبادات - سر لإضافته إلى الله تعالى - ضروبه ،
والمراد منها في الحديث - من المنهاج النبوي في التربية - آثار الصوم الحق
في الفرد والامة - بشائر الصائمين .

عن أبي هريرة رضى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل :
كلُّ عمل ابن آدم له ، إلا الصَّيَّامَ فإنه لى وأنا أُجزى به . والصَّيَّامُ ثُجَّةٌ ، فإذا كان يومُ
صوم أحدكم فلا يرفثْ ولا يَصْنَعْ خَبْ ، فإن ساء به أحدٌ أو قاتله فليقل : إني صائمٌ .
والذى نفسُ محمدٍ بيده لخولفُ فم الصائم طيبٌ عند الله من رِيحِ المسك . للصائم فرحتان
يقرحهما : إذا أفطر فرح ، وإذا أتى ربه فرح بصومه . رواه الشيخان واللفظ للبخارى .

* * *

أفاض العلماء والباحثون قديماً وحديثاً في حكم الصوم وأسراره ما شاء الله أن يفوضوا ،
وجهدوا في استكشافها ما شاء الله أن يجهدوا . ولكنهم مهما يكشفوا من أسرارهِ الفردية
والجماعية ، وحكمه المادية والروحية ، وآثاره الطيبة والنهيية : فلن يدركوا غايتها ولن
يحيطوا بتفصيلها علماً .

واكبر الظن أنهم في جهدهم هذا يعنون أشد العناية ببيان حكمه وأسراره مستقلاً عن
سائر أركان الإسلام وشعبه : إذ لم يزل ارتباطه بها وتأثيره فيها من هذه العناية إلا قليلاً .

فهل لنا أن ننعم النظر في كشف أسرار الصوم مرتبطاً بغيره من شرائع الإسلام وشعبه
ومؤثر فيها ، كما أنعمنا النظر في أسرارهِ وآدابه مستقلاً عنها وبلغنا أمداً بعيداً ؟ وهل لنا
أن ننتقل بعد ذلك إلى سائر هذه الشعب فندرس صلة كل منها بأخواتها ومدى تأثيرها فيها ،
ثم ندرس صلاتها بمجموعة متعاونة متضافرة - كما أعدها العليم الحكيم - على إعداد الفرد
والامة ، لإعدادها قوياً متيناً ، يحدد بناء أمتنا الإسلامية ، ويعيدها سيرتها الأولى ؟

إن مثل الصوم في أركان الإسلام وشرائعه كمثل المصفاة اللطيفة الدقيقة النقية التي صفت في نفسها وأعدت لنصفية غيرها . فهي تبقى أعمال الصائم وأحواله ، وشؤون جسمه وروحه كلها - دقيقةا وجليلها - من سموها المادية والمعنوية . وعلى قدر نقاء هذه المصفاة ولطفها تكون توقيتها لغيرها . . أو كمثل امتحان سنوى دقيق ، يستغرق من العام شهرا كاملا ، تمتحن فيه أعمال العبد وشؤنه حتى تمرن على الإخلاص والقوة ، وتخلص من الدنس والضعف والهزال ، ويتجدد الامتحان كل عام حتى يتخرج الصائم عضوا نافعا ، ولبنة سليمة قوية في بناء هذه الأمة الإسلامية .

وإذا كان هذا الامتحان السنوى إجبارياً في كل عام ، فإن هناك امتحاناً اختيارياً ، سنه معلم الناس الخير ، ومخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربه صلوات الله وسلامه عليه ، سنه في خلال كل شهر ما عدا شهر رمضان ، بل في كل أسبوع لمن شاء أن يترقى في معارج الكمال ، ويبلغ الذروة في فضائل الأعمال .

وليس الصوم نفسه بحاجة إلى مصفاة أو امتحان ؛ لأن الله العليم الحكيم قد اصطفاها لنفسه ، واختصه من بين العبادات والشرائع بالإضافة إليه ، تكريماً له وتشريفاً ، ومزية له دون غيره من الطاعات ؛ لاجرم أنه يتولى تصفيته وتوقيته على حسب ما قدر لعبده من منزلة ، وما رفقه من درجة ، وقد بات من القضايا الأولية ، أن المزية لا تقتضى الأفضلية .

ولعل السرفى اختصاص الصوم بهذه المرتبة العليا من التشريف والتكريم ، ما قبل من أنه لم يعبد به أحد غير الله عز وجل ، فلم يعظم الكفار في عصر من الأعصار معبوداً لهم بالصيام ، بل عظموه بصورة الصلاة والسجود والقيام ، والذبح والحلف والنذر ، والطواف والصدقة والذكر ، وما إلى ذلك من فنون الجاهلية وأعمال المشركين ؛ أو لأن الصوم - لحفائه - أبعد ما يكون عن الرياء . فليس للصائم فيه حظ ولا شهوة كما له في غيره من العبادات ؛ أو لأن الاستغناء عن الطعام والشراب وما إليهما ، من صفات الرب الذي يطعم ولا يطعم ، فأضاف الصوم إليه لأنه يوافق صفة من صفاته الربانية ، وإن جلت صفاته سبحانه عن الشبيه والنظير ؛ وليس كمثل شيء وهو السميع البصير ،

ولما كرم الصوم - عز اسمه - بمنسبته إليه وحده ، تولى هو أيضاً جزاءه واختص به ،

وتفرد علماً بمقداره وتضعيفه ، وجعله سرّاً محجوباً لا يطلع عليه أحداً من عباده ، كما كان الصوم نفسه سرّاً بين العبد وربّه ، جزاء وفاقاً .

وإذا كانت الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، في أعمال ابن آدم الظاهرة التي أسندت إليه ، وأنبأ الله ثوابها وعظيم جزائها ، فكيف بهذا السر الذي اختص الله به نسبة وجزاء ١٤ لا جرم أنه جزاء لا يهتدى إليه حساب الحاسبين ، ولا يمتد إليه وصف الواصفين . وإذا كان الصيام نصف الصبر كما صح في الأثر - فإن الصائمين في طليعة الصابرين الذين بشرهم ربهم بأهم يوفون أجورهم بغير حساب .

* * *

وبعد ، فأى صوم هذا الذي كرمه الله ذلك التكريم ، ووفى صاحبه ذلك الجزاء العظيم ١٤ لا رب أنه درجات متفاوتة بتفاوت الصابرين المخلصين ، ولعل أدناها أن يتخلى من الآثام الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً ، ويتحلى بالآداب النبوية فقها وهدياً . وأما صيام العامة وأشياء العامة ، وهو مجرد الإمساك عن الطعام والشراب وما إليهما مع إقتراف الآثام فليس من الصيام الرباني في شيء . وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه .

ويرى الزهاد والمنصوفة أن الصوم درجات ثلاث : صوم العوام وهو هذا الذي ذكرناه آنفاً ؛ وصوم الخواص وهو هذا مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل ؛ وصوم خواص الخواص وهو الصيام عن غير ذكر الله وعبادته ؛ ثم يزعمون أن هذا الأخير هو المراد في الحديث . وهو زعم لا دليل عليه ، وفيه تحجير لرحمة الله الواسعة وتضييق لفضله العظيم .

* * *

والذي يدل عليه الهدى النبوي في هذا الحديث وغيره ، أن المراد إنما هو الصوم الذي يؤدى وظيفته التي من أجلها شرع ، وحكمته التي من أجلها كتب ، وإليها الإشارة بقوله عز من قائل : « يأيتها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ، وقوله صلوات الله وسلامه عليه : « الصيام جُنَّة » .

والجنة : السرة والمناجى ؛ لأن الصوم الحق يمنع صاحبه من الرفث والآثام ، ومن غضب الله

وعذابه ، كما يمنع المجن - وهو الترس - صاحبه من السلاح . ومثل من لا يقيه صيامه سهام الذنوب والآثام ، كمثل من لا تنهيه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، كلاهما لا يزداد من الله إلا بعداً !

* * *

وإذا كان الصيام مجناً لصاحبه وحصناً له من عدوه : نفسه وهواه وشهوته ، ولإبليس وذريته فمن كيس الصائم أن يكون يقظان فظناً ، يأخذ حذره أن يخرق العدو مجته ، أو أن يهدم عليه حصنه ، فيكون فريسة عدو لا يألوه خيالاً ، أو ضحية حق هو أشد وبالا ونكالا ! ومن أكيس السكيس ألا يدع منفذاً من منافذ العدو التي يهجم منها عليه إلا سده سداً محكماً ، متمهداً هذه المنافذ وسدودها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وأقرب المنافذ إلى العدو رفث الصائم وصخبه ، وسبابه وجداله ، وما إلى هذا من آفات لسانه الذي بين فكيه !

والرفث : السخف وفاحش الكلام ، وما لا ينبغي إلا بين المرء وزوجه في غير أوقات الصيام . والصخب : ويقال بالسين أيضاً ، هو الصياح والخصام وما لإيهما من المراء والجدال . وفي نهيه ﷺ عن أقرب خطايا الصائم وأهونها عليه ، تنبيهه على أبعدها منه وأشقمها عليه ، كما في نهيه عز وجل عن التأفيف في معاملة الوالدين : ليكون أخرى بنهيه عما وراء ذلك من إبداء وعف .

وليس الصائم وحده هو المقصود بالمهي عن هذه الصغائر التي قد تكون ستاراً لما وراءها من كبار ، بل غير الصائم مثله في أصل النهي ، ولكن يتأكد في حق الصائم ما لا يتأكد في حق غيره ، ويطالب الصائم من الاجتهاد والمحافظة والوقار بما لا يطالب به غيره .

* * *

فإذا شاتم الصائم أحداً أو خاصمه ، فليعف وليصفح ، ولا يقابلن الشر بمثله ، وليذكر الصوم وحرمة ، وليقل بقلبه ولسانه مرة أو مرتين : إني صائم ، فذلك أدنى أن يكف عن خصمه وأن يكف عنه خصمه . ثم لا بأس أن يجلس إن كان قائماً ، أو يقوم إن كان جالساً ، فذلك أعون على صرف الشيطان وجنده ، فما استعان الشيطان على أحد بمثل غضبه وصخبه .

وفي تذكير العبد نفسه بأنه صائم عند العدوان عليه سفها وجهلا ، تقوية لظهره ، وشد لأزره ، وتمرن لنفسه على تربية الإرادة القوية ، والعزيمة الماضية ، التي لا يحوم حولها جبن ولا تردد ، ولا ينال منها إيذاء مؤذ ولا تثبيط مشبط ، وذلك من آثار التقوى التي هي ملاك الحكمة في الصيام وشرعته .

ومن لنا بمن يبلغ علماء النفس والتربية منهاج النبي المربي الحكيم صلوات الله وسلامه عليه ، في تربية أمته على قوة الإرادة ومضاء العزيمة ، بهذا الأسلوب العملي الميسر ، الذي يستوحيه المرء من نفسه لنفسه فيجده أسرع مجيب له وناصر بإذن ربه .

هذا الصائم - الوقور المتقى الذي لم يكن - بصيامه - صورة صماء ممسكة عن الطعام والشراب والشهوة غلب ، بل كان بصيامه وتقواه . قوة من جند الله : دوما يعلم جنود ربك إلا هو ، وكان روحا وثابا إلى المجد والعلا ، سائحا في ميادين الخير ، والتعاون على البر ، والدفع بالي هي أحسن ، يهدي إلى سبيل الرشاد بصومه ، ويرفع بناء المكرمات بأيده وعزمه - هو الحقيق بأن يزف إليه الصادق المصدق صلوات الله وسلامه عليه ، بشارة الرضا والقبول ، والفوز بالمأمول ، بمن بيده الخير كله ، وهو الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا . والخلوف بضم الخاء - ويجوز فتحها - هو تغير رائحة الفم من أثر الإمساك عن الطعام والشراب ، وتفزز الناس منه أمر طبعي لا لوم عليه ، لكنه عند الله تعالى آية الرضا والمحبة للصائم الذي وصفناه آنفا .

ولئنما أقسم صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المعصوم - توكيدا لهذه البشارة ، وتفريحا لأصحابها . وكان أكثر إقسامه بالذي نفسه بيده وهو ربه ومالك أمره ، إشعارا بتقواه ومراقبته وأنه أعلم بعبدته وأقرب إليه من جبل الوريد .

ثم بشر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الصائم ببشارتين أخريين ، كلتاهما من آثار البشارة العامة السابقة : فرحة عاجلة في ختام كل يوم من أيام صومه ، بنهاج عبادته وسلامتها وتوفيق الله له فيها ، ثم برزق الله له ، وإنعامه عليه بالخلال الطيب الذي يعينه على عبادة ربه والإخلاص له ؛ وفرحة آجلة بلقاء ربه راضيا مرضيا ، مستبشرا بجزائه الذي وعده إياه على لسان نبيه دون أن يحسب أو يقدر ، بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

طه محمد السالك

الأزهريون والتدريبات العسكرية حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

زخرت لإدارة المعاهد الدينية بجواهر حاشدة من العلماء والطلاب الأزهريين ، وقد قابلوا فضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وذكروا لفضيلته رغبتهم في الانضمام إلى التدريبات العسكرية التي تنتظم في هذه الأيام طوائف الأمة على بكرة أبيها ، وقالوا : إنه يحمل بهم أن يكونوا في مقدمة تلك الطوائف مرانا على حمل السلاح الجهاد في سبيل الدفاع عن الوطن . وقد استمع فضيلة الاستاذ الأكبر لرغبتهم ، ثم ذكر أن ما يرغبون فيه واجب مقدس في سبيل الوطن ، وعليهم أن لا يدخروا جهداً في سبيل الانضمام إلى معسكرات التدريب ، وأن يكسبوا من المراتب على حمل السلاح وغيره من أدوات الجهاد ما يكفيهم في ميدان الدفاع عن الوطن .

وقد رأى مندوب الأهرام ، أن يرجع إلى فضيلته ليقف على رأى الإسلام في هذه التدريبات العسكرية ، فقال فضيلته :

الدفاع عن الوطن ركن من أركان الإسلام ، وفريضة من فرائض عباداته . وإن الاستعداد له ، والتمرن على حمل السلاح وحسن استعماله للقيام بذلك عند الحاجة ، معدود من لوازم هذه الفريضة . والعلماء مطالبون بالعمل به كغيرهم من سائر المسلمين ، بل قبل غيرهم من إخوانهم أفراد الأمة . ولذلك كان علماء الصحابة أسبق الناس إلى ساحات الجهاد ، وأولهم استعداداً له ، ومبادرة لإجابة دعوة الداعي إليه .

ولما استمر القتال بالجمامة وغيرها أيام فتنة الردة ، كان علماء الصحابة وحملته كتاب الله في طليعة المجاهدين والشهداء ، ولذلك بادر الصحابة إلى جمع القرآن وكتابته لئلا يضيع شيء منه مع حفاظه من علماء الصحابة الذين كانوا أسرع من غيرهم إلى نيل مقام الشهادة في سبيل الله . وما من حرب نشبت في صدر الإسلام إلا كان علماء الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان في طليعة المجاهدين ، وأسمائهم في السطور الأولى من قائمة الشهداء ، ومواقفهم في ساحات القتال وعلى الحدود ، وفي الثغور معلومة مشهورة .

ولما فتح المسلمون صقلية سنة ٢١٢ هـ كان قائد أسطولها والرئيس الأعلى لجيوش الفتح البرية والبحرية إماماً من أئمة الفقه وقاضياً من قضاة الشرع ، هو الإمام أسد ابن القرات تلميذ الإمام مالك بن أنس ، والإمام محمد الحسن صاحب أبي حنيفة وطبقهما ،

فهو الفاتح الأول لهذه الجزيرة الإيطالية المنيعية التي نعمت بسببه بالحكم الإسلامي الرحيم زمناً طويلاً . فكان فاتحها الفقيه الإمام الكبير من أبرع حملة السلاح يمينه التي اشتهرت قبل ذلك بتدوين أحكام الشرع وبتبيين آداب الإسلام وسننه الرفيعة .

واستشهد أبو الربيع الكلاعي في واقعة أُنِجَة بالاندلس ، وهو يتقدم الصفوف ، وينادي بالجنود : أعن الجنة تفرون ؟ حتى قتل صابراً ، وكان حافظاً للحديث ، مبرزاً في نقده . وقال ابن خلدون في مقدمته : ربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الطرائف . وكان القاضي يحيى بن أكرم يخرج أيام المأمون بالطائفة إلى أرض الروم ، وكذا منذر بن سعيد قاضي عبد الرحمن الناصر من بني أمية بالاندلس .

هكذا كانت حال علماء الإسلام في كل عصر ومصر ، وعند ما حشد صلاح الدين الأيوبي الجيوش الإسلامية سنة ٥٨٣ هـ لقمع الصليبيين ولإجلانهم عن فلسطين كان في جحافلهم عدد لا يحصى من العلماء ، والفقهاء ، والصالحين ، نذكر منهم الإمام موفق الدين عبد الله ابن قدامة المقدسي مؤلف أجود الكتب وأشهرها في الفقه الحنبلي ، وأخاه الأكبر الشيخ أباعمر مؤسس المدرسة العمريّة الشهيرة في سفح جبل قايسون بدمشق ، وكانت لهما ولئلا يذعرا في معسكر صلاح الدين خيام تنقل مع الجيش من معركة إلى معركة ومن نصر إلى نصر حتى ختم الله ذلك الجهاد بموقعة حطين الفاصلة التي انتهت بإخراج جميع الأوربيين من فلسطين .

ولما عظم البغي من وثني التتار ، وزحفت جيوشهم على الشرق العربي ، كان الإمام تقي الدين بن تيمية هو معلى الفير بالجهاد العام ، وهو الذى قدم من الشام إلى مصر لاستنفار حكومتها وشعبها وجيشها للاشتراك في الدفاع ، وكان ابن تيمية في تلك الحرب أول شاعر للسيف مقاتل به ، على ما هو معروف من سيرته ، فكان بذلك من أعلام المجاهدين بالسيف كما كان من أعلام المجاهدين بدروسه ومؤلفاته .

إن جهاد علماء المسلمين في كل كتيبة خاضت غمرات الحرب استمر من صدر الإسلام في كل عصوره ، حتى في العصور المتأخرة اشتهر جهاد الإمامين الشهيدين ، السيد أحمد ابن عرفان من تلاميذ الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوى ، وصنوه الشيخ اسماعيل ابن عبد الغنى الدهلوى ، فقد قاما في الهند على رأس جيش من المسلمين في الدفاع عن حياة الأمة ببسالة منقطعة النظير إلى أن مالا مقام الشهادة في سبيل ذلك ، وهما من العلماء الاعلام في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجرى ، فكان جهادهم امتداداً لما سبقهم اليه أئمة الإسلام وعلمائهم من أقدم عصوره ، وكانوا في ذلك المثل الأعلى لجهود المسلمين في الضحية والجهاد ، وحفظاً للأوطان وإرضاء للرحمن ، وعلى غرار هؤلاء الأسلاف يسير العلماء وطلبة العلم الإسلامى في مصر وغيرها كلما دعاهم داعى الجهاد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

الإسلام لا يُقَرُّ بالمجسوبة

حديث لفضيلة الاستاذ الأكبر

إن عناية الإسلام بالناحية الخلقية للفرد والجماعة من أبرز النواحي التي تنازلها نصوصه، لأن من أكبر مقاصده تكوين الأمة الصالحة، وأول وسائل ذلك تقويم أخلاق أفرادها وجماعاتها، وحسن توجيههم إلى كل ما يرضى الله عز وجل من مكارم الأخلاق. لذلك كانت المحسوبيات والوساطات للتوصل إلى المقاصد من غير استحقاق لها في مقدمة ما قاومه الإسلام وصان أمله عن الانزلاق فيه. ولولم يكن منع الإسلام للوساطات والمحسوبيات داخلا في رسالة الإسلام الخلقية التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فإنها داخلة في إقامة الحق الذي هو ركن عظيم من أركان الإسلام، وقد سماه الله عز وجل «دين الحق»، في مواضع متعددة من كتابه الحكيم.

وأى غمط للحق أكبر من إثبات امرئ بما لا يستحقه من المنافع أو المناصب لأنه محسوب للجهة لا يمت إليها آخر هو أكثر استحقاقا وأهلية لتلك المنفعة أو ذلك المنصب؟. وأى غمط للحق أعظم من أن يجابى امرؤ في درء حد من حدود الله عنه، أو إعفائه من حق وجب عليه، رعاية للجهة قوية يمتنى إليها، أو وساطة ذى مكانة ما كان لولاها ليعنى من القيام بالحق الذي وجب عليه.

وأكثر المسلمين يحفظون في ذلك مرقب النبي صلى الله عليه وسلم من المرأة الخزومية التي سرقت. نخطبت قریش أسامة بن زيد ليحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في إسقاطه الحد عنها، فقال صلوات الله عليه: «أتشفع في حد من حدود الله!»، ثم أتى المسجد فخطب خطبته المشهورة التي قال فيها: أيها الناس، إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فبهم تركوه، وإذا سرق الضعيف فبهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها،.

ومن هذا ينبوع أخذ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المبدأ الإسلامى العظيم الذى قرره فى رسالته إلى أبى موسى الأشعرى واليه على البصرة فقال له فيها : د آس بين الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك . حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا يياس ضعيف من عدلك ، . ثم مضى على هذا المبدأ أئمة المسلمين وولانهم وقضاتهم ، وقد رأس القضاء بأجمه فى الفسطاط عاصمة الوطن المصرى ، عظيم من فقهاء الإسلام وهو ابراهيم بن أبى بكر الاجنادى ، فكان مما قاله مترجموه فى وصفه : د كان لا يقبل وساطة ولا شفاعة ، بل يصدع بالحق ، ولا يولى إلا مستحقا ، .

وابراهيم بن إسحاق قاضى مصر ذكروا فى ترجمته أنه حكم فى قضية لرجل على آخر ، وكان المحكوم عليه قريب الصلة بالامير ، فتشفع المحكوم عليه بالامير رئيسا يصطلح المتقاضيان . فما كان من القاضى ابراهيم بن إسحاق إلا أن أقفل باب المحكمة وترك القضاء وذهب إلى منزله . فأرسل اليه الامير يسأله الرجوع قائلا للقاضى : إنى لا أعود الى الوساطة فى شئ أبدا ، وليس فى الحكم شفاعة .

ومن المعلوم فى أحكام الفقه الإسلامى أن الحاكم ليس له أن يشير على الخصوم بالصلح إلا إذا لم يتبين له الحق .

وقد بقيت هذه الاخلاق فى علماء المسلمين حتى أيام الدولة العثمانية ، فقد ذكر التاريخ أن السلطان بايزيد حضر إلى المحكمة بين يدى شمس الدين محمد بن حمزة الفنارى قاضى القسطنطينية ليشهد فى قضية رفعت اليه ، فما كان من القاضى الفنارى إلا أن رد شهادة السلطان ولم يقبلها . ولما سأله السلطان عن وجه ردها قال له : إنك تارك للصلاة مع الجماعة ، فبنى السلطان فى الحال جامعا أمام قصره وعين انفسه موضعا فيه ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك .

فالمسلم الذى يأمره لإسلامه برد شهادة شاهد لسبب من الاسباب فيرد شهادته مع أنه صاحب السلطان المطلق عليه ، لاشك أنه ذو دين قد ربي أهله على إقامة الحق فى كل الظروف ، وعلى ألا ينحرف أحد منهم عن الحق لاية عاطفة من عواطف الحب والبغض ، والرغبة والرغبة .

يروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال لرجل - ولعله قائل أخيه زيد في يوم النيامة - : إني أكرمك . فقال له الرجل : وهل تمنى بهذا حقاً ؟ قال : لا . فقال الرجل : إذن لا أبالي . إنما يحرص على الحب النساء .

ومثل ذلك موقف أم المؤمنين عائشة من القائد المجاهد معاوية بن خديج السكوني أحد الذين شهدوا فتح مصر ، وكان له جهاد وفتوح في شمال أفريقيا . فإن أم المؤمنين عائشة كانت تبغضه لما بلغها من أنه كانت له يد في مصرع أخيها محمد بن أبي بكر . فلما سمعت من الذين جاهدوا تحت لواء معاوية بن خديج ثناءهم عليه ، وذكروا رفقه بهم وبالناس ، نسيت مصرع أخيها وعاطفة الكره للذين كانوا في مصرعه وقالت : « أستغفر الله ، إن كنت لا بغضه من أجل أخى ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : اللهم من رفق بأمتى فارق به ، ومن شق عليهم فاشقق عليه ، » .

وهكذا كان المسلمون والمسلمات فيما تلافوه عن معلم الناس الخير ﷺ من تربية يؤثرون بها الحق والخير على كل شيء . فالحق عندهم فوق العواطف والرغائب والأهواء ، فضلاً عن الشفاعات والوساطات .

وبذلك كانوا خير أمة أخرجت للناس ، وسيعودون كما كانوا خير أمة أخرجت للناس إذا عادوا إلى الحق في إثاره على صداقاتهم وقراباتهم وآبائهم وأنفسهم .

والذى أصيب به المسلمون أخيراً من خذلان الحق نزولاً على ميولهم ورغائبهم وأهوائهم ووساطات من يرجونه أو يخشونه ، إنما هو مرض عارض لهم بعد أن لم يكن فيهم . ولعل عدواه سرت إليهم من الأجنى الذى بلغ في أنظمة استعمار له بلاد الإسلام أن صار يؤثر بعض الناس ويقربهم ويعطيهم المناصب والمنافع لاستهوائهم . مع أن الإسلام ينهى عن ذلك وينأى بأهله عن الإسفاف إليه والانزلاق في مهابه .

وإن الرجوع بعد اليوم إلى أخلاق الإسلام سيعيد إلى المسلمين إنسانيتهم في كل ضرب من ضروب الإصلاح والفلاح ، ومنها القضاء على الوساطات والمحسوبيات إلى الأبد إن شاء الله .

كفانا تقليداً في الفقه

لعل من شر ما تمنى به جماعة من الجماعات ، وبخاصة في الفترة من فترات نهضة الأمة ، أن يكتفى بعض أفرادها بترتيب المقدمات دون استخلاص النتائج منها ، والاعتكال على الدعاوى والأمانى الطوال العراض من عمل جاد يؤدي إلى تحقيقها ، وإرسال القضايا من غير براهين تؤيدها ، وقد تكون هذه البراهين على حبل الذراع لمن يريد !

وهذه الحالات وأمثالها ، ظواهر نراها كثيراً في كل آن ، ولكنها أكثر ظهوراً هذه الأيام : وهي مع ذلك من أمارات ضعف الهمة وكسل العقل وعدم الإقبال على تناول الحياة تناولاً جاداً كما يفعل أصحاب الهمم القوية والعقول المستقيمة الراغبون حقاً في السير بالحياة دائماً إلى الأمام . ولهذا ، نراهم يتخذون للأمر عذته ، ويسلكون إليه السبل المنجحة .

وقد دأبنا ، نحن في الأزهر ، منذ زمن بعيد على ترديد هاتين القضيتين :

(١) صلاحية الفقه الإسلامى ، باعتباره مجموعة من القوانين الإلهية والإنسانية ، لكل زمان ومكان .

(ب) إن هذا الفقه قانون حى خالد ، وقابل للتطور ليناسب كل زمن وبيئة وليصلح أساساً لحل ما ينوبنا من مشا كل مختلفة .

ثم أخذنا هاتين القضيتين سنداً وأساساً لما نلح في طلبه هذه الأيام ، تعنى وجوب أن تكون الشريعة الإسلامية هى المصدر الوحيد لتشريعاتنا وقوانيننا التى تحكم بها الأمة .

ذاك ما نردده ، وهذا ما نلح فى طلبه ، وهذا وذاك حق فى نفسه ، ولكن لم نسع خطوة واحدة فى تأييده وتقديم الأدلة الصحيحة عليه من واقع الفقه وواقع الحياة ومشاكلها التى تتطلب منا أن نتقدم بحلولها من تراثنا التشريعى المجيد .

إننا اكتفينا بالقضايا نرسلها لإرسالا ، وهى وإن كانت صادقة فى رأينا لا بد من التدليل

عليها ليؤمن الآخرون ، كما قنعنا بالأمانى نطالب بها ، دون أن نسير في السبيل الذى يفتى إلى تحقيقها . بل ، إننا لو أردنا أن نسير في هذا السبيل نجد عقبة كبرى تسد أمامنا الطريق وهى عقبة التقليد الذى ران على القلوب والعقول منذ قرون طويلة .

وهذه العقبة صارت مشكلة من مشاكل اليوم ، وصرنا نحس أن لها ناحيتين فى كليهما يمكن الخطر الشديد بل إن هذا الخطر قد استعلن منذ أمد بعيد . نعى بذلك ناحية الجود فى الفقه والتشريع ، وناحية الطفرة فى الاجتهاد بفتح أبوابه لكل من أراد ، فيلج منها من ليس أهلا له .

نعم ! هناك طائفة ، هى الكثرة الكثيرة من رجال الدين والفقه فى مصر ، وغير مصر من البلاد الإسلامية ، ترى أن ليس فى الإمكان أبدع مما كان ! وأنه ليس لنا أن نخيد عن آراء الفقهاء القدامى التى تملأ كتب الفقه ، فى ترتيب أحيانا وفى غير ترتيب أحيانا أخرى . وهم لذلك ، يستمسكون استمساكا شديدا بباب الاجتهاد الذى أقفل منذ قرون حذر أن يحاول أحد من رجال الفقه اليوم فتحه ، فيكون فى هذا بلاء شديد .

وهناك فى الطرف الآخر جماعة من الشباب ، متأثرون بغيرهم من المفكرين غير الأزهريين ، يرون أنه آن لهذا الباب أن يفتح على مصراعيه بعد طول إغلاق ، وأنه آن لنا أن نجتهد ونستحدث من التشريعات ما يناسب هذا العصر الذى نعيش فيه ، وما فيه حلول صحيحة للمشاكل التى جدت وتجد على مر الأيام .

إلا أن جماعة هذا الطرف - وهما الخطر - تظن أن الخطب سهل يسير ، وأنه ما على من أخذ شيئا من الفقه والقانون إلا أن يخالف ما ذهب إليه رجال الفقه الأقدمون رضوان الله عليهم ، فإذا هو مجتهد ، وإن لم يكن على شيء من العلوم والدراسات التى لابد منها لمن يكون له أن يتعرض للاجتهاد !

ومن ثم نرى أننا بين طرفين كلاهما غال : مفرط أو مفرط ، وكلاهما خطر ، وكلاهما لا يليق بنا أو بأى من الناس ينتسب للعلم ، ومن ثم نرى أنه خير لنا أن نواجه هذه المشكلة وألا تتعالمى عنها ، وأن نعمل على حلها حلا حاسما يعالجها من طرفيها : طرف الجود والتقليد ، وطرف الرغبة فى الطفرة بالاجتهاد .

ولعل هذا الحل هو التوسط بين الطرفين ، فقديمًا قيل : إن كلا طرفي الأمور ذميم ، وإن خير الأمور الوسط ، وهذا التوسط نجده في القرآن الكريم الحكيم نفسه ، وهو الأساس الذي قام عليه مذهب أرسطو في علم الأخلاق .

وإن من الحق أن الاعتزاز بتراث الماضين من الأجداد والأسلاف أمر طبيعي وغريزي في الإنسان ، وأنه من العيب والحق أن نحاول التنكر لهذا التراث والاستغناء عنه ، وأنه من المستحيل على أحد من الناس أن يقيم علماً من العلوم دون أن يفيد من جهود الماضين وثمار تفكيرهم .

كل هذا حق ، بل حقائق بديهية لا ينكرها إلا أحمق عابث ، أو معاند مكابر ، ولكن من الحق أيضاً أن الجمود من سمات الموت ، وأن الحركة هي الخاصة الأولى للحياة : وأن القرآن العظيم نعى في كثير من آياته السكينة على التقليد والمقلدين . لأن هذا التقليد للأباء والأجداد ، في غير حق ومع وضوح الدلائل على بطلان ما يدعو إليه ، كان ولا يزال من أكبر العقبات أمام الإصلاح والمصلحين .

وقد نهى أئمة الفقه أنفسهم ، رضوان الله عليهم وأثابهم خير الجزاء ، عن تقليد سلفهم ، وقد نقل هذا النهى عن الإمام أبي حنيفة وغيره ، ومن ذلك قول الشافعي كما ذكره عنه البيهقي : « مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل ، يحمل حزمة من حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري » . ويذكر إسماعيل بن يحيى المزني في أول مختصره في الفقه بأنه اختصره من علم الشافعي ليقربه على من أراده ، مع إعلانه نهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه ^(١) .

وليس لأحد منا أن يخلط بين التقليد المنهي عنه ، وبين الاتباع المأمور به والذي أثنى الله تعالى عليه بقوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فيقول بأن تقليد هؤلاء اتباع لهم يرضاه الله جل ثناؤه . نعم ! ليس لنا أن نلجأ إلى مثل ذلك ، فإن اتباع الجلسة من صحابة للرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار هو احتذاؤهم في طرق

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ، ج ٢ : ١٢٩ - ١٤٠ ، من طبعة منير الدمشقي .

استدلّاهم وفي الأحكام الشرعية التي أخذوها من الكتاب والسنة ، و فرق بين هذا وبين التقليد الذي نهوا هم عنه !

وقد ذكر أبو داود أنه سمع الإمام أحمد بن حنبل يقول : « الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه ، ثم هو من بعد في التابعين مخير » . كما أنه قال أيضاً : « لا تقلدني ، ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي ، وخذ من حيث أخذوا » . (١) فإين هذا مما نحن عليه اليوم من تقليدنا غير قليل من الفقهاء المتأخرين ، وجعل آرائهم شرعة واجبة الاتباع !

وهناك ، بعد ما تقدم ، وجه آخر لمشكلة الاجتهاد والتقليد له خطورته أيضاً ، ونعني بهذا الوقوف على ما نص عليه الفقهاء القدامى فقط . فإن الواحد ممن له ملكة فقهية ، وله من الخلق والدين ما يعصمه عن الميل مع الهوى ، قد يرى الرأي الصالح لحل مشكلة من مشاكل العصر الاجتماعية أو الاقتصادية فيقال له : ائتنا بنص من كتب الفقه !

يا لله من هذا الجلود ومن هذا اللون من الحجة ! إن كثيراً من مشاكلنا التي تتطلب حلولاً تتفق وشريعة الله وقرآنه وسنة رسوله لم تعرض في الأزمنة المتقدمة ، فكيف نطالب بالإتيان بنص من الكتب السالفة فيها ؟ ولو أنها عرضت في تلك الأزمنة ، لكان من الراجح جداً أن نرى أولئك الفقهاء قد عالجوها بما يتفق والصالح العام في زمانهم .

ثم ، كيف نعيب على أهل الظاهر مذهبهم الذي يوجب عليهم الوقوف عند ظاهر الكتاب والسنة ، ويتركون من أجل ذلك التعليل والقياس وسائر أصول الفقه وأدلته الأخرى ؛ ثم لا نعيب على أنفسنا هذه المطالبة بالوقوف عند ظاهر نصوص الفقهاء حتى المتأخرين منهم !

إن رحمة الله ، أيها القوم ، واسعة تسع الناس جميعاً في كل عصر ، وإن الله لا يخلو أمة الإسلام في كل عصر من بعض من يمكن أن يكونوا أئمة في الشريعة باجتهادهم متى كانوا

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ج ٢ : ١٣٩ - ١٤٠ ، من طبعة منير الدمشقي .

أهلا له . وإن تاريخ الفقه الإسلامى ليؤكد لنا جميعاً أن كثيراً من آراء الأئمة القدامى ، رضوان الله عليهم ، قد تغيرت بتغير الزمن والحال ، ومنهم أنفسهم من رجعوا عن آراء كانت لهم إلى أخرى اقتضتها المصلحة أو ظهور أدلة أخرى لهم ، وقد كانوا في هذا وذاك كله لا يستلهمون أو يتقيدون إلا بالقرآن والسنة الصحيحة .

وإن الأزهر يكون عقيماً لو حكمنا أنه ليس من أبنائه ورجالائه الفقهاء من هو أهل للاجتهاد في هذه الأيام ، وإن كلية الشريعة لا تقوم برسالتها إن لم تكن قادرة على إعداد طائفة من علمائها ليكرنوا أهلاً للاجتهاد ، وإن الله تعالى أرحم بعباده وبالعالم الإسلامى كله من أن يجعلنا دائماً عالة على تراث العصور المتأخرة .

من ذلك كله ، نرى أن الأمر جد خطير ، وأن مشكلة الاجتهاد والتقليد والوقوف عند نصوص الفقهاء المتأخرين بلغت الذروة من التعقيد ، وأنا صرنا في مفترق الطرق ، وأن علينا أن نختار الطريق الذى يجب أن نسير فيه ؛ حتى لاندع الأمر فوضى ، وحتى لا نظل الشبهة في ذنبه وحيرة ، بين الجمود وبين الطفرة .

إن من الخير ، بل من الواجب ألا يظل شيوخنا في العلم وزملاؤنا في الدرس على ما عليه أكثرهم من الغلو في التقليد ، وأن يفتحوا صدورهم للأراء الناضجة تصدر عن أهلها ولا تتعارض مع الكتاب والسنة .

وإن من الواجب على أبنائنا وإخواننا ، من الأزهريين ، أن يترشوا فلا يحاولوا الطفرة ، فإنه ليس في الطفرة في الغالب من الأمر إلا الشر ؛ وألا يحاولوا الوثوب ، فإن في الوثوب في كثير من الحالات دق الأعناق .

وإن علينا جميعاً ، في مصر وغيرها من بلاد الإسلام ، أن نحس إحساساً بما لهذه الفترة التى نعيش فيها من خطورة ، وأن نعمل على أن يتطور الفقه ويتسع — في ضوء الكتاب والسنة دائماً — ليكون هو المصدر الأول للقوانين التى تحكم بها الأمة .

وهذا ما لا يكون قط بجمودنا ، وإغفالنا تطور الزمن وتنوع أحداثه ومشاكله . هذا الزمن الذى تدور عجلته دائماً وفي إسراع ، وتختلف وراها من لم يتعلق بها ويتخذ له مكاناً فيها ، وكفانا ما صرنا إليه من تخلف لازمنا قروناً ولازلنا نعانى من عقابيله حتى اليوم .

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية

كلية الحقوق - جامعة فؤاد

إمكّام

وهو ذلك الذى تحدثت فى مقال سابق بما صور فضله ، وأبان قدره ، وتناول بشىء من البسط مبلغ علمه وبصره بالكتاب والسنة والفقه الإسلامى .

وأنا اليوم أحاول أن أتناول بشىء من البسط مبلغ تقواه ، وصفاته النفسية والأدبية ، ونواحيه العظيمة العملية التى انبعثت عن فيض معرفته وعلمه النافع ، وما فيه من مواهب فطرية ، وخصوصية جبليّة ، وما كان ينطق به من حكم روائع ، ومعان بدائع ، نضحها عليه قلبه السليم ، ودينه القويم ، وفضل الله العظيم : د ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب . .

ولعمرك إذا كان الناس كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : د معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا ، ، لقد تمثل هذا المعنى جليا فيما ظهر من عبد الله بن مسعود فى صباه . أول ما اجتمع به محمد رسول الله قبل أن يؤمن به ، لحرص على تمثيل الأمانة والوفاء . ولم يقبل أن يمنح محمدا وصاحبه شربة لبن من غنم هقبة آجره ، لأنه مؤتمن ، والمؤتمن لا يخون ، فهو من ضميره فى يقظة لا يضطرب ولا يخاف فى الحق لومة لائم . وإن كان فى أمر يتساح الناس بمثله وهو شربة من لبن لقادم كريم له خطره ومركزه — هو محمد وصاحبه — ضم إلى ذلك ما تعطيه هذه القصة (وقد أوردتها لك من قبل) من معنى آخر ملأه علما وحكمة وجعله من أحبار هذه الأمة الاختيار . ذلك هو انقياده للحق واستجابته أيضا لدعوة النفس الباطنة التى لمست نور النبوة فى محمد ، وأنست نفس الحق من قبل ما منح الله عبده من مكرمة ، وأجرى عليه من معجزة . فهو لم يشك كما شك المتجبرون ، ولم يصف المعجزة بالسحر أو الخرافة كما كان يقول الجاهلون . وهنا يتجلى لك فرق ما بين الجبار المستكبر الذى ران على قلبه كبره وبطره ، وختم على سمعه وقلبه وبصره طيشه وغروره واعتداده بمظهره واعتزازه بغير خالقه . وما بين الرضى الحليم والناظر الحكيم وطالب الحق . لقد وصف الله سبحانه أولئك الجبارين فقال : د سأصرف عن آياتى الذين

يتكبرون في الارض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشـد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ، ، ووصفهم بكثير من الصفات التي جعلتهم شر الخلق وأهل الجهل والكفر . وأحق الناس بجهنم وساءت مصيرا .

وافد وصف المتواضعين المستضعفين فقال : « وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ، ، ووصفهم بكثير من الصفات التي جعلتهم خير الخلق وأهل الإيمان والعلم . ولما سأل هرقل أبا سفيان عن محمد : أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ قال بل ضعفاؤهم فقال هرقل : هم أتباع الرسل . ذلك بأن فطر هؤلاء أسلم ، ونظرهم أحكم ، وبصيرتهم أنقى ، وقلوبهم أنقى .

وكان عبد الله بن مسعود واحداً من هؤلاء ، فهو لم يشك في الحق منذ رآه ، ولا حال دون اتقياده تقليد ولا جاه ، ولكنه لبى داعي الفطرة ، وانتزح للسمو هذه الفرصة ، والله ولي المتقين .

كان إذا أميناً وفيّاً ، وكان بفطرته برّاً تقيّاً ، متقاداً للحق لا يستبدل به . فند انتقاد لمحمد قبل أن يدعوه ، وقد عرف فيه النبي ﷺ بفراصة النبوة ونور اليقين ، أنه من أهل العلم الفطري الذي هو أصح العلوم وهو نور يقذفه الله في قلب عبده ، وهداية إلى الصراط من عنده . فلما قال للنبي ﷺ : علمني من هذا العلم . قال له : « إنك غلام معلم ، ، وكانت بشرى فتحت أمام عبد الله أبواب الطيران والتحليق في جو السماء للسمو الروحي والكمال النفسى ، وكذلك المؤمن إذا مدح في وجهه ، فلزم باب أمير الانبياء ، وكان ما أعطاء الله مما شاء .

وترى من عجائب صنع الله في هذه النفس المتواضعة السامية مظاهر من الجهاد والجلاد والتضحية في هذا الجسم النحيل الضئيل القمى الذى كان إذا وقف وازاه الجسوس . وكان إذا صعد شجرة ضحك الناس من دقة ساقيه اللتين يسكادان يسكونان كساقى الطائر فيقول لهم رسول الله : « مم تضحكون ؟ لرجل عبد الله أنقل في الميزان يوم القيامة من أحد ، .

ولقد صدق السيد الرسول ، فهمى رجل طالما سعت في مرضاة الله ، تحمل هذا الجسد الناحل إلى معارك الجهاد ومواقف الجلاد ، وتخطو به إلى المساجد لطلب العلم ، وإقامة

الصلاة ، وترفعه عن مضجعه بين يدي الله في جوف الليل إذا ارتخت رجل النائم الغافل ، ما سارت به في رغبة ، ولا حملته نحو فاحشة ، ولا سمعت به إلى نسيمة ، فأى رجل أجدر منها أن تكون ثقيلة في الميزان ، وإن خفت في هذا الجسد الفاني .

فأنت قد قرأت أنه أول من جهر بالقرآن ، في سورة الرحمن ، حين قال المسلمون إن قريشا لم تسمع هذا القرآن يجهر به . ولعله يفتح في بعض النفوس منهم بابا إلى الهداية أو طريقا إلى تخذيل بعض المعاندين أو المتحاملين الذين يقتلدون في العداء ، ولا يبصرون حقيقة الدعوة الكريمة . ثم قالوا : فمن يستطيع أن يسمعهم دعوة الحق في هذا الكتاب العظيم ؟ وتلكا الجميع وخافوا عاقبة هذه المخاطرة ، إلا عبد الله ، ذلك الغلام المعلم ، فإنه قال : « أنا ، أنا ، . » وعندها أشرأبت الاعتاق إليه ، وتجمع القوم حواليه . أنت أيها الضعيف في بدنك ، المضطهد في بيتك ؟ إنما نريد رجلا له عشيرة تحميه ويديت يؤويه ، وجماعة تدفع عنه السوء . وتراجع الجميع أيضا إلا عبد الله فإنه قال : « أنا وحدي ، دعوني فإن الله سيمعني ، . » وعندها علم القوم أنه استجاب لداعى فطرته (وهو الغلام المعلم . والمحدث الملم) .

وأقرب عبد الله بن مسعود المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها بالحرم ، تجتمع حول رؤساء الضلال طوائف طوائف ، فوقف عبد الله يعلنه إيمانا خلق فيه بروحه العظيم ، وظهر فيه جبروت نفسه الجبار ، لا يرى إلا الحق يملأ طباق الأرض وآفاق السماء : « بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان . » واستقبلها فقرأها . وطاشت أحلام قريش ودهشوا لهذا المظهر ، فقاموا إليه بحكم العادة الآلية ينهلون عليه ضربا في وجهه وسائر بدنه ، وهو سائر في قراءته مطرد في اتجاهه ، لا يحس ما يجري عليه ، ولا يفكر إلا في صفات الرحمن ، وما أنشأ في الأكوان . وهذا الذي تحمله السورة من معان . ولا يقف إلا بروحه الطاهرة ، ونفسه السبوية . ولو كان يعمل بهذا الجسد لما كان فكر بالأمس ، ولما احتمل ذلك الضرب القاتل هذا اليوم .

لو كان عبد الله يعمل بهذا الجسد . لما قال لأصحابه من الصف الأول الحمدي وقد قالوا له : هذا الذي خشيتنا عليك : ما كان أعداء الله قط أهون على منهم في هذا اليوم ، ولئن شئت غاديتهم بمثلها غدا .

ولقد كان عبد الله جديراً أن يغاديتهم بمثلها لولا أن الصحابة قالوا له حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون .

فهذه أيضاً من صفات عبد الله التي جعلت له منقبة في الإسلام لم يسمع بمثلها إلا عن عمر ابن الخطاب حين دخل الإسلام فأعلنه . ولكن فارقا بينهما لا يجهل ، هو أن لعمر منعة في عشيرته وله قوته المادية ، وأما عبد الله فإن منعته في عشيرة السماء . وأكرم بها ، وفي قوة الروح وأهول بها ، أليس جديراً إذا بهذا الرجل أن يكون أقرب الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل هذه النفس السكرية .

أليس جديراً بمثله ذلك ، وقد حاول أن يفتك يوم بدر بعصاة الكفر في زعيمها أنى جهل . ولما سبق إلى ذلك علاه في مصرعه واحتز رأسه وأخذ يجر به حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك له إعجاباً وتقديراً .

كان يتمثل في عبد الله ما وصف الله به جماعة الصف الأول أعظم تمثيل : لقد وصفهم الله سبحانه فقال : « والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ينتفون فضلاً من الله ورضواناً » ، فكان عبد الله شديداً على أعداء الحق فيما رأيت من بعض صوره ، رحماً في جماعة الحق فيما استفاضت به أخبار الجماعة من مشابته لرسول الله في دله وهديه ، وما اطردت به الأخبار من لينه ورفقه .

وقد استطارت الأخبار أن جماعة من خيرة هذه الأمة كانوا عند علي بن أبي طالب فقالوا : ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً من عبد الله بن مسعود ، ولا أرفق تعليماً ، ولا أحسن مجالسة ، ولا أشد ورعاً . فقال لهم علي : « أنشدكم الله ، أهو الصدق من قلوبكم ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد ، إني أقول بمثل ما قالوا وأفضل .

وأما ركوعه وسجوده فحسبك من رجل لزم باب النبي فلم يتركه في سفر ولا حضر حتى كان يرى من هله وهو غلام معلم ، وحريص على الاتباع والإفادة من كل مافي هذا الدين من أدب وتوجيه . روى صاحب أسد الغابة عن عبيد الله بن عبد الله بن مسعود قال : كان عبد الله إذا نامت العيون قام ، فسمعت له دوياء كدوى النحل حتى يصبح .

وروى أبو نعيم بسنده إلى عمر بن الخطاب أنه قال لرجل (في مناسبة) سأحدثك عن عبد الله ، « إنا سمرنا ليلة في بيت أبي بكر ثم خرجنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبين أبي بكر : فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ ، فقام النبي ﷺ يستمع إليه فقلت : يا رسول الله أعمت فغمزني بيده أسكت . قال فقرأ وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر

فقال النبي ﷺ : سل تعطه ، ثم قال : د من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، الحديث^(١) ، والأخبار في قراءته وحب رسول ﷺ لها وثناؤه عليها كثيرة ، وإنما المقصود إثبات أنه كان من الراكعين الفاتنين الذين يبيتون لرهبهم سجداً وقياماً .

وجدير بمثله أن يكون مذهب النفس ، قوى الإيمان بالله حكماً فيما يباشر من أمر في الحياة ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب .

وهل نجد تهذيباً أعظم من ضبط نفسه ، وعدم اغتراره بمركزه ، ووضع كل شيء في موضعه غير مباه ولا تخور ، نقد ولاد عمر بيت المال بالكوفة وما عرف رجل أشد تخبيراً منه لعماله ، وأقره إلى آخر حياته في حين أخذ على غيره من كبار الصحابة بعض الترخصات ، فعزل بعضاً وأدب بعضاً . ثم بقي في عهد عثمان واليا حتى كانت الفتنة ، وكان يخالف عثمان ولا يخرج عليه التزاماً لجانب الأدب وتهدة الفتنة . ثم استدعاه عثمان فما تلهكاً ولا خالف .

ولما قيل له أقم بالكوفة ونحن نمنعك قال قوله الفصل والحكمة والدين : د إن له على حق الطاعة ، وإنها ستكون فتن وأمور ، فلا أحب أن أكون أول من فتنها ، فرد الناس وخرج إليه . رحك الله يا عبد الله لقد تخففت من جميع الأوزار . وثقلت في كل أعمال الأبرار ، حتى قال فيك حذيفة وهو الناقد العليم بالرجال : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة ، ولأننى أسأل الفاروق الكريم أن يتأمل قوله (أقربهم وسيلة) فهى عبارة تدل على أن جميع الأصحاب دونه . وهى عقيدة عجيبة جداً ومهما يكن فإن لها دلالتها على مقام عبد الله وأن له أنصاراً ومعجبين من خلاصة الصحابة .

وبلغ من رفع محمد ﷺ قدرة أن قال : لو كنت مؤمراً أحداً من غير مشورة لامرت عبد الله بن مسعود . وقالوا إنه بعد رسول الله ﷺ شهد المشاهد العظيمة ومنها اليرموك بالشام .

وقالوا إنه مريض فماده عثمان فقال : ما تشكى ؟ قال : ذنوبي . قال : فاستهي ؟ قال :
رحمة ربى . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضى . قال : ألا آمر لك بمطاه ؟
قال : لا حاجة لى فيه . قال : يكون لبناتك ؟ قال : أنتخى على بناتى الفقر ؟ ولانى أمرت بناتى
أن يقرأن سورة الواقعة ، وروى حديثاً فى ذلك عن رسول الله .

وبعد فهذا ابن مسعود أقدم لك منه رجلاً فاضلاً تقياً عاملاً نافعاً مصلحاً صالحاً ، بعد
أن قدمته لك قارئاً حافظاً وقيماً معلماً . وهو فى كلنا حاله المثل الأعلى والنظ الذى لا يلحق
فان تقاضيتنى عدنى بنقل أقواله ، فلن أعتذر إليك على رغم إطالتي عليك ، ولكنى سأورد لك
القليل بجزئنا به . والعلم أكثر من أن يحاط به .

وردت عن عبد الله بن مسعود آثار كثيرة فى توجيه القارىء والعالم ، وفى الحث على العلم
وطلبه . فمن ذلك قوله : ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بلبله إذ الناس نائمون . وبهسه
إذ الناس يفترون . وبجزئه إذ الناس يفرحون . وببكائه إذ الناس يضحكون . وبصمته
إذ الناس يخلطون وبخشوعه إذ الناس يمتثلون ، ولا ينبغى لقارىء القرآن أن يكون جافياً
ولا غافلاً ولا صخاباً ولا صياحاً ولا حديداً .

وقوله : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل . فان أصغر
البيوت من الخير البيت الذى ليس فيه من كتاب الله شىء . وإن البيت الذى ليس فيه
من كتاب الله شىء تكراب البيت الذى لا عامر له . . ! إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها
بالقرآن ولا تشغلوها بغيره . . ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية . . ويل لمن
لا يعلم ولو شاء لعلم . . ويل لمن يعلم ثم لا يعمل سبع مرات . . ما منكم من أحد إلا أن ربه
سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ، فيقول : يا ابن آدم ما غرك بى . ابن آدم بماذا
أجبت المرسلين . ابن آدم ماذا عملت فيما علمت . . إنى لأحسب الرجل ينسى العلم كان تعلمه
للخطيئة عملها . »

ومن مواضعه التى تدل على صحة توحيده وزهده وإقباله على الله قوله :

« ذهب صفو الدنيا وبقي كدرها ، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم . »

ألا حبذا المكروهان الموت والفقر . وأيم الله إن هو إلا الغنى أو الفقر . وما أبالى
بأيهما ابتليت . إن كان الغنى ، إن فيه للعطف وإن كان الفقر ، إن فيه للصبر . .

هذه حكمة تعلم الناس عدم التكالب وتلفتهم إلى تبعات الغنى وواجباته ، وأن المسال للعطف وإلا فاهلاك .

قال : « لا يبالغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته ، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقير أحب إليه من الغنى ، والتواضع أحب إليه من الشرف . وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء .

« والذي نفس عبد الله بن مسعود بيده ما يضر عبدا يصبح على الإسلام ويمسى عليه ما أصابه في الدنيا .

« والذي لا إله غيره ما أصبح عند آل عبد الله ما يرجون أن يعطيهم الله خيرا أو يدفع عنهم سوءا إلا أن الله قد علم أن عبد الله لا يشرك به شيئا ، .

وقال رجل عنده : ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين . أكون من المقربين أحب إلى .

فقال ابن مسعود : لكن ههنا رجل يود أنه إذا مات لم يبعث ، يعنى نفسه .

وما أكثر مواعظه وجوامعه ومن أعجب المطولات المقبولة إلى نفسى قوله فى حديث طويل : « وأشرف الحديث ذكر الله ، وخير القصص القرآن ، وخير الأمور عواقبها ، وشر الأمور محدثاتها . وما قل وكفى خير مما كثر وألغى . ونفس تنجىها خير من إمارة لا تحصيها . وشر العذيلة حين يحضر الموت . وشر الندامة ندامة القيامة . وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى . وخير الغنى غنى النفس . وخير الزاد التقوى . وخير ما ألقى فى القلب اليقين . وشر العمى عمى القلب . والخمر جماع كل إثم . والنساء حباله الشيطان . والشباب شعبة من الجنون . والفرح من عمل الجاهلية ، . الخ ما قال .

رحم الله عبد الله لقد كان أمة يملأ الدنيا على ضآلة جسمه ، وقلة ماله وأحر جان يقال فى مثله :

والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

محمود النواوى

نشأة كتب الأمل وخصائصها إمالي المرتضى

المرتضى هو أبو القاسم علم الهدى علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين ، يفتى نسبه في نظر النسابة إلى علي بن أبي طالب .

ولد ببغداد في سنة ٣٥٥ هـ ، وتوفي بها في سنة ٤٣٦ هـ ، وهو أكبر من أخيه الشريف الرضى الشاعر المشهور .

وصفه ابن بسام الأدلسي في آخر كتابه « الذخيرة » ، فقال : « كان هذا الشريف إمام أمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ، إليه انتمى علماءها ، وعنه أخذ عظمائها ، صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وآنسها ، ممن سارت أخباره ، وعرفت به أشعاره ، وحدث في ذات الله مآثره وآثاره ، تأليفه في الدين وتصانيفه في أحكام المسلمين ، مما يشهد أنه فرع تلك الأصول ، ومن أهل بيت الرسول . »

آلت إلى الشريف المرتضى نقابة العلويين بعد أخيه الشريف الرضى - وهي رئاسة آل البيت العلوي والحكم فيهم مستقلين عن طبقات الأئمة الإسلامية لما لهم من الاتصال بصاحب الرسالة عليه السلام - ولا يزال في أكثر البلدان الإسلامية نقابة للأشراف تنظر في شئونهم ، وإن لم يكن لها من الميزات كل ما كان لها في حكومة العباسيين أيام حياة الشريف المرتضى .

وكان المرتضى إماماً في علوم كثيرة كالفقه وعلم الكلام والأصول والأدب والنحو والشعر واللغة ، مما دعا أبا العلاء المعرى إلى مدحه بقصيدة جاء فيها :

لو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار

قيل إنه مؤلف « نهج البلاغة » المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب ، وقيل إن أخاه الشريف الرضى هو الذي ألفه .

وله ديوان شعر يبلغ العشرين ألف بيت أو يزيد ، ولكن شهرته في الشعر أقل من شهرة أخيه الشريف الرضى .

والشريف المرتضى فضل كبير على التعليم عند الشيعة ، كان يرعى علماءهم ويمجى عليهم الأرزاق من ماله ، وقد كانت له ثروة طائلة ، وجمع عددا كبيرا من الكتب ، واشتهر مجلس علمه ، فكان له تلاميذ كثيرون يحضرون عليه ، قيل إن عددهم بلغ الأربعمائة .

وله مؤلفات كثيرة ، ظلت تدرس مع التوفير في مدارس الشيعة ، عدة قرون ، خصوصاً كتابه « الذريعة إلى أصول الشريعة » ، وهو في أصول فقه الشيعة ، « غنى فيه بمسائل الخلاف أكثر من عنايته بما اتفق عليه .

ومن أشهر مؤلفاته كتابه « غرر الفرائد ودرر القلائد » المشهور بأمالى المرتضى . هذه الامالى هي مجالس ، وكل مجلس يبتدىء غالباً بآية من القرآن أو حديث ، ثم يستطرد المرتضى بعد ذلك إلى الشعر والادب .

وأزهى ألوانها علم الكلام ، وبخاصة آراء المعتزلة ، ففيها تقرير لآرائهم ، ودفاع عن مذاهبهم ، ومناقشة لآراء المعارضين ، والرد عليها . فن موضوعاتها التي تمت إلى مذهب المعتزلة :

رؤية الله تعالى - خلق أفعال العباد ، مسألة إرادته تعالى القبائح والرد عليها ، القول بوجوب الإصلاح عليه تعالى .

وإلى جانب هذه الموضوعات الكلامية ، موضوعات طريفة في الأدب والنقد ، وتأويل الأحاديث ، وأصول اللغة ، وبين هذا وذاك استطرادات في ترجمة كثير من الشعراء والعلماء ، وتحقيق لأسرار بلاغية في أسلوب القرآن .

ففيها مثلاً حكمة التكرار الواقع في سورة « الكافرون » ، وسورة « الرحمن » ، وبيان أن ذلك جار على ما عرف في أساليب العرب في بلاغاتهم ، وسوق الأمثلة على ذلك .

وفيها باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تسمى المسكنة . وتمهيد المصنف في ذلك . وفيها رد على الآمدى في نقده لشعر المجترى .

وفيها استرواح بذكر حكايات لطيفة وفكاهات خفيفة .

وفيها ترجمة لكثير من الشعراء والكتّاب الذين اتهموا بالزندقة كطبيع بن إياس ، وصالح بن عبد القدوس ، وابن المقفع وبشار بن برد .

وهذه الامالى عدد مجالسها ثمانون ، تبتدى بتأويل قوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفها . ففسقوا فيها) إلى آخر الآية .

وتنتهى مجالسها بمجلس فى تأويل قوله تعالى (وهديناهم لنجد) .

فرغ المرتضى من أماليه هذه أو مجالسه يوم الخميس فى الثانى والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة ٤١٣ هـ) .

وقيل أن نسوق أمثلة من تلك الامالى نجيب عن سؤال يدور فى ذهن الباحث وهو : كيف أن اماماً من علماء الشيعة يتولى الدفاع عن آراء المعتزلة والترويج لمذهبهم . أما كان الاجدر أن يكون لسانا من السنة الدفاع عن أهل السنة ؟

وللجواب عن ذلك نقول :

إن المرتضى نفسه جاء فى أماليه بما يصلح أن يكون جواباً ، فقد عقد فى أماليه المجلس العاشر ، جاء فيه .

د اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين على عليه السلام ، . فالشيعة إذن يعتقدون أن أصول المعتزلة مأخوذة من رأس أئمتهم على بن أبى طالب . فالمذهب الشيعى ينطوى بطبيعته على اتجاه يخالف اتجاه السنة مخالفة صريحة ، والنزعة الغالبة على التشيع فى المسائل التى لا تتأثر الإجابة عليها بنظرية الإمامة إنما تقترب كثيراً من نزعة المعتزلة ، حتى أن فقهاء الشيعة عرفوا كيف يستعينون بالآراء الاعتزالية على بناء القواعد الخاصة بمذهبهم ، فقد مالوا إلى أن يتسموا بالعدلية ، أى أنصار العدل ، وفى هذا كما يبدو اتصاف باللقب الذى أطلقه المعتزلة على أنفسهم .

ومن مبادئ المعتزلة التى تتجلى فيما أقره فقهاء الشيعة ، مسألة أن الإمام الخفى ينتمى إلى مدرسة العدل والتوحيد ، أى إلى مذهب المعتزلة .

وقد قال الشيعة كما قال المعتزلة بأن صفات الله غير ذاته ، وبأن القرآن مخلوق ، وبانكار الكلام النفسى ، وإنكار رؤية الله بالبصر فى الدنيا والآخرة .

كما وافق الشيعة المعتزلة فى القول بالحسن والقيح العقلين وبقدرة العبد واختياره ، وأنه تعالى لا يصدر عنه قبح ، وأن أفعاله معللة بالعلل والأغراض .

على أن كثيراً من المعتزلة كان يتشيع ، والظاهر أنه عن طريق هؤلاء تسربت أصول المعتزلة إلى الشيعة .

وبعد ، فهناك أمثلة من أمالي المرتضى تصور فنونها المختلفة ، واتجاهاتها المتعددة .

قال في المجالس التاسع :

إن سأل سائل :

ما وجه التكرار في سورة (الكافرون) وما الذى حسن إعادة النفي لكونه عابداً ما يعبدون ، وكونهم عابدين ما يعبد ، وذكر ذلك مرة واحدة يغنى ؟

وما وجه التكرار في سورة (الرحمن) بقوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ؟
عن هذا السؤال ثلاثة أجوبة :

أولها : ما حكى عن أبى العباس ثعلب أنه قال : إنما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى .

وتلخيص الكلام : قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ، ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضاً ، واختص الفعلان منه ومنهم بالحال . وقال من بعد ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل ، ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون .

فاختلفت المعاني ، وحسن التكرار في اختلافها ، ويجب أن تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم أنه لا يؤمن . وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبى جهل والمستهمذين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد .

والجواب الثانى : وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد ، كقول الجيب مؤكداً بلى ، بلى ، والمتنع مؤكداً : لا ، لا . ومثله قول الله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) .

والجواب الثالث : وهو أغربها أنى لا أعبد الأصنام التى تعبدونها ولا أنتم عابدون ما أعبد أى أنتم غير عابدين الله الذى أنا عابده إذ أشركتم به واتخذتم الأصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه وإنما يكون عابداً له من أخلص له العبادة دون غيره وأفرده بها وقوله (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى لست أعبد عبادتكم ، و (ما) فى قوله (ما عبدتم) فى موضع المصدر كما قال تعالى (والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها) أراد طحيته لإياها ، وتسويته لها .

وتلخيص ذلك أن النبي ﷺ قال للكفار لا أعبد آلهتكم ومن تدعون من دون الله ولا أنتم عابدون إلهي ، ولأن زعمتم أنكم عابدون إلهي فأنتم كاذبون إذ كنتم من غير الجهة التي أمركم بها تعبدونه ، فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ، ولا أنتم ما دتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتي .

فإن قيل : أما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه ، فما الوجه في اختلاف العبادة ؟

قلنا إنه ﷺ كان يعبد من يخلص له العبادة ، ولا يشرك به شيئاً ، وهم يشركون فاختلفت عباداتهم ، ولأنه أيضاً كان يتقرب إلى معبوده بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة ، وهم لا يفعلون تلك الأفعال ، ويتقربون بأفعال غيرها ، يعتقدون جهلاً ، أنها عبادة وقربة .

فأما التكرار في سورة (الرحمن) فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة ، فكما ذكر نعمة أنعم بها ، قرر عليها ، وبنح على التكذيب بها ، كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن إليك بأن خولتلك الأموال ؟ ألم أحسن إليك بأن خلصتك من المسكاره ؟ ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا وكذا ؟

فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به . وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم . قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً :

وهمام بن مرة قد تركنا	عليه النشعمان من الفسور
على أن ليس عدلاً من كليب	إذا طرد اليتيم عن الجوزور
على أن ليس عدلاً من كليب	إذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلاً من كليب	إذا خيف الخوف من الثغور

وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترثي زوجها :

وحدثني أصحابه أن مالكا	أقام ونادى صحبه برحيل
وحدثني أصحابه أن مالكا	ضروب بنصل السيف غير فكول
وحدثني أصحابه أن مالكا	جواد بما في الرحل غير بخيل

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه .

فإن قيل : إذا كان الذى حسن التكرار فى سورة الرحمن ما عدده من الآيات ومن نعمه ، فقد عدد فى جملة ذلك ما ليس بنعمة ، وهو قوله تعالى : (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) وقوله : (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس هذا من الآلاء والنعم ؟

قلنا : الوجه فى ذلك أن فعل العقاب ، وإن لم يكن نعمة ، فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم ، لأن فى ذلك زجراً عما يستحق به العقاب وبعثاً على ما يستحق به الثواب .
مثال آخر :

قال فى « المجلس السابع والأربعين » .

رأيت الآمدى قد أخطأ فى معنى قول البحرى :

من يتناول على مطاولة العيش —ش تقعقع من ملة عمده

حيث قال : معنى يتقعقع من ملة عمده أى عظامه يحىء لها صوت إذا قام وقعد من كبره وضعفه . قال وقوله - من ملة - أى من تملى العيش يريد طوله ودوامه ، ومنه تمليت حبيبك .

والأمر بخلاف ما توهمه ، ومعنى : تقعقع من ملة عمده . أى من تطاول عمره تنجل ترحله وانتقاله من الدنيا ، وكفى عن ذلك بتقعقع العمد . وهذا مثل معروف للعرب ، يقولون : من يتجمع « يتقعقع » عمده ، يريدون أن التجمع داعى التفرق ، وإن الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذى يتقعقع معه العمد .

والآمدى مع كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقيب على علوم العرب إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه وجمل أن معنى البيت يطابقه فهو أطرف . هذان المثلان لا يخفيان فى معرفة قيمة الكتاب عن مطالعته ومدارسته .

عبد الوهاب محمود

الاستاذ بكلية الآداب . جامعة القاهرة

الجهاد على مراتب العبادَةِ في الإسلام بيان لمراتب الأئمة الكبار شيخ الجامع الأزهر

أهد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بياناً في توضيح مراتب الجهاد في الإسلام ، وتبيان نظامه العسكري ، في زمن النبي محمد ﷺ ، وكيف أنه كان يستعرض بنفسه أبناء المسلمين مرة في كل عام ، وكيف كان يعدمهم وهم في الحول الخامس عشر رجلاً مكلفين بأداء ضريبة الدم ، ويميز لهم حمل السلاح تحت إشراف القيادة ، ونحن ننشر هذا البيان فيما يلي :

الرسالة الإسلامية رسالة (سلام) ومنه اشتق الله اسم (الإسلام) - غير أنها قبل أن تكون رسالة سلام كانت رسالة د الحق ، ، ومن تمام رسالة الحق حمايته .

وقد جمع الله سبحانه بين هاتين الحقيقتين في آيتين متعاقبتين من سورة الانفال ، فقال عز وجل : د وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ، ثم قال بعدها : د وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، .

فالحق والسلم هما غاية الإسلام ، ولما كان من دأب الإنسانية أن أهل الحق معرضون فيها دائماً لبغى أهل الباطل عليهم وطعمهم فيهم واعتدائهم على حقهم ، فقد أمر الله أهل الحق بالاستعداد لحمايته بكل ما في طاقتهم ، وبكل ما يصل إليه العقل البشري والعلم الإنساني من وسائل القوة وفنونها وأنظمتها وصناعاتها بحسب ما تقتضيه حاجة العصر ، وعلى قدر ما تمس إليه الحاجة .

وبالفعل صار هذا الاستعداد ، من آداب الإسلام ومن شيمة المسلمين .

لقد كان من نظام الإسلام العسكري في زمن النبي ﷺ أن يستعرض النبي بنفسه أبناء المسلمين مرة في كل عام ، فمن بلغ منهم الخامسة عشرة عدة من الرجال المكلفين بضريبة الدم وأجازه ليحمل السلاح تحت إشراف القيادة وأمره بالاستعداد لإبراز فشاط رجولته ، ومن كان دون الخامسة عشرة رده إلى أن يبلغ هذه السن ، وكان غلبان المهاجرين والأنصار يتنافسون في هذه الشهادة لهم بأنهم صاروا رجلاً ، وأنهم نالوا شرف الانخراط في سلك

المجاهدين ، ويحزن الغلام منهم أشد الحزن إذا أرجىء إلى سنة أخرى . حتى إن سمرة بن جندب لما رده النبي ﷺ لأنه لم يباغ الخامسة عشرة ، قال له : يا رسول الله : أجزت فلانا ورددتني ، ولو صار عني لصرعته ! فتبهم ﷺ وقال له : صارعه ! قال سمرة : فصارعته فصرعته ، فأجازني !

وهكذا كان المسلمون أمة دفاع وكفاح وجهاد وتحرير من يوم يباغون الحلم إلى أن يلقوا الله . فهم في حربهم أمة عسكرية لا يتخلى فيها عن ضريبة الدم أحد من عالم أو تاجر أو سرى ، أو عامل ، أو زارع ، إلا أن تشغله الدولة في جهاد آخر هو من لوازم الجهاد العام وفي حالة السلم يتمرنون باستمرار على فنون الحرب واستعمال السلاح .

روى البخاري في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع أن النبي ﷺ خرج على نفر من قبيلة أسلم وهم يفتنضلون (أى يترامون بالسهم على سبيل التمرين) فقال لهم : د ارموا بني اسماعيل ، فإن أباكم كان راعيا . ارموا وأنا مع بني فلان ، ، فلما قال ذلك أمسك الفريق الآخر عن الرمي ، فقال لهم : ما لكم لا ترمون ؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ قال : ارموا وأنا معكم كلكم .

وفي كتب السنن من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال : إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه ، والرامي به ، والممد به (أى الذى يناول الرامي النبل للرمي به) ثم قال : د ارموا ، واركبوا . وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا . كل لهو باطل إلا ثلاثا : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميه بقوسه ونبله . ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها .

وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أيضاً أن فقيما اللخمي قال له : تختلف بين الغرضين (أى بين المهدفين للذين تسدد السهام نحوهما) وأنت شيخ كبير يشق عليك ؟ فقال له عقبة : لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ لم أعانه : سمعته يقول : د من علم الرمي ثم تركه فليس منا .

وفي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عروة بن الجعد أن النبي ﷺ قال : الخيل معقود في نواصيها الخير - الأجر والمغنم - إلى يوم القيامة .

وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ كان يضمم الخيل يسابق بها .

والاستعداد للجهاد من تمام الجهاد . بل هو كالسلاح ، عنصر أساسى من عناصره ، وممارسة الاستعداد بنية الجهاد عبادة كعبادة الجهاد . لأن المجاهد إذا لم يستعد للجهاد بالتمرين وممارسة استعمال السلاح لا يقوى على أداء هذه المهمة عند الحاجة إليها .

والمسلمون الأولون كانوا دائماً على قدم الاستعداد لكل طارئ حربى ، فلم يستطع عدو أن يفاجئهم بسوء وهم على غرة .

وإن النبى ﷺ كان مفطوراً على اليقظة للطوارئ ، وهو أعظم استعداداً لاستقبالها منهم جميعاً .

روى البخارى ومسلم وأصحاب السنن ومؤلفو كتب السيرة النبوية أن أهل المدينة فزعوا ذات ليلة لصوت استغاثة سمعوه . فانطلق ناس منهم إلى جهة الصوت . فما راعهم إلا أن رأوا النبى ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى جهة الصوت واستبهر الخبر على فرس عرى لآبى طلحة ، والسيف فى عنقه وهو يقول : « إن تراعوا » .

وتنظيم الصفوف عند القتال ، وفى التمرين للاستعداد له من أعظم القربات عند الله . والنبى ﷺ كان يقوم به بنفسه ويندب له خاصة رجاله . وقد ذكر الإمام أبو منصور الماترىدى وغيره فى تفسير آية « وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مقاعد للقتال » ، أنها تشريع فى تعاهد ولاية الأمر أحوال الجند وتنظيمهم ودفع الخلل والضياع عنهم ، وأن على الأمة طاعة الأئمة فى هذا التنظيم . وللإمام أبى الوليد الطرطوشى فصل فى تفصيل ذلك بحسب نظام الجند فى زمانهم ، وهو فى كتاب (سراج الملوك) وهو يقول : إن على كل أمة إسلامية أن تقوم بالتنظيم العسكرى اللائق بزمانها . ونقل قول الحكماء « الملك بناء والجند أساسه . فإذا قوى الأساس دام البناء ، وإذا ضعف الأساس انهار البناء » .

وكل الذى تقدم خاص بالاستعداد والتمرين فى زمن السلم ، أما الجهاد عند وقوع الحرب فهو أعلى مراتب العبادة فى الإسلام ، والنصوص على ذلك تملأ الكتب .

روى البخارى ومسلم من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائمين القانت بآيات ربه لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع .

وروى البخارى من حديث عبد الله بن عباس أن النبى ﷺ قال : « ما أغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتحمسه النار » .

نشأة المعجم اللغوي وطورها

تدوين اللغة

— ١ —

تنشأ الحاجة إلى تدوين اللغة بتأثير واحد أو أكثر من عوامل مختلفة :
 مثل القصد إلى حفظ هذه اللغة عند خشية تلاشيها وذهاب ريجها من اثر الاحتكاك
 بلغة أو لغات غريبة عليها .
 أو الحرص على تسجيل آثارها ، لا سيما إذا بلغت تلك الآثار مستوى غير عادي
 في ميادين النتاج العقلي .
 أو تيسير تعليمها : لأننا نحن أنفسنا ، إذا سمعت دائرة الناطقين بها ، وتشعبت بهم
 الأوطان والمنازل ، أو للأجانب الطارئين عليها ، إذا تجلى إقبالهم نحوها ، وحرصهم على
 الاستمداد من معينها ، والاقتباس من نورها .
 أو تسهيل تناولها لاستخدامها في الترجمة والتأليف ونحو ذلك من الأغراض .
 أو محاولة تكملة ما بها من نقص يعوقها عن مجاراة التطور ، وتوسيع نطاقها على نحو
 يجعلها أداة كافية وافية للتعبير في شتى فنون البيان .
 إلى غير ذلك من العوامل .

إذا فالشعور بالحاجة إلى تدوين اللغة وليد نقطة في وعي الناطقين بها ، ونتيجة تقدمهم
 في ركب الحضارة ، واتصالهم بأسباب العلم والمعرفة ، وإدراكهم لما يستطيعون أن يقدموه
 إلى الإنسانية عن طريق لغتهم من وسائل تستحدث هذه الإنسانية في سبل الخير والحق والجمال .
 وربما استطعنا أن نستخلص من هذه الحقيقة عدة نتائج :

١ — أنه إذا كانت الحضارة لم تبسط ألويتها على الإنسانية منذ البدء ، بل كانت مرحلة
 نهائية من مراحل حياتها ، وأدوار صراعها للاحتفاظ بالبقاء ، فلا جرم أن تكون

قد انقرضت لغات أو لهجات بدائية سبقت موكب الحضارة ، قبل أن يمتدى الإنسان إلى وسيلة من وسائل تسجيلها ، أو يشعر بالحاجة إلى هذا التسجيل .

٢ — أن هذه الحقيقة قد تفسر لنا ظاهرة متجلية في كل ما كشف عنه إلى الآن - على وجه التقريب - من اللغات القديمة ، إذ نجد أكثرها قد وصل إلينا على مستوى من النضج أقرب إلى حدود السكال .

بل لقد نجد بعض هذه اللغات أقرب إلى غاية السكال كلما تعمقنا معها إلى حياتها الأولى ، كالأكادية التي نجد لها في قوانين حمورابي ، أميل إلى الاحتفاظ بصورة ثابتة من القواعد والقوالب ، كما أنها أشد حرصاً من الكتابات المتأخرة على متابعة الإعراب ، والدقة في استعماله . وقد سجلت العبرانية والسريانية ، مثلاً ، في طور ينم على درجة من الانحلال ، كانت مسبقة بصورة أتم وأدق وأقرب إلى السكال .

٣ — أن حصول التسجيل اللغوي في عهد استسكال اللغة ، أو انحلالها المسبوق بالسكال أو ما يشبهه ، ربما كان من الأسباب القوية في ظاهرة من الاضطراب العلمي تتجلى بوضوح في نظر القدماء إلى أصل اللغات .

ذلك هو ما نجده عند علماء اللاهوت السابقين على الإسلام^(١) ، وعند بعض علماء اللغات الإسلاميين^(٢) ، الذين يرون أن اللغات توقيفية علمها الله آدم ، أو نزل بها الوحي على الأنبياء .

فقد تكون هذه الصورة النهائية القريبة إلى السكال ، التي كانت عليها اللغة عند خضوعها أو تسجيلها ، أو قبل ذلك التسجيل ، مدعاة إلى توهم أولئك العلماء أن هذا السكال لا يمكن أن يكون من صنع بشر^(٣) .

وقليل من العلماء القدامى من أدرك سر التطور اللغوي ، واهتدى إلى أن هذا السكال إن هو إلا صورة ناضجة من النحوى اللغوي الحى ، الذى تضافرت عوامل كثيرة على تغذيته وإنضاجه .

(١) أنظر الفصلة ١٩ فما بعدها من الإصحاح الثانى من سفر التكوين .

(٢) أنظر المظهر للسيوطى ج ١ ص ٥ فما بعدها (بولاق) .

(٣) أنظر كلام ابن جنى فى الخصائص ج ١ ص ٤٧ (دار الكتب ١٩٥٢) .

على ضوء ما ذكر من وجوه الحاجة إلى التدرين اللغوى ، وباستعراض الأمم ذات الحضارات القديمة ، نستطيع أن نقين عند تلك الأمم جميعاً خطوات هدفت إلى تسجيل لغاتها تسجيلاً أكثر من الاقتصار على تخليد نتائجها العلمى والادبى ، أعنى بالتأليف اللغوى المباشر ووضع المجاميع أو المختصرات التى تقصد إلى تفسير طائفة أو طوائف من الألفاظ ، مرتبة على وجوه مختلفة من الترتيب المعنوى أو الموضوعى أو نحو ذلك .

وجد ذلك عند الأكاديين والمصريين والهنود القدماء ، كما وجد عند الإغريق واللاتين ، وفى استطاعة من يعنى بالرجوع إلى تاريخ الأدب عند كل من هذه الأمم أن يجد تحقيق ذلك . بيد أن الرغبة فى وضع ديوان جامع يهدف إلى حصر اللغة ، وضم شتاتها ، ولم شعنها ، أمر لا يزال محتاجاً إلى الدليل العلمى السارى على وجوده عند الأمم التى ازدهرت حضاراتها قبل العرب .

ومن هنا قد نستطيع أن ندعى أن وضع المعجم اللغوى من حيث هو معجم ، أى مرتب على حروف المعجم ، هو من ابتكار العرب لم تسبقهم إليه أمة ، على الأقل إلى أن يثبت بالدليل العلمى ما يناقض ذلك .
ويبغى أن تقدم كلمة موجزة لتحديد ما نقصد إليه .

— ٢ —

اشتهر لفظ : « المعجم » ، فى الأدب الإسلامى للدلالة على نوع من المؤلفات المشتملة على مجموعة من التفسيرات اللغوية أو العلمية ، مرتبة على حروف المعجم .

وحروف المعجم معناها حروف الإيجام ، كالمدخل بمعنى الإدخال ، والمخرج بمعنى الإخراج :

« وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق » .

وحروف الإيجام أى الحروف التى من شأنها أن تعجم ، أى حروف : أبجد هوز الح ..

والإيجام من : أعجم الكتاب فقط ، كعجمته وعجمته ؛ قال صاحب القاموس : وقول

الجوهري لا تقل عجمت وهم .

وكان معنى إجماع الحرف هو إزالة ما به من عجمة بواسطة النقط المعين للنطق ؛ وعلى

ذلك فالهمزة فيه بمعنى السلب ، كما في أقسط بمعنى عدل أى نفي القسط وهو الظلم ، كما في أشكى أى أزال الشكوى من شكى .

هذا ، والأصل في تسمية الكتاب بالمعجم أن ترتب معلوماته على الحروف ، وإذا فلا يصح أن يطلق على غير ذلك من مجاميع اللغة أو غيرها اسم المعجم إلا تجوزاً ، مثل كتب الغريب في اللغة والقرآن والحديث ، التي رتب على طوائف مختلفة من المعاني والموضوعات ، وغيرها من المجاميع اللغوية التي لم ترتب على حروف المعجم ، كما في : فقه اللغة للثعالبي ، والألفاظ الكتابية للهمداني ، والمخصص لابن سيده ، ونحو ذلك ؛ وإن تساهل بعض المتأخرين^(١) في إطلاق التسمية بالمعاجم اللغوية على مختلف الكتب التي عنيت بجمع اللغة مطلقاً .

وعلى ذلك فالمعاجم اللغوية عند العرب مثل : القاموس المحيط للفيروز آبادي ، لسان العرب لابن منظور ، الصحاح للجوهري ، الجهرة لابن دريد ، التهذيب للأزهري ، العين للخليل بن أحمد .

والمعاجم غير اللغوية مثل : الإصابة في تاريخ الصحابة لابن حجر ، وما شاكل ذلك من كتب الطبقات أو دوائر المعارف المرتبة على الحروف .

- ٣ -

أصل الفكرة في ترتيب اللغة على الحروف هو القصد إلى الحصر والاستقصاء ، أى حصر المفردات اللغوية واستقصائها حسب الإمكان .

ذلك أن اللغة ليست علماً منهجياً يمكن ضبطه تحت أبواب ، أو قواعد ، أو موضوعات ، كما يتأتى ذلك في مختلف العلوم والفنون . وإنما اللغة صيغ وأبنية تتألف من الحروف والاصوات على نظام معين ، وصور متعددة داخل هذا النظام ، فالحروف هي الإطار

(١) وقع كثير من العلماء المحدثين في ذلك التساهل ، مثل الدكتور علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ص ١٨٩ فما بعدها ، والظاهر أن منشأ ذلك هو التساهل في ترجمة الألفاظ الدالة على معنى القوميس ودوائر المعارف في اللغات الأجنبية مثل السكيات : Lexicon, Dictionnaire, Vocabulaire ونحوها ، ولكن هذه الكلمات لا علاقة لها في أصل معناها بالترتيب على الحروف ، وإنما معناها : كتب المفردات أيما كان ترتيبها .

الشامل الذى يضم شملها ، ويجمع شتاتها ؛ وهى التى يمكن بواسطتها - حتى عن طريق الحساب العقلى - استقصاء جميع احتمالات أوزانها وقولها .

بقى لنا أن نتساءل : هل ذلك القصد إلى حصر اللغة واستقصائها كان موجوداً عند غير العرب محمد سبقيهم من الأمم ، أو أنه لم يوجد أولاً إلا عند العرب ، وما الذى دعاهم إلى ذلك ؟ نعم وضعت مؤلفات لغوية قبل العرب - كما ذكرنا - فى تفسير مجاميع من المعانى والموضوعات ، ولكنها كانت بعيدة عن غرض الحصر والاستقصاء بحكم الدواعى التى أوحى بالحاجة إلى ذلك . فقد كانت هذه الدواعى لا تعدو القصد إلى تفسير كلمات غريبة على اللغة لكونها دخيلة فيها ، كما كان الشأن فى القوائم اللغوية الأكاديمية التى عنت بتفسير الدخيل فى اللغة السامية الأصل من السومرية الغربية عنها ؛ أو شرح عبارات وألفاظ أبهم معناها ، أو غمض أصل تكوينها ، بسبب تقادم العهد وتطور اللهجات ؛ أو لغرض التعليم المدرسى الذى يتطلب محصولاً من الكلمات ووجوه التعبير يعين الناشئة على التمرس باللغة أو التمكن منها ؛ إلى غير ذلك مما حصل عند الإغريق واللاتين وغيرهم .

يبد أن هناك عاملاً هاماً ربما كان قد حال بين الأقدمين وبين القصد إلى حصر اللغة واستقصائها . ذلك هو أن اللغة فى طبيعتها كائن حى دائم النمو والتجدد ، قابل للتغيير والتطور . وهذا قد يجعل من المتعذر الإحاطة بها فى جميع بيئاتها وميادين استعمالها ؛ أو على الأقل لا بد أن يوجد من المرجحات القوية الملزمة ما يجعل القيام بذلك فرضاً ومقصداً من المقاصد الأساسية .

وأغلب الظن أن مثل هذه المرجحات لم يتحقق وجودها على الوجه الأكمل قبل الإسلام . فالإسلام ، الذى قامت رسالته على الدعوة العالمية إلى الهداية الإنسانية المطلقة ، يصبغ الحضارة العربية بصبغة ربما اختلفت ، من الوجهة التى ذكرنا ، عن جميع حضارات الأمم السالفة ، سواء فى ذلك الحضارات الروحية والمادية .

وبما أن منبع الإسلام ، وشرعة هديه هو القرآن الكريم ، المنزل بلسان عربى مبين ، لا جرم أن تسكتسب العربية بسبب ذلك لوناً من القداسة فى أعين المسلمين أجمعين .

ولإذا فلا بد من إحاطة العربية بكل الوسائل التى تحول دون ضياعها وانحلالها ، وتحفظها من الوهن والسقم ، وتقيد كل شاردة وواردة منها ، وتستبقى لها على أقل تقدير الصورة التى

نزل القرآن بها ، والتي تسمح بجعل القرآن على كر الدهور ، ومر العصور بسرعة سائغة ، وموردا معينا .

هذه العقيدة في وجوب دوام اللغة وخلودها على درجة معينة من درجات النمو التي وصلت إليها ، ربما لم تكن قد تغلغلت في أمة من الأمم قبل الأمة العربية (بالمعنى العام) . نعم كانت اللغة السفسكريتية عند الهنود القدماء لغة مقدسة ، وكانت هذه الفكرة عنها سبباً في بذل كثير من المحاولات العملية لتخليدها والاحتفاظ بها ، بل لقد تولدت من ذلك أيضاً دواعي التأليف اللغوي الحاضر ؛ ولكن هذا التأليف لم يقدر له البروز إلى حيز الوجود الواقعي ، كما سيأتي .

يبد أن طابع اللغة السنسكريتية ، وطابع ما ألف بها من كتب دينية يختلف اختلافاً بيناً في النظرة العالمية ، والروح الوجودية العملية عن الإسلام .

أما محاولات السريان في مدرسة جنديسابور ، وعنايتهم بدراسة النحو السرياني وضبطه ، فهي بعيدة عن حصر اللغة التي كان تفرعها وتشعب مواطنها أوسع نطاقاً من جهودهم .

وجملة القول أن علماء العربية القدامى كانوا ينظرون إلى عربية القرآن على أنها غاية للنمو اللغوي العربي ، ومثل أعلى لسكالك التعبير والبيان ؛ وأن كل تطور في اللغة بعد ذلك لن يكون تطوراً نحو السمو والنمو الحيوي ، بل انحداراً إلى الانحلال والاضمحلال المرضى ، وإذا فلتتضافر الجهود ، وتنشط الهمم إلى بحث وسائل الوقاية والتصحيح والتخليد ؛ لا سيما وقد خاطب الإسلام الانسانية جمعاء ، وعدها أمة واحدة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا . وإذا فقد نستطيع أن نفرس حرص العرب منذ عهد صاحب الرسالة ﷺ على صيانة العربية من اللحن والخطأ ؛ وإقبال الناس من شتى الأمم على تعلمها والتضلع منها ، ونشاط كثير من العلماء إلى جمعها وضبطها ، ورواية آثارها ، وتسجيل نتاجها ، ونبوغ عدد غير قليل من الأجانب وبلوغهم الغايات القصوى في إجادة التعبير بها .

كما قد نستطيع على هدى الموازنات المختلفة أن نزع أن الوعي اللغوي الحافز إلى حماية اللغة وحفظها قبل العرب لم يكن يبرز إلى الواقع إلا بعد أن تجرى الأمة المقدمة عليه أشواطاً غير قصيرة المدى في ميادين الحضارة والمعرفة ؛ على حين تجلى ذلك الوعي مكتملاً عند العرب في مفتتح حياتهم العالمية ، وربما قبل انبعاث حيائهم العلمية .

دكتور عبد الحليم النجار

أستاذ بكلية الآداب - جامعة فواد

دَعَا نَجْمُ الْإِسْلَامِ

مِنْ بَارِعِ إِشَاعِرِ الْإِسْلَامِ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ حَمْدُ اللَّهِ
بِتَقْلِيلِ الْأَسْتَاذِ الْبَاهِيَّةِ عَبْدِ الْلطِيفِ نَعِيمٍ

أَصْحَابُ الْقَلِيبِ

كانوا أربعة وعشرين رجلاً هم : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمّية بن خلف ، وأبو جهل بن هشام ، وعبيدة والعاص ولدا أبي أحيحة ، وسعيد بن العاص بن أمية ، وحظلة بن أبي سفيان ، والوليد بن عتبة ، والحارث بن عامر ، وطعيمة بن عدى ، ونوفل بن عبد ، وزمعة وعقيل ابنا الأسود ، والعاص بن هشام أخو أبي جهل ، وأبو قيس بن الوليد ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي ، وعلى بن أمية بن خلف ، وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ، ومسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة ، وقيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي ، والأسود ابن عبد الأسد أخو أبي سلمة ، وأبو العاص بن قيس بن عدى السهمي ، وأمّية بن رفاعة . أمر النبي ﷺ بهم فآلقوا في القليب ، إلا أمّية بن خلف فإنه انتفخ في درعه ففلاها ، فذهبوا يحركوه فتزائل ، وتقطعت أوصاله ، فآلقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة :

يا له من مُصْعَبٍ ألقى القيادا	تلك عقبى البَغْيِ ، فانظر كيف عادا
ورأيت القومَ شراً وأذى ؟	أرأيت القومَ شراً وأذى ؟
تخمد الدنيا ، وتزداد انقادا	غيبوا في حفرة مسجورة (١)
من عذاب كان ضعفاً ، ثم زادا	ملئت رعباً ، وزيدت روعةً
هل ترى إلا انتفاضاً وارتعاداً ؟	قف عليها ، وتبين ما بها
تُعجزُ اللهَ كفاحاً وجلادا	يا لهم إذ زعموا أضنامهم
أنفساً منهم ، ولم يترك عتادا	جلّ ربّ لم يغادر بأسه
وأرى الأضنام أولى أن تعادى	خاصموا الله ، وعادوا جنده
واستحبوا الكفر بغياً وعنادا	هي غرتهم فضلوا وعتوا
ثم بادوا في مهابيه وبادا	حلقوا بالامس في طغيانهم
وعذابٌ كان شراً وفسادا	عظّة في التراب كانت فتنة

كل هنيئاً من قلب قرم^(١) يبلغ الكفار مثني وفرادى
 طال منك الصرم ، واشتد الطوى^(٢) خذ القرم النهما وازدادا
 جربوا الحرب ، وجابوا فلقوا نغمماً جئلي ، وأهوالا شدادا
 سمعوا الصّوت ، وما من ناطق يخبر السائل منهم حين نادى^(٣)
 يا (رسول الله) هم في شأناهم غمرة تطغي ، وبلى تتمادى
 صدق الوعد ، فكل موقن أنكروا الحق ، وراموا غيره
 هكذا من يعبد الطاغوت لا جل ربى وتعالى ، إنه
 لرفعى يا دولة الحق الهدا أى حق ذل فى سلطانه ؟
 إن لله سيوفاً خذماً^(٤) بعث الأسطول فى آياته
 قوة أرسلها من أمره لتكل الخير يا (صفوان)^(٥) فى

(١) القرم الشديد الشهوة للحم ،

(٢) الطوى الجوع .

(٣) جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى القليب بعد ثلاثة أيام ثم وقف على شفيره وأخذ ينادى زعماءهم بأسمائهم ويقول : هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقاً ؟ فأتى وجدته ما وعدني الله حقاً وفى رواية : أنه قال لهم : بئس عشيرة كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس .

(٤) فواطع .

(٥) جلس عمير الجمحي مع صفوان بن أمية بن خلب بالحجر ، فتذاكرا ما أصاب قريشا يوم بدر وذكر أصحاب القليب ومصابهم . فقال صفوان : والله ما فى العيش خير بعدهم . فقال عمير : صدقت ، أما والله لولا دين على ليس له عندي قضاء . وعيال أخشى عليهم الضيق بعدى . لكنت آتى محمداً حتى أقتله وأن لى فيهم علة ، أبى أسير فى أيديهم فاغتنمها صفوان وقال له : على دينك ، أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالى أراسيهم ما بقوا فتماقدا على ذلك ، وأخذ عمير سيفه فشجذه وسمه ثم انطلق حتى قدم المدينة ، ودخل به عمر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بمحاملته فى عنقه . فقال له : أرسله يا عمر

دع (عميرا) لا تهنجه واتد
أخذ السيف صقيلا مرهفا
ظل يسقيه ، وما أدراه ، هل
كره الحق ، فلما جاءه
من حديث أنبأ الله به
قال : أسلمت لربي ، وكفى
إقرأ القرآن ، واتبع هديه
لأنه النور الذي يحملو المعنى
أين يا (صفوان) ما أمَلْتَه ؟
يا لها داهية طارت بها
لا تظن الجود دينا يُشترى
ستراه واديا من نعم
هو من فيض العباب المرتى
(الرسول السمح) والمولى الذى
افترج ما شئت ، واطمع ، لا تخف
حيثا الموائل فيما تتقى
سبب لله ، من يعلق به

إن للعاقل فى الامر اتشادا
بأخذ الابطال والبيض الحدادا
كان سما ما سقاء ، أم شهادا ؟
نبذ الحقد ، وأصفاه الودادا
خير من حدث عنه فأجادا
بالسبيل السمح دنيا واعتقادا
يا عمير الخير إن ذو الغنى حادا
إن السر الذى يجي الجهادا
أين ما حدثت تستوى السوادا ؟^(١)
أعقب الجود^(٢) وقد كانت نأدا^(٣)
سترى الجود المصطفى والجوادا
يعجز الآمال سعيأ وارتدادا
يتقصى الأرض مدأ واطرادا
يسع الاجيال برأ وافترادا
من ندى كفيه نقصأ أو فقادا
من أذى الدهر ، وما أعلى المصادا^(٤)
لم يخف ضيا ، ولم يخش اضطهادا

== أدن يا عمير ما القى جاء بك ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم (بني ولده ، واسمه وهب) قال : فما بال السيف ؟ قال : وهل أغنت السيوف عنا شيئا ؟ قال النبي : بل قدمت أنت و صفوان بن أمية فى الجعر (وذكر له ما كان بينهما) . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، الحمد لله الذى هدانا للإسلام . قال النبي لأصحابه حين أسلم عمير : فقهوا أخاكم فى دينه ، وقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره ففعلوا ، وأسلم ابنه رضى الله عنهما .

كان صفوان يقول لأهل مكة بعد خروج عمير إلى المدينة : أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر ! . أسلم صفوان رضى الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم واديا مملوءا من النعم ، وكان يسمى سيد البطحاء .

(١) السواد : العدد الكثير ومنه السواد الأعظم .

(٢) الأعقب . جمع عقاب .

(٣) الآد . الداهية العظيمة .

(٤) المصاد الهضبة العالية . وأعلى الجبل .

رمضان بن شيطان

تكون منهمكا بعمالك أو لهوك مستغرقاً فيه لا تكاد تشعر بنفسك ، فيصل عقرب الساعة إلى الموضع الذى كنت عقدت عليه جرسها ، فينبهك إلى حلول الوقت الذى أنت فى انتظاره . وحينئذ تخرج مما كنت فيه ، وترى كأنك كنت نائماً فاستيقظت .

ذلك مثل شهر رمضان مع غيره من أشهر السنة : يكون الناس قبله كالقافلة التى تسرى فى جوف الليل لا تعرف من الوجود شيئاً غير أنها تسرى ، فيطلُّ عليها القمر من وراء الجبل فيبدو لها كل أمر من أمورها كأنما هو جديد .

فأهلاً بشهر رمضان نجدد به أنفسنا ، وننتبه لها ، بعد أن كنا فى غفلة عنها .
الناس فى سكرة : فمنهم من يرجع إلى نفسه فيصحو فى رمضان ، وما يزال الصحو يتسع ويشيع فى عوالم نفسه حتى يصير من أهل البصيرة .

ومنهم من يزيد رمضان ارتكاساً فى سكرته ، فلا يخرج منها إلا يوم يجتاز القنطرة التى يجتازها كل ابن أثى بين حياتين : لإحداهما سريرة كالحيال ، وأخرى دائمة دوام الأبد .
رمضان شهر يذكرك بنفسك ، فتخلو بها تحاسبها وتحاسبك . وكفى خرج الموفقون من هذا الحساب إلى حياة جديدة يتعجبون كيف كانوا فى غفلة عنها ، وكيف كانت أوهام المجتمع تحجب عنهم جمالها .

فى رمضان نغير حياتنا ، وهذا التغيير ضرورى لتجديد الحياة ، وتجديد الحياة ضرورى لمن يريد أن يلتفت إلى الوراثة ينظر فى أى طريق كان سائراً ، ثم يرسل نظره إلى الإمام يكتشف المصير ...
فى رمضان نحاول أن نقهر النفس لنعوّدها الطاعة العسكرية فى سبيل الواجب ، ومن لا يستطيع أن يحكم نفسه فيصرفها على مقتضى المصالح فانه خير كثير .

فى مثل هذا الشهر من كل عام نستقبل رمضان ، فيجب علينا قبل كل شيء أن نعرف رمضان الحقيقى الذى نحن مستعدون له . والحذر الحذر أن يخدعنا شيطان رمضان فيوهنا أنه هو ، ويصحبنا الشهر بطرله ثم يذهب بنا فى داهية ...

هنالك رمضان ، وشيطان رمضان . ويجب أن نكون من الفطنة بحيث لا يضحك علينا شيطان رمضان فيوهنا أنه رمضان .

رمضان يعلم المسلم الصبر والبشاشة والحلم والرضا ، وشيطان رمضان يورث صاحبه ضيق الصدر والكآبة والغضب .

فإذا جاء رمضان وكنت ممن يدخن فامتنعت عن التدخين ، فإن رمضان يمرنك على الصبر عنه حتى يكون الصبر عنه سجية لك قد تبلغ بك إلى ترك الدخان بته بما تسلحت به من قوة العزم ونفيلة الصبر . وأما شيطان رمضان فيعظم لك أمر الدخان ، ويوهمك أنك متألم للامتناع عنه ، وينصح لك بأن تخفف من ألمك بالغضب على من هم دونك من خدمك وأقاربك وذويك ، فيفسد عليك شيطان رمضان ، مزية من مزايا رمضان ، وهى اعتياد الصبر واتخاذ سجية لك وسلاحا تنقى به كثيراً من شرور الحياة .

رمضان يمنحك من الطعام بياض نهارك لحسكة ستدركها إذا راقبت أثر ذلك في نفسك . وشيطان رمضان يغريك بحشد صنوف الطعام في جوفك وكرشك حتى تفسد في ساعة الغروب ما أصلحته عامة نهارك . فتغدو محروما صفاء النفس الذى هو الغرض الاول من صوم رمضان . وتختصر علاج الخمية الذى هو نفع عارض من منافع رمضان الكثيرة .

ورمضان يحب إليك الاقتراب من ربك في لياليه ، والقرب إلى الله منزلة أيسر مزاياها أنها تجلب لذتها عن غير أهلها . وأما شيطان رمضان فيسوق صاحبه إلى المقهى أو السينما أو إلى سهرات أخرى تهرب منها الملائكة وتشهدها الشياطين . وأكثر الصائمين يتفنون في إعداد هذه السهرات في بيوتهم وبيوت أصدقائهم أو في بيوت الشياطين يحسبون أنها جمال رمضان ، وإنما هى جمال شيطان رمضان .

وصائم رمضان تغلب فيه على ألم الجوع لذة الصبر ، وبهجة الرفق والحلم . أما صاحب شيطان رمضان فيجوع نهاره ويفسد على نفسه ثواب هذا الجوع بما يصحبه من كآبة وغضب وبذاءة لسان ، ثم يفطر لإفطار من لا يعرف حكمة الصوم ، ثم يسهر سهر من لا يريد أن يعلم أن نهار رمضان لا يلائمه إلا ليل من جنسه .

إن المسلم الذى يعرف مراعى الإسلام ، ويفهم حكمة الصوم ، يخرج في رمضان من وضوء الحياة المسادية التى أحيط بها المتزاحمون على توافه الدنيا وزبالتها من أهل القافلة التى تسرى فى الظلام ، فيسكون له من رمضان جرس ينهيه إلى التخلق بأخلاق رمضان فى ليله ونهاره ، وهذا سبيل تصفو فيه النفس ، وتتجدد ، وتسمو بصاحبها إلى منزلة من منازل السكالك . جعلنا الله وإياك يا أخى من أهلها ، وأحياناً إلى أمثاله إن كان الخير فى حياتنا إلى أمثاله .

محج المربى الخطيب

الصَّوْمُ وَالتَّزْكِيَةُ النَّفْسِيَّةُ

من مقاصد الشريعة الإسلامية إصلاح المجتمع الإنساني ، وإقامة هذا الإصلاح على أساس من الخلق الكريم والفضائل الثابتة التي لا يقوم مجتمع فاضل إلا عليها ، كالتعاطف والتراحم والتعاون والتكافل والتحاب والتواد ، والإصلاح لا يشمر ثمرته ولا يرجى بقاءه إلا إذا كان منبعثاً من قلب الإنسان ونفسه وشعوره ووجدانه ، والإسلام يهدف فيما يهدف إليه أن يقوم الإصلاح على أسس روحية ومعان نفسية ، لا على أساس من سلطة الحاكم وسطوة القانون فحسب ، وإلا فسرعان ما يمرق الإنسان من قيود الخير والحق والفضيلة إذا غفل الرقيب أو وجد ثغرة ينفذ منها إلى التحلل من سلطان القانون . وقد أشار الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه إلى هذا الأصل الذي يقوم عليه الإصلاح الصحيح بقوله - فيما رواه البخاري عنه - « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح البدن كله ، وإذا فسدت فسد البدن كله ، ألا وهي القلب » ، ولذلك كثيراً ما تجدد القرآن والسنة يدعوان إلى الإخلاص ومراقبة الله وتحسين النيات وتذكية النفوس والحشية من الله ، لأنها دعائم الصلاح والاستقامة .

ومن محاسن الإسلام أنه حينما يدعو إلى تقويم السلوك الإنساني وجعله موافقاً للحق والخير والفضيلة لا يعمل على كبت الغرائز النفسية وتجاهل الفطرة البشرية وإنما يعمل على توجيه الغرائز توجيهاً سليماً ، وتنمية النزعات النفسية الخيرة بحيث تسيطر على أعمال الإنسان وسلوكه الديني والدنيوي ، وذلك عن طريق التشريعات الحكيمة التي توصل إلى المقاصد الشريفة .

ومن شرائع الإسلام التي تربي النفوس على الأخلاق الحميدة ، وتنمي نزعاتها الخيرة ، شرعة الصوم . وأول صفة ينميها الصوم في نفس الصائم هي قوة الإرادة ، فالصائم الذي يفتطم نفسه عن المآكل والمشارب والشهوات الجسدية والنفسية وهي على قيد الذراع منه مدة

من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ثم يستمر على ذلك شهراً كاملاً لا بد أن يخرج من صومه وهو ذو إرادة قوية عاقلة حازمة ، فبالك إذا تكرر الصوم عاماً بعد عام ، بل ماذا يكون الحال لو أنه حرص على أداء الصوم المسنون في جميع أيام العام حتى يصير الصوم له عادة ، والمسلم إذا تربت فيه قوة الإرادة أصبح مسيطراً على رغبات نفسه فلا يكون عبداً لهواه ولا أسيراً لشهواته ، ومن ثم يملك زمام نفسه ويوجهها للتوجيه الواجب ، وحينئذ يسهل عليه الانتصار بما أمر الله وإن كان شاقاً على النفس ، والانتهاز عما نهى عنه وإن كان محبراً لها . وإذا علمنا أن أكثر الفساد والاضطراب في حياة الناس إنما يأتي من ضعف الإنسان أمام شهواته وأهوائه ، أدركنا ما للصوم من أثر بعيد في حركة الإصلاح والتطهير وتكوين المجتمع المثالي الكريم ، وما أشد احتياج المسلم الذي تتناوشه زخارف الحياة وزيفاتها إلى إرادة قوية حازمة تعصمه من الفتن وتقيه شر الزلل ، وعلى قدر تفاوت البشر في قوة إراداتهم وصلابتهم في إحقاق الحق وإزهاق الباطل تكون منازلهم في الفضل والكرامة ، وصلاتهم وإصلاحهم .

ولا عجب إذا كان الصوم سمة من سمات الأنبياء والصديقين والصالحين ، وإن اتخذوه وسيلة من وسائل مجاهدة النفس وتربيتها تربية صحيحة ، وأن جعله الله فريضة في كل شرع ودين ، وصدق الله حيث يقول : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات » ،

وإن الالم في حياتها لتعرض لميزات اقتصادية ربما يترتب عليها نقص في مواد معاشها وأرزاقها ، وغلاء فاحش في بعض الأسعار ، فلو أن كل إنسان - بما كسب من قوة الإرادة - كف نفسه عن شهواتها وفطمها عن بعض مستلذاتها وتكشف بعض النقشف ، لمرت كل الأزمات الاقتصادية بسلام ، ولا اضطرب الجشعون والمستغلون لحاجات الناس إلى الحد من غلوهم وعرض السلع بأقل من ثمنها المعتاد ، ورحم الله القائل :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع ، وإن تفضمته ينفطم

ومن الصفات النفسية التي يربها الصوم في نفس الصائم صفة المراقبة ، مراقبة الله عز وجل في السر والعلن والغيبة والشهود . والمسلم لما راقب الله حق المراقبة فقد بلغ غاية

الإحسان . وفي حديث جبريل المشهور الذى رواه الشيخان أنه سأل رسول الله ﷺ فقال : ما الإحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، ولا تسكد تجد عبادة تتجلى فيها مراقبة الله مثل الصوم ، فالصائم الذى لا يراقب الله سبحانه ربما يأكل ويشرب فى الخفاء ثم يظهر أمام الناس بمظهر الصائم المتفلسك .

فالصوم فى الحقيقة سر بين العبد وبين ربه ، ولا يطلع على حقيقته إلا الله . ولكونه سرّاً بين العبد وبين ربه أضافه الله إلى نفسه وشرفه بهذه الإضافة ، فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل إلى امرؤ صائم . . الحديث ، ولا يزال الصوم يقوى من صفة المراقبة حتى تصبر ملكة من الملكات النفسية ، وإذا صارت ملكة راسخة تحكمت فى سلوك الإنسان ووجهته إلى المسارعة فى الخيرات والإحجام عن المنكرات ، إذ كلما أمرته نفسه بالإمارة بالسوء بمنكر تذكر عظمة الله وجلاله وأنه مطلع عليه ومراقب له فتقول له أترك ولعمل الخير أسرع ، وصدق الله حيث يقول : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون . . وصلاح الأفراد والجماعات متوقف إلى حد كبير على هذا الوازع النفسى الذى يجعل من صاحبه رجلاً حاضر القلب متيقظ الشعور حى الضمير .

ولو أن كل إنسان وكل إليه أى أمر من الأمور راقب الله فى عمله وفيمن تحت يده وتيق أن هنا محاسباً لا يغفل ، لقطع دابر الفساد والشور والآثام ولساد الحق وعم الخير البلاد والعباد .

وصفة أخرى يربها الصوم فى النفس ، تلك هى صفة الصبر والاحتمال ، الصبر على الطاعات واحتمال ما يحيط بها من مكاره ومشاق ، والصبر عن المعاصى والشهوات ، أليس ما يتطلبه الصوم من الصائم أن يكون على سميت خاص فى العبادة وأن يكف نفسه عن شهوات بطنه وفرجه ، ولسانه عن الهجر والفحش من القول ، وجوارحه عن فعل ما يؤثم ؟ وهل الصبر إلا حبس النفس على ما تكره وصرفها عما تحب وتشتهى ، فالصبر ثمرة من ثمرات الصوم

وغاية من غايانه ، وفي حديث الباهلي الذي رواه أبو داود أن النبي ﷺ قال له : « صم شهر الصبر ويوما من كل شهر » ، فقد سمى رسول الله رمضان شهر الصبر ، ولا يزال الصائم يروض نفسه على الصبر حتى يصبر عادة ، وحينئذ يمكن لهسلم أن يشق عباب الحياة المتلاطم بأمواج الفتن والبلاء والشدائد والمكاره ، فالصوم اختبار عملي لتعرف أحوال النفوس البشرية ومدى صلاحيتها لتكاليف الحياة وحمل أعبائها ، وأن الصوم في الايام الشديدة الحرارة ، ولا سيما مع مزاولة العمل الشاق ، ليستحق أن يكون درسا عمليا في الاحتمال دونه كل درس ، وما من شخص في الدنيا إلا وهو في حاجة إلى الصبر وترويض نفسه عليه ، فالفلاح في مزرعته والصانع في مصنعه والعامل في عمله والطالب في استذكار دروسه والام في القيام بأعباء بينها - كلهم في حاجة إلى هذا الدرس العملي .

هذا إلى ما في الصوم من غرس الرحمة في القلوب ، فترق القلوب القاسية وتهذب النفوس الشحيحة وتبسط الايادي المغلولة وتدر الخير على الفقراء المحتاجين الذي تمر بهم الايام ولا يجدون ما يقيم صلبهم ويرطب قلوبهم ولا يشعرون بأن لهم إخوانا في الإنسانية يمدون إليهم يد المعونة والائتاق ، فالصائم إذا أحس من نفسه ألم الجوع وحرارة العطش ومرارة الحرمان من لذائذ الحياة وطيباتها دفعه ذلك دفعا إلى العطف والبذل والعطاء ؛ وشتان بين من يؤمر بالإعطاء وقد ذاق ألم الجوع ومرارة الحاجة وبين من يؤمر ولم يجع يوما ولم يذق ألم الحرمان ، وإن المجتمع الذي لا يعطف فيه الاغنياء على الفقراء ولا يرحم فيه الأقوياء الضعفاء ولا يسود فيه التكافل والتعاون على البر والخير لهو مجتمع مجرد من خصائص الإسلام ويخشى عليه من الزوال والدمار .

وبحسبنا ما ذكرت في بيان أثر الصوم في تربية النفوس وإصلاح المجتمع إصلاحا قائماً على دعائم روحية ونفسية لتسكون أبقى أثرا وأدوم نفعاً ، ولعلك أدركت معنى - أيها القارئ - الفطن - حكمة الله الدقيقة السامية في تشريع الصوم ، وأن تشريع ربك كله خير ورحمة وصدق وعدل ، وصدق الله : « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » .

محمد محمود أبو شربة

المدرس بكلية أصول الدين

الفتاوى

جاء إلى لجنة الفتوى خطاب مرسل إلى مشيخة الجامع الأزهر من م . ا . س . صالح بكونلوبو ، وهو يشتمل على اقتراح أن يكون الاعتماد في بدء الصوم وانتهائه على حساب الفلكيين ليتيسر توحيد بدء الصوم ويوم العيد في جميع البلاد الإسلامية وصاحب الاقتراح يعلل ضرورة الأخذ به بأن الحساب يفيد العلم القطعي بأول كل شهر ونهايته . وأنه أبعد عن إثارة الخلاف بين الأفطار الإسلامية بسبب اختلافها في الرؤية .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلمت اللجنة على هذا الاقتراح ، ونفيد بأنها تقدر لصاحب الاقتراح الغرض النبيل الذي يرمى إليه بمقترحه . ولكنها ترى أن التعويل على الحساب في إثبات بدء الشهر ونهايته لا يحقق الغرض المقصود الذي ينشده لأن الحساب مرتبط بمطلع القمر ، ومطالع القمر يختلف باختلاف الأقطار . فإذا كانت الأقطار تختلف في الرؤية بسبب اختلاف المطالع ، فكذلك الحساب يختلف هذا الاختلاف لارتباطه بالمطالع . فلا يتحقق المعنى المقصود بالتعويل على الحساب كما يقترحه حضرة السائل .

واللجنة ترى أن اعتماد الرؤية على الوجه الذي اتفق عليه جمهور الفقهاء وأئمة المذاهب هو طريق يتحقق به المقصود من توحيد المسلمين في الصوم والأفطار .

وأن هذا الذي اتفق عليه الجمهور هو ما يفيد حديث رسول الله ﷺ الوارد في الرؤية . أما الوجه المشار إليه فهو أن القول الصحيح الراجح في مذاهب الحنفية والمالكية والحنابلة أنه إذا ثبتت رؤية الهلال في إقليم وجب على أهل الأقاليم الأخرى أن يعملوا بها في صومهم وإفطارهم متى بلغهم نبأ ثبوتها من طريق موثوق به .

وهذا هو ما نشرح به كتب هذه المذاهب .

أما الحديث فقد رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن ، وهو قول الرسول ﷺ :
 « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، . وهو خطاب عام يوجب على جميع المسلمين أن يصوموا
 إذا تحققت رؤية الهلال في قطر يعتبر ثبوتاً له بالنظر إلى جميع الاقطار فإنه ليس المعنى
 أن وجوب الصوم يتوقف على رؤية كل من يجب عليه ، وإنما المعنى - كما قلنا - أنه يجب
 الصوم على جميع المسلمين متى تحققت الرؤية ولو من بعضهم .

وإذا كان الحال كذلك ، فإن الطريق لتوحيد وقت الصوم في جميع الاقطار أن يبلغ
 أهل القطر الذى ثبتت فيه الرؤية سائر الاقطار ، فيجب عليهم جميعاً أن يصوموا بناء
 على هذا التبليغ .

هذا مع ملاحظة أن الرؤية التى يناط بها حكم الصوم والفطر كما تكون بالعين المجردة
 تكون بواسطة ما جد من الوسائل العلمية الحديثة .

وتوافر وسائل الرؤية هذه مع الوسائل الحديثة لتبليغ الانباء إلى الاقطار المتباعدة
 يسهل أمر تبليغ الرؤية من أى قطر إلى سائر الاقطار .
 وبهذا علم الجواب والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

المجلة - أما عيد الاضحي فهو عيد الوقوف بعرفة ، وإتمام شعائر الحج . والوقوف
 بعرفة وإتمام شعائر الحج لا يكون إلا بمكة وعرفات .

فإذا تعين يوم وقوف الحجاج بعرفة ، وأمكن معرفة الاقطار الإسلامية بذلك ،
 كانت الاقطار الإسلامية كلها تبعاً لحجاج بيت الله الحرام في تعيين يوم عيدها ، فيكون
 عيد الاضحي في جميع الاقطار الإسلامية هو اليوم التالى لوقوف الحجاج بالفعل ، ويكون
 المسلمون كلهم تبعاً لأهل مكة في ذلك .

جهاد النفس بربوبية

د قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :
أى الجهاد أفضل ؟ فقال : جهادك هوأك ،

المبرد

نستطيع أن نقبين من خلال تجاربنا العملية في الحياة أن الإنسان في حاجة إلى إرادة قوية يسيطر بها على نزعاته ، وبكبح بها نزواته الجاحدة ، ويصمم فينفذ التصميم ، ويعزم فيمضى العزم . وهذه الإرادة القوية والعزيمة الصادقة لا يكتسبها الإنسان بسهولة ويسر ، ولا يكاد يحصل عليها بميراث ، وإنما هو في أغلب الأحوال في حاجة ماسة - كما يوفرها لنفسه - إلى لون من المجاهدة والمجاهدة النفسية ، يمارسه كثيراً ويتدرب عليه مراراً كما يتدرب المعتل على تذوق الدواء المر حتى يألفه لسانه ، فلا يجد في تعاطيه مشقة ، ولا يذوق منه عضاضة .

ولن يجاهد الإنسان نفسه إلا إذا تعرض في الحياة للمواقف الحازبة التي يقف منها الإنسان حائراً ، لا لأنه لا يدري ماذا يعمل ولا كيف يتصرف فيها ، ولكن لأنه يجد من نفسه دافعا في لحظة ووازا في أخرى ، أو بعبارة أخرى فإنه يقع تحت ذلك اللون من الصراع النفسى الداخلى العميق . ذلك الصراع الذى لا يظهر على السطح ، ولا تدل عليه الملامح ، وإنما هو خاف مستبطن لا يطلع عليه ، ولا يعانى منه ، ولا يشترك فيه سوى صاحبه .

وقد سأل سائل آخر : لماذا لا تصنع ؟ فأجاب : لا أستطيع . فقال : كيف لا تستطيع وفى يدك أن تحرره دخول الامتحان ؟ فأجاب : ليس فى يدي أن أحرمه دخول الامتحان . قال : فتستطيع إذن أن تأتبه فى الامتحان الخاص بأسئلة صعبة فلا يجيب عليها ويرسب ؟ قال : هذا هو الحل الوحيد وسأروض نفسى عليه . ألا ترى أن فى إهانتى سبباً كافياً لاصنع به هذا . وغدا الامتحان ، وإن غدا لناظره لقريب .

نفس تريد أن ترفع ما لحقها من إهانة فتلبس الوسائل ، ولا تعجزها الوسيلة كما لا يعجزها التبرير المنطقي لها ؛ فقد أهينت ولحقها ضرر لا يفسله إلا الانتقام .

وسأل سائل آخر : لماذا لا تصنع ؟ فأجاب : لا أستطيع . قال : كيف وفي خزائنك المال لا عد له ولا حصر ؟ قال : وما أصنع بالمال ؟ فأجاب : تستطيع أن تغريه به ، وعندئذ يبيعك نفسه وضميره . قال : وما موقفي إن كان عقيفاً لا يغريه بريق المال ، ولا يزدهيه تذلي له ؟ . قال : فاختر بين أن تضع من عمرك سنة أو أن تنفذ هذه الحيلة .

نفس تشرف على الهلاك ، وتوشك أن تبتلعها الدوامة ، وهي تبذل النفيس مما تملك لتصل إلى بر السلام ، ولكن هل قوة الإنسان هي التي تنجيها أم قوة أمواله حين تصرف لهذه الغاية بطريقة غير نظيفة ؟! ولكنها الوسيلة الوحيدة في يده ، ماذا تراه يصنع ؟ هل يقدم أم يحجم ؟

وسأل سائل آخر : ولم لا تصنع ؟ فأجاب : أتراني أبيع ضميري وذمتي ؟ قال : ولكنك في حاجة ماسة إلى مال تقيم به حياتك ؟ قال : هذا صحيح ولكن من أى الطرق ؟ قال : إنك ستبذل من وقتك وجهدك ، ونحن لا نحصل على المال إلا نظير ما نبذل من وقت وجهد . قال : رأيتك صواب ، وسأحاول أن أضمن له النجاح المنشود .

أزمة نفسية أخرى تعاني منها النفس : بين منطق يبرر وضمير يأبى وحاجة ملحة . ماذا يضير العالم في أن يضمن له النجاح ؟ وهو بذلك يوسع على نفسه وعياله . هذا دافع . ماذا تكون قيمته من حيث هو لإنسان ذو ضمير وهو يخدع العالم ويخون عليه ؟ ذاك وازع . وهو بين الدافع والوازع لقي إلى حين .

وتجلى هذه المواقف . يأتي الامتحان ، وإذا بالأسئلة من الصعوبة بحيث لا يمكن الإجابة عليها بحال . وتسكون النتيجة أن يرسل الطالب ويشقى ما بنفس أستاذه .

ويفنى الأمر الآخر إلى أن يذهب إلى أستاذه ويبدد بين يديه وقدميه المال بدرأ يأخذ بالبصر . وأخيراً ينهات الأستاذ - وقد أغراه البريق - على المال ، فيملا به جيوبه ويقضى حاجاته ، ويضمن لتلميذه غير النجيب النجاح .

هذه صور لا أعتقد أنها غريبة لأنها من واقع الحياة . وليست هي كل الصور التي قد نصادفها في الواقع فهناك مئات الصور والمواقف الأخرى لا تقبل في دلالتها عما ذكرت ، والإنسان بهذا عرضة في أغلب الأحيان إلى أن يقف هذا الموقف أو ذاك من تلك المواقف ، ولكنه كثيراً ما يصطنع منطق التبرير ، وهو منطق لا يعييه إثبات الباطل ، ولا يعجزه

نصرته على الحق . ذلك أنه يفشل في أن يستمع لضميره ويستجيب لندائه . وأقول يفشل لأنه لو نجح في الاستماع إليه لانتصر الحق ووضعت الأمور في نصابها .

ولكني ينجح الإنسان دائماً في الاستماع إلى ضميره فإنه في حاجة إلى تجارب وتجارب تكون بمثابة حقول التدريب النفسى الذى ينشط فيها قوة الضمير ، فيجعله قويا متسلطاً متنبهاً في كل لحظة . وقد يخيل إلى الإنسان أنه من السهل عليه أن يحكم ضميره ، وأن يتخلى عن كل نزوانه ، في كل ما يعرض له في حياته الخاصة والعامة .

ولكن يبدو أن هذا مجرد خيال . فإن التربية الروحية ليست من السهولة في شيء ، وأرجو ألا تصرف عبارة « التربية الروحية » إلى المعنى الصوفى الذى قد توحى به ؛ فحق أن في الصوفية معنى من مجاهدة النفس ، ولكنها مجاهدة تأخذ نتائجها صورة سلبية ؛ فهي رغم فعاليتها لا تندفع بالحياة في سيرها المستمر ، ولا تمدها بقوى إيجابية دافعة إلا من طرق بميدة جداً وغير مباشرة . أما « التربية الروحية » فهي لون آخر من المجاهدة النفسية غير الصوفية هي التدريب كما قلت على النصر في الحياة لا كما تملى الحاجة الملحة والضرورة الحازبة ومنطق التبرير ، ولكن كما تملى المصلحة العامة والمنطق العام والضمير الحى . سمها بعد ذلك تربية روحية ، أو سمها كما يسميها العلماء المحدثون « التسامى بالغرائز » ، أو سمها كيف شئت ، فإن اختلاف الأسماء لن يغير من الحقيقة الأولى شيئاً ، وهي صعوبة هذه المجاهدة على النفوس . يدرك هذه الصعوبة كل من عانى التجربة إدراكاً كافياً .

وإذا عدنا إلى الصور الثلاث التى ذكرناها نجد أن العواقب النفسية - فضلاً عن النتائج الخارجية - كانت وخيمة ؛ فقد رسب الطالب وامتلأت نفسه غلا وإحنا ، ورضيت نفس أستاذه أول الأمر ، ولكنه عاد فأحس بشيء من الجريمة صار ينغص عليه حياته ، وأما الثانى فقد فرح أول الأمر بالنجاح الذى أحرزه ولكنه عاد ينجل من نفسه وجمله الذى اقتضض في العام التالى . وأما أستاذه فقد سر بالمال فأنفق عن سعة ولجى كل رغباته وجاجاته ، وحين نفذ المال عادت فعلته تنغص عليه العيش وتعلق نهاره وليله .

عواقب وخيمة كلها ، رغم النتائج السريعة المرضية ، فقد كان إرضاءها مؤقتاً ، وكانت لذتها النفسية مؤقتة ، وأصبح كل وقد استشعر الجرم فاستبشعه ، وأحس بالفعللة إحساساً صادقاً فاستشنعها ، ولكن ما جدوى هذا وقد انتهى الأمر ؟ وليس غريباً أن نسأل عن الجدوى وقد سميها منذ لحظة عاقبة أو عواقب وخيمة ؛ ذلك أن هذه التجربة السكاملة

ستكون الحرز الحرز الذي يعصم كلا من أن ينطاق وراء شهوة مؤقتة أو نزوة عارضة ، فلا يعود إلى تكرارها .

على أن هناك حقيقة نفسية عظيمة لمسها القرآن الكريم حيث يقول : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، وحيث يقول : « صم بكم عى فهم لا يرجعون ، . وهذه الحقيقة هي أن الإنسان حين يجرب شيئاً فيستمرنه ويعود إليه ويكرره مهما كان فيه من باطل أو كذب أو خداع ، فإن إحساسه يتبلد شيئاً فشيئاً ، وإدراكه ينحدر وينحدر قليلاً قليلاً حتى يصبح وقد غلبت عليه النزوة ، لأن تكرارها طبع نفسه عليها فأصبح لا يجد فيها ما يستبشع . فالنفوس عجينة مرنة إذا كفيتهما على وجه من الوجوه ، وصورة من الصور ، لقيت أول الأمر في هذا التكيف صعوبة ، ثم لا تلبث أن تعتاد ذلك الوجه أو تلك الصورة .

وإذا أفدنا من هذه الحقيقة الصادقة كان علينا ألا نكرر الزلات التي سبق أن وقعنا فيها ما دمتنا قد استشعرنا ما فيها من جرم ، بل يجب أن نعيد منها إفادة عملية فنتخذ منها حرزاً - كما قلت - يعصمنا من التردى فيها مرة أخرى . وهنا تلزنا بالإرادة الحازمة والعزم الماضي .

وحين نقول إن في جهاد النفس صعوبة أى صعوبة ، ويكلف الإنسان مشقة شاقة ، فربما كان هذا استلهاماً ؛ يقول عمر بن العزيز رحمه الله تعالى : إن جهاد الهوى هو أفضل أنواع الجهاد . ذلك أن جهاد الحرب في سبيل الله ، وهو جهاد نعرف جميعاً قيمته ومكانته ويكفى أنه يخلد صاحبه عند ربه وبين الناس ، فإن هذا اللون من الجهاد لا يحتاج من الإنسان إلا أن يتحلى بالشجاعة ويحالد خصماً له يراه أمامه رأى العين ، وبشتبك معه في صراع حسي واضح . ولكن جهاد النفس ، ذلك الجهاد الذي لا يراه أحد ، ولا يحس به غير صاحبه فإنه أكثر مشقة على النفوس : ذلك أن الإنسان هنا إنما يصارع نفسه لا بالسلاح ولا بالشجاعة ، ولكن بالسلاح النفسى والشجاعة النفسية ، أو لنقل بالإرادة الحازمة . وفي رمضان المبارك درس نفسى في جهاد النفس ، يتكرر كل عام فيحيى بليد الحس ، ويصنى كل ما علق بالنفوس من رجس ، ويمنحها قوة جديدة تحيا بها طول العام ، و رادة قوية تغلب بها على النزوات والصعاب .

عز الدين اسماعيل

مدرس اللغة العربية بكلية الآداب - بجامعة إبراهيم

الذكرات: أنجالنا في رمضان

الذكرات الطيبات للأفراد والجماعات ، فيها حياة تبعث الأمل وتثير التأمل ، وتوقظ الهمم وتسمو بالإسانية إلى أعلى مثل . وهي روافد لقوة الإيمان وصدق اليقين وحوافز للتضحيات في سبيل الحق وإقامة العدل ونصرة الدين والعمل على الإخاء والمساواة .

وأجل الذكريات وأجدرها بالإشادة والتحدث ما تعلقت أسبابها بوحى من الله أو توجيه من الرسول الذى يدعو الناس إلى الدين القيم والهدى المستقيم : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ... »

ورمضان شهر الذكريات الإسلامية والمواقف الإنسانية والجهود السامية بها وفيها كمال القدوة : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ... » فواجبنا نحن المسلمين ما تعاقبت الشهور والأعوام وتوالى الأحداث الضارة أو السارة أن نلتفت إلى ماضينا المجيد لنجد فى نفوسنا راحة الإيمان وثقة الاطمئنان ونذفع بتوجيه المعجزات الباقيات وإنها لشاهدات على قدرة الخلاق بما يثبت العقيدة ، وناطقات بصدق محمد خاتم النبيين — تبارك الذى نزل الفرقان على عبده — فيه تبليغ وتشريع وتنظيم للعلاقة بين العبد وربّه وتبيين المناهج الصالحة لإسعاد العباد . لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من أصول الإصلاح إلا أحصاها « ما فرطنا فى الكتاب من شئ » .

تسامت ذكريات رمضان الذى أنزل فيه القرآن وصدق الله « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر ... »

فأعظم بها من ليلة من الله فيها على الإنسانية بتقدير دينه ، وتحديد الخطة لئليه فى دعوة البشرية ، وما أشرفها من ليلة تحررها الرسول ووجهنا إلى الإيمان فى ترقبها . وحشنا على اللهفة والشوق إليها ودعانا إلى إكثار الطاعات ومضاعفة العبادات حتى نفوز بمغفرة من الله ورضوانه ، قال عليه السلام : « تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من شهر رمضان ،

ثم علم أمته — كما روت السيدة عائشة — كيف تدعو وتضرع الى الله عندما تنفسم رواشح
ليلتها المباركة . قالت أم المؤمنين : يا رسول الله أن علمت ليلة القدر بماذا أدعو ؟ قال عليه
السلام : « قولى : اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » .

وفي رمضان تجلت معجزة النصر في معلم الفرقان يوم التقى الجمعان فصرع الشرك على
بطاح الوادى وطوى قلبه مردة الشر وعصابة البغى بعدما وقعت الواقعة التى فرقت بين
الحق والباطل ومازت الحديث من الطيب .

فكان الويل للشرك الذى نفخ فى صناديده فحشدوا قرابه ألف مقاتل أعدوا وأجلبوا
بخييلهم وخيلائهم مكاثرين بجزورهم وقيانهم .

وكان الرسول لهم بالمصاد فى صحبة من الصفوة القليلة يعدها حتى لتدحر الفئة الكبيرة .
فى شهر الصوم والصبر والجهاد وتحت راية القرآن يتوجه إلى السماء مستعينا مبتلًا
« اللهم هذه قریش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك اللهم فنصرک الذى وعدتني » .
وينزل الله على قلبه السكينة فيهتف أثر مناجاته مبشراً أصحابه بقول ربه : « سيهزم الجمع
ويؤولون الدبر » .

وتجاوب فى جموع المسلمين — وهى ثلث العديد المشرك — بشریات الرسول بالنصر
فتحبب إلى الصحابة الاستشهاد ويكون الصراع قاب قوسين أو أدنى ، وقوى الشرك تهصاج
وتتفاخر وتتكاثر وعلى رأسها أبو جهل تريد القضاء على الإسلام والمسلمين وفى زحمة الشر
ينصح قرشى عصابته قائلاً وأنتا خرجنا لنمنع أموالنا وقد نجت فلنرجع .

ولكن أبا جهل يركب رأسه وتأخذه العزة بالإثم ويأبى إلا أن ينادى : « لا نرجع
حتى نرد ماء بدر فنغم » ، ثلاثاً تنحدر الجزور ونطعم الطعام ونشرب الخمر وتعزف علينا
القيان فلن تزال العرب تهابنا » .

ويرتفع صوت فى وجه قائد الفتنة : واقوماه هذا عمل أبى جهل لانه ترأس الناس فبغى ،
والبغى منقصة وشؤم . . . والحوائف تصيح بهم وتردد فتهز المخاوف أحلافهم وأسل
عليهم أوهاهم .

أفياريح من أمسى عدو محمد لقد جار عن قصد الهدى وتحيرا
كل هذا والرسول فى أصحابه لا تزيده شدة الموقف إلا سعة صدر وقوة اطمئنان إلى

المهاجرين والانصار . يقوم عمر فية قول ويحسن ، كما قال أبو بكر وأحسن . ويشير الحجاب ابن الجوح على الرسول بالمسكان الصالح لكسب المعركة فينزل النبي عند اختياره . وبين المناجاة وقبيل الزال يقول الرسول لمن أخلصوا دينهم لله : أشيروا على أيها الناس . فيتقدم سعد بن معاذ بطل الانصار بما يرضى الله ورسوله ، وحسبه وحسبنا من كلامه ، إنا قد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق ، فأعطيناك موثيقنا وعمودنا على السمع والطاعة ، فأمض بنا يا نبي الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر نخضته لخصناه معك ما بقي منا رجل .

والذي نفسه بيده ما سلكت هذه الطريقة قط ومالي بها من علم وما نكره أن نلقى هدونا . إنا اصبر عند الحرب صدق عند اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، .
ويقول الرسول : سيروا على بركة الله ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين . والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم ...

وهناك يعقد الألوية ثم يلتقي الجمعان ويمد الله المسلمين بألف من الملائكة مردفين . إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ، .

وتجلى المعركة البدرية عن فوز الإسلام ، وتعلو العقيدة الخالدة ، ويسود النظام ، وتسمو القيم الإنسانية ، ويهزم الباطل فى حشده أمام اليقين وصدقه .
ويعود المسلمون - المدافعون عن دينهم - إلى المدينة وفى غنائمهم أسارى ، وما هم بأسارى ، لحسن المعاملة ويسر الفداء ، ومن كان فى عسرة فيسرته تعليم عشرة من أبناء المسلمين ، تلك يد من النبي الأمي فى تيسير العلم وإشاعة التعليم .

حتى إذا كانت السنة الثامنة للهجرة وجاء النصر والفتح المبين ، ومن الله على الذين أخوجوا من ديارهم - بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله بالعودة - إلى مكة فى شهر رمضان فى موقف الفتح الظافر ، أصدر الرسول عفوه العام فقال لمن آذوه فى نفسه وصحبه ودعوته : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

تلك جوانب من ذكريات الإسلام الخالد كما فيها العفو والإحسان تذكروا فى رمضان

شهر البر والقرآن ٩

طامل محمد عجمون

الْجَنَّةُ فِي صَبْرِ الْإِسْلَامِ

٣ — الطاعة :

إن الطاعة أولى دعائم النظام العسكري قال الله تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ، وأولو الأمر هم الذين ائتمنهم الله على من هم في رعايتهم عن هم دونهم في الرتبة ، وقال : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » .

٤ — الأقدمية والقيادة :

من الطبيعي أنه حينما وجد العمل الاجتماعي الذي يحتاج إلى التدبير ، ظهرت الحاجة إلى الرئاسة ، وقد أوصى بها الرسول الكريم ﷺ بقوله : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » .

ومقياس الرئاسة عنده شرطان هما جماع الشروط في كل رئاسة : الكفاءة والحب ، فقال : « أيما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين » ، « وأيما رجل أمّ قوماً وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه ، ولقد دعا الإسلام إلى احترام الرئيس فقال تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » .

٥ — الاستعداد والقوة :

أمر الله تعالى المسلمين أن ينفقوا أقصى ما يستطيعون في الاستعداد للدفاع فقال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » .

ولقد ذكر الله عز وجل هنا وسائل الدفاع بلفظ عام هو : « من قوة » ، ليتناول كل ما يحتاج إليه في الدفاع ، ويكون له أثر في الفوز على الأعداء ، فهو يشمل آلات الطعن والضرب ، وآلات الرماية وبناء الحصون ، وإعداد ما يحتاج إليه الجند من ملابس وطعام .

٦ — التحذير من التنازع :

قال تعالى : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ويحكم واصرروا إن الله مع الصابرين ، ، فهو يحذر من أن يقع تنازع بين قواد الجيش أو بين أفرادهم ، أو بين الجيش وقادته ، لأن الشقاق يبعد ما بين النفوس ، ويذهب بروح التناصر ، فيسكون أبعد أثرا وأشد تنكيلا بالجيش مما يفعله به عدو بعده وعدده .

٧ — الإخلاص في الحرب والثبات في الميدان :

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له : الرجل يقاتل للدغم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ فقال الرسول : د من قاتل لنسكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

وهكذا تعلم المسلمون أن الذي يقاتل ليحرز منصبا أو مالا أو ليتحدث الناس عن شجاعته قد يقف إقدامه عند حد ، أما من يقاتل دفاعا عن أشرف عقيدة ، ويرى أنه بالعزة والكرامة يعلو الحق ويشرق ، فإنه يثبت في المعركة وشعاره النصر أو الموت .

وقد عني القرآن الكريم بترية فضيلة الشجاعة في النفوس ، وحث المسلمين على الثبات في القتال فقال تعالى : د يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا .

وحذر الله من الفرار من الصفوف وعده من الكبائر فقال : د ومن يولم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير .

* * *

وبعد فهذا قليل من كثير مما تعلم العرب في المدرسة الإسلامية ، التي تم فيها لإعداده إعدادا متناسبا مع شرف المهمة التي كانت تفتظره وهي الدفاع عن دين الله . وليس ثمة شك في أنه أصبح مقاتلا من الطراز الأول ، قد جمع من الصفات ما يسمونها على أفضل جنود العالم ، فهو كان مسلما صابرا على الشدة شجاعا ، ومطيعا وقويا ، ويقظا وحازما ، وذكيا متبصرا ، قد عرف له غاية ليس أسمى منها هي الدفاع عن دين الله ، فإن أصابته في سبيل ذلك طعنة رخ ، أو رمية سهم ، أو ضربة سيف ، لقي مولاه سعيدا راضيا مطمئنا إلى وعد ربه الكريم : د ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون .

وقد قدر قادة الحروب أهمية الروح المعنوية في القتال ، وعرفوا أنها سلاح لا يقل أهمية عن أسلحة الحرب ، وأدركوا أن أقوى الأسلحة لا قيمة لها إذا لم تكن روح الجنود المعنوية عالية ، وفي هذا يقول أحد قادة الحرب الحديثة : « لأنه ليس المدفع ، ولكن ذلك الرجل الذي يقف خلف المدفع » 'It is not the gun ; but the man behind the gun' لقد كانت الروح المعنوية لجيش الإسلام في أسمى درجاتها ، إن منهم من قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أى جنب كان في الله مصرعى
ولإن منهم خالد بن الوليد ، الذى عرفته حروب الإسلام مقاتلاً من أعظم المقاتلين ، وقائداً من أعظم القواد ، والذى عز عليه أن توافيه المنية على الفراش في بيته فيقول في ألم وحسرة : « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح ، وما أنذا أموت على فراشى كما يموت العير ، فلا نامت أعين الجبناء ، وأخيراً فهؤلاء هم جنود الإسلام الذين استشهدوا في سبيل الله ، يطالع الله على أرواحهم فيقول : يا عبادى ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة ، نأكل منها حيث شئنا ، إلا أن نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم نرد إلى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل مرة أخرى ... !

محمد جمال الدين محفوظ
يوزباشى أركان حرب

المرأة المسترجلة

قال نابليون :

لا أفهم حياة الرجال بلا زواج ، ولا أفهم الزواج بلا أبناء ، ولا أفهم الأبوة والامومة بلا حنان ، ولا أحب المرأة التى تريد أن تقوم في هذه الحياة بما يجب على الرجل وحده أن يقوم به .

فالمرأة المسترجلة في نظرى كالرجل الخنث .

صَدَى

الأمانة الثانية

ورجاء مرفوع إلى فضيلة الأستاذ الأكبر

أخي الفاضل الأستاذ محب الدين الخطيب ! سلام وتحية وتقدير لما كتبته في مقاليك عن «الأماتين» ، ولعله يكون للروح القوية التي أملتها أثر في تحقيق ما تحب ونحب جميعاً . وأذكر أن أخاك قد بُحَّ صوته من قبل لكثرة ما كتب وقدم من تقارير في هذه النواحي وأمثالها ، وقد التقي بك في بعض ما جاء في المقال الثاني وبخاصة فيما يتعلق بدراسة الملل والنحل وكتابة معجم للقرآن والفقه ، ولكنه لا يسهه بعد ما جرب كثيراً إلا أن يتمثل بقول الشاعر : لقد أسمعتم لو ناديت حيا . . . والله المستعان .

والآن ، لنسكن عمليين فقد انتهى عهد الكلام كما يقولون ، لقد ذهب الذين كانوا « يتعبدون بخدمة العلم وتمحيصه وتدوينه لوجه الله وحده » ، فلم يبق إلا أن نحمل القادرين على هذا العمل حملاً ، وذلك بصدور قرار من فضيلة الأستاذ الأكبر يعني فيه هؤلاء من التدريس ، ويتقسمهم جماعات قليلة تقوم كل جماعة بالكتابة في بعض ما ذكرت في مقالك الثاني ، وتعين مكافآت على ما ينجز من أعمال يجب تحديد مدة لها .

هذه وسيلة من الوسائل التي تؤدي بنا لما تريد ، وهناك غيرها طبعاً ، والمسألة أنه يجب أن يهتم فضيلة الأستاذ الأكبر بالأمر ويولي ما يستحق من عناية وتشجيع ، والله يوفق ويعين متى صدقت منا النية واتجهت الإرادة .

وأذكر ، وهذا مما يؤلم كثيراً ، أنني فسكت في عمل معجم للقرآن ، تكلمت في ذلك مع اثنين من كبار رجال الأزهر ومن جماعة كبار العلماء ومن لهم مراكز علمية رسمية ، وأفهمتهما أن هناك باللغة الفرنسية معجماً ضخماً للتوراة والانجيل ظهر منه إلى عام ١٩٤٩ نحو عشرين مجلداً ، فمن الضروري عمل معجم متوسط للقرآن يدنى للباحث ما حوى من العقائد

والتشريعات وأصول الاخلاق وغير ذلك كله من العلوم التي تضمنها هذا القرآن العظيم ،
فهل تدرى أيها الأخ ماذا كان الجواب ؟

كان أنهما أجاباني بأنه لا حاجة مطلقاً لمثل هذا المعجم ، وما على من يريد شيئاً من هذه
العلوم إلا أن يتعب كما تعبنا غفر الله لهما ، كئأتهما يعتقدان أنهما تعباً ووصلاً إلى غاية
محمودة من العلم الإسلامي !

ولك مني أخيراً ، خالص التحية والتقدير .

محمد يوسف موسى

المجلة — من الحقائق التي شاع العلم بها في العالم الإسلامي بالقرنين العشرين والسنة الأخيرة أن
المسلمين إلى خير ولكن الضعف في القيادة ، أي في القيادة الثقافية والعلمية ، وفي القيادة
الاقتصادية ، وفي القيادة التوجيهية . وإن نصيبنا نحن معاصر المشتغلين بالعلم من هذه المسؤولية
أعظم من مسؤولية غيرنا . وما ذكره الدكتور محمد يوسف موسى عن اعتذار أحد العلماء
بأن على من يريد شيئاً من هذه العلوم أن يتعب كما تعبنا ، هو مظهر من مظاهر الضعف
في القيادة ، وبما يذكره من أعراض هذا المرض أن العلامة المؤرخ أحمد زكي (باشا) رحمه الله
كان عنده جزرات في التاريخ والجغرافيا لا نظير لها لأنها ثمرة مطالعته واطلاعاته مدة
نصف قرن ، فلما ذهب إلى اليمن بعد الحرب العالمية الأولى أوصى الاستاذ السيد خير الدين
الزركلي بأن يلقى هذه الجزرات في النيل إذا حانت منية صاحبها وهو في اليمن ، ثملا يفتقع
أحمد بما تعب هو في جمعه وإعداده ، ومعلوم أن أحمد زكي (باشا) عاد من اليمن سالماً وعاش
بعد ذلك سنين ، ومع ذلك فإننا لا نعلم شيئاً عن مصير هذه الجزرات الثمينة بعد وفاته .
فإن كان قد أمر أحداً بإتلافها فيكون ذلك من مظاهر هذا المرض من أمراض القيادة ،
وهو أن لا يفتقع الناس بما تعب واحد منهم بجمعه وتحصيله ، وعلى من يريد شيئاً من هذه
العلوم أن يتعب كما تعبنا . فهذا المرض أحد مظاهر الضعف في القيادة ، وفي تقديرنا أنه
قد آن لنا أن نشفي منه ، وأن يمشي كل واحد منا لأمته بعد اليوم لتعرف له أمته ما قدم لها
من عمل صالح .

فِي يَوْمِ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ

في اليوم العشرين من رمضان ، وفي العام الثامن من الهجرة النبوية المباركة ، وحينما تأذن الله أن يتم نوره ويعلى كلمته ويمجى في الخلق سنته . . جاء نصر الله والفتح ، وأقبل الحق يسعى إلى البلد الأمين ، يسوقه الإيمان كما تسوق الرياح الصيب الهتون ، فاهتزت له بطحاء مكة وربت ، واخضر به الوادى الجديب وتفتحت لاستقباله القلوب ، وبدأت مكة عهداً جديداً توارى فيه شبح الوثنية البغيض إلى غير مأب . ودخل الناس في دين الله أفواجا . وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد .

، وكلما طافت الذكريات بهذا اليوم الخالد على الزمن رجعت حافلة بالعبرة والموعظة الحسنة ، وهذه العبر التي يفيض بها تاريخ الإسلام هي الغاية التي يجدر بنا أن نضعها بين أيدينا ولا غرو ففيها التوجيه الحكيم والإرشاد الهادى والتبصرة النافعة ، ونحن لذلك سنقف بالقارىء عند بضع العبر في قصة الفتح سائلين الله أن يحمل لما من ذلك هدى ونوراً وشفاء لما في الصدور .

ففي يوم الفتح الأعظم برز الوفاء في جوهره النقي وصورته الحسنة ، فانتصر على الغدر والخيانة فلقد نقضت قريش ما تعهدت به في صامح الحديبية مع رسول الله ﷺ فنصرت بكرة على خزاعة المحالفة للرسول . وكان العهد القائم بين الفريقين أنه « من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه » فدخلت خزاعة في حلف محمد ودخلت بكر في حلف قريش ، ولو أن قريشاً احترمت عهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فكر الرسول في فتح مكة ، ولقد لهذا البلد الأمين أن يقضى فترة أخرى في ظلمات الشرك والوثنية ، ولكن الله أبى إلا أن يتم نوره فأبى قريش إلا أن تغدر وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الوفاء .

وكانت خزاعة حليفة الرسول ﷺ ضحية لغدر قريش إذ عاونت بني بكر عليهم وهذه فاجأتهم عند ماء لهم يقال له الوثير وقتلت نفرا منهم تشفيا لحقد دفين وثأر قديم .

قال ابن اسحق : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في نهبه وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة - فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس فقال :

يا رب إني ناشد محمدا حلف أيينا وأبيه الاتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ثمت أسلنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرنا أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا
ثم يقول :

إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقل المؤكدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا
هم يبتونا بالوثير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا

فأجابه رسول الله ﷺ قائلا : « نصرت يا عمرو بن سالم »^(١) ، ثم قام من فوره ليعد للأمر عدته . وليقوم بواجب الوفاء نحو خزاعة ، وبين هذا الوفاء من جانب الرسول ﷺ والغدر من جانب بكر وقريش كانت الحكمة البالغة والآية الكبرى ، فانتصر الحق وأبى وأبى وأبى . وزلزل الباطل وتداعى بنيانه ، وإن في ذلك لعبرة ١١

إن الوفاء بالعهود والمواثيق يكاد يكون في حياة الأمم والشعوب حبرا على ورق ، وإنه لأقرب إلى الوهم والخيال منه إلى الحقيقة المشاهدة والواقع الملوس ، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الإنسانية تشقى دائما بالثورات والفتن والمعارك الدامية ، ولا غرو فلو عرفت كل أمة ما لها وما عليها ، وألزمت نفسها بتنفيذ ذلك لا يمكن أن تهدأ نار البغضاء والشحناء وأن تجف الأرض ، ولو قليلا من الدماء والدموع . ولكن تيار الانانية الذي يحرف النفوس إلى الشر والسوء ويوردها موارد الهلكة يأبى إلا أن يستمر في طغيانه ،

وحينئذ تبدو حاجة الناس إلى الشرائع السماوية والقوانين الوضعية والدعوات الإصلاحية لكي تقاوم هذا الطيش والجروح وتخفف من غلوائه .

ولقد دعا الإسلام الناس إلى الوفاء فقال تعالى : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ، وقال : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ، .

وثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال ، أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، .

وقد عرفت الأديان السماوية جمعاء والقوانين الإصلاحية في مختلف العصور قيمة الوفاء في تنظيم العلاقة بين الأفراد والأمم ، وإنما العيب كل العيب فيمن يتنكبون طريق الخير والهداية ، واللوم كل اللوم على من يشتركون الضلالة بالهدى ويستبدلون الظلام بالنور !

* * *

وهل أناكم نبأ حاطب بن أبى بلتعة ؟

إنه صحابي جليل شهد يوم بدر مع إخوانه المهاجرين والأنصار ، واسكن كان له في فتح مكة كبوة كبرى وموقف مشين !!

فلقد عمل الرسول على إخفاء مسيره إلى مكة قائلاً : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ، وتلك خطة حربية ناجحة فإن الحرب خدعة ، ومباغثة الأعداء سلاح قوى لا يفel حده .

ولكن حاطباً المؤمن زلت به التقدم حيناً من الزمن ، وكم للنفس البشرية من زلات يتغلب فيها الشيطان فيغفل الحقائق ويعمى المسالك ويظهر الشر القبيح في مظهر الحسن والجمال ، وهذا من سمات العجز الإنساني والضعف البشري الذي عناء رسول الله ﷺ بقوله : « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، .

أجل . زلت قدم حاطب فأرسل إلى قريش نبأ جيش المسلمين قاتلاً ، إن النبي ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده ^(١) ، وقد كتب ذلك في رقعة وأرسلها مع مولاة لبعض بني عبد المطلب تسمى سارة . ولكن الله كشف حقيقة هذا الأمر لنبيه الكريم فأرسل إلى تلك المرأة من لحقها في الطريق وجاء بهذه الرقعة إلى رسول الله ﷺ . فدعا رسول الله حاطباً فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دعنى فلاضرب عنقه فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله ﷺ وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ،

ألا أن فى هذا الحادث لعمرة ١١ فرسول الله ﷺ يلقى على العالمين درساً نافعا فى تقدير الاعمال ، ووزن الخير والشر بميزان سليم ، والتماس المَعْدرة للمخطئ . إذا وضحت له الحقيقة فرجع وتاب وأناب ، وكثير من الناس يختلط الأمر عليهم فلا يغفرون السيئة الصغيرة مهما تقدمها من حسنات كبار . ولكن رسول الله ﷺ وقد عرف حقيقة الإنسان وتسلط الشيطان عليه ، ثم عرف مع ذلك قول الله تعالى « إن الحسنات يذهبن السيئات ، وقوله « إلا من تاب ، وقوله « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، قد وضع ذلك كله فى الميزان فغفر لذلك الصحابي الجليل زلته الطارئة أمام بلائه السابق فى خدمة الإسلام وحضوره غزوة بدر ابتغاء مرضاة الله وجهاداً فى سبيله .

وبعد . فهذه بعض العبر التى تفيض بها الذكريات فى يوم الفتح الأعظم - وكفى فى هذا اليوم من عبر وعظات - وإنه لحق على المسلمين أن يلتزموا الخير والنور من تاريخهم المجيد ، كى يستردوا المجد الغابر ، ويصلوا الماضى بالحاضر ، والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل .

محمد الطيب النجار

أستاذ فى التاريخ الإسلامى بالأزهر

خير الزوجات في نظر الاسلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تنسكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدنياها . فاظفر بذات الدين تربت يداك » ، رواه الشيخان .

للزواج فوائد كثيرة عليها يستند نظام الحياة ، وتستقر قواعد العمران ، وترتكز دعائم الإصلاح .

وله آثار جليلة بها تقوم المصالح بين الأسر ، وتحقق المنافع بين العشائر ، وتسود العلاقات بين القبائل .

وفيه ثمرات طيبة بها تطهر الأمم من جرائم الفساد ، وتبرأ من أدواء الآثام ، وتتخلص من عوامل الأسقام .

فهو السبب الأعظم في بقاء النوع الإنساني بقاء صالحا ، تتفجر منه ينابيع الخير ، وتنحدر منه غيوث البر ، ويخرج منه الثبت الحسن المبارك .

وهو السبيل الأقوم إلى توكيد الصلات بين الأفراد والجماعات ، توكيدا يكون به التناصر والتعاقد ، وينشأ عنه التأزر والتعاون ، إذا وجبت النجدة ، وجدد الجدد ، وحزب الأمر .

وإذا استقامت أحوال أمة ، ونأت عن المنسكحات بجانبها ، وماتت فيها فكرة التخاذل ، وشاعت فيها روح التعاون ، فقد سطع نجمها ، وانبهج صبحها ، واقترب ضحاها .

وقد جرت عادة الناس أنهم يرغبون في الزواج بالمرأة لواحد من الأغراض الآتية ، يجعلونه مدار أفكارهم ، ومحط أنظارهم ، ومرمى أبصارهم :

فهم من يرغب في الزواج بالمرأة لمالها ، ولو كان الثبت خسيسا ، والمنظر دميما ، والخلق ذميما .

ويعلمون تلك الرغبة بأن المرأة إذا كانت ذات مال ومتاع ، ونشب وضياع ، فقد

تستغنى بمالها عن إرهاق زوجها بالمطالب ، وإثقاله بالحوائج ، وتسكيفة مالا يطيق
مما تشاؤه وتبغته ، وتميل إليه وتشتهيه .

وقد يرزق منها بولد ، فيعود إليه مالها بالميراث ، فينشأ ثريا ، ويعيش غنيا ،
ويموت كريما .

ولكنهم — وقد تملك حب المال عقولهم — غفلوا عن المتاعب التي تلحقهم من جراء
ذلك الزواج المسمى ، والتي لا تعد تلك المنافع في جانبها شيئا مذكورا .

ذلك أن ذات المال من النساء تكون — في الغالب — طاغية عاتية ، متجبرة قاسية ،
لا ترضى لزوجها حرمة ، ولا تحفظ له كرامة ، ولا تؤدي له واجبا .

وما لا شك فيه أن أعظم المرأة على الرجل ، وترفعها عليه ، وأخذها بزمامه وقيادته ،
فيه عكس للسنة الإلهية ، وتغيير للأوضاع الدينية ؛ فإن الله تعالى جعل الرجال قوامين على
النساء قيام ولاية ورعاية ، وإصلاح وتقويم ، بما فضلهم عليهن من تمام العقل وكال الدين ،
وبما التزموهن من النفقات والصدقات .

فأرثك القوم الذين يطلبون الزوجة لمالها ، غاضين الطرف عن أخلاقها ، قوم سفهاء
الاحلام ، ضعاف الفقه بالله ، قد رضوا لأنفسهم في سبيل هذا الحطام البالي بحياة الذل
والمهانة ، والعبودية والاسترقاق .

ومنهم من يرغب في الزواج بالمرأة لحسبها ، أي لشرفها بآبائها وأقاربها ، وهي رغبة
محمودة محبوبة ، ووجهة قوية سليمة ، قد طلبها الدين ، ودعا إليها خير المراسين .

قال عليه الصلاة والسلام : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس ، أي إن العرق نزاع
ينزع إلى أصل الام وطباعتها .

فالمطلوب من الرجل أن يتخير زوجة حسنية نسيية ، قد نبئت من أرومة طيبة ، ونشأت
من أصل كريم — ويكره له أن يقترب بامرأة خسيصة وضيعة ، قد خرجت من شجرة خبيثة ،
ونبتت في بيئة دنيئة .

وحكمة التشريع في ذلك أن سلبية الحسب تكون ذات خلق حميد، وعرض سليم، وعفة كاملة، وترفع عن الدنيا، وتحفظ من الشبهات، وهذا هو مصدر راحة الزوج وهناءته، وسر تقويم الولد ونجابهته، ومبعث نظام الأسرة وهدوئها.

ولكن الحسب وحده غير كاف في اختيار الزوجة ما لم يكن معه دين يدفع عنها غواشي الشر ويصرف عنها دواعي السوء.

وممن من يرغب في الزواج بالمرأة الجمالها. والجمال مطلوب في كل شيء. لا سيما في المرأة التي تكون صاحبة وقرينة.

ولذا سلم الجمال من التيه المفضي إلى الملل. والإعجاب المؤدى إلى الفتور، وكان بجواره قبس من جمال الشرع والدين، فإن ذلك الزواج يكون دائم الألفة، مستحكم الوصلة، يحمل عز الحياتين، ونعيم الدارين.

وممن من يرغب في الزواج بالمرأة لدينها، وهذه الوجهة يجب أن تكون مطمح أنظار العقلاء. فإن المرأة إذا كانت ضعيفة في دينها وأخلاقها، متهاونة في شرفها وعفافها، أذرت بزوجها، وثلت عرضه، وجرحته منه مواضع العزة.

لذلك كله بالغ الرسول ﷺ في الحث على التزوج بذات الدين بقوله: «فاظفر بذات الدين، تربت يداك»، لأن لها من دينها ما يحميها عن المعاصي، ويحفظها من المساوئ، ويجعلها من غوائل الفتنة في حصن حصين، وحرز منيع.

ومعنى: «تربت يداك»، لصقت يداك بالتراب، وأصببت بالفقر والعوز، والضيق والضعف، إن ضللت ذات الدين، وصدفت عن صاحبة الخلق المتين.

ثم إن النساء على قسمين: صالحات مطيعات، تصون الواحدة منهن عرضها من الدنس وتحفظ شرفها من الخسة، وتقوم على مصالح زوجها بالتدبير والرعاية. فإذا من الله على العبد بامرأة منهن تستمتع بهذه الخلال، وتتجمل بهذه الصفات، فإنها نعمة من ربه وصلت إليه، تستوجب الشكر، وتستأهل الحمد والثناء، قال عليه الصلاة والسلام:

« خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها .

وفاسدات فاجرات . قال عليه الصلاة والسلام : « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات لميلات ، ردوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ، . ومعنى : (كاسيات عاريات) أن الواحدة منهن تستر بعض بدنهن وتكشف البعض الآخر ، لإظهارها لجمالها . ومعنى : (مائلات لميلات) أنهن يمشين متبخترات لميلات لا كتافهن من الخيلاء . ومعنى : (ردوسهن كأسنمة البخت المائلة) أنهن يعطين الردوس بلف العصائب عليهن حتى تصير كأسنمة الإبل .

وهذا الحديث من علامات النبوة ، فقد وجد الصنفان بالمشاهدة وظهر للعيان ظهوراً لا شك فيه .

وجملة القول أن اللائق بذى المروءة والعقل أن يكون الدين مطمح نظرهم في كل شيء ، لا سيما في النكاح الذي يدوم أمره ، ويعظم خطره . قال عليه الصلاة والسلام : « لا تتزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تتزوجوهن لاموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولامة سوداء ذات دين أفضل ، . وقال عليه الصلاة والسلام : « من نكح امرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها ، .

وبعد فهذا موضوع خطير أسوقه إلى القراء ليستلهموا منه الرشد في حالة اجتماعية تشغل الأفكار والعقول ، ويتوقف عليها نظام الأسرة ، وهدوء الحياة ، وصلاح المجتمع ، وفلاح النفس .

والله أسأل - وهو خير مسئول - أن يجعل النفع به عيماً . لأنه نعم الجيب ؟

عبد الرحيم فرغلي البلبني

من نوادر المخطوطات العربية

بعد وفاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه انجسه العرب إلى الدنيا يحملون لها دينهم ويدعون إليه بالتي هي أحسن . ولم يشهد التاريخ حروباً أكثر إنسانية - إن كان في الحرب الإنسانية - من الحروب التي قام بها المسلمون الأولون دفاعاً عن دعوتهم .

ولم يتجهوا إلى تدوين علومهم أول الأمر باستثناء القرآن الكريم ، فقد دون عثمان رضي الله عنه مصحفاً نشره على الأمصار ليتخذ إماماً . ثم اتسعت رقعة الإسلام ودخلت في تكوين ثقافته عناصر كثيرة ، بعضها يتلام مع طبيعة تكوينه فقبلها ، وبعضها يتنافر هذه الطبيعة ، فظل في صراع معها . وكانت علوم اللغة من أقدم العلوم التي حظيت بعناية المسلمين ، ذلك لأنها كانت وسيلتهم إلى فهم كتابهم وإدراك معانيه ، وكانت الشعبية والقبلية والصراع العنيف الذي نشب بين العرب وبين غيرهم من الأجناس ، هذا الصراع الذي حدا بكثير من المؤلفين العرب إلى أن يبحثوا في ماضي أممتهم ويفتشوا عن دارس أيامها ، فإن وجدوها رووها بأسانيدهم واثقين منها ، وإن لم يجدوها على نحو يرضيهم رووها على نحو ما بلغتهم ، رغبة منهم في نصرة فكرتهم ، أو قبيلتهم .

ولا تزال السكتب العربية تحتفظ بالكثير من هذه الروايات عن عرب الجاهلية . وقد تكون أقرب إلى الاسمار منها إلى حقائق التاريخ . ولكن هذه الاسمار ، أو هذه الروايات ذات قيمة كبيرة في دراسة العرب من الناحية الميثولوجية ، ولا تزال هذه الناحية بكراً ، مع أننا نجد الباحثين في تاريخ الأمم الأخرى يولون هذه الناحية عناية كاملة ، وأوضح مثل على ذلك تاريخ اليونان والرومان والفرس .

وأنا أقدم للقراء حديثاً قصيراً عن أقدم مخطوط عربي كامل ، ألفه الأصمعي للأمامون وكتبه ابن السكيت :

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم . أحمد الله دائماً أبداً وأصلى وأسلم على نبي الهدى وعلى آله وصحبه وأعلقهم بالخلافة يداً . أما بعد . /
فقد أمرت أيد الله دولتك وأيد صولتك وأطال في ظل أفياء السلامة بقادك ، وحجب عن غير توائب الدهر نهارك وجعلك لتوخي سبوغ النعم . /
معللاً ولآمال مؤمل الافضال مؤتلاً بأن أجمع ما يلفتني من أخبار ملوك العرب البائدة الأارلية وبعضاً من سياستهم ونصائحهم وأشعارهم وخطبهم
ومسراهم في تدبير ما خولهم الله تعالى وقآئهم فرأيت استغراغ اليهود في قلة ما وصل إلى من ذلك عدداً ووجدان ما به السكفاية عسراً لانقطاع
أخبارهم ومحو آثارهم فأتمت . /

ركبي يحوب الفبائل مستقصياً بها رواة الأخبار وحفظه توارخ ما مضى من الأمصار فاستقصيت كل من وافقته من النسابين وتلقيت ما روته لي . /
الشيخ المعمر من الأجداد السالفين إلى أن جمعت منه هذا القدر القليل مثلاً للأمر العالي الجليل والذي وقع عليه إجماعهم بأمر المؤمنين أن أول ملك . /
تتوج من العرب هو قحطان بن هود النبي عليه السلام وهو هود أول نبي مرسل بعد نوح عليه السلام ونسبه لي عاصرة الصعصع أنه قحطان بن هود
ابن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح ولما انقرضت بكثرة الحروب قبائل طسم وجديس قالوا لا بد أن ننظر في أمرنا ونهيب بعضنا ونذك
أمرنا شريفاً لا نجد من طاعته بدا . /

فأجمع رأيهم على قحطان بن هود وهو ثالث من أنشد شعراً يسلي به بعض ما كان بأبيه هود عليه السلام من السكابة والجزع والغم والارغاص
والحزن على قومه عاد فقال : /

إني رأيت أبي هوداً يورقه حزن خيل وإسهاد لا يحزنك إن خصت بداهية عاد بن لاوى فعاد بفسا عاد . فهو عصو اربهم واستكبروا . /
وعتوا عما نهوا عنه لاسادوا ولا عادوا بعد أمدأ فآراهم حلومهم في كل ما ابتدعوا أو كل ما اعتادوا غداً يعدون عنهم من سفاهتهم وعتابها أهلكوا . /
لإبان ما بادوا إلا يظنون أن الله خالقهم وأن كلا الأمر الله متقاد ، ياليت شعري وليت الطير يخبرني أسالم لي لقمان وشداد ، وبلغني يا أمير المؤمنين . /
أن قحطان بن هود النبي ﷺ وصى بنيه فقال لهم إنكم لم تجهلوا ما نزل بعاد دون غوهم حين عتوا على ربهم واتخذوا آلهة يعبدونها من دونه . /
وعصوا أمر نبيهم هود وهو أبوكم الذي علمكم الهدى وعرفكم سواء السبيل وما بكم من نعمة فمن الله وأرصيكم بذى الرحم خيراً وإياكم . /
والحسد فإنه داعية القطيعة فيما بينكم وأخوكم بهرب أميى عليكم وخليفتي بينكم فاسموا له وأطيعوا واحفظوا وصيتي واعملوا بها واثبتوا عليها . /
ترشدوا ثم أنشأ يقول : أيا يشجب أنت المرجى وأنت لي أمين على سرى وجهرى حافظ عليك بدين لست تشكر فضله ، فقد سبقت فيه . /

الاصمعي : مؤلف الكتاب هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، أبو سعيد الاصمعي^(١) نسبة إلى جده إصمع بن مظهر بن رباح بن عبد شمس^(٢) الباهلي . فهو عربي مصري . وهو من أهل البصرة ، وللبصرة في العربية تاريخ مجيد ، ولما ولي هارون الرشيد استدعاء وأبا عبيدة معمر بن المثنى إلى بغداد فقدم إليها ، وقد كان بينهما منافرة مردها إلى اختلاف أصيل في الأصل والمزاج والهدف : فأبو عبيدة فارسي من أسرة يهودية كان متعصباً على العرب ، نصيراً للشعبوية عليهم ، يؤلف في مثالبهم ، وقد ظنه كثير من مؤرخي الأدب خارجياً وليس هو من الخوارج في شيء^(٣) . وأما الاصمعي فعربي عريق متعصب للعرب على الشعبوية ، يؤلف في مناقبهم ، ولعل الشافعي رحمه الله لم يعد الحقيقة حين قال عنه : « ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الاصمعي »^(٤) .

وتوفي الاصمعي قريباً من سنة خمس عشرة ومائتين .

وأما ابن السكيت فهو يعقوب بن اسحاق بن السكيت ، أبو يوسف النحوي اللغوي ، وصاحب كتاب إصلاح المنطق كان خوزيا يعلم أولاد العامة — أولاً ببغداد ، ثم لم يزل حتى علم أبناء الأمراء ، وولد جعفر المتوكل على الله^(٥) . وكان يتعصب لآل علي ولذلك غضب عليه المتوكل آخر عمره^(٦) فقتل سنة أربع وأربعين ومائتين . وهو يومئذ رأس في العربية .

ونستطيع الآن بعد أن فرغنا من هذه العجالة عن مؤلف هذا السفر العتيق وناسخه أن نقدم للقراء وصفا ظاهرياً لهذه المخطوطة الفريدة .

[١] تاريخ بغداد : ١٠٠ ص ٤١٠ .

[٢] الباب . ١ ص ٥٦ .

[٣] A Literary History of The Arabs. by R. Nicholson. Combridge 1930. P. 344 F.

[٤] تاريخ بغداد . ١٠٠ ص ٤١٧ .

[٥] تاريخ بغداد ١٤ ص ٢٧٣ .

[٦] Sitler. Hist- of Tharabs P 343 . وكذلك تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي

زيدان . ٢ ص ١١٨ .

دخلت هذه المخطوطة حوزة خزانة الكتب الأهلية في باريس Bibliothèque Nationale ضمن مكتبة الميسيو يونيون الذي كان يوما ما قنصلا لفرنسا في حلب^(١).

وهي تقع في ثمانية وعشرين رقا من رقوق الغزال النادرة يشتمل كل رق منها على سبعة عشر سطرا، في كل سطر إحدى وعشرون كلمة، ويكاد عرضها أن يكون ضعف طولها (٤١ + ٢٧ سم). وقد كتبت بخط كوفي قديم.

ويلاحظ أن الرق قد استعمل للكتابة عليه من قبل ثم غسل وكتب عليه هذا الكتاب في بعض الرقوق لا يزال أثر الكتابة الأولى بينا للمتعمّن.

وفي الرق الأخير من هذا المخطوط ما يأتي: «فرغ أبو يوسف يعقوب بن السكيت من استنساخها في عاشر شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين».

وقد جمع الأصمعي هذه الأخبار امتثالا لأمر الخليفة المأمون فأقطعه عليها أراضي (الأميرية) ويبدو أن الذين قاموا على طبع فهرس خزانة الكتب الأهلية في باريس قد التبس عليهم المعنى القديم بالاستعمال الشائع اليوم لكلمة أميرية وترجموها هكذا. "Conceda en fiefs les terres emiriennes d'Alkarkh"^(٢) وإنما هي الأميرية من قرى النيل من أوض بابل ببغداد^(٣).

وهذه الرقوق محفوظة في خزانة الكتب الأهلية بباريس تحت رقم ٦٧٢٣ أما حقيقة نسبتها إلى الأصمعي، وحقيقة كتابة ابن السكيت لها فهذا موضوع حديث آخر.

نور الربيع شريفة
من الأزهر

-
- [١] مجلة المشرق ٢٨ ص ٤١ - ٤٣ من مقال بقلم الأديب حبيب زيات تحت عنوان: نصراية الحارث بن كعب ومخطوطة خزانة باريس ٦٧٢٣.
- [٢] فهرست خزانة باريس ص ٣٤٧ طبع سنة ١٩٢٥.
- [٣] معجم البلدان ١ ص ٣٦٥ نشره فستنفلد Wustenfled في لينزج سنة ١٨٦٦.

نقد الكتب :



لابن سينا وابن طفيل والسهورردى
نشر وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد أمين

قصة دحي بن يقظان ، لا سيما تلك التي تنسب لابن طفيل ، قطعة نادرة من فلسفة المسلمين الاشرافية ، تصور لنا بأسلوب أدبي رائع كيف يصل الإنسان المنعزل من الجماعة ، بعقله إلى حقائق الدين الجوهرية ، وكيف يفتى به الشوط إلى حالة الاتحاد الصوفي بالله ! وإن القصة لتعد بحق - كما يقول العلامة دكارا دى فو ، Carra de Vaux - من أعجب كتب العصور الوسطى .

وتاريخ الفلسفة الإسلامية يعرف قصتين أخريين بهذا العنوان ، إحداهما لابن سينا الشيخ الرئيس ، والثانية للسهورردى المقتول شهاب الدين .

ولقد أراد الأستاذ أحمد أمين أن يقدم للباحثين في الإسلاميات عامة وفي الفلسفة منها بوجه خاص ، قصة دحي بن يقظان ، لمؤلفها الثلاثة مطبوعة مشروحة ، وأن يجعل ذلك منه تحية للشيخ الرئيس في عيده الالفى . ولقد رضخت مطبعة المعارف لمشيمة الأستاذ وإرادته ، فأخرجت هذه المجموعة ضمن سلسلة ذخائر العرب .

والأستاذ الناشر - مع الأسف الشديد - لم يحدثنا عن أى أصول تلك التي نشر عنها قصتى ابن سينا وابن طفيل ، كما تقضى بذلك أساليب النشر العلمية ، ومهما يكن من شيء فقد أسفنا بحق أن تخرج هذه النشرة مليئة بالأخطاء والسقطات ، التي قد تتسع أحياناً إلى ما يقرب من صفحة كاملة ، مما يستحيل معه المعنى وينغلق ، ويسوء أساءة بالغة إلى الفياسوفين الكبارين ابن سينا وابن طفيل .

لذلك آثرنا أن نقوم بنقد الكتاب - أو بعبارة أدق بنقد قصتى ابن سينا وابن طفيل

دون قصة السهروردي وهي ورقتان لم يتيسر لنا مقابلتهما على أصولها المخطوطة - نشدانا هنا للحق وحده ، ونحية خالصة إلى الشيخين الكبيرين أبى على وأبى بكر .

وأكبر الظن أن الأستاذ أحمد أمين - وقد زاول القضاء حيناً - سيزن عملنا هذا بموازين العدالة ، وسينظر إليه نظرة مجردة عن الهوى والغرض ، قائمة على المعايير العلمية الدقيقة التي لا تعرف المجاملة أو المحاباة ، وأكبر الظن أيضاً أن الأستاذ سيمصطحب معه هذا النقد عند تفضله بزيارة المطبعة لإعادة الطبع .

* * *

١ — يقول الأستاذ في المقدمة (ص ٦) بصدد تحدّثه عن ابن سينا إنه « ولد في بلخ من أعمال التركستان » . ولا ندري من أى مصدر استقى الناشر هذا الخبر ؟ ولم يقل أى مرجع من المراجع العديدة التي ترجمت للشيخ الرئيس ، إنه ولد بهذه المدينة ، وابن سينا نفسه يحدّثنا فيما رواه تلميذه وكان سيرة « الجورجاني » ، فيقول : « إن أبى كان رجلاً من أهل بلخ ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور ، واشتغل بالتصرف بقرية خرّميشن ، وتزوج أمى من قرية يقال لها أفشنة وولدت منها بها ... ١ » الخ . راجع إن شئت ابن العبري وابن أبى أصيدحة والبيهقي والقفطلى وابن خلدكان .

٢ — ويقول الناشر (ص ٧) بصدد تحدّثه عن الشيخ أبى بكر بن طفيل : « وكان (ابن طفيل) معاصراً للفيلسوف المشهور ابن رشد ، وإن كان ابن رشد أكبر منه سناً . ولا شك أن هذا خلط كبير ؛ فالتاريخ يحدّثنا أن ابن طفيل هو الأسن ، وتاريخ ميلاده وإن لم يكن معروفاً على وجه التحديد إلا أنه لا يتجاوز بحال العقد الأول من القرن السادس الهجرى ، بينما ولد ابن رشد باتفاق عام ٥٢٠ هـ .

٣ — ويقول الناشر في نفس الصفحة : « وقد حل ابن طفيل طبيباً للسلطان لما طعن ابن رشد في السن ، وليس هذا خلطاً لحسب ولكنه أيضاً قلب للحقائق ؛ فالمصادر تحدّثنا أن ابن طفيل هو الذى قدم الشاب ابن رشد إلى السلطان أبى يعقوب يوسف ، وطلب منه - كما يروى المراكشي - أن يلخص لأبى يعقوب كتب أرسطو ويقرب أغراضها ، ثم يقول ابن طفيل لابن رشد :

« وإني لأرجو أن تنى به ، لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك

إلى الصناعة ، وما يمتنع من ذلك إلا ما تعلمه من كبرة سني ، الخ . والمصادر تحدثنا كذلك أن ابن رشد هو الذي خلف ابن طفيل كطبيب للسلطان حينما علت بأبي بكر سنه ؛ يقول د كازادي -و- "Casa de Vaux" في دائرة المعارف الإسلامية .

ولما طعن فيلسوفنا - ابن طفيل - في السن ، حل ابن رشد عمله في الطبابة للخليفة عام ٥٧٨ هـ .

ومن الطريف حقاً أن الأستاذ أحمد أمين يسهو عما ذكره هنا ليعود فيقول (ص ١٠) ثم نخلى ابن طفيل عن عمله كطبيب للنصور وتركه لابن رشد !!

٤ — والأستاذ يؤرخ مقتل السهروردي بعام ٥٧٨ هـ (ص ٨) وهو بذلك يتقدم بمصرعه تسع سنوات كان الرجل فيها حياً يرزق ، إذ لاقى السهروردي حتفه عام ٥٨٧ هـ ، قال ابن خلدون : « وكان ذلك في خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب .

(٥) ويقول الناشر (ص ١٠) : « ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه (ابن طفيل) كان تلميذاً لابن رشد ، وإنما نلتهمس من الأستاذ الجليل أن يدلنا على هذا البعض ، من المؤرخين أو من المخرفين ، فالحق أن أحداً لم يقل بذلك أبداً . وأكبر الظن أن الأستاذ ، وقد رأى المراكشي وبعض الباحثين يذكر أن ابن طفيل كان تلميذاً لابن باجة المعروف بابن الصائغ - وهي دعوى يبطلها أبو بكر نفسه الذي يصرح بأنه لم يلق شخص ابن الصائغ - أقول أكبر الظن أن الأستاذ ، وقد رأى ذلك ، قد اختلط عليه ابن رشد بابن باجة بابن طفيل فقال إن من المؤرخين من يقولون بتلميذ ابن طفيل لابن رشد ، وهو ما لم يقل به إنسان غير أحمد أمين الذي يريد ابضاعته هذه التمجيل بالظهور في السوق دون تمحيص على ، وهذه هي خمسة أخطاء كبيرة في مقدمة صغيرة ضئيلة ، فلننقل بالمقاريء الكريم إلى قصة د حي بن يقظان ، كما نشرها الأستاذ :

٦ — في صفحة (٤٣) يقول ابن سينا : « فزعت إلى مخاطبته ، وانبعثت من ذات نفس لمداخلته ومجاورته . وهذه عبارة مضطربة لا يستقيم معها المعنى ، ومن الطريف حقاً أن الأستاذ الناشر علق عليها بقوله : « يلاحظ المقاريء أن تعبيراته (يقصد ابن سينا) تعبيرات أعجمية غامضة لا كما هو الشأن عند ابن طفيل ، والحق ياسيدي أن العيب ليس على تعبيرات ابن سينا أو أعجمها ، وإنما العيب على ناشر هذه التعبيرات ، فقد سها الأستاذ الكبير عند

نشرها فسمت منها كلمات ، كان سقوطها دون ريب هو علة هذا الاضطراب ، وتصويبها كما في نشرة الكردي « جامع البدائع ص ٩٢ »^(١) . « د فزعت إلى مخاطبته ، وانبعث من ذات نفسى متفاض لي بمدخلته ومجاورته » .

٧ — وفي نفس الصفحة يقول ابن سينا : « د وتنازعنا الحد حتى أفضى بنا إلى مساوئته عن كنهه أحواله واستعلامه سنه وصناعاته »^(٢) . الخ وأكبر الظن أنه لا معنى أبداً لإقحام « السن » هنا ، والصواب سنته ، أى مذهبه وطريقته .

٨ — وفي صفحة (٤٥) : « د فلا تحتج إليه أو يؤتيك موقفاً من الله غليظاً ، والصواب « د فلا تجنح إليه » .

٩ — وفي نفس الصفحة السابقة : « د فتى تجردت للسياحة بسكنه نشاطك وافقتك وقطعتهم ، والصواب « د وافقتى » .

١٠ — وفي صفحة (٤٦) : « د سرت في جوارحه مئة مبتدعة يقوى بها على قطع تلك المهام » . وصوابها « المهامة »^(٣) ، وهى جمع « مهمة » ، أو « مهمة » وهى المفازة البعيدة .

١١ — وفي صفحة (٤٧) : « د كلما أهلت بدمار نبت لهم فابتنى بها آخرون ، والصواب « نبت بهم » .

١٢ — وفي نهاية قصة ابن سينا (ص ٥٣) : « د قال الشيخ حسن بن يقظان لولا تعزى إليه بمخاطبتك ، والصواب « لولا تقرى » .

١٣ — وفي قصة ابن طفيل (ص ٥٨) : « د بل يعتز به من الطرب والنشاط ، وصوابها « بل يعتريه » .

١٤ — وفي صفحة (٦٠) نقص كبير لا ندرى على أى وجه أفلت من الناصر ؛ فقبل قول ابن طفيل « وقد خرج بنا الكلام ، يجب وضع هذا النص نقلاً عن مطبوعة دمشق لعام ١٩٣٩ »^(٤) .

[١] المجلة - وكذلك العبارة بهامها في طبعة ليدن ص ٢ .

[٢] المجلة - وكذلك هى على الصواب « سنته في طبعة ليدن ص ٧ .

[٣] المجلة - وهى على الصواب « المهامة » في طبعة ليدن ص ٨ .

[٤] المجلة - وقبل مطبوعة دمشق كان هذا النص مثبتاً في مطبوعة الوطن بالقاهرة سنة ١٢٩٩ هـ .

« وقد يوجد في النادر من هو بمنزلة من كان أبداً ثاقب البصيرة ، مفتوح البصر ، غير محتاج إلى النظر ، ولست أعنى — أكرمك الله بولايته — بإدراك أهل النظر ههنا ما يدركونه من عالم الطبيعة ، وإدراك أهل الولاية ما يدركونه مما بعد الطبيعة ، فإن هذين المدركين متباينان جداً بأنفسهما ، ولا يلتبس أحدهما بالآخر ، بل الذي نعينه بإدراك أهل النظر ، ما يدركونه مما بعد الطبيعة ، مثل ما أدركه أبو بكر ، ويشترط في إدراكهم هذا أن يكون حقاً صحيحاً ، وحينئذ يقع النظر بينه وبين إدراك أهل الولاية الذين يعتنون بتلك الأشياء بعينها ، مع زيادة وضوح ، وعظيم التناذر ، وقد عاب أبو بكر ذكر هذا الالتئاذ على القوم ، وذكر أنه للقوة الخيالية ، ووعد بأن يصف ما ينبغي أن يكون حال السعداء عند ذلك بقول مفسر معين . وينبغي أن يقال له ههنا : « لا تستحل طعم شيء لم تذق ، ولا تتخط رقاب الصديقين ، . ولم يفعل الرجل شيئاً من ذلك ، ولا وفي بهذه العدة ، وقد يشبه أن منعه عن ذلك ، ما ذكره من ضيق الوقت واشتغاله بالنزول إلى « وهران » ، رأى^(١) أنه إن وصف تلك الحال ، اضطره القول إلى أشياء ، فيها قدح عليه في سيرته ، وتكذيب لما أثبتته من الحث على الاستكثار من المال والجمع له ، وتصريف وجوه الحيل في اكتسابه ، وقد خرج ينا الكلام . . الخ .

١٥ — وفي صفحة (٦٤) يقول ابن طفيل : « فهذه صفة تعليمه وأكثره إنما هو رمز وإشارة لا يفتفع بها إلا من وقف عليها ببصيرة نفسه أو لإمام سمعها منه ثانياً . . الخ . وتصويب العبارة^(٢) : « ببصيرة نفسه أولاً ، ثم سمعها منه ثانياً ، .

١٦ — وفي صفحة (٦٥) : يقول الشيخ أبو بكر : « لكن كتبه (الغزالي) المضمون بها ، المشتملة على عدم المكاشفة لم تصل إلينا . . ، وصواب العبارة : « المشتملة على علم المكاشفة^(٣) ، .

١٧ — وفي صفحة (٧٠) : « وهي أنواع الحيوان وهذه الصقيلة في المثال المتقدم ، وصواب العبارة : « وهذه بمنزلة الاجسام الصقيلة في المثال المتقدم^(٣) ، .

١٨ — وفي صفحة (٧٥) : « كان يرى أنه أغمض عينيه أو حججها بشيء لا يبصر شيئاً ، والصواب : « أنه إذا أغمض عينيه أو حججها بشيء . الخ^(٣) ، .

[١] المجلة - في مطبوعة الوطن (أو رأى) .

[٢] المجلة - وهذا الصواب هو الذي في مطبوعة الوطن أيضاً ص ٨ .

[٣] المجلة - وكذلك هي على الصواب في مطبوعة الوطن [انظر ص ١٢ و ١٦ و ٢٠ و ٢٦ و ٢٨ .

١٩ - وفي صفحة (٨٠) : دومات الحيوان ذلك على النور ، والصواب : دومات ذلك الحيوان على الفور ^(١) .

٢٠ - وفي صفحة (٨١) : دوالى يحارب بها تنقسم إلى ما يدفع به نكاية غيره ، وإلى ما ينكس بها غيره ، والصواب : دوالى ما ينكى بها غيره ^(٢) .

٢١ - وفي صفحة (٨٨) : دوهو الذى يمرر عنه النظام بالنفس النباتية ، والصواب : النظر ^(٣) .

٢٢ - وفي نفس الصفحة السابقة : دورأى طائفة من ذلك الفريق فى الصورة الأولى والثانية تزيد عليه بصورة ثالثة ، وفى العبارة نقص أخطرت له المعنى ، والصواب : دورأى طائفة من ذلك الفريق ، مع أنها تشارك الفريق فى الصورة الأولى والثانية ، تزيد عليه بصورة ثالثة ^(٤) .

٢٣ - وفي صفحة (٩٠) : دفرأى أن وراء هذا الامتداد معنى آخر هو الذى يوجد فيه هذا الامتداد وحده لا يمكن أن يقوم بنفسه ، .

وفى العبارة نقص ، وصوابها : دفرأى أن وراء هذا الامتداد معنى آخر ، هو الذى يوجد فيه هذا الامتداد ، وأن الامتداد وحده ... الخ ^(٥) .

(٢٤) وفى صفحة (٩٦) : دوالمحرك إما أن يكون قوة سارية فى جسم من الأجسام ، إما جسم المحرك نفسه وإما جسم آخر ، والصواب : إما جسم المتحرك نفسه ... ^(٦) .

(٢٥) وفى صفحة (٩٩) : ، وكيف يكون العدم تعلق أو تلبس بمن هو الموجود ، . والصواب : تعلق أو تلبس ^(٧) .

(٢٦) وفى نفس الصفحة أيضاً : دوالصلابة واللين والخشونة والملاسة ، والصواب : والخشونة والملاسة ^(٨) .

(٢٧) وفى صفحة (١٠٧) : دوالما عمل يتشبه بالأجسام السماوية ، . والصواب : دوالما عمل يتشبه به بالأجسام السماوية ^(٩) .

(٢٨) وفى صفحة (١١٣) : دأذى يحملنها لا يليق بهذه الحالة ، والصواب : دما لا يليق ^(١٠) .

(١) المجلة - وكذلك هى على الصواب فى مطبوعة الوطن (أنظر ص ١٢ و ١٦ و ٢٠ و ٢٦ و ٢٨ على التوالى)

(٢) المجلة - وكذلك هى على الصواب فى مطبوعة الوطن | أنظر ص ٣٣ ، ٣٥ ، ٢٦ ، ٤٢ ، ٤٦ ،

٤٨ ، ٥٣ ، ٣٤ .

(٢٩) وفي صفحة (١١٥) : د بل ليس شيء إلا ذات الحق ، والصواب : د بل ليس شيء ،^(١) .

(٣٠) وفي صفحة (١١٦) : د وكذلك جميع الذوات المفارقة للمادة بتلك الذات الحقة ، وفي العبارة نقص والصواب : د المفارقة للمادة العالقة^(٢) بتلك الذات الحقة ، .

(٣١) وفي صفحة (١٢٢) : د ورجع القول فيهما ، كما كان في طباعه من دوام الفسكرة وملازمة العبرة الغوص على المعاني ، ، وصواب العبارة : د ورجح القول فيها ، لما كان في طباعه من دوام الفسكرة وملازمة العبرة والغوص على المعاني ،^(٣) .

(٣٢) وفي صفحة (١٢٤) : د لجمل حتى بن يقظان يتقرب منه قليلا ، ، وصواب العبارة : د يتقرب منه قليلا قليلا ، .

(٣٣) وفي نفس الصفحة السابقة : د فلما نظر إليه وهو مكتسى بجلود الحيوانات ، ، والصواب : د فلما نظر إليه أسأل وهو مكتسى بجلود الحيوانات ،^(٤) .

(٣٤) وفي صفحة (١٢٥) : د ففكر حتى بن يقظان فيما كان عقد على نفسه من الشرط قد تناول الغذاء ، ، والصواب : د في تناول الغذاء ،^(٥) .

(٣٥) وفي نفس الصفحة أيضا : د وقد كان أولع به حتى بن يقظان نخشى إن دام على اقتناعه يوحشه فأقدم على ذلك الزاد ، . وصواب العبارة : د وقد كان أولع به حتى بن يقظان نخشى إن دام على امتناعه أن يوحشه الخ . . .

(٣٦) وفي صفحة (١٢٧) : د والاعتراض عن الحق ، والصواب : د والإعراض ،^(٦) .

(٣٧) وفي نفس الصفحة كذلك : فلم يأت لهم فهم ذلك ، ، وصواب العبارة : د فلم يأت له فهم ذلك^(٧) ، .

(٣٨) وفي صفحة (١٢٨) : د فشرع حتى بن يقظان في تعليم وبث أسرار الحكمة إليهم ، والصواب : د في تعليمهم ،^(٨) .

(٣٩) وفي صفحة (١٢٩) : د وقد نبذوا أعمالهم على خفتها وسهولها وراء ظهورهم واشترا به ثمناً قليلا ، والصواب : د واشتروا بها الخ ، .

(١) المجلة - في ص ٤٨ من مطبوعة الوطن : د المفارقة للمادة العارفة ، .

(٢) المجلة - وكذلك هي على الصواب في مطبوعة الوطن (انظر ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩

على التوالي) .

(٤٠) وفى نفس الصفحة : « وأنه لا يفوز منه بالسعادة الاخروية إلا الشاذ النادر ، والصواب ، وأنه لا يفوز منهم » (١) . الخ .

(٤١) وفى نفس الصفحة أيضاً : « أو عمل من أعمال الشرع يتزين أو يدافع الخ . . . ، والصواب : « يتزين به أو يدافع الخ . . . » (٢) .

(٤٢) وفى صفحة (١٣٠) : « وهو من العلم المكنون الذى لا يقبله إلا أهل المعرفة باقه ولا يجله إلا أهل العزة بالله ، وقد خالفنا فيه طريق السلف الصالح فى الضنانه به والشمع عليه .

وتصويب العبارة : « ولا يجله إلا أهل الغرة باقه ، وقد خالفنا فيه طريق السلف الصالح فى الضنانه به والشمع عليه » (٣) .

وبعد فهذه مأخذنا على قصتي ابن سينا وابن طفيل ، ولم نكلف أنفسنا ههنا مراجعة مخطوطة السهروردي وهى ورقتان ، وأكبر الظن أن صاحبنا المقتول لم يكن عند الناشر أحسن حظاً من صاحبيه ، ولا يسعنا فى ختام هذا النقد إلا أن نأسف بحق لوقوع هذه الأخطاء فى نشرة الأستاذ أحمد أمين هذه ، التى أساء بها أساءة بالغة إلى الشيخين الجليلين ابن سينا وابن طفيل ، مع أننا قد أغفلنا الكثير من الهنات والهفوات التى تدرك للنظرة الاولى ، ونحن ننصح للأستاذ الناشر أن يكف عن هذا العبث بذات السلف ، وأن يعود إلى سيرته الاولى من الأناة والاتزان والعمق فى البحث والتجويد فى الانتاج ، وأن يترك هذه البضاعة الرخيصة التى إن جلبت له المال الكثير فهى دون ريب تجلب عليه سخط الباحثين ، وتمحو اسمه سريعاً من سجل العاملين المخلصين .

سعد محمد حمده

المدرس بوزارة المعارف

(١) المجلة - وكذلك هى على الصواب فى مطبوعة الوطن (انظر ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ على التوالى) .

(٢) المجلة - وفى الكتاب المنقود ما أخذ أخرى كثيرة غير التى ذكرها الناقد ، منها ما هو فى المتن ومنها ما هو فى التعليقات العربية والافرنجية .

اختيار الزوجة في الشريعة الإسلامية

- ٢ -

هناك صفات أخرى جعلها الإسلام أساساً لاختيار الزوجة وإن كانت تلي في الأهمية صلاح الزوجة وتقواها . قال رسول الله ﷺ : تزوجوا الودود الودود ، فإنى مكاثركم بالأمم يوم القيامة ، . فالإسلام يفضل الزواج بالودود الودود ، لأن ذلك فيه إكثار للفصل وتقوية للأمة الإسلامية وإنهاضاً لشأنها ، ومحافظة على كيانها ، ودرء العدوان عنها ، فما من أمة قل نسلها أو ضعف عدد أبنائها إلا صارت عرضة للفناء والاعتداء ، ولذلك نرى كثيراً من الدول تشجع الزواج وتفرض ضريبة على العزاب من أبنائها فوق ما تقرره من إعانات عائلية تزداد بازدياد عدد أفراد العائلة .

والإسلام بصفة عامة يفضل البكر على الثيب قال الله تعالى يمدح الحور في الجنة : « إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا » ، وقال ﷺ مخاطباً أحد الصحابة وحائلاً له على زواج البكر : « لا بكرأ تداعبها وتداعبك » ، ذلك لأن البكر أقرب إلى السذاجة والعمرة من الثيب فيمكن للزوج أن يشكلها حسب طبيعته ، كما أنها تكون أقرب للرضا بزوجه من الثيب لأنه لم يسبق لها أن عاشت زوجاً آخر من قبل ، وفي البكر خفر وحياء ، والحياء زينة المرأة ، بل هو شعبة من شعب الإيمان لا يتحلل بها من لا حياء له ، ولذلك اعتبر سكوت الزوجة رضااً بالزواج بعكس الثيب التي لا تستحي أن تقول نعم أو لا .

ومع ذلك فالثيب تفضل في بعض الحالات كحالة وجود أولاد للزوج .

روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل نسكت يا جابر ؟ قلت : نعم قال : بكرأ أم ثيبأ ؟ قلت : لا بل ثيبأ . قال : فهلا جارية تلاعبك . قلت : يا رسول الله إن أبى قتل يوم أحد وترك تسع بنات كن لي تسع أخوات فكسرت أن أجمع إليهن جارية خرقاء مثلهن ، ولكن امرأة تمشطهن وتقوم عليهن . قال : أصبت .

والنبي صلى الله عليه وسلم ، وإن كان قد تزوج ثيبات ، فلأسباب خاصة وظروف معينة معروفة ، كرهبته عليه الصلاة والسلام في أن يعولهن أو يعوضهن عن أزواجهن الذين استشهدوا في القتال ، كزواجه بسودة بنت زمعة وأم سلمة ، أو لحكمة تشريعية عليا كزواجه بزينب بنت جحش رضى الله عنها التي تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد أن طلقها زيد بن حارثة مخالفا بذلك عادة العرب من عدم الزواج بزوجة المتبنى ، وكان زيد يدعى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقال « زيد بن محمد » ، قال الله تعالى « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا . »

والإسلام يفضل الزواج بالغريبة على الزواج بالقريبة ، قال صلى الله عليه وسلم « اغتربوا لا قضاوا ، أى لا تهزلوا واتضعفوا . وقد ثبت عليا أن الزواج بالقربات فيه إضعاف للنسل ، أما الزواج بالغريبة ففيه تجديد في الدماء والطباع والأخلاق .

يقول الدكتور محمد وصفي في بحث له بمجلة لواء الإسلام (ذو القعدة سنة ١٣٦٦) : « ولا شك أن الاستمرار في هذا الزواج (الزواج بالأقارب) يؤدي إلى تجمع عيوب مرضية وخلقية في النسل ، وقد لوحظ أن اليهود لا تباعهم طريقة زواج الأقارب كالتحالات والعمات والاعراق في زواج أولاد الأعمام والتحالات مدفوعين إليها بتعرضهم للاضطرابات في مختلف العصور ، ينتشر بينهم شلل الأطفال المصحوب بالبلاهة وغير ذلك من العيوب المنتشرة بينهم سواء أكانت جسمية أو غير ذلك ، وقد لوحظ في حالات الصمم المصحوب بالبله أن الآباء أولاد عم أو عمة أو أولاد خال أو خالة .

ومن الأمراض التي تورث بهذا الزواج الهيموفيليا وهو مرض يصيب الذكور ويتميز باستعداد خاص للنزف بعد الجروح ، وقد كانت الأسرة الملكية الإسبانية السابقة مصابة به وكذلك أبناء الملكة فيكتوريا ، وبعض أبناء قيصر روسيا السابق .

وقد قيل : إن سكان جزائر (الوداء) الذين يعيشون في جزيرة سيلان يتفشى بينهم قصر الأجسام والعقم إلى درجة يخشى معها عليهم من الفناء . وثبت أن الحد من تزواج أبناء العم أو الخال أو أبناء العمة أو الخالة يقطع دابر بعض الأمراض بنسبة تتراوح بين ١٥ ٪ و ٥٠ ٪ ، :

وإذا كان الزواج بالغريبة مستحبا شرعا فذلك في حالة تساويها مع القريبة في الصفات والأخلاق وكالصفة ، أما إن كانت في الغريبة عيوب خلقية أو مرضية فيكون التفضيل

للقرية لأن الغاية التي يقصدها الإسلام هي تقوية النسل وتطهيره من الأمراض النفسية والجسدية التي تنتقل بالوراثة كالزهري والصرع ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القرابة القرية فإن الولد يخلق ضاويًا ، وفي هذا يقول الشاعر :

تجاوزت بذت العم وهي حبيبة مخافة أن يضوى على سليلها
ويقول الأصمعي : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما قرع الإبطال كإبن الأجمية .
وهذا فضلا عن أن الزواج بالغربية فيه ألفة ومحبة وارتباط بين عائلات جديدة ،
والدين مبناه وأساسه المحبة والإخاء والتآلف ، وهذا سبب من أسباب تحريم الزواج
بالمحارم كالعمة والحالة .

أما اختيار الزوج فأساسه كذلك الأخلاق السكرية والصفات النبيلة وصلاح الإنساب
وتقواه ، قال صلى الله عليه وسلم : إذا أناكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إن لا تفعلوه تكن
فتنة في الأرض وفساد كبير ، فلا ينظر الإنسان إلى مال الزوج أو جاهه وينسى خلقه
وتقواه ، فالغنى أو الحسب وحده لا يكفي لإسعاد الزوجة ، بل ربما كان سبباً في تعاستها
وشتمائها فيكفينا من الزوج أن يكون قادراً على الإنفاق عليها وإسعادها قال الله تعالى
: وأنكحوا الأبايحى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغفم الله
من فضله والله واسع عليم . وقال رجل للحسن البصرى : قد خطب ابنتى جماعة فمن
أزوجها ؟ قال : بمن يتقى الله ، فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها .

ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يرفضون أن يزوجوا كريماتهم للملوك
وأبناء الملوك والحكام والأغنياء . ويفضلون عليهم الصالحين الاتقياء من عباد الله .

فقد روى أن سعيد بن المسيب العالم الفقيه أبى أن يزوج بنته لولى عهد أمير المؤمنين
وزوجها لنليذه التقي الورع ابن أبى وداعة مع فقره وشدة حاجته .

ويجب أن نشير في نهاية هذه الكلمة إلى أنه من الواجب ألا نبالغ في المهور ، وألا
نطالب الأزواج بأكثر مما يطيقونه ، لأن في ذلك خروجاً بالزواج عن غايته التي قصد
بها ، إلى نوع من البيع والشراء ، فضلاً عن أنه يؤدي إلى تعطيل الزواج ، لأن الكثير
من الناس يرغبون في الزواج ولكن ضخامة المهور تحول دون ذلك - قال صلى الله عليه وسلم : من بركة
المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها (يريد الولادة) ويسر مهرها .

محمد فهمى الطماوى

تصويب لغوى

سى وستى - مخطىء خاطىء - يفلح ويفلح - أمسية

سى وستى

كتب أثرى أديب كلمة يتحدث فيها عن رأى له فى كلمتى «سى» و «ستى» العربيتين ، وعن مقترح له فيهما ، يقول فى كلمته : إن الكلمتين من أصل مصرى قديم III ، ويقترح أن نحلا فى الاستعمال محل كلمة «حضرة» التى كانت قد اقترحت للاستعمال بديلا فى لقب حضره القانون .

أما الذى يعنى مجتمع الادب الرصين أن يقوله ، فذاك أننا لا نزال نرى أن كلمتى «سى» و «ستى» عربيتان محرفتان تحريفاً قريباً يئناً ، عن كلمتى «سيدى» و «سيدتى» ، وقد عرف هذا التحريف والاستعمال قديماً ، وقد يكون هذا الذى يقوله الأستاذ المقترح عن مصريتهما من تلاقى اللغات ، وما هكذا يكون التلاقى فيما أحسب III

على أنه يطيب للأدب أن ينشد بيتى «البهاء زهير» الشاعر المصرى الرشيق ، قائل السهل الممتنع ، فى تعليقه المتقبل الرقيق ، لاستعمال كلمة «ستى» المتلاطفة لإحدى هاتين الكلمتين المحرفتين .

قال البهاء زهير :

بنفسى من أسميها بستى فتظرنى النحاة بعين مقت
ولكن غادة ملكت جهانى فليست بلاحن إن قلت «ستى»

أما ذلك المقترح باستعمالها بديلا من كلمة «حضرة» فإن رأى فيه لمن يملكه ، لا من يراه III ، على حين أن الكلمتين الاصيلتين ، وهما سيدى وسيدتى باقيتان ساندتان إلى اليوم III

مخطيء وخاطيء :

تقول كتب اللغة : أخطأ فلان ، جاوز الصواب والخطأ ضد الاصابة ، رباعى اسم الفاعل . منه مخطيء ، وتقول كتب اللغة : خطيء الرجل يخطيء من الخطيئة والذنب ، ثلاثى اسم الفاعل منه خاطيء ، فى معنى مذنب مسمى .

هذا كذلك ، بيد أن بعض الكتّاب يضع الخاطيء موضع المخطيء ، فيما لا خطيئة فيه ، ولا ذنب ، بل فيه الخطأ وحده ، فهذا الكتّاب مخطيء وإن كان غير خاطيء .

جاء فى إحدى الصحف هذه الكلمة : بيانات خاطئة ، والمقال عن حساب وأرقام ، وفى طبيعة الحساب والارقام أن تكون مخطئة حيناً ، لا خاطئة !!! ، إن ثمة فرقاً بين المخطيء والخاطيء ، يسرنا الله للسداد ، وجنبنا الخطأ والخطيئة .

شهدت إذ أماً نائب وزيراً قام خطيباً فى إحدى الجلسات ، فقال من حديث مثل هذه الكلمة : لقد كان هذا الحديث خاطئاً !!! ، فقال له وزير آخر : كلا يا مولاي إنما هو مخطيء لا خاطيء !!! ، فتنق بالتصويب ، من أديب ، وأقر كفاء ، نقد الكفاء .

يفلح ويفلح :

استمعت إلى عالم أديب محاضراً فى محطة الاذاعة ، لعهد سالف ، بجرى فى محاضراته ما يأتى :

أن الحديد بالحديد يفلح ! ، فتمثل بهذا المثل - فيما تهدى إليه السمع - بفتح ياء الفعل ، وفتح لامه ، كأنه يحسبه من الجدوى والأفلاح !! ، وليس المثل فى شيء من ذلك !!! .

إن الصواب يتمثل بهذا المثل السائر المتعارف كهذا الذى أصف : الحديد بالحديد يفلح ، يباء مضمومة ، ولام مفتوحة ، ومعنى يفلح يشق ويكسر ، وبه سمي الفلاح فلاحاً ، لأنه يشق الأرض بالحراثة ، والأفلاح مشقوق الشفة ، ومعزى المثل أن القوة لا يقاومها إلا القوة .

وبعد : فعذرة إلى الصديق المحاضر من هذه العريضة الادبية ، أو الشغب اللغوى ، فإنما نعمد إلى الهتاف به استمتاعاً بذكر زميل كريم ، فإن الأدب عزيز دليماً مثله ، على أن الأستاذ يقول - وهو خليق بالصواب ، أنه قاله على ما نصف من الصواب ، وإنما نخطيء الأذن ، ولا بد من الصواب ، للشباب :

أنت عيني وليس من حق عيني فض أجفانها على الاقضاء!!!
أمسية :

يكثّر بعض الكتّاب أن يقول هذه المقالة - على التمثيل - خرجنا للتريض فكانت لنا هناك أمسية طيبة ، وجرى كيت وكيت .

أما القارىء ، فما أكثر حيرته فى كلمة « أمسية » هذه ، فى مثل هذا المقال ، إذ كان مغزاها أنهم خرجوا فى يومهم فكان لهم فى أمسيته أو أمسه شأن رقيق ، فما هذا الشأن ؟؟؟ وما ذلك الامر الذى لم يقع فى يومك ، وإنما جرى فى أمسيته ؟؟؟ وسالفه !!! وإنما أمسية يومك هى اليوم الذى قبله !!!

إنى لأحسب كلمة « أمسية » هذه محاولة عن كلمة « مسائية » وإنما يريد هذا الكتّاب أن يقول : خرجنا اليوم ، فكان لنا فى مسائيته شأن هو كيت وكيت ، أليس كذلك !! أجل ؟

« السير »

عضو المجمع اللغوى

كلمات للصاحب بن عباد

- * مثل الكتّاب كمثل الدولاب : إذا تعطل تكسّر
- * الصبر على حقوق الثروة أشد من الصبر على ألم الحاجة
- * أحسن ما يكون الحسّن بحجب القبيح
- * ما أحد رأى فى ولده ما يحب ، إلا رأى فى نفسه ما يكره
- * ثلاثة تدل على عقول أربابها : الهدية ، والكتاب ، والرسول
- * السنين تغير السنن
- * السلاح ثم الكفاح
- * لا تمنع عدوك السبيل فى هزيمته
- * معرض خير من ألب مقاتل

الكتب

ديوان علي بن الجهم

نشره المجمع العلمي العربي - بتحقيق العلامة الأستاذ خليل مردم - ٣٠٠ ص، قالين

أبو الحسن علي بن الجهم من شعراء عصر المأمون إلى زمن الخليفة المتوكل ، يرجع بنسبه إلى قريش العازبة من بني سامة بن أوى الذين نزلوا خراسان ، وانتقل أبوه إلى بغداد فنشأ ابن الجهم فيها وصار يعد من كبار شعرائها. وكان لعلي أخ يسمى محمداً قال عنه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ، مصحفه كتب أرسططاليس في السكون والفساد والكيان وحدود المنطق ، بها يقطع عمره . أما ابن الجهم الشاعر فكان يختلف إلى مجالس الإمام أحمد بن حنبل يسأله ما ينفعه في دينه وتصحيح عقيدته . ولما اشتد الخليفة الواثق على أهل الحديث في مدة خلافته ضعفت مدائح علي بن الجهم فيه وظهرت عليها دلائل انقباض الصدر وعدم الارتياح ، بل إن لابن الجهم في ذلك الدور قصيدة هجاها وزير الدولة محمد بن عبد الملك الزيات غير مبال بما كان له من صولة وجبروت . فلما صارت الخلافة إلى المتوكل - وكان يرى رأى أهل السنة وأصحاب الحديث - انطلق لسان علي بن الجهم وكثرت أخباره ، وأكثر ما بقي من شعره قاله في المتوكل أو في زمنه . ومن ذلك قوله ساعة تولى المتوكل الخلافة :

قالوا أذاك الأمل الأكبر وفاز بالملك الفتى الأزهر
واكتست الدنيا جمالا به فقلت قد قام إذن جعفر

ولما تمت له البيعة قام علي بن الجهم في مجلس الخلافة وألقى قصيدة كأنها خطبة

العرش مطلعها :

وقائل أيهما أ نور الشمس أم سيدا جعفر
قلت لقد أكبرت شمس الضحى جملا وما أنصفت من تذكر

هل بقيت فيك مجوسية فالشمس في ملتها مُنكبر
 فكيف قايت بها غرة غرام لا تخفى ولا تستر
 قام وأهل الأرض في رجفة يخطب فيها المقبل المدبر
 والدين قد أشقى وأنصاره أيدي سبا موعدها المحشر
 فأمر الله إمام الهدى والله من ينصره ينصر
 وقال والالسن مقبوضة : ليبلغ الغائب من يحضر
 أنى توكلت على الله لا أشرك بالله ولا أكفر
 والله لا يعبد سراً ولا مثلى على تقصيره يعذر
 وجرد الحق فأشجى به من كان عن أحكامه ينفر
 فصاح إبليس بأصحابه حل بنا ما لم نزل نخذر
 مالى وللغر بنى هاشم فى كل دهر منهم منذر
 أكلنا قلت خبا كوكب منهم بدا لى كوكب يزهر
 والله لو أمهلنا ساعة ما هلل الناس ولا كبروا
 وشنموا القوم الذين ارتضى بهم رسول الله واستكبروا
 فردهم طوعا وكرها إلى أن عرفوا الحق الذى أنكروا
 الردة الأولى تى أهلها حزم أبى بكر ولم يكفروا
 وهذه أنت تلافيتها فساد ما قد كاد لا يذكر

قالوا وكان فى هذا المجلس قاضى قضاة المعتزلة أحمد بن أبى دواد ، فأطرق استنكاراً لما يسمع .

وبعد أن حظى ابن الجهم من المتوكل بموضع الثقة التامة تأمر عليه ندماء الخليفة وشعراؤه حتى أغروه بحبسه ونفيه إلى خراسان ثم أطلق سراحه فساء رأيه فى الناس وصار يلزم المقابر وقد قال فى ذلك :

يشتاق كل غريب عند غربته ويذكر الأهل والجيران والوطا
 وليس لى وطن أسمى أذكرو إلا المقابر إذ صارت لهم وطا
 وفى آخر حياته خرج للجهاد فى ثغور الروم ، وفيما هو فى الطريق هاجمه قطاع الطرق فقتل ، وقال وهو يحس بالموت :

أزیدَ فی اللیل لیل أم سال بالصبح سیل
یا إخیوتی بدجیل وأین منی دجیل

ووجدوا فی جیبہ رقعة یقول فیہا :

وارحمنا للغریب فی البلد الـنازح ماذا بنفسه صنعنا
فارق أحبابه فما انتفعوا بالعیش من بعده ولا انتفعنا

إن إحياء هذا الديوان حسنة من حسنات المجمع العلمي العربي ، وقد طبع طبعاً
أنيقاً على ورق صقيل عن مخطوطة أثرية ثمينة من مخطوطات الاسكوريال بتحقيق بالغ
الغاية من العناية قام به الأديب الكبير والشاعر المبدع الأستاذ خليل مردم وزير سوريا
المفوض في العراق. أحسن الله إليه .

دين ودولة

للأستاذ أحمد محمد جمال ، ١٧٠ ص ، مكتبة الثقافة بمكة

هو الكتاب الثاني من سلسلة (على مائدة القرآن) التي تكلمنا في جزء جمادى الآخرة
على الكتاب الأول منها وكان بعنوان (ما وراء الآيات) . وهذا الكتاب الثاني يشتمل
على ثلاثة فصول : أولها بعنوان « فلسفة التطهر والتعبد في القرآن » ، وتكلم فيه المؤلف
حول الإغراء بالنوحيد ، والتطبيع في العبادة ، ومكارم التقوى ، ومصلحة الجسد والروح ،
وعلم الغيب ، وحقيقة القدر ، وواجب الذكرى . والفصل الثاني بعنوان « منهاج التعليم
والتربية في القرآن » ، وتكلم فيه حول المنهاج ، ومقاومة اليأس ، والخير في القلة ، ودلائل
النعمة ، وجريرة الغنى ، ووقود الجريمة ولقاح العطل ، وحرمة الأعراض ، وواجب
الدعابة . والفصل الثالث بعنوان « المجتمع الإسلامي حكومة وشعباً في القرآن » ، وتكلم فيه
على حقيقة الحاكم ، ووحدة المحكومين ، وحریتهم ، والإلزام بالشورى ، وديمقراطية
الاقتصاد والاجتماع ، وقواعد الأمن العام ، ونظام الجنديّة ، ورعاية الأجانب ، وكرامة
المرأة . ورضع المؤلف ثلاث مقدمات للكتاب اثنتان لعظيمين من عظماء الإسلام أحدهما
شهيد مصر وهو المرشد الأول للإخوان المسلمين الأستاذ حسن البنا رحمه الله مقتبسة
من رسالته « مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي » ، والمقدمة الثانية لعظيم يوشك أن يكون
شهيد الإسلام في باكستان وهو مفخرة باكستان ومحبوب المسلمين فيها وفي العالم الإسلامي

الاستاذ أبو الأعلى المودودي الذي وردت الاخبار بصدور الحكم عليه بالإعدام لأنه يريد لباكستان إسلاما لا شائبة فيه . ومقدمة أبي الأعلى المودودي مقتبسة من رسالته ، الدين القيم ، . والمقدمة الثالثة للؤلؤف وهي على غرارهما وروحهما من روحهما .
إن كتاب (دين ودولة) أجود ما أهداه الفاضل الحجازي الاستاذ أحمد محمد جمال للمكتبة العربية . فجزاه الله خيراً

كتاب وقف أسعد باشا العظم

بتحقيق وتعليق الدكتور صلاح الدين المنجد - ٢٧ ص قالبين - طبع دمشق

آل العظم الذين كان منهم ولاية دمشق في القرن الثاني عشر الهجري ، ومنهم الست الشامية زوجة شريف باشا وصاحبة جامع الست الشامية أمام وزارة الداخلية بالقاهرة ، أصلهم من معرة النعمان من عرب تلك الجهات ، وصارت لهم النباهة والمكانة في الدولة العثمانية . وأسعد باشا العظم هو الوزير الثاني من هذه الأسرة تولى وزارة دمشق بعد أبيه إسماعيل باشا . وكان أبوه قد أنشأ المدرسة الكبرى في دمشق المعروفة بمدرسة الخياطين وكان لها شأن في الحركة العلمية هناك . وعما امتازت به أنهم وقفوا عليها مكتبة بدأ بها إسماعيل باشا وتابعه في تميمتها ابنه أسعد باشا .

ولما أسس مدحت باشا وإلى الشام وحدي باشا الذي تولاها بعده دار الكتب الظاهرية جمعت كتبها من عشر مكتبات إحداها مكتبة مدرسة الخياطين التي وقفها إسماعيل باشا العظم وابنه أسعد باشا . وكتب مكتبة الخياطين وقفت على دفعات والظاهر أنه كلما وقف عليها مقدار من الكتب كان يعمل لذلك كتاب ووقف رسمي يسجل بالمحكمة الشرعية . وقد عثر الدكتور صلاح الدين المنجد على كتاب لإحدى هذه الوقفيات من أسعد باشا العظم تاريخه ١١ شوال ١١٦٥ وفيه أسماء ٩٢ مخطوطا منها تاريخ دمشق لابن عساكر في عشرة مجلدات ، وتفسير الباب لابن العادل الحميلي في ثلاثة مجلدات ، وانتقاص الاهتراض للحافظ ابن حجر في رده على الميني في شرح البخاري وأمثال هذه الكتب . فعنى الدكتور المنجد بنشر كتاب هذه الوقفية وقدم له بمقدمة تاريخية عن هذا الوقف وواقفه . ثم نشر هذه الوثيقة وعلق على كل كتاب من الكتب الموقوفة بالإشارة إلى محل التعريف به من كشف الظنون وغيره وألحق به فهرسا أبجديا لأسماء المؤلفين . فشكراً له على هذه العناية التي لم يدفعه إليها إلا خدمة العلم محضاً .

آدم عليه السلام

للاستاذ البهي الخولى — ١٤٢ ص جابر — مطابع دار الكتاب العربى

عرض الاستاذ البهي الخولى لقصة آدم عليه السلام على أنها من قصص القرآن ، ونظر إليها من ناحية أنها قصة تكوين البشرية ومبدأ تقلبها فى الغواية والرشد ، ومهمتها الخطيرة التى اختيرت لها فى هذه الأرض .

وتبدأ القصة بتقرير أن الإنسان ليس مخلوقاً أرضياً بحتاً ، بل هو مزاج من المادة والروح فاختلط سر الروح بطبيعة التراب ، ونشأ من تلاقهما فى السكبان البشرى ضرب من الحياة فيه سر السمو والنزوع إلى الله ، وفيه طبع الانجذاب إلى الأرض ، والركون إلى متعتها الحيوانية .

وعرض المؤلف فى باب تكوين الإنسان إلى موقف القرآن من نشأة الحياة على الأرض وصلة آدم بمن سكنوا الأرض قبله وإلى مرونة القرآن فى التحدث عن بدء خلق الإنسان . ثم تسكلم على تكافؤ تكوين الإنسان مع مقتضيات الخلافة على الأرض ، وعن العقل المنطقى والعقل الروحى . وعن ضرورة العلم للخلافة وآثار موهبة العلم فى عمران الأرض . وانتقل بعد ذلك بالإنسان من الملأ الأعلى إلى أفق الغرائز فبين غريزة الزوج وغريزة حب الخلود وغريزة الملك وفطرة التدين ، وأن ما طرأ على آدم من التطورات النفسية والعضوية جعل فيه مزاجاً جديداً لا يجانس الجنة ، فصار ذلك به إلى الأرض ، وكان له فيها مستقر ومتاع إلى حين .

مذاعمات فى الاسلام

للاستاذ أحمد مظهر العظمة — ٨٢ ص قالبين — نشرته جمعية التمدن الإسلامى بدمشق

هى مجموعة أحاديث تخيرها الاستاذ أحمد مظهر العظمة مما ألفاه فى محطة الإذاعة بدمشق فى موضوعات شتى انتظمها عقد الاسلام ، وكان قد نشرها فى المجلد الثامن عشر من مجلة التمدن الإسلامى الدمشقية تسكلم فى بعضها على ليلة الذكرى النبوية ، وعلى الاخلاق الدينية ، وعمل الإسلام فى سبيل المساواة ، وسياسة المسال فى الإسلام ، وعلاج الفقر والمرض فى الإسلام ، وعلى دعوة الحق وصيانتها ، وكيف كانوا يفهمون الإسلام ، والبعضة الكبرى وشباب الإسلام . وأكثرها فى كلام موجز ، لان للإذاعة لإيجازها الجامع ووقتها المحدود .

المرأة بين البيت والمجتمع

للاستاذ البهي الخولي - ١٤٨ صفحة - من رسائل الإخوان المسلمين

هذه الرسالة اقترح تأليفها فضيلة الأستاذ حسن المصنبي المرشد العام للإخوان المسلمين، وكتب لها مقدمتها، وأراد منها أن تبين حقوق المرأة المسلمة وواجباتها في البيت والمجتمع، وأن تلم بحكم الإسلام في ذلك مأخوذاً من الكتاب والسنة بعيداً عن جدل المجادلين وتزمت المتزمتين وترخص المترخصين، فقام بذلك الأستاذ البهي الخولي على عادته في مؤلفاته الممتعة، فتكلم على نظرة الإسلام إلى المرأة، وعن حقوق الأسرة، والزواج، وتعدد الزوجات، والطلاق، وتحديد النسل، وزينة المرأة، وحقوق الأولاد، وحرمة البيت، والمرأة والمجتمع، والمرأة والاشتغال بالأعمال الحرة، والمرأة ووظائف الدولة، وحقوق المرأة السياسية. وقد فرق المؤلف بين حقوق المرأة السياسية وبين أهليتها لمزاولة هذه الحقوق. وقال إن القائمين بدعوة الحق السياسي للمرأة لا يبغيون بها رفع ضيم واقع بها، ولا سد فراغ شاغر عجز الرجال عن ملئه، بل هي فقاقيع التقليد التافه طافية على قلوبهم وأذهانهم. ولو كانت الغيرة والمصلحة العامة هي التي تدفعهم إلى تحرير المرأة المزعوم لآثروا الأهم على المهم ولعملوا على درء المفساد قبل أن ينادوا بجلب المصالح. وإذا أتيح لنا أن نأخذ بمناهج الدين والعقل والخلق القويم نكون قد بدأنا مهمتنا في إعداد المجتمع الفاضل الذي تمارس فيه المرأة حقها السياسي، وحينئذ لا تكون فتنة ويكون الأمر كله لله.

بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والادبي

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، الأجزاء ٦ - ٩ في ٢٨٨ ص

نوهنا في جزء صفر من مجلة الأزهر لهذه السنة بالأجزاء الخمسة الأولى من هذا التاريخ. وقد صدر منه الآن أربعة أجزاء أخرى في مجلد واحد، جمع في جزء منها طائفة من أخبار الخفاجيين وما قيل فيهم وفي جزء آخر أخبار الخفاجيين في دمياط ومعلومات عامة عن دمياط وفي أحد الأجزاء بيان مسهب عن جهاد المؤلف وجهوده ونشاطه. وفي الجزء الأخير وهو التاسع أعاد طبع كتابه (توبة شاعر البطولة)، كما أعاد طبع كتابه (نشيد الصحراء)، فجاءت هذه المجموعة كما ترى حافلة بالطرائف، كما هو دأب المؤلف في مؤلفاته الكثيرة.

تاريخ جبل نابلس والبلقاء

الجزء الأول للأستاذ إحسان النمر - ٣٠٠ ص - بمطبعة ابن زيدون بدمشق
عنى المؤلف بهذا الجزء من تاريخ نابلس والبلقاء بالكلام على حوادث سوريا من نهاية
الحروب الصليبية إلى الفتح العثماني ، ثم ذكر بدء بروز شخصية جبل نابلس ، وعصر بنى النمر
(أسرة المؤلف) وهم ينتمون إلى أسد ربيعة وتتفرع منهم أسر كثيرة معروفة الآن بأسماء
أخرى في دمشق وحوران وعجلون والكرك ونابلس من القرن الحادى عشر الهجرى ،
ثم تناول حوادث عهد الاقطاع في تلك البقاع إلى حملة محمد على بالجيش المصرى على فلسطين
وسوريا فنهاية القرن الثالث عشر الهجرى .

والكتاب طريف ، ويدل على سعة اطلاع لا على جميع المؤلفات المتعلقة بهذا الموضوع
وحسب ، بل على سجلات المحاكم ، ومدخرات الاسر الكبيرة ، وعلى الروايات المحفوظة
أيضا فجاء كتابا ينفع به كل من يكتب عن تاريخ هذه الجهات في العصور الأخيرة .
وعسى أن المؤلف الفاضل لا يدخر وسعا في إكمال الأجزاء الباقية من تاريخه ليم
النفع به .

كارثة القرم الإسلامية

للأستاذ يوسف ولى شاه - ١٨٢ ص - مكتبة الخانجي

كانت جزيرة القرم قلعة من قلاع الإسلام ، بما نبغ فيها من علماء ، وبما كان فيها
من صحف إسلامية ، وبما كان يضطلع به تجارها من نشاط اقتصادى عظيم . وكانت روسيا
القيصرية دولة ظالمة متعصبة تسيء إلى المسلمين باضطهاد هذا النشاط العلمى والصحنى
والاقتصادى فيها . ولكن النظام السوفيتى بما انطوى عليه من غل ذميم لكل نظام آخر
غيره ولا سيما الإسلام قد أنسى المسلمين كل سيئات روسيا القيصرية وجعلهم يؤمنون
بأن المثل الأعلى للتعصب الباغى والظلم الفاجر هو الذى تخفق رايته الآن بيد النظام
السوفيتى فى آفاق البلاد الإسلامية التى أوقعها سوء الحظ تحت حكم خلفاء القيصرية .
وكتاب (كارثة القرم الإسلامية) يحمل تفاصيل هذه الحقيقة وبراهينها والمعلومات التى
لا يجوز لمسلم أن يحفلها .

لغة القانون في الدول العربية

للدكتور عدنان الخطيب — ١١٦ ص — نشرته حلقة الدراسات العلمية بدمشق

الدكتور عدنان الخطيب معاون العام لدى محكمة الاستئناف بدمشق وشارح قانون العقوبات السوري أحد المتضلعين من القانون وله دراسة وبحوث في المقارنة بين قوانين البلاد العربية ، وهذا الكتاب الجديد تكلم فيه على صياغة القانون وما هو جار الآن من الإخلال بها وضرب الأمثلة لذلك من قوانين عربية مختلفة . ثم تكلم على لغة القانون واختلاف البلاد العربية على مصطلحاته ، ووجوب تصفية اللغة القانونية وتوحيدها في الدول العربية كلها . وتحدث عن التشريع والمشرعين ومن يضع التشريع في الدول العربية ومن يجب أن يضعه . ثم ختم الكتاب ببحث عن صلة القانون بالآداب وعن الآداب وأثره في القانون وحاجة رجل القانون إلى الآداب .

وللكتاب مقدمة بليغة قيمة بقلم قاضي دمشق الأستاذ علي الطنطاوي . فلفت أنظار وزارات العدل في الدول العربية إلى هذا الكتاب المفيد .

الاسلام رسالة الاصلاح والحرية

للاستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي — ٢٤٠ ص جابر — مكتبة الأزهر

هذا الكتاب كسائر مؤلفات فضيلة الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي يدل على نشاط وغزارة إنتاج . ويتألف من فصول عن رسالة الإسلام الخالدة ، وعن الإسلام والمجتمع ، وعن الأخلاق والآداب الإسلامية ، وأسرار التشريع الإسلامي ، وذكريات خالدة لرسول الإسلام ﷺ ، يلها فصول في أصول ومبادئ عامة ، وفي ختامه فصول أخرى عن الإسلام والشيوعية والمقارنة بين نظاميهما .

أستاذ المرأة

للشيخ محمد بن سالم البيهاني - ٢٧٠ ص - مطبعة الكمال في عدن

الشيخ محمد بن سالم البيهاني من كبار علماء عدن واليمن ، وقف حياته على الدعوة إلى الإسلام الصحيح ، وقد رأى أن من مجال دعوته تعريف المرأة المسلمة ولا سيما في جنوب جزيرة العرب بما يصحح لها أمر دينها ، ويصونها عن مزالق البدعة ، ويدها على طريق الشرع في كل ما يعرض لها من الشئون ، فألف لها ولسائر المسلمين هذا الكتاب النافع الحافل بأحكام الفقه وآداب الإسلام وبيان الحقوق والواجبات . فجزاه الله خيراً

الآن قبل العمل في شهر

مكتبة قصر عابدين

يبلغ عدد الكتب التي تحتويها مكتبة قصر عابدين نحو نصف مليون بعضها نادر الوجود. ولما كان في النية إنشاء (دار للوثائق القومية) فقد عهد مجلس الوزراء إلى اللجنة القائمة يبحث هذا المشروع أن تبحث أيضاً في خير وسيلة للاستفادة من مكتبة قصر عابدين التي كان الانتفاع بها محدوداً جداً فيما مضى ، ولا يستفاد منها إلا في أغراض كثيراً يكون المراد منها تشويه التاريخ أو النظر إليه من زاوية تغير كثيراً من مفهومه السليم .

التعليم العربي بالمدارس الأجنبية

أرسل صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر كتاباً إلى حضرة وزير المعارف يقول فيه : « كان مما أتلج صدورنا وملاً نفوسنا غبطة ما قررته الحكومة من جعل دراسة الدين إجبارية على الناشئة ، وإلزامهم بأداء الصلاة في مدارسهم ، مما سيكون له أطيّب الأثر في تقويم أخلاقهم وتهذيب نفوسهم . على أننا نرجو أن تتبع هذه الخطوات المباركة بعمل حاسم يتفق مع الروح الإصلاحية الجديدة فيما يتعلق بطائفة عامة من أبناء المسلمين الذين يتعلمون في المدارس الأجنبية ، ويحتاجون

أشد الحاجة - خصوصاً مع وجودهم في تلك البيئة الخاصة - إلى تبصيرهم بأمور دينهم وتزويدهم بالمقومات الضرورية للاحتفاظ بتقاليدهم الخلقية والاجتماعية والقومية فقد كتب إلينا الكثيرون من أولياء أمور هؤلاء التلاميذ يطلبون منا أن نرجو حضرتكم العناية بالجانب الديني لتلاميذ هذه المدارس. ونأمل من حضرتكم ومن عناية العهد الجديد إزالة سبب شكواهم ، وإصلاح هذه الناحية الهامة من نواحي التربية .

وقد أجاب وزير المعارف على هذه الرسالة شاكراً لفضيلة الأستاذ الأكبر عنايته بأمور المسلمين ، وواعداً بتحقيق رغبته السريّة .

معهد فاقوسى العربى

نوهنا في الجزء الماضى بما تبرع به الأستاذ محمد فريد الطاروطى من أرض ومال لإنشاء معهد دينى بمدينة فاقوس . وفى هذا الشهر وجه هذا الأربى الكريم الدعوة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر لإرساء حجر الأساس فى هذا المعهد ، وفى حفل كبير حضره فضيلة الشيخ محمد عبداللطيف دراز وكيل الأزهر ومدير الشرقية ومندوب هيئة التحرير أرسى فضيلة الأستاذ الأكبر حجر الأساس بيده ، وقدم الأستاذ الطاروطى لفضيلته صكاً بألف جنيه لتكون دفعة أولى من نفقات بناء المعهد ، وتبرع فضيلة الأستاذ الأكبر بمائة جنيه ثم إنشأت التبرعات من الحاضرين

العجلاء الأسرار في شهر رجب

محدثات الجلاء ونوقرها

في صباح الإثنين ١٣ رجب - (٢٧ أبريل) بدأت في القاهرة المحدثات الخاصة بجلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس وتسليم القاعدة الحربية فيها إلى القوات المصرية . وقبل يومئذ إن بريطانيا قابلة بالجلاء الشامل بعد الاتفاق مع مصر على وسائل صيانة القاعدة وإدارتها ، وأن يبدأ الجلاء عند الاتفاق على ذلك ، ويكون الانسحاب متوقفاً على توافر القوات المصرية اللازمة لتحل محلها . وأن الجلاء يشمل جميع القوات الجوبة من قواعدها في المنطقة . وتسلم الحكومة البريطانية للحكومة المصرية القاعدة الحربية بكامل معداتها ومنشآتها ومخازنها ، وتعهد مصر بصيانة القاعدة وجعلها مستعدة في كل وقت للأعمال التكتيكية ، مع توافر العدد اللازم من الفنيين لإدارة المنشآت العسكرية والقوات اللازمة للحراسة . ولا تمنع بريطانيا في استخدام مصر للفنيين من مختلف الجنسيات ، على أن يراعى في استخدامهم بعض الشروط الخاصة بالكفاءة والاستمرار في العمل طوال المدة اللازمة لتدريب الفنيين المصريين .

وقد وضع الجانب المصرى مذكرة تناولت تنظيم عملية الانسحاب وقدرت المدة اللازمة

لإتمام الجلاء على ضوء المعلومات الدقيقة التي وقف عليها العسكريون المصريون بشأن عدد القوات البريطانية والمنشآت العسكرية ، وحسب تقدير الخبراء عن السفن ووسائل النقل المتهتمة لإتمام هذا الانسحاب . ووجهة نظر مصر عن صيانة القاعدة الحربية وعدد الفنيين الذين ترى مصر لزومهم للقيام بهذا العمل ، والعدد المتوافر لديها منهم والفنيين الذين تستعين بهم حتى يتم تدريب العدد الباقي من الفنيين المصريين .

والمعروف بصفة إجمالية أن عدد أفراد القوات البريطانية الموجودة الآن في المنطقة يبلغ نحو ثمانين ألفاً ، والمنشآت والمعسكرات يبلغ عددها ٦٠ يضاف إليها ١٣ محطة للسلاح الجوي ، ويبلغ طول المنطقة ٩٠ ميلاً وعرضها ٤٠ ميلاً . وهي مخزن عظيم للذخيرة تستطيع القوات إذا دخلته عند الاقتضاء من طريق البحر الأحمر أو البحر الأبيض أن تخرج من الطرف الآخر وهي مجهزة بأفضل الذخائر وأحدث الأسلحة . وفي خارج نطاق هذه المنطقة يقع مستودع عظيم للدفعية يعرف في التقليد العسكري باسم (تك) وهو محاط بالأسلاك الشائكة وبحقول الألغام وتسلط عليه في الليل أنوار كاشفة ضخمة . ويقوم بحراسة هذه المنشآت ١٣ ألف جندي . وكان هذا المستودع يزود في الحرب الأخيرة ١٩

« لقد أعلننا أهدافنا واضحة للشعب ، وكنا نغنى ما نقول ، ولقد حددنا هذه الأهداف منذ الجلسة الأولى للجانب البريطانى ، ولقد توالى الجلسات دون أن ننزعج عن موقفنا الذى لا نملك بأى حال من الأحوال أن نتراجع عنه ، ولم نقبل الدخول فى أية تفصيلات دون أن نتفق على الأسس الرئيسية إذ لا داعى مطلقاً أن نفرق فى الجان وتفاصيل ثم نجد أنفسنا أخيراً دون هدف واحد متفق عليه ، ولقد آثرنا أن لا نضيع الوقت ، فحين أحرص ما نكون على وقتنا ، ولذلك لم نشأ أن نترك الزمام يفلت من أيدينا ونكرر ما حدث فى المفاوضات السابقة التى استمر بعضها عاماً ونصف عام . فقد طلبنا من الجانب البريطانى - بعد أن تعثرت المباحثات - أن يوضح موقفه بالأسس الرئيسية التى تحقق للشعب المصرى حقوقه الطبيعية والسيادة على أراضيه ، وأغلب ظنى أن الجانب البريطانى وجد أنه يتحتم عليه قبل أن يستمر فى المباحثات أن يراجع حكومته . »

وفى مساء الخميس ٧ مايو زار السفير البريطانى والجنرال زوربتسون الرئيس اللواء محمد نجيب بدار رئاسة الوزراء ، وسلماه رسالة من الحكومة البريطانية قيل إنها تتضمن الرجاء الخاص باستئناف المباحثات على أساس (مناقشة) وجهة النظر المصرية . ويقال إن الرئيس رفض هذا الرجاء الخاص ، وصمم على عدم استئناف المباحثات إلا إذا وافقت الحكومة

فرقة بالأسلحة والذخائر ، وهو اليوم أكبر مما كان من قبل .

وفى الاجتماعات الأربعة الأولى قطعت المباحثات مراحل الافتتاح التى يبجل فيها كل من الفريقين وجهة نظره تسجيلاً عاماً وبحسب فى الإجراءات التى تتبعها اللجان المشتركة فى الأبحاث الفنية ، ونظراً فى تقسيم المباحثات إلى موضوعات رئيسية بحسب طبيعتها وأهميتها كما بحثنا مرحلة كتابة التعليمات التى توجه اللجان الفنية فى دراستها .

وكان الجانب المصرى ينجح إلى وضع المبادئ الرئيسية وصياغتها بشكل محدد ، لئلا يقبل التأويل والاختلاف فى المستقبل ، وليكون فى هذا التحديد توجيه للفنيين فى اللجان العسكرية إلى وضع التفصيلات لتنفيذ هذه المبادئ المحددة ، أما الجانب البريطانى فكان يميل إلى إرجاء هذا التحديد الصريح إلى ما بعد انتهاء اللجان الفنية من أعمالها الفرعية المتشعبة . ولما رأى أن الجانب المصرى لا يتزحزح قيد أنملة عن موقفه فى أن يكون الجلاء الناجز وغير المشروط هو قاعدة الأسس ففسر المباحثات فى طريق إعداد وسائل التنفيذ ، طلب الجانب البريطانى حينئذ تأجيل المباحثات إلى حين حتى يستطلع رأى لندن فى الأمر ، فصدر بيان مشترك يوم الأربعاء ٦ مايو معلناً أن المباحثات بلغت مرحلة تستدعى إعلان موعد الاجتماع القادم فيما بعد ، وصدرت اصحاف صباح الخميس ٧ مايو وفيها بيان للبكباشى جمال عبد الناصر قال فيه :

والجيش اليهودى بما لم يدع مجالا لآى شك فى أن تشرشل عدو لدود لكل ما تعد الصهيونية عدوة له فى دنيا العروبة والاسلام ورد الرئيس محمد نجيب فى اليوم التالى على خطاب تشرشل بأن تشرشل أراد أن يخفى نياته الاستعمارية فى العالم العربى خلف اسم جديد هو الدفاع عن مصالح العالم الحر ، ولكن مصر تعتبر بقاء أى قوات أجنبية فى أراضيها تحت أى ستار - استمرارا للعدوان البريطانى الذى بدأ عام ١٨٨٢ بدعوى حماية العرش ، ، فالاحتفاظ بالقوات البريطانية فى منطقة القناة وادعاء أنها للدفاع عن الشرق الأوسط ليست إلا ذريعة للبقاء على الاستعمار البريطانى فى هذه البقعة من العالم . ومعاهدة سنة ١٩٣٦ الملغاة فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال ، ومع ذلك فاتها لا تسمح للانجليز إلا بعشرة آلاف جندى بمنطقة القناة بينما تشرشل يعترف بأن لهم الآن ثمانين ألف جندى . إن الدفاع عن بلاد الشرق الأوسط لا يمكن أن يقوم به إلا شعوبها مستكملة سيادتهم وحقوقهم ونحن الآن فى القرن العشرين لافى القرن التاسع عشر . ورد الرئيس فى اليوم الذى بعده على الجزء الخاص بإسرائيل والصهيونية من خطاب تشرشل فقال : إن كلامه هذا يحمل معنى التهديد لمصر والعرب ، ويؤكد إفلاس السياسة الاستعمارية البريطانية أمام الحركات القومية

البريطانية مقدما على وجهة النظر المصرية صراحة ، ثم تجرى المباحثات بعد ذلك للاتفاق على التفاصيل وتنظيم عملية الانسحاب .

وفى أواخر شعبان عقد وزراء خارجية الدول العربية مؤتمرا فى القاهرة أصدروا فى جلسته الختامية - وهى الجلسة الخامسة - قرارا بأن دول الجامعة تتخذ الخطوات التنفيذية للعمل بمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى التى أبرمتها دول الجامعة باسم (ميثاق الضمان الجماعى) وذلك فى خلال شهرين من هذا التاريخ ، وأن تقف دول الجامعة العربية إلى جانب مصر فى كفاحها لتحقيق الجلاء عن أراضيها .

وفى يوم ٢٧ شعبان (١١ مايو) وصل إلى مصر مستر فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية فى رحلة إلى دول الشرق الأوسط للاطلاع على الحالة عن كسب . وفى الساعة التى كان وزير الخارجية الأمريكية يجتمع فيها برجالات مصر للإسام بما جاء لأجله ، كان تشرشل رئيس الوزارة البريطانية واقفا يخطب فى البرلمان البريطانى بعقلية القرن التاسع عشر متجاهلا كل ما حدث فى الدنيا من تطور بين أيام الملكية فكتوريا وما بعد الحربين العالميتين زاعما ، أن الرئيس محمد نجيب ورفاقه يحاولون أن يفوزوا بما يستطيعون الفوز به من حب الشعب المصرى على حساب البريطانيين ! ، وهدد تشرشل المصريين بأن الحماية البريطانية فى القناة قادرة على الدفاع عن نفسها . وأنتى على إسرائيل والصهيونية

نرتضى لأنفسنا أن نزع بأبناء مصر في امتحان كهذا الذي ينتظر ، ما لم نعددهم له إعداداً كاملاً ، وما لم نوفر لهم كل الامكانيات التي تعينهم على الصمود لذلك الامتحان وتمسكهم من النجاح فيه . وليس التنظيم والتدريب العسكري الذي نأخذ به الآن إلا بعض هذه الإمكانيات ، وإنا لموفرون البعض الآخر في يوم قريب . قال الله تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . . إنا حريصون أشد الحرص على ألا نكرر أخطاء من سبقونا ، لن نكرر مأساة فلسطين ، ولن نكرر مأساة القناة التي حدثت عقب إلغاء المعاهدة في سنة ١٩٥١ . نعم لن ندفع ولن ندفع الناس نحو الخطأ بشهوة لأنفسنا بذلك التصديق الأجوف الذي ما يلبث حتى يقع وتبقى الأعمال راسخة في أذهان الناس وصفحات التاريخ .

ولن تستطيع قوة ما أن تجعلنا ندخل المعركة في غير الموعد الذي نراه نحن مناسباً لدخولها . نحن الذين سنحدد موعد المعركة ، ونحن الذين سنختار أسلحتها ، ونحن الذين سنعين الظروف التي ينبغي أن تدور فيها .

ويجب أن يعلم الشعب نفسه كيف يصبر على ما يكره وأن يروض نفسه على مواجهة الحرمان والجوع كما قال الله عز وجل : ولنبونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثروات وبشر الصابرين ،

الدافقة في الشرق الاوسط . ولقد أسقط في يد تشرشل عندما جاءه نبأ إخفاق السياسة الاستعمارية البريطانية للتفرقة بين العرب ، فقد كان تأيد وزراء خارجيتهم للقضايا القومية العربية وفي مقدمتها قضية مصر ضربة قاضية للسياسة الاستعمارية ، فكان رد تشرشل على اتحاد كلمة العرب سرياً في شكل تمنيات لإسرائيل حتى يتحول تيار الكراهية المتدفق ناحية الاستعمار وهو العدو الاساسي - إلى إسرائيل ، وإهمال الاهداف الحقيقية لحركاتنا القومية الدافقة .

وفي صباح الاربعاء ٢٠ مايو أذيع في مصر بيان تاريخي عظيم من الرئيس اللواء محمد نجيب قال فيه : منذ قطعت هذه المباحثات والناس يتساءلون عن الخطوة التالية التي سوف تخطوها الحكومة التي أتشرف برياستها . إنني أكاشفكم جميعاً بأننا قد عقدنا العزم على أن نستخلص حقوقنا بأيدنا ، لأننا نؤمن بأن الحقوق تؤخذ ولا توهب . ومن أجل هذا لن تقبل مصر - وأنا هنا أتكلم بلسانها - أن ترد اليها حقوقها مشروطة أو منقوصة . لكن استخلاصنا لحقوقنا من غاصبها لن يكون سهلاً ولا هيناً ، وإنما هو أمر جليل يقتضي - كحكام مسؤولين عن سلامة هذا الشعب ، وكحكام نقدر حقهم علينا وواجبنا نحوه - أن نستعد له ، وأن نحكم الاستعداد . فلا نترك أمراً مهما بدا قافهاً دون أن نتدبره ، ولا نترك منفذاً يحتمل أن ينفذ منه عدونا إلينا دون أن نسده . فلسنا

إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى

٤ — توافق اللجنة السياسية على الاعتماد الذي تطلبه الأمانة العامة للقيام بأعمال الرعاية في حدود مبلغ تسعين ألف جنيه تدرج في ميزانية الأمانة لعام ١٩٥٣ .

تقارب الحكومات العربية

زار الأمير سعود ولي عهد المملكة السعودية عواصم البلاد الشقيقة في الشمال - دمشق وبغروت وعمان وبغداد - فتناول في زيارته هذه القضايا العربية المهمة ، من أهمها تصفية الخلافات الدفينة بين الاسرتين السعودية والهاشمية . ويقتظر أن يزور الملك حسين ملك الاردن الجديد العواصم العربية في هذين الشهرين مبتدئاً بالرياض وبغداد فيبروت ودمشق . والمظنون أن نتائج هذا التقارب العربي الذي سعى لتحقيقه رئيس الجمهورية اللبنانية ستلبيها الشعوب العربية في كل ما يعرض لذلك من مناسبة بعد الآن .

كتيبة علماء من الكويت

الازهر يلقى على المسلمين درساً عملياً في الجهاد فيعان أنه أعلى مراتب العبادة ، وبالرغم من أن السنة الدراسية في أهم أدوارها ، فإن كتيبة من علماء الازهر بدأت بالتدريب في

قرارات الجامعة العربية

وافق مجلس جامعة الدول العربية على المسائل الأربع التالية التي درستها اللجنة السياسية :

١ — مشروع اتفاقية مزايا وحصانات جامعة الدول العربية، وتوصية الدول الأعضاء بأن تبادر بالانضمام إلى هذه الاتفاقية والعمل بأحكامها .

٢ — مسألة الاملاك العربية في فلسطين والقواعد التي تتبعها إسرائيل بشأنها مخالفة بذلك إعلان حقوق الإنسان وقواعد القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة والقرارات الخاصة بفلسطين . وتوصى اللجنة بأن تقدم الدول الانضمام إلى الامين العام للأمم المتحدة بطلب إدراج هذه القضية في جدول أعمال الجمعية العامة في دورة هذا العام . وبالنظر لما يقاسيه عرب فلسطين في القسم المحتل من قبل إسرائيل تكلف الأمانة العامة أن تقدم بالاقترحات اللازمة لتلافي هذه الحالة .

٣ — توافق اللجنة السياسية على التقرير الذي وضعه وزير الخارجية العراقية بشأن المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل مع اعتماد مبلغ عشرين ألف جنيه لشئون المقاطعة .

تحریم التعامل

مع القوات البريطانية في القنال

صدر القرار الوزاري الآتي :

« لا يجوز التعامل بتوريد شيء للجيش البريطاني من أصناف المواد الغذائية - بما في ذلك المشروبات الروحية والغازية - وكذلك خامات الصناعة والبناء وغير ذلك من الحاجات الأولية بما فيها الخردوات ، إلا بترخيص من وزارة التموين وطبقاً للمقايير التي تحددها ، وقد تقرر فرض نظام مراقبة الطرق المؤدية إلى منطقة قنال السويس من الشرقية والدقهلية والطرق الصحراوية ، لضمان مراقبة نقل هذه المواد وتوفيرها للاستهلاك المحلي لاهالي منطقة القناة . »

شهداء حرب فلسطين

احتفلت مصر في أواخر شعبان بنقل رفات شهداء حرب فلسطين إلى القاهرة . فأصدرت إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة كتاباً عن هذه الحرب نشرت فيه صور ضباط الجيش المصري الذين استشهدوا وأسماء الجنود الشهداء ، وقد تبين من هذا الكتاب أن عدد الشهداء من الضباط ١٠٠ والجنود ٨٦١ ، فيلجأ جنات النعيم أيها الشهداء الأبرار .

وقد خطب الرئيس اللواء محمد نجيب في هذا الاحتفال خطبة فياضة قال فيها : « إن

أواسط شعبان ، وشهد لها قائد معسكر الأزهر الصاغ محمد سليم مشرفة بأن أفرادها أبدوا جلدأ ونظاماً وإقبالاً كبيراً على التدريب مما أثار إعجاب مدربيهم من الضباط . وقد تلقت كتيبته ٣٠ درساً في أعمال الفدائيين ، وتدريبوا على مختلف الأسلحة وأعمال النسف والتدمير وحرب العصابات . »

وقد أدى أفراد الكتيبة بعض التدريبات العملية في ضرب النار ، ونال كل من فضيلة الشيخ عبد العزيز سمك وكيل معهد طنطا والشيخ محمد بدران الأستاذ بكلية أصول الدين الدرجة النهائية في إصابة الهدف إذ حصلوا على ٢٥ نقطة كما حصلوا في الإصابة بمدفع برن على ١٨ نقطة من ٢٠ . وقد تفضل الأستاذ الأكبر

شيخ الجامع الأزهر فزار معسكر تدريب الأزهرين ، وشاهد عمليات التدريب ومنها عملية النسف بالجلنجنايت ، وأخذت لهم مع فضيلة الأستاذ الأكبر بعض الصور التذكارية وأهدى فضيلته إلى كل منهم نسخة من كتابه (آداب الحرب في الإسلام) .

وقد احتفل في أواخر شعبان بتخريج هذه الدفعة وأطلق عليها اسم (كتيبة خالد ابن الوليد) ، وكان الأزهر قد قدم قبل هذه الكتيبة المؤلفة من العلماء كتيبة غيرها مؤلفة من الطلاب وأتمت تدريبها بنجاح أيضاً .

أى كتلة دولية أخرى . وقد شرح هذه الناحية سكرتير المؤتمر العام الله خان مندوب باكستان .

ومن قرارات المؤتمر أن الإسلام دين تقدمى يتمشى مع جميع الظروف فى جميع الأقطار ، وعلى جميع المخلصين أن يملأوا الفراغ الناشئ عن انتفاء قيام القوانين على أساس الشريعة .

ومما قرره المؤتمر وضع قوانين للرعية المشتركة بين أبناء العالم الإسلامى .

كارثة فلسطين لم تكن مزينة للشعوب العربية وإنما هى درس وقارعة قرعت الأذهان فى مصر ، وقرعت أذهان العرب ، وسيأتى من ورائها الخير الكثير . كانت صيحات الشعوب العربية من خلف جيوش العرب مدوية تدعو إلى التعبئة الروحية ، وتهيب بالقادة والوزراء ليعدلوا وليستقيموا وليكفوا عن لهمزهم وملقمهم ، وهى صيحة إن كانت فى الأمس صرخة فى واد ، فإنها اليوم صرخة تذهب بالآوتاد ، .

مؤتمر اسلامى بأندونيسيا

عقد فى مدينة (ميدان) بأندونيسيا مؤتمر إسلامى فى النصف الأخير من شعبان الماضى دعى فيه إلى إنشاء مجموعة شعوب إسلامية (كومونلث) تتعاون على العمل ضمن هيئة مرننة ، على أن تطبق الشريعة الإسلامية ، بعد ما ظهر من اشتداد رغبة جميع الشعوب الإسلامية فى ذلك وترجيحها على القوانين التى هى من صنع الاستعمار .

وينص القرار الأول الذى اتخذته المؤتمر على أن يدعى الرأى العام الإسلامى جدياً إلى العناية بالتفكير فى النواحي العملية التى تؤدى إلى إنشاء مجموعة الشعوب الإسلامية على أساس حكومى يجوز أن يتخذ صفة هيئة استشارية إسلامية ، وأن خلاص العالم الإسلامى فى يد أبنائه ومن العبث الاعتماد على

أبو الأعلى المودودى

وردت الأنباء من كراتشى بأن محكمة لاهور العسكرية فى حكومة باكستان أصدرت حكماً بالاعدام على الزعيم الإسلامى الكبير أبى الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية فى باكستان والهند .

وأبو الأعلى المودودى هو مؤلف الرسائل الإسلامية التى يعتبرها شباب الإسلام فى العالم دستوراً لهم فى حياتهم الاجتماعية والمالية . وأول ما عرف عن هذا الزعيم الناشؤ صحيفة (ترجمان القرآن) سنة ١٣٥٢ (١٩٣٣) التى كونت فى الشباب فكرة صادقة سليمة عن الإسلام وأنه دين لا يمكن أن يحى حياة كريمة مستقلة فى ظل دين غيره أو نظام غير نظامه . وفى سنة ١٣٦٠ (١٩٤١) أسس (الجماعة الإسلامية) لتعميم الدعوة التى أعلنها

لافتتاح المؤتمر يوم ٢٤ مايو، ولكن الحكومة التركية أثبت أن ترخص باجتماع هذا المؤتمر، وأبلغت ذلك إلى السيد نوري ديميراك أحد رجال الأعمال الاتراك الذى كان سينظم هذا المؤتمر ويتولى رئاسته .

وتقول السلطات التركية أنها منعت عقد هذا المؤتمر لأنها تخشى أن يشجع عقده الاوساط الدينية الرجعية فى البلاد!

تعاون الاستعمار

شجنت بريطانيا نصف مليون قذيفة مدفع من منطقة قناة السويس لمعاونة فرنسا فى صراعها مع المستعمرة الفرنسية فى الهند الصينية . واكتفت دوائر لندن من التعليق على هذا الخبر بقولها : إنه إذا صح فلن يكون له أثر فى الأغراض التى يستهدفها العالم الغربى من قاعدة قناة السويس العسكرية .

وفى هذا التعليق معنى استعمارى مزدوج ، فهو ينفى أن تكون هذه الشحنة تخفيفاً من وطأة الاستعمار فى مصر ، ولا ينكر أنه تعاون استعمارى بين العجوزتين انجلترا وفرنسا .

معاكسة الفساد فى الطرق

تقدم مكتب حماية الآداب العامة بوزارة الداخلية بمذكرة إلى وزارة العدل طلب فيها تعديل مواد قانون العقوبات الخاصة بالآداب العامة ، وتشديد العقوبة بالحبس بدلا من الغرامة على من يعترض السيدات والفتيات فى الطريق العام .

فى مجلة (ترجمان القرآن) ومن مبادئها العناية بالكيفية لا بالسكمية ، فهى لا تحرص على الاكثار من عدد أعضائها بقدر حرصها على حسن انتقائهم والاطمئنان إلى صحة إيمانهم . وهم يتعلقون بالمبادئ لا بالأشخاص ولذلك أبيع لهم نقد رجالهم والاحتكام فى تصرفاتهم إلى المبادئ .

ولما انتشر فى مصر خبر الحكم بالاعدام على هذا الزعيم العظيم كان له وقع سيء فى كل مكان ، وقد أبرق فضيلة الاستاذ الهضبي المرشد العام للاخوان المسلمين البرقية الآتية إلى الجهات المسئولة فى باكستان : « إن الحكم باعدام المودودى جريمة فى حق الحركة الاسلامية . والمسلمون فى أنحاء العالم يستنكرون هذا الحكم ، ويطالبون الحاكم العام بإيقافه حرصا على الروابط التى تجمعنا مع باكستان القائمة على أساس الاسلام ، . وعلينا أن نبرقيات كهذه أرسلت إلى المسؤولين فى باكستان من سماحة الحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ومن جمعية الشبان المسلمين بتوقيع رئيسها العام اللواء محمد صالح حرب ، ومن جمعية الكفاح الاسلامى بتوقيع فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز . فعسى أنهم يستدركون الامر بحسبهم .

الاسلام فى تركيا

قام فريق من بقايا أنصار الإسلام فى تركيا بتنظيم مؤتمر لذكرى مرور خمسمائة عام على الفتح الإسلامى لمدينة القسطنطينية ، وعينوا

مديرية التحرير

نوهنا في جزء رجب (ص ٩٠٢) لهذه السنة بالمديرية الجديدة المزمع إنشاؤها في الصحراء الغربية . ونزيد الآن أن مساحة المديرية ستكون ٦٠٠ ألف فدان ، وتمدها شمالا ترعة الثوبارية وشرقا مديرية البحيرة وغربا الطريق الصحراوي بين القاهرة والاسكندرية وجنوبا طريق عام . وسيتم إعداد أرض هذه المديرية على ثلاث مراحل : تروى في المرحلة الأولى ٢٤ ألف فدان منها رياً عاديا ١١ ألف فدان بالرفع حتى ستة أمتار . وستقسم المديرية إلى ثمانية مراكز . في كل مركز ثلاث نقط بوليس يسكن في منطقة كل نقطة بوليس حوالي ١٤٠٠ نسمة يختارون ممن تتوفر فيهم سلامة الجسم وأن يكونوا على قدر كاف من التعليم ليكون جميع سكان المديرية من المتعلمين الأصحاء . وسوف يمكن للسكان في المستقبل أن يتقدموا لتعمير المساحات الأخرى القابلة للزراعة إلى الغرب من هذه المديرية فتعمر الصحراء الواقعة على جانبي الطريق بين القاهرة والاسكندرية . وقد تم تخطيط ترعة التحرير وهي الزعة الرئيسية التي تروى منها أراضي المديرية ويبلغ طولها ٦٠ كيلومترا وتنتهي في ترعة الثوبارية ، وقد بدأ العمل فعلا في حفر الترعة وأوفدت مصلحة المساحة بعثتين من المهندسين لإحداهما لتخطيط المشروعات العمرانية للمنطقة وعمل الخرائط التفصيلية والأخرى لمسح جزء

من المديرية من الجو بالاشتراك مع سلاح الطيران الجوي المصري وينتظر أن يبدأ يوم ٢٣ يولييه القادم بترزيح ٣٠٠٠ فدان على الرعي الأول من سكان المديرية الجديدة .

بنك دولي عربي

يقول السيد عبد الحميد شومان مؤسس البنك العربي ومديره العام إن العالم العربي في الشرق الأوسط أحوج ما يكون الآن إلى وحدة اقتصادية تامة ، وتحقيق هذه الوحدة يقتضى أن ترعى جامعة الدول العربية مشروع بنك عربي يقوم بتنفيذ مشروعات التقدم الاقتصادي وأعمال الانشاء ، ويرى هذا المشروع إلى ثلاثة أغراض أساسية :

١ — إنشاء منطقة للنقد العربي على غرار منطقتي الاسترليني والدولار .

٢ — تنمية جميع الموارد الطبيعية .

٣ — إنشاء بحرية تجارية عربية تعمل لمصلحة المنطقة التجارية كلها .

ولا سبيل إلى جعل هذا البنك ذا صفة عربية شاملة إلا بخطوة تخطوها جامعة الدول العربية لتأخذ تحت جناحها تلك الأجزاء من الوطن العربي التي استئنيت إلى الآن لأسباب سياسية ، وهي الكويت وجزيرة البحرين وقطر وإمارات الخليج العربي ومحيطاته . وينبغي أن يكون رأس مال هذا البنك في بداية الأمر مائة مليون جنيه وتولى جامعة الدول العربية جمع الاشتراكات فيه من الدول العربية بحرص متناسب مع ميزانيات هذه الدول .

فهرس

الجزء التاسع — المجلد الرابع والعشرون

صفحة	الموضوع	بقلم
١٠٣٣	من طالب علم إلى طلاب العلم	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
١٠٣٩	مشكلات التعليم في مصر	» محمد عرفة مدير المجلة
١٠٤٤	التفسير	» حامد محسن عضو جماعة كبار العلماء
١٠٤٨	نفحات القرآن : البيت العتيق	» عبد اللطيف السبكي » » »
١٠٥٥	السنة : من أسرار الصوم وآدابه	» طه محمد الساكت
١٠٦٠	الازهريون والتدريبات العسكرية	حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
١٠٦٢	الاسلام لا يقر المحسوية	» » » » »
١٠٦٥	كفانا تقليداً في الفقه	الدكتور محمد يوسف موسى
١٠٧٠	إمام (ترجمه عبدالله بن مسعود)	الأستاذ محمود الذواوي
١٠٧٧	نشأة كتب الامالى وخصائصها : أمالى المرتضى	» عبد الوهاب حمودة
١٠٨٣	الجهاد أعلى مراتب العبادة في الاسلام	بيان لفضيلة الأستاذ الأكبر
١٠٨٦	نشأة المعاجم الفقهية وأطوارها : تدوين الفقه	الدكتور عبد الحليم النجار
١٠٩٣	ديوان مجد الاسلام : أصحاب القليب	الشاعر الكبير أحمد محرم رحمه الله
١٠٩٥	رمضان وشيطانه	الأستاذ محب الدين الخطيب
١٠٩٧	الصوم والتربية النفسية	» محمد محمود أبو شهبه
١١٠١	الفتاوى : بدء الصوم وحساب الفلكيين	لجنة الفتوى
١١٠٣	جهاد النفس تربية روحية	الأستاذ عز الدين اسماعيل
١١٠٧	الذكريات الخالدات في رمضان	» كامل محمد مجلان
١١١٠	الجنديّة في صدر الاسلام	اليوزباشي أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ
١١١٣	صدى الامانة الثانية	الدكتور محمد يوسف موسى
١١١٥	في يوم الفتح الأعظم	الأستاذ محمد الطيب النجار
١١١٩	خير الزوجات في نظري الاسلام	» عبد الرحيم فرغلي البلينى
١١٢٣	نواذر المخطوطات : أخبار ملوك العرب البائدة للاصمعي	» نور الدين شريعة
١١٢٨	نقد أخطاء الأستاذ أحمد أمين في كتاب (حيث يقطان)	» سعد محمد حسن
١١٣٦	اختيار الزوجة في الشريعة الاسلامية	» محمد فهمي الطماوى
١١٣٩	تصويب لغوى	» السيد عضو المجمع الفنى
١١٤٢	الكتب	قلم التحرير
١١٥٠	الأدب والعلوم في شهر	»
١١٥١	للعالم الاسلامى في شهر	»
١١٥٥	أنباء العالم الاسلامى	»

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب
الاشتراك السنوي
٥٠ في مصر والشرق
٢٠ للطلبة في مصر والشرق
٦٠ في الخارج
٤٠ للطلبة في الخارج
٥٠ من الجزء

مجلة الانوار
مجلة شهرية بجامعية
تصدر عن شيخ الأزهر في أول شهر ربيع

مدير المجلة
محب الدين الخطيب
عضو جماعة كبار العلماء
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

الجزء العاشر - في غرة شوال ١٣٧٢ - ١١ يونية ١٩٥٣ - المجلد الرابع والعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثقافتنا الحائرة

لما قام وفد مصر إلى مؤتمر المستشرقين الثامن في ستوكهولم عام ١٣٠٧ (١٨٨٩) مؤلفاً من الشيخ حمزة فتح الله وعبد الله فكري وابنه أمين فكري ومحمود عمر ، كانت الباخرة (غامبوج) من بواخر المساجيرى ماريتيم تبهر من القسطنطينية إلى أوروبا وعليها كبير كتاب الترك في ذلك الوقت العلامة أحمد مدحت افندى ممثلاً للدولة العثمانية في ذلك المؤتمر . ومع أن مؤلفات هذا الأديب التركي قد أربت يومئذ على مائة كتاب ، فإنه أدرك بفطنته وإنصافه أن الفلك الذي تدور فيه ثقافته على سعتها لا يؤهله لعضوية مؤتمر المستشرقين ، وأعلن في مقدمة كتاب رحلته إلى ذلك المؤتمر اعترافه بأنه رجل وقف حياته على نقل معارف الغرب إلى الشرق ، فهو - لذلك - يعد مستغرباً ، أكثر منه مستشرقاً ، فضلاً عن أن يكون شرقياً في اتجاهه الثقافي .

وقد يكون في قادة الفكر من أدباء الترك من كان يتجه بثقافة بلاده اتجاهاً غربياً أكثر مما فعل أحمد مدحت افندى ، بل قد يكون فيهم من يذهب إلى أن حضارة الغرب دكل لا يتجزأ ، ، فعلى الأمم الشرقية وهى تأخذ الحضارة عن الغرب أن تأخذها بحذافيرها

كما دعا إلى شيء من ذلك بعض حملة الأفلام عندنا . أما أحمد مدحت افندى فأشهد أنه كان أديباً إسلامياً ، وأن له مواقف مشرفة حتى في الرد على المبشرين . وأنه كان حريصاً على توجيه الشباب التركي في قافلة الإسلام ، وكان من رسالته أن تكون للترك ثقافة مستقلة تعصمهم عن أن يذروا في الثقافة الغربية ، وتدرأ عن عقولهم وقلوبهم حملات الاستعمار الفكري وأخطاره . ومع ذلك فإنه - بحكم الاختصاص الذي كان له في عالم الثقافة - اعترف بأنه يعد مستغرباً ، أكثر منه مستشرقاً ، واعتذر بذلك عن حداثة عهده بالجو الذي يستقبله في مؤتمر المستشرقين .

تحتاج الأمم في نهضاتها إلى أن تأخذ من علوم الأمم الأخرى كل ما يجد عندنا ، لتتفتح ، به في تقدم صناعاتها ، واليهوض بأسباب قوتها . أما الثقافة والأدب فإن لكل أمة ثقافتها وأدبها ، خصوصاً الأمة التي لها رسالة سامية إلى الإنسانية ، ولها تراث فياض من لغة عريقة في القدم زاخرة بدقائق المعاني وثمرات المدارك وخطرات الأفكار ومشاعر القلوب . وكلما كان تراثها الأدبي أغزر وأغنى ، كان تفريط أبنائها في استقلالهم الثقافي جناية منهم على قوميتهم وخيانة لها . وقلما يكون ذلك إلا تحت سلطان الاستعمار وبارشاده ، وتنفيذاً لخطط رسمها رجاله لمعاهد التعليم ، فأخرجت للبلاد حملة أفلام يفكرون بعبقور أجنبية ، ويوجهون الرأي العام وجهة أجنبية ، ويزينون للناس أدواقاً أجنبية .

نقول هذا بعد أن هدأت المعركة الأخيرة حول الأدب العصري في مصر بين الذين كانوا يسمون أنفسهم المجددين في الأدب ، وبين أبنائهم الذين يدعون إلى تجديد في ذلك التجديد حتى يبقى معه قديماً . ولا يبعد أن يخلف هؤلاء خلف من الأحفاد بعد عشرين سنة أخرى يدعو إلى تجديد ثالث بدعوى أن تجديد التجديد قد أدركه الهرم فصار قديماً بعد قديم .

وأما أقرر — بأسف عميق وحزن شديد — أننا في عصرنا هذا ليس لنا أدب جديد ولا قديم ، لأن أدبنا — في وضعه الحاضر — لا رسالة له ، وقد نشأ ذلك عن كونه أدب أمة لا تعرف من هي ، ولا أين هي ، وماذا تريد ، وما هي وسائلها لتحقيق ما تريد .

وفي ظني أن القاري لا يزال على ذكر من هذه الحقيقة المبررة التي أعلمها في العام الماضي وزير خارجيتنا الأسمى الأستاذ محمود فوزي ، وقرر فيها أننا أمة لا تعرف

من هي (١). ولو أن أدبنا الشائع الآن أدب سليم لارتفع بنا من أعماق التيه الذي نحن فيه ، فأشرف بنا على مصادر ضعفنا وينابيع قوتنا ، ولما كان لنا به من دقة الحس ما نسمع به نابض الحياة في مجالى الحقيقة . بل لما كان لنا منه غذاء شهى تقوى به على بلوغ مطمحننا المتوارى وراء الآفاق .

أدب الامة أوسع أفقا وأبعد مدى من أن يختص بجيل واحد ، أو بلد منفرد . وإنما هو القلب النابض بحيوية الامة من أقدم عصور بيانها ، وفي أوسع آفاق مشاعرها . وهو موجه الامل للقوى الذي يتخطى الدهور فيتصل بالاهداف الاولى مهما أوغلت في أحشاء المستقبل .

إن أدبنا في مصر يجب أن تتجاوب رسالته مع رسالة عمرو بن العاص فيما كان قد رسمه لمصر العربية الإسلامية من اتصال بجناحيها في الشرق والغرب ، ويجب أن تتجاوب رسالته مع رسالة كل ناطق بالضاد من فلسطين إلى أقصى وطن الادب العربى وراء فلسطين ، ومن ليبيا إلى أقصى هذا الوطن الواحد بعد ليبيا ، وبذلك يحمل أدبنا الاصيل لواء الجهاد الفكري في دنيا العروبة والإسلام ، مؤدياً رسالته لامة تعرف نفسها وتمضى وراء أهدافها . أما النقاش الذي قام أخيراً بين الجديد الذي صار قديماً ، وبين الوليد الذي يحاول أن يكون شيئاً جديداً ، فأنما قام بين أدبين أجنيين عن رسالة الادب العربى ، وغريبين عن القلب النابض بحيوية هذه الامة ، فكانت الامة بهما كالتيم الذي لا عائل له ، وكالمظلوم ليس له من ينطق بحقه ويدفع الظلم عنه .

أدب الامة هو اللسان الناطق برسالة الامة . فإذا كانت الامة لا تعرف من هي ، وإذا كان لسانها الناطق برسالتها غير مؤمن بهذه الرسالة ، فأى قيمة لهذا الادب جديداً كان أو جديد الجديده ، وقديماً كان أو قديم القديم .

أدبنا كأغانينا يتكسب مما تتكسب منه الاغانى ، ويتقصص ويتخلع في الجو الذي تتقصص فيه وتتخلع هذه الاغانى . وكل ذلك من أثر ثقافتنا الحاضرة التى تلتفها أجيالنا من مناهج سنهنا لنا رجال الاستعمار ، ولا نزال دائرين فى فلكها ، تأثرين فى أغراضها ، بعيدين عن رسالتنا القومية التى أولها فى الانقلاب الاجتماعى الاعظم الذى تم على أيدي

(١) انظر جزء ربيع الآخر من هذه المجلة (ص ٢٩٧)

همرو بن العاص وصحبه يوم رسموا خطط الفسطاط . وأخشى أن نكون تناسينا هذه الرسالة منذ أفل نجم الفسطاط وخلا مسجده العتيق من علمائه وأدبائه ، ومن قادة الفكر الذين طلّعوا شمساً في سماءه .

وإذا كان الادب الجديد وجديد الجديد أدباً أجنبياً لأنه لا يتصل برسالة هذه الأمة ولا بالقلوب التي تستمد قوتها من قوة هذه الرسالة ، فإن البلاغة من المواهب الباقية في الناس ما بقي الناس . ولن يعود للأمة أدبها إلا إذا نبغ فيها بلغاء مؤمنون برسالتها ، ولهم قلوب تتجاوب مع تراثها الاول ، وبصائر تكشف أهدافها من آفاق المستقبل ، حتى إذا هتفوا بهذه الأمة يدعونها إلى أن تعرف من هي ، وأين هي ، وماذا تريد ، انتعشت حينئذ ثقافتنا الاصلية ونمت وأينعت وزالت حيرتها ، وإن تحقيق ذلك رهن بتغيير مناهج معاهدنا كلها : في الازهر ، ومدارس وزارة المعارف ، والجامعات ، فإذا تجاوزت مناهجنا مع رسالتنا نهض العملاق حينئذ من نوم طال عليه الامد ، وخرج من كهفه ليستقبل الدنيا بعقل جديد وأدب جديد ، وسلاح جديد .

محّب الدين الخطيب



نزوع المرء إلى أصله

قال نهشل بن حرى :

أرى كل عود نابتاً في أوومة	أبى نسب العيدان أن يتغيرا
بنو الصالحين الصالحون ، ومن يكن	لآباء سوء يلقيهم حيث سيرا
أبوك هباب سارق الضيف برده	وجدى يا حجاج فارس شمرا

الأم السعيدة والأم السفيرة

في الارض أم سعيدة وأم شقية ، أم راقية وأم منحطة ، أم لها العزة والسودد وأم لها الذلة والخزي ، أم تعيش فيما بينها كأنما تعيش في الفردوس سعادة ونعمة ، وأم كأنما تعيش في الجحيم شقاء وبؤساً ، أم لم تدع خيراً من الخيرات إلا تمتعت به من كرامة وجاه ، وأم لم تدع شقاء إلا جلبته لنفسها وشقيت به ، فما الذي جعل بعض هذه الأم سعيدا وبعضها شقيا ؟

إن الجواب عن هذا السؤال أنفس شيء في هذه الحياة لأنه يعطى المرء المفتاح الذي تفتح به الامة باب السعادة ، والمفتاح الذي تغلق به باب الشقاء . إن سعادة فرد واحد مرغوب فيها ومبحوث عنها ، فكيف سعادة أمة بأكملها . وإن الامر وإن كان على ما ذكرت تراه لا يؤبه به في الشرق ولا يفكر فيه ، وترى الادباء ورجال الاجتماع يعنون بما هو أقل من ذلك شأنًا ولا يعنون بهذا الامر الخطير .

إن أول واجب على رجال الاجتماع وعلى الامة بأسرها ، أن تبحث عما به تسعد الامم وتتبعه وأن تبحث عما به تشقى الامم وتجتنبه .

إن الامة السعيدة أمة علت أنها لم تتكون أمة إلا لئلا تنجذب كل خير لها وتدفع كل شر عنها ، وأنه يجب أن يعمل كل واحد لخير المجموع ودفع الشر عن المجموع ، وأنه يجب أن يشعر كل واحد أنه مدين لباقي الامة بوجوده وعلمه ومنطقه وسعادته ورفاهيته ، ولن تبلغ الامة السعادة إلا إذا كانت العلاقة بين أفرادها علاقة عدالة ، فتكون فيها عدالة في توزيع الثروات وعدالة في المعاملات وعدالة في الحقوق وعدالة في الواجبات .

تعلم ذلك علماً لا يخالجه ريب يستولى على نفوسها ، وتتصرف جوارحها على مقتضى هذا العلم فتروض نفسها على أن تعترف لذوى الحقوق بحقوقهم ويؤدى كل ما وجب عليه للغير .

أما الامم الشقية فهي أم جاهلة لم تعلم هذا العلم ، بل ربما اعتقدت أو اعتقد الأقوياء فيها أنها لم تتكون أمة ولم تجتمع في هذه البقعة من الارض إلا ليستغل قواها ضعيفها ، ويستعبد عزيزها ذليلها ، وما وجدت عامتهم إلا لتخدم خاصتهم ، فنشأ عن هذا الاعتقاد

أن تكون العلاقة بينهم علاقة ظلم واغتصاب ، فالمسألة مسألة قوة فمن قدر أن يحظى بخيرات الامة فعل ، ومن قدر أن يستخدم الغير فعل ، ومن قدر أن يبني سعادته على شقاء الآخرين وبكائهم فعل .

من هذه المعرفة ومن هذه الجهالة تنشأ سعادة الامة وشقاؤها ، فمن هذه المعرفة ينشأ العدل والتعاون والمحبة ، وهى أساس كل سعادة ، ومن هذه الجهالة ينشأ الظلم والتخاذل والبغض وهى أسباب كل شقاء .

يرى الفرد فى الامم العالمية أنه مدين لأمته بوجوده وجميع الخيرات التى هو فيها فيجبها ويربط مصيره بمصيرها ، ويحمل الفرد فى الامم الجهالة ذلك فلا يرى لأمته حقاً ولا يرى عليه واجبا لها ، فلا يعمل لخيرها ولا يسعى فى نفعها . يرى الدهماء والعامه فى الامم العالمية أنهم مغمورون بنعمة الخاصة فقد بنوا لهم المستشفيات والمدارس ، وأن الدولة تعولهم إذا عجزوا وتداوهم إذا مرضوا فيحبون خاصتهم ويتعلقون بدولتهم ، ويرى الدهماء والعامه فى الامم الجهالة أن كبراهم لم يفيدهم وأنهم يحلبونهم ويذلونهم وأنهم مغموطو الحق ، مضمومون فى أمتهم فيحققون على كبرائهم ويضمرون الشر لدولتهم وتسكون الامة معسكرين: معسكراً ظالماً ومعسكراً مظلوماً . فأما الاول فيزداد فى الظلم ليخمد أنفاس الآخرين . وأما الثانى فيجتهد لينجو من ظلم الاول ، ويتبع ذلك ما يكون بين الجميع من كراهية وبغض وظلم وتدابر وانتقام وفوضى مما يوجب الفساد والشقاء .

المسألة إذن مسألة علم وجهل وتربية على الحق والإنصاف . يبلغ من جهل كبراء الامم الجهالة أنهم يعتقدون أنهم إذا ظلوا ضعفاءهم وقهروهم على مصالحهم استتب لهم العيش وأنه يمكن أن تعيش الامة على أن يستغل أقوياءها ضعفاءها .

ويلغ من علم الامم العالمية أن تنظر إلى أبعد من ذلك وترى فى حجب المستقبل أنه لا يمكن أن تعيش أمة على هذا النمط ، وأنه إذا سلبت بعض الامة على بعض فأذلهم واستعبدوهم أفقدوهم الحمية والعزة ، فإذا غزا الامة عدو أجنبي هرع كبراء الامة الظالمون إلى بقية الامة المظلومين فاستنصروهم فلم يجدوا عندهم غناء ، وكيف يجدون عندهم غناء وهم أذلهم فأفقدوهم الحمية وسلبوهم العزة والقوة الغضبية ، وهذه هى الدروع التى تبقى بها أمة لإغارة أمة ، وتنتصر بها دولة على دولة ، أياظون أنهم يكسرون شوكتهم اليوم ويسلبونهم

أسلحتهم ثم يدفعون بهم عدواً مغيراً، إن من ذل لك ذل لغيرك ، والعبد لا يعرف السكر ، وإنما يعرف الحلب والصبر .

يعلمون ذلك كله فلا يلحون على أمتهم بالظلم ، وإنما يعاملونهم بالعدل ليستبقوا عزتهم ونخوتهم وحميتهم ، فإذا جاء الجد وأغار عليهم مغير وجدوا منهم أسوداً غاضبة وليوثاً كاسرة يدفعون عن الحى ويذردون عن الحرية . هذا مبلغ العلم وهذا مبلغ الجهل .

وما قوة المسلمين فى أول دولة الإسلام إلا من هذا العلم ، وما ضعفهم أخيراً إلا من هذا الجهل ، هذا الجهل الذى ذكرناه هو الذى أفقد المسلمين عزتهم وحميتهم فى هذا العصر ، فصاروا غرض كل صائد وفريسة كل مفترس ونهب كل مغير .

كان الخلفاء الراشدون لأمهم كالأب الشفيق على أبنائه يعولهم صفاراً ويدخر لهم كباراً ، وكان كالراعى الشفيق على غنمه ينأى بهم عن موارد الهلكة ويرتاد لهم الخصب .

ولقد قال بعض الرعية لعمر بن الخطاب : والله لو وجدنا فيك أعوجاجاً لقومناه بسيوفنا ، فقال : الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من إذا وجد فى أعوجاجا قومنى بسيفه .

حمد الله على ذلك لأن هذا دليل على أن فى الأمة الحمية والغضب والقوة والشجاعة فى الحق ، والأمة إذا كان فيها ذلك لم تنه ولم تضعف ، وقد غضب على عمرو بن العاص حين ضرب ابن القبطى ، وقال له : متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً . غضب وحق لأنه خاف أن يلحوا عليهم بالظلم فيستعبدوهم ويذلّوهم فيسلبوهم العزة والانفة والحمية والغضب وهى عدد الأمة فى هذا الوجود .

ولقد بلغ من حمية العرب وأنفتهم أن معاوية ذكر الأحنف بن قيس بمقامه مع على فى حرب صفين فقال : والله يا أمير المؤمنين إن السيوف التى قاتلناك بها لعلى عواتقنا ، وإن القلوب التى أبغضناك بها لبين جوائنحنا ، وإنك إن تدن من الحرب شبرا دنونا منها ذراعاً ، وإن تدن منها ذراعاً دنونا منها باعاً ؛ ثم خرج مغضباً فقال يزيد لآبيه لم تحلم على هذا العربى الجلف ، فقال : يا بنى إنه أبو مائة وأخو مائة وعم مائة إذا غضب غضبوا لغضبته لا يسألونه لماذا غضب . ثم جاء بعد ذلك خلفاء ظلمة وأمرأ جاترون فألحوا على الأمة بالظلم حتى أذلّوها وأفقدوها الشعور بالكرامة ووجدوا فى سبيل ذلك عنتاً وشدة ، وقاومتهم الأمة مقاومة عظيمة ولكنهم انتصروا أخيراً ، انتصروا بالأمة عليها .

ولقد بلغ من إذلال الامة أن يقول الحجاج على المنبر : والله يا أهل الشقاق ومعدن النفاق إنى لأرى رؤوساً أينعت وحان قطافها وإنى لصاحبها ، وإنى لأرى الدماء تترقق بين العمام واللقى ؛ فلا يجد من ينتصر لكرامته أو يرد هذا الجبار عن جبروته .

ازداد الولاة ظلماً وعسفاً ، وازدادت الامة ضعفاً وخسفاً ، وما زالوا بهم يفقدونهم عزتهم ونخوتهم ويفسدون نفوسهم إلى أن صارت الامة الإسلامية مباحة لكل طامع ، لا تدفع عن نفسها ولا تغنى عن بلادها ، ولقد خرج عليها د هولاء ، وجنكيز خان ، فلكوا معظم البلاد الإسلامية في زمن وجيز كأنما كانوا في رياضة لا في فتح واستعمار ، وما ذاك إلا لأن القوى الحقيقية التى يدفع بها الأسد عن عرينه والطير عن وكره والكلب عن وجاره والإنسان عن وطنه قد أفقدهم إياها هؤلاء الظلمة ، فصاروا أكلة كل آكل وطعمة كل جائع ، وغبرت الأيام ، وتلك سنة الولاة الظالمين والرعية المظلومين ، إلى أن جاءت العصور الحاضرة فأغارَت أوروبا على الشرق فوجدت حى مباحاً لا حام ولا راع .

من ذلك يعلم أن مصائبنا منا وداءنا فينا وصدق الله إذ يقول : « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

ولن نرق ونسعد إلا إذا أخذنا بأسباب الرقى والسعادة ونبذنا أسباب الشقاء والاختطاط ، « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

من كلام الصاحب بن عباد

- * الإحجام في مواطنه ، كالإقدام في مواضعه .
- * اللبيب من الأسماء يكفيه ، والإيحاء يغنيه ، واللفظة تجزيه ، والدحة تؤثر فيه .
- * المكيدة أبلغ من النجدة .

نفحات القرآن

العدل والظلم

من الالفاظ البارزة في القرآن : لفظا عدل وظلم .. في صيغ مختلفة .. وهما متقابلان ..
إذا جرى أحدهما على لسانك خطر الثاني ببالك .. وذلك هو الشأن فيما بينهما التضاد :
مثل خير وشر ، وحسن وقبيح ، ونافع وضار .. هكذا عرفنا من الكتب .. ولكن الامر
فيما نحن بسبيله فوق الضوابط المسطورة .. فللوجدان إدراك ، وللفطرة مذاق ، وللشعور
تقدير ، وللإحساس تصوير .

وخصائص القرآن - كما عهدنا إليك من قبل - تنطوي عليها ألفاظه ، وتمتدح بها معانيه ،
ويقرن بها سياقه ، فلا يمكنك أن تراها شيئاً غيره ، ولا تستطيع أن تباعد فيها بين شيء
وشيء .. والسمع يتلقف من ألفاظ القرآن ما يقابل بعضه بعضاً : كالعدل والظلم ، والهدى
والضلال ، والرحمة والعذاب ... الخ ، فتجنع الحساسية القلبية إلى جانب ، وتزور عن جانب :
تجنح إلى لفظ كلفظ العدل .. حيث يدرك الوجدان حنوه ، وتذوق الفطرة عذوبته ،
ويقدر الشعور فيه رفاهيته ، ويتصوره الوعي الإنساني كالظل الظليل : يأوى إليه اللاهث
المحروم فبطرح عناءه ، ويسترد راحته ، ويتخيله الوعي كالماء القراح : ينحدر إليه الظام
الكدود فيروى صداه ، ويرد به الكبد الحرى .. وهل ترى لفظ العدل الذي توجنا به
حديثنا إلا أماناً شاملاً من المخاوف عامة ؟ هو أمان تنادى به الفطرة الاجتماعية ، وتهتف
به الانسانية ، وترنوا إليه الدنيا لتسلم الحياة على طولها من كل ما يلويها عن السير
قدماً إلى الأمام ..

العدل !! وما العدل ؟ وفيم يكون ؟؟ ... للعدل : اعتدال بين جانبين : لا إلى اليمين ،
ولا إلى الشمال فهو كميزان قائم لا يميله عن الجادة مساس ، ولا تقربه النسبات فتتأرجح
كفتاه ... ولقد أغنانا القرآن عن الأسهاب في تشخيصه ، فضرب له الأمثال ، وهنى من بينها

بذكر الميزان .. واشترط فيه أن يكون بالقسطاس المستقيم - العلامة الوسطى التي يضبط بها التساوى - وعلنا - سبحانه - أنه أخذ في شأنه معنا بنحو ذلك ، وأنه سيقم الميزان بينه وبيننا يوم الفصل ، ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - والوزن يومئذ الحق ، .

وليس بعد ذلك تمثيل أوضح في التعليم ، ولا توجيه أقوى إلى العدل - إلا ما في علم الله ثم يكون العدل منك فيما لك أو عليك ، وفيما يصدر عن جوارحك من قول أو عمل ، وفيما يجرى تحت سلطانك من شئون الناس ، وفيما يقع تحت عينك وتستطيع أن تطول إليه يدك ، أو ينطق فيه لسانك : بل يكون فيما تنطوى عليه سريرتك مما يخفى على الناس ولا يخفى على رب الناس ، إن السمع والبصر والفؤاد : كل أولئك كان عنه مسئولا ، .

والعدل كالقوة الجاذبة تتأخى به النفوس ، وتشتد به العلائق وتستقيم عليه الجماعة .

وسطوة العدل تقوّم المعوج ، وتروّع الجائر ، وتمهد للحضارة أن تسير ، وللدنيا أن تزدهر

أما الظلم : — فلفظه بغيض ، ومعناه موحش ، وحوله مكاره ، وهو على الإيجاز مسخوط يقض المضاجع اللينة ، ويشرّد الخواطر الساكنة ، وينزع النفوس الآمنة ، ليس للدنيا حظ فيه ، ولا للحياة نصيب منه ، ولا للإنسانية رغبة إليه ، ولا تمنح إليه النفس إلا نفسا خالطتها وحشية ، أو طغت عليها البهيمية فأفسدت عليها فطرتها ، ونأت بها عن الهدى ، فكانت آفة من آفات المجتمع ، وشوكة في جنب الحضارة ، وقذى في عين الحياة .

الظلم ١١ وما الظلم وفيم يكون ؟؟ الظلم انحراف عن الجادة أو ميل من جانب إلى جانب ، ويمثله لك ميزان مضطرب ، يعطيك مرة أكثر أو أقل مما لك ، ويأخذ منك مرة فوق أو أقل مما عليك ، وهو في جملته وتفصيله شذوذ عن سنن الفطرة .

ويكون الظلم كذلك فيما بينك وبين الناس من كافة الشئون ، ويكون فيما يقع تحت عينك ، وتملك أن تطوله يدك ، أو ينطق فيه لسانك .. والظلم في حساب الفطرة كاللهب مساسة تهلكه ، وللقرب منه مخافة وعاقبته خسار وبوار ، ومهما هان وقع الظلم فهو قبيح مشموم ، تقبض لذكره المشاعر ، ولا تستقيم عليه الحياة بحال ، لذلك حرمه الله على نفسه ، ونهانا في تأكيد من الآيات عن النظام لإبقاء على مصالحنا في دنيانا ، واحتفاظا بعبارة الكون كما شاء مبدعه .. واستبقاء لهناة الفرد في محيطه الذي يعيش فيه .

حفلت آيات الكتاب بذكر العدل والظلم ، ولكن لماذا يقف ذكر العدل عند العشرين مرة مع أنه محبب إلى القلوب ؟ ولماذا يتردد ذكر الظلم خمس عشرة وثلاثمائة مرة مع أنه مرذول بغض .

أحسب ذلك لأمرين . . أحدهما : - إن العدل نجى الفطرة البريئة من الشوائب ، فهو شاخص لديها لا يغيب عنها ، وإنما يذكر للتذكير ، حتى لا تخيم عليه الشواغل ، ولا يستشري في إغفاله الظلم والعدوان .

ثانيهما : - أن الظلم دعوة الشيطان فهو دائماً يزينه ، ويجتذب اليه ، فكان الإكثار من ذكره للصد عنه ، ولمقاومة المغريات التي يقدمها الى كل نفس شيطانها من الجن أو الإنس . . والمرء بحاجة الى تبصيره بسوء ما يعرضه شيطانه ، وتأمره به نفسه ، ويدفعه اليه هواه على أن كل نهى عن الظلم في طيه أمر بالعدل ، وكل تشويه لآثار الظلم تركية للعدل : ضرورة المقابلة بين المتضادين كما أسلفنا . فالإكثار من ذكر الظلم للتشويه والتفسيح . وللقرآن في حديثه عن العدل مسلك حكيم ، فهو يذكره أولاً — كبداً عام : يأخذنا به من غير تفصيل ، وفي هذا توجيهه إلى أن العدل في اعتبار الشريعة كما هو في حساب الفطرة الإنسانية : لا يتخصص بشأن دون شأن ، ولا يختص به قوم دون آخرين ، وفي هذا يقول الحكيم سبحانه : إن الله يأمر بالعدل ، فلم يقيد أمره بمعقول ، بل ساقه بصيغة الإطلاق ليكون سلطان الأمر مبسوطاً على كل من يقع تحت التكليف أو يكون صالحاً لذلك . وكذلك أطلق العدل ، فلم يحصره في شيء ولم يقرره بزمن ، وعلى هذا يكون العدل كما قلنا مبدأ ممشوداً على وجه التعميم والاطراد .

ثم تأتي آيات أخرى تؤكد ذلك ، نحو قوله تعالى : ولا يجر منكم شأن قوم — بغضهم على ألا تعدلوا . اعدلوا : هو أقرب للتقوى ، وهنا تحسم الخصومات ، فلا تنال من العدالة بل ولا تمتد إليها بالانتقاص مهما يكن سببها : فلا تشفى ، ولا حنق ، ولا جنف ، ولا انحراف . وإنما هو تخاق بأخلاق الرحمن ، وأخذ بالسكال حتى مع من لا يكون مـوالياً ، ولا مطيعاً . يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم — الآية ، .

ومن مسلك القرآن — ثانياً — في ذكر العدل أن يتجاوز التعميم إلى التطبيق فيعرض لأمور يبرز فيها العدل أكثر ، ويأتى على كثير منها بالنصريح : منها : د وإذا حكمت

بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ،
 ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
 هم الفاسقون ، فهل ترى تأكيداً أكيداً ، وتصريحاً أصرح من طلب العدل في الحكم على
 هذا النحو واعتبار الخروج عن العدل فيه كفراً : وظلماً : وفسوقاً : ؟ وهل بعد هذه الثلاثة
 شناعة ؟ ومنها : أوفوا السكيل ولا تكونوا من الخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ،
 ولا تبخسوا الناس أشياءهم : الآية ، ، والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطفئوا في الميزان
 وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ، ، ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على
 الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، : ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم
 عظيم ؟ الآية ، وهكذا من مواطن العدل البارزة يسوقها الكتاب العزيز مساق التطبيق للبدء العام
 فيما يجري مع الناس ، وبين الناس من أعمال ، أو يجري على ألسنتهم من أقوال ولو لم تكن
 عاقلة بأحد ، ومن باب الأولى إذا كانت عاقلة ، وإذا قلتم فاعدلوا .. ولو كان ذا قربى ، .
 وفي هذه الآيات وأمثالها تحصيل للعدالة أن تذهب ضحية الهوى ، أو تميل بها العصبية ،
 أو يلتوى بها التأويل المفروض .

والمسلك الثالث للقرآن في ذكر العدل - بعد تركيزه كبدأ ، وبعد التمثيل في تطبيقه -
 مسلك التصوير الدقيق لحقيقته ، والكشف عن مداه - ولو تقريباً - ليتبصر العقل ، ويتيقظ
 الوجدان ... ومن ذلك أن الله يضرب لنا الأمثال عن شأنه وهو الحكم الأعلى غير مدافع
 ولا مشلول ، إن الله لا يظلم الناس شيئاً - إن الله لا يظلم مثقال ذرة - فمن يعمل مثقال
 ذرة خيراً يره - ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره - إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً - يا بني
 إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة ، أو في السموات ، أو في الأرض
 يأت بها الله ، .

فذلك تصوير بارز : فيه تأكيد ، وتقوية للعهد ، يأخذه الله على عبادته أن يستنوا بسنته
 ويتزولوا عند إرادته ، وقيموا شرائعهم على هذا الأساس من شريعته ، حتى مع من خاصوا
 ربهم في دينه ، ولم يستجيبوا لدعوة رسوله فإن الله قد عدل مع هؤلاء ، ولم يطاردهم من
 ملكه . ولم يقطع أرزاقهم في دنياهم ، ولم يأخذهم على غرة ، فإنه خلقهم بقدرته ، وأبقاهم
 بإرادته وحكمته ، فكان حقاً لا نقا أن يعدل ، وقد عدل ، وطلب إلينا أن نأخذ بهديه ذلك

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . »

فالقرآن يطوف بنا حول العدل في أوضاعه البينة : مبدأ - وتطبيقاً - وتصويراً ، ولم كل ذلك ؟؟ لأن العدل للحياة الاجتماعية كإنفاس الحياة للكائنات الحية ، وهولهنضات الشعوب كالماء العذب في سقى الزروع . فإن لم يكن في القلوب متسع لهداية القرآن : فلتكن لنا هداية من تجارب الأزمان . وما شهدنا أمة جارت ، ولا حاكما ظلم ، ولا أسرة طغت إلا ثار الله بقرته بمن عبثوا بسنته ، وغفلوا عن دعوته ، وفي الآيات نذر تسمع من به صم ، وفي السكون دلائل مشهودة لمن بعينه قذى ، وكلها تنادى : العدل . . العدل !! .

فمن لم يعدل — ولو في خاصة نفسه — أو اجتراً ولو في شأن غير ذى بال ... فقد ساهم في كبت العدالة ، ومناصرة المدوان ، ومن وراء ذلك اختناق الحياة وتعويق الحضارة ، ومحادة الله فيما رسم لنظام السكون ... وربك بالمرصاد ، ولن يهمل مهما أمهل .

وإنك لترى في بعض الآيات تخويفاً من الظلم أكثر مما ترى في جانب غيره من المآثم ، فانظر - مثلاً - إلى قوله سبحانه « إنه لا يفلح الظالمون ، » لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ، وفي هذا الاستثناء إيدان بأن صوت المظلوم مسموع في كل ما يتجه به إلى الله ... وقد أكدت أحاديث الرسول ذلك فأفادت في صراحة أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب .. وأفادت أن الله ينصر دعوة المظلوم ولو بعد حين ..

وأفادت أن الظلم في الدنيا ظلمات يوم القيامة .. أى - أنها ظلمات متكاثفة تمكثف بشاعتها الظالم ، وتحقق به حتى يكون شأنه مفضوحاً ، ويكون بين الخلائق في هول وضجر ، وآلام .. بينما يكون لغير الظالمين في ذلك الموقف الرهيب نور يسمى بين أيديهم ، وبأيامهم ، وعن شمائلهم ثم هم يتزبدون فيقولون « ربنا أتم لنا نورنا .. » ويقول الظالم : يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ، ولديك من التخويف بالحق الذى يصدر رموس الجبارة : أن الله تعالى حينما دعانا إلى الحكم بالعدل جعل الخروج عنه كفراً ، ثم ظلماً ، ثم فسوقاً .. على هذا الترتيب في الآيات ، فإذا كان الظلم قرين الكفر والفسوق ، وكان بينهما في الذكر : صرح لك أن تقول في هذا السياق . شر الثلاثة أوسطها ، كما تقول في باب الثناء : خير الأمور أوسطها .. وتوجيه ذلك - أن الكافر على ما به من شؤم واضح الشأن

لا يتاح له أن يدلس على الناس مثل ما بدلس الظالم وهو مستتر وراء تسمية دينية يبتدعها ثم لا ينزل على حكمها ولا يراعى مقتضاها .

ولا أذهب بك بعيداً في التذكير والإقناع ، فالقرآن نفسه يصارحك بما يؤكد لنا ما يفيد السياق أو ما أسميه في اصطلاحى الخاص بالنفحات - واليك قول الله تعالى « ولو أن لكل نفس ظلمت : ما فى الأرض - لافتدت به . . . » .

فاتخاذ الظلم فى هذا التهديد والإخبار عنه بأن ما فى الأرض لو كان مملوكا للظالم لقدمه فداء لنفسه يومذاك : مما يكشف لك فى غير خفاء عما ينتظر الظالم هنالك من وبال ولا نقل : أن المراد من الظالم خصوص الكافر . . فقد عمم القرآن ، وقرن بينهما فى قضية واحدة ، وإذا لم تكن توبة مقبولة فربك لا يغفل عما يعمله الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، .

عبد المظيف محمد السبكى

عضو جماعة كبار العلماء



أخلاق المجاهدين

قال الحافظ ابن عساكر إن حبيب بن مسلمة قدم على أمير المؤمنين عمر فى حجة ، وكان حبيب تام القامة ، فلم على عمر ، فقال له عمر :

— إنك لنى قناة رجل

فقال : أى واقه وفى سنانها

فقال عمر : افتحوا له الخزان فليأخذ ما شاء ! ففتحوها له ، فعدا عن الأموال ، وأخذ السلاح .

تحقيق القول في ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فهذه كلمات قصدت بها تحرير القول في معنى ليلة القدر وبيان المراد بها أخذاً مما تفيد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتحدث عن هذه الليلة في معرض حديثها عن نزول القرآن الكريم .

والذي دعاني للكتابة في هذا الموضوع أن كثيراً من الكتاب والخطباء في أوقانتنا الحاضرة قد انتحروا بهذه الليلة في مقالاتهم وخطبهم ناحية قد تعتبر — في بادئ الرأي — من التجديد الشائق في تفسير آيات الكتاب العزيز .

فأردت بهذه الكلمات أن أبين أن هذا الذي ذهبوا إليه في تفسير سورة القدر ، وفي تعيين المعنى الذي اختاروه لليلة القدر ليس جديداً ، وإنما هو رأى قديم غير مشهور وأن السر في أنه لم يسعد بالشهرة عند العلماء ومن يعينهم أمر القرآن من تخصصوا في تفسيره وكانوا أهدي من غيرهم في فهم نصوصه هو أنه رأى ضعيف لا تنهض به حجة قوية ، ولا يساعد عليه أسلوب الآيات القرآنية نفسها في حديثها عن هذه الليلة .

وقد ضمنت هذه الكلمات الأبحاث الآتية :

معنى ليلة القدر - ليلة القدر ونزول القرآن - شرف ليلة القدر وجلالة شأنها - هل هي ليلة واحدة في عمر الدنيا أو تتكرر بشكر الأعوام ؟ موقعها من ليالي السنة . والله الموفق والمهادي إلى الصواب وحسن السداد .

ليلة القدر ، : جاء في القاموس ولسان العرب وغيرهما من كتب اللغة ، القدر ، بسكون الدال يطلق على معان :

منها الشرف وعظم الشأن ورفعة المكانة .

ومنها التعظيم والتبجيل ورفع المكانة .

ومنها تقدير الشيء ونحديده وضبط صفاته وأحواله .

فن الأول قولك : فلان له قدر أى له شرف وعلو شأن .

وبصح أن يكون منه ومن الثانى قولك : المسلمون يتدرون الرسول قدره ، أى يعرفون له سمو المكانة أو يعظمونه حق التعظيم . ومن ذلك أيضا قوله تعالى فى المشركين : وما قدروا الله حق قدره ، أى ما عظموه حق عظمتهم وما قدسوه حق تقديسه .

ومن الثالث قولك : قدر الله الآجال والأرزاق قدرا ، بمعنى كتبها وحددها وضبط مقاديرها ومواقبتها وسائر أحوالها . ومن هذا القبيل قولك : قدر فلان القذة بالقذة إذا ضبط الأولى بالثانية وحدد بها مقدارها فأنت على وفقها مساوية لها .

وبسبب اختلاف معنى القدر لغة وتنوعه على النحو الذى ذكرنا قد اختلف علماء السلف فى معنى القدر الذى نسبت إليه الليلة فى كلمة د ليلة القدر ، :

فهم من قال إن الشرف والسمو وعظم الشأن ورفع المكانة . فليلة القدر هى ليلة الشرف والشأن العظيم وهى ليلة البر والخير والسلام والبركة .

ومنهم من قال : إن القدر معناه تقدير الاشياء وتديرها وضبط صفاتها وأحوالها .

فهذان قولان يدور عليهما الاختيار فى تحديد معنى ليلة القدر . ولا حاجة بنا للتعرض لغيرهما من الأقوال فإنه مما لا يكاد يعول عليه :

غير أنه ينبغى أن يوقف عند كل من هذين القولين ليسأل :

أولا : إذا كان القدر معناه الشرف والعظم ورفع الشأن فبماذا كان شرف ليلة القدر ؟ وهل هى ليلة لها معينات سابقة على الرسالة وعلى نزول القرآن ، ولها وجود يمكن أن تميز معه باسم د ليلة القدر ، حتى مع عدم مراعاة أنها الليلة التى نزل فيها القرآن ؟

وثانياً : إذا كان القدر معناه التقدير فما المراد بهذا التقدير ؟ وما هى الاشياء التى تقدر فى تلك الليلة ؟ هل هى خصوص أحكام الشريعة وقواعد الدين أو هى جميع ما أراد الله أن يحريه على العباد والاكوان مما سبق به علمه المحيط ؟

د أما عن الأول ، فقد صرح القرآن فى سورة القدر تصريحاً لا يقبل الشك أن القرآن أنزل فى هذه الليلة ، وأنها ليلة كلها خير وسلام من أولها حتى مطلع الفجر ، وأنها خير من ألف شهر ؛ د إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر .

وقال تعالى : في سورة الدخان : د حم والكتاب المبين ، إنا أنزلناه في ليلة مباركة
إنا كنا منذرين . .

ولكن هل ما امتازت به هذه الليلة من الخير والبركة والسلام والأمن ، وما وصفت
به من الشرف والسمو ورفعة الشأن قد اكتسبته من نزول القرآن فيها لحسب ، وأنه لولا
ذلك ما كان ليثبت لها شيء من هذه المزايا ، وما كان يطلق عليها اسم ليلة القدر ؟ أو أنها
ليلة قدر وشرف ، لما من قبل الرسالة ونزول القرآن خصائصها وميزاتها ، ولها اسمها وسمو
مكاتها ، وأنها من أجل فضلها وشرفها اختارها من بين الليالي لينزل فيها ما نزل من القرآن .

قد مال إلى الوجه الأول الشيخ محمد عبده ، عليه صحائب الرحمة ، ولم ير أن ليلة القدر
فضلاً ولا شرفاً ومزية إلا من أجل أن الله تعالى قد أعلى فيها منزلة نبيه ، وشرفه وعظمه
بالرسالة ، وأوحى إليه بما أوحى من القرآن الذي هو كتاب الهداية والسعادة والخير
والبر والبركة . .

اختار - رحمه الله - هذا الوجه متابعا فيه بعض من تقدم من العلماء ثم تبعه عليه كثير
من أهل العلم في عصرنا الحاضر .

وقد يكون لهذا الوجه - في بادئ النظر - شيء من الوجاهة . ولكننا نرى في الوجه
الثاني عند التحقيق - أجود الرأي وأوجه وأحقه بالنصرة والتأييد ، وذلك للمعاني التالية :

١ الأول : أن قوله تعالى : د إنا أنزلناه في ليلة القدر ، لإعلام من الله سبحانه لنبيه
بعد ما أوحى إليه في تلك الليلة بما أوحى من القرآن الكريم - أنه كرمه بهذا الوحي في ليلة
القدر والشرف العظيم ، وأن هذه الليلة لها من الخصائص والمزايا ما جللاه الله لنبيه في هذه
السورة وفي مفتتح سورة الدخان . ولا يستقيم أن يكون ما للييلة القدر من المزايا
وخصائص الشرف التي أريد لإعلام النبي بها - مقصوراً على ما كان في ليلة الوحي ؛ فانه
عليه الصلاة والسلام يعلم حق العلم أنه قد أكرم فيها بنزول القرآن ، وأنها من أجل ذلك ليلة
مباركة كلها خير وسلام ، ويعلم حق العلم أنه قد جاء فيها الروح الأمين أمين الوحي ؛
ولا بد أن يكون له علم كذلك بمن تنزل فيها من ملائكة الله . وعلى هذا يكون بعيداً
جداً أن يكون المقصود لإعلامه بشيء من ذلك الذي هو به جده عليم . وهل يكون مستقيماً -
بعد ما عرف فضل هذه الليلة بنزول القرآن ، وعرف تنزل الملائكة فيها ورأى الروح

الأمين رؤية العيان - أن يقال له : إنا أنزلنا القرآن في الليلة التي اكتسبت الفضل والشرف بنزله ربما نزل فيها من الروح والملائكة ؟ أليس يكون ذلك إعلاما بما هو معلوم ؟
ومهما بذلت الجهود في تماس الجرح لاستقامة هذا الإخبار فانه على ذلك المعنى الأول الذي سار عليه الشيخ محمد عبده غير مستقيم .

والذي نراه أن قوله تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » ، ظاهر جداً في أن القدر والشرف وجلالة الشأن ثابتة لليلة القدر من قبل أن ينزل القرآن ، وأنها ليلة معروفة بذلك الاسم عند الله وعند من أطلعهم الله عليه من عباده وصفوة خلقه ، وأن هذا التعبير « إنا أنزلناه في ليلة القدر » من قبيل قولك : قدم فلان في ليلة العيد أو ليلة الصوم أو ليلة كذا وكذا من الليالي المشهورة بمعنى من المعاني . فليلة القدر معروفة - كما قدمنا - بذلك الاسم الذي صار علماً عليها لما اختصت به من المزية والشرف . وهذه الليلة المعروفة بذلك الاسم والخصوصية بتلك المزية وذلك الشرف من بين ليالي السنة أراد الله أن يعلم نبيه أنها هي الليلة التي اختارها لينزل فيها أول ما نزل من القرآن فيتناسب بذلك شرف الكتاب العظيم مع شرف الزمن الذي نزل فيه .

والثاني ، أن قوله تعالى : « تنزل الملائكة والروح فيها » ، ظاهر في أن ليلة القدر يتكرر كونها ، ويتجدد مجيئها ، فليست ليلة واحدة في الدهر كله كما يقتضيه القول بأنها خصوص الليلة التي بدى فيها بإنزال القرآن ؛ فإن الأصل في صيغة المضارع أنها تدل على حصول معناها في المستقبل ؛ ولو كانت هي الليلة التي نزل فيها القرآن وحدها ل قيل : « تنزل الملائكة والروح فيها » ، من حيث أن الحديث عنها حديث عن امر وقع في الماضي . وهذا شيء معلوم يعرفه جميع أهل العربية .

فإذا راعينا - مع ما تدل عليه صيغة المضارعة من معنى الاستقبال - أن الليلة التي أنزل فيها القرآن وفيها نزلت الملائكة والروح معها قد أطلق عليها اسم ليلة القدر علمنا أن تنزل الملائكة والروح الأمين من خصائص هذه الليلة وأنه يتكرر بتكررها ، ويتجدد كلما تجددت .

« غير أنه قد يقال ، إنه كثيراً ما يعبر في القرآن عن الأمر الماضي بصيغة المضارعة لاعتبارات تختلف وتتنوع باختلاف المواطن وتنوعها . والاعتبار في المواطن الذي نحن بصدده قد يكون إرادة استحضار صورة ذلك الماضي واقتراضه حاصلاً ساعة الحديث عنه

قصدا إلى كشف المعنى للسامع وتجليته أقوى تجلية ، وذلك من المقاصد البلاغية الرائعة التي يعرفها أيضا أهل العربية ، فإن الحديث عن الشيء ساعة حصوله أقوى وأكثر وأوقع في النفس من الإخبار عنه بعد ما يحصل ويمر زمنه .

والجواب ، أن ذلك لا يقدح فيما قلنا من أن الأصل في المضارع هو دلالة على الشيء يكون في المستقبل ، بإطلاقه على ما كان في الماضي خلاف الأصل ، لا يصار إليه ولا يدعى أنه المراد إلا إذا كان هناك دليل يصره عن ذلك الأصل ثم يحى الاعتبار البلاغى كالاستحضار ونحوه مصححا ومسوغا لإطلاق المضارع على المعنى الماضى .

ولا يصلح الاعتبار وحده دليلا على أن المراد من المضارع هو المعنى الماضى ؛ اللهم إلا إذا ثبت أن المتكلم أراد ذلك الاعتبار ، وقصد - فى مثل مسألتنا - إلى معنى الاستحضار ، وهذا ما لا سبيل إليه ، وليس السلام قاطعا ولا ظاهرا فيه ؛ بل اللجأ إلى دعواه هو عين ما يسمى بالمصادرة كما يعرف ذلك أهل العلم .

وبعد ، فأنت ترى أننا - فى هذا الوجه الثانى من الاستدلال - قد اقتصرنا على ما تفيد به صيغة المضارع ، ولم تتعلق بما تدل عليه صيغة ، التفعّل ، من معنى التكرار والتجدد ؛ فإنه إذا كانت هذه الصيغة التى جاءت على نهجها كلمة ، تنزل الملائكة ، تدل على تجدد نزول الملائكة وحصوله مرة بعد مرة فليست نصا فى أن ذلك التجدد يحصل فى أكثر من ليلة ؛ لأنه يصح أن يكون نزول الملائكة متابعا وعلى دفعات كثيرة فى ليلة واحدة ، تنزل طائفة منهم وتنبعها طائفة وطائفة ، وهكذا حتى مطلع الفجر . وحيدئذ لا يكون فى التعلق بحديث التجدد وتكرار الحصول الذى تدل عليه صيغة ، تنزل ، إثبات لطلب الذى هو تجدد الليلة وتكرارها بتكرار الأعوام .

والثالث ، : أن قوله تعالى فى سورة الدخان - : فيها يفرق كل أمر حكيم . يدل على أن ليلة القدر تتكرر وتجدد ، وليست ليلة واحدة على ما يقضى به القول أنها الليلة الماضية التى نزل فيها القرآن ؛ وذلك لحيى ، يفرق ، بصيغة المضارعة التى تدل بأصلها على أن فرق الأمر الحكيم وبيانه وتفصيله يكون فى المستقبل كما قدمنا الكلام على ذلك فى قوله تعالى : تنزل الملائكة ، ، وأنه إذا كانت ليلة نزول القرآن التى سميت ليلة القدر قد فرق فيها الأمر الحكيم فذلك لأن شأن ليلة القدر ذلك : فرق فيها دائما كل أمر حكيم ؛ فيكون

الحديث عن ذلك مقصودا به الإعلام بأن نزول القرآن قد كان في الليلة التي من خواصها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم .

« الرابع » : أن قوله تعالى : « فيها يفرق كل أمر حكيم » ، معناه أنه يبين في الليلة المباركة ويفصل كل أمر موافق للحكمة والصواب متفق لا يخلل فيه ولا اضطراب ؛ وذلك يفيد أنها ليلة تتكرر وتجدد ، وليست هي خصوص الليلة التي بدأ فيها الوحي بشيء من آيات القرآن فإن ما نزل في تلك الليلة — وإن كان أمراً حكيمياً من غير شك ولا امتراء — لا يمكن أن يقال فيه إنه هو كل أمر حكيم . وسنعود قريباً إلى هذا بمزيد من التفصيل .

« الخامس » : ما ورد في صحاح الأحاديث من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى ليلة القدر ، وأنه أمر الناس بالتماسها وتحريها في العشر الأواخر من رمضان :

١ — فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاوز في العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان .

٢ — وروى البخارى أيضاً عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد منزره وأحيا ليله وأيقظ أهله .

٣ — وروى كذلك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان .

٤ — وعن ابن عباس رضى الله عنهما فيما رواه البخارى أن النبي ﷺ قال : التمسوها في العشر الأواخر من رمضان : ليلة القدر ؛ في تاسعة تبق ؛ في سابعة تبق ؛ في خامسة تبق ،

• — وروى البخارى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يحاوز في رمضان العشر التي في وسط الشهر ، فإذا كان حين يسمى من عشرين ليلة تسمى ويستقبل إحدى وعشرين رجوع إلى مسكنه ورجع من كان يحاوز معه ، وأنه أقام في شهر جاور فيه الليلة التي كان يرجع فيها ، فخطب الناس فأمرهم ما شاء الله ، ثم قال : كنت أجاور هذه العشر ، ثم قد بدا لي أن أجاور هذه العشر الأواخر ^(١) فمن كان اعتكف معي

(١) وقد ورد فيما روى عن أبي سعيد الخدرى أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اعتكف العشر الأوسط إن القى تطلب أمالك ، يريد ليلة القدر .

فليثبت في معتكفه ، وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيها فابتغوها في العشر الأواخر ، وابتغوها في كل وتر ، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين ، فاستهات السماء في تلك الليلة فأمرت فوكف المسجد في مصلى النبي ﷺ ليلة إحدى وعشرين فبهرت عيني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلئ طينا وماء .

٦ — وروى البخارى عن عبادة بن الصامت قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيرا لكم ، فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة .

ففي هذا كله دلالات واضحة على أن ليلة القدر لها فضلها وشرفها ، ولها منزبتها وراء ما ثبت لها بنزول القرآن فيها ، وانها تتكرر وتتجدد ، وأن مظنة موافقتها هي العشر الأواخر من شهر رمضان ؛ فإنها لو كانت خصوص الليلة التي نزل فيها القرآن لما كان هناك معنى لتحريمها ولا الأمر به بعدما انقضت تلك الليلة ومرت .

ولا يصح أن يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بأمره بتحري ليلة القدر ولا باعتكافه العشر الأوسط أو الأخير إلا إحياء ذكرى الليلة التي نزل عليه فيها القرآن وتكريمها ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن لتخفي عليه هذه الليلة العظيمة فيجهل موقعها من الشهر الذي كانت هي إحدى لياليه حتى يتجراها باعتكاف العشر الأخير من رمضان ويأمر بتحريمها في ذلك من يريد إحياء ذكرها في كل عام . هذا بعيد غاية البعد ؛ وإذا لا يستقيم ما يقوله بعض الناس اليوم ارتكانا إلى ما اختاره المرحوم الشيخ محمد عبده من أنه ليست هناك ليلة تسمى ليلة القدر غير تلك الليلة التي نزل فيها القرآن ، وهي ليلة واحدة لا تتكرر ، وأنه لا معنى للاحتفال بها في كل سنة إلا أن يكون المقصود من ذلك إحياء ذكرى تلك الليلة كما نحى ذكرى العظماء وذكرى الليالي والأيام التي اشتهرت بوقائع وحوادث لها خطر وشأن .

وإذا لم يكن للاحتفال الناس بليلة القدر معنى سوى إحياء ذكرها فماذا يقال في تحري رسول الله ﷺ هذه الليلة وأمره الناس بتحريمها ؟ .

هنا نجد الاستاذ الإمام عليه الرحمة يعمد إلى الأحاديث الواردة في ذلك فيضرب عليها بكلمة ويرى أنه بذلك قد خاص منها :

يقول: إن تلك الأحاديث رواياتنا مضطربة، وأغلبها ضعيف، والكثير منها موضوع ومثل ذلك لا يصح الأخذ به في باب العقائد.

ولكنه - رحمه الله - لم يبق لنا أى هذه الأحاديث موضوع وأنها ضعيف وبما إذا كان ضعف هذا الضعيف، ولم يكشف كذلك عن الاضطراب الذى يصح معه أن يضرب صفحاً عن أحاديث أخرجه البخارى وغيره عن جماعة من الصحابة يروى أحدهم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «تحمروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان»، ويروى آخر أنه قال: «تحمروا ليلة القدر في الوتر في العشر الاواخر من رمضان»، ويروى ثالث قوله عليه الصلاة والسلام: «النسوها في العشر الاواخر من رمضان ليلة القدر في فاسعة تبقى، في سابعة تبقى في خامسة تبقى».

فهل هذا هو الاضطراب الذى يأتى معه قبول الاحاديث؟

نحن لا نجد بين ما أوردناه من أحاديث الامر بالتحرى شيئاً من الاضطراب في السند أو المتن بحيث يقدر في صحتها ويوجب طرحها؛ وكل ما فيها إنما هو اختلاف بالإجمال والتفصيل أو بوضع لفظ مكان مرادفه. وإذا كان جميع الناس - إلا من لا يعتد برأيه في هذا المقام - على أنه يجوز رواية الاحاديث بالمعنى ما دام ذلك لا يخجل بما قصد الرسول صلى الله عليه وسلم لإفادته من المعنى فالاختلاف الذى أشرنا إليه لا يضرب في شيء ولا يصح معه دعوى الاضطراب الذى تطرح من أجله الاحاديث.

وبعد، فقد تبين مما قدمناه من الكلام على المعنى الاول لكلمة «القدر»، أنه الفضل والشرف وعلو المنزلة، وأن ليلة القدر لها شرف وفضل بنزول القرآن فيها من غير شك، لكن لها - وراء ذلك - شرفاً وفضلاً بما خصها الله به مما سنعرض للكلام عنه فيما يلي؟ وأنه من أجل ذلك قد اختارها الله تعالى لتكون ليلة افتتاح الوحي ونزول أول ما أنزل من القرآن «وأما عن المعنى الثانى، وهو «التقدير»، فقد اختار الشيخ الامام فيه أيضاً خلاف ما جرى عليه جمهور المتقدمين من العلماء:

قال - رحمه الله عليه: «سميت الليلة ليلة القدر إما بمعنى ليلة التقدير، لأن الله ابتدأ فيها تقدير دينه وتحديد الخطة لنبه في دعوة الناس إلى ما ينقدّم مما كانوا فيه، فهو يحمل التقدير على خصوص ما يكون بالقرآن من الارشاد والبيان وتحديد طريق

السعادة والفصل بينها وبين طرائق الشقاوة والضلال ، ويقول إن هذا هو المراد مما ورد في سورة الدخان من فرق الأمر الحكيم في تلك الليلة ، فالأمر الحكيم إنما هو أمر الرسالة والأوامر والأحكام لا شيء آخر سواها ، هذا هو ما يرتضيه من معنى التقدير ومعنى فرق الأمر الحكيم .

وغريب جداً أن يحمل التقدير على ذلك المعنى الذى لا يخرج عما يتعلق بالوحى والرسالة وتحديد الدين أحكام الشريعة .

ونحن إذا كنا نتساهل فنقبل تأويل المرحوم الشيخ محمد عبده لهذا التقدير والتحديد ونقول إنه ليس بلازم في تسمية الليلة ليلة التقدير أن تقدر فيها جميع أصول الدين وتحديد جميع أحكام الشريعة بل يكفي أن يكون بدء ذلك كله في تلك الليلة - إذا كنا نتساهل فنقبل هذا التأويل فليس من السهل أن يقبل ما يؤدي إليه مما يضيع معه معنى الاخبار في قوله تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » ، أليس يكون معناه حينئذ : « إنا أنزلنا القرآن - أى ابتدأنا إنزاله في الليلة التى بدأنا فيها بإرسال الوحى بالرسالة وبالتحديد الشريعة وأحكام الدين ؟ وإذا يكون حاصل المعنى - إنا ابتدأنا إنزال القرآن في الليلة التى ابتدأنا فيها بإنزال القرآن ، وهذا شيء لا يقبله عاقل ولا يصح أن ينزل على مثله كلام عوام الناس فما بالك بكلام رب العالمين ؟ .

وكذلك الحال في آية الدخان : « فيها يفرق كل أمر حكيم » ؛ فإنه متى كان هذا الأمر الحكيم هو ما يختص بالرسالة والوحى والأوامر والأحكام - كما يقول الأستاذ الامام - كان المعنى أنه يفرق ويبين ويفصل في تلك الليلة الوحيدة التى لا تسكر ولا تتجدد على مر الدهور والأعوام كل أمر حكيم من أمور الدين وأحكام الشريعة . وإذا كان معلوما بالضرورة أن تلك الليلة التى نزل فيها أول ما نزل من القرآن لم يبين فيها كل أمر حكيم من أمور الشريعة والدين فكيف يكون تأويل آية الدخان التى تتعلق بأن الليلة المباركة وهى ليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم ؟ .

نحن نوقن أن الأستاذ الامام - عليه سبحانه الرحمة - شعر ببعض الحرج في تأويل الآية على النحو الذى يوافق ما يرمى إليه من المعنى فأراد أن يخلص من هذا الحرج بتقرير « أن ابتداء نزول القرآن كان فرقاً بين الحق والباطل وكل ما جاء منه كان كذلك » ، ثم توالى النزول بعد الليلة الأولى بما هو من نوع ما نزل فيها كما قال : « إنا كنا مرسلين رحمة من ربك » ؛ فصح أن ينسب إليها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم ، لأن كل ما جاء فيها كان أمراً حكيمياً فرق به

بين الحق والباطل وبداية لما يكون بعده من مثله ، كما صدق قوله : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » ، مع أنه لا يكون بينه وفارقا بين الحق والباطل إلا ما ظهر للناس منه وهو ما نزل وبأخ الهم بالفعل أو كان بسبيل أن يبلغ ، فليس الأمر الحكيم الذى يفرق فى الليلة المباركة إلا أمر الدين والاحكام ، اهـ فهو يقول : إن ما نزل من القرآن فى الليلة الأولى التى جاء فيها الوحي أمر حكيم فرق به بين الحق والباطل وهو بداية لكل أمر حكيم جاء به القرآن بعد ذلك وفرق به بين الحق والباطل فكأن كل أمر حكيم جاء به القرآن من أوله إلى آخره قد كان فى ليلة الوحي الأولى .

ونحن نقول إن هذا شيء فى غاية التكلف لا يذغى أن يلجأ إليه فى تفهم آيات القرآن الكريم .

يقرر الأستاذ الإمام أن كل ما جاء فى تلك الليلة كان أمرا حكما . وهذا حق لا مرية فيه

ويقرر أن ما جاء فيها كان بداية لما جاء بعده من الأمر الحكيم . وذلك حق أيضا لا ينازع فيه منازع .

ولكن ذلك كله لا يسوغ أن يقال إن بيان كل أمر حكيم قد كان فى تلك الليلة .

وليس من هذا القليل قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات » ؛ فانه إذا كان القرآن - كما يقول الأستاذ الإمام - يطلق على جميع الكتاب العزيز وعلى أى جملة منه وكان كله هداية وفى كل جملة منه هداية صح أن يقال : إن القرآن نزل فى شهر رمضان ما دام قد نزل جزء منه فى هذا الشهر ، ولا سيما أن هذه الآية لم تقل إن شهر رمضان قد أنزل فيه القرآن كله كما جاء فى آية الدخان : « فيها يفرق كل أمر حكيم » .

ثم إن فرقا كبيرا بين أن يقال : إن ما نزل فى تلك الليلة كان كله أمرا حكما وأن يقال : إن كل أمر حكيم نزل فى تلك الليلة ، فلا يصح الخلط بين هاتين القضيتين ولا التخطئ من إحداهما إلى الأخرى بدون وسيلة صالحة .

ولهذا لا يسعنا إلا أن نسير فى معنى ليلة القدر والتقدير ، على ما جرى عليه المتقدمون من العلماء .

فلبلة القدر على هذا هى اللبلة التى تقدر فيها الآجال والأرزاق والاقوات ، وتضبط فيها شؤون سائر الكائنات وتحدد صفاتها وأحوالها .

غير أنه ينبغى أن يعلم أنه ليس المراد من تقدير هذه الأشياء فى لبلة القدر بدء تقديرها وإنشاء تحديد مواعيتها وضبط شؤونها وأحوالها ؛ فان ذلك أزل سبى به علم الله وإرادته منذ القدم ، وإنما معنى ذلك إظهار هذه الأمور للملائكة وكشفها لهم لضبطها فى صفهم ويقوموا فيها بما أمرهم الله .

وهذا هو ما اختاره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى وحرر القول فيه قبله الإمام النووى الذى اعتمد فيه على ما قرره الأئمة الاعلام :

قال النووى : قال العلماء : سميت لبلة القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأقدار لقوله تعالى : « فيها يفرق كل أمر حكيم » ؛ ورواه عبد الرزاق وغيره من المفسرين بأسانيد صحيحة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم وقال التوبشى : « إنما جاء القدر بسكون الدال وإن كان الشائع فى القدر الذى هو مؤاخى القضاء فتح الدال ليعلم أنه لم يرد به ذلك : وإنما أريد به تفصيل ما جرى به القضاء وإظهاره وتحديدده فى تلك السنة لتحصيل ما يلقى اليهم فيها مقداراً بمقدار ، اهـ

أى فالقدر بفتح الدال هو تقدير الأشياء وتحديددها فى الأزل ؛ وهذا ليس الكلام فيه . وأما القدر بسكون الدال فهو تحديد ذلك للملائكة وضبطه وإظهاره لهم فى اللبلة التى تسمى لبلة القدر من لبالى كل سنة .

وخلاصة القول فى هذا أنه إذا أخذت كلمة « القدر » بمعنى التقدير فلا يصح أن يقتصر هذا التقدير على تقدير أمر الرسالة وتحديد أحكام الشريعة وإنما هو تقدير كل شىء أراد الله لإعلام الملائكة به وإطلاعهم عليه ليقوم كل منهم بما وكل اليه من ذلك . وهذا هو معنى فرق الأمر الحكيم . فالأمر الحكيم ليس هو خصوص أمر الرسالة والقرآن ؛ وإنما هو كل أمر اشتمل على الحكمة ووافق الواقع واقتضت الإرادة الإلهية تفاعده فى السكون من شؤون الدين والدنيا ؛ بطلع الملائكة منه فى لبلة القدر كل سنة على ما أراد كونه فيها .

وهذا هو الشرف وعظم الشأن الذى خص الله به لبلة القدر .

ويتلخص مما قدمناه أن ليلة القدر هي ليلة من كل سنة ، فتتكرر بتكرر الأعوام ، وإن الأحاديث الصحيحة قد طلبت تحريها والتماسها رجاء موافقتها بالعبادة وعمل الخير ، فإن الجزاء على ما يكون من ذلك في ليلة القدر خير من الجزاء على ما يكون منه في ألف شهر . ولكن أى ليلة هي من ليالى السنة ؟ وهل هي ليلة معينة في ذاتها لا تنتقل في أشهر السنة أو أنها تنتقل فيها أو في شهر رمضان خاصة في لياليه كلها أو في العشر الوسط منه أو في العشر الأواخر ؟

قد اختلف العلماء في ذلك اختلافاً كبيراً . والذي رجحه ابن رشد في مقدمات المدونة ، أنها تنتقل باختلاف الأعوام ، ولكن في شهر رمضان خاصة . قال : وهذا هو الذى ذهب إليه مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأكثر أهل العلم ؛ وهو أصح الأقاويل ، وأولاهما بالصواب .

ويرى ابن رشد أنها تختص في تنقلها - في الأغلب من حالها - بالعشر الوسط وبالعشر الأواخر من رمضان ، وأن هذا القول هو الذى يتماشى مع جميع الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الشأن .

ويقول إن الأغلب أنها تكون من العشر الوسط ليلة سبع عشرة وليلة تسع عشرة ، ومن العشر الأواخر في الأوتار منها .

ويقدر ابن حجر في فتح البارى أن أرجح أقوال العلماء في ليلة القدر أنها في وتر من العشر الأخير ، وأنها تنتقل في أوتار هذا العشر .

وقال ابن القيم في زاد المعاد ، في بيان هدى الرسول صلى الله عليه وسلم في اعتكافه - أنه عليه الصلاة والسلام كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل واعتكف مرة في العشر الأول ثم الأوسط ثم العشرة الأخيرة يتلمس ليلة القدر ، ثم تبين له أنها في العشر الأخير فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه عز وجل . اهـ .

ويمكن أن يستخلص من هذا كله أن أرجح الأقوال في ليلة القدر أنها تنتقل في أوتار الثلث الأخير من رمضان .

وكذلك اختلف العلماء في أنه هل لليلة القدر علامات تظهر لمن وفقت له ؟ .

والذى اختاره الطبرى أنه ليس لها شيء من العلامات وأنه لا يلزم فيها رؤية شيء أو سماعه . أما العلامة التى حدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما رواه البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى - أنه عليه الصلاة والسلام رأى فى منامه أنه يسجد فى ماء وطين وأن ذلك قد تحقق صبيحة ليلة إحدى وعشرين من رمضان فهى لا تدل على أن علامة ليلة القدر فى كل سنة أن ينزل فيها المطر أو يشتد ؛ كما لا يدل ذلك على أن ليلة القدر تكون دائماً ليلة إحدى وعشرين من رمضان . وإنما كان ذلك علامة على ليلة القدر فى تلك السنة لا غير . قال ابن جرير وذلك أنا شهدنا سنين كثيرة ينقضى فيها رمضان دون مطر مع اعتقادنا أنه لا يخلو رمضان من ليلة القدر .

عبد الرحمن تاج
عضو جماعة كبار العلماء



التجديد فى الادب

التجديد فى الادب إنما يكون من طريقتين :

فأما واحدة : فإبداع الاديب الحى فى آثار تفكيره ، بما يخلق من الصور الجديدة فى اللغة والبيان .

وأما الاخرى : فإبداع الحى فى آثار الميت ، بما يتناولها به من مذاهب النقد المستحدثة وأساليب الفن الجديدة .

وفى الإبداع الاول إيجاد مالم يوجد ، وفى الثانى إتمام مالم يتم . فلا جرم كانت فيهما معاً . حقيقة التجديد بكل معانيها ، ولا تجديد إلا من ثمة ، فلا جديد إلا مع القديم .

مصطفى صادق الرافعى

كفانا تقليداً في الفقه

تتمة الحديث

ذكرنا في الكلمة السابقة أن كثيراً من مشاكلنا التي تتطلب حلولاً تتفق وشريعة الله وقرآنه وسنة رسوله لم تعرض في الأزمنة المتقدمة ، فكيف نطالب بالإتيان بنص من الكتب السالفة فيها ! ولو أنها عرضت في تلك الأزمنة لكان من الراجح جداً أن نرى أولئك الفقهاء قد عالجوها بما يتفق والصالح العام في زمانهم .

وانتهينا من الحديث إلى أن الأمر جد خطير ، وأن مشكلة الاجتهاد والتقليد والوقوف عند نصوص الفقهاء بلغت الذروة من التعقيد ، وأتانا صرنا في مفترق الطرق ، وأن علينا أن نختار الطريق الذي يجب أن نسير فيه ؛ حتى لا ندع الأمر فوضى ، وحتى لا تظل الشبهة في ذنبه وحيرة بين الجود وبين الطفرة .

ونحب أن نذكر الآن أن الأحكام الشرعية ، كما نعرفها من القرآن وسنة الرسول ﷺ ومن أقوال الفقهاء أصحاب المذاهب معللة ، وإن كانت بعض هذه العلل احتاجت أو تحتاج إلى شيء من الجهد والتعمق للوقوف عليها .

كما يجب أن يكون معروفاً أن الشريعة لا تأمر بشيء أو تنهى عن شيء إلا لتحقيق مصلحة معتبرة عند الشارع ، فما جاء الإسلام إلا لتحقيق مصلحة الأفراد والجماعة ، ومن المسلم به في الفقه وأصوله أن الحكم يجب أن يدور مع علته وجوداً وعدماً ، ولم يصب الفقه الإسلامي بالعقم أو العجز عن متابعة الزمن إلا لأن الفقهاء المتأخرين - وكذلك الأعم الأغلب من فقهاء اليوم - وقفوا عند نصوص أسلافهم وتجاهلوا اعتبار المصلحة وتقديرها .

إذا ، الدعوة اليوم إلى الاجتهاد ليست بدعاً من الأمر ، بل هي دعوة كان يجب أن نشدد لها منذ زمن طويل ، وهي دعوة طبيعية تتفق والحياة التي يحياها وما نجى به من مشاكل وحوادث لم تعرض لأسلافنا رضوان عليهم . وفي سائر البلاد الإسلامية من يجب أن يكون قد توفر له بفضل الله أدوات الاجتهاد ومؤهلاته ، وهؤلاء فرض يجب عليهم القيام به وإن ضاقت بهم صدور بعض المتعنتين الجامدين على التقليد !

ولا ينبغي أن يُظن أن الدعوة إلى الاجتهاد دعوة إلى نسخ شيء من الأحكام التي ثبتت بالكتاب أو السنة ، بعد أن أتم الله على المسلمين نعمته بإكمال دينه وشريعته . كذلك لا ينبغي أن يُظن أن في هذه الدعوة دعوة إلى التجهّم لشيء من نصوص القرآن المحكّمة أو السنة النبوية الشريفة الصحيحة ، فعاذ الله أن ذهب أو يذهب أى مسلم إلى شيء من هذا ما دام قلبه عامرا بالله ودينه وشريعته المطهرة .

ولكن الذى نلجج بالدعوة إليه ، وهو السبيل للاجتهاد الصحيح ، هو أن تقتدى بالصحابة والتابعين ومن سار سيرتهم من الفقهاء المجتهدين ، رضى الله عن الجميع وجزاهم خير الجزاء عن دينه وشريعته . وذلك بأن نسلك السبيل التى سلكوها لمعرفة علل الأحكام الفقهية أولا ، ثم تبين المصلحة الحقيقية المعتبرة التى تهدف إليها هذه الأحكام ثانيا ، وأخيرا أن ننظر للنصوص والآثار بهذا الضوء ثالثا . وبهذا ، يتطور الفقه ويحيا حياة قوية صالحة ، وبهذا يستطيع أن يلبي حاجات الزمن في ضوء القرآن والسنة دائما .

ولنأخذ الآن في شيء من التفصيل لبعض ما أجملاه ، ثم نأتى ببعض المثل التى تبين منها كيف سلك الصحابة ومن إليهم من التابعين والفقهاء المجتهدين ، كما تبين منها بوضوح أن النظر بعين القداسة لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة لم يمنع ولا ينبغي أن يمنع من الاجتهاد والفقه ، ما دمنا نسير دائما في فلك هذين المصدرين العظيمين المقدسين للشرعية الإسلامية .

قلنا إن الحكم الشرعى يدور مع علته ومع المصلحة وجودا وعدما ، وهذا ما يجب أن نفهمه تماما ونراعيه حين التطبيق ، ففي ذلك باب من أبواب الاجتهاد ، ونكتفى هنا ببعض المثل التى لها دلالتها :

١ — روى أبو داود في سننه ^(١) أن رسول الله ﷺ قال : « لا تمنعوا إمام الله مساجد الله ، ولاكن ليخرجن ومن تفلت ، ، أى غير منطيات . وأنه قال : « لا تمنعوا نسائك المساجد ، ويوتهن خير لهن ، . ثم مضى زمن الرسول ﷺ وتغير الحال ، وصار خروج النساء للمساجد الذى أباحه الرسول ﷺ مظنة فساد اجتماعى فرأى ، البعض عدم الوقوف عند هذا النص رعاية للمصلحة التى تقتضى المنع ، دون أن يكون فى ذلك أى مخالفة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ومقصده .

وهنا نرى سيدتنا عائشة رضى الله عنها تقول ، رواه أبو داود أيضا (ص ٢٢٢) :
 « لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المسجد ، كما منعه نساء بني إسرائيل » .
 ثم نرى عبد الله بن عمر يقول : قال النبي ﷺ « ائذنوا للنساء إلى المساجد بالليل » ،
 فقال ابن له : « والله لا نأذن لمن فيتحذه دغلا ، والله لا نأذن لمن » ، فسبه وغضب وقال :
 أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذنوا لمن ، وتقول : لا نأذن لمن !

٢ — ومثال آخر نأخذه من موقف عمر مع أبي بكر رضى الله عنهما في مسأله نصيب
 المؤلفة قلوبهم من الصدقات ، وهو مثال معروف ، فقد كان الرسول ﷺ يعطى هؤلاء الناس
 نصيبهم من الزكاة الذى شرعه الله لهم في سورة التوبة من القرآن ، وذلك تأليفا لهم على الإسلام
 واتقاء لما قد يكون منهم من عدوان . وكذلك كان يفعل الصديق أبو بكر من بعده ، حتى إنه
 أقطع عيينة بن حصن والأقرع بن جابس قطعة من الأرض وكتب بذلك كتابا .

ولكن عمر بن الخطاب الملمم الذى وافقه القرآن في مواطن غير قليلة ، أخذ الكتاب
 فنفل فيه ومناه وقال : إن رسول الله كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل ، وإن الله قد
 أغنى الإسلام ، إذ هبا فاجهدا جهدكما لا يرعى الله عليكما ! فما كان من الخليفة الأول
 إلا أن رضى ولم ينكر هو ولا غيره على الفاروق رأيه وما ذهب إليه ^(١) . ومعنى هذا
 أن الحكم الأول كان لعله استوجبه ومصلحة قصد إليها ، فلما ذهبت العلة وصارت المصلحة
 في ترك الإعطاء تغيير الحكم ، وكان في المنع تقوية لثقة المسلمين بأنفسهم وعدم حاجتهم
 لتألف هؤلاء الناس وأمثالهم .

٣ — ومثال ثالث يتصل بالتسعير ، نعتى بالنهى عنه من الرسول ثم لإباحة بعض
 الفقهاء المجتهدين له ، فقد روى أبو داود في سننه ^(٢) أن الناس قالوا يا رسول الله غلا السعر
 فسعر لنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله هو المسعر القابض الباسط
 الرازق ، وإنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يظالبني بمظلمة في دم أو مال » . وإذا
 لم يرض الرسول بالتسعير حتى لا يكون هذا سببا في أن يسكره الناس على بيع أموالهم
 بما لا يرضون من الأثمان .

(١) انظر في هذا أحكام القرآن للجصاص ، طبع مصر عام ١٣٤٧ هـ ، ٣ : ١٥٣

(٢) ٣٧٠ : ٣٢

لكن بعض الفقهاء من التابعين أولاً ، ثم من جاء بعدهم ثانياً ، رأوا جواز التسعير رعاية للمصلحة ودفعاً للضرر عن المستهلكين مستوحين في هذا أنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ، ومن هؤلاء التابعين سعيد بن المسيب وربيعة بن عبد الرحمن ويحيى بن سعيد . وهذا الرأي منهم فيه ، كما يقول أبو الوليد الباجي^(١) المتوفى عام ٤٧٤ هـ ، نظر لمصالح الناس ومنع للإفساد عليهم ، وليس فيه جبر على الباعة حتى يكون منافياً لذلك ، ولكنه منع من البيع بغير هذا السعر على حسب ما رآه الإمام من المصلحة فيه للبائع والمبتاع ، ولا يمنع البائع ربحاً ولا يسوغ له ما يضر بالناس . ولعلنا جميعاً ، معشر المشتغلين بالفقه ، نوافق تمام الموافقة على هذا الرأي وتعليله ، ونراه محققاً للمصلحة العامة هذه الأيام .

٤ — ونذكر أخيراً هذا المثال مكتفين به وبما سبقه ، لأن المثل لما نريد كثيرة وهي على جعل الذراع لمن يريد من الباحثين ، وهو خاص بحل الزوج من النساء الكتابيات كما جاء بالقرآن ، ولكن من الثابت أن حذيفة تزوج يهودية أيام عمر بن الخطاب فأمره بتخليه سبيلها لأن الزوج بها حرام شرعاً ، بل دفعاً لفساد يخشى منه ، ودفع الفساد من المصالح التي تقصد بالطلب والتحقيق بلا ريب . وفي بيان هذا الفساد يذكر عمر في كتابه لحذيفة : « إني أخاف أن يقتدى بك المسلمون فيختاروا نساء أهل الذمة ، وكفى بذلك فتنة للنساء المسلمين ، ١ »^(٢)

وهنا ، نذكر أن في عدم منع مثل هذا الزواج ضرراً أكبر من ذلك متى وقع في ظروف خاصة ولأناس مخصوصين - نريد أن نقول إن زواج الشباب المثقف في البلاد التي ابتليت باستعمار فرنسا من فرنسيات ، يضر بقضية الوطن ضرراً كبيراً إذ يجد هؤلاء الشبان من زوجاتهم الفرنسيات تعويلاً كبيراً لهم عما يجب عليهم من جهاد المستعمرين . وكذلك الحال في البلاد التي يكون فيها المسلمون أقلية بين غير المسلمين ، وفي هذا أتذكر أني استحسن منذ سنين ، ما عرفته من أحد تلاميذنا بكلية أصول الدين بالأزهر ، وهو أن مفتي بولونيا أفتى بتحريم زواج المسلمين هناك من غير المسلمات ، خشية أن يضيع المسلمون بين الكثرة السائرة هناك من غير المسلمين .

(١) في شرحه لموطأ مالك ج ١٨٠٥ .

(٢) راجع أحكام القرآن للجصاص ، ج ٢ : ٣٩٧ ؛ كتاب الآثار للإمام محمد بن الحسن الشيباني

وبعد ! إن هذه الأمثلة وسواها كثير ، من نحوها أفنى فيه الفقهاء بجوازه ، استحساناً ، من المعاملات ، تريناً أن الحكم الشرعى يتبع العلة والمصلحة دائماً ، وأن من الواجب علينا فى هذا الزمن أن نعى أهم غناية بالاجتهاد من هذا الباب دلى الأقل وحينئذ يكتسب الفقه الإسلامى حياة وقوة فقد هما منذ سد باب الاجتهاد ، وحينئذ يستطيع هذا الفقه أن يعيش مع الزمن ويلبى حاجات كل عصر .

على أننا نرى واجباً أن نتقدم أخيراً بهاتين الملاحظتين :

الاولى : أنه ليس فى شيء من ذلك كله نسخ لحكم مثبت بنص من الكتاب أو السنة ، وإنما هو فهم لهذه النصوص وتفهم لعلل الأحكام التى جاءت بها وللمصالح التى كانت تهدف لتحقيقها ، فإلصق الذى جاء به الحكم يبقى قائماً للأريب ويجب العمل به متى كان محققاً للمصلحة التى قصدتها الشارع . فبنى الرسول ﷺ عن التسعير مثلاً ، كان لعدم وجود ما يقتضى التسعير فى زمنه اقتضاء لازماً كما نحس هذه الأيام ، ولو كانت الحاجة الملحة تدعو للتسعير فى زمنه لقال به حتماً .

الثانية : لا يمكن أن نقول بأن الأحكام الشرعية كلها قابلة للتغير تبعاً للمصلحة ، فهناك منها العدد الاكبر الذى لا يتغير بحال ؛ مثل حرمة الربا ، وشرب الخمر ، والزنا ، إلى غيرها من الأحكام التى لا تتغير بحال إلى آخر الدهر . وإنما الكلام هو فى طائفة من الأحكام الفقهية التى نرى الفقهاء يذهبون إليها فى أزمان خاصة لمناسبتها حينذاك ، ثم لا تكون محققة للمصلحة التى يصح اعتبارها شرعاً فى أزمان أخرى ، وذلك ككثير من المعاملات التى أجازها الفقهاء استحساناً فى عصور مختلفة ، ومن قال إن كل الأحكام الفقهية هى شرائع أبدية فقد أعظم على الله الفرية (١) !

هذا ، ونسأل الله التوفيق والسداد ، ونستغفره مما قد يكون الصواب جانبنا فيه .

دكتور

محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة بكلية الحقوق - جامعة فؤاد

(١) ومن العجيب أن جبهة أئمة للفقه أصحاب المذاهب يحملون ما يسمى « بالمصالح المرسلة » ، أصلاً من أصول الفقه وأدلته ، ثم لا يحاولون نحن هذه الأيام الانتفاع بهذا الأصل وتطبيقه مع الحاجة لذلك حاجة ماسة واضحة !

السيرة

من صفات القائد

حاضر العالم الإسلامى - نهضاته - قادته - القيادة المثلى -
القائد الأعلى - صفاته - الدعوة إلى التخلق بأخلاقه -
الجود والشجاعة - مصدرهما - أثرهما في بناء المسجد .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ؛ ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ! فانطلق الناس قبل الصوت ! فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْمَى ، في عنقه السيف وهو يقول : لم ترأعوا لم ترأعوا . قال : وجدناه بحرا ، أو إنه لبحر . قال : وكان فرسا يبسطاً . رواه الشيخان ، واللفظ لمسلم .

* * *

في حاضر العالم الإسلامى نهضات إصلاحية متعددة النواحي : فمنها التشريعى ، ومنها التهذيبى ، ومنها الاقتصادى ، ومنها التوجيهى ، إلى غير أولئك مما يكمل بعضه بعضا ، ويشد بعضه أزر بعض ، ويتعاون في جملة وتفصيله على البعث والتحرير ، والإنشاء والتعمير ، أو حينئذ نحاول إحسان الظن - على إعادة مجد الإسلام وإحياء فضائله الأولى - والأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى .

لا جرم أن لكل نهضة من هذه النهضات قائدا مسئولاً عنها ، وعن مدى إخلاصه وإصلاحه فيها ، ثم عن مدى توجهه وتوجيهه إلى الخير حتى ينتج عنه في أقرب زمن مستطاع ، من أقرب طريق مشروع ، فكم من مشروعات نافعة أماتها البطء فيها ، أو الحقن الدفين على مبتكرها ، أو كثرة الخلاف والتعقيد في طرائق إنقاذها !!

وعلى قدر المهمة الملقاة على عاتق القائد مسؤوليته ، وعلى حسبها يكون حسابه أمام الله والتاريخ .

ولما كان من الحقائق التي شاع العلم بها في العالم الإسلامي بالقرنين السنين الأخيرة أن المسلمين إلى خير ولحسن الضعف في القيادة ، كما جاء في الجزء السابق من هذه المجلة ، على لسان رئيس تحريرها الجليل - أحببنا أن نذكر قادتنا بشيء من صفات قائدهم الأعلى ، غير مدافع ولا منازع ، صلوات الله وسلامه عليه ، عسى أن يتخذوا منها زبراسا يضيء لهم طريق القيادة المثلى ، ويهديهم في كل نهضة إصلاحية للتي هي أقوم .

* * *

وفي مقدمة هذه الصفات التي نذكر بها قادتنا ، الجود ، والشجاعة . وقد بلغ فيهما وفي غيرهما صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى ، والغاية القصوى ، مما لا مطمع لأحد - كأننا من كان - أن يدانيه فيها ، بله أن يساويه .

فإذا كان صلوات الله عليه - بنعمة ربه - أحسن الناس ، في كل صفة من صفات الخير ، وكل فضيلة من مكارم الاخلاق ، فذلك لأنه تعالى شأنه أدبه فأحسن تأديبه وهذبته فأكمل تهذيبه ، وآتاه ما لم يؤت أحدا من خلقه ، وأثنى عليه بما هو أهله ما لم يثن على أحد قبله ...

وإذا كان ﷺ أجود الناس ، فلذلك لأنه أوثق الناس بربه ، ولا ريب أن كرم العبد وإنفاقه على قدر ظنه بسيد ، وحسبك أنه ما سئل عن شيء قط فقال لا ، إن كان عنده أعطاه وإلا سكت ، أو قال لسانه : ما عندي شيء ولكن ابتع على ، فإذا جاءنا شيء قضيناه . وقد قال له عمر ذات مرة : ما كفك الله ما لا تقدر عليه فرويت الكراهية في وجهه ﷺ حتى إذا قال له رجل من الانصار : أنفق يا رسول الله ولا نخش من ذي العرش إقلالا ، تبسم وعرف البشر في وجهه ، وقال : بهذا أمرت .

وإذا كان ﷺ أشجع الناس كافة ، فلأنه أجود الناس كافة ، وذلك لأن الجود والشجاعة صفتان متحالفتان لا تكادان تفترقان ، وينبوعهما هو الثقة بالله تعالى والإيمان به .

وما من شجاع إلا وقد أحصيت عليه هفوة أوعدت عليه كبوة ، إلا سيد الشجعان صلى الله عليه وسلم ، فقد فرت الفرسان من حوله غير مرة وهو مقبل لا يرح ، وثابت لا يدبر ولا يتزحزح . ومن آيات شجاعته ما رواه أنس رضى الله عنه في هذا الحديث من أن أهل المدينة اضطربوا وفزعوا ذات ليلة وظنوا أن عدوا أغار عليهم ، فأسرع أناس من شجعانهم نحو الصباح الذى سمعوا ، فراعهم إلا أن يجدوا رسول الله ﷺ عائداً بعد أن استبرأ الخبر ، واستكشف الأمر واطمأن على المدينة وأهلها ثم طمأنهم وأزال غفقتهم .

ومن عجيب فروسيته وشجاعته أن يركب فرساً لأبى طلحة معروفاً بالبطء والعجز وسوء السير ، يمتطيه عارياً من السرج فيثبت عليه وهو متقلد سيفه فى عنقه ، ثم يقبل الفرس سريعاً ببركته ﷺ كأنه بحر .

وأبو طلحة هو زيد بن سهل الأنصارى الخزرجى ، زوج أم سليم والدة أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وراوى هذا الحديث . كان من فضلاء الصحابة وشجعانهم وذوى الجود والكرم منهم ، وكان رامياً مشهوراً ، يمشو بين يدى رسول الله ﷺ فى ميدان الحرب ويقول :

نفسى لنفسك الفداء ووجهى لوجهك الوقاء

ثم ينثر كنانته بين يديه . وكان يتناول بصدوه ليقى به رسول الله ﷺ ويقول :

نحرى دون نحرى .

ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ تخلقوا بخلقه وبلغوا من الشجاعة والكرم والفضل ، بمقدار حبهم له وإيمانهم به وذلك ميزان سليم مستقيم ، توزن به فضائل من بعدهم إلى يوم القيامة .

وبعد ، فلنسلنا بسبيل تفصيل جوده وشجاعته ﷺ ، وعظيم أثرهما فى صادق الإيمان به من أمته ، فقد تكفلت بذلك المؤلفات الكثيرة فى سيره وشمائله وإن لم يبلغ الغاية فى شرح

مكارمه وفضائله . . . ولكننا بسبيل الدعوة إلى التخلق بأخلاقه عامة ، وبهاتين الفضيلتين منها خاصة ، إن كنا جادين في نهضاتنا ، صادقين في عزماتنا ، واثقين بعون الله لنا على احتمال التبعات الجسام الملقاة على عواتقنا .

وأجدر الناس بقبول هذه الدعوة والاستجابة لها هم قادتنا وأولو الأمر منا ، إن كانوا يؤمنون بأنه صلوات الله وسلامه عليه هو قائدهم الأعلى ، وأنهم لن يحققوا لأهم ما يرجون لها من العزة والسيادة ، إلا إذا كانوا تحت رايته ، مستظلين في ظل هدايته .

* * *

وإذا ذكرنا الشجاعة فلا نغنى بها مجرد الشجاعة الحربية التي تفسر بأنها ثبات القدم عند مواقع القتال ، ومكافحة الأبطال ، وإنما نغنى بها الشجاعة في أوسع معانيها وأبعد مراميها ، ولا سيما الشجاعة الأدبية التي تقصد إلى مناصرة الحق ، وإظهاره في إخلاص وصدق ، دون مبالاة بذى جاه أو سلطان . وإن توفى هذه الشجاعة أكلها ، إلا إذا تقبلناها من أهلها ، وشجعناهم على المضى فيها ما كانوا إلى الخير داعين ، وإلى الحق قاصدين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . .

وإذا ذكرنا الكرم فلا نغنى به ما ينفق من أموال طائلة في مظاهر الفخر والابهة ، فإن ذلك إسراف وتبذير ، عظيم الضرر وخيم العاقبة ! وإنما نغنى به الأريحية للإنفاق في سبيل الله وتحرير الوطن وإحياء موات الأمة ، وإزاحة ما ضرب عليها من الذلة والمسكنة . إن هذه المثل العليا التي ندعوا إليها القادة والمشرفين على نهضاتنا الحاضرة ، وفي مقدمتها الشجاعة والكرم والتضحية والبذل ليست من أمهات الفضائل وحسب . ولا من صفات القائد المثالي وكفى ، ولكننا إلى ذلك كله من الداعائم الأساسية الأولى ، لتحرير الشعب ، وإنقاذ الوطن ، وبناء المجد .

طه محمد الساكت

الاستعمار يقرب من نهايته

حديث لفصيللة الاستاذ الاكبر

خاض الغرب معركة استعماره للشرق في القرنين الماضيين مستعيناً بما كان يسود ظروف تلك المعركة من متناقضات . فالغرب كان قد أخذ يستنير بمعارفه المادية ويقوى بآلاته الصناعية وأنظمته المتسكرة ، وأسلحته الجديدة غير أن لجج الظلام كانت قد بدأت تغمره بنزعات الإلحاد والتحاسد والجشع والبغى والفراغ السياسى من الدافع الاعلى ، كما يقول المؤرخ ولز ، بينما الشرق كان قد أخذ ينحط بضعف حكوماته وتخلفها وتقاطعها ، وإن كانت شعوبه لم تزل يومئذ ممتازة ببقية كريمة من الأخلاق النبيلة كالقناعة والترحام والأمانة والثقة حتى لقد شهد المسيو جومار أحد مهندسى الحملة الفرنسية على مصر بأنه رأى بعينه الغلال وبضائع التجار تكس على ساحل النيل فى فرصة بولاق التى كان فيها جمر ك القاهرة ، فلم يسكن يسها أحد بسوء ليلا ولا نهارا مع أنها متروكة فى العراء بلا حراسة ولا خفراء .

فلاستعمار كان فى القرنين الماضيين بغيا من القوة المادية على شعوب ذات فضائل وأخلاق منتهزاً فرصة الضعف الذى دب إلى حكومات تلك الشعوب الطيبة الأعراق الآمنة فى أوطانها السعيدة بقناعتها وأمانتها وراحها .

وكان الغرب يمن على الشرق فى استعماره بأنه حمل إليه الحضارة والنظام والمعارف ، وهو لم يحمل إليه من الحضارة إلا قشورها ، ومن النظام إلا ما يجعل الشرق آلة فى يد الغرب ومن المعارف إلا ما يستعمر به القلوب والعقول بعد استعمار الأرض وخيراتها ، وبذلك كان الغنم فى كل هذه الأمور للمستعمر ، وغرمها على الشعوب التى رزئت باستعماره بلادها واستغلاله كنوزها وخيراتها .

هذه هى قصة استعمار الغرب للشرق فى سيرة هولندا مع الاندونيسيين ، وفى سيرة إنجلترا مع الهنود وسكان ملايو والمصريين والسودانيين ، وفى سيرة فرنسا مع الجزائريين والتونسيين والمراكشيين .

إن استيلاء فرنسا على الجزائر مثال من أمثلة التاريخ على الظروف المتناقضة التي نشأ عنها الاستعمار . فالشعب الجزائري كان يومئذ من أقوى شعوب الأرض بأخلاقه وحيويته بينما حكومة الجزائر التي كانت تتولى أموره كانت من أفسد الحكومات في الأرض وأضعفها وأحقها ، والمستعمر كان يستعد قبل ذلك طويلا للبغى على الجزائر ويتخذ لذلك مختلف الذرائع التي تنافى الدافع الأعلى .

فلما وقعت الواقعة خارت قوى القسامين بالحكم على الجزائر ، وتحلقت الحكومة العثمانية التي كانوا تابعين لها من أن تؤدي واجبها في هذا الموقف ، وهنا تجلت حيوية الشعب الجزائري وأخلاقه فنظم صفوف جهاده بقيادة الأمير عبد القادر وظل يجاهد ببطولة منقطعة النظير مدة ثمانية عشر عاما ، ومن ذلك الحين إلى الآن والحوادث تبرهن على ضعف المستعمر الأدبي وفراغه السياسي من الدافع الأعلى . وعلى قوة الشعب الجزائري الأدبية وحيويته في مقاومة مالا يستطيع مقاومته إلا أعظم الأمم بطولة من صنوف البغى الاستعماري الذي لا ينجح إليه إلا أضعف الدول في أخلاقها ومبادئها الأدبية ، وقس على حيوية الجزائر حيوية جارتها في الشرق والغرب ، تونس والمغرب الأقصى ، ولو أن مؤرخا من الحكماء أمثال فولثير وجييون وولز أواد أن يقارن بين قوة فرنسا وضعفها في بداية استعمارها لشمال أفريقيا ونهايته وبين قوة المغاربة وضعفهم بين تلك البداية والنهاية لحكم مطمئناً بأن فرنسا اليوم تعاني في شمال أفريقيا أعراض الاضمحلال بالنسبة إلى ما كانت عليه في سنة ١٨٣٠ . بينما ضخمايا بغيا من المغاربة لم يزدحم البغى إلا قوة وحيوية وقد استيقظوا من غفلتهم وتخلصوا من ضعف حكوماتهم وأصبحوا من نتائج الفوز والفلاح قاب قوسين أو أدنى .

وما يقال عن فرنسا في شمال أفريقيا يقال مثله عن الهند التي شاهدنا بأعيننا وشاهد التاريخ معنا عواقب الاستعمار البريطاني فيها واضطراره إلى الانسحاب من تلك الربوع وازدهار الحيوية في باكستان والهند حتى صارت منهما دولتان من كبريات الدول ، وشاهدنا كذلك عاقبة الاستعمار الهولندي في أندونيسيا بعد أن رسخت أقدامه فيها ٣٠ سنة فاضطر أخيراً إلى التسليم بالأمر الواقع .

لقد شب عمرو عن الطوق ، بل لقد استيقظ العملاق من نومه فأخذ يبحث عن مكانه اللاتق بين الأمم ، وإن الحوادث المتكررة برهنت على أن اعتماد الاستعمار على قوته المادية

لا نجد به نفعا وأنه إنما أتى من ناحية ضعفه الأدبي لأنه قائم على البنى، وآخر الشواهد على ذلك هذه المؤامرة الاستعمارية على إخراج نحو تسعمائة ألف فلسطيني من وطنهم الذي هم أصحابه منذ دهور، وتشريدهم في العراء لإحلال أجانب غرباء في أرضهم وأملأهم الشرعية ومثل هذه المؤامرة لا يمكن أن يرضى بالاشتراك فيها إلا الذين يعيشون في فراغ سياسي من الدافع الأعلى كما يقول المؤرخ ويلز والاستعمار الذي يعيش في هذا الفراغ المخزى لا شك أنه اليوم أضعف مما كان في بداية بغيه قبل مائة سنة، أما فريسة الاستعمار التي وقعت فيها مضى بين يديه بسبب ضعف حكوماتها المنهائلة وأخذت تنقذ من الضعف الذي جرتها إليها تلك الحكومات، وقد نهض فيها رجال يحسنون التعاون مع شعوبهم، ولا شك أن يقف الجميع معاً أمام الاستعمار الضعيف موقف المؤمن بحقه الحازم في دفاعه عنه المصمم على التخلص من هذا العدو الذي أنهكه جشعه.

وإن أقدم لامتى النصيحة مخلصاً بأن أقوى أسلحتها لمقاومة الاستعمار إنما هو الأخلاق والدين هو الذي يهدي إلى مكارم الأخلاق وإذا كان على ولاية الأمور أن يفكروا في توفير أسباب القوة المادية وتنظيم استعمارها، فإن على كل فرد من أفراد الأمة أن يتساح بالأخلاق وأن يتعامل بها مع أفراد أمته وأن يعلم أن أعظم رسالات الله وأكملها إنما جاءت للتعامل بمكارم الأخلاق.



الحق يؤخذ ولا يعطى

كتب برناردشو إلى مستر بلانت يقول: «أخشى أننا سنلاقى أوقاتاً عصيبة في الهند. ولكن على الهنود وعلى المصريين أيضاً أن يعملوا على تحقيق حريابهم، فاليس في وسعنا أن نطلق سراحيهم ما لم تجابهنا الهزيمة ويتداعى صرح الامبراطورية في جهات أخرى». وقد تحققت فريسة برناردشو، وتداعى الصرح، وخرج الاستعمار من الهند وسيخرج من كل مكان.

المرز والبلقاء في تاريخ الإسلام

كنت في زيارة أحد كبار شيوخ العلم بمصر ، فوجدت عنده جماعة من زعماء العرب ، ومن بينهم عربي ذو مركز سياسي ممتاز ، وقد أخذ الحضور يتحدثون عن أحوال بلاد المسلمين والعرب وقضاياهم مع الاستعمار ووجوب تعاونهم على تحرير أوطانهم وديارهم من سيطرة الأجانب واستعمارهم ، وجرى الحديث عن شرق الأردن ، وإذا بالسيامي العربي يقول : بأن اسم الأردن ، أو شرق الأردن ، لم يكن معروفا عند العرب من قبل ، وإنما ابتكره مهندس أمريكي واستحسنه السلطنة الإنجليزية ، ومن ثم صار إطلاقه على تلك الإمارة أو المملكة التي عرفت باسم : شرق الأردن .

فقلت له : إن اسم إمارة الأردن مسجل في تاريخ الإسلام ومعروف لدى العلماء من قبل ألف سنة ، وليس هو اختراعا أمريكيا ولا ابتكارا إنجليزيا . فعجب من ذلك وقال : صدقوني إذا قلت لكم إنى لم أسمع بهذا قبل الآن .

من أجل ذلك وبياننا للحقيقة والواقع وخدمة لتاريخ الإسلام وتاريخ فتوحاته في بلاد الشام التي منها الأردن والبلقاء كتبت هذه المقالة :

إن البلاد التي يطلق عليها في هذا الزمان اسم شرق الأردن ، هي أراضي ومدن وقرى تجمعها كورة البلقاء من بلاد الشام ، شرق بيت المقدس وعاصمتها عمان ، ومن أشهر مدنها السكرك والصلت وإربد ومعمان وجرش والطفيلة والشوبك وغيرها ، وكلها واقعة على الجانب الشرقي لنهر الأردن كما تقع فلسطين على جانبه الغربي .

ولقد ورد اسم الأردن والبلقاء في الحديث النبوي الشريف وفي كتب التاريخ والسير وفتوح البلدان ومعاجمها ، وفي تلك الجهات كانت (واقعة مؤتة) التي استشهد فيها الأمراء جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، رضى الله عنهم ، وقبورهم موجودة إلى هذا الزمان في قرية تسمى (المزار) قرب السكرك ، وإلى تلك الجهات كان يهت جيش أسامة بن زيد رضى الله عنه في خلافة أبي بكر رضى الله عنه بعد انتقال النبي ﷺ

إلى الرفيق الأعلى ، وتدل النصوص الواردة في تاريخ الإسلام على أن كورة الأردن وجدت الأردن كانت تطلق منذ فتحها المسلمون على منطقة من الأراضى والمدن والقرى واقعة في جهات الغور الشامى وما حولها أكثرها على الجانب الغربى لنهر الأردن وبعضها على جانبه الشرقى ، وأيام الحروب الصليبية في عهد صلاح الدين حدثت في أراضى الأردن الشرقية عدة معارك بين جيوش المسلمين والصليبيين الذين اتخذوا من إمارتهم الصليبية في الكرك وما حولها قاعدة لمهاجمة الحجاز وشواطئ البحر الأحمر وأراضى سيناء والعقبة ، حتى هزمهم جيش مصر وأسطولها بقيادة حسام الدين أؤلؤ ، فأباد جندهم وغرق أسطولهم .

الأردن والبلقاء في الحديث الشريف .

روى الترمذى والحاكم عن ثوبان رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ، الحديث وأخرجه السيوطى في الجامع الصغير ورمز له بعلامة الصحيح : وأخرج القاضى مجير الدين المقدسى الحنبلى في (الأنس الجليل) ج ١ ص ٢٠٧ ، عن ربيعة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقتنكم جنود الدجال ببطان الأردن ، بينكم الهر ، أنتم غريبه وهم شرقيه ، قال ربيعة فقال المحدث من أصحاب رسول الله ﷺ : فها سمعت بنهر الأردن إلا من رسول الله ﷺ .

غزوة مؤتة في البلقاء سنة ٨

قال أبو الفتح بن سيد الناس (عيون الأثر في المغازى والسير) ج ٢ ص ١٥٣ : غزوة مؤتة وهى بأدنى البلقاء من أرض الشام في جمادى الأولى سنة ثمان وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم فعرض له شرحبيل بن عمرو الفسائى فأوقفه ثم قدمه فضرب عنقه صبراً ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره ، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر عنه ، فبعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس ، فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف ، ثم مضوا حتى نزلوا معان من أراضى الشام ، فبلغهم أن هرقل قد نزل مأب في أراضى البلقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لحم والقيم وبهراء وآل مائة ألف منهم عليهم رجل من بلى يقال له مالك بن رافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان

لثنتين ينظرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا ، فأما
 بمدنا بالرجال ولما يأمرنا بأمره فنمضي له ، فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال :
 « والله يا قوم إن الذي تكرمون للتي خرجتم لها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد
 ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا ، فإنما هي
 إحدى الحسينين : إما ظهور ، نصر ، وإما شهادة ، .

فرضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب
 المنتصرة ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية
 يقال لها «موتة» فتعباً المسلمون ثم التقى الناس فاقتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله
 ﷺ حتى استشهد ، فأخذ الراية جعفر فقاتل بها حتى قطعت يمينه فأخذها بيساره
 فقطعت يساره فاحتضن الراية وقاتل حتى قتل رحمه الله وسنه ثلاث وثلاثون سنة ، ثم أخذ
 الراية عبد الله بن رواحة وقاتل حتى قتل ، فاصطلمح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ
 الراية دافع القوم وخاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس .

بعث أسامة بن زيد على رأس جيش إلى البلقاء وفلسطين :

في المحرم من سنة ١١ هـ جهز رسول الله ﷺ جيشاً إلى الشام وأمر عليهم أسامة بن زيد
 ابن حارثة . وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء ، في شرقي الأردن ، والد اروم من أرض
 فلسطين ، وفي رواية أخرى للطبري أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يوطئ من آبل
 الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن ، وكان في هذا الجيش المهاجرون الاولون
 ومنهم عمر بن الخطاب فقد كان جندياً في جيش أسامة وبينما الجيش في الخندق متأهباً للرحيل
 إلى البلقاء والد اروم اشتد المرض برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أن قبضه الله تعالى
 إلى الرفيق الأعلى إلى ما أراد به عز وجل من رحمة وكرامة ثم اختار المسلمون أبا بكر
 رضي الله عنه خليفة لرسول الله ، وبحث كبار الصحابة ما ينبغي في شأن بعث أسامة
 فاقترحوا على عمر أن يراجع أبا بكر ليأمر بعودة جيش أسامة ، وإذا أصر على بعثه
 أن يختار بدله قائداً من كبار الصحابة فان أسامة لم يكن يتجاوز عمره حينئذ العشرين سنة ،
 فذهب عمر إلى أبي بكر وحده في ذلك فاشتد غضبه وقال « والذي نفس أبي بكر بيده
 لو ظننت أن السباع تحطفني لانفذت بعث أسامة كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ولو لم يبق في القرى غيري لانفذته ، .

ولما قال له عمر : إن الانصار أمروني أن أبلغك أن تولى رجلا أقدم سنا من أسامة ، فوثب أبو بكر وكان جالسا فأخذ بلحية عمر ثم قال : شككتك أمك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعها ، ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فاشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لآنزلن ، فقال : والله لا تنزل ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة حتى انتهى ، ثم قال لاسامة ، إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل . فأذن له . ثم وصاهم أبو بكر وصيته التي تعتبر دستورا مثاليا لما تضمنه الإسلام من رحمة وإنسانية وعدل في معاملة الأعداء . قال أبو بكر : يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بعيرا إلا لما كل ، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوه وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواما قد خصوا أو ساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فأخفقوهم بالسيف خفقا اندفعوا باسم الله . ثم قال لاسامة : اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ ، ابدأ ببلاد قضاة ثم أنت آبل . د بالأردن ، ففضى أسامة إلى ما أمره رسول الله ﷺ ، وبث الخيول في قبائل قضاة والغارة على آبل فسلم وغنم ، وكان فراغه في أربعين يوما سوى مقامه ومطلبه راجعا . (الطبري ج ٣ ص ١٢٢ ، ١٣٠) .

الأردن والبلقاء في معاجم البلدان

قال ياقوت في (معجم البلدان ج ٣ ص ١٧٧) : « البلقاء من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ، وبجودة حنطتها يضرب المثل .

وقال النووي في (تهذيب الاسماء واللغات) ج ٢ ص ١٨ قسم اللغات :

« الأردن المذكورة المعروفة من أرض الشام بقرب بيت المقدس ، وهي بضم الهمزة وإسكان الراء وضم الدال وتشديد النون . قال أهل العلم : إنما سمي بذلك من قولهم للنحاس الثقيل أردن ، .

نهر الأردن :

وقال ياقوت في (معجم البلدان) : « الأردن بالضم ثم السكون وضم الدال المهمة وتشديد النون . يقول اللغويون أن الأردن النعاس ، وهي أحد أجناد الشام الخمسة ، وهو كورة واسعة منها الغور وطربا وصور وعكا وما بين ذلك .

ثم قال : والأردن يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغور فيسقي ضياع الغور وأكثر مستغلهم السكر ومنها يحمل إلى سائر بلاد الشرق ، وعليه قرى كثيرة منها بيسان^(١) وقراوة وأريحا والعوجاء وغير ذلك ، وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسقي ضياع الغور وضياع البثنية^(٢) حتى يصب في البحيرة المنتنة ، البحر الميت ، في طرف الغور الغربي .

عدد كور الأردن كما ذكرها ياقوت في معجمه :

ثم قال ياقوت في معجمه . ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٧ : وللأردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت راس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة عكا وغير ذلك .

وقال البلاذري في فتوح البلدان ص ١٢٣ وياقوت في معجمه في ص ١٨٧ . وفتح شرحيل جميع مدن الأردن وحصونها ، ففتح بيسان وسوسية وأفيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان وغلب على سواد الأردن وجميع أرضها ، وما ذكره ياقوت والبلاذري يتضح أن رقعة إمارة الأردن في زمن الفتح الإسلامي كانت تشمل على بلاد بعضها واقع في أراضي سورية الآن مثل الجولان وبعضها في أراضي لبنان مثل صور وبعضها من أراضي فلسطين مثل عكا وبيسان وصفورية ، وفي روايتيهما أن شرحيل رضى الله عنه فتح مدينة جرش من الأردن ، وجرش واقعة في شرقي الأردن وهي مشهورة بآثارها القديمة .

(١) بيسان مدينة تاريخية في شمال فلسطين ، وإليها ينسب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيسانى كبير وزراء صلاح الدين الأيوبي وبالقرب من بيسان كانت معركة خلل بكسر الفاء وسكون الحاء في سنة ١٢ هجرية التي انتصر فيها جيش المسلمين على جيش الروم فأصيب منهم نحو ثمانين ألفاً لم يفلت منهم إلا الشريد .

(٢) قال ياقوت ج ٢ ص ٦ : البثنية هو اسم ناحية من نواحي دمشق وقيل قرية بين دمشق واذرعات

سواحل الاردن ومصانع المراكب الحربية في عكا وصور :

قال البلاذري في فتوح البلدان ص ١٢٣ : نقل معاوية قوما من فرس بعلبك وحمص ولانطاكية إلى سواحل الاردن صور وعكا وغيرها سنة اثنين وأربعين ، : ثم قال البلاذري في ص ١٢٤ ولما كانت سنة تسع وأربعين خرجت الروم إلى السواحل وكانت الصناعة وصناعة المراكب الحربية ، بمصر فقط فأمر معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه بجمع الصناع والتجارين وبثهم في السواحل وكانت الصناعة في الاردن بعكا ، وقال الواقدي لم تزل المراكب بعكا حتى ولي بنو مروان فنقلوها إلى صور فهي بصور إلى اليوم وأمر أمير المؤمنين المنوكل على الله في سنة ٢٤٧ بترتيب المراكب في عكا وجميع السواحل وشحنها بالمقاتلة وقال ياقوت ج ص ١٨٧ ولم تزل الصناعة في الاردن بعكا إلى أن نقلها هشام بن عبد الملك إلى صور وبقيت على ذلك إلى صدر مديد من أيام بني العباس حتى اختلف باختلاف المتغلبين على الثغور الشامية . وقال المتنبي يمدح بدر بن عمار وكان قد ولي على ثغور الاردن والساحل من قبل أبي بكر بن رائق :

تمنى بصور أم نهشها بكاء وقل الذي صور وأنت له لكاء

أمير الاردن وفلسطين في عهد الدولة الاموية .

وقال ياقوت في ج ١ ص ١٨٨ وقد نسبت العرب إلى الاردن حسان بن مالك السكبي لانه كان واليا على الاردن وفلسطين ، وبه مهد لمروان بن الحسك أمره وهزم الزبيرية (أتباع عبد الله بن الزبير) وقتل الضحاك بن قيس الفهري في يوم مرج راهط وكانت ابنته ميسون بنت حسان أم يزيد بن معاوية وإياه عنى عدى بن الرقاع بقوله .

لولا الاله وأهل الاردن اقتسمت نار الجساعة يوم المرج نيرانها

وإياه عنى كثير بقوله :

إذا قيل خيل الله يوما ألا اركبي رضيت بكف الاردني انسجالحا
ونسب إلى الاردن جماعة من العلماء وافدة ذكر ياقوت أسماء طائفة منهم .
وقد كان للأردن موقف عظيم في الحروب الصليبية منفرد له مقالا مستقلا .

محمد صبرى عابرس

من علماء الأزهر

ذِي الْوَهْدِ الْحَمْدِ
 مِنْ بَنِي إِسْرَافِيلَ الْكَبِيرِ مُحَمَّدٍ حَمْدُ اللَّهِ
 بِتَعْلِيلِ الْأَسْتَاذِ الْبَاهِيَّةِ عَبْدِ الْلطِيفِ نَعِيمٍ

شهداء بدر

استشهد من المسلمين في هذه الواقعة المباركة أربعة عشر مجاهداً ، ستة من المهاجرين ،
 وثمانية من الأنصار . فالأولون : عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، ومجمع مولى
 عمر بن الخطاب ، وعمر بن أبي وقاص ، وعادل بن بكير الليثي ، وصفوان بن بيضاء القهري
 وذو الشمالين عمرو ، وقيل الحارث ، وقيل عمرو ، بن عبد عمرو بن فضالة الخزاعي . وأما
 الأنصار فهم : عوف بن عفراء ، وشقيقه معوز بن عفراء ، وحارثة بن سراقة ، ويزيد بن
 قيس بن مالك ، ورافع بن المعل ، وعمر بن الحمام بن الجوح ، وسعد بن حثيمة ، ومبشر بن
 عبد المنذر ، رضي الله عنهم أجمعين :

طف بالمصارع واستمع نجواها	والثم بأفياء ^(١) الخبان ثراها
ضاع الشذى القدسي في جنباتها	فانشق وصف للؤميتين شذاها
حلل ^(٢) يروع جلالها ومنازل	من نور رب العالمين سناها
ضمت حماة الحق ، ما عرف امرؤ	غزاً لهم من دونه أوجاها
الطالين به على أعدائه	موتاً ، إذا نشروا الجنود طواها
الحائضين من الخطوب غمارها	المصطليين من الحروب لظاها
الباذلين لدى الفداء نفوسهم	يغفون عند إلههم محياها
ما آثروا في الأرض إلا دينه	ديناً ، ولا عبدوا سواه إلهها

(١) الأفياء الظلال (٢) حلل :

سلكوا السبيل مسددين تضيئه
قوم هم اتخذوا الشهادة بغية
هم في حمى الايمان أول صخرة
حملت جبال الحق في دنيا الهدى
توثى الممالك والشعوب حياتها
ذهبت ترفرف في مسابح عزها
تجرى الرياح الهوج^(٢) طوع مضائها
طاف الغمام ، مهلا بظلالها

(شهداء بدر) أنتم المثل الذى
علمت الناس السكفاح ، فأقبلوا
أما الفداء ، فقد قضيت حقه
من رام تفسير الحياة لقومه
لولا الدماء تراق لم نر أمة
أدنى الرجال من الممالك من إذا
وأجل من رفع الممالك مظهرها
كم أمة لم توق عادية الردى
تسمو الشعوب بكل حر ماجد
ما أكرم الابطال يوم تفيأوا
راحوا من الدم في قطارف^(٣) أفرقت حمر الجراح بها ، فكان حلالها
لو أنهم نشروا رأيت كلومهم
ليسوا وإن وردوا المنية للآلى
بلغ المدى بعد المدى فتناها
ملء الحوادث ، يدفعون أذاها
وجعلتموه شريعة نرضاه
قدم الشهيد يبين عن معناها
بلغت من المجد العريض منهاها
عرضت منايا الخالدين أباها
بارن المهج السماح بناها
لولا الذى افتحم الردى فوقها
وجبت عليه حقوقها فقضاها
ظلل المنايا ، يبتغون جناها
راحوا من الدم في قطارف^(٣) أفرقت حمر الجراح بها ، فكان حلالها
لو أنهم نشروا رأيت كلومهم
ليسوا وإن وردوا المنية للآلى

(٢) القرآن الكريم . (٤) الشديدة التى لا تستوى فى محبوبها جمع موجاء (٣) جمع مطرف وهو الرداء المعلم (٤) جاء فى الاثر الشريف . أنا شهيد على هؤلاء الشهداء ، وما من جريح يجرى فى الله إلا بعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه . الهون لون الدم ، والريح ريح المسك وأصيب عبد الله بن عمر والد جابر رضى الله عنهما فى غزوة أحد يجرى فى رجله فمات ويده على جرحه . فأميئت يده عن وجهه فانبعث الدم ، ثم ردت إلى مكانها فسكرن —

هم عند ربك يرزقون ^(١) فحيهم
الله باركها (يدر) وقعة
منعت (ذمار الحق) حين أناها
بخل الزمان ، فكنت من شعراتها
كم دولة للشرك زلزل عرشها
في دولة للمسلمين يشوقهم
ياريح الأمم الضعاف : انتفض
أهم هوائك مالست جراحها
لم أدر إذ ذهب الزمان بريحها
إن الذي خاق السهام لمثلها

وصف الحياة لأنفس تهواها
كل الفتوح الغر من جدواها
وحمت (لواء الله) حين رعاها
لو شاء ربى كنت من قتلاها ^(٢)
بدماء (بدر) واستبيح حماها
أيامها ، وتهزم ذكرها
دنيا الشعوب ، وما انتفضت بلواها ؟
إلا بكى ، وبكى من جراحها
ماذا من القدر المتاح دهاها ؟
جمع المصائب كلها فرماها



الجهاد بالنفس والمال

قال رسول الله ﷺ - « لا يجتمع غبار في سبيل ودخان جهنم في منخرى رجل مسلم ، وإيمان في قلب رجل مسلم » .

== ومن الروايات المأثور في هذا الباب أنه حين أراد معاوية رضي الله عنه اتخاذ مجرى للماء في خلافته تقع مدافن شهداء أحد في طريقه أمر الناس بنقل موتاهم ، فأصابته المسحاة (الجرفة ونحوها) تكون من الحديد) قدم حمزة رضي الله عنه فانيبت منها الدم .

(١) (ولا تحمبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

(٢) المجلة - وإذا بخل الزمان علينا وعلينا بهذه الأمنية العليا أيها الشاعر الاسلامي ، فإن الله هو وجل أكرم الأكرمين ، وهو يثيب بالنيات ، وكما أكرمك بأن جعل شعرك من سلاح الاسلام ، فسيكرمك على نيفك بواسع فضله وكرمه .

المرأة في ظلال الإسلام

أعلنت الشريعة الإسلامية من قِدر المرأة ما لم تعلمه شريعة ولا قانون وضعى ورفعت مكانها وأحلها المحل اللائق بها وسأوتها بالرجل إلا فيما نأباه طبيعتها وتقصر عنه فطرتها ، فتعبدتها بالنكاليف وشرفها بالخطاب كما تعبد الرجل وشرفه ، ووعدوها المثوبة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلننجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، وقال ﷺ : « إنما النساء شقائق الرجال » ، وندبها إلى طلب العلم ولم يقصرها على لون منه دون لون فقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، وكثيراً ما جلست إليه متعلمة وكان يتعبدتها بالحكمة والموعظة الحسنة وطلبت إليه أن يجعل لها يوماً يعلمها فيه فأجابها إلى ذلك وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال النساء للنبي غلبتنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك . ووعدهم يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن . وعن عائشة رضى الله عنها : نعم النساء نساء الانصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين ، وفرض لها الإسلام نصيباً في الميراث ، وأباح لها أن تملك ما شادت من المال وتستثمره بالطرق المشروعة ، وجعل لها أن تدافع عن الأمة فترافق الجيش مداوية مواسية مطعمة ساقية . وعن أم عطية رضى الله عنها : « غزوت مع رسول الله سبع غزوات ، وكنت أخلفهم على الرجال في رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى » كما جعل لها أن تؤمن المستأمن وتجير الخائف . وقد أجازت أم هانئ رضى الله عنها أحد أحمائها فقال رسول الله : « أجرنا من أجرت » . وهذا إلى حقوق كثيرة منحها إياها الإسلام ، ولما نزل محرومة من بعضها في هذا العصر وفي أرقى الأمم ، بينما كانت تنكر عليها بعض الأمم السابقة لإنسانيتها فضلاً عن حريتها وحقوقها . وكانت تضعها بعض الأمم موضع الماشية فتورث من زوجها مع المتاع والبهائم .

وكان بعض العرب يستخزي لولادتها . وفي القرآن الكريم : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ، ومن أهم ما عني به الاسلام من أمور المرأة سلامة عرضها وحسن سمعتها تكريماً لها وتقديراً لخطر ذلك في بناء الأسرة وكيان الأمة وإذا

استقام شأن المرأة استقام شأن الأمة ، والمرأة منسقة الأجيال وصانعة الرجال ، وبتأسكها في خلقها وحزمها في تربية أبنائها تتماسك الأمة ويستمكن بنيناها ، وهي الرائد إما إلى حياة كريمة وإما إلى حياة غليظة سقيمة . وما فسد العالم واضطربت أحواله وتعاورته المحن والنكبات الخلقية والاجتماعية إلا بقساد المرأة وإلقاء جبلها على غاربها واستجابة الرجل لرغباتها وآرائها فصار طوع بنائها تصرفه كما شاء له طيشها وعاطفتها ، وصار ذلك الوضع المقلوب بدعة العصر وآية تقدمه ، وسميت الأوضاع المنكوسة مدنية وتقاليد يذنبى مراعاتها ، وصار من أماراة ذوق الرجل إذا التقى بامرأة في محفل أو ناد أن يركع لها ويقبل يدها ، وإذا دخلا منزلا أو ركبا سيارة أو قطارا كان من آداب السلوك أن تتقدمه وعليه أن يبدأ بأشغال سيجارتها ، ورأيها الأعلى في اختيار ما تأكل الأسرة أو تلبس ، إلى أمثال هذه السخافات التي وفدت إلينا كما تغد الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة .

إن الشعوب التي تشكو الانحلال الخلقى ترى أن من أهم الأسباب في ذلك فساد المرأة وخروجها عن الجادة في سلوكها ، وقد حرمت كنيسة روما دخول المرأة الكنيسة في ثياب فاضحة لا تلائم جلال المسكان ووقار العبادة .

وقد سلك الإسلام في سبيل صيانة المرأة وحسن سمعتها طريقا يساوق الفطرة ، ويشهد بصحته الواقع والتجربة ، فحرم أن تهبأ للرجل والمرأة فرصة الاجتماع والخلوة ، فإن الخلوة أساس الشر وجراثيمة الإثم ، ولا شك أن بين طبيعتي الرجل والمرأة تعاطفا وانجذابا ، فإذا خلا كل منهما بالآخر أسفرت الحيوانية وتحركت البهيمية وتخاذلت الإرادة أمام سلطان الغريزة القاهر ، ونشط الشيطان في مهمة الإغراء والتزين ، وما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ، وهناك تطل الفتنة وتمثل الجريمة .

وتلك قضية المنطق والواقع لا تقبل مناقشة ولا جدالا ، وإنها لسفسطة ومكابرة أن يزعم أنصار الاختلاط أن التعليم أو التهذيب يكفكف من سلطان الغريزة ويكبح جماحها ويجعل الاجتماع مأمون العاقبة ، لأن رغبة كل من الجنسين في الآخر طبيعة وفطرة ، وما بالطبع لا يتخلف كما يقول الفلاسفة ، ولعلنا لا نعدو الواقع إذا قلنا : إن التعليم وما إليه يضاعف من خطر الاختلاط ويجهل كلا منهما أقدر على التماس الحيل وابتكار الوسائل للوصول إلى الأغراض ، والواقع والتجربة يغنيان عن الاسهاب في الاستدلال . لذلك كان

أنجع الطرق في وقاية المرأة والاحتفاظ بسمعها وسمعة المجتمع أن يحال بينهما، وهذا ما أمر به الإسلام، فقد حرم أن يخلو غير المحرم بالمرأة ولو كان ذا قرابة قريبة .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والدخول على المغيبات ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله : أفرأيت الخو ؟ قال : الخو الموت ، وقال العلامة النووي : المراد من الخو في الحديث أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه لانهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت قال : وإنما المراد الاخ وابن الاخ والعمة وابن العم وابن الاخوت ونحوهم ممن يحل لها تزوجه لو لم تسكن متزوجة ، وجرت العادة بالتساهل فيه فيخلو الاخ بأسرة أخيه فشبهه بالموت ، .

وبالغ الإسلام في الاحتياط فحرم أن يخلو الرجل بامرأة أجنبية في سفر أو حضر ولو كان سفر الطاعة يغلب على الظن فيها حسن النية وسلامة الطوية وبجافة الريب كالسفر الى الحج ونحوه ، وأوجب على المحرم أنه يرافقها في سفرها أيا كان السفر، وجعل هذه المرافقة مقدمة على كل شأن من شئون الدنيا والدين ، فلو كان الرجل على أهبة الجهاد في سبيل الله وسجل اسمه في الغزاة وكتب في قائمة الجند كان عليه أن يترك ذلك الواجب الخطير لمرافقة زوجه أو قريته صيانة لها واحتفاظا بسمعها ، وفي الحديث : لا تسافر امرأة إلا ومعها محرم فقال رجل : يا رسول الله اكتبني في غزوة كذا وكذا وخرجت امرأتى حاجة فقال : اذهب فحج مع امرأتك .

وقد أهمل المسلمون هذا الهدى الإسلامى ، واسترخت الرقابة على النساء وأفلت عن أيديهم زمام العفة ووقعت فيهم السنة السوء وساءت الظنون بالعقيات وتهددتهن العنوسة والبوار . ولما من العجب أنه يباح الاختلاط بين شابات الأمر وشبابهم لمجرد الجوار أو التعارف أو لمجرد التسليح بالخطبة ، فاذا قدم الخطيب الشبكة كان ذلك جواز المرافقة والمخالطة وصك الامتزاج والانسجام ، يتزاور الخطيبان بمقتضاه ويرتادان الملاهي والخلوات في اطمئنان من أعين الرقباء وأولياء الأمور .

فأين موقف المسلمين من تعاليم الدين ؟ إن الدين يخشى على المرأة من أقاربها الأقربين ويحاط لرفع الخطر لتحريم الخلوة بها ، والمسلمون على ما ذكرنا من الإجمال والتفريط . ولم يكف الإسلام لتحريم الخلوة بالمرأة بل احتاط كذلك بسد ذرائع الفساد بالاختلاط وقطع السبل إليه ، فحرم على المرأة أن تبتدى زيتها إلا لمن يحل لها أن تبتدىها له ، وأمر المؤمنين والمؤمنات أن يفضوا أبصارهم عما لا يحل لأن الانظار حبال الشيطان .

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغير موقوف على الخطأ
قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله
خير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظوا فروجهن ولا يبدين
زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن
أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى
إخوانهن أو نساءهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربية من الرجال
أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين زينتهن
وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

ومن أعظم الجرائم في نظر الإسلام الزنا ، وعقوبته الجلد لغير المحض والرجم أى القتل
بالحجارة للمحصن وشدة العقاب على قدر عظم الجريمة ، كما أن من أعظم الجرائم القذف
بالزنا ، وعقوبته الجلد ثمانين جلدة . قال الله تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا
بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا
الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم » .

شرع الإسلام هذه الأحكام رعاية لمصلحة المرأة واحتفاظا بشرفها وكرامتها وحرصا
على مستقبلها . ورأس مال المرأة الشرف والكرامة والسمعة الطيبة ، والمرأة كالدرة في
صدفها كلما زادت تحجبا ازدادت إشراقا ولمعانا ، والمبالغة في العرض تغرى بالطلب إلا
المرأة فإن كثرة العرض ترخصها وتبخس قيمتها وتورث الرغبة عنها وقد جنى السفور
والتبرج على المرأة وأورثها سوء ظن الشبان بها والإعراض عنها ، وخلق لنا مشكلة اجتماعية
استعصت على العلاج وهى مشكلة إعراض الشبان عن الزواج التى نحس بوطنها الأسر
السكرية إشفاقا على مستقبل فتياتها .

وأن من أكبر الجرائم في تاريخ المرأة المصرية جريمة السفور التى زعمته حقا دأبت
على المطالبة به ووجدت من الرجال من يظاهرها عليه حتى تمت الجريمة وحصلت عليه .
ولقد جنت المرأة وجنت الأمة المرء من ثمره ، وحسبنا من ثماره هذه الفوضى الخلقية التى
نعانى آثارها ، ولما نلجؤ أن يكون لهذه التجربة آثارها فى ردع المرأة عن الاسترسال
فى المطالبة بحقوق أخرى نحاول فى تهوئ كسبها ولعمري هى الخسارة التى سيكشف الزمن
عنها إن قدر لها أن تبلغها .

إن الشعوب التي سبقتنا إلى منح المرأة هذه الحقوق المزعومة التي تطالب بمثلها المرأة المصرية بدأت تعترف بخطئها فيما عملت وتحس بخطور ممارسة المرأة لهذه الحقوق وتصايح عقلاؤها بوجود النظر في حالة المرأة ووجوب أن تعود إلى وظيفتها الطبيعية كأم وربة أسرة. مكانها المنزل ووظيفتها القيام عليه وعلى أطفالها بالرعاية والتهذيب ، وليس مكانها المعمل أو النادي أو البرلمان ، فإن ذلك خروج على الطبيعة وانصداع في كيان الأسرة والأمة ينبغي أن يعالج حتى لا يتفاقم الشر ويستفحل الداء ، ولن تقنع المرأة المصرية بما يقوله علماء الإسلام في هذا الموضوع لأنها تهتمهم بالتعامل والجلود ، وقد تكون أقرب إلى الاقتناع بما يقوله مفكرو الأفرنج فنعرض هنا بعضاً مما قالوه عن تجربة بعد ممارسة المرأة لهذه الحقوق .

تحدث أحد هؤلاء المفكرين عن طبيعة المرأة فقال : « أن أظهر علامات الجبل المنحل المضطرب تدخل المرأة في الحياة العامة من وراء الستار فإن اهتمام المرأة بالشئون العامة كان دائماً كذوبة ووسيلة للاتصال بالرجال وحيلة انتقام من بعضهم أو بعض النساء المتزاحمات على مصالح شخصية ، فالمرأة بطبيعتها تنفر من الحياة العامة ولا تطمئن لها ولا تلقى بنفسها في أحضانها إلا للشهوات ، سواء أكان في أمور الدين أو في أمور الدنيا ، وكل ما ظهرت به في هذا السبيل كان بدعة سيئة ومخرقة ومدرجة للفجور .

وقال آخر في الكلام عن نتيجة دخول المرأة في البرلمان : « ولكن هذه التجربة بل المحنة لم تسفر عن نتيجة سارة ، وكل ما في أمرها أن يضع نساء ذوات مال ومنصب جلوس بين الرجال واتخذ هيئة خاصة بالقبعات والألوان الثياب أو اعوجاج الخصور أو خفض الجفون ، ولم نسمع لإحداهن كلمة جامعة أو موعظة حسنة أو رأياً خصبياً يخرج الأمة من الظلمات إلى النور ، .

ذلك أخف ما قاله هؤلاء المصلحون في هذا الصدد ونمسك عن باقيه إشفافاً على المرأة وعملها بتعاليم الإسلام في صيانتها وحسن سمعتها ، وعسى أن تستفيق المرأة ويستفيق أنصارها وتسدن لهم ، واطن الصواب والمصلحة للمرأة والأمة ويقاموا عما تورطوا فيه مشكورين .

أبرو الوفا المرافق

محمد قائد الإسلام

بعد الحديث عن جيش الإسلام يأتي الحديث عن قائده !

يقول القائد العسكري المشهور الفيلد مارشال ويفل في كتابه القادة والقيادة : يجب أن يكون القائد عفيفاً وقوراً قنوعاً ، يتحمل الشاق من الأعمال ، متوسط العمر ، فصيحاً ، رب عائلة ، ويفتخى إلى بيت ذى شهرة ، ومؤدباً ودوداً سهل الاقتراب منه ، زين الطبع ... ، هذا ما سجله ذلك القائد الكبير الذى حنكته تجارب الحروب ، في كتابه الذى أخرجه في ختام حياته العسكرية مسجلاً فيه خلاصة تجاربه وأفكاره . فإذا نحن نظرنا إلى ما قال ، حسبناه كأننا درس صفات رسول الله قائد جيش الإسلام ، فوقف من دراسته على هذه الفضائل الذاتية الحميدة فأوردها في كلامه وهو على ثقة تامة أنها إذا اجتمعت في قائد كان قائداً مثالياً ...

فلقد اجتمعت هذه الصفات الحميدة جميعاً في محمد قائد جيش الإسلام ، بل لقد اجتمعت فيه صفات حميدة غيرها لا حصر لها ...

شرف النسب :

لم يزل النبي ﷺ يفتقل من خير الآباء حتى انتهى إلى كبير مكة وقريش في الجاهلية عبد المطلب بن هاشم ، ثم إلى أبيه عبد الله ، فهو ذو نسب زكى ، وإلى ذلك يشير قوله : « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم لإسماعيل ، واصطفى من إسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بنى هاشم ، فأما خيار من خيار من خيار . » وكذلك يقول عنه أبو طالب :

إذا اجتمعت يوماً قريش لمعشر فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أنساب عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن نثرت يوماً فإن محمداً هو المصطفى من سرها وكرمها
والحق معه ، فلم يكن في آبائه مغمور ، بل كلهم سادة قادة ...

كريم النشأة :

كان الله تعالى يريد كرامة رسوله ، لجعله تحت حراسته ورعايته ، وحفظه من أذناس الجاهلية ، حتى كان أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حسباً وأرجحهم حلماً ، وأصدقهم قولاً ، وأبعدهم عن الفحش ، حتى عرف بين أهل مكة في حداثة سنه بالأمين ، لأنه استوفى من مكارم الأخلاق كل مكرمة لم ينلها إنسان قبله ولا بعده ، كل ذلك لأن الله تعالى تولاه حتى خاطبه بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) وحتى حدثت هو عن نفسه فقال : « أدبني ربى فأحسن تأديبي » .

كمال العقل :

لقد كان الرسول ﷺ من كمال العقل والعلم في الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواء ، وعلى الرغم من أنه لم تسبق له ممارسة ، ولا مطالعة كتب يتعلم منها أخبار الماضين ، فقد تبين من التاريخ أنه أعقل العالمين . أنظر إلى حسن تدييره وسياسته للعرب الذين كانوا أهل عزة وإباء وانطلاق ، مع الطبع المتنافر المتباعد ، وكيف احتمل جفاهم وصبر على أذاهم بكل سياسة وحكمة وبعد نظر ، حتى انقادوا إليه ، والتفوا حوله ، وقاتلوا في سبيله أهلهم وآبائهم وأبنائهم ، واختاروه على أنفسهم ، وهاجروا معه ، وتركوا أوطانهم وأحبابهم احترام النفس والتواضع .

كان رسول الله يعرف قدر نفسه ، ويحترمها ، فكان بريئاً من الرياء والتصنع ، مستقل الرأي ، لا يدعى ما ليس فيه ، ولم يكن متكبراً ولا ذليلاً ، بل لقد كان في ثوبه المرقع الذي كان يرقعه بنفسه يخاطب بقوله الحق أكاسرة الفرس وقيصرة الروم . وكان لا يؤخر عمل اليوم لغده ، وما عبث قط ، ولا ظهر في قوله وفعله روح اللهو ، وكان يكره أن يحوط نفسه بالمظاهر الكاذبة أو مظاهر السلطان والملك فكان يقول لأصحابه : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم . إنما أنا عبد الله ، فقولوا عبد الله ورسوله . . وخرج على جماعة من أصحابه متوكئاً على عصي فقاموا له فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً ، الصبر وقوة الاحتمال والثبات على المبدأ .

أما الصبر وقوة الاحتمال ، فقد كان النبي فيهما المثل الأعلى ، لقد أودى في الله في نفسه وأصحابه فلم يلحقه جزع ، بل كان شجاعاً حكيماً ، وصبوراً كريماً ، فكم ناله من أذى المستهزئين

وكيد المنافقين ، فسالج بالشكوى ، بل كان دأبه الصبر مع التفويض لله تعالى حتى جعل له من أمره فرجا .

وكان يقابل الأذى بالصبر الجميل ، ويعامل أعداءه بالمداواة وينألفهم بحسن المصانعة ، فكان يقابل الحق والحزق بالحلم والرفق ، والصلف واللجاج بالوداعة والالانة . . . وحسبنا أن نلقى طرفا على تاريخ الدعوة الإسلامية لنعرف كيف كان النبي مثالا في الثبات على المبدأ وهي فضيلة كبيرة في القائد .

أنظر كيف لبث ثلاث سنين يدعوا إلى الإسلام أقواما جفافة لا دين لهم إلا عبادة الأصنام ، وحجتهم أنهم يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم ، وأخيرا لم يسلم إلا ثلاثة عشر رجلا فأى نجاح هذا ؟ لاشك أنه غير مشجع ، ولكنه ظل ثابتا على مبدئه ، مستمرا في دعوته بكل عزم وإرادة .

ثم أنظر إليه وهو يقول لعمه وهو يحاول إقناعه بالرجوع عن قریش وترك الدعوة « والله يا عم : لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ، ما تركته ! »

الوفاء :

والوفاء كذلك فضيلة إذا تحلى بها القائد كان قائدا عظيما ، إذ بالوفاء يأسر القائد قلوب رجاله ، ويرفع روحهم المعنوية إلى قمتها ، ولقد كان النبي ﷺ شديد الوفاء بالعهد ، يروى أن عبد الله بن أبي الحسام طلب إلى النبي أن ينتظره في مكان ما حتى يأتيه بشيء ثم نسي حتى ذكر ذلك بعد ثلاثة أيام فجاء إلى الرسول فإذا هو في مكانه فقال : يا فتى لقد شققت علي ، أنا هاهنا منذ ثلاث انتظرك . .

وبعد وفاة خديجة رضى الله عنها كان دائم التحدث عنها والترحم عليها والعطف على أحبائها ، يقول أنس رضى الله عنه : كان رسول الله إذا أتى بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلاة لها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة .

الشجاعة والنجدة :

كان الرسول في ذلك المثل الذي لا يجارى ، والقدرة المنقطعة النظير ، قال ابن عمر : ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أراضى من رسول الله ﷺ . وأى شجاعة أعظم

من أنه قام لأمر الله وحده ، ومضى قدما يدعو أقواما ليس عندهم من مكارم الأخلاق إلا ما كان مرتبطاً بالعزة والآنفة مما كان يؤدي كثيراً إلا شن الغارات والحروب وإهراق الدماء .

ولقد فزع أهل المدينة ليلة إذ سمعوا صوتاً قويا غير عادي ، فانطلق بعض الناس نحو الصوت فلتفاهم رسول الله راجعاً قد سبقهم إلى الصوت وعرف الخبر ، وكان راكباً فرساً عارياً والسيف في عنقه وهو يقول : لن ترأعوا ، .

ومكثا كان أسبق القوم إلى النجدة .

حسن الصورة وكال الحلقة :

لا شك أن لحسن صورة القائد أثراً قويا في الجنود ، يحملهم ، لتفني حوله ، مخلصين له ، متسابقين إلى تنفيذ أوامره ، متفانين في أداء واجباتهم .

ولقد كان الرسول مكتملاً لجميع نواحي جمال الصورة وكال الحلقة ، وقد ورد في هذا الكثير من المأثورات .

وبعد فهذا قليل من كثير من الصفات الحميدة التي تحلى بها الرسول الكريم ، فكان بها قائداً طبيعياً ، وسوف نرى بعد ذلك إن شاء الله عن دراستنا لمعارك الإسلام كيف كان الرسول قائداً حربياً من طراز فريد .

محمد ، جمال الدين محفوظ

يوزباشى أركان حرب

الجدل والعمل

قال الإمام الأوزاعي : إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل ، ومنعهم العمل .

النقد الأدبي وتاريخه

حدثناك في مقال ماض أن النقد صار فنّاً تولّف فيه الكتّاب ، بعد أن كان شذرات منشورة وخطرات عابرة . وسأحدثك في هذا المقال عن كتاب من خيرها في رأيي وأحبها نفسي وأقربها إلى الروح العلمية وأجمعها لآراء النقاد وأحفظها بالرائع الممتع ، ذلك كتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحري) لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي . كان ذلك الكتاب ينبوعاً لما ألف بعده ومصدراً من مصادر البيان العربي ومادة للذين كتبوا في علوم البلاغة وزخيرة نفيسة للذين يدرسون النقد وتاريخه .

بدأ الآمدي يمرض علينا آراء الأدباء في الشعراء العظميين ، فذكر أن علماء اللغة والأدب فرق ثلاث : فريق يفضل البحري وهم الكتّاب الأعراب والشعراء المطبوعون الذين يؤثرون سهولة العبارة وصفاء الديباجة ووضوح المعنى ، وفريق يقدم أبا تمام وهم أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميلون إلى الدقة والاختصاص بطرف من الفلسفة . وآخرون يسوون بينهما . وينسب الآمدي على القائلين بالتسوية ويذكر أنه لا يفصح بتفضيل أحدهما على الآخر إنما يعرض عليك مساوئهما ومحاسنهما ويدعك وحكمك ، وذلك عنده أمثل الطرق وأشبهها للإدراك السليم والكشف عن وجه الحق . وكان الظن بهذا العالم ألا يشفق من الفصل فإن شخصية الكتّاب لا تظهر بهذا العرض الرخيص . ثم أخذ يقص عليك حجج الخصمين ويبسط آراءهما ، وخلاصتها أن أبا تمام أستاذ البحري بشهادته ، وصاحب مذهب في البديع عرف به وأخذ عنه ، وله الروائع التي تنقطع دونها الآمال والمعاني الفريدة التي سحرت البحري فسرقتها وقاس ذرعه بها ، إلى علم باللغة وأسرارها لم يعمد لأمثاله من الشعراء .

وينسب أصحاب البحري التلذذ ولا يدفعون الصحبة ، ويقولون إن البديع موجود في القديم حفل به مسلم بن الوليد من غير أن يحور على المعنى أو يتحيف سلامة النسيج ، ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه فاستكره الألفاظ وأضل المعاني وترك السامعين والقارئين ، يظنون على عيياء - ولو أنه قبل من هذا الأمر عفوه وسار فيه على سجيته لبلغ فيه جسيماً وبرز على كثير من الشعراء . ثم أخذ في الموازنة فرسم لنفسه طريقاً عبر عنها بقوله « وأنا أبتدىء بذكر مساوئ الشعراء لاختتم ببيان محاسنهما ، وأذكر طرقاً من سرقات

أبي تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره ، ومساوى البحترى فى أخذ ما أخذه عنه وغير ذلك مما غلط فيه ، ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقنا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى فإن محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك ، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما من معنى سلسكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه وبابا للأمثال أختم به هذا الكتاب وأجهله مرتبا على حروف المعجم ليقرب تناوله إن شاء الله .

سار الآمدى على هذا النهج وأطنب فى سرقات أبي تمام مع اعترافه بأن الطاعنين عليه لا يجعلون السرقات من كبير عيوبه لأنه باب قلما يخلو منه أحد ، واحتفل فى بيان أخطائه ورد تأويل الصحيحين لها ، وذكر كثيرا من استعاراته القبيحة وطباقه وجناسه الخارجين عن حدود الاعتدال . ومس البحترى مسالينا فى باب السرقات وبرأه من عيوب الإفراط فى البديع لأنه مولع بهتذيب ألفاظه سالك سبيل الأولين من الأخذ بنصيب منها حين تأتى عفوا لا تكسد خاطرا ولا تجنى على معنى . ثم ختم الكتاب بذكر محاسنهما والموازنة بين معان اعتوراها وهى ترجع إلى بكاء الديار والوقوف على الاطلال ومساءلتها والدعاء لها . ولم نجد فى النسخ التى بأيدينا ما وعد به من ذكر بابى التشبيه والأمثال ، فجاز أن يكون الكتاب قد عدا عليه الزمن ، أو تكون الاحداث قد عاقته عن الوفاء بوعده . وأياما كان فالفارى لا يشعر بأن الرجل قد انتهى إلى غايته وأن الكتاب بلغ نهايته فاستراح إلى الخاتمة المقدرة له .

والآن بعد هذا العرض الوجيز لكتاب الموازنة أحب أن أدون لك مؤاخذاتى على الآمدى :
ظهر تحيز الآمدى للبحترى وتحامله على أبي تمام فى غير موضع من كتابه ، حتى كأنه موكل بالرد عليه لا حكم عادل يتجنب الهوى ، فهو رقيق متأول إن مس البحترى بعيب ، عنيف مجسم للظل مكبر للهنات إذا تناول أبا تمام . وجسلة ما اعتد به على أبي تمام لإغرابه فى استعمال الغريب ، وخروجه على أوضاع اللغة ، وانحرافه عن قواعد النحو ، وإسرافه فى التماس البديع ، وإفراطه فى طلب الاستعارة ، ومجافاته لطريقة الأوائل فى صوغ الشعر حتى عسر فهمه على أئمة اللغة ، وحتى قال بعضهم إن كان هذا شعرا فكلام العرب باطل . وقال آخر إنه يرى بالدرى فى بحر من خره فن يغوص عليها ليأخذها ؟ فأما البحترى فهو محتذ حذو المتقدمين ما فارق عمود الشعر مع طبع سليم وقريحة مواتية ونظر صائب فى أعقاب

معانيه وألفاظه ، حتى خرج شعره حسن الرصف جميل الوصف واضح المعنى ، يصل إلى قلبك قبل وصول لفظه إلى سمعك ، فلا عيب فيه إلا إذا حاكى أبا تمام في بعض مذاهبه أو استعار منه بعض معانيه فإنه تزل به قدمه ويهوى به إلى الخضيض تقليده .

أما أنا فأرى أبا تمام أحد أربعة خدموا العربية خدمة عظمى ، ولولاهم لكان الشعر العربي جدبا كالصحراء التي نبت فيها ودرج عليها : لولا أبو نواس وأبو تمام وأبو الطيب المتنبي وأبو العلاء المعري لكان شعراً ساذجاً لا حظ فيه لفكر ولا أثر فيه لخيال . وبفضل هؤلاء الشعراء صار أدباً عظيماً يسامى آداب الأمم الراقية التي أخذت حظاً كبيراً من الحضارة وبلغت مبلغاً جسيماً من انضوج العقل وصفاء الذوق وسمو الوجدان ، وأخذ العلماء ينفرغون له ويتنازلونه بالدرس والبحث ، ويؤلفون فيه الكتب فيكشفون للناس عن ثروة عقلية وجمال فني جدير أن تعشقه نفوس محبة للكمال مؤثرة لحياة روحية نبيلة .

هؤلاء شعراء عباقرة مبدعون سميت بهم عبقريتهم أن يعيشوا في ظلال العجز وإن شئت فقل في ظلال التقليد ، فهما عندى عبارتان متساويتان في المعنى ، والفرق بينهما وبين أمثال البحترى كالفرق بين المجتهد والمقلد هذا يحسن الاتباع وذاك يجحد الإبداع ، ومن هنا غلط في فهم هؤلاء اللغويون الواقفون عند نصوص اللغة وبعض الأدباء الذين يرون المزية في اتباع الأوائل لا اعتقادهم أن الأول ما ترك للآخر شيئاً وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان وأن الخير كله فيما كان عليه الآباء ، فهم يريدون إلينا أن نشبه أعجاز الفسء يكشبان الرمل والفلفل بيعر الآرام وأن نقف ونحن في قصور شاحخت على ربوع مية وأطلالها نبكيها ونستبكيها ونركب إلى حاجاتنا الجمال في الصحراء وإن كنا في عصر الذرة . ياله من هوان للبشر وللخلقة جمعاء فإن راعى الأدباء مقتضيات العصر وفتحوا أبواباً جديدة للفكر وخرجوا باللغة من الحصار المضروب عليها قالوا فارقت عمود الشعر وجانبت طرائق المتقدمين وأكثروا من هذا الذي يمر به العاقل فيزدريه . وأعود بك إلى تلك العيوب التي نسبوها إلى أبي تمام والتي هجنت شعره عندهم وهونت من أمره عليهم وحطته عن مرتبة أمثاله .

أما استعماله الغريب فهو رجل طالت ملازمته للشعر جاهلية وإسلامية وفيه كثير من هذه الألفاظ فكثير ترددها على لسانه وتكرارها في مداه فلم تعد غريبة بل انتقلت إلى حد المألوف الذي يأنس المرء له ، وليس كل غريب يقبح استعماله بل هناك غريب لا تجد معدلاً عنه وتجد المعنى يقتضيه والنظم يطالبه والكلمة المجاورة تحن إليه . اقرأ إن شئت قول الله تبارك وتعالى : تلك إذا قسمة ضيزى ، ثم ضع بدلاً منها كلمة : جائرة ، التي ترادفها ثم تحسس

ففسك واستفت حسك أجد لهذا البدل ما كان يجده من اللذة لتلك ، وأحدث عنه من النشاط والطرب ما كانت الكلمة الأولى تحدته ؟ أشعر بهذا اللحن الموسيقي العنيف الذي يحرك القلوب القاسية وينبه الأذهان الغافلة ويدعوها الى التفكير في غرابة هذه القسمة ، الى هذا التجاوب العجيب بينها وبين الفواصل الأخرى في الآيات الكريمة .

إذا فالنرب قد يكون أليق بالموضع من المستعمل المأنوس ، ومع أن في الغريب إحياء لجانب من جوانب اللغة فقد تدعو إليه القافية أو الفاصلة أو غرابة الفكرة أو عدم وجود المتعارف أو غير ذلك مما يمر بالشاعر فيلتمسه اختياراً أو يلجأ إليه اضطراراً ، وليس معنى هذا أنى أسوغ الإكثار منه ، ولكننا نأخذ منه بقدر الضرورة وحين نجد أنفسنا مدفوعين إليه ، والمقام هو الحكم الذي يحسن بالاديب أن ينزل على حكمه فلا ضير على أبي تمام في استعماله إذا سنحت له حالة من تلك الحالات التي في إثارتها مراعاة لمقتضى الحال كما يقول البلاغيون ، وأما الخروج على أوضاع اللغة وقواعد النحو فالحق أن اللغويين محيدون مخلفون فيما بينهم : يظن الرجل منهم أن اللغة ما انتهى إليه علمه ولا شيء وراء هذا ول بعضهم تحكم يزرى به ويصفه بالفصور العقلية مثل قوله لم تقل العرب هذا ولا تعرف العرب إلا هذا . وما النحاة بأقل منهم في هذا الباب . وهؤلاء وهؤلاء لا يصلحون للحكم بين الشعراء ولا يحسنون التمييز بين جيد الشعر وردئه .

يتحدث الجاحظ عن أبي عمر الشيباني فيقول : رأيته يكتب أشعاراً ليدخلها في أبواب التحفظ والتذاكر ، وربما خيل إلى أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبداً أن يقولوا شعراً جيداً لمكان أعراقهم من أولئك الآباء ، ولولا أن أكون عياباً ثم للعلماء خاصة لصورت لك في هذا ما سمعت من أبي عبيدة ومن هو أبعد في وهمك من أبي عبيدة .

والخصومة من قديم قائمة بين اللغويين والنحاة ، وبين الأدباء والشعراء . والرواة يحدثونا أن ابن إسحاق الحضرمي استدرك على الفرزدق حين قال :

على عماننا تلقى وأرحلنا على زواحف نخسها رير

فقال رير بالكسر معرضاً له بالإقواء في البيت فأصلح الفرزدق قائلاً :

على زواحف تزجها محاسير

ثم هجاه الفرزدق بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

فعاد ابن إسحاق فقال كان عليه أن يقول مولى موال .

وما أخذ اللغويين والنحويين دونت فيها كتب ، ومنهم من تطاول على تصحيح روايات القرآن فليس عجيباً ألا يسلم منهم أبو تمام .

وكان الشعراء يشعرون بتحدق هؤلاء وتهاقنهم فيبالغون في السخرية منهم ويصنعون من الشعر ما يعيبهم ، والأغاني يحدثنا أن الفرزدق كان يرسل البيت معقداً معاياة لعلماء النحو واستهزاء بهم ، وأحسب أن معقد أبي تمام من هذا الضرب الذى يقصد به العبث بالنحاة . وأما إفراطه في الاستعارة فهذا من طبيعة الشاعر العبقرى لأنه يجد في نفسه من المعانى ما لا تحيط به حقائق اللغة فيعود بالمجاز ويتوسع في القول ومؤرخو الادب الانجليزى يذكرون أن الشاعر الخالد شكسبير كان يفعل ذلك يقولون إن أهم ما يمتاز به أسلوبه هو كثرة الاستعارات فتجد في الجملة الواحدة استعارتين أو أكثر .

بقى ما ينعونه عليه من غموض المعانى ، وأنا أهجم عليك بغير ما تنتظر : إلى لست من أنصار هذا الوضوح الذى يطيلون الثناء على البحرى من أجله ، ويجعلونه المعيار الذى تقاس به أقدار الادباء ، إن انكشاف المعانى انكشافاً تاماً يوجد في كلام العامة وأشباههم وما وجد في كلام قط إلا زهد فيه إن القصيدة التى لا أجمع لها نفسى وأنفى من أجامها الخواطر عن ذهنى من الادب الرخيص الذى كتب عليه الفناء والذى يقرب مأتمه من عرسه ويغلب صوت نعيه على صوت المبشر به إن جمال الصورة الشعرية في عمقها وفي سفر الفسك بينك وبينها وفي تقلب البصر في أعطافها ، وما قيمة صورة شعرية لا تشحن ذهناً ولا تربي ذوقاً ؟ إن التواء الحسنة يغرى بها وتمنعها يهيج نار الشوق إليها ، وبقدر دنوها منك يكون انصرافك عنها . وقد تفهم من الصورة الشعرية غير المعنى الذى أراده الشاعر ، وقد يفهم غير كما غير معناها ، فإن ذلك أدل على تأصلها في باب البلاغة ، وأظهر لمواطن الفصاحة فيها . يقول أنا تول فرانس : لكل صورة شعرية عدة معان ، فأى معنى وجدته كان عندك معناها الحقيقى . والشاعر الغد هو الذى يعوذ أحياناً بالابهام ليورث الصورة ضرباً من الحسن ، كما يلجأ الرسام إلى الظل في تجميل الصورة ، ولكن على شريطة ألا تحجب محاسنها بل يكون هذا الظل أعرق لها على إظهار كمالها ، وإلى اللقاء مع الآمدى إن شاء الله .

عبد الفتى اسماعيل

أستاذ بكلية اللغة العربية

الازهر وتاريخنا الدستوري

بمعنى بعض المؤرخين صورة خاطئة لتاريخنا القومى ، إذ يصورون الشعب فى صورة المستكين المستسلم الذى لا يعرف لنفسه حقاً ، وقد أشار إلى هذا الخطأ حضرة الرئيس اللواء محمد نجيب فى خطابه التاريخى الخالد الذى ألقاه عند افتتاح أعمال لجنة الدستور (١) فقال : « لقد كان تاريخ هذا الماضى - ماضى أمتنا - ضحية من ضحايا أعداء تلك الامة . فلقد أوهموا ناسئتنا وعلّموا معلمينا أننا كنّا كما مضياً مضيعاً لا يأبه به الحاكون ، ولا يحفلون بوجوده . وهذا كذب صراح أود أن أصححه فى دار النيابة وفى يوم الدستور . والحقيقة أن الشعب المصرى لم يتخلف عن ركب التطور والتقدم ، فقد قام وعلى رأسه شيوخ الازهر - وكانوا رسل الثورة وقادتها - بمقاومة الطغاة فى بسالة نادرة المثال . ويصف حضرة الرئيس فى خطابه المذكور هذه المقاومة بقوله « إن أبناء مصر لم يكفوا عن استكمال حقوقهم ورد العدوان عن دستورهم غير المكتوب : دستور حرية أفرادهم ، وشرف عقائدهم ، والتزام الحاكم لصالحهم : فالغلاف الخارجى لحياة المصريين فى القرنين الماضيين غلاف الاستسلام والإذعان والمهادنة : غلاف خادع كاذب ؛ وأنا باسم الامة أزيحه من مكانه ، بل باسمها أمزقه تمزيقاً ليتضح للعالمين صورة مصر الحرة على حقيقتها . »

ثم أشار حضرة الرئيس فى خطابه التاريخى إلى ثورتين هامتين تعتبران من أسبق الثورات الدستورية العالمية ، إحداهما كانت بقيادة أكبر علماء ذلك العصر وهو الإمام أحمد الدردير ، والآخرى بقيادة شيخ الازهر فى ذلك الوقت الشيخ عبد الله الشرقاوى رحمهما الله تعالى .

ثورة الإمام الدردير رحمه الله تعالى (٢) : —

فى يوم من أيام ربيع الاول عام ١٢٠٠ هـ (يناير عام ١٧٨٦ م) نهب حسين بك شفت وجنوده داراً لشخص يدعى أحمد سالم الجزار بالحسينية جهاراً ظلاماً وعدواناً . فنارت نائرة الاهالى ، وتشاوروا فيما يجب عليهم أن يفعلوه واتفقوا أخيراً على الانتجاع إلى أقوى

(١) يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٥٣ .

(٢) الجبترى طبعة بولاق ج ٢ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

العلماء شخصية وأوسعهم نفوذاً وهو الإمام الدردير، فاجتمع الأهالي في اليوم التالي للحادث وبعثوا شطر الجامع الأزهر وقصدوا الشيخ وأخبروه بالواقعة. فنصب الشيخ على استهتار الأمراء وتمسكهم، ونادى في الجماهير غير هيب ولا وجل: «أنا معكم، وغداً تجمع أهالي الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم ونهب بيوتهم كما نهوا بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم»، وأمر الشيخ بدق الطبول على المنارات لإيداننا بالاستعداد للقتال، وترامت الأخبار بين الأهالي فأسرعوا نحو الأزهر للاشتراك في المعركة، وكانت أخبار الجماهير الهاجعة قد وصلت إلى إبراهيم بك وبلغه تصميم الإمام الدردير على قيادة الشعب ضد الأمراء، وكان يعلم مقدار ما للشيخ من نفوذ ومكانة عند الأهالي، فخشى أن يستفحل الأمر ويؤدي إلى ضياع سلطته في مصر، فأرسل نائبه ومعه أحد الأمراء إلى الإمام الدردير واعتذر له عما حدث، ووعد بأن يكف أيدي الأمراء عن الناس، كما قرر توبيخ حسين بك شفت على صنيعه وطلب قائمه بجميع ما نهبه ليا أمره برد ذلك إلى صاحبه وهكذا وضع هذا الإمام قاعدة دستورية هامة وهي احترام الحاكم لإرادة المحكومين.

ثورة الشيخ عبدالله الشرقاوى رحمه الله تعالى وكان شيخاً للأزهر عام ١٢٠٨ هـ^(١).

في شهر ذى الحجة عام (١٢٠٩ هـ) (١٧٩٥) اشتكى فلاحو قرية من قرى بلبيس إلى الشيخ عبد الله الشرقاوى من ظلم محمد بك الألفى ورجاله، فبلغ الشيخ الشرقاوى الشكوى إلى كل من مراد بك وإبراهيم بك، وخاطبهما في كنف أذى محمد بك الألفى عن الفلاحين فلم يفعلوا شيئاً. فسا كان من الشيخ الشرقاوى رحمه الله تعالى إلا أن عقد اجتماعاً في الأزهر حضره العلماء وتشاوروا في الأمر فاستقر رأيهم على مقاومة الأمراء بالقوة حتى يجلبوا مطالبهم، وقرروا إغلاق أبواب الجامع الأزهر وأمرؤا الناس بغلق الأسواق والحوانيت استعداداً للقتال

وفي اليوم التالي: ركب الشيخ الشرقاوى ومعه العلماء وتبعهم الجماهير وسار الجميع إلى منزل الشيخ السادات يستشيرونه في بدء المعركة، وكانت قصر إبراهيم بك قريباً من قصر الشيخ السادات، فراحه احتشاد الجماهير هناك، وعلم باجتماع العلماء عند الشيخ السادات، فبادر بإرسال أيوب بك الدفتردار ليسأل عن مرادهم.

(١) نفس المرجع ٢٨ ص ٢٥٨

فقالوا له : نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التي ابتدئتموها وأحدثتموها .

فأجابهم قائلاً : لا يمكن الإجابة إلى هذا كله فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعاش والنفقات . فقالوا له : هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء الممالك ، والامير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ ! .

فقال لهم : حتى أبلغ . وانصرف ولم يعد لهم بجواب .

صمم العلماء في هذا المجلس على أن يخوضوا المعركة مع الامراء ، ولما أن يستشهدوا أو ينالوا حقوق الشعب كاملة . وأعلنوا أهالي القاهرة بعزمهم ، فتقاطرت الجماهير صوب الأزهر وباتوا هم والعلماء داخل المسجد وحوله .

هال إبراهيم بك ما بلغه من احتشاد الشعب ومرابطته مع العلماء استعداداً للقتال . فأرسل إلى العلماء يعتذر إليهم ويبرئ نفسه ملقياً التبعة على شريكه في الحكم مراد بك ، بل ذهب إلى أبعد من هذا إذ يقول : أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطري ومرادى ، وأرسل مراد بك يستحثه لعمل شيء ويخيفه عاقبة الثورة التي توشك أن تنفجر .

وفي اليوم الثالث للثورة توجهه والى مصر إلى منزل إبراهيم بك واجتمع مع أمراء الممالك وقرروا لإيجاد حل سريع حاسم قبل أن يفلت الزمام فتشتعل الثورة ، وأرسلوا إلى العلماء ليحضروا الاجتماع ، فحضر الشيخ السادات والسيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ الأمير وطال الحديث بينهم وكان مداره حول حقوق الشعب ، ولم يستطع إبراهيم بك ولا مراد بك ولا الأمراء المسكبة في هذه المرة ، فقد كانت القاهرة تغلي كالمرجل وكانت أشبه ببركان يوشك أن يثور وكان الشعب المكتئب في الخارج يلوح مهدداً متوعداً ، وانتهى هذا المجلس التاريخي بموافقة الأمراء والوالى على القرارات^(١) الآتية :

أولاً : لا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها مندوبو الشعب .

ثانياً : أن ينزل الحكم على مقتضى أحكام المحاكم .

ثالثاً : ألا تمتد يد ذى سلطان إلى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق والشرع .

(١) ذكر هذه القرارات حضرة الرئيس في خطابه الذى افتتح به أعمال لجنة الدستور .

وكان القاضي الشرعي حاضرا فخر (حجة) تضمنت هذه القرارات وقع عليها الوالي وختم عليها ابراهيم بك وأرسلها إلى مراد بك نختم عليها أيضا وانحلت الازمة . ورجع العلماء يحيط بكل منهم موكب من الاهالي وهم ينادون (حسب ما رسمه ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمسكوس بطلاة من مملكة الديار المصرية)

ولو تأملنا في هذا النص الذي ساقه مؤرخ مصر الجبرتي ودققنا النظر في قوله (حسب ما رسمه ساداتنا العلماء) لوجدنا أن هذه العبارة الظاهرة تحمل مبدأ دستوريا هائلا : وهو أن الامة مصدر السلطات .

وقد أشار حضرة الرئيس في خطابه المذكور إلى هذه الحجة بقوله : وقد توافق رأى أكثر المؤرخين الفرنجة على أن هذه الحجة بمثابة وثيقة (إعلان حقوق الإنسان) سبقت بهامصر غيرها . وقد طبق وكلاء الشعب ويمثلهم العلماء والأعيان هذا المبدأ - مبدأ الامة مصدر السلطات - على مصر خورشيد باشا حين عجز عن ضبط الأمن في البلاد ، إذ عقدوا مؤتمرا وطنيا يوم ١٣ صفر عام ١٢٢٠ هـ وقرروا عزل الوالي ؛ ولما رفض الإذعان لهذا القرار قام العلماء والأعيان والشعب بتنفيذ قرار الامة بالقوة ودارت رحا الحرب بينهم وبين لوالى وكانت الاوامر خلال المعركة تصدر باسم السيد عمر مكرم والعلماء بصفتهم وكلاء الامة ، وأجبروه أخيراً على الإذعان لقرار الامة في ٢٩ جمادى الاولى عام ١٢٢٠ هـ .

هذا وقد سجل التاريخ للعلماء السابقين موافق مجيدة في الدفاع عن حقوق الشعب بذكر منهم الإمام شمس الدين محمد الحنفى المتوفى عام ٨٤٧ هـ ، والشيخ شمس الدين الديروطى الواعظ بالأزهر الشريف والمتوفى عام ٩٢١ هـ ، وشيخ الإسلام الإمام محمد بن سالم الحنفى المتوفى عام ١١٨١ هـ .

نستنتج من هذا كله أن العلماء والشعب خلال صراعهم العنيف في سبيل نيل حقوق الامة استطاعوا أن يستخلصوا عدة مبادئ كانت تدار بوجها شئون الحكومة وتحفظ بمقتضاها حقوق الرعية ، حتى انتهى الأمر إلى إعلان حقوق الإنسان وأن الامة مصدر السلطات ، وتعتبر هذه المبادئ أهم الاصول الى بنيت عليها الدساتير الحديثة .

أحمد عز الدين عبد الله حلف الله

المدرس بمعهد دسوق

غرور

من العوارض البارزة والأحداث الظاهرة ما يطوف بالجماعات فيتغلغل في صفوفها ، ويتمكن بين أفرادها ، ويلم بالآلة في غزوه المنكر ونزوله الملح ، فتخضع فترة من الزمن لسلطانه ، وتعيش ردحا من الدهر تترنح تحت وطأته . تتمرد عليه حيناً وتخبث له أحياناً . تحاول أن تبعد عنه آناً وتستسلم لغواشيه المطبقة وطوفانه المغرق آناً آخر . حتى إذا قوى منها العزم ، واستحصد لديها الحزم ، ونفذت الإرادة ، استطاعت أن تفلت من آصاره وتتخلص من قيوده .

وإلمام الظواهر الى لا تحب ولا تستساغ ، أمر عادى يتسرب إلى الأفراد ويتفشى في الجماعات ، ما دامت النوازع الإنسانية والأطباع البشرية والأهواء والشهوات تضطرم في النفس وتفور في الجسد

ولكن الذى لا ترضاه العقول السليمة ، ولا يطمئن إليه التفكير الصحيح ، ولا تقره شريعة رب العالمين ، أن تقع فريسة للعوارض المهلكة والأدواء القاتلة ، والأمراض النفسية الخبيثة فلا نحاول التمرد عليها والخلوص من أوزارها .

قد يغفل الضمير أو تغفو المشاعر الإنسانية وتهجم في النفس قوة المراقبة فيدخل عليها الداء من حيث لا تقدر ، ويتسرب إليها الوهن من حيث لا تشعر . ولكن العاقل الذى يحاسب نفسه لا يلبث أن ينتزعها مما يحل بها من آفة ويتسلط عليها من داء . ولعل هذا أبرز فارق بين البر والفاجر ، فإن البر سريع الإفاة إلى ربه ، كثير الإقلاع عن ذنبه ، شديد الندم على ما يبدو منه من مخالفة ، أما الفاجر فهو دائماً سادر في لهو ، بمن في غيه لا يوقظه إلا القوارع لمججلة والمحن العاصفة .

إن الافراد والجماعات لاتصاب بعلّة مميّنة وآفة لعينة مميّنة ، تدمر نظامها وتحطم نتائجها وتفسد أمرها وتضعف الثقة فيها وتعدم التعاون بينها ، مثل آفة (الغرور) فهو أساس كل شر ومصدر كل فساد وسبب كل هلاك . وما أحبط أعمال الناس وأصارها إلى الإحمال والجذب ومكن بينهم العداوة والبغضاء ودعا إلى الخصام والشحناء وأشاع الذعر والخوف والاضطراب إلا داء الغرور حين يستولى على النفوس ويستبد بالقلوب ، فيحول مودتها إلى عداوة وصفاءها إلى كدر وإخلاصها إلى ضغينة وحسد .

يغتر المرء بجهده وعمله ويخدع جاهلا في كفايته وقدرته . ويخيل اليه الوهم الكاذب والسراب الخادع والعقل الخائر والتفكير الضحل أن قوته فوق القوى ، وقدرته لا توازيها قدرة . هو في نفسه عالم يفقه أدق مشاكل العلم وأعقد مسائله ، وهو سياسى يدرك من خفايا السياسة الداخلية والخارجية ما يستعصى على الآخرين ، وهو بين الادباء أديب بارع الفسك ، رائع الخيال . هو في كل شيء أشد الناس فهما وأصدقهم حكما وأنفذهم نظراً وأعمقهم غوراً وأسماهم فكراً ، لا يقبل في ذلك جدلا ولا مناقشة . وبهذه الفكرة الخاطئة والنظرة الباطلة ، والوهم الكاذب لا يمكن أن يلتقي بالناس في عمل مشترك أو تعاون مفيد . وهل يلتقي في نظره السقيم الثرى بالثريا أو يجتمع الحامل والعبرى .

ويدعى إلى سلوك طيب يكون له وللناس فيه خير ، فتأبى عليه نفسه وينفر طبعه ويدخله الحنق والغضب لأن سلوكه فيما يرى أقوم سلوك وأدبه أرفع ومقامه أسمى من أن يتناول إليه نصيح أو توجيه وقبح الله الغرور .

ويراد على الإحسان في عمله والإجادة في إنتاجه ، فيستفزه الغضب وتستثيره الحدة لأن عمله أحكم صنعا وأدق أداء وأعظم من أن يتناول إليه متناول .

ويفسد في الأرض ويستسلم لنزوات الشر ودوافع الإثم وتمتد عينه ويده إلى ما حرم الله عليه ، فإذا وجه إليه نقد أخذه الحقد واستبد به الغرور لأنه عند نفسه فوق أن يخضع لنقدهات الناقدين .

وهكذا يدخل الفساد على الأمة ويتسرب إليها الداء ويبدأ فيها الشر والعوج ، كل فرد أمة وكل شخص دولة : فهو مستقل في رأيه مستبد بفكره ، لا سلطان لأحد عليه ثم يجيء

بعد ذلك الضلال في الرأي والخطأ في التقدير والتخبط في السلوك . لأن ما استقر في النفوس من الغرور قد أفسدها وأظلم آفاقها ، فلم يعد أحد يصنى إلّا لما تهتف به شهوته وتضطرم فيه نزوته وينزع إليه هواه .

وهكذا يتداعى بناء المجتمع وتضطرب أركانه وتختل موازينه وتتضام قوته وتحل عروته بما يشيعه الجاهلون من فساد ، وما يأتية المغرورون من حق .

إن في الغرور ادعاء واجترأ : ادعاء يسلب الإنسان وقاره الخلق وحليته النفسية ، واجترأ يثير في الأنفس الحقد على الناس والضعينة بينهم فيقطع ما اتصل من أسباب المودة ويفسد ما صلح من عوامل الآلفة ، ويهدم ما يقوم من رغبة في التعاون والجهاد في هذه الحياة .

ولقد أراد الله تعالى لهذه الأمة القرآنية أن تعيش سليمة من الآفات بريئة من الأدواء والعلل ، وأن تربي تربية نفسية لا يداخلها شوب من الفساد ، ولا عامل من الانحلال ، فحذرنا الله جل شأنه بما شرع من آداب واستن من سنن ، أن تستسلم لداء أو تخضع لآفة . ولقد قال جل شأنه (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) .

ثم أشار جل شأنه إلى أن مصدر هذه الآفة تأميل في طول عيش ، أو طمع في طيبات الحياة وزينة الدنيا ، أو رغبة في الاستمتاع بنعمة الولد وهكذا فقال : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت . إن الله عليم خبير) .

يجب أن نعالج ما يعترينا من نقائص ، وما يتفشى بيننا من أوزار ، ويجب أن نربي أنفسنا على ما يلتصق في تاريخنا من روائع الصور وبارع الأمثلة التي كتبت هذا التاريخ وبنّت ذلك المجد . ولنعلم أولئك الذين يخفون إلى الاقتداء في الشر ويسرعون إلى الاحتذاء في الضرر ، أن الاتباع في الخير والاقتداء بمن مضوا من سلفنا الصالح يغرس فينا الفضيلة ويسدّدنا نحو النهج القويم .

لقد كان عمر بن الخطاب حريصاً أشد الحوص على أن يكسر نخوة نفسه ، وأن يستل داء الغرور من كل من يحيط به . فهو الذي أمر المصري أن يضرب ولد عمرو بن العاص

ثم يضع الدرة على صلعة عمرو وليذهب ما عسى أن يكون قد داخله من خيلاء الحكم وكبرياء السلطان . وكان رضى الله عنه يحاول دائماً أن يقتل ما فى نفسه من نخوة ويطرد ما يمكن أن يساورها من وسواس .

يقول عروة بن الزبير : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عليه ، وعلى عاتقه قرية ماء . فقلت : يا أمير المؤمنين إنه لا ينبغي لمثلك هذا . فقال : أنه لما أتت الوفود سامعة مطيعة مهادنة دخلت نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها . ومضى بالقرببة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها .

ويروى الأحنف بن قيس أنه كان بصحبة أمير المؤمنين عمر فجاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن فلاناً ظلمنى فأعدنى عليه . فرفع درته وضرب بها رأسه وقال : تدعون عمر وهو معرض لكم ، حتى إذا شغل فى أمر المسلمين أتيتموه ، تقولون أعدنى .

فانصرف الرجل متذمراً فقال عمر : على بالرجل . فجئ به إليه ، فألقى إليه الدرة وقاله له : اقتص ! فقال : بل أدعه الله وإرادة ما عنده . وانصرف .

يقول الأحنف . ثم جاء عمر فدخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين ثم جلس وقال : يا ابن الخطاب كنت وضعياً فرفعك الله ، وضالاً فهداك الله ، وذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاء رجل يستعديك على من ظلمه فضربته . ماذا تقول لربك غدا ؟ فجعل يعاتب نفسه أشد الماتبة .

ويقول رجاء بن حيوة : كنت ليلة عند عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فضعف المصباح ، فقام رجل ليصلحه فقال : اجلس ، فليس من الكرم أن يستخدم المرء ضيفه .

ثم قام بنفسه فأصلح السراج . فقال رجاء : أتقوم إلى السراج وأنت أمير المؤمنين ؟ فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز بمثل هذه السير الثقية والأخلاق الطاهرة والآداب السكريمة نهز الجماعات وتسعد الأمم .

عبد الحميد محمود المسالوت

المدرس فى كلية اللغة العربية

الدين في عصرنا وعلايقه بالعلم

— ٣ —

كان التيار الذي طبع النصف الاول من القرن التاسع عشر بطابعه — سواء أكان ذلك في الجانب الديني أم الأدبي — هو تيار تلك الحركة القوية التي دعيت في التاريخ باسم الحركة الرومانتيكية ، والتي كانت إحدى نتائج الانقلاب الثوري الفرنسي ، والتي امتد سلطانها إلى أكثر دول الغرب .

ولما كان لا يعنينا الآن من هذه الحركة غير الدين من حيث علايقه بالعلم ، فقد وجب أن نقصر حديثنا اليوم على ذلك . وبمجموع القول في هذا الشأن هو أننا إذا تعقبنا الفكر الدينية في ذلك العصر ألفينا أن أسسها العامة في المحيط الثقافي تعتمد على مبادئ « جان جاك رسو » ، « Jean Jacques Rousseau » الذي يمكن أن يعتبر ضمن طلائع تلك الحركة الرومانتيكية ممن أعدوا القول لذلك الانقلاب كله وهيشوا النفوس لاستقباله . ويمكن أن نوجز أقوال « رسو » في الديانة بأنها إيمان نابع من داخل النفس ، منبثق من شغاف القلب ، منبجس من أعماق العواطف الإنسانية .

وعلى جملة من القول يمكن حد الدين على حسب قوله بأنه مجموعة من المبادئ التي بلغ الشعور بوجودها أقصى أواجه وإن لم يكن من الممكن التذليل عليها بالبرهان العقلي ، أو تأييدها بالحجة المنطقية القاطعة لأنها لا تعدو كونها وثبات روحانية غير معتمدة على المقدمات العقلية ، ولم تنشأ تأملات نظرية . وموضع هذا الدين هو لإرضاء حاجات القلب وقيادة السلوك الخلق .

ولا جرم أن هذه النظرة إلى الدين تجعله عاطفياً بحتاً وتنتهي به إلى الانفصال نهائياً عن العلم ، بل تجعله ينطق بلغة غير لغة العلم ، ويسير في الحياة على غير نهجه وبغير أسلوبه ، وبهذا يستطيع كل منهما أن يتجه في طريقه نامياً متطوراً انجماه الخطاين المتوازيين اللذين لا يلتقيان مهما امتدا .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن استطاعت أن تساير الديانة المسيحية

مسايرة تختلف مع مسايرة العقل الذى كثيراً ما يبدو متعارضاً معها ، وقد نشأ هذا التعارض من أن مظاهرها تخاطب القلوب والمشاعر أكثر من مخاطبة الفكر ، وتعتمد على الحب والإيثار أكثر من اعتمادها على المتعلقات الفلسفية أو المدركات النظرية . ولا ريب أنها تنزع — عن طريق هذه الاتصالات العاطفية — كثيراً من النتائج الناجحة المثمرة ،

وأياً ما كان فإن آراء « روسو » فى الدين والسياسة والاخلاق والتربية كانت — منذ أواخر القرن الثامن عشر — نقطة البدء التى صدرت عنها الافكار الحديثة فى أوروبا كلها ، بل كانت أساس النهضة الدينية الجديدة التى تبعت الحركة الرومانتيكية التى بعثت الدين من مرقدته بعد تلك الصدمة العنيفة التى تلقاها من الثورة الفرنسية ثم حددت موقفه بإزاء العلم .

وبجمل هذا الموقف إذ ذاك هو أن الدين لا يعتمد على العقل ، بل على القلب ، وأن له مبادئه وأسايقه ومنتجاته التى تفرض نفسها فرضاً على العقل باسم سلطان أعلى منه . ولقد انتقل التيار الثقافى فى ذلك العهد بل الحياة كلها من جانب الفكر الذهنى إلى جانب أولئك الذين كانوا — دون أن يأبهوا للعقل الحر ولا للعلم المستقل وأن يعيشوا بعقد صلة بينهم وبين الفلسفة — قد جعلوا يتركون الدين يمتد فى حربة معتمداً على سلطانه الذاتية التى لا تعرف لم ، ولا تعترف بكيف ، وهى القلب والتقاليد والعقيدة ، وكان عمل أولئك القوم يكاد يكون محصوراً فى إنماء القوة الروحية وتفخيمها . ولكى تمثل لهذه الحركة يجب أن نشير إلى كاتبين من زعمائها ، أحدهما فرنسى ، والآخر ألمانى فأما الأول فهو « شاتوبريان » "Chateaubriand" طليعة أدباء فرنسا الذين أيقظوا الحركة الدينية من سباتها واستعادوا لها صحتها التى أنهكتها الثورة ، بل أوشكت أن تأتى عليها ، وذلك لأن هذا اللون من الإيمان قد بدأ فى فرنسا أدبياً قبل كل شيء . ولقد ظهرت طوالها الأولى فى كتاب « عبقرية المسيحية "Le Génie du Christianisme" تأليف « شاتوبريان » .

وبجمل القول فى هذا السفر أن مؤلفه — صادراً عن مبدأ « جان جاك روسو » وهو سيادة سلطان العاطفة — قد عول على أن يبدل الحياتين : الفردية والاجتماعية اللتين لم تكونا بعد قد أفاقنا من تلك الهزة القاسية التى أصابتها بها الثورة الفرنسية فزلزلت كيانها الدينى أن يدخل فيهما كل الطقوس والتقاليد الكاثوليكية فى صورها العملية وأشكالها الواقعية . وليس هذا خسب ، بل إنه لم ير فى هذه الطقوس وتلك التقاليد إلا ظواهر ثانوية لا يؤيدها

العقل فضلا عن أنها لا تدخل في نطاقه ألبتة ، وأكثر من ذلك أنه اندفع في هذه السبيل إلى حد أن وضع تفاصيل هذه الظواهر الخارجية في مرتبة واحدة مع ما يحتويه الدين من المبادئ الخلقية السامية ، واتخذ من النوعين كليهما الدليل على سماوية عنصره . ومن أساسيد ذلك عنده أن جميع هذه التفاصيل تتجه مباشرة إلى الخيال وتأمر القلب وتسحر الوجدان الإنسانى وتواسيه ، وتهديه وتقويه ، وتنهشه وتحمسه ، وبالإجمال : تترك فيه أعق الاثر . ومن العبارات التى وردت في مؤلفاته في هذا الشأن قوله : إن السبيل الذى يجب اتباعها اليوم هى الاتجاه من المعلولات ، إلى عللها ، والتدليل على أنه ليست المسيحية سامية لأنها من عند الله ، بل إنها من عند الله لأنها سامية ، وعلى أن ما يشتمل عليه الناقوس من شعر وجدانى يتجه إلى الشعور مباشرة هو أقوى من حجج الاقيسة المنطقية لأننا نشعر بالأول حيا في كوامن نفوسنا بينما لا تكثيرت قلوبنا الثانية .

ومن هذا يتبين المرء أن « شاتوبريان » شاعر حقا ، وأنه لا يكترث أدنى اكتراث بالمعرفة ما دام أن عقيدته وتقاليده التى يعرض بذلك الأسلوب الفصيح البليغ نتائجها الخيرة الساحرة ، وأنه سواء عليه أكانت هذه الثمار نقيجة من أصول موجودة وحقيقة أم كانت مجرد أخيالة عابثة **قصدها** بها إرضاء رغباتنا وأحلامنا .

ومهما يكن من شئ فإن التيار الذى كان يهتاد الحركة الرومانتيكية بفرعيها : الدينى والادبى في أوروبا في النصف الاول من القرن التاسع عشر هو تيار تلك الآراء السالفة التى تتركز في أن العاطفة هى القاعدة الوحيدة ، وأن الغاية التى يهدف إليها الإنسان الراقى هى أن يشعر بأنه يحيا ، وأن يهب نفسه تماما للشعر والهوى أو شدة الانفعال والحماسة التى تهز النفس ، وأن يفر من المجردات التى لا تعنى إلا العقل المحض .

وهنا يفبغى أن نسائل أشياء هذه المبادئ قائلين : ألا نخشون — إذا وهبتم أنفسكم للعواطف على هذا النحو — أن تضعوا أنفسكم على طرفى نقيض مع العلم ؟ ولا ريب أن الجواب على هذا السؤال هو أن الرومانتيكى الاصيل يجهل أو يتجاهل هذه المشكلة ، فبينما يشغل العالم بالتحليل والتعليل والاستنباط ، نراه هو يسكتى بأن يحيا ويؤمن ويحب . وأكثر من ذلك أنه هو يعود فيسأل بدوره دهشاً : كيف يجرؤ العلم أن يحاول أن يسلب منه أنيته ؟

وأما ثاني هذين المفكرين فهو «اشلاير ما كير» 'Schleiermacher' الألماني الذي سطع نجمه في أوائل القرن التاسع عشر والذي ثبت ذلك المبدأ الرومانتيكي في قلب الدين وإن كان في صورة أقرب إلى ما بعد الطبيعة منها إلى الأسلوب الأدبي الذي انتحاه «شاتوبريان». وهاك بجمل آرائه مرسومة في عباراته .

ليس في مكنة العقل ولا الإرادة نقلنا إلى المنطقة الدينية لأن الدين ليس نوعاً من المعرفة الموضوعية ، ولا لوناً من القواعد الخلقية المقررة ، وإنما هو حياة وبران . ولهذا الحياة منبعها الخاص في أعماق جانب من جوانب كينونتنا وهو العاطفة . وليس من الممكن الاتجاه إلى الدين صدوراً عن المعرفة بالدين ، وبعبارة أوضح . لا يمكن اتخاذ معرفة الدين أساساً للتدين ، لأن الدين أمر أولي ينطق به الشعور بادئ ذي بدء ، ولأن المرء إذ يشعر بديا بالأفعال الدينية هو يثني بالبحث عن وسيلة يشرح بها دخيلة نفسه ، وينقب عن برهان يبرر به الشعور أمام عقله ، ثم هو لا يكتفي بذلك ، بل يحاول أن يوضح طبيعة حالته النفسية وأسبابها .

وهكذا ينتهي به بحثه وتأمله إلى العثور على ضالته المفقودة ، وهي شعوره بالعلاقة المطلقة التي تصل المخلوق بالخالق وليست الحياة الدينية شيئاً آخر سوى إنماء هذا الشعور وإشعاعه ، إذ هو الذي يثير الأفراد بهيئة لا يستطيعها العلم ولا تظهر بها الأخلاق . وهذا الشعور لا يمكن شرحه بوساطة الفكر ، ولكن عن طريق الرموز التي هي وحدها القادرة على تقديم ذلك الشرح إلى الوجدان والتي تجعل نقل بيان الانفعالات الدينية إلى الغير أمراً ممكناً .

على أن العلم نفسه لا يستطيع أن يضع أية عقبة في سبيل خلق الرموز الدينية المختلفة ولا في سبيل قبولها واعتناقها .

وبجمل القول عند «اشلاير ما كير» ، هو أن الموجود أسمى من المعرفة وقبلها ، وأن حياة النفس والعاطفة هي أسمى الحقائق ، وأن كل ما يوجد من مظاهر هذه الحياة الروحية من قواعد وطقوس وتعبيرات وكائنات ومادة ليس له من قيمة إلا بمقدار ما يكون رمزاً لتلك الحقيقة التي هي أسمى من كل تعقل .

(١) هو أحد الفلاسفة الألمان ، وقد ولد في برينسلاو سنة ١٧٦٨ وتوفي في سنة ١٨٣٤ .

بان من كل هذا أن العلائق بين العلم والدين كانت - في النصف الأول من القرن التاسع عشر - لإيضاحاً لثنائية كاملة ، فكل من العلم والدين كان مستقلاً عن الآخر في أهم النقاط التي تميز كلا منهما على حدة ، فكان العلم يبسط سلطانه على العقل ، بينما يختص الدين بالعاطفة بخطوته ، وبفضل هذا الاستقلال في السلطان ، كان من الممكن وجودهما في وجدان واحد دون منازعة ولا عدا ، بل قل لهما كما على وئام . وعن طريق هذا الوئام نفسه كان لكل منهما جميع أنواع الأمن والاطمئنان والسلام والحرية .

بيد أن هذه الهدنة في الواقع لم تدم إلى منتصف القرن التاسع عشر ، إذ أن مواجهات جديدة لم تلبث أن نشأت بين العلم والدين ، فكان من نتائجها تلك المعارك الحامية الوطيس التي سراها فيما بعد .

الدكتور محمد غنوب

من نثر شوقي

الوقت آلة الرزق إذا استعمل ، وآفة الرزق إذا أهمل . ثقة العاطفة شهر ، وثقة العقل دهر .
من أخل بنفسه في السر ، أخلت به في العلانية . يستريح النائم من قيود الحياة ، كما يتروح السجين ساعة في فناء السجن . الفضائل حلائل ، والرذائل خلائل .
في الغمر تستوى الأعماق .

الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الجماعات .
العاقل من ذكر الموت ولم يفس الحياة .

التعبير في الفن

يفبغي أن تعتمد نظريات النقد السليمة على دعائتين هما التقويم والتعبير . ونحن قد لا نستبين الطريقة التي تتخذ بها تجاربنا القالب الذي تصاغ فيه ، فإننا كائنات اجتماعية درجت على التعبير عما يخالجه منذ نشأتها . إلا أنه من الحقائق المعروفة ، أننا نصل إلى كثير من طرق تفكيرنا وشعورنا ، بالوراثة عن آباءنا وأجدادنا . فالتعبير عن هذه الافكار والمشاعر أبعد غوراً ، وأوغل قدماً مما قد يترأى لنا في كثير من الأحيان . والعقل البشري نفسه ، قد اكتسب تركيبه الخاص ، بحيث يتلاءم مع عملية التعبير التي شغلت الإنسان منذ مئات الآلاف من السنين التي مرت عليه خلال تطوره ، بل وقبل ذلك بكثير . بل إن كثيراً من السمات التي تميز عقلنا البشري ، تعود إلى وظيفته كآلة نستخدمها في التعبير ...

أما تجاربنا التي تصادفنا في حياتنا ، فلا بد لها أن تتشكل قبل أن نعبّر عنها ، بل لأنها لتصاغ في القالب الذهني الذي نستطيع به التعبير عنها . وقد كانت قدرة الإنسان على التعبير عن أغراضه ، والإفصاح عن مرامييه ، في مقدمة الأمور التي استغرقت مرحلة طويلة من مراحل الانتخاب الطبيعي .

والفنون هي أسمى قالب يمكن أن ينصرف إليه نشاطنا الفكري ، وقدورتنا التعبيرية . وعلى هذا الضوء يتضح لنا كثير من الأمور المعقدة الغامضة التي قد تثار حول التراكيب والقوالب الفنية ، والتي منها سبق الشكل والقالب على الفكرة والموضوع ، ومنها أيضاً الموضوعية ، وإقصاء المؤثرات الذاتية ، مما يدعو إليه ويلج فيه علماء الجمال في الطبيعة والفن . بيد أنه يفبغي لنا اصطناع كثير من الحذر في نظرتنا للفنان ، فهو قوة معبرة ، قلما ترى نفسها في هذا الضوء . فهو حين يأخذ في إبراز تجاربه الذهنية ، لا يلقي إلى جهوده التعبيرية بالا ، ولا يحفل بها قصداً ؛ وحين نسأله عن نتاجه الفكري ، نجده يراه شيئاً جميلاً في ذاته ، يضيف على نفسه الشعور بالبهجة والارتياح ، ويعبر عما يخالجه من أحاسيس عميقة وعواطف مشبوبة . أما أن نتاجه سوف يقرأ ، ويتلقى منه الكثيرون ما يختلط به من

تجارب، وما يداخله من مران ، فكل هذه أمور عرضية ، ومسائل فرعية ، لا تعنيه ولا تدخل في حسابه .

فالفنان لا يتجه قصدا لإتقان التعبير ، بقدر اتجاهه مثلا إلى بلوغ السكال في إبراز قصيدته ، أو مسرحيته ، أو تمثاله ، أو لوحته الفنية ، أو غيرها من نتاج فكري ، يسعى إلى تصويره في الصورة التي تتراح إليها نفسه . وهو يرى إلى تجسيم زاده الفكري ، ومعينه الذهني ، وجعل نتاجه مطابقا لتجاربه ، ومتفقا مع مرانه كل الاتفاق ، مما يضفي عليه روعة فنية ، قد يغض منها كثيرا توجيه اهتمامه وعنايته للتعبير وحده ، وليس في وسع الفنان أن يترث ليتدبر رأى الجمهور القارىء ، أو الطبقات المنقفة منه خاصة ، في نتاجه الفكري ، وهل يقبل عليه ، أو يعرض عنه . وهو يصيب وينهج النهج القويم حين يبتعد بفته عن هذه الاعتبارات جميعا . فكثيرا ما أدى تركيز انتباه الاديب أو الفنان في إتقان التعبير ، وفي توجيه نتاجه الفكري لجمهور قارىء (ونستثنى من ذلك قلة نادرة من الفنانين كان شكسبير مثلا إماما لهم) إلى التهوين من شأنه والغض من نتاجه الفكري .

ولسنا نبغى بتجاهل الفنان للعنصر التعبيري الذي ينقل فكرته للقارىء ، لسنا نبغى بذلك أن نهون من قيمته وأهميته ، فإن الجهد الذي يبذله الفنان في إخراج نتاجه الفكري سليما متقنا لا بد أن ينفى به ، في تضاعيف الطريقة التي يسلكها ، إلى إبراز الجلال الذي نفشده للفن في مظهره الفكرة والقالب . بل إننا نستطيع القول مطمئين ، إن الفنان حين يقصد إلى إبراز ما يخالجه من مشاعر وأفكار ، وحين ينصرف عن العناية بالصورة والاحتفال بها ، فإن تلك الصورة نفسها تكون أروع وأبهى منها ، لو أنه أنفق جل وقته وفكره في إتقانها وحدها . ذلك أن مقياس الجمال والجلال في النتاج الفني ، وبالتالي تأثيره في القراء ، إنما يكون بقدر ما يشتمل عليه من التوافق والإنسجام بينه وبين ما يعبر عنه الفنان من تجارب ومران .

ولسكن الفنان ، مهما بالغ في الابتعاد عن توجيه نتاجه الفكري لجمهور قارىء ، ومهما أنكر رغبته في إثارة غرائز الناس ، والتأثير فيهم بما ينقله إليهم من تجارب ، فإنه لن يجد في الواقع دليلا واحدا يصرفنا عن النظر للتعبير والنقل للقراء ، كهدف من أهم أهدافه غير المباشرة ، وغاية من أسمى الغايات التي تنتهى إليها مراهبه

ولطالما أساء النقاد، وعلماء الأخلاق، ورجال التربية، وعلماء الجمال، إلى حد بعيد، فهم الفن، واستيعاب الدور الذي يمثل بين كافة ألوان النشاط الذهني للإنسان وليس من اليسير تفسير المدى الذي ذهب إليه كل هؤلاء حين أخطأوا فهم الفن ومرامييه، فمنهم من أرهفت أذواقهم، ودقت ملاكاتهم، واكتملت مواهب الاستجابة لديهم، بيد أنهم بلغوا في إساءة فهم الفن ومرامييه مبلغاً كبيراً؛ ومنهم من يعرف ماعية الفن، وما ينبغي نحوه، وهؤلاء جلهم من بين أهل الفن أنفسهم، غير أنهم أعرضوا عن تفسيره تفسيراً واضحاً جليلاً، وربما وجدده الكثيرون منهم شيئاً بالغاً في الوضوح والجلال، ومن ثم لم يكن في نظرهم، في حاجة إلى مزيد من الإيضاح. أما من حاول منهم القيام بتلك المهمة، فقد خانت اللغة ولم يسعفه التعبير. ولا مراعاة في أن العقبة العسيرة التي حالت دائماً دون تفسير ألوان الفن واستيعابها. إنما كانت تكمن دائماً في اللغة والتعبير.

وفي الواقع، إننا لم نكن يوماً ما في حاجة إلى فهم الفن، واستيعاب أثره في حياتنا، بقدر حاجتنا لذلك في الوقت الحاضر... وربما أخذت تلك الحاجة في الازدياد كلما تقدم بنا الزمن.

وليست الفنون سوى وعاء يودع فيه أهلها أسرارهم، وأجدرها بالتسجيل، فهي ثمرات تنضج في أئمن اللحظات من حياة أشخاص ممتازين. حين تبلغ سيطرتهم على تجاربهم، وقدرتهم على توجيهها، مبلغاً كبيراً، يعينهم على تمحيص الحياة، والغوص إلى مكنونها، وكشف أسرارها والنفاذ إلى أعماقها.

ونحن قد نستطيع نقل تجاربنا البسيطة التافهة، دون الاستعانة بتلك الأدوات الذهنية الرفيعة، أما التجارب الدقيقة الخفية الغامضة، فهي تبدو للكثيرين منا بعيدة عن الوصف عصية على التعبير والنقل؛ إذ أنها لا تخضع لغير الفن، الذي تجري في قنواته طبيعة مروانية، ولا تلين إلا للفنان. الذي يلمو بها كما يلمو الساحر ببضاعته أمام الناس، فيملك عليهم لهم ويسلب عنوهم، ويشغل أسماعهم وأبصارهم.

محمد بن محمد السنج

ليسانسيه في الآداب ودبلوم في الصحافة

من جامعة القاهرة

العلم.. بين الاساتذة والطلاب

في هذه الفترة بين عام دراسي أو شك أن ينقضي ، وبين عام جديد يستقبله المدرسون والطلبة بند أشهر الاستجمام ، رأيت أن أتحدث إلى إخواني مدرسي المعاهد وأبنائهم الطلبة بما ينبغي للفريقين أن يطلوا الأمل فيه عندما يفرغون من فترة الاستجمام ، استعداداً لاستئناف عهد جديد في الحياة الدراسية .

إن أجمل ما فهمه المسلمون من معاني « العلم » ، قول أبي حامد الغزالي فيه : إنه عبادة القلب ، وصلاة السر ، وقربة الباطن إلى الله ، وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر من الأحداث والأكبات ، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق .

وهذا الفهم الجميل لمعنى العلم في الإسلام إذا كان ينبغي لمدرسي المعاهد الأزهرية وطلبتها أن يجعلوه دستوراً لهم في حياتهم الدراسية في جميع المعاهد ، فإن أولى ما ينبغي لهم أن يتخذوه دستوراً في هذا العهد الذي أخذ يتجدد فيه نظر الأمة إلى جميع أوضاعها استعداداً لاستئناف حياة سعيدة مباركة النتائج وبانعة الثمرات إن شاء الله .

من المأثور على رسول الرحمة ﷺ أنه كان يقول لأصحابه - وهم الطبقة الأولى من طبقة العلم في تاريخ الإسلام - : إنما أنا لكم مثل الوالد لولده

وإن المدرس في المعاهد الإسلامية ينبغي له أن يستقبل سنته الدراسية المقبلة بهذه الروح العالية وبهذا الأدب الإسلامي الرحيم ، فيكون لطافته مثل لوالده مع الولد ، روى الذين دونوا ترجمة الإمام الفاتح أسد بن الفرات أنه لما كان يأخذ العلم عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة ، كان الإمام محمد بن الحسن إذا رأى تلميذه أسد بن الفرات غلب عليه النوم وهو يسهر في تلقى العلم عنه فضح على وجهه رشاشاً من الماء ليجدد له نشاطه شفقة منه عليه ورغبة منه في أن ينهض إلى مستوى الإمامة في العلم . ولولا أن محمد بن الحسن

تأدب بأدب الإسلام وعمل بالمبدأ المحمدي في أن يكون لتلميذه كما يكون الوالد لولده لا تنهز فرصة غلبة النوم على تلميذه وأرجأ الدرس إلى الليلة الثانية ، هذا مع ما فعله من مقام الإمام محمد بن الحسن في الدولة وكثرة أعماله العلمية ، لكنه لما كان يعلم أن من أدب الإسلام أن يكون التلميذ من أستاذه بمنزلة الولد من الوالد التزم مع أسد بن الفرات هذا الأدب الرحيم ، وكان من نتيجة نبوغ أسد بن الفرات وقيامه لليلة الإسلامية بما لا يقوم بمثله إلا أفذاذ النوابع من صفوة البشر .

وهذا الشيخ ابن التلمساني أحد كبار علماء شمال أفريقيا سأل السلطان عن مسألة فقال : « إن تلميذي فلانا يحسن الجواب عنها ، فوجه السلطان السؤال إلى تلميذ ابن التلمساني ، فأحسن الجواب ، فأجازه وأحسن منزلته ، وكان ابن التلمساني أعلم من تلميذه فيما سأل عنه السلطان لكنه لا يعتبره تلميذه بمنزلة ولده أراد أن ينوه به في حضرة السلطان كالوكان ولده حقاً . والطلبة في دستور الإسلام عرفوا كيف يقابلون هذا العطف الأبوي من أساتذتهم بما يكافئه من حرمة ومحبة وإجلال . ومن أقدم الأمثلة على ذلك ما رواه الشعبي أن زيد بن ثابت صلى على جنازة ، ثم قربت إليه بغلته ليركبها ، فبادر إليه عبدالله بن عباس فأخذ بزمام البغلة ليساعده على الركوب ، فقال له زيد : خل عنه بابن عم رسول الله ، فأجابه ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء .

وقد حافظ ذرية ابن عباس على هذا الأدب من التلاميذ نحو أسانذتهم بعد أن صار بنو العباس ملوك الدنيا ، فقد نقل برهان الإسلام الزرنوجي في كتاب تعليم المتعلم ، وهذا الكتاب ترجمة رولاند إلى اللغة اللاتينية وطبعه في مدينة أوتراخت بألمانيا قبل نحو مائتين وخمسين سنة ، أن أمير المؤمنين هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي ليعلمه العلم والأدب ، فرآه يوماً يتوضأ وابن الخليفة يصب الماء على رجله فعتب الخليفة على الأصمعي لأنه لم يأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه ويغسل رجل أستاذه باليد الأخرى ، ورأى أن تقصير ابنه في ذلك تقصير في أدب التلميذ مع أستاذه .

وروى الزرنوجي في هذا الكتاب أيضاً عن شيخه برهان الدين صاحب الهداية أن أحد كبار أئمة بخارى وهو في حلقة درسه في المسجد رأى ابن أستاذه يمر أمام باب المسجد فقام له تعظيماً لحق أستاذه .

وقد علمنا من سيرة ابن خلدون أنه لما رزى بوفاة كبار شيوخه (وكان منهم قاضى القضاة محمد بن عبد السلام والرئيس أبو محمد الحضرمى والعلامة محمد بن ابراهيم الأبل) ضاق به وطنه فترك مقامه الوجيه الذى وصل إليه فى قصر الإمارة ورحل عن تونس إلى الجزائر والمغرب الاقصى ، لأن مقام أساتذته كان فى نفسه فوق كل مقام .

وهذه المحبة الصحيحة التى يكنها التلميذ لآستاذه هى التى حملت العالم أحمد بن القاضى على أن يقول فى شيخه المنجورى : دوصارت الدنيا تصغر بين عيني ، كلما ذكرت أكل التراب للسانه ، والدود لبنائه ، .

ومن ذلك قول ابن عرفة :-

إذا لم يكن فى مجلس الدرس نكتة وإيضاح أشكال بأحسن صورة

الآيات . فيجيبه تلميذه الابى بقوله :

يميناً بمن أولاك فى العلم رتبة وزان بك الدنيا بأحسن زينة
لمجلسك الأعلى كفيل بكلها على حينما عنه المجالس ولت

ووقت خروج جنازة أستاذا الشىخ عمر بن الشىخ من منزله ليصلى عليها فى جامع الزيتونة ذكرت خروجه منه لدرس كتاب المواقف والشيوخ ينتظرونه بموضع الدرس ، وذكرت قول أحد الاساتذة فى قصيدة القاها عند ختم الكتاب :

إذا عمر بن الشىخ وافى لدرسه تعال التقت دار بملء جفان

ففاضت عيناي بالدموع .

إن هذا الادب الإسلامى الذى جعل من الطلبة أبناء للأساتذة كفلذات أكبادهم ، وجعل من الاساتذة آباء لتلاميذهم ، يعطفون عليهم أكثر من عطف الآباء على أبنائهم ، هو الادب اللائق بنا أن نرجع اليه لنجدد فى تاريخنا عهداً سعيداً ، فننعم به ونسعد بنعمته ، والطلبة الذين يكتسبون من دراستهم مثل هذا الادب ينالون به من السعادة أضعاف ما ينالون به من دراسة العلم مهما تقدموا فيه .

الختان

نريد عرض بعض المشكلات الفلسفية التي تهم الشباب والتي لها وتوجيهها الوجهة الطبية أثر حسن ، ولكن يمنعنا الحياء لأننا لم نعتد عرض هذه المشكلات على صفحات الصحف والمجلات ، وإن كنا قد اعتدنا معالجتها في الكتب . وقد كدنا نساير هذا الحياء فينا ونمشي على مقتضاه لو لا إلحاح بعض القراء في أن نعالج هذه المشكلات ، وقد رأينا الحاجة ماسة والفائدة مرجوة ، وقد استشرنا الدين فرأيناه يقول لا حياء في الدين ، ورأينا من نساء الصحابة من تسأل النبي ﷺ عن أمور قد يستحي منها ، عن خولة بنت حكيم أنها سألت النبي ﷺ عن المرأة تحتلم في منامها ، فقال إذا رأيت الماء فلتغتسل .

فاعتزمنا أن نعرض هذه المشكلات : كالعادة السرية وموقف الدين منها ، وكالختان في الذكر والآنثى وموقف الدين والعلم منها ، وسنبداً بالكلام على الختان .

الختان في التاريخ :

قال هيرودت المؤرخ اليوناني القديم إن الختان معروف منذ زمن بعيد في مصر والحبشة ومنه يعلم أن المصريين والحبشة كانوا يمارسون الختان منذ زمن متقدم ، ويقال إن السوريين والفيلبيين أخذوا عادة الختان عن قدماء المصريين .

وفي سفر التكوين الإصحاح السابع عشر الآية التاسعة وما بعدها إلى الآية الرابعة عشرة : أن الله فرضه على إبراهيم وعلى جميع ذريته وجعله علامة الاتفاق والعهد بينه وبينهم .

وهو مذكور أيضاً في قوانين موسى سفر اللاويين الإصحاح الثاني عشر الآية الثالثة وسفر الخروج الثاني عشر الآية ٤٥ و ٤٨ ، وقد حرص عليه اليهود فهم يختنون أطفالهم الذكور في اليوم الثامن بعد ميلادهم .

وكان الختان متبعاً في أول عهود المسيحية ثم نبذه الرسل ولم تأخذ به الكنيسة فلم يبق إلا في الحبشة .

وللختان عند اليهود قيمة رمزية إذ أنه عبارة عن عهد مبرم بين الله وإسرائيل يزيه الدم ، وهو تعبير عن طهارة النفس ، وكان أنبياء إسرائيل يسمونه طهارة القلب ، ووجد الرحالون عادة الختان متبعة في جميع أنحاء إفريقية السوداء ، ويظهر أن شعوب الأريستيين في أمريكا القديمة كانوا يعرفونها ، كما أنها مألوفة بين الشعوب الاسترالية الأصلية .

والمسلمون يؤدون عملية الختان بناء عن أمر الرسول بها ، وهم يختلفون في سن الثامنة وما بعدها من العمر .

وللختان فوائد صحية وهو وقاية من أمراض تنشأ عن الالتهاب الجلدي .

والخفافض وختان الأنثى ، غير منتشر انتشار ختان الذكور ، وهو معروف بين الساميين والهاميين في جنوب غرب آسيا وفي إفريقيا ، وبين الزنوج في جنوب إفريقيا وشرقها ، وفي غرب السودان ، وعند قبائل أخرى من تسمى بالشعوب البدائية في وسط إفريقيا وفي أستراليا وفي أمريكا ، ويلاحظ أن الآلات التي تستعمل في الخفافض عند هذه الشعوب الأخيرة هي آلات بدائية مما يدل على أن هذه العادة ترجع إلى أقدم العصور .

الختان عند المسلمين :

هو قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص ، قال الماوردي ختان الذكر قطع الجلد التي تغطي الحشفة والمستحب أن تستوعب من أصلها عند أول الحشفة وأقل ما يجزىه الأبيق منها ما يتغشى به ، وقال إمام الحرمين المستحق في الرجال قطع القلفة وهي الجلد التي تغطي الحشفة حتى لا يبقى من الجلد شيء يتدلى ، ونقل عن الرافعي أنه يتأدى الواجب بقطع شيء مما فوق الحشفة وإن قل ، بشرط أن يستوعب القطع تدوير رأسها ، قال النووي وهو شاذ والاول هو المعتمد ، والمستحق من ختان المرأة ما ينطلق عليه الإسم ، وقال الماوردي ختانها قطع جلدة تكون في أعلى فرجها كالنواة أو كعرف الديك ، ويطلب ألا تستأصل .

مذاهب فقهاء الإسلام في الختان وأولهم :

وأقوال علماء الفقه في الختان ثلاثة : الاول أنه واجب في حق الرجال والنساء ، والثاني أنه سنة فيهما ، والثالث أنه واجب في الرجال دون النساء . حجة أصحاب القول الاول قوله ﷺ من أسلم فليختن ، وقوله لأم عطية ، وكانت خافضة أمهي : ولا تهسكي ، وقوله ﷺ : يا نساء الانصار اختضبن غمسا واختفضن ولا تهسكن وإياكن وكفران النعم .

وهذه الأحاديث طعن في رجالها حتى قال ابن المنذر : ليس في الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع ^(١) وحجة أصحاب القول الثاني قوله صلى الله عليه وسلم : الختان سنة في الرجال

(١) ومن ذكر أحاديث الختان ونقد العلماء لها الامام محمد بن علي الشوكاني في نيل الاوطار

شرح منقح الاخبار ج ١ ص ١١٢ و ١١٣

مكرمة في النساء ، وقد طعن أيضا في رجاله ومع كونه لا يحتاج به ليس فيه ما يدل على المطلوب لأن السنة في لسان الشارع أعم من السنة في اصطلاح الأصوليين ، والحق أنه لم يعم دليل صحيح يدل على الوجوب في النساء .

وخفاض المرأة موضوع يبحث فيه العالم الشرعى لبيان حكمه في الشرع ، والعالم بوظائف الاعضاء لبيان وظيفة هذا العضو الذى يقع عليه الخفاض والعالم الاجتماعى لبيان آثار الخفاض الاجتماعية : أهى آثار حسنة أم آثار سيئة .

وعلم وظائف الاعضاء يرى أن هذا العضو حساس وأنه معين على إتمام عملية التخصيب ، وأن قطعه وإنهاكه يبعد الشهوة ، وإتمام العملية من المرأة الذى به تتم عملية الإخصاب ، ومن ذلك يرى بعض علماء الاجتماع أن الخفاض سبب في انتشار المخدرات في البلاد التى تزاوله ومنها مصر لأن الزوج يجد شهوته أقرب من شهوتها ، وأنه يفتنى قبل انتهائها ، ويشعر أن هذا يجعل العملية ناقصة تسبب ألما للزوجة وذلك يدعو إلى بغضها فيريد أن يكمل هذا النقص فيه ويجعل موافاة الشهورتين على قدره فيستعين ببعض العقاقير التى شاع خطأ أنها تبطل موافاة المساء من الرجل وذلك الحشيش والأفيون والمعاجين التى يدخلان في عناصرها ويزيدون فيقولون :

إذا أريد القضاء على آفة استعمال الحشيش والأفيون والمواد المخدرة فينبغى القضاء على أسبابها وهو خفاض المرأة لتسكون المرأة طيبعية ويكون الرجل طبيعياً فلا يحتاج إلى هذه المواد كعنصر مساعد .

وأن على العالم الشرعى بعد ذلك أن يبحث في نصوص الشرع ويرى هل هذه النصوص ملزمة حتماً للخفاض فلا مندوحة عنه ، أم ليست كذلك ففيه مندوحة عنه . قد علمنا أقوال الفقهاء وأقوال رجال العلم في ختان المرأة ، وعلمنا أن من الفقهاء من قال بأنه مكرمة وليس بواجب ومنهم من قال ليس في الختان خبر يرجع إليه ولا سنة تتبع .

والعلم يرى أنه يضر بالحياة الزوجية ويؤدى إلى انتشار المخدرات بين الرجال ، فإذا ثبت كل ذلك فأمره سهل جداً فليس على من لم تحتن من النساء من بأس ومن اختنت فيجب ألا ينهك هذا العضو منها ، وإذا منع في مصر كما منع في بعض البلاد الإسلامية كتركيا وبلاد المغرب فلا بأس ، والله الموفق للصواب .

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

الفكاهة في الأدب العربي

إن الضحك خلة إنسانية ، ولذا قال بعض الفلاسفة في تعريف الإنسان : إنه حيوان ضاحك ، كما قال البعض الآخر : إنه حيوان ناطق .

وذلك لأن الضحك ظاهرة تفرد بها دون سائر الحيوان .

أما فقهة القرد فليست من الضحك إلا في الصورة والصوت ، والبيغاء قد تحاكي الإنسان الضاحك كما تحاكي الإنسان المتكلم .

ولكنها جميعاً أصداً وأصوات ليس لها من التمييز المنطقي نصيب .

فالضحك ظاهرة نفسية يعبر بها الضاحك عن حالة عقلية ولكن لماذا يضحك الضاحك ؟

لقد بحث كثير من الفلاسفة وعلماء النفس في هذه الظاهرة ، واختلفت آراؤهم في تعليلها .

ففریق يرى أن الضحك حركة جسمية أو عملية جثمانية تنشأ من تحول الإحساس فجأة من الأعصاب إلى العضلات . فإن من المقرر في علم النفس أن التأثر إذا اشتد وألحف على الأعصاب تجاوزها إلى العضلات فظهر عليها في حركة عنيفة أو رقيقة على حسب قوته واشتداده .

فإذا حبس التأثر أو الانفعال في طريقه فجأة ، تحول بغير إرادتنا من الأعصاب إلى أسهل العضلات حركة وأسرعها تأثراً وهي عضلات الوجه والشفيتين ثم عضلات العنق والرتين فتتحرك بالابتسام أو بالضحك أو بالقهقهة ، أو بالوقوف والاختلاج عند من يغلبه الضحك وتهتز له عضلات الجسم كله .

والدليل على ذلك عند أصحاب هذا الرأي هو أننا نضحك إذا غلبنا التأثر وتحول من العصب إلى العضل أياً كان الموحى به والباعث عليه ، فنضحك من الغيظ والالام ، ونضحك الضحكة المستيرية التي يفرج بها المكروب عن أعصابه المكظومة كأنما يخفف عنها بنقل شيء من ضغط الاحساس عليها إلى العضلات .

والفكاهة تضحكننا لأنها تفاجئ التفكير بحالة غير مرتقبة وتعجله عن انتظار النتيجة في طريقها الممهد للمألوف .

ومن أصحاب هذا الرأي (هربرت سبنسر) وهو من فلاسفة القرن التاسع عشر .
ففي كل نكتة أو فكاهة ، شيء من هذا التحول ، ولذلك تعد النكتة أو الفكاهة باردة
إذا لم تكن محكمة للتلفيق ، متفقة للتزييف ، بحيث تهجم على الاحساس هجوما وتفاجئ
الذهن مفاجأة .

وهناك مذهب يقول : إن علة الضحك في الفكاهة هي اختلال في القياس أو الاطراد
على نسق واحد لا يوجب الاطراد . فالفكاهة إنما تنفج من الحقائق المتباعدة والصور
المتناقضة كقول ابن الرومي في رجل اصلع :

يأخذ أعلى الوجه من رأسه أخذ نهار الصيف من ليله

فقد ألف بين صورتين متباعدتين ، وهما أن صلح الرجل جعل وجهه مغبراً على رأسه
أخذاً منه كما أن زايده نهار الصيف يحرق من تناقص ليله .

والضحك في رأى (مكندوجل) هو وسيلة ابتكرتها الطبيعة لنشئ ما يشبه التوازن
في نفسية الإنسان ، فهو مضطر بحكم اجتماعه بسائر الأفراد ، وبحكم ما غرز في جبلته من ميل
نحو مشاركة الغير في همومه وأحزانه أن يحمل كثيراً من مصائب الناس . ولو كلفه المجتمع
من هذا العبء ما يكلفه دون أن يحد منه أو ييسر عليه حمله ، لفدحه ذلك العبء وبهظه .

فكان حتماً إذن أن نضحك من غيرنا في المصائب الصغرى لنحزن معهم في السكوارث الكبرى .
فإذا خدش القط لإصبع الطفل ثار منا الضحك ، أما إذا عضه كلب فهشم أصابعه فإنه
يتحرك في نفوسنا الحزن والأسف .

وإذا أصيب رجل في وجهه برذاذ من الوحل ضحكنا ، أما إذا أصابته شظايا قنبلة فعرضته
للخطر حزنا وأسفنا .

ولعل هذا هو السر في قوله تعالى بمتنا على خلقه ، مذكرا لهم بفضلهم ومقدرته
، ولأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا ، .

يقول الجاحظ في كتابه البخلاء تعليقا على هذه الآية :

فوضع الضحك بازاء الحياة ، ووضع البكاء بازاء الموت ، والله لا يضيف إلى نفسه القبيح ولا ين على خلقه بالنقص .

والرأى عندى أنه ليس للضحك علة واحدة أو سبب واحد ، فالتناس علة واحدة لجميع الضحك خطأ لا يؤدي إلى رأى صائب . لأن الضحك وإن كان اسمه واحدا إلا أنه ليس بظاهرة واحدة حتى يكون له سبب واحد .

أما الأهداف التى تستعمل لها الفكاهة أو الضحك فكثيرة ، منها :

أولاً : أن الفكاهة وسيلة يهون بها الإنسان على نفسه عبء الحاضر كما يدرىه بالنسيان كوارث الماضى ويستعين بالأمل المشرق على ظلمة الغيب المجهول . وليس للإنسان منصرف ولا محيد عن هذه السبل الثلاثة يخفف بها عنث الزمان وقسوة الحداث . فلولا نعمة النسيان لازدحمت الذاكرة بفرواح الماضى حتى تنوء بحملها . ولولا الأمل لاجتمعت مخاوف المستقبل فترتد أمامها الإنسان جازعاً فازعاً . ولولا الضحك نواجه به الحاضر لكان لنا من حادثاته ما ينقض ظهورنا ويهد كيانتنا .

ثانياً : أن الفكاهة أداة اصططنعها المجتمع لتأديب أفراده ، فقد تواضع الناس فى كل جماعة على لون من السلوك لا يجوز للفرد أن يخرج عليه إلا إذا أراد أن يضع نفسه موضع الضحك المتصل ، والفكاهة اللاذعة حتى يرتد إلى حظيرة المجتمع .

فالضحك أو الفكاهة فى هذه الحالة سوط من أسواط التأديب ووسيلة من وسائل الإصلاح .

أنظر إلى قول المتنبي فى رجلين قتلا جرذاً وأبرزاه ليعجب الناس من كبره .

وأيكما كان من خلفه فإن به عضة فى الذنب

فهذه صورة فكهة مضحكة فى هذا البيت : صورة شجار بين رجلين وبين جرذ ، فادعى الشاعر - ليسخر منهما ويستزى من ثغرها - أن أحدهما قد عض الجرذ فى ذنبه .

وهنا تختلط الفكاهة بالسخرية ، فينبغى أن نفرق بينهما .

السخرية من العقل ، والفكاهة من القلب ، فالساخر ينال غيره والفكاهة قد ينال نفسه .

والساخر يترفع ، والفكاهة يتساوى ويتزل ، فالساخر من الارستوقراطية ، والفكاهة

من الديموقراطية .

وأكثر السخرية سيء خبيث ، وأكثر الفكاهة ودود لطيف .

والسخر يطعن ، والفكاهة تصدم .

على أن من السخرية ما هو رفيق لين يمازجه العطف وبخاطله الرفق وفيه ضحك ، وربما يستخدم في الأغراض التي تستخدم فيها الفكاهة .

الهدف الثالث من الفكاهة هو أنها تستخدم لونا من ألوان الحجة ، وضربا من ضروب البرهان ، وطريقا من طرق الاقتناع . وأوضح مثل لذلك الجاحظ في كتاباته ، فكان يخلط الحقيقة الجافة بالفكاهة الحلوة ، والجسد المسّم بالضحك المؤنس ، والبرهان المقنع بالنهك المومع .

لقد توفرت لديه كل أركان الفكاهة السائغة ، والدعابة المسكتة من قصر في القامة وجموح في العينين ، وسواد في الوجه ، ودمامة في الحلقة ، وبشاعة في المنظر .

وقديما اشتهر بشار بالدعابة المسكتة ، والفكاهة والذكىة اللاذعة المخرجة .

روى صاحب الأغاني عن بعض الكوفيين يقول :

مررت ببشار وهو منبطح على الأرض كأنه جاموسة فقلت له يا أبامعاذ من القائل :

في حلقى جسم فتى فاحل لو هبت الريح به طاحا

قال : أنا .

قلت فما حملك على هذا الكذب ؟ والله إنى لأرى أن لو بعث الله الرياح التي أهلكت بها الأمم الخالية ما حركتك من موضعك .

فقال بشار : من أين أنت ؟

قلت : من أهل الكوفة .

فقال : يا أهل الكوفة ، لا تدعون نفلكم ومقتكم على كل حال .

دخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدي ، وبشار بين يديه يفشده قصيدة امتدحه بها .

فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد - وكانت فيه غفلة - فقال له : يا شيخ ما صناعتك ؟

فقال بشار : أثقب اللؤلؤ .

فضحك المهدي ثم قال لبشار : اعزب ويك ، أتقنا در على خالى ؟ فقال له : وما أصنع به ؟ يرى شيخا أعشى ينشد الخليفة شعرا ثم يسأله عن صناعته .

أتى الجاحظ يوما ثقيلا فقال له : قد سمعت أن لك ألف جواب مسكت ، فعلبنى منها . قال الجاحظ : نعم .

فقال له الثقييل : إذا قال لى شخص يا ثقييل الروح ، فأى شىء أقول له ؟ .

فقال له الجاحظ : قل له صدقت يا هذا ولم تكذب .

وقال الجاحظ مرة : ما أخرجنى أحد مثل امرأة رأيته فى مدينة العسكر ببغداد ، وكانت طويلة القامة وكنت على طعام ، فأردت أن أمازحها فقلت : أنزلى كلى معنا . فقالت : أصعد أنت حتى ترى الدنيا .

والهدف الرابع من أهداف الفكاهة هو النظر فحسب .

والهدف الخامس أنها قد تتخذ وسيلة لتحميلها خبيث الآراء وفاسد المعتقدات ، والتواورى وراءها للفكر الخطر من الآراء التى لا تبجح قوانين المجتمع نشرها . ففراراً من العقاب ونجاة من الأذى يلبسون الفكاهة تلك المذاهب ويحملون النكته تلك الآراء .

كما حكى الجاحظ عن الشرقى القطامى أن ابن أبى عتيق لقي عائشة رضى الله عنها على بغلة فقال : إلى أين يا أماء ؟

فقالت له : أصلح بين حبين تقاتلا .

فقال ابن أبى عتيق عزمت عليك إلا ما رجعت ، فما غسلنا أيدينا من يوم الجمل حتى نرجع إلى يوم البغلة .

فهذه حكاية أوردها الشرقى لغله ودغله على وجه النادرة لتحفظ ، ويضحك منها ويتعلق بها من غفل وقلت فطنته ، فيكون ذلك أنجح وأنفع لما أراد من التعرض لقدر أم المؤمنين رضى الله عنها .

ومثل هذه الفكاهات كثيرا ما تصدر من المترندين والملحين والإباحيين الخارجين على قوانين الاخلاق وتقاليد المجتمع .

استأذن أبو العيناء يوما على الوزير صاعدين مخلد ، فقال له الحاجب : الوزير مشغول فانتظر .

فلما أبطأ أذنه قال للحاجب : ما يصنع الوزير ؟ قال يصلى . فقال صدقت ، لكل جديد لذة . يعيره بأنه حديث عهد بالإسلام ، والهدف السادس أن الفكاهة تتخذ وسيلة من وسائل الشفاعات والتوسط فى قضاء الحاجات لما يعقبها من سرور وما يكتنفها من خفة ومرح . فكم من ظريفة من الخطاب ومليحة من الجواب خلصت من الهلاك .

قال الأصمعى :

خرج الحجاج متصيدا فوقف على أعرابي يرعى لبلا وقد انقطع الحجاج عن أصحابه . فقال : يا أعرابي ، كيف سيرة أميركم الحجاج ؟ فقال الاعرابي : غشوم ظلوم ، لا حياء الله ولا بياه . قال الحجاج : فلو شكوتموه إلى أمير المؤمنين . فقال الاعرابي : هو أظلم منه وأغشم ، عليه لعنة الله . قال الأصمعى : فبينا هو كذلك إذ أحاطت بالحجاج جنوده ، فأرما إلى الاعرابي فأخذ وحمل .

فلما صار مهم قال : من هذا ؟ قالوا : لأمير الحجاج . فعلم الرجل أنه قد أحيط به ، فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ، فناداه : أيها الأمير . قال : ما تشاء يا أعرابي ؟ قال : أحب أن يكون السر الذى بينى وبينك مكتوما . فضحك الحجاج وخلي سبيله . فكاهة الامة مرآة تصور أخلاقها وأسرار مزاجها .

رلاهل مصر شهرة فائقة فى الفكاهات والدعابة خفة فى الروح وظرف فى النفس وصفاء فى الطبع وبديهة فى الجواب .

كان للمرحوم الاستاذ عثمان لبيب الذى كان أستاذاً للرياضة بدار العلوم حمار يتنقل عليه فى دروب القاهرة وفى الذهاب للقيام بعمله ، فسرقه اللصوص . فبلغ الخبر المرحوم الاستاذ محمود سلامه صاحب جريدة الواعظ ، فقال يرئى الحمار المسروق مداعباً مفاكها :

قف بسوق الخير وانظر مليا هل ترى أدهما أغر الحيا

موكفاً ملجماً معداً مهبياً	خلسته يد اللصوص صباحاً
صفصفاً خاوى العروش خليفاً	غفلاً اصطبله وأصبح قاعاً
قانع النفس راضياً مرضياً	كان يا حسرتاً عليه صبوراً
حامداً شاكراً ولم يشك شياً	كم ليال على الطوى قد طواها
كان في الزهد راغباً وتقياً	لا لفقر وضيق عيش ولكن
كان في أمة الخير نبياً	لو أتاح الإله لهم رسلاً
جحش عثمان قد عدمناه حياً	ليت شعري أين الأمان وهذا
وخليلاً لدى المقام صفياً	كان عوناً له إذا رام ظمناً
وإن قلت (حاً) انتضى سمهرياً	كان ان قلت (هش) أجا بك طوعاً
ساليوه فسوف يلقون غياً	لك خير العزاء عثمان ، أما

عبد الوهاب محمود

أستاذ الأدب العربي - كلية الآداب بجامعة فؤاد

أول مدرسة للطب في أوربا

أول مدرسة أنشئت للطب في أوربا هي المدرسة التي أنشأها أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر الأموي في قرطبة .

وقد امتلأت الأندلس بالمدارس لجميع العلوم في عهد العرب ، بما لم يكن له نظير في أي مملكة أوربية أخرى يومئذ .

بل يقال إن جامعة (مونبليه) الطبية في جنوب فرنسا كان للعرب فضل في تأسيسها .

نظرات في كتاب الأموال

في الفقه الإسلامي

للدكتور محمد يوسف موسى

هذا كتاب في الفقه وضع على نمط جديد . وهو تذليل سبل الفقه وجمع أطراف مباحثه وتقريره من لغة القانون ونهج الدراسات الحقوقية في هذا العصر . وقد استتبع هذا ذكر آراء الفقهاء ووجهة أنظارهم واختيار أدانها إلى مصالح الناس ، مع ذكر رأى القانون بجانب الفقه ، فكان في ذلك دراسة متمعة مفيدة . وكان هذا منهجا مفيدا لما يسمونه « الفقه المقارن » وأحسب أن « الفقه المقارن » ، حل محل علم يتصل بالفقه ؛ كان يعنى به قديماً ، وقد وضعت فيه التصانيف العديدة ، وهو علم الخلاف . وأساسه ذكر المسائل الفقهية المختلف فيها ، وذكر الأدلة المذهبية والحجج لها . ويقتصر صاحب الكتاب لمذهبه . وقد يتبع سبيل النصفه ، فلا يبالي أن ينتصر لغير مذهبه . وقد بقي بعض هذا في كتب الحنفية ، فهي تعرض لخلاف الشافعية ، وتطيل في ذكر حججهم والرد عليها .

ولقد أبان الأستاذ الصديق الدكتور محمد يوسف موسى الباعث له على هذه الخطوة المبذوعة في الفصل الذي جعل عنوانه : « (١) الغرض من دراسة الفقه الإسلامي » . ذلك أنه حدث في الآونة الأخيرة في عصرنا أن مال بعض من يوكل إليهم سن القوانين في مصر إلى جعل الشريعة هي الأساس الأول الذي يبنى عليه التشريع ، بعد إقرار مؤتمر القانون المقارن الذي عقد في لاهاي سنة ١٩٣٨ باعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع . وقد ذكر في هذا الصدد أن من العقبات في هذا الغرض الكريم عسر فهم الشريعة من مصادرها الحالية ، ونأيها عن الطرق المذلة التي جرت عليها دراسة القانون . فانتدب الأستاذ للقيام بهذا العمل النبيل وهو خير من يتولى هذا الأمر ، فقد حنق الثقافة الأزهرية والثقافة الغربية التي هي عماد القانون .

وقد بدأ عمله بدراسة (العقد) في الفقه الإسلامي . والعقد أساس المعاملات ، وبحوثه متفرقة في كتب الفقهاء . فعنى المؤلف بجمعها ، وتسكين وحدة متماسكة منها ، حتى يكون الدارس على بينة منها ، وعلى بصيرة في أحكامها ، وفهم لمراميها .

وصدر الأستاذ كتابه بمدخل لدراسة الفقه ، ضمنه علماً جماً ، ومعرفة واسعة في تاريخ التشريع والمذاهب الفقهية ورجالاتها ، وأصول الفقه ، وغير ذلك من الدراسات الجليلة . ولقد أشاد المؤلف بالفقه الإسلامى ، وأبان عن مآثره ، وجلى من مزاياه وفضله على القانون في الفصل الذى عقده تحت عنوان : «^(١) طبيعة الفقه الإسلامى وخصائصه ، وهو فصل لا يبين فضله إلا بقرائه ؛ فهو عظيم الخطر ، حميد الأثر .

هذا الكتاب إذن حرى بحسن الاستقبال ، خلى أن يكرم ويعرف له حقه . وقد نال هذا ، فأحسن الناس استقباله . وعرفوا له مكانته وشأنه .

ومن حسن استقباله أن يدرسه الدارسون ، وينقده الناقدون ، وأن يتناول كل ما فيه من دققة وجليلة بالبحث والتحصيل .

وكتبت مجلة الأزهر الجليلة في جزء شعبان ١٣٧٢ (ص ١٠١٨) عن الكتاب فقرظته ونوهت به ، وأولته حقه من الثناء بما هو أهله .

والكتاب الذى عرض لكبرى المسائل وأجل البحوث والدراسات العالية ينبغى أن تمكث الكتابة عنه ، وتسجل شتى النظرات فيه ، عرفانا بجلاله وخطره .

لهذا لم أر من الحديث المعاد ولا الكلام المكرور أن أعيد النظر فيه وأن أدون نظرائى في هذا البحث .

وهمنى أن أذكر بعض ماغض في الكتاب رغبة في استجلائه ، أو بعض أشياء أرى فيها غير ما يرى الأستاذ ، وسيلنا جميعاً إن شاء الله التهدى للحق ، وابتغاء طريقه .

١ — في ص ٢٢ عرض الأستاذ للسنة ، المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن ، وليبيان الرسول عليه الصلاة والسلام للأحكام ، وهو فى هذا يقول : « فكان الرسول إذا سئل عن مسألة أوجدت حادثة تقتضى حكماً من الشارع ينتظر الوحي السماوى ، فإن نزل بالمراد فيها ، وإلا كان هذا إيذاناً من الله بأنه وكل إلى رسوله أن ينطق بالتشريع اللازم ، ومعلوم أنه لا ينطق عن الهوى ، وأحياناً أخرى كان الرسول يجتهد فى الحكم ثم يصدر رأيه . وهنا لا يقره الله على هذا رأى إلا إذا كان صواباً ، وقد وقفت عند الحالة الثانية ماذا يراد بها ،

إن هنا فروضاً ثلاثة: أن يوكل إليه التشريع بمقتضى الوحي ، أو بمقتضى اجتهاده ، أو يصدر التشريع من تلقاء نفسه ، لا يعتمد فيه على وحى ولا على اجتهاد .

والفرضان الأولان لا مجال للتصير اليهما ؛ لأنهما الحالة الأولى والثالثة ، والحالة الثانية مباينة لهما ، فلا تدخل في إحداهما . فالحالة الثانية اذن أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يشرع الأحكام من غير استناد إلى وحى ولا اجتهاد ، فهو لا يتلقى الحكم من الوحي ، ولا يقيس على ما جاء من الوحي أو يستلهم روح الشريعة - كما يعبر المؤلف عن الاجتهاد في بعض الأحيان - وإنما يرتجل الحكم ارتجالاً . فهل يريد المؤلف هذا ؟ .

يقول المؤلف في ص ١٣٨ : « أساس هذا الفقه إذاً هو وحى الله تعالى . هذا الوحي الذى نجده في كتابه الكريم . وسنة رسوله العظيم الذى لا ينطق عن الهوى ، فتراه يجعل السنة راجعة إلى الوحي . وهذا يوافق ما نقله المؤلف في ص ١١١ عن الأوزاعي إذ يقول : « إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فإياك أن تقول بغيره ، فإنه كان مبلغاً عن الله ، ويقول الغزالي في المستصنى ١/١٢٩ : « إن بعض الوحي يتلى فيسمى كتاباً ، وبعضه لا يتلى وهو السنة » .

وفي الحق أن ما يرد في السنة من الأحكام قد يرد تطبيقاً لقاعدة سبق تشريعها . وهذا أمره ظاهر ، ولا يقال : إنه ثابت بالاجتهاد ، فأمره أيسر أن يحتاج إلى ذلك . ومن أمثلته ما رواه سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن شراء التمر بالرطب ، فقال النبي ﷺ : « أينقص الرطب إذا يابس ؟ قالوا : نعم فنهى عن ذلك . رواه الشافعى في الرسالة ٣٢٣ ، وهو في الموطأ .

ومن السنة ما جاء بوحى ظاهر لا مرية فيه ، وذلك كبيان الصلاة وأنها خمس ، فقد أوحى إليه ذلك في ليلة الإسراء ، كما هو معروف ، ومن ذلك مقادير الزكاة ، وغيرها ، وهذا يطرد في سائر السنة .

ولما قيل إن السنة مبينة للكتاب فرجع البيان للوحى . ويذكر المؤلف في عدة مواضع أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يستلهم في البيان روح القرآن ومقاصده ، وذلك كما ذكره مثلاً في ص ٢٧ . ومن البين أن المجمل كالصلاة والزكاة لا يبين باستلهم روح القرآن ومقاصده . بل لا بد في هذا من البيان الصريح يتلقاه الرسول عليه الصلاة

والسلام من الشارع الحكيم ، وحظه من ذلك التبليغ ، وهذا على حين لا يزال الوحي ينزل لبيان المجمل وتقييد المطلق وتجلية اللبس والإبانة عن الأمر بالحق اليقين ، وهذا هو الذي استقر عليه الفقهاء والأصوليون ودانوا به ، ولزموه مذهبا لهم وإماما .

على أن إعطاء الرسول عليه الصلاة والسلام سلطان التشريع رأى قال به قوم في بدء البحث في هذه الأمور ، ورغب الناس عنه ، وصار قولاً مهجوراً . وقد حكاه الشافعي في الرسالة ^(١) إذ يقول : « والوجه الثالث ما سن رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نص كتاب . فمنهم من قال : جعل الله له بما افترض من طاعته ، وسبق في علمه من توفيقه لرضاه ، أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب » . وقد احتج الشافعي بعد للقول أن كل ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام بالوحي أو بما يلقي في روعه .

ونرى هذا الرأي بعد مسألة نظرية جوازية غير واقعية . وقد ذكرها أبو اسحق الشيرازي في اللع في أواخر الكتاب حيث يقول : « ويجوز أن يتعبد الله نبيه ﷺ بوضع الشرع ، فيقول له : افرض و سن ما ترى أنه مصلحة للخلق . وقال أكثر القدرية : لا يجوز . وهذا خطأ ؛ لأنه ليس في تجويز ذلك إحالة ولا فساد ، فوجب أن يكون جائزا » .

٢ — وفي ص ٢٦ يذكر أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الذي بين أن المراد بشهر رمضان « الشهر القمري لا الشمسي ، وأن الصوم يكون من الفجر إلى الغروب » . ورمضان من الشهور العربية القمرية ، وهو في ذلك غنى عن البيان . ووقت الصوم ورد به البيان في قوله تعالى : « وكلاوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل . اللهم إلا أن يرى المؤلف إلى ما وقع فيه بعض المسلمين من حمل الخيط الأبيض والخيط الأسود على حقيقتهما . وقد رمى بالغفلة وقلة الفطنة . » ^(٢) وروى البخاري ومسلم عن سهل بن سعيد قال : نزلت (وكلاوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) ولم ينزل (من الفجر) فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله (من الفجر) فعملوا أنه يعني بذلك بياض النهار .

(١) ص ٩٢ طبعة الاستاذ الشيخ أحمد شاكر .

(٢) تفسير الفرطبي ٣١٩ / ٢

٣ — وفي ص ٢٤ في الحديث عن اجتهاده عليه الصلاة والسلام ندت من الكتاب كلمة وددت لو لم يقع فيها ، ولا مربية أنها فلتة لم يلق إليها بالا . وذلك إذ يقول : « فقول الله تعالى . (عفا الله عنك لم أذنت لهم) ينطوى على أن الرسول لم يصحبه توفيق الله في اجتهاده ، وإذنه لمن استأذنه ، .

٤ — وفي ص ١٢٠ يذكر عن السنة أنها تجيء في الاحتجاج بعد الكتاب ، ثم يقول : « فلا يصار إليها إلا عند عدم نص من القرآن يفي بما يريد ، والعمد بالفقهاء أن يستدلوا على الحكم بالكتاب والسنة ، ويتطلبوا السنة فيما جاء به الكتاب ، ويقول الشافعي في الرسالة : «^(١) فلم أعلم من أهل العلم مخالفا في أن سنن النبي من ثلاثة وجوه ، فاجتمعوا منها على وجهين والوجهان يجتمعان ويتفرعان . أحدهما ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فبين رسول الله مثل نص الكتاب ، .

٥ — وفي ص ٤٢ يذكر أن عليا رضي الله عنه رد حديثاً رواه معقل بن سنان في المفوضة التي مات عنها زوجها دون أن يسمى لها مهرا ، وآثر أن يقيس هذه المسألة على الطلاق ، ولم يأخذ بما في الخبر أن لها مهر مثلها . ويقول المؤلف : « فقدم القياس على خبر الواحد ، وهو مذهب الاحناف ، على حين أن عبد الله بن مسعود لا يرى هذا القياس بل يرى الأخذ بخبر الواحد الذي رواه عن الرسول معقل بن سنان ، . ويتضمن هذا الكلام أمرين :

الامر الأول أن الإمام علياً رضي الله عنه يقدم القياس على خبر الواحد ، وهذا يكاد يكون مخالفا لما استقر عليه الاجماع أن الصحابة كلهم يأخذون بخبر الواحد ، ولا يلجأون الى القياس ما وجدوا خبراً عن الرسول عليه الصلاة والسلام وانما كان همهم أن يستوفوا من الرواية وتختلف طرقهم في ذلك .

والمرئى عن علي رضي الله عنه أنه كان يستحلف من يروى له الخبر عن الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويقول أبو إسحق الشيرازي في اللع^(٢) : « وكان علي - كرم الله وجهه - يرجع إلى أخبار الآحاد ، ويستظهر فيها باليمين . وقال : إذا حدثني أحد عن رسول الله ﷺ أحلفته

فإذا حلف صدقته ، إلا أبا بكر . وحدثنى أبو بكر ، وصدق أبو بكر ، . وكان أبا يوسف صاحب أبي حنيفة لم يبلغه خبر علي على تمامه ، فهو يقول ^(١) : « وكان علي بن أبي طالب لا يقبل الحديث عن رسول الله ﷺ » .

وقد لاحظ هذا الشيخ الحضري فكتب في حاشية كتاب « التشريع الإسلامي ، تعقيباً على كلام أبي يوسف ^(٢) » المعروف أنه كان يستحلف الرواة . وقد منا ذلك ، وهو يشير إلى ما جاء في ص ١٢٦ من كتابه ، وهو في معنى ما رواه أبو إسحق الشيرازي ، وإنما رد على رضي الله عنه خبر معقل لأنه رآه أعرابياً لا يضبط ما يروى . ويذكر صاحب التلويح في أصول الحنفية أن علياً قال فيه : « ما نصنع بقول أعرابي بوال علي هقبية ، فرد خبره لأنه خبر واحد . ولكنه لأنه لم يستأهل أن يكون من أهل الرواية عنده .

ويذكر المؤلف أن القياس في مسألة المفوضة لا يتفق مع خبر معقل . وهذا بالنظر إلى الطلاق . وهناك قياس أظهر منه ، وهو القياس على الدخول ، فإن الموت والدخول يجتمعان في إيجاب العدة ، فالموت يوجب المهر كالدخول وهذا ما جاء به خبر معقل . وقد أخذ الحنفية بهذا ؛ كما في التلويح .

والأمر الثاني أن الحنفية يقدمون القياس على خبر الواحد . وليس هذا صحيحاً على إطلاقه ، فعندهم أن الراوي إذا كان من أهل الفقه والرواية قدم خبره على القياس . ولهم في هذا تفصيل يعلم من كتبهم .

(للبحث بقية)

محمد علي النجار

(١) انظر الأم للشافعي ٣٠٨/٧ في سير الأوزاعي .

(٢) ص ٢٠٢ طبعة المكتبة التجارية .

كِتَابُ غُرَبَاءَ عَنْ الْإِسْلَامِ

١ - الدين المقارن : للدكتور ا. س. بوكيه - ١٩٥٠ - ٣١٩ صفحة

Comparative Religion - by A. C. Bouquet.

يهدف الدكتور بوكيه - أستاذ التاريخ والدين المقارن بجامعة كامبردج - إلى كتابة قصة واضحة على منهج علمي ، ومن ثم يحاول - بنجاح ملحوظ - الكتابة من وجهة نظر موضوعية ، وهو لا يكتب هذا الوصف للأديان الكبرى في العالم للقارئ العادي غير المتخصص في الموضوع ، فإن مثل هذا القارئ لا يلبث حتى يجد نفسه حائراً أمام كتاباته عن أديان العالم جميعاً كما يؤمن بها أصحابها ويأرسون عبادتها .

وقد خص الفصل العاشر من كتابه هذا ، ص ٢٦٤ - ٢٨٣ ، بالكتابة عن الدين الإسلامي ، فتحدث عن الصلاة ، وعن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو حديث لا يرضى المسلمين ولا التاريخ لتجنبه على الحقيقة وبعده عن الواقع ، ثم يناقش طبيعة الرسالة المحمدية ، والقرآن وتطور الفقه والتعليم في الإسلام ، وعلى الرغم من ضيق صفحات الكتاب ، فقد بذل المؤلف غاية جهده في استيعاب الموضوع ؛ كما تحدث عن التصوف الإسلامي في باب التصوف عامة أكثر من حديثه عنه في باب الإسلام .

* * *

٢ - أركان الإسلام الخمس : ل. بيفان جونز - ١٦ صفحة .

The Five Pillars of Islam : L. Bevan Jones.

مؤلف هذا الكتيب كان عميداً لمدرسة هنري مارتن للدراسات الإسلامية بجامعة عليجرة ، ونشرته جمعية الإخوان الإسلامية ، بوصفه العدد الثاني في سلسلة كتب «أضواء على الإسلام» .

بدأ الكاتب بالتمييز بين «الإيمان» و«الدين» ، ثم تناول كلا من أركان الدين ، فوصفها في إيجاز شارحاً إياها شرحاً يستفيد منه غير المسلمين ، والكتيب - في صورته الموجزة - وصف واضح للناحية النظرية للدين .

ويلاحظ أن الناشر قد وضع على غلاف هذا السكتيب الإسلامى صورة أحد المعابد الوثنية !

* * *

٣ — الإسلام : عقائد وعبادات : ا. س. تريتون - ١٩٠ صفحة .

Islam : Beliefs and Practices : A. S. Tritton London - Hutchinsons Un. Library - 1951.

كتاب فى حجم كتب الجيب يعطينا " تقريراً عن أصول الإسلام ، مع بيان بعض المفارقات الواضحة ، . أما الكاتب فهو أستاذ اللغة العربية السابق فى مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن .

والكتاب مليء بمعلومات طريقة فى أسلوب موجز ، وذو أهمية كبيرة لمن له معرفة سابقة بالدين الإسلامى ، نظراً لشدة إيجازه وازدحام الحقائق فيه .

ولما كان المفروض أن يستطيع القارئ التمييز بين وجوه الإسلام الخاصة ، وبين وجوهه العامة ، فإن القارئ الذى يجهلها ، يجد صعوبة فى معرفة أى الفقرات تتحدث عن العادات اليومية وأياها تتحدث عن العادات غير المألوفة .

ويبدأ الكتاب بفصل عن رسالة النبي ، والقرآن ، والاركان الخمس . وعلى الرغم من أن الكتاب يهدف إلى النقد ، إلا أنه مشوب بروح الود . وفهم الاساس التاريخي .

كما يتحدث المؤلف عن : الحديث ، وعقائد الإسلام ، وشرائعه فى إسهاب .

وتمت فصل عن الفرق sects يحوى مادة لا يعرفها الكثيرون من الغربيين ، وعقد لحديثه عن التصوف فصلاً استعمل فيه الاصطلاحات الصوفية ، كما ذكرها المتصوفة ، وترجمها إلى الإنجليزية .

وبما يؤخذ عليه فى الأصول السابقة عدم ذكره لمصادر ما اقتبس من نصوص .

ويتحدث بعد ذلك عن الدولة والعدالة والتعليم والحياة الاجتماعية والنظريات الاخلاقية ، والزواج والرق والخرافات ، ثم بحث موجز عن الحركات الحديثة المقترنة بنشأة الفرق ، الجديدة فى إيران والهند .

وينتهى الكتاب بفهرست للأعلام والمراجع .

ويعلن الأستاذ تريون - في نهاية كتابه - تقديره العظيم للإسلام ، وإعجابه بالجم بالمسلمين .

٤ - المختار عن القرآن : جورج لامزا صفحاته ٢٠ ، ٣٧٧ سنة ١٩٤٩ م .

The Short Koran-Edited by George M. Lamsa. Chicago - 1949 PP. XX. 377.

أختار مخرج هذا الكتاب آيات معينة من القرآن الكريم ، ورتبها في ٩١ فصلا ، يحاول أن يعرف العالم الغربي بالدين الإسلامى ، نظرا لازدياد الصلات بين الاثنين عاما بعد عام .

ويذكر محرر الكتاب أنه لم يكن يعرف عن الإسلام شيئا أكثر مما يشاع عنه بين المسيحيين ، حتى شامت عناية الله أن يظفر بدراسته على يد شيخ مسلم ، ومن ثم عرف الإسلام دين الحق .

وتبحث مقدمة الكتاب في السيرة النبوية ، والحالة الاجتماعية في الجاهلية وبعد ظهور الإسلام .

ويذكر الكاتب أن المسيحيين الذين نشأوا حيث ظهر المسيح أقدر على تفهم المسيح من مفكرى الغرب لتباين الثقافات ، ويؤيد حديثه مستشهدا بالأستاذ فويني حين يقول « إن الكنيسة النسطورية والإسلام يقفان جنبا إلى جنب يقاومان تدخل الثقافة اليونانية في الشرق . وقد اعتنق الآلاف من أتباع الكنيسة النسطورية في الشرق الدين الإسلامى بعد أن رأوا في محمد (صلى الله عليه وسلم) « مصلحا للمسيحية » يحمل الرسالة ضد عبادة الصور ، كما وجدوا أن تعاليم بنى الإسلام عن وحدة الله وعن الصلاة والعبادة هي أقرب إلى تعاليم المسيح من الصورة التي يرسمها المسيحيون الإغريق للمسيحية والتي فرضها عليهم الأباطرة البيزنطيون وجاء الإسلام فكان في نظرهم ناشرا لضوء المدنية في العالم كله .

أما فصول الكتاب فتشمل الآيات المختصة بموضوع واحد مجموعة من السور المختلفة ، وجعل لكل نبي فصلا واحدا ، فيما عدا المسيح فقد أفرد له سبعة فصول . كما أفرد فصولا تناولت الأمور العامة مثل الملائكة والصلاة والربا وغير ذلك .

واعتمد محرر الكتاب - نظرا لعدم معرفته اللغة العربية - على ترجمة جورج سيل Sale ، في اختيار الآيات الى تناسب المواضيع التي يتحدث عنها .

ابن المبارك

في بطون التاريخ وأسفاره نفائس من كنوز المثل العليا في العلم والأدب ، والزهد والاستقامة والخلق العظيم جدير بكل طموح أن ينظر فيها ويتزود منها لتدفع به إلى فوق .
ومن هؤلاء ذلك الإمام الجليل (عبد الله بن المبارك) .

* * *

لقد كان عبد الله بن المبارك مثال الرجل العالم الجامع لاشتهات العالم في عهده من الحديث والفقه والعربية وأيام الناس . وإن كانت شهرته بالحديث والفقه هي التي بقيت له .

• — القرآن : Traduction Par O. Pesle et Ahmed Tidjani. Paris - 1950

ونختتم هذا الحديث بالكلام عن ترجمة فرنسية جديدة للقرآن ظهرت في باريس سنة ١٩٥٠ نتيجة لتعاون مسلم جزائري وفرنسي مسيحي . الاول مترجم لإدارة الشؤون الشريفة ، والثاني أستاذ في معهد الدراسات العليا في مراكش . وللترجمة « قاموس قانوني » ، ذكر فيه أرقام الآيات التي تبحث في أمور قضائية كالزواج والطلاق والتبني والبيع والشراء وما شابه ذلك ثم « قاموس جغرافي تاريخي » ، ذكر فيه أسماء الأعلام والبلدان التي وردت في القرآن مرتبة ترتيباً أبجدياً . وبجانب القاموسين تعليقات مختصرة .

وكتب المقدمة أو كتاف بزل أحد المترجمين . والترجمة أسلوبها جيد ، تعتمد على تفسير البيضاوي ، وإن كانت لا تخلو من أخطاء كثيرة .
ورأى الأزهري في ترجمة القرآن معروف .

عمر طلعت زهران

أستاذ في الآداب

ولقد كان على جانب خصيب من الزهد والمروءة والسخاء العجيب ، موطأ الاكتاف رحب الذراع مع شجاعة نادرة في نفس مؤمنة صادقة يجاهد في الله حق جهاده حتى استوت له شخصية زاحمت شخصيات الملوك والخلفاء . ووَضَع في النفوس أسمى من السماء .

ولد ابن المبارك سنة ثمانى عشرة ومائة وتوفى سنة اثنتين وثمانين ومائة ، فهو من أعلام القرن الثانى ، وأفذاذ العصر العباسى الذهبى ، الذى كان يوج بالعلوم والمعارف موجا على اختلافها ، والذى استقرت فيه علوم الشريعة الإسلامية باستقرار الملك والخلافة لآل العباس فظهر الفقه الناضج المرتب على أصوله وتنافس الناس في سنة النبى ﷺ وهى أعز شىء بعد الكتاب عند المسلمين وهى أساس التفسير والفقه ومطلع شمس الهداية في أمة محمد ﷺ . وقد امتاز الموالى في ذلك العهد بأن الكثرة البكثرة من حملة ألوية العلم والثقافة كانت منهم لانهم شاموا أن ينافسوا العرب بما يرفع الإسلام وهو العلم والخلق . وكان ابن المبارك من هؤلاء الموالى وكانت أمه خوارزمية وأبوه تركياً وكان عبداً لرجل من التجار من همدان ، وعاملاً في بستان .

فقد نشأ إذا نشأة الموالى المتواضعة المنافسة في عهد عبت فيه سبل العلم وسهل مشارعه وشجع الخلفاء رجاله بالمال الوفير واسناد المناصب الخطيرة في الدولة إليهم . وابن المبارك على استعداد عجيب نادر يمر وهو في المكتب بخطيب يخطب فيحفظ خطبته ويلقيها كما سمعها .

وقد شغف بالعلم شغفاً شديداً وطلبه عند رجاله من أئمة العلم في مرو وخوارزم وبغداد يرحل إليهم حيثما كانوا يأخذ عنهم ويكتب بين يديهم ويناقشهم ، فتلبذ لإمام دار الهجرة مالك وأخذ عنه الموطأ ، وتلبذ لسفيان الثوري وأخذ عنه ما عنده من الفقه والحديث ، وتلبذ لأعلام تفاخر بهم أمة محمد ﷺ من أمثال الليث بن سعد وشعبة والاعمش والاوزاعي وابن جريح . وكان أكثر أخذهم عن سفيان الثوري ومالك بن أنس ، وما زال في روايته وحفظه . ودرسه وفقهه وانتفاعه بعلمه حتى صار من الأئمة الربانيين في العلم الموصوفين بالحفظ المذكورين بالزهد . وبلغ من الشهرة والصيت مبلغاً جعله لا يراحم ولا يختلف الناس في أمره . وساعد على ذلك أدب وطيب نفس . وسخاء وشجاعة وتضحية . وزهد مع الثراء من التجارة التى كان يلجأ إليها يستعين بها على الإحسان والعطاء .

وقد تلبذ له في العلم من صاروا أئمة في عصره وبعد عصره من أمثال سفيان بن عيينة

ويحيى بن معين وابن أبي شيبة ويحيى بن سعيد القطان وهب الرازي بن همام ويعمر بن بشر وغيرهم من أئمة الدين في الحديث والفقه .

المحدث : وبلغ من منزلته في الحديث أنه كتب عشرين ألف كتاب فيه كما نقلوا عنه ، فهب أنها كراسات صغيرة . أو أن في النقل بعض المبالغة غير أنها تدل على منزلة خطيرة في السنة والرواية .

ولا عجب إذا كان ذلك الزاهد الحافظ الورع يبلغ في السنة هذه المنزلة ، وقد روى أن سائلا قال له :

أتحفظ الحديث ؟ فقال : أنا لا أتحفظ . ولكن إذا أعجبنى شيء علق بي .

وقد تناقل الناس عنه بالسنة وحفظه إياها في عصره حتى حضر يوما عند إمام من أئمة الحديث من ملأ من تلامذته . وهو حماد بن زيد . وكان حماد من العلماء الربانيين المعروفين بالحفظ البارعين في معرفة الآثار وطرق الروايات وأحوال الشيوخ . فقال أصحاب حماد لحماذ : سله أن يحدثنا . فقال حماد : يا أبا عبد الرحمن تحدثهم ؟ فقال عبد الله : سبحان الله يا أبا عبد الرحمن ، أحدث وأنت حاضر ؟ قال : أقسمت لتفعلن . فقال عبد الله : خذوا . وكان أصحاب الحديث بالكوفة إذا تشاجروا في حديث قالوا : مروا بنا إلى ذلك الطيب لنسأله .

وكان أبو أسامة من أئمة الحديث يقول : ابن المبارك في أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس . وشهادات الناس له في الحديث ومنزلته فيهم معروفة مبسطة في كتب الآثار فلا نطيل بها ، وحسبك أن تعلم مبلغ استعداده وتفرغه ونهمه وأن هذا العصر كان عصر إحياء الحديث ورجاله .

الفقيه : كان من الذكاء والقدرة على استنباط الأحكام في منزلة خولت له أن يكون فقيها يزاحم مالكا وأبا حنيفة ويحتج لمذاهبه بما لا يدفع . وكتب كتباً كانت مراجع للعلماء في عصره وبعد عصره حتى قال الإمام يحيى بن آدم : كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده في كتب ابن المبارك أيسر منه . وحتى عده عبد الرحمن بن مهيدي إماما من أربعة لا يذكر غيرهم في الفقه ، فهو يقول : الأئمة أربعة : سفيان الثوري ومالك بن أنس

وحمد بن زيد وابن المبارك . وكان يقدمه على سفيان الثوري ، فقيل له : إن الناس يخالفونك ، فيقول : إنهم لم يجرؤوا ، ما رأيت مثل ابن المبارك . وجائز أن الناس كانوا يقدمون سفيان لأنه أسبق ، ولأنه من شيوخ عبد الله ، على أن إمامة سفيان وفضله وتقدمه لم يمنعه أن يعترف لتلميذه اعترافا دل على مبلغ فضله ، فقد جاء رجل يسأله عن مسألة ، فقال له سفيان : من أين أنت ؟ قال : من أهل المشرق قال : أو ليس عندكم أعلم أهل المشرق عبد الله بن المبارك ؟ قال : هو أعلم أهل المشرق ؟ قال سفيان : والمغرب . وكان إبراهيم بن شماس يقول : رأيت أئمة الناس ، وأورع الناس ، وأحفظ الناس . فأما أئمة الناس فابن المبارك ، وأما أورع الناس ففضيل بن عياض ، وأما أحفظ الناس فوكيع بن الجراح ، ونحن لا يعنيننا أن نبالغ في وصف العلماء وتقديمهم ، وإنما يعنيننا ما فيهم من مثل صالح وقودة تحفز على النشاط وتفريغ أنفسنا للدلم وكسبه وهو أكثر من أن يحاط به .

الفاضل الزاهد السخي المجاهد : كل أولئك وأكثر منهن قد اجتمعت في عبد الله بن المبارك فقد بلغ من زهده في الدنيا وجوده بها . أن كان يتعهد الناس ويلتمس أرباب العثرات فيجبرها ويخفي ذلك ما استطاع ، وقد استفاضت أخباره في ذلك وعرف الكثير من أمره بعد موته لأنه برجو تجارة مع الله لن تبور كما أدبته السنة وكما علمه الكتاب الكريم ، وقد دل على ذلك إجماع الناس على حبه وحفاوتهم به . ولقد كان يتجر في تجارات واسعة وهو صائم الدهر لا شيء إلا لينفق على الفقراء ولا سيما طلبة العلم ورجال الدين . وليسع رجال التصوف والمنقطعين لله عز وجل ، وهل رأيت رجلا يشهد له المعاصرون من أهل المنافسة في حكم العادة فيقول قائلهم (الإمام إسماعيل بن عياش) : ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها فيه . ويستدل ببعض ذلك فيقول : حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم . . .

وخرج من بغداد يريد بلداً تسمى (المصيصة ^(١)) فصحبه الصوفية فأراد أن يكرمهم ويخفي ذلك ما استطاع : قال لهم إن لكم أنفساً تحتشمون أن ينفق عليكم : يا غلام ، هات الطست فألقى على الطست مندبلاً ثم قال : يلقي كل منكم تحت المندبل ما معه فجعل الرجل يلقي

(١) هي من نفود للرابعة والجهاد بين بلاد الشام وبلاد الروم .

وفي أخباره ما يدل على أنه كان يفعل مثل ذلك أيام الحج . يخرج من مرو وقد اجتمع أصحابه ويأخذ ما مع كل منهم فيضعه في صندوق ثم يركبهم من مرو إلى بغداد ويطعمهم أطيب الطعام ثم يكسوم في بغداد ويخرجهم في أحسن زى فإذا وصلوا إلى المدينة سأل كل منهم عما يطلب أهله وعياله من المدينة فيشتريه له . ويفعل ذلك في مكة بعد قضاء الشعائر . فإذا عادوا زخرف لكل منهم بابه وداره ثم صنع لهم وليمة بعد ثلاثة أيام ودفع لكل منهم صرته كما هي من الصندوق . وله في كتب الادب والتاريخ أخبار في قضاء الديون وإقالة العثرات . والانفاق على طلبة العلم والصالحين يخرج استقصاؤها عن القصد والاعتدال .

ولما لامه بعض الناس في تفرقه الأموال في البلدان قال : إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب بحاجة الناس إليهم احتاجوا فإن تركناهم ضاع عنهم وإن أعانهم بنوا العلم لامة محمد ﷺ ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم .

هذا هو العلم الصحيح النافع الذى يزهّد فى الدنيا ويرغب فى الآخرة ويعلم النصيح للأمة
فأين العلماء ؟ لهذا وغيره من صفات هذا الإمام العارف بالله والحق يقول عبد الرحمن
ابن مهدي : ما رأيت أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك .

ومن ذلك ما رواه عبدة بن سليمان المروزي : قال كنا في سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز ففرج إليه رجل فقتله ، ثم دعا إلى البراز ففرج إليه رجل فقتله ، ثم دعا إلى البراز ففرج إليه رجل فقتله ، فازدحم الناس عليه فإذا هو يلثم وجهه بكفه ، فأخذت بطرف كفه فإذا هو عبد الله بن المبارك .

وهكذا أيضا تأتي عظمة نفوس العلماء الفضلاء على العلماء الفضلاء إلا أن ينتفعوا بما في هذا العلم من كنز ثمين في رفعة شأن الدين والدنيا فلقد كفّل السعادة للناس في كل شيء من أمرهم وليس هو بالوضوء والصلاة وغير ذلك من الأعمال التي تحسنها العامة . إن الدين معاملة وإنفاق وجلاد وتضحية وإيمان ، وبالله الهداية والتوفيق .

والظاهر أن ابن المبارك كان يتسم بالقدح المعلى في الجهاد والجلاد ، وقد اشتهر بذلك وكان قدوة صالحة ومثلاً للعالم النبيل في عصره ، حتى روى أن فضيل بن عياض رآه في المنام فقال : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ قال : ما كنا فيه . قال الفضيل : الجهاد والرباط . قال نعم . قال : وأى شيء صنع بك ؟ قال : غفر لى مغفرة ما بعدها مغفرة .

الشخصية : لعلك بعد هذا كله تستطيع أن تدرك مبلغ شخصية ابن المبارك وسمو منزلته في الناس حتى قال عبد الرحمن الجهمضى قال لى الأوزاعى : رأيت ابن المبارك ؟ قلت : لا قال : لو رأيته لقرت عينك . وقال شعبة لأحد العلماء المعاصرين : رأيت ابن المبارك ؟ قال : نعم ، ما قدم علينا من ناحيتكم مثله . وقال أبو عصمة : شهدت شعبان وفضيل بن عياض وقد مات ابن المبارك ، فقال سفيان لفضيل : يا أبا على أى رجل ذهب ؟ فقال فضيل : يا أبا محمد ، وبقي بعد ابن المبارك من يستحى منه ! وقال عبد الوهاب بن عبد الحكم بلغنى أن هرون الرشيد قال لما مات سفيان : مات سيد العلماء .

وبعد فحسبى أن أنقل لك هذه الحادثة وأختم بها حديثى عن ذلك الإمام :

قدم الخليفة هرون الرشيد الرقة فى مناسبة ، وكان ابن المبارك يسير فى طريقه ، فانجفل الناس خلف ابن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة . فأطلت أم ولد لأمير المؤمنين من برج لها فقالت : ما هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان . فقالت : هذا والله الملك ، لا ملك هرون الذى لا يجمع الناس إلا بشرط .

أيها العلماء والطلبة ويا رجال الدين أجمعين ، هذا والله الملك ، يجمعه الله فى توفر العالم على علمه واعتداده بنفسه . واعتزازه بالله وحده . وفى نصحه للسلين . وزهده فى الدنيا ، وفيما يتنافس المنافس فيه بالرياء والنفاق والتزاحم على أبواب الحكم ومن لهم فى الدنيا ، نصيب . فاتقوا الله واطلبوا هذا الملك الذى خول الله لكم ولا تزوروا نعمة الله عليكم فتخسروا الدنيا والآخرة . أسأل الله لى ولكم التوفيق والهداية .

محمود النواوى

الكتب

ديوان ابن عنين

نشره المجمع العلمي العربي بدمشق — بتحقيق الاستاذ خليل مردم — ٢٧٠ ص قالين
شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر بن عنين الأنصاري الدمشقي (٥٤٩ — ٦٣٠)
أديب عالم واسع الرواية للشعر وأخبار العرب متمكن من اللغة متقن لها ، كان يستحضر
كتاب الجهرة لابن دريد ، وهو طويل الباع بالنحو ، مشارك في الحديث والفقه ، لم بفروع
الثقافة الإسلامية لعمده — وكان خفيف الروح كثير الدعابة ماجن ساخر متهم يؤثر الهزل
على الجد ، تعجبه النكتة ولو كان فيها حتفه . وأحب شيء إليه أن يستهزئ بذوى الهيئات
والوقار والتزمت من الفقهاء والخطباء والواعظين ، أدرك في شبابه عصر نور الدين ثم قامت
دولة صلاح الدين ، فكان ابن عنين الشاعر سليل اللسان على الناس يغمز الوزراء ويهجو
القواد والعلماء حتى بلغت به الجرأة أن عرض بصلاح الدين نفسه في قوله :

سلطاننا أعرج وكاتبه ذو عמש والوزير منحذب

فضجر منه الناس وسعوا بإخراجه من دمشق إلى حيث يشاء من البلاد ، فخرج منها
وهو يقول :

انفوا المؤذن من بلادكم إن كان ينفي كل من صدقا

وطوحت به الرحلة إلى العراق وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء
النهر ثم دخل الهند ، وكانت هذه السياحة الطويلة مدرسة له هذبت من أخلاقه ، وعرفته
بقدر بلاده ، وعرف من المقارنة بين ما كان فيه وما صار إليه ، إن الذين كان يهجوهم
هم ملح الأرض ومن خيرة الناس ، فانطلق لسانه يقول :

أحن ومن وراء النهر دارى حنين الود أوثقه العراس

وكيف تبيت تطمع في مديحي رجاها نوالها المعجم الخساس
ولو أنى مدحت ملوك قوى تراغت حولي النعم الدخاس
فإن الناس في طرق المعالي لهم تبع وهم للناس راس

ولم يسعد في بلاد الشرق إلا بلقاء الفخر الرازي فاستفاد ابن عنين من علمه وهباته ، وأخذ عنه وحضر دروسه ، ثم انقلب إلى الوطن العربي فدخل اليمن والوالى عليها سيف الإسلام أخو صلاح الدين فاحتفى به وأحسن لقاءه . وقال ابن عنين في سيف الإسلام أحسن شعره . ثم أخذ يتردد بين اليمن ومصر . وفي وفيات الأعيان لابن خلكان وصف لمجالسه في مصر مع جماعة من الشعراء واحتفالهم به . ثم عاد إلى دمشق وهو لا يرى الدنيا إلا فيها ، ويستصغر كل ما كسبه من مال ومتاع ومعرفة في جانب الإقامة فيها :

ولو أنى خيرت في هذه الدنيا لما اخترت غير أهلى ودارى

وسأله الملك المعظم عيسى بن العادل عن عجائب ما رآه في البلاد فقال له : كل ما في الدنيا مفرق ، هو في بلدك مجموع ، ولم يكن يحن وهو في دمشق إلا إلى مصر .
أحن إلى مصر وياليت أن لى إذا ذكرت مصر جناحاً أعاره

ومن مصرياته قوله في انتصار الإسلام على الصليبيين في ثغر دمياط سنة ٦١٩ وكان الشاعر يومئذ في السبعين من عمره :

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا إذا جهلت آياتنا والقنا الدنا
غداة لقينا دون دمياط جحفا من الروم لا يحصى يقينا ولا ظنا
فما برحت سمر الرماح تنوشهم بأطرافها حتى استجاروا بنا منا

وقد طبع هذا الديوان على ثمانى نسخ مخطوطة لإحداها بدار الكتب الظاهرية بدمشق والثانية في كبرج ، والثالثة مخطوطة الشاعر أحمد الصافى ، والرابعة والخامسة بمدرسة بحى بالموصل ، والسادسة بدار الكتب الأهلية بباريس ، والسابعة بدار الكتب المصرية وأصلها من الحجاز . وكل هذه النسخ مرتبة على الأبواب ، والثامنة بدار الكتب المصرية وهى مرتبة على الحروف . وقد بذل الأستاذ الكبير خليل مردم في تحقيق هذا الديوان وتصحيحه والتعليق عليه وكتابة مقدمته والترجمة للشاعر مجهوداً عظيماً لا يقل عن مجهود ابن عنين فيما نظمته من أبيات الديوان .

أبو بكر الصديق

تأليف الاستاذ على الطنطاوى - الطبعة الثانية - نشرتها لجنة الشباب المسلم - ٣٢٠ ص قالين
تسأل المؤلف فى خاتمة كتابه : « من ذا الذى يستوفى فى كتاب واحد سيرة أبى بكر
كلها ، وهى أفضل سيرة فى الإسلام بعد سيرة سيد العالمين وخاتم النبيين ، وأكلها وأحفلها
بكل جميل وجليل ؟ » ، ومع ذلك فإن هذا الكتاب فى سيرة أبى بكر أحفل كتاب من حجمه
بالنصوص المأثورة فى سيرة هذا الرجل العظيم الذى سلّمته الأقدار أعظم أمانات الإنسانية
فى أشد مواقفها خطراً ، فكان بما عزم الله له من قتال المرتدين ، وإقامة الأمر على وجهه
الأكمل بلا التواء ولا تقصير ولا جزع ، أعظم رجال التاريخ ، على قصر مدة خلافته ،
وجلال ما تم فيها مما تغير به وجه الإنسانية واتجاه التاريخ .

وبما امتاز به هذا الكتاب فى سيرة الصديق اعتماده على المصادر الصحيحة وكثرتها ،
حتى بلغت مائة كتاب بين مخطوط ومطبوع ، وكان قد طبع للمرة الأولى قبل نحو عشرين
سنة ، وأقبل القراء عليه حتى نفذت نسخته من مئة كثيرة ، فأعيد الآن طبعه بالمطبعة
السلفية بالقاهرة على نفقة لجنة الشباب المسلم طبعاً أنيقاً معتنى به ، وفى أوله مقدمة بقلم
رئيس تحرير هذه المجلة ، فى موضوع التاريخ الإسلامى ، وأنه أغنى توارىخ الأمم فى صحة
مصادره ، وأفقرها فى الاستفادة من تلك المصادر ، وفى حسن عرضه بما يعين على بعث
الامة من جديد ، وتوجيه الخلاف إلى الوجهة التى كان يتجراها السلف لتتم بهم رسالة الإسلام
رسالة القوة والحياة ، فنحث الشباب على مطالعته .

أهداف الصهيونية

تعريب فردريك زريق - نشرته جمعية التمدن الإسلامى - ١٣٠ ص جابر

هذا الكتاب مجموعة ٢٤ محضراً لجلسات مؤتمر قيل إن اليهود عقدوه فى مدينة بال
بسويسرا سنة ١٨٩٧ وزعموا أنه مؤتمر حكماء إسرائيل لتصريف دفة الحكم وسير المجمع
فى أوربا وغيرها بحسب خططهم إلى أن يتم المصير الذى رسموه لشعوب الأرض وبحققوا
قيام مسيحهم الدجال . والمظنون أن واضع هذه المحاضر يهودى من مدينة كيف اسمه
سيكفرا وهو مؤسس جمعية شباب صهيون وجمعية موسى السرية . وقد وقعت المحاضر
فى يد أليكس تفولا فتش عميد أشرف شرقى روسيا ، فدفعها إلى سرجيوس نيلوس

الروسي الذي نشرها سنة ١٩٠٥ . ولما شعر اليهود باطلاع غيرهم على هذه المحاضر شكوا
 هرتسل سنة ١٩٠١ من وقوف (الكفار) على أسرار الصهيونية ، ثم جعلوا يتبرأون منها
 بعد انتشارها سنة ١٩٠٥ . وأول من نقلها إلى الفرنسية عن نشرة سرجيوس نيلوس محرر
 جريدة (فرنسا القديمة) عقب الحرب العالمية الأولى (١٩ - ١٩٢٠) وبعد ذلك بسنوات
 قليلة نقلها إلى العربية الخوري أنطون يمين وطبعها في ٢٤٤ صفحة بعنوان (المؤامرة
 اليهودية على الشعوب) . والآن أهديت إلينا ترجمة أخرى لها بعنوان (أهداف الصهيونية)
 بقلم الأستاذ فردريك زريق نشرتها جمعية التمدن الاسلامي بدمشق . وكانت جريدة منبر
 الشرق تنشر تباعا ترجمة ثالثة لهذا الكتاب ثم نشرت في كتاب مستقل . وتعدد ترجمات
 الكتاب دليل على أهميته .

أمر اضنا ومشاكلنا

للاستاذ إحسان النمر — ١٣٠ ص جابر — مطبعة ابن زيدون بدمشق

هو كتاب مقسم إلى أربعة أقسام أولها عن ماضي العرب ، والثاني عن حاضرهم ،
 والثالث عن عوامل الضعف في الشعب العربي وأسبابها ، والرابع فيما يراه المؤلف من
 توجيه للأحياء والتنظيم ، والتعليم والتثقيف ، والعمل للتقدم .
 والمؤلف من الأفاضل المفكرين ، وقد ألم في كتابه بما لا يحده القارئ مجتمعا في كتب
 أخرى فنلفت إليه الانظار .

رائد الشعر الحديث

وهذا كتاب آخر من مظاهر نشاط فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي درس
 فيه شاعرية الدكتور أحمد زكي أبي شادي وعرض فيه لصور عامة لأبي شادي في حياته
 ودعوته وشعره ودراساته الفكرية والأدبية ودراسات المعاصرين له . والكتاب في أكثر
 من ٣٠٠ صفحة من قطع هذه المجلة ، ويرى المؤلف أن الموضوع الذي خصص له هذا
 الكتاب يحتاج إلى تبسط لعله يوفيه بكتاب آخر .

إنباء العلم والأدب

به الشعوب العربية نحوها نتيجة لقيام دولة
إسرائيل .

نظام الحكم في مصر :

سألت مجلة التحرير (العدد ١٩ - ٢١
رمضان) البكباشي جمال عبد الناصر عما يراه
بشأن نظام الحكم ، فقال :

« رأي أن نأخذ بالنظام الجمهوري ، وأن
ينص في الدستور على أن يكون (دين الدولة
الرسمي هو الإسلام) كما كان في الدستور السابق » .

آخر جمعة في رمضان

كان من التقاليد الحديثة لحكومه مصر
أن يؤدي الخديو أو الملك أو من ينوب عنهما
صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان في مسجد
عمرو بن العاص ، وقد ثبت من البحث عن
أصل هذه العادة أنها بدأت من عهد محمد علي
وذلك أن جامع عمرو احتاج في زمانه إلى
إصلاح في مبانيه ، وقد تم هذا الإصلاح في
شهر رمضان ، فاحتفل محمد علي بذلك بأداء
الصلاة يوم الجمعة الأخير من رمضان في
جامع عمرو ، ثم جرت العادة بعد ذلك على
أن يؤدي القائم على ولاية مصر صلاة آخر

الشرق الأوسط في مؤتمر برمودة :

يؤكدون أن رئيس الولايات المتحدة
أيزنهاور سيبحث مع رئيسي الحكومتين
البريطانية والفرنسية عند اجتماعهما في برمودا
في هذا الشهر مختلف الشؤون التي تتعلق بالشرق
الأوسط ونهم العالم العربي . وأن أيزنهاور
شخصياً والاميرال راد فورد قائد الأسطول
الأمريكي في الاطلنطي مقتنعان بما اقتنع به
دلاس وزير خارجية الولايات المتحدة
وأوصى به حكومته من الأخذ بفكرة الرئيس
محمد نجيب الخاصة بالاعتماد على ميثاق الضمان
الجماعي المعقود بين الدول العربية في تنظيم
الدفاع عن الشرق الأوسط .

ولم جانب البيان الذي أذاعه دلاس على
الرأى العام بعد انتهائه من رحلته في بلاد
الشرق الأوسط وفي باكستان والهند وضع
كذلك تقريراً عن هذه الرحلة ، وكل ذلك
يدور حول المعاني التي تقدمت الإشارة إليها .

وفي برقية من نيويورك أن بعض الدوائر
الصهيونية أبدت دهشتها من قول دالاس
« أن الحكومة الأمريكية تشعر بأنه ينبغي لها
أن تزيل الشعور العميق بالسخط الذي تشعر

الملك فؤاد أم فاروق - ويندر أن تألف وزارة لم يتدخل فيها الملك برفض وزراء معينين أم بفرض وزراء معينين ، مما كان يؤدي إلى عدم التجانس في الوزارات . وكان الملك يتدخل في مسائل لم يكن له حق أكثر من ابداء النصيحة فيها ولم يكن يضغط صراحة على الوزارات لقبول رأيه ، لكن كانت الوزارات ترى أن مسائل كثيرة لا تستحق أن تكون سبباً لاستقالتها . فيتنازل بعض الوزراء تدريجاً عن آرائهم فيضعف مركز الوزارة ، وربما كان الضغط يقع على الوزارة التي تدين بوجودها وحياتها للملك وكثيراً ما كان للملك طلبات داخلية أو خارجية أو سياسة ، وهذه الطلبات كانت تعرقل أعمال الحكومة .

هذه هي الحالة العامة : عدم استقرار الحكم ، وشل حرية الوزراء في التصرف ، وتدخل من جانب القصر في شئون الحكم . كان التدخل بمنع تعيين أشخاص جديرين وصالحين لتولي الوزارة ، بينما يحتل مكانهم وزراء غير صالحين أذكر أن كريم ثابت عين وزيراً ولم يكن هناك مبرر لتعيينه . وكنت رئيساً للديوان ، ولكنني لم أسأل في هذا ولم يؤخذ رأيي في هذا التعيين . وأنا لم أعين في الديوان باختيارى فقد صدر أمر التعيين دون أن يؤخذ رأيي . هو كان حكم قراقوش والا ليه ١٩ وفي اليوم التالي كان الياس اندراوس قد حل محلي ببنك مصر !

جمعة من رمضان في جامع عمرو ، وسميت هذه الجمعة الجمعة اليتيمة لأنها لا جمعة بعدها في رمضان من السنة .

ولما علم الرئيس اللواء محمد نجيب بأن ذلك من التقاليد المستحدثة ، رأى أن يؤدي صلاة الجمعة من رمضان هذا العام في الجامع الأزهر لأنه مثابة العلم والعلماء في الدولة المصرية .

تعديل أنصبة الدول العربية

في ميزانية الجامعة

عدلت أنصبة الدول الأعضاء في ميزانية الجامعة العربية ، فأصبح نصيب مصر ٤٠ في المائة ، والعراق ١٧ ، والمملكة السعودية ١٥٥ ، وسوريا ١٣٥ ، ولبنان ٦ ، واليمن ٣ ، والمملكة الأردنية ٣ ، وليبيا ٢ في المائة

حصار إسرائيل :

أقرت اللجنة العليا لمقاطعة إسرائيل - وهي مؤلفة من وكلاء الوزارات - تشريعاً يقضى بمصادرة جميع المواد الحربية والغذائية التي تضبط في قنال السويس في طريقها إلى إسرائيل وذلك في حدود القانون الدولي العام .

السياسة المصرية

من سنة ١٩٣٦ إلى ١٩٥١

قرر الدكتور حافظ عفيفي في شهادته أمام محكمة القدر يوم آخر مايو أن العهد من سنة ١٩٣٦ امتاز بعدم الاستقرار : وزارات غير مستقرة يصحبها دائماً تدخل من

فهرس

المجلد الرابع والعشرين

(لسنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م)

(١)

- أحمد أمين : مناهج الفقهاء في التشريع ٣٧ ،
نقد تحقيقه كتاب حى بن يقطان ١١٢٨
أحمد حسن الباقورى : خطبته في جنوب
السودان عن بنى المبشرين ٦٤٥
أحمد حسن الزيات : الإسلام فتح لعالم جديد ٢
أحمد الشرباصى : عمر بن عبد العزيز والقرآن
٥٩٦ ، الحزبية في القرآن ٧٥٥ ، حديث
القرآن عن اللغو ٩٤٤
أحمد عباس صالح : أزمة الأدب ٤٣٩
أحمد عبد السلام الكردانى : وظيفة المدرسة ٦٤٢
أحمد هز الدين خلف الله : الأزهر والثورة
العرايية ٩٧٥ ، الأزهر وتاريخنا الدستورى
١٢٢٣ .
أحمد فهمى أبو سنة : تحديد الملكية في
الإسلام ٣٦٠ ، افتتاح الفقه أبواب الحياة
٤٢١ ، دستور الدولة في نظر الإسلام ٦١٥
شهر التصرفات بين القانون والشرعية ٨١٤ .
أحمد فؤاد الأهوانى . فضل العرب على
فلسفة اليونان ٦٢ ، أحوال النفس لابن سينا
(كتاب) ٦٣٨ .
أحمد عمرم : ديوان مجد الإسلام ٩٥٠ ،
١٠٩٢ ، ١٢٠٦ ، المسلون بين يقظتهم
وسباتهم ٩٨٧ .
- آثار ونقوش عربية باليمن ٥١٦
الآجلة والعاجلة ٥٢١
آدم عليه السلام (كتاب) ١١٤٩
آراء وأحاديث : علوم البلاغة في الميزان
٣٢٤ ، ٧٠٩ ، ٨٠٨ ، ٩٨٠
إبراهيم أبو الخشب : الحدود في نظر الإسلام
٢٢٥ ، كتابه موافق إسلامية ٥٠١ ،
الحاكم في الإسلام ٨٦٩
إبراهيم حلمى عبد الرحمن : جهود المسلمين في
ميدان العلوم ٧٣
أبو الأعلى المودودى ١١٥٧ ، كتابه معضلات
الاقتصاد وحلها في الإسلام ٥٠٣
أبو الوفا الراغى : المرأة في ظلال الإسلام ١٢٠٩
أثر العقيدة في نفوس المسلمين ٣٣١
الاجتهاد والتقليد ١٧١ ، ١٠٦٥
أحاديث الثلاثة بدار السلام (كتاب) ٨٩٢
الاحتكار والريخ الفاحش ٣٥٠
إحسان النمر : تاريخ نابلس والبلقاء ١١٤٨ ،
أمرأتنا ومشاكلنا ١٢٧٠
إحصاءات ثقافية ١٠٢٦

- أحمد محمد جمال : كتاب، ما وراء الآيات
٧٥٨، دين ودولة ١١٤٤ .
- أحمد محمد شاكر : تحقيق صحيح ابن حبان ٦٢٨
أحمد مظهر العظيمة : كتاب ضراعات في
الإسلام ١١٤٦ .
- أحمد بن يحيى ثعلب : ترجمته ووصف أماليه ٨٢١
أحوال النفس لابن سينا (كتاب) ٦٣٨ .
- اختيار الزوجة في الشريعة الإسلامية ٧٥٢ ،
١١٣٦
- الأخطل وجريز : بدء تعارفهما ٤١٢ .
- إدريس السنوسي ملك ليبيا : زيارته مصر ٤٩٣
أديب الشيشكلي رئيس سوريا : زيارته مصر
٤٩٣
- الأديان العالمية وآمال العالم (كتاب) ١٢١ .
إذاعة آذان الظهر ٦٤٧ .
- الإرادة والفرائز : تنظيم العلاقة بينهما ٨٠٢
الأردن والبلقاء في تاريخ الإسلام ١٢٠٠ .
- أزمة الأدب وحرية التعبير ٤٣٩
أزمة الفقه الإسلامي ٩٣٤، ٨٠٩، ٦٧٣
- الأزهر : مشيخته في أكمل ما شاهدنا من
عهودها ١٤٦ ، حديث عنه للأستاذ الأكبر
السيد محمد الحضر حسين ١٥١ ، وكيلاه
٢٤٨ ، بعثته لجنوب السودان ٦٤٠ ،
مدينة الأزهر للبعوث الإسلامية ٦٤٠ ،
دفاع عنه ٧٨٣ ، الأزهر والثورة العراقية ،
٩٧٠ ، معهد دمنهور ١٠٢٣ ، معهد زفتى
١٠٢٣ ، معهد قافوس ١٠٢٤ ، ١١٥٠ ،
اعتماد للبعوث الإسلامية ١٠٢٦ ، تعديل
- أحكام امتحان التجويد ١٠٢ ، تدريباته
العسكرية ١٠٦٠ ، كتيبة خالد بن الوليد
١١٥٥ ، الأزهر ونظامنا الدستوري ١٢٢٣
- الأزهرى : رسالته في عهد الجديد ١٣٧
أساس الشعور بالمسؤولية ٥٤٤
- أستاذ المرأة (كتاب) ١١٤٩
استعراض لاقتصاديات الشرق الأوسط
(كتاب) ١٢٠
- الاستعمار البريطاني (احتضاره) ٥١٢
الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا (اتحاره)
٥٠٧ ، خسائره في الهند الصينية ٥١٧ ،
كما يصفه نائب فرنسي ٦٦٧
- استعمار القلوب والعقول ١٠٢٦
الاستعمار يقرب من نهايته ١١٩٧
- أسرار الاسلام في تعدد الزوجات ٨٨١
الاسلام : فتح لعالم جديد ٢ ، رأيه في القتال
١٥ ، تدعيمه للأسرة ٦٨ ، أثره في الفنون
الزخرفية ٩٥ ، ما قاله عنه جيون ولزوجيته
ودى كاسترى وكارليل وجب ١٠٩ تحديد
الملكيه فيه ١٤١ ، ٣٦٠ ، مساهمته في بناء
السلام ٢٢٠ ، سماحته في معاملة غير المسلمين
٣١٣ ، طريقته في قبول المنافع ٣٦٣ ، الاسلام
والسلام ٣٩٣ ، الحكم في الاسلام ٤٠٨ ،
٦١١ ، ٧٢٢ ، المسؤولية الحكومية فيه
٤٥٢ ، موقفه من الشيوعية والرأسمالية ٤٥٨ ،
ثورته على الفوارق الجاهليه ٤٦١ ، إنكاره
للمحسوبية ١٠٦٣

- الإسلام رسالة الإصلاح والحرية (كتاب) ١١٤٩
 الإسلام في أمريكا ٨٤٨
 أسماء جبال نهامة لعرام بن الأصم ٨٨٨
 الأشاعات والأراجيف ٥٨٨
 الاشتياني المجتهد الشيعي وأحاديث الغيب ٦٩٧، ٣٢٩
 الإصلاح يبدأ بالأخلاق ٩٠٠
 أعمار زائفة (شعر) ٢٠٤
 افتحوا للفقهاء أبواب الحياة ٤٢١
 أفريقيا والبعوث الإسلامية ٢٤٩
 الأفغان (كتاب انجليزي) ١١٩
 أكل رسالات الله ٤١٨
 إلى الإسلام من جديد (كتاب سخي) ٤٩٨
 إلى الذين يشوهون تاريخ الإسلام ٩٧٤
 الأمل: نشأة كتبها وخصائصها ٥٥٤
 ١٠٧٧، ٦٨٧ (أمل ثملب)، ١٠٧٧
 (أمل المرتضى)
 إمام: ترجمة عبد الله بن مسعود ١٠٧٠، ٩٥٣
 أمانتان: الأمانة الأولى هذه الأمة الإسلامية
 ٧٧٧، صدى الأمانة الأولى ٩٨٤
 الأمانة الثانية هذا التراث العلمي الإسلامي
 ٩٠٥، صدى الأمانة الثانية ١١١٣
 أمر الله والقائمون عليه: كلمة لعمر ٨٦٨
 أمريكا: بين العرب واليهود ٢٥٩، أمريكا
 والعرب ٩٠٣
 الأمم السعيدة والأمم الشقية ١١٦٥
 الأمة الإسلامية كيف بناها محمد ٢٦٥
- الأموال ونظرية العقد في الفقه الإسلامي ١٠١٨
 أنى لك هذه ٣٥٩
 أمانول فرانس: كلمات له ٩٣٨
 أندونيسيا: دستور إسلامي لها ٦٤٤، مؤتمر
 إسلامي فيها ١١٥٧
 الإنسانية بين النظام المحمدي والنظام
 الإسرائيلي ٢٦٨
 انشتاين يتحدث عن أدب العلم ٢٥٢
 إنما يقدر المرء عمله ٧٠٤
 أهل السنة: تسامحهم في الرواية عن المخالفين ٣٠٦
 إيران وبريطانيا ٢٦٣، النشاط اليهودي فيها
 ٢٦٤، تحريمها الخمر ٢٧٥
 الإيمان يصنع المعجزات ٤٦٥
 أيهما المعتدلي: المتبرجة أم المجترى عليها ٩٩٥
 (ب)
 باكستان: العربية فيها ٣٨٢، قضية كشمير
 ٢٥٨، ٣٨٧، دستورها الجديد ٦٤٤
 حديث عن دستورها لعبد الوهاب عزام
 ٧٧٣، فتنة القاديانية فيها ٩٠٣، الحكم
 على المودودي ١١٥٧
 البترول: مشكلته في إيران ١٣٣، صناعته
 في مصر ٢٦١
 البحر الأحمر: فراديس في جزائره ٢٦١
 البحرين ومطامع إيران ١٠٣١
 البذرة: بمعنى صغار الأولاد ٤٧٦
 برخ: بمعنى كثير موفور ٤٧٧

- برقة : زيارة ملكها مصر ٤٩٣ . تحرير
المسكرات فيها ٩٠٣
- بركان فيزرف ٥١٨
برنارشور سالتة إلى بلنت عن الاستعمار ١١٩٩
البطولة الإسلامية في القتال ٩
البعثات السعودية بمصر ٦٤٣
البكتاشية : تعليق على فتوى فيهم ٢٨٣
البلاغة والتجديد ١٠٠٤
بماذا نبدأ ٦٥٥
بنك دولى حرب ١١٥٩
بنو خفاجة (تاريخهم) ٢٤٦ ، ١١٤٧
البهاثيون مرتدون (فتوى) ٢٣٨ ، تعليق
على الفتوى ٢٨٣
- البهى الحولى : كتاب آدم عليه السلام ١١٤٦
المرأة بين البيت والمجتمع ١١٤٧
البيان والبدع في القرآن (محاوره بين ابن دريد
والسجستاني) ١٣٤
البيت العتيق ٦٦٢ ، ٧٨٦ ، ٩١٨ ، ١٠٤٨
البيرونى ٧٩
بين الجدد والامم : البنات في القضاء ٩٩٩
- (ت - ث)
تاريخ الامم والملوك للطبرى (قيمة رواياته ،
وكيفية الانتفاع منه) ٢١٠
تاريخ جبل نابلس والبقاء ١١٤٨
تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند
وباكستان ٨٩١
تاريخ العراق لابن سند ٣٧٩
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٧٥٥
التاريخ هل يعيد نفسه ؟ ٩٦٦
تاغور : رأيه في التعليم الاجنبى والقومى ٦٥٤
تبديد المخاوف من إقامة دين الله ٥٦٦
التبشير المسيحى بجنوب السودان ٦٤٥
تحرير التعامل مع الانجليز بالقنال ١١٥٦
تحرير المسكرات في برقة ٩٠٣
تحقيق القول في ليلة القدر ١١٧٥
تدوين اللغة ١٠٨٦
الترجم : التعبير فيها عن الحقائق ١٢٦
التربية بالقوة ٨٢٠
التربية في القرآن (كتاب) ٧٥٩ .
تركيا : في نظر الامريكيين ١٠٣١ ، تنكرها
للإسلام ١١٥٨ .
تساح أهل السنة في الرواية عن المخالفين ٣٠٦
تشجير مصر ٩٠١ .
النشرع الإسلامى : أسسه ٣٠ ، مناهج الفقهاء
فيه ٣٧ ، جهود فقهاء ٤٦ ، كلمات فيه
لأعلام الغريبين ٨٨٥ .
التصوف في مختلف الديانات ٨٩٣ .
تصويب لغوى : سى وسى ، مخطىء وخاطىء
يفلح ويفلح ، أمسية ١١٣٩ .
تطهير الاداة الحكومية في تاريخ الإسلام
٤٠٨ ، ٤١١ ، ٧٣٢ .
التطهير في الإسلام ٦٦٨ ، ٧٩٧ ، ٩٢٥ .
تطور مصر سنة ١٩٢٤-١٩٥٠ (كتاب) ١١٨
تعاون الاستعمار ١١٥٨ .
التعاون في لإنهاض القرية المصرية ٧٦٩ .

- التعبير في الفن ١٢٣٦
تعديل أنصبة الدول العربية بالجامعة ١٢٧٢
التعليم الاجنبي والتعليم القومي ٦٥٤ .
التعليم الثانوى (انحطاطه) ٨٩٥ ، نظامه ١٠٢٥
التعليم الدينى فى المدارس الاجنبية ١١٥٠ .
التعليم الفنى المتوسط ٢٥٤ .
التعليم فى مصر ٥١٣ ، مشكلاته ١٠٣٩ .
تعويضات المانيا لإسرائيل ٣٨٦ ٧٧٢٠٧٢٢
التفسير ٥٨١ ، ٧٩٢ ، ١٠٤٤
تفسير جزء عم لعبيد ٧٦٠
التفسير الواضح (كتاب) ١١٨ ، ١٠١٦
التقشف : الدعوة إليه ٤٤٣
التقليد والمحاكاة فى نهضتنا ٩٢١
تونس : مشكلتها ١٣٣ ، قضيتها ٢٥٥
التوراة والإنجيل بأسلوب عصرى ١٢٨
ثعلب (أحمد بن يحيى) ترجمته ووصف
أماله ٨٢١
ثقافتنا الحائرة ١١٦١
الثورة العراقية والأزهر ٩٧٠
(ج)
الجامع الأموى بدمشق ٨٤
جامع جديد بلندن ١٠٢٨
جامع عمرو بالقسطاط ٨١
الجامعات : رسالتها ٧٦٧ ، الجامعى الصالح
٧٦٧ ، اختناق الجامعات المصرية ١٠٢٥
جامعة الدول العربية : نعمة ضائعة ١٠٢٩
قراراتها الأخيرة ١١٥٥
جبران خليل جبران : كلمات له ١٠٣٨
الجرائد : يبتان فيها لحافظ ابراهيم ٨٨٠
الجدل والعمل : كلمة للأوزاعى ١٢١٧
جرير والاختط : بدء تعارفهما ٤١٢
الجزائر فى ستة أشهر ٦٥٤
جزائر مالديف ٧٧٥
جماعة التقريب بين المذاهب ٢٨٣ ٣٢٩ ٥٣٣
جماعة كبار العلماء ٢٤٨ ، ٣٨٩
جمعية تبشيرية وقحة ١٠٣١
جميل صليبا : الرسالة الجامعة ٧٦١
الجندي فى صدر الإسلام ١١١٠ ٨٥٧ ٩٢٤
الجهاد أعلى مراتب العبادة ١٠٨٣
جهاد النفس تربية روحية ١١٠٣
جوركى السكاتب الروسى : ذكراه ١٢٦
جيش إقليمي من معسكرات التدريب ٩٠١
الجيش المصرى : وثبته على الطغيان ١٣١
جيل يؤمن بالأخلاق ٨٣٩
(ح)
حاتم الأصم : ترجمته ٣٦٤ .
حاجة الشرق إلى حكم صالح ٣٦٧ .
الحاكم فى الاسلام ٨٦٩ .
حامد محيسن : التفسير ٥٨١ ، ٧٩٢ ، ١٠٤٤
حبيب بن مسلمة مثال المجاهدين الاولين ١١٧٤
الحجاز : مرافقه ٢٦٠ .
الحدود فى نظر الاسلام ٢٢٥ .
الحديث النبوى : مقاصده ، ألفاظه ، معانيه
١٨٣ ، ٤٣٠ ، ٥٦٩ روايته وتدوينه ٤٤٦
الحديد : تعدينه وصناعته فى مصر ٣٨٩ .
حركة المطالعة فى مصر ٢٥٤ .
الحزبية ٣٠١ ، الحزبية فى القرآن ٧٠٥ .

- حسن حسنى عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس ١٠٢٠ .
- حسن عبد الوهاب : خصائص العمارة الاسلاميه ٨١ .
- حصار إسرائيل ١٢٧٢
- الحق مفضبة ٥٥٣ .
- حقائق ٦٤٩ .
- حقوق الا كفياء ٤٠٣ .
- حقوق الانسان فى الإسلام ٨٣٥ العدالة الاجتماعيه ٩٥٩ .
- حقوق المرأة فى الإسلام (رسالة) ٥٠٣
- حقيقة الوجوب والنهى ٨١٨
- الحكم بما أنزل الله ٨٦٤
- الحكم التكليفى والوضعى ٤٣٨
- الحكم : خير نظام له ٦٨٤
- الحكم فى الإسلام ٤٠٨ ، ٦١١ ، ٧٣٢
- حكم وأمثال وطرف ٢٠٩ ، ٢٦٧ ، ٢٩٥
- الحكومات العربيه : تقاربها ١١٥٥
- حلقة الدراسات الاجتماعيه ٢٥٣ ، ٥١٤
- حمزة بن عبد المطلب ٤٥٤
- حمزة محمد الشيخ : التعبير فى الفن ١٢٣٦
- حى بن يقطان بتحقيق أحمد أمين : نقد تحليلى ١١٢٨
- الحياه فى الحديث النبوى ٨٧٦
- الحياة الاجتماعيه واضطرابها بمصر ٢٥٣
- الحيون : الرفق به فى الإسلام ٦٠٣
- (ج)
- الختان ١٢٤٢
- الخراط الرمزيه أصلها من البن ٦٩٣
- خصب العقول وجدها ٥٢٦
- الخصومات الادبيه وأثرها فى النقد ٦١٩
- الخطر الاسرائيلى ٧٧٤
- خطيب سيف ومنبر ١٠٣٠
- خلاصه تاريخ تونس ١٠٢٠
- خليل مردم . ديوان ابن حيوس ١٠٢٠ ،
- ديوان على بن الجهم ١١٤٢ ، ديوان ابن عنين ١٢٦٧
- خير الزوجات فى نظر الاسلام ١١١٩
- خير نظام للحكم ٦٨٤
- (د - ذ)
- الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى ٨٨٦
- الدراسات الاسلاميه : فى الصومال ٧٦٨ ، فى كندا ١٢٤
- درجات الناس (كتاب) ٣٧٩
- دستور إسلامى لاندونيسيا ٦٤٤
- دستور باكستان الجديد ٦٤٤ ، ٧٧٣
- دستور الدولة فى نظر الاسلام ٦١٥
- دستور سنة ١٩٢٣ (سقوطه) ٥٠٤
- الدعوة الى عقد المؤتمر الإسلامى فى القاهرة ٧٤٨
- دفاع عن الأزهر ٧٨٣
- دم وزيت ورمال (كتاب انجليزى) ١٢٢
- دموع الشفاء ١٢٩
- دذائير إسلاميه بالفسطاط ٢٩١
- الدول العربيه : ميثاق اجتماعي لها ٦٤٤
- ديكارت : الفطرة السليمه عنده ٧٣٥
- الدين فى أوروبا وعلاقته بالعلم ١٢٣١
- الدين والاخلاق فى المدارس ٢٨٢
- دين ودولة (كتاب) ١١٤٤
- الدين والقوة وسيلتان لغاية واحدة ١٥٥
- ديوان ابن حيوس الغنوى ١٠٢٠
- ديوان على بن الجهم ١١٤٢

- ديوان ابن عنين ١٢٦٧
ديوان مجد الإسلام ١٢٠٦، ١٠٩٢، ٩٥٠
ذكريات تهز مشاعر الإنسانية ٤٧٢
الذكريات الخالدات في رمضان ١١٠٧
- ر — ز
رائد الشعر الحديث (كتاب) ١٢٧٠
الأسماوية والشيوعية : موقف الإسلام
منهما ٤٥٨ .
الريح الفاحش والاحتكار ٣٥٠ .
الرحلة العربية ورحلات صحراوية (كتاب
إنجليزي) ١٢٠ .
الرحمة وآثارها ٥٩٢ .
رد على كتاب السقيفة ٧٦٠ .
الرسالة الجامعة للجريطي ٧٦١ .
رسالة الصلاة للإمام أحمد ٣٨٠ .
الرسالة المحمدية لسليمان الندوي ١٠١٦ .
رسول الله في الطائف ٨٦٠ .
رمضان وشيطانه ١٠٩٥ .
رواية أهل السنة عن مخالفهم ٣٠٦ .
الروتين الحكومي : كلمة فيه لوزير الإرشاد ٩٠١
الزكام ١٣٦ .
الزهر : كلمات في وصفه ٩٤٣ .
- (س)
السجل الثقافي ٥٠١
سدود أعلى النيل ٣٩٠
السرطان والطب العربي ١٢٨
سعد محمد حسن : نقد طبعة أحمد أمين لحي
ابن يقظان ١١٢٨
سعيد زايد : العلية في فلسفة هيوم ٤٨١ ،
الفطرة السليمة عند ديكارت ٧٣٥ ،
- الفرض العلمي ٨٧٢، ١٠٠٧
السل : معالجته بمقاير جديدة ١٣٠
سليمان الندوي : الرسالة المحمدية ١٠١٦
السفسكريكية : مؤتمر لغوى لها ٢٨٢
السنة : دعاء واستغاثة ١٥٩ ، الحب الإلهي
٢٩٦ ، حقوق الأكرفاء ٤٠٣ ، تخير
العالمين ٥٣٨ ، التطهير في الإسلام ٦٦٨ ،
٧٩٧، ٩٢٥ ، من أسرار الصوم وآدابه
١٠٥٥ من صفات القائد ١١٩٣
السودان ومصر ٣٨٥ ، التبشير في جنوب
السودان ٦٤٥ ، وثيقة جنوب السودان
٦٤٥ ، السودانيون يقررون مصيرهم ٧٧٠
تصرفات الانجليز في السودان ٨٩٧
سوريا : تحريرها الاقتصادي ١٠٣٠
سياسة التعليم في وزارة المعارف ٣٨٤ ،
سياسة خاطئة ٨٩٥
السياسة المصرية قبل العهد الأخير ١٢٧٢
السيد : نفسيات (شعر) ٨٤٣ ، البيئات
٩٩٩ ، تصويب لغوى ١١٣٩
سيد قطب : طبيعة الفتح الإسلامي ٢١
السيد كمال الشورى : المسئولية الحكومية
في الإسلام ٤٥٢
ابن سينا ٧٩ ، السكتاب الذهبي لمهرجانه ٨٩٠
السينما بوزارة المعارف ٢٥٤
(ش)
الشرق الأوسط من منابع ثقافة أمريكا ٢٥٣
الشرق الأوسط في مؤتمر برمودة ١٢٧١
الشرق والغرب وهل يجتمعان ٩٩٢
شريعة الله وشرائع الإنسان ٥٠
شعار المؤمن : السمع والطاعة للحق والعدل ١٧٦

- شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية في القرن
الأول الهجرى ٢٤٢
- شلى : ذكره ١٢٦
- شهداء حرب فلسطين ١١٥٦
- شهر التصرفات بين القانون والشرعة ٨١٤
- الشيوعية والرأسمالية : موقف الإسلام
منها ٤٥٨
- (ص)
- الصاحب بن عباد : كلمات له ١١٦٨، ١١٤١
- صاحب الجلالة البترول (كتاب فرامى) ١٢٠
- صهوة الأرواح ٣٢٤
- صحيح ابن حبان ٦٢٨
- صدى الأمانة الثانية ١١١٣
- صدى قاصتى مجلة دار التقريب ٦٩٤
- صلاح الدين المنجد : تاريخ ابن عساكر ٧٥٥
- وقف أسعد باشا العظم ١١٤٥
- صناعات أبناء الملوك ٢٧٧
- الصوم : أسرار وآدابه ١٠٥٥ ، والتربية
النفسية ١٠٩٧
- الصومال : الدراسات الإسلامية فيها ٧٦٨
- (ط)
- طه محمد الساكت : السنة ١٥٩ دعاء واستغاثة ،
٢٩٦ الحب الالمى ، ٣٧٩ درجات الناس
(كتاب) ، ٤٠٣ حقوق الكفياء ، ٥٥٣٨
- تخزين العاملين ، ٦٦٨ ، ٧٩٧ ، ٩٢٥ التطهير
في الإسلام ، ١٠٥٥ من أسرار الصوم
وآدابه ، ١١٩٣ من صفات القائد
- الطب العربى والسرطان ١٢٨
- طباعة السكتب الروسية بأمرىكا ١٢٥
- طبقات لحول الشمره لابن سلام ٤٩٤
- الطبقة المتوسطة : كلة لابن المعتز ١٠٠٣
- طرابلس الغرب : قانونها الأساسى ٢٦٣
- طريق الافادة من الفقه الإسلامى ٥٤٩
- طلحة بن عبيد الله (ترجمته) ٥٦٠
- الطليان : جمع طلى بمعنى الحروف ٤٧٦
- طلبة الوحى الإلهى ٢٣٢
- طوائف : بهائية وبكتاشية ثم جماعة التقريب
٢٨٣
- طور سينا : مخطوطاته ٥١٦
- (ع - غ)
- العاجلة والآجلة ٥٢١ كلمة فيهما لسهل بن
هارون ٩١١ .
- عباس محمود العقاد : القرآن واللغة ٥٥
- عبد الجليل النمر : الحاجة لمدارس تحفيظ
القرآن ٢٣٠
- عبد الحليم النجار : نشأة المعاجم اللغوية
وأطوارها (تدوين اللغة) ١٠٨٦
- عبد الحميد العبادى : البطولة الإسلامية فى القتال ٩
- عبد الحميد المسلول : ثورة الإسلام على الفوارق
الجاهلية ٤٦١ ، المسلمون على مفترق
الطرق ٥٨٤ ، وحدة الأمة سبيلها الى
النصر ٧٢٩
- عبد الرحمن تاج : تحقيق القول فى ليلة القدر
١١٧٥
- عبد الرحيم فرغلى : أثر العقيدة فى نفوس
المسلمين ٣٣١ ، كيف بنى المسلمون مجدهم

- ٤٤٩ ، الرحمة وآثارها ٥٩٢ ، أسرار
الإسلام في تعدد الزوجات ٨٨١ ، خير
الزوجات في نظر الإسلام ١١١٩
عبد الغنى إسماعيل : النقد الأدبي وتاريخه
١٢١٨ ، ٩٩٣
عبد الغنى عوض الراجحي : فضل الرسول
على قومه ٨٧٧
عبد الفتاح السرنجاوى : مخطوط فريد ١١٤
عبد القادر شعبة الحمد : حقوق المرأة فى
الإسلام ٥٠٣
عبد الله أمين : مجلة الأزهر ١٠٢
عبد الله قاسم صقر : ترجمة حاتم الأصم ٣٦٤
القنقاع بن عمرو (كتاب) ٨٩٤
عبد الله المراغى : الحكم التكليفى والوضعى
٤٣٥ ، حقيقة الوجوب والنهى ٨١٨
عبد الله بن مسعود : ترجمته ٩٥٣ ، ١٠٧٠
عبد اللطيف محمد السبكى : الدين والقوة ١٥٥
طوائف ٢٨٣ ، نفحات القرآن ٥٣٣ ،
١١٦٩ ، ١٠٤٨ ، ٩١٨ ، ٧٨٦ ، ٦٦٢
عبد المنعم محمد الشيخ : ملكة تولى ٣٧٦ ، ٤٨٨ ،
٨١٨
عبد المنعم النمر : رسول الله فى الطائف ٨٦٠
عبد الوهاب حمودة : نشأة كتب الامالى
وخصائصها ٥٥٤ ، ٦٨٧ ، أمالى ثعلب
٨٢١ ، أمالى المرتضى ١٠٧٧ ، نظرية
الانساب فى الميزان ٨٦٤ الفكاكة فى الأدب العربى
١٢٤٥
عبد الوهاب خلاف : جهود الفقهاء فى التشريع ٤٦
- عبد الوهاب عبد اللطيف : المختصر فى علم رجال
الأثر ٢٤٧
عبد الوهاب عزام : سر نجاح الفتوح الاسلامية
• ، حديث له عن دستور باكستان ٧٧٣
العدالة الاجتماعية فى الاسلام ٩٥٩
العدل والظلم ١١٦٩
عدنان الخطيب : لغة القانون فى الدول العربية
١١٤٩
العرف المستقل (كتاب لإنجليزى) ١١٩
عرام بن الاصبغ : أسماء جبال تهامة ٨٨٨
العرب : فضلمهم على فلسفة اليونان ٦٢
العرب ليس أجنابيا فى بلاد العرب ٨٩٩
العربية : بين الجزر والمدة ١٨٨ ، ١٩٣ ، فى كمالها
١٩٧ ، فى باكستان ٣٩٢ رز وحدة
ثقافية ومدنية ٥٤٨
عز الدين إسماعيل : العربية بين المد الجزر
١٨٨ ، الخصومات الادبية وأثرها فى النقد
٦١٩ ، جهاد النفس تربية روحية ١١٠٣
العقول : خصبها وجدبها ٥٢٦
العقيدة الإسلامية : أثرها فى سمو الإنسان ٢٦
العلم بين الاساندة والطلاب ١٢٣٩
العلم : لاقيمة له إلا بفضائل الخلق ١٩٨
علم التوحيد : مناهج تدريسه ٦٧٩
العلم المصرى وعلم التحرير ٩٠١
علم النفس الاجتماعى ومشاكل السلم والحرب ١٢٥
العلم والأخلاق ٢٥٢
العلم وعلاقته بالدين ١٠١١
العلماء المسلمون : جهودهم فى ميدان العلوم ٧٣

- توسيع الطريق من المسجد ٧١٥، مصارف
 الزكاة ٧١٧، ٩٩٧، خطبة الجمعة بغير
 العربية ٨٥١، الزكاة غير الضرائب ٨٥٢
 الصلاة لا تغني عنها فدية، نقل رفات
 الشهداء والصلاة عليهم ٩٩٦، تبرع غير
 المسلمين لبناء مسجد ٩٩٨، الصوم والفطر
 بحساب الفلكيين ١١٠١
 الفتح المبين: بيعة الرضوان ١٠٦
 الفتوى: أمليها الأولون ١٧٥
 الفتوح الإسلامية: سر نجاحها ٥، طبيعتها ٢١
 الفردية والوعي الاجتماعي ٣٨٣
 الفرض العلي ٨٧٢، ١٠٠٧
 فريتاغ الألماني: كلفته في العربية وعلومها ٨٥٦
 فصل الدين عن الدنيا لا يصح في الإسلام ٧٠١
 فضل الرسول على قومه ٨٧٧
 الفطرة السليمة عند ديكرت ٧٣٥
 الفقه الإسلامي: نشأته وخصائصه ١٦٤،
 ٢٧٨، ٤١٣، افنحو له أبواب الحياة،
 ٤٢١، طريق الإفادة منه ٥٤٩، أزمته
 ٦٧٣، ٨٠٩، ٩٣٤، كفانا تقليداً فيه
 ١١٨٨، ١٠٦٥
 الفكاهة في الأدب العربي ١٢٤٥
 فلبين: قصة كفاح مسلميها ٩٨٨
 فلسطين العربية الإسلامية ٣٤١، قضيتها ٥٠٥،
 والتعويضات الألمانية لإسرائيل ٣٨٦، ٧٢٢
 فلسفة غاندي الاقتصادية ٢٤٧
 الفلسفة وعلم الكلام ٣٢٦، ٤٦٨، ٨٠٦
 فلسفة اليونان: فضل العرب عليها ٦٢
 فهارس البخاري (كتاب) ٤٩٩
 علوم البلاغة في الميزان ٢٣٤، ٧٠٩
 على الخفيف: أسس التشريع الإسلامي ٣٠
 على الطنطاوي: الاجتهاد والتقليد ١٧١،
 علم التوحيد ٦٧٩
 على عبد الواحد وافي: تدعيم الإسلام
 للأسرة ٦٨
 على مصطفى الغرابي: بين الفلسفة وعلم
 الكلام ٣٢٦، ٤٦٨، ٦٠٨
 العلية في فلسفة هيوم ٤٨١
 عمائم حرية المبدان ٥١٩
 العمارة الإسلامية: خصائصها ٨١
 العمال: حسن اختيارهم في الإسلام ٥٣٨
 عمر حليق: كتب افرنجية في موضوعات
 إسلامية ١١٨
 عمر طامت زهران: كفاح مسلمي الفلبين ٩٨٨
 كتب غربية عن الإسلام ١٢٥٨
 همر بن عبد العزيز والقرآن ٥٩٦
 العناية بدراسة الإسلام بالجامعات ٣٥٢
 عهدان ٢٠٢
 العواصم من القواصم (كتاب) ٢٤٤
 العبيد الفضى للجزيرة العربية (كتاب
 انجليزي) ١٢١
 غرور ١٢٢٧
 الغزو الفكري للبلاد الإسلامية ٩٧٥
 غرطة دمشق (كتاب) ٦٣٧
 (ف)
 فاتح مصر عمرو بن العاص (رسالة) ٨٩٤
 فناوي: البهائيون مرتدون ٢٣٨، تصوير
 المرأة العارية ٢٣٩، الهدايا والنذور ٢٤٠

- الفوارق الجاهلية : ثورة الإسلام عليها ٤٦١
 في مولد الرسول (شمر) ٣٧٥
 في يوم الفتح الأعظم ١١١٥
 (ق)
 القاديانيون : فننهم في لاهور ٩٠٣
 قاصمتان في مجلة دار التقريب ٣٢٩ حداثها ٦٩٤
 قانون حماية الآداب ٧٧٥
 القيمة ٢٢٨ ، ٢٢٩
 القرآن : واللغة ٥٥ ، صور القوة فيه ١٧٩ ،
 المدارس لتحفيظه ٣٣٠ حديثه عن اللغو ٩٤٤
 قصة المولد لنافع الجوهرى ٧٦٦
 القضاء الإسلامى وضماير المتقاضين ٥٩٥
 قطارات الرحمة للانجي فلسطين ٥٠٧
 القعقاع بن عمرو (رسالة) ٨٩٤
 القليل المتواصل والكثير المنقطع ٤٢٣
 قواعد الحكم في مصر بفترة الانتقال ٧٦٩
 (ك)
 كارثة القرم الإسلامية ١١٤٨
 كارديف : مدرسة إسلامية فيها ٧٦٨
 كامل محمد مجلان : ذكريات رمضان ١١٠٧
 (ك)
 الكتاتيب الذهبى لمهرجان ابن سينا ٨٩٠ .
 كتاب وقف أسعد باشا العظيم ١١٤٥ .
 كتب غربية عن الاسلام ١٢٥٨
 الكتب الفلسفية المحرفة وسبيل إصلاحها ٤٢٤
 الكتب في المدارس الأهلية ٨٩٦ .
 كتلة حيادية من أمم الشرق ٢٥٨ .
 كتيبة خالد بن الوليد ١٥٥ ، ١٢٧٣
 كشمير : قضيتها ٢٥٨ ، ٣٨٧ .
- كفاح مسلمي الفلبين ٩٨٨ .
 كفاما تقليد آ في الفقه ١٠٦٥ ١٠٨٨ .
 الكلام والفلسفة ٣٢٦ ، ٤٦٨ ، ٦٠٨ :
 السكليات العملية في جامعاتنا ٣٨٣ .
 كمال أحمد عون : صدى الامانة الأولى ٩٨٤ .
 كنوز الاجداد (كتاب) ٨٩٠
 كوبرى الفردان : الجلاء عنه ٢٦١
 كيف بنى المسلمون مجدهم ٤٤٩
 كيف نقتصر على أنفسنا : تنظيم الارادة
 والفرائز ٨٠٢
 (ل)
 اللاسلكى : أول من اخترعه ١٢٩
 اللامركزية والإصلاح الاجتماعى بمصر ٦٤٦
 لبنان وحركة الإصلاح ١٣٢ . رئيس لبنان
 يزور الرياض ٧٧٤
 اللحن بالعربية كذب وذنب ٨٤٢
 اللغز والمعنى ٢٠٤ ، ٣٤٤
 اللغة الأجنبية في التعليم الابتدائى ٧٦٧
 لغة العرب وعلومها : كلة لغريثاغ ٨٥٦
 لغة القانون في الدول العربية ١١٤٩
 اللغو : حديث القرآن عنه ٩٤٤
 لغويات : ٢٠٤ ، ٣٤٤ ، ٤٧٦ ، ٥٧٧ ،
 ٧٢٥ ، ٨٤٤ ، ٩٣٩
 لماذا صار المسلمون هدفا للاستعمارين ٨٥٤
 اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٦٣٦
 ليبيا : انضمامها للجامعة العربية ٣٨٥
 ليلة القدر ١١٧٥
 (م)
 ما أشبه الليلة بالبارحة ٧٤٤

- ماو ماو (ثورتم على الانجليز) ٣٨٨ ،
 ١٠٢٩ ، ٥١٢
 ما وراء الآيات (كتاب) ٧٥٨
 ابن المبارك : ترجمته ١٢٩١
 المجتمعات الإسلامية في القرن الاول
 (كتاب) ٢٤٢
 مجلة الازهر ١٠٢ ، ٦٤١
 مجمع اللغة العربية ٢٥٢
 مجمل تاريخ أسبوط للطوبجي ٧٦٣
 محادثات الجلاء عن مصر وتوقفها ١١٥١
 محب الدين الخطيب : رسالة الازهر في عهده
 الجديد ١٣٧ ، مشيخة الازهر في أكل
 ماشاهدناه من عهودها ١٤٦ ، مد العربية
 وجزرها ١٩٣ ، تاريخ الامم والملوك
 للطبري ٢١٠ ، التعليقات على العواصم من
 القواصم ٢٤٤ ، الإنسانية بين النظام المحمدي
 والنظام الاسرائيلي ٢٦٨ ، تساح أهل
 السنة في الرواية عن المخالفين ٣٠٦ ، قاصمتان
 خبيثتان في مجلة دار التقريب ٣٢٩ ، من
 نحن ٣٩٧ ، الدعوة إلى التقشف ٤٤٣ ،
 العاجلة والآجلة ٥٢١ ، حقائق ٦٤٩ ،
 صدى قاصمتي مجلة دار التقريب ٦٩٤ ،
 أمانتان : الامانة الاولى هذه الامة
 الإسلامية ٧٧٧ ، الامانة الثانية هذا التراث
 العلمي الإسلامي ٩٠٥ من طالب علم إلى
 طلاب العلم ١٠٣٣ ، رمضان وشيطانه
 ١٠٥٩ ، ثقافتنا الحاضرة ١١٦١ ، التعريف
 بالكتب من الجزء الثاني إلى آخر السنة ،
 أبواب المجلة الملحقه بأجزائها ، استخراج
 وترتيب هذا الفهرس العام
- المحجر الصحي في جدة ٧٧٤
 محمد ﷺ : كيف بنى الامة الإسلامية
 ٢٦٥ ، موهبته السياسية ٢٧٤ ، الإيمان
 بما أخبر به من الغيب ٣٢٩ ، ذكريات
 ميلاده ٥٥٥ ، مولده ٣٧١ ، مشعر لابن
 الزبير في مدحه ٤٣٨ شعر لكعب بن
 مالك في مسيره من حنين إلى الطائف ٤٤٢
 محمد قائد الإسلام ١٢١٤
 محمد بن جرير الطبري : تحقيق عن تاريخه
 ٢١٠ ، عفته ونزاهته ٧٨٢
 محمد جمال الدين محفوظ : الجندية في صدر
 الإسلام ٦٢٤ ، ٨٥٧ ، ١١١٠ ، محمد قائد
 الإسلام ١٢١٤
 محمد الحضر حسين (الاستاذ الاكبر شيخ
 الجامع الازهر) : كيف تولى المشيخة ١٤٩ ،
 حديث له مع مندوب الاهرام ١٥١ ،
 لا قيمة للعلم ما لم تلازمه الفضائل الخلقية
 ١٩٨ ، كلمة إلى الطلبة في افتتاح العام
 الدراسي ٢٠١ ، استنكار القبة ٢٢٨ ،
 أعمار زائفة (شعر) ٣٠٤ . سماحة الإسلام
 ٣١٣ ، الميسر وورق اليانصيب ٣١٧ ،
 الاحتكار والرج الفاحش ٣٥٠ ، أكل
 رسالات الله ٤١٨ ، موقف الإسلام
 من الشيوعية والرأسمالية ٤٥٨ ، ما يجب
 على المسلمين لتونس والجزائر ومراكش
 ٤٩٢ ، المرأة والوظائف العامة ٥٧٢ ،
 الفرق بالحيوان في الشريعة الإسلامية ٦٠٣ ،
 خير نظام للحكم ٦٨٤ ، قضية فلسطين
 والتعويضات الألمانية لاسرائيل ٧٢٢ ،

محمد عبد المنعم خفاجه : مهاجرون وأنصار ٢١٦
 بنو خفاجة ونار يخهم ٢٤٦، ١١٤٧، مولد
 منقذ الانسانية ٣٧١، ذكريات نهز مشاعر
 الانسانية ٤٧٢، البلاغة والتجديد ١٠٠٤
 الاسلام رسالة الاصلاح والحرية ١١٤٩
 محمد عرفة : جهود المسلمين في النحو والبلاغة ٥٨
 تحديد الملكية في الاسلام ١٤١ عهدال ٢٠٢
 كيف بنى محمد الامة الاسلامية ٢٦٥، أمن
 الخير أن تبنى الامة على الحزبية ٣٠١، علوم
 البلاغة في الميزان ٣٣٤، ٩٨٠، الاسلام
 والسلام ٣٩٣، الكتب الفلسفية المحرفة
 وسبيل إصلاحها ٤٢٤، خصب العقول
 وجددها ٥٢٦ الاشاعات والاراجيف ٥٨٨
 بماذا نبدا ٦٥٥، دفاع عن الازهر ٧٨٣
 الشرق والغرب وهل يجتمعان ٩١٢،
 مشكلات التعليم في مصر ١٠٣٩، الامم
 السعيدة والامم الشقية ١١٦٥ الختان ١٢٤٢
 محمد على النجار : لغويات ٢٠٤، ٣٤٤، ٤٧٦
 ٥٧٧، ٧٢٥، ٨٤٤، ٩٣٩، نظرات في
 كتاب الاموال في الفقه ١٢٥٢
 محمد الغزالي : من صور القوة في القرآن ١٧٩،
 من صور الفداء في الاسلام ٣١٩
 محمد غلاب : العلم وعلاقته بالدين ١٠١١
 الدين في أوروبا وعلاقته بالعلم ١٢١٣
 محمد فتحي محمد عثمان : تطهير الاداة الحكومية
 في الاسلام ٤٠٨، ٦١١، ٧٣٢، حقوق
 الإنسان في الاسلام ٨٣٥، العدالة
 الاجتماعية في الاسلام ٩٥٩
 محمد فهمي الطماوى : اختيار الزوجة ١١٣٦-٧٥٢

الدعوة إلى عقد المؤتمر الإسلامى بالقاهرة
 ٧٤٨، جبل يؤمن بالاخلاق ٨٣٩،
 لماذا صار المسلمون هدفا للمستعمرين ٨٥٤،
 التقليد والمحاكاة (ما نأخذ وما ندع) ٩٣١،
 الازهريون والتدريبات العسكرية ١٠٦٠،
 الاسلام لا يقر المحسوية ١٠٦٣، الجهاد
 أعلى مراتب العبادة ١٠٨٣، الاستعمار
 يقرب من نهايته ١١٩٧، العلم بين الاساتذة
 والطلاب ١٢٣٩
 محمد خليفة : صحوة الارواح ٣٢٤. الإيمان
 يصنع المعجزات ٤٦٥، ما أشبه الليلة
 بالبارحة ٧٤٤
 محمد بن سالم البيهاني : أستاذ المرأة (كتاب)
 ١١٤٩
 محمد السماحي : طليعة الوحي الالهى ٢٢٢
 محمد صبرى عابدين : فلسطين العربية الاسلامية
 ٣٤١ الغزو الفكرى للبلاد الاسلامية ٩٧٥،
 الاردن والبلقاء في تاريخ الاسلام ١٢٠٠
 محمد الطيب النجار : في يوم الفتح الاعظم ١١١٥
 محمد عبد السلام القباني : مساهمة الاسلام في
 بناء السلام ٢٢٠، العناية بدراسة الاسلام
 في الجامعات ٣٥٢، تبديد المخاوف من إقامة
 دين الله ٥٦٦، فصل الدين عن الدنيا ٧٠١
 محمد عبد القادر : في مولد الرسول ٢٧٥
 محمد عبد الله دراز : رأى الاسلام في القتال
 ١٥، شعار المؤمن السمع والطاعة للحق
 والعدل ١٧٦ أساس الشعور بالمسؤولية ٥٤٤
 تنظيم العلاقة بين الارادة والغريزة ٨٠٢
 محمد عبد الله السمان : التزينة في القرآن ٧٥٩

وخصائصه ١٦٤، ٢٧٨، ٤١٣، طريق
الافادة من الفقه الاسلامى ٥٤٩، أزمة
الفقه الاسلامى ٦٧٣، ٨٠٩، ٩٣٤،
الاموال ونظرية العقد فى الفقه الاسلامى
١٠١٨، ١٢٥٢، كفا نائقليد فى الفقه ١٠٦٥
١١٨٨، صدى الامانة الثانية ١١١٣

المحمل ١٠٢٧

محمود أحمد الحنفى : جهود المسلمين
فى الموسيقى ٨٨
محمود شلتوت : اليوم اكملت لكم دينكم ٤٠،
الفتح المبين ١٠٦
محمود فرج العقدة : رواية الحديث وتدوينه
٤٤٦

محمود فياض : حاجة الشرق إلى حكم صالح
٣٦٧، نظم الحكم فى الشرق ٧٣٩
هل يعيد التاريخ نفسه ٩٦٦
محمود محمد شاكر طبقات : لحول الشعراء
للجهدى ٤٩٤
محمود النواوى : الحديث النبوى ١٨٣، ٤٣٠،
٥٦٩، نظام الإسلام السياسى ٢٨٨،
آراء وأحاديث : علوم البلاغة فى الميزان
٧٠٩. امام (عبدالله بن مسعود) ٩٥٣
١٠٧٠، وابن المبارك (ترجمته) ١٢٦١

محيى الدين رضا : الإسلام فى أمريكا ٨٤٨
المخ : مرا كز الادراك فيه ٥١٨
المختصر فى علم رجال الاثر ٢٤٧
مدارس التحرير ٦٤٣
مدافن جديدة للقاهرة ٩٠٢

محمد فؤاد عبد الباقي : معجم غريب القرآن
٥٠٢، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه
الشيخان ٦٣٦

محمد كرد على : غوطة دمشق (كتاب) ٦٣٧
كنوز الاجداد (كتاب) ٨٩٠
محمد محمد أبوشمبة : موهبة النبى السياسية ٢٧٤،
حمزة بن عبد المطلب ٤٥٤، طلحة بن عبيد الله
٥٦٠، الحكم بما أنزل الله ٨٦٤، الصوم
والتربية النفسية ١٠٩٧

محمد محمد المدنى : العقيدة الإسلامية وأثرها
فى سمو الإنسان ٢٦
محمد محمود حجازى : التفسير الواضح ١١٨،
١٠١٦

محمد المهدى الخالصى : دفاعه عن الاشتياق
٦٩٧، رأيه فى مجلة دار التقريب وكتابها ٦٩٩
محمد نجيب (رئيس مصر) : كلمة له فى التربية
والدين ٣٨٢، زيارته الازهر وخطبته
فيه ٤٨٥، خطبته عن مسئولية تحقيق
الاهداف ٥١٤، كلمته فى سر نجاح حركة
الجيش ٦٠٢، كلمته عن النظام فى المدارس
٦٤٢، إعلانه قواعد الحكم فى فترة
الانتقال ٧٦٩، كلمة له فى المعلم والضابط
٨٩٦، نقده تصرفات الاداريين الانجليز
فى السودان ٨٩٧، كلمته عن تعاون
المسلمين ٨٩٩، أمنيته فى أن تكون الدول
العربية ولايات متحدة ١٠٢٨

محمد يوسف موسى : شريعة الله وشرائع
الانسان ٥٠، نشأة الفقه الاسلامى

- المدخل الفقهي العام إلى الحقوق المدنية ٦٣٤
المدرسة : وظيفتها والنظام فيها ٦٤٢
مديرية التحرير ١١٥٩ ، ٩٠٢
مذاعات في الاسلام (كتاب) ١١٤٦
المرائع الانسية في أخبار الدولة العباسية
(مخطوط) ١١٤
المرأة في ظلال الاسلام ١٢٠٩
المرأة : كلمات عنها ٩٨٣
المرأة بين البيت والمجتمع (كتاب) ١١٤٧
المرأة المسترجلة : كلمة فيها لثابليون ١١١٢
المرأة والوظائف العامة ٥٧٢
المسألة السودانية (كتاب انجليزي) ١٢٢
المسؤولية : أساس الشعور بها ٥٤٤
المسجد الاقصى : حمايته ٢٦٠ ، حاجة قبه
إلى الاصلاح ١٠٢٨
المسجد النبوي ٨١ ، تجديده ٢٦٠ ، ١٠٢٧
مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية
في الهند ٨٩١
مسلمة بن أحمد المجريطى : الرسالة الجامعة ٧٦١
المسلمون بين يقظتهم وسباتهم (شعر) ٩٨٧
المسلمون في الحكم الشيوعى ٢٦٤ ، ٨٩٩
المسلمون في مفترق الطرق ٥٨٤
المسلمون كما يريد الإسلام ١٨٢
مشروعات السنوات الخمس بمصر ٦٤٧
مشكلات التعليم في مصر ١٠٣٩
مصر : ميزانها التجارى ٢٦٢
مصر والسودان ٣٨٥
- مصطفى الزرقا : المدخل الفقهي العام ٦٣٤
مصطفى صادق الرافعى : مشوهو تاريخ
الاسلام ٩٧٤ ، المترجمة والمعتدى عليها
٩٩٥ ، التجديد في الأدب ١١٨٧
المعاجم اللغوية : نشأتها وأطوارها ١٠٨٦
معاكسة النساء في الطرق ١١٥٨
معجم بأسماء المجرمين ٥١٩
معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح
البخارى ٥٠٢
معضلات الاقتصاد وحلها في الاسلام ٥٠٣
المعلم والضابط ٨٩٦
المعنى واللفظ ٢٠٤ ، ٣٤٤
المغرب الأقصى : قضيته ٢٥٦ ، الاعتراف
باستقلاله ٢٦٣ ، خطاب لسلطانه ٣٨٥ ،
مذبحة الدار البيضاء ٧٧٢
المقارنة العلمية بين الشريعة والقانون ٣٨١
مكتبات في المساجد ٨٩٦
مكتبة قصر عابدين ١١٥٠
مكة : إنارتها بالكهرباء ٣٩١
الملسكية : تحديدها فى الإسلام ١٤١ ، ٣٦٠
الملسكية فى الإسلام (كتاب) ٢٤٧
ملسكة تقلى ٣٧٦ ، ٤٨٨ ، ٧١٨
من الأعماق كلمات لجبران خليل جبران ١٠٣٨
من ذكريات الميلاد النبوى ٣٥٥
من صفات الفوائد ١١٩٣
من طالب علم إلى طلاب العلم ١٠٣٣
من نحن ٣٩٧

من نواذر المخطوطات : أخبار ملوك العرب

البائدة للأصمى ١١٢٣

ماجرى وأنصار ٢١٦

الموسيقى : جهود المسلمين فيها ٨٨

ميثاق اجتماعى للدول العربية ٦٤٤

الميسر وورق اليانصيب ٣١٧

(ن)

النحو والبلاغة : جهود المسلمين فيهما ٥٨

نذير بريطانى لبريطانيا ٦٤٥

النسخ فى القرآن ٢٩٠ ، ٢٢٩

نشأة كتب الامالى ٥٥٤ ٦٨٧ ٨٢١ ١٠٧٧

نظام الإسلام السياسى ٢٨٨

النظام المحمدى والنظام الإسرائيلى ٢٦٨

نظرية الانساب فى الميزان ٧٦٤

نظرية السبب فى النقد ٨٠٩ ، ٩٣٤

نظم الحكم فى الشرق ٧٣٩

نقحاحات القرآن ٥٢٣ ، ٦٦٢ ، ٧٨٦ ، ٩١٨

١٠٤٨ ، ١١٦٩

نفس الحر : أبيات للشافعى ٣١٨

نفسيات (شعر) ٨٤٣

النقد الأدبى : قديماً وحديثاً ١٢٥ ، وتاريخه

٩٩٣ ، ١٢١٨

النقد وأثر الخصومات الأدبية فيه ٦١٩

نقد طبعة أحمد أمين لكتاب حى بن يقظان

١١٢٨

نهمش بن حرى : أبيات له فى نزوع المزمع إلى

أصله ١١٦٤

نور الدين شريفة : أخبار ملوك العرب البائدة

للأصمى ١١٢٣

(هـ)

هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ٧٦٣

الهدايا والنذور (فتوى) ٢٤٠

هل يعيد التاريخ نفسه ٩٦٦

هندي — هندكى ٤٧٧

هواتف اسلامية (كتاب) ٥٠١

ابن الهيثم ٧٨

هيوم : العلية فى فلسفته ٤٨١

(و)

واحة البرمى فى جزيرة العرب ٨٩٨

وادي الريان ٢٦٢

وحدة الامة سبيلها إلى النصر ٧٢٩

الوحدة العربية : كلمة لجمال عبد الناصر ٨٩٩

الورق من فضلات القصب ٥١٨

وزارة الارشاد القومى ٣٨٩

الوزارة المصرية ٥٠٤

الوصاية والاستعمار ٢٦٣

الوطن آلة كبيرة ٥٤٥

ولايات متحدة عربية : أمنية الرئيس محمد نجيب

١٠٢٨

(ى)

الين : أقدم خريطة رمزية من عملها ٩٦٣ ،

اكتشاف ١٢ ألب أثر من آثارها ٥١٦

يوسفولى شاه : كارثة القرم الاسلامية ١١٤٨

يوم أحد (أبيات لكعب بن مالك) ٤٦٧

اليوم أكلت لكم دينكم ٤٠

ابن يونس المصرى ٧٧

اليونسكو وثروة العالم الثقافية ١٢٤

يوهان فلك : العربية رمز وحدة ثقافية ٥٤٨

